الجزء الثاني من شرح الشفا للقاضي عياض
المسمى بنسيم الرياض للمرحوم
شهاب افندي المصري

استكتبه مع ما قبله العبد الفقير [illegible]
السيد محمد الامين صنعي
عفي عنهما

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

فصل من معجزاته في احياء الموتى وكلامهم

له صلى الله عليه وسلم واحيا مصدر مضاف لمفعوله وفاعله الله او النبي صلى الله عليه وسلم لانه سببه وان كان الفاعل الحقيقي هو الله وهو اعظم معجزاته ولذا قال الابوصيري في البردة

لو ناسبت قدره اياته عظما • احيى اسمه حين يدعى دارس الرمم

وقد تكلم الناس في معنى هذا البيت واورد عليه ان من جملة معجزاته القران وقد قال انه من كتاب الله خير من محمد وال محمد فكيف لا يكون في معجزاته ما يناسب مقداره في الشرف واجيب بان المراد بمعجزاته ما احدثه الله على يديه والقرآن صفة لله قديمة ومعناه انه لا يعد شي من معجزاته عظيما بالنسبة اليه الا ان يكون منها ان كل احد لو دعا باسمه وتوسل به في احياء الموتى ﮦ وقع له ذلك بان يقول اللهم اني اسالك بمحمد ان تحيي صاحب هذا القبر وليس عطف الكلام من عطف الخاص على العام كما توهم **وكلام الصبيان** الذين في المهد لم يصلوا السن يتكلم فيه مثلهم ولذا عطف على كلام الموتى لانهم ليس من شانهم الكلام واخره لانهم من شانهم الكلام بعد دونه مرتبة **والمراضع** جمع مرضع اسم مفعول هو الولد الصغير على القياس وليس جمع راضع على خلاف القياس كما قيل وليس جمع مرضع بكسر الضاد وهو الام لانه ليس فيه خرق للعادة ولا مرضعة بالفتح بمعنى بنت صغيرة ترضع وان الاحسن ان يقول الاطفال لانه عطف تفسير للصبيان بمعنى من ابتدا رضاعه والاطفال كالصبيان لا تودي مؤداه الذي قصد **وشهادتهم له بالنبوة** اي قول من في المهد انك نبي الله ورسوله وعطف على كلام الصبيان من عطف الخاص على العام ثم شرع في اثبات ما ذكر بحديث اورده ابو داود مسندا عن ابي هريرة فقال **حدثنا ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه** المتبحر في معرفة الاحكام الشرعية الفرعية وقيل المراد به العالم بالعلوم الشرعية مطلقا **وابو الوليد محمد بن رشد** علم منقول من ضد الغي وهو محمد بن احمد بن احمد بن رشد الامام المالكي الجليل قاضي قرطبة تولى قضاها بعد ابي القاسم من جمادي سنة احدى وخمسمائة ثم عزل سنة اربع عشرة وولي ابو القاسم وذلك في سلطنة يوسف بن تاشفين **والقاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى بن عيسى التميمي** الذي تقدمت ترجمته **سماعا واذنا** يعني انه سمع منهم واذن له في الرواية عنهم **قالوا حدثنا ابو علي الحافظ الغساني** الذي تقدم **حدثنا ابو عثمان الحافظ** السابق ترجمته **حدثنا ابو عمر الحافظ** هو ابن عبد البر الامام المشهور كما تقدم **حدثنا ابو بكر بن عبد الرحمن بن يحيى** بن محمد المعروف بابن العطار **حدثنا احمد بن سعيد** تقدم ترجمته **حدثنا ابن الاعرابي** تقدم ايضا **حدثنا ابو داود** الامام صاحب السنن **حدثنا وهب بن بقية** الواسطي ابو محمد ويقال له وهبان توفي سنة تسع وثلاثين ومايتين وروى له مسلم وابو داود

والثاني **عن خالد هو الطحان** هو خالد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد المعروف بالطحان كان من الزهاد الصالحين يقال انه اشترى نفسه من الله ثلاث مرات فتصدق بوزنه فضة توفي سنة تسع وسبعين ومائة وولد سنة عشر ومائة واخرج له اصحاب الكتب الستة **عن محمد بن عمرو** بن علقمة وله ترجمة في الميزان **عن ابي سلمة** احد الفقهاء السبعة كما تقدم **عن ابي هريرة ان يهودية** من يهود خيبر اسمها زينب بنت الحارث امراة سلام بن مشكم صاحب الكنز وهو من بني النضير وقيل انها زينب اخت عبد الله بن سلام **اهدت له شاة مصلية** اي مشوية من صلاه بالنار اذا شواه واصلها مصلوية فقلبت الواو ياء وادغمت وكسر ما قبلها **سمتها** اي وضعت فيها سما يقال سممته انا والعامة سميته وهو خطا كما قال السراج الوراق ﮦ

رزقت بنتا ليلها لم تكن • في ليلة كالدهر قضيتها
فقيل ما سميتها قلت لو • مكنت منها كنت سممتها

وقد يقال ان اصله سممتها بثلاث ميمات ابدلت الثالثة ياء على القياس **فاكل رسول الله منها واكل القوم** الذين كانوا معه من الصحابة اي شرعوا في الاكل **فقال** صلى الله عليه وسلم **ارفعوا ايديكم** اي كفوها عن الاخذ منها للاكل وابعدوا ايديكم عنها واصل الرفع الاعلاء فكنى به عما ذكر وشاع حتى صار حقيقة فيه **فانها اخبرتني انها مسمومة** وهو محل الشاهد لانها كلمته وهي ميتة بكلام لم يسمعه غيره ولو شاء الله اسمعهم كلامها **فمات** ممن اكل منها مسموما **بشر ابن البراء** بفتح البا الموحدة والراء المهملة والمد ابن معرور بسكون العين المهملة وفتحها خطا وهو صحابي خزرجي شهد العقبة وبدرا قيل انه مات في الحال وقيل لم يزل مريضا حتى مات بعد سنة **وقال** صلى الله عليه وسلم **ما حملك على ما صنعت** من السم ووضعه حتى حصل منه ما حصل وهو مجاز مشهور من الحمل المشهور من قولهم حمله كذا وحمله عليه اذا كلفه به قال تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها اي كلفوا ان يقوموا بها فلم يفعلوا فالمعنى ما دعاك لصنعك هذا **قالت** الداعي اني اردت معرفة حالك واختبارك **ان كنت نبيا لم يضرك ما صنعت** من وضع السم واكلك **وان كنت ملكا** بكسر اللام اي سلطانا **ارحت الناس منك** بموتك فلما لم يضره ضررا ظاهرا لغيره علم بذلك انه نبي وهذه معجزة له لان الله عصمه من اذى الناس ولم يمكن احدا من قتله باي طريق كان وانما احتجم بعده كما روي هنا بيانا لاستحباب المداواة وتعليما للامة ولئلا تخرج الشاة قبل الاكل ولينال مرتبة الشهادة العظمى من غير اهانة له واختلف في السم هل كان في الشاة كلها او في الذراع زيادة على غيره ولانها سالت ما احب اليه فقالوا الذراع او كان في الذراعين فقط لذلك ذهب الى كل منهما ناس وانما سالها لتتقرر فتتبين القصة ولانه كان بينه وبين اليهود عهد وهذا نقض له **قال** ابو هريرة راوي الحديث كما ذكره البيهقي وان كان رواه مرسلا في محل آخر **فامر بها** اي بقتلها **فقتلت وقد روى هذا الحديث** اي حديث ابي هريرة من طرق اخر في الصحيحين **عن انس بن مالك وفيه** اي فيما رواه انس **قالت اردت قتلك** ان لم تكن نبيا كما مر **فقال لها ما كان الله ليسلطك** من التسلط والسلاطة وهي التمكن من القهر والاذية كما قال تعالى ولو شاء الله لسلطهم عليكم **على ذلك** اي القتل وروي على مشددا بجر ياء المتكلم والكاف مكسورة لان الخطا

لونث كما قاله السكاكي فقالوا انقتلها وفي نسخة نقتلها بتقدير همزة الاستفهام
قال لا تقتلوها ولعل هذا كان قبل موت بشر بن البرا وبهذا يجمع بين هذه الرواية وبين
رواية ابي هريرة انه قتلها وبه يجاب عما قيل انه مشكل لانه كيف يعفى عنها مع قتلها للبرا
الا ان يقال ان البرا عفا عنها او انه لا يقتل بالسم وانما يستحق الدية على ما فصل في كتب
الفقه ولذلك روي بالبنا للمجهول اي روى هذا الحديث عن ابي هريرة من رواية عن
وهب بن بقية شيخ ابي داود انه روي وقال فاعرض عنها عرض بفتحتين بمعنى تعرض
المشدد اي تركها ورواه ايضا جابر كما في سنن ابي داود والبيهقي وفيه اي فيما رواه
جابر اخبرتني به اي بالسم الذي فيها هذه الذراع اي ذراع الشاة وهو مونث سماعي
ولهذا قال هذه وكذا الفخذ مونث قال جابر ولم يعاقبها اي لم يقتلها وفي بعض النسخ وفي
رواية للحسن البصري ان فخذها هو ما فوق الساق بفتح الفا وكسر الخا وسكونها وكسر الفا
كلمتني انها مسمومة اي قالت لي انها اي الشاة مسمومة اما لان السم عمها او في ذراعها
فقط كما مر وهذا لا ينافي ما مر من ان الذراع كلمته لانه لا مانع من ان يكلمه الذراع والفخذ
معا ويجوز عود الضمير للفخذ بنا على احد الوجهين وفي رواية ابي سلمة بن عبد الرحمن
قالت اني مسمومة وكذلك اي مثل هذه الرواية ذكر الخبر السابق ابن اسحاق في سيرته
فقال فيه فتجاوز عنها اي عفا عنها ولم يقتلها في اول الامر لما مات البرا قتلها به
كما مر في الجمع بين الروايتين او لم يقتلها بسببه اما لانه لا يوجبه ولامر آخر رآه وفي
الحديث الاخر الذي رواه الشيخان عن انس انه قال فما زلت اعرفها اي اعرف العلة
التي فعلتها اليهودية في لهوات بفتح اللام والهاء والواو جمع لهاة بوزن قناة وهي لحمة
في اقصى سقف الفم تنطبق على اخر اللسان واول الحلق وهي لا ترى الا اذا فتح الفم انفتاحا
تاما فاما ان يريد بها الفم باطلاق الجزء على الكل كما في قولهم اللهى بفتح اللها فكان لها اثر
في ظاهره من تغير ونحوها لان الاطلاع على حقيقتها بعيد وقيل المراد انها اثرت في صوته
تاثيرا قليلا يظهر لمن تامله فاراد باللهاة الصوت ولا يخفى ما فيه والحديث في البخاري
وفيه كلام في شروحه والحاصل انهم اختلفوا في قتلها كما مر وعن ابن شهاب انها اسلمت فتركها
لاسلامها وفي الروض الانف انه تركها اولا لانه كان لا ينتقم لنفسه فلما مات بشر قتلها قصاصا
به الا ان فيه ان فقهانا والشافعي ان من قدم لضيفه طعاما مسموما فاكل منه وهو لا يعلم فمات
لا يجب القصاص ولذا قيل انما قتلها سياسة او لنقض العهد والقصاص يجب فيه المماثلة والذي
في البخاري ان اليهود سموها لا ينافيه لانه كان بامرهم واتفاق منهم وفي حديث عن ابي هريرة
رواه عنه ابن سعد بسند صحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وجعه يعني
مرضه فعبر عنه بلازمه الذي مات فيه اي مات متلبسا او في زمنه وروي منه ما زالت
اكلة بضم فسكون وهي ما يوكل كاللقمة لما يعرف لان فعله بالفتح للمرة وبالكسر للهيئة وبالضم
للمقدار كما قاله النحاة خيبر بمنع الصرف بلدة على اميال من المدينة اهلها يهود تعادني
بضم المثناة الفوقية وفتح العين المهملة والف ودال مهملة مشددة ونون الوقاية وضمير
المتكلم اي تعود الي مرة بعد مرة في اوقات معلومة من العداد وهو كما قال ابن الاثير ما ياتي
لوقت كالحمى والسم وقال السهيلي تعادني بمعنى تعتادني وقيل هو ما يهيج بعد سنة من الم اللدغ
ونحوه وليس المراد بالالم نقص في الذوق لانه لا يعد مثله الما وما قيل من انه مكابرة في المحسوس

لا وجه له مع انه ينافي قوله فالان مبني على الفتح ولا يستعمل بغير ال وهو الزمن الحاضر
قطعت اي الاكلة بسمها وتانيثه ابهري بهمزة مفتوحة وموحدة وهاء وراء مهملة بزنة
افعل التفضيل وهو عرق كبير متصل بالقلب او داخله وهما ابهران وقيل هو الوريد وهو اذا
انقطع يموت صاحبه وقيل انه الاكحل وموته بهذا السم لا ينافي قوله والله يعصمك الخ لانه
قبل نزول هذه الاية بل لان المراد عصمته من قتلهم له بسيف ونحوها مجاهرة بحيث يظهر في
وقته وهذا مع انه سم ساعة لم يظهر اثره حتى عد من معجزاته لخفاء اثره وانما قدر الله تاثيره
فيه بعد زمان ليرزقه الشهادة وهذا مما لا دخل للمخلوق فيه ومرضه الذي مات منه كان
حمى مع صداع وروى ابو يعلى بسند ضعيف انه ذات الجنب واورد عليه انه لن يتسلط
ولد فلما افاق قال كنتم ترون ان لي ذات الجنب ما كان الله ليجعل لها علي سلطانا والله
لا يبقى احد في البيت الا لد فعلوه والا لد وقد وان ذات الجنب وقد ورد ان ذات الجنب
من الشيطان واجيب بان ذات الجنب قسمان مرض حار يكون في مستبطن الحشا وهو المنفي
واخر يكون بين الاضلاع وهو المروي في الحديث المذكور والحمى المذكورة انما كانت بسبب
ذلك السم وحكى ابن اسحاق ان بكسر الهمزة وتخفيف النون الساكنة مخففة من الثقيلة
واسمها مقدر اصله انهم كان المسلمون ليرون بفتح اللام لام الابتدا ويرون بضم اليا المثناة
اي يظنون ويجوز فتحها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا بسم الشاة ليكرمه
الله بنيل الشهادة مع ما اكرمه الله به من النبوة وقال ابن سحنون بضم السين المهملة وفتحها
ومنع الصرف وهو محمد بن عبد السلام المالكي الامام المشهور عمدة مذهب مالك كما تقدم
اجمع اهل الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل اليهودية التي سمته كما مر وفي بعض
الروايات وما فيه ودعواه الاجماع مع هذا غير مسلمة منه وكون الرواية الاخرى ما ذكر له
عنده كما مر لا تصفي كدره والى اشار المصنف بقوله وقد ذكرنا اختلاف الروايات في ذلك
الدال على خلاف ما قاله سحنون عن ابي هريرة وانس وجابر وغيرهم من الصحابة فمع ذلك كيف
يصح دعوى الاجماع وما ذكر في الحديث الذي قبل هذا من كون اثار السم يشاهد في لهواته
من تتمة القصة فلا ينافي كون الفضل مفقودا لاحياء الموتى كما توهم وكذا ما ذكر في هذا
الحديث وفي رواية ابن عباس التي رواها ابن سعد انه صلى الله عليه وسلم دفعها اي
سلم المراة التي سمته لاولياء بشر بن البرا يعني ورثته الذين لهم دعوى القصاص وكذلك
اي مثل ما اختلف في قتل من سمته وحكمه قد اختلف في قتل من سحره وهو رجل يهودي من
بني زريق يقال له لبيد بن الاعصم سحره حتى كان يخيل اليه انه يفعل الشي وما يفعله
ثم شفاه الله منه وقال الواقدي وعفو عنه اي الساحر اثبت اي اقوى واصح واصل
معناه اشد ثبوتا ولزوما فاستعير لما ذكر عندنا معاشر اهل السنة والحديث وروي عنه
انه قتله وفي الرقا عن زيد بن ارقم قال سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يهودي فاشتكى
لذلك اياما فاتاه جبريل فقال ان رجلا من اليهود سحرك عقد لك عقدا فارسل رسول
الله صلى الله عليه وسلم عليا فاستخرجها وجاء بها فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة فقام كانما
نشط من عقال فما ذكر ذلك اليهودي له ولا راه قط وقال الثعلبي انهم قالوا له ما ناخذ الخبيث
فنقتله فقال اما انا فقد شفاني الله فاكره ان اثير على الناس شرا وقتل الساحر ذكره
الفقها مفصلا في الفروع وفي السحر وجواز تعلمه كلام مشهور وروي الحديث اي حديث الشاة

المسمومة السابق لاحاديث السحر كما توهم البزار عن ابي سعيد الخدري الا انه قال في آخره فبسط يده وبسطنا صلى الله عليه وسلم ليتناول من لحمها وقال لمن عنده من الصحابة كلوا متبركين باسم الله فاكلنا فلم تضر منا احدا وهو مصادم لحديث البراء الصحيح الذي تقدم وقال السيوطي نقلا عن شيخه ابن حجر ان هذا الحديث منكر قال القاضي ابو الفضل مصنف هذا الكتاب وقد خرج حديث الشاة المسمومة اهل الصحيح الذين اعتنوا بتصحيح الحديث وروايته وخرجه الايمة في كتبهم كاصحاب السنن وهو حديث مشهور بين المحدثين واختلف ايمة النظر من المتكلمين وغيرهم من نقاد الحديث في هذا الباب اي باب خلق الله الكلام في اجسام غير ناطقة بين وجوه اختلافهم بقوله فمن قائل يقول هو كلام يخلقه الله في الشاة الميتة بالتشديد والتخفيف ولما كان الكلام يطلق عند المتكلمين على اللفظي والنفسي بالاشتراك او بالحقيقة في الاول والمجاز في الثاني او بالعكس اشار الى المراد الاول بقوله وحروف واصوات اي هواء يخرج من الجسم متكيف بكيفية مخصوصة ومجموعهما هو الحروف ذات المخارج المعروفة وهو معطوف على قوله كلام يحدثها اي يوجد تلك الحروف والاصوات فيها اي في تلك الاجسام بلا حياة مخلوقة فيها لعدم توقفها عليها ويسمعها بضم التحتية اي يجعلها مدركة بالسمع لمن شاء من خلقه الاجسام منها اي من تلك الاجسام لا من الاصوات والحروف كما قيل دون تغيير اشكالها جمع شكل بفتح فسكون وهو الصورة والهيئة وفيه المشاكلة قال تعالى وآخر من شكله ازواج اي هو مثله في الهيئة ومنه قولهم الناس اشكال والاف وهو من الشكل بمعنى تقييد الدابة كما قاله الراغب فقوله ونقلها عن هيئتها اي نقلها من هيئتها الاصلية الى هيئة اخرى لذوات الارواح والنطق وهو اي عدم لزوم ما ذكر مذهب الشيخ ابي الحسن الاشعري امام اهل السنة والقاضي ابي بكر الباقلاني نعتدهما الحياة ليست بشرط لخلق الكلام في الاجسام وقوم آخرون من اهل السنة ذهبوا الى اشتراط ذلك والى ايجاد الحياة بها اولا قبل نطقها وصدور الكلام منها ثم الكلام بعد اي بعد ايجاد الحياة بها وحكي هذا ايضا كما حكي القول الاول عنه فله قولان في هذه المسئلة عن شيخنا الضمير لاهل السنة المعلوم من السياق والشيخ هو المسن وشاع بمعنى الاستاذ ولا يلزم ان يكون المصنف ادركه وتلمذ له كما لا يخفى في مسئلة ابي الحسن الاشعري وكل من القولين محتمل اسم مفعول اي جائز عقلا فيحتمل فيما صدر عنه النطق ان يخلق الله فيه وان نطقه بدونها ولا نص على هذا ما قررناه في كلام الشيخ كما توهم حتى يحتاج لحمل اصل قوليه على الكلام النفسي ومثل هذا لا يلتفت له حتى يسود به وجه الصحف كما لا يخفى اذا لم نجعل الحياة شرطا لوجود الحروف والاصوات وحينئذ يحتمل انه تم خلق فيه حياة ويحتمل انه انطقها بدون ذلك اذ لا يشترط وجوده ولا عدمه اذ لا يستحيل ولا يمتنع عقلا وجودها اي الحروف والاصوات مع عدم الحياة بمجردها اي وحدها من غير جارحة وحياة ونحوها فاما اذا كانت اي الحروف والاصوات او هذه العبارة التي هي الكلام النفسي وشك فالنا يب لمراعاة الخبر في قوله عبارة اي معبرا بها والظاهر الثاني عن الكلام النفسي الذي يعبر به عنده عندهم وتحقيق الكلام النفسي والفرق بينه وبين العلم فيه كلام طويل في علم الكلام يضيق طوق المقام عنه فلا بد من شرط الحياة لها لانها العلم او مستلزمة له وعلى كل حال فلا بد من الحياة فيها اذ لا يوجد كلام النفس الا من حي اذ لا بد له من نفس تقوم والنفس لا تكون الا ذات حياة واما الكلام اللفظي فلا يشترط فيه ذلك خلافا للجبائي بضم الجيم وفتح الباء الموحدة المشددة والمد

وبالز

ويا نسبة الى الجبا قرية بالسواد وهو ابو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام مخففا بن خالد بن حمران بن ابان مولى عثمان بن عفان البصري رئيس المعتزلة مات سنة ثلاث وثلثمائة من بين سائر متكلمي الفرق اي فرق اهل السنة والمعتزلة فانه تفرد في احالة وجود الكلام اللفظي اي علمه محالا عقلا وعادة والحروف والاصوات الا من حي مركب قايم بجسم الصوت على تركيب من فصيح النطق بالحروف والاصوات بان يكون جسما له آلة نطق وجوف ثم لسانا ورد عليهم ما تواتر من نطق غيرهم قالوا دفعا له بالتزامه والمه اشار بقوله والتزم ذلك اي وجود التركيب المذكور في الحصا بمهملتين جمع حصاة والجذع والذراع الذي نطق له صلى الله عليه وسلم لتواتره وقال ان الله خلق لها حياة وخرق اي ابدع وميز من غيرهم من الاعضا كما خرق سمعه وشقه اي ابرزه وصوره لها فما ولسانا دالة للكلام امكنها اي اقدرها وجعلها متمكنة بها من الكلام والنطق وهذا المذكور من الالة والاعضا لو كان اي وقع في الخارج لكان نقله اي وجد نقله وسمع فكان فيهما تامة والتهمم به تفعل من الهم اي الاهتمام والاعتناء به اكد بالمد وكبر بالواو بمعنى اي اقوى واشد من التهمم به بنقل تسبيحه اي تسبيح الحصا وحنينه اي الجذع كما تقدم والامر بالعكس فانه نقل تسبيحه وحنينه ونطقه نقلا شائعا ولم ينقل انه روى له فم ولا لسان فما ذكره مكابرة في المحسوسات ودعوى شهد الحس بخلافها ولم ينقل احد من اهل السنن اي رواة الحديث والسير النبوية والروايات شيا من ذلك المذكور والذي ادعوه فدل عدم نقلهم على سقوط دعواه اي بطلانها مع انه لا ضرورة داعية اليه في النظر والفكر في الامور المعقولة وكون الله خلق ذلك واخفاه فاؤهي من دعواه وروى وكيع بفتح الواو والكاف هو ابو سفيان بن الجراح بن مليح بن عدي الرواسي رفعه رواه مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم عن فهد بن عطية هو بفا مفتوحة وها ساكنة ودال مهملة وفي نسخة را مهملة قال البرهان لا اعرفه بدال ولا براء والذي في البيهقي انه عن شمر بن عطية عن بعض اشياخه فيحتمل انه تحرف على الناسخ ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بصبي قد شب اي كبر وصار شابا وهو لم يتكلم قط من طفوليته لشبابه لانه خلق اخرس فقال له من انا فقال رسول الله فانطقه الله معجزة له بعدما كان ابكم وذكره هنا في الفصل الذي بعده اظهر وان كان هذا تنزيل الابكم منزلة الميت والجماد لعدم القدرة على النطق ⓒ وروي عن معرض بن معيقيب بميم مضمومة بزنة اسم الفاعل وقيل مكسورة مشددة ومعيقيب وروي معيقيب بيا وقيل معيقل بلام رايت من النبي صلى الله عليه وسلم عجبا اي امرا عجيبا وقع عنده وهو جي بالبنا للمجهول اي جاء اليه بعضهم بصبي يوم ولد مجهول ايضا فذكر راويه وهو معرض مثله اي مثل ما مر من انه قال من انا فقال له رسول الله وهو معروف في المعجزات بانه حديث مبارك اليمامة وفي نسخة وكان يسمي اي ذلك الولد مبارك اليمامة لقوله صلى الله عليه وسلم له بارك الله فيك واليمامة علم لارض باليمن منقول من اسم طاير وهذا مؤخر في النسخ كما سيأتي ويعرف بحديث شاصونة بشين معجمة والف وصاد مهملة وواو يليها نون وها وهو اسم راويه اي راوي هذا الحديث وبيانه ما قاله السيوطي في خصائصه الكبرى قال الخطيب اخبرني علي بن احمد الرزاز حدثنا ابو عمر محمد بن عبد الواحد ابن ابي هاشم املاء حدثنا محمد بن يونس بن موسى الكديمي املاء حدثنا شاصونة بن عبيد ابو محمد اليماني منصرفنا من عدن سنة عشر ومايتين بقرية يقال لها الحردة قال حدثنا معرض بن عبد الله اليما

مي

عن ابيه عن جده قال حججت حجة الوداع فدخلت مكة فرايت فيها رسول الله ووجهه مثل دارة
القمر وسمعت منه عجبا جاءه رجل من اهل اليمامة بغلام يوم ولد وقد لفه في خرقة فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا غلام من انا فقال انت رسول الله قال صدقت بارك الله فيك ثم ان
الغلام لم يتكلم حتى شب قال ابي فكنا نسميه مبارك اليمامة قال شاصونة سمعت هذا
الحديث منه ثمانون سنة ولم اسمع منه الا هذا الحديث قال الدارقطني كان الكديمي متهم بوضع
الحديث ومما تكلم فيه حديث شاصونة وقيل انه حديث من لم علو بعد فلما بلغه ذلك قال
عقدت بيني وبينه عقدة لا احلها الا بين يدي الجبار فانتهى اليه الخبر فكان لا يذكره الا بخير
وقال الخطيب ان الكديمي لما املى هذا الحديث استعظمه الناس وقالوا انه كذب الا انه وقع
الينا من غير طريق الكديمي ثم ساقه بسنده الخ قال السيوطي فقد وقع روايته من طرق فهو حديث
حسن وسبب انكاره انه من الامور الخارقة للعادة وقد وقع في حجة الوداع مع كثرة الناس
فكان حقه ان يشتهر انتهى باختصار فقول بعض الشراح تبعا لابن دحية انه موضوع غير
مسلم وتبعه السيوطي هنا من غير تعقب له فيه كلامه تناف ومعرض عدة من الصحابة وفيه
اي في هذا الحديث فقال له اي للصبي حين تكلم صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم
يتكلم بعد مبني على الضم اي ذلك الكلام حتى شب اي كبر ووصل سن النطق فكان يسمى
لدعاء النبي له بالبركة مبارك اليمامة وكانت هذه القصة بمكة في حجة الوداع بفتح
الواو وكسرها سميت بها لانها آخر حجة وقد ذكر فيها ما يشعر بقرب اجله وانه يودع فيها
امته وعن الحسن البصري وقد قدمنا ترجمته وهذا الحديث لم يخرجه السيوطي ان رجلا
اتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر انه طرح اي رماها ثمة فماتت وقيل انه كان وادها
على عادة الجاهلية بنية له تصغير بنت لم يعينه راويه في وادي كذا فانطلق اي مشى
صلى الله عليه وسلم معه الى الوادي الذي ذكره له وناداها اي نادى بنت الرجل باسمها
يا فلانة احيي باذن الله تعالى اي بارادة الله وقدرته والاذن يتجوز به عما ذكر تجوزا
مشهورا فخرجت حية من قبرها وهي تقول وسعديك اي اجابة لك بعد اجابة واسعادا
بعد اسعاد ومعناه سرعة الاجابة والانقياد ولا يستعمل الا مثنى والكلام عليه مشهور في
كتب النحو كما تقدم لما اجابته فقال لها ان ابويك قد اسلما فان احببت ان اردك
عليهما بعد استقرار الحياة فيك رددتك عليهما قالت لا حاجة لي فيهما ولا ارى الرجوع
اليهما وجدت الله وما عنده من الخير خيرا لي منهما ومما عندهما وفيه دليل ان صح الحديث على
ان اطفال الكفار غير معذبين وهو الاصح وفيه من المعجزات احياء الموتى وكلامها ونطق الطفل
الصغير ايضا وقد نطق في المهد جماعة منهم من ذكر في هذه الاحاديث وسياتي تمامه واعلم
ان من تكلم في المهد كثير من الاطفال عدوا منهم عيسى بن مريم وصاحب الاخدود وابن ماشطة
فرعون وصاحب جريج وشاهد يوسف وشاهد الامة والجبار وما ذكره المصنف وقد نظمهم
السيوطي في قوله

تكلم في المهد النبي محمد • ويحيى وعيسى والخليل ومريم •
ومبري جريج ثم شاهد يوسف • وطفل لدى الاخدود يرويه مسلم •
وطفل عليه مر بالامة التي • يقال لها تزني ولا تتكلم •
وماشطة في عهد فرعون طفلها • وفي زمن الهادي المبارك يختم •

وعن انس في حديث رواه البيهقي وابن عدي مسندا ان شابا من الانصار توفي وله

ام عجوز

ام عجوز عمياء وهذا مما يدل على شدة حزنها لكبر سنها وعجزها المحوج لولدها فسجيناه
بالسين المهملة والجيم اي غطيناه من قولهم سجى الليل اذا استتر بظلمته الارض او كفناه وعزيناها
اي صبرناها وسليناها بذكر ما لها من الاجر ونحوه كما هو معلوم والتعزية تسلية اهل الميت
عنه وهي سنة معروفة فقالت لهم لما عزوها مات ابني قلنا نعم فقالت اللهم ان كنت
تعلم اني هاجرت الهجرة الانتقال من بلد الى آخر وهذا لا ينافي كونها من الانصار لانها قد تكون
في مكان بعيد هاجرت منه اليك والى نبيك الهجرة الى الله بالهجرة الى رسوله والا فالله
معها اينما كانت رجاء ان تعينني بالفوقية خطاب لله لانه هو المعين على كل شدة الشدة
بمعنى الصعوبة هنا اي على كل امر شاق يصعب علي ويعسر تحمله لا سيما هذا الولد مع كبر السن
وعدم البصر وعلقته بان المشعرة بعدم الجزم باعتبار اخلاصها في هجرتها لله ولرسوله
مما يخفى على غيرها ومن شانه ان يشك فيه لا لانها لا تعلم ذلك لانه ينافي توسلها به الى الله او
باعتبار القبول وتجاهلا رجاء للاجابة ورجاء منصوب مفعول له فلا تحملني بالحاء المهملة
وتشديد الميم ونون التوكيد يعني لا تكلفني لان التكلف كالحمل الثقيل فاستعير له كقوله
تعالى لا تحملنا ما لا طاقة لنا به على بجريانه المتكلم هذه المصيبة يعني موت ولدها في هذه
الحالة فما برحنا اي ما ذهبنا من مكاننا الذي كنا فيه حتى كشف ولدها الثوب عن وجهه
بعد ما غطي به فطعم وطعمنا اي قدم لنا طعاما اكل منه ولدها واكلنا معه وذكروا انه
عاش الى وفاة النبي وبقي بعده كما ذكره ابن ابي الضيف وفيه معجزة حيث انه احيى الميت
للدعاء باسم النبي صلى الله عليه وسلم فلا يقال ان هذا كرامة لام الصبي وروى الراوي
له البيهقي عن عبد الله بن عبيد الله الانصاري بتصغير الثاني كنت فيمن دفن اي حضر
دفنه ثابت بن قيس بن شماس بن مالك بن زهير بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن
كعب بن الخزرج الانصاري المدني الصحابي وكان خطيب الانصار وشهد له النبي صلى الله
عليه وسلم بالجنة وقتل باليمامة وروى له البخاري والنسائي وابو داود وكان جهوري
الصوت فلما نزلت يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم احتبس عن الحضور عنده لانه
كان يرفع صوته اذا تكلم فقال قد علمتم اني ارفعكم صوتا على رسول الله فاخشى ان اكون
من اهل النار فذكر ذلك لرسول الله فقال بل هو من اهل الجنة وقال التلمساني انه كان
باذنه صمم فلذا كان يرفع صوته وفيه ان الاصم لا يحتاج لرفع صوته نفسه وقد قال
ابن حجر ان الصحابة لم يكن فيهم اصم وكان قتل باليمامة وكانت وقعتها في ربيع الاول
سنة اثنتي عشرة في خلافة الصديق واليمامة اسم بلدة من جانب اليمن وهي بلد مسيلمة
الكذاب وهي على ستة عشر مرحلة من المدينة وقد قالوا انه اوصى بعد موته ونفذت
وصيته ولم تنفذ وصية احد بعد موته غيره وذلك انه لما قتل كان له درعان فسرقت
احديهما وجعلت تحت قدر وكانت انفس درعيه فرأى رجل ثابتا في منامه فقال له اوصيك
بوصية فاياك ان تقول انه حلم فتضيعها اني قتلت امس فمر بي رجل فاخذ درعي ومنزله
في اقصى الناس وعند خبائه فرس يستن في طوله وقد كفى على الدرع برمة وفوق البرمة رحلا
فأت خالدا يعني اميرهم حينئذ فليأخذها واذا قدمت المدينة فقل لابي بكر ان علي دينا لنا
مقداره كذا وان ابني فلان وفلان فخبر فاتى الرجل خالدا فاخبره فبعث
الى من عنده الدرع فوجدها كما وصف واخبر ابو بكر بوصيته فاجازها فسمعناه اي سمعنا

كلامه ففيه مضاف مقدر او الضمير مفعوله الاول في قوله يقول مفعوله على ما ذهب
اليه ابو علي الفارسي من ان سمع اذا تعدى لغير مسموع نصب مفعولين وغيره يقول انه
متعد لواحد مقدر والجملة حالية او مستانفة وقد خطا ابن السيد ابا علي في هذه المسئلة في
كتاب الحلل كما فصلناه في غير هذا المحل واجبنا عنه حين ادخلناه يقول قيل قوله هذا
كان عند سؤال الملكين له ان قلنا ان الشهيد يسالون وفيه نظر ابو بكر الصديق مبتدا وخبره
اي الكامل في التصديق والصدق لانه لم يرتب في تصديقه صلى الله عليه وسلم وقد سبق
الناس في ذلك فلذا خص بالصديقية وسياتي تحقيقها عمر الشهيد اي المخصوص بالشهادة
الكامل من بين الخلفا لان قاتله كافر مجوسي وهو ابو لؤلؤة غلام المغيرة بخلاف قاتل عثمان
فانه من رعاع المسلمين وهو شهيد ايضا عثمان بن عفان البر الرحيم ذو البر والاحسان
لشهرته بالكرم وهو رحيم ايضا ذو رحمة ورافة بالمسلمين لحسن اخلاقه وشفقته فنظرنا
اليه لما تكلم بعد موته لتوهمنا انه عادت اليه حياته فاذا هو ميت اي فاجانا بغتة
معرفة كونه ميتا على حاله وانما انطقه الله الذي انطق كل شي لتتحقق حياة الشهدا وذكر
بالبنا للمجهول وهذا مما رواه الطبراني وابو نعيم وبن منده ورواه بن ابي الدنيا عن انس
ايضا عن النعمان بن بشير الصحابي الانصاري الخزرجي البدري وهو اول من بايع ابا بكر
واستشهد مع خالد بن الوليد النحو بعد انصرافه من اليمامة والنعمان اول مولود
بعد الهجرة ولد بعد اربعة اشهر منها ومات بقرية من قرى حمص في ذي الحجة سنة اربع
وستين وولاه معاوية حمص والكوفة ان زيد بن خارجة هذا اصح ما وقع في بعض النسخ
وان كان من بني الحارث بن الخزرج قال في الاستيعاب ولم يختلفوا في انه هو الذي
تكلم بعد الموت وقال ابن سيد الناس قال ابو نعيم الاشبه ان خارجة بن زيد هو الذي
تكلم بعد الموت على اختلاف فيه والصحيح انه زيد بن خارجة كما قاله ابن عبد البر وابن
الاثير في اسد الغابة وكذا قال الذهبي وقيل المتكلم ابوه وهو وهم لانه قتل باحد وجزم به
ابن الجوزي ولم يحك فيه خلافا ولابن ابي الدنيا جزء افرده لمن تكلم بعد الموت ولم نقف عليه
خر ميتا اي سقط من قيام في حال كونه ميتا واصل معنى خر سقط سقوطا يسمع منه خرير
والخرير صوت الما والريح ونحوه مما يسقط من علو قال تعـ وخروا له سجدا في بعض ازقة المدينة
جمع زقاق كغراب وهو الطريق فرفع بالبنا للمجهول اي اخذ من مكانه الذي سقط منه
وسجي بالبنا للمجهول اي غطي اذ سمعوا بين العشائين اذ هنا فجائية والتقدير فبينما
هو كذلك اذ سمعوا الخ والعشائين بمعنى المغرب والعشا على التغليب والنسا تصرخن بالصاد
المهملة والخا المعجمة والنون للنسوة حوله تقول مفعول ثان لقوله سمعوا او حال وهو
جملة مستانفة كما مر ومقول القول انصتوا انصتوا اي استمعوا وكرره للتوكيد فحسر عن
وجهه بضم الحاء المهملة وكسر السين وراء مهملة اي كشف بعد ما كان عليه غطاء فقال لما كشف
وجهه محمد رسول الله النبي الامي وخاتم النبيين اي آخرهم نبيا كما مر كان ذلك المذكور
من كونه رسولا ونبيا اميا خاتما للرسل في الكتاب الاول اي في جنسه من الكتب المتقدمة
او اللوح المحفوظ المكتوب فيه كل ما قدره الله ثم قال زيد بن خارجة مخاطبا لمن كان عنده او لمن
يصح ان يتوجه الخطاب اليه او مجردا من نفسه مخاطبا مامورا ان كان قوله صدق صدق
امر كما ذهب اليه بعض الشراح فان كان ماضيا كما رايناه بضبط القلم واعتمد عليه في الشرح

الحديث

الحديث وقال فاعله ضمير مستتر عائد للنبي صلى الله عليه وسلم اي صدق محمد صلى الله عليه
وسلم فيما بلغ عن الله وذكر بعد رسول الله ابا بكر وعمر وعثمان وكانه لم يذكر عليا لعدم
ادراكه خلافته لانه توفي في زمان عثمان كما ذكروه ومراده الثنا عليهم بما فعلوه وايدوا
به الدين الذي بلغه عن ربه ثم قال السلام عليك يا رسول الله دعاء له واصله سلمت
سلاما فاقيم المصدر مقام فعله ثم عدل الى الرفع وجعل مبتدا للدلالة على الثبوت ثم عرف
ليدل على استغراق انواع السلامة الذي توجه للانبيا وزيادة ومعناه السلامة من النقا
والتكريم والتشريف له بما يليق بجنابه كما بينوه وخص وصف الرسالة بالذكر لانتفاع الامة
بها الذي هو من جملتهم ورحمة الله وبركاته والرحمة بمعنى الانعام والاحسان او ارادة
ذلك وفيه دليل على جواز الدعا بالرحمة للنبي صلى الله عليه وسلم خلافا لمن اباها لورود
في حديث التشهد والبركات جمع بركة وهي الخير الالهي وكثرته قال الراغب اصل البرك
صدر البعير وغيره وبرك البعير القى بركه واعتبر فيه معنى اللزوم فقيل ابتركوا في الحرب
وبركا القتال مكان يلتزمه الابطال وسمي محبس الما بركة والبركة ثبوت الخير في الشي
قال تعـ لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولما كان الخير الالهي يصدر من حيث لا يحس
على وجه لا يحصى ولا يحصر قيل لكل ما يشاهد منه زيادة غير محسوسة مبارك وفيه بركة
ثم عاد ميتا كما كان قبل تكلمه حين سجي وكفن فان قلت المقام والفصل معقود لذكر
معجزاته باحياء الموتى وانطاق من ليس اهلا للنطق له وما في الحديث ليس لذلك قلت
هو من امته وصحابته وكلامه بعد موته كرامة له وكرامات الامة من جملة كراماته وقد يقال
انه دليل على ما قبله ومؤكد له لانه اذا كان في امته من يصدر مثله فكيف لا يصدر عنه والله اعلم

فصل من معجزاته في ابراء المرضى

جمع مريض كقتلى وقتيل وابراؤهم زوال مرضهم وحصول الشفا لهم واصل البرء
والبراءة والتبري التخلص مما يكره ولذلك قيل برئت من المرض اذا خلصت منه والعاهات
جمع عاهة وهي الآفة ويقال عاه الزرع اذا اصابته العاهة والعاهة قد تخص بالامراض
المزمنة فقد يخص فتكون الامراض ما تعرض مما لم يزمن كالحميات ونحوها فتكون التاسيس
فائدة وهو المراد هنا وليس من عطف المترادفين وتطلق العاهة على بعض الاعضاء
كالشلل والعرج والعور والعمى وقد يكون بعضها خلقيا ايضا وهذا هو المعروف
اخبرنا ابو الحسن الخ تقدم الكلام على هذا وعلى معنى الاجازة قال حدثنا ابو اسحاق
الحبال بحا مهملة وبموحدة مشددة كما تقدم في ترجمته ثنا ابو محمد بن النحاس بحا مهملة
ايضا كما تقدم ثنا ابن الورد عبد الله بن جعفر بن محمد بن الورد بن زنجويه راوي
سيرة ابن هشام عن البرقي هو ابو سعيد عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحيم بن ابي
زرعة البغدادي الزهري مولاهم المعروف بابن البرقي نسبة لبرقة اسم مكان عن ابن هشام
ابو محمد عبد الملك بن هشام بن ايوب الامام الاديب النحوي صاحب السير وهو حميري
معافري بصري وسكن مصر توفي بها سنة ثلاث عشرة ومايتين وله تاليف نفيسة ككتاب
الانساب وغريب اشعار السير وغيره كما فصله ابن خلكان وفي تاريخ وفاته اختلاف
عن زياد البكائي بفتح البا الموحدة وتشديد الكاف والمد وهو ربيعة بن عامر بن صعصعة

سمي البكاي لانه دخل على امه فرآها تحت ابيه وهو صغير فخرج يصيح ويقول ان ابي
قتل امي توفي في سنة ثلاث وثمانين ومائة وروى له اصحاب السنن وترجمته في الميزان
مفصلة **عن محمد بن اسحاق** الامام صاحب المغازي والسير كما تقدم **ثنا ابن شهاب** محمد
بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري شيخ ابن اسحاق الامام المشهور كما تقدم ووقع في بعض
النسخ ابن هشام هنا وهو غلط من الناسخ كما في المقتفي **وعاصم بن عمر بن قتادة** بن النعمان
الظفري الثقة امام رواة المغازي توفي في سنة تسع او سبع وعشرين او عشرين فقط
ومائة اخرج له الستة وترجمته في الميزان **وجماعة ذكرهم** فاعل ذكرهم لابن شهاب الزهري
بقضية احد متعلق بذكرهم والباء بمعنى في وقضية احد غزاتها وما وقع فيها **قالوا** اي
الجماعة المذكورون الذين رووا هذا الحديث من طريق ابن اسحاق التي اسندها المصنف عنهم ورواه
البيهقي ايضا **قال سعد بن ابي وقاص** الصحابي المشهور في قصة احد التي رواها بطولها
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليناولني اي يعطيني بيده وهو بمعنى المناولة ومنه
النوال بمعنى العطية **السهم لا نصل له** بفتح النون وسكون الصاد المهملة قبل لام وهو
حديدة في طرف السهم والرمح وفي بعض النسخ نضل بضاد معجمة بدل الصاد قال البرهان
والصحيح الاول والثاني لا يتضح معناه ولا يستعمل قلت هو بعيد هنا رواية ودراية
وكانه من تحريف النساخ الا ان معناه صحيح ايضا لان النضل رمي السهام فالمعنى انه ليس مما
يرمى به لانه لا نصل له فيؤول الى الرواية الاخرى وان كان لا وجه له هنا **فيقول** رسول الله
لسعد بعد مناولته السهم له **ارم به** بكسر الميم امر من الرمي والضمير للسهم وفي الكلام
مقدر اي فيرمي ويقتل من اصابه بسهمه مع انه لا نصل له ومثله لا يقتل عادة وهذه معجزة
له ولذا ذكره المصنف وان لم يكن محل الشاهد **وقد رمى رسول الله يومئذ** اي يوم احد
عن قوسه يقال رمى عن قوسه وبقوسه لا قوسه **حتى اندقت** اي انكسرت والقوس
مؤنثة سماعية واصل معنى الدق الرض بجرم صلب **واصيبت يومئذ عين قتادة بن
النعمان** اصيبت مبني للمجهول اي اصابها سهم فاخرجها واذهبها وروي اصيب بدون
تانيث للتاويل بالعضو او للفاصل بينهما **حتى وقعت عينه على وجنته** الوجنة اعلى
الخد وما يلي العين من الوجه ويطلق على الخد كله **فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم**
بيده اي اعاد حدقة عينه التي سالت لمكانها **فكانت** العين المردودة بيده **احسن عينيه**
اي اجملهما واقواهما حسا اي احسن من عينيه اللتين كانتا له قبل ما اصيبت وردت
عينه فلا يرد عليه ان الشيء لا يكون احسن من نفسه وقوله اصيبت عينه ظاهره انما
اصيبت عين واحدة وهو كذلك عند الاكثر وروي ان عينيه اصيبتا فيكون من التعبير
عن العضوين المتفقين ذاتا وصفة واسما باحدهما وهو فصيح مشهور وروي ان عاصم بن
عمر بن قتادة وفد على عمر بن عبد العزيز فقال له من انت فقال بديهة

انا ابن الذي سالت على الخد عينه ● فردت بكف المصطفى ايما رد
فعادت كما كانت لاول امرها ● فيا حسن ما عين ويا حسن ما رد

فقال عمر: تلك المكارم لا قعبان من لبن ● شيبا بماء فعادا بعد ابوالا

وروي انه قال له ان شئت رددتها لك وان شئت فاصبر ولك الجنة فقال يا رسول الله
ان الجنة لعطاء جزيل جميل ولكنني اكره العور فردها واسال الله لي الجنة فردها وقال له

وكان

وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قسي اختلف اهل السير في عددها فقيل سبع
وقيل ست وهي الروحاء والصفراء من نبع والبيضاء من شوحط والزوراء والكتوم سميت به لعدم صوت
لها والسداد وزيد المرنان لصوتها والتي انكسرت باحد هي الكتوم كما في الهدي النبوي
والكلام على قسيه ومن اين صارت وتوجيه تسميتها مذكور في السير وشروحها **وروي
قصة قتادة** المذكور فيها رد عينه وهي قصة فيها طول اقتصر المصنف على محل الشاهد وذكر
اولها لما فيه من المعجزة ايضا **عاصم بن عمر بن قتادة** صاحب القصة **ويزيد بن عياض بن
عمر بن قتادة** كذا في النسخ كما قاله البرهان الحلبي والصواب يزيد بن عياض عن ابن عمر
بن قتادة ففيه سقط لان عاصما شيخ يزيد او سقط عن عاصم ويزيد بن عياض الليثي
الحجازي حدث عن نافع الخ **ورواها ابو سعيد الخدري عن قتادة** وابو سعيد الخدري
هو اخو قتادة لامه وقتادة بن النعمان انصاري اوسي شهد مع النبي بدرا واحدا وغيرها
من المشاهد قتل يوم احد وقيل يوم بدر وقيل يوم الخندق والاصح الاول كما قاله ابن عبد البر
وقد اختلف كما مر هل قلعت عينه او عيناه والمشهور الاول ووقع الثاني مصرحا به في
بعض الروايات ايضا كما رواه ابو نعيم الاصبهاني ونقله السهيلي وقال الدارقطني انه غريب
تفرد به عمار بن نصر عن مالك وهو ثقة قال ابن حجر في شرح الهمزية وهي زيادة ثقة
فتقبل وترجح به رواية العينين وهو رد على من قال ان هذه الرواية غلط وفيه نظر
وقد اختلف ايضا فقيل انها بقيت معلقة وقيل سقطت فاتى بها او بهما في كفه فقال
رسول الله ان شئت فاصبر ولك الجنة وان شئت رددتها فقال يا رسول الله اني احب النساء
وعندي امراة احبها فاخشى ان تقذرني فردها وادع الله لي الجنة ففعل فكانت اقوى عينيه
واحسنهما وتوفي وهو ابن خمس وستين سنة سنة ثلاث وعشرين وصلى عليه عمر رضي الله عنهما
وروى البيهقي انه صلى الله عليه وسلم **بصق على اثر سهم** اي جعل ريقه وما نفثه على جراحة
في وجه ابي قتادة الحارث بن ربعي الانصاري السلمي الصحابي توفي بالمدينة وهو
ابن اربع وخمسين وقيل ابن سبعين وفي وجهه ظرف لغو متعلق بقوله بصق او مستقر حال
او صفة لسهم **في يوم ذي قرد** بقاف وراء مهملة مفتوحتين ودال مهملة وروي بضمتين
كعنق وهو اسم جبل بينه وبين المدينة مسافة يوم وليلتين من جهة خيبر والقرد الوبر
والصوف الردي المتمعط فسمي به لانه معاطن فيها ذلك او لكثرة تلبد الشيء به واليوم
هنا بمعنى الغزو كما يقال ايام العرب وقد تقدم ويقال ذو القرد معرفا وهي غزوة تسمى ايضا
غزوة الغابة وكانت قبل الحديبية وقيل بعدها ورده في الهدي النبوي والقرطبي في شرح
مسلم وسببها انه كان لرسول الله لقاح ترعى بالغابة فيها ابن ابي ذر وامراة من غفار
فاغار عليها عيينة بن حصين الفزاري في اربعين فارسا فاستاقوها وقتلوا ابن ابي ذر
وسبوا المراة فركبت المراة ناقة لرسول الله على غفلة منهم ونذرت ان عاشت لتنحرنها فنجت
فاخبرت رسول الله فقال لا نذر في معصية ولا لاحد فيما لا يملك وركب رسول الله ونودي
يا خيل الله اركبي وكان اول ما نودي به فادركهم في خمسمائة وقيل سبعمائة فاستنقذ منهم
عشرا وفروا بباقيها كما فصل في السير **قال** ابو قتادة **فما ضرب** الجرح واثر السهم اي مما
المني او وجعني من الضربان يقال ضرب الدهر علي ضربانه وسلط على ضرباته **ولا قاح**
اي سال منه قيح ومدة يقال قاح يقيح وقيح وتقيح والقيح صديد وهو شيء كالماء اصفر

في الطد قليل دم وهذا حديث حسن صحيح رواه الترمذي والبيهقي **وروى النسائي**
والترمذي والحاكم والبيهقي وصححوه والنسائي بالهمزة نسبة لنسا بلدة ويقال نسوي
بالواو ايضا وهو ابو عبد الرحمن بن شعيب بن علي بن سنان الامام المشهور صاحب السنن توفي
سنة ثلاث وثلثماية على الاصح وله ثلاث وثمانون ولم يتاخر عن الثلثماية من اصحاب السنن
غيره **عن عثمان بن حنيف** بضم الحاء المهملة ونون وفا مصغر وهو اخو عباد وسهل ابنا وهب
وله صحبة ورواية وروى عنه احمد واصحاب السنن وهو من الاشراف وولي سواد العراق
والبصرة وعاش الى زمن معاوية وسياتي هذا الحديث قريبا الا ان البرهان قال كان ينبغي للقاضي
ان يذكر سنده ليعلم انه صحابي لئلا يتوهم ان النسائي سمع منه ومثله يتهل **ان اعمى** لم يذكروا
اسمه **قال يا رسول الله ادع الله لي ان يكشف عن بصري** المعنى ان يدعو له بان يصح بصره
ويزيل الله عنه العمى فعبر عنه بالكشف وهو ازالة الغطا فاما ان يكون على بصره غشاوة
وجلدة رقيقة طلب ازالتها او شبه عدم الرؤية بحجاب حايل بينه وبين المبصرات والرؤية
بازالته ففيه استعارة **فقال** له رسول الله صلى الله عليه وسلم آمرا له **انطلق** اي قم من
مجلسك هذا **فتوضا** امر بالوضوء **ثم صل ركعتين** نافلة وتسمى صلاة الحاجة ومنه اخذ
ان من اهمه امر ينبغي له ويستحب ان يصلي قبل الدعا تقربا الى الله **ثم قل اللهم** اي يا الله
والكلام عليه مشهور **اني اسالك** واطلب منك حاجتي هذه **واتوجه اليك** اصل معنى
التوجه المقابلة بالوجه فاريد الاخلاص في القصد للدعا والتوسل **بنبيك** وفي بعض
النسخ بنبيي بالاضافة لياء المتكلم **محمد نبي الرحمة** بدل من نبيك او عطف بيان وقد
تقدم معناه ثم التفت من خطابه لله الى خطاب نبيه لانه واسطة في كل ما يصل من الاحسان
والفيض الالهي **اني اتوجه بك الى ربك** اي اتوسل بك فيما طلبته من الله وهو **ان
يكشف عن بصري** حجابه المانع عن الرؤية وفيه مقدر اي فدعا فابصر ونداؤه باسمه
انما يحرم اذا كان بحضرته واذا لم يكن في دعاء ما نؤمر به كما هنا لقوله قل اللهم الخ فان
امتثال الامر هو عين الادب كما ذكره ابن حجر فما قيل ان نداه باسمه صلى الله عليه وسلم
لعله كان قبل علمه بتحريمه او قبل تحريمه بقوله تع لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم
بعضا وعدله صلى الله عليه وسلم عن دعائه له بامره ان يدعو لنفسه تعليما وارشادا للامة
وتواضعا وتادبا مع الله وهذا الحديث مسند صحيح اخرجه الترمذي والحاكم وغيرهما وكان ابن
حنيف وبنوه يعلمونه الناس وقد حكوا فيه حكايات فيها اجابة دعا من دعا به من غير تاخير
وقد خرجه البرهان الحلبي من طرق متعددة فلم يبق فيه شبهة فاحفظه **اللهم شفعه
في** اي اقبل شفاعته في وهو يحتمل ان يريد شفاعته فيه في الدنيا برد بصره او شفاعته
له في الاخرة او ما يشملهما وهذا اولى ومنه علم استحباب الدعا عقب الصلاة **وروي**
بالبنا للمجهول والراوي له الواقدي وابو نعيم عن عروة **ان ابن ملاعب الاسنة**
قال البرهان الحلبي ابن ملاعب الاسنة لا يعرف اسمه ولا ترجمته واما ملاعب الاسنة
فهو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة سمي ملاعب الاسنة
جمع سنان وهو حديد في طرف الرمح معد للطعن ويقال له ملاعب الرماح سمي بذلك
لانه في يوم سوبان بن سنة طوفان وهو يوم كان فيه بين قيس وتميم وقعة وكان اخوه
طفيل بن مالك فارس قرزل وهو اسم فرس له وفي ذلك اليوم فر فقال فيه الشاعر ٥

فورث

فورثت واسلمت بني امك عامرا • يلاعب اطراف الوشيج المزعزع •
فسمي بذلك ملاعب الرماح وملاعب الاسنة وهو عم لبيد وهو ابو عامر وذكره بعضهم في
الصحابة وقال الذهبي الاصح انه لم يسلم لانه قدم المدينة وعرض عليه النبي صلى الله عليه
وسلم الاسلام فلم يسلم وهو عم لبيد بن ربيعة المسمى بربيعة المعترين **اصابه استسقا**
اصل معناه طلب السقي وهو اسم مرض معروف قال في الاساس سقي بطنه واستسقى وبه
سقي بكسر السين وهو ان يقع الماء الاصفر في بطنه انتهى • وهو مرض علاجه صعب لا يكاد
ينجو لمن اصابه **فبعث الى النبي صلى الله عليه وسلم قاصدا** يلتمس منه الدعا وان يشفيه
الله ببركته وهذا يدل على انه اسلم بخلاف ابيه كما مر **فاخذ بيده** صلى الله عليه وسلم لما
قص قاصده امره عليه **حثوة من الارض** بفتح الحاء المهملة وسكون المثلثة ويقال
حثية بالياء ايضا وهو ملء يده او يديه وهي من التراب هنا **فتفل** بفتح المثناة الفوقية
والفا **عليها** وفي نسخة اي بصق من ماء فمه المبارك **ثم اعطاها** اي حثوة التراب **لرسوله**
الذي ارسله للنبي صلى الله عليه وسلم **فاخذها متعجبا** مما اعطاه وان مثله لا يداوى به الانسان
بل يزيده لان مقراه سرة في الجوف والتراب يزيدها كما يشاهد ممن ياكل الطين **يرى** بفتح اليا
وضمها اي يظن **انه قد هزي به** الضمير للرسول او لمرسله وهزي بالبنا للمجهول ويجوز فيه
بناء الفاعل ايضا **فاتاه بها** اي بالحثوة **وهو** اي ابن ملاعب الاسنة **على شفا** بفتح الشين المعجمة
والفا مقصور اي قريب من الموت واصل الشفا مكان متصل بحفرة كالبير قال تع على شفا جرف
هار ويجوز ان يراد به الكناية عن الموت ويراد بالحفرة القبر والجملة حالية وبينه وبين قوله
فشفاه الله تجنيس بديع اي وضعه في ماء وشربه فشفاه الله ببركة النبي صلى الله عليه وسلم
وذكر العقيلي بالتصغير وهو الامام الحافظ ابو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد المكي صاحب
كتاب الضعفا الذي رتبه الهيثمي وهو ثقة جليل توفي سنة اثنين وعشرين وثلثماية **عن
حبيب بن فديك** حبيب بفتح الحا المهملة وموحدتين بينهما ياء مثناة تحتية وقيل انه بخاء معجمة
مضمومة وفديك وقيل فويك بضم الفاء ودال مهملة مفتوحة مصغر وكاف وقيل انه بواو بدل
الدال وقيل براء مهملة ذكره الذهبي في الصحابة وقيل انه حبيب بن عمرو بن فديك السلاماني
وقد اضطرب فيه وفي اسمه واخرج حديثه هذا البيهقي والطبراني وابن ابي شيبة في
مسنده عن رجل من بني سلامان عن امه ان خالها حبيب بن فديك حدثها ان اباه خرج الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعيناه مبيضتان فساله عما اصابه فقال كنت اقود جملي فوقعت
رجلي على بيض حية فاصيبت في بصري فلا ابصر شيئا والى ما ذكر من الاختلاف في اسمه اشار
بقوله **ويقال فويك** بواو او براء بدل الدال **ان اباه ابيضت عيناه** لغشاوة غطتهما
وهو عبارة عن العمى **فكان لا يبصر بهما شيئا فنفث** بالمثلثة اي تفل ريقه **في عينيه فابصر**
بهما وذهب عماه في ساعته **فرايته يدخل الخيط في الابرة** لقوة بصره وصحته **وهو ابن ثمانين
سنة** وهو سن يضعف فيه بصر مثله وان لم يعرض له عارض وليس في الحديث ما يدل على
ان البياض لم يزل بعينيه مع شدة نظره وقوته وانه اعظم في المعجزة كما قيل لاحتمال ان البياض
زال بسرعة ولم يصرح به لانه معلوم **ورمي** بالبنا للمجهول **كلثوم بن الحصين** بضم الحاء
وفتح الصاد المهملتين ونون مصغر حصن وهو ابو رهم الغفاري الصحابي وهو من اصحاب
الشجرة وشهد احدا واستخلفه رسول الله على المدينة عام الفتح واصيب نحره في غزوة باحد

فسمي المنخور وجا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم **يوم احد** لما وقع السهم في نحره وخشي
الموت من وقوع السهم في نحره اي مقدم عنقه عند محل الوريد الذي لا يعيش من جرح به
فبصق رسول الله فيه اي في نحره ومحل جراحته **فبرا** بفتحات وهمزة مقصورة آخره اي
حصل له البرء من حينه **و** روى الطبراني حديثا مسندا فيه انه صلى الله عليه وسلم **تفل** بتاء
مثناة وفاء ولام مفتوحات اي بصق **على شجة عبد الله بن انيس** الشجة بفتح الشين المعجمة
والجيم المشددة جراحة ضربة في الوجه او الراس وقد تطلق على ما في غيرهما من الجسد والمعروف
الاول وانيس مصغر وعبد الله بن انيس بن اسعد بن حرام بن مالك بن غنم بن كعب الجهني
الانصاري الصحابي شهد احدا وكان ارسله صلى الله عليه وسلم مع عبد الله ابن رواحة ونفر
من الصحابة الى اسير بن رزام بخيبر لما جمع جمعا من غطفان لغزو رسول الله فقالوا له ان قدمت
على رسول الله اكرمك ولم يزالوا به حتى خرج معهم فحمله ابن انيس على بعيره حتى اذا كانوا بالقرقرة
تقرب خيبر ندم ففطن له ابن انيس وضربه بسيفه فقطع رجله وضرب اسير ابن انيس بعصاه
فشجه فلما قدم على رسول الله تفل في شجته **فلم تمد** بضم المثناة الفوقية وكسر الميم وتشديد
الدال المهملة المفتوحة اي لم يبق فيها مدة وقيح يقال امد الجرح اذا صارت فيه مدة وهي
القيح كما في الصحاح وغيره والمدة بكسر الميم **وتفل في عيني علي** بن ابي طالب في حديث رواه
الشيخان عن سهل بن سعد انه **يوم خيبر وكان رمدا** بزنة حذر منصوب منون اي به رمد
والرمد وجع العين **فاصبح بارئا** اي صار بارئا في الحال لا انه تاخر برؤه الى وقت الصباح
واصبح له معنيان هذا احدهما والحديث بتمامه في الصحيحين وغيرهما وفي دلائل البيهقي
عن بريدة كان صلى الله عليه وسلم ربما اخذته الحمى فيمكث اليوم او اليومين لا يخرج فلما نزل
خيبر اخذته فلم يخرج فاخذ ابو بكر الراية وقاتل قتالا شديدا ثم اخذ عمر وقاتل فلما خرج واخبر
بذلك قال لاعطينها غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فتطاول الناس لذلك
فاصبح وجاء علي وقد عصب عينيه فقال ادن الي وتفل في عينيه ففتحهما واعطاه الراية
وروي انه وضع راسه في حجره ثم بصق في راحتيه ودلك بهما عينيه والحديث طويل والكلام
عليه وعلى الاستدلال به على تفضيل علي مشهور غير محتاج للبيان **و** في صحيح البخاري
انه نفث على ضربة بساق سلمة بن الاكوع يوم خيبر فبرئت من حينها والضمير للساق
لانها تونث سماعا او للضربة وبرؤها بذهاب اثر الجراحة والتحامها **و** روى عبد بن حميد
في تفسيره عن عكرمة انه صلى الله عليه وسلم **نفث في** جراحة اي جعل ريقه على **رجل زيد بن
معاذ حين اصابها السيف الى الكعب حين قتل ابن الاشرف فبرات** رجله او جراحتها
واعترض البرهان الحلبي على المصنف بان قصة قتل كعب بن الاشرف مقررة في السير ورواها
مسلم في الجهاد كغيره وذكروا الجماعة الذين اشتركوا في قتله باسمائهم وليس فيهم من اسمه
زيد بن معاذ بل لا يعرف في الصحابة من اسمه زيد بن معاذ الا ان يكون نسبة الى احد اجداده
والجد الاعلى له وهو خلاف الظاهر والذي جرح في راسه او رجله على الشك من الراوي في قصة
كعب انما هو الحارث بن اوس بن معاذ بن النعمان بن اخي سعد بن معاذ الاشهلي وقد سمى البخاري
الذين قتلوا كعبا ومنهم الحارث بن اوس بن النعمان وقيل هما واحد وقال التلمساني ان العزيزي
نقل في تفسيره في سورة الحشر ما ذكره المصنف بعينه وقال انه زيد بن معاذ وهو ابن اخي
سعد بن معاذ فالمصنف لم ينقل ما قاله الا عن تحقيق وتبع له ولا يخفى فانه مصادم للنقول الصريحة

ومثله

ومثله لا يقال بسلامة الامر وكعب بن الاشرف بزنة افعل التفضيل من الشرف يهودي
من بني نبهان وقصته كما في السير انه لما اصيب اصحاب القليب من كفار قريش وبلغه
الخبر وقال ان كان محمد اصاب هولا لبطن الارض خير من ظهرها فلما تحقق الخبر خرج لمكة يحرض
على رسول الله ويبكي اصحاب القليب ويرثيهم بشعره تارة وتارة يشبب بنساء المسلمين حتى اذا
فقال صلى الله عليه وسلم من لابن الاشرف فانه آذى الله ورسوله فقال محمد بن مسلمة اخو بني
عبد الاشهل انا لك به يا رسول الله قال فافعل ان قدرت فرجع واقام ثلاثا لا ياكل ولا يشرب
فقال له لم تركت الطعام والشراب قال قلت قولا لا ادري افي به ام لا قال عليك الجهد
فقال لا بد ان تقول فقال قولوا ما بدا لكم فانتم في حل من ذلك فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة
وسلكان بن سلامة ابو نايلة الاشهلي وكان اخا ابن الاشرف من الرضاعة وعباد بن بشر وقيس
وابو عيسى ابن جبير ثم قدموا الى عدو الله فتقدم ابن سلامة رضي الله عنه وتحدث معه وتناشدوا الاشعار
وكان شاعرا ثم قال له ويحك يا ابن الاشرف اني جئتك لحاجة اذكرها لك فاكتمها قال افعل
قال كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء عادتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة وانقطعت
السبل حتى ضاعت العيال وجهدت الانفس فقال كعب قد اخبرتك ان الامر سيصير لما اقول
فقال انا لا نحب ان ندعه حتى ننظر لم يصير شانه واني قد جئتك استسلفك وقال الدمياطي
الذي تحدث معه ابو نايلة وهو الذي نزل له كعب من حصنه فلما استسلفه وقال له نرهنك
ما تثق به قال ارهنوا ابناءكم ونساءكم قال اردت ان تفضحنا فانت اشب اهل يثرب واعطرهم
ولكن نرهنك الحلقة والسلاح فقال ان فيها الوفاء واراد ان لا ينكر مجيئهم مسلحين ولي اصحاب
مثلي فرجع الى اصحابه وامرهم ان ياخذوا السلاح ويجتمعوا اليه فلما فعلوا شيعهم رسول
الله الى البقيع في ليلة مقمرة فلما انتهوا الى حصنه هتف به ابو نايلة وكان حديث عهد بعرس
فقالت له امراته انك رجل محارب لا ينبغي لك الخروج في مثل هذا الوقت وان في الصوت لشرا
وانه صوت يقطر منه الدم فقال ان الكريم لو دعي لطعنة ليلا اجاب والبلاء موكل بالمنطق
فقال انه ابو نايلة لو وجدني نائما ما ايقظني ونزل في ملحفة فتحدثوا معه ثم قالوا المشي
لشعب العجوز نتحدث بقية ليلتنا قال ان شئتم فتماشوا ساعة ثم وضع ابو نايلة يده على
راسه ثم شمها وقال ما رايت كالليلة طيبا اعطر من هذا ثم تماشا ساعة وفعل مثل ذلك ثم اخذ
بفود راسه وقال اضربوا عدو الله فصاح صيحة فاشرف عليه اهل الحصون فلما قتلوه اتوا براسه
ويقال انها اول راس حملت في الاسلام وقيل بل راس عزة الجمحي وقيل راس عمرو بن الجموح فاصاب
الحارث بن اوس سيف من اصحابه برجله فابطا عليهم ثم اتاهم يتحامل فحملوه آخر الليل واتوا به
رسول الله وهو يصلي فاخبروه بقتله وجراحة صاحبهم فتفل على جراحته كما ذكره المصنف
على ما فيه في هذه القصة اشكال مشهور وهو انهم تكلموا في حقه صلى الله عليه وسلم بما لا يجوز
ما ظاهره ومثله كفر ولا اكراه فيه وقد اجاب عنه الفقهاء وغيرهم بانه لم يقصد ظاهره وهو
من المعاريض التي تجوز لمصلحة واذا تاملت ما قالوه تجده يحتمل المدح وقد اذن لهم النبي فيه
وسياتي تفصيله في محله ان شاء الله تعالى وفي قوله الى الكعب نكتة يعني ان ضربة السيف
استمرت الى ان وصلت الى كعبه وكانه قصد تجنيسا لان ابن الاشرف اسمه كعب فكانه قال جرح
الى الكعب في قصة كعب وعلى كل حال فكلامه هنا فيه ما فيه فتامل **وعلى ساق علي بن الحكم
يوم الخندق** على هذا صحابي وهو اخو معاوية بن الحكم السلمي وهذا الحديث خرجه ابو القاسم

البغوي في معجمه كما قاله السيوطي ويوم الخندق وهذا كان في غزوة الاحزاب سمي به لان سلمان
اشار على النبي صلى الله عليه وسلم بحفر خندق حول المدينة ولم تكن العرب تعرف ذلك وانما كان
يعمله ملوك الفرس قال الطبري ان اول من عمله منوشهر بن ايرج ابن فريدون وهو من عمود اذ فريدون
بن اسحاق واكثرهم على خلافه وخندق معرب كنده ومعناه الحفر وهو من الالفاظ الاسلامية ثم اذ
انكسرت اي ساقه لانها مؤنثة وهي ما بين القدم والركبة فبري اي صح وزال ما به من الكسر ويقال
بري العلم وبري الضرب واخره مهموز مكانه بالنصب على الظرفية اي كائنا في مكانه وسرجه
الذي ركب عليه وما نزل عن فرسه الذي كان عليه لما جاءه يستشفيه قال ابو القاسم البغوي
باسناده عن معاوية بن الحكم عن ابيه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فانزل اخي على ابن الحكم
فرسا له الخندق فاصاب رجله جدار الخندق فدققها فاتي النبي صلى الله عليه وسلم وما نزل عن فرسه
فمسحها وقال بسم الله فما اذاه شي منها وقد عده ابو حاتم البغوي في الثقات و روى البيهقي في
الدلائل عن علي قال اشتكى علي بن ابي طالب اي مرض مرضا والمرض يسمى شكاه فجعل يدعو
الله لما ضجر كما سياتي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لما سمعه اللهم اشفه او عافه شك من
الراوي في لفظه والمعنى واحد ثم ضربه برجله ليقوم من مضجعه فقام وما اشتكى ذلك
الوجع بعد مبني على الضم اي بعد ضربه او دعائه او هما ولفظ البيهقي عن عبد الله بن سلمة
قال سمعت عليا رضي الله تعالى عنه يقول اتى علي رسول الله وانا شاك اقول اللهم ان كان اجلي
قد حضر فارحني وان كان متاخرا فاشفني وان كان بلاء فصبرني فضربني برجله وقال كيف
قلت فاعدت عليه فقال اللهم اشفه او قال اللهم عافه قال علي فما اشتكيت وجعي ذلك بعد
وقطع ابو جهل يوم بدر اعترض على المص بان المعروف ان القاطع عكرمة بن ابي جهل لا هو وان
المقطوع معاذ بن عمرو بن الجموح حين ضرب اباه وقد نقله ابن سيد الناس عن المص يد معوذ
بضم الميم وفتح العين المهملة وتشديد الواو المكسورة وتفتح وذال معجمة ابن عفرا بعين مهملة
وفاء ساكنة وراء مهملة ومدة اسم امه وهو من جملة شهداء بدر وهم اربعة عشر ومعوذ
بن الحارث بن رفاعة النجاري الانصاري وعفرا بنت عبيد بن ثعلبة النجارية وعرف بامه
هو واخواه معاذ وعوف شهد وا بدرا فاستشهد عوف ومعوذ بها وبقي معاذ الى زمن عثمان
والذي في سيرة ابن سيد الناس ان معاذ بن عفرا قتل ابا جهل فضربه ابنه عكرمة على عاتقه
فطرح يده وتعلقت بجلده من جنبه واجهضه القتال فقاتل عامة يومه وهو يسحب يده خلفه فلما
اذته وضع عليها قدمه فقطعها فجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم
والصقها فلصقت كما كانت في مكانها ببركته وبركة ريقه الذي تفله عليها وهذا لا ينافي
كونه فعل الله ولا حاجة لذكر مثله رواه ابن وهب وقد علمت ما يخالفه مما رواه ابن اسحاق
وصححه ابن سيد الناس والمص في غير هذا الكتاب وقيل ان ابن وهب لا شك في جلالته فما
رواه لا يخالف ما قاله ابن اسحاق لجواز كون معاذ قطعت يده ايضا وعكرمة قطع يد اخيه
معاذ وابو جهل نفسه قطع يد معوذ والصقها رسول الله ثم قتل وهذا من غير نقل صريح لا يقبل مثله
لمجرد الاحتمال فلا ينبغي ذكره من غير ثبت ومن روايته اي رواية ابن وهب التي رواها ابن
اسحاق والبيهقي عنه كما نقله السيوطي ايضا كروايته الاولى ان خبيب بالتصغير وخاء
معجمة وموحدتين تصغير خب وهو المغفل ابن يساف بكسر الياء اخر الحروف وسين مهملة والف
وفاء ويقال اساف بهمزة مكسورة اصيب بالبنا للمجهول اي اصابته ضربة سيف يوم بدر

مع رسول الله

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربة على عاتقه وكتفه حتى مال شقه الذي
اصابته الضربة بقطع يده وانفصالها عن عاتقه من غير انفصالها فرده رسول الله صلى الله
عليه وسلم اي رد عضوه الى مكانه الذي كان فيه ونفث عليه حتى صح اي التام وعاد كما كان
ويساف بن عتيبة الخزرجي شهد ابنه خبيب بدرا واحدا وكان بالمدينة حين قدم رسول الله
وتاخر اسلامه حتى سار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بدر فلحقه واسلم وشهد بدرا فضرب
رجل على عاتقه يومئذ فمال شقه فاتاه صلى الله عليه وسلم فتفل عليه ورده فالتام فانطلق
وقتل الذي ضربه وتزوج ابنته بعد ذلك فكانت تقول لا عدمت رجلا وشحك هذا الوشاح
يعني الضربة التي في محل الوشاح فيقول لا عدمت رجلا عجل اباك الى النار والى ذلك اشار
المص و روى ابن ابي شيبة عن ام جندب انه صلى الله عليه وسلم اتته امراة من خثعم
بخاء معجمة ومثلثة وعين مهملة وميم بزنة جعفر اسم جبل واسم قبيلة نزلت عنده منها هذه المراة
لانها كانت نازلة بالجبل كما نوهم معها صبي وهو ابنها به بلاء قيس البلاء وما يبتلى به
الناس بقوله لا يتكلم فان كان بمعنى لا يقدر على الكلام فلعوه انه كان ذا بكم وان كان
بمعنى انه به ذهول وعدم عقل الكلام فهو مستانف وهذا هو المراد كما سياتي فاتي بالبنا للمجهول
اي ثم امر من ياتيه بماء في اناء فاتاه فمضمض فاه مضمض متعد وفاه مفعوله والمضمضة
ادارة الماء في الفم فذكر الفم بعده تجريد وهو لان مضمن معنى غسل وغسل يديه بذلك الماء
ثم اعطاها اياه اي اعطى الماء الذي رده للمراة في انائه بعد المضمضة وغسل اليدين منه
وامرها بسقيه اي امر المراة بان تسقي الصبي من الماء ومسه به مصدر مضاف للمفعول
اي مسه بالماء فبرا الغلام وعقل عقلا يفضل بزنة يقعد اي يزيد على عقول الناس
الذين من امثاله وهذا الحديث رواه احمد في مسنده بسند متصل بابن عباس قال ان امراة
جاءت بولدها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله ان به لمما اي جنونا
ياخذه عند طعامنا فيفسد علينا قال فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره ودعا له
فثع ثعة اي تقيا فخرج من فيه مثل الجرو وهو الكلب الصغير حل في كون هذه القصة
ما ذكره القاضي بعينه نظر لما بينهما من الخلاف مع احتمال تعدد القصة وهو الظاهر فلا وجه
لجعلهما قصة واحدة بل هذه التي رواها احمد وابن ابي شيبة والبيهقي ما اشار اليه المص
بقوله وعن ابن عباس جاءت امراة بابن لها به جنون فمسح صدره بيده المباركة الشريفة
فثع ثعة بفتح المثلثة وتشديد العين المهملة اي قاء مرة واحدة كذا قاله اهل اللغة
وقال ثم بمعنى سعل و روى الحديث من طرق فخرج مزجوفة وبطنه مثل الجرو بجيم مثلثة
وراء مهملة ساكنة وواو وهو الصغير من اولاد الكلاب والسباع ويطلق على صغار
الحنظل والقثا ايضا وهو محتمل هنا وجمعه اجر كادل بكسر اخره وحذف الواو وبعد قلبها
ياء الاسود فشفي بالبنا للمجهول اي شفاه الله و في حديث رواه البيهقي والنسائي
والطيالسي مسندا مصححا فيه انه انكفات بنون وكاف وفاء وهمزة مفتوحة بعدها
تاء تانيث ساكنة اي انقلبت ووقع ما فيها اي القدر الذي يطبخ فيها اي وقع ما فيها من طعام
حار كالنار المحرقة على ذراع محمد بن حاطب بن الحارث بن معمر القرشي الجمحي الصحابي الذي ولد
بالحبشة وهو اول من سمي محمدا في الاسلام وحاطب بزنة فاعل بحاء وطاء مهملتين علم منقول
من جامع الحطب وسمي به وهو طفل صغير والجملة حالية وفيه تقديم اي تحرق ذراعه

فمسح عليه اي مسح صلى الله عليه وسلم على ذراع محمد او على محمد بنفسه وتفل عليه اي نفخ نفخا فيه بريقه فبرا الحينه من غير بطو ومثله يكون في عدة ايام ومحمد بن حاطب هذا صحابي بن صحابي توفي عام اربع وستين بمكة وقيل بالكوفة وفي حديث رواه الطبراني والبيهقي مسندا وكانت في كف شرحبيل بفتح الشين المعجمة وفتح الراء وسكون الحا المهملتين وموحدة مكسورة ومثناة تحتية ولام قال ابن السيد في شرح ادب الكاتب عن الاصمعي شرحبيل اعجمي وكذا شراحيل وايل بمعناه الله ومعنى شراحيل ونحو عبد الله عند اهل اليمن وراي اكثر البصريين خلافه بل شرحبيل كقولهم عبيل وشراحيل كسرا او بل جمع سمي به او بزنته انتهى وهو عند سيبويه اسم عربي غير منصرف الجعفي بضم الجيم نسبة للجعفية مكان معروف وشرحبيل صحابي ذكره الذهبي سلعة بكسر السين وسكون اللام وعين مهملة زيادة بين الجلد واللحم كالغدة وفيها لغات فتفتح سينه مع سكون اللام وفتحها ويقال سلعه بزنة عنبه وقول البرهان هنا من فتح اراد الشجة لا وجه له فانها لغة والكل بمعنى ولا ينافي كون السلعة بمعنى الشجة كما في القاموس والسلعة المتاع الذي يباع ايضا تمنعه تلك السلعة لكونها في داخل كفه القبض على السيف وعنان الدابة بكسر العين المهملة وهو ما يقاد به الفرس ونحوه فشكاها اصله شكى منها الضرر حاله للنبي صلى الله عليه وسلم فما زال يطحنها اي يمر بكفه عليها بقوة كالذي يدور الرحا وهو بفتح الحاء ونون كما يقال حتى رفعها اي حتى ازالها من كفه ولم يبق لها اثر في كفه بنظره وبعضه ففي قوله يطحنها استعارة وفي حديث رواه الطبراني عن ابي امامة انه صلى الله عليه وسلم سالته جارية اي امراة صغيرة السن او خادمة لبعض اهل المدينة وهو ياكل جملة حالية اي حال تناوله من طعامه فناولها اي اعطاها من بين يديه اي من طعامه الذي كان بين يديه وكانت الجارية قليلة الحيا من الناس لوقاحتها فقالت الجارية له صلى الله عليه وسلم انما اريد بسؤالي ان تناولني من الذي وضعته من الطعام في فيك وقصدت التبرك والتلذذ بما فيه ريقه لكن فيه من ترك الادب ما لا يخفى فناولها ما في فيه ولم يجبها ويردها بعنف ولم يكن صلى الله عليه وسلم يسال بالبنا للمفعول اي يساله احد شيا فيمنعه بالنصب في جواب النفي فلما استقر في جوفها الطعام الذي ناولها القي بالبنا للمفعول اي القى الله عليها من الحياء بالمد واما بالقصر فهو المطر ما لم تكن امراة بالمدينة اشد حياء منها اي حياء لم يكن في امراة غيرها لشدته ببركته صلى الله عليه وسلم فما موصولة او موصوفة في محل رفع نايب فاعل القي والجملة صلة او صفة بتقديرها اي ما لم تكن به اي بسببه وذكر هذا لان قلة الحيا من العاهات النفسانية والجبلة الخبيثة التي يصعب زوالها فمناسبة الحديث ظاهرة هنا وفي هذا الباب من امثال ما ذكر احاديث كثيرة من ارادها فعليه بالنظر في كتب الحديث

فصل في اجابة دعائه صلى الله عليه وسلم

اي دعائه للناس او عليهم وهذا الامر المذكور هنا او الاجابة وذكرها رعاية للخبر في قوله باب واسع جدا بكسر الجيم منصوب على المصدرية وهو في الاصل ضد الهزل ثم استعمل في معنى الزيادة المفرطة المحققة هنا وهو ظاهر واجابة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لجماعة اي لاجل ناس استحقوا ذلك سوا كان ذلك لهم او عليهم كما اشار اليه بقوله

دعاله

دعا لهم وعليهم فان دعا اذا تعدى باللام كان للنفع فانه اوصل لهم بل غاية ما ينفعهم واذا تعدى بعلى كان للضرر كانه انزل عليهم البلا وصبه عليهم وهذا مخصوص بلفظ دعا الا ترى صلى الله على محمد تعدى بعلى للرحمة لما فيه من الحنو والشفقة قيل انما اعاده بلفظ الافراد دون الجمع المعنوي كدعائه كما تقدم لارادة التنصيص على ما وقع منه فردا فردا فالاول على الاجمال والتفصيل وقد ادرج شيا مما عقد له هذا الفصل في الفصل الذي قبله انتهى متواترا على الجملة اي متواترا تواترا معنويا باعتبار معناه الاجمالي وان لم تتواتر افراده معلوم ضرورة اي بعلم ضروري غير محتاج لدليل وقد جاء اي ورد في حديث رواه احمد بن حنبل في حديث حذيفة بن اليمان الصحابي المشهور كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دعا لرجل ادركت اي وصلت واثرت دعوته المستجابة ولده وولد ولده فوصل اثرها لهم وظهر فيهم ثم استشهد لما ذكره بقوله فيما رواه من حديث الصحيحين عن انس ثنا ابو محمد العتابي بفتح العين المهملة وتشديد المثناة الفوقية نسبة لعتاب كما تقدم بقراتي عليه من صحيح البخاري ثنا ابو القاسم حاتم بن محمد الذي تقدم ترجمته وتقدم انه يجوز التكني بابي القاسم على الصحيح من ان النهي مخصوص بعصره او بالجمع بين الاسم والكنية ثنا ابو الحسن القابسي الحافظ السابق ترجمته ثنا ابو زيد المروزي نسبة لمرو كما تقدم ثنا محمد بن يوسف الفربري كما تقدم ثنا محمد بن اسمعيل الامام البخاري ثنا عبد الله بن ابي الاسود واسمه حميد البصري الحافظ روى عنه البخاري وغيره وتوفي سنة ثلاث وعشرين ومايتين وترجمته في الميزان ثنا حرمي بفتح الحاء والراء المهملتين وهو حرمي بن عمارة بن ابي حفصة العتكي توفي سنة احدى ومايتين ثنا شعبة عن قتادة عن انس تقدم تراجم هؤلاء كلهم قال انس قالت امي لرسول الله صلى الله عليه وسلم واسم امه ارميلة وقيل الرميصا وهي انصارية صحابية وهي ام سليم يا رسول الله خادمك انس بن مالك ابن ضمضم ابن زيد الانصاري البخاري وكنيته ابو حمزة وكان لما قدم رسول الله المدينة صغيرا فخدمه وشهد معه المشاهد وفي عمره اختلاف والاصح انه عمر مائة الا سنة وقيل احدى وتسعين وقيل مائة وعشرين وقال النووي الاصح انه جاوز المائة ومات بمكان يسمى الطف على فرسخين من البصرة ودفن به وقيل انه آخر من مات بالبصرة من الصحابة وقال ابن عبد البر لا اعلم احدا مات بعده غير ابي الطفيل وخدم رسول الله مدة اقامته بالمدينة وروى عنه كثيرا فروي عنه الفي حديث ومايتين وستة وثمانين حديثا ادع الله له ولم يعين الدعوة بل فوضتها له قال اللهم اكثر اكثر وكثر بمعنى ماله وولده وبارك له فيما اعطيته اي فيما اتيته من المال والولد فاجاب الله دعوته حتى مات في الطاعون الجارف من نسله سبعون ولذا قيل في هذا دليل على فضل الغنى على الفقر وارتضوا ان الغني الشاكر خير من غيره والفقير الصابر خير من غيره والظاهر انه يتفاوت بحسب الناس كما ورد في الحديث القدسي ان من عبادي من لا يصلحه الا الغنى وان من عبادي من لا يصلحه الا الفقر ودعا له بالبركة لان من بورك له فيما اوتي لم يكن فيه ضرر ولا يقصر في الحقوق وهو غنى محمود ومن رواية عكرمة عن انس كما اخرجه مسلم قال انس فوالله ان مالي لكثير ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم وان ولدي وولد ولدي لكثير الآن ليتعادون اليوم المراد باليوم الزمن الحاضر مطلقا ويتعادون بضم اليا المثناة التحتية وفتح العين المهملة المخففة والف بعدها دال مهملة مشددة وواو جماعة ونون اي يزيدون على نحو المائة وهو

مفاعلة من العدد وروي في الصحيحين وغيرهما ليتعادون بزيادة تاء فوقية والمعنى واحد
ووقع في نسخ الشفا بالروايتين ايضا وفي الاساس بنو فلان يتعادون على بني فلان اي يزيدون
انتهى كان بعضهم يعد بعضا ثم عبر به عما ذكر والمحو غنو والمعنى انهم يزيدون على ما يقرب من
المائة اقتصارا على المتيقن المتحقق **وفي رواية** قال واهذه الرواية لا يعرف من رواها **وما اعلم**
احدا اصاب اي وصل عنده **من رخا العيش** اصل الرخا بفتح الراء المهملة وخاء معجمة ومد
بمعنى اللين ثم استعير للسعة والعيش بمعنى المعيشة **ما اصبت** اي كالذي اصبته انا **دفنت**
بيدي بالتثنية **هاتين** اشارة لتثنيته ليبين انه على ظاهره وحقيقته في الجارحة لا بمعنى
القدرة والتصرف ثم بين ان المراد بالولد اولاده الكبار لصلبه فقال لا اقول ان الولد
كان سقطا بتثليث السين المثلثة وهو ما سقط من بطن امه قبل تمام مدة حمله واوان ولادته
ولا ولد ولد نفاه لان الولد قد يطلق عليه مجازا او على ما يشمل الولد الصلبي وغيره بعموم المجاز
وهو منصوب بمقدر اي لا اقول دفنت سقطا الخ والجملة مقول القول وحديث انس هذا صحيح روي
من طرق مختلفة في الفاظها اختلاف تحتاج الى التوفيق اذ لم تكن القصة متعددة وفي الوفا
لابن الجوزي انه قال واطال حياته وان انسا قال فاكثر الله مالي حتى ان لي كرما يحمل في السنة
مرتين وولد لصلبي مائة وستة وفي مسلم انه قال دخل رسول الله علينا وما هو الا انا وامي
وام حرام خالتي فقالت امي يا رسول الله خويدمك انس ادع الله له فدعا لي بكل خير وكان في آخر
ما دعا لي اللهم اكثر ماله وولده وبارك له فيه • وفيه ايضا جاءت امي الى رسول الله وقد ازرتني
بنصف خمارها وردتني فقالت هذا انس ابنى اتيتك به يخدمك فدعا له وفيه انه مر بامي فسمعت
صوته فقيل يجوز ان يكون مر فعرفت صوته فدعته لدخول دارها فدخلها • تنبيه قال ابن
قتيبة ثلاثة من اهل البصرة رزق كل منهم مائة ولد صلبي انس وابو بكرة وخليفة بن بدر وفي
تاريخ ابن خلكان ان تميم بن المعتز بن باديس خلف مائة ذكر وستين انثى **ومنه** اي من اجابة
دعائه ما رواه البيهقي **دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف** الصحابي احد العشرة المبشرين بالجنة
وهو من اغنياء الصحابة وترجمته معروفة **بالبركة** اي بان يبارك الله له فيما رزقه **قال عبد الرحمن**
فلو رفعت حجرا من مكانه بيدي **لرجوت** ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم **ان اصيب** واجد
تحته ذهبا وفتح الله عليه اي يسر له امور الدنيا بسهولة واصل الفتح ازالة الاغلاق والاشكال
قال تع فتحنا عليهم ابواب كل شيء اي وسعنا عليهم باقبال انواع الخيرات عليهم وهذا ببركة دعائه
صلى الله عليه وسلم فانه لما قدم المدينة اخا سعد بن الربيع وتعاطى التجارة فرزقه الله ما لا يكثر
ومات في سنة احدى وثلاثين وقيل اثنتين وثلاثين وهو ابن خمس او ثلاث او اثنتين وسبعين
سنة ودفن بالبقيع **فحفر الذهب من تركته بالفؤس** الحفر معروف وهو في الاصل اخراج
تراب الارض قيل المراد هنا قطعه لانه في صدر الاسلام لم تكن تضرب الدنانير وانما كانت
تاتي من غيرها بالدراهم ويعمل الذهب والفضة سبائك وقطع توزن فكانه كان عنده منها قطع كبيرة
لما اريد قسمها كسرت والتركة بفتح اوله وكسر ثانيه ما تركه الميت خالصا من حق الغير والفؤس
بضم الفاء يليها واو ساكنة بزنة كؤس جمع فاس بفتح فهمزة ساكنة وتبدل الفا **حتى مجلت فيه**
الايدي بفتح الميم والجيم ويجوز كسرها وفي آخره لام وضمير فيه للحفر المعلوم مما قبله والمجل
تغير يكون في اليد من كثرة العمل حتى يخرج في ابدانهم نفاطات وخراجات من كثرة عملهم **واخذت**
كل واحدة ثمانين الفا لم يبين هل هي ذهب او فضة وهل هي مثاقيل او دراهم الا انه وقع التصريح

في رواية بانها دراهم والعادة ان يعد الذهب بالمثاقيل والفضة بالدراهم **وكن** اي زوجاته
اللاتي مات عنهن وورثنه **اربعا من النسوة** وقيل ان نصيب كل واحدة من هؤلاء الزوجات الاربع
مائة الف **وقيل بل صولحت** بالبناء للمجهول اي صالحها بقية الورثة بثمن موته على طريق التخارج
من التركة **لانه طلقها في مرضه** الذي مات فيه والمطلقة في مرض الموت ترث اذا مات وهي في
العدة ولم يكن الطلاق بطلب منها بشروط مفصلة في كتب الفقه وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله
وخالفه الشافعي في احد قوليه وذهب الى كل من المذهبين كثير من الصحابة كما فصل في كتب الفقه
وليس هذا محله **على نيف** بفتح النون وتشديد الياء المكسورة بوزن كيس وهو كل ما زاد على عقد
الى ان يبلغ ما فوقه من العقود من ناف بمعنى زاد ويجوز تخفيفه **وثمانين الفا** من الدنانير **واوصى**
بخمسين الفا من الدنانير كما ذكره الطبري في الرياض النضرة قال اوصى عبد الرحمن بن عوف
بخمسين الف دينار في سبيل الله واوصى بحديقة لامهات المؤمنين فبيعت باربعمائة الف
واوصى لمن بقي من اهل بدر لكل رجل اربعمائة دينار وبالف فرس في سبيل الله وهذا كله **بعد صدقاته**
الفاشية اي الظاهرة المشهورة من فشى السر اذا شاع في حياته **وعوارفه العظيمة** جمع عارفة
وهي ما يفتاد من الاحسان والعطايا يجعل المعروف عارفا مبالغة في تمليحها وهو من لطايفهم
المشهورة ثم اشار الى شيء مما ذكر فقال **اعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق يوما بعير** بكسر
العين المهملة وهي الجمال التي تحمل الميرة اسم جمع لا واحد له من لفظه وقد يقال لكل ما يحمل الميرة من
الابل وغيرها والمراد الاول لقوله **فيها سبعمائة بعير وردت عليه** اي جاءته مع قافلة
ارسلها للتجارة **تحمل من كل شيء** اي عليها احمال من امور مختلفة كالبر والتمر والثياب والاستغراق
عرفي اي من كل ما يقصد حمله **فتصدق بها** اي بالابل وبما عليها من طعام وغيره **باقتابها** جمع قتب
بفتحتين ويجوز اسكان ثانيه وهو كاف صغير يوضع على سنام البعير ليتقيه **وباحلاسها**
جمع حلس بكسر الحاء المهملة وسكون اللام وسين مهملة وهو كساء يوضع تحت الاكاف على ظهر البعير
وهذا قليل مما ذكر في مناقب ابن عوف وصدقاته فانه لا تعد ولا تحصى وكان اهل المدينة
عيالا عليه يصلهم دائما ويقضي ديونهم ويقوم بمؤنة فقرائهم وليس هذا محل تفصيله **ودعا**
صلى الله عليه وسلم **لمعاوية** بن ابي سفيان رضي الله عنه **بالتمكن في البلاد** التمكن تفعل
من المكان والمراد به القدرة على التصرف فيها يقال مكنته ومكنت له قال تع ولقد مكناهم في الا
فنال الخلافة اي صار خليفة وسلطانا متمكنا في البلاد بدعائه صلى الله عليه وسلم له وهو
اشارة الحديث رواه ابن سعد فيه انه قال له اللهم علمه الكتاب ومكن له في البلاد وقه العذاب
ومعاوية رضي الله تع عنه اسلم هو وابوه وامه هند واخوه يزيد في فتح مكة وقال معاوية
انه اسلم يوم الحديبية وكتم اسلامه من ابويه وشهد مع رسول الله حنينا فاعطاه من غنايم
هوازن اربعين اوقية ولما بعث ابو بكر الجيش الى الشام سار هو واخوه يزيد معهم فاستخلفه
ابو بكر على دمشق ثم اقره عمر عليها فلما قتل لم يبايع عليا لطلبه بدم عثمان ممن كان معه ممن باشر
قتله وجرى بينهما ما جرى في وقعة صفين مما ينبغي الكف عنه وقد قال صلى الله عليه وسلم
لمعاوية اللهم هاديا مهديا وورد في فضائله احاديث اخر فكان في اول امره اميرا لابي
بكر وعمر وعثمان فلما قتل عثمان استقر مكانه ولم يمتثل امر علي لاجتهاد اداه لذلك فلما قتل علي
واستخلف ابنه الحسن رضي الله عنه سار معاوية الى العراق وسار اليه الحسن ثم رأى ان الخطب
عظيم تراق فيه دماء المسلمين فسلم الامر الى معاوية باختيار منه ورجع الى المدينة فتسلم

منه معاوية الخلافة والي الكوفة فبايعه الناس واجتمعوا عليه فسمي ذلك العام عام الجماعة
وصار معاوية خليفة حقيقة بعد ما كان الحق مع علي كما اقتضاه القاضي ابو بكر بن العربي
لا متغلبا كما اشار اليه المصنف بقوله نال الخلافة فاندفع ما قيل من ان الصواب ان يقول نال
الامارة او الملك لقوله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا عضوضا
وانقطعت الخلافة بنزول الحسن بعد ابيه ستة اشهر وقيل الخلافة بالمعنى اللغوي لانه خلف
من قبله او الخلافة اتباع السنة **ولسعد بن ابي وقاص** اي دعا دعاء مستجابا لسعد بن ابي
وقاص كما ورد في حديث رواه الترمذي مسندا متصلا عن سعد والبيهقي عن قيس بن ابي
حازم مرسلا حسنا وقد اجيب له دعوات مخرجة في الصحيح وغيره وابو وقاص كنية ابيه وهو
بن وهيب بن عبد مناف الزهري القرشي احد العشرة المبشرة بالجنة وهو اول من اراق دما
في الاسلام وهو من الشجعان الذين كانوا يحرسون رسول الله واخر العشرة موتا مات سنة خمس
وخمسين وله بضع وستون او سبعون سنة او ثمانون ودفن في البقيع ومناقبه مشهورة
ان يجيب الله دعوته اي كل دعوة له **فما دعا على احد الا استجيب له** بالبنا للمجهول
والاستجابة بمعنى الاجابة قال

• وداع دعا يا من يجيب الى الندا • فلم يستجبه عند ذاك مجيب •

واصل معناه طلب الاجابة قال الترمذي قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم استجب لسعد
اذا دعاك • وعن المقداد ان سعدا قال يا رسول الله ادع الله ان يستجيب دعائي فقال يا سعد
ان الله لا يستجيب دعاء احد حتى تطيب طعمته فقال ادع الله ان يطيب طعمتي فاني لا اقوى الا
بدعائك فقال اللهم اطب طعمة سعد الحديث ودعواته مشهورة ماثورة **ودعا** صلى الله عليه وسلم
في حديث رواه الترمذي عن ابن عمر **بعز الاسلام** اي بان الله يعز الاسلام اي يقويه ويظهره
باحد الرجلين بعمر او بابي جهل لما كان يعلم من شدتهما وشجاعتهما وبتفرسه فيهما لا على التعيين
وكان هذا بمكة قبل الهجرة وتمكن المسلمين من اظهار الدين **فاستجيب له في عمر** باذهاره واعز
به دينه وسبقت الشقاوة لابي جهل عمرو بن هشام فرعون هذه الامة فقتل كافرا يوم بدر
في السنة الثانية من الهجرة والمراد بعز الاسلام عز اهله والا فهو دايما عزيز لانهم كانوا قبل
اسلامه لا يظهرون صلاتهم عند البيت فلما اسلم عمر قاتلهم حتى صلوا معه عند الكعبة ولذا
قال ابن مسعود كان اسلام عمر فتحا وهجرته نصرا وخلافته رحمة وتشريكه له مع ابي جهل
لانه لم يتعين عنده احدهما او لم يعينه لامر ما وقد روي من طرق وقد روي من طرق انه خص
عمر بالدعا فقال اللهم اعز الاسلام بعمر بن الخطاب اللهم ايد الاسلام بعمر وجمع بين الروايتين
فانه لما تعين فيهما الشهامة ونفوذ الكلمة بحيث لا يعصى امرهما دعا بذلك ثم تبين له
باعلام من الله والهام ان اللايق بذلك عمر فخصه بدعايه ثانيا وكرره حتى استجيب له وقصة
اسلامه مفصلة في السير مشهورة **قال ابن مسعود ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر** لانه
اظهر ذلك وقاتلهم في بلدهم كما فعل حمزة فكان ذلك ابتدا الظهور وكان ما كان مما لم يخل في
خواطر الامكان **و**مما وقع من اجابة دعايه ما رواه البيهقي والحاكم وصححه **اصاب الناس
في بعض مغازيه عطش فسال عمر الدعا** للناس ان يسقيهم الله من فيض فضله **فدعا
فجاءت سحابة** اي ظهرت سحابة عقب دعايه وفيه استعارة لتشبيهها برجل سمع نداه فجاه
فهي تصريحية تبعية او تخييلية كما في قوله **فسقتهم** اي شربوا من ما مطرها وقوله **حاجتهم**

مفعوله

مفعوله لقضينه يعني اعطتهم حاجتهم وهي الما الذي يزيل عطشهم **ثم اقلعت** اي انجلت
وكفت عن المطر بعد قضاء حاجتهم من مايها قيل هذه الغزاة هي غزاة بدر المشار اليها بقوله في
سورة الانفال وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به كما ذكره ابن الجوزي في الوفا وساق الحديث
بتمامه **ودعا** صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن انس **في الاستسقا** اي في دعايه
وطلبه ان يسقيهم **فسقوا** بالبنا للمجهول اي سقاهم عقب دعايه ودام السحاب بمطر **ثم شكوا
اليه المطر** اي من كثرته ودوامه المضر بهم **فدعا** الله بان يكف المطر ويقلع السحاب **فصحوا** اي
صحت السما وانكشف غيمها فاسناد الصحو اليهم مجازي فهو بفتح الواو بزنة رموا وروي بضمها
واصله صحووا افتعل وحذف **ودعا لابي قتادة** الحارث بن ربعي الصحابي وقد تقدمت ترجمته
وهذا الحديث رواه البيهقي في الدلايل وبين دعاه بقوله **افلح وجهك** الفلاح الظفر وادراك
البغية وهو دنيوي وهو نيل ما تطيب به حياة الدنيا والبقا في عز وغنى واخروي وهو النعيم
المخلد والوجه معروف وقد يعبر به عن الذات كما في قوله ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام
اللهم بارك له اي لابي قتادة وتقدم معنى البركة **في شعره وبشره** والشعر معروف
والمراد به ما يستحسن ويعد زينة والبشر ظاهر الجلد والبدن وكني بذلك عن جملته وجميع
بدنه فدعا له بان يبقى مستمرا على احسن تقويم كاملا جميع اعضايه **فمات وهو ابن سبعين
سنة كانه ابن خمسة عشر سنة** في نضارته وقوته لم يتغير بدنه ولم يشب شعره ببركة
دعايه صلى الله عليه وسلم وتوفي بالمدينة سنة اربع وخمسين وقد تقدم ان الفلاح دنيوي
واخروي وما ذكره من تمام خلقته دنيوي فتمامه يدل على فوزه بالفلاح الاخروي لان الكريم
اذا طلب منه امران فعجل احدهما دل على انه يعطي الاخر وانما اقتصر على هذا لانه معلوم مشاهد
دال على غيره كما قيل •

• كما احسن الله فيما مضى • سيحسن فيما بقي •

وقال للنابغة الجعدي وهو قيس وقيل حبان بن عبد الله بن عمرو بن عدس بن ربيعة وفي الشعرا
من لقب بالنابغة غيره كالنابغة الذبياني ولكنه اذا اطلق يراد به هذا وهو من المخضرمين
المعمرين قيل انه عاش مايتين وثمانين سنة وقيل مايتين واربعين وقيل مية وعشرين
سنة واجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم واخرج له نعيم بن مخلد حديثا ومدح النبي صلى الله عليه
وسلم بقصيدته الرايية وهي نحو ماية بيت في غاية البلاغة انشدها بين يديه فدعا له بما
ذكره المصنف ولما بلغ قوله •

• بلغنا السما مجدنا وسناؤنا • وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا •

قال له الى اين يا ابا ليلى قال الى الجنة قال نعم ان شا الله ثم لما انشده قوله

• ولا خير في حلم اذا لم يكن له • بوادر تحمي صفوه ان يكدرا •
• ولا خير في جهل اذا لم يكن له • حليم اذا ما اورد الامر اصدرا •

قال له صلى الله عليه وسلم **لا يفضض الله فاك** وروي لا يفضي الله فاك بضم اوله
وسكون فايه وكسر الضاد تليها يا ساكنة مضارع افضى كاعلى يعلي قال المرزوقي في شرح
الفصيح تقول العرب في الدعا عليه فض الله فاه وفي الدعا له لا يفضض الله فاه ومصدره الفض
ومعناه الكسر وبعض العرب تقول لا يفضي الله فاك اي لا يجعله خاليا من الاسنان وهذا كقوله
قد ترك الدهر فاه بلا • انتهى فعلى الاول الفم مجاز عما فيه من الثاني على حقيقته والنا
لقب له لانه نبغ في الشعر اي فاق اقرانه والها للمبالغة كعلامة **فما سقطت له سن**

ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم والسن واحدة الاسنان المعروفة وقد قالوا زيادة في السن
نقص في السن فالسن الاول العمر والثاني واحد الاسنان وفي رواية لحديث النابغة المذكور فكان
احسن الناس ثغرا بثاء مثلثة مفتوحة وغين معجمة ساكنة وراء مهملة وهو ما تقدم من الاسنان
ويقال ثغر الغلام بتشديد المثلثة واثغر بتشديد المثناة ويطلق الثغر على الفم ويصح ارادته
هنا وثغرا منصوب تمييزا اذا سقطت له سن نبتت له اخرى مكانها لئلا يخلو فمه من الاسنان
وعاش عشرين ومائة وقيل اكثر من هذا فقيل مائة واربعين وقيل مائتين واربعين وقيل
مائتين وثمانين لان دعاه له بان لا تسقط اسنانه يتضمن الدعا له بطول العمر وفيه معجزة له صلى
الله عليه وسلم باجابة دعوته فيه واكثر اعمار هذه الامة ما بين الستين والسبعين وما زاد لا
يزيد غالبا على مائة وعشرين وزعم الاطبا انه العمر الطبيعي وقد زاد بعضهم على ذلك كما استقصا
الاصمعي في كتاب المعمرين ومنهم سلمان الفارسي وقد اختلفوا في مدته كما هو مفصل في ترجمته
وفي الحديث ما يدل على ان مدح الشعر للاشراف غير مكروه وان الاحسان لمن مدحهم بعطية وجائزة
او بدعا وجميل من القول سنة وقصيدة النابغة هذه طويلة بليغة رواها ابن حجر بتمامها في بعض
كتبه ولولا خوف الاطالة اوردناها هنا ودعا صلى الله عليه وسلم لابن عباس في حديث صحيح
رواه الشيخان وابن عباس هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب غلب عليه حتى صار علما بالغلبة له
دون سائر بنيه وقوله اللهم فقهه في الدين معمول لقدر اي فقال او قائلا اللهم الخ اي
فهمه وعلمه قال الراغب الفقه التوصل الى علم غائب بعلم شاهد فهو اخص من العلم قال تعالى
ذلك بانهم قوم لا يفقهون والفقه العلم بالاحكام الشرعية يقال فقه اذا صار فقيها وفقه بمعنى
فهم وفقهه فهمه وتفقه اذا طلبه فتخصص به كما قال تع ليتفقهوا في الدين انتهى ۞ وعلمه
التاويل اي التفسير وقد يفرق بينهما فيقال التفسير بيان معنى القران بما هو ماثور عن النبي
او كبار الصحابة والتاويل بيانه بما تقتضيه قواعد العربية وهو تفعيل من الاول بمعنى الرجوع
الى الاصل ومنه الموئل لموضع الرجوع فهو رد الشي الى الغاية المرادة منه علما كان او فعلا
فالعلم كقوله وما يعلم تاويله الا الله والفعل كقوله هـ وللنوى قبل يوم البين تاويل ●
وقوله تع يوم ياتي تاويله اي بيانه غايته المقصودة منه وقوله ذلك خير واحسن تاويلا بمعنى
احسن معنى وترجمة وقيل احسن ثوابا في الاخرة فدعا له بان يعلمه الله الشريعة المحمدية
وان يفقهه للوقوف على معاني كلامه فاجاب الله دعاه حتى كان معول الناس عليه في ذلك
فسمي بعد بالبنا على الضم اي بعد دعائه له او بعد موته صلى الله عليه وسلم كان الصحابة و
وسائر الناس يسمونه لان النبي توفي وابن عباس ابن عشر او ثلاث عشر او خمس عشرة سنة على اختلاف
فيه الحبر مفعول سمي وهو بكسر الحاء وفتحها ومعناه العالم المتقن الذي تبقى آثاره بعده
واصل معنى الحبر الاثر المستحسن ومنه ذهب حبره وسبره اي جماله وبهاوه وترجمان القران
وترجمان بالضم كعنفوان والفتح كزعفران وبفتح اوله وضم الجيم وهو من يفسر لسانا بلسان
ويطلق الترجمان على من يبلغ الكلام وللترجمة اطلاقات اخر وفي كلام المصنف لف
ونشر فان كونه حبر الامة ناظر لقوله فقهه في الدين وكونه ترجمان القران ناظر لعلم التاويل
والتفسير ودعاوه لابن عباس وقع مرارا وروي من طرق صحيحة منها ما روي عنه انه قال اتى النبي
صلى الله عليه وسلم الخلا فوضعت له وضوءا اي ماء يتطهر به فقال من صنع هذا فقالوا ابن عباس
فقال اللهم الخ قال ابن المنير مناسبة الدعا لما فعله انه يدل على كمال فهمه بانه محتاج

لطلب الماء فبادر لذلك وكان عند خالته ميمونة ليلا وهي المخبرة له بما صنعه وفي رواية
علمه الكتاب وزده علما وفهما ووضع يده على كتفه وفي رواية انه ضمه لصدره واول من لقبه
بترجمان القران ابن مسعود وكان اعلم الناس بالفقه والفرائض واشعار العرب وايامها وكان
يجلس للافادة فكان لا يسال عن شي الا وجد عنده وعلم منه كل ذلك ببركة دعائه صلى الله عليه
وسلم ودعا صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البيهقي عن عمرو بن حريث لعبد الله بن جعفر
بن ابي طالب بن عبد المطلب فعبد الله هاشمي مدني صحابي ولد بالحبشة وتوفي سنة تسعين
او ثمانين وهو ابن سبعين او ثمانين وروي عنه احاديث عدة وجعفر هو الطيار ذو الجناحين وكان
عبد الله من اسخى الناس حتى لقب بحر الجود وقطب السخا بالبركة اي الزيادة والنما في صفقة يمينه
اي في بيعه وشرائه ومعاملته وسمي ذلك صفقة لانهم كانوا اذا تبايعوا يصفق احدهم يده
بيد الاخر والصفقة ضرب اليد باليد بصوت وذكر اليمين لان الاخذ في الاخذ والعطا بها فما
اشترى شيا الا ربح فيه اي وجد فيه ربحا وفائدة ودعا صلى الله عليه وسلم في حديث رواه
البيهقي في الدلائل وابو نعيم للمقداد بن الاسود والمقداد بن عمرو بن ثعلبة واشتهر بابن الاسود
لانه تربى في حجره وهو صحابي مشهور توفي بالمدينة في خلافة عثمان رضي الله عنه بالبركة اي
الزيادة في ماله فكان عنده غرائر من المال ببركة دعائه له والغرائر جمع غرارة بكسر الغين
المعجمة وهي معروفة وقال الجوهري اظنها معربة قال ابو نعيم قالت ضباعة بنت الزبير وهي زوج
المقداد خرج المقداد يوما لقضاء حاجته فبينا هو جالس خرج جرذ من جحر بدينار ولم يزل يخرج
دينارا دينارا حتى بلغ سبعة عشر فجاء بها للنبي صلى الله عليه وسلم واخبره بخبره فقال له هل اد
يدك في الجحر قال لا والذي بعثك بالحق فقال صدقة تصدق بها الله عليك بارك الله لك فيها
قالت ضباعة فما فني آخرها حتى رايت غرائر الورق في بيت المقداد انتهى ودعا بمثله اي بمثل
ما دعا للمقداد وغيره في حديث رواه البخاري والدارقطني واحمد في مسنده لعروة بن ابي الجعد
البارقي وقيل الازدي واختلف فيه فقيل عروة بن ابي الجعد وقيل ابن الجعد وهو صحابي
مشهور اخرج له الستة واحمد وبارق بطن من الازد نزلوا عند جبل يقال له بارق فنسبوا له
قيل من قال ابن الجعد فقد اخطا وولاه عمر قضاء الكوفة قال عروة فلقد كنت جواب قسم مقدر
اقوم بالكناسة بضم الكاف ومعناها القمامة ثم صارت علما للسوق مشهور بالكوفة وقيل انه
يجوز ان يراد به حقيقته اي اقوم بمقام حقير يستبعد الكسب في مثله وهو بعيد فما ارجع
اي اعود من المحل الذي كنت فيه حتى اربح الفا مما ابيعه واشتريه قال البخاري فيه
اي في حديث عروة فكان عروة لو اشترى التراب ربح فيه ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم
وروي مثل هذا اي مثل حديث عروة المذكور لغرقدة ايضا بفتح الغين المعجمة وسكون الراء
المهملة وقاف ودال مهملة واحدة الغرقد وهو شجر معروف له شوك يسمى العوسج والعضاه
وبه سمي بقيع الغرقد وهو مقبرة المدينة وغرقدة صحابي يسمى ابا شبيب وروي عنه ابنه وند
له الضمير للنبي صلى الله عليه وسلم وند ماض بفتح النون وتشديد الدال المهملة بمعنى نفرت
وشردت حتى غابت عن بصره فلا يراها واصل معناه انفردت عن اندادها وهذا يختص بالابل ونحوها
فلا يقال ند الرجل وليس ضميره لعروة كما توهم بعضهم ناقة فجاءت بها اعصار ريح الاعصار
بعين مهملة هي ريح شديدة تثير غبارا او ترتفع الى السما كانها عمود وهي الزوابع وقيل ريح
تثير سحابا ذات رعد وبرق والمراد الاول هنا حتى ردها الاعصار عليه اي على النبي صلى الله عليه و

جة

خلت

ت

سلم

وهذا الحديث لم يخرجوه وكون الضمير لغرقدة لا يناسب المقام وان اتفقوا عليه والظاهر ما قلنا
وليس هذا ايضا كما في الشرح الجديد مما وقع في غزوة بني المصطلق لانها هاجت فيها ريح شديدة
فآذتهم وكانت ناقته صلى الله عليه وسلم ضلت ليلا فقال انها هبت لموت عظيم من الكفار وهو
رفاعة بن زيد فقال بعض المنافقين ابن عم محمد انه يعلم الغيب وهو لا يعلم مكان ناقته فاتاه
جبريل واخبره بما قاله وبمكان ناقته بالشعب الى آخر القصة اذ ليس فيها ان الريح ردت الناقة
عليه فلعل المصنف وقف عليه من طريق آخر فيه رد الريح **ودعا** صلى الله عليه وسلم في حديث رواه
مسلم فيه انه دعا **لام ابي هريرة** بان يهديها الله للاسلام وكانت مشركة **فاسلمت** وهداها
الله للاسلام وشرف الصحبة واسمها اميمة بنت صبيح بن الحارث بن دوس كما ذكره ابن بشكوال
وابوها صبيح بالموحدة وقيل صفيح بالفاء وقيل اسمها ميمونة وحكى القولين ابن الاثير في
اسد الغابة واما ابو هريرة فقد تقدم الكلام على اسمه والخلاف فيه وكان حريصا على اسلامها
فدعاها للاسلام فاسمعته ما يكره في حق النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه وهو يبكي وقال
له اني كنت ادعوها الى الاسلام فتابى فدعوتها اليوم فاسمعتني فيك ما اكره فادع الله
ان يهديها فقال اللهم اهد ام ابي هريرة فخرج مستبشرا بدعائه فلما اتى الباب سمعت خشف
اقدامه فقالت مكانك يا ابا هريرة فسمع صب الماء فاغتسلت ولبست درعها وخمارها وفتحت
له الباب فلما دخل قالت يا ابا هريرة اني اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله
فرجع الى رسول الله فرحا وقال ابشر يا رسول الله فقد اجيبت دعوتك وهدى الله امي
فحمد الله تعالى فقال يا رسول الله ادع الله ان يحببني انا وامي الى عباده المؤمنين ويحببهم الينا
فقال اللهم حبب عبيدك هذا وامه الى عبادك وحببهم اليهما فكان لا يسمع به احد او يراه الا
احبه كما ذكره مسلم والبيهقي في دلائله ودعا صلى الله عليه وسلم **لعلي بن ابي طالب**
في حديث رواه البيهقي وابن ماجه بسند صحيح متصل لعلي رضي الله عنه **ان يكفى** بالبناء للمجهول
اي يكفيه الله بفضله **الم الحر والقر** بفتح الحاء المهملة وتشديد الراء المهملة وهو ضد البرد
والحرارة سخونة تعرض للهواء من نحو الشمس والنار ومنها ما يعرض للبدن من الطبيعة كحرارة
المحموم والقر بضم القاف وتشديد الراء هو البرد ويخص ببرد الشتا كما يخص الحر بحرارة
الصيف وهو المراد وحكى ابن قتيبة تثليث قافه فيجوز فتحها هنا للازدواج واصله من القرار
لان البرد يقتضي السكون والحر يقتضي الحركة كما قاله الراغب **فكان** علي بعد دعائه له
يلبس في زمن **الشتا ثياب الصيف** الخفيفة كالقميص الواحد **وفي** زمن **الصيف ثياب
الشتا** وهي المضربات المحشوة والثياب الثخينة **ولا يصيبه** اي لا يجد ويحس **الم حر ولا
برد** ويقصد باظهار ذلك انه اختص بامر يخالف به غيره لدعائه له فاذا كان لا يضره شدة حر
الصيف لا سيما بارض الحجاز ولا برد فصل الصيف كغيره بالطريق الاولى وكان دعاؤه له
بخيبر لما اصابه رمد شديد قال عبد الرحمن ابن ابي ليلى كان علي رضي الله عنه يلبس في
الحر القبا المحشو الثخين ولا يبالي بشدة الحر ويخرج في البرد الشديد بثوب خفيف ولا يبالي
فسئل عن ذلك فقال انه اعطى الراية يوم خيبر ابا بكر ثم عمر فلم يحصل فتح على يديهما فقال
لاعطين الراية اليوم رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله خيبر على يديه
فدعاني واعطاني الراية وكان بي رمد شكوته له فقال اللهم اكفه الحر والبرد فما وجدت
لهما الما بعد ذلك وانما دعا له برفع الحر والبرد مع ان تالمه كان من الرمد ووجع العين لانه علم ان رمده

كان من زيادة الدم الذي حصل له من الحر فدعا له برفع سبب ذلك وزاد عليه دفع الم
البرد لانه ضده فربما آذاه لقوته لعدم ضده وروي يسنيه من الاسناة ويسوءه من السوء
بدل قوله يصيبه والمعنى واحد **ودعا** صلى الله عليه وسلم **لفاطمة ابنته** في حديث رواه
البيهقي عن عمران بن حصين **الله** مفعول دعا **ان لا يجيعها** اي ان لا يجعلها متالمة من الجوع
وترك الطعام واكله **قالت فاطمة فما جعت** بضمير المتكلم **بعد** مبني على الضم اي بعد دعائه
وبركته قال عمران بن حصين كنت معه صلى الله عليه وسلم فاقبلت فاطمة ووقفت بين يديه
فنظر اليها وقد اصفر وجهها من الجوع فوضع يده على صدرها وقال اللهم مشبع الجاعة ورافع
الوضيعة ارفع فاطمة بنت محمد قال عمران فرايت وجهها وقد احمر وذهبت صفرته ثم
لقيتها فقالت لي ما جعت بعد يا عمران قال البيهقي بعد ما ذكر الحديث هذا كان قبل نزول آية
الحجاب وذكر دفع الجوع بعد دفع الحر والبرد عن علي لان بينهما من المناسبة ما لا يخفى **وساله**
صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابن اسحاق بلا سند والبيهقي عنه وابن جرير من طريق
الكلبي **الطفيل بن عمرو** بضم الطاء المهملة والفاء المفتوحة وسكون المثناة التحتية واللام
كتصغير طفل بن عمرو بن طريف بن العاص بن ثعلبة بن سليم الازدي الدوسي ويقال له
ذو النور وقتل في وقعة اليمامة وكانت في ربيع الاول سنة اثني عشر في خلافة ابي بكر
وقيل في عام اليرموك في خلافة عمر وهو من كبار الصحابة • واصحاب النور ستة اسيد بن
حضير بضم المهملة وعباد بن بشر وحمزة بن عمرو الاسلمي وقتادة بن النعمان والطفيل والحسن
بن علي ولكل منهم قصة مذكورة في محلها **آية لقومه** مفعول سال اي ساله معجزة تكون معه
يؤمن بها قومه اذا دعاهم للاسلام وكان آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة ودعا
قومه فلم يطيعوه فقال يا رسول الله ان دوسا قد عصت وابت فادع عليهم فقالوا هلكت
دوس ان دعا عليهم فقال اللهم اهد دوسا فعلم ان الله سيهديهم ثم ببركة دعائه فطلب
منه ان يريهم آية يصدقوا بها **فقال اللهم نور له** الضمير لطفيل اي اجعل معه نورا
يكون آية لصدقه **فسطع نور بين عينيه** اي ظهر بين عينيه نور ساطع واصل معنى
السطوع الارتفاع والظهور وهو المراد هنا **فقال** اي الطفيل لما علم بذلك النور الذي
بين عينيه **يا رب اني اخاف** من قومي اذا راوا ذلك النور **ان يقولوا مثلة** خبر مبتدا
مقدر اي هو وهذا مثلة بضم الميم وسكون المثلثة ولام بعدها هاء وهو التنكيل والعقوبة
وتغيير الخلقة الاصلية بقطع بعض الاعضاء وتسويد الوجه ونحوه وهذا هو المراد هنا
اي اخشى ان يعدوه عارا لتوهمهم انه برص ونحوه وجوز بعضهم نصبه وفتح ميمه وكسرها
وهو تكلف لا داعي له **فتحول الى طرف سوطه** اي لما شكى الى الله ما يخافه وتضرع اليه انتقل
ذلك من بين عينيه الى سوط كان معه والسوط في الاصل بمعنى الخلط فسمي به ما يضرب
من جلد ونحوه وهو معروف **فكان** اي سوطه **يضيء في الليلة المظلمة** كالشمع والمصباح
فسمي الطفيل **ذا النور** اي صاحب النور لذلك وروي الظلماء بدل المظلمة ولا اشكال
في شيء من هذا كما توهمه بعضهم واغرب منه انه قال انه روي صوته بصاد مهملة ومثناة فوقية
ثم تكلم في تاويله بخرافات لا ينبغي تسويد الوجه لصحف وقصة الطفيل كما نقل ابن عبد
البر عن ابن عباس قال كان الطفيل شريفا مطاعا في قومه وشاعرا لبيبا فقدم مكة ومشى
لقريش فقالوا انك سيد قومك وانا نخشى ان يلقاك هذا الرجل يعنون رسول الله فيصيبك

فانه يفرق بين المرء وزوجه وولده فما زالوا بي حتى خوفوني منه حتى قلت لا ادخل
المسجد الا وانا اذني محشوتهما كرسفا اي قطنا ودخلت المسجد فاذا رسول الله قائما
قريبا مني وابى الله الا ان يسمعني قوله فقلت في نفسي ان هذا العجز وانا امرؤ ثبت لا يخفى
علي الحسن والقبيح والله لاسمعنه فان كان رشدا اخذته وان كان غيا تركته فنزعت
ما باذني واستمعت له فلم اسمع باحسن واحلى مما قاله فانتظرته حتى انصرف وتبعته فدخلت
منزله معه وقلت له يا محمد ان قومك قالوا كذا وكذا وقد سمعت ما قلت ووقع في نفسي
انه حق فاعرض علي دينك وما تامر به وتنهى واسلمت ثم قلت يا رسول الله اني زعيم لدوس
وانا فيهم سيد مطاع وانا داعيهم الى الاسلام فادع الله ان يجعل لي اية تكون عونا لي عليهم
فقال يا رب اجعل له اية قال فخرجت حتى اشرفت على حاضرة دوس ولي هناك اب شيخ
كبير وامراة وولد فلما علوت الثنية ظهر بين عيني نور كالشهاب فقلت اللهم في غير وجهي
فاني اخشى ان يظنوه مثلة لفراق دينهم فتحول في راس سوطي فلقد رايتني اسير وانه على
راس سوطي كانه قنديل معلوق فيه فلما قدمت عليهم اتاني ابي فقلت اليك عني فلست
منك ولست مني فاني اسلمت واتبعت دين محمد فقال اي بني ان ديني دينك فاسلم وحسن
اسلامه ثم اتتني صاحبتي فقلت لها كما قلت لابي فاسلمت وحسن اسلامها واغتسلت ثم
دعوت دوسا فابت وتعاصت علي فاتيت رسول الله وهو بمكة فقلت يا رسول الله ان دوسا
غلب عليها الزنا والربا فادع عليهم فقال اللهم اهد دوسا فرجعت اليهم واقمت بين ظهرانيهم
ادعوهم الى الاسلام حتى استجاب ثم قدمت المدينة بعد احد والخندق بثمانين او تسعين
من اهل بيتي حتى فتحت مكة وارسله رسول الله لاحراق صنم عمرو بن حممة فاحرقه واقام معه
حتى قبض ثم بعثه ابو بكر الى مسيلمة فاستشهد باليمامة وقيل باليرموك في خلافة عمر
ودعا على مضر اي انه صلى الله عليه وسلم كما ورد في حديث صحيح رواه الشيخان والنسائي
عن ابن عباس والبيهقي عن ابن مسعود ومضر اسم قبيلة مشهورة عظيمة سميت باسم الجد
وهو مضر بن معد بن عدنان وفي وجه تسميته اختلاف وتسمى مضر الحمراء وتسمى ربيعة
وقبيلته ربيعة الفرس لان نزار ابوهما اوصى لمضر بالذهب وهو قد يوصف بالحمرة
ويقال ذهب احمر واعطى ربيعة الخيل فيقال لها ربيعة الخيل وقيل كان شعارهم في الحرب
العمائم والرايات الحمر وشعار اهل اليمن الصفر • وبه فسر قول ابي تمام في الربيع •

محمرة مصفرة فكانها • عصب تيمن في الوغى وتمضر •

ومضر ابو قريش **فاقحطوا** بالبناء للمجهول اي اصابهم القحط لاحتباس المطر عنهم حتى كادوا
يهلكون وهلك دوابهم ويجوز بناؤه للفاعل قيل وهو الافصح لانه لازم والهمزة للصيرورة
لا للتعدية **حتى استعطفته قريش** اي سالوه ان يعطف عليهم ويرحمهم برفع القحط وما
حل بهم من البلاء **فدعا لهم** الله ان يمطرهم ويزيل قحطهم **فسقوا** اي سقاهم الله وامطر ارضهم
فزال عنهم القحط بدعائه سريعا وكان دعاؤه عليهم لما لم يجيبوا دعوته انه قال اللهم اجعلها
عليهم سنينا كسني يوسف فاقحطوا حتى اكلوا الجراد والدم والعظام فقال له ابو سفيان
او كعب بن مرة انك تامر بصلة الرحم ان قومك قد هلكوا فادع الله لهم فقال اللهم اسقنا غيثا
مريعا طبقا غدقا عاجلا غير رايث نافعا غير ضار فما اتى عليهم جمعة حتى مطروا كما رواه
ابو نعيم في الدلائل **ودعا** صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البخاري عن ابن عباس **على كسرى**

بكسر الكاف

بكسر الكاف وقد تفتح وهو معرب خسرو وهو لقب لكل من ملك الفرس واسم هذا الذي
كتب اليه النبي صلى الله عليه وسلم كتابا يدعوه الى الاسلام ابرويز بن هرمز وهو من اولاد
انوشروان وقيل ابرويز معناه المظفر وانوشروان معناه مجدد الملك كما قاله السهيلي
حين مزق كتابه الذي بعثه اليه يحثه على الاسلام وسعادة الدارين وكان بعثه
مع عبد الله بن حذافة السهمي وقيل مع غيره فقطعه تحقيرا وقيل جعله هدفا ورماه بالسهام
حتى تمزق تجبرا منه وقيل لانه كتب اسمه فوق اسمه وصورة الكتاب • بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وامن بالله ورسوله
واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله ادعوك بدعاية الله فاني
رسول الله الى الناس كلهم لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين اسلم تسلم فان توليت
فان عليك اثم المجوس وقوله حين مزق كتابه واذ كان الدعاء بعده حين بلغه خبر تمزيقه اما
اما لان المراد زمان ممتد لان الحين يطلق على مطلق المدة كما في قوله هل اتى على الانسان
حين من الدهر او المراد حين بلغه تمزيقه ففيه تقدير فما قيل انه كان ينبغي ان يقول من اجل
تمزيقه كتابه ليس بشيء **ان يمزق الله ملكه** معمول دعا اي بان يمزق الى اخره باهلاكه وانتقال
ملكه لغيره فمزق كل ممزق **فلم يبق له** اي لكسرى او لملكه **باقية** اي نفس باقية من عقبه
او هو مصدر بمعنى بقية او بقاء والمصدر يكون بوزن فاعله قليلا **ولا بقيت لفارس**
هو معرب بارس بالباء العجمية ويطلق على القبيلة وعلى بلادهم **رياسة** اي ملك ونفاذ
كلمة **في اقطار الدنيا** اي في جميع نواحيها فقطع الله دابرهم وافناهم بدعائه صلى الله
عليه وسلم لما عصوه وتجبروا فلم يزل امرهم في انحطاط حتى قتله ابنه شيرويه ثم مات
ابنه بعده بزمن يسير وما لبثت دولتهم حتى انقرضوا كما فصل في التواريخ والحديث في
البخاري والكلام عليه مبسوط في شروحه **ودعا** صلى الله عليه وسلم في حديث رواه
ابو داود والبيهقي انه دعا **على صبي** صغير قال ابن حبان اسم الصبي يزيد بن نمران
وقيل انه لا يعرف اسمه وحديثه ضعيف وقال الذهبي اظنه موضوعا لانه اشكل عليهم
بان الصغير غير مكلف فكيف يدعو عليه مع رافته بهم ومما اجاب به البرهان الحلبي من ان
ان الاحكام انما تعلقت بالبلوغ بعد احد كما قاله التقي السبكي وبعد الهجرة كما قاله غيره او هو
من خطاب الوضع المتعلق بالاتلاف وهو لا يشترط فيه التكليف لا يخفى ما فيه على بعده وابعد
منه واغرب ما قيل ان الله اطلعه على حال هذا الصبي وانه سيصير مفسدا وانه لو لم يكن كذلك
اضر بالناس فلذا دعا عليه كما اطلع الخضر على الغلام الذي قتله وانه لو عاش كان كافرا وقيل
قد رايته الحديث انه صلى الله عليه وسلم له ان يحكم بالباطن احيانا كما يحكم بالظاهر وانه من
خصايصه وهذا وان كان صحيحا في نفسه وقد افرده السيوطي بجزء الفه فيه الا انه هنا
تعسف لا يلتفت اليه **قطع عليه صلاته** بمروره بين يديه وقطع الصلاة مجاز عن افسادها
قبل تمامها حتى يحتاج للاعادة والمصلي اذا صلى في غير العمران يستحب له ان يجعل بين يديه
سترة تمنع المار عن المرور بينه وبين القبلة وينبغي ان تكون مرتفعة ارتفاعا عاما
فكانه صلى الله عليه وسلم لم تكن له سترة في هذه الصلاة او كانت ومر الصبي بينه وبين السترة
وحينئذ فلو مر انسان او حيوان لا يقطع صلاته عند الجمهور من المحدثين والفقهاء ولا يفسد
كما صرحوا به وذهب بعضهم الى انه يقطعها لانه ورد في احاديث صحيحة منها ما رواه ابو ذر

انه صلى الله عليه وسلم اذا قام احدكم يصلي يستره ما يضعه بين يديه مثل اخرة الرحل
فاذا لم تكن فانه يقطع صلاته الحمار والمراة والكلب الاسود وخصه لانه ورد في الحديث
الكلب الاسود شيطان والجمهور على خلافه فقيل انه منسوخ وقيل انه مأول والمعنى يقطع
خشوعه في صلاته وهو صلى الله عليه وسلم وان كان لا يشغله عن الله شي فعله تشريعا لامته
ان يقطع الله اثره معمول دعا اي دعا بان يقطع الله اثره والاثر بفتحتين ما يؤثر بمشيه
وغيره ويبقى بعده علامة عليه وقطع الاثر يكنى به في الاكثر عن الفنا والذهاب بالكلية فيقال
ما بقي له عين ولا اثر كما قيل

الدهر يفجع بعد العين بالاثر • فما البكاء على الاشباح والصور

وهنا هو كناية عن كونه زمنا مقعدا لان الاثر انما يكون من المشي فاذا انقطع مشيه
انقطع اثره ويجوز ان يراد المعنى الحقيقي فلذا قيل انه كناية لا مجاز كما اشار اليه بقوله
فاقعد الصبي وصار مقعدا زمنا لا يمكنه المشي ليبس اعصاب رجله التي يتحرك بها
وروي ان يقطع الله دابره والدابر في الاصل الآخر كما في قوله فقطع دابر القوم الذين
ظلموا اي آخرهم فلم يبق منهم احد فاستعير هنا للزمانة بسلبه قوة مشيه وهذا رواه ابن
حبان عن ابن مهران قال رايت مقعدا بتبوك يسمى يزيد بن بهرام يقول مررت بين
يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فقال اللهم اقطع اثره فما مشيت بعد وقد
سمعت ما فيه **وقال** صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم عن سلمة بن الاكوع انه صلى
الله عليه وسلم قال **لرجل** قال البرهان الحلبي هذا الرجل اسمه بسر بضم الموحدة وسكون
السين المهملة وراء مهملة ومن اعجمه فقد صحف وهو بسر بن راعي العير الاشجعي **رآه
ياكل بشماله كل بيمينك** ارشادا له للسنة فان الاكل بغير اليمين مكروه وقوله الخ مقول
القول **فقال لا استطيع** اي لا اقدر على الاكل بيميني **فقال** له صلى الله عليه وسلم
لا استطعت بتاء الخطاب وهو دعا عليه بان يسلبه الله القدرة على الاكل باليمين **فلم
يرفعها** اي يده اليمنى لانها مؤبتة سماعا اي لم يقدر بعد دعائه صلى الله عليه ان يرفع يده اليمنى
الى فيه ويحركها لانها شلت وبطل عملها لانه امره باليمين وهو سنة في الاكل والشرب
لقوله اذا اكل احدكم فلياكل بيمينه واذا شرب فليشرب بيمينه فلا يتركه الا لعذر وقد علم
صلى الله عليه وسلم انه لا عذر له وانه انما لم يمتثل امره الا لتكبره ولذا قال المصنف في
شرح مسلم انه كان منافقا الا ان الذهبي قال انه صحابي جليل فيحتمل انه كان كذلك في
اول امره ثم لما ظهرت له هذه الآية تاب واخلص لله فلا اشكال فيه وما قيل من ان ترك
المندوب لا يقتضي استحقاق العقاب ليس بشي لان مخالفة امره مشافهة بغير عذر لا تجوز
وليس هذا الرجل جاهليا كما توهم القائل وخبط وخلط هنا على عادته وليس في قوله قال
دون دعا اشارة لما توهمه **وقال** صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الحاكم والبيهقي وابن
اسحاق من طرق صحيحة مسندة **لعتبة بن ابي لهب** عدو الله ورسوله الجهنمي واسمه عبد
العزى بن عبد المطلب بن هاشم المشهور وكان له ثلاثة اولاد عتبة وعتيبة بالتصغير
ومعتب اسلم منهم اثنان يوم الفتح ولم يهاجرا من مكة وبقي واحد منهم على الكفر وهو عقير
الاسد وكان عنده ابنة للنبي صلى الله عليه وسلم فطلقها فآذاه فدعا عليه بما ذكر فافترسه
الاسد بالزرقا من ارض الشام كما رواه الحاكم من حديث ابي نوفل وقال انه صحيح الاسناد

قال البخ

تجهز ابو لهب وابنه عتبة الى الشام فنزل بالسراة قريبا من صومعة راهب فقال لهم الراهب
هنا سباع فاحذروا فقال ابو لهب لمن معه انتم عرفتم سني وحقي قالوا اجل فقال ان محمدا دعا
على ابني فاجمعوا متاعكم على هذه الصومعة وافترشوا لابني عليها وناموا حوله ففعلوا وناموا
عتبة فوق متاع عال فجاء اسد شم وجوههم ووثب على عتبة فقطع راسه وذهب قيل انه
لم ياكله لما فيه من خبث الطوية ببغض خير البرية الا انه قيل ان العقير عتيبة مصغرا وان
عتبة اسلم وحسن اسلامه وهو من كبار الصحابة والصواب عتيبة وقال البرهان ان الذي
في نسخ الشفا بالتكبير وكذا صححه بعضهم وقال الذي اسلم عتيبة بالتصغير والمشهور ان المصغر
عقير الاسد والمكبر هو الصحابي فما في بعض النسخ مما خالفه على قول خلاف المشهور انتهى فقد علمت
الاختلاف فيه وفي النسخ والاصح منها **اللهم سلط عليه كلبا من كلابك** قال في حياة الحيوان
الاسد يسمى كلبا لانه يشبهه في الخلقة في بعض احواله ويرفع رجله اذا بال فلما اضاف الكلب
الى العظيم علم انه اعظم ما يسمى بذلك الاسم كما قاله الثعالبي والى ذلك اشار بقوله **فاكله الاسد**
وفي دلائل النبوة للبيهقي كانت ام كلثوم ابنته صلى الله عليه وسلم في الجاهلية تحت عتيبة
بن ابي لهب واختها رقية تحت اخيه عتبة فلما نزلت تبت يدا ابي لهب قال ابو لهب لابنيه راسي
من راسكما حرام ان لم تطلقا ابنتي محمد وقالت امهما حمالة الحطب مثله فطلقها عتبة واتاه وقال
اني طلقت ابنتك فاني لا احبك ولا تحبني وشق ازاره وسقه عليه فقال اللهم سلط الخ ثم
خرج في نفر من قريش الى الشام فكانت قصة الاسد وفي روايتها وتسمية ابنه اختلاف كما مر
ولا خلاف في اصل القصة وقد ذكرها حسان في شعره **وقال لامراة اكلك الاسد فاكلها**
الاسد قال البرهان الحلبي هذه المراة لا اعرفها وذكر غيره انها بنت مطعم الانصارية فانها اتت
النبي صلى الله عليه وسلم وهو مولي ظهره الشمس فضربت منكبه فقال من هذا اكله الاسد فقالت
انا ابنة مطعم الطير ومباري الريح ابو ليلى جئت لاعرض نفسي عليك لتتزوجني فقال قد فعلت
فرجعت الى قومها واخبرتهم الخبر فقالوا انت امراة غيرى والنبي نساء فيدعو عليك فرجعت
وقالت له اقلني فاقالها وتزوجت بغيره فبينما هي في حائط بالمدينة افترسها ذئب فالاسد
هنا بمعنى الحيوان المفترس ولا يقال ان دعوته لم تتحقق وهذا الحديث سقط من بعض النسخ
و من ذلك **حديثه** صلى الله عليه وسلم المشهور الذي رواه مسلم والبخاري **عن عبد الله بن
مسعود في دعائه على قريش** قبل الهجرة بمكة **حين وضعوا** اي وضع بعض منهم فهو من اضافة
ما للبعض الى الكل **السلا** بفتح السين المهملة واللام المخففة مقصور وهو جلد رقيق يخرج
مع الولد من بطن امه ملفوفا فيه قيل وهو كالمشيمة من المراة وفي النهاية ان الاول اشبه لان
المشيمة انما تخرج بعد الولد والسلا وهو للمواشي ان نزع عند ساعة يولد بقي حيا والا هلك
وكذا اذا انقطع في البطن ويقال للولد نفسه سلا ايضا تسمية له باسم محله ويكون فيه دم
ونحوه **على رقبته** الرقبة من اواصل العنق عند الكتفين **وهو ساجد** عند البيت في صلاته
والجملة حالية **مع الفرث والدم** حال من السلا والفرث بالفا وراء مهملة وثاء مثلثة هو
السرجين ما دام في الكرش **وسماهم** فاعل سمى ضمير ابن مسعود وضمير المفعول لقريش وهو يدل
على ان المراد بعضهم لا الجميع كما اشرنا اليه وهم المشهورون المذكورون في الآية وكانوا سبعة
فقال ابن مسعود **فلقد رايتهم قتلوا يوم بدر** فاجاب الله دعوته فيهم وحديث ابن مسعود
هذا في الصحيحين قال انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي عند البيت وابو جهل واصحاب له

جلوس فقال بعضهم لبعض ايكم يجيء بسلا جزور بني فلان فيضعه على ظهر محمد اذا
سجد فانبعث اشقى القوم فجاء به وانتظره حتى سجد فوضعه بين كتفيه وانا انظر فجعلوا
يضحكون ورسول الله لا يرفع راسه حتى جاءت فاطمة فطرحته فرفع راسه ثم قال
اللهم عليك بقريش ثلاث مرات اللهم عليك بابي جهل وعتبة بن ربيعة والوليد بن
عتبة وامية بن خلف وعقبة بن ابي معيط وعمارة بن الوليد وغيرهم والذي جاء بالسلا
والقاه عقبة وهو اشقاهم لمباشرته الفعل كاشقى ثمود والكلام على الحديث مفصل في
شروح البخاري • واما استمراره في سجوده مع ما عليه من النجاسة المفسدة للصلاة
فقد اجابوا عنه باجوبة منها انه لم يرها حتى يتحقق نجاستها وكان هذا في اخر الصلاة
فلا يلزم اعادتها مع انه كان قبل الهجرة وتحقق شروط الصلاة المفروضة ثم انه قيل
انهم كلهم لم يقتلوا ببدر ويلقوا في قليبها فان عقبة بن ابي معيط اسر ببدر ثم قتله
صلى الله عليه وسلم بعد مرحلة منها وعمارة بن الوليد مات بالحبشة فقيل انه باعتبار
اكثرهم وفا لبعضهم على ما فيه **ودعا** صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البيهقي مسندا
من طرق صحيحة **على الحكم بن ابي العاص** بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي
الاموي وهو ابو مروان وعم عثمان بن عفان وهو ممن اسلم في الفتح **وكان** الحكم
يختلج بوجهه اي يحرك وجهه وبعضه كحاجبه وعينه **ويغمز بعينه** اي يحركها
مشيرا بها وهو جالس **عند النبي صلى الله عليه وسلم** قاصدا باشارته وغمزه لمن يراه
ثمة من المنافقين وغيرهم ان ما حدث به الرسول لا اصل له كما اشار اليه بقوله **اي لا**
فهو تفسير للغمز بالمراد منه وليس المراد بالغمز هنا الدلك كما قيل لانه غير مناسب هنا
وان كان ورد بهذا المعنى في اللغة فلا وجه لتفسيره بغمز بحاجب لانه كان يغمز المنافقين
باسراره ولا لما قيل انه كان يحرك ذقنه وشفتيه محاكاة لفعله **فرآه** صلى الله عليه
وسلم وهو يختلج **فقال له كن كذلك** دعا عليه بان لا يزال وجهه يختلج **فلم يزل يختلج**
الى ان مات بدعائه وكان موته في خلافة عثمان قبل فتنته والقيام عليه باشهر
وكان صلى الله عليه وسلم اخرجه من المدينة ونفاه الى الطائف ومعه ابنه مروان وقيل
ان مروان ولد بالطائف فلم يزل بها الى ان رده عثمان في خلافته فكان بسبب رده
وابنه ما كان ولما توفي رسول الله سال عثمان ابا بكر في رده فقال ما كنت لارد من
نفاه رسول الله فقال اني سالت رسول الله رده فوعدني به فقال ابو بكر اني لم اسمع
ذلك ولم يكن معه بينة ثم لما ولي عمر ساله ذلك فقال كما قال ابو بكر فلما ولي عثمان
عمل بعلمه ورده فلا وجه للتشنيع عليه بذلك والطعن بسببه في خلافته كما زعم
الشيعة ثم انه علم من الحكم انه تاب وخلصت طويته واختلف في سبب نفيه فقيل انه كان
يستخفي ويسمع ما يسره رسول الله صلى الله عليه وسلم لكبار الصحابة في امر المشركين
والمنافقين فيخبرهم به وقيل انه كان يحاكي مشي رسول الله وحركاته فيفعل مثلها [illegible]
في مجلسه فلما علم ذلك منه نفاه • وروي عن عائشة ام المؤمنين انها قالت لمروان لما
قال في حق اخيها عبد الرحمن ما قال اما انت فاشهد ان رسول الله لعن اباك وانت في
صلبه تشير الى ما روي ان رسول الله قال يوما سيدخل عليكم رجل لعين فدخل عليهم الحكم
ولذا قيل ۞ فليت عثمان لم يحكم بعودته • رضي بما حكم الصديق في الحكم •

ودعا

ودعا صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البيهقي وابن جرير موصولا عن ابن عمر قال
بلغنا انه دعا **على محلم** بميم مضمومة وحاء مهملة مفتوحة ولام مشددة مكسورة فميم **بن جثامة**
بفتح الجيم وتشديد الثاء المثلثة والف وميم وهاء واسمه جثامة بن قيس بن ربيعة الكناني
الليثي اخو الصعب قيل انه نزل فيه اذا ضربتم في سبيل الله الاية **فمات** اي محلم هلك عقب
دعائه عليه **لسبع** اي عند سبع او بعد سبع ليال من دعائه صلى الله عليه وسلم وهذا
ابن سيد الناس وغيره وقال السهيلي انه مات بحمص ايام ابن الزبير وسياتي بيانه وبونهما
بون بعيد كما قاله البرهان الحلبي **فلفظته الارض** اي قذفته وطرحته واخرجته من
بطنها لعدم قبولها وهذا مما شوهد كثيرا وورد في الحديث يبقى في كل ارض شرار اهلها
تلفظهم ارضوهم **فووري** بواو مضمومة فساكنة وراء مكسورة ومثناة تحتية اي ستر
غطه وغيب فهو مجهول وواراه اذا غيبته فلفظته الارض مرات فكانوا كلما دفنوه اصبحوا
راوه فوق الارض تفضيحا له واشارة الى انه من الاشرار فعجزوا **فالقوه** اي القوا بدن محلم
بين صدين بضم الصاد المهملة وفتحها وتشديد الدال المهملة وهو مثنى صد ناحية الوادي
او الشعب اي الجبل **ورضموا عليه الحجارة** رضم بفتح الراء المهملة والضاد المعجمة وميم
من الرضم بالفتح والسكون وهو وضع الصخور بعضها فوق بعض كالبنا **والصد** بالضم والفتح
جانب الوادي وهو الارض الواسعة وهذا احد الاقوال فيه كما تقدم وسبب دعائه
عليه انه بعثه في سرية امر عليها عامر بن الاضبط فلقوا بطن واد فقتل محلم عامرا
غدرا فلما بلغه صلى الله عليه وسلم قال اللهم لا تغفر لمحلم ثلاث مرات فلفظته الارض
مرات فقال صلى الله عليه وسلم ان الارض لتقبل من هو شر منه ولكن اراد الله ان يجعله لكم
عبرة فالقوه بين صدفي جبل حتى اكلته السباع قال الزبيري الصدوح الشق قال في النسا
والذي رواه ابن عبد البر مسندا الى القعقاع عن ابيه انه قال بعثنا رسول الله في سرية
الى اضم فلقينا عامر بن الاضبط فحيانا بتحية الاسلام فحمل عليه محلم فقتله وسلبه
فلما قدمنا على رسول الله واخبرناه نزل يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا
الاية • وقد قيل ان الملفوظ غير محلم بن جثامة وان محلما نزل حمصا ومات بها في زمن ابن الزبير
ولهم اختلاف في سبب نزول الاية المذكورة وفيمن نزلت على اقوال كثيرة وقد اختلف في محلم
هذا بعد تحقق اسلامه وصحبته هل كان منافقا ام لا **وجحده** رجل اي انكر **بيع فرس**
كان اشتراها منه صلى الله عليه وسلم وهذا الرجل اعرابي يسمى سواد بن قيس وقيل ابن
الحارث وهو صحابي والفرس المرتجز كما قاله الجوهري وقيل الطرف بكسر الطاء المهملة وقيل
النجيب **وهي** اي هذه الفرس **شهد فيها** اي في بيعها **للنبي صلى الله عليه وسلم خزيمة**
بخاء وزاي معجمتين مصغر ويقال اسمه خزيمة وهو صحابي مشهور قتل بصفين مع علي سنة
سبع وثلاثين ولما شهد له قبل شهادته وجعل شهادته بشهادتين وهو من خصائصه
فرد الفرس بالنصب مفعول رد **بعد** مبني على الضم اي بعد جحده وشهادة خزيمة له
النبي صلى الله عليه وسلم هو فاعل رد **على الرجل** الذي جحد البيع وهو متعلق برد وانما
ردها تعففا منه او تكرما **وقال** اذ ردها **اللهم ان كان كاذبا فلا تبارك له فيها**
اي لا تجعل له بركة في فرسه **فاصبحت** اي الفرس **شاصية برجلها** البارزة وشاصية
بشين معجمة والف وصاد مهملة ومثناة تحتية وهاء **اي رافعة رجلها** والمراد ان رجلها

مرفوعة والاسناد مجازي وارتفاع رجلها كناية عن انها ماتت وانتفخ بطنها حتى صارت
رجلها مرفوعة كما يشاهد في الجيف بعد ايام يقال شصا الميت اذا انتفخ وارتفعت يداه
ورجلاه كما قاله اهل اللغة ووقوع مثله بعد ايام فوقوعه بسرعة من الايات ايضا وقصة
خزيمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتاع الفرس من ذلك الاعرابي وتبعه ليقبض
الثمن فجعل الناس يلقونه ويزيدون ورسول الله لا يشعر فناداه الاعرابي ان كنت مبتاعا
الفرس والا بعته فقال قد ابتعته فقال هلم شاهدا فقال خزيمة انا اشهد فقال له احضرتنا
قال بابي وامي انا اصدقك في اخبار السما فلا اصدقك في ابتياع فرس فسماه رسول الله
ذا الشهادتين وقال من شهد له خزيمة فحسبه وكان كلام الاعرابي قبل اسلامه او قبل
خلوص اسلامه والا فمثله لا يليق **وهذا الباب** اي باب دعاء النبي واجابة دعائه
وقع كثيرا وروي في احاديث كثيرة **اكثر من ان يحاط به** اي لا يمكن احد من علماء هذه الامة
ان يعلم جميع دعواته فانها كثيرة جدا وما نقله المص منها قطرة من بحر يعلم بها ما سواه اجمالا
ويحصل به اليقين لمن كان من المومنين • وقوله اكثر من ان يحاط به كقولهم اكثر من ان يحصى
ومثله كثير وتاويله مشهور فان ظاهره غير مراد ولا يعني انه اكثر من الاحاطة وقد بينوه
في محله حتى افرده بعض فضلاء العصر بجزء مستقل والاحاطة بالشي معناها استقصا
جميع افراده • **خاتمة** الدعا معناه التضرع الى الله في جلب ما ينفع ودفع ما يضر وقد
قيل اذا كان كل شي بقضا وقدر وقد جف القلم فما فائدة الدعا • واجيب بانه امر تعبدي
محافظة على مقام العبودية وقد يكون ذلك معلقا بالدعا موقوفا عليه كما اشار اليه
بقوله اعملوا فكل ميسر لما خلق له فمن انكر الدعا وقال انه لا فائدة فيه فقد ضل عن سوا السبيل
فاعرفه والله الموفق

فصل في كرامته صلى الله عليه وسلم

اي ما اكرمه الله به من الامور الخارقة للعادة والكرامة اعم من المعجزة فان المعجزة تكون بعد
دعوى النبوة مقارنة للتحدي بالفعل او بالقوة • والكرامة لا يشترط وتكون للنبي وغيره
من اولياء الله وان غلب في العرف جعل الكرامة للولي والمعجزة للنبي الا انها لا تختص بذلك
وما كان منها قبل النبوة للنبي يسمى ارهاصا لانه تاسيس للنبوة ومقدمة لها **وبركاته**
اي ما وقع له ببركته من الخوارق **وانقلاب الاعيان له** اي من تبدل حقيقتها وماهيتها
وصورتها وذلك جائز وواقع على الاصح وليس يمتنع كما توهم وليس هذا الفصل مقصورا على
هذا وان كان اعظمه فالافضل الاحسن ان نقول في كرامته بانقلاب الاعيان
والاعيان جمع عين وهي الذات **فيما مسه** بيده الشريفة **او باشره** المباشرة ان يلي
الامر بنفسه فهي اعم من اللمس والمس واللمس والمس متقاربان **اخبرنا احمد بن محمد** بن عبد الله بن
عبد الرحمن ابن عليون الخولاني شيخ المص توفي سنة ثمان وخمس مائة وكان في الحديث
وساير الفنون امام عصره **ثنا ابو ذر الهروي** تقدم بيان ترجمته **اجازة وثنا القاضي**
ابو علي سماعا ابو علي هو ابن سكرة السابق ترجمته **والقاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن**
وغيرهما ابن عبد الرحمن هو ابن سعيد كما تقدم **ثنا ابو ذر** يعني الهروي المتقدم **ثنا ابو محمد**
السرخسي المتقدم **وابو اسحاق** المستملي المتقدم **وابو الهيثم** الكشميهني المشهور **قالوا**
حدثنا الفربري تقدم بيانه ولغته ونسبته **ثنا البخاري** صاحب الصحيح المشهور كما

تقدم **ثنا يزيد بن زريع** بالتصغير ابو معاوية البصري ولد سنة احدى ومائة
ومات سنة ست وثمانين ومائة كذا في النسخ وصوابه ثنا البخاري ثنا عبد الاعلى ابن
حماد ثنا يزيد بن زريع وهكذا هو في صحيح البخاري فسقط منه راو من قلم المص **عن سعيد**
بن ابي عروبة كما تقدم **عن قتادة** تقدمت ترجمته **عن انس بن مالك** الصحابي المشهور
ان اهل المدينة فزعوا مرة اي وقع بهم فزع بفتح الفا والزاي المعجمة والعين المهملة قال
المبرد في الكامل الفزع في كلام العرب على وجهين احدهما الخوف والذعر والاخر الاستنجاد
والاستصراخ يقال • فزع وافزع وهو من الاضداد • قال زهير •
اذا فزعوا طاروا الى مستغيثهم • طوال الرماح لا ضعاف ولا عزل •
وقال النبي صلى الله عليه وسلم انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع والمراد هنا
الاول اي وقع خوف استعظموا سببه وهو انهم ظنوا عدوا **فركب رسول الله صلى الله عليه**
وسلم لما فزع صياح الناس وفزعهم لظنهم ان عدوا هجم عليهم فسبق الناس كلهم الى الجانب
الذي سمع منه الصوت وراى الناس في رجوعه فقال لهم لن تراعوا وهو راكب فرسا لابي
طلحة ركبها عريا من غير سرج عليه وابو طلحة هو زيد بن سهل الانصاري النجاري الصحابي
البدري وهو احد النقبا ليلة العقبة وممن شهد المشاهد مع رسول الله وله مقام محمود باحد
وروي عنه احاديث كثيرة وتوفي سنة اربع وثلاثين لهجرته **كان يقطف او به قطاف**
بكسر القاف والطا المهملة وفا والشك من الراوي فيه قال البرهان يقطف بضم الطا في قوم
تقطف الدابة بمعنى تبطي واما من قطف العنب فبكسر الطا كما قاله الزمخشري والقطاف بكسر
القاف الاسم منه وقال الجوهري القطوف في الدواب البطي وقال ابو زيد الضيق المشي
وهما متقاربان ويوصف به الانسان والخيل وهو عيب في الخيل وهو معنى قوله وبه قطاف
وقال غيره اي غير انس **يبطا** مكان تقطف بمثناة تحتية مضمومة وبا موحدة مفتوحة وطا
مهملة مشددة مفتوحة وهمزة مضارع بطا والبطء ضيق الخطا وهو قريب من الرواية الاولى
والظاهر ان المراد به هنا انه كان يوصف بالبطوء ونسب اليه ذلك وهو مبني للمجهول
فلما رجع رسول الله من الفزع ولقي ابا طلحة **قال له وجدنا فرسك بحرا** اي كالبحر في شدة
جريه وعدوه بسهولة وهو استعارة تصريحية كما يقال تبحر فلان في علمه اي توسع **فكان**
ذلك الفرس **بعد** مبني على الضم اي بعد قول النبي له ذلك ببركته **لا يجارى** مبني للمجهول
مفاعلة من الجري وهو مما يوصف به الماء والحيوان ايضا فهو بحر تشبيه بالترشيح وفيه
مبالغة والمعنى لا يسبق فكانه لذلك لا يجاريه احد بفرسه وهذا الحديث رواه البخاري والكلام
عليه مفصل في شروحه وكان ذلك الفرس يسمى مندوبا **و** مما رواه الشيخان من هذا النوع
انه صلى الله عليه وسلم **نخس جمل جابر** بن عبد الله الانصاري الصحابي المعروف ونخس بغاء
معجمة وسين مهملة كنصر من النخس وهو ان يطعنه في جنبه او نحوه بعود ونحوه وكان ذلك
في يده **وكان** ذلك الجمل **قد اعيا** اي تعب وقلت حركته من السير **فنشط** بكسر الشين المعجمة في
الماضي وفتحها في المضارع اي اسرع في السير وخف من النشاط ضد الكسل والملل ذانه
ذهب اعياوه فابدى قوة وسرعة وفي النهاية روي كثيرا انشط وليس بصحيح يقال نشطت
العقدة اذا عقدتها وانشطتها اذا حللتها وفي الحديث كانما انشط من عقال ونشطت الدلو
اذا جلبتها بقوة انتهى يعني ان الصواب هنا انشط من المزيد واصل معناه الجذب بسرعة واذا

صحت الرواية بخلافه فكيف يقال انه غير صواب ولا يخفى انه استعارة فيجوز ان يستعار
من نشط الدلو اذا نزعها فيشبه الجمل بدلو في بئر ويشبه نخسه له حتى جد في سيره باخراج
من البئر كانه جذبه وابدى قوته التي لم تكن ظاهرة فيه حتى كان اي جابر اذ الجمل لا يملك
زمامه الزمام مقود الجمل ويملك يجوز بناؤه للمعلوم فالضمير فيه لجابر وللمجهول فهو للجمل
ومعناه انه لا يقدر على ضبطه وحبسه لانه لشدة نشاطه يجذبه من يده وينازعه فيه والحديث
كما في الصحيحين قال جابر انه كان معه صلى الله عليه وسلم في غزاة فابطا به جمله ومر به
صلى الله عليه وسلم فقال له ما شانك فقال ابطا بي جملي واعيى فتخلفت فنزل ونخسه
بمحجن وقال له اركب فصار لا يقدر على كفه عن رسول الله ثم انه اشتراه منه ثم وهبه كما فصل
قصته في الحديث وشروحه وفي ثمنه اختلاف ايضا وفيه من بركته ولطف معاملته مع اصحابه
وكرمه ما لا يخفى وهذه الغزاة هي غزوة ذات الرقاع كما في شرح البخاري وصنع مثل ذلك
اي مثل ما صنع مع جابر في حديث رواه البيهقي بفرس لجعيل بضم الجيم وفتح العين المهملة
وياء تصغير ولام وهو جعيل بن زياد وقيل ابن سمرة الصحابي الكوفي وقيل اسمه جعال الاشجعي
بشين معجمة وجيم وعين مهملة منسوب لاشجع وهي قبيلته وحديثه هذا رواه عنه عبد الله
بن ابي الجعد قال كنت في بعض غزواته صلى الله عليه وسلم على فرس عجفا ضعيفة في اخريات
الناس فقال لي رسول الله ما شانك فقلت انها عجفا ضعيفة فضربها بمخفقة كانت في يده
وقال بارك الله لك فيها قال فلقد رايتني اول الناس ما املك راسها وبعت من بطنها عدة
كثيرة واليه اشار بقوله فخفقها رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ضربها بمخفقة معه بكسر
الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الفاء وقاف وهاء اسم آلة من الخفق وهي الدرة وقيل انها عصا والخفق
الضرب ومنه خفق الطائر بجناحه وخفقان القلب والخافقان كله يرجع الى هذا وبرك عليها
بالتشديد تفعيل من البركة اي دعا له مرارا بالبركة فيها فلم يملك راسها اي لم يقدر على ضبط
راسها باللجام لقوة سيرها ومجاذبتها له وهذا من قولهم ملك العجين اذا عجنه بقوة والملك ماخوذ
من هذا وهو حقيقته نشاطا اي من شدة نشاطها وباع من بطنها اي مما ولدته وحصل من
نسلها الخارج من بطنها والبطن حقيقة الجوف ثم شاع في الولد والنسل اثني عشر الفا وهذه
بركة عظيمة لدعائه صلى الله عليه وسلم ولعله كان عنده منها بطون متعددة تتناسل فيكون
ذلك ولدها وولد اولادها وفيه لف ونشر فقوله لم يملك ناظر لقوله خفقها وقوله وباع الخ
ناظر لقوله برك عليها وهو ظاهر وهذا رواه النسائي وابن عبد البر في الاستيعاب وفي حديث
رواه ابن سعد من حديث اسحاق بن عبد الله بن ابي طلحة انه صلى الله عليه وسلم ركب حمارا قطوفا
قليل السير متقارب الخطا لسعد بن عبادة الانصاري سيدهم المشهور فرده اي اعاده لصاحبه
بعد ما ركبه او معناه صيره لان رد يكون بمعناها ويعمل عملها كما صرحوا به فعلى الاول ما بعده حال
وعلى الثاني مفعول ثان هملاجا بكسر الهاء وسكون الميم ولام وجيم وهو فارسي معرب وهو من
البراذين ما يسرع مشيه ويكثر نقله على هيئة مخصوصة والعامة تسميه رهوان لا يساير
مبني للمجهول اي يسبق كل ما سار معه فعبر بما ذكر مبالغة كما مر في قوله لا يجارى وروى
البيهقي انه كانت شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم وهو بفتح العين فيهما في قلنسوة
خالد بن الوليد اي انه وضعها في داخل قلنسوته تيمنا بها والقلنسوة بفتح القاف واللام وضم
السين وفتح الواو وقيل هاء ما يوضع على الراس وهي معروفة ويقال قلنسية كما في الصحاح فلم يشهد

اي لم يحضر قتالا وحربا قاتل فيه الا رزق النصر اي الا نصره الله على اعدائه فيقتلهم
او يهزمهم ببركة تلك الشعرات التي كانت في قلنسوته وجملة رزق الخ حال مستثناة من
مفرغا من اعم الاحوال وفي الصحيح اي في الحديث الصحيح او في صحيح مسلم لان هذا الحديث
رواه مسلم وابو داود والنسائي وابن ماجه وحكى ابن العديم ان ابن ابي طاهر العلوي امير
المدينة كان عنده اربع شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم فبلغه ان بعض امراء حلب
يعيب العلويين ولم يكرم فارتحل اليه واهدى الشعرات له فاكرمه ثم اتاه بعد ايام فعبس ولم
يلتفت اليه فساله عن السبب فقال له قال لي فلان ان هذه الشعرات لا اصل لها فقال له
احضارها فاحضرها فطلب منه نارا موقدة فالقى فيها من شعرات منها في النار فلم تحترق
بل صارت احسن مما كانت فقبل رجله وانعم عليه بنعم لا تحصى واكرمه غاية الاكرام عن اسما
بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما انها اي اسما اخرجت اي اظهرت وارت الناس
جبة بضم الجيم وتشديد الموحدة وهي ثوب مخيط طيالسة قال النووي انه روي باضافة
جبة لطيالسة جمع طيلسان بتثليث اللام والاشهر فتحها وطيالسة منون مصروف
لانه بزنة ثمانية ورفاهية ويجوز نصبه على انه صفة جبة كثوب اخلاق وقد سقط لفظ
طيالسة من بعض النسخ وهذه الجبة كانت عند اختها عائشة ام المومنين فلما ماتت بعد
النبي بنحو خمسة واربعين سنة انتقلت لها والطيالسة نوع من الاكيسة قيل انها ذات
اعلام خضر ولذا روي جبة خضرا فوصفت بوصف بعضها وقيل معنى طيالسة غلظه
وقيل انه جمع طيلس كصيقل وهو المتقن النسج وقيل الطيلسان كساء اخضر يعرف بالشا ج
وقيل الطيلسان رداء من صوف تستعمله العجم ولذا يقال يا ابن الطيلسان في الشتم وقالت
اسما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها اي كان يكثر لبس هذه الجبة لان كان
يفعل كذا يدل على تكرر الفعل عرفا كما ذكره الاصوليون وليس بطريق الوضع فنحن نغسلها
ونأخذ ماء غسلها فنعطيه للمرضى فنستشفي بها المرضى اي بمائها بان تشرب منه ويمسح
به الابدان تيمنا باثاره فيرزقهم الله الشفا ببركته وفي مسلم انه جبة كسروانية لبنة
كسرى اي مجيبة وانها كانت مكفوفة بالديباج واستدل به بعضهم على حل السجاف من الحرير
وقيده بعضهم بان لا يزيد على اربعة اصابع ولا ينافي كونها من الطيالسة ما قيل انه لم
يستعمل الطيلسان وكرهه بعضهم لما ورد انه حلية قوم الدجال وحدثنا القاضي ابو
علي هو ابن سكرة وقد تقدم عن شيخه ابي القاسم بن المامون بن محمد بن هشام الرعيني
النسفي المعروف بابن المامون الامام المشهور قال كانت عندنا القايل ابن المامون وقوله
عندنا يحتمل انها كانت عنده وصلت اليه بطريق من الطرق ويحتمل انها كانت بدارهم
وبلادهم قصعة بفتح القاف ولا تكسر وهي الجفنة وتخص في العرف بما كان من الخشب وقال
النووي بما كانت تشبع عشرة من قصاع النبي صلى الله عليه وسلم بكسر القاف جمع لجفنة
وجفان وتجمع على قصع ايضا وقصاعي لم يعدوها ولم يذكروا اوصافها لانه كان لا يعتني بها
ولا يعدها ويذخرها فكنا نجعل فيها الماء للمرضى جمع مريض فيستشفون بها اي يطلبون
الشفا فيحصل برؤهم مما وضع فيها ببركة اثار اثاره واخذ جهجاه الغفاري جهجاه
بجيمين مفتوحتين بينهما هاء وبعدهما الف وهاء وقيل ان صوابه جهجا مقصور لا هاء في
آخره والغفاري بكسر الغين نسبة لغفار وهي قبيلة معروفة واختلف في اسم ابيه فقيل

هو ابن مسعود وقيل ابن سعد وقيل ابن قيس وهو صحابي مهاجري مدني وروى عنه
احاديث وشهد المشاهد مع رسول الله وتوفي بعد عثمان بسنة **القضيب** يعني قضيب
رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان مع الخلفا والقضيب عصا قصيرة **من يد عثمان**
بن عفان لما قام عليه قبل يوم الدار فقيل اخذه وجذبه من يده وهو على المنبر وقيل بعد
نزوله منصرفا الى داره **ليكسره** اي اخذه بقصد ان يكسره وظاهره انه لم يكسره لصياح
الناس وقال ابن عبد البر وبعض اهل السير انه كسره **على ركبته** اي اتكى على ركبته في
كسره كما هو معتاد **فصاح به الناس** ليمنعوه من كسر قضيب رسول الله فانه امر عظيم
وجراة لم يرضوها ولذا قال ابن العربي لا يصح كسر العصا عمن اطاع او عصى وهذه العصا
كان يعتمد عليها النبي اذا خطب وكذا الخلفا بعده **فاخذته** اي اصابته ووقعت به
واصل معنى الاخذ التناول فتجوز به عما ذكر **الآكلة** كفرحة وهو دا يصيب بعض الاعضاء
فتاكل اي تتفتت وتتقطع وهو نوع من الجذام والفرق بينهما مذكور في مفصلات كتب
الطب والناس يقول آكلة بالمد وقد قيل انه خطأ الا ان الثعالبي انشد لبعض العرب في
كتابه شفا القلوب

وَمَن انت هل انت إلا امرؤ • اذا صح نسلك في باهله •
وللباهلي على خبزه • كتاب لآكله الآكله •

ولم يخطئه فيه وهو من ائمة اللغة فيصح ان تقرا عبارة المصنف به الا ان تعارضه الرواية
فقطعها اي قطع جهجاه ركبته او رجله من ذلك لئلا يسري المرض لبدنه فان هذا المرض
يعالج بقطع العضو كما قيل القطع طب كل عضو فاسد فلا حاجة لما قيل ان ضمير الفاعل للآكلة
وذكره بتاويل المرض ونحوه **ومات** الجهجاه من قطعها **قبل** تمام **الحول** اي السنة التي وقع
فيها القطع بسبب اهانته لقضيبه صلى الله عليه وسلم قال ابن عبد البر في الاستيعاب
انه تناول العصا من يد عثمان وهو يخطب فكسرها فوقعت الآكلة في ركبته وتوفي بعد عثمان
بسنة وهو مناف لكلام المصنف من وجهين لان ظاهره انه لم يكسرها وانه حال عليه الحول
وفي الروض الانف انه انتزعها من يد عثمان حين اخرج من المسجد ومنع من الصلاة فيه وهو
مخالف لكلام ابن عبد البر وقوله انه اخذها وهو على المنبر وكان عثمان لما قام عليه الناس
وهجموا المدينة يخرج يصلي بالناس على عادة الخلفاء الراشدين ثم خرج في آخر جمعة فحصبوه
حتى وقع من المنبر ولم يقدروا على الامامة فصلى بهم ابو امامة بن سهل ثم حصروه ومنعوه
من المسجد وكان من القايمين عليه الجهجاه وسافهه بما لا يليق وفعل بالقضيب ما فعل وفي
جراته على قضيب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع انه من الصحابة الذين شهدوا المشاهد
معه اشكال لا يخفى فان الظاهر انه يعرف القضيب وحرمته وغضبه على عثمان لا يسوغ
له مثل ذلك وعثمان رضي الله عنه كان مجتهدا مثابا ولا فيما انكروا عليه وما هذه الا زلة عظيمة
لا تليق بمن كان مؤمنا صحابيا **و** روى البيهقي عن انس حديثا متصلا انه صلى الله عليه وسلم
سكب من فضل وضوئه السكب بمعنى الصب وفضل وضوئه ما زاد عليه وقال شيخنا
المقدسي قدس الله سره في كتاب الرموز الوضوء بالفتح في المصدر كما في الصحاح وبالضم
مصدر عن اليزيدي والفتح اولى وفي كتاب سيبويه فيما جاء على فعول بالفتح توضا وضوءا
وتطهر طهورا وولع ولوعا وقبل قبولا وقال ابن خروف في شرحه زعموا ان الوضوء من اسماء
الماء كالوقود ولم يحك عمن يوثق به الوضوء بالضم قلت ولولا انه تضعيف ما تبرأ

منه الجوهري والنووي وتبعهما القاضي عياض وكلاهما لم يجوزاه انتهى ما قاله شيخنا
فلك هنا الضم والفتح **في بئر قبا** بضم القاف والمد مكان بقرب المدينة غير مصروف
ويجوز صرفه ايضا باعتبار المكان والفه ليست للتانيث وقال في التبصرة انه اسم اماكن
ثلثة وتنسب اليه قباي والى قبا فرعاء قباوي والقصر لغة فيه ايضا **فما نزفت** البئر اي
انقطع ماؤها **بعد** مبني على الضم اي بعد ما سكب فيها فضل وضوئه ونزفت بفتح الزاي
المعجمة ويجوز كسرها فهو مبني للفاعل ويجوز بناؤه للمفعول ايضا لانه ورد متعديا وغير متعد
فمن اقتصر على الثاني فقد قصر وقد ورد ثلاثيه متعديا ومزيده لازما على خلاف القياس
ككبه الله فاكب وله اخوات فصلناها مع الكلام عليها في السوانح والمصنف قال انه صب
فضل وضوئه اي بقيته ووقع في رواية انه تفل فيها وعد هذا من كراماته وتقدم انه من
معجزاته تفجر الماء في بير الحديبية وبير تبوك لانه ثمة وقع التحدي لمشاهدة الكفار
له وهنا لم يقصد التحدي كما قيل **و** روى ابو نعيم في دلايله انه **بزق** بزاي وصاد وكلاهما
بمعنى وهو مج الريق من فيه **في بير كانت في دار انس** بن مالك خادمه صلى الله عليه وسلم
فلم يكن بالمدينة بير من آبارها **اعذب منها** اي احلى والذ من مايه وهذا كان بين اظهر
المؤمنين فلذا لم يعده معجزة كما اشرنا اليه **ومر على ماء** في بعض اسفاره **فسال عنه** اي عن
اسمه **فقيل له اسمه بيسان** بموحدة مكسورة وقال التلمساني انه بالفتح وهو الظاهر لموافقته
لنعمان ولولاه جاز فتحه وكسره ومثناة تحتية ساكنة وسين مهملة والف ونون **وماؤه**
ملح جملة حالية اي لا عذوبة فيه فلما سمي بما يوهم البؤس ضد النعيم لم يحب تسميته بما
يتشاءم به فغيره لانه كان يحب الفال الحسن **فقال بل هو نعمان** بفتح النون فعلان من
النعيم والنعمة وبيسان موضعان احدهما بالشام وهو في حديث الدجال والآخر بالحجاز
وهو الذي ... به رسول الله في غزوة ذي قرد وهو المذكور هنا فغير اسمه فغير الله
ماءه فاشتراه طلحة وتصدق به فقيل له طلحة الفياض وضبطه الانطاكي في حواشيه
هنا بضم النون والصواب ما تقدم وفي الشرح الجديد انه بكسر النون وكانه قصد
موافقة بيسان وملح هو الفصيح ومالح لغة ايضا لكنها غير فصيحة وليست لحنا كما قيل
لورودها في النظم والنثر كثيرا ولولا خوف الاطالة اوردناه لك **وماؤه طيب**
هذا من جملة مقوله صلى الله عليه وسلم والا ناقض كلامه **فطاب** ببركته لما غير اسمه
وقال انه طيب **و** روى ابن ماجة في حديث آخر مسند انه صلى الله عليه وسلم **اتي**
بالبنا للمجهول اي اعطاه بعض اصحابه صلى الله عليه وسلم وحاله **بدلو مملوء من ماء زمزم**
وروى البيهقي عن وايل الحضرمي الا انه لم يقل فيه انه من ماء زمزم **فمج فيه** اي القى فيه
ماء فمه وريقه **فصار** رايحته **اطيب من رايحة المسك** وقريب منه قصة نافع احد القرا
السبعة المذكورة في شروح الشاطبية **و** من كراماته صلى الله عليه وسلم ما رواه الطبراني
عن ابي هريرة انه **اعطى الحسن والحسين لسانه** اي وضعه في فمهما **فمصاه** اي جذباه
بريقه وشرباه منه **وكانا يبكيان** جملة حالية **عطشا** تمييز او مفعول له والعطش حرارة
تقتضي اشتهاء ما يشرب **فسكتا** اي فسكن عطشهما وتركا البكا وكان الاحسن ان يذكر هذا
مع قوله وكان يتفل في افواه الصبيان الخ **و** حديث صحيح رواه مسلم عن جابر انه **كان لام**
مالك الانصارية الصحابية وهي ام سليم بنت ملحان قيل والصواب ان يقول ام انس

نته

ه

مزم

بن مالك وفي الصحابة ام مالك البهزية وليست هذه وفيه نظر لان ام مالك
هذه ليست ام انس وقد قالوا انها لا يعرف اسمها وفي شرح المصابيح للتوربشتي ان ام
مالك في الصحابة اثنتان ام مالك الانصارية وام مالك البهزية وهي صاحبة العكة
عكة بتثليث العين المهملة والمشهور ضمها وهي اناء صغير من جلد يوضع فيه السمن غالبا
وكافها مشددة **تهدي فيها للنبي صلى الله عليه وسلم** اي ترسل اليه على طريق الهدية **سمنا**
فيها **فامرها النبي صلى الله عليه وسلم ان لا تعصرها** الامر هنا بمعناه اللغوي لان قوله
لا تعصرها نهي لا امر وهو باعتبار لازمه لان النهي يلزمه الامر بالكف وعلى الاول
هو مطلق الطلب والعصر الضغط للظرف ليخرج بقية ما فيه مما قل ففيه اشارة الى انه لا
ينبغي النظر لقلة ما فيها واحتقاره وتعظيمهم ما قل من نعم الله يزيده ويجعل فيه البركة ولذا
قيل ان فيه دقيقة لمن نظر بعين الحقيقة ويعصر بكسر الصاد كضرب يضرب **ثم دفعها**
اي العكة **اليها** اي الى ام مالك المهدية له **فاذا هي** اي فاجاها بغتة **مملوءة** بزنة المفعول
مهموز ويجوز ابدال الهمزة واوا وادغامها **سمنا** بفتح السين المهملة وسكون الميم وفتحها
لحن قال الزمخشري السمن للبقر غالبا ويكون للمعز ايضا وفي القاموس انه سلا الزبد
ولم يقيده **فياتيها بنوها يسالونها الادم** بضم الهمزة وسكون الدال المهملة وضمها
وهو جمع ادام وهو ما يؤتدم به مع الخبز كالسمن والعسل واختلف الفقهاء في اللحم هل يسمى
اداما عرفا ام لا فلا ينافي ما ورد في الحديث سيد ادام الدنيا والاخرة اللحم وقيل الادم
ما يصلح به الطعام **وليس عندهم شيء** يعني من الادام **فتعمد اليها** اي بقصدها و...
بيده وعمد يعمد بفتح الميم في الماضي وكسرها في المضارع ويجوز العكس كما في شرح الفصيح
للبلي **فتجد فيها سمنا** كما كانت فلا تنقص **فكانت تقيم ادمها** اي تجده قائما اي باقيا على حاله
حتى عصرته غاية للاقامة اي لما عصرته انتهت اقامة السمن في العكة وفقدته وذهبت
بركته لما خالفت امره صلى الله عليه وسلم قال النووي في شرح مسلم الحكم في ذلك ان عصرها ينافي
التوكل والتسليم ويتضمن التدبير والاخذ بالحول والقوة فعاقبها الله بزوال ما انعم به عليها
ولم يذكر هذا في المعجزات لانه لم يتحد به ولانه حصل في بيت ام مالك وفي اسد الغابة لابن الاثير
انه صلى الله عليه وسلم امرها لا تعصرها ثم دفعها اليها فلما اخذتها اذا هي مملوءة فاتت النبي
صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله نزل بي شيء فقال ما ذاك يا ام مالك قالت رددت
على هديتي فدعا بلال وساله عن ذلك فقال والذي بعثك بالحق لقد عصرتها حتى استحييت
فقال هنيئا لك يا ام مالك هذه بركة عجل الله ثوابها ثم علمها ان تقول دبر كل صلاة سبحان الله
عشرا والحمد لله عشرا والله اكبر عشرا وهذا صريح في ان ما ذكر كان بركة لا معجزة بلا خطئه صلى
الله عليه وسلم كما قيل فتدبر **و** في حديث رواه البيهقي انه صلى الله عليه وسلم **كان يتفل** بفتح
المثناة التحتية وسكون التاء المثناة الفوقية وضم الفاء وكسرها والتفل البصاق وخصه
البيهقي بيوم عاشوراء **في افواه الصبيان** وافواه جمع فم باعتبار اصله لان اصله فوه فاعلم
والصبيان جمع صبي والمراد به الصغار الذين يرضعون ولذا قال **المراضيع** بزنة مساجد
جمع مرضع بفتح الضاد اسم مفعول من الرضاعة وهي مص الثدي لا جمع رضيع بمعنى مرضع كما
قيل فان فعيلا لا يجمع على مفاعل وادعا انه على خلاف لا حاجة اليه وفي بعض النسخ مراضيع
بزيادة الياء فان صحت رواية فهو على خلاف القياس كما قيل في جمع خاتم خواتيم الا ان ابن عصفور

قال ابن

قال انه شاذ وادعا بعضهم انه ضرورة لا يصح فانه ورد في الحديث الاعمال بخواتيمها
وما قيل ان تقديم هذا الكلام صبيان المراضيع وهذه الامهات خطا القصور الا ان وقع له
رواية صبيان المراضيع بالاضافة ولم نجده في شيء من النسخ **فيجزيهم** بضم المثناة التحتية
وسكون الجيم وكسر الزاي المعجمة وهمزة اي يكفيهم واهل الاصول فسروا الاجزاء بالصحة
وفي المحصول وشروحه كلام في الفرق بين الاجزاء والصحة **ريقه الى الليل** فيكفيهم عن
الرضاعة النهار كله ببركته فتقوم المصة منه مقام لبن الام الكثير **ومن ذلك** اي من كراماته
ما رواه البيهقي **بركة يده فيما لمسه** اللمس قريب من المس وهو وضع اليد على الشيء فقوله
بيده تاكيد او تجريد كنظرته بعيني والبركة الزيادة المعنوية والحسية كما تقدم **وغرسه**
الغرس وضع اصول الشجر في الارض لتنمو وفي نسخة او غرسه فهو شك من الراوي
لسلمان اي لاجله كما ياتي وسلمان هو ابو عبد الله الفارسي مولى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو من قرية يقال لها جي من قرى اصبهان او رام هرمز ولم يتخلف عن رسول الله بعد ما
اعتقه وكان من علماء الصحابة وزهادهم المعمرين وكان يعمل الخوص وياكل منه مع ان عطاه
من بيت المال خمسة الاف كان اذا اخذها تصدق بها قال النووي اتفقوا على انه عاش ما بين
وخمسين سنة وقيل ثلثمائة وخمسين سنة وتوفي بالمدائن ودفن بها سنة خمس وست وثلاثين
وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الجنة تشتاق له وكان مولاه قبل رسول الله من اليهود فاشتراه
رسول الله منه وقصته مشهورة **حين كاتبه مواليه** من اليهود وهذا ينافي ما قاله البرهان
انه صلى الله عليه وسلم اشتراه وجمع الموالي ولم يكن له الا مولى واحد تجوزا وقيل انه على
ظاهره لانه ورد انه اشتراه من قوم من اليهود وفيه نظر والمولى هنا السيد وهو مشترك
بينه وبين العبد وله معان اخر والكتابة معلومة مفصلة في كتب الفقه **على ثلاثمائة**
ودية بفتح الواو وكسر الدال المهملة وياء مثناة تحتية مشددة قبل الهاء وهي صغار النخل
يغرسها لهم كلها تعلق بفتح التاء الفوقية وسكون العين المهملة وفتح اللام ثم قاف اي
تنبت بعد غرسها ويتم غراسها من علقت المراة اذا حبلت وقال بعض الشراح توكل ثمرتها
من علق يعلق كعلم يعلم وقيل تدرك وتضم لامه كيكتب فهو مثلث من بابين والمراد الاكل هنا
وهو الظاهر وجملة تعلق بدل مما قبلها وقوله **وتطعم** اي يوجد فيها ما يوكل من ثمرها يؤيد
ان المراد بما قبله تدرك وان جاز ان يكون عطف تفسير وهو بوزن تكرم **وعلى اربعين اوقية**
بضم الهمزة وتشديد الياء ويقال وقية ايضا بفتح الواو وقال السعد في شرح الكشاف
الاوقية افعولة واصلها اوقويه فاعلت او تفعلية من الاوق وهو الثقل والمراد اربعون
درهما كما في كتب اللغة وعند الاطباء وهو المتعارف الان انها عشرة دراهم وخمسة اسباع
درهم وقال الزمخشري انها اثنان واربعون درهما انتهى وقيل انها سبعة مثاقيل **من ذهب**
بيان للاوقية وانها ليست من فضة والوقية في حديث رواه الشيخان فقول بعضهم انها
عامية كما في النهاية لا وجه له الا ان يريد انها المشهورة بين العوام فلا ينافي تصحيح اهل
اللغة لها كما في القاموس وغيره والنش بفتح النون وتشديد الشين المعجمة عشرون درهما
فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من مجلسه الى محل عين لغراسها **وغرسها له بيده**
الا واحدة منها غرسها غيره قيل هو عمر بن الخطاب كما رواه ابن عبد البر وقيل انه سلمان
ووفق بينهما بانهما غرساها معا وان كل واحد منهما غرس واحدة **فاخذت كلها** الا الاخذ بمعنى

طلعت وادركت فهو مجاز كانها اخذت من الارض ما قامت به ونمت كما يدل عليه الكلام
الا تلك الواحدة التي غرسها غيره فقلعها من محلها وردها اي اعادها الى محلها فاخذت
اي نبتت وادركت ببركة يده الشريفة ومسها وهو من معجزاته الباهرة وقوله الا الواحدة يدل
على بطلان التوفيق بانهما غرس كل واحد منهما ودية وفي بعض السير انه غرسها كلها من غير
ذكر الواحدة فينبغي ان يحمل على القصة اجمالا فانه غرس تلك الواحدة بعد ذلك فلا منافاة بينهما
وفي كتاب البزار بموحدة وزاي معجمة والف وراء نسبة لعمل بزر الكتان زيتا عند البغداديين
وهو الحافظ المشهور فاطعم النخل اي اثمر ذلك النخل الذي غرسه من عامه اي في سنته
التي غرس فيها ومن ابتدائيه الا الواحدة فقلعها وغرسها فاطعمت من عامها واضافة العام
لها حقيقية لوقوع الغراس فيه واعطاه اي اعطى رسول الله سلمان مما كوتب عليه مثل
بيضة الدجاجة اي قدرها حجما لا وزنا كما قيل من ذهب جاءه من الغنايم بعدما ادارها
على لسانه لتحصل فيها بركته ولا حاجة الى ان يقال انه دعا بالبركة فيها ولم يسم فانه لا يقال
مثله بالراي فوزن سلمان منها للموالية اي لمن كاتبه كما مر اوقية وبقي عنده مثل ما اعطاهم
وهي اربعون اخرى وكانت في راي العين دون ما كوتب عليه من الذهب لكنها زادت وزنا
ورجحت ببركته وهو من نمو الاعيان قيل يجوز ان يكون فاعل وزن النبي وكذا بقي وبقي بكسر
القاف مخففة ويجوز فتحها مشددة وقصة سلمان طويلة مفصلة في السير وحاصلها
انه كان مجوسيا وهي قرية بفارس كان ابوه رئيسها وهو ممن يعبد النار فمر برهبان في كنيسة
يصلون ويتعبدون فاعجبه امرهم وقال هذا خير من ديننا فلما اخبر اباه بذلك نقم عليه وقيده
مخافة ان يتبعهم فارسل اليهم يقول اذا كان عندكم من يذهب الى الشام اخبروني به وكانوا
قالوا له ان ديننا هذا بالشام فاخبروه فكسر قيده وذهب معهم وجاء الشام ودخل كنيسة
فيها قسيس فتعبد بها الى ان مات فذهب لآخر بعمورية ثم لآخر بالموصل ومكث عنده فمرض
فاشرف على الموت فقال له ان مت ما افعل قال ان ديننا هذا قديم وقد دنا زمن نبي على الحنيفية
يظهر بارض النخل فساله عن علامته فقال خاتم النبوة ولا ياكل الصدقة وياكل من الهدية فمر به
قوم من كلب وكان له بقرات وغنيمات كسبها من عمله فاعطاها لهم على ان يحملوه الى ارض العرب
فغدروا به واسروه وباعوه من يهودي وقيل ابتاعته امراة والاصح الاول فكان يخدمه
حتى قدم رسول الله المدينة فبينما هو على نخلة وسيده تحتها اذا برجل جاءه وقال هل سمعت
ما فعله الانصار قدم عليهم رجل من مكة وهو معهم بقبا الآن فلما سمع ما قاله عراه انتفاض
كالحمى ونزل يسال الرجل عما قاله فنهره سيده فاضمر مقالته ثم ذهب بتمرات من نخل سيده
فلما راى العلامات المذكورة وكاتبهم على ما ذكره المصنف فان قلت قد ورد في الحديث
انه مولى رسول الله وقال سلمان منا اهل البيت فكيف يكون هذا وهو مكاتب وكيف اكل مما
اتى به والعبد لا يملك شيئا قلت اجابوا عنه بوجوه منها انه ورد انه اشتراه منه مما
ذكر وعلى هذا فلا اشكال ومنها انه علم انه لم يمسه الرق كما مر وانما باعوه ظلما وغصبا ولو
سلم فهو مولى مولاه لا مولى رق ولذا قبل ما اهداه لانه آجره له واذن له سيده في دفعه
لمن يريد وفي حديث حنش بفتح الحاء المهملة والنون وشين معجمة وحنش هو ابن عقيل
بفتح العين وكسر القاف وليس بمصغر وهو صحابي ترجمته في الاستيعاب وغيره وهذا
الحديث رواه بطوله قاسم بن ثابت في الدلايل عن المسور بن مخرمة سقاني رسول الله شربة

من سويق بالسين وقد تبدل صادا وهو قمح يقلى ويطحن ثم يعجن في ماء ونحوه من
من المايعات وشرب فهو طعام وشراب وشربة بفتح الشين المرة من المشروب وليس بضم
الشين كما قيل فهو مفعول به لا مفعول مطلق كما قيل شرب صلى الله عليه وسلم اولها وشربت
آخرها يعني انه شرب منها لتحصل البركة فيها ثم ناوله الاناء فشرب بقيته فما برحت اي
لم ازل بعد ما شربت سؤره اجد شبعها اي يحصل عندي الشبع بزنة العنب وهو معروف اذا
جعت اي اذا جاء وقت الجوع والحاجة الى الطعام وريها بكسر الراء وهو برد يحصل في الجوف
من الماء ونحوه يغني عن الماء اذا عطشت اي جاء وقت الحاجة الى الشرب والضمير ان للشربة اذا
ظمئت بزنة علمت بهمزة بعد الميم ويجوز ابدالها وهو من الظما وهو العطش فغاير بينهما في
العبارة تفننا اي لم يفارق بعد شربها الشبع والري ببركة سؤره وفي حديث صحيح رواه احمد
في مسنده عن ابي سعيد انه صلى الله عليه وسلم اعطى قتادة ابن النعمان ابن زيد ويكنى ابا
عمر وهو صحابي مشهور توفي سنة ثلاث وعشرين وصلى عليه عمر وهو الذي ردت عينه
كما تقدم وهو من الانصار وصلى معه العشا جملة حالية بتقدير قد اي وقد صلى مع رسول
الله العشا في ليلة مظلمة مطيرة اي ذات ظلمة من ظلمة الليل والسحاب المطبق بالمطر
وهو متعلق باعطى عرجونا بضم العين وسكون الراء المهملتين وضم الجيم كعنقود ويكسر
ويفتح كفردوس وبهما قرئ وهو فعلول من الانعراج وهو الانعطاف وهو عذق يكون
فيه الشماريخ مطلقا او اذا يبس واعوج وقال صلى الله عليه وسلم لقتادة انطلق به
اي خذ العرجون واذهب لمنزلك فانه سيضيء من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا
اي مقدار عشرة اذرع في طريقك حتى تبصرها وليست العشرة من الاشبار كما قيل فاذا
دخلت بيتك فسترى سوادا وهو ضد البياض والمراد جسم اسود والسواد يطلق على
الجنة والشخص وفي نوشنوعوي الايمان للبارزي انه كان هيئة قنفذ فاذا رايته فاضربه
حتى يخرج من البيت فانه اي السواد المرئي الشيطان تصور بهذه الصورة فانطلق قتادة
واضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج من بيته كما
اخبر به قيل ما ذكره المصنف رواية بالمعنى فان لفظ الحديث كما رواه ابو سعيد الخدري
ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج ذات ليلة لصلاة العشا وهاجت السما والظلمة وبرقت
فراى رسول الله قتادة فقال له قتادة نعم يا رسول الله علمت ان شاهد الصلاة قليل فاحببت
ان اشهدها فقال اذا انصرفت فاتني فلما انصرف اعطاه عرجونا وقال خذه فسيضيء
امامك عشرا وخلفك عشرا الحديث ويضيء جاء متعديا فعشرا مفعوله لا زمانا فهو منصوب
على الظرفية والشيطان المراد به واحد من الجن المردة او ابليس بعينه ومنها اي من كراماته
في قلب الاعيان ما رواه البيهقي في حديث مسند وهو دفعه لعكاشة ابن محصن
الصحابي المشهور وهو بضم العين وتخفيف الكاف وتشديدها وشين معجمة علم منقول
واصله العنكبوت او بيته وهذه القصة وقعت له وهو ببدر مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم والدفع اصل معناه الازاحة باليد والمنع ويطلق على الاعطا والتسليم كما يقال
دفع له المال جذل حطب بجيم مكسورة وذال معجمة ساكنة ولام وقد تفتح جيمه وهو عود
غليظ او اصل من اصول الشجر ومنه المثل انا جذيلها المحكك وهو عمود ينصب لتحتك
به الابل الجربي فاستعير لمن يرجع لرايه ويستشفي بصرايته في المهمات والحطب ما يبس

من اغصان الشجر وهو معروف وهو الذي قال له رسول الله سبقك بها عكاشة وقد كان قال
يدخل الجنة سبعون الفا بغير حساب وهم الذين لا يرقون ولا يسترقون فقال عكاشة ادع
الله ان يجعلني منهم فقال جعلك الله منهم ثم قام اخر فقال مثل ما قال فقال سبقك بها عكاشة قال ابن
ابن عبد البر الثاني كان من المنافقين ورده السهيلي بانه ورد في رواية فقام رجل من خيار المهاجرين
وايضا ورد انما قاله لئلا يتسلسل ولعل الساعة الاولى كانت ساعة اجابة انقضت اولانه عرف لو دعا
له استرسل وطال وعم مثله الناس وهو مما يكتم **وقال اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر**
اي في وقعة بدر كما مر في اطلاق اليوم على مثله **فعاد** اي صار لان عاد يكون بمعنى رجع وليس
مناسبا هنا وبمعنى صار كما فصل في محله **في يده سيفا صارما** اي قاطعا ومنه الصرم وهو
الهجر والقطيعة **طويل القامة** اي طويلا مستقيما **ابيض اللون شديد المتن** اي اقوى الجرم
صلبا من المتانة وهي القوة ولذا سمي الظهر متنا لقوته واشتداد الاعضاء وقوامها به **فقاتل**
به ببدر حتى انقضت **ثم لم يزل السيف عنده** اي في ملكه وتصرفه والعند للحضرة ويراد به
معان اخر منها هذا **يشهد** اي يحضر **به المواقف** اي محال قتال الكفرة **الى ان استشهد في قتال**
اهل الردة واستشهد بمعنى صار شهيدا وقيل معناه طلب الله منه الشهادة في خلافة ابي بكر وهو
مشهور **وكان هذا السيف يقال له العون** سمي بهذا المصدر مبالغة لاعانته على الاعداء
وكان من عادة العرب واهل الصدر الاول انهم يسمون آلات حربهم وخيولهم باسماء كالاناس
ودفعه مصدر مرفوع مبتدا خبره مقدر اي من كراماته دفعه وهو معطوف على دفعه السابق
بلا تقدير وهو الاولى وقوله الى ان استشهد الخ غاية لبقائه في يده دل بناؤه بقاؤه عند اهله
بعده كما توهم **لعبد الرحمن بن جحش** وهو ابن عمته اميمة بنت عبد المطلب وهو من المهاجرين
بالهجرتين ويسمى المجدع لانه استشهد باحد ومثل بقطع انفه واذنه لانه طلب ذلك من الله
وقصته مذكورة في السير ورواها البيهقي في مسنده **يوم احد** اي في وقعة احد المشهورة
وقد ذهب سيفه جملة حالية او معترضة **فاعطاه** صلى الله عليه وسلم **عسيب نخل** عسيب
بوزن كريم بعين وسين مهملتين وباء موحدة قيل هي جريدة لا خوص عليها والصواب ما في الصحاح
من انه من السعف عليه ما فوق الكرب لم ينبت عليه خوص كعسيب الذنبة **فرجع** اي صار العسيب
وهو احد معنيي الرجوع ويكون لازما ومتعديا **سيفا** مفعول رجع قال ابن عبد البر في الاستيعاب
انقطع سيف عبد الله بن جحش يوم احد فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عرجون نخلة فصار
في يده سيفا يقال ان قائمه كان منه فبقي الى ان بيع من بغا التركي بمائتي دينار وكذا ذكره ابن
سيد الناس وغيره وهذه الرواية تدل على ان العسيب اصل العرجون لا الجريد كما قيل قيل وهذه اعظم
من معجزة موسى في عصاه لانها بقيت بعده وعصا موسى لم تبق بعد موته وقد وقعت مرارا في عصي
متعددة وتلك عصا واحدة وفي سيرة ابن سيد الناس مثله لسلمة بن اسلم يوم بدر **ومنه** اي
ومن هذا النوع من الكرامات والبركات **بركته** صلى الله عليه وسلم **في درور الشاة** درور بدال
وراء مهملتين مصدر درت الشاة ونحوها درورا اسال لبنها من ضرعها بكثرة والدر اللبن ومنه
لله دره ثم شاع في معنى الخير والنفع والشاة من الغنم واصلها شوهة فاعلت وتطلق على ما يشمل
المعز مجازا **والشياه** بزنة الرجال جمع شاة **الحوائل** وهي التي لم تحمل مطلقا او ما حمل عليها فلم
تحمل وقيل ما لم تحمل سنة او سنتين وقيل انها جمع حول جمع حائل جمع الجمع ووصفها بذلك لانها ابعد
من الدر **باللبن الكثير** ذكره للايضاح والتاكيد واراد بالدرور مطلق الخروج على طريق التجريد

والمجان

والمجان المرسل **لقصة شاة ام معبد** عاتكة بنت خالد الخزاعي اخت حبيش الصحابي المعروف
بالاشعر وابو معبد اسلم ومات في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وله رواية وقال السهيلي انه
لا يعرف اسمه وقيل اسمه حبيش وقيل اكثم بن ابي الجون ومنزله بقديد وقصة ام معبد مشهورة وتقدم
الاشارة اليها وافردها الحافظ العلائي بالتاليف وكان صلى الله عليه وسلم مر على خيامها وهو مهاجر
للمدينة فنزل عندها وطلب منها زادا فقالت ما عندي غير شاة عجفا لا لبن فيها فمسح ضرعها فدرت
ما كفاه ومن معه وبقي في الاناء منه بقية فلما جاء زوجها اخبرته بخبره ووصفته فعرفه ثم قدمت
عليه المدينة بولد صغير لها واسلمت كما بيناه سابقا وتفصيله في السيرة وشرحها وهو مشهور ولا
حاجة لذكره هنا **و**منها قصة **اعنز** جمع عنز **معاوية بن ثور** بن عبادة بن البكاء العين بن البكا
والد بشر وقصته رواها ابن سعد وابن شاهين عن الجعد بن عبد الله وفي نسخة العزفي انه معونة
بعين مضمومة ونون وصححه ولم يذكره الحافظ الحلبي ونقل خلافه عن الذهبي وكان وفد على النبي
صلى الله عليه وسلم وهو شيخ كبير ومعه ولده بشر ومعه الضحيم بن البكا والاصم بن كعب
فقالت يا نبي الله بابي انت وامي امسح على وجه ابني فمسحه واعطاه اعنزا سبعا ودعا لها بالبركة
قال الجعد وكانت السنة ذات قحط وغلا اصاب بني البكا فاصابتهم بركته ونمت الاعنز وكتب
له كتابا هو عند بني بشر المذكور وفيه قصة الاعنز وفي ذلك يقول بشر

وانا الذي مسح الرسول براسه • ودعا له بالخير والبركات

وشاة انس وقصتها كقصة شاة ام معبد الا ان الشراح لم يذكروها ولم يذكرها السيوطي في
تخريجه ايضا لعدم الوقوف عليها **وغنم حليمة مرضعته** صلى الله عليه وسلم اي قصة غنمها
التي رواها ابو يعلى والطبراني وغيرهما باسناد حسن لما حملته صلى الله عليه وسلم لترضعه في
سنة كان فيها قحط اصاب قومها وقل النبات فيها فكان غنمها تاتي من المرعى وقد رعت كثيرا ودر
لبنها وغنم قومها تاتي عجافا جافة الضروع فيتعجبون منها وما ذاك الا ببركته وبمن قد مسه
وحليمة بنت عبد الله بن الحارث السعدية وزوجها الحارث بن عبد العزى وقد اسلمت هي وزوجها
واولادها كما تقدم ومرضعته بالجر بدل من حليمة **وشارفها** بالجر عطف على غنم والشارف الناقة المسنة
الهرمة وقيل انها تشمل الذكر والانثى والمعز والمراد الاول وكانت خرجت من بلدها مع زوجها وابن
رضيع لها ومعهم شارف ليس في ضرعها قطرة لبن فكانوا لا ينامون من الجوع فلما اخذت النبي لترضعه
قام زوجها فوجد شارفه حافلة باللبن فحلب منها ما شربوا كلهم وشبعوا وباتوا بخير ليلة فقال لحليمة
انه نسمة فقالت والله اني ارجو بركته الى اخر القصة **وشاة عبد الله بن مسعود** التي روى
قصتها البيهقي وابن مسعود من كبار المهاجرين السابقين وترجمته تقدمت وكان هو غلام يرعى
غنما لعقبة بن ابي معيط فمر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر فقال له هل عندك لبن
قال نعم لكني مؤتمن فقال ايتني بشاة لم ينز عليها فحل فاتيته بجذعة فاعتقلها ومسح ضرعها ودعا
الله واتاه ابو بكر بصحفة فحلب فيها وقال لابي بكر اشرب ثم قال للضرع اقلص فعاد كما كان وكان هذا
سبب اسلامه **وكانت لم ينز عليها فحل** نزا الذكر على الانثى اذا علاها لينكحها وانزاه غيره وهو مخصوص
بالبهائم والسباع والفحل ويصح ضم اوله وفتح آخره بالبناء للمجهول وهو مبالغة في عدم اللبن بنفي
اللزوم لانه اذا نزا عليها حملت ثم ولدت ثم يدر لبنها **وشاة المقداد** بالجر اي قصتها
التي رواها مسلم والبيهقي وهو ابن الاسود بن عبد يغوث الصحابي المشهور وقصته انه قال
كنت انا وصاحبان لي قد بلغ الجوع منا الجهد فعرضنا انفسنا على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

فلم يصلنا احد فاتينا النبي فانطلق بنا الى اهله فاذا ثلاثة اعنز فقال احتلبوا منها اللبن
بيننا فكنا نحلب ونشرب منا كل نصيبه ونرفع للنبي نصيبه فيجي من الليل ونسيته فوقع في
نفسي ذات ليلة انه صلى الله عليه وسلم ياتيه الانصار لحاجتهم لهذه الجرعة فشربتها ثم ندمت
خشية انه اذا لم يجدها يدعو علي فاهلك فلم انم وقد نام صاحباي فجاء صلى الله عليه وسلم كعادته
ليكشف الانا فلم يجد شيا ورفع بصره الى السما فقلت الآن يدعو علي فقال اللهم اطعم من اطعمني
واسق من سقاني فاخذت الشفرة وانطلقت الى الاعنز لاذبح ما سمن منها فاذا هن حفل كلها فحلبت
انا حتى علت رغوته وجيت اليه به فشرب ثم ناولني فلما علمت انه روي واصبت دعوته ضحكت
حتى استلقيت فقال صلى الله عليه وسلم احدى سوءاتك يا مقداد يعني انك فعلت سوءة فما هي فقلت
يا رسول الله كان مني كذا وكذا فقال ما هذه الا رحمة من الله لو كنت ايقظت صاحبيك فاصابا منها
فقلت والذي بعثك بالحق ما ابالي اذا اصبتها واصبت فضلك من اخطات من الناس ومن ذلك
اي ومن كراماته وبركاته كما رواه ابن سعد عن سالم بن ابي الجعد مرسلا تزويده اصحابه اي
اعطاهم ما يتزودون به اي يكون زادا والزاد يشمل الماء والطعام والمراد الاول لقوله سقا
ماء السقا ككسا جلد كالقربة يوضع فيه الماء واللبن ونحوه وضمن تزود معنى اعطا ولذا نصب
السقا او هو على التنسح وقوله سقا ما المراد سقا فيه ما كما يشهد له ما بعده بعد ان اوكاه اي
شده بالوكاء وهو ما يربط به القربة ونحوها ودعا فيه اي دعا في شانه وامره وبسببه وبعد
متعلق بتزويد فلما حضرتهم الصلاة اي دخل وقتها حتى كانها جاتهم وهذا يقتضي انه كان
ما يصلح للوضوء نزلوا فحلوه اي حلوا وكاه ليستعملوا ماه فاذا هو لبن اي فجاهم كونه لبنا بعد
بعدما كان ماء وهذا من قلب الاعيان ببركته صلى الله عليه وسلم وزبدة بتاء الوحدة او بالاضافة
لضمير اللبن او للسقا باذني ملابسة في فمه اي في فم السقا والزبد دليل على خلوص لبنه
وجودته وانما اوكاه لئلا يتوهم ان اللبن وضع فيه ويبدل لمن لم يكن معه وفي نسخة فمهما لا فحلاه
بضمير التثنية لوطبين كان السقا معهما وهذا الحديث من رواية حماد بن سلمة بن دينار الامام
ابو سلمة احد الاعلام وله ترجمة في الميزان كما تقدم وذكر انه من روايته على خلاف المعتاد من اسلوب
في عمره قيل بيانا لشان هذا الحديث حيث رواه مثل هذا الامام الثقة العابد الزاهد الذي
كان مجاب الدعوة معدودا من الابدال وسلم ممن اجله وروى عنه المغاربة والمصنف من اجلهم بشرط
ان مسلم فلا يتقدون بمن غض منه وقال ان البخاري لم يرو عنه الا على طريق الاستشهاد وهذا
من قلة الانصاف وسلمة بفتحتين كما مر ومسح على راس عمير بن سعد اي امر يده على راسه
قال الحافظ البرهان الحلبي كذا في نسخ من الكتاب وفي بعضها عمر بن سعد بلا تصغير وهو ابو
كبشة الانصاري الصحابي وعمر من الصحابة ايضا ولا اعرف من جرت له هذه القصة منهما وقال
السيوطي ان الذي رواه الزبير بن بكار في اخبار المدينة عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد انه
عبادة لا عمير ولعل ذلك واقعتان وفي نسخة التلمساني عمير بن سعد قال انه ابو يحيى النخعي
الكوفي مات سنة خمس عشرة ومائة وبرك بالتشديد اي دعا له بالبركة في عمره وصحته فمات
وهو ابن ثمانين اي وقد بلغ سنة الثمانين فجعله ابنها مجازا وشله مشهور يجعلون الدهر كالاب
والام كما يقال الليالي حبالى قال

تمخضت المنون له بيوم • اتى ولكل حاملة تمام

فما شاب اي ببركة مسح يده لم يشب راسه وشعره ولم يهرم فنفي الهرم بنفي الشيب لانه من لوازمه

وروي

وروي بالبنا للمجهول نايب فاعله مثل هذه القصص من بركاته عن غير واحد اي عن كثير
فنفي الوحدة كناية عن الكثرة منهم السايب بن يزيد بن سعيد بن ثمامة بن الاسود ومدلوك
بفتح الميم وسكون الدال المهملة وضم اللام وواو وتليها كاف وهو ابو سفيان الفزاري له وفادة
على رسول الله واسلم مع مواليه وعلق البخاري حديثه في غير الصحيح وذكره ابن حبان فقال
مدلوك ابو سفيان كان يسكن الشام واتى النبي صلى الله عليه وسلم فمسح براسه فكان ما مسته
يده اسود وساير راسه ابيض انتهى وفيه تفضيل عدم الشيب وان كان الشيب وقارا لان مدحه
لدلالته على الصحة كما مر ولكل شي جهة مدح وجهة ذم وقد افرد ذلك الثعالبي بكتاب سماه
مدح الشي وذمه وروى الطبراني والبيهقي انه كان يوجد اي كان موجودا عنه والمضارع
لحكاية الحال الماضية لعتبة بن فرقد وهو ابو عبد الله عتبة بن فرقد بن يربوع السلمي
الصحابي شهد خيبر وابتنى بالموصل دارا ومسجدا وابنه عمرو عد من الاولياء وسكن عتبة الكوفة
ويقال لاولاده الفراقدة وولي الموصل طيب نايب فاعل يوجد والمراد بالطيب الرايحة الطيبة
وقيل انه بتقدير مضاف اي رايحة طيب يشم من جسده ويفوح في مجلسه يغلب طيب نسايه
اصل معنى الغلبة القهر والاستيلاء فاستعير للزيادة والقوة كما ورد غلبت رحمتي غضبي وورد
سبقت فالمراد ان رايحته تزيد على رايحة غيره حتى لا يظهر عندها فانه روي كما في الدلايل
والاستيعاب عن زوجته ام عاصم انها قالت كنا عنده ثلاث نسوة ما منا واحدة الا وهي تجتهد
في الطيب لتكون اطيب ريحا من صاحبتها وعتبة لا يمس طيبا فكان اطيب منا ريحا فقلت له في
ذلك فقال اصابني الشرا على عهده صلى الله عليه وسلم فاقعدني بين يديه وتجردت من ثيابي
فتفل في كفه ودلك الاخرى ثم امرهما على ظهري وبطني فعبق بي ما ترون والبه انا ريقو
لان رسول الله مسح بيده على ظهره وبطنه وهو متعلق وتعليل لقوله يغلب وسلت الدم
اي مسح وجهه بيده متكيا عليه حتى اخرج ما عليه من الدم وهذا معنى السلت وغيض باخراج
المايع والرطب الملتصق بشي آخر يقال سلت القصعة اذا امر اصابعه على جوانبها لتنظف
كما في الجوهري وهو معنى معروف فلا وجه لما قيل انه من سلت الدم اذا قطعه وجه عايذ
بن عمرو عايذ بعين مهملة وذال معجمة اسم فاعل من العوذ سمي به وهو عايذ بن عمرو بن هلال
المزني الصالح الصحابي من اصحاب الشجرة وهو مزني وحديثه هذا رواه عنه الطبراني وكان
عايذ جرح يوم حنين اي في وقعته التي وقعت مع هوازن سنة ثمان من الهجرة كما فصل
في السير وحنين اسم موضع قريب من الطايف بينه وبين مكة ثلاثة اميال سمي باسم حنين
بن مهلاييل لنزوله به وحمله وكان ذلك حاليه ودعا له لجهاده في سبيل الله فكانت له غرة
بيضا منيرة كغرة الفرس من اثر يده لما مسح يده على وجهه والغرة بياض منتشر طولا وعرضا
في وجه فان قلت سميت قرحة وليس فيه مثلة كما توهم فانه كبياض يد موسى والفرق بينه وبين
البرص ظاهر وفي نسخة ولا كغرة الفرس اي لا يشبه غرة لما فيه من النور وليس كالوضح في
البدن وذكر ابن الكلبي انه مسح على راس قيس بن زيد وهو صحابي له وفادة على رسول
الله وكان سيد قومه وفي بعض النسخ يزيد بيا في اوله وابوه يسمى عامرا الجذامي نسبة لجذام
كغراب قبيلة مشهورة ودعا له فهلك اي مات والهلاك والموت بمعنى وقد يخص الهلاك
بموت من غير مرض لكنه ليس بمعنى وضعيا ابن مائة سنة وراسه ابيض لشيبه وموضع
كف النبي وما مرت عليه يده اسود لم يشب ببركته صلى الله عليه وسلم وكان يدعى الاغر

كان يسمى بالاعز لما في وجهه من النور تقول دعوت ابني محرزا اذا سميته به وروي
بالبنا للمجهول والذي رواه البيهقي مثل هذه الحكاية في مسحه براسه وبقا اثره في
وجهه وموته كما مات قيس على احسن حاله لعمرو بن ثعلبة الجهني وثعلبة هو وهب بن عدي
بن مالك البخاري الزهري والجهني منسوب لجهينة وهي قبيلة مشهورة وقصته كما في دلايل
البيهقي قال لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيالة فاسلمت ومسح على وجهي ومات عمرو
وقد اتت عليه مايه سنة وما شاب منه شعرة مستها يد رسول الله من وجهه وراسه وسياله بوزن
سحابه وسين مهملة ولام موضع قريب من المدينة ومسح على وجه آخر قال البرهان لا اعرفه
وقيل لعله خزعة بن سوا بن الحارث لانه روي انه مسح على وجهه فصارت له غرة بيضا وقيل
له ابن طلحة من ام سليم فانه روي انه مسح بناصيته فكان كغرة فما زال على وجهه نور من آثار
انواره ومسح وجه قتادة بن ملحان بكسر الميم ويجوز فيه الصرف وعدمه وقتادة هذا
قيسي صحابي له رواية وترجمة فكان لوجهه بريق اي لمعان وصفا بشرة من اثر مرور يده
عليه حتى كان ينظر بالبنا للمجهول في وجهه اي يقابل وجهه بوجهه ليرى الناظر صورة وجهه
فيه لشدة صفا بشرته كما ينظر في المرآة بكسر الميم اسم آلة من الرؤية معروفة والظاهر انه
مبالغة في صفايه وحسنه وليس المراد حقيقته ووضع يده على راس حنظلة في حديث
رواه بطوله مسند البيهقي بن حذيم قال ابن ماكولا هو بكسر الحاء المهملة وسكون الذال
المعجمة وفتح المثناة التحتية وميم وقال حنيفة بن حذيم له صحبة وكذا قال الذهبي
في المشتبه والتجريد وقال حنيفة والد حذيم ولهما صحبة وحنظلة ابنه وذكر حذيما فقال حذيم
بن حنيفة بن حذيم الحنفي والد لهصحبة فيما قيل ولابنه وابن ابنه صحبة وفيه خلاف انتهى
فعلم منه انهم اربعة كلهم صحابيون وقال ابن الجوزي لا نعلم اربعة ادركوه صلى الله عليه
وسلم الا ابا قحافة وابنه ابا بكر وابنه عبد الرحمن وابنه محمد ويكنى ابا عتيق انتهى والصحيح ان
ابا عتيق تابعي وجزم عليه الذهبي في تجريده ولو قال عبد الله بن الزبير وامه اسما وابوها
ابو بكر وابوه ابو قحافة كان صوابا فانه لا خلاف في صحبتهم فحصل من مجموعه ثلاثة اشخاص ولهم
رابع ذكره العراقي في حاشية الغيبة وحنظلة مالكي وقيل حنفي وقيل سعدي هذا محصل ما
قاله البرهان وبرك عليه بالتشديد اي دعا له بالبركة وقال بارك الله فيك فكان
يوتى بصيغة المجهول اي ياتيه الناس بالرجل تعريفه للعهد الذهني المساوي للنكرة قد
ورم وجهه جملة حالية اي اصابه مرض ورم منه والشاة بالجر من المعز والضان قد ورم
ضرعها وهو كالثدي للانسان وهو معروف فيضع محل الورم من الوجه والضرع على موضع
يد النبي صلى الله عليه وسلم الذي مسه به فيذهب الورم الذي كان اصابه وروي ابن عبد
البر في الاستيعاب انه نضح نضح ينضح من باب ضرب يضرب بمعنى رشه بالماء ونحوه
في وجه زينب بنت ام سلمة بفتحتين علم منقول من اسم شجرة معروفة وام سلمة هي ام المومنين
وزينب بنتها ربيبة رسول الله واخت ابن الزبير من الرضاع نضحه اي رشه من ماء فما كان
يعرف في وجه امراة اي ما كان يروى وينظر في وجه احد من النسا او يعلم بالاخبار لمن
لم يرها من الجمال اي حسن الوجه ورونقه ما بها اي ما كان لها من ذلك ببركة الماء الذي
رشه صلى الله عليه وسلم في وجهها لان ذلك الماء كان مسه صلى الله عليه وسلم قال ابن عبد
البر في الاستيعاب دخلت زينب على رسول الله وهو يغتسل فنضح في وجهها ماء فلم يزل

ماء الشباب بوجهها حتى كبرت وعجزت وكانت عند عبد الله بن زمعة فولدت له وكانت
من افقه اهل زمانها واعقلهم واسم ام سلمة هند وقيل رملة وابوها حذيفة المعروف بزاد
الراكب وزينب ولدت بارض الحبشة فقدمت بها امها وكان اسمها برة فسماها رسول الله زينب
ومسح صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة المباركة على راس صبي واسم هذا الصبي لا يعرف
وكان ذلك الصبي به عاهة اي آفة ومرض مزمن والمراد انه كان اقرع فبرا برء تام ضد
واخره مهموز وانما برى بمعنى خلوص فمعتل اي زالت عاهته وشفا مما به فاستوى شعره
اي نبت وتم وحسن من قولهم استوت الثمرة اذا كملت والشعر معروف بفتح العين وسكونها وهذا
الحديث لم يخرجه السيوطي ولا غيره من الشراح ومسح صلى الله عليه وسلم على غير واحد اي على كثير
كما مر بيانه من الفتيان المرضي جمع مريض والمجانين فبراوا اي زال ما بهم من المرض والجنون
قيل هذا كله كان ينبغي ذكره في فصل ابراء المرضى وذوي العاهات ولكثرة فصوله متداخلة
ولكل وجهة لمن تدبر وعرف مقاصد المصنف وفي حديث لم يخرجوه انه صلى الله عليه وسلم اتاه
رجل به ادرة بضم الهمزة وسكون الدال المهملة وراء مهملة وهاء وهو انتفاخ في الخصيتين
معروف فامره ان ينضحها اي يرش على ادرته بماء من عين مج فيها اي تفل ريقه
فيها ففعل اي رش من ماءها على ادرته فبرا اي شفاه الله وزالت ادرته على الشرعة ببركة
وبركة الماء الذي خالطه ريقه وضمير فيها للعين عين الماء لانها مونثة وفي بعض النسخ
فيه بالتذكير والضمير للماء او للعين لتاويلها به والامر فيه سهل ويجوز في الادرة فتح
الهمزة مع سكون الدال وفتحها وقد قيل انها انفتاق فيها او في احد جانبيها وقد يكون بلحم
يزيد فيها او ريح كما تعرفه الاطبا وينضحها يجوز في ضاده الفتح والكسر وفي بعض
الحواشي ان الرجل اسمه المهلب بن قبالة بفتح القاف والبا الموحدة الخفيفة ولام وروي هلب
بن قنافة وهلب بضم الها وسكون اللام بزنة قفل وقنافة بضم القاف ونون مفتوحة مخففة وفا
قال ابن عبد البر هو الصواب ان لم يكونا شخصان وقال الطبري هو المهلب بن يزيد بن عدي بن قنا
بن عدي بن عبد شمس بن عوف الطائي وفد على رسول الله وبه قرع فمسح براسه ونبت شعره فسمي
المهلب لذلك وفي حديث روي عن طاووس بن كيسان اليماني ابو عبد الرحمن الامام المشهور وهو
من ابناء الفرس واسمه ذكوان فلقب بطاووس لانه طاووس القرى روى عن ابن عباس وغيرهما
وكان راسا في العلم والعمل توفي في سنة ست او خمس ومايه واخرج له الستة وهو ممن اتفق على جلالته
وعلمه حج اربعين حجة وصلى الصبح بوضوء العتمة اربعين سنة الى غير ذلك من مناقبه وهو من
اجل التابعين دفن بمكة رضي الله عنه لم يوت بالبنا للمجهول اي لم ياته احد باحد به مس سا
تفسيره فصك في صدره بصاد مهملة وكاف مشددة اي ضرب صدره بيده المباركة والصك
مطلق الضرب او اشده الا ذهب المس عنه وبري مما به وهذا الحديث موقوف على طاووس ولم يذكروا
من رواه عنه والجملة حالية تاتي بالواو وقد وبدونهما والمس الجنون والمس واللمس متقاربان
الا انه يكنى به عن الجنون قال تعالى كالذي يتخبطه الشيطان من المس لانه يقال على كل ما ينال الانسان
من الاذى كقولهم مستهم الباساء والضراء وروى احمد عن وايل بن حجر مسندا انه مج اي صب
من فيه في دلو فيه ماء اخرج من بير ثم صب فيها اي في البير الذي مج فيه ريقه ففاح منها
ريح المسك الريح هنا بمعنى الرايحة ويطلق في الاصل على نفس الهوا والمراد انه مثله في الطيب
وهو اتم منه واطيب ولكن جعل مشابه لشهرته وفي حديث مشهور رواه مسلم عن سلمة بن الاكوع انه

اخذ قبضة بفتح القاف وضمها من تراب اي ملء كفه من التراب يوم حنين اي وقعتها المشهورة في السير ورمى بها اي بترابها في وجوه الكفار فاصابتهم جميعهم وقال شاهت الوجوه جملة دعائية بمعنى قبحت وقبحها الله وهي من الشوهة والتشويه وهو القبح قيل قيل واول من تكلم به رسول الله وروى مثله يوم بدر كما في السير وهو سر اقترن الله عليه كما قال وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فان ايصال هذا المقدار اليسير الى اعين هؤلاء الجم الغفير من صنع الملك القدير فانصرفوا اي ولى الكفار حال كونهم يمسحون القذى بفتح القاف والذال المعجمة والف مقصورة وهو ما يقع في العين من التراب ويكون ايضا ما يقع في الماء المشروب ونحو مما يكون من عن اعينهم اي يخرجونه ويزيلونه منها لتاذيهم به وفي الحديث يرى احدكم القذاة في عين اخيه ويعمى عن الجذع في عينه وهو مثل يضرب لمن يرى عيوب الناس الصغيرة ولا يرى عيوبه الكبيرة وهو مثل تمثل به النبي صلى الله عليه وسلم ونظمه بعض المتاخرين فقال ⁂

واعجب للمرء مع علمه • ان لا يبالي عمره ساريه

ينظر في عين اخيه القذا • ولا يرى في عينه الساريه

وقوله فانصرفوا يعني انهزموا لما وصل التراب الى اعينهم وقال شاهت الوجوه وفيه معجزة عظيمة له صلى الله عليه وسلم وفي بعض النسخ انه صلى الله عليه وسلم ضرب صدر جرير بن عبد الله البجلي الصحابي رضي الله عنه وليس هو جرير الشاعر وخص الصدر لانه محل الرهبة والامن لانه مقر القلب ودعا له وكان جرير ذكر له صلى الله عليه وسلم انه لا يثبت على الخيل اي لا يقر على ظهورها لعدم فروسيته فصار جرير رضي الله عنه من افرس العرب اي اقواهم واثبتهم على ظهورها ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم له فالفاء فصيحة اي فدعا له فصار الى آخره ومسح صلى الله عليه وسلم راس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي المدني الصحابي وهو صغير وكان اتي به الى النبي صلى الله عليه وسلم فحنكه وكان دميما بالدال المهملة بمعنى حقير واما ذميم بالمعجمة بمعنى مذموم وليس مرادا هنا ودعا له بالبركة اي بالزيادة في خلقته وسائر اموره ففرع بفاء وراء وعين مهملتين الناس اي علاهم وفي نسخة الرجال بدله بمعنى زاد عليهم طولا اي في طول قامته وتماما بان تم سائر اعضائه وكمل الله خلقته ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم • والى هنا انتهى ما زيد في الاصل ونقل من خط المصنف وشكى اليه صلى الله عليه وسلم ابو هريرة الصحابي المشهور رضي الله عنه وقد قدمنا ترجمته النسيان فصل بكسر النون وهو ضد الحفظ والفرق بينه وبين السهو ان الثاني يتنبه صاحبه بادنى تنبيه والفرق بينه وبين الخطا انه صدور امر من غير قصد فامره صلى الله عليه وسلم ببسط ثوبه اي بان يضعه على الارض ويفرشه وغرف بيده فيه اي فعل فعلا شبيها بمن يغرف من شيء ما يضعه في آخر وضمير فيه للثوب ثم امره بعد ما غرف فيه بضمه اي ضم ثوبه على جسده ففعل اي ضمه عليه حتى كانه صار بينه ما غرفه له فما نسي بعد بالبناء على الضم اي لم ينس ابو هريرة شيئا مما كان يسمعه منه صلى الله عليه وسلم ومن غيره لما ناله من البركة قال ابو هريرة رضي الله عنه فما كان احد احفظ مني لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم الا ابن عمر رضي الله عنهما لتقدم اسلامه عليه ولانه كان يكتب وهذا الحديث رواه البخاري وفيه بدل الثوب الرداء ولا مخالفة بينهما لان المراد بالثوب الملبوس

مطلقا

مطلقا وان خص في العرف بالمخيط منه وما فعله صلى الله عليه وسلم من الغرف ونحوه تمثيل المعاني المحسوسة فجعل الحفظ كشيء عنده اغترف منه حتى ملا رداءه وضمه عليه حتى يختلط به ويسري من ظاهره لباطنه وهو صلى الله عليه وسلم كما فوض اليه التصرف في عالم الشهادة فوض اليه التصرف في غيره وهو سر دقيق لا يوقف عليه الا بالكشف والله اعلم ⁂

• فصل ومن ذلك •

اي من خصائصه صلى الله عليه وسلم وكراماته الباهرة ما اطلع عليه هو اما مبني للمجهول من الافعال اي اطلعه الله عليه او من الافتعال مبني للفاعل بتشديد الطاء من الغيوب بغين معجمة جمع غيب المصدر على خلاف القياس من غاب بمعنى استتر عن العين يقال غاب عني كذا ويستعمل في كل غائب عن الحاسة وما يغيب عن الانسان بمعنى الغائب والغيب بالنسبة لله لا للناس فانه لا يعزب عنه مثقال ذرة وقوله عالم الغيب والشهادة اي ما يغيب عنكم وما تشاهدونه وقوله يؤمنون بالغيب اي بما لا يقع تحت الحواس ولا تقتضيه بداهة العقول وانما يعلم باخبار الرسل عليهم الصلاة والسلام وما يكون في المستقبل وهو معطوف على الغيوب عطف الخاص على العام لان الغيب اما باعتبار انه موجود لم يطلع عليه غير الله او ما سيوجد فهو قبل وجوده والعلم به من المغيبات والاحاديث الواردة في هذا الباب اي في هذا النوع من كراماته صلى الله عليه وسلم في اخباره عن الغيب الذي اطلعه الله عليه فانه لا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول بحر تشبيه بليغ اي في كثرته كالبحر لا يدرك قعره بالبناء للمجهول والادراك الوصول وقعره قراره وارضه اي لا يصل احد الى نهايته ولا ينزف بمعجمة وفاء مبني للمفعول وللفاعل بزنة يضرب والنزف والنزح بمعنى اي لا ينفد ويفنى غمره بفتح الغين المعجمة وسكون الميم قبل راء مهملة وهو الماء الكثير جدا وهذه المعجزة في اطلاعه صلى الله عليه وسلم من جملة معجزاته اشارة الى كثرتها فهي البحر حدث عنه ولا حرج المعلومة للناس على طريق القطع بتحققها بحيث لا يمكن انكارها والتردد فيها لاحد من العقلاء وقوله المعلومة على القطع صفة للمعجزات والقطع بنوعها ومجموعها وكذا تواترها تواترا معنويا حاصلا من مجموعها بقطع النظر عن كل فرد فرد منها مما لا شبهة فيه كتواتر جود حاتم وهذا غير التواتر المصطلح عليه فانه جار في بعضها كالقرآن والى هذا اشار بقوله الواصل الينا خبرها جاريا على نهج التواتر المشهور لكثرة رواتها اي رواة مجموعها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب اي الامور المغيبة وهذا لا ينافي الآيات الدالة على انه لا يعلم الغيب الا الله وقوله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير فان المنفي علمه من غير واسطة واما اطلاعه عليه باعلام الله فامر متحقق لقوله تعالى فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول قال ابن عطاء الله في لطائف المنن اطلاع العبد على غيب من غيوب الله بنور منه بدليل اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله لا يستغرب وهو معنى قوله كنت بصره الذي يبصر به فمن كان الحق بصره اطلاعه على غيبه غير مستغرب وقال بعض العارفين قوله الا من ارتضى من رسول لا ينافي قول المرسي في تفسيرها الا من رسول او صديق او ولي ولا زيادة فيه على النص فان السلطان اذا قال لا يدخل علي اليوم الا الوزير لا ينافي دخول اتباع الوزير معه فكذلك الولي اذا اطلعه الله على غيبه لم ير بنور نفسه وانما رآه بنور متبوعه ولم يكلفنا الله الايمان بالغيب الا وقد فتح لنا باب غيبه والى هذا اشار الغزالي في اماليه

بيان للناس لا لله

عمها

ده

ير

ان يكون المراد

على الاحياء قال ويحتمل ان يراد بالرسول في الاية ملك الوحي الذي بواسطته تنكشف
الغيوب فيرسله للاعلام بمشافهة او القاء في روع او ضرب مثل في يقظة او منام ليطلع
من اراد وفايدة الاستثناء الاخبار على من رزقه الله ذلك واعلامه بانه لم يصل اليه بحوله وقوته
فلا يظهر على غيبه احدا من عباده الا على يدي رسول من ملايكته ارسله لمن فرغ قلبه لانصباب
انوار العلوم الغيبية في اوديته حتى يصل لاسرار الغيب المكنونة في خزاين الالوهية انتهى
فاعرفه فانه من المهمات واليه اشار القاضي في تفسيره وبقي ثمة اسرار لا تسمها الحروف ثم
انه بين ما اجمل حديث رواه ابو داود من حذيفة وعدل عما رواه الشيخان في طريقه التي
رواه منها من الزيادة فقال **حدثنا الامام ابو بكر محمد بن الوليد الفهري** المعروف **اجازة**
منه بروايته عنه **وقراءة على غيره** اشارة الى انه رواه من طرق متعددة قوية والقراءة والاجازة
طريقان اختلف في ايهما اقوى وقيل انهما متساويان وهو الظاهر **قال ابو بكر حدثنا ابو علي
التستري** علي بن محمد بن علي الامام المشهور احد رواة سنن ابي داود وتستر كجندب بلدة
معروفة وسينه مهملة واعجامها لحن **قال حدثنا ابو عمر الهاشمي** وهو القاسم بن جعفر بن
عبد الواحد **قال حدثنا اللؤلؤي** وهو ابو علي محمد بن احمد بن عمر السابق ترجمته قال حدثنا
ابو داود صاحب السنن المشهور كما تقدم **قال حدثنا عثمان بن ابي شيبة** بن محمد بن ابراهيم
ابو الحسن الكوفي الحافظ توفي سنة تسع وثلاثين ومايتين واخرج له اصحاب السنن
وغيرهم وترجمته في الميزان **قال حدثنا جرير** بن عبد الحميد الضبي صاحب المصنفات المشهورة
الثقة توفي سنة ثمان وثمانين ومايه واخرج له الستة وترجمته في الميزان وغيره **عن الاعمش**
هو سليمان بن مهران كما تقدم في ترجمته **عن ابي وايل** سفيان بن سلمة الاسدي المخضرم توفي
سنة اثنين وثمانين وهو من العلماء العاملين ثقة اخرج له الستة **عن حذيفة** ابن اليمان
الصحابي المشهور صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي اخبره بالفتن وما سيكون وروى
عنه احاديث كثيرة وكان عمر رضي الله عنه اذا لم يشهد حذيفة جنازة لا يشهدها هو لاطلاعه
على المنافقين توفي رضي الله عنه سنة ست وثلاثين بعد قتل عثمان وروى عنه لا تقوم
الساعة حتى يسود كل قبيلة منافقوها وحديثه الطويل في الفتن مشهور واليه اشار بقوله
قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم الضمير للصحابة والمراد به خطبهم تجوزا فعبر بالقيام
عن الخطبة لان الخطيب يخطب قايما اي قام ونحن عنده فالظرفية مجازية **مقاما** بفتح الميم
اسم مكان او مصدر ميمي فهو مفعول مطلق **فما ترك** رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقامه
هذا **شيا مما يكون** اي يوجد ويحدث بعده مما يهم من احوال المسلمين ومن يتولى امورهم بعده
وما يكون بعده من الفتن والحروب فيكون تامة والجملة صفة شيا **في مقامه ذلك** اي
في خطبته التي خطبها وهو من وضع الظاهر موضع المضمر لكمال العناية به **الى قيام الساعة**
اي من زمنه الى آخر فقيام بدلالة المقام عليه **الا حدثه** اي الا حدثنا به وذكره لنا انه
سيوجد وفي نسخة حدث به والفعل في تاويل الاسم كقولهم انشدك الله الا فعلت والاستثنا
متصل لدخول المحدث به في الشي وقيل انه منقطع بمعنى لكن **حفظه من حفظه** الضمير للحديث
المفهوم من السياق **ونسيه من نسيه** اي حفظه بعض السامعين له ونسيه بعضهم **قد علمه
اصحابي هؤلاء** الحاضرون عنده او المراد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه الزيادة
في رواية ابي داود لم يذكرها البخاري **وانه** الضمير للشان **ليكون منه الشيء** اي يوجد شي

مما حدثنا به في ذلك المقام في الخارج **قد نسيته** لطول العهد بحديثه **فاراه** بعيني بعد ما
وجد **فاعرفه فاذكره** اي اتذكره بعد ما نسيته فاتذكر ما اخبرنا به صلى الله عليه وسلم ثم شبه
تذكره ايضا حاله بقوله **كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا راه عرفه** فيه تقديم
وتاخير اي كما ان الرجل اذا غاب عنه رجل كان يعرف وجهه وسيماه وهو في مخيلته الا انه لم يذكره
فاذا راه تذكره وعرفه فليس اذا متعلقا بيذكر بل بمعنى المعلوم من الكلام وهو من تشبيه المعقول
بالمحسوس تشبيها تمثيليا **ثم قال** حذيفة فيما رواه ابو داود وزاده على ما رواه الشيخان **ما ادري
انسي اصحابي** هذا الحديث **ام تناسوه** اي اظهروا النسيان خوف الفتن لا لقلة الاهتمام به
كما قيل بل لانه من الاسرار التي لا ينبغي ان يحدث بها كل احد **والله** قسم اكد به ما بعده **ما ترك
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قايد** بالقاف والدال المهملة ومن زايدة والمراد به المتغلبة
الذين معهم جند تتبعهم كما يتبع الجمل والفرس من يقوده ويمشي خلفه **فتنة** فيأتي للمحاربة وايقاع
الضرر بالمسلمين كالحجاج وغيره من اصحاب البدع من زمنه **الى ان تنقضي الدنيا** اي الى ان
تتم وتنتهي مدتها ويخرب العالم ويتبدل وبمقدمات الساعة بخروج الدجال وياجوج وماجوج
يبلغ من معه اي يصل من معه من اتباعه والضمير للقايد **ثلثمائة** رجل **فصاعدا الا قد
سماه** لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم باسمه واسم ابيه وقبيلته بحيث لم يبق شبهة فيه
وهذا الحديث روي من طريق آخر مفصلا عليه كلام فيه ذكره ابن الجوزي وغيره **وقال ابو
ذر** الصحابي المشهور في حديث رواه احمد والطبراني وغيرهما بسند صحيح **لقد تركنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم** اي ذهب عنا وانتقل الى الاخرة من بين اظهرنا **ولم يدع شيا
الا بينه لنا** بحيث لا يخفى علينا شي بعده وكان قد خطب قبل موته خطبا طالت فيها من
الصباح الى الظهر ومرة من الظهر الى قبيل الغروب لم يدع شيا الا بينه لاصحابه **وما يحرك
طاير جناحيه في السماء** اي في الجو وهو كناية عن بيان كل شي **الا ذكر لنا منه علما** وفي
نسخة الا ذكرنا منه علما اي يذكرنا من طيرانه علما يتعلق به فكيف بغيره مما يهمنا في الارض
وهذا تمثيل لبيان كل شي تفصيلا تارة واجمالا اخرى **وقد خرج اهل الصحيح** اي رووا
باسانيدهم ما صح عندهم كالشيخين واصحاب السنن والمسانيد والايمة الحفاظ الثقات
كاحمد والشافعي وابي حنيفة ومالك **ما اعلم به اصحابه صلى الله عليه وسلم مما وعدهم به
بيانا لما **من الظهور على اعدايه** بغلبتهم وقهر شوكتهم **وفتح مكة** الذي اخبر به قبل وقوع
تحققه **وبيت المقدس** كما رواه البخاري وغيره وبيت المقدس تقدم الكلام فيه وقد اخبر
صلى الله عليه وسلم تميما الداري بفتحه لما اسلم واقطعه ارضا بها ثم فتح في خلافة عمر رضي
الله عنه فاعطى تميما اقطاعه في سنة ستة عشر من الهجرة **والشام واليمن والعراق**
يعني به ما يشمل العراقين عراق العرب والعجم وكلها مجرورة بالعطف على مكة والشام واليمن
والعراق بلاد معروفة وكان اخباره صلى الله عليه وسلم بذلك بمكة قبل الهجرة في حديث رواه
ابن دحية في كتاب مرج البحرين في اخبار المشرقين والمغربين واصل معنى العراق شاطئ
البحر وقيل انه معرب وظهور الامن في الممالك الاسلامية وهو مجرور اي اعلم اصحابه بظهور
الامن **حتى تظعن المراة** بظاء معجمة وعين مهملة ونون اي تسافر ومصدرها الظعن بفتح العين
وسكونها وهو السفر قال تعالى يوم ظعنكم وذكر المراة للمبالغة في الامن لانها مع ضعفها وشدة
خوفها اذا امنت علم امن غيرها بالطريق الاولى **من الحيرة الى مكة** بكسر الحاء المهملة وسكون

المثناة التحتية وفتح اللام المهملة والهاء مدينة بقرب الكوفة واسم بلدة اخرى بقرب نيسابور **لا**
تخاف المراة الا الله كناية عن انه لا تخاف احدا من الناس من قطاع الطريق واللصوص وغيرهم وان
المدينة يعني طيبة وهو علم بالغلبة عليها واصل معناها كل قصر يجتمع فيه الناس ستغزى روي بغين
وزاي معجمتين من الغزو وهو القتال وهو اشارة الى وقعة الحرة الاتي ذكرها فانها وقعة عظيمة قتل فيها
المسلمون حتى تركت الصلاة في الحرم وروي بعين وراء مهملتين ومثناة فوقية مفتوحة وهي بمعناه
في الرواية الاولى اي تخرب وتخلو فتصير عراء ليس فيها احد والعراء الفضا الخالي من الناس قال تع فنبذناه
بالعراء وهذا لم يقع بعد وانما يكون قرب الساعة وقيل انه وقع وهو مقتضى السياق فهو اشارة الى قصة الحرة
ايضا فان الناس ان خلوا منها فيها وتركوا الصلاة والاذان حتى سمع الاذان من مرقده صلى الله عليه وسلم ثم
امنهم من بعد حتى عادوا اليها **واعلمهم** صلى الله عليه وسلم **بفتح خيبر على يد علي في غد يومه** الذي اخبرهم
فيه بفتحها كما رواه الشيخان عن سهل بن سعد لما كانت وقعة خيبر وتعسر فتحها قال صلى الله عليه وسلم
لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه ودعا عليا وكان ارمد
فبصق في عينيه فبرا وفتحها الله على يديه على ما فصل في السير **واعلم** صلى الله عليه وسلم اصحابه
بما يفتح الله على امته اي بما ييسره الله لامته من فتح البلدان **وما يوسعه لهم من الدنيا** بكثرة المال
والعز **ويؤتون** بالبنا للمجهول اي يؤتيهم الله **من زهرتها** اي زهرة الحياة الدنيا وهي زينتها وطيب
نضارتها ونعيمها وهذا رواه الشيخان من طرق صحيحة **وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر** الكنوز جمع كنز
معرب كنج المال المدفون ويطلق على كل نفيس يحرز والمراد هنا خزائنهما وما لهما وكسرى بفتح الكاف وكسرها
وهو علم لكل من ملوك الفرس ثم اطلق على ملك لهم كذلك ومعناه المشقوق لان امه ماتت حين وضعه
فشقت بطنها واخرج منها حيا وهو اشارة لحديث رواه الشيخان عن ابي هريرة وغيره من طرق وفيه
اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي نفس محمد بيده لتنفقن كنوزهما
في سبيل الله وقد حقق الله ما اخبر به صلى الله عليه وسلم وصدق الله وعده وكان ذلك على يد خلفائه
رضي الله تعالى عنهم **وما يحدث بينهم** اي اعلمهم صلى الله عليه وسلم بما يحدث بين امته **من الفتون** بوزن
دخول مصدر بمعنى الافتتان كما في اكثر النسخ جمع فتنة كما قاله البرهان والفتنة اصلها الاختبار ثم
قيلت لكل ما يقع بين الناس من النزاع والحروب وقيل صوابه الفتن جمع فتنة كما في بعض النسخ لان الفتون
المثل للزنا ونحوه من الفجور وليس بشيء فانه ورد بمعنى الفتنة ايضا وهو بطريق المجاز اي مطلق الميل
والاختلاف في الكلمة والاراء وهو سبب الفتن ولذا قيل انه لو قدمه كان احسن **والاهواء**
بالمد جمع هوى وهو ما تهواه النفس وتميل له واذا اطلق خص بالامور الباطلة **وسلوك سبيل**
من قبلهم من الامم اشارة لما رواه الشيخان لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى
لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قيل يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن والسنن بفتحتين الطريق
وهو تمثيل لما احدثوه من الضلال والبدع والتحريف كما صرح به في الحديث **وافتراقهم** اي افتراق هذه الامة
على ثلاث وسبعين فرقة اي ينقسمون الى هذه الاقسام وعداه بعلى لما وقع عليه الانقسام من
النهج المخصوص كما يقال الدار مبنية على طبقات ثلاث وعلى بيانية كما قال الدواني في حواشي الشمسية
في قوله رتبته على مقدمة الخ فان الترتيب لا يتعدى بعلى فاما ان يكون بتضمين معنى الاشتمال
واما ان يريد به حصول على هذا الاسلوب الخاص وحينئذ فاما ان يقال اذا تعدى بعلى انه تضمن البنا
فانه يتعدى بعلى الى المشتمل به فيقال بني الدار على طبقتين او يقال تعدى بها بناء على ان معنى الترتيب
جعل الاجزاء مترتبة وهو مقصور على انحاء فيتعدى بعلى الى النحو المعين انتهى وهذا الحديث رواه احمد

وابو داود والترمذي والحاكم كما في مناهل الصفا للجلال السيوطي **الناجية منها واحدة**
اي الفرقة الناجية من هذه الفرق فرقة واحدة وهم اهل السنة والجماعة المتمسكون بكتاب الله
وسنة رسوله كما بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث فانه قال ليأتين على امتي ما اتى
على بني اسرائيل حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة وان بني اسرائيل افترقت على ثنتين و
سبعين ملة وستفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا ملة واحدة او فرقة واحدة
قالوا يا رسول الله من هم اي الناجون منهم قال من كان على ما انا عليه واصحابي ومعنى الناجية
انهم على الحق فهم ناجون من غضب الله وعذابه وفي قوله ستفترق اشارة الى انه ليس في زمانه
صلى الله عليه وسلم اختلاف وانه انما يحدث ذلك بعده بل بعد الخلفاء الراشدين وفي قوله اشارة
الى ان الخلاف المذكور في الدين والاعتقاد فلا ينافيه ما وقع بينهم في امور جزئية وقد بينت
هذه الفرق وفصلت في كتاب الملل والنحل وفي علم الاصول وهذا من جملة ما اطلعه الله عليه من
المغيبات **و** في حديث رواه الشيخان عن جابر رضي الله عنه **انهم سيكون لهم انماط** جمع نمط كسبب
واسباب وهو البساط يعني ان امته صلى الله عليه وسلم يتوسعون في الدنيا حتى يتخذوا الفرش
النفيسة لبسط الله لهم الرزق بعد ما كانوا فيه من الفقر وضيق المعيشة **و** قوله **يغدو احدهم**
في حلة ويروح في اخرى وما بعده من حديث رواه الترمذي عن علي وحسنه والغدو بغين معجمة
ودال مهملة اول النهار والرواح مقابله والحلة الثوب النفيس ولا تطلق الا على ثوبين احدهما
فوق الاخر الا انهم توسعوا فيه فاطلقوه على ما قلناه والمراد تعدد لباسهم ونفاسته بعد ما كانوا
عليه من التقشف كما ان قوله **وتوضع بين يديه** اي بين يدي احدهم **صحفة** بزنة قصعة وهي
اناء الطعام **وترفع اخرى** اي صحفة اخرى اشارة الى تلون اطعمتهم وتعددها ونفاستها **ويسترون**
بالبنا للمجهول اي يسترون حيطان **بيوتهم** وابوابها **كما تستر الكعبة** وهذا كما يفعله الامراء
والعظماء الذين اتسعت دنياهم حتى كسوا الحجارة والجدران وهذا لم يكن في العصر الاول وهو اسراف
وقد ورد النهي عنه **ثم قال** صلى الله عليه وسلم مخاطبا لاصحابه **في آخر الحديث** الذي رواه الترمذي
وغيره **وانتم اليوم** المراد به مطلق الزمان الحاضر **خير منكم يومئذ** اي احسن منكم حالا من حالكم
الاتي الذي يبسطه لكم في الرزق ويوسع عليكم فيفضلهم على انفسهم باعتبارين لان الرزق الكفاف
خير من غنى يشغل عن عبادة الله ويتعب القلب والبدن كما يشاهده من ابتلي به **و** ما اعلم به صلى
الله عليه وسلم اصحابه **انهم اذا مشوا المطيطا** كما ورد في حديث رواه الترمذي عن ابن عمر الا ان
الذهبي قال في ميزانه انه لم يصح والمطيطا بضم الميم وفتح الطا المهملة ومثناة تحتية ممدود كما في
الصحاح ويقصر ايضا كما في النهاية وهو مبني على التصغير كالكميت وهو مشية فيها مد اليدين فهو
منصوب على المصدرية والمراد به التبختر وهو كالتمطي والمطيطا ويجوز فتح ميمه وكسر طائه وهو
مط بمعنى مد او من مطا يمطو كما بين في كتب اللغة **وخدمتهم بنات فارس والروم** اي اتخذوا الجواري
والخدم منهم وخصهما لان الرقيق كان منهم في الاكثر لانهم كفرة يجيء سبيهم لاهل الاسلام كثيرا
او لانهم مع تكبرهم وتعاظمهم يصيرون خدما ارقاء لاهل الاسلام ففيه اشارة لعزتهم وعلوهم على غيرهم
وفارس علم الجيل المعروف ممنوع من الصرف ويطلق على بلادهم ايضا وهو معرب پارس بالباء العجمية ولا
يدخل عليه الالف واللام والروم جيل معروف ايضا سموا باسم ابيهم **رد الله باسهم بينهم** جواب
اذا والباس معناه الخوف الشديد لا مطلقه والمراد به العداوة ووقوع القتال بينهم لان الله كان اعطى
نبيه صلى الله عليه وسلم النصرة بايقاع الرعب في قلوب اعدائه الكفرة وبقي من ذلك اثر فمن اقتدى

اصول الدين

الذي يبسط لكم فيه الرزق

به من الخلفا فلما اشتغلوا بزخرف الدنيا نزع الخوف من قلوب الاعدا وصار بعضهم يعادي بعضا
ويقاتله لما بينهم من التحاسد والتباغض فطلب كل منهم ما في يد الاخر لما ظهرت الملوك المتغلبة فصار
الامر لمن غلب **وسلط الله شرارهم على خيارهم** الشرار جمع شر بمعنى شرير وخيار جمع خير بمعنى
اخير او مخفف خير وتسليطهم بقهرهم والعلو عليهم بالباطل وهو كالتفسير لما قبله وكان ابتداء
ذلك بعد فتح فارس والروم وسبي ذريتهم واستخدامهم وتنافسهم في الدنيا وذلك من الدولة
الاموية الى الآن **و** اخبرهم صلى الله عليه وسلم **بقتالهم الترك** كما ورد في حديث رواه الشيخان
لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك صغار الاعين حمر الوجوه ذلف الانوف كان وجوههم المجان
المطرقة وقد ورد هذا الحديث من طرق بالفاظ مختلفة والترك بضم التا جيل من الناس يقال لهم
بنو قنطورا وهي امة لابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام واختلف في نسبهم اختلافا كثيرا
والمشهور انهم اولاد يافث بن نوح عليه الصلاة والسلام وقيل انهم الديلم وقيل المراد بهم هنا ياجوج
وماجوج وعلى كل حال فهم قوم من الكفرة دارهم بعيدة من ديار الاسلام ومنهم التتار ولهم وقائع
مشهورة كوقعة جنكيز وهلاكو المفصلة في التواريخ **والخزر** بضم الخا وسكون الزاي المعجمة وراء مهملة
وهم جيل من الناس كفرة قيل انهم من الترك وقيل من العجم وقيل من التاتار لانهم جمع الخزر وهو الضيق
العين وقيل المراد بهم الاكراد ووقايعهم كلها مشهورة فقد وقع ذلك كما اخبر به صلى الله عليه وسلم
وروي الخزر بفتحتين ايضا وفي بعض نسخ الشفا بخاء مضمومة وواو وزاي معجمة ساكنة وفيه نظر
والخزر ضيق العين او النظر بمؤخرها **والروم** اي مما وقع من اخباره صلى الله عليه وسلم اصحابه اخباره
بما سيكون قتال الروم وهم قوم معروفون من ولد روم بن عيص بن اسحاق سموا باسم ابيهم ثم قيل
روم ورومي كزنج وزنجي وقد ملكوا الشام واختلط بهم قوم من العرب من غسان واصل مساكنهم جهة
الشمال **وذهاب كسرى** بفتح الكاف وكسرها اي ذهاب ملكه وقومه بعد ظهور دولته وتغلبه **وفارس**
من ارض العراق وغيرها وقد تقدم بيانه **حتى لا كسرى ولا فارس** اي حتى لا يبقى له ذكر ولا ملك
الى يوم القيمة ولا انما تدخل على نكرة فاما ان تقول انه نكر كما في الحديث لا قيصر فهو كقولهم لكل فرعون
موسى اي لكل جبار مبطل محق يغلب عليه ويجاوزه وفيه مقدر اي لا مثل كسرى ومثل وغير لا يتعرفان
بالاضافة **بعده** اي يكون بعده من جنسه **وذهاب قيصر** ملك الروم بذهاب ملكه وقومه **حتى
لا قيصر بعده** وهذا مما رواه الشيخان ايضا بدون فارس الا انه وقع في رواية من غير طريقهما
وذكر صلى الله عليه وسلم فيما اخبر به من المغيبات التي كانت كما قال **ان الروم** اي جنسهم المعروف
ذات قرون وفي نسخة ذات القرون بالتعريف جمع قرن وهم الجماعة في عصر واحد اي كلما مضى
قرن خلفه قرن وقوم يملك ملكهم منهم وقيل القرن السنة اي كلما هلك ملك ملك بعده غيره
كما بينته رواية كلما هلك قرن خلفه مكانه قرن وقيل المراد قرون شعورهم التي كانوا يطولونها
ويعرفون بها للاشارة الى طول همهم **الى آخر الدهر** اي يمتد ملكهم من بعدهم بخلاف فارس فان الله مزقهم
ومزق ملكهم بدعوته صلى الله عليه وسلم لما مزقوا كتابه لهم كما هو مذكور في السير وقد تقدم ايضا
وهو مشاهد الى الآن ليس لغيرهم ملك كملكهم وذلك انه صلى الله عليه وسلم لما ارسل الكتب
للملوك في عصره فلما قرا كسرى كتابه مزقه فقال صلى الله عليه وسلم مزق الله ملكهم فكان كما قيل

اذاقه الله تمزيقا بتمزيق • وكسرى بتمزيق الكتاب فقد

واما قيصر فلما اتاه كتابه صلى الله عليه وسلم مع دحية قبله واجله فدعا له رسول الله صلى الله عليه
وسلم بان يثبت ملكه وقد ذكروا ان مكتوبه صلى الله عليه وسلم الى الآن عند ملوكهم يجلونه وهو محفوظ

في صندوق

في صندوق من ذهب واوصى بعضهم بعضا بحفظه فان ملكهم لا يزال قائما ما دام هذا الكتاب
عندهم حتى انهم اخرجوه لابن الصايغ الحنفي لما ارسله السلطان قلاوون الى ملك النصارى بالمغرب
وقالوا له هذا كتاب نبيكم لجدنا نحفظه ونتبرك به وكان عند ملك طليطلة وهو الى الآن عندهم
ولكن الله يهدي من يشا **و** اعلم صلى الله عليه وسلم اصحابه **بذهاب الامثل فالامثل من الناس**
الامثل هنا بمعنى الاشرف لانه اكثر مماثلة ومشابهة لاهل الحق والصدر الاول والفا لترتيب انتقا
له بانه للاول ثم للثاني وهكذا الى ان يبقى حثالة لا عبرة بهم وفي الصحاح فلان امثل بني فلان
اي ادناهم للخير وهولاء اماثل القوم اي خيارهم اي اعلمهم صلى الله عليه وسلم بموت الاقرب الى الخير قبل
غيره وفي البخاري يذهب الصالحون الاول فالاول وتبقى حثالة كحثالة الشعير او التمر لا يباليهم
الله بالة والحثالة بالفا والثا من كل شي رديه **وتقارب الزمان** في حديث رواه الترمذي عن انس
رضي الله عنه لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة
كاليوم واليوم كالساعة والساعة كالضرمة بالنار بضاد مفتوحة معجمة وراء مهملة مفتوحة وهو
حشيش يحترق بسرعة والتقارب تفاعل من القرب والمراد قصره وقلته لان القصير يقرب بعضه
من بعض ويقال للقصير متقارب ومتآزف وهذا يكون اذا قربت الساعة في آخر الزمان كما ورد النص
به في بعض الروايات واختلفوا في معناه فقيل المراد انهم يوسع عليهم من الدنيا فيستلذون
معيشتهم ويكونون مسرورين وما زال الناس يصفون الايام الهنيئة بالقصر وللشعرا فيها مبالغات
ومعان لطيفة يعرفها من له المام بالادب كقول ابي تمام

اعوام وصل كان ينسي طيبها • ذكر النوى فكانها ايام
ثم انبرت ايام هجر اعقبت • نحوي اسى فكانها اعوام
ثم انقضت تلك السنون واهلها • فكانها وكانهم احلام

وهو الذي ارتضاه الخطابي واعترض عليه الكرماني بانه لا يناسب قوله بعده **وقبض العلم**
وقال ابن حجر انما احتاج الخطابي لتاويله بما ذكر لانه لم يشاهد النقص في زمنه والذي تضمنه
الحديث نجده في زماننا هذا فانا نجد من سرعة الايام ما لم نجده في العصر الذي قبله وان لم يكن
هناك عيش يستلذ كما قيل

كفى حزنا ان لا حياة هنية • ولا عمل يرضى به الله صالح

فالحق ان المراد نزع البركة من كل شي حتى من الزمان وذلك من علامات قرب الساعة وهذا هو
الذي النووي رحمه الله وقيل المراد بتقاربه وقصره قصر الاعمار فان كل قرن اهله اقصر
اعمارا من اعمار القرن الذي قبله وقال البيضاوي في شرح المصابيح لتسارع انقضا الدول
وانقراضها وهنا وجه آخر قريب من الاول وهو انه لكثرة الظلم والاحزان والاشتغال بامور
الدنيا وكثرة الحرص على تحصيلها يغفلون عن اوقاتهم ولا يشعرون بها كما قلت

ان الزمان منقص ذهبت به • بركاته اذ زادت الالام
ما ذاك الا انه قد فر من • خوف وقد جارت به الحكام

وهو مناسب لذكر الفتن بعده في قوله **وظهور الفتن والهرج** وهي جمع فتنة وهي معروفة
وهذا قد شاهدناه وقبض العلم بمعنى اخذه ونزعه من الناس وذلك بموت العلما حتى يبقى ناس
جهلة اذا استفتوا افتوا بغير علم ويضلوا فسره صلى الله عليه وسلم لما سئل عنه وموتهم بالكلية
انما يكون اذا قربت الساعة فلا ينافي هذا قوله في الحديث الصحيح لا تزال طائفة من امتي ظاهرين
على الحق حتى ياتيهم امر الله فانه قبل ذلك والهرج بالهاء وسكون الرا المهملة وجيم بمعنى

القتل واصل معناه لغة الكثرة وقد ورد تفسيره في الحديث بالقتل وورد بمعنى اختلاط الناس
بعضهم ببعض وقيل انه لغة حبشية فهو معرب صار عربيا فصيحا ومنه قولهم هم في هرج ومرج
وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن زينب ام المؤمنين رضي الله عنها ويل للعرب من
شر قد اقترب اي قرب ودنا وويل كلمة تفجع وتعجب فتعجب مما ينالهم من المشقة والهلاك بفتن
تقع بين المسلمين كقطع الليل المظلم يصير المتمسك فيها بدينه كالقابض على الجمر يشار الى مقتل عثمان
وعلي رضي الله عنهما وويل مبتدا وان كان نكرة لما فيه من الدعا مثل سلام عليكم وهي ترد للتحزن
والتحسر والكلام عليها مفصل في العربية واللغة والمراد بالشر ما في قوله اقتربت الساعة وقيل
انه اشارة لفتح سد ياجوج وماجوج لان الحديث اوله قالت زينب رضي الله عنها استيقظ رسول الله
صلى الله عليه وسلم من النوم محمرا وجهه يقول لا اله الا الله ويل للعرب الخ فتح اليوم من ردم ياجوج
وماجوج اي السد وعقد تسعين يعني جعل سبابته مضمومة لاصل ابهامه يشير للفرجة اليسيرة
بينهما بحسابهم المشهور ومثله كثير في الحديث لتعارفه بينهم والحديث والكلام عليه مبسوط في
شروحه واعلم صلى الله عليه وسلم اصحابه ايضا بانه زويت له الارض مبني للمجهول اي جمعت
وضم بعضها لبعض حتى يطلع على جميعها فاري مشارقها ومغاربها اي جميع الارض وجوانبها
كما يضم البساط الكبير حتى يصير في محل واحد يحيط به الناظر اليه سريعا واري بضم الهمزة مبني
للمجهول اي اراه الله ذلك جميعه ومشارقها مفعول ثان والمشارق والمغارب كناية عن الجميع كما في
قوله رب المشارق والمغارب والجمع باعتبار تعدد المطالع كما ذكره المفسرون وقيل انه لم يذكر
الجنوب والشمال لان معظم امتداد ملك هذه الامة في جهتي المشرق والمغرب وهكذا هو في الواقع
كما اخبر به صلى الله عليه وسلم وفي قوله وسيبلغ اي يصل ملك امته اي سلطانهم وحكمهم
اشارة اليه ما زوي له صلى الله عليه وسلم منها اي الارض والمشارق والمغارب وهو من تتمة
الحديث ومن تفضيلية بيانية او تبعيضية لما مر وكذلك كان اي وقع ما ذكر من الامتداد امتدت
مملكتهم واتسعت او امتد بمعنى انتشرت في نواحيها في المشارق والمغارب ما بين ارض الهند
بيان للمشارق والمغارب او بدل اقصى المشرق بيان لارض الهند او بدل ايضا الى بحر طنجة
بفتح الطا المهملة ونون ساكنة وجيم بلدة مشهورة بساحل بحر المغرب حيث لا عمارة وراه اي
انتهت الى مكان من ذلك البحر لا عمارة بكسر العين اي ليس بعده بلاد ولا جزاير معمورة وطنجة لفظ
بربري وهي مدينة عظيمة فتحت في الاسلام ثم استولى عليها النصارى في سنة سبعين وثمانمائة
بعد قتال عظيم فلما راى المسلمون ان لا معين لهم ولا مغيث سلموها لهم فانا لله وانا اليه راجعون
ولم تزل النصارى ظاهرين ثمة حتى تملكوا البلاد فعاد الاسلام غريبا كما بدا ومن اراد تفصيل
ذلك فلينظر تاريخ الاندلس وذلك الذي امتد لهذه الامة ما لم يملكه احد من الامم السالفة
ولم تمتد الممالك الاسلامية في جهة الجنوب ولا في جهة الشمال مثل ذلك اي مثل امتدادها
في المشرق والمغرب فما قيل في تفسيره انه بلغ ملكها اقصى الجهات الاربع مهاب الريح قبولا
ودبورا وجنوبا وشمالا لم يتنبه لما قلناه وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم عن سعد
بن ابي وقاص رضي الله عنه لا يزال اهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة غاية
لاستمرار ظهورهم بتاييد الله لهم واعلائه لكلمة الدين بجهادهم وقوله ظاهرين اصل معنى الظهور
العلو على الظهر ويطلق على ما يلزمه وهو الشهرة والعلو وقد يراد به العلو المعنوي وهو الغلبة
والقهر وقد اختلفوا في المشرق والمغرب ايهما افضل فذهب الى كل منهما طائفة وهو خلاف

لاطائفة

لا طائل تحته قال ابن العماد في كتابه كشف الاسرار استدل من قال بفضل الغرب بهذا الحديث
واجيب بان الثابت لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق حتى ياتي امر الله وهم
بالشام فان ثبت هذا اللفظ فالمراد الشام لانه غربي المدينة وقوله على الحق خبر بعد خبر
لانه ليس المعنى على الظهور على الحق بل انهم ظاهرون وانهم على الحق وهو ضد الباطل او هو
متعلق بظاهرين بتضمينه معنى محافظين له او مبنين على اقامة الحق وشعائر الدين ذهب ابن
المديني في تفسير هذا الحديث وهو علي بن عبد الله بن جعفر بن جريج ابو الحسن امام
اهل الحديث واعلمهم به في عصره وقال النسائي كان الله لم يخلقه الا لهذا الشان وقال
البخاري ما استصغرت نفسي الا بين علي بن المديني الخ وكان من احسن الناس كلاما على حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي لليلتين بقيتا من ذي القعدة سنة اربع وثلاثين ومائتين
وله ثلاث وسبعون سنة وروى عنه البخاري وغيره من اصحاب السنن وهو منسوب لمدينة
الرسول على خلاف فالقياس والعباس مدني كما بينه النحاة والمشهور ان يقال مديني في النسبة
لمدينة المنصور وفرقا بينه وبين المنسوب لمدينة المنورة ولكنه اشتهر بذلك وله ترجمة في الميزان
وقال ابن الاثير النسبة الى المدينة مديني والاكثر مدني والمديني نسبة الى مدائن سبعة غيرها
كما فصله وقال الجوهري المديني نسبة لمدينة الرسول والمدني نسبة لمدينة المنصور وبين كلاميهما
تناف وقال ابن الصلاح في الكلام على المسلسل بالاولية المديني نسبة لحي مدينة اصبهان وهو
من المدينة الا انه سكن البصرة وفي القاموس النسبة لمدينة الرسول مدني ولمدينة منصور
واصبهان وغيرهما مديني وقال الكرماني قال الحافظ المقدسي قال البخاري المديني الذي اقام
بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يفارقها والمدني الذي تحول عنها وكان منها انتهى الى انهم
العرب مطلقا ووجه تسميتهم باهل الغرب بقوله لانهم المخصوصون بالسقي بالغرب
بفتح الغين المعجمة وسكون الراء المهملة والموحدة وهي الدلو العظيمة المعروفة تذكر وتونث
سماعا وقيل المراد بالغرب في الحديث الحدة والشوكة وتقدم تفسيره بالشام ايضا ومنه غرب
الشام لحدته وللغرب معان كثيرة في كتب اللغة وغيره اي غير ابن المديني من علماء الحديث
يذهب الى انهم في الحديث اهل المغرب عم في اوله وقد ورد المغرب كذا اي بهذا اللفظ
في بعض الروايات وهو مويد للتفسير الثاني ولا يعينه لاحتمال انه روي في الحديث بمعناه
فهو رواية في ذلك بالمعنى ولولا هذا لم يفسره بغيره وفي حديث آخر من هذا القبيل رواه
الطبراني وعبد الله بن احمد بن حنبل من رواية ابي امامة عنه صلى الله عليه وسلم انه قال
لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم من الكفرة بالجهاد في سبيل الله
حتى ياتيهم امر الله يعني الساعة واشراطها وهو غاية لظهورهم على ظاهرها والمراد انهم لا ينقطع
ظهورهم كقوله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يمل حتى تملوا كما حققه الكرماني وغيره وهم كذلك
اي باقون على حالهم والجملة حالية قيل يا رسول الله واين هم من البلاد ومقرهم قال ببيت المقدس
بالاضافة وفيه لغات فمقدس كمرجع اسم مكان او مصدر ميمي من القدس وهو الطهر اي المكان
الذي يطهر فيه العابد من الذنوب او يتطهر فيه العبادة من الاصنام وجاء فيه ضم الميم وفتح
القاف والدال المشددة اسم مفعول من التقديس اي التطهير وجاء بكسر الدال المشددة اسم فاعل
لانه يقدس العابد فيه من الاثام ويقال البيت المقدس بالتوصيف والاشهر الاضافة والظاهر
ان الطائفة المذكورة الامرا والحكام وولاة الامور لانهم المعروفون بالقهر والغلبة وقيل انه

يشملهم ويشمل غيرهم من الفقهاء والمحدثين وكل من يامر بالمعروف وينهى عن المنكر وقال البخاري هم اهل العلم ونقل عنه ايضا انهم اهل الحديث وكل محتمل والتعميم اولى كما لا يخفى وفي شرح مسلم للقرطبي بعد ما ذكر رواية اهل المغرب من طرق متعددة وصححها انه يدل على ابطال التاويلات فيه والمراد بالمغرب جهة المغرب من المدينة الى اقصى بلاد المغرب فيدخل فيه الشام وبيت المقدس فلا منافاة بين الروايات وفي رواية للطرطوشي ارسلها لاهل المغرب وذكر فيها هذا الحديث وقال فيها هل اراد كم رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الا لما انتم عليه من التمسك بالسنة وطهارتكم من البدع واقتفاء اثر السلف وفيه دليل على صحة الاجماع **واخبر** صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي والحاكم عن الحسن بن علي رضي الله عنهما **بملك بني امية** وهذا من جملة ما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات وهم بنو مروان بن الحكم بن ابي العاص ابن امية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي وقد رواه البيهقي مرسلا من طريق آخر في سنده ضعف **وولاية معاوية** بن ابي سفيان بن حرب بن امية ابن عبد شمس ولقد اجاد المصنف رحمه الله اذ عبر في بني امية بالملك ولم يدخل فيهم معاوية وعبر في معاوية رضي الله عنه بالولاية الشاملة للملك والخلافة كما ستبينه عن قريب والفرق بين الملك والخلافة والولاية ان الملك هو السلطنة بطريق التغلب والخلافة ما كانت ببيعة اهل الحق لمن هو قرشي جامع لشروط الخلافة المذكورة في الاصول والولاية اعم منهما فتشملهما وتشمل الامارة ونيابة الخلفاء وغيرهم كما في الحديث الآتي مع الكلام عليه الخلافة بعدي ثلاثون عاما ثم تصير ملكا عضوضا ومعاوية كما تقدم كان اولا اميرا ثم صار ملكا وهو اول ملوك الاسلام ثم لما بايعه الحسن رضي الله عنه برضاه صار خليفة فلذا كان ذكر الولاية فيه اشارة لهذا وليس عثمان رضي الله عنه من بني امية لانه خليفة بحق ومعاوية وان كان منهم نسبا لان اباه سفيان بن امية فلم يدخله المصنف فيهم لما ذكرنا وقيل انه اول ملوك بني امية ولكل وجهة وقد ورد في الحديث انه صلى الله عليه وسلم رأى بني امية على منبره الشريف فساءه ذلك فانزل الله عليه تسلية له صلى الله عليه وسلم سورة الكوثر وسورة القدر لان ملك بني امية كان الف شهر لا تزيد ولا تنقص فاعطى الله امته في كل سنة ليلة تعدل ملكهم وتزيد بما لا يحصى وفيه من الاسرار الخفية ما لا يخفى على ذي بصيرة **ووصاه** اي وصى عليه الصلاة والسلام معاوية اذا ملك بالعدل والرفق لما قال له اذا ملكت فاسجح قال معاوية رضي الله عنه فما زلت اطمع في الخلافة منذ سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل في قوله اذا ملكت اشارة الى انه رضي الله عنه لم يكن خليفة وانما كان ملكا وروى البيهقي عن معاوية انه قال ما حملني على الخلافة الا قوله صلى الله عليه وسلم يا معاوية ان ملكت فاحسن وهو ضعيف الا ان له شواهد منها ما روي انه تبع بالاداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا معاوية ان وليت امرا فاتق الله واعدل وروي ما يقرب منه من طرق متعددة وهذا من جملة ما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ومنه ايضا قوله **واتخاذ بني امية مال الله دولا** كما ورد في حديث رواه الترمذي والحاكم والبيهقي عن ابي هريرة رضي الله عنه اذا بلغ بنو ابي العاص اربعين او ثلاثين اتخذوا دين الله دغلا وعباد الله خولا ومال الله دولا ودول بضم الدال المهملة وفتح الواو ولام جمع دولة بالضم والفتح وهو ما يتداول اي ياخذه واحد بعد واحد والمراد انهم استاثروا به ومنعوا حقوقه فاسرفوا وبذروا وضيعوا بيت مال المسلمين وهم اول من فعل ذلك في الاسلام واول ملوكهم بعد معاوية

ابن يزيد بن مروان بن الحكم ثم ولي بعده ابنه عبد الملك وتمت دولتهم بالرابع عشر مروان بن محمد كما فصله المورخون **وخروج ولد العباس** بعد انقراض الدولة الاموية اي ولد العباس بن عبد المطلب كما ورد في حديث رواه احمد والبيهقي بسند فيه ضعف وهو مما اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم والولد يطلق على الواحد والجمع والمراد هنا الثاني **بالرايات السود** اشارة الى ما في هذا الحديث تطلع الرايات السود لبني العباس حتى ينزلوا بالشام ويقتل الله على ايديهم كل جبار وعدو لهم وفي رواية تخرج الرايات السود من خراسان لا يردها شيء حتى تنصب بايليا اي بيت المقدس وفي سنده ضعف وكان صلى الله عليه وسلم اخبر العباس ان الخلافة تكون في ولده فكانوا يتوقعون ذلك وقد روي تبشيره صلى الله عليه وسلم له ولام الفضل زوجته من طرق افردها السخاوي بتاليف ليس يسع تفصيله هذا المقام وكان شعار بني العباس السواد في لباسهم وراياتهم وسببه انه صلى الله عليه وسلم اخبرهم بذلك وقيل سببه ان مروان الحمار آخر بني امية لما بلغه دعوة ابي مسلم الى محمد بن علي الامام ومات محمد فعهد الى ابنه ابراهيم فاتي به مروان وسجنه فلما احس بالقتل اوصى ابا عمر بالثبات على امرهم واستخلف اخاه السفاح فلما قتل لبسوا السواد اظهارا للحزن عليه وجعلوه شعارا فاستمر ذلك فيهم ولا منافاة بين الروايتين ولم يزل ذلك الى عصر المامون بن الرشيد في سنة احدى ومائتين فامر بترك السواد ولبس الخضرة لمحبته للعلويين حتى خلع اخاه المؤتمن وجعل العهد لعلي الرضى ﵁ فمات ولم يتم امره فكلمه العباسيون في اعادة شعار السواد وترك الخضرة ففعل وهذا اول لبس العلويين الخضرة ولبس مبدأوه كما توهمه المتاخرون في سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة برسم الملك الاشرف بمصر وفي ذلك يقول ابن جابر الاندلسي ﵀

جعلوا لابناء الرسول علامة	ان العلامة شان من لم يشهر
نور النبوة في كريم وجوههم	يغني الشريف عن الطراز الاخضر

وقال ابن حبيب ﵀

عمائم الاشراف قد تميزت	بخضرة رقت وراقت منظرا
وهذه اشارة ان لهم	في جنة الخلد لباسا اخضرا

وقال ابن المرين ﵀

اطراف تيجان اتت من سندس	خضر كاعلام على الاشراف
والاشرف السلطان خصهم بها	شرفا لنعرفهم من الاطراف

ولكن الاول لم يشتهر وترك حتى نسي فتوهموا ان ابتداءه كان كذلك وكان سبب حدوث شعارهم ان يهوديا دخل بعمامة فعظم ودخل بعض الاشراف فلم يلتفت اليه لعدم العلم به فامر بذلك وقال السبكي انه سني واستنبطه من قوله نعم ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين وهو كلام حسن **وملكهم** اي تملك بني العباس الخلفاء **اضعاف ما ملكوه** اي اضعاف تملك بني امية واضعاف خلفائهم فان اولهم السفاح بويع في ربيع الآخر سنة اثنين وثلاثين ومائة واستمر ملكهم الى سنة ست وخمسمائة وكانوا نحو ثلاثين بعدها ثم انقضت تلك السنون واهلها ولله الامر من قبل ومن بعد **وخروج المهدي** في آخر الزمان كما ورد في حديث رواه اصحاب السنن وغيرهم من طرق كثيرة الا انه قيل ان اسانيدها لا تخلو من ضعف وفيه اختلاف كثير افرد بالتاليف فقيل انه عباسي وقيل انه علوي وانه يملك سبع سنين وكنيته ابو القاسم واسمه محمد بن عبد الله وفي زمنه ينبسط الامن والعدل وقيل المراد به عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام وذكره النبي صلى الله عليه وسلم باسمه وصفته كما فصلوه في احواله المبسوطة في تذكرة القرطبي

وهو ممن يملك الارض كلها او قد ملكها مسلمان سليمان عليه الصلاة والسلام وذو القرنين
وكافران نمرود وبخت نصر **وما ينال اهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم** اي ما اخبر به من المغيبات
كما في حديث رواه الحاكم ان اهل بيتي سيلقون بعدي من امتي قتلا وتشريدا وضعفه الذهبي والتشريد
الطرد والتفريق من شرد البعير اذا ند وشردت فلانا من البلاد وشردت به قال تع فشرد بهم من خلفهم
وقتل علي بن ابي طالب كرم الله وجهه اي ما اخبر به صلى الله عليه وسلم قتل علي كما رواه احمد والطبراني
في حديث فيه **وان اشقاها** اي اشقى الخلائق او الدنيا او الطائفة الخوارج او اشقى هذه الامة **الذي
يخضب هذه** اشار به الى لحيته **من هذه** اشارة لراسه اي يضرب به على راسه ضربة يسيل بها دمه حتى
يبل لحيته والخضاب صبغ معروف فشبه دمه بالخضاب لتغييره لونها كما يغير الخضاب ففيه استعارة هم
وهو عبد الرحمن بن ملجم بضم الميم وسكون اللام وفتح الجيم على زنة اسم المفعول كما قاله النووي في تهذيبه
وغيره **اي لحيته من راسه** اي من دمه وهو تفسير لما قبله وقصة الخوارج والتحكيم وقتل علي مشهورة
لا حاجة لنا بها وكذا قصة اهل بيته واخباره بقتل سبطه بكربلا **وانه** يعني عليا كرم الله وجهه **قسيم
النار** ظاهر كلامه ان هذا مما اخبر به صلى الله عليه وسلم الا انهم قالوا لم يروه احد من المحدثين الا ان ابن
الاثير قال في النهاية الا ان عليا قال انا قسيم النار يعني ان الناس فريقان فريق معي فهم على هدى
وفريق علي فهم على ضلال فنصف معي في الجنة ونصف علي في النار انتهى قلت ابن الاثير ثقة وما ذكره
علي لا يقال من قبل الراي فهو في حكم المرفوع اذ لا مجال فيه للاجتهاد ومعناه انا ومن معي قسيم لاهل
النار اي مقابل لهم لانه من اهل الجنة وقيل القسيم المقاسم كالجليس والسمير وقيل اراد بهم الخوارج ومن
قاتله كما في النهاية **يدخل اولياؤه** اي من والاه ونصره وكان من حزبه ويدخل بفتح المثناة التحتية
وضم الخاء المعجمة ويجوز ضم اوله وكسر ثالثه فرفع اولياؤه او نصب وذلك باذن من الله تكريما له على التالي
لان كبار الائمة لهم شفاعة ثمة كما ورد في الحديث او تدخل بفوقية الجنة **واعداؤه النار** وفي الغيلانيات
انه ينادي يوم القيمة اين اصحاب محمد فيؤتى بالخلفاء فيقول ادخلوا من شئتم الجنة ودعوا من شئتم
وما هو بمعناه **وكان من عاداه** اي اظهر له العداوة **الخوارج** وهم الذين خرجوا عليه عند التحكيم
وكانوا اثني عشر الفا اصحاب صلاة وصيام وقد اخبر عنهم النبي صلى الله عليه وسلم وذكرهم بصفاتهم
وكان لعلي معهم وقائع مدونة في التواريخ وهم من الفرق الضالة ولهم اعتقادات فاسدة واعمال
فاسدة والواحد منهم خارج وخارجي **والناصبة** اي الفرقة او الطائفة الناصبة ويقال لهم النواصب
وهم قوم تدينوا ببغض علي كرم الله وجهه قال ابن السيد من نصبت الشرك والحبالة فاستعير لكل
من يكيد ويوقع المكروه واشتق منه هذا الاسم انتهى وفي الكشاف النصب بغض علي وعداوته وهو بالصاد
المهملة وهم من الخوارج ايضا **وطائفة ممن ينسب** بالياء التحتية وبالمثناة الفوقية وروي ينتسب
انتقال من النسبة الى علي لانهم كانوا يعتقدون انه الخليفة بحق وان الامامة حقه **من الروافض**
من الرفض وهو الترك سموا بذلك لتركهم السنة والجماعة **كفروه** اي نسبوه الى الكفر لتركه الخلافة وهي
حقه وهو زعم فاسد وجهاد وهم المنكرون للتحكيم وقولهم لا حكم الا الله وهي كلمة حق اريد بها باطل وقد
كفروا غيره من الصحابة ايضا وقوله ممن عاداه اشارة الى ان من عاداه ليس منحصرا فيمن ذكر
فان كثيرا من تبرا منه والعباسيين اظهروا عداوته وسبه وقال صلى الله عليه وسلم كما رواه الشيخان
يقتل عثمان وهو يقرا القرآن في داره **من المصحف** وروى الترمذي عن ابن عمر انه صلى الله
عليه وسلم ذكر فتنة فقال يقتل هذا فيها مظلوما يعني عثمان رضي الله عنه وحسنه وهو من جملة ما اخبر
به من المغيبات فكان كما قال والمصحف بضم الميم وكسرها محل الصحف لجمعه ما كان فيها **وان الله عسى**

ان يلبسه

ان يلبسه قميصا اي بعسى هنا تاذبا لعدم جزمه واستعارها للاستقبال اللازم للترجي
اي سيلبسه واستعار القميص للخلافة استعارة مرشحة بقوله **يريدون خلعه** ان كان الضمير
للقميص ويجوز عوده لعثمان وخلعه بمعنى عزله فانهم اجتمعوا لخلعه فلم يرض لانه صلى الله عليه
وسلم نهاه عنه بقوله فلا تخلعه فقتلوه فاهدر الله بدمه سبعين الفا قتلوا بصفين وغيرها كما
رواه الترمذي عن عائشة وهو حديث حسن وعن ابن عمر انه اصبح يحدث الناس فقال رايت النبي صلى
الله عليه وسلم فقال يا عثمان افطر عندنا فاصبح صائما وقتل في يومه **وانه سيقطر دمه على قوله
فسيكفيكهم الله** وهو السميع العليم اي يا خذ ثارك ممن يقتلك وهذا رواه الطبري في كتابه
الرياض النضرة ورواه الحاكم عن ابن عباس وقال الذهبي انه موضوع وتبعه السيوطي والظاهر
ان دمه وقع على هذه الاية وقيل المراد انه اريق دمه وهو يقروها وهو بعيد وفيه اخبار بمغيبات
منها وقوع هذه الفتنة وان عثمان سيقتل شهيدا وان القرآن سيجمع في مصحف فانه لم يكن في زمنه
مصحف واختلفوا فيمن قتله فقيل رومان بن سرحان وقيل الاسود التجيبي وهذه اول فتنة ومصيبة
وقعت في الاسلام
ومن لم يقاسي الدهر لم يعرف الاسى ● وفي غير الايام ما وعد الدهر ●
وان الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا روى البيهقي هذا الحديث عن ابن عمر والشيخان عن حذيفة
ولفظه يوما عمر ابا ذر فاخذ بيده وعصرها فقال له دع يدي يا قفل الفتنة فقال له ما هذا يا ابا ذر قال
جئت يوما ونحن عند رسول الله فكرهت ان تتخطى الناس فجلست في ادبارهم فقال لا تصيبكم فتنة
ما دام هذا فيكم وقال يوما ايكم يحفظ ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفتنة التي تموج كما
يموج البحر فقال حذيفة ليس عليك منها يا امير المؤمنين ان بينك وبينها بابا مغلقا قال ايفتح ام يكسر
قال يكسر قال اذن لا يغلق ابدا فقيل له اكان عمر يعلمه قال نعم كما ان دون الغد الليلة اقول
في هذا سر من كنايات البلاغة عجيب فان قوله فيه تموج اشارة الى انها ليست فتنة المال والاولاد
وقوله يكسر يشير الى انه يقتل فيتجرا الناس على الخلفاء والباب اذا انكسر لا يقفل وقوله دون الغد الليلة
كناية عن انه كان يقينا عنده وانما سال ليعلم هل علمه غيره ام لا وخطب خالد بن الوليد يوما فقال
ان امير المؤمنين بعثني الى الشام وهو بهمه فالقى بوانيه بثنية وعسلا اراد ان اوثر به غيري
فقال له رجل اصبر ايها الامير فان الفتن قد ظهرت فقال اما وابن الخطاب حي فلا انما ذاك بعده
اذا كان الناس بذي بلى اوبذي بليان فينظر الرجل هل يجد مكانا لم ينزل به ما نزل بمكانه من الشر
فلا يجده نعوذ بالله ان تدركني واياكم اولئك الايام ● وبوانيه جمع بانية اي خيره وسعته هم
والبثنية حنطة منسوبة لبثنية ناحية بدمشق وقيل هي الزبد اي كانها زبد وعسل لما يجيء
من اموالها وذي بلى وذي بليان يريد به طوائف بلا امام وكل من تعد حتى لا يدري موضعه فهو كذي
بلى من بلي في الارض اذا ذهب اراد ان امور الناس تضيع بعد عمر **و**اخبر صلى الله عليه وسلم في حديث
رواه البيهقي من طرق وهو مما اخبر به من المغيبات **بمحاربة الزبير لعلي وهو ظالم له** وكان
صلى الله عليه وسلم رآهما يوما وكل منهما يضحك فقال لعلي تحبه فقال كيف لا وهو ابن خالي وعلى
ديني فقال انك ستقاتله وانت ظالم فلما كان يوم الجمل قاتله فبرز له علي وقال انا شدتك الله هم
اسمعت من رسول الله قوله انك ستقاتلني وانت ظالم قال نعم ولكن انسيته وانصرف عني فلما كان
بوادي السباع خرج عليه ابن جرموز فقتله واتى براسه كما فصله المؤرخون **و**مما اخبر به من المغيبات
نباح كلاب الحواب على بعض ازواجه هي عائشة رضي الله تعالى عنها وهو بحاء مهملة وواو ساكنة
وهمزة مفتوحة وموحدة اسم ما او موضع وقرية فيه الما في طريق الذاهب من المدينة الى البصرة هم

قال ابن عبد ربه في العقد وبعضهم يقول فيه الحُوْب بضم الحاء وتشديد الواو والمشهور
الاول قال الشاعر من الخوارج

وانا البريء من الزبير وطلحة • ومن التي نبحت كلاب الحوأب •

وفي معجم البلدان اصل معناه الوادي الواسع وانما كان المراد عائشة رضي الله عنها لانه صلى
الله عليه وسلم كان يوما وعنده نساؤه يتحدثن معه فقال ايتكن تنبحها كلاب الحوأب سائرة
الى الشرق في كتيبة فكانت عائشة في وقعة الجمل والمامرة بذلك المكان نبحتها كلابه فسألت عن اسم
ذلك المكان فقيل لها الحوأب فهمت بالرجوع فحلفوا لها انه ليس بالحوأب والحوأب ايضا اسم مخلاف
بالطائف قلت فيه سلمى المرادة بنت عتيقة عائشة وقيل ايضا انها المرادة بالحديث ايضا لانها كانت
مع نسائه صلى الله عليه وسلم لما حدثهن به كما في المعجم والصحيح خلافه لما ياتي في بقية الحديث
والنباح بضم النون وكسرها صوت الكلب والتيس وقيل انه اي الحوأب وسمي باسم حوأب بنت
كلب لبن وطافية كما قاله ابن ماكولا واختلف في وزنه فقيل فوعل وقيل فعال وفيه الاخبار بالمغيبات
وهو حديث صحيح رواه البزار عن ابن عباس وهو من تتمة حديث الزبير رضي الله عنه لان عائشة
ذهبت معه لتصلح بينه وبين علي فاتفق ما اتفق في وقعة الجمل واخبر صلى الله عليه وسلم
في هذا الحديث انه يقتل حولها ممن كان معها قتلى كثيرة قيل كانوا نحو ثلاثين الفا وتنجو
اي تسلم هي بعد ما كادت اي قاربت عدم النجاة فنبحت كلاب الحوأب على عائشة عند
خروجها الى البصرة وهذا الحديث صحيح كما مر وروي من طرق عدة فعن ابن عباس انه صلى الله
عليه وسلم قال لنسائه ليت شعري ايتكن صاحبة الجمل الادبب تنبحها كلاب الحوأب والادبب
كثير شعر الوجه وفك ادغامه لمشاكلة الحوأب فكان ما اخبر به لانه لما قتل عثمان رضي الله
عنه وكانت هي وامهات المؤمنين حاجات في ذلك العام فبايع الناس عليا وانحاز اليه قتلة عثمان
من غير رضى منه لكنه خشي الفتنة لكثرتهم وتغلبهم واشتد غيظ الناس فخطبتهم عائشة رضي
الله عنها وحثتهم على الطلب بدمه ودفع الخوارج عن البلد الحرام فاجابها الناس وقالوا لها حيثما
سرت نحن معك فسارت في هودجها على جمل يقال له عسكر وودعها امهات المؤمنين يبكين
فسمي ذلك العام عام النحيب فلما وصلت الى الحوأب وانا خوا جملها نبحتها الكلاب فقالت ردوني
واخبرت بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها الزبير يا ام المؤمنين اصلحي بين
الناس اصلحي بين الناس فسارت لذلك وكان ما كان ومما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات
ان عمار بن ياسر الصحابي المشهور تقتله الفئة الباغية من البغي وهو الخروج بغير حق
على الامام ولفظ مسلم قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمار تقتلك الفئة الباغية وروي
وقاتله في النار فقتله اصحاب معاوية وكان هو مع علي بصفين وهو صريح في ان الخليفة
حق هو علي رضي الله عنه وان معاوية مخطئ في اجتهاده كما في حديث اذا اختلف الناس كان
ابن سمية مع الحق وابن سمية هو عمار رضي الله عنه كان مع علي وهذا هو الذي ندين الله به
وهو ان عليا كرم الله وجهه على الحق ومجتهد مصيب في عدم تسليم قتلة عثمان ومعاوية
رضي الله عنه مجتهد مخطئ فدع القيل والقال فماذا بعد الحق الا الضلال وقد تأول معاوية
حديث عمار لما لم يجد مجالا لانكاره فقال انما قتله من اخرجه ولذا قال علي كرم الله وجهه لما بلغه
قوله فرسول الله صلى الله عليه وسلم قتل حمزة رضي الله عنه لما اخرجه لاحد كما نقله ابن دحية
رضي الله عنه وقتل بصفين وهو ابن سبعين سنة قتله ابن الغادية واحتز راسه ابن جزء ودفنه

علي رضي الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم في حديث تقدم لعبد الله بن الزبير لما شرب
دما من فضلاته صلى الله عليه وسلم ويل للناس منك وويل لك من الناس وويل هنا للتحسر
والتأسف ويكون للدعاء بالهلاك وكان صلى الله عليه وسلم احتجم واعطاه دمه وقال له
ارقه في محل لا يرى فلما رجع قال له صلى الله عليه وسلم ما فعلت شربته فقال نعم فقال له ذلك
واستدل به على طهارة فضلاته وكان الناس يرون انما عنده من القوة والجراءة مكتسبة من
ذلك الدم والمراد من الناس الجنس وويله من الناس لان من كان على الحق جريا على المقاتلة عليه
يكثر اعداؤه وحساده وينال من الناس اذى ووقع له ذلك رضي الله عنه حتى قتل هو وابنه ظلما
وعدوانا كما اخبر به صلى الله عليه وسلم فلم يرق ذلك الدم حتى اراق دمه وقال صلى الله عليه
وسلم في اخباره عن المغيبات في حديث صحيح رواه الشيخان في حق قزمان بقاف مضمومة
وزاي معجمة ساكنة وميم وهو مولى لبعض الانصار وكان شجاعا لكنه منافق وقاتل قتالا شديدا
اعجب الصحابة رضي الله تعالى عنهم كما اشار اليه بقوله وقد ابلى مع المسلمين بفتح الهمزة وموحدة
ساكنة ولام والف مقصورة فعل ماض من ابلى بمعنى اختبر ويقال ابلى بلاء حسنا في الحرب اذا اظهر
في قتاله واجاد والجملة حالية اي اظهر شجاعته واقدامه الا ان ذلك لم يكن خالصا لله وقد اطلع
الله رسوله صلى الله عليه وسلم على حاله فقال فيه انه من اهل النار فتعجب الناس من ذلك فاظهره
الله لهم فقتل نفسه لما كثرت الجراحة فيه واثخنته واختلفت الرواية في هذا الحديث بعد الاتفاق
على صحته لرواية الشيخين له عن ابي هريرة فقيل انه كان ذلك باحد وقيل بحنين وقيل بخيبر
وان حنين الواقع في صحيح مسلم محرف من خيبر لقرب رسمها خطا وقيل ان القصة تعددت فانه
صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته رأى رجلا فقال انه من اهل النار فلما قاتلوا قاتل معهم
اشد القتال حتى اثخن بجراحات كثيرة فقال صلى الله عليه وسلم انه من اهل النار فكاد بعض الناس
يرتاب فلما اشتد عليه الم جراحاته قتل نفسه فقيل انه جعل سيفه بين ثدييه وتحامل عليه حتى
مات وقيل اخرج من كنانته سهما فنحر به نفسه وقطع عروق يده فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك تصديقا لمقالته فقال ان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وامر مناديا ينادي في الناس
انه لا يدخل الجنة الا مؤمن اي مؤمن كامل او هو علم منه انه منافق او انه ارتد قبيل موته والمنادي
قيل انه عمر رضي الله عنه وقيل بلال وقيل عبد الرحمن بن عوف وجمع بين الروايات بتعدد القصة
او بانه وقع كل ذلك من بعضهم او من غيره وتعدد من نادى وفيه اشارة الى انه لا ينبغي النظر لظاهر
العمل ولا الاتكال عليه وروى الطبراني والبيهقي من طرق بعضها متصل وبعضها مرسل
وبعضها منقطع انه صلى الله عليه وسلم قال في حق جماعة من الصحابة كانوا عنده فيهم ابو هريرة
وحذيفة وسمرة بن جندب اخركم موتا في النار اخركم مبتدأ خبره محذوف تقديره يموت
موتا في النار فموتا مفعول مطلق والجار والمجرور متعلق بالخبر او بالمصدر او اخركم فاعل يموت
واما كونه مبتدأ وموتا تمييز والظرف خبره وان احتمل فليس بمراد ولذا قيل ان فيه ابهاما
وتورية لان المراد يحترق في الدنيا حريقا يموت به لا انه يدخل نار جهنم لان ابن عساكر روى
عن ابن سيرين ان سمرة اصابه كزاز وهو مرض يصيب صاحبه برد لا يكاد يدفأ منه فكان يجعل
له قدر عظيم ما يسخن ويجلس عليه ليدفأ من بخاره فسقط فيه فاحترق وقيل انه مات في
حريق وقيل ويحتمل انه على ظاهره بان يدخل النار في الآخرة ثم يخرج لامر صدر منه والذي
صححه السيوطي وغيره الاول واليه يشير المصنف بقوله فكان بعضهم اي بعض من قيل في حقه

ذلك ممن تقدم **يسال عن البعض** من رفقايه الذين قال صلى الله عليه وسلم فيهم
ما مر قال ابن حكيم الضبي كنت اذا لقيت ابا هريرة سالني عن سمرة فاذا اخبرته بصحته
فرح فسالته عن ذلك فقال كنا عشرة في بيت فقال صلى الله عليه وسلم آخركم موتا في
النار فمات منا ثمانية ولم يبق غيري وغيره وكان اذا قيل له مات سمرة يغشي عليه حتى مات
قبله **فكان سمرة آخرهم موتا هرم** بزنة علم اي كبر سنه وضعف بدنه واصابه هزال
الشيخوخة **وخرف** بخاء معجمة مفتوحة وراء مهملة مكسورة اي فسد عقله وتغير من الكبر
فاصطلي اصله اصتلي فابدل الطا تاء لمجاورة الصاد اي تدفي **بالنار** اي بنار اوقدت له
فاحترق فيها لغفلة اهله عنه وضعفه عن الحركة فعلم صحة ما اخبر به الرسول صلى الله عليه
وسلم قبل وقوعه ولم يكشف لهم الغطا عن مراده ليجدوا في اعمالهم ويبقوا على الخوف والمراقبة
او لانه صلى الله عليه وسلم لم يوذن له في ذلك وهو من الحكم الخفية قيل انما ذكر لم يكن منقولا
عن غير المصنف ولم يذكر احد ان سمرة حرق بل لم ينقل ان احدا من الصحابة حرق الا بسر بن ارطاه
او ابن ابي ارطاه على القول بانه صحابي وقد نفي بسر اسفينة مولاه صلى الله عليه وسلم كما قال
البرهان **وقال** صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابن اسحاق عن عاصم بن عمرو بن قتادة انه
قال **في حنظلة** بن ابي عامر الانصاري الصحابي المشهور **بالغسيل** فعيل بمعنى مفعول
من الغسل سمي بذلك لان الملايكة غسلته لما استشهد باحد وكان جنبا فقتله ابو سفيان
بن حرب وقيل قتله شداد بن اوس الليثي وهو حنظلة بن عامر الراهب الذي لقبه رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالفاسق فراي رسول الله صلى الله عليه وسلم الملايكة تغسله مع انه
شهيد فقال **سلوا زوجته** يعني امراته وزوجة فانه يقال للمراة زوج كالرجل في الفصيح
وقد يقال زوجة للفرق **عنه** اي عن حاله فانه علم ان تغسيله لجنابته وهي لا يطلع عليها غيرها
فاني رايت الملايكة تغسله والشهيد لا يغسل وكان ذلك باحد **فسالوها فقالت خرج**
من بيته لاحد **جنبا** من جماع امراته **اعجله الحال** اي محبة الجهاد واللحوق برسول الله صلى الله
عليه وسلم **عن الغسل** بضم فسكون اي عن ان يغتسل من جنابته لخوفه ان يبطي عن حضوره
معه صلى الله عليه وسلم فيفوته ذلك الموقف وفي رواية قالت كان جنبا فغسلت احدى شقي
راسه فلما سمع صوتا خرج فقتل وكان ابتني بزوجته في تلك الليلة وهي جميلة بنت ابي بن
سلول المنافق **قال ابو سعيد** بن مالك بن سنان الخدري وقد تقدم ذكره مرارا **ووجدنا**
راسه اي راس حنظلة لما قتل **يقطر ماء** من اثر تغسيل الملايكة له وهذا من ظهور ما في عالم
الغيب وهذا مما وقع في بعض النسخ ملحقا بالام والشهيد في المعركة لا يغسل لكنه لو كان جنبا
هل يلزم تغسيله ام لا اختلف فيه فقيل يجب لانه بسبب آخر وهو ظاهر الحديث والكلام عليه
مفصل في كتب الفقه **وقال** صلى الله عليه وسلم في حديث رواه احمد والترمذي وهو مما نحن
فيه اذ فيه مع الحكم اخبار ببعض المغيبات **الخلافة في قريش** ولو كان هذا لمجرد الحكم لم يكن
مما نحن فيه لانه صلى الله عليه وسلم حكم باستحقاقهم لها وقع ام لم يقع وقد وقع كما اخبر مدة
طويلة الى انقضاء دولة بني العباس **و** في حديث آخر رواه البخاري **لن يزال هذا الامر**
يعني الخلافة في قريش **ما اقاموا الدين** بيان لغايته اي ما حموا شوكة الاسلام واقاموا
شعاير الدين الظاهرة فاذا غيروا غيرهم الله ونزع الملك منهم وقد وقع كما قال صلى الله عليه
وسلم وفيه روايات متغايرة تحتاج لكلام طويل طويناه خوف السامة والملل وفي رواية

حتى يمضي

حتى يمضي فيهم اثني عشر خليفة وما ظرفية مصدرية اي مدة اقامتهم والاجماع منعقد
على ان الخلافة مختصة بقريش **وقال** صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم والبيهقي
يكون اي بعده صلى الله عليه وسلم **في ثقيف** قبيلة معروفة **كذاب ومبير** اي مهلك يكثر
القتل بغير حق من البوار وهو الهلاك قال تع وكنتم قوما بورا اي هالكين **فراوهما** من الراي
اي راي العلما ان المراد في الحديث بهما **الحجاج** بن يوسف الثقفي وهذا مما اخبر به صلى الله
عليه وسلم من المغيبات ففي حديث اسما رضي الله عنها من طريق مسلم انها قالت للحجاج اذ في
ثقيف كذابا ومبيرا اما الكذاب فقد رايناه واما المبير فلا اخالك الا اياه وقال النووي
رحمه الله اجمع العلما على ان المبير هو الحجاج وقال هشام بن حسان انه قتل مايه وعشرين الفا
والكذاب هو المختار بن ابي عبيد الثقفي ابن مسعود بن عمرو بن عمير ففي عبارته لف ونشر
مشوش وابوه اسلم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره فلم يعد في الصحابة والمختار هذا
كان يزعم ان جبريل عليه السلام ياتيه وكان يظهر مدح ابن الزبير ومحمد بن الحنفية واستحوذ
على الكوفة واظهر التشيع واجتمع عليه ناس كثيرون وطلب الاخذ بثار الحسين فقتل كثيرا من
قتلته وعظم امره وكان يتكهن ويزعم انه يوحي وله كرسي يضاهي به تابوت بني اسرايل فهو ضال
مضل واستمر على ذلك مدة حتى قتله مصعب بن الزبير وامر الحجاج اشهر من ان يذكر **وان مسيلمة**
يعقره الله اي مما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ما ورد في الحديث الصحيح الذي رواه
الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما من ظهور مسيلمة الكذاب وان الله يقتله ومسيلمة بصيغة
التصغير فلامه مكسورة والعامة تفتحها وهو خطا قبيح كما مر وهو رجل من بني حنيفة كنيته
ابو ثمامة ادعى النبوة وزعم انه ياتيه الوحي بقران فكان له هذيانات سخيفة ولما قدم وفد
بني حنيفة المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معهم لم يقابله وقال لو جعل الامر
لي بعده اتبعته فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قاله فقال لو سالني هذه السطبة ما
اعطيتها له فرجع معهم وتخرق بشعبذة فافتتنوا به وزعم ان النبي صلى الله عليه وسلم اشركه
معه في امره وكتب اليه من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فاني قد اشركت في الامر
معك فان لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكنهم يعتدون فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة
للمتقين فاخفى الكتاب وكتب كتابا من عنده اظهره لاصحابه زعم انه صدقه فيما قاله فكذبه
من بني حنيفة ثمامة بن مالك رضي الله عنه ونهى الناس عنه وقال يخاطبه وكان مومنا رضي

مسيلمة ارجع ولا تمحك • فانك في الامر لم تشرك
كذبت على الله في وحيه • هواك هوى الاحمق الانوك
فما في السماء لك مصعد • وما لك في الارض من مبرك

وكان يلقب نفسه برحمان اليمامة ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع جموعا سفهاء
فجهز له ابو بكر جيشا اميرهم خالد بن الوليد رضي الله عنه فقتل مسيلمة كافرا لعنه الله قتله وحشي
قاتل حمزة رضي الله عنه وشاركه فيه ناس والعقر اصله يستعمل في الحيوان كعقر الناقة ونحو
ففيه اشارة الى انه بهيمة من البهايم مات ميتة جاهلية فلم يدرك ولم يترك **و**مما اخبر به
صلى الله عليه وسلم من المغيبات ما رواه الشيخان عن عايشة رضي الله عنها **ان فاطمة**
الزهرا بنته صلى الله عليه وسلم ورضي عنها **اول اهله لحوقا به** وروي لحاقا اي اول

من يموت بعده صلى الله عليه وسلم من اهل البيت فماتت بعد ستة اشهر وقيل ثمانية اشهر وقيل
مائة يوم وهي اصغر بناته صلى الله عليه وسلم واحبهن اليه وهي اول من غطي نعشه من النساء في الاسلام
واول الحديث انه صلى الله عليه وسلم في مرض موته فبكت ثم دعاها وسارها بشيء فضحكت فسئلت
عن ذلك بعد موته صلى الله عليه وسلم فقالت سارني اولا في انه يموت في مرضه هذا فبكيت ثم
سارني باني اول اهله يتبعه فضحكت ولما توفيت دفنها علي كرم الله وجهه ليلا واختلف في محل دفنها
فقيل في قبة ولدها الحسن قرب محرابها وروى احمد بن حنبل في المناقب انها اغتسلت ولبست ثيابا
لها وكفنا وقالت اني مقبوضة فلا يغسلني ولا يكشفني احد فامتثل امرها وفيه كلام للفقهاء وانه هل
يكفي غسلها في الحياة عن غسل الميت ام لا الا انه يعارضه ما روي من انها امرت فاطمة بنت عميس
ان تغسلها وقيل انه من خصايصها. وفي اللآلي للسيوطي عن ام سلمة قالت مرضت فاطمة فقالت
يا اماه اسكبي لي غسلا فسكبته فاغتسلت ثم قالت هاتي ثيابي الجدد فناولتها فلبستها فقالت
قدمي الفراش فقدمته فاضطجعت مستقبلة ثم قالت اني اليوم مقبوضة فلا يكشفني احد فقبضت
مكانها واتى علي فاخبرته فدفنها بغسلها وقال ابن الجوزي انه موضوع ورد بانه رواه الطبراني الا انه
يعارضه ما روي بخلافه ولعله من خصوصياتها وانه اخبرها به **وانذر بالردة** اي اعلم صلى الله عليه
وسلم اصحابه بمن يرتد بعده وما يكون من قتالهم وقد وقع ذلك في خلافة ابي بكر رضي الله عنه والانذار
اخبار بامر مكروه مخوف ضد التبشير وهو مما رواه الشيخان ايضا عن ابن عمر رضي الله عنهما وكان ذلك
بعد ابتداء خلافة الصديق بسبعة اشهر وستة ايام فانه بعد انتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ارتد كثير من الناس الا اهل الحرمين والبحرين فكفى الله امرهم بابي بكر رضي الله عنه بعد ان قاسى منه
امورا شديدة **و** مما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات في حديث رواه اصحاب الكتب الستة مسندا
وفيه **ان الخلافة** اي خلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحق وخلافة النبوة انما تكون لمن تمسك بالسنة
من قريش وهي **بعده ثلاثون سنة ثم تكون** اي تتحول الخلافة وتصير **ملكا عضوضا** اي
سلطنة بالقهر والتطلب من غير وجود شروطها **فكانت** الخلافة الحقيقية **كذلك** اي كما اخبر به
صلى الله عليه وسلم وتمت المدة التي ذكرها **بمدة الحسن** بن علي بن ابي طالب كما رواه سفينة مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت خلافة الصديق رضي الله عنه سنتين واربعة اشهر وخلافة
عمر رضي الله عنه عشر سنين ونصفا وخلافة عثمان رضي الله عنه اثني عشر سنة الا اياما وخلافة علي
رضي الله عنه اربع سنين وتسعة اشهر واياما وفي المغرب خلافة ابي بكر سنتان وثلاثة اشهر وتسع
ليال وعمر عشر سنين وستة اشهر وخمس ليال وعثمان اثني عشر سنة الا اثني عشر ليلة وعلي خمس سنين
الا ثلاثة اشهر فتتم المدة بمدة الحسن لما بويع في عشر رمضان الاخير سنة اربعين هجرية ثم سلمها لمعاوية
في نصف جمادي الاولى سنة احدى واربعين فمدته كانت سبعة اشهر ونصفا واياما فبها تتم الثلاثون
كما ذكره المصنف والملك بضم الميم والعضوض بفتح العين صيغة مبالغة وروي ثم تكون ملك عضوض
بضم العين جمع عض بكسرها وهو الشرس الخبيث والملك السلطان والخليفة امير المومنين ويقال خليفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه خلفه في القيام بامر المسلمين ولا يقال خليفة الله لغير داود عليه الصلاة
والسلام **وقال** صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البزار عن ابي عبيدة رضي الله عنه والبيهقي عن
معاذ بن جبل رضي الله عنه **ان هذا الامر** اراد به دين الاسلام وامر الشريعة المحمدية **بدا** بهمزة في
آخره اي ابتدا في اول امره او بالف مقصورة بمعنى ظهر وبرز من كون العدم الى الخارج والظاهر الاول
هنا **نبوة ورحمة** بالنصب على الحالية او بنزع الخافض اي بدا بنبوته صلى الله عليه وسلم ورحمته

للعالمين

للعالمين بانقاذهم من الضلال والكفر وامور الجاهلية وهذا في حياته صلى الله عليه وسلم
ثم يكون بعده رحمة وخلافة في زمن الخلفاء الراشدين واخر الرحمة اولا لانها ناشئة من النبوة هم
وقدمها هنا لسبقها على الخلافة فان رحمته صلى الله عليه وسلم كانت قبلهم واستمرت **ثم يكون** بعد
الخلافة **ملكا عضوضا** بفتح العين وضمها كما تقدم في رواية ملك عضوض وهو استعارة تصريحية
او مكنية بتشبيه ظلمهم وتعديهم على الرعية بعض حيوان مفترس بعض من رآه **ثم يكون** بالتحتية
والضمير للامر **عتوا وجبرية** العتو بضم العين الخروج عن طاعة الله تعالى عتا يعتو عتوا
والجبرية بفتح الجيم والموحدة وتسكن ايضا من الجبر وهو الاكراه والقهر قال الراغب الاجبار في
الاصل حمل الغير على ان يجبر الامر لكن تعورف في الاكراه المجرد فقيل اجبرته على كذا وسمي الذين
يدعون ان الله يكره العباد على المعاصي في تعارف المتكلمين مجبرة وفي قول المتقدمين جبرية
وجبرية انتهى وقال غيره الجبرية بفتح الباء اي قهرا وتكبرا ولفظ الحديث الذي رواه البيهقي
ان الله بدا هذا الامر نبوة ورحمة وكانت خلافة ورحمة وكانت ملكا عضوضا وكانت عتوا وجبرية
وفسادا في الامة يستحلون الفروج والخمور والحرير وينصرون على ذلك ويرزقون ابدا حتى
يلقوا الله وهما منصوبان بانه خبر كان وروي بالرفع فكان تامة وروي جبروتا بمثناة فوقية
والعتو بمثناة ايضا وما قيل انه بمثلثة ومعناه الفساد وقوله تعالى ولا تعثوا في الارض مفسدين
فالحال مؤكدة وقوله في الحديث عتوا وجبروتا وفسادا في الامة يلزمه عطف الشيء على نفسه
وفي الكشاف معناه اشد الفساد فقيل لهم لا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم انتهى وكونه
اشد الفساد يحتاج الى النقل وفي الصحاح ما يخالفه لانه فسره بمطلق الفساد ويلزمه ان يكون
النهي عن التمادي في حال الفساد ملخصه وفيه بحث وانما تركناه لانه اطال فيه من غير طائل
وانا اقول لا يخلو كلامه من الخبط فان العتو هنا بالمثناة والمثلثة تحريف واعتراضه على
العلامة من قصور نظره فان مثله لا يطلب منه النقل ومراده ان العثو ان كان بمعنى الفساد فا
بقوله مفسدين مستمرين على الفساد لان الاصل التاسيس وقد قرره في سورة البقرة في امر
المؤمنين بالايمان ومثله كثير **و** مما اخبر به صلى الله عليه وسلم عن المغيبات ما اشار اليه بقوله
واخبر صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم **بشان اويس** بن عامر المرادي نسبة لمراد قبيلة
مشهورة **القرني** بفتحتين نسبة لقرن بن ردمان بن ناجية بن مراد وغلط الجوهري في نسبته
لقرن المنازل كما غلط في فتح قرن المنازل كما في القاموس وتبعه بعض الشراح هنا وقال ابن حجر في
فتح الباري بالغ النووي في حكاية الاتفاق على تغليطه في تحريك قرن المنازل وحكى المصنف عن
تعليق القابسي ان من قال بالاسكان اراد الجبل ومن قال بالتحريك اراد البلد وقال الكرماني
اويس القرني منسوب الى قبيلة بني قرن ولا منافاة بينه وبين ما قدمناه وفي طبقات الاولياء
للشرجي انه خير التابعين مطلقا بشهادة النبي صلى الله عليه وسلم له وكان ادرك زمن النبي صلى
الله عليه وسلم ولم يره لاشتغاله ببر امه وعن عمر رضي الله عنه انه قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول يأتيكم اويس بن عامر مع امداد من اهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص
فبرا منه الا موضع درهم منه لانه دعا الله ان يزيله الا لمعة اذكرها نعمات علي فمن ادركه منكم
فاستطاع ان يستغفر له فليفعل ووصفه صلى الله عليه وسلم بانه اشهل ذو صهوبة بعيد ما بين
المنكبين شديد الادمة ضارب بذقنه الى صدره رام ببصره الى موضع سجوده يبكي على نفسه
ذو طمرين لا يؤبه به مجهول في الارض معروف في السماء لو اقسم على الله لابره تحت منكبه الايسر

لمة بيضاء الا وانه اذا كان يوم القيمة قيل للناس ادخلوا وقيل لاويس قف واشفع فيشفعه
الله تع في ربيعة ومضر يا عمر ويا علي اذا انتما لقيتماه فاطلبا منه ان يستغفر لكما فمكثا عشر
سنين يطلبانه فلم يلقياه فلما كانت السنة التي توفي فيها عمر قام على ابي قبيس فنادى يا اهل
اليمن هل فيكم اويس فقام شيخ وقال لا ندري ما اويس ولكن ابن اخ لي اخمل ذكرا واهون من ان
نرفعه اليك وهو في ابلنا يرعاها فعمي عليه عمر كانه لا يريده ثم قال اين هو فقال بأراك عرفات
فركب عمر وعلي اليه فاذا هو قائم يصلي فسلما عليه وقالا من الرجل فقال راعي ابل اجير فقالا لسنا
نسالك عن ذاك ما اسمك فقال عبد الله فقالا كلنا عبيد الله ما اسمك الذي سمتك به امك
قال ما تريدان فاخبراه بما قال له رسول الله وعرفاه بانفسهما فقام وسلم عليهما وقال جزاكما الله
عن امة محمد خيرا فقال له عمر مكانك يرحمك الله آتيك بنفقة من عطائي وكسوة من ثيابي فقال
لا ميعاد لي ولا اراني تعرفني بعد اليوم وما اصنع بالنفقة والكسوة ثم اقبل على العبادة وتوفي بصفين
على ما قيل عام سبع وثلاثين شهيدا مع اصحاب علي رضي الله عنهم وقال ابن سلمة غزونا اذربيجا
في زمن عمر رضي الله عنه ومعنا اويس فلما رجع مرض ومات فدفناه وجعلنا على القبر علامة فلما
رجعنا لم نجد له اثرا والاول اصح لقول الجمهور اذ اجتماعه بعمر في السنة التي توفي فيها فكيف
يكون غزا في ايامه وقيل دفن بدمشق والله اعلم انتهى وهذا هو المراد بما تنه الذي اشار اليه
المص وبما مر علمت ان اويسا لم يدفن باليمن كما توهمه بعض الناس وانه افضل التابعين وقد لقي
عليا وعمر وادرك زمنه صلى الله عليه وسلم لما ورد في الحديث الصحيح ان خير التابعين رجل يقال
له اويس القرني وقال احمد بن حنبل افضل التابعين سعيد بن المسيب قال العراقي لعل احمد لم
يقف على هذا الحديث او لم يصح عنده وفيه انه ذكره في مسنده ولم يضعفه وانما وجهه انه رواه
ان من خير التابعين بمن التبعيضية وقال النووي افضلية اويس بشدة زهده وخشيته لله
وافضلية سعيد بكثرة علمه وحفظه الحديث فلا منافاة بينهما وقيل افضلهم الحسن البصري
وقيل حفصة بنت سيرين ولا شك ان الافضلية على الاطلاق لاويس وبالعلم النافع لسعيد
وفيه نظر **و** مما اخبر به صلى الله عليه وسلم ما رواه مسلم من طرق عن ابي ذر رضي الله عنه **بان**
امراء يؤخرون الصلاة عن وقتها لفظ الحديث كيف انت اذا كنت وعليك امراء يؤخرون
الصلاة عن وقتها قلت فما تامرني قال صل الصلاة لوقتها فان ادركتها فصل فانها لك نافلة
وفي رواية والا كنت قد احرزت صلاتك قال النووي المراد في الحديث تاخيرها عن وقتها
الاختياري لا عن وقتها مطلقا بشهادة امره صلى الله عليه وسلم باعادتها معهم بعد ادائها منفردا
اذ لا اعادة بعد خروج وقت الصلاة ولا جماعة في الصلاة المقضية والقول بان المراد تاخيرها
عن جميع وقتها دعوى بلا بينة وتلك شهود لم تكن تقبل الرشا والمراد بالامراء لغة ما يشمل
الملوك وخصهم لان الامامة كانت وظيفة لهم فكل سلطان او حاكم بلدة يؤم الناس في المكتوبات
او يستخلف من يصلي بهم وقد وقع هذا في زمن بني امية لانهم اول من غير رسم الخلافة وقد وقع
هذا التاخير في زمن الحجاج وانكر عليه ذلك **و** مما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ما رواه
احمد والطبراني والبزار انه قال **سيكون في امتي** وفي بعض النسخ في امته **ثلاثون كذابا**
فيهم اربع نسوة ادخال النسوة فيهم بطريق التغليب والذي في صحيح مسلم انهم قريب من ثلاثين
وورد في حديث آخر انهم سبعة وعشرون دجالا فيهم اربع نسوة والذي ذكره المص رواية اخرى
وتسميتهم امة بناء على ظاهر حالهم او المراد بالامة امة الدعوة والمراد بالكذب فيهم كذب مخصوص

وهو ادعا

وهو ادعاء النبوة وقد وقع هذا بعده صلى الله عليه وسلم من الرجال كمسيلمة والاسود العنسي
بالنون ومن النساء كسجاح التي ظهرت باليمن وقصتها مشهورة وتفسيره بما ذكر ورد مصرحا به في
الحديث كحديث في امتي دجالون كذابون وانا خاتم النبيين لا نبي بعدي ولو استقصي عنهم بلغت
ما ذكر والدجال الكذاب الذي يخلط ويلبس يقال دجل امره اذا خلطه وموهه ولبس فيه حتى يخفى
ومنه الدجال المشهور وجمعه دجالون ودجاجلة **وفي حديث آخر** رواه الشيخان عن ابي هريرة
رضي الله عنه **ثلاثون دجالا كذابا** عطف بيان على ما قبله **آخرهم الدجال الكذاب** الاعور الذي
يظهر في آخر الزمان ويقتله عيسى بن مريم عليه عليه الصلاة والسلام والتعريف فيه للعهد
وتقدم انه من الدجل وهو الكذب والتمويه وفي تذكرة القرطبي فيه اقوال اخر احدها انه
ابن صياد يدعي الالوهية ويظهر امورا خارقة للعادة ولا يدخل مكة والمدينة والقدس معه
جنة ونار وجبال من خبز **كلهم يكذب على الله ورسوله** كذبه على الله قوله انه اوحي اليه وعلى رسو
قوله انه بشر بي واخبر بنبوتي كقول مسيلمة انه اشركني في امره ويحتمل ان يكون الرسول من
رسل الملائكة لقولهم ان جبريل نزل علي واوحي الي كذا **وقال** صلى الله عليه وسلم في حديث رواه
البزار والطبراني بسند صحيح من حديث طويل فيه **يوشك** بضم اوله مضارع اوشك بمعنى قرب
ودنى واسرع يقال وشك واوشك **ان يكثر فيكم العجم** هم خلاف العرب مطلقا لان السنتهم
عجماء اي غير ظاهرة لهم وقد يخص باهل فارس والاول اقرب هنا والمراد انه يكثر فيهم حكمهم وامارتهم
عليهم كما في كثير من الدول كال نوبة والاكراد والاتراك الذين كانت فيهم السلطنة
والدولة ولذا قال **ياكلون افياءكم** جمع فيء وهو الغنيمة من الكفار بغير قتال ويطلق على
مطلق الغنيمة والاكل فيه مجاز عن الاستيلاء عليه واخذه قهرا ومنع المستحقين منه بغير وجه
شرعي واضافة الافياء اليهم باعتبار انها حقهم ويحتمل ان يراد بافيائهم ما لهم الذي بايديهم
سماه فيئا لانه مما افاءه الله لهم بغير مشقة عليهم **ويضربون رقابكم** اي يقتلونهم بغير
حق والخطاب خطاب مشافهة لجنس المؤمنين من العرب فيشمل جميع من بعد عصر النبوة كما في
غيره من خطابات الشارع وانما جعله قريبا منهم لان كل آت قريب والدنيا ساعة وقد فسره الشا
الجديد بما لا وجه له فتركه خير من ذكره **وقال** صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان **لا**
تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه اي يملك الناس ويسخرهم كما يريد من غير مانع ولا
كلفة ونصب وفيه استعارة تمثيلية لتشبيهه براع لغنم يسوقها بعصاه يهش بها عليها وفيه اشارة
الى ضعف الناس وجهلهم فكانهم غنم سائمة همها ان ترعى والعصا فيه كما في قولهم فلان [illegible] عصا
ذلك اي منقاد لامره وحكمه وهم عبيد العصا **رجل من قحطان** اي من عرب اليمن وقحطان
ابو اليمن وهذا الرجل يسمى الجهجاه كما ورد في الحديث وقحطان اسمه يقطن او يقطان وكان يخبر
ومنع ارزاق الناس فسمي قحطان لقحط الرزق بسببه **وقال** صلى الله عليه وسلم في حديث
رواه الشيخان ايضا **خيركم** المراد امته ولفظ الصحيحين خير امتي وهو المراد **قرني** اي عصري
وزماني الذي انا فيه والمراد اهله لقوله **ثم الذين يلونهم** اي يعقبون بعدهم بلا فصل
وهم الصحابة والتابعون لهم باحسان **ثم الذين يلونهم** وهم تبع التابعين والعرف اهل
زمان اجتمعوا واقترنوا فيه في اعمارهم وجميع احوالهم وفي تفضيله كلام تقدم والخيرية
ان كانت بالنسبة لما بعده وهو الظاهر فلا كلام فيه وان كان على اطلاقه لا يلزم منه تفضيل
اصحابه على الانبياء عليهم الصلاة والسلام لان المراد تفضيل الجملة والمجموع على المجموع لا تفضيل

كل فرد على كل فرد وثم لبيان التراخي في الرتب كالافضل فالافضل ولا شبهة في فضل
العصر وجملة اهله من غير تفصيل فلا ينافيه حديث امتي كالمطر لا يدري الخير في اوله ام في
آخره فان هذا من واد وذاك من واد آخر وهذا اشارة الى انه قد يجيء في الامة من ينفع الناس
نفعا عظيما لم يتيسر لغيره ممن سبقه وهذا بالنظر لافراد مخصوصة وذاك بالنظر لمجموع
العصر وشتان ما بينهما ولذا عبر بالقرن فلا يتوهم انه هو نظر لعمر بن عبد العزيز وما صدر منه
ولعثمان وما كان في عصره تفضيل لعصره فيفضل ويفضل **ثم يأتي بعد ذلك قوم** وروي ثم
ان بعدكم قوما **يشهدون ولا يستشهدون** اي يؤدون الشهادة قبل ان تطلب منهم
ومثله لا يقبل وهذا لا ينافي ما ورد في الحديث ان خير الشهود من يأتي بالشهادة قبل ان يسألها
فان هذا محمول على من كان عنده علم بامور شهادة فيه وصاحبها لا يدري انها عنده فيخبره بما عنده
ليستشهده عند حاجته ولكل مقال مقام **ويخونون ولا يؤتمنون** هو عطف مؤكد لما قبله
لان الخائن لا يؤتمن او المراد ظهور خيانتهم حتى لا يأمنهم احد بعد ذلك بخلاف من خان مرة فانه قد
يؤتمن او المراد انهم يخونون فيما لم يؤتمنوا عليه كمن غصب او سرق ونحوه **وينذرون** بضم الذال
وكسرها **ولا يوفون** بما نذروه بغير عذر ومانع لهم ويقال وفى واوفى بمعنى **ويظهر فيهم
السمن** اي عظم البدن بكثرة لحمه وهذا علامة على كثرة اكلهم وشربهم وترفههم وعدم خوفهم
من الله وعدم تفكرهم في عواقب الامور وروي يأتي في آخر الزمان قوم يتسمنون وفي التوراة
ان الله يبغض الحبر السمين وفي الغالب اذ من سمن وكثرت رطوبة بدنه كان بليدا مغفلا غير مكترث
بدينه ودنياه فيحمل هذا كناية عما ذكر لانه من لوازمه غالبا فلا ينافيه ما يشاهد من كون
بعض العلماء والصلحاء سمين الجثة خلقة انشاه الله عليها لقوة نطفة ابويه وقيل المذموم منه
ما يكتسب دون الخلقي لانه ورد في الحديث ويل للمتسمنات يوم القيمة اي اللواتي يستعملن
السمنة وهي دواء يتسمن به وروي قوم يحبون السمانة بفتح السين المهملة وهي السمن **وقال**
صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البخاري عن انس رضي الله عنه **لا يأتي زمان الا والذي
بعده شر منه** المستثنى جملة حالية يجوز في مثلها الواو وتركها والحديث هكذا قال الزبير
بن عدي اتينا انسا رضي الله عنه فشكونا اليه الحجاج فقال اصبروا فانه لا يأتي زمان الا والذي
بعده شر منه حتى تلقون ربكم سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم وروي اشر على الاصل
كاخير والمستعمل منهما خير وشر وهما على الاصل نادر وفي معنى هذا الحديث ما اشتهر من انه
صلى الله عليه وسلم قال كل عام ترذلون الا انهم قالوا انه لم يرد بهذا اللفظ وان كان معناه
ثابتا في احاديث كثيرة فهو رواية بالمعنى وقال الحسن البصري لما ذكر محيى بن عبد العزيز
بعد الحجاج لا بد للناس من تنفيس يعني ان الله ينفس عن عباده احيانا ويكشف عنهم البلاء احيانا
وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان **هلاك امتي على يدي اغيلمة من قريش**
اغيلمة تصغير اغلمة وهو جمع قلة يجوز فيه التصغير على لفظه وهو في حكم المفرد وفي القاموس
جمع غلام غلمة واغلمة وغلمان والغلام الشاب قد طر شاربه وهو المراد فما في النهاية من انه تصغير
غلمة على القياس ولم يرد في جمعه اغلمة ومثله اصبية تصغير صبية كلام لا وجه له فان رد
جمع القلة لجمع قلة آخر في التصغير مما لا يعقل ولا يسمع ولو لم يرد غير هذا لدلنا على انه سمع فيه
اغلمة فلا حاجة للتعسف في تأويله والمراد باهلاكهم ضياع امورهم وهلاك بعضهم **قال ابو
هريرة راويه** اي راوي هذا الحديث **لو شئت سميتهم لكم بنو فلان وبنو فلان** اي لو اردت

تخلف

ان اسميهم

ان اسميهم لكم سميتهم كيزيد فانه اباح المدينة ثلاثة ايام وقتل من خيار اهلها ناسا فيهم
ناس من الصحابة ثلاثة وازيلت بكارة الف عذراء وكبني مروان بن الحكم وغيرهم من بني امية ولم
يسمهم خوف الفتنة **واخبر** صلى الله عليه وسلم عن بعض المغيبات في حديث رواه الترمذي وابو
داود والحاكم **بظهور القدرية** في قوله صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه الامة وهم
كما قالوا بان الامور كلها ليست بقضاء الله وقدره وان الانسان خالق لافعاله وانه بقدرته فسموا
قدرية لاثباتهم للعبد قدرة لا لانكار قدرة الله على افعالهم وشبههم بالمجوس لانهم اثبتوا
خالقين خالق الخير وهو النور الذي سموه يزدان وخالق الشر الظلمة سموها اهرمن وهؤلاء لما
نسبوا افعال العباد لهم قالوا بتعدد الخالق على ما تقرر في الاصول ۝ واما معنى القضاء والقدر
فعند السلف القضاء ارادة الله الازلية المتعلقة بجميع الاشياء خيرها وشرها والقدر ايجاده على
ما قضاه اولا وعند الفلاسفة القضاء علمه بما عليه الوجود حتى يكون على احسن نظام ويسمونه
العناية والقدر خروجها عن وفقه وهؤلاء القدرية هم المعتزلة ۝ واما القدرية الذين انكروا
القدر وان الامر انف اي مستأنف لا يعلمه الله الا بعد وجوده فليس المراد بالحديث هم لانهم
انقرضوا ولم يبق منهم احد **والرافضة** الذين اخبر رسول الله بظهورهم كما ورد في حديث رواه
البيهقي من طرق الا انها كلها ضعيفة فقال يكون في امتي قوم في آخر الزمان يسمون الرافضة
يرفضون الاسلام وروي ويلفظونه فاقتلوهم فانهم مشركون انتهى ۝ وفيه بيان لوجه التسمية
فان الرفض معناه لغة الترك وقيل هم قوم تركوا حب الشيخين من الشيعة وهم اثنان وعشرون
فرقة وقد وقع ما اخبر به الصادق الامين لما ظهر الفاطميون ومن بالعجم الآن منهم **وسب
آخر هذه الامة اولها** اي اخبر صلى الله عليه وسلم بان من تأخر من امته سيظهر سب اولها
وهذا من المغيبات ورد في حديث رواه البغوي عن عائشة مرفوعا فقال لا تذهب هذه الامة حتى
يلعن آخرها اولها وقد وقع هذا كثيرا من الرافضة فاظهروا سب الشيخين وسب عائشة ومعاو
وغيرهم من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ووقع من بني امية سب علي كرم الله وجهه على المنابر
وادخل بعضهم في هذا من سب بعض الاولياء وعلماء السلف وذكرهم بالسوء وافترى عليهم ما لم
يقولوه كما شاهدناه من بعض السفهاء يسبون ابن عربي وابن الفارض ونحوهما من اولياء الله حتى
صنف بعضهم تصانيف في الرد عليهم ومقامهم اعلى من ذلك والاشتغال بمثل هذا تضييع
للزمان وتسويد لوجوه الاوراق نفعنا الله تعالى ببركاتهم وحشرنا في زمرتهم **و**اخبر صلى الله عليه
وسلم **بقلة الانصار** بعد عصر النبوة وهم الاوس والخزرج وسموا انصارا لانهم نصروا النبي
صلى الله عليه وسلم وآووه وهو جمع ناصر او نصير غلب على هذه القبيلة ولذا نسب اليهم انصا
ولم يرد لواحده وهذا اشارة لما رواه الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال خرج علينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه فجلس على المنبر وحمد الله تعالى واثنى
عليه ثم قال اما بعد فان الناس يكثرون وتقل الانصار **حتى يكونوا كالملح في الطعام**
فمن ولي منكم شيئا يضر قوما فيه وينفع فيه آخرين فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم انتهى
يعني ان اهل الاسلام لا يزالون يدخلون فيه افواجا افواجا وهؤلاء يقلون ويفنى نسلهم فكان
خيار الاكثر قليل في كل جيل ولم تزل قلتهم الى ان صاروا بالنسبة لغيرهم كالملح في الطعام
ووجه التشبيه انهم مع قلتهم فيهم صلاح واصلاح وانهم يذوبون بينهم كالملح فانه يذوب
فيما وضع فيه وقد كان كما قال فان الآن في المدينة لم يبق منهم الا اقل من القليل كما اشار اليه بقوله

ية

ري

فلم يزل امرهم يتبدد المراد بامرهم ما به بقاؤهم وانتظام حالهم من املاكهم واموالهم
ويتبدد بمعنى يتفرق ويتشتت حتى يفنى ويضمحل ويقلون **حتى لم يبق منهم جماعة**
اي لم يبق من نسلهم قوم يجتمعون بالمدينة كما كانوا عليه اولا وهكذا السادات العظام
اذا مات واحد منهم لم يقم بعده من يخلفه **و** اشار لسبب ذلك بقوله **وانهم سيلقون**
بعده اي يلقى الانصار بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم **اثرة** بضم الهمزة والمثلثة والراء
المهملة قيل ويجوز كسر الهمزة وسكون المثلثة وهما بمعنى وهو الاستبداد وقيل الثاني
شدة الاستبداد اي يلقون بعده صلى الله عليه وسلم من يوثر غيرهم ويقدمه عليهم في
العطا من الديوان ويقل نصيبهم من الفيء فتضيق معيشتهم وفي انفسهم شرف وحمية
فيتشتتوا ويتبدد امرهم قال ابن سيد الناس كان ابتدا هذا في زمن معاوية رضي الله عنه
ويجوز في اثرة ان تكون جمع اثر ككاتب وكتبة اي اثر لنفسه وقومه عليهم ويعدم فاصبروا
حتى تلقوني على الحوض والحديث طويل في الصحيحين وهذا كله من الاخبار عن المغيبات **و**منه
اخباره صلى الله عليه وسلم **بشان الخوارج** الذين خرجوا على امير المومنين علي كرم الله وجهه
بالنهروان وهم اربعة الاف فقاتلهم حتى قتلهم واستشهد بعض اصحابه وقيل كانوا اكثر
من ذلك بكثير وحالهم رواه الشيخان **وصفتهم** بالجر عطفا على شان وهم فرق من اهل
الضلال كالمحكمة الذين انكروا تحكيم الحكمين والازارقة المنسوبين الى نافع بن الازرق
وغيرهم مما لا حاجة لتفصيل احوالهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم فيهم انهم اهل صلاة
وصيام يحقر احدكم صلاته في جنب صلاتهم وصيامه في جنب صيامهم الا انهم مرقوا
من الدين كما يمرق السهم من الرمية وقد كفروا مرتكب الكبيرة واكثر الصحابة ومواطنهم ۞
الجزيرة وعمان والموصل وحضرموت وبعض نواحي المغرب **و**اخبر صلى الله عليه وسلم **بالمخدج**
الذي فيهم المخدوج وهو الناقص خلقة ومنه الخداج وهو بضم الميم وسكون الخاء
المعجمة وفتح الدال المهملة ويروى بفتح الخاء وتشديد الدال والمعنى واحد وهو اشارة
لما في حديث الصحيحين من انه صلى الله عليه وسلم قسم في بعض الايام قسما فقال
له رجل من تميم وهو ذو الخويصرة اعدل يا رسول الله فقال ويحك ومن يعدل اذا لم اعدل
خبت وخسرت فقال عمر رضي الله عنه ائذن لي اضرب عنقه فقال له دعه ان له اصحابا
يحقر احدكم صلاته الخ وآيتهم رجل اسود احدى عضديه مثل ثدي المراة او مثل البضعة
تدردر ولما كانت وقعتهم وقتالهم علي خطب الناس وذكر الحديث وقال اطلبوا ذا الثدية
فطلبوه فوجدوه تحت القتلى فجاوا به فقال شقوا قميصه فشقوه فلما راه اذا احدى
ثدييه مثل ثدي المراة عليه شعرات فحمد وشكر الله تعالى اذ صدق نبيه صلى الله عليه وسلم
وعلم انه على الحق وانهم على الباطل **وان سيماهم** بكسر السين وهي العلامة **التحليق** ۞
اي يحلقون شعور رؤوسهم ولم يكن في الصدر الاول حلق الرؤوس الا في النسك وهذه
الاحاديث ظاهرة في تكفيرهم كما قاله الخطابي وفيه اختلاف وقيل المراد حلوقهم حلقا حلقا
وليس بشيء وقيل المراد به العلو والارتفاع من قولهم حلق الطائر اذا طار وعلا وبما ذكرناه
علم ان حلق جميع الراس ليس بممنوع وليس فيما ذكر دليل على حرمته ولا كراهته على انه استدل
لجوازه بحديث صحيح على شرط الشيخين انه صلى الله عليه وسلم راى صبيا حلق بعض راسه
فقال احلقوه كله او اتركوه كله قال النووي رحمه الله في شرح مسلم وهو صريح في اباحة

وقال قال الغزالي انه جائز على كل حال فان شق عليه تعهده بالتسريح والدهن
استحب حلقه وان لم يشق استحب تركه **ويرى رعاة الشاء** بالتحتية مبني للمجهول او
رعاء بكسر الراء والمد جمع راع كرعاة ورعيان والشاء بالمد جمع شاة وهي معروفة **رؤس الناس**
ورؤس جمع راس وهو مجاز مشهور بمعنى الرئيس وروي ترى بالتاء الفوقية والخطاب لغير
معين نحو ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم ويجوز رفعه ونصبه **والعراة الحفاة**
العراة جمع عار من اللباس والحفاة جمع حاف وهو من ليس في رجله نعل وهذا الحديث في
الصحيحين بمعناه وبعض الفاظه فالمصنف رواه من طريق اخر او رواه بالمعنى **يتبارون**
في البنيان اي يناظر بعضهم بعضا في بنايه فيريد كل منهم ان يزيد على غيره يقال باراه
اذا عارضه فباراه واشترى وهذا وما قبله كناية عن توسع من لا قدرة له في الدنيا
عليها وعلوه على غيره حتى يصير رئيسا بعد فقره وذله وكثرة مفاخرة بعضهم لبعض في
البنا العالي كالقصور المشيدة والمساجد المزخرفة ۞ وفي مسلم ان ترى الحفاة العراة رعاء
الشاء الصم البكم ملوك الارض وروي يتطاولون في البناء يعني ان من اشراط الساعة ان
اهل البادية ونحوهم ممن لا لباس له ولا نعل يتوطنون البلاد ويبنون القصور ويراسون
وجهلة الناس وارذلهم يصير حاكما والبا عظيم الشان ولقد ظهر ما اخبر به رسول الله صلى
الله عليه وسلم من هذه المغيبات وهو الان عيان راي العين وكني بكونهم رعاة الى انهم
مجهولون الانساب جهلة وانهم مشغولون عن عبادة الله وروي يتمارون بالميم يعني
يتنازعون والمعنى واحد **وان تلد الامة** اي الجارية المملوكة التي اتخذت سرية **ربتها**
بتاء التانيث وربة ورب بمعنى سيد وسيدة والرب لغة له معان السيد المالك والمربي
المدبر والقيم والمنعم ويطلق على الله وعلى غيره مضافا وغير مضاف نكرة ومعرفة بحسب
القراين والمقامات والمراد هنا السيد ذكرا كان او انثى وانثه باعتبار النسمة وهو
من حديث صحيح مشهور رواه الشيخان وغيرهما وهو من المغيبات واشراط الساعة التي
اخبر بها صلى الله عليه وسلم اصحابه وفي معناه اختلاف كثير فقيل معناه ان الاماء تلد
الملوك فتكون امه امة من جملة رعيته وقيل هو عبارة عن فساد احوال الناس في اخر
الزمان وكثرة بيع امهات الاولاد حتى يشتري الرجل امه وهو لا يدري انها امه فلا يختص ۞
بام الولد والامة قد تلد حرا من غير سيدها كوطيها بشبهة قوية او رقيقا بنكاح او زنا
ويعتق ويتداول الايدي امه حتى يشتريها ابنها وقيل معناه كثرة العقوق حتى يستطيل
الولد على امه استطالة السيد والذي عد من الاشراط على الاول كثرة التسري فلا ينافي
تسري النبي صلى الله عليه وسلم بمارية وغيرها وفي الشروح كلام مبسوط في هذا الحديث
وفيه من دلايل النبوة الاعلام بكثرة التسري والسبي بعد ظهور الاسلام واستيلاء المؤمنين
على الكفرة وتملك ديارهم والاخبار بان غاية الاغتباط لا يؤذن بقيام الساعة وكل شي
بلغ الحد انتهى **و**مما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ما رواه الشيخان وهو **ان**
قريشا والاحزاب لا يغزونه ابدا الاحزاب جمع حزب وهو الطائفة الكثيرة المجتمعة
للتعصب والقتال وتعريفه هنا للعهد والمراد احزاب مخصوصون في الغزوة المشهورة
وانه هو الذي يغزوهم بعد اخباره بذلك في الاحزاب وهو غزوة الخندق وبعد احد
والخندق لم تغزه قريش وهو صلى الله عليه وسلم غزاهم حين فتح مكة واتى بالجملة مؤكدة

بالاسمية وان وضمير الفصل لتحقيق وقوعه ونصره ولهذا قال صلى الله عليه وسلم يوم
فتحها لا تغزى قريش بعد هذا الى يوم القيمة اي لا تعود مكة دار كفر ولا تغزوها الكفار
فلا ينافي ما وقع لبعض المسلمين كالحجاج وكذا حديث ذي السويقتين قال الواقدي انه
صلى الله عليه وسلم قال هذا السبع بقين من ذي القعدة **و**مما رواه الشيخان ايضا انه صلى الله عليه
وسلم **اخبر بالموتان** بضم الميم بزنة بطلان وبفتحها وسكون الواو وهو مصدر بمعنى الموت
الكثير وفتح الميم والواو لا يصح هنا لانه اسم يقابل الحيوان وفي القاموس الموتان بالتحريك خلاف
الحيوان او ارض لم تحي بعد وبالضم موت يقع في الماشية ويفتح انتهى يعني ان فعلان بفتحتين
في المصادر تختص بما يدل على الحركة كالجولان والدوران وهو من محاسن اللغة العربية اذ جعل
اللفظ على وفق معناه فلذا امتنع تحريكه هنا **الذي يكون بعد فتح بيت المقدس** وكان
ذلك في خلافة عمر رضي الله عنه بعمواس بفتحتين وهي قرية من قرى بيت المقدس نزل بها عسكره
وهو اول طاعون وقع في الاسلام مات فيه سبعون الفا في ثلاثة ايام وكان ذلك سنة ست
عشرة من الهجرة وعمواس قرية بين الرملة وبيت المقدس مات فيها ابو عبيدة بن الجراح والحديث
اوله عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك
وهو في قبة من ادم فقال اعدد ستا بين يدي الساعة موتي ثم فتح بيت المقدس ثم موتان يأخذ
فيكم كقعاص الغنم بقاف وعين وصاد مهملتين داء تموت به الغنم من وقتها ثم استفاضة المال
وعدها الى آخرها وفتنة وهدنة بينكم وبين بني الاصفر والموتان ان اختص بالماشية كما مر
فهو هنا مجاز مرسل لمطلق الموت او استعارة ولا ينافيه التصريح باداة التشبيه لانه من وجه
آخر وهو شدة السرعة والمنافي له ذكر التشبيه في ذلك المجاز بعينه وقد اشار لما قلناه الشريف
في حواشي الكشاف في قوله كان اذني عليه خطفا وان وهو من الفوائد النفيسة **وما وعد من
سكنى البصرة** بتثليث الباء ومعناها ارض غليظة او ذات حجارة والفتح اشهر وافصح وهي بلدة
اسلامية ويقال لها بصيرة بالتصغير ايضا بناها عتبة بن غزوان في خلافة عمر سنة سبع عشرة
وسكنت سنة ثمان ومن شرفها انها لم يعبد فيها صنم وينسب اليها بصري بكسر وفتح ولا يجوز الضم
وهذا الحديث رواه ابو داود عن انس قال له صلى الله عليه وسلم يا انس ان الناس يمصرون امصارا وان
مصرا منها يقال لها البصرة فان انت مررت بها او دخلتها فاياك وسباخها وكلاءها وسوقها وباب امرائها
وعليك بضواحيها فانه يكون بها خسف وقذف ورجف ومسخ وضواحيها نواحيها ومنه قريش الضواحي
للنازلين بطحائها وظواهرها وكلاؤها بالتشديد للام مرسى سفنها وفي هذا من اعلام النبوة والاخبار
بالغيب ما لا يخفى ويجوز كسر صادها ولهم بلدة بالغرب تسمى البصرة ايضا والمراد الاولى وسكنى
مصدر كعقبى بمعنى الاقامة بها ونزولها **و**من اخباره صلى الله عليه وسلم عن الغيب ايضا في حديث
رواه الشيخان **يغزون في البحر** بعده صلى الله عليه وسلم بعده فانه لم يكن ذلك في حياته والمراد بالبحر
البحر الملح لانه اذا اطلق ينصرف اليه ولم يعهد في غيره الا نادرا **كالملوك على الاسرة** وهو تشبيه
بليغ والاسرة جمع سرير وهو مقعد يعد للملوك من خشب يجلسون عليه ترفعا وتجملا وتعظما وهو هنا
المركب المعد للغزو الذي يقعد عليه رئيسهم يعمل على هيئة سرير الملك بعينه كما تعرفه من شاهده
فهو من الاعلام المعجزة لانه لم يكن ذلك بديار العرب ولم يره احد منهم فتوصيفه لهم كمن يعرفه
ويجلس عليه مما حارت فيه العقول والحديث عن انس عن خالة رسول الله ام حرام بنت ملحان وكان نام عندها
يوما لانه محرم لها ثم استيقظ وهو يتبسم فقالت له ما اضحكك يا رسول الله قال اناس من امتي عرضوا

علي يركبون البحر الاخضر كالملوك على الاسرة قالت ادع الله ان يجعلني منهم فدعا لها
ثم نام فرأى ذلك فقالت له ما قال اولا ودعا لها وقال لها انت من الاولين فخرجت مع زوجها
عبادة بن الصامت مع المسلمين الغزاة في البحر مع معاوية رضي الله عنه فلما انصرفوا قرب
لها دابة تركبها فوقعت وماتت شهيدة واختلف في زمنه فقيل في زمن معاوية وقيل في زمن
عثمان وجمع بينهما بانه في زمن عثمان امر معاوية بغزو البحر فغزاه بنفسه وفي الحديث معجزات
اخباره عن غزو امته البحر وغلبتهم وظهور شوكة الملوك فيهم وان ام حرام من اولهم وفيه دليل
على جواز ركوب البحر للرجال والنساء خلافا لمالك في كراهته للنساء في رواية عنه وان الغزو
فيه مشروع مطلوب وورد في الحديث ان غزو البحر يزيد اجره على غزو البر بعشر درجات لما
فيه من المشاق وهذه الغزاة اول غزاة فيه وهي فتح قبرس وكان عمر رضي الله عنه لم ياذن في
ذلك ثم لما ذكر هذا الحديث له امر به وجهز الاسطول كما هو مفصل في محله وليس المراد بالبحر
في الحديث بحر الشام وتخريجه للعهد بل مطلقه كما لا يخفى وام حرام مدفونة بقبرس وقبرها
معروف يزار وفي بعض النسخ ثبج البحر بمثلثة وموحدة وجيم وهو وسطه ومعظمه **وان الدين
لو كان منوطا** اي معلقا **بالثريا** ومناط الثريا كناية عن غاية البعد وهي كواكب مجتمعة
اختلف في عددها كما مر وهي المنازل المشهورة وهي مشهورة بالعلو في السما ويضرب بها المثل
ولفظها مصغر من الثروة كما تقدم والدين بمعنى الايمان او الشرع وما يتعلق به وهو كناية
عن ان هؤلاء يصلون منه لما يصل اليه غيرهم قط **لناله** اي وصل اليه واخذه **رجال من
ابناء فارس** اي ناس منهم وهذا من حديث رواه الشيخان وهو من اعلام النبوة ايضا لما ظهر
فيهم من الاوليا والعلما وما صدر منهم من التصانيف التي لا تعد ولم يات الدهر بمثلها وما
كان فيهم من خدمة كتاب الله وحديث رسوله فلا يعد فيه الا وقد حازوا قصب السبق فيه فانظر
الى البخاري هل له مثيل وليست هذه شعوبية كما يتوهمه من يتعصب تعصب الجاهلية وانما هو
تحقيق لما اخبر به سيد البرية وفارس جيل معروف ويقال لهم الفرس ايضا وهم من اولاد
سام بن نوح على الاشهر وفارس اسم جدهم سموا به ويطلق على بلادهم ايضا والحديث يروى
عن ابي هريرة قال كنا جلوسا عنده صلى الله عليه وسلم فانزل عليه سورة الجمعة وقوله فيها وآخرين
منهم لما يلحقوا بهم فقلت من هم يا رسول الله وفينا سلمان الفارسي فوضع يده عليه ثم قال
لو كان الايمان عند الثريا لناله رجال او رجل من هؤلاء وفي رواية لو كان العلم وروي ايضا
ان ذلك عند نزول قوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ولا مانع من تعدد سبب النزول
كما حققه المفسرون والاشارة بهؤلاء مع ان المشار اليه واحد وهو سلمان لان المراد به الجنس
او هو من جنس هؤلاء **و**من ذلك ما رواه مسلم عن جابر انه **هاجت ريح** اي هبت ريح بشدة
والنبي صلى الله عليه وسلم في غزاته اي في غزوة من غزواته وهو غزوة تبوك وهو محل من
ارض الشام كما قيل وفيه نظر **فقال هاجت** تلك الريح **لموت منافق** اي رجل من المنافقين
وهو رفاعة بن زيد بن التابوت احد بني قينقاع وكان من عظماء اليهود كهف المنافقين فلذا
سماه منافقا وقال ابن الجوزي انه عم قتادة ابن النعمان وذكر عنه قتادة انه رأى منه ما
يدل على صحة اسلامه وقال الذهبي في التجريد انه له صحبة فتسميته منافقا على حقيقته
وظاهره وروي انها لموت عظيم من عظماء الكفار وهو ايضا محمول على ظاهره او هو باعتبار ما
في قلبه من الكفر المضمر وصحح البرهان ان هذه الغزوة غزوة بني المصطلق وكان ذلك في رجوعه

منها سنة ست او اربع او خمس قبل الخندق على اختلاف فيها وهذه علامة لما ذكر لانها تدل
على غضب الله كما في عاد التي اهلكتهم كما تهلك ريح السموم من هبت عليه لانه استدل بها
كما يستدل بالنجوم وحوادث الجو عند الحكما والمنجمين ولا حاجة الى ان يقال انها علامة لما صنعه
الله وقدره واطلع من زاد عليه والممنوع انما هو اسناده لها وجعلها مؤثرة فيه **فلما رجعوا**
اي النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من تلك الغزاة **وجدوا ذلك** اي ما اخبر به النبي صلى
الله عليه وسلم من المغيبات بموت ذلك المنافق المذكور فهلك في وقت اخباره صلى الله عليه وسلم
وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الطبراني عن رافع بن خديج رضي الله عنه بسند صحيح
لقوم من جلسائه من الصحابة رضي الله عنهم وهو جمع جليس بمعنى مجالس مثل كريم وكرما **ضرس
احدكم** اي واحد منكم ايها الحاضرون **في النار** اي اذا كان في جهنم **مثل احد** اي كالجبل المذكور
عظما وهو عبارة عن ان احدهم يموت كافرا لما في حديث آخر ضرس الكافر مثل احد وجسم المعذب
كلما زاد زاد عذابه فكان اشد عليه وكونه عبارة عن شدة عذابهم وقوة صبرهم عليه كما قيل
في غاية البعد **قال ابو هريرة** رضي الله عنه الذي كان الخطاب له **فذهب القوم** الذين كانوا
جلساءه اي ماتوا كلهم كما اشار اليه بقوله **يعني** بقول ابو هريرة ذهب القوم **ماتوا** فان
الذهاب حقيقة الانصراف عن مكان وقد يخص بالموت كقوله قس⁕ في الذاهبين الاولين لنا بصا⁕
وبقيت انا ورجل منهم لكراهته والستر على من كان صحابيا بحسب الظاهر واسمه الرحال بن عنفوة
والرحال بفتح الرا المهملة وحا مهملة ولام وقيل انه بالجيم وهو الاصح رواية وهو من اهل اليمامة
فقتل مرتدا حال من ضمير قتل النائب عن الفاعل والضمير لرحل **يوم اليمامة** اي في حرب
كان باليمامة وهو اسم ارض معروفة شرقي الحجاز ومدينتها العظمى الحجر ويسمى حجر اليمامة ايضا
وقتله زيد بن الخطاب في حرب مسيلمة لعنه الله وكان معه وقدم مع وفد بني حنيفة على النبي
صلى الله عليه وسلم وتعلم القرآن فلما ادعى مسيلمة الشرك مع النبي صلى الله عليه وسلم في الوحي
ارتد وشهد له بذلك **واعلم** الصحابة رضي الله تعالى عنهم بغيب عنهم وهو ماض مبني للفاعل
يوزن اكرم وفاعله ضمير النبي صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث رواه ابو داود والنسائي
عن زيد بن خالد الجهني **بالذي غل** بغين معجمة ولام مشددة من الغلول وهو السرقة خفية
كان الايدي غلت عنها او من الغلل وهو الماء الجاري تحت النبات وكثر استعماله في السرقة من
الغنائم **خرزا** بخا معجمة ورا مهملة وزاي معجمة واحده خرزة وهي حجارة تنتظم ويزين بها وكل جوهر
من خرز يهود ممنوع من الصرف لانه علم لهذه الطائفة سموا باسم جدهم يهودا بن يعقوب اخو يوسف
والمراد يهود خيبر لانه توفي بها فذكر ذلك له صلى الله عليه وسلم فقال صلوا على صاحبكم
فتغيرت وجوه الناس لذلك فقال ان صاحبكم قد غل في سبيل الله ففتشنا متاعه وما معه
فوجدت تلك الخرز التي غلها **في رحله** اي في منزله وما معه بعد موته وهي لا تساوي درهمين
واصل الرحل ما يوضع على البعير وتجوز به هنا عن محله النازل فيه بما معه وهذا الرجل لا يعرف
اسمه **واعلم** ايضا بما هو من الغيب **بالذي غل** اي سرق كما مر **الشملة** وهي المرط من الشمول
وكساء صغير يشتمل بها الانسان وهذا بعض حديث رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه قال
اهدى رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما اسمه مدعم فبينما هو يحط رحل رسول الله صلى
الله عليه وسلم جاءه سهم عائر فقتله فقلنا هنيئا له الجنة فقال صلى الله عليه وسلم كلا والذي
نفسي بيده ان الشملة التي اخذها يوم خيبر من الغنائم قبل القسمة لتشتعل عليه نارا ففيه اخبار

عن الغيب

عن الغيب باعتبار اخباره بسرقته ويكون مدعم بميم مكسورة وعين مهملتين اصابه سهم عائر
قصد من عار الفرس اذا انفلت وقيل انه اشارة لحديث المصابيح وهو ان رجلا فقيل عليه صلى
الله عليه وسلم يقال له كركرة بفتحتين او كسرتين فمات فقال صلى الله عليه وسلم هو في النار
فذهبوا ينظرون فوجدوا عنده عباءة غلها واقتصر السيوطي رحمه الله على الاول وانه الذي عنا
المصنف وهو الظاهر والنووي في المبهمات على الثاني والبرهان تبعه والذي اوجب عدوله
الجلال عنه لفظ الشملة وفيه تعظيم الغلول في الغنائم لتعلق حق المسلمين كلهم به واذا عسر
رده للامام او يتصدق به وقيل انه يحرق وقيل انه مبني على التعزير باخذ المال وهو منسوخ
واذا كان هذا من الكبائر فما حال ولاة الامور اليوم فانا لله وانا اليه راجعون **وحديث
ناقته** اي مما اعلم به صلى الله عليه وسلم من المغيبات حديث ناقته الذي رواه البيهقي عن عروة
مرسلا **حين ضلت** ناقته وغابت عنه حتى لم يرها **وكيف تعلقت** ناقته **بالشجرة بخطامها**
بكسر الخاء المعجمة وهو زمامها ومقودها وكان صلى الله عليه وسلم طلبها لما ضلت فقال رجل
من المنافقين كيف يزعم انه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقته الا يخبره الذي يأتيه بالوحي فأتاه
جبريل واخبره بقول المنافق وبمكان ناقته فقال عليه الصلاة والسلام ما ازعم اني اعلم الغيب
وما اعلمه ولكن الله اخبرني بقول المنافق وبمكان ناقتي وهي في الشعب قد تعلق زمامها بشجرة
كذا فخرجوا يسعون قبل الشعب فوجدوها حيث قال وكما وصف فجاؤوا بها وآمن ذلك المنافق
وهو زيد بن اللصيت او ابن اللصيب بفتح اللام وكسر الصاد وكان اولا من اليهود وما ذكرناه من عبارة
المتن هو الصحيح كما ذكره السيوطي في مناهل الصفا في تخريج احاديث الشفا ووقع في بعض النسخ
وحيث هي ناقته حين ضلت وكيف الخ فقال بعضهم مجرور عطفا على الذي او مبني على الكسر كما
جوزه النحاة وحيث خرجت عن الظرفية معمول لاعلم وناقته مبتدا اول وهي مبتدا ثاني خبره محذوف
اي موجودة والجملة في محل جر باضافة حيث وانت في غنى عن مثله **و**من المغيبات التي اعلم
صلى الله عليه وسلم اصحابه به ما رواه الشيخان عن علي كرم الله وجهه حيث **اعلم بشان
كتاب حاطب** بن ابي بلتعة الصحابي البدري المشهور الذي ارسله **الى اهل مكة** لما تجهز
النبي صلى الله عليه وسلم لفتح مكة ولم يعلم احدا بتوجهه ومقصده فكتب حاطب كتابا اليهم
فيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه اليكم بجيش كالليل يسير كالسيل واقسم
بالله لو سار اليكم وحده لنصره الله عليكم فانه منجز له ما وعده فعليكم الحذر فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لعلي وبعض الصحابة اذهبوا الى روضة خاخ فثمة جارية معها مكتوب
فأتوني به وكان صلى الله عليه وسلم اخفى مسيره فأتوا المحل فوجدوا الجارية فانكرت ففتشوها
فلم يجدوا معها شيئا فهموا بالرجوع ثم بدا لعلي رضي الله عنه ان خبره صلى الله عليه وسلم صدق
فهدد الجارية فاخرجت الكتاب من عقصتها فلما اتوا به قال عمر رضي الله عنه دعني اضرب
عنقه فقال لا فان الله اطلع على اهل بدر وقال اصنعوا ما شئتم فاعتذر له حاطب بان له ثمة
اهلا وما لا يخشى ضياعه فاراد ان يصنع فيهم يدا تقتضي حفظه فقبل عذره كما تقرر والقصة
مفصلة في شروح السير والبخاري والكتاب كان مع امراة تسمى ام سارة **و**مما اخبر به صلى الله
عليه وسلم من المغيبات ما رواه ابن اسحاق والبيهقي والطبراني حيث **اعلم بقصة عمير** بالتصغير
ابن وهب بن خلف **مع صفوان** بن امية بن خلف **حين ساره** اي عمير صفوان سرا في خفية
لم يسمعه احد والسر انه يقتل النبي صلى الله عليه وسلم اذ يأتيه بغتة بحيث لم يشعر به

وفي اخرى حيث هي حين ضلت ناقته

احد وكان شجاعا فاتكا وشارطه على قتل النبي صلى الله عليه وسلم اي اشترط عليه
ما يعطيه ان فعل ذلك فلما جاء عمير الى النبي صلى الله عليه وسلم قاصدا لقتله واطلعه
رسول الله صلى الله عليه وسلم على الامر والسر الذي كان بينهما لم يطلع عليه غيرهما
وهما بمكة اسلم عمير وحسن اسلامه لما شاهده من المعجزات الباهرة وذلك ان عمير بن
وهب جلس مع صفوان بن امية وهو ابن عمه في الحجر بعد بدر فذكر اصحاب القليب
ومصابهم فقال صفوان والله ليس في العيش بعدهم خير فقال عمير صدقت والله لولا
دين علي ليس عندي قضاؤه وعيال اخشى ضياعهم لكنت آتي محمدا حتى اقتله فان لي فيهم
علة ابني اسير عندهم فاغتنمها صفوان فقال علي دينك اقضيه وعيالك مع
عيالي اواسيهم ما بقوا فقال اكتم عني شاني ثم شحذ سيفه وسمه وانطلق حتى اتى المدينة
واناخ بباب المسجد متوشحا بسيفه فرآه عمر رضي الله عنه فقال هذا الكلب عدو الله ما جاء
الا لشر واخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ادخله علي فاقبل عمر رضي الله عنه
حتى اقبل بحمالة سيفه لببه بها ثم ادخله فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال ارسله يا عمر ادن
يا عمير فدنا فقال ما جاء بك قال جئت لهذا الاسير فاحسنوا فيه قال فما بال السيف في عنقك
قال قبحها الله ما اغنت شيئا قال اصدقني ما الذي جئت له قال ما جئت الا لذلك قال بل قعدت
انت وصفوان بالحجر وذكرا اصحاب القليب وقلت لولا دين علي وعيالي لخرجت الى محمد حتى اقتله
فتحمل دينك وعيالك وجئت لتقتلني فقال اشهد انك رسول الله وقد كنا نكذبك وهذا امر
لم يحضره الا انا وصفوان فوالله اني لاعلم انه ما اتاك به الا الله فالحمد لله الذي هداني
وتشهد فقال فقهوا اخاكم دينه واقرئوه القرآن واطلقوا اسيره واما صفوان فهرب
خائفا يوم الفتح ثم جاء مستامنا فاسلم وحسن اسلامه وكان عمير ابغض الناس لعمر فلما اسلم
كان احب الناس اليه وهو من سادات قريش وفصحائها فتمت سيادته بالاسلام وله احاديث
في السنن واخبر ايضا صلى الله عليه وسلم فيما رواه احمد عن ابن عباس والحاكم والبيهقي عن عائشة
بسند صحيح بالمال الذي تركه عمه العباس بمكة عند ام الفضل لبابة بنت الحارث بن حزن
الهلالية زوجته كنيت باسم ابنها الفضل كما كني العباس ابو الفضل وهي من اشراف الصحابة
رضي الله عنها يقال انها اول امراة اسلمت بعد خديجة وكان كتم مالها عندها حتى عن اولاده كما اشار
اليه بقوله بعد ان كتمه فلما اسر ببدر لما خرج مع كفار قريش وطلب منه الفدا فقال لا مال
لي فقال له صلى الله عليه وسلم ما صنع المال الذي وضعته عند ام الفضل فقال ما علمه
غيري وغيرها فاسلم وقيل له لو لم تسلم قبل الفدا ليسعني لك ما لك الذي افديت به فقال لم اكن
لاخرم المؤمنين ما طمعوا فيه من مالي وقد قيل انه اسلم قبل ولكن كان يخفي اسلامه لما فيه
من نفع المسلمين من وجوه لا تعد وفي بعض النسخ ام الفضيل بالتصغير وهو خطا من الناسخ
واصل الحديث انه كانت قريش بعثت بفدا اسراهم فقال العباس يا رسول الله اني كنت مسلما
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اعلم باسلامك فان يكن كما تقول فالله يجزيك فاما
ظاهر امرك فقد كان علينا فافد نفسك وابني اخيك نوفل بن الحارث وعقيل بن ابي طالب
وحليفك عتبة واخي بني الحارث قال ما عندي ما يفي بالفدا قال فما فعلت بالمال الذي دفنته
عند ام الفضل وقلت اذا اصبت في سفري فالمال لولدي فقال والله يا رسول الله هذا شيء ما
علمه غيري وغيرها فاحسب لي ما اصبتم فقال لا ذاك اعطاه الله فعداهم فانزل الله تعالى

يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسارى الآية ومقتضى قول المصنف فاسلم انه ما اسلم
الا حينئذ والذي قالوه انه اسلم قبل فتح خيبر وكان يكتم اسلامه وقال ابن عبد البر قيل
اسلامه كان قبل بدر وكان المسلمون بمكة يتقوون وكان العباس يكتب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم احوال المشركين واحب ان يقدم عليه المدينة فكتب اليه مقامك بمكة خير ولذا
قال صلى الله عليه وسلم يوم بدر من لقي العباس فلا يقتله فانه انما خرج مكرها ومما اخبر به
صلى الله عليه وسلم فيما رواه البيهقي عن عروة وسعيد بن المسيب مرسلا انه انه سيقتل
بنفسه ابي بن خلف كما تقدم فخرجه بعنقه في احد فمات بمحل يسمى سرف وكان اذا لقيه بمكة
يقول عندي فرس اعلفه كل يوم لا قتلك عليه فيقول له صلى الله عليه وسلم بل انا اقتلك
ان شاء الله فلما كان يوم احد اقبل يقول اين محمد لا نجوت ان نجا فاعترض دونه جماعة من المسلمين
فقال صلى الله عليه وسلم خلوا سبيله ونظر فرجة من درعه على ترقوته فطعنه طعنة لم يخرج
منها دم ووقع عن فرسه ورجع اليهم فقالوا له ما بك من باس فقال لو بصق علي محمد لقتلني
فقتل فاتله الله في موجعه ومما اعلم به صلى الله عليه وسلم انه قال في عتبة بن ابي لهب
انه ياكله كلب من كلاب الله فاكله الاسد وهو ذاهب الى الشام والاسد يسمى كلبا وهو
يشبهه صورة ولما اضافه لله افادته الاضافة تعظيما كما قاله الثعالبي في المضاف والمنسوب
وقد تقدم ان ابا لهب كان له اولاد معتب وعتبة وعتيبة بالتصغير وان المصغر هو عقير
الاسد والمكبر اسلم وكان من كبار الصحابة فالصواب ان يقول المصنف عتيبة بالتصغير الا
ان من علماء الحديث من قال مثل ما قاله المصنف فالاعتراض عليه مسلم ثم ان المصنف ذكر هذا في
فصل اجابة دعائه فتكون هذه الجملة دعائية انشائية وكلامه هنا يقتضي انها خبرية اخبر
بها عن امر مغيب فبين كلاميه تدافع والجواب عنه ان كلامه محتمل فذكره ثمة باعتبار وهنا
باعتبار ويؤيده انه لما خاف من الاسد قال له رفقاؤه لما اشتد رعبك قال ان محمدا قال لي
كذا وهو لا يقول الا صدقا والصدق من خواص الخبر وقد يقال ان الدعا عند من تحقق اجابته خبر
معنى واخبر صلى الله عليه وسلم عن مصارع اهل بدر اي محال قتلهم ووقوعهم على الارض
يعني من قتل بها من كفار قريش وصناديدهم فقال قبل وقعتها هذا مصرع فلان وهذا مصرع
فلان مشيرا الى محال قتلاهم بها قبل وقوعه فكان كما قال وسماهم اهلها لبقاء جثثهم فيها كما يقال
اهل الدار لمن بها فكان ما اخبر به عن مصارعهم كما قال لم يتجاوز احد منهم موضعه الذي عينه
له رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه من الاخبار بالغيب ما لا يخفى وهذا الحديث كما في صحيح
مسلم وغيره انه صلى الله عليه وسلم قام ببدر قبل قتالهم وقال هذا مصرع فلان ووضع يده
على الارض ثم قال هذا مصرع فلان ووضع يده عليه وعدهم واحدا واحدا مشيرا الى مصارعهم
فلم يتجاوز احدهم موضعه فصرعوا كذلك ثم جروا بارجلهم وطرحوا في القليب ثم جاء صلى الله
عليه وسلم حتى وقف عليهم وقال يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان يناديهم باسمائهم واحدا
بعد واحد هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقالت الصحابة يا رسول الله اجسادا لا ارواح لها فقال
والذي نفسي بيده ما انتم باسمع منهم لكلامي ولكنهم لا يستطيعون ان يردوا وقال صلى الله
عليه وسلم في حديث رواه الشيخان وغيرهما في الحسن بن علي بن ابي طالب ان ابني هذا
سماه ابنا له مجازا لانه يطلق على الولد وعلى ولد الولد اطلاقا مشهورا حتى صار حقيقة عرفية
فيه سيد اي شريف رئيس مسود في قومه لشرف نسبه وذاته وفضله على غيره كما تقدم تفصيله

منها ان والحسن اطلاقا فانه يطلق على الله وعلى غيره

وسيصلح الله به اي بسببه سيقع الصلح والاصلاح بين فئتين عظيمتين من المسلمين
والفئة الجماعة من فاء بمعنى رجع والمراد بهما من كان معه ومن كان مع معاوية رضي الله عنهما
وفي صحيح البخاري عن الحسن عن ابي بكرة قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر
والحسن الى جنبه وهو يلتفت الى الناس مرة والىه مرة ويقول ان ابني هذا سيد ولعل الله ان
يصلح به بين فئتين من المسلمين وهو حديث صحيح يروى من طرق وفي رواية فئتين عظيمتين
قال ابن عبد البر في الاستيعاب لما قتل علي رضي الله تعالى عنه بايع الحسن اكثر من اربعين
الفا على الموت وكانوا اطوع واحب له من ابيه فبقي نحو سبعة اشهر خليفة بالعراق وخراسان
وما وراءهما ثم سار الى معاوية وسار معاوية اليه فلما تراءى الجمعان بناحية الانبار وعلم انه
سيقع قتال يذهب فيه كثير من المسلمين فارسل الى معاوية يخبره انه يفوض له الامر بشرط ان
لا يطلب احدا من اهل المدينة والحجاز والعراق بشيء كان في ايام ابيه فاجابه معاوية وقد
طار فرحا الا انه قال عشرة انفس لا اؤمنهم منهم قيس بن سعد فراجعه الحسن وقال لا ابايع
وانت تطلب احدا منهم قيس وغيره فارسل له معاوية رقا ابيض وقال اكتب فيه ما شئت
وانا التزمه فاصطلحا على ذلك وعلى ان الامر له بعد معاوية فالتزمه كله معاوية وساء ذلك
اكثر الناس حتى كانوا يقولون للحسن يا ذل المسلمين ويا عار المومنين ولما سلم الامر قال له اخطب
الناس فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فان اكيس الكيس التقى وان اعجز العجز الفجور الا وان
هذا الامر الذي اختلفت فيه انا ومعاوية كان حق لامرئ كان احق به مني او حق لي تركته لمعاوية
ارادة اصلاح المسلمين وحقن دمائهم وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين ثم استغفر الله
ونزل وومما اخبر به من المغيبات ما رواه الشيخان من قوله صلى الله عليه وسلم لسعد بن ابي
وقاص مالك بن وهيب بن عبد مناف احد العشرة واصحاب الشورى ولتبادره اذا اطلق لم
يقيده بما يخرج سعد بن معاذ وغيره من سعود الصحابة فلا اعتراض عليه كما قيل ولسعد
معطوف على قوله في الحسن اي وقال لسعد لعلك تخلف وفي نسخة ان تخلف بان المصدرية
في خبرها حملا لها على عسى لانه اخره في الترجي كما قال ﴿ لعلك يوما ان تلم ملمة ﴾
وكان سعد مرض بمكة وكان يكره ان يموت بالارض التي هاجر منها فاتاه صلى الله عليه وسلم
يعوده فقال يا رسول الله اوصي بمالي كله قال لا الى ان قال بالثلث والثلث كثير الى آخر الحديث
وهو مشهور ولم يكن له الا ابنة وقد طال عمره فخشي ان يموت ثمة وذلك في حجة الوداع وقوله
تخلف بضم المثناة الفوقية وتشديد اللام اي تبقى بعد هذا الزمان وكان كما قال فانه عاش
بعد ذلك نحو خمسين سنة وقوله ينتفع بك اقوام ويستضر بك اخرون قال النووي
في هذا الحديث من المعجزات تحقق ما اخبر به فانه عاش بعد ذلك زمانا كما تقدم ونفع الله به
المسلمين لما كان على يديه من الفتوح وهدى الله به ناسا اسلموا على يديه وغنموا معه وضر
الله به ناسا من الكفار جاهدهم وقتل منهم وسبا وليس المراد بضرره ضرر المسلمين لان ابنه عمر
كان اميرا على الجيش الذين قتلوا الحسين لانه لم يرض بذلك ولا تزر وازرة وزر اخرى وقال ابن
حبيب المراد به انه تولى العراق واتى بقوم ارتدوا واو يحموا بحم مسيلمة لعنه الله تعالى فاستتا بهم
فتاب بعضهم وانتفع به وابى بعضهم فقتلهم فتضرروا به وهذا تاويله عند بعضهم وقيل الرواية
انما هي يضر بك آخرون والمصنف اراد باستفعل فعل وجعل المصنف الترجي اخبارا لانه بمعناه وهو
المراد لكن عبر به تادبا منه وقد صرحوا بان الترجي في الله والرسول والاولياء تحقيق معنى ﴿

كما قاله

كما قاله ابن الملقن واخبر صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح رواه البخاري عن انس بقتل
اهل موتة بضم الميم وسكون الواو والهمزة مشهورة واضافة اهل للعهد ولا يجوز الاستغراق
كما قيل لانه انما اخبر صلى الله عليه وسلم نعاهم لاصحابه فقال اخذ الراية زيد فاصيب ثم اخذها
جعفر فاصيب ثم اخذها ابن رواحة فاصيب وعيناه تذرفان حتى اخذ الراية سيف من سيوف الله يعني
خالد بن الوليد ففتح الله عليهم فلما اتاه يعلى قال له ان شئت اخبرني وان شئت اخبرتك فقال
اخبرني فاخبره ووصفهم له فقال والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفا واحدا وبينه
صلى الله عليه وسلم وبينهم اي المقتولين بموتة يوم قتلوا مسيرة شهر او ازيد ذكره تحقيقا
لانه اخبار بالغيب لبعده بحيث لا يمكن مجيء الخبر له في يومه ولذا ورد في هذا الحديث انه صلى الله
عليه وسلم قال ان الله رفع لي الارض حتى رايت معتركهم وما قيل من ان المدينة ليس بينها وبين
موتة هذا المقدار بل بينهما نحو عشرة مراحل كما يعرفه من سلك طريقها لكنه لم يخف لبعد بلاده
يقتضي انه قاله من نفسه من غير تثبت فيه وليس كذلك فانه يختلف باختلاف الاحوال كالسير
ماشيا وكسير الجمال في القافلة باحمالها بخلاف الفرسان ويختلف ايضا بطول الايام وقصرها
والامر فيه سهل وبموت النجاشي اي اخبر بموته كما رواه الشيخان عن ابي هريرة يوم مات
متعلق باخبر وذلك سنة سبع من الهجرة وصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الغائب
وبه استدل الشافعي وهو ملك الحبشة واسمه اصحمة كما تقدم وهو الذي ارسل اليه مكتوبه خلافا
لابن القيم في الهدي النبوي اذ قال ان الذي كاتبه غيره فان كل من ملك الحبشة يقال له نجاشي
بفتح النون وكسرها وتخفيف الياء وتشديدها وهو بارضه جملة حالية والضمير للنجاشي اي
والحال ان النجاشي مات بارض الحبشة فهو اخبار عن الغيب ويحتمل ان يعود للنبي صلى الله عليه وسلم
والنبي وقت موت النجاشي كان بارضه اي المدينة فلا يحتمل انه رآه عادة وان امكن ان يرفع له حتى
رآه كما قاله من لم يقل بالصلاة على الغائب كما قيل انه من خصائصه ايضا واخبر ايضا في حديث آخر
رواه البيهقي فيروز علم عجمي ممنوع من الصرف وهو وزير كسرى ملك فارس ومعناه الفوز والظفر
وفاؤه مفتوحة وقد تكسر وفيروز ديلمي والديلم جيل من العجم اذ ورد اي جاء فيروز وقدم عليه
اي على النبي صلى الله عليه وسلم رسولا من كسرى ذلك اليوم بنصبه على الظرفية اي يوم ورد عليه
او يوم مات كسرى فلما تحقق فيروز القصة التي قصها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره فيها بموت
كسرى الذي هو رسوله اسلم فآمن برسول الله وفاز فوزا عظيما وقصته رويت من طرق وحاصلها انه
صلى الله عليه وسلم كتب له مكتوبا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس ﴿
سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وادعوك
بداعية الله عز وجل فاني رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين فاسلم
تسلم الخ ﴿ فلما قرا كتابه مزقه فمزق الله ملكه وكتب الى باذان عامله على اليمن ان ابعث اليه رجلين
جلدين ياتيانه به فبعث قهرمانه بابويه ومعه آخر من الفرس ومعهما مكتوب يامره فيه بالانصراف
معهما فلما اتياه قال ابعثا الي غدا فلما اتياه قال لهما ان الله سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله في
وقت كذا فاخبرا باذان بما قاله فقال لننظرن ما قال فان تحقق فهو نبي مرسل فلم يلبث ان قدم
عليه مكتوب شيرويه بما وقع فاسلم واسلم معه ابناء فارس باليمن وحسن اسلامهم وكسرى هذا
اسمه ابرويز وهذا ما ذكره المورخون واصحاب السير واما ما ذكره المصنف فلم يشتهر ولم ينقل احد ان
من الصحابة من اسمه فيروز لكن السيوطي نقله عن دلائل النبوة للبيهقي فقيل انه ليس فيها ذلك ﴿

تقتل ناس منهم فقد مجيء الخبر اليه بيوم
والذي اتى بالخبر يعلى
بن منبه وكان صلى
الله عليه وسلم
صح

وفي الاستيعاب ان فيروز الديلمي وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه الذي قتل الاسود
العنسي واخبر صلى الله عليه وسلم اباذر الغفاري كما رواه احمد في مسنده بتطريده اي بنفيه
من المدينة وقد ذكر الجوهري في الدرة الفرق بين طرده واطرده وطرّده المشدد وانه انما يقال في النفي
الاشد دا كقول ابي سفيان ⊙ وانت الذي طرّدتني كل مطرد ● وطرده واطرده بمعنى نحاه وكثير
من اهل اللغة لم يفرقوا كما كان اي وقع ما اخبر به صلى الله عليه وسلم بعينه ووجده اي وجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم اباذر في المسجد اي مسجده بالمدينة نايما فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم كيف بك اذا اخرجت منه اي من هذا المسجد وكيف استفهام عن الحال فالظاهر انه ليس على
حقيقته هنا فانه صلى الله عليه وسلم علم ما سيجري عليه وانما مراده اخباره بحاله وما يكون له كقوله
تعالى وما تلك بيمينك يا موسى والمعنى كيف ظنك او علمك بك في هذه الحال قال اسكن المسجد
الحرام يعني مكة المشرفة قال فاذا اخرجت منه الحديث اي اقرأ الحديث او اذكر الحديث الذي رواه
احمد ومعناه انه كان يخدم رسول الله وينام في المسجد وليس له ماوى غيره فخرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليلة فرآه نايما فقال له اراك نايما فقال اين انام وهل لي بيت غيره فقال له صلى الله
عليه وسلم كيف بك اذا اخرجوك منه قال الحق بالشام ارض الهجرة والمحشر وارض الانبيا فاكون رجلا
من اهله قال فاذا اخرجوك من الشام قال ارجع اليه فيكون منزلي قال فكيف بك اذا اخرجوك منه
الثانية قال آخذ سيفي واقاتل حتى اموت فوكزه صلى الله عليه وسلم بيده وقال خير لك ان تنقاد
حيث قادوك حتى تلقاني وانت على ذلك وانما نظر ابن رضي الله عنه فرواه بعض الشيعة على وجه
منكر استندوا فيه لعثمان رضي الله عنه ما لا اصل له والصحيح ما رواه قتادة من انه صلى الله عليه وسلم
قال لابي ذر اذا رايت المدينة بلغ بناوها سلعا فاخرج منها واشار الى جهة الشام فلما زاد بناوها
ذهب الى الشام ثم انه رضي الله عنه انكر على معاوية بعض اموره فشكاه لعثمان فكتب اليه اقبل
فنحن ارعى لحقك فقدم عليه ثم استاذنه في الخروج الى الربذة فاذن له فاقام بها الى ان مات والذي
قيل ان عثمان امر باز عاجه بعنف فلما وصل اليه قال له ما حملك على ما صدر منك قال اشهد ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اذا بلغ بنو العاص ثلاثين رجلا جعلوا مال الله دولا وعباد الله خولا ودين
الله دغلا ثم يريح الله العباد منهم فقال له اخرج من هذه البلدة فخرج منها قال اكثرهم لا اصل له ويعيش
وحده اي اخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بانه يعيش بعد خروجه من المدينة وحده معتزلا عن الناس
وفي نسخة عيشته بالتاء ويموت وحده فكان كما قال لان البيهقي روى ان ام ابي ذر لما حضرته
الوفاة بكت فقال لها ما يبكيك فقالت مالي لا ابكي وانت تموت بفلاة وليس عندنا كفن فقال لا تبكي
فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنفر كنت فيهم ليموتن احدكم بفلاة ليشهده عصابة من المسلمين
وانا ذلك الرجل فابصري الطريق فخرجت فاذا برجال على رحالهم فاخبرتهم بذلك فدخلوا عليه فقال
انشدكم الله ان يكفنني منكم من لم يكن نقيبا ولا اميرا فقال غلام منهم انا اكفنك يا عم في ردائي
وثوبين في عيبتي من غزل امي قال فكفني فلما مات كفنوه وصلوا عليه ودفنوه واخبر صلى الله عليه
وسلم فيما رواه مسلم اذا اسرع ازواجه به لحوقا اي اول من يموت من امهات المومنين بعده اطولهن
يدا لم يقل طولاهن بالتانيث لان اسم التفضيل المضاف يجوز فيه المطابقة وعدمها وهذا يحتمل ان يكون
من الطول بالضم ضد القصر ومن الطول بالفتح وهو الجود والانعام ولاحتمال المعنيين قيل ان ازواجه
صلى الله عليه وسلم كن يقسن اذرعهن لينظرن الاطول منهن فلما ماتت زينب رضي الله عنها علمن ان
المراد الثاني فان كان من الاول كان استعارة وقيل ترشيح للاستعارة مع ما فيه من التورية لان اليد

بمعنى النعمة

بمعنى النعمة فكانت اي اطولهن يدا واسرعهن لحوقا به فاسمها ضمير عايد على ما ذكر وقوله
زينب بالنصب خبرها وهي زينب بنت جحش ام المومنين رضي الله عنها لطول يدها بالصدقة
بيان للمراد كما تقدم وتوفيت رضي الله عنها سنة عشرين او احدى وعشرين وليس المراد زينب
بنت خزيمة التي كانت تدعى ام المساكين والحديث عن عايشة من طرق قالت قلن ايتنا اسرع
لحوقا بك قال اطولكن يدا فاخذن يتذارعن وفي رواية اخذن قصبة يذرعنها اي يقسن
اذرعهن لظنهن ان المراد الحقيقة فلما توفيت زينب علمن المراد لانها كانت اكثرهن صدقة وكانت
تعمل بيدها وتتصدق وما في البخاري عن عايشة رضي الله عنها انه اجتمع زوجاته صلى الله عليه
وسلم فقلن له ايتنا اسرع لحوقا بك قال اطولكن يدا فكانت سودة بنت زمعة فتوفي رسول
الله صلى الله عليه وسلم فكانت اسرعنا لحوقا فعرفنا ان طول يدها الصدقة وكانت تحب الصدقة
مشكل لمخالفته لما رواه مسلم من انها زينب وهو الذي صححوه وفيه اضطراب ايضا لان اوله يقتضي
ان المراد الطول الحقيقي وما بعده يدل على خلافه ولذا قال الكرماني ان فيه تلفيقا وحذفا ولم
يلتفت لانه مه خلف فالمراد اعتمادا على شهرة القصة وهو غاية ما يقال فيه قيل وهو مجاز مرسل
بعلاقة مجاورة الصدقة لليد او شبه الصدقة باليد فهو استعارة مصرحة والطول ترشيح
والقرينة ان عظم الابدان لا يقتضي حرز هذه الفضيلة فلا يرد انه ان لم يكن فيه قرينة لم يصح
المجاز وان كانت كيف يفهمن خلاف المراد حتى تذارعن وهو من اهل اللسان اقول التحقيق انه
استعارة تخييلية بان يشبه كثرة الاحسان والتصدق وايصال البر ومن اوصله لشخص له طول
في يديه يصل به لما يصل اليه غيره اذا مدهما او هو مجاز مرسل باستعمال طول اليد في لازمه
وهو ايصال الانعام او اليد استعارة مصرحة والطول ترشيح ويحتمل انه كناية واخبر صلى الله
عليه وسلم فيما رواه البيهقي من طرق بقتل الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما بالطف
بفتح الطاء المهملة وتشديد الفاء وهو مكان بناحية الكوفة واخرج صلى الله عليه وسلم بيده
تربة اي مقدار كف من تراب اراه لبعض اصحابه واهل بيته وقال اذ اخرجها فيها اي في ارض
هذا التراب منها او فيها يموت ويقتل مضجعه اي مصرعه اذ يقتل وجيمه مفتوحة وتكسر والاول
افيس وافصح وفي التعبير به ايماء الى انه رضي الله عنه مجيء شهيدا لان اصله محل يضطجع فيه النا(م)
واصل الحديث عن عايشة رضي الله عنها ان جبريل كان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل
الحسين عليه فقال جبريل من هذا قال ابني فقال ستقتله امتك فان شئت اخبرتك بالارض
التي يقتل فيها واشار جبريل بيده الى الطف من العراق واخذ تربة حمرا فاراه اياها ولانيا في
ذلك ما جاء انه يقتل بكربلا لان كربلا اسم الموضع والطف ناحية تشتمل عليه وكان قتله في
عاشورا وقتل معه جماعة من اهل البيت وقيل ان هذه التربة كانت عندهم وانها في يوم قتله
يظهر عليها دم واختلف فيمن باشر قتله الله واخزاه وجعل بعين تراه ولابن العربي هنا مقا(له)
اظنه يتبرى منها وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابن عدي والبيهقي مسندا في زيد
بن صوحان بضم الصاد المهملة وواو ساكنة وحاء مهملة والف ونون وهو زيد بن صوحا(ن)
بن حجر بن الحارث العبدي اخو صعصعة وله وفادة على النبي صلى الله عليه وسلم وقيل
انه تابعي وقال الذهبي ومن خطه نقلت كان زيد بن صوحان مواخيا لسلمان حتى يكنى
با سلمان لحبه له وكان زاهدا عابدا ذكر له مناقب كثيرة وعده من الصحابة وصوحان معناه
اليابس يقال صوح النبت اذا صار هشيما يسبقه عضو من اعضائه الى الجنة اي يدخل

الجنة قبله لانه قطع في سبيل الله قبل موته ومعنى السبق اما تقدمه حقيقة ولا مانع
من ان يحفظها الله في الجنة فاذا استشهد وصلها ببقية اعضائه في الجنة وامور الاخرة
لا تقاس على امور الدنيا ويجوز ان يراد ان يده تقطع في سبيل الله او لانه يستشهد بعد
ذلك فكني عنه بما ذكر ولفظ الحديث من سره ان ينظر الى رجل يسبقه بعض اعضايه الى الجنة
فلينظر الى زيد بن صوحان وفي سنده هذيل بن بلال وهو ضعيف **فقطعت يده** الشمال
كما رواه الذهبي **في الجهاد** لم يعينه للخلاف فقيل انه كان يوم نهاوند وقيل في قتال
المشركين وقد روي انه صلى الله عليه وسلم شهد لثلاثة من التابعين بالجنة اويس القرني
وزيد بن صوحان وجندب الخير وقتل مع علي رضي الله عنه في وقعة الجمل وعلى هذا
فاخباره عن المغيب اقوى واغلب في اطلاعه على امره قبل خلقه وقال صلى الله عليه وسلم
في حديث رواه مسلم وغيره في الذين كانوا معه اي حاضرين معه وهم **على حرا** اسم جبل معروف
بقرب مكة بنحو ثلاثة اميال يمد ويقصر ويذكر ويونث فيجوز صرفه وعدم صرفه كما تقدم
فتحرك وهم عليه فقال له صلى الله عليه وسلم **اثبت** اي لا تتحرك وترجف وتتزلزل
ولفظه كما في صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على حرا هو وابو بكر وعمر وعثمان
وعلي وطلحة والزبير فتحرك فقال اهدا فما عليك الا نبي او صديق او شهيد وزاد بعضهم
سعدا واورده بعضهم بكان على والمصنف رووا **انما عليك نبي وصديق وشهيد** والمعنى
واحد والنبي معناه ظاهر كالمراد وكذا الشهيد وتفصيله ويرد وقع الترتيب في الحديث على
وفق ما في القران والصديق فعيل صيغة مبالغة من الصدق ضد الكذب ولهم في تفسيره
اقوال فقال ابن المطهر انه من صدق بامر الله وبرسله بحيث لا يخالجه شك في شي وقال
الكلبي رحمه الله الصديقون افاضل الصحابة واختاره البغوي وقيل من صدق بالانبيا
حين غابهم واختار الرازي انهم اول من صدق الرسل ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم ما عرضت
الاسلام على احد الا وله كبوة الا ابو بكر فله رضي الله عنه مزية بانه صار قدوة لغيره ولهذا
اجمعوا على تسليم هذا اللقب له ومرتبة الصديقية بل مرتبة النبوة وقد افرد ذلك بالتاليف
الكمال ابن الزملكاني **فقتل علي وعمر وعثمان** فقتل عليا كرم الله وجهه عبد الرحمن بن ملجم
من الخوارج وقصته مشهورة وقتل عمر رضي الله عنه ابو لولوة غلام المغيرة بن شعبة وكان عمر
رضي الله عنه لا ياذن لمحتلم من المشركين ان يدخل المدينة فاستاذنه المغيرة في غلامه هذا لانه
كان نجارا وله صنايع ينتفع بها الناس فاذن له في دخوله فضرب عليه سيده في كل شهر مائة درهم
فشكا ذلك لعمر فسأله عن صنعته فاخبره فقال ما خراجك بكثير فغاظه ذلك واضمر قتله فضربه
بخنجر وهو يصلي فاستشهد وعثمان رضي الله عنه استشهد يوم الدار في قصته المشهورة هو
وطلحة والزبير اما طلحة بن عبيد الله فقتل يوم الجمل وهو محارب لعلي وقيل انه ذكره ووعظه
فاعتزل حربه ثم اصابه سهم فمات منه واما الزبير رضي الله عنه فرجع عن قتال علي فقتله ابن
جرموز بوادي السباع كما تقدم **وطعن** بالبنا للمجهول **سعد** بن ابي وقاص سنة خمس او اربع
وخمسين وهو اخر من مات من العشرة المبشرة بالجنة وقيل مات سنة ست وقيل سبع وخمسين
وقيل سنة ثمان وقيل سنة اثنين وثمانين وطعن يعني اصيب بالطاعون وهو من اقسام الشهادة
ايضا وانه لم يكن مثل غيره من كل وجه ولذا اخره المصنف وقول بعضهم انه لم تنله الشهادة غير مناسب
هنا الا ان يدخله في الصديقين **وقال** صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البيهقي **لسراقة**

بضم السين وفتح الراء المهملتين مخففة وقاف وهو سراقة بن مالك بن جعشم بن مالك بن عمرو
ابو سفيان الكناني المدلجي سكن مكة وهو الذي خرج في طلب النبي صلى الله عليه وسلم فساخت
به فرسه في القصة المشهورة ياتي في كلام المصنف الاشارة لبعضها ثم اسلم وتوفي سنة اربع وعشر ين
وقيل مات بعد عثمان وفي الصحابة من اسمه سراقة غيره من الصحابة وفي هذا اخبار عن الغيب
وخص سراقة لانه اعرابي من البادية ولبس مثله لما يلبسه المترفون من ملوك العجم اية عظيمة
من ايات النبوة وعز الدين **كيف بك** كيف جواب عما ابهم من الاحوال وهو استخبار يتضمن التعجب
من حاله التي هو عليها لان كل احد لا ينفك عن حال من الاحوال اذا طرا عليه ما لم يعهد مثله ونال
ما لم ينله امثاله فكني عما ذكر وفيه من البلاغة ما لا يخفى **اذا لبست** اي وضعت في يديك
وساعديك ومثله يسمى لبسا وان كان المعروف اطلاقه على ما يعم البدن من الثياب والحلل **سوار** **ي**
مثنى سوار بضم السين وكسرها ويقال اسوار بضم الهمزة وكسرها ايضا وهو مما كان يتزين به العجم
والملوك وان كان مختصا بالنسا عند العرب وبعد الاسلام حتى يعاب على غيرهن **كسرى** تقدم
انه كل من ملك العجم ويخص بعضهم وهو كسرى الذي ادرك عهده الاسلام كما تقدم وان كافه
مكسورة وتفتح وهو معرب خسرو ومعناه واسع الملك **فلما اتي بهما** اي بسواري كسرى **لعمر**
ضمن اتي بصيغة المجهول بمعنى اوصله فعدي باللام وفي نسخة عمر بدون لام **البسهما اياه** اي
سراقة تحقيقا لما اخبر به صلى الله عليه وسلم ويجوز البسه اياهما وقيل وهو الاولى **وقال**
عمر رضي الله عنه **الحمد لله** حمد الله على تصديق كلمة النبوة واعزاز دينه وزوال شوكة اعدائه
وما فتح الله على يديه **الذي سلبهما من يدي كسرى والبسهما سراقة** وهو بدوي اعرابي
متقشف هو من احاد امته صلى الله عليه وسلم والحديث كما في دلايل النبوة عن الحسن ان عمر رضي الله
عنه لما اتي بسواري كسرى ابن هرمز وضعتا بين يديه وفي القوم سراقة وضعهما في يديه
فبلغا منكبيه فقال الحمد لله الذي جعل سواري كسرى بن هرمز في يدي سراقة ابن مالك
ثم قال له قل الله اكبر الله اكبر وحمد الله لما من من نعمة الفتح واعزاز الدين وكبر تعظيما لمالك
الملك الذي يوتي ملكه من يشاء من عباده وينزعه ممن يشاء فتبارك الذي بيده الملك الذي
قصم من نازعه رداء كبريائه فلا سلطان الا سلطانه ولا عز لغير من اعزه وليس في هذا
استعمال الذهب ولبس الرجال له وهو من المحرمات لانه لم يفعله الا تحقيقا وتصديقا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم من غير ان يقرهما ومثله لا يعد استعمالا فلا حاجة لما قيل ان فيه مصلحة
ومفسدة ارتكبت المفسدة فيه لاجل المصلحة وهي تحقيق المعجزة فانه لا محصل له **وقال** صلى الله
عليه وسلم في جملة اخباره عن الغيب في حديث رواه ابو نعيم في الدلائل والخطيب في تاريخه

المغيبات

تبنى بالبنا للمجهول والباني لها ابو جعفر الدوانيقي ثاني خلفا بني العباس **مدينة** هي البلدة
العظيمة من التمدن وهو التعيش والسكنى الكثيرة وتكون اكبر من البلدة والقرية **بين دجلة**
بدال مهملة مفتوحة او مكسورة من دجله اذا غطاه ومنه الدجال لخفائه امره بتخليطه في امور
وهو علم لنهر مشهور بالعراق ولا يجوز دخول الالف واللام عليه لانه علم مرتجل ودجيل مصغر
علم نهر بالاهواز حفره ازدشير بن بابك اول ملوك بني ساسان بالمدائن عليه قرى كثيرة ومخرجه
من اصبهان وقيل انه خليج متشعب من دجلة **وقطربل** بضم القاف وسكون الطاء المهملة وضم
الراء المهملة وضم الباء الموحدة المشددة وقد تخفف وتشدد اللام وهو موضع بالعراق تنسب
اليه الخمر **والصراة** بفتح الصاد والراء المهملتين ثم الف وها وهو نهر بالعراق ايضا مشهور وهو

الاصح المعروف وفي بعض النسخ والهراة بدل الصاد وهي بلدة بالعجم وقد ضرب عليه وصحح الصراة وهو المعتمد **تجبى اليها** اي يجمع ما لغيرها من البلاد الى تلك المدينة وهو عبارة عن انها دار الخلافة العظمى وكرسي الممالك يقال جبى الخراج والمال اذا جمعه للسلطان بامره **خزاين الارض** اي ما كان مخزونا في غيرها من البلاد بسراها اليها **يخسف بها** اي يخسف الله ارضها ودورها باهلها وقد وقع ما اخبر به صلى الله عليه وسلم من بنائها في الدولة العباسية وجباية الاموال اليها ويجي امر الخسف وسيظهر كما اخبر به صلى الله عليه وسلم فان الذهبي ذكر في ميزانه في ترجمة عمار بن سيف الضبي الكوفي راوي هذا الحديث وقال انه منكر جدا والله اعلم بامره **يعني بغداد** اسم المدينة المشهورة وتسمى دار السلام وهو اسم اعجمي عرب وفيه لغات تقدم الكلام عليها **وقال** في حديث رواه الامام احمد والبيهقي عن سعيد بن المسيب مرسلا وحسنه قال ولد لاخي ام سلمة من امها غلام فسموه الوليد فقال صلى الله عليه وسلم لا تسموا باسماء فراعنتكم فسموه عبد الله فانه **سيكون في هذه الامة رجل يقال له الوليد هو شر لامتي من فرعون لقومه** قال الاوزاعي كانوا يرون انه الوليد بن عبد الملك ثم راوا انه ابن اخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك الجبار الذي كان مفتاح ابواب الفتن على هذه الامة وكان مما جاء سفهها منهما للحرب لينة ما يقتضي الكفر قيل ويجوز ان يراد كلاهما الخبيثهما وعنوهما الا ان الثاني اشقاهما وفي هذا معنى حسن وهو ان فرعون مصر الكافر كان اشبه الوليد كما اشار اليه في الحديث وقال ابن الجوزي ان هذا الحديث موضوع فكانه ثبت عند المصنف ان موضوعات ابن الجوزي مدخول في كثير منها وصحح في الشرح الجديد ان المراد انما هو الثاني المعروف بالفاسق بويع بالخلافة بعد هشام بن عبد الملك لست خلون من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة واظهر من فسقه وولعه بالملاهي ومنه بالدين امورا شنيعة لا حاجة لنا بها ولهذا صلى الله عليه وسلم شرا من فرعون موسى مع الاتفاق على كفره لانه كان في زمان الكفر وهذا كان والاسلام غض طري **وقال** صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان **لا تقوم الساعة** اي لا ياتي زمانها وتر اوانها **حتى يقتتل فيئتان** اي طايفتان وجيشان من هذه الامة المسلمة **دعواهما** في اعتقاد واحد منهما **واحدة** وهي الاسلام والدين الحق وقد وقع هذا في صفين في وقعة علي ومعاوية رضي الله عنهما ثم سرى ذلك كثير بعده لانه قد وقع بين المسلمين من الحروب والوقايع التي لا تحصى الا ان الوقعة الاولى اول ما دهم اهل الاسلام من الامور المهلكة المنكرة التي كانت ثلمة في الدين **وقال** صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البيهقي والحاكم عن الحسن بن محمد مرسلا **لعمر** بن الخطاب رضي الله عنه **في سهيل بن عمرو** بن عبد شمس بن عبد ود ابو يزيد العامري القرشي احد خطباء قريش اسلم يوم الفتح واستشهد باليرموك وقيل توفي بالشام سنة ثمان عشرة وقال الواقدي توفي سنة تسع عشرة في طاعون عمواس وكان يقوم خطيبا بعرض المشركين على قتال النبي صلى الله عليه وسلم فلما اسر يوم بدر قال عمر يا رسول الله انه رجل مفوه فدعني انزع ثنيتيه السفليين فلا يقوم خطيبا عليك بعد اليوم لانه كان اعلم السفلى اي مشقوقها فاذا انتزعت ثنيتاه السفليين يذهب لسانه فلا يطيق الكلام وهذا من عمر رضي الله عنه اشد بغضه فقال صلى الله عليه وسلم لعمر دعه **عسى ان يقوم مقاما** اي يقوم خطيبا في مقام ينفع بخطبه وياتي بما يمحو مقاماته الاول وقد مر ان عسى من الله ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنق ما اخبر به من المغيبات فسره وسر المسلمين مقامه لما **قام بمكة مقام ابي بكر** الصديق رضي الله عنه اي مثل

مقامه

مقامه بالمدينة وخطب بخطبة مثل خطبته **يوم بلغهم** اي بلغ المسلمين بمكة **موت النبي صلى الله عليه وسلم وخطبهم** في مقامه بمكة **بنحو خطبته** اي بخطبة مثل خطبة ابي بكر بالمدينة لفظا ومعنى ثم بين المماثلة بقوله **وثبتهم** اي ثبت المسلمين على دينهم **وقوى بصايرهم** باعلامهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر وكل نفس ذايقة الموت فقال من كان محمد الهه فان محمدا قد مات والله حي لا يموت وابو بكر رضي الله عنه قال من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت فتواردا على معنى واحد في مقام غفل فيه كثير من كبار الصحابة دهشة من هذه المصيبة العظيمة **وقال** صلى الله عليه وسلم كما رواه ابن اسحاق والبيهقي **لخالد** بن الوليد **حين وجهه** اي ارسله متوجها **لاكيدر** بضم الهمزة والكاف وراء مهملتين مصغر اكدر ويقال له اكيدر دومة بضم الدال المهملة وقد تفتح ويقال لها دومة الجندل ويقال دوما بالمد وهي ايليا وهي بين مكة وبرك الغامة او بين الحجاز والشام سميت بدومان بن اسمعيل لانه كان ينزلها **انك تجده** اي تصادف اكيدر **يصيد البقر** اي بقر الوحش لانها التي تصاد وكان صلى الله عليه وسلم بعثه في اربعماية وعشرين فارسا الى اكيدر بن عبد الملك بن عبد الحق بن اعيا بن الحارث بن معاوية الكندي كما قاله الخطيب والماوردي وفي مختصر الشافعي انه من كندة او غسان وكان نصرانيا قد ملك دومة واهلها فاتاه خالد رضي الله عنه في ليلة مقمرة فوجده يصطاد الوحش هو واخوه حسان فشد واعليه فاستاسر اكيدر وقاتل اخوه حتى قتل فقدم به على النبي صلى الله عليه وسلم فصالحه على الجزية وحقن دمه وخلى سبيله فمات نصرانيا وقال البلاذري انه عاد الى دومة فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم نقض العهد فحاصره خالد وقتله مشركا نصرانيا وقيل انه اسلم واهدى للنبي صلى الله عليه وسلم حلة سيرا فوهبها لعمر وعده ابن منده وابو نعيم في الصحابة وقال ابن الاثير ان الهدية صحيحة واما اسلامه فغلط باتفاق اهل السير وقيل انه اسلم ثم ارتد بعده صلى الله عليه وسلم وعلى هذا لا يعد في الصحابة ايضا **فوجدت** بالبناء للمجهول **هذه الامور** المذكورة في هذا الفصل **كلها في حياته** بعد ما اخبر بها **و** وجد **بعضها بعد موته كما قاله صلى الله عليه وسلم الى ما اخبر به جلساءه** من الصحابة **من اسرارهم** اي ما اسروه واخفوه **وبواطنهم** اي امورهم المخفية وقلوبهم وهو بيان لما اخبر به **واطلع عليه** عطف على ما اخبر به **من اسرار المنافقين** اي ما اسروه في انفسهم ولم يخبروا به احدا منهم ولا من غيرهم او ما كانوا يقولونه سرا بينهم بحيث لا يقف عليه المومنون **وكفرهم** المضمر في قلوبهم مع اظهار الايمان **وقولهم فيه** اي في حق النبي صلى الله عليه وسلم **وفي المومنين** وهو معطوف على اسرار المنافقين عطف تفسير كقول راسهم ابن ابي لهم وقد استقبله الصحابة انظروا كيف ارد هولاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر وقال له مرحبا بسيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني اثنين في الغار وباذل نفسه وماله في سبيل الله لرسول الله ثم اخذ بيد عمر فقال له مرحبا بسيد بني عدي الفاروق في دين الله ثم اخذ بيد علي فقال له مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف رايتموني فعلت فاثنوا عليه **حتى ان** بكسر الهمزة وسكون النون المخففة من الثقيلة واسمها ضمير شان مقدر **كان بعضهم** اي بعض المنافقين **يقول** وفي نسخة ليقول **لصاحبه** اي من هو معه منهم اذا اراد ان يتكلم بشي في حقه صلى الله عليه وسلم سرا معه **اسكت** ولا تنطق بشي من امره ثم بين وجه امره بالسكوت مقسما عليه ليحقق ما قاله **فوالله لو لم يكن عنده من يخبره** بما يقوله في شانه من ملك او جن يبلغه ما يقال فيه **لاخبرته حجارة**

اي مطابقة لغيره ومماثلة له شبيهة او مضمومة

البطحا وهي ارض مستوية يسيل فيها الما والمراد بحجارتها ما فيها من الحصبا يعني ان الحجارة نقلته
بما غاب عنه وهذا اشارة ايضا لما وقع له صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة وامر بلالا ان يعلو ظهر
الكعبة ويوذن عليها وابو سفيان بن حرب وعتاب بن اسيد والحارث بن هشام جلوس بفنا الكعبة
فقال عتاب لقد اكرم الله اسيدا اذ لم يرى هذا اليوم وقال الحارث اما وجد محمد موذنا غير هذا الغراب
الاسود فقال ابو سفيان لا اقول شيا لو تكلمت لاخبرته هذه الحصبا فخرج عليهم النبي صلى الله عليه
وسلم وقال علمت الذي قلتم وذكر مقالتهم فقال الحارث وعتاب نشهد انك رسول الله ما اطلع على
هذا احد كان معنا فنقول اخبرك به واعلامه بالجر معطوف على ما اخبر به وهو اشارة الى ما في الصحيحين
عن عايشة رضي الله عنها وهو مصدر مضاف لفاعله ومفعوله محذوف اي اعلامه الناس بصفة
السحر الذي سحره به لبيد بن الاعصم وهو يهودي من بني زريق وقصة سحره مشهورة في السير
والتفسير وكونه اي السحر المذكور الذي وضعه في مشط بضم الميم وكسرها وسكون الشين المعجمة
وطا مهملة اسم آلة معروفة يسرح بها الشعر ويقال لها ممشط ايضا ومشاطة بضم الميم وهو ما
يسقط من الشعر اذا سرح وفي نسخة مشاقة بقاف بدل الطا وهما بمعنى او الاول من الشعر والثاني
من الكتان في جفة بضم الجيم وتشديد الفا وهو وعا الطلع الذي يكون عليه كالغشا وفي
نسخة جب بباء موحدة بمعنى داخل وجوف ومنه جب البير وهو مضاف لقوله طلع نخلة ذكر
والطلع ما يخرج من النخل في طرف ينطبق عليه معروف والنخل منه ذكر وانثى تحمل ثمرها المعروف
وانه بفتح الهمزة والضمير للسحر المذكور القي في بير ذروان اي وضع في هذه البير وهي بير بالمدينة
لبني زريق وهي بذال معجمة مفتوحة وراء مهملة ساكنة وواو بزنة فعلان فكان ما اخبر به
رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال ووجد السحر على تلك الصفة التي وصفها فهو من اخبار
بالغيب بوحي من الله كما فصلوه وعن هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة رضي الله عنها انه صلى
الله عليه وسلم لما سحر قال اتاني رجلان فقعد احدهما عند راسي والاخر عند رجلي فقال احدهما
لصاحبه ما وجع الرجل قال مطبوب اي مسحور قال من طبه قال لبيد بن الاعصم قال في اي
شي قال في مشط ومشاطة وجف طلع ذكر قال واين هو قال في بير ذروان فجاءها صلى الله
عليه وسلم في ناس من اصحابه فاستخرجه فلما رجع قال يا عايشة كان ماءها نقاعة الحنا وكان
روس نخلها روس الشياطين فقالت هلا اخرجته يا رسول الله قال قد عافاني الله فكرهت ان
اثير على الناس منه شرا فامر بها فدفنت قال ابو عبيدة هو عند المحدثين بير ذروان وقال
ابن قتيبة عن الاصمعي هو خطا وصوابه اروان بالهمزة انتهى وفي القاموس بير ذروان بالمدينة
وهي ذو اروان بسكون الراء وقيل بتحريكه انتهى وفي مسلم بير ذي اروان قال النووي وهو
صحيح والاول اجود واصح ويحتمل ان الاول مخفف منه واعلامه قريشا كما رواه البيهقي
عن الزهري في الدلايل باكل الارضة بفتحات دودة تاكل الورق وتتكون فيه اذا انطبق
زمانا بحيث لا يمر به الهوى وهي معروفة وعلى انواع ومنها ما ياكل الخشب فمن فسره هنا
بدويبة تاكل الخشب قال نعم ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل منساته والارض بالسكون
مصدر ارضت اذا كان به ارضة اضيفت لها لم يطبق المفصل وليست هي الدابة المسماة ارقة
كما قيل وكذا من قال انها سوس الخشب ما في صحيفتهم الاضافة للعهد اي الصحيفة المشهورة
وسياتي بيانها التي تظاهروا بها اي تعصبوا وتعاونوا باتفاقهم على عهود كتبوها
في تلك الصحيفة كما سياتي على بني هاشم وهم فخذ من قريش قطعوا بها رحمهم اي قصدوا

بما كتبت

بما كتبت في الصحيفة قطع رحمهم اي قرابتهم اي ابطلوا حقوق القرابة بينهم وبين بني
عمهم من بني هاشم واصل الرحم مقر الولد ثم شاع في القرابة حتى صار حقيقة فيها بانها
اي الارضة وهو معطوف على اكل الارضة اي واعلامه صلى الله عليه وسلم بانها ابقت فيها اي
الصحيفة كل اسم لله دون غيره مما عاهدهم عليه مجتمعة لانه باطل وابقت اسم الله تبركا وتادبا
وهذا على احدى الروايتين والاخرى ستاتي وتوجيهها فوجدوها كما قال صلى الله عليه وسلم
واخبر به عن الغيب فهو من معجزاته وما ذكره المصنف من انها ابقت اسم الله تادبا ومحت غيره
للاشارة الى انه امر باطل على احدى الروايتين كما علمت وفي رواية اخرى انها لحست اسم الله
وابقت غيره من عهودهم الفاسدة للاشارة الى ان الله بري منهم وانه لا يليق ذكر اسمه تعالى في
ذكر عهودهم ولكل وجهة والروايتان ذكرهما ابن سيد الناس في سيرته فاذا صحت الروايتان
اشكل ذلك لان القصة واحدة والصحيفة واحدة وقول البرهان في التوفيق بينهما انه لم تنقل
ان رواية انها لحست اسم الله اقوى والقول انما هو علمها انه كتب نسختان علقت احدهما في
الكعبة والاخرى كانت عندهم بعيد اذ لم يقع ذلك في رواية اصلا وقد قيل ان كاتبها شلت
يده وهو منصور بن عكرمة وقيل بغيض بن عامر بن هشام وحاصل قصتها انهم لما اشتد عليهم
امره صلى الله عليه وسلم واشتد على المسلمين قهرهم ارادوا قتله فلم يرض به ابو طالب وبنو هاشم
فقالوا اما تسلموه لنا او تعتزلوا عنا جميعا في الشعب بحيث لا تعاملونا ولا تجتمعون معنا فرضوا
بذلك وكتبوا بالعهد صحيفة علقوها في الكعبة فكان كلما جاء اهل البادية بما يباع منعوه عنهم فمكثوا
ثلاث سنين كذلك حتى ضاق عليهم الحال وندم بعض قريش واراد نقض العهد فبينما هم كذلك قال
النبي صلى الله عليه وسلم لابي طالب يا عم ان الله ابطل عهدهم واكلته الارضة فخرج اليهم فظنوا انه
اتاهم ليسلم لهم النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرهم بالقصة فاتوا بالصحيفة فوجدوها كما قال
فاذنوا لهم بالخروج من الشعب على ما فصل في السير وكان ذلك مما اطلعه الله عليه من غيبه وهذا يقتضي
صحة ما قاله المصنف وان الرواية الاخرى غير ثابتة عنده على كل حال فلم نجد ما يشفي الصدر ووصفه
لكفار قريش بعد الاسرا كما تقدم تفصيله بيت المقدس مفعول وصف وقوله حين كذبوه في
خبر الاسرا اي في اخباره بانه اسري به لبيت المقدس ونعته اياه اي بيت المقدس نعت من
عرفه بالنصب مفعول نعته والنعت والوصف متقاربان والمصنف غاير بينهما تفننا وقيل النعت
يقال في غير الله ولا يقال نعت الله ذكره بعض النحاة ولم يذكر له وجها واعلامهم بالجر اي اعلام
الكفار بعيرهم بكسر العين اي قافلتهم من عار بمعنى سار واما بالفتح فهو الحمار وليس مرادا التي
مر عليها في طريقه لما رجع من الاسرا وانذارهم بوقت وصولها لهم والانذار هنا بمعنى الاعلام
مجازا واصله التخويف والاخبار بما فيه خوف عند التبشير ومن فسره بالتخويف هنا لم يصب
يعني قوله صلى الله عليه وسلم انها تقدم يوم كذا يقدمها جمل اورق كما مر فكان ذلك كله اي
وجد ووقع كما قال صلى الله عليه وسلم من غير زيادة ولا نقص فيما اخبر به وقد قدمنا تفصيله
ثمة فلا حاجة لاعادته الى ما اخبر به من الحوادث اي ما تقدم منها او ينضم لغيره مما اخبر به مما
سيحدثه الله بعده من الامور التي تكون في المستقبل ولم يات بعد مبني على الضم اي لم يقع
عقب اخباره بل بعده بازمان متباعدة بعضها ظهرت مقدماتها وبعضها لم تظهر فاذا جاء الاتيان
يجي فان خبره صلى الله عليه وسلم لا يتخلف والى ذلك اشار بقوله منها ما ظهرت مقدماته
بكسر الدال اي علاماته المتقدمة عليه كقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابو داود في

عمران بيت المقدس بضم العين مصدر كالغفران بمعنى كونه معمورا بتمام بنائه وكثرة سكانه
وذلك باستيلاء الكفرة عليه وتقدم معنى كونه مقدسا بما فيه وهو مبتدأ خبره خراب يثرب
بالمثلثة ومنع الصرف وهو اسم المدينة الشريفة وجعله عينه مبالغة كقولهم عتابه السيف
وليس المراد به التشبيه والحمل في قوله عمران بيت المقدس خراب يثرب وما بعده على طريق المجاز
في النسبة الاسنادية بجعل ما يقرب من الشيء ويلاصقه كانه هو بعينه فلا يقال انه غيره
فكيف اخبر به عنه وخراب يثرب الذي يعمر عند بيت المقدس خروج الملحمة اي ظهورها
والملحمة بحاء مهملة وهي موضع المعركة والقتال ويكون بمعنى الحرب نفسه كما في النهاية الاثيرية
وفي الصحيح انها الوقعة العظيمة في الفتنة من التحم بمعنى اشتبك ودخل بعضه في بعض
كالسدى واللحمة او من اللحم لكثرة لحوم القتلى فيها ومنه الملحمة اسم كتاب يذكر فيه احكام النجوم
وآثار الجو من السحاب ونحوه والمراد به الفتن العظيمة والهرج الذي يكون في آخر الزمان فاعلم
وخروج الملحمة فتح القسطنطينية وفي قسطنطينية بغير الف ولام وبعد النون الثانية
ياء تشدد وتخفف وهي مدينة عظيمة هي قاعدة ديار الكفر وكرسيها وهي منسوبة لقسطنطين
اسم اول ملك بناها وفيها لغات ضم القاف وفتح الطاء الاولى وضمها مع تخفيف الياء الاخيرة
وتشديدها وحذفها فهي ست ووقعت في الحديث بالالف واللام واستعملها الناس بحذفها
كقول ابي تمام حيث قال

• حتى النوى من نحو قسطلها على • حيطان قسطنطينة الاعصار •

وهي المسماة برومية وقد اختلف هل فتحت هذه ام لا فقيل فتحت في زمن الخلفاء والاصح انها
انما تفتح في آخر الزمان قبل خروج المهدي وهو الذي صححه المقدسي في كتاب الدرر في
اخبار المهدي المنتظر والذي اوقعهم في اللبس اشتراك الاسم فانه سمي بها مدن متعددة هي
والمذكور في هذا الحديث كله يكون اذا قرب نزول عيسى عليه الصلاة والسلام وما معه من
الاشراط واليه اشار بقوله ومن اشراط الساعة وآيات حلولها معطوف على قوله من الحوادث
والاشراط جمع شرط بفتحتين وهي العلامة والمقدمة وهي الآية بمعنى وقيل هي ما ينكره الناس
من صغار امورها وعلامات القيامة التي تكون في آخر الزمان كالدجال ودابة الارض وغيره
مما هو مشهور غني عن البيان وهذا كله مما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات وقد فصله القرطبي
في تذكرته وذكر النشر والحشر الذي هو آخر الاشراط وآخر الدنيا اذا نفخ في الصور والنشر للميت
اي يحييه فيقوم من قبره من نشر الثوب اذا بسطه قال الشاعر

• طوتك خطوب دهرك بعد نشر • كذاك خطوبه طيا ونشرا •

والحشر سوق الناس الى المحشر والحساب واخبار الابرار بالجر اي مما اخبر به صلى الله عليه وسلم
من المغيبات ما ورد في الحديث من اخباره عن صلحاء امته وفجارهم او اخبارهم بما يسرهم وتقربه اعينهم
واخبار غيرهم بما يسوءهم ويبكيهم فاخبار بفتح الهمزة جمع خبر او بكسرها مصدر اخبر والابرار جمع بر
او بار كرب وارباب وصاحب واصحاب وهو التقي الصالح والفجار جمع فاجر وهو الفاسق المجاهر
بالمعاصي والمعنى انه صلى الله عليه وسلم اعلم امته بما يكون فيهم وهو كثير في الاحاديث والجنة والنار
اي ذكر احوالهما واهلهما وما يكون فيهما وعرصات القيمة بفتحات جمع عرصة بسكونها وهي كل
موضع واسع لا بناء فيه اي ما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ما ورد في الحديث من بيان مواقف
القيامة وعرصاتها ووصفها بصفاتها وعقب هذا الفصل البا زائدة كما في قولهم بحسبك درهم

وهو بسكون السين المهملة مبتدأ خبره ان يكون ديوانا اي كتابا مدونا مستقلا وقد تقدم الديوان
ومعناه وهذا الفصل اشارة الى الفصل المعقود لاخباره صلى الله عليه وسلم بالمغيبات وهذا عبارة عن
المبالغة في كثرته كما ذكره في اوله وانه لو الف فيه تاليف مستقل دون غيره من معجزاته لم يكن امرا غريبا
مفردا عن غيره من المعجزات يشتمل ذلك الديوان المفرد له على اجزاء بتمييز انواعه وافراد كل نوع بباب
وجعله منفردا من بينها ثم اعتذر لعدم افراده بالتاليف بقوله وفيما اشرت اليه اي مما ذكره في هذا الفصل
منه وهو خبر مقدم نكت من نكت الاحاديث التي ذكرناها اي لطايف ودقايق نفيسة وقد تقدم بيان
النكت مفصلا وقوله كفاية مبتدأ مؤخر ولو حذف قوله نكت كان احسن لانه اذا كان مبتدأ كان قوله
كفاية مبتدأ آخر او بدلا او صفة تاويله بكافية وكله تكلف اي المقدار الذي اقتصر عليه المصنف كاف عن
افراده بالتاليف واكثرها اي النكت المذكورة في هذا الفصل منقول في الصحيح من كتب الحديث
وموجودة عند الائمة من علماء الامة ومشايخ المصنف وفي تعبيره بالاكثر اشارة الى ان فيه ما هو ضعيف
او لم يثبت كما بيناه لك في اثناء شرحه والله تعالى اعلم

• فصل في عصمة الله له صلى الله عليه وسلم من الناس •

اصل معنى العصمة الامساك والشد قال الراغب الاعتصام التمسك بالشيء واستعصم
كانه طلب ما يعتصم به من ركوب الفاحشة وعصمة الانبيا حفظه اياهم بما خصهم من صفاء الجوهر ثم بما
اولاهم من الفضايل النفسية والجسمية ثم بالنصرة وتثبيت اقدامهم ثم بانزال السكينة عليهم وبحفظ
قلوبهم وبالتوفيق انتهى يعني ان حقيقتها التمسك ثم صار حقيقة في المنع عن ارتكاب المعاصي وفي الحفظ عن
نيل المضرة من اعاديهم والمراد هنا المعنى الاخير كما اشار اليه بقوله وكفايته من آذاه اي كفاية الله اياه
بحفظه ممن قصد اذيته والمراد بالناس ما يشمل الانس والجن فانه ورد بهذا المعنى كما ذكروه في تفسير
المعوذتين او خصهم لانهم الذين عادوه صلى الله عليه وسلم وقصدوا اذيته وقوله من آذاه بعد ذكر
العام بعد الخاص ليشملهم صريحا واستشهاد له بقوله قال الله تعالى والله يعصمك من الناس يقتضي
انه لم يقصد الاخير بحسب الظاهر وهذه الآية وسورتها مدنية على الاشهر وقال العلامة الخيضري في
الخصايص يرده ما روي عن ابن عباس وغيره انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج بعث
معه ابو طالب من يحرسه حتى نزلت هذه الآية فقال له يا عم ان الله عصمني فلا حاجة لي بمن تبعثه معي
وهذا يدل على انها مكية وفي مسلم عن عايشة ارق رسول الله ذات ليلة فقال ليت رجلا من اصحابي يحرسني
الليلة فسمعت صوت السلاح فقال من هذا قال سعد بن ابي وقاص جئت لاحرسك فنام حتى سمعنا
غطيطه وروى الترمذي عن عايشة كان يحرس حتى نزلت الآية الخ اي فهذا يدل على انها مدنية فيحتمل
الجمع وكونها نزلت مرتين بمعنيين فالناس على الاول اهل مكة وعلى الثاني اعم خلاف الظاهر ثم قال
اكثر المفسرين ان هذا الذي كان يخشاه فعصم منه القتل لا الاعم فلا يرد عليه انه اذا عصم لم
لبس الدرع وشج وكسرت رباعيته وكان يحرس مع انه قيل انه كان تشريعا لامته فيأخذوا
بالحزم وكسر الرباعية والشج قيل انه لحكمة وهي اذ يشارك المومنين في المصيبة تسلية لهم عما نالهم
من فقد احبابهم وليشتد غيظهم على الكفار فيشتد بطشهم بهم انتهى واما العصمة عن الذنوب
فسيأتي في محله والى ما قدمناه اشار في الكشاف ومن لم يفهم كلامه اعترض عليه بما لا يحصل له وقد
تقدم انه صلى الله عليه وسلم سم بخيبر وقال انه سبب موته لقوله ما زالت اكلة خيبر تعاودني فقطعت ابهري وقالوا
حكمته ان ينال اجر الشهادة ورتبتها مع مرتبته العلية فيرد هذا على ما قالوه واجيب

بان الله كفاه قتله بالسم حين اكله فلم يؤثر فيه فلما قضى اجله اثر فيه بقيته لعلو مقامه
ورتبته وليس لاحد صنع فيه والقول بان السحر وغيره كان قبل نزول الآية ينافيه ثبوت انها
نزلت بمكة ولا مانع من ضمان الله عصمته بوحي غير متلو بمكة وضمانه بالمتلو بالمدينة انتهى
ولا يخفى ما في كلامه كما يعلم مما مر وقصة السم غير واردة على العصمة من القتل لان المفهوم منه
ان يقتله عدو له مجاهرة بالبطش فيه بسلاح ونحوه خصوصا ولم يظهر له اثر حال الاكل ولا بعده
بما يطلع عليه اعداؤه وانما كان بالسراية بعد زمان طويل ومثله لا يعد قتلا وقال تعالى
واصبر لحكم ربك فانك باعيننا امره بالصبر على اعباء الرسالة ومشقة تبليغ ما امر
بتبليغه ثم سلاه بان لا يخاف من احد فانه محفوظ بعين العناية من الله فاستعار العين للحفظ
وجمعها جمع قلة لانه محفوظ من جهاته الست ومن ظاهره وباطنه وهذا اظهر مما في الكشاف ومما
قيل انه للمبالغة والتاكيد قال الراغب يقال فلان بعيني اي احفظه واراعيه كقولهم هو
مني بمرأى ومسمع وقوله واصنع الفلك باعيننا اي بحيث نرى ونحفظ وفيه كلام مفصل
ليس هذا محله وقال اليس الله بكاف عبده فيه اثبات لكفاية الله له على وجه ابلغ لانه استفهام
انكاري وهو نفي معنى ونفي النفي اثبات يعني ان عبادي يحفظون عبيدهم فكيف لا احفظ عبدي
ولما كان العبد غير معين هنا اشار بقوله نقلا عن السلف انه قيل معناه بكاف محمدا
المراد بعبده لان الاضافة عهدية اعداءه المشركين ولهذا يكون دالا على المقصود ومطابقا
لما قدمه وما قيل من انها نزلت لما قالوا له صلى الله عليه وسلم انا نخاف ان تخبلك
آلهتنا لكونك تعيبها ليس مطابقا لهذا المقام وقوله اعداءه المشركين يأباه وقيل في
تفسير هذه الآية غير هذا كالقول بان المراد انه تعالى تكفل بجميع ارزاق عباده ويؤيده
انه قرئ بكاف عباده بصيغة الجمع ومما يدل على عصمة الله له قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين
المهزؤ والسخرية والتهكم على سبيل التحقير والمراد بهم نفر من قريش كانوا يؤذونه صلى
الله عليه وسلم ويهزؤن به فاهلكهم لما اشتدت اذيتهم ودعا عليهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم كما بينه المفسرون والمحدثون في تفسير هذه الآية وهذا نوع من حفظ الله له بتعجيل اهلاك
عدوه وقد تقدم الكلام على هذه الآية وبيان هؤلاء وذكر هلاكهم والمقصود من ذكر هذه الآيات
الاستدلال على ما عقد له الفصل بما يدل عليه وذكر بعض افراده المثبت لمراده وقال واذ يمكر
بك الذين كفروا الآية وقد تقدمت هذه الآية وبيان معناها وانما اتى بها المصنف هنا
استشهادا على عصمة الله له كما هو دأبه والمكر الحيلة والخداع ولا يوصف به الا مجازا على طريق
المشاكلة وهي اشارة الى ما كان بدار الندوة وهو مشهور غير محتاج للبيان واعلم ان الشيخ الاكبر
قال في بعض رسائله ان الله كما عصم نبينا في حياته عصم رؤياه في المنام بعد وفاته من دعاية
الشيطان التخيل به وتمثله في صورته فطيفه كذاته معصوم من ان تؤذيه الاحلام وعبارته
كل من يرى في المنام فتمثله في خيال الرائي الملك او النفس او الشيطان الا الانبياء عليهم الصلاة
والسلام فان الشيطان لا يتمثل بهم عصمة لهم كما كانوا في حياتهم معصومين في البواطن من
الغائبة فاستمرت عليهم حياة وموتا في المحل الذي كانوا معصومين فيه والرؤية والنوم من عالم
الباطن انتهى ثم شرع في ذكر الحديث الذي رواه الترمذي عن عائشة فقال اخبرنا القاضي
الشهيد ابو علي الصدفي الاندلسي المعروف بابن سكرة ووصف بالشهيد لانه استشهد
في وقعة بالاندلس وقد تقدم الكلام عليه وترجمته والصدفي بفتحتين نسبة لصدف بفتحتين

قرية بقرب قيروان بقراءتي عليه لا بالاجازة والفقيه الحافظ ابو بكر محمد بن عبد الله
المعافري هو القاضي ابو بكر بن العربي ويقال ابن عربي ايضا معرفا ومنكرا وبعضهم خصه
بالتاليف ويقول ابن عربي بدون ال هو الشيخ محي الدين الصوفي نفعنا الله به وهذا المذكور هو
محمد بن عبد الله صاحب التصانيف الجليلة وابوه من كبار اصحاب ابن حزم الظاهري وابنه ممن
اخذ عن الغزالي وغيره ورحل الملاقاة الكبار والاخذ عنهم وتوفي بفاس في ربيع الآخر سنة
ثلاث واربعين وخمسمائة ونسبته لمعافر بمعين معجمة وفاء وميمه مفتوحة وهي في اسم الحي
الضم وانكره ابن السكيت حي من همدان وبلدة ولا ينصرف واليه تنسب الثياب المعافرية قال حدثنا
ابو الحسين الصيرفي المبارك بن عبد الجبار والحسين بالتصغير وما في بعض النسخ الحسن مكبرا
خطأ من الناسخ وقد تقدمت ترجمته قال حدثنا ابو يعلى البغدادي بفتح المثناة التحتية واللام
والف قال حدثنا ابو علي السنجي نسبة لسنج بسين مهملة مكسورة ونون وجيم وهي قرية بمرو
قال حدثنا ابو العباس المروزي وهو محمد بن احمد بن محبوب راوي الترمذي وقد تقدم قال
حدثنا ابو عيسى الحافظ ابن سعد الترمذي صاحب السنن امام الحديث المشهور شهرة تغني عن
ذكره قال حدثنا عبد بن حميد بلا اضافة العبد وقد تقدم قال حدثنا مسلم بن ابراهيم الازدي
الفراهيدي ابو عمرو الامام الحافظ الذي اخرج له الستة توفي سنة مائتين واثنين وعشرين
قال حدثنا الحارث بن عبيد ابو قدامة الايادي البصري له ترجمة في الميزان عن سعيد بن
الجريري بضم الجيم وفتح الراء كالمصغر نسبة لجرير الضبي كما في الكاشف للذهبي وترجمته في
الميزان عن عبد الله بن شقيق التابعي العقيلي من كبار التابعين توفي سنة مائة وثمان ومائة
عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس بصيغة المجهول اي يحرسه
الصحابة رضي الله تعالى عنهم في وقت الحاجة لذلك كالليل ووقت القيلولة اذا كان خارج بيته
حتى نزلت هذه الآية والله يعصمك من الناس ونزولها بالمدينة لان سورة المائدة من آخر
ما نزل وقد تقدم قول آخر بانها مكية لكن الصحيح خلافه وفي بعض الحواشي عن ابن عرفة انهم اختلفوا
في صحة الدعاء بالعصمة لغير النبي صلى الله عليه وسلم والآية تدل على صحته فان العصمة مقولة
بالتشكيك وقد كان صلى الله عليه وسلم معصوما قبل نزولها والمراد بالناس الكفار فهو عام
مخصوص ولا مانع من ابقائه على عمومه لان من المسلمين من يتصور اذيته له من غير قصد انتهى
قلت قال ابن حجر في شرح الارشاد اختلف في سؤال العصمة فقيل يجوز لقول مالك
والشافعي في الرسالة نسأله العصمة في الحركات والسكنات وفي الحديث اذا دخل احدكم
المسجد فليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم اعصمني من الشيطان وقيل يمتنع والحق
انه ان سأل التوقي عن جميع المعاصي والرذائل في جميع الاحوال امتنع لانه طلب مقام النبوة
فان قصد التحصن عن افعال السوء فلا باس به انتهى وهذا كله كلام غير مهذب لان العصمة
لها معنيان احدهما الحفظ من اذية الناس والثاني حفظه في نفسه عن ارتكاب المعاصي
وكل منهما يكون مقيدا ومطلقا فان قيد فهو جائز فيهما كاللهم اعصمني من الكذب او الزنا او
اللهم احفظني من اشرار الكفار واعصمني من كيد الشيطان والفجار ومطلق فيهما ولا مانع منه ايضا
اذ لا مانع ان يقول اللهم اعصمني من جميع الذنوب او من جميع الناس فانه امر مطلوب وقوله
انه طلب مقام النبوة كلام واه والذي اختصت به الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقوعه
لهم لا طلبه فقد خلط هؤلاء العصمتين ولم يقفوا على الفرق بين المقامين فاعرفه فاخرج رسو

الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة بالضم وتشديد الموحدة وهي كل مرتفع من البناء
او الخيمة وللخباء من وقت اذا علا وليس معناه ما هو مستدير على شكل كروي كما توهمه العامة فانه
عن قطار والمراد به هنا خباء كان فيه صلى الله عليه وسلم في بيت اسفاره وقيل انه بيت صغير
مستدير من الخيام وبيوت العرب ومن يحرسه من الصحابة ناس كثيرون عدهم التلمساني في شرحه
ولا يترتب عليه فائدة هنا فلذا تركناه **فقال لهم يا ايها الناس انصرفوا** من حولي ولا تكونوا حراسي
فقد عصمني الله وحفظني **ربي عز وجل** فلا حاجة لي الى ان تحرسني الناس **وروي** بصيغة المجهول
انه صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اي اقام به زمانا **اختار له اصحابه شجرة يقيل تحتها**
من قال يقيل قيلولة اذا نزل في وقت القايلة وهي الظهيرة وما قرب منها للاستراحة سواء نام
ام لا وان كثر فيها النوم **فاتاه اعرابي** هذه فاء فصيحة اي فاختاروا له في بعض اسفاره
شجرة لقيلولته فنزل تحتها وليس معه من يحرسه فاتاه الخ والاعرابي رجل من اهل البادية تقدم
بيانه **فاخترط سيفه** اي سله واخرجه من قرابه ليضربه به وضمير سيفه اما للاعرابي فمعناه
سل سيفا كان معه او للنبي صلى الله عليه وسلم بان كان سيفه معلقا بالشجرة فلما هجم عليه
الاعرابي اخذه وسله وهو صريح بما يأتي في لفظ رواية الصحيحين واصل معنى الاختراط ازالة
ما على القضيب من ورق او قشر فشبه ازالة غمده بذلك او هو من اخترطه اذا اخرجه من خريطته
بجعل الغمد كالخريطة **ثم قال الاعرابي** بعد اختراطه **له** صلى الله عليه وسلم **من يمنعك مني**
الاستفهام انكاري بمعنى النفي اي لا يمنعك مني احد لاني دخلت على حين غفلة وليس معك احد
وعطف بثم والظاهر انها اذ لا مهلة هنا فاما ان يكون تربص لينظر ما يصنع او كان اتاه من خلفه
واستعمل ثم بمعنى الفاء وهو كثير **فقال الله** اي يمنعني الله او الله منعني وحماني **فارعدت يد**
الاعرابي ووقع في بعض النسخ بالهمزة المضمومة مبني للمجهول اي اصابته رعدة بكسر الراء
وفتحها وهي اهتزاز اليد واضطرابها من غير قصد لشدة الخوف وقال التلمساني انه الصواب يعني
لا رعدت الثلاثي وهو خطأ منه فان الذي صححه البرهان انه رعدت ثلاثي مبني للمجهول وتبعه
الشمني وغيره وقالوا انه من الافعال التي لم يسمع فيها الا المجهول نحو جن وهو الموافق للرواية
واللغة **وسقط سيفه** من يده لشدة ارتعاده من خوفه **وضرب** ذلك الاعرابي **براسه الشجرة**
لما اعتراه من ذهاب عقله فلم يزل ينطحها **حتى** تكسر عظم راسه و**سال دماغه** لما كسر قحفه
الذي كان فيه الدماغ **فنزلت الاية** المذكورة والله يعصمك الخ وسيلان دماغه لانه كالدهن
فلما انكسرت راسه سال منها وليس فيه كما توهم حذف لتذهب النفس كل مذهب ممكن اي سال دما
او نحوه وهذا الحديث بهذا اللفظ قالوا لم يوجد في الكتب المعتبرة عند اهل الاثر ولم يذكروه في
اسباب النزول واليه اشارة مما بقوله **وقد رويت هذه القصة** يعني قصة الاعرابي **في**
الصحيح اي في الحديث الصحيح وفي صحيح البخاري **وان غورث بن الحارث** وفي نسخة
غويرث بالتصغير وغورث بغين معجمة مضمومة وواو ساكنة وراء مهملة مفتوحة في المكبر
ومثلثة **صاحب هذه القصة وان النبي صلى الله عليه وسلم عفا عنه** وهذا يخالف ما
قبله في تلك الرواية من انه ضرب براسه الشجرة الى اخره اذ صريحه انه هلك بذلك السبب فينافي
العفو عنه **فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس** لما راه من حلمه وعفوه عنه مع
قدرته عليه وهذا الحديث رواه البخاري ومسلم عن جابر رضي الله عنه قال غزونا قبل نجد مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما قفلنا ادركتنا القائلة في واد كثير العضاه فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم

فنزل

وتفرق الناس عنه ليستظلون بالشجر ورسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة علق بها
سيفه ونمنا نومة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا وعنده اعرابي فقال ان هذا
اخترط سيفي وانا نائم فاستيقظت وهو في يده مصلتا فقال من يمنعك مني فقلت الله عز وجل
ثلاثا ولم يعاقبه وروي انه شام السيف اي اغمده وفي سيرة ابن سيد الناس ان غورث رجل من
محارب قال لقومه الا اقتل لكم محمدا افتك به فاقبل اليه وسيفه في حجره فقال يا محمد اعطني
سيفك انظر اليه فاعطاه له فاستله وجعل يهزه ويهم به فمنعه الله فقال يا محمد اما تخافني
وفي يدي السيف قال لا يمنعني الله منك فرد السيف فانزل الله يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة
الله عليكم اذ هم قوم الاية وروي ان السيف سقط من يده فاخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال له من يمنعك مني فقال له كن خير اخذ واسلم فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس
وقد حكي مثل هذه الحكاية وفي كثير من النسخ حكيت مثل هذه الحكاية بتاء التانيث لان
المضاف يكتسب التانيث من المضاف اليه كقوله • كما شرقت صدر القناة من الدم •
وهو كثير وجعله صفة مؤنث مقدر اي حكاية مثل هذه الخ كما قيل تكلف لا حاجة اليه وفي
بعض النسخ وقد حكيت هذه الحكاية وهي ظاهرة بحسب اللفظ والاولى اظهر بحسب المعنى
وانها جرت له صلى الله عليه وسلم اي وقعت **يوم بدر** اي في وقعة بدر ويقال جرى لنا كذا
اي وقع وهو مجاز من الجري فاستعير لما ذكر ثم صار حقيقة عرفية فيه وقوله **وقد انفرد من**
اصحابه جملة حالية من ضمير له اي منفردا عنهم لقضاء حاجته كناية عن البراز مشهورة **فتبعه**
رجل من المنافقين وذكر مثله بالنصب مفعول ذكر ومماثلته له في سل سيفه وقوله من يمنعك
ونحوه مما ذكر قبله وهذا الرجل لا يعرف كما قاله البرهان والحديث لم يخرج ايضا **وقد روي** رواه
ابن اسحاق في سيرته عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما **انه وقع له** صلى الله عليه وسلم **مثلها** اي
مثل هذه الحكاية والواقعة **في غزوة غطفان** بغين معجمة وطاء مهملة مفتوحتين وهي قبيلة مشهورة
غزاها النبي صلى الله عليه وسلم في سرية غوار بثمانية وخمسين فارسا في ربيع الاول بعد خمسة اشهر
من الهجرة **بذي امر** بهمزة وميم مفتوحتين وراء مهملة وهو اسم مكان وتسمى غزوة غطفان وغزوة
انمار وغزوة ذي امر وانما اسم ذلك المكان ايضا **مع رجل** يتعلق بوقع **اسمه دعثور** بضم الدال
وسكون العين المهملتين ومثلثة وواو وراء مهملة وهو علم بوزنة بهلول منقول من اسم الحوض الصغير
ابن الحارث وهو رجل من بني محارب وتقدم ان غورث بن الحارث وقال ابن سيد الناس في
غزوة ذات الرقاع ان الخبرين والرجلين واحد وكان جمع بني ثعلبة ومحارب للاغارة على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما سمع بذلك خرج لحربه واستخلف على المدينة عثمان بن عفان فهربوا في
رؤوس الجبال وكان قبل ذلك يريد انه يهجم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في غرته ويقتله فكان
منه مثل هذه القصة **وروي ان الرجل اسلم فلما رجع الى قومه الذين اغروه به** اي
حرضوه على الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم فعصمه الله منه **وكان سيدهم واشجعهم**
جملة معترضة بين لما وجوابها بيانا لسبب اغرائهم له واقدامه على ذلك **قالوا له** جواب لما **اين**
ما كنت تقول انكار عليه لما هرب وقد كان يقول اني اقتل محمدا **وقد امكنك** فاعله ضمير
مستتر يرجع لما او امكنه الامر اذا لم يمنعه مانع فصار ممكنا له ويجوز ان يكون للنبي صلى الله عليه
وسلم المعلوم من السياق اي تمكنت منه لمصادفته له وحده ومعه سيف مسلول في يده **فقال اني**
نظرت الى رجل ابيض طويل حال بيني وبينه **ودفع في صدري فوقعت لظهري**

اي وقعت على ظهري لشدة دفعه وقوته وسقط السيف الذي كان بيدي فعرفت انه اي الرجل
الذي دفعني ملك لانه لم يكن ثمة احد حين هجمت عليه ولان قوة دفعه ومهابته ليست مما عهدته
واسلمت لما شاهدته مما يدل على نبوته قال ابن اسحاق اصابه صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره مطر
فنزع ثوبه ونشره على شجرة ليجف واضطجع تحته فقالوا لدعثور انفرد محمد فعليك به فاقبل بسيفه
حتى قام على راسه وقال من يمنعك اليوم مني فقال الله فتمثل له جبريل عليه الصلاة والسلام ودفع
في صدره فوقع سيفه فاخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له من يمنعك مني فقال لا احد
وانا اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله ورجع لقومه ودعاهم للاسلام قيل وفيه اي في هذا
الرجل وقصته نزلت هذه الآية يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم الآية
وفي سبب نزولها اقوال أخر فقيل نزلت بعسفان لما شرعت صلاة الخوف وقيل في بني قريظة
وقيل في بني النضير كما سيأتي وفي رواية الخطابي وهو حمد او احمد بن محمد بن ابراهيم الامام
الجليل في العلوم الشرعية ينسب لجده الخطاب وقيل لزيد بن الخطاب اخي امير المؤمنين عمر رضي
الله عنه وتآليفه جليلة مشهورة ككتاب الآثار وشرح السنن وغيرهم ان غورث بن الحارث المحاربي
منسوب لمحارب القبيلة المشهورة وفي نسخة غويرث بالتصغير كما تقدم وقدمر ان ابن سيد الناس
قال في غزوة ذات الرقاع في دعثور بن الحارث الغطفاني الاشبه انه غورث وقال البرهان انه
ضبب عليه فهو عنده غلط وفي هامش نسخة من الشفا عوض دعثور غويرث وعليها علامة نسخة
وصحح ايضا انتهى وهو كلام مضطرب يحتاج للتحرير اراد ان يفتك بالنبي صلى الله عليه
وسلم يفتك مثلث التاء من الفتك وهو الهجوم من حيث لا يشعر به على امر عظيم فيه مخاطرة ويطلق
ويراد به القتل مطلقا وقيل الفتك القتل مجاهرة فلم يشعر به اي لم يعلمه ويحس به في حال
من الاحوال الا وهو قائم على راسه المراد بقيامه على راسه وقوفه خلفه متصلا به منتضيا
بضاد معجمة اي مجردا سيفه او سالا ليضربه به فلما رآه قال صلى الله عليه وسلم اللهم اكفنيه
بما شئت الضمير لغورث وبما شئت ما موصولة عايدها مقدر اي بالامر والسبب الذي شئته
واردته والمراد تفويض امر كفايته الى الله وتسليم امره كما ورد اللهم اكفنا الشر بما شئت وكيف
شئت وهو اقرب الى الاجابة من تعيين ما يدفعه عنه فعقب قوله من غير مهلة انكب لوجهه
اللام بمعنى على اي سقط على وجهه يقال كبه واكبه فانكب وانكب اذا وقع وثلاثيه متعد ومزيده
لازم على خلاف القياس واللام بمعنى على كما في قوله هم   فخر صريعا لليدين وللفم •
وقوله من زلخة يتعلق بانكب والزلخة بضم الزاي المعجمة وفتح اللام المشددة وخاء معجمة وتاء
كثيرة وروى بعضهم تخفيف لام زلخة وهي وجع ياخذ في الظهر فيمنع الانسان من الحركة من
الزلخ وهو الزلل ويقال لزحلوقة تلعب بها الصبيان زلخها بضم الزاي وتشديد اللام المكسورة
وخاء مكسورة معجمة وهاء ضمير للزلخة وقراءة بعضهم بالجيم وهو غلط كما قاله الخطابي وهو ماض
مجهول متعد لمفعولين من باب اعطى وفاعله الله والمراد اوجدها الله حين سل السيف وقوله
بين كتفيه لا ينافي تفسير الزلخة المذكور فان ما بين كتفيه من اعلى الظهر فهو تاسيس واشارة
لعلة سقوط سيفه فانه اذا امتد للكتفين ضعفت اليد عن حمله وندر سيفه من يده ومن
داخل قبضة كفه واصابعه وندر بنون ودال مهملة مفتوحتين وراء مهملة اي سقط يقال
ندر اذا خرج وسقط من جوف او من بين اشياء والزلخة وجع الظهر وقيل اي قال غير الخطابي
في قصته اي قصة غورث غير هذا المذكور من ارادته الفتك فانه روي انه جمع ناسا للاغارة

فلما خرج

فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الهم هربوا في رؤس الجبال كما مر وان الامر
والشان فضميره مقدر فيه اي في غورث نزلت آية يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة
الله عليكم اذ هم قوم الآية وقيل كان صلى الله عليه وسلم يخاف قريشا فلما نزلت هذه الآية
وهي يا ايها الذين امنوا الخ وقوله والله يعصمك من الناس استلقى اي نام صلى الله عليه وسلم
واضعا ظهره على الارض لامنه اعداءه واطمئنان قلبه ثم قال من شاء فليخذلني بخاء وذال المضمومة
معجمتين والخذلان ترك النصرة واللام للامر وظاهره غير مراد فانه انشاء بمعنى الخبر اي اغنى
عن المعين والحرس لان الله حماني وضمن لي اذ لا يضرني احد يصل الي ولذا استلقى واظهر هيئة الآمن
والمتبري من حوله وقوته اعتمادا على وعد الله وحكاه بقيل لانه يقتضي ان هذه الآية مكية
لان خوفه من قريش انما كان بمكة وسورة المائدة كلها مدنية على الصحيح وتكرر النزول بعيد كما تقدم
وذكر عبد بن حميد الحافظ المشهور وقد تقدم بيانه وهذا رواه ابن جرير في تفسيره مرسلا
قال كانت حمالة الحطب وهي ام جميل بنت حرب بن امية اخت ابي سفيان بن حرب زوجة ابي لهب
وسميت حمالة الحطب لانها كانت تضع العضاة بغين وضاد معجمتين واحدة الغضا وهو شجر له
شوك اذا اوقد كان شديد الاحتراق فلذا قالوا نار الغضا للنار القوية وقوله وهي جمر
يحتمل ان يكون تفسيرا للغضا لانه يطلق على ناره كما يطلق على محله هم

• فسقى الغضا والساكنيه وان هم • شبوه بين جوانحي وضلوعي •

وان يكون حالا من الغضا وجمر بمعنى متوقد اي تضعه حالة كونه جمرا على طريق رسول الله
صلى الله عليه وسلم وممره من بيته للحرم وغيره تقصد بذلك ان يمشي عليه فتؤذيه وتؤثر في
قدميه • وقد قيل في تسميتها حمالة الحطب وجوها اخر ذكروها في التفاسير منها انه على ظاهره
ومنها انه عبارة عن النميمة وحمل الاوزار فكان صلى الله عليه وسلم وفي نسخة فكانما بزيادة ما
يطؤها اي يضع قدمه على تلك الغضاة وهو حاف او بنعل يؤثر مثلها فيه فيجدها كثيبا
بالمثلثة ومثناة وموحدة وهو ما اجتمع من الرمل اهيل مبني للمجهول يقال هال الرمل اذا اساله
ولم يجمعه كالربوة والمشي عليه حينئذ اسهل والين اي يجده صلى الله عليه وسلم سهلا لا يؤذيه
كما كانت نار الخليل عليه الصلاة والسلام قال ابن نفيل

• تمشين هيل النقا لانت جوانبه • ينهاه حينا وينهاه الثرى حينا •

وذكر ابن اسحاق امام اهل السير وهو محمد بن اسحاق بن يسار الامام الثقة الصدوق وان طعن
فيه بعضهم وترجمته مفصلة في الميزان وغيره انها لما بلغها نزول تبت يدا ابي لهب
وذكرها مصدر مرفوع معطوف على نزول بما ذكرها الله به مع زوجها من الذم بيان لما
وهو ما في السورة اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد ومعه ابو بكر
رضي الله عنه وفي يدها فهر بكسر الفاء وسكون الهاء وراء مهملة وهو حجر يملأ الكف او هو الحجر
مطلقا وهو في قوله يهود خرجوا من فهرهم بيت مدراسهم كلمة معربة اصلها بهر بالباء وقوله
من حجارة بيان لفهر فلما وقفت عليهما اي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر
لم تر الا ابا بكر واخذ الله ببصرها عن نبيه صلى الله عليه وسلم اي قبض وحبس نظرها
اي عن ادراكه وهذا يقتضي ان عصمته صلى الله عليه وسلم كانت ثابتة قبل الهجرة كما تقدم فقالت
يا ابا بكر اين صاحبك فقد بلغني انه يهجوني اي يذمني على ان الهجو لا يختص بالشعر حقيقة
او مجازا او هو منها لتوهمها انه شاعر كما ادعاه غيرها تريد به ما نزل في حقها في سورة تبت

والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه خصته لانه محل النطق بذمّها فرجعت خاسئة
وهذا رواه البيهقي وغيره عن اسما بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنها كما رواه ابن اسحاق **و** روى
ابو نعيم في الدلايل والطبراني بسند جيد **عن الحكم ابن ابي العاص** والد مروان وهو ممن اسلم
عام الفتح وتوفي في خلافة عثمان وفي الصحابة من وافقه في اسمه واسم ابيه ولكن المشهور هو
هذا فلذا لم يميزه المص **تواعدنا على النبي صلى الله عليه وسلم** اي تواعدنا هو وبعض الكفرة على
قتله صلى الله عليه وسلم والفتك به في بعض الليالي وخرجنا في الميعاد فوقفنا ننتظره **حتى**
اذا رايناه اي لما قرب منا وابصرناه بحيث تمكننا منه **سمعنا صوتا** اي صيحة عظيمة
خلفنا اي من خلفنا **ما ظننا انه لم يبق بتهامة احد** ما يحتمل ان تكون زايدة اذ كان التقدير
انه لم يبق احد بتهامة الا وقد هلك بتلك الصيحة وان تكون نافية ان اريد ان جميع اهل
تهامة صاحوا علينا صيحة واحدة وقد لحقونا ليقتلونا فالمعنى اننا تيقنا وجودهم خلفنا والمعنيان
متقاربان والمآل واحد وهذا كلام لم يفصح بالمراد وتهامة بكسر التا معناها ارض منخفضة
وتقابلها نجد من التهم وهو الانخفاض وشدة الحر والريح او لتغير هواها يقال تهم الدهر اذا
تغير وهي ارض معينة وراء مكة من المغرب من ذات عرق الى البحر والمدينة لا تهامية ولا نجدية
فوقعنا مغشيا علينا من هول تلك الصعقة والغشا كالاغما ذهاب العقل مع سقوط القوى
فما افقنا من ذلك الغشي **حتى قضى صلاته** اي فرغ منها واتمها **ومشى الى اهله** اي رجع من
صلاته بالمسجد الحرام الى منزله ليلا ولم نظفر منه بشي اردناه **ثم تواعدنا** على ما قصدناه
وان نعود لذلك **ليلة اخرى فجينا حتى اذا رايناه** بقربنا وهو مار للمسجد ليصلي به كما
في المرة الاولى **جاءت الصفا والمروة** هما ربوتان مرتفعتان في محل سعي الحجاج معروفتان
والمراد بجيئتهما تحركهما من مكانهما حتى يكونان بينهم وبينه صلى الله عليه وسلم كما بينه بقوله
فحالت اي الصفا والمروة **بيننا وبينه** فمنعنا من الوصول اليه لعصمة الله له والصفا
كالمروة مؤنثة باعتبار البقعة والربوة وافرد ضميرهما وكان الظاهر فحالتا ولعله بحالت
كل واحدة منهما وفي هذا معجزة له صلى الله عليه وسلم ظاهرة **وعن عمر** بن الخطاب رضي الله عنه
تواعدت انا اكد ضميره ليعطف عليه **وابو جهم بن حذيفة** واسمه عامر او عبيد بن حذيفة
بن غانم بن عامر العدوي اسلم عام الفتح وصحبه صلى الله عليه وسلم وكان معظما في قريش
توفي في ايام معاوية وترجمته معروفة وهو صاحب الانبجانية **ليلة** منصوب على الظرفية
منون **قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم** منصوب على انه مفعول له او بنزع الخافض اي على
قتله او لقتله او بتقدير اي واضمرنا قتله ونحوه **فجينا منزله** ليلا خفية **فسمعنا اليه**
وفي نسخة له وفي نسخة فتسمعنا اي اطلنا السماع لا تكلفناه كما قيل وعداه بالحرف لتضمنه
معنى اصغينا لقراءته حتى نسمعها وهو يقرا في صلاة الليل **فافتتح** ابتدا قراءته **وقرا الحاقة**
ما الحاقة حتى انتهى **الى** قوله **فهل ترى لهم من باقية** يعني قوله كذبت ثمود وعاد بالقارعة
فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية واما عاد فاهلكوا بريح عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية
ايام حسوما فترى القوم فيها صرعى كانهم اعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية والمراد
بالحاقة ما حق وقوعه بهم من الداهية او الساعة التي وقعت فيها من حق بمعنى وجب وثبت
وقوله وما ادراك ما الحاقة تهويل وتعظيم لها والطاغية الداهية المتجاوزة الحد وهي الصيحة او الرجفة
وعاتية شديدة العتو والطغيان والحسوم ايام نحسة من صبيحة يوم الاربعا الى اربعا آخر

الشهر وقوله فهل ترى لهم من باقية استفهام بمعنى النفي اي ما ترى لهم بقية او بقاء على
انه مصدر بزنة فاعلة وهو قليل في كلامهم او نفسا باقية **فضرب ابو جهم على عضد عمر**
وقال لعمر انج اي قم لتنجو من وقوع الهلاك بك خوفا من ان يحل بهما ما حل بثمود وعاد لانهما كانا
مكذبين له كما كذب اولئك رسلهم **وفرا هاربين** اي قاما من محلهما مسرعين جادين في الهرب
لخوفهما مما ذكر او هو كقوله فتبسم ضاحكا فهاربين حال مؤكدة وعلى الاول هو تجريد نحوي **فكان**
اي ما ذكر من هذه القضية **من مقدمات اسلام عمر** لتاثيرها في قلبه فاسلم بعدها بمدة يسيرة
وهذا الحديث لم يوجد بهذا اللفظ الا انه في مسند احمد بما يقرب منه وهو ان عمر رضي الله عنه
قال خرجت ليلة لاتعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان اسلم فوجدته قد سبقني الى
المسجد فقمت خلفه فاستفتح الحاقة فجعلت اعجب من تاليف القرآن وقلت والله ما هو بشاعر
كما قالت قريش فقرا انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تومنون فقلت هو كاهن
فقرا ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين الى آخرها فوقع الاسلام في قلبي
كل موقع وليس فيه انه صحب ابا جهم وفي التعبير بمن التبعيضية اشارة الى ان له مقدمات
اخر الى ان اسلم لما سمع سورة طه في بيت اخته في قصته المشهورة **ومنه** اي مما يشهد لان
الله عصمه صلى الله عليه وسلم من اعدائه **العبرة** بكسر العين وسكون الموحدة وهو الامر
العجيب الذي يعتبر به ويتعظ من الاعتبار والعبرة هي الحالة التي يتوصل بها من معرفة
الشاهد الى الغائب من العبور ومنه العبارة المشهورة الجارية ثابتة مشهورة بين المحدثين
غير محتاجة الى النقل من كتاب معين **والكفاية التامة** اي كون الله عصمه وصانه صيانة
تامة ليست ككفاية غيره كما قال يا ايها النبي حسبك الله **عمن اخافته قريش** تفعل من
الخوف وهو توقع المكروه يقال خوفه واخافه اذا فعل او قال ما يدل على انه يهم بايقاع المكروه
به وفسره بقوله **واجتمعت على قتله** اي اتفقوا على ذلك الا قليل منهم لقلتهم لم يعدوا **وبيتوه**
اي قصدوا قتله وايقاعه ليلا في خفية قال الراغب التبييت قصد العدو ليلا ويقال
لكل فعل دبر بالليل بيت قال تعالى اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وعلى هذا حديث لا صيام لمن
لم يبيت الصيام من الليل وبات موضوعة لما يفعل بالليل كظل لما يفعل بالنهار انتهى ويقال
هذا امر بيت بليل اي دبر فعله ليلا ليوقع غيلة على غيره **خرج عليهم صلى الله عليه وسلم**
من بيته وهم لا يشعرون كما رواه ابن اسحاق والبيهقي **فقام على روسهم** اي وقف عندهم
وهم نيام **وقد ضرب الله على ابصارهم** اي لم يحسوا به ويروه لاستغراقهم بالنوم وحجب
عيونهم عنه وقد كانوا احاطوا ببيته ليقتلوه عليه الصلاة والسلام **وذر** بذال معجمة وراء
مهملة مشددة اي نثر **التراب على روسهم** اهانة لهم **وخلص منهم** اي نجا مما دبروه وهموا
به وذلك كما قال ابن عباس رضي الله عنهما ان قريشا حين اسلم الانصار رضي الله عنهم خافوا ان
يتبعا فامره عليه الصلاة والسلام عليهم فاجتمع كبارهم في دار الندوة واتفقوا على قتله وبيتوه
فخرج عليهم وفعل ما ذكر وذهب الى الغار مهاجرا الى الله كما فصل في السير وذكروا ان الذين
اجتمعوا وبيتوا باسمائهم وانهم نحو مائة وانه صلى الله عليه وسلم خرج من ظهر البيت وطاطات
له جارية اسمها مارية خادمته حتى تسور الجدار الذي من ظهر البيت **وحمايته** اي حماية الله له
صلى الله عليه وسلم منهم وحفظه بعصمته من اعاديه ومنعهم **عن رويتهم** اياه وابا بكر وهما
في الغار اي غار ثور وثور اسم جبل محيط بمكة والغار كالمغارة نقرة في الجبل كالبيت وسمي

بثور بن عبد مناه لنزوله ويقال له ثور المحل وهو اسم جبل آخر خلف احد **بما هيا الله** اي بما
ويسره **له** والجار والمجرور متعلق بحمايته والبا للسببية العادية **من الايات** بيان لما اي المعجزات
والعلامات الدالة على نبوته وصدقه وعصمته **ومن العنكبوت الذي نسج** عليه نسج سنين
في طرفة عين والعنكبوت دويبة صغيرة معروفة تذكر وتونث ونسجها خيوط دقيقة تمدها في
في الهوا لتصيد الذباب وانما يكون ذلك في مكان خال لا يمس به شي **حتى قال امية بن خلف**
احد صناديد قريش وقد تقدم انه مات كافرا ببدر وهو اسم موضع معروف **حين قالوا** اي كفرة
قريش لما قصوا اثره صلى الله عليه وسلم وانتهوا الى فم ذلك الغار **ندخل الغار** لنفتشه لاحتمال
انه مختف به **ما اربكم** بفتح الهمزة والرا المهملة والموحدة ويجوز كسر الهمزة وتسكين الرا وهو
الحاجة المطلوبة وما استفهامية اونافية اي ليس لكم مطلوب وهو محمد صلى الله عليه وسلم ولا
حاجة **فيه** اي في الغار **وعليه** اي على فم الغار ومدخله وروي ما اربكم من الريبة اي ما اوقعكم
في الشك فيما لا شك فيه **من نسج العنكبوت ما ارى** بضم الهمزة وفتحها اي اظن واعتقد **انه**
تديم **قبل ان يولد محمد** اي قبل وجوده وولادته لان مثله لا يكون الا في مدة طويلة وفيه معجزة له
صلى الله عليه وسلم كما قيل

الفني في لظي فان احرقتني	فتيقن ان لست بالياقوت
جمع النسج كل من حاك لكن	ليس داود فيه كالعنكبوت

وقال الابوصيري رحمه الله تعالى

وقاية الله اغنت عن مضاعفة	من الدروع وعن عال من الاطم

ووقفت حمامتان اي ذكر وانثى على عش فيه بيض لهما ومثله لا يكون الا في محل خال من الناس
ووقفت بالقاف وروي بالعين المهملة من وقوع الطاير وهو نزوله بمحل **على فم الغار** اي مدخله
فقالت قريش لو كان فيه اي في الغار **احد لما كان هناك الحمام** لما عرفته آنفا وفي نسخة
هنالك باللام وهو اسم اشارة للمكان وقصة الحمام كما رواه البزار مسندا وغيره ان الله امر العنكبوت
فنسجت على فم الغار وارسل حمامتين وحشيتين فوقفتا على وجهه فصد به المشركين عنه وحمام
مكة من فراخهما وفي عليه وقالوا لو دخله تكسر البيض وزال النسج وروي ايضا انه نبت في فمه
شجرة صغيرة تسمى شجر الرا وهي شجرة بمقدار القامة لها زهر وشي كالقطن يحشي به الوسايد
امرها الله بان تنبت لتسترهما لما اقبل فتيان قريش باسلحتهم حتى اتوا الغار فلما راوا ما به من
المذكور رجعوا وقال ابو بكر لو نظر احدهم الى قدمه رآنا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقد قص القافة اثرهما فانتهى للغار فلما رآهم ابو بكر اشتد حزنه
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان قتلت انا فانما انا رجل واحد وان قتلت انت هلكت
الامة فقال له لا تحزن ان الله معنا فانظر قوله لا تحزن دون لا تخف فان فيه اشارة الى انه لم يخف
على نفسه وانما حزن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته لانه احب اليه من نفسه وكل شي
ولسع ابو بكر في هذه الليلة غير مرة فخرق ثوبه وجعله في الشقوق وسد بعضها بقدمه اتقا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم واقام فيه ثلاثة ايام ثم خرج منه فلقيه سراقة ولذلك ذكر المصنف
قصته عقب ذلك بقوله **وقصته** صلى الله عليه وسلم اي مما يدل على عصمة الله له وحمايته سيرته
الواقعة له **مع سراقة بن مالك بن جعشم** بضم الجيم والشين وروي فتح شينه ايضا وفي بعض
النسخ بجعشم بتقديم الشين كما في المغني وفيه نظر وقصته في الصحيحين وهي مشهورة فانهم

حملوا

حملوا لكل من دل عليه جعلا عظيما وهو ان لكل من اتى به اوقتله دية فلما خرج من الغار
رآه سراقة وكان ينزل بقديد بين مكة والمدينة وهو من جملة من توجه اليه لطلبه فركب فرسه
ليدركه فلما دنا منه صلى الله عليه وسلم ساخت قوايم فرسه الى ابطها في الارض لدعايه عليه بقوله
اللهم اكفنا سراقة ثم ان الله هداه للاسلام فاسلم في مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من حنين فهو
صحابي مدلجي حجازي كناني وهو الذي اخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بلبس سواري كسرى
لما راى ذراعيه فيتقمصهما كما في حديثه المشهور المتقدم وقوله **حين الهجرة** اي في وقت
هجرته من مكة الى المدينة وذكر ابن سعد ان سراقة عام ضمهم يوم الثلاثا بقديد والهجرة ترك الوطن
من الهجر وهو بكسر الها وقد تضم **وقد جعلت قريش** جملة حالية وجعلت من الجعل وهو ما يعطي
في مقابلة عمل ما **فيه** اي في رسول الله صلى الله عليه وسلم والاخبار به **وفي ابي بكر** لانه كان
رضي الله عنه معه **الجعايل** جمع جعيلة وهي كالجعالة معنى والجعالة مثلثة الجيم ويقال جعال
ككتاب وجعل بزنة قفل ومعناه تقدم وتلك الجعالة كما قاله السهيلي كانت مائة ناقة اي حمل كما
قاله الماوردي في الاعلام **وانذر به** بالبنا للمجهول اي اعلم سراقة بالنبي صلى الله عليه وسلم
يقال انذرته بكذا بنون ومعجمة اي اعلمته ويكون الانذار بمعنى التخويف ايضا وكيفية الاعلام
مشهورة في السير ايضا وحاصلها ان رجلا اتى سراقة وقال له اني رايت اسودة بالساحل اظنهم
محمدا واصحابه فقال بعد ما عرف انهم هم ليسوا هولاء ثم اخرج بعدهم فرسه وذهب خلفهم كما
ذكره المصنف **فركب فرسه واتبعه حتى اذا قرب منه دعا عليه النبي صلى الله عليه
وسلم فساخت قوايم فرسه** اي غاصت في الارض ودخلت فيها حتى كادت تبتلعها وتخسف
من تحتها يقال ساخ يسوخ ويسيخ بسين مهملة وخاء معجمة في آخره بمعنى غاص ودخل وبمعنى
الخسف فيقال ساخ الفرس وساخت الارض وهما بمعنى واحد يختلف باختلاف المسند اليه وهذا
مما اتفقت عليه كلمة اهل اللغة وفي القاموس ساخت قوايمه ثاخت والشي رسب والارض بهم
سيوخا انتهى وثاخت في تفسيره بثاء مثلثة بمعنى غاصت كما ذكره في فصله وقد تحرف على
الشارح الجديد فتوهم انه ناخت بنون بمعنى بركت فقال لا ينبغي هذا والذي ينبغي ان نفسره
بغاصت وهو غلط فاحش منه **فخر عنها** اي سقط من فوق ورمى نفسه عنها خوفا من ان تخسف
به الارض فيهلك لدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه لما لحقه وضمير عنها للفرس لانها تذكر
وتونث ويقع على الذكر والانثى وقد قيل انها كانت انثى تسمى العود وقوايم الفرس رجلاها
ويداها وقد نقل بعض اهل السير ان الصديق رضي الله عنه له قصيدة قص فيها هذه القصة
منها

حتى اذا قلت قد انجدن عارضها	من مدلج فارس في منصب واري
يردي به شرف الاقطار معتزم	كالسيد ذي اللبدة المستاسد الضاري
فقال كروا فقال ان كرتنا	من دونها لك نصر الخالق الباري
ان تخسف الارض بالاحوي وفارسه	فانظر الى اربع في الارض غوار
فهيل لما راى ارساخ مهرته	قد سخن في الارض لم تحفر بحفار
فقال هل لكم ان تطلقوا فرسي	وتاخذوا موثقا في نصح اسراري

واستقسم بالازلام جمع زلم بفتحتين وبضم وفتح بزنة عمر وهي قداح اي سهام لا
ريش لها ولا نصل كانوا في الجاهلية يكتبون على بعضها افعل وعلى بعضها لا افعل ويضعونها
في متاعهم اذا سافروا فاذا عرض لهم مهم اخرجوا منها زلما يتفاءلون به فيفعلون او يتركون

وهو معنى الاستقسام اي طلب ما قسم وقدر له وقيل كان يكتب على بعضها امرني ربي وعلى بعضها
نهاني ربي وبعضها غفل اي خال من الكتابة فاذا اخرج غير الغفل عملوا به وان خرج الغفل اعادوا حتى
يخرج غيره ويسمون ذلك استقساما ولهم ازلام اخر اي سهام في الكعبة مكتوب عليها النوازل وهي
التي استقسم بها عبد المطلب على ذبح ولده وكذا كان عند كهانهم ولهم مثلها اقداح الميسر السبعة التي
كانوا يتقامرون بها وقيل الازلام حصى صغار يتفاءلون بها والصحيح الاول فخرج له اي لسراقة ما يكره اي
ما لم يرده لانه اي لم يرده صلى الله عليه وسلم وابا بكر وباقي من قريش الجعل فخرج لا تفعل فلم يتبعه ثم ركب
فرسه بعد ما سقط عنها وساخت قوائمها ودنا اي قرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سائر يعدو
حتى اذا سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت له لعدم مبالاته به واعتماده على ربه
وابو بكر يلتفت وراءه لخوفه على رسول الله صلى الله عليه وسلم او ليرى ما يصدر من سراقة وخوفه
لشدة حبه وان كان قد قال له في الغار لا تحزن ان الله معنا لانه قد يتوهم انه مخصوص بذلك الوقت فتدبر
فقال ابو بكر له صلى الله عليه وسلم اتينا بالبناء للمجهول اي اتانا العدو وادركنا من يطلبنا منهم فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن وتخف مما اتانا ان الله معنا اي مصاحبنا بتاييده ونصره
وحفظه وعصمته لنا من جميع الاعداء فلا تخف من لحقنا منهم ولذا لم يلتفت النبي صلى الله عليه وسلم
لتمكنه وشدة ثقته وحزن ابي بكر عنه لخوفه وشفقته على رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بمعصية
لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عنه لانه امر طبيعي ولا نسيانا لقوله له في الغار فان المحب ظنين وضنين
بمحبوبه لا سيما هذا الرسول العظيم وليس هنا ما يحتاج لجر ذيل البيان فانه تطويل بغير طائل فساخت
قوائم فرس سراقة مرة ثانية بعد المرة الاولى الى ركبتيها تثنية ركبة وهي ما بين الفخذ والساق
وخر عنها اي وقع وسقط عن فرسه لما ساخت وانكبت على وجهها وزجرها اي صاح عليها ثم نهضت
اي قامت وخلصت قوائمها من الارض ولقوائمها مثل الدخان اي غبار مرتفع في الجو كانه دخان كما
ورد التصريح به في السير قال ابن سيد الناس ولقوائمها عثان مثل الدخان والعثان بضم العين المهملة
وبمثلثة هو الغبار هنا ويكون بمعنى الدخان والدخان بضم الدال وتخفيف الخاء وقد تشدد ويقال دخ
ودخن والكل بمعنى وفي رواية ولقوائمها دخان وهو استعارة للغبار فناداهم اي نادى سراقة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر وابن فهيرة مرافقهما بالامان اي رفع صوته به قائلا لهم
الامان الامان كما يفعله الناس والمراد تامينهم منه وانهم لا يلحقهم منه ضرر وخوف باخباره الاعداء
او طلب منهم والمراد من رسول الله ان يعطوه امانا فلا يلحقه ضرر لخوفه منه ومن دعائه عليه وقد ورد
التصريح بالامانين في سيرة ابن اسحاق والى الثاني اشار بقوله فكتب له صلى الله عليه وسلم امانا
اي امر بكتابته له فالاسناد مجازي لقوله كتبه اي كتاب الامان وهو رقعة من ادم وفي رواية ابن
اسحاق نكتب لي كتابا في عظم او رقعة او خرقة ثم القاه الي فاخذته ثم جعلته في كنانتي ثم رجعت ابن فهيرة
وهو عامر بن فهيرة مولى ابي بكر رضي الله عنه واعتقه واسلم وكان يرعى غنما لابي بكر ويجيئهما كل ليلة
في الغار باللبن يتغذيان به ثم هاجر معهما وشهد بدرا واحدا وقتل ببئر معونة فلم يوجد جسده فيقال
ان الملائكة دفنته وقيل رفعته وقيل كتبه ابو بكر وجمع بينهما بان ابن فهيرة كتبه اولا فلم يرض
سراقة بكتابته وطلب كتابة ابي بكر لشهرته وشرفه فكتبه له وللنبي صلى الله عليه وسلم كتاب تزيد على
الاربعين مذكورة في المفصلات وافردها ابن ابي الحديد بتاليف مستقل واخبرهم اي اخبر سراقة النبي
صلى الله عليه وسلم وابا بكر وابن فهيرة بالاخبار اي باخبار قريش وما جرى منهم بعد خروجهم من مكة
وجعلهم الجعائل لمن ياتي بهم او يقتلهم ديتهم وامره النبي صلى الله عليه وسلم اي امر سراقة ان لا يترك

احدًا من قريش اي لا يدع احدا ويعلمه باخبارهم حتى يلحق بهم اي يسير خلفهم ويصل اليهم بان يقول
لم ارهم ونحوه ولو كذبا اذ هو يجوز عند الضرورة والحاجة وفي حديث انس فقال يا نبي الله مرني بما شئت
قال تقعد مكانك لا تتركن احدا يلحق بنا فكان اول النهار جاهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
آخر النهار مسلحة له فانصرف اي رجع سراقة عنهم حال كونه يقول للناس جملة حالية مضارعية
لا تترددوا في الفضيح اي قائلا للناس والمراد بالناس ان كان من لقيهم ممن ذهب لطلبهم فقوله
كفيتم ما هاهنا معناه ارجعوا كفيتم الطلب فاني لم اجدهم وما موصولة ويحتمل ان تكون نافية
اي ما هنا احد واذا كان المراد النبي ورفيقاه فالمعنى عصمتهم وسلمتهم فما هاهنا من الخوف والى كلا
الوجهين ذهب الشراح وفي الشرح الجديد خلط هنا غنى عن الرد وذكر ابن سعد انه لما رجع قال لقريش
قد عرفتم بصري بالطريق وبالاثر وقد استبرأت لكم فلم ار شيئا فرجعوا وقيل بل قال لهما اي النبي صلى
الله عليه وسلم وابي بكر رضي الله عنه ولم يذكر ابن فهيرة لانه انما خاف دعاءهما لاعتقاده فيهما ارى اني
دعوتما علي فلذا كادت الارض تبتلعني فادعوا لي بالسلامة فدعوا له فنجا اي ذهب آمنا مما
خافه ووقع في نفسه اي خطر بباله ووقر في قلبه واعتقد لما شاهده ظهور النبي صلى الله عليه
وسلم اي ظهوره على اعدائه وغلبتهم وظهور نبوته وعلو شانه وكان ذلك من مقدمات اسلامه قال
ابن اسحاق وقال ابو جهل فلما بلغه ما لقي سراقة فلامه في تركهم فانشد

لامر جوادي اذ تسيخ قوائمه	ابا حكم واللات لو كنت شاهدا
نبي وبرهان فمن ذا يكاتمه	عجبت ولم تشكك بان محمدا

وفي خبر آخر يتعلق بما نحن فيه الا انه قيل انه لا يعرف من رواه ان راعيا من رعاة الغنم في البرية
عرف خبرهما اي خبر النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر بوقوفه على مكانهما في الغار فخرج الراعي من محله يشتد
اي يسرع في مشيه قال الراغب اشتد اذا اسرع يجوز ان يكون من قولهم اشتدت الريح انتهى وانما اسرع
لاجل ان يعلم قريشا بخبرهما ومكانهما فلما ورد الى مكة اي جاءها من محله الذي يرعى فيه الغنم
واصل الورود المجيء للماء فاستعير للغريب القادم لحاجة ثم عم لكل جاء وشاع فيه حتى صار حقيقة
فيه ضرب بالبناء للمجهول اي ضرب الله على قلبه اي منع من الادراك وذهل عما جاء له لقوله تعالى
وضربنا على آذانهم وهو مستعار من ضرب الخيمة في الارض لضرب اوتادها واصله ايقاع شيء على شيء
كما قاله الراغب فلبس كناية عن الذهول والغفلة كما قيل فما يدري ويعرف ما يصنع ويقول
وانسي مجهول ايضا ما خرج له اي ما جاء له من مكانه الذي خرج منه حتى رجع الى موضعه الذي
جاء منه وهذه معجزة ظاهرة وعصمة قوية وفي دلائل ابي نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله
عليه وسلم جاءه فيما ذكر ابن اسحاق في سيرته وغيره ابو جهل عمرو بن هشام فرعون هذه الامة لعنه
الله وهو فاعل جاء وقوله بصخرة يتعلق به اي حجر كبير وهو اي رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد
ساجد وقريش ينظرون له ما يصنع وكان ذهب ليطرحها اي ليرمي الصخرة عليه وفي نسخة هنا
وقد كان حلف ان رآه ليدمغنه اي ليضربه ضربة تكسر راسه وتبلغ دماغه وتسمى هذه الدامغة
احد الشجاج التي ذكرها الفقهاء في الجنايات فلزقت الصخرة بيده ولم تقع عليه صلى الله عليه وسلم
ولزق بلام وزاي معجمة لغة في لصق بالصاد بمعنى التصق ويبست يداه الى عنقه اي تشنجت
بحيث لا يمكنه تحريكها واقبل اي انصرف من مقصده نحو قريش حال كونه يرجع اي راجعا القهقرى
ومعناه الى خلفه موليا عن وجهه وفي العين القهقرى الرجوع على الدبر وهو قريب منه وهو مفعول
مطلق مؤكد للرجوع ثم سأله اي سأل ابو جهل لعنه الله رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو له فعل

اي دعا له صلى الله عليه وسلم لكرمه وحلمه فانطلقت يداه اي عاد تا لما كانت عليه ولم يلتصقا ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم وكان ابو جهل تواعد مع قريش بذلك اي بطرح الصخرة عليه صلى الله عليه وسلم اذا رآه يصلي وحلف لئن رآه ساجدا ليدمغنه اي ليضربنه بصخرة يكسر راسه ويخرج دماغه وهي احد الشجاج يقال دمغه اذا اصاب دماغه فقتله وهذا مقدم في بعض النسخ كما مر ويدمغنه بفتح الغين وجوز بعضهم ضمها والظاهر الاول فسالوه اي سال قريش ابا جهل عن شانه اي امره وما منعه عما قصده فذكر لهم انه اي الشان او ابو جهل عرض لي اي عرض له كما نسخة فيه التفات وقيل غلب معنى التكلم لان ذكر بمعنى قال دونه ظرف اي حال بيني وبينه فحل اي جمل عظيم هائج وهو مخصوص بالبعير الذكر ما رايت مثله في عظمته وشدته قط اي في جميع الزمان الماضي وهي ظرف لتوكيد نفي الماضي بفتح القاف وتشديد الطاء المثلثة وكسرها وسكونها مخففة هم بي ان ياكلني بدل اشتمال من ضمير المتكلم اي هم باكلي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لما سمع مقالته لهم ذاك جبريل تمثل له بصورة فحل لو دنا اي قرب ابو جهل من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصخرة التي اراد طرحها لاخذه واكله واهلكه اخذ عزيز مقتدر وتفصيله كما في دلائل البيهقي والسير ان ابا جهل قال يا معشر قريش ان هذا الرجل قد ابى الا ما ترون من عيب ديننا وشتم آبائنا وآلهتنا وتسفيه احلامنا واني اعاهد الله لاجلسن غدا بحجر ما اطيق حمله فاذا سجد فضخت به راسه فاسلموني وليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم فقالوا والله لا نسلمك لاحد فامض لما تريد فلما اصبح جلس ينتظره صلى الله عليه وسلم وجلسوا في انديتهم ينتظرون ما هو فاعل فلما جاء صلى الله عليه وسلم وصلى فعل ما ذكره المصنف وله وقائع مثل هذه حماه الله منها وعصمه وذكر السمرقندي امام الحنفية المشهور وقد تقدمت ترجمته ان رجلا من بني المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم جد ابي جهل وهذا الرجل قال البرهان لا اعرفه وقال غيره انه الوليد بن المغيرة وقيل انه ابو جهل اتى النبي صلى الله عليه وسلم ليقتله فطمس الله بصره اي غطاه وغشاه حتى لم ير لانه اعماه واذهبه بالكلية كما يدل عليه قوله فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم فرجع الى اصحابه فلم يرهم حتى نادوه فعرف مكانهم واتاهم ثم رآهم بعد ذلك بشهادة حتى ويحتمل انه عمي وذهب بصره وذكر السمرقندي ان في هاتين القصتين اي قصة ابي جهل وقصة هذا الرجل نزلت انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الآيتين يعني فهي الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون وقال البغوي في تفسير هذه الآية نزلت في ابي جهل ورفيقه المخزومي حين حلفه ان رآه صلى الله عليه وسلم ليرضخن راسه وذكرهما ذكره المصنف غير انه حال بينه وبينه فحل وقال المخزومي انا اقتله بهذا الحجر فاتاه وهو يصلي فاعماه الله الى آخر ما ذكره المصنف وفي تفسير القرطبي انها نزلت في ابي جهل وصاحبيه المخزوميين ثم ذكر قصة ابي جهل وان صاحبه الثاني هو الوليد بن المغيرة وانه الذي اعمى الله بصره ولم ير اصحابه حين نادوه فقال الثالث والله لاشدخن راسه وانه رجع وقال لعله ما خر مغشيا عليه وسئل عن امره فقال حال بيني وبينه فحل لو دنوت منه اكلني وانه لم ير مثله فنزلت هذه الآية فقيل انه معارض لما ذكره المصنف فانه يقتضي ان الذي حال بينه وبينه الفحل الرجل الثاني لا ابا جهل واما كونه من بني المغيرة او مخزومي فلا منافاة فيه لان كلا نسبه الى احد اجداده كما مر واجيب بان قصة ابي جهل تكررت نقلها مرة وحده ورأى الفحل ومرة مع غيره او اقتصر في هذه الرواية على بعض القصة وفيه نظر والآية على هذا من الاستعارة التمثيلية فشبه يبس يديه وعدم قدرته على تحريكهما والرمي بمن غلت يده لعنقه وشبه حالهم

وما حال

وما حال بينهم وبينه بمن بينه وبين مقصده سد مانع عن الوصول وما قيل من ان الآية تقرير لتصميم اهل مكة على كفرهم وابطال الله كيدهم فشبهت حالهم بهذه الحال لا منافاة بينه وبين ما قبله لصدق هذا على ما قبله ومن هذا علم ما في كلام البيضاوي من سؤال يجاب عنه كما بيناه في حواشيه ومن ذلك اي حفظ الله له وعصمته ما ذكره ابن اسحاق امام اهل السير في سيرته وغيره في تفسيره في قصته صلى الله عليه وسلم اذ خرج الى بني قريظة بالظاء المعجمة وصيغة التصغير كجهينة قبيلة من يهود خيبر معروفة في اصحابه اي في جماعة منهم ابي بكر وغيره فجلس مستندا الى جدار بعض آطامهم بالمد والطاء المهملة جمع اطم بضمتين وهو الحصن هنا ويكون بمعنى البيت المربع والقصر فانبعث اي توجه وقام واصل معنى البعث الاثارة وقيل معناه هنا اسرع وانه نع عمرو بن جحاش بفتح الجيم والحاء المهملة المشددة وآخره شين معجمة وهو من بني قريظة قيل كافرا احدهم اي بني قريظة ليطرح من فوق الجدار عليه صلى الله عليه وسلم رحى يقتله بها لانه صلى الله عليه وسلم لما جلس تحت الحائط تخافتوا بينهم وقالوا لن تجدوه على مثل هذه الحالة ابدا فمن يعلو الجدار ويرسل عليه حجرا يقتله فقال سلام بن مشكم لا تفعلوا فوالله ليخبرن بما هممتم به ويكون هذا سببا لنقض العهد بيننا وبينه فاخبره جبريل عليه الصلاة والسلام بذلك فقام النبي صلى الله عليه وسلم وانصرف الى المدينة وكان هذا سببا لغزوهم ونقض عهدهم واعلمهم بقصتهم اي اخبر بني قريظة في بني عمهم واصحابه بعد انصرافه او قتله وقد اعترض على المصنف بان هذه القصة ليست مع بني قريظة كما في السير وسياتي ايضا في هذا الكتاب وانما هو مع بني النضير وهو سبب غزوة بني النضير واما سبب غزوة بني قريظة فهو وقعة الخندق وتظاهرهم مع قريش ونقضهم العهد وهو الصواب قال ابن سيد الناس خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني النضير ليستعين بهم في دية القتيلين اللذين قتلهما عمرو بن امية الضمري لحلف بينهم وبين بني عامر فلما اتاهم قالوا نعينك يا ابا القاسم على ما جئت ثم خلا بعضهم الى بعض وهموا به كما مر وقال ابن الملقن انه روي ان ابا النضير لما تامروا القوا عليه حجرا فاخذه جبريل ولم يصل اليه صلى الله عليه وسلم ويأتي بيانه وقد قيل ان قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم في هذه القصة نزلت وجعل الهم خاصا بالمؤمنين والله بسط اليد اليهم مع انه بالنبي صلى الله عليه وسلم وحده لان ما يصيبه يصيبهم وموته موت لهم ولذا قيل انها نزلت في الكفرة لما كانوا غالبين على المؤمنين يوصلون اليهم الضرر والاذية وقيل نزلت في الاعرابي الذي اخترط سيفه اذ وجده نائما وتوله وقد قيل يحتمل ان يكون اشارة الى ان هذه القصة في بني قريظة وان خالف الصحيح المنقول ووقع في بعض التفاسير فتامله فان غفلته عما ذكرناه مع قوله عقبه وحكى السمرقندي انه صلى الله عليه وسلم كما رواه ابن سيد الناس وغيره من اصحاب السير وقد تقدم انه الصحيح وان في كلام المصنف رحمه الله اشارة اليه خرج من المدينة الى بني النضير بنون مفتوحة وضاد معجمة مكسورة وهم قوم من يهود خيبر يستعين في عقل الكلابيين مثنى كلابي رجل منسوب لبني كلاب وهي قبيلة من قريش والعقل مصدر عقل البعير يعقله اذا ربطه بالعقال المانع له من الحركة واصل معنى العقل المنع ومنه العقل المعروف لمنعه عما لا يليق كما اشار اليه القائل

قد عقلنا والعقل اي وثاق ● وصبرنا والصبر مر المذاق ●

وسميت به دية المقتول لانها كانت عند العرب ابلا يسوقها القاتل ونحوها فيعقلها بفناء اهل القتيل ليأخذوها واستعانته صلى الله عليه وسلم المراد بها طلبه ان يعينوه في الدية لما بينهم

الذين قتلهما عمرو بن امية وفي نسخة الكلابي بالافراد وقتل منفردا ايضا وعمرو بن امية هو الضمري بضاد معجمة مضمومة وميم ساكنة وراء مهملة نسبة لبني ضمرة وهم قومه وهو عمرو بن امية بن خويلد بن عبد الله بن اياس الصحابي الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثه في اموره وهو الذي ذهب للنجاشي بكتابه فاجابه واسلم وزوجه ام حبيبة اسلم بعد احد وشهد بير معونة ومات بالمدينة في خلافة معاوية رضي الله عنه وهو الذي قتل الكلابي فهو مرفوع فاعل قتل والتثنية هي الموافقة لما في السير من انه صلى الله عليه وسلم بعث المنذر بن عمرو الساعدي احد نقباء ليلة العقبة في ثلاثين راكبا من المهاجرين والانصار الى بني عامر بن صعصعة فلقوا عامر بن الطفيل ببير معونة فاقتتلوا فقتل المنذر واصحابه ونجا عمرو الضمري وحده او وصاحب له على اختلاف في الرواية ورجعا فلقيا رجلين من بني سليم وكان بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم موادعة فانتسبا لهما والى بني عامر فقتلاهما وكان عمرو لا يعرف ذلك العهد ولو عرفه لم يفعله ولذا لزمته الدية لانه خطا فقدم قومهما على النبي صلى الله عليه وسلم يطلبون ديتهما فخرج لبني النضير هو وابو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم يستعينهم في العقل لانهم كانوا عاهدوه على ترك القتال والاعانة في الديات فلما دخل عليهم وطلب ذلك منهم اجابوه وقالوا له اجلس حتى ناتي لك بما سالت فجلس بجنب جدار من بيوتهم كما اشار الى ذلك بقوله فقال له اي لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل منهم اسمه حيي بضم الحاء المهملة ومثناتين تحتيتين الاولى مفتوحة مخففة والثانية مشددة ابن اخطب بزنة افعل بخاء معجمة وطاء مهملة وموحدة وجوز في حاء حيي الكسر وهو من يهود بني النضير والد صفية ام المومنين ومن روسائهم اجلس يا ابا القاسم حتى نطعمك ونعطيك ما سالتنا من الدية وهو عطف تفسير على نطعمك لان الطعم بالضم في الاصل الماكول فتجوز به عما ذكر كما يقال اقطعه الارض طعمة له اي عطية فجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر وعمر وزاد ابو نعيم الزبير وطلحة وسعد بن معاذ واسيد بن حضير وسعد بن عبادة وفي سيرة ابن اسحاق في نفر من اصحابه فيهم ابو بكر وعمر وعلي ولا منافاة بين الروايات وتوامر بفتح التاء الفوقية والواو ويقال بالهمز تفاعل من الامر اي نظر كل امرئ الاخر والمراد به هنا المشاورة يقال وامره وامره وقيل الواو لغة العامة حيي معهم اي مع بني النضير اي تشاوروا واتفقوا على قتله صلى الله عليه وسلم بالقاء الحجر عليه فاعلم جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بذلك الذي ارادوه قبل وقوعه فقام من تحت الجدار بسرعة كانه يريد حاجة اي اراهم صلى الله عليه وسلم انه يريد حاجة له وفي نسخة حاجته بالاضافة فيحتمل قضا الحاجة المعهود وللانسان فانه يكنى به كثيرا حتى دخل المدينة ثم سار اليهم وحاصرهم ست ليال وهم داخل حصنهم فقطع نخلهم وحرقها تنكيلا لهم كما قال حسان

وهان على سراة بني لوي • حريق بالبويرة مستطير

فقال صلى الله عليه وسلم اخرجوا ولكم ما حملت الابل فنزلوا على ذلك وحملوا اموالهم على ستمائة بعير ولحقوا بخيبر واخذ منهم صلى الله عليه وسلم الاموال ومن الحلقة خمسين درعا وخمسين بيضة وثلثمائة واربعين سيفا فكان ذلك مرصدا لنوايبه ولم يسهم منها لاحد غير ابي دجانة وسهل بن حنيف لفقرهما ثم قسمها بين المهاجرين ورفع مونتهم عن الانصار اذ كانوا قاسموهم الاموال والديار لما هاجروا الى المدينة ثم انه قيل ان ما ذكره المصنف يقتضي ان اليهود هموا بالقاء الحجر عليه ولم يلقوه وذكر ابن الملقن ان القوم عليه

صلى الله عليه وسلم فاخذ جبريل عليه الصلاة والسلام ومنعه من الوصول اليه والمنهو الاول وذكر اهل التفسير معنى الحديث عن ابي هريرة كما رواه مسلم والنسائي اي رووه بهذا المعنى وفي بعض النسخ وروى اهل التفسير الحديث عن ابي هريرة وهما احسن مما في بعض النسخ وذكر اهل التفسير ومعنى الحديث بالواو العاطفة فانه محتاج للتقدير اي وذكره اهل الحديث وعلى هذا فقوله عن ابي هريرة خبر عن معنى وهو مبتدا والجملة معترضة بين ذكر ومفعوله وهو ان ابا جهل وعد قريشا لئن راى محمدا جواب قسم مقدر لما مر من انه حلف لهم على ما وعدهم به وقوله يصلي جملة حالية ليطان رقبته اي يدوس على عنقه برجله حماه الله فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم بالمسجد الحرام اعلموه اي اعلمه قريش به فاقبل متوجها اليه ليدوسه اهانة منه لمن اعزه الله فلما قرب منه ولى ورجع عن مقصده حال كونه ناكصا على عقبيه اي متاخرا راجعا للخلف والعقب موخر القدم متقيا بيديه اي مادا يديه كمن يدفع امرا يتقيه وفي بعض النسخ ولى هاربا ناكصا على عقبيه فهي حال متداخلة او مترادفة ونكص على عقبيه يستعمل فيمن ولى عن خير او عن شر يخاف عاقبته كما هنا الا انه قيل انه نادر وذهب الجوهري وصاحب النهاية الى انه مختص بالاول وفي القاموس نكص عن الامر نكاء كاع عنه واحجم وعلى عقبيه رجع عما كان عليه من خير خاص بالرجوع عن الخير ووهم الجوهري من الوهم كون النكوص مخصوصا بما ذكر غير ثابت في اللغة وقوله فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه لا دليل فيه لانه وان كان رجوع الشيطان عن معاونة الكفار بعد ما ليس رجوعا عن خير يحتمل الاستعارة التهكمية وقد مر الكلام عليه ايضا في اعجاز القرآن فتامل فقيل اي سال قريش ابا جهل عن ذلك اي عن رجوعه كذلك وما سببه فقال مجيبا لهم لما دنوت منه اشرفت اي اطلعت قريبا مني على خندق حفير مملوء نارا كدت اهوي اي اقع واسقط فيه وابصرت هولا عظيما اي امرا مخوفا عظيما لم ار مثله مما ذكر ومن غيره كالفحل الذي اراد اهلاكه وخفق اجنحة اي اجنحة يضرب بعضها بعضا لها اصوات هائلة قد ملات الارض الذي كان فيها وهي اجنحة الملايكة التي ارسلت لحمايته ونصره صلى الله عليه وسلم كما اشار اليه بقوله فقال عليه الصلاة والسلام تلك الملايكة لو دنا اي قرب منه لايقاع ما قصده لاختطفته الملايكة عضوا عضوا اي مزقته وفرقت اعضاه وهو منصوب على الحال بتاويل ممزقا مفرقا كقراءة النحو بابا بابا كما فصله النحاة ثم انزل الله وحيه على النبي صلى الله عليه وسلم في شان ذلك فقال كلا ان الانسان ليطغى ان راه استغنى الى آخر السورة يعني ان الى ربك الرجعى ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى الى آخرها وبيان ما ذكر قوله كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية وقوله سندع الزبانية كلا لا تطعه واسجد واقترب فالمراد بالانسان ابو جهل وطغيانه تجاوز حده قيل هذه القصة في صحيح مسلم فالذي ينبغي نقلها منه دون التفاسير وهو امر سهل لا ينبغي الاعتراض بمثله وتفصيل معنى الاية في التفاسير فلا حاجة لذكره وروى الراوي له ابو نعيم في الدلايل ان شيبة بن عثمان الحجبي بفتح الحاء المهملة والجيم وموحدة وياء نسبة جمع حاجب ككتبة جمع كاتب وفي النسبة الى الجمع يرد الى مفرده والقياس حاجبي لكنه لما غلب على حجبة الكعبة جاز النسبة اليه كانصاري او لانه على زنة المفرد ومثله ينسب اليه على قول والحاجب من يتولى الحجابة وهو البواب ومن بيده المفتاح من الحجب وهو المنع وشيبة علم منقول من الشيب المعروف وهو شيبة بن عثمان

ابن ابي طلحة ابن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي الصحابي المشهور خادم الكعبة
ومن بيده مفتاحها وهو بيد اولاده الى الآن اسلم يوم الفتح وقيل يوم حنين ومات سنة ثنتين
وخمسين واخرج له البخاري واحمد في مسنده وابو داود وترجمته معروفة وما في بعض النسخ
الجمحي بميم غلط من الناسخ **اذ ركب** صلى الله عليه وسلم اي لحق به ووصل اليه **يوم حنين** في غزاة
وهو واد قريب من الطائف معروف **وكان** قبل ذلك **حمزة** عم رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد
الشهداء **قد قتل اباه** عثمان بن ابي طلحة **وعمه** طلحة بن ابي طلحة المشهور وكان قتلهما باحد
وكان طلحة ليث الكتيبة وحامل لواء الكفرة فلما قتل حمل اللوا اخوه عثمان فقتل الا انه قيل ان
المروي في السير ان الذي قتل طلحة علي بن ابي طالب فلما اخذ اللواء اخوه عثمان حمل عليه حمزة
فقتله وقال الذهبي في تجريده ان الذي قتل ابا شيبة علي ايضا وهو مخالف لما قاله المص
كما قاله البرهان الحلبي وفي سيرة ابن سيد الناس ان عليا ضرب اباه فازال منعته فحمل عليه
حمزة فقطع يده وكتفه وقده حتى بلغ سحره اي رقبته فكل من علي وحمزة له دخل في قتله الا ان
عليا لما ازال منعته وقوته نسب القتل له حتى استحق سلبه فلا منافاة بين كلام المص وكلام
غيره **فقال** شيبة لما ادركه **اليوم** المراد به الوقت الحاضر **ادرك ثاري** بمثلثة وراء
مهملة بينهما الف وهمز وهي الاصل وهو طلب الدم واخذ حق من قتله **من محمد** لانه سبب
قتله فاراد ان ينتقم منه ويشفي غيظه وحرارة نفسه لتمكنه منه **فلما اختلط الناس** في
القتال وازدحموا ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم **اتاه من خلفه** بحيث لا يراه **ورفع**
سيفه بيده **ليصبه عليه** اي ليضربه ويقتله وياخذ ثاره ويشفي غليله ممن كان سببا
لقتل ابيه وعمه واصل الصب اراقة الماء واستعير للضرب بالآلة كالسيف قال تعالى
فصب عليهم ربك سوط عذاب ووجهه ان السيف يشبه بالماء لرونقه ونحوه **قال**
شيبة **فلما دنوت منه** لما قصدت **ارتفع الي** اي علا وصعد الي من جانبه **شواظ**
اي لهب **من نار** والشواظ اللهب مطلقا او لهب لا دخان له او لا يخالطه غيره او يخالطه شيء
آخر وهو بضم الشين المعجمة وكسرها وقوله من نار بيان مؤكد لان اللهب لا يكون الا من النار
اسرع في ارتفاعه **من البرق فوليت هاربا** من خوف ان يحرقني **فحس بي رسول الله صلى**
الله عليه وسلم اي علم رجوعي عنه **فدعاني** بكنيته **فوضع يده على صدري وهو ابغض**
الخلق الي لانه اسلم خوفا من القتل ولم يخلص ايمانه وفي قلبه حقد على رسول الله صلى الله عليه
وسلم بسبب قتل ابيه وعمه **فما رفعها** اي يده عن صدري **الا وهو احب الخلق الي** لتبدل الله
بغضه بحبه وازال عن صدره وقلبه الحقد واثر الكفر فلما علم ذلك منه الرسول صلى الله عليه
وسلم ادناه **وقال لي ادن** من العدو واقرب مني **وقاتل** في سبيل الله خالص السريرة مخلصا
ببركة مس يده صلى الله عليه وسلم **فتقدمت امامه** بين يديه **اضرب بسيفي** كل من لقيته
من الكفار **واقيه بنفسي** اي اجعلها وقاية له صلى الله عليه وسلم مانعة عنه **ولو لقيت تلك**
الساعة التي قاتلت فيها **ابي لاوقعت به** سيفي وقتلته وفي بعض النسخ **دونه** وانما خص
للمبالغة في عموم قتله لمن لقي حتى اعز الناس وللاشارة الى ان سبب بغضه قتل ابيه
قد زال بالكلية حتى يجوز عنده ان يقتله بنفسه فضلا عن قتل قاتله والحديث مفصل
في سيرة ابن سيد الناس بسند صحيح مروي عن شيبة نفسه وكان صالحا ذا فضل
حدث باسلامه وانه انما سار لحنين ليغتال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكراهته له

وان ذلك

وان ذلك لم يزدد في قلبه وتصميم عزمه على قتله فلما اختلط الناس نزل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن بغلته فدنوت منه وذكر ما هم به وان رسول الله صلى الله عليه وسلم
مسح صدره وقال اللهم اعذه من الشيطان فاذهب الله ما في قلبه حتى صار احب اليه من نفسه
واهله وابنه فلما رجع ودخل خباه دخلت عليه لم يدخل كغيري حبا لرؤيته وجهه فقال لي يا شيبة
الذي اراد الله بك خير مما اردت بنفسك وحدثني بكل ما اضمرته في نفسي مما لم اذكره فقلت
اني اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله ثم قلت استغفر لي فقال غفر الله لك **وعن فضالة**
بن عمرو عند ابن اسحاق وابن سيد الناس وفضالة بضم الفاء وفتحها وتخفيف الضاد واللام
وابوه عمرو ويقال عمير بالتصغير ابن الملوح الليثي والتصغير اصح والملوح بكسر الواو المشددة
وفتحها واقتصر على الثاني في القاموس **قال اردت قتل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح**
اي فتح مكة **وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال افضالة** الهمزة للندا وفي نسخة فضالة
بدون همزة وحرف الندا مقدر فيه قبل ويمكن ان تكون الهمزة للاستفهام وفضالة خبر مبتدا
تقديره انت فضالة فقال نعم تصديقا له والاستفهام حقيقي وكونه للتعجب مما خلج في صدره
او اجابه لندائه او اعلام له بان فضالة كما قيل تكلف لا يخفى **قلت نعم قال ما كنت تحدث**
به نفسك حديث النفس عبارة عما يخطر بالقلب **قلت لا شيء** اي لم يخطر بقلبي شيء مما ظننته
فضحك واستغفر لي اي دعا لي بان يغفر الله لي ما خطر بقلبي **ووضع يده على صدري**
ليذهب الله ما فيه من الضلال وما عزم عليه من الاوهام **فسكن قلبي** اي اطمأن وذهب ما
فيه من الوسواس وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم وثلج صدره ببرد اليقين قال فضالة
فوالله ما رفعها اي رفع يده عن صدره **حتى ما خلق الله شيئا احب الي منه** وحديثه كما في
سيرة ابن سيد الناس وابن اسحاق انه اراد قتل النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف عام
الفتح وذكر ما ذكره المص ثم قال فرجعت الى اهلي ومررت بامراة كنت اتحدث اليها فقالت
هلم الى الحديث فقلت لا وانبعثت اقول ۞

قالت هلم الى الحديث فقلت لا • يابى عليك الله والاسلام •
وما رايت محمدا وقبيله • بالفتح يوم تكسر الاصنام •
لرايت دين الله اضحى بينا • والشرك يغشى وجهه الاظلام •

وفضالة الليثي هذا ابن وهب بن بجرة بن يحيى بن مالك وليس هو الزهراني فانه تابعي
غيره ومن ظنه هذا فقد اخطا **ومن مشهور ذلك** اي عصمة الله لنبيه صلى الله عليه وسلم
ما رواه ابن اسحاق والبيهقي بلا سند وابو نعيم في الدلائل مسندا الى عروة **خبر عامر بن**
الطفيل العامري وهو عامر بن الطفيل بن عامر بن مالك سيد بني عامر في الجاهلية
مات كافرا بالاتفاق **واربد بن قيس** بفتح الهمزة وسكون الراء المهملة وفتح الموحدة ودال مهملة
وهو اخو لبيد بن ربيعة الصحابي لامه وكان شاعرا مفلقا ومات على الكفر ايضا **حين**
وفدا على النبي صلى الله عليه وسلم وذلك انه لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك
واسلمت ثقيف ودخل الناس في الاسلام افواجا قدمت عليه وفود الناس افواجا فوفد عليه
اربعة من رؤسائهم عامر بن الطفيل واربد بن قيس وغيرهما **وكان عامر قال له** اي لاربد
انا اشغل عنك وجه محمد اي الهيه حتى تبطش به **فاضربه انت** وخصه بسره لما
بينهما من الصداقة فامتثل امره وهم بذلك فانتظره ليفعل ما امره به **فلم يره** اي لم ير عامر

اربد فعل شيئا مما اتفقا عليه من البطش به وعامر يكلمه صلى الله عليه وسلم ويلهيه فلما
كلمه اي كلم عامر اربد في ذلك اي في الامر الذي اتفقا عليه بان قال له ما قال له ما لك
لم تفعل ما اتفقنا عليه من البطش برسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذر اليه وقال والله
ما هممت ان اضربه اي اضرب النبي صلى الله عليه وسلم بالسيف الا وجدتك بيني
وبينه اي اري جسده حايلا بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم بحيث لو ضربه ضرب صاحبه
افاضربك انكار له اي كيف اضربك وكان عامر شاعرا ورئيسا مطاعا في قومه فقالوا له
لما جا العرب افواجا للاسلام ان الناس قد اسلموا فاسلم فقال اني آليت لا انتهي حتى تتبع العرب
عقبي افاتبع فتى من قريش ثم قدم هو واربد على النبي صلى الله عليه وسلم وقال له ما قصد المصم
فخرجوا اجمعين لبلادهم وفي الدلايل انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم خالني يا محمد فقال لا
حتى تومن بالله وحده وقال ذلك مرارا وهو يجيبه بذلك فقال والله لاملانها عليك خيلا
ورجالا تواعدا بان يغزو المدينة فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اكفني عامرا فلما رجع
اصابه طاعون في عنقه فمات في بيت امراة من سلول فكان يقول غدة كغدة البعير وموت
في بيت سلولية يعني اخس موتة في اخس قبيلة فمات كافرا وواروا جثته التراب ورجع
اصحابه لقومهم فقالوا الاربد ما وراك فقال لا شي لقد دعانا لعبادة شي ولوددت
انه عندي الان فارميه بالنبل حتى اقتله ثم خرج بعد مقالته هذه بيوم او يومين ومعه جمل
له فاصابتهما صاعقة اهلكتهما فهلك كافرا كعامر وعن ابن عباس ان عامرا قدم على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد مع اصحابه وكان من اجمل الناس الا انه كان اعور فجعل الناس
ينظرون لجماله واخبروا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان يرد الله به خيرا يهده
فقام وقال يا محمد ما لي ان اسلمت فقال لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم فقال اتجعل لي
الامر من بعدك قال ذاك ليس الي انما هو لله يجعله حيث شاء قال اتجعلني على الوبر وانت
على المدر اي حكم البادية وحكم المدن قال لا قال فما تجعل لي قال اجعل لك اعنة الخيل الغازية
في سبيل الله قال اوليس لي اعنة الخيل اليوم قم معي اكلمك فقام صلى الله عليه وسلم معه
وكان عامر وصى اربد اذا اخلا به ان يدور من خلفه ويضربه بسيفه وروي ان الغدة كانت بركبته
ورويت القصة على وجوه اخر هذا محصلها كما في السير وكتب التفسير غير ان البغوي والقرطبي
في التفسير ذكرا ان اربد دار خلفه صلى الله عليه وسلم واخترط سيفه فقال اللهم اكفنيهما
بما شيت فوقعت عليه صاعقة فاهلكته وهو يقتضي انه مات قبل عامر وفي هذين التفسيرين
ان اربد بن ربيعة والمصح قال انه ابن قيس ولا منافاة بينهما كما توهم لان ربيعة جده الاعلى
وفي اربد نزل قوله ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء واجمعوا على ان عامرا مات كافرا
كما مر وفي التجريد للذهبي عامر بن الطفيل بن مالك العامري سيد بني عامر في الجاهلية
روي عنه ابو امامة كما ذكره المستغفري ونقله البرهان الحلبي وفيه نظر ومن عصمته
اي حفظ الله له ان كثيرا من اليهود والكهنة جمع كاهن وهو الذي يخبر عن المغيبات وما يقع
في المستقبل بما يلقاه او يعرفه بفراسته ويسمى الثاني عرافا انذروا به اي اخبروا واعلموا
والانذار اعلام المخوف قبل وقوعه وعينوه لقريش اي بينوا ذاته لهم واخبروهم بسطوته
بهم اي انه يغزوهم ويقاتلهم وحضوهم على قتله اي حثوهم وحرضوهم على ذلك حتى يسلموا منه
فعصمه الله عز وجل بان حفظه وعصمه من كيدهم مع انه صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم بمفرده

حتى بلغ الله بلطفه وحفظه له فيه امره بان نصره واظهر دينه على جميع الاديان ان الله
بالغ امره وبلغ بفتح اللام المخففة من البلوغ قال الراغب هو الانتها الى اقصى الامد والمنتهى
مكانا او زمانا او امرا من الامور المقدرة انتهى ومن ذلك اي عصمة الله له صلى الله عليه وسلم
وصيانته ما رواه الشيخان وهو نصره بالرعب اي بالقاء الخوف منه في قلوب اعدايه ومن لم
يتبعه مسيرة شهر اي من مكان بعيد عنه اقل ما تقطع مسافته في شهر اي في ثلاثين يوما
كما قال صلى الله عليه وسلم اي انه ثابت بهذا اللفظ في الحديث الصحيح كما تقدم وهو في الصحيحين
وفي مسند احمد عن ابي هريرة رضي الله عنه بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب قيل وهو مخصوص
به صلى الله عليه وسلم ولو كان وحده وتقييده بالشهر لانه لم يكن بينه وبين اعدايه اكثر منه
وتخصيصه به باعتبار من قبله فان ابن حجر قال ان ذلك لامته من بعده ايضا ويويده ان في
مسند احمد الرعب يسعى بين يدي امتي شهرا والرعب كناية عما يلزمه من الظفر

فصل

ومما اكرمه الله به صلى الله عليه وسلم من معجزاته اي اموره الخارقة للعادة التي يعجز
غيره عنها وعن معارضتها والاتيان بمثلها وتاء المعجزة للمبالغة كتاء علامة او للتانيث لان
المراد الاية والعلامة او الخصلة المعجزة الباهرة اي الغالبة او الظاهرة على غيرها من
بهر القمر بضوءه الكواكب حتى اخفاها وهو تشبيه بليغ او استعارة مصرحة ما جمعه الله
له من العلوم والمعارف جمع معرفة لا معروف كما قيل لانه على تقديره غير مناسب والعلم
والمعرفة بمعنى وقد يفرق بينهما بتخصيص الثاني بالامور الجزئية او بما يسبقه جهل على كلام فيه
تقدم تفصيله ومن بيانية ويجوز ان تكون تبعيضية والاول اظهر وخصه به اي جعله مخصوصا
به دون من قبله وكذا خص امته بما لم يكن لغيرهم من الامم من العلم وكثرة التاليف والتصنيف
الذي لم يكن لامة من الامم مع قصر اعمارهم وضعف ابدانهم والباء تدخل على المقصور والمقصور
عليه وفي ابهام الاصل كلام مفصل في حواشي المطول لا حاجة لنا به هنا من الاطلاع اي الوقوف
والعلم وهو بيان لما على جميع مصالح الدنيا والدين متعلق بالاطلاع ومصالح الدنيا ما
تصلح به امور المعايش ومصالح الدين معرفة احكامه المصلحة لهم في الدارين ولا ينافي هذا
اي اطلاعه على مصالحهما قصة بدر في اختياره صلى الله عليه وسلم الفدا وكان الاولى به
ما رآه عمر رضي الله عنه من قتلهم حتى عوتب صلى الله عليه وسلم على ذلك وكذا منعه صلى الله عليه
وسلم الناس من تابير النخل فلم يثمر في ذلك العام فقال انتم اعلم بامور دنياكم مني لما انه
كما قيل كان له حالات واطوار منها ما يغلب عليه فيه عدم الالتفات للاسباب الظاهرة
لقصر نظره على تفويض الامر لله والتوجه للعلم بالله وقطع نظره عن الحوادث الكونية وعلم
عمر رضي الله عنه مقتبس من نور مشكاته كما قيل

كالبحر يمطره السحاب وما له • من عليه لانه من مايه

وما قيل من انه صلى الله عليه وسلم بنى امره في ذلك على الظن دون الجزم والانبيا قد
يظنون في امور الدنيا المجردة عن الاخرة ما الامر على خلافه ليس بشي وقيل انه انما كان ليعلم
الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالمشاهدة ويبين الامر حتى يكون شرعا متبعا ولو بقي الامر
كما كان فقد يقال انه كما وجد بقي والحكم بالدليل اقوى منه بالسكون وفيه نظر وقال
السنوسي اراد صلى الله عليه وسلم ان يحملهم على خرق العوايد في ذلك اعتمادا على التوكل فلم

ولم يصبروا ولو صبروا كان خيرا لهم بان يمتثلوا ويصبروا سنين فاكثر فلو فعلوه كفوا ذلك
لانه اعلم منهم بذلك وغيره قيل هو في غاية الحسن لمن تامله وسياتي تتمته ان شا الله تعالى
ومعرفته صلى الله عليه وسلم **بامور شرايعه** التي شرعها الله لعباده على لسانه جمع شريعة وهي في
الاصل طريق مسلوكة وموردة ما يباح نقلت لوضع الهي موصل لسعادة الدارين والمناسبة بينهما
ظاهرة **وقوانين دينه** جمع قانون وهي لفظة معربة من الرومية معناه الاصل المقيس عليه ثم
نقل لقضية كلية يستخرج منها احكام جزئياتها بجعلها كبرى لصغرى سهلة الحصول تنتج المطلوب
كما تقرر في محله والدين والملة بمعنى وان تغايرا مفهوما والمراد بمصالح الدنيا والدين منافع دنياه
وحكمه وفوائده وهو غير ضبطه لامور الشريعة وقوانينها فما قيل من انه اذا حصل له العلم بمصالح
الدنيا والدين جميعا فقد حصل بما لم يحص به بشر قبله فيكون الثاني غير الاول فما موقع قوله ومعرفته
الخ لان جملة الدين مبنية على جلب المصالح ودرء المفاسد تخبط لا فايدة فيه كما يعلم مما قررناه
وسياسة عباده اي القيام بضبط العامة من عباد الله فالضمير لله والسياسة لفظ عربي من
ساسه يسوسه اذا دبر امره ومن قال انه معرب من سه سا اي ثلاثة قوانين فقد اخطا ولها معنى
آخر عند العجم وربما تجعل مقابلة للشرع ولا يصح ذلك هنا وفي القاموس انها مصدر سست الرعية
سياسة اذا امرتها ونهيتها **ومصالح امته** المراد امة الاجابة وامة الدعوة والظاهر ان المراد
غير ما تقدم كالسوال عن امورهم وقضاء ديونهم والاحسان الى فقرائهم وغير ذلك من لطفه بهم
ومعرفته **ما كان في الامم قبله** مما وقع لهم وجرى بينهم **من الاختلاف** اي مخالفة بعضهم
لبعض وما جرى لهم من النعم والنقم التي لا يعلمها الا القليل من اهل الكتاب وعلمائهم وهو
صلى الله عليه وسلم امي نشا في امة امية ولم يرحل للبلاد البعيدة ويباشر بها الامم
الخالية كما بينه احسن بيان وقرره احسن تقرير **وقصص الانبيا والرسل** من عطف العام
على الخاص والفرق بينهما مشهور وقصص بكسر القاف جمع قصة او بفتحها مصدر قصه يقصه قصصا
اذا حكاه **والجبابرة** جمع جبار وهو المتكبر قال الراغب الجبار في صفة الانسان الذي يجبر
نقصه بادعا منزلة من التعالي لا يستحقها ولا يقال الا على طريق الذم كقوله وخاب كل جبار عنيد
ويقال للقاهر لغيره جبار كقوله وما انت عليهم بجبار انتهى وقد تقدم ما فيه الكفاية ه
في القرون الماضية قبله من الامم وقد تقدم معنى القرن ومقدار زمانه واصله الزمان ثم
اطلق على اهله قيل يجوز ان يراد الامم التي هلكت ولم يبق منها احد لانه يطلق على ذلك وان يراد الزمن
نفسه **من لدن آدم الى زمنه** لدن ظرف زمان مبني ومعرب في لغة قيس وهو قريب من
معنى عند وبينهما فرق ذكره النحاة اي احاط علمه بذلك واخبر به امته **وحفظ شرايعهم وكتبهم**
ولم يقرا ولم يكتب **ووعي سيرهم** الوعي الحفظ والجمع والسير جمع سيرة بالكسر وهي حالة
الانسان غريزة او مكتسبة يقال سيرة حسنة وسيرة قبيحة قال تعالى سنعيدها سيرتها الاولى
اي الى حالتها الاولى اي حفظه وجمعه في ذهنه لاحوالهم وما كانوا عليه **وسرد انبائهم** اي
سوق اخبارهم للناس سوقا حسنا منتظما كسرد حلقات الدرع ونسجها **وايام الله فيهم** اي
وقايعهم التي قدرها الله لهم والايام تطلق على الوقايع والحروب كايام العرب وهو معنى مجازي
صار حقيقة عرفية وقيل المراد نعمه ولا وجه له **وصفات اعيانهم** اي كبارهم ورؤسائهم وقيل
المراد ذواتهم كما وقع في الاسرا من ذكر الانبيا عليهم الصلاة والسلام وصفات ذواتهم
واختلاف آرائهم جمع راي اي عقايدهم ونحوها **و**المعرفة **بمددهم** جمع مدة وهي بمقدار

من الزمن اي كم كانت مدة كل امة ومدة ملكهم وملوكهم وانبيائهم **واعمارهم** جمع عمر بضم
العين وفتحها وهي مدة الحياة **وحكم** جمع حكمة وهي القول الصواب المتضمن النصيحة اي موعظة
حكمائهم جمع حكيم وهو العالم بالحكمة الناصح لغيره المعلم الحكمة في عصره كحكماء الفرس
والعرب وغيرهم **ومحاجة كل امة من الكفرة** اي ذكر حجته وبرهانه وما حاج به غيره وقيل
المراد محاجته نفسه لغيره كمحاجته لنصارى نجران ومباهلته لهم والظاهر ما قدمناه
ومعارضة اي مخالفته ورده **كل فرقة** وطايفة **من الكتابيين** اي اهل الكتاب والمراد
به التورية والانجيل لان الزبور والصحف لم تتضمن الاحكام ولم تشتهر وهو جمع كتابي
بياء النسبة **بما في كتبهم** متعلق بمعارضة وجمعها لاشتمالها على ما في غيرها ولان الجمع
بمعنى المفرد كثير **واعلامهم باسرارها** اي دقايق معانيها التي لم يطلعوا عليها **ومخبآت
علومهم واخبارهم** بكسر الهمزة مصدر مضاف للفاعل ويجوز فتحها اي ما خفي عليهم منها
بما كتموه اي اخفوه كصفته صلى الله عليه وسلم وقصة رجم الزاني المشهورة **من ذلك**
الاعلام وما بعده **وغيروه** بتحريف لفظه وتاويله بغير معناه **الى الاحتوا** اي الاشتمال
والحفظ والتضمن متعلق بجمع لتضمنه معنى ضم او الى بمعنى مع **على لغات العرب**
جميعها من غير قومه **وغريب الفاظ فرقها** جمع فرقة وهي الطايفة المتفرقة **والاحاطة
بضروب فصاحتها** تركيبا وافرادا فكان صلى الله عليه وسلم يخاطب كل قوم بلغتهم كما
تقدم **وامثالها** جمع مثل وهو كلام شبه مضربه بمورده **وحكمها** اي جوامع كلمها في النصا
فان العرب معروفة بذلك وحكماء العرب وحكمهم مشهورة **ومعاني اشعارها** فانه صلى الله
عليه وسلم كان يعرفها وان لم يستشهد بها وزنه ولم يتكلم بها **والتخصيص** اي تخصيص الله
اياه بنطقه **بجوامع كلام العرب** اي الالفاظ الحسنة البليغة الجامعة للمعاني الكثيرة
في الفاظ قليلة وقد يراد به القران وليس مرادا ومفرده جامعة **الى المعرفة بضرب الامثال
الصحيحة** الامثال المتقدمة امثال صادرة ممن قبله وهذه امثال ابتدعها صلى الله عليه
وسلم والامثال النبوية مشهورة مدونة والى كالتي تقدمت والجار والمجرور هنا وما بعده
متعلق بمقدر او بدل مما قبله او متعلق به بعد تضمينه والى فيه بمعنى اللام لان العامل الواحد
لا يتعدى بحرفين بمعنى واحد فاكثر الا على هذه الوجوه كما قرروه في قوله سبحانه وتعالى كلما
رزقوا منها من ثمرة رزقا وتقدم تفسير المثل وان ضربه من ضرب الخاتم اذا طبعه وصاغه ولانه
صادر كثيرا من الانبيا عليهم الصلاة والسلام لتقريب المعاني في النفوس وايضاحها
بجعل المعقول كالمحسوس كما حققته في الكشاف **والحكم البديعة** اي الظاهرة في نفسها المظهرة
لامور بديعة ومعان لطيفة **لتقريب التفهيم للغامض** اي المعنى الخفي الدقيق وهو
في الارض المكان المنخفض فاستعير لما ذكر وتقريبه ايضاحه والجار الاول يتعلق بضرب
الامثال والثاني بالتفهيم وقوله **والتبيين للمشكل** اي اظهار ما التبس وان كان غير
غامض واصل معنى الاشكال كونه غير متميز عن اشكاله واشباهه وهو متعلق وراجع للحكم
البديعة **الى تمهيد** اي بسطه بتوطيته له وبيان مقدماته **قواعد** اي اساسه وقضاياه
واصوله الكلية **الشرع** المحمدي الذي جاءه بوحي من الله **الذي لا تناقض فيه** اي لا تخالف
بين قضاياه واحكامه لاحكامها ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا **ولا تخاذل**
[illegible] متحاميين ولا تفاعل من الخذلان وهو ترك نصرة من يستحق نصرته وهو استعارة

تمثيلية لان الشرع بعضه بعضد بعضا ويوتيه واحكامه متناسبة متعاضدة كما ان القرآن
يفسر بعضه بعضا ومن فسره بان قواعد الشرع مشتملة على انه لا يخذل اخاه اذا ظلم لاقتضا قواعد
الشرع استوآء الرفيع والوضيع والمالك والمملوك والعالم والجاهل في جريان احكامه عليه من
غير فرق بين صغير وكبير لم يات لبني بمثله به **مع اشتماله بعينه** وتضمنه واحتوائه **على**
محاسن الاخلاق اي على بيانها للناس وحث الناس على التحلي بها وقد ورد في الحديث بعثت لاتمم
مكارم الاخلاق وقد تقدم معنى الخلق وان منه مكتسبا وطبيعيا وان الخلق يقبل التغير ولذا
ورد في الشرع النهي عن الاخلاق الردية والامر بضدها ولولا ذلك لم يفد **ومحامد الاداب**
جمع محمدة وهي ما يحمد فعله والاداب بالمد جمع ادب بفتحتين وهو معاملة الخلق بلطف ومداراتهم
كما قال ادبني ربي فاحسن تاديبي وهو من اضافة الصفة للموصوف اي الاداب المحمودة وفسر الادب
في القاموس بالظرف وحسن التناول والفعل الجميل **وكل شي مستحسن** عند ارباب الطباع السليمة
وهو مجرور معطوف على محاسن الاخلاق **ومفضل** بزنة المفعول بالضاد المعجمة والصاد المهملة
كما قاله اي مفضل على غيره او فضله للناس تفضيلا **لم ينكر منه ملحد** اي عادل عن الحق زنديق
ومعناه لغة الميل فخص بالميل عن الحق قال الراغب الالحاد ضربان الحاد الى الشرك بالله والحاد
الى الشرك بالاسباب فالاول ينافي الايمان ويبطله والثاني يوهن عراه ولا يبطله انتهى **ذو عقل**
سليم مستقيم مدرك ادراكا سالما عما يضعفه ويمنعه من العدول عن الحق **شيا** مفعول ينكر
الا من جهة الخذلان تقدم ان الخذلان لغة عدم النصر والمراد به عدم التوفيق والتوفيق خلق
قدرة الطاعة في العبد عندنا وفسره المعتزلة بلطف الله بعبده والخذلان لان المقابل له عدم لطفه
به كما فصل في علم الكلام يعني لا ينكره الا من خذله الله ولم يوفقه للعلم به ومشاهدة احواله ثم ترقى
ثم ترقى عما ذكره فاضرب اضرابا انتقاليا او ابطاليا لانكاره باثبات ضده فقال **بل كل جاحد**
اي منكر **له** اي لما ذكر مما فرده وكافر بما جاء به من الجاهلية اي اهلها به **اذا سمع ما يدعو** صلى الله
عليه وسلم الخلق **اليه** من الحق المبين **صوبه** اي اعتقد انه صواب واعترف به لان انكاره مكابرة
تاباها العقول السليمة والطباع المستقيمة **واستحسنه** اي عرف حسنه واعترف به **دون**
طلب اقامة برهان وحجة **عليه** اي على ما اتى به لظهور حقيته كما ورد على علم كعبد الله بن ابي بن سلول
وغيره مما ذكر في كتب الحديث والسير **ثم ما احل لهم من الطيبات** اي اشتمال شريعته على ما
جعله حلالا للناس مما حرمه غيره كبني اسرائيل الذين حرموا كل ذي ظفر من البقر والغنم لحومهما
الا ما حملت ظهورهما او الحوايا **وحرم عليهم الخبائث** كالميتة والدم ولحم الخنزير والزنا وغير
ذلك من المحرمات وعطف بثم لما بينهما من تفاوت الرتبة وقيل لان الاول تفصيل وهذا اجمال
وبينهما تفاوت وبون ظاهر وفسر الشارح الطيبات بما ليس بمستقذر والخبائث بضده والعبرة
في ذلك بالطباع السليمة **و**اشتمال شريعته على **ما صان به انفسهم** من الهلاك كتحريم قتل النفس
بغير حق وقصاص القاتل **واعراضهم** بفتح الهمزة جمع عرض بكسر العين وسكون الراء وهو في اللغة
كل ما يخل تركه بالانسان وهو المراد هنا واختلف في معناه الحقيقي لغة فقيل هو ما يمدح به
المرء او يذم سواء وصف به دون اسلافه ام لا وفي الحديث كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه
وفي حديث اهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون وانما هو عرق من اعراضهم فتبين بكل موضع يعرق
من الجسد وقال الاصمعي هو طيب العرض اي الريح وفسر بعضهم العرض بالنفس فعلى هذا هو عطف
تفسير **واموالهم** فمن آمن به صلى الله عليه وسلم واتبع شرعه صان دمه وعرضه وماله **من المعاقبات**

بيان ما

بيان لما صان كالحد والتعزير والحبس **والحدود** كحد الزنا والسرقة والقذف والشرب
عاجلا اي في الدنيا وهو حال مقيد للمعاقبات والحدود **والتخويف بالنار آجلا** في الاخرة
لانه مستقبل من الاجل وهو الوقت المحدود وفي بعض النسخ بدل التخويف التحريق تفضيل من الحرق
بالنار اي نار جهنم واختلفوا فيمن عوقب وحد في الدنيا هل يسقط عنه عذاب الاخرة ام لا
فقيل يسقط مطلقا وقيل بشرط التوبة ايضا والى هذا ذهب المعتزلة وقيل يسقط وانما شرع
زجرا ليرتدع الناس عنه والاصح الاول لما ورد في الحديث من اصاب من ذلك شيا فعوقب فهو
كفارة له ومن اصاب من ذلك شيا ثم ستره فهو الى الله ان شا عفا عنه وان شا عاقبه وما ورد
في الحديث من انه صلى الله عليه وسلم قال لا ادري الحدود كفارة لاهلها ام فقيل الاول اصح
وقيل انه صلى الله عليه وسلم قاله قبل العلم به فهو منسوخ **و**قوله **مما لا يعلم** بالبنا للمجهول
اي لا يعلمه غيره من الناس وهو بيان لجميع ما تقدم من اول الفصل الى هنا **ولا يقوم به جملة**
اي يتقنه ويحفظه كما هو حقه وبه فسر القيوم بل **بعضه** فضلا عن كله **الا من مارس الدرس**
اي لازم دراسة الكتب واجتهد فيها **والعكوف على الكتب** السالفة قال الراغب العكوف
الاقبال على الشي وملازمته على سبيل التعظيم ومنه الاعتكاف انتهى وهذا تاييد لانه منحة
الهية خصه الله بها فما قيل انه لا حاجة اليه وهم من قائله فقوله لا حاجة اليه لا حاجة اليه
فاعرفه فانه في غاية الظهور **ومنافثة بعض هذا** الظاهر انه بميم ونون وقاف ومثلثة
وهو بمعنى الاستخراج كما في القاموس معطوف على الدروس والمعنى ظاهر وما في بعض النسخ
من انه بالفا مفاعلة من النفث وهو تفل الريق من الساحر والراقي ويطلق على لازمه وهو
السحر والسحر قد شاع في الدقة وكانه المراد والدقيق في بعض هذه الامور وقوله بما لا يعلم
الى هنا ساقط من اكثر النسخ ولم يتعرض له الشراح **الى الاحتوا** اي مع اشتمالها ومضمومها الى
الى الاشتمال **على ضروب العلم** اي انواعه جمع ضرب بفتح الضاد وكسرها ويكون بمعنى المثل
ايضا **وفنون المعارف** اي اقسام المعرفة المتعلقة باحوال الدنيا واهلها كما ان ضروب العلم
المراد بها ما يتعلق بالشرايع والاخرة فهو من عطف المتغايرين لا من غيره على انه تفنن والفرق بين
العلم والمعرفة مشهور **كالطب** اي معرفة ما يتعلق ببدن الانسان من حيث الصحة والسقم وكان
صلى الله عليه وسلم اعرف الناس به كما في الطب النبوي وهو من العلوم القديمة المدونة
وله معان في اللغة وهو مثلث الطا مشدد البا **والعبارة** بكسر العين المهملة اي تعبير
رويا المنام وفعله عبر بتخفيف البا والناس يشددونها وقد انكره بعض اهل اللغة الا انه سمع
في بيت انشده المبرد رحمه الله في الكامل وهو

رايت رويا ثم عبرتها • وكنت للاحلام عبارا

كما في الكشاف ووقع في بعض النسخ العبارة مضبوطا بفتح العين ولم اقف عليه **والفرايض**
جمع فريضة وهو النصيب من الميراث والفرايض صار علما للعلم بذلك وهو قسم من علم
الفقه افرد بالتاليف فصار علما مستقلا ولذا نسب اليه فقيل فرايضي **والحساب** هو علم
يتعلق بالعدد ولابتناء الفرايض عليه في الاكثر قرنه به **والنسب** اي معرفة انساب
العرب وغيرهم وهو من علم التاريخ وكان الصديق رضي الله عنه اعلم الناس به بعد رسول الله صلى
الله عليه وسلم وغير ذلك من العلم وانواعه **مما اتخذ** اهل **هذه المعارف** لو قال اهل كان
اظهر واشمل واخصر **كلامه صلى الله عليه وسلم فيها** اي في هذه العلوم والمعارف وقيل الضمير

للشريعة اي في شريعته وهو خلاف الظاهر **فروعه واصولا** اي ادلة مثبتة لها او قواعد
وضوابط يرجعون اليها في الحوادث الجزئية اذا وقعت لهم **في علمهم** اي علومهم التي دونوها
في هذه الفنون **كقوله صلى الله عليه وسلم** في حديث رواه ابن ماجة عن انس **الرؤيا** اي ما يرى
في المنام من الاحلام مقصور يختص بذلك ويقال في غيره رؤية بالتاء ورايا **لاول عابر**
متعلق بمقدر اي مصادفة وموافقة لاول تفسير تفسر به والعابر هو الذي يبين الرؤيا ونظم
واول الحديث اعتبروها باسمائها وكنوها بكناها والرؤيا لاول عابر اي فسروها بما يناسب الفاظها
كما قيل سالم ماول بالسلامة وهو نوع من التعبير والتكنية ليس من الكنية المشهورة بل المراد به
التمثيل كما في النهاية وهو عند اهل السنة امر يلقيه الله في قلب عبده كالالهام وورد ان ملكا
يلقيه وهو ملك الرؤيا وعند الحكماء ان الروح في النوم تفارق البدن وتتصل بالملا الاعلى ۞
فيلقى اليها ما يقيضه على ذهن النائم فمنه ما يقع بعينه ومنه ما يؤول بغيره ومنها اضغاث احلام
ودعابة الشيطان لا تاويل له ومن هذا القبيل ما هو من غلبة الاخلاط كالصفرا اذا غلبت يرى
النائم نارا والبلغم يرى ماء والسودا يرى شيئا اسود وليس كل رؤيا كذلك كما توهمه كلام الاكمل
وانكار هذا القسم لا وجه له ايضا والكلام على الرؤيا وحقيقتها واقسامها مبسوط في محله قيل
المراد بالعابر هنا العالم باحوال الرؤيا لا كل عابر وظاهر كلام اهل هذا الفن يخالفه لانه عندهم
كالفال والالهام فلا يختص بمن ذكر وقد قيل ان رجلا راى انه شرب البحر فقصه على ابن سيرين
فقال له هل ذكرت لاحد قال نعم قال ما قال لك قال قال وراه ينشق بطنك فلم يعبرها له وقال
قضي الامر **و** قوله **وهي على رجل طائر** رواه ابو داود والترمذي عن ابي ذر وصححه بوبره بل
بعينه واول الحديث رؤيا المؤمن جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وهي على رجل طائر
ما لم تعبر فاذا عبرت وقعت فلا يحدث بها الا حبيبا او لبيبا ورجل بكسر الراء وسكون الجيم ولام
وهو تمثيل لكونها كالفال على قدر جار من خير او شر قدر لصاحبها فكانها بصدد وقرب من ان تقع
باذني حركة فهو بمعنى قوله لاول عابر وفيه من لطف البلاغة وسرها ما لا يخفى فان الطائر يكون
للفال ومنه التطير وليس المراد به ظاهره كما توهم وقد وقع في بعض الكتب الرؤيا على جناح طائر
اذا قص وقع ولا ادري هل هي رواية بالمعنى تظرفا او رواية وفيه تورية في القص لانه يكون
من قص الجناح اذا قطع ريشه ومن قصص الرؤيا اي ذكرها للعابر فوقع محتمل للمعنيين ايضا من
الوقوع والسقوط ونظمه بعض المتاخرين فقال ۞

رؤيا اذا قصصتها • وافت كبدر قد طلع •
على جناح طائر • فهو اذا قص وقع •

وهذا الحديث روي من طرق واختلف العدد فيها فروي سبعين واربعة وعشرين وستة واربعين
جزءا والاخير من رواية البخاري وجعلها جزءا من النبوة لان رؤيا هم وحي صادق فقيل حقيقة
العدد وقدره غير مقصود والمقصود التكثير وقيل وجهه انه صلى الله عليه وسلم اوحي اليه
احد وعشرين سنة ستة منها مناما والباقي يقظة وهي على انواع بينوها وجات امراة للنبي صلى
الله عليه وسلم فقالت رايت ان جذع السقف من بيتي وقع وعندي ولد اعور فقال يقدم زوجك
وتلدين ولدا برا ثم راتها بعد ذلك فقصتها على ابي بكر رضي الله عنه فقال يموت زوجك وتلدين
فاجرا لانها في زمن الرؤيا كان زوجها غائبا وهو عمود البيت وسقوطه تحيته قال ۞

فاسقط علينا كسقوط الندا • بالليل لا ناه ولا آمر •

واول الامر بالبر لفض بصره عن المحرمات وفي وقت كلامها لابي بكر كان زوجها مقيما وشفق
من نيته والاعور يتشائم به فالمنام واحد اختلف تاويله بحسب الحال وامثاله كثيرة **وقوله** صلى الله
عليه وسلم **الرؤيا ثلاث** انواع **رؤيا حق** بالاضافة وقيل بالتوصيف والظاهر الثاني وهو المناسب
لما بعده وعلى الاول الاضافة بيانية اي رؤيا هي حق والمعنى واحد **ورؤيا يحدث بها المرء نفسه**
المراد انها خواطر تخطر بالبال لا امور مفاضة من عالم المثال والملك يشبه بمن يحاور غيره في خلوة
لما يورده عليه من الاماني والاوهام وهو في معنى التجريد المذكور في علم البديع فهو بديع وليس
المراد من نفسه ذاته وهما معنيان متغايران يعني انه راى في منامه ما كان في فكره قبله وهو
من اضغاث الاحلام **ورؤيا من تحزين الشيطان** بان يلقي له ما يكره ويخاف بوسوسته وورد
في الحديث انه ينبغي للانسان ان يتحول من شقه الذي نام عليه ويستعيذ بالله من شره ويتفل
عن يساره او يصلي ركعتين ان انتبه ولا يحدث به احدا قال السيوطي في مناهل الصفا في تخريج
احاديث الشفا هذا الحديث رواه الشيخان وغيرها عن بضعة عشر من الصحابة الا انه قيل ان
الذي في مسلم عن ابن سيرين عن ابي هريرة اذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب واصدقكم
رؤيا اصدقكم حديثا ورؤيا المسلم جزء من خمسة واربعين جزءا من النبوة ثلاث رؤيا صالحة
بشرى من الله ورؤيا تحزين من الشيطان ورؤيا يحدث بها المرء نفسه فان راى احدكم ما يكره فليقم
فليصل ولا يحدث بها الناس قال واحب القيد واكره الغل والقيد ثبات في الدين فلا ادري
اهو في الحديث ام قاله ابن سيرين انتهى ما في مسلم وقد اختلفوا في ما ذكر من كون ثلاثا الخ
فقيل هو مدرج في الحديث من كلام ابن سيرين وقيل هو موقوف على ابي هريرة وقيل فيه انه مرفوع
ويؤيده ان ابن حنبل رفعه مسندا والحافظ السيوطي عمدة وكذا المصنف فلا يرد عليه ان ابن الملقن
قال في شرح البخاري ان الصحيح انه ليس من كلامه صلى الله عليه وسلم واختلف في قائله والصحيح
انه ابن سيرين وقول ابن حجر في فتح الباري انها ليست منحصرة في الثلاث فان منها رابعا وهو تلعب
الشيطان وخامسا وهو ما يهم به المرء في يقظته وسادسا وهو تلاعب الشيطان وسابعا وهو ما
يعتاده الانسان وبينه وبين حديث النفس عموم وخصوص ليس بشي لانه راجع لما ذكر او في معناه
وقد بسطنا الكلام على الرؤيا في تعليقة مستقلة يضيق عنها نطاق المقام فانظرها ان شئت
وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن ابي هريرة مسندا **اذا تقارب الزمان**
لم تكد رؤيا المؤمن تكذب التقارب تفاعل من القرب ضد البعد واختلف في المراد به هنا فقيل
المراد به زمان الربيع وقرب الليل والنهار من التساوي وهو زمان تدرك فيه الثمار وتتفتح الانوار
ويرق النسيم فتعتدل الطباع البشرية فيه فيقوي قواها على تلقي ما يفاض عليها ولذا قال
اهل التعبير اصدق زمان لوقوع الرؤيا زمان الربيع وقيل المراد به آخر الزمان اذا قربت الساعة
كما في زمان المهدي وتقاربه وقصره اما حقيقة لما في الحديث في ايامه السنة كشهر والشهر
كجمعة والجمعة كيوم واليوم كساعة وقيل انه لكثرة اشتغال الناس بالدنيا اوسعتها عليهم او لغير
ذلك وذهب كل لترجيح احد الوجهين لورود ما يؤيده وقوله لم تكد الخ نفي للكذب بابلغ وجه بينها
لان ما لا يقرب من الوقوع ابلغ مما لا يقع فليس نفيها اثباتا واثباتها نفيا كما توهم والعزبه واجب
عنه كما فصله النحاة وشهرته تغني عن ذكره وخص المؤمن لان نفسه اقوى وعقله اتم من غيره وقيل
انه لبعد العهد بالوحي عوضوا المبشرات **وقوله** صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الدارقطني
وضعفه فلا وجه لما قيل من انه لا صحة له **اصل كل داء** اي مرض وتغير مزاج **البردة** بوحدة

بل
هان
بي

وراء ودال مهملتين مفتوحات وهي والتخمة الاكثار من الطعام حتى لا يقدر على هضمه سميت
بها لبرد المعدة حتى تضعف عن طبخه وتصفية اخلاطه والمراد بكونه اصلا انه منشؤه ومبدؤه
في الغالب فان الداء اكثر ما تراه يكون من الطعام والشراب **وما روي** عنه صلى الله عليه وسلم
والراوي له الطبراني في الاوسط والمصنف لم يثبته **في حديث ابي هريرة من قوله** صلى الله عليه
وسلم **المعدة** بوزن كلمة وبكسر الميم وسكون العين ودال مهملة مقر الطعام كالكرش للحيوان
والحوصلة للطائر **حوض البدن** تشبيه بليغ والحوض مجمع الماء فشبهها به وشبه البدن بما يستقي
منه وقيل شبهها بعروق الشجرة والبدن بفروعها وورقها وهو مكان لما في الحوض من الصفا
والتشبيه ثم رشح ذلك بقوله **والعروق اليها واردة** جمع عرق وهو مجرى الدم والورود الاتيان
للماء مفردا وجمع وارد فشبه ايصال خلاصة الغذاء الى الاعضاء بالاخذ من الحوض المورود والعروق
تنقسم الى شريانات واوردة كما ذكره اهل التشريح **وان كان هذا حديثا** خبر كان وقوله **لا نصححه**
اي لا نحكم بصحته خبر ما الموصولة قيل وروي حديث بالرفع بدلا من هذا والنصب اولى **لضعفه**
وكونه موضوعا بالجر ترقي من ضعفه ويجوز رفعه على انه مبتدا خبره **تكلم عليه** الامام ابو الحسن
الدارقطني نسبة لدار القطن محلة ببغداد ولا يرد على المصنف انه كيف ذكر الموضوع وهو كذب
عليه بعد بيانه وقد اختلف فيه فقيل انه مرفوع قال الطبراني في الاوسط عن الزهري عن ابي هريرة
مرفوعا المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة فاذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة
واذا فسدت المعدة صدرت العروق بالسقم ولم يروه عن الزهري الا زيد بن ابي انيسة تفرد
به الرهاوي وقوله تكلم الخ اي بحث في سنده وكونه مرفوعا وقال في كتاب العلل اختلف
فيه عن الزهري فرواه ابو فروة الراوي عنه وقال عن عائشة ولم يقل عن ابي هريرة وكلا الروايتين
عن ابي هريرة لم يصح ولا يعرف من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وانما هو من كلام عبد الملك بن سعيد
بن ابجر وقيل انه من كلام الحرث بن كلدة وعن ابن منبه ما يقرب منه وذكر ابن ابي الدنيا اجمعت
الاطباء على ان راس الطب الحمية والحكماء على ان راس الحكمة الصمت وعن عائشة رضي الله عنها
انها قالت الازم دواء والمعدة داء وعودوا كل بدن ما اعتاده **وقوله** صلى الله عليه وسلم في حديث
رواه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما **خير ما تداويتم به السعوط** بفتح السين وضم العين
المهملتين وواو وطاء مهملة وكذا كل ما يداوى به فانه على فعول بالفتح وهو ما يجعل في الانف
ويستنشق به لفتح السدد الدماغية ومنع النزلات **واللدود** بفتح اللام وضم الدال المهملة
وواو ودال مهملة وهو ما يجعل في احد شقي الفم ويتغرغر به لدفع ورم به يعتري الصبيان غالبا
وهما في الاصل اسمان لمرضين في الراس واعلى الحلق ويسمى الثاني نزلة الحلق وهو ورم فيه معروف
وكان النساء يعالجنه برفعه بالاصبع فنهاهم صلى الله عليه وسلم وامرهم بما ذكر وهو العود الهندي
علق في الماء يفعل به ذلك فيحلله بحرارته وهو ماخوذ من اللديد وهو جانب الوادي كما قاله
الاصمعي وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم فانه مرض خفي لا يعرفه اكثر الاطباء قبل فضلاء
عن زماننا وفي الهدي النبوي لابن القيم من هذا النوع ما فيه شفاء للصدور **والحجامة** وهي
مص الدم بالة معروفة في الراس بين الكتفين وهي في مؤخر الدماغ تورث النسيان وهي دواء
للشقيقة في الراس مع انه مرض من ورد فيها احاديث منها انه صلى الله عليه وسلم ما مر ليلة
الاسرى بملا من الملائكة الا قالوا له مر امتك بالحجامة **والمشي** بفتح الميم وكسر الشين المعجمة
وتشديد الياء التحتية وهو المسهل يقال شربت مشيا ومشوا سمي به لان صاحبه يكثر المشي

للحاجة

للحاجة وفي الحديث لو كان شيء فيه شفاء من الموت لكان في السنا ولبعض الشراح هنا كلام
مختل تركه خير منه **وخير الحجامة** اي انفعها بعد نصف الشهر **يوم سبع عشرة وتسع عشرة**
واحدى وعشرين في الوتر دون الشفع وهذا الحديث رواه الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما
وصححه وابو داود عن ابي هريرة مرفوعا وشينه مفتوحة وساكنة وغلب فيه المؤنث على المذكر
وذكر لحذف المميز ونهى عن الحجامة في يوم السبت والاربعاء والاحد وروي عن ابن حنبل انه كره
الحجامة في غير هذه الايام وان كانت الحجامة في النصف الاخير والرابع من الشهر انفع لان الا[خلاط]
تهيج في اوله وتسكن بعده لهبوط القمر فالاستفراغ فيه اقل فلا يضعف ويقولون انه ينبغي
ان يكون في الساعة الثانية والثالثة ولا يكون عقب حمام ولا جوع وشبع وفي الصوم **وفي**
العود الهندي سبعة اشفية والمراد بالعود العود المعروف وقيل القسط الابيض وهو
مبين في باب المفردات من الطب والاشفية جمع شفاء على خلاف القياس والقسط بضم القاف
ويقال كسط بالكاف والسبعة انه ينفع من ذات الجنب وحصر البول وضعف شهوة الطعام
والجماع والسم ويدر الطمث ويمنع امراض الكبد والتي تبع والسبعة علمت بالوحي وما عداها
بالتجربة وقوله صلى الله عليه وسلم كما تقدم الكلام فيه **ما ملا ابن آدم وعاء** شبه البطن
بالوعاء الذي فيه الطعام **شرا من بطن** وفي بعض النسخ من بطنه والشرية في البطن محققة لانه
يضر ويورث الكسل المانع من العبادة وفي المفضل عليه تقديرية **فان كان ولا بد** اي اذا لزم
واصل معنى البد المفارقة يقال لا بد من كذا ولا محالة اي لا مفارقة ولا عدول فاريد به لازمه
فثلث من البطن **للطعام وثلث للشراب وثلث** يكون خاليا **للنفس** اي لدخوله وخروجه
وهذا ايماء الى انه لا ينبغي ملؤه بتمامه وان يكون ما فيه اقل من مالك ثلثيه وهذا بعض حديث
رواه ابن ماجة والترمذي وابن خزيمة وابن حبان مرفوعا وحسنوه وهو ما ملا ابن آدم وعاء
شرا من بطن حسب ابن ادم لقيمات يقمن صلبه فان كان ولا بد فثلث الخ وجعله من طبه لانه
يبين منه الصحة والمرض ومقدار ما يكفي البدن وربما توهم بعضهم انه يضعفه وقد قال
بعض اهل الكتاب ليس في كتابكم الطب فقال له بعضهم قوله تع كلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال
انها جمعت طب جالينوس ثم ذكر ما يتعلق بعلمه صلى الله عليه وسلم بالانساب ولم يراع في اللف
والنشر ترتيبا فانه ليس بلازم وقد يستحسن تركه اعتمادا على فهم السامع فقال **وقوله** صلى الله
عليه وسلم في حديث رواه الترمذي عن فروة واحمد عن ابن عباس مسندا **وقد سئل عن سبا**
بهمزة في اخره يجوز ابدالها الفا وعلى همزه يصرف ولا يصرف فيجوز تنوينه وعدمه وهذا
مما اختلفوا فيه وفي مسماه **اهو رجل ام امراة ام** اسم **ارض** كان يسكنها وينزل بها **فقال**
هو اسم **رجل** سمي باسمه ارض وهي مدينة بلقيس باليمن فلا خلاف بين القولين فصرفه ظاهر
ومنعه لانه اريد به قبيلته فان اريد به الارض فباعتبار البقعة **ولد عشرة** من الاولاد
الذكور **تيامن** اي سكن اليمن فتوالد منه اكثرهم ونسبوا له وهم مذحج وحمير وكندة والازد
والاشعريون كما ذكره علماء النسب واهل التاريخ واليمن اقليم معروف منه تهامة وعند المل…
وتشاءم اربعة سكنوا الشام بالهمزة وقد تمد وتبدل الفا وهو من الفرات الى العريش وهم
لخم وجذام وعاملة وغسان كما قاله الواحدي في تفسيره وتحت هؤلاء قبائل وبطون
وافخاذ ليس هذا محل تفصيلها **الحديث بطوله** بالنصب اي اذكر الحديث هذا وفيه اشارة الى
انه اقتصر على بعض منه يكفي فيما اراده وترك الباقي بطوله والغني عنه واختلف في وجه تسميته

خلاط

لـ

والانمار وخثعم وبجيلة
بنة

الشام شامًا فقيل لانها في جانب اليسار ويقال له شامي كيسري وقيل سميت باسم سام بن
نوح وعربت بالاعجام وقيل انه بمعنى الشامة لشاماتٍ حمرٍ وسودٍ فيها **وكذلك** اي مثل ما تقدم
من علمه صلى الله عليه وسلم بالانساب **جوابه** صلى الله عليه وسلم لمن ساله وهو عمرو بن مرة **في
نسب قضاعة** في حديث رواه احمد وابو يعلى والطبراني عن عمرو بن مرة الجهني انه صلى الله عليه
وسلم قال من كان هنا من معد فليقم فقال اقعد فقلت ممن نحن فقال انتم من قضاعة بن مالك
بن حمير وقضاعة بضم القاف وضاد معجمة وعين مهملة ابو حي من اليمن لقب به لانفصاله عن
الناس لان القضاعة ما ينفصل عن اصل الحائط وقيل من قضع بمعنى قهر لقهره بشجاعته من عاداه
وقيل القضاعة من اسماء الفهد او كلب الماء **وغير ذلك** المذكور **مما اضطرت** بالبناء للمفعول
وهو لغة القرآن الفصحاء والفاعل افتعال من الضرورة والاحتياج قال تعالى ام من يجيب المضطر
اذا دعاه **العرب على** اي مع **شغلها** بضم ويجوز فتحها والاول هنا اولى اي اشتغالها وتقيدها
بالنسب اي بمعرفته وحفظه لاعتنائهم بضبط انسابهم ومع ذلك اضطروا والتجاوا **الى سؤاله**
صلى الله عليه وسلم **عما اختلفوا فيه** لخفائه عليهم **من ذلك** اي معرفة ذلك اي مشكل انسابهم
ومعرفة ما اشكل عليهم ما جل امرهم ضبطه وهو صلى الله عليه وسلم لا يعتني به ولا يشتغل بحفظه
يدل على قوة معرفته بالانساب وفي نسخة مصححة ومن ذلك بالواو وهو خبر مقدم وقوله **قوله**
مبتدا او اخرى له صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البزار **حمير** وهم قوم من العرب بوزن درهم
بن سنان بن يشجب **راس العرب** اي منزلتهم من الشرف في العرب بمنزلة الراس من الجسد **ونابها**
وهو سن كبيرة خلف الرباعية اي هم عمدتهم ومن اشدهم وهم من ولد معد بن عدنان ومن ذرية
اسمعيل **ومذحج** بفتح الميم وسكون الذال المعجمة وكسر الحاء المهملة وجيم وهما حيان من العرب
مالك وطي سميا باسم اكمة ولدتهما امهما عندها وميمه زائدة فوزنه مفعل وقال الجوهري
اصلية فوزنه فعلل ووهم فيه مما فصل في كتاب سيبويه وشروحه وليس هذا محله **هامتها**
اي راسها **وغلصمتها** بفتح الغين المعجمة وسكون اللام وفتح الصاد المهملة وميم وها وهي لحمة
بين الراس والعنق او راس الحلقوم وفيه اشارة الى اشتراكهما في الشرف وتخصيص كل بفضيلة
مع التفنن في التعبير فان الراس والهامة متقاربان والناب والغلصمة يحتاج لكل منهما في
اساغة الطعام الذي هو مادة الحياة وقيل انه تفضيل المذحج لان الحاجة للغلصمة اشد ولك
ان تقول انه اشارة الى انه في حمير مع الشرف شدة وقهر وفي مذحج لين ونفع وعلى كل حال فما
وصفوا به دال على المدح والشرف على طريق التشبيه البليغ والمجاز المرسل بتسمية الكل باسم الجزء
وقول ابي بكر رضي الله عنه في حديثه المشهور امن هامها ام من لهازمها اي اشرافها او اوساطها
يدل على تفضيل حمير **والازد** بهمزة مفتوحة وزاي معجمة ساكنة ودال مهملة وهو الازد بن الغوث
وهو بالسين افصح كما في القاموس ابو حي باليمن منه الانصار ويقال ازد شنوءة وعمان والسراة
والازد بن الغوث محلات **كاهلها** بوزن فاعل وهو ما يلي العنق من اعلى الظهر كما قاله الخليل وعليه الكل
والحمل وقيل ما بين كتفيه او موضع العنق في الصلب **وجمجمتها** بضم الجيمين وميمين وهي
عظام الراس وتطلق على الراس نفسها وجماجم العرب بطون منها والجمجمة ايضا اسم قدح معروف
وفيه اشارة الى ان غيرهم وان كان اشرف كالمهاجرين والخلفاء فيهم الفضل بعما وتبهم وحمل
كدهم لان الانصار منهم **وهمدان** بسكون الميم ودال معجمة قبيلة باليمن وبفتح الميم اسم بلدة
غاربها هو من البعير كالكاهل من الانسان والكتف **وذروتها** بكسر الذال المعجمة وضمها وسكون

الراء المهملة اي اعلاها وسنامها ففيه من المعرفة بانساب العرب ومنازلها في الشرف
والاحاطة باحوالها ما لا يهتدي له سواه صلى الله عليه وسلم وقيل اراد بالذروة اعلى السنام
وان مخايل الضعف والنكارة لائحة على هذا الحديث لتكريره ذكر الراس بالفاظ مختلفة ولذا جزم
ابن حجر بانه منكر قلت اما النكارة من جهة الرواية فسلم واما من جهة تكراره المذكور فتفنن
بديع ونوع من الفصاحة فلا وجه للاستدلال به وهو عليه **وقوله** صلى الله عليه وسلم في
حديث رواه الشيخان عن ابي بكرة في خطبة حجة الوداع ولفظ قوله في جميع ما وقع هنا بالحق
رواية عن المصنف وان جاز رفع بعضها **ان الزمان قد استدار** اي عاد لما كان عليه كالدائرة
التي يرجع انتهاؤها الى ابتدائها **كهيئته يوم خلق الله السموات والارض** وتتمة الحديث السنة
اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر بين
جمادى وشعبان انتهى وقيده بذلك دفعًا للنسيء وتغيير الشهور الذي كانت الجاهلية تفعله فانهم
كانوا اهل حروب وغارات فربما اتاهم بعض الاشهر الحرم وهم محاربون فيشق عليهم الترك فيحلونه
وينقلونه من شهر الى آخر ويستمر نقله من شهر الى آخر بعد سنة حتى يعود لموضعه فينتقل بذلك
شهر الحج وكانوا يحجون في كل شهر عامين فوافق حجة ابي بكر العام الثاني من حجة ذي القعدة فلما حج
صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وافق شهر ذي الحجة المشروع فوقف كما هو الآن فخطب واعلمهم ان
حجه في هذا الشهر ليس اتفاقيا لموافقته لدوران الشهور في الجاهلية وانما هو امر شرعه الله وقدره
في الازل وامره به نسخا لما كانوا يفعلونه وامرهم صلى الله عليه وسلم بالمحافظة عليه وان لا يبدل
ويدور ودور الجاهلية الاولى فقوله استدار بمعنى رجع لما في علم الله وقضائه قديما وهو معنى
قوله يوم خلق الله الخ فمعنى النسيء ونسخ وكانوا اذا ارادوا ذلك يقوم رجل من بني كنانة لانهم
اهل غارات على جمل بالموسم وينادي باعلى صوته ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه واستدارته
بموافقة حجه المشروع ولذا لم يحج صلى الله عليه وسلم قبله وارسل ابا بكر رضي الله عنه بالعهد ليطهر
الحرم قبل حجه ونقل ابن حجر ان حجة الوداع كانت والشمس في الحمل وقد تساوى الليل والنهار
واعتدل بشرف شمس النبوة وقال الصدر القونوي في شرح الاربعين حديثا له ان في هذا الحديث
اسرارا الهية لا يطلع عليها الا بعض الكمل ثم قال ان النوع الانساني اوجد بالامر الالهي في اول
دور السنبلة ومدته سبعة الاف سنة بعث نبينا في الالف الاخير منها الجامع بين احكام السنبلة
والميزان المختص بالآخرة والبروج تتمازج بالقرب فامتزج في زمان بعث الدنيا بالآخرة البرزخ
كالصبح بالنسبة للنهار فظهور النور تدريجا حتى تطلع الشمس وكذلك ظهور احكام الآخرة من
حين المبعث الى طلوع الشمس من مغربها ومنه ظهر سر ختمية النبوة والولاية انتهى ملخصا ومن لم
يفهم الحديث هنا اثباتا للعلم بالحساب فان الزمان وحركاته الدورية مخفية عليه **وقوله** صلى
الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن ابن عمرو رضي الله عنهما **في الحوض** اي في شان حوضه
الذي يكون يوم القيمة يشرب منه العطاش وقد تقدم الكلام فيه رزقنا الله وروده وسقانا
منه شربة لا نظما بعدها **زواياه سواء** جمع زاوية وهي ما يحصل من تلاقي خطين من داخله
وسواء بمعنى متساوية وهذا يقتضي انه مربع متساوي الاضلاع مستقيمها فانه لا تتساوى
زواياه الا اذا استقامت اضلاعه وهذا امر مبني على المسامحة ودقائق الهندسة وحكى ابن
ابي الاصبع انه نوع من البديع غريب سماه الاستقصاء وان منه قوله تعالى الى ظل ذي ثلاث شعب
فقال انه ايماء الى انه ليس بظل لان المثلث لا ظل له وهذا كله كلام يحتاج للتحرير لكن لكل مقام

معال وهذا لا ينافي ما ورد فيه من ان مسافته ما بين ايلة وصنعا ومسافة شهر وغير
ذلك لانه اعلم باحوال الدنيا بعد شي كما قيل بلى لان المراد من كل زيادة سعته فهو كما في المثل
كل حاسر هرسي اليه طريق وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابو داود وابن ماجة
عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما في حديث الذكر وهو انه صلى الله عليه وسلم
خصلتان لا يحصيهما رجل مسلم الا دخل الجنة وهما يسير ومن يعمل بهما قليل تسبيح الله عز وجل
دبر كل صلاة عشرا ويحمده عشرا ويكبر عشرا قال فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعقده
بيده فذلك خمسون ومائة باللسان والف وخمسمائة في الميزان فاذا اوى الى فراشه
سبح وحمد وكبر مائة فتلك مائة باللسان والف في الميزان فايكم يعمل في اليوم الفين
وخمسمائة سيئة الى آخر الحديث وان الحسنة بعشر امثالها فتلك مائة وخمسون على
اللسان اي اذا جرت على اللسان وذكرت في دبر كل صلاة من الصلوات الخمس فانها تكون
مضروبة في خمس مائة والف وخمسمائة في الميزان التي توزن بها الاعمال والوزن اما للصحف
او لها نفسها بجعل الاعراض اجساما وعند المعتزلة انه تمثيل لمضاعفة اجرها فان الحسنة بعشر
امثالها كما ورد به النص وهو اقل مراتبها وقد تزيد على ذلك وهذا اشارة لا نص المصنف على معرفته
صلى الله عليه وسلم بالحساب وهو بالنسبة لمقامه وجزم ذهنه امر سهل وقوله يعقدها اشارة
الى انه لم يكن له صلى الله عليه وسلم سبحة يسبح بها ولذا قال بعضهم انها بدعة ولذا قال السيوطي
في رسالة سماها المنحة في السبحة انها سنة وان لم يباشرها بنفسه لانه صلى الله عليه وسلم راى
بعض الصحابيات تعد بالنوى في الذكر فاقرها عليها وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه
الطبراني عن ابي رافع بسند قال الراوي فيه ضعفا وهو في موضع جملة حالية وفي نسخة وهو
بموضع يعني موضع الحمام هذا بفتح الحا المهملة وتشديد الميم بيت يعد للغسل يذكر ويونث
ولم يكن في عصره صلى الله عليه وسلم حمام ولم يدخله وهذا تمثيل لما لم يذكره فان فيه محال البنا
ومهاب الهوا ونحوه للمدح والمخصوص به هذا وقوله موضع الحمام كقوله نعم دار المتقين وقوله
صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي عن ابي هريرة وصححه ما بين المشرق والمغرب
قبلة القبلة تطلق على المسجد كما في قوله واجعلوا بيوتكم قبلة في احد التفاسير وعلى الكعبة
وعلى جهتها وسمتها وهو المراد هنا لانه المراد عند الاطلاق وهو اما بيان لقبلة اهل المدينة
لانهم المخاطبون او على من هي في جنوبه او شماله والنبت عليه وقال ابن عمر اذا جعلت
المغرب عن يمينك والمشرق يسارك فما بينهما قبلة واما كون الواجب استقبال عين الكعبة ام
او جهتها فمبحث طويل مفصل في التفسير وكتب الفقه ولا يسعه هذا المقام والشاهد في
الحديث انه يدل على علمه صلى الله عليه وسلم بعلم الميقات فان معرفة سمت القبلة باب منه يتضمنه
هذا الحديث وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث ذكره ابن الاثير في النهاية ولم يخرجه السيوطي
لانه لم يقف عليه لعيينة بن حصن الفزاري ويكنى ابا مالك واسلم يوم الفتح وكان من المولفة
وكان من جفاة الاعراب وهو الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم انه الاحمق المطاع لانه كان سيد
قومه وعيينة علم منقول من تصغير العين او الاقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان
بن مجاشع التميمي واسمه فراس ولقب بالاقرع لقرع في راسه وهو من المولفة ايضا وكان شجاعا
فارسا شريفا في قومه في الجاهلية والاسلام اسلم وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
في وفد بني تميم وهو الذي نزل فيه ان الذين ينادونك من وراء الحجرات وقصته مذكورة

بالمدينة صح

في الشر والشك في المقول له من الراوي وقال ابن الاثير انه صلى الله عليه وسلم عن
الخيل وعنده عيينة فقال انا اعلم بالخيل منك فقال صلى الله عليه وسلم انا افرس بالخيل
منك اي ابصر واعرف وتصدر الفراسة بالكسر من التفرس وهو معنى آخر وهو رد عليه
باسلوب حكيم ولم يقل له لست كذلك لما يعلمه من انه اعرابي جافي وقوله صلى الله عليه وسلم
في حديث رواه الترمذي عن زيد بن ثابت لكاتبه وكان له كتبة عدة والمقول له منهم
قيل انه معاوية رضي الله عنه وقد عد البرهان في حاشيته هنا كتاب النبي صلى الله عليه
وسلم فبلغ عددهم ثلاثة واربعين وعدهم شيخنا الحافظ العراقي وقال ان شيخه الجمال الانصاري
افردهم بتاليف قلت وقفت انا ايضا على تاليف لابن ابي الحديد فيهم وكان لم يقف
عليه ولم يفصلهم هنا لان له مقاما آخر وكان المراد ومن على الكتابة له صلى الله عليه وسلم زيد
ومعاوية ضع القلم على اذنك لم يعينها والمراد اليمنى فانه اي وضعه كذلك اذكر
اي اكثر ذكرا بكسر الذال لواضعها وهو ضد النسيان للمملي اسم فاعل اصله الممل وجوز فيه ان
يكون اسم مفعول ايضا اي لما يذكر ويملي واملي بمعنى وهو القا ما يكتب على الكاتب
وبهما ورد القرآن قال تعالى فليملل الذي عليه الحق وقال تعالى فهي تملى عليهم والاصل امللت
فقلبت تخفيفا كما قاله الراغب واما قوله تعالى واملي لهم ان كيدي متين فمعناه امهلهم هذا
اي خذ هذا او اذكره وقيل ها اسم فعل بمعنى خذ من غير تقدير والرسم بخلافه وهي كلمة مستعملة
في الانتقال والتخلص من كلام لاخر وما يتممه وهي كذلك في القرآن وكلام العرب اي معرفة
صلى الله عليه وسلم بالكتابة واحوالها مع انه صلى الله عليه وسلم امي من امة امية لا يكتب
ولا يحسب من معجزاته لانه كان لا يكتب كما تقدم بيانه وانه قيل انه كان ذلك في اول
امره وانه كتب بعد ذلك في الحديث كما ذكره بعضهم وقد ردوه وشنعوا عليه كما فصله ابن
حجر في تخريج احاديث الرافعي وقد تقدم بيانه في غير ما موضع ولكنه اوتي بالبنا للمفعول
للعلم بان المؤتي له هو الله علم كل شي حتى وردت آثار جمع اثر وهو ما يوثر ويروى
مطلقا وقد يخص بما يقابل الحديث المرفوع من كلام بعض الصحابة والتابعين بمعرفة حروف
الخط اي كيفية رسمها وحسن تصويرها اي صورتها المستحسنة عند اهلها ومن مارسها
كقوله صلى الله عليه وسلم لكاتبه لا تمد بسم الله الرحمن الرحيم اي لا تجعل السين مدة
طويلة من غير بيان لسنانها فانه يلبس صورتها وفي نسخة لا تمدوا ورواه ابن شعبان من طريق
ابن عباس رضي الله عنهما وابن شعبان هو محمد بن القاسم بن شعبان بن اسحاق المصري المالكي
توفي سنة خمس وخمسين ومائة وضعفه ابن حزم وله ترجمة في الميزان وقال السيوطي
في حديث ابن عباس لا تمد بسم الله الرحمن الرحيم لم اجده وللديلمي من حديث انس اذا كتب احدكم
بسم الله الرحمن الرحيم فليمد الرحمن وله من حديث زيد بن ثابت اذا كتبت فبين السين في
بسم الله الرحمن الرحيم وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر الذي يروى بالبنا
للمجهول ونايب فاعله قوله عن معاوية ابن ابي سفيان احد كتبته صلى الله عليه وسلم
كما تقدم وفي نسخة الذي يروي معاوية اي يرويه ويروي مبني للفاعل على هذا انه
كان يكتب بين يديه اي عنده وفي مجلسه فقال له الق الدواة امر بفتح الهمزة
وكسر اللام وكسر القاف لالتقاء الساكنين يقال لاق الدواة يليقها ليقة وليقا والاقها
ولاق يتعدى ولا يتعدى اي اصلح مدادها من قولهم لاق به اذا الصقه ومنه يليق بك

ض
ري
فة
ف
بق

كذا ولا يليق اي يناسب واشتهر اشتعاره لانه فيما يجعل في الدواة من حرير او ليف او نحوه لانه يصلحها المبغة كره اخذ المداد في القلم الذي قد يفسد الخط **وحرف القلم** اي اجعل قطعه محرفا فانه اعون على تصوير الكتابة وقد يكون تحريفه من جهة اليمين **واقم الباء** اي اجعلها مستقيمة او طوطها قليلا لانها عوض عن الف اسم **وفرق السين** اي اجعل ما سنها منفصلا بعضها من بعض **ولا تعور الميم** اي تجعل دائرتها مطموسة كالعين العورا وهو بضم المثناة الفوقية وفتح العين المهملة وكسر الواو المشددة وراء مهملة **وحسن الله** اي كتابته وصورة لفظه تعظيما لمسماه **ومد الرحمن** لم يبينوا معنى المد فيه فهو بمعنى مد ما بين الميم والنون هكذا الرحمن عوضا عن الالف الساقط خطا او المراد رسم الف بعده وبعده بمخالفة رسم المصحف العثماني **وجود الرحيم** اي حسن كتابته والتجويد مطلق التحسين وخص في العرف بتحسين الخطوط وفي عرف القراء تحسين التلفظ بالحروف ورعاية مخارجها وصفاتها وهذا الحديث رواه الديلمي في مسند الفردوس **وهذا** اي معرفته صلى الله عليه وسلم بالخط وهو مبتدا خبره قوله الآتي فلا يبعد والفا زائدة او خبر مقدر اي محقق ونحوه والفا في جواب الشرط **وان لم تصح الرواية انه عليه الصلاة والسلام كتب** بيده الشريفة اشارة الى ما قاله الباجي من انه روي انه صلى الله عليه وسلم كتب بيده في الحديبية كما تقدم وانه لا يضر في كونه اميا لانه كان في بدء امره لامر انقضى بانقضاء سببه فهو معجزة له اخرى **فلا يبعد عقلا ان يرزق علم هذا** اي علم الخط من غير تعليم **ويمنع الكتابة والقراءة** من المصحف قبل ولا يبعد ان تعطى الكتابة والقراءة في وقت معجزة اخرى له يشهد له ما في البخاري انه صلى الله عليه وسلم اخذ الكتاب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله في عمرة القضا وانه قال لعلي كرم الله وجهه امح رسول الله لما اباها بعض المشركين فقال والله لا امحوها ابدا فاخذ الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله اقول قد علمت انه معنى ما له صلى ورد عن الباجي انكرها عليه اهل عصره ونسبوه للزندقة وعقد مجلس له فحاجج علماء عصره وقالوا انه مخالف لنص الحديث والقرآن وكونه عد من معجزاته فاجاب بانه صرح به في حديث البخاري والتجوز خلاف الاصل وفي القرآن ما يشير اليه لان قوله ما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك فقوله من قبله يقتضي كتابته من بعده وهو معجزة لا تنافي كون اميته معجزة في اول امره وقد ذكره ابن حجر وغيره من شراح البخاري **واما علمه صلى الله عليه وسلم بلغات العرب** جميعها قبايل وبطونا وكل احد لا يعرف ولا ينطق الا بلغته حتى لو حاول التكلم بغيرها لم يطق **وحفظ معاني اشعارها** وان كان لا يقول الشعر ولا ينشده وان انشده نادرا غيره وزنه في اكثر احواله الا انه كان ترد عليه شعراء العرب المفلقون بمدايح يمدحونه بها وتنشد بين يديه فيصغي لها ويعلم منها ما لا يعلمه غيرهم من فصحائهم الا ترى كعبا لما انشد قصيدته وقال فيها

تنوا في حرتيها البصير بها • عتق مبين وفي الخدين تسهيل

قال الصحابة رضي الله عنهم الحرتان العينان فقال لهم صلى الله عليه وسلم لا بل الاذنان وهو كذلك عند العرب الا ترى قول علقمة هم

له حرتان تعرف العتق فيهما • كسامعتي مذعورة وسط ربرب

وقد نقل بعضهم نظاير لهذه القصة والثمرة تدل على الشجرة وفي ذكر الشعر بعد الكتابة مناسبة

تامة اذ كل منهما مما عرفه صلى الله عليه وسلم اتم معرفة ولم يتلبس به وهو من مقاصد الحسنة وفيه دليل على ان ذكر الشعر والبحث عنه امر مسنون كغيره من العلوم وقد قالوا ان معرفته من فروض الكفاية حتى شعر المولدين كما ذكره السيوطي في شرح منظومة المعاني والبيان واختلفوا بعد الاتفاق على امتناع الخط حتى قال الشافعية بحرمتها هل كانت يحسنهما اولا فقيل بكل من القولين كما في الروضة والحفظ يتعلق بالمعاني والالفاظ فلا وجه للاعتراض عليه ولو قال فهم كان اظهر **فامر مشهور قد نبهنا على بعضه في اول الكتاب** في فصل فصاحته كما تقدم **وكذلك** اي مثل معرفته للغات العرب **حفظه لكثير من لغات الامم** غير العرب وهذا ترق في معرفته ودليل على انه معجزة وموهبة ربانية **كقوله في الحديث** الذي رواه البخاري عن ام خالد **سنه سنه** قاله صلى الله عليه وسلم لام خالد وهي بنت خالد بن سعيد بن العاص وامها امينة بنت خلف تزوجها الزبير وهي صحابية ولدت بالحبشة ونشات بها وهي صغيرة ولذا تلطف النبي صلى الله عليه وسلم وخاطبها بما تعرفه من لغتهم وان كانت عربية من صميم العرب وقال لها لانه اتي بثياب فيها خميصة صغيرة سودا فيها اعلام صفر وخضر فدعاها والبسها اياها وقال لها ذلك كما فصله البخاري وفيها لغات سنه سنه وسنا سنا بالقصر وسناه سناه مع تخفيف النون وتشديدها وانكر بعضهم تخفيفها وروي كسر سين سنا فقول الكرماني انها عربية واصلها حسنة فحذفت بحذف الحاء من الاسماء في غير ترخيم النداء مع شذوذه لم يتمهد من الاول **وهي** اي سنه بمعنى **حسنة** انها باعتبار الخميصة ولمناسبة سنا لفظا **بالحبشية** اي بلغة الحبشة وهم جيل معروف وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان وغيرهما من طرق في حديث الفتن المتقدم **ويكثر الهرج** بفتح الهاء وسكون الراء المهملة وجيم **وهو القتل بها** اي بلغة الحبشة فعبر به صلى الله عليه وسلم وقال ابن قرقول في المطالع فسر في الحديث بالقتل بلغة الحبشة وهو وهم من بعض الرواة والا فهي عربية صحيحة واصل معناه اختلاط الناس بعضهم ببعض ومنه لن يزال الهرج الى يوم القيمة والعبارة في الهرج كثيرة الى غير منتهى وهو رد لما قاله المصنف ولمن تبعه ان تفسيره مروي في الحديث ومنه يعلم انه ورد بمعنى الفتنة وما قيل من انه المهرجان اسم يوم لانه يوم قتل يحيى بن زكريا لا وجه له لانه يقتضي انه فارسي ولم يقله احد وقيل انه من توافق اللغتين وهو اقرب الى الصواب ان صحت الرواية فيه ومنه المثل هم في هرج وبرج والمرج بمعناه وتسكينه للازدواج وقد تظرف القايل

اتى زمن الربيع فهاج قوم • الى الصهباء في هرج ومرج

وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابي هريرة الذي رواه ابن ماجه عنه **اشكنب درد** وفي بعض الروايات اشكنب دردم بزيادة ميم ساكنة واشكنب بهمزة مفتوحة وشين معجمة ساكنة وكاف عربية مفتوحة ونون ساكنة وباء موحدة ساكنة وفسره المصنف بالبطن وفي الهاء بهمزة مكسورة وقد تفتح ويزاد فيها ها فيقال شكنبه بكسر الشين فعربت وغير لفظها ومعناها فان معناها الكرش عند العجم ودرد بدالين مهملتين مفتوحتين بينهما راء مهملة ساكنة والميم عندهم ضمير المتكلم وسياتي ما فيه والصحيح اهمال الدالين واسقاط الميم كما رواه ابن ماجه وضبطت الرواية عنه فانه فروي اعلم بلغته وثقة في الرواية فما قيل ان دال درد الاولى معجمة وهم من راويه كرواية الميم لانه لا يناسب قوله **اي وجع البطن** فانه لو صح ذلك قال اي وجع بطني وفسره غيرهم بوجع بطنك وانسب بترك الميم الا ان يقال ترك معناه التعريب والذي

رواه ابن ماجة شكم بشين مكسورة وكاف مفتوحة وهو اصح لان شكم بالفارسية معناه
البطن وفي سننه قال ابو هريرة هجر النبي صلى الله عليه وسلم فهجرت وصليت ثم جلست
فالتفت الي وقال شكم درد فقلت نعم يا رسول الله فقال قم فصل فان في الصلاة شفاء كذا
صححه الشارح الجديد نقلا عن شيخنا ابن عبد الحق السنباطي وغيره وهو الحق المعتمد فاعرفه
فان شيخنا هذا خاتمة الحفاظ بمصر واليه انتهى علم القرآن وله تاليف مشهورة رحمه الله وروى
اشكنب بكسر الهمزة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله لابي الدرداء والمشهور الاول كما قاله
التلمساني ولم يذكروا وجه تكلمه صلى الله عليه وسلم معه بالفارسية وهو ليس بعجمي فلعله
اراد ستره ولذا ورد انه قال ثم فسره لي وذكر البرهان بعضا مما تقدم وقال انه في بعض النسخ
اشقنب بالقاف وهو غريب ولم يشتهر رواية فاعتمد على ما قدمناه وقوله **بالفارسية**
اي باللغة الفارسية نسبة لفارس بن كومرث وكومرث بن سام او يافث وقيل انه ولد لصلبه
وقيل انه آدم عندهم ويقال لهم العجم ومما تكلم به بالفارسية لفظ سور في حديث جابر
وهو الدعوة للطعام وبالفارسية العرس **الى غير ذلك** اي فضموا ما ذكره من معرفته باللغات
او من معارفه التي لا تحصر **مما لا يعلم بعض هذا** وفي نسخة بعضه فضلا عن كله **ولا يقوم به**
اي يوفي حقه كله **ولا ببعضه** فضلا عنه كله **الا من مارس الدرس** اي عالجه واجتهد في
حفظه ودراسته وتلقيه من اهله وفي نسخة الدروس **والعكوف على الكتب** اي ملازمة
مطالعتها ومذاكرتها والنظر فيها من الاعتكاف وهو ملازمة المكان فاستعاره لما ذكره وفيما
تقدم دليل على جواز التكلم بغير العربية ولو بلا ضرورة خلافا لمن ذهب لكراهته وروى
فيه احاديث واهية كمن تكلم بالفارسية نقصت مروءته وانه يورث النفاق وانه لسان
اهل النار لحديث الفارسية لسان اهل الجنة في الجنة **ومثافنة اهلها** مفاعلة من ثفن بمثلثة
وفاء ونون اي جالسهم ولازمهم وهو ابلغ منه لانه من ثفن البعير اذا برك والثفنات ما غلظ الطول
مسه للارض كالركب وصدر الدابة من ذوات الاربع يعني جلس بين يديهم للتعلم كالبعير البارك
على الارض وهذه هيئة المتعلم في ادبه وقال التلمساني هي المشتقة من ثافنته اعنته وروي
مثاقنة بمثلثة وقاف وموحدة كما تقدم انتهى وفي بعض النسخ منافثته بنون وفاء ومثلثة اي
مباحثته ونظر في الدقائق التي كنفثات السحر وفيه نظر وفي بعض الشروح ما لا معنى له هنا **عمره**
منصوب على الظرفية متعلق بجميع ما قبله اي نعل ذلك مدة عمره ولم يتركه طرفة عين **وهو**
صلى الله عليه وسلم رجل كما قال الله تعالى **امي** اي منسوب الى الام كانه كما خرج من بطن امه لم
يتعلم وهو مبرؤ من كل عيب او الى امة العرب لانهم معروفون بذلك كما قال الشاعر
عمي خالي وابي امي • فقوله **لم يكتب ولم يقرا** صفة كاشفة مفسرة وانما ذكر قوله كما قال
الله تعالى تادبا يعني لم اصفه صلى الله عليه وسلم بهذا الا اتباعا لما وصفه الله به بقوله اذ اوحينا
الى رجل منهم وهو قيد لما قبله وما بعده فلا يقال انه ترك ادب فان مثله لا يقال له يا رجل
كما لا ينادى باسمه فلله دره ما ابعد مرماه **ولا عرف بصحبة من هذه صفته** اي الكتابة
والقراءة حتى يقال انه تعلم منه فهذه الصفة في حقه معجزة وفي حق غيره نقص كما قال
كفاك بالعلم في الامي معجزة • **ولا نشا** اي لم يكن من اول نشاته وبدء امره الى
بعثته **بين قوم لهم علم** اي معرفة بشيء من العلوم لانهم من الجاهلية **ولا قراءة لشيء من**
هذه الامور اي الكتب وغيرها لانهم لم يكونوا اهل كتاب **ولا عرف هو** صلى الله عليه وسلم **قبل**

مبني

مبني على الضم اي قبل بعثته وظهوره ومعرفته بما ذكر **بشيء منها** اي مما ذكر من المعارف
اللدنية ثم استدل على ذلك بقوله **قال الله تعالى** وفي نسخة عز وجل **وما كنت تتلو من قبله**
اي القرآن وما علمك الله **من كتاب ولا تخطه بيمينك** اي بيدك اليمنى التي يكتب بها وهو تاكيد
وتصوير وبين الله علة ذلك بقوله **اذا لارتاب المبطلون** اي شكوا وقالوا لعله تعلمه ممن قراه
وكتبه ثم بين حال قومه في عدم ما ذكر بقوله **انما كانت غاية معارف العرب** اي ما انتهى اليه
علمهم **النسب** اي معرفة انساب قبائلهم الى اجدادهم **واخبار اوائلها** اي ما وقع لآبائهم واسلافهم
من الحروب والوقائع **والشعر** اي حفظ شعر من قبلهم من القصائد والمقطعات والابيات **والبيان**
ليس المراد به علم البيان المعروف لانه امر حادث كالنحو في غنى عنه بالسليقة ولا غيره من علم البلاغة
كله كما توهم ايضا وانما المراد به المنطق الفصيح المعرب كما في الضمائر وعنى به الخطب والرسائل
ونحوها من الكلام المنثور الذي كانوا يذكرونه في محافلهم لمقابلته للشعر وهو المعني بقوله
صلى الله عليه وسلم ان من البيان سحرا **وانما حصل ذلك لهم** اي معرفة النسب وما بعده **بعد**
التفرغ لعلم ذلك اي مع ذلك لم يكن علمهم بما ذكر الا بمزاولة واكتساب وصرف زمان لكسبه
حتى عرف به بعضهم دون بعض فكانه يقال فلان نسابة وفلان راوية ونحوه **والاشتغال**
بطلبه ومباحثة اهله عنه بالسؤال عنه والحفظ له ولم يفهم منه اعتناء بذلك في اول الامر
وهذا الفن اي النوع الذي كانت العرب تعرفه وتعتني به **نقطة من بحر علمه صلى الله عليه**
وسلم اي اقل قليل بالنسبة لما ظهر من علمه لهم ونقطة استعارة وبحر علمه استعارة او كالبحر في الما
ولا سبيل الى جحد الملحد اي لا يمكن الكافر المائلين على الطريق المستقيم انكاره وهو اشارة
لتفسير قوله اذا لارتاب المبطلون **لشيء مما ذكرناه من معارفه** متعلق بجحد واللام زائدة
للتقوية **ولا وجد الكفرة حيلة** يبدلونها تلبيسا **في دفع ما قصصناه** مما تقدم تفصيله
الا قولهم اساطير الاولين استثناء متصل لانه مما احالوا به على بعض ضعفاء العقول او منقطع
لانه لا حيلة فيه وهو جمع اسطورة كاحدوثة او جمع اسطار جمع سطر او اسطير او اسطورة اي
هي احاديث ما سطره من قبله واكاذيب **وقالوا انما يعلمه بشر** اي هو ما تلقاه من غيره وتعلمه
فرد الله قولهم المذكور وابطله بقوله **لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي**
مبين اي لسان من ادعوا انه تعلم منه لسان عجمي فكيف يمكن تعلمه او التعلم منه ومعنى يلحدون
يميلون عن الحق بمقالتهم هذه **ثم ما قالوه** من انه يعلمه رجل عجمي **مكابرة العيان** بكسر العين
ولا تنفع فيه كما مر والمكابرة الانكار من غير دليل واصل معناه هجوم السارق **نهارا** اي معاينة
في المحسوس لا تفيد **فان الذي نسبوا تعليمه له** صلى الله عليه وسلم من عمهم الباطل **اليه**
ينسبوا اي اسندوه له **اما سلمان الفارسي** الصحابي المشهور رضي الله عنه لانه كان عبدا
صلى الله عليه وسلم **او العبد الرومي** وهو يعيش غلام حويطب ابن عبد العزى الرومي وكان
ممن قرا الكتب ثم اسلم وسياتي تفصيله **وسلمان انما اسلم وعرفه بالمدينة بعد الهجرة** وعلومه
صلى الله عليه وسلم ومعارفه هذه كانت ظاهرة قبل ذلك فكيف انه كان يعلمه **وبعد نزول**
الكثير من القرآن حتى هذه الاية وبعد ظهوره وفي نسخة نزول **ما لا يعد** لكثرته **من الايات**
القرآنية او العلامة الدالة على نبوته من المعارف المذكورة الدالة على ابطال زعمهم **واما العبد**
الرومي فكان اسلم قبل الهجرة و لكنه **كان يقرا على النبي صلى الله عليه وسلم** ويتعلم منه
فكيف يقال انه يعلمه **واختلف** بالبناء للمجهول اي اختلف المحدثون **في اسمه** كما سياتي في كلامه

فقيل انه بلعام او يعيش او جبر او يسار اما بلعام بموحدة مكسورة وقول البرهان انها مفتوحة
لا اصل له ولام ساكنة وعين مهملة والف وميم ويعيش بفتح التحتية وعين مهملة وتحتية ساكنة
وشين معجمة ذكره الذهبي في الصحابة وقال انه غلام المغيرة وهو الذي نزل فيه انما يعلمه بشر
وجبر بجيم مفتوحة وموحدة ساكنة وراء مهملة قال البرهان لم اقف عليه في الصحابة ويسار
بفتح التحتية المثناة وسيأتي تسمية لهذا في محله وقيل بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس
عنده اضراب عن اسلامه وقراءته عليه الى انه كان عبدا روميا يحترف بصقل السيوف عند
المروة مع الناس فكيف قالوا انه تعلم منه وهو لم يخل معه ولم يعرف وقيل المخالفة بينه وبين
الاول في ايهما كان يجلس عند الآخر فالاضراب انتقالي او ابطالي وكلاهما اي سلمان والغلام
الرومي اعجمي اللسان اي لسان كل منهما فيه عجمة وهم اي الطاعنون فيه بما ذكروا اسناد التعلم
له الفصحاء اللد جمع الد وهو الشديد الخصومة ويجمع على لداد ايضا من اللدد وهو العناد
وفي الحديث ابغض الرجال الى الله الالد الخصم وهم الخطباء جمع خطيب وهو ما يقوم على رؤوس
القوم بكلام بليغ ملزم مفحم ولا يشترط فيه ان يكون سجعا وقد كان للعرب ولكل قوم منهم خطباء
معروفون بالبلاغة وارتجال الكلام الجزل اللسن بضم اللام وسكون السين جمع لسن كحذر
وهو الفصيح اللسان الطلق البيان وقيل جمع السن فلا اسهاب فيه كما قيل وقد عجزوا بفتح
الجيم وكسرها عن معارضة ما اتى به اي مقابلته بكلام يحكيه والاتيان بمثله عطف
تفسير مع تحديه وطلبه منهم وتقريعهم بل عجزوا كلهم عن فهم وصفه ومعرفة بلاغته
ووجه اعجازه ونظمه فتارة قالوا هو شعر وتارة قالوا انه سحر وكهانة والحق يكذبهم والفصا حة
تنادي على فصاحتهم وصورة تاليفه اي عجزوا عن فهم صورة تاليفه ونظمه المعجز فانه لا
يشبه كلام البشر والتاليف اخص من التركيب لانه تركيب مع الفة ومناسبة وفي اكثر
النسخ رصفه بالراء المهملة جمع رصيف بفتحتين وهو في الاصل وضع بعض الحجارة على بعض
فاستعير لترتيب الكلام المتين المحكم وفي بعض النسخ ونظمه وهو ما قبله معطوف على وصفه
ويجوز عطفه على معارضة والاول اقرب والنظم مستعار من نظم الدر لتناسق الكلمات التي
كالجواهر وما بعده بل ترق في العجز ومغايرته لما قبله ظاهرة لا احتياج لتوجيهه الا بعدم
الفهم فكيف هي للاستفهام عن الحال والوصف المبهم ومرادها التعجب نحو كيف تكفرون
بالله وقوله باعجمي متعلق بمقدر اي كيف الظن باعجمي وهذا تركيب سائغ في كلامهم تقول
كيف بك اذا جاء الشتاء الكن من اللكنة وهي عدم افصاح اللسان وبيان النطق نعم بفتحتين
وقد تكسر عينه ويقال نعام ايضا في لغة وهي كلمة تقع في جواب الكلام الموجب وقد تقع في
ابتداء الكلام كما هنا فكانها جواب سؤال مقدر وفي غير جواب كما يقال من طرق الباب نعم نعم
وعليه حمل قول جحدر • نعم وارى الهلال كما تراه • وقال بعضهم انها زائدة في مثله
وفيه كلام لم يحضرني الآن وقد كان سلمان الفارسي رضي الله عنه او بلعام وهو الغلام
الرومي بفتح البا الموحدة على ما تقدم واشتهر كسرها ويقال بلعم ايضا وهو اسم الغلام الروم
او يعيش بفتح المثناة التحتية وعين مهملة وياء تحتية وشين معجمة علم منقول من المضارع •
او جبر بفتح الجيم وسكون البا الموحدة وراء مهملة وهو عبد للفاكه بن المغيرة وقيل العباد الحضرمي
قيل ان سيده كان يضربه ويقول انت تعلم محمدا فيقول لا والله بل هو يعلمني ويهديني او يسار
بفتح المثناة التحتية وهذا المذكور مبني على اختلافهم في اسمه كما تقدم مبين اظهرهم خبر كان

اي مقيما بينهم يعرفونه ويقال الظهرانيهم بالف ونون مفتوحة كانه لاستناده اليهم ظهر
وراءه وظهر قدامه ثم كثر فشاع في الاقامة بين قوم في الظهر ويكلمهم ويكلمونه فكيف
لا يعرفون حاله وهو استدلال على كذبهم مدة اعمارهم اي في جميع مدة اعمارهم والاصل
معنى المدة الغاية ويطلق على جميع المدة الطويلة كما في النهاية وذكر الماوردي ان غلامين
نصرانيين من عين التمر احدهما يسار والآخر جبر كانوا يسندون لهما ما ذكر وقيل غير ذلك
فهل حكي عن واحد منهم اي من الكفرة شيء من مثل ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم تقدير نقله
عن هذين فان كان ضمير منهم لسلمان والغلام فهو تعبير عن المثنى بضمير الجمع تجوزا وفي
نسخة من مثل ما كان يجيء به وهل عرف واحد منهم بمعرفة شيء من ذلك الذي جاء به رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الآيات الباهرة وهو كالذي قبله وما منع العدو حينئذ اي حين
حضورهم معه على كثرة عدده بفتح العين اي ما منعهم مع كثرتهم وحرصهم على تكذيبه ودؤوب
طلبه بدال مهملة وهمزة وواو وموحدة مصدر بوزن القعود من الدأب وهو الجد والتعب
يقال دأب اذا اتعب ثم صار بمعنى العادة المسببة عن ذلك وصار حقيقة فيه ان يجلس
الى هذا الذي زعموا انه يعلمه فياخذ عنه اي يتلقن ويتعلم منه ايضا اي كما تعلم منه النبي
صلى الله عليه وسلم على زعمهم الفاسد ما يعارض به ما جاء به ويتعلم ما يحتج به اي
يجعله حجة ودليلا على شغبه اي لجاجه في خصومته وعناده وتهييج الشر بفتنة يقال
شغب به وعليه وهو بفتح الغين المعجمة هنا لوقوعه قافية لقوله طلب وهو لغة فيه كما في
القاموس وغيره ويسكن ايضا وهي اللغة المشهورة فيه ومن انكر الفتح وقال انه لغة عامية
كالجوهري لم ينصف مع ان الكوفيين يجوزون تحريك كل ما عينه حرف حلق كالشعر على انه
لو صح ما قاله قلنا له انه ازدواج ومشاكلة وحرفه بعض بتشعبه كفعل النضر بن الحارث
وهو من كفار قريش وكان ذهب الى الحيرة ليتعلم منهم اخبار ملوك الفرس رستم واضرابه
فكان اذا قرأ النبي صلى الله عليه وسلم القرآن وقص قصص الامم وحذرهم ما وقع جلس
النضر بن قريش وقص عليهم قصص ملوك الفرس وقال قد اتيتكم باحسن مما جاء به محمد
وهو الذي نزل فيه ومن قال سأنزل مثل ما انزل الله الآية ثم انه لم يزل كذلك مصرا
على عداوته صلى الله عليه وسلم حتى اظفره الله عليه فقتله كما ذكر في السير بما كان
يمخرق متعلق بفعل ويمخرق بمعنى يكذب والمخرقة لفظة مولدة ومعناها افتعال الكذب
يتلهى به احد وهي من المخراق وهي خرقة يلعب بها من يرقص وهذه لفظة عربية منها
زائدة تصرف فيها المولدون وتوهموا اصالة ميمها كما في قولهم تمسكن ويمخرق بضم التحتية
وفتح الميم وخاء معجمة وراء مهملة وقاف به من اخبار كتبه الذي كان يأتي بها ويقصها
عليهم ولا غاب النبي صلى الله عليه وسلم عن قومه ولا خرج من بلده الى بلاد بعيدة اقام
بها اقامة يحتمل انه لقي بها من تعلم منه وهذا معطوف على قوله ولا عرف لكن ولا يضره طول
الفصل وما اعترض به المعطوفين ولا كثرت اختلافاته اي ترواحه ومجيئه مرارا
عديدة يقال فلان يختلف الى بلاد كذا اي يسافر ويذهب اليها لانها مخالفة لمقره المعروف
الى الكتاب وهم اليهود والنصارى والتعبير بالكثرة اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم
وقع له مرتين الا انه فيهما لم يفارق رفقاءه من قومه ولم يقم عند غيرهم حين سافر الى
الشام كما يأتي فيقال انه استمد منهم اي طلب المدد والاعانة من اهل الكتاب بتعليمه لشيء

ما كان يتلوه على قريش بل لم يزل مقيما عندهم بين اظهرهم في وسطهم مختلطا معهم ويقال
انه يقال بين اظهرهم وظهرانيهم يرعى ضبطه بعضهم بضم المثناة التحتية اي يلاحظ ويحفظ
فهو بمرأى منهم ومسمع لا يخفى امره عليهم وبعضهم فتحه وجعله من رعاية الغنم والمواشي وهو
المناسب لقوله في صغره اي وهو طفل وشبابه اي بعد ما بلغ وصار شابا وكان من ذهب
الى الاول انف من جعله صلى الله عليه وسلم راعيا ولكنه وقع ذلك له ولغيره من الانبيا عليهم
الصلاة والسلام ولم يكن معيبا عندهم وهو اقوى في اثبات مدعاه لان من يرعى يكون في الغالب
معتزلا عن الناس بعيدا عن التعلم ثم لم يخرج من بلادهم بعد ما شب وبلغ او بعد ما وجد
وعرف حاله الا في سفرة واحدة او سفرتين الى بلاد الشام مرة مع ابي طالب ورده من الطريق
باشارة بحيرا الراهب ومرة في تجارة لام المومنين خديجة رضي الله تعالى عنها مع غلامها ميسرة
فلم ينفرد عن اهل بلدته ابدا لسفر واقامة ولم يتردد المصنف في السفرتين حتى يرد عليه قول
البرهان ان السفرتين محققتين كما في السير وكان ينبغي ان يقول الا في سفرتين جزما لان
السفرة الاولى لما رده فيها عمه ابو طالب من الطريق كانت كالعدم فانه يقال لمن رجع انه لم
يسافر فلا وجه للاعتراض عليه ومثله لا يخفى واما ذهابه صلى الله عليه وسلم مع مرضعته
حليمة لبني سعد فلا يعد مثله سفرا لا اسما او المراد سفر خاص لديار اهل الكتاب وسفر يمكنه
التعلم فيه وكذا ذهابه صلى الله عليه وسلم الى الطايف الى بني عبد ياليل فانه لقربه لا يعد
سفرا واهلها جهلة اهل شرك لا علم عندهم يعلمونه وقوله لم يطل فيها اي في جنس السفرة
مكثه مدة اي اقامته وهو بفتح الميم وضمها يحتمل فيها اي في المدة تعليم القليل وتعلمه من علم
وغيره فكيف الكثير الذي كانوا يعرفونه منه وهو استفهام انكاري بتقييد بطريق برهاني
ثم اكده واثبت مدعاه بقوله بل كان في سفره في صحبة قومه لم يفارقهم ولم يخالط غيرهم
طرفة عين ورفاقه بفتح اوله مصدر كالسماحة بمعنى المرافقة وهي الاجتماع في السير والسفر
من الرفق لان كلا منهما يرفق بصاحبه عشيرته اي قومه وقبيلته من العشرة وهي الاختلاط
قال في القاموس عشيرة الرجل بنو ابيه الادنون او قبيلته لم يغب عنهم ويفارقهم مفارقة
تحتمل ملاقاة اهل الكتاب وتعلمه منهم ولا خالف حاله التي نشأ عليها وعرف بها مدة
مقامه بضم الميم مصدر بمعنى الاقامة بمكة الى ان هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة
وفاعل خالف ضمير يعود له صلى الله عليه وسلم وحاله مفعوله وقوله من تعليم بيان لمقدر
في قوة المذكور لتعلمه مما قبله اي ما خالفه لامر آخر من تعلم الخ وليست من زائدة في
الفاعل ومحله رفع كما قيل واختلاف اي مجيء وذهاب واصله مجيء القوم بعضهم خلف
بعض فاستعمال المقيد في المطلق ومنه اختلاف الليل والنهار الى حبر بكسر الحاء وفتحها
وهو العالم من علماء اليهود او منجم اي عالم بالنجوم واحكامها او قس بفتح القاف كما في
القاموس وغيره واشتهر ضمه وذكره ابن السيد في المثلثات رئيس علماء النصارى او كاهن
وهو من العرب من يخبر عن المغيبات بواسطة جن ونحوه فاستوفى اقسام من يمكن التعلم منه
من انواع الناس ثم ترقى في ابطال ما قالوه فقال بل لو كان هذا اي لو فرض خلاف ما ذكر
من حاله صلى الله عليه وسلم بان فرضنا اسفارا كثيرة له ومكثا مع اهل الكتاب واختلافا
للمتشبثين والاخبار بعيد مبني على الضم والتعبير بعد ثبوت خلافه لانه مكثه بين اظهرهم
يرعى في صغره وشبابه كما قيل فانه غير مناسب لمن تامل كلامه كله لكان ما اتى به صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم من معجز القرآن الذي لا يشبه شيئا من كلام البشر قاطعا لكل عذر اعتذروا
به عن مخالفتهم له عنادا وبغيا منهم وجعله عذرا اتماما الى انهم معترفون بجرمهم بدلالة الحال
ومدحضا اي مزيلا ومبطلا من الادحاض وهو الازلاق ففيه استعارة مكنية لتشبيههم
بمن زلت قدمه لمشيه في اوحال الشرك لكل حجة تشبثوا بها وهي اوهى من بيت العنكبوت
وفي نسخة لكل شبهة ومجليا بضم الميم وفتح الجيم وكسر اللام المشددة ويجوز تخفيفها وتسكين
الجيم وقال البرهان انه بضم الميم وسكون الخاء المعجمة والظاهر ما قدمناه اي موضحا وكاشفا
او مزيلا ومبعدا لكل امر مبهم تغليطه وتلبيس احتالوا به والله اعلم

فصل ومن خصايصه صلى الله عليه وسلم

التي خصه الله تعالى بها عن غيره من الرسل عليهم الصلاة والسلام وكافة الخلق وكراماته
التي اكرمه الله وشرفه بها وباهر اياته اي ظاهر علامات نبوته ومعجزاته والجار والمجرور خبر
مقدم للحصر والاعتنا وقوله انباوه بفتح الهمزة جمع نبا وهو الخبر اي اخباره الصحيحة الواقعة
له صلى الله عليه وسلم مع الملايكة والجن وامداد الله له بالملايكة بكسر الهمزة مصدر امده
امدادا من المد قال الراغب امددت الجيش بمدد والانسان بطعام واكثر ما جاء الامداد في المحبوب
والمد في المكروه نحو وامددناهم بفاكهة ونمد له من العذاب مدا انتهى اي ارسال الله الملايكة
عليهم الصلاة والسلام مددا له صلى الله عليه وسلم واعانة كما ياتي وطاعة الجن له بانقياد
واسلامهم لا بامدادهم ولذا خالف في العبارة بينهم وبين الملايكة ورؤية كثير من اصحابه
لهم اي الملايكة والجن كما سياتي ولا وجه لتخصيصه بالجن ثم ابتدا بما يثبت ما قاله من القرآن فقال
قال الله تعالى وان تظاهرا اي تعاونا عليه اي النبي صلى الله عليه وسلم بما يسوءه فان
الله مولاه اي ناصره ومعينه وجبريل وصالح المومنين ابو بكر وعمر معطوف على محل اسم ان
فيكونون ناصريه الاية اي والملايكة بعد ذلك ظهير وضمير تظاهرا لحفصة وعايشة امهات
المومنين والاية وسبب نزولها وتفسيرها مبسوط في محله وقد تقدم في اول الكتاب بعض منه
وقال تعالى اذ يوحي ربك الى الملايكة اني معكم بنصري وتاييدي فثبتوا الذين آمنوا
بالقتال معهم وتقوية قلوبهم بوعدهم بالنصر وطردهم على اعدايهم وهذا كان يوم بدر وقد كثر اعداد
المشركين وعددهم وقلة المسلمين وضعفهم وهو تعالى يؤيد من يشاء بنصره وقال في وقعة
بدر اذ تستغيثون ربكم تطلبون عونه واعانته فاستجاب لكم اجاب دعاكم وانجز
وعده لكم اني ممدكم الاية اي اقراها الى اخرها اي اني ممدكم بالف من الملايكة مردفين
اي متتابعين وقال تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الاية
اي اسلمناهم واوصلناهم اليك والنفر ما دون العشرة وهولاء جن نصيبين وهذا كان ببطن
نخلة في منصرفه صلى الله عليه وسلم من الطايف وقد ذكر هولاء النفر وعددهم واسماوهم في مفصلات
التفسير واجتماع الجن به صلى الله عليه وسلم وقع مرتين بل اكثر وهو شاهد على انه صلى الله عليه
وسلم مرسل للجن ولا شبهة فيه ولا خلاف عند من يعتد به حدثنا سفيان بن العاصي الفقيه
بسماعي عليه تقدم بيانه وبيان السماع وترجمته قال حدثنا ابو الليث السمرقندي تقدمت
ترجمته قال حدثنا عبد الغافر الفارسي تقدم ايضا قال حدثنا ابو احمد الجلودي
تقدم ضبطه وترجمته قال حدثنا ابن سفيان هو ابراهيم بن محمد بن سفيان راوي صحيح مسلم عنه

وترجمته معروفة **قال حدثنا مسلم** القشيري النيسابوري صاحب الصحيح المشهور **قال حدثنا عبيد الله بن معاذ** ابو عمرو العنبري الحافظ الفصيح الثقة توفي سنة مايتين وسبع وثلاثين واخرج له اصحاب السنن **قال حدثنا ابي** معاذ بن معاذ التميمي الحافظ قاضي البصرة واليه انتهى علم الحديث توفي سنة مائة وستة وتسعين واخرج له اصحاب الستة **قال حدثنا شعبة** تقدمت ترجمته ايضا **قال حدثنا سليمان الشيباني** ابن اخي سليمان فيروز او خاقان الشيباني بالمعجمة مولاهم الكوفي الحافظ الثقة توفي سنة ثمان وثلاثين او احدى او اثنين واربعين وقول الواقدي وابن كثير سنة تسع وعشرين غلط واخرج له الايمة الستة **سمع زر** بكسر الزاي المعجمة وتشديد الراء المهملة **ابن حبيش** بالتصغير بحاء مهملة وموحدة وشين معجمة وهو ابو مريم الاسدي ادرك وسمع عليا وعمر رضي الله عنهما وعاش مائة وعشرين سنة وتوفي سنة اثنين وثمانين واخرج له الستة **عن عبد الله** بن مسعود الصحابي المشهور وهذا التفسير اخرجه مسلم والترمذي والنسائي موقوفا والذي ذكره المصنف رواية الشيخين وقال الترمذي انه حسن صحيح ولفظه **قال الله تعالى لقد راى من ايات ربه الكبرى قال** ابن مسعود رضي الله عنه في تفسيره وهو موقوف له حكم الرفع **راى جبريل في صورته** الاصلية التي خلق عليها **له ستمائة جناح** اللام جواب قسم مقدر اي راى الاية الكبرى من ايات ربه والكبرى اسم تفضيل مونث اكبر ومن تبعيضية وفيه ايماء انه راى ربه وهو قول الاكثر فقد راه بعيني راسه وهو مذهب ابن عباس وارتضاه الاشعري والنووي وما نقل عن عايشة رضي الله عنها من انكار نقل ان الذي قالته كما في مسلم عن مسروق انه قال كنت متكيا عند عايشة فقالت يا ابا عايشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد اعظم على الله الفرية قلت ما هن قالت من زعم ان محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه فقد اعظم على الله الفرية قال وكنت متكيا فجلست فقلت يا ام المومنين انظريني ولا تعجليني الم يقل الله عز وجل ولقد راه بالافق المبين ولقد راه نزلة اخرى فقالت انا اول من سال عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انما هو جبريل لم اره على صورته غيرهاتين المرتين رايته منهبطا من السما سادا عظم خلقه ما بين السما والارض الحديث فليس فيه نفي رويته لربه وانه صلى الله عليه وسلم ذكرها فلذا وقد تقدم جميع ذلك ثم ما فيه وقد ذكر هنا انه راى جبريل وله ستمائة جناح سدت ما بين السما والارض والعدد لا مفهوم له فلا ينافي ان يكون اجنحته تزيد على ذلك فان الملايكة اجسام مجردة قابلة للتشكل **والخبر** اي الحديث الصحيح المسند **في محادثته** صلى الله عليه وسلم **مع جبريل واسرافيل وغيرهم من الملايكة** اعاد ضمير الجمع على المثنى تعظيما لهما تنزيلا لهما منزلة الجماعة او للتنزيل تعدد الصور الذي يشير اليه ما قبله وبينه بقوله بعده **وما شاهده من كثرتهم وعظم صورهم ليلة الاسرا مشهور** وفي نسخة وصورة بعضهم وحديث الاسرا ورويته صلى الله عليه وسلم الملايكة والانبيا مشهور وتقدم طرف منه ورويته للملايكة كملك الجبال وملك المطر واسرافيل صحيح مشهور ايضا ومن اراد تفصيله فلينظر كتاب السيوطي المسمى بالحبايك في اخبار الملايك فانه كتاب جليل في بابه وفيه عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عيره المشركون بالفاقة اي الفقر وقالوا ما قصه الله من قوله ما لهذا الرسول ياكل الطعام الاية حزن لذلك فنزل عليه جبريل وقال رب العزة يقريك السلام ويقول لك وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام الخ فبينما جبريل والنبي صلى الله عليه وسلم

يتحدثان اذ ذاب حتى صار مثل البردة وهي العدسة فقال له صلى الله عليه وسلم ما لك يا جبريل فقال فتح باب من ابواب السما لم يفتح قبل ثم عاد لحاله وقال ابشر يا محمد هذا رضوان خازن الجنة فاقبل رضوان وسلم وقال يا محمد رب العزة يقريك السلام ومعه سفط من لولو يتلالا ويقول لك هذه مفاتيح خزاين الارض فنظر لجبريل كالمستشير فضرب جبريل بيده الارض وقال تواضع لله عز وجل فقال يا رضوان لا حاجة لي في الدنيا قال اصبت اصاب الله بك ويروون ان هذه الاية اتى بها رضوان تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا **اقول** ومن هذا علم انه لم ينزل بالقران الا جبريل غير هذه الاية والسر فيما ذكر ان نزول رضوان وهو ملك الجنان وخزينه دون غيره باعطايه علم منه جبريل ان الله اراد له صلى الله عليه وسلم ما هو ازكى من ذلك في الجنة وانه لم يرض بعجوز الدنيا الفانية ان تكون له ولو اراد خلافه لاتاه ملايكة الارض ومن له التصرف فيها كاسرافيل والا فجبريل عليه الصلاة والسلام لا يقول شيا برايه ولا يفعل الا ما يومر به فافهم **وقد راهم** اي الملايكة **بحضرته** اي في مجلسه صلى الله عليه وسلم والحضرة مصدر حضر يحضر اذا جاء وقدم ويجوز فيه تجوزا مشهورا عن مكان الحضور نفسه ويستعمل للتعظيم في صاحب المجلس فيقال الحضرة العالية تامر بكذا كالمقام كما يكتبه اصحاب الترسل **جماعة من اصحابه في مواطن** جمع موطن وهو محل الوطن وهو هنا المطلق المكان مجازا مرسلا **مختلفة** اي متعددة واصل معناه المغايرة فاستعمل في لازم معناه وقد تقدم بعض من روية الصحابة للملايكة عنده صلى الله عليه وسلم وفي بعض النسخ **فراى اصحابه جبريل في صورة رجل يساله عن الاسلام والايمان** والاحسان وعن الساعة وهو اشارة الى الحديث الذي في اول البخاري والكلام عليه وعلى الفرق بينه وبين الاسلام مفصل في شروحه **وراى ابن عباس واسامة** بن زيد **وغيرهما** من الصحابة كعايشة وام سلمة وعمر وحارثة **عنده** صلى الله عليه وسلم **جبريل في صورة دحية** بن خليفة الكلبي الصحابي الجليل المشهور توفي في خلافة معاوية وكان من اجمل الناس واحلمهم ولذا كان جبريل عليه الصلاة والسلام ياتي على صورته رضي الله تعالى عنه ودحية بفتح الدال وكسرها ومعناه الرييس بلغة اليمن وتمثل الملك مع عظم خلقته الاصلية بصورة صغيرة وليس بافناء بعض اجزايه ولا بازالتها ثم اعادتها كما قيل بل لانهم انوار لطيفة قابلة للتشكل والانضمام والانتشار كما يشاهد في اللهب في هبوب الرياح وقول امام الحرمين انه كالقطن المنفوش تمثيل وتقريب للعقول ايضا فلا ينقلب حقيقة اذا تمثل رجلا انسيا لمن يخاطبه ولا بعد في ان يخص الله بعض الانفس القدسية الملكية بقوة يقدر بها على التصرف في بدنه كما ترى كما قيل ان الابدال سموا ابدالا لانهم كانوا يرى لهم في بعض الامكنة شبحا يقوم مقامهم لقدرة ارواحهم القدسية على التصور بصورتهم وهو المسمى بعالم المثال وفيه كلام في كتب الاصول والحكمة وبعض اهل الشرع ينكره وتبعهم شارح المفاصل وقوله في صورة دحية يتعلق بمضاف اي في مثل صورة دحية وما قيل انه تمثيل لتمكنه منها واستقرارها استقرار المظروف في ظرفه تكلف لا حاجة اليه لان مثله للشمول والاحاطة يعد ظرفا حقيقة في العرف ورويته ابن عباس رضي الله عنهما له مرتين رواها الترمذي ورويته اسامة له رواها الشيخان عنه فقول الشارح الجديد لم اقف عليها من قصور النظر **وراى سعد** بن ابي وقاص في حديث رواه الشيخان **على يمينه ويساره جبريل وميكائيل** لف ونشر مرتب

في صورة رجلين عليهما ثياب تسميتهما وقع الحديث عن غير واحد وهذا كان بغزوة أحد
وقد قاتلا معه صلى الله عليه وسلم قال النووي في شرح مسلم هذا مما أكرمه الله به وفيه رد
لمن قال ان الملائكة لم تقاتل بغير بدر وقد صح انهم قاتلوا بخيبر وهذا هو الصواب وقال
القرطبي في تفسيره لم تقاتل الا ببدر وقد وعد الله المؤمنين باحد ان صبروا وثبتوا ان يمدهم
بالملائكة فلم يصبروا ولم يمدهم وكان للنبي صلى الله عليه وسلم ملكان يقاتلان عنه دائما وفي
الحديث دليل على ان رؤية الملائكة لا تختص بالانبياء عليهم الصلاة والسلام فيراهم الصحابة
والاولياء ومثله عن غير واحد اي روي مثل ما في الحديث عن ناس كثيرين من طرق متعددة ه
وسمع بعضهم اي بعض الصحابة وغيرهم من الحاضرين زجر الملائكة زجرها حثها لخيلها على
الجري بصوت يوم بدر اي وقت حين القتال وهذا رواه ابو نعيم والبيهقي عن ابن عباس
رضي الله عنهما ان رجلا من غفار قال قدمت انا وابن عم لي ونحن مشركان وصعدنا على جبل
مشرف على بدر ننظر الوقعة وننظر على من تكون الدبرة فبينا نحن اذ دنت سحابة فيها حمحمة
خيل فسمعت قائلا يقول اقدم حيزوم فمات ابن عمي من خوفه وكدت اهلك وحيزوم منادى
اسم فرس بالميم وروي حيزون بالنون والصحيح الاول وبعضهم رأى تطاير الرؤس ه
اي سرعة وقوعها بخفة كطائر طار عن مقره وهذا رواه البيهقي عن سهل بن حنيف وابي واقد
الليثي من الكفار في يوم بدر ولا يرون الضارب لانه ملك خفي عنهم وبعضهم رآه وعرفه
وقد روي كلاهما في احاديث ذكروها ويجوز ان يقول ان التطاير استعارة شبهت بطائر
وحمام طار من برج بدنه بنفسه كانه ليس جزءا منه بدليل قوله ولا يرون الضارب ولا الضرب
قال ابو داود المازني اني لاتبع رجلا من المشركين يوم بدر لاضربه فوقع راسه قبل ان يصل
اليه سيفي وكانوا يعرفون قتلى الملائكة بان لهم سمة نار ونحوه ورأى ابو سفيان بن الحارث
بن عبد المطلب قبل اسلامه يومئذ اي يوم بدر رجالا بيضا وجوههم وابدانهم على خيل
بلق اي فيها بياض ولون آخر ما يقوم لها اي لا يمكن ان يقاوم شيئا وقتالها شيء عنهم
قل او كثر لما رآه من مهابة بطشها وسرعته وقيل ان الرائي لذلك سهيل بن عمرو كما رواه البيهقي
وهو مخالف لما رواه المصنف هنا وهو هكذا في تخريج السيوطي لاحاديث هذا الكتاب وفي الشرح
الجديد انه رواه ابن اسحاق في سيرته ونقله في حديث طويل في مهلك ابي لهب والعذرة فيه عليه
وقد كانت الملائكة تصافح عمران بن حصين باكفها والذي رواه مسلم انها كانت تسلم عليه
ولا منافاة بينهما فان المس فيمن يستحب لها السلام والمصافحة تحية واكراما لان السلام اماما
والمصافحة تسليم بيده له فهما امان لفظا ومعنى وحسا وعمران بن حصين هذا هو الصحابي
الخزاعي رضي الله تعالى عنه وحصين علم منقول من مصغر حصن وهو كما قالوا افضل من نزل
البصرة توفي في خلافة معاوية سنة اثنين وخمسين ومصافحة الملائكة له مشهورة في الكتب
المعتمدة ففي صحيح مسلم مسندا الى مطرف ان عمران رضي الله عنه قال له كانت الملائكة تسلم علي
حتى اكتويت فتركت الملائكة السلام علي ثم تركت الكي فعادوا وقال له اكتمه ما دمت حيا
قال النووي رحمه الله كان به بواسير فاكتوى لها لقطع دمها وكان عظيم الصبر والتوكل في
العلاج ترك التوكل فلذا قطعت الملائكة السلام عليه والا فالكي ليس محرما وان قيل مكروه
اذا امكن العلاج بغيره كما ورد في المثل آخر الدواء الكي وروي انه كان يسمع في داره السلام
عليه من غير ان يرى اهل الدار المسلم كما ذكره الترمذي وهذا وان كان خارجا عما عقد له الفصل ه

بين السماء والارض

من رؤية النبي صلى الله عليه وسلم الملائكة ورؤية الصحابة لهم عنده فهو يعلم منه المقصود
بالطريق الاولى او هو استطراد وأرى النبي صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البيهقي
مرسلا عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما ورأى بصرية تتعدى بالهمزة لمفعولين اولهما حمزة بن
بن عبد المطلب عمه صلى الله عليه وسلم وفي نسخة لحمزة باللام فهي زائدة كما في ردف لكم
وثانيهما جبريل في الكعبة اي في داخلها او عندها فخر مغشيا عليه خوفا من مهابته
لانه رآه على صورته ففي دلائل البيهقي وطبقات ابن سعد عن عمار بن ياسر ان حمزة رضي
الله عنه قال يا رسول الله ارني جبريل على صورته قال انك لا تستطيع ان تراه قال بلى فارنيه
فقال له اقعد فقعد فنزل جبريل على خشبة كانت في الكعبة فقال له ارفع طرفك فانظر
فرفع طرفه فرأى قدمه مثل الزبرجد الاخضر فخر مغشيا عليه واعلم ان رأى اذا تعدى
بالهمزة لمفعولين كان من باب اعطى قال ابن مالك لا تدخل اللام عليهما لانه يلزم تعدي فعل
عرفين بمعنى وان تعدى احدهما لزم الترجيح بلا مرجح ما لم يتقدم احدهما فتعديته هنا
باللام لا وجه له وقال ابن هشام شاذ واللام زائدة كقول ليلى الاخيلية ه

• احجاج لا تعطي العصاة مناهم • ولا الله يعطي للعصاة مناها •

فان كان هذا ورد كذا فهو من الشاذ المسموع ولا اعتراض عليه واعلم ان الحافظ السخاوي
قال في كتابه عمدة الناس في مناقب العباس رضي الله عنه ان العباس بعث ابنه عبد الله
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقام وراءه عند رجل فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآه
فقال له متى جئت فقال منذ ساعة قال هل رأيت رجلا قال ذاك جبريل ولم يره خلق الا عمي
الا ان يكون نبيا لكن ان شاء الله ان يجعل في آخر عمرك وله طرق من الاسانيد الا انه معارض ذلك
برؤية جماعة من الصحابة لجبريل لم يعموا ولكن هذا ضعيف وتلك صحيحة فلا يتكلف الجمع بينهما
وقد عمي ابن عباس في آخر عمره فقال ه

• ان يأخذ الله من عيني نورهما • ففي لساني وقلبي منهما نور •
• عقلي صحيح ورأيي غير ذي زلل • وفي فمي صارم كالسيف مشهور •

وقال له بعض الامويين ما لكم يا بني هاشم تصابون في ابصاركم فقال وانتم يا بني امية تصابون
في بصائركم انتهى • اقول ما ذكره من حديث عمى الرائي لجبريل ان ورد من طرق صادقة
قويا وليس من قبيل الاحكام فيحمل معارضه ناسخا فلا بد من التوفيق فيحمل على من رآه وحده
في بيت ونحوه من مكان منحصر كالبيت من غير علم النبي صلى الله عليه وسلم برؤيته فلا يرد
رؤية عائشة وغيرها وذلك لانه نور شديد فلا يورث ضعف البصر المؤدي للعمى اذا احرق
فيه الناظر واطال نظره في نوره الذي يتفرق وهو من الاسرار الالهية فتأمله ثم ان المصنف
قدم الملائكة لشرفهم ثم ذكر امر الجن فقال ورأى ابن مسعود في حديث رواه البيهقي
الجن في ليلة الجن اي في ليلة رأى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم الجن وقد امر
بانذارهم ودعوتهم للاسلام فدعاهم وسمع كلامهم قال البرهان في المقتفي الذي في
صحيح مسلم من حديثه ان ابن مسعود لم يكن مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن وقال ابن سيد
الناس في سيرته ان حديث ابن مسعود لم يكن مع النبي صلى الله عليه وسلم في كونه حاضرا في ليلة
الجن روي من طرق وفيه انه توضأ بنبيذ التمر وذكر الشراح هنا كلاما لا محصل له والحق
ما قاله ابو البقا الشبلي الحنفي في كتابه آكام المرجان في احكام الجان من انه روي فيه احاد

ذلك صح

ن

يث

متعددة منها ما رواه ابو داود عن ابن مسعود ان علقمة قال له هل صحب النبي صلى الله
عليه وسلم ليلة الجن احد قال ما صحبه احد ولكن فقدناه ليلة فالتمسناه في الاودية
والشعاب فقلنا اغتيل فبتنا بشر ليلة فلما اصبحنا اذا هو جاء من قبل حراء وقال اتاني داعي
الجن فذهبت معه وقرات عليهم القرآن وانطلق بنا وارانا آثارهم ونيرانهم وذكر انهم سالوه
الزاد فقال لكم العظم والبعر ونهى عن الاستنجا بهما رواه احمد وهذه الليلة غير الليلة
التي حضرها ابن مسعود وهي في دلايل البيهقي مسنده قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لاصحابه بمكة من احب منكم ان يحضر الليلة الجن فليفعل فلم يحضر احد غيري فانطلقنا
حتى اذا كنا باعلا مكة خط لي برجله خطا امرني بالجلوس فيه وانطلق حتى قام وافتتح القرآن
فغشيته اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما اسمع صوته الى الفجر وسمعتهم يقولون له
من يشهد لك انك رسول الله وبقربه شجرة فقال ارايتم ان شهدت هذه الشجرة تومنون قالوا
نعم فدعاها والله فشهدت له فامنوا به وجمع البيهقي بين الروايتين فقال قوله ما صحبه
منا احد اراد به حال ذهابه لقراءة القرآن الا ان قوله انه اعلم اصحابه بخروجه ينافيه
فقدهم له حتى قالوا انه استطير او اغتيل وفيه تصريح بانه ممن فقده والتمسه وفي هذا
الحديث انه خرج له وخط له خطا جلس فيه فلا يصح ما قاله البيهقي وهذا كله منشاوه
ظنهم انها ليلة واحدة ولا شك انها تعددت فيها ما كان بمكة كما تقدم ومنها ما كان بالمدينة
كما في دلايل النبوة لابي نعيم مسندا لابن مسعود وانه قيل له اكنت مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليلة وفد الجن قال اجل اخذ كل رجل رجلا من اهل الصفة يعشيه ولم ياخذني احد
فمر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما اخذك احد يعشيك قلت لا قال انطلق
معي لعلي اجد لك ما يعشيك فانطلقنا معه الى ام سلمة فتركني ودخل ثم خرجت جارية فقالت
لي لم يجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لك عشا فرجعت الى المسجد والتففت بثوبي فجاءت
الجارية وقالت اجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيته ارجو العشاء فخرج وفي يده
عسيب نخل فعرض به على صدري وقال انطلق معي حيث انطلقت فقلت ما شا الله وكررها
ثلاث مرات فانطلقنا حتى اتينا بقيع الغرقد فخط بعصاه خطا وقال اجلس فيه حتى
آتيك ولا تبرح فانطلق وانا اراه خلال النخل فصارت مثل عجاجة سودا فخفت عليه وقلت
لحق او استغيث بالناس لظن هوازن مكرت به ثم ذكرت قوله صلى الله عليه وسلم لا تبرح فسمعته
يقول اجلسوا وهو يقرعهم بعصاه فجلسوا حتى كاد ينشق عمود الصبح فذهبوا واتى لي فذكرت
له ما في نفسي فقال هم وفد نصيبين الخ فهذه الليلة كانت بالمدينة حضرها ابن مسعود
وما سيل عنه اولا كان بمكة وقد وفدوا عليه صلى الله عليه وسلم واخرى حضرها ابن الزبير
رواها الطبراني ومرارا اخر ذكرها في باب مستقل بطوله ثم قال وهذه الاحاديث تدل
على ان وفادة الجن كانت ست مرات الاولى فقد فيها وقيل اغتيل والتمس بمكة والثانية كانت
بالحجون والثالثة كانت باعلا مكة بالجبال والرابعة كانت ببقيع الغرقد والخامسة
كانت خارج المدينة حضرها ابن الزبير والسادسة كانت في بعض اسفاره حضرها بلال
انتهى ملخصا **وشبههم** اي ابن مسعود لا النبي صلى الله عليه وسلم لقول قتادة ان ابن مسعود
لما قدم الكوفة راى شيوخا سودا فرعوه فقال اخرجوهم ما اشبههم بالنفر الذين صرفوا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني الجن وفيه دليل على انه رآهم **برجال الزط** متعلق بقوله

شبههم والزط بضم الزاي المعجمة وتشديد الطا المهملة قوم من السودان طوال
وفي القاموس انهم جيل بالهند معرب جت بفتح الجيم والقياس يقتضي فتح معربه والواحد
زطي **وذكر ابن سعد** وهو محمد بن سعد كاتب الواقدي وقد تقدم وهو بصري **ان مصعب
بن عمير** القرشي العبدري الصحابي البدري وهو ممن اسلم قديما وكان يحمل راية رسول الله
صلى الله عليه وسلم بين يديه **لما قتل يوم احد** اي في وقعته قتله ابن قمية لعنه
الله ظانا انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي صحيح البخاري عن خباب ان مصعبا
لما قتل لم يكن معه الا نمرة كنا اذا غطينا راسه بها بدت رجلاه واذا غطي رجلاه بدت
راسه فجعلوا على رجليه شيئا من الاذخر **اخذ الراية ملك على صورته** اي تشكل بشكله
وبرز على صورته وتزيا بزيه حتى لا تقع راية المسلمين فان وقوع راية العسكر فيه
ضعف لهم ولتمام تلك الصورة فيه جعل كانه عليها راكب لتمكنها فيه **فكان النبي صلى
الله عليه وسلم يقول له تقدم يا مصعب** لنحو الاعدا في القتال فان الراية يتبعها
المقاتلون لانه صلى الله عليه وسلم لشدة توجهه للقتال لم يشعر بقتل مصعب ولم يتامل
حامل الراية **فقال له الملك لست بمصعب** كما ظننته وفيه لطف وتبشير بنزول الامداد
وظهور النصر وان مع العسر يسرا وهذا بناء على انه لم يعلمه كما رواه ابن سعد في طبقاته
وعلى ما رواه ابن ابي شيبة في مصنفه من انه صلى الله عليه وسلم قال يوم احد اقدم
مصعب فقال له عبد الرحمن بن عوف لما سمع مقاله يا رسول الله الم يقتل مصعب يعني
فكيف تناديه قال بلى ولكن ملك قام مقامه وتسمى باسمه فهو الذي ناديته يكون
علم النبي صلى الله عليه وسلم انه ملك وانما تسمى باسمه لئلا يعلم الناس قتل حامل الراية
فيحصل فيهم اضطراب وتشمت الاعدا بهم ويتمنون انهزامهم فعلم صلى الله عليه وسلم
قتل مصعب وعلى الاول لم يشعر بقتله وكونه علمه ونسي او ظن ان الله احياه كما قيل بعيد
فلا يقال كيف ناداه باسمه بعد ما علم انه ملك مع ان هذا السوال غير وارد راسا بعد علمه
انه تسمى باسمه لما مر وكان مصعب رضي الله عنه حامل راية المهاجرين باحد ولواء
الخزرج حامله خباب بن المنذر وقيل سعد بن عبادة وراية الاوس بيد اسيد بن حضير
وما روي من ان حامل رايته باحد علي بن ابي طالب كرم الله وجهه لا ينافيه لان الراية
كانت اولا بيد مصعب فلما استشهد اخذها الملك فلما انجلى الامر وعلم ان النبي صلى الله
عليه وسلم لم يقتل كما شنع به ابن قمية وصرخ ابليس اللعين ان محمدا قد قتل اخذ علي
الراية بعد ما امسكها الملك لحظة لئلا تسقط ويتخذل المسلمون ويتفرغ عن الكفار وقول
الملك لست بمصعب يعني لست مصعبا المعروف فلا يقال كيف قال ذلك بعد ما تسمى
مصعبا **وذكر غير واحد من المصنفين** كالبيهقي وابن ماكولا **عن عمر** بن الخطاب رضي
الله عنه **انه قال بينا نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم اذ اقبل شيخ بيده عصا**
كونه بيده عصا تحقيق لشيخوخته فان العصا سلاح المشايخ ولله در الباخرزي في
قوله

حمل العصا للمبتلي • بالشيب عنوان البلى
وصف المسافر انه • القى العصا كي ينزلا
فعلى القياس سبيل من • حمل العصا ان يرحلا

وهو يلمح لقول قالت • فالقت عصاها واستقر بها النوى • كما قر عينا بالاياب المسافر

فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم سلامه بان قال
له وعليك السلام وجواب السلام يقال له رد حقيقة وهو في الاصل مجاز لتشبيهه بمن
اعطى شيا فاعاده لصاحبه ثم صار حقيقة فيما ذكر وقال صلى الله عليه وسلم لمن سلم عليه
بعد رده جوابه نغمة الجن وفي نسخة نغمة جني اي هذه او نغمتك نغمة الجن وصوتهم فهو
خبر مبتدا مقدر وقال الثعالبي في فقه اللغة جرس الكلام وحسن الصوت والنغمة بالفتح
جمعها نغم بفتح النون وكسرها وهو شاذ مع شذوذه فله نظاير كهضبه وهضب وخيمة وخيم
وبضعة وبضع فمن انت من الجن وما اسمك وشهرتك وفيه اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم
يعرفهم لانهم وفدوا عليه مرارا كما تقدم قال انا هامة بن الهيم بهاء مكسورة فمثناة تحتية
فميم بن لاقيس بن ابليس في ضبط هذه الاسما اختلاف فقيل هامة بوزن قامة وقيل الهيم
بالف ولام دونها والصحيح الاول والهيم بوزن الفيل كما مر وقيل انه مهموز بوزن كيف
ووعل وفي الشرح انه مضبوط بخط الحافظ بتشديد اليا بوزن قيم ولا يعتمد عليه والكلام
على ابليس مشهور وهو ابو الجن كما ان آدم عليه السلام ابو البشر ويسمى عزازيل وقيل الحارث
ويكنى بابي مرة ولاقيس بزنة فاعل وفي بعض النسخ لاقيس بزيادة يا وهو الاشهر الاصح
حتى قيل ان اليا سقطت من الكاتب فذكر للنبي صلى الله عليه وسلم انه لقي نوحا عليه الصلاة
والسلام ومن بعده من الرسل والانبيا في حديث طويل وان النبي صلى الله عليه
وسلم علمه سورا من القران كما ياتي والحديث عن عمر رضي الله عنه قال بينا نحن مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم على جبل من جبال تهامة اذا اقبل شيخ في يده عصا فسلم على النبي صلى
الله عليه وسلم وله نغمة الجن وعمتهم فقال له من انت قال هامة بن الهيم بن لاقيس بن ابليس
قال ليس بينك وبين ابليس الا ابوين قال نعم قال فكم لك من العمر قال افنيت الدنيا عمرها
وكنت مع نوح في مسجده مع من آمن به من قومه فلم ازل اعاتبه على دعوته على قومه حتى بكا
وابكاني فقال لا جرم اني على ذلك من النادمين واعوذ بالله ان اكون من الجاهلين وقلت
له يا نوح اني ممن شارك في دم الشهيد هابيل فهل عندك من توبة قال يا هام هم بالخير وافعله
قبل الحسرة والندامة اني قرات فيما انزل الله علي انه ليس من عبد تاب الى الله بالغا ذنبه
ما بلغ الا تاب الله عليه فقم وتوضا واسجد لله سجدتين ففعلت من ساعتي ما امرني به فناداني
ارفع راسك فقد نزلت توبتك من السما فخررت ساجدا لله وكنت مع هود في مسجده مع من
آمن به من قومه فلم ازل اعاتبه على دعوته على قومه حتى بكا وابكاني وكنت مع يوسف بالمكان
المكين وكنت القى الياس في الاودية واني القاه الآن ولقيت موسى بن عمران فعلمني من
التوراة وقال ان لقيت عيسى بن مريم فاقره مني السلام وان عيسى قال ان لقيت محمدا فاقره
مني السلام فبكى صلى الله عليه وسلم وقال على عيسى السلام ما دامت الدنيا وعليك يا هامة
لاداتك الامانة فقال يا رسول الله افعل بي ما فعله موسى بن عمران فانه علمني من التوراة
فعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المرسلات وعم يتساءلون عن النبا العظيم واذا الشمس
كورت وقل هو الله احد والمعوذتين وقال له ارفع الينا حاجتك يا هام ولا تدع زيارتنا
فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينعه لنا فلسنا ندري احي هو ام ميت انتهى واعلم
انهم اختلفوا في هذا الحديث فقال ابن الجوزي انه حديث موضوع لا اصل له وذكر له طرقا ذكر
من في رواتها من الكذابين ومن لم تقبل روايته وخالفه فيه غيره وقال ان تعدد طرقه ترك

على صحة وابن الجوزي له مجازفة في موضوعاته اكثرها مردودة وقد روى هذا الحديث
من يعتمد عليه كالبيهقي وابن عساكر وغيرهما وذكر الواقدي محمد بن عمر بن واقد المدني
صاحب التاليف الكثيرة الغريبة وقد وثقه كثير وطعن فيه آخرون توفي ببغداد سنة
سبع ومايتين وعمره ثمان وسبعون كما تقدم وهذا حديث صحيح رواه البيهقي والنسائي
وغيرهما وهو مذكور في اكثر التفاسير قتل خالد بن الوليد وهو مصدر مضاف لفاعله
ومفعوله السودا عند هدمه العزى وفي نسخة قطعه وهي اظهر لان العزى كانت
شجرة او ثلاثة اشجار في مكان واحد بنوا عليها بناء وكانوا يعبدونها ويسمع منها اصوات
فذكر الهدم باعتبار ما حولها فهو مصدر مضاف وهو مفعول هدمه كقطعه اي قطعها او
هدم بناءها وكانت لغطفان وهي شجرة السودا مفعول قتل كما مر وفي نسخة للسودا واللام
للتقوية وهي شيطان في صورة امراة سودا التي خرجت له لخالد رضي الله عنه لما
باشر قطعها ناشرة شعرها عريانة واضعة يدها على راسها صايحة باويلها وناشرة
وما بعده منصوب على الحالية وشعر بسكون العين وفتحها فجزلها بجيم وزاي مفتوحتين
والزاي مشددة للمبالغة ومخففة اي جعلها جزلين اي قطعتين وروي جدلها بدال
مهملة مشددة وروي عن خطه بخاء معجمة وزاي معجمة يعني قطعها ومعانيها متقاربة
واشهرها اولها والضمير للسودا اي قطعها قطعا بسيفه وهو يقول يا عزى كفرانك
لا غفرانك اني رايت الله قد اهانك والعزى تانيث الاعز واعلم خالد بما فعله النبي صلى
الله عليه وسلم فقال تلك العزى اذ كانت الاشارة لما وقع به الفعل من الشجرة فظاهر
وان كانت الاشارة للسودا فتسميتها عزى وهي اسم للشجرة والبنا باعتبار انها هي التي عبدت
حقيقة وسموا منها ما كانت تخبرهم به من المغيبات ونحوها كما يقال الحج النخ والعج باطلاق
الشي على المقصود منه فهي مجاز وكانت نخلة تعبدها قريش وكنانة وهي من اجل اصنامهم
وقصة هدمها مفصلة في السير وخرج خالد لها في ثلاثين فارسا والجن قادرة على التشكل
بصور مختلفة كالملايكة الا انهن اذا قتلها تصورهم هلك ولما قتلها خالد قال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك العزى لن تعبد ابدا وقتل سادنها اي خادمها
الموكل بها وهو دبية بضم الدال المهملة وفتح الموحدة وتشديد المثناة التحتية ابن حرمي
من بني مرة وقال صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح رواه الشيخان عن ابي هريرة
رضي الله عنه ان شيطانا هو المتمرد من الجن من شطن اذا بعد او من شاط اذا احترق
فنونه زايدة او اصلية تفلت بتشديد اللام تفعل اي وثب بسرعة بغتة واصله التخلص
بغتة يقال انفلتت الدابة اذا تخلصت من مربطها البارحة هي الليلة الماضية قبل
وقتك الذي تكلمت فيه يعني في ليلة يومه وقد ترد بمعنى اليوم الذي قبل يومك
وفيه كلام في شرحنا الدرة الغواص ليقطع علي بتشديد اليا متعلق بيقطع بمعنى يبطل
صلاتي التي كنت اصليها ويجوز ان يتنازعه هو وتفلت فامكنني الله منه اي
قدرني عليه وعلى اخذه وحبسه فاخذته اي امسكته وعقته عن مضيه وهروبه
مني فاردت ان اربطه بكسر البا وضمها اي اوثقه بوثاق بضمه الى سارية اي عمود
واسطوانة من عمد المسجد ومن سواري جمع سارية المسجد المدني حتى تنظروا اليه
كلكم لاجل ان تروه مربوطا فذكرت دعوة اخي سليمان بن داود نبي الله عليهما الصلاة

وهي قوله في دعائه رب اغفر لي كل ما صدر مني من تقصير بالنسبة لمقام النبوة وان كان معصوما وهب لي ملكا اي سلطانا عظيما لا ينبغي لاحد من بعدي اي لا يتيسر لاحد غيري وهو احد معاني الانبغا مطاوع بغي بمعنى طلب وليس هذا حرصا منه عليه الصلاة والسلام على الملك وسعة الدنيا وانما طلب عظمة ينفرد بها لتكون خارقة للعادة دالة على نبوته مقترنة له على تنفيذ اوامر ربه واظهار دينه وفي تقديم الدعا بالمغفرة على حصول الملك ايماء الى ان السلطنة لا تخلو من امور تحتاج لعفو الله او حياء من الله لطلبه امرا لا يليق بغيره ولذا تركه مقام العبودية الذي ارتضاه نبينا صلى الله عليه وسلم وقال الزمخشري ان سليمان عليه الصلاة والسلام نشا في بيت ملك ونبوة فاراد ان يكون ما ورثه زايدا على غيره خارقا للعادة ليتم به امره ويعلم انه باستحقاق للفيض الالهي لا مجرد ميراث كاولاد الملوك ولا يتوهم انه طلب قصر نعم الله عليه والمومن يحب لاخيه ما يحب لنفسه فكيف بالنبي لان خصايص الانبيا وطلبها امر آخر وهذا الشيطان مارد من المردة التي القت على النبي صلى الله عليه وسلم شعلة نار وهو يصلي ليقطع صلاته فاخذه هو بنفسه لا ملك منعه عنه كما قيل ولبعضهم هنا ابحاث زوايد لا طايل تحتها وقوله رب اغفر لي بل مفسر لقوله دعوة اخي وتسخير الجن داخل في هذه الدعوة لقوله بعدها فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء حيث اصاب والشياطين الخ ولما استجاب الله دعوته ترك صلى الله عليه وسلم تادبا منه وتواضعا وتوقيرا لسليمان صلى الله عليه وسلم قال ابن عرفة رحمه الله ومما نقل عن الحجاج من انه قال في حق نبي الله سليمان انه كان حسودا من فسقه وجهله بل من كفره وعدم علمه بمقامات الانبيا عليهم الصلاة والسلام فانه لا يسال ان يطلب من الملك شيا يختص به اذا علم انه لا يعطيه الا لواحد من مملكته فيحب ان يكون هو ذلك الواحد وقوله **فرده الله** اي رد الله ذلك الشيطان بابه قراري عليه وتمكني منه **خاسئا** اي خايبا حقيرا مطرودا من كلامه صلى الله عليه وسلم كما هو واضح وقول البخاري قال روح فرده الله خاسئا بيان لانه وقع من روايته لانه روى فرددته وهي صريحة في ذلك وهذا الحديث روي من طرق وفيها زيادة واختلاف ففي بعضها عرض لي في صورة هر واخذته فخنقته حتى وجدت برد لسانه على يدي وروي انه سمع صلى الله عليه وسلم يقول في صلاته اعوذ بالله منك والعنك بلعنة الله ثلاثا وبسط يده كانه يتناول شيا فسالوه عن ذلك فقال ان عدو الله ابليس لعنه الله جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي ۞ وقوله في الرواية المارة فاخذته وخنقته يعلم منه ان قول المصنف في شرح مسلم انه يحتمل انه لم يقدر عليه لا وجه له فانه صلى الله عليه وسلم كان قادرا على ذلك فانه اوتي مثل كل معجزة لغيره كما ياتي وفي هذا الحديث تصريح بان الشيطان هو ابليس وقيل يحتمل انه غيره وان الواقعة تعددت قال ابن عبد البر الجن على مراتب جني وعامر وهو الذي يخالط الناس والارواح وهم الذين يتعرضون للصبيان واخبثها قيل وقرين الانبيا والعباد يقال له الابيض كما في تفسير القرطبي **وهذا** اي ما كان له صلى الله عليه وسلم مع الملائكة والجن **باب واسع** اشارة الى ان ما ذكره قليل من كثير وغيض من فيض وفي اكام المرجان ربطه الى السارية من التصرف الملكي الذي تركه لسليمان وتصرفه صلى الله عليه وسلم نبوي بالدعوة للاسلام والامر والنهي فانه كان عبدا رسولا وهو افضل من الملك النبي ثم ان حنه

وفيه

وفعله به ما فعل في صلاته احتج به على جواز مثله في الصلاة كدفع المار وقتل الاسود والمسابقة في صلاة الخوف انتهى وفيه تامل ۞

فصل ومن دلايل نبوته

صلى الله عليه وسلم والدليل ما يعلم منه شي آخر ويكون قطعيا وظنيا قال استاذ والدي الشيخ احمد بن قاسم في الايات البينات هي جمع دليل على خلاف القياس ويحتمل ان يكون جمع دلالة بمعنى دليل فان امام الحرمين قال ان الدليل يسمى دلالة وجمع فعالة على فعايل قياسي والظاهر ان تسمية الدليل دلالة مجاز انتهى قال الراغب الدلالة ما يتوصل به الى معرفة الشي وتسمية الدال والدليل دلالة كتسمية الشي بمصدره انتهى وفيه دليل لما قاله امام الحرمين وانه سمع فلا وجه للتوقف فيه ولا لقول بعض شراح المنهاج الاصولي في قوله دلايل الفقه وصوابه ادلة وقال ابن مالك في شرح الكافية لم يات فعايل جمع اسم جنس على فعيل فيما اعلم لكنه بمقتضى القياس جايز في علم المونث كسعيد علم امراة جمع على سعايل وذكر النحاة انه في غاية القلة وورد منه لفظين لا يقاس عليهما وهما وصايد جمع وصيد وهو الباب وسلايل جمع سليل وهو واد وزاد الجوهري تبايع جمع تبيع وافايل جمع افيل وهو الصغير من الابل وقول بعضهم انه قيده بقلمه فقد يقال انه لا يمتنع سماعا ولا قياسا خبط لا معنى له **وعلامات رسالته** العلامة الامارة واكثر ما تستعمل في الظنيات وفيما يكون قبل الوقوع والفرق بين النبوة والرسالة مشهور وقد يكونان بمعنى واضافة الدلايل للنبوة والعلامات للرسالة تفننا وقيل لان النبوة اصل والرسالة وصف زايد انتهى والظاهر ما قلناه انه غاير بينهما تفننا والمراد بالدلايل الدلايل القطعية وقدمها لشرفها واضافها للنبوة لسبقها على الرسالة وكل ما دل على النبوة دل على الرسالة للزوم تصديقه بعد ثبوت نبوته في قوله اني رسول الله اليكم وكون الرسالة مستلزمة للنبوة ومبنية عليها فعلاماتها علاماتها **ما ترادفت به الاخبار** اي تتابعت فجاء بعضها يتبع بعضا من غير انفصال كان بعضها ركب خلف الآخر ففيه استعارة مكنية وتخييلية والاخبار جمع خبر **عن الرهبان** وهم عباد النصارى وعلماؤهم كبحيرا في قصته المشهورة عنه جمع راهب من الرهبة وهي الخوف لاظهارهم خشية الله والخوف منه مقابل للراغب لتركهم الرغبة في الدنيا كما قيل ۞ يهوى غلاما من نصارى خايف ۞ فاعجب له من راغب في راهب والاحبار جمع حبر بالفتح والكسر وهو العالم من اهل الكتاب واشتهر في علماء اليهود **وعلماء اهل الكتاب** من عطف العام على الخاص واهل الكتاب غلب على اليهود والنصارى فالمراد بالكتاب التوراة والانجيل وغيرهما من الكتب السماوية وفي نسخة الكتب جمعا وهما بمعنى **من صفته** صلى الله عليه وسلم **وصفة امته واسمه وعلاماته** ففي التوراة عن كعب محمد رسول الله عبدي المختار الخ وامته الحمادون وفي الزبور عن وهب بن منبه سياتي من بعدك نبي يسمى احمد ومحمدا امته مرحومة اعطيتهم مثل ما اعطيت الانبيا الى غير ذلك مما نقل الثقات كقوله في علامته في الانجيل صاحب المدرعة والعمامة والهراوة الجعد الراس الصلت الجبين الى آخر ما ذكر من حليته فيه **وذكر الخاتم** بالفتح والكسر يعني خاتم النبوة **الذي بين كتفيه** وقد تقدم الكلام عليه وانه مثل زر الحجلة وبيضة الحمام وانه ختم به بعد شق صدره وفيه شعرات

وخيلاون عند بعض كفقه البشري وهو من كور في كتب الله القديمة **وما وجد بالبنا** للمفعول **من ذلك** اي مما يدل على نبوته ورسالته **في اشعار المتقدمين** من العرب المتالهين قبل بعثته صلى الله عليه وسلم العالمين في الكتب السماوية القديمة **من شعر تبع** بيان لما وجد وتبع بضم التا وتشديد البا الموحدة اسم لملك اليمن وجمعه تبابعة سمي به لكثرة اتباعه المنقادين له واصل معناه الظل ولا يسمى تبعا الا اذا ملك حمير وحضرموت واشتهر منهم اثنان تبع الاكبر والاول والثاني اباكرب والثاني هو الذي اراد تخريب المدينة واستيصال اليهود لما شكى له الانصار منهم لانهم من اليمن نزلوا عندهم فقال له رجل منهم معمر الملك اجل من ان يطربه فرق او يستخفه غضب وامره اعظم من ان يضيق حلمه او يحرم صفحه وهذه البلدة تهاجر اليها نبي يبعث بدين ابراهيم قال السهيلي وهذا الرجل من اليهود وهو احد الحبرين اللذين كلما الملك تبعا ومنه اوبنيامين ويابي ان شامول كلمه ايضا فآمن به وكسى الكعبة وهو اول من كساها والشعر المذكور قوله

شهدت على احمد انه • نبي من الله باري النسم •
فلو مد عمري الى عمره • لكنت وزيرا له وابن عم •
وجاهدت بالسيف اعداه • وفرجت عن صدره كل غم •
له امة سميت في الزبور • وامته هي خير الامم •

وقوله هم

وياتي بعدهم رجل عظيم • نبي لا يرخص في الحرام •
يسمى احمدا يا ليت اني • اعمر بعد مبعثه بعام •

والاوس بن حارثة بن ثعلبة العنقا ابن عمرو بن مزيقيا بن ماء السما بن حارثة الغطريف ابن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن بن الازد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان والاوس في اللغة الذيب او العطية سمي به وله تنسب الانصار وكان اوس من عدة ناس في الفترة هداهم الله للتوحيد ولم يعبدوا الاصنام وكانوا يجاورون اهل الكتاب فيخبرونهم بما في كتبهم من ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فيذكرونه في خطبهم واشعارهم وللاوس شعر فيه لم يذكره احد هنا من الشراح وهو سيد جواد طائي كان صديقا لحاتم الطائي والاوس ⟨؟⟩ بالالف واللام للمح ولذا قال السهيلي انه منقول من اسم العطية لا من اسم الذيب لانه علم جنس كاسامة لا تدخل عليه الالف واللام قبل النقل فنقله اولى وقال التلمساني روي هنا بدون الف ولام وهو مخالف لما قاله الامام السهيلي **ولؤي بن كعب** وصوابه كعب بن لؤي وهذا غلط من الناسخ ولؤي يهمز ولا يهمز وهو تصغير لاي بمعنى البطو وهو اول من جمع يوم الجمعة وسماها جمعة وكانت تسمى عروبة في الجاهلية فكان يخطب فيه للناس ويبشر بالنبي صلى الله عليه وسلم فمما نقل من كلامه نظما ونثرا انه قال في خطبة له اما بعد فاسمعوا وتعلموا وافهموا واعلموا الليل ساج والنهار ضاح والارض مهاد والسماء بنا والجبال اوتاد والنجوم اعلام الى قوله الدار امامكم والظن غير ما تقولون حرمكم زينوه وعظموه فسياتي له نبا عظيم وسيخرج منه نبي كريم وينشد

نهار وليل كل يوم بحادث • سواء علينا ليلها ونهارها •
يؤوبان بالاحداث حين تاوبا • وبالنعم الضافي علينا ستورها •
على غفلة ياتي النبي محمد • فيخبر اخبارا صدوقا خبيرها •

الى اخر ما رواه ابن الجوزي مسندا في كتاب الوفا **وسفيان بن مجاشع** التميمي الدارمي المجاشعي جد الفرزدق والاقرع بن حابس وكان احتمل عن قومه ديات فخرج الى حي من تميم فاذا هم

محمد

يجتمعون عند كاهنة فاتاهم وجلس عندهم فسمع الكاهنة تقول العزيز من والاه • والذليل من خالاه • والموفور من والاه • والمبتور من عاداه • فقال سفيان من تذكرين لله ابوك فقالت صاحب هدي وعلم وبطش وحلم وحرب وسلم وراس رؤوس • ورابض تموس • وماحي بوس • وماهد زعوس وناعش ومنعوش • فقال سفيان لله ابوك من هو قالت نبي مؤيد • قد اتى حين يوجد ودنا اوان يولد • يبعث الى الاحمر والاسود بكتاب لا يفند اسمه محمد قال سفيان لله ابوك اعربي هو ام عجمي فقال اما والسماء ذات العنان والشجر ذات الافنان • انه لمن معد بن عدنان فامسك عن سؤالها ثم ان سفيان ولد له ولد فسماه محمدا رجاء ان يكون النبي المذكور وهو احد من سمي باسمه صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه كما تقدم وهذا ما ذكره المصنف من تبشيره به وله شعر فيه الا ان الشراح قالوا لم نقف عليه وما ذكر يكفي في المقصود **وقس بن ساعدة** الايادي قس بالضم وتشديد السين والقس العالم والايادي بكسر الهمزة نسبة لاياد حي من معد وكان من الحكما الزهاد كعمه وخاله منقطعا للعبادة في برية وآمن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه وراه النبي صلى الله عليه وسلم مرتين بسوق عكاظ ولذا عده ابن شاهين وغيره في الصحابة وعمر حتى قيل انه عاش ستمائة او سبعمائة سنة وادرك الحواريين فكان على دين عيسى عليه الصلاة والسلام قيل وكانت السباع تدور عنده ولا تؤذيه وربما ضربها بعصاه وهو خطيب مفلق يضرب به المثل وعن ابن عباس رضي الله عنهما لما قدم الجارود على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان سيد قومه قال يا رسول الله والذي بعثك بالحق لقد وجدت صفتك في الانجيل وبشر بك ابن البتول وانا اشهد ان لا اله الا الله وانك محمد رسول الله فآمن هو وكل سيد من قومه وسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له يا جارود هل في وفد عبد القيس من يعرف قسا قال كلنا نعرفه وكنت اقفوا اثره كاني انظر اليه يقسم بالرب الذي هو له ليبلغن الكتاب اجله ويقول

هاج للقلب من جواه ادكار • وليال خلالهن نهار •

في ابيات اخر فقال له صلى الله عليه وسلم فلست انساه بسوق عكاظ يذكر كلاما ما احفظه فقال ابو بكر رضي الله عنه كنت حاضرا وانا احفظه سمعته يقول في خطبته يا ايها الناس اسمعوا وعوا • واذا وعيتم فانتفعوا • انه من عاش مات ومن مات فات • وكل ما هو آت آت • مطر ونبات • وارزاق واقوات • وآباء وامهات • واحياء واموات • وجمع وشتات • وآيات بعد آيات • ان في السماء لخبرا • وان في الارض لعبرا • ليل داج وسماء ذات ابراج • وارض ذات رتاج • وبحار ذات امواج • ما لي ارى الناس يذهبون فلا يرجعون • ارضوا بالمقام فاقاموا • ام تركوا هناك فناموا • اقسم قس قسما حاتما • لا حانثا فيه ولا آثما • ان لله دينا هو احسن من دينكم الذي انتم عليه • ونبيا قد حان حينه • واظلكم اوانه • فطوبى لمن آمن به فهداه • وويل لمن خالفه وعصاه • تبا لارباب الغفلة من الامم الخالية • والقرون الماضية • يا معشر اياد • اين الآباء والاجداد • واين المريض والعواد • واين الفراعنة الشداد • واين من شيد • وزخرف ونجد • وغره المال والولد • اين من بغى وطغى • وجمع فاوعى وقال انا ربكم الاعلى • الم يكونوا اكثر منكم اموالا • واطول منكم آجالا • وابعد منكم آمالا • طحنهم الثرى بكلكله • ومزقهم بتطاوله • فتلك عظامهم بالية • وبيوتهم خاوية • عمرتها الذئاب العاوية • كلا بل هو الله الواحد المعبود ليس بوالد ولا مولود وانشا يقول

في الذاهبين الاولين • من القرون لنا بصائر •
لما رايت مواردا • للموت ليس لها مصادر •

رأيت قومي سبيلها • تمضي الأصاغر والأكابر •
لا يرجع الماضي إليَّ • ولا من الباقين غابر •
أيقنت أني لا محا • لة حيث صار القوم صائر •

انتهى وروي له أشعار كثيرة فيها ذكره صلى الله عليه وسلم كقوله هو

الحمد لله الذي لم يخلق الخلق عبث • ولم يخلنا سدى من بعد عيسى واكترث •
أرسل فينا أحمد خير نبي قد بعث • صلى عليه الله ما حج له ركب وحث •

إلى آخر ما ذكروه إلا أن ابن الجوزي قال حديث قس المذكور موضوع وذكر أسانيده وبين من فيها من الكذابين وورده السخاوي وقال إنه يجاز في طرقه وقد رواه ابن سيد الناس ليس فيه كذاب ورواه غيره فالصحيح أنه ليس بموضوع **وما ذكر عن سيف بن ذي يزن وغيرهم** ابن ذي يزن من ملوك حمير وتنسب إليه الرماح فيقال رمح يزني وأزني ويزاني وفيه وفي اشتقاقه كلام طويل للصاغاني وقال البرهان أنه مصروف والذي في القاموس أنه ممنوع من الصرف لوزن الفعل وأصله يزأن ورده الصاغاني في الذيل والصلة منع صرفه وأطال فيه وقال مادة زاد غير معروفة ولا تضاف ذو هنا إلا إلى أسماء الأجناس وفي شرح الدريدية لابن النحاس أن فيه قولين أحدهما أنه من وزن حذفت الواو لوقوعها بين فتحة وكسرة ثم أبدلت الكسرة فتحة تخفيفا فلا ينصرف على هذا الثاني أنه ماض أصله وزن قلبت الواو همزة كما في أحد ثم أبدلت ياء وسمي به وهو منصرف انتهى • وهذا لا يرد عليه ما أورده الصاغاني وقوله لا تضاف إلا لأسماء الأجناس ممنوع فإنه تضاف للأعلام كما هنا وهي لغة أهل اليمن فيضيفونه لأعلام ملوكهم وعظمائهم ومن أضافه المسمى للاسم ويقال لملوك اليمن الأذواء وقصة سيف مشهورة في التواريخ والسير وكان ظهر على اليمن وظفر بالحبشة فنفاهم بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين فأتته وفود العرب تهنيه وتمدحه فأتاه قريش وفيهم عبد المطلب وأمية بن عبد شمس وخويلد بن أسد وغيرهم من وجوه قريش واستأذنوا عليه فأذن لهم وهو متضمخ بالمسك والعنبر وحوله أبناء الملوك فقال عبد المطلب إن كنت ممن يتكلم بين الملوك فتكلم فقال أيها الملك إن الله قد أحلك محلا رفيعا • شامخا منيعا • وأنبتك منبتا طابت أرومته • وعزت جرثومته • وثبت أصله • وبسق فرعه • في أطيب موضع وأكرم معدن • فأنت أبيت اللعن أيها الملك رأس العرب وربيعها التي تخصب به وراسها الذي له تنقاد وعمودها الذي عليه العماد • ومعقلها الذي له تلجأ العباد • وسلفك لنا خير سلف • وأنت لنا منهم خير خلف • ولن يخمل ذكر من أنت خلفه • ولن يهلك من أنت سلفه • ونحن أيها الملك أهل حرم الله وبيته • أشخصنا إليك الذي أبهجنا لكشفك الكرب الذي قد فدحنا فنحن وفد التهنئة لا وفد المرزئة • فقال له سيف وأيهم من أنت أيها المتكلم قال أنا عبد المطلب بن هاشم قال ابن أختنا قال نعم فأدناه وأقبل عليه وعلى القوم وقال مرحبا وأهلا • وناقة ورحلا • ومستناخا سهلا • وملكا رحلا • يعطي عطاء جزلا • قد سمعت مقالتكم • وعرفت قرابتكم • وقبلت وسيلتكم • وأنتم أهل الليل والنهار لكم الكرامة ما أقمتم • والحباء إذا ظعنتم • انهضوا إلى دار الضيافة والوفود وأمر لهم بالأنزال فأقاموا شهرا لا يصلون إليه ولا يأذن لهم في الانصراف • ثم أرسل إلى عبد المطلب وقال له بعدما قرب مجلسه يا عبد المطلب إني مفض إليك بسر لو يكون غيرك لم أبح به ولكن وجدتك معدنه فليكن عندك مطويا حتى يأذن الله فيه فإنه بالغ أمره

إني أجد في الكتاب المكنون • والسر المخزون • الذي اخترناه لأنفسنا دون غيرنا خبرا عظيما • وخطرا جسيما • فيه شرف الحياة • وفضيلة الوفاة • للناس كافة • ولرهطك عامة • ولك خاصة • فقال عبد المطلب مثلك أيها الملك من سر وبر • فما هو فداك أهل الوبر والمدر • زمرا بعد زمر • فقال له إذا ولد بتهامة • غلام به علامة • بين كتفيه شامة • كانت له الإمامة • ولكم به الزعامة • إلى يوم القيامة • فقال له عبد المطلب أبيت اللعن لولا هيبة الملك وإجلاله • سألت عما ازداد به سرورا قال هذا حينه الذي يولد فيه أو قد ولد واسمه محمد • يموت أبوه وأمه • ويكفله جده وعمه • قد ولدناه مرارا • والله باعثه جهارا • وجاعل له منا أنصارا • يعز بهم أولياءه • ويذل بهم أعداءه • ويضرب بهم الناس عن عرض • ويستبيح بهم كرائم الأرض • يعبد الرحمن ويدحر الشيطان • ويخمد النيران • ويكسر الأوثان قوله فصل وحكمه عدل يأمر بالمعروف ويفعله • وينهى عن المنكر ويبطله • فقال عبد المطلب أيها الملك عز جارك وسعد جدك وعلا كعبك • ونما أمرك وطال عمرك • هل الملك أن يسرني بإفصاح • فقد أوضح لي بعض الإيضاح • فقال والبيت ذي الحجب • والعلامات على النقب إنك لجده يا عبد المطلب غير كذب • فخر عبد المطلب ساجدا فقال له ارفع رأسك • فقد ثلج صدرك • وعلا أمرك فهل أحسست شيئا مما ذكرت فقال نعم أيها الملك إنه كان لي ابن كنت به معجبا • فزوجته كريمة من كرائم قومي • آمنة بنت وهب بن عبد مناف فجاءت بغلام سميته محمدا • ومات أبوه وأمه • وكفلته أنا وعمه بين كتفيه شامة • وفيه كل ما ذكرت من علامة • فقال الذي ذكرت كما ذكرت فاحتفظ به واحذر عليه اليهود • فإنهم له أعداء • ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا • واطو ما ذكرت لك دون هؤلاء الرهط الذين معك فإني لست آمن أن تدخلهم النفاسة • فيبغون لك الغوائل • وينصبون لك الحبائل • وهم فاعلون أو أبناؤهم ولولا أني أعلم أن الموت مجتاحي قبل بعثه لسرت بخيلي ورجلي حتى آتي يثرب وأصيرها دار مملكتي فإني أجد في الكتاب الناطق والعلم السابق أن يثرب استحكام أمره وموضع قبره • وأهل نصرته • ولولا أني أقيه الآفات • وأحذر عليه العاهات • لأوطأت العرب كعبه • وأعلنت على حداثة سنه ذكره • ثم أمر لكل رجل منهم بمائة من الإبل وعشرة أعبد وعشر إماء وعشرة أرطال فضة وخمسة ذهبا وكرش مملوء عنبرا وأمر لعبد المطلب بأضعافه وقال له إذا كان رأس الحول فائتني بخبره وما يكون من أمره فهلك قبل رأس الحول فكان عبد المطلب يقول لا يغبطني أحد من قريش بجزيل الملك فإنه إلى نفاد ولكن الغبطة بما يبقى لي شرفه وذكره في العقبى فإذا سئل عنه قال سيظهر بعد حين وفيه شعر له وعن ابن عباس أنه قال لعبد المطلب أشهد أن في إحدى يديك ملكا وفي الأخرى نبوة فكانت النبوة والخلافة العباسية كما في كتب السير والتواريخ ومما ذكرناه من أنه مات قبل الحول يعلم أنه ليس بصحابي ولا تابعي فذكر الذهبي له في الصحابة لا وجه له والعجب من بعض الشراح حيث نقل ما ذكرناه وقال إنه تابعي فالحق أنه ليس كذلك ولا مخضرم أيضا كما قيل ولعل الذي ذكره الذهبي إشارة إلى أن مثله لا يقال بالرأي أيضا **وما عرف به من أمره** وكونه نبيا مرسلا وعرف بتشديد الراء مبني للفاعل لا للمفعول وإن صح بناء على أنه عرف به أهل الكتاب والفاعل أو نائبه **زيد بن عمرو بن نفيل** قال الذهبي هو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى ابن رباح العدوي الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه يبعث أمة وحده لأنه كان يطلب دين إبراهيم ويكره الشرك وأهله ويوحد الله ويقول لقريش ما فيكم على دين إبراهيم غيري ولا يأكل ذبائحهم وكان يخالفهم ولا يأكل ذبائحهم فاجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل نبوته وتوفي قبل مبعثه وقال شاممت اليهودية والنصرانية

فكرهتهما وكنت بالشام فاتيت راهبا فقصصت عليه فقال اراك تريد دين ابراهيم يا اخا اهل مكة انك لتطلب دينا لا يوجد اليوم وهو دين ابيك ابراهيم فالحق ببلدك فان الله يبعث لك من يأتي بدين ابراهيم الحنيفية وهو اكرم الخلق على الله انتهى المراد منه ومن خطه نقلت وروى غيره ايضا انه لقي راهبا بالجزيرة فسأله عن دين ابراهيم فقال له ان كل من رايته من الاحبار والرهبان في ضلال وانك لتسأل عن دين الله وقد خرج في ارضك او هو خارج نبي يدعو اليه فارجع اليه وصدقه فلقيته قبل مبعثه ببلد حنين فقال يا عم ما لي ارى قومك قد ابغضوك فقال اما والله ان ذلك لغير نائرة مني اليهم ولكني اراهم على ضلالة فخرجت ابتغي هذا الدين ثم اخبره بما عرف به الراهب من امره صلى الله عليه وسلم وهذا ما اشار اليه المصنف وعده من الصحابة توسعا لانه لم يجتمع به صلى الله عليه وسلم بعد النبوة ونفيل بتصغير نفل وهو العطية نقل للعلمية وقيل ان اليهود قتلوه بالجحفة **وورقة بن نوفل** احد النفر الذين كانوا في الفترة على الدين الحق من قريش وهو ورقة بن اسد بن عبد العزى ابن قصي وهو معطوف على زيد اي ومما عرف به ورقة من امره صلى الله عليه وسلم واخبر به خديجة ام المؤمنين رضي الله عنها كما ذكره البخاري وآمن به بعد رسالته ولذا قيل انه اول الصحابة وكان شيخا كبيرا يقرأ الكتب ويعرف العبرانية وقال للنبي صلى الله عليه وسلم لما اخبره بامره ابشر فانك الذي بشر به ابن مريم وراه صلى الله عليه وسلم في الجنة عليه ثياب خضر وقال لا تسبوا ورقة كما تقدم وله اشعار مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم **وعثكلان الحميري** بفتح العين المهملة وسكون المثلثة وكاف ولام والف ونون والحميري نسبة لحمير قبيلة باليمن سميت باسم حمير بن سبا اي مما عرف به من امره صلى الله عليه وسلم ممن لقيه من الرهبان وقال الشراح لم نقف على قصة عثكلان وفي الخصائص ان ابن عساكر اخرج من طريق عبد الرحمن بن حميد عن ابيه عن جده قال سافرت الى اليمن قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم فنزلت على عثكلان بن عواكن الحميري وكان شيخا كبيرا انزل عليه اذا جئت اليمن فنزلت عليه مرة فسالني عن عكرمة والكعبة وزمزم وقال هل ظهر منكم احد خالف دينكم فقلت لا ثم قدمت عليه بعد بعثته صلى الله عليه وسلم وقد ضعف وثقل سمعه فنزلت عليه واجتمع عليه ولده وولد ولده واخبروه بمكاني فشد على عينيه عصابة واستند وقعد وقال لي انتسب يا اخا قريش فقلت انا عبد الرحمن ابن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة قال حسبك يا اخا زهرة الا ابشرك ببشارة هي خير لك من التجارة قلت بلى قال انبئك بالمعجبة وابشرك بالمرغبة ان الله قد بعث في الشهر الاول من قومك نبيا ارتضاه صفيا وانزل عليه كتابا وجعل له ثوابا ينهى عن الاصنام ويدعو الى الاسلام يامر بالحق ويفعله وينهى عن الباطل ويبطله فقلت ممن هو قال لا من الازد ولا ثمالة ولا من السرو ولا تبالة هو من بني هاشم وانتم اخواله يا عبد الرحمن اخف الوقعة وعجل الرجعة ثم امض ووازره واحمل اليه هذه الابيات

اشهد بالله ذي المعالي ● وفالق الليل والصباح ●
انك في السر من قريش ● يا ابن المفدى من الذباح ●
ارسلت تدعو الى يقين ● ترشد للحق والفلاح ●
اشهد بالله رب موسى ● انك ارسلت بالبطاح ●
فكن شفيعي الى مليك ● يدعو البرايا الى الفلاح ●

قال عبد

قال عبد الرحمن فحفظت الابيات وانصرفت فلما قدمت مكة لقيت ابا بكر رضي الله عنه واخبرته الخبر فقال هذا محمد قد بعثه الله فاتيته فلما اتيت بيت خديجة رآني صلى الله عليه وسلم فضحك وقال لي ارى وجها خليقا ان ارجو له خيرا فما وراءك قلت وديعة فقال ارسلك من برسالة هاتها فاخبرته واسلمت فقال اخا حمير مؤمن مصدق بي وما شاهدني اولئك من اخواني حقا انتهى **وعلماء يهود** وفي نسخة علماء اليهود بالالف واللام وكلاهما صحيح كما بينه سيبويه في باب العلم فانه يكون علما لهذه القبيلة فيمنع من الصرف ولا تدخله الالف واللام قال الشاعر ● اولئك اولى من يهود بمدحة ● اذا انت يوما قلتها لم تؤنب ●
واذا قلت اليهود فانه بمعنى اليهوديين ولكن حذفوا ياء النسبة انتهى وفصله ثم احداثا مما عرف به من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم علماؤهم مما قرأوه في كتبهم ورووه عن اسلافهم كابن صوريا وابن اخطب وابن ياسر ووهب بن يهوذا وغيرهم ممن لا يحصى ومنهم من اسلم ومنهم من عاند حسدا ومات على كفره ● ثم ذكر بعضا منهم وعطفه عطف الخاص على العام فقال **وشامول** بشين معجمة ولام بينهما الف بوزن فاعول وهو من علماء اليهود وكان مع تبع وصاحبه وفي كتاب الوفا لما قدم تبع المدينة لنصرة الاوس والخزرج على اليهود قال اني مخرب هذه البلدة حتى لا يقوم بها يهودية ويرجع الامر لدين العرب فقال له شامول اليهودي وهو يومئذ اعلم اليهود ايها الملك ان هذه البلدة مهاجر نبي من بني اسماعيل مولده مكة واسمه احمد وهذه دار هجرته وان منزلك الذي انت به سيكون فيه من القتل من اصحابه واعدائه امر عظيم فقال تبع ومن يقاتله وهو نبي قال قومه قال واين قبره قال بهذه البلدة قال فاذا قوتل لمن تكون النصرة قال تكون له مرة وعليه اخرى ثم تكون العاقبة له فيظهر حتى لا ينازعه احد ثم سأله عن صفته فاخبره بها كما مر في حديث الحلية الشريفة وقوله **صاحب تبع** اي الذي كان معه ورهبان آخرين لما قدم المدينة فقالوا له لما قص عليهم القصة المارة انا لن نبرح ههنا لعلنا ندركه او ابناؤنا فاعطى كل واحد منهم مالا او جارية تكفوا فيها وقوله **من صفته وخبره** صلى الله عليه وسلم كما عرفته آنفا بيان لما عرف به **وما الفي من ذلك** اي من صفته وخبره **في التوراة والانجيل** والفي بهمزة مضمومة ولام ساكنة وفاء مكسورة ومثناة تحتية مبني للمجهول بمعنى وجد ونصوص التوراة والانجيل كثيرة وسياتي طرف منها ● واعلم ان التبابعة اربعة وقد اختلفوا ايهم آمن به صلى الله عليه وسلم هل الاكبر او غيره كما قاله السهيلي وليس هذا محل تفصيله وقوله **مما جمعه العلماء** في تآليفهم بيان لما الفي فيهما من صفته صلى الله عليه وسلم وخبره **وبينوه** اي اظهروه ووضحوه للناس **ونقله عنهم ثقات من اسلم منهم** اي من اهل الكتاب **مثل** عالمهم وحبرهم عبد الله **بن سلام** بتخفيف اللام وهو من اليهود وتقدم الكلام عليه وعلى اسلامه **وبني سعية** بني جمع ابن وسعية بسين مفتوحة وعين مهملة ساكنة ومثناة تحتية وقيل صوابه النون اكثر واشهر وهم ثعلبة واسيد بالتصغير والتكبير وفتح الهمزة وزيد وقيل انهم سبعة لكن الذي في سيرة ابن سيد الناس عن ابن اسحاق ان ثعلبة بن سعية واسيد ابن سعية واسد بن عبيد وهم نفر من هذيل بني عم قريظة والنضير اسلموا في الليلة التي نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البرهان وهذا هو الذي اعرفه وانهم اثنان لا جماعة فيحتمل ان القاضي رأى منهم اسد بن عبيد فظنه اخاهم ويحتمل انه وقف على انهم

ثلاثة انتهى. **وسبب** اسلامهم انه قدم عليهم رجل من اهل الشام يقال له ابن الهيبان اقام
عندهم وكان عالما يتبركون به ويستسقون فيسقون فلما حضرته الوفاة قال يا معشر
يهود انما اقدمني هذه البلدة خروج نبي قد اظل زمانه وهذه البلدة مهاجره وقد كنت ارجو
ان ادركه فاتبعه فلما بعث صلى الله عليه وسلم وهاجر وحاصر بني قريظة قال لهم بنو سعية
وهم احداث والله انه هو الذي عهد اليكم فيه ابن الهيبان فقالوا ليس به قال بل هو هو بصفته
فنزلوا واسلموا واحرزوا اهليهم واموالهم ودماءهم كما في الاكتفا ودلائل البيهقي **وابن يامين**
بن عمير بن كعب بن جحاش من بني النضير وقيل انه بنيامين ويقال يلبامين باللام وهو احد
الحبرين الذين قدما مع تبع واسم الآخر سخيت وكانه تصغير سخت كما قاله التلمساني وقال
الشارح المجد بن لم اطلع عليه **ومخيريق** بضم الميم وفتح الخاء المعجمة والباء وكسر الراء المهملة وقاف
بصيغة المصغر وهو كما مر كان عالما حبرا من احبار اليهود كثير المال والنخل وكان يعرف
رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته الا انه غلبه الف دينه فلما كان يوم احد يوم السبت
قال يا معشر يهود انكم لتعلمون ان نصر محمد لحق عليكم فقالوا اليوم يوم السبت فقال انكم لا
سبت لكم ثم اخذ سلاحه وخرج حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه باحد وعهد الى قومه
ان قتلت هذا اليوم فاموالي لمحمد يصنع بها ما راه ثم قاتل حتى قتل فجعل ماله صدقة بالمدينة وكان
صلى الله عليه وسلم يقول مخيريق خير يهود ويهود كما تراه اسم هذه القبيلة كما مر ولا شك انه منها
ومن خيرها فلا يقال كيف اضافه لهم بعد اسلامه والامر فيه سهل **وكعب** بن ماتع وهو كعب الاحبار
كما تقدم التابعي المشهور ادرك زمانه صلى الله عليه وسلم واسلم في خلافة ابي بكر رضي الله عنه
وقيل في خلافة عمر رضي الله عنه وتوفي في خلافة عثمان سنة ثنتين وثلاثين ودفن بحمص
وروى عنه آثار كثيرة في صفاته صلى الله عليه وسلم في التورية كما في الوفا وكتاب الشرف
لابي سعيد وفي خير البشر لابن ظفر وساله عمر رضي الله عنه عن صفته صلى الله عليه وسلم في التوراة
فقال ان فيها انه سيد الناس والصفوة من ولد آدم وخاتم النبيين يخرج من جبال فاران
وينبت العرطم من الوادي المقدس فيظهر التوحيد والحق ثم ينتقل الى طيبة فتكون حروبه واياته
بها ثم يقبض ويدفن بها الى غير ذلك مما لا يحصى **واشباههم** من علمائهم الذين كانوا يعرفون امره
صلى الله عليه وسلم واخباره من كتبهم **ممن اسلم** وآمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ورآه
كمخيريق او لم يره ككعب **من علماء يهود وبحيرا** عطفه على علماء اليهود لانه ليس منهم فانه كان
نصرانيا وبحيرا بفتح الموحدة وكسر الحاء ومثناة تحتية وراء مهملة والف مقصورة على المشهور
الا ان البرهان قال انه رآه ممدودة بخط العلامة ابن المرحل فلعله وقف على لغة فيه وقصته
صحيحة مشهورة في السير وهو راهب كان منقطعا للعبادة بصومعة له عند محل يقال لها
بصرى في طريق الشام وكانت قافلة قريش تمر عليه فلا يلتفت لاحد منها فلما ذهب ابو طالب
للشام ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صغير ابن تسع او اثنتي عشرة سنة نزل لهم
وقال يا معشر قريش اني صنعت لكم طعاما فذهبوا معه وتركوه في رحالهم لصغر سنه فقال
لهم بقي احد قالوا لا الا ولد صغير فدعاه حتى اتى فسالوه عن سبب هذا ولم يكن دابه فقال
اني رايت غمامة تظله ولما نزل عند الشجرة مالت لجانبه وان مثله لا يكون الا لنبي وانا نجده
في كتابنا وهذه صفته ونظر لخاتم النبوة فيه فقال لابي طالب احترس عليه من اليهود
واقسم عليه ان يرده فقيل انه رده وقيل اسرع في سفره وعاد به والقصة مفصلة في السير

وبحيرا

وبحيرا هذا من اول من آمن به وعد من الصحابة ان قلنا ان من اجتمع به مؤمنا مطلقا
يعد من الصحابة **ونسطور الحبشة** احترز به عن نسطور الشام وغيره ونسطور معرب
ويقرا بالسين والصاد كما في بعض الشروح ونسطور الشام قصته مذكورة في السير وهي
قريبة من قصة بحيرا وفي بعض النسخ نسطور بدون اضافة للحبشة وقد قال الشراح ان
نسطور الحبشة غير معروف ولعله من علماء اهل الكتاب الذين كانوا عند النجاشي **وصاحب
بصرى** بضم الباء كحبلى بلدة بالشام وهي بين المدينة والشام وقيل انها حوران وهذا هو
المعروف وفي نسخة راهب بصرى وصاحب ملكها الذي ارسل اليه النبي صلى الله عليه وسلم
دحية بكتابه وهو الحارث بن ابي شمر الغساني كما قاله ابن حجر وقال انه مات عام الفتح ولم
يذكر قصته واسلامه وما اخبر به عن امره صلى الله عليه وسلم **واسقف الشام** وفي نسخة
اساقفة الشام ويعني بهم صاحب ايليا وهرقل وابن الناطور وغيرهم واسقف بضم الهمزة
وسكون السين المهملة وضم القاف وتشديد الفاء ولا نظير له الا اسرب وحكى ابن سيده
ثالثا وهو الاسلف للصالح وقال العيني في شرح البخاري ولا يرد عليه الاترج لانه جمع
والكلام في المفرد وفيه نظر لا يخفى وقال عبد الغافر الفارسي في كتاب مجمع الغرائب
والغرائب في الحديث في كتابه صلى الله عليه وسلم لاهل نجران لا يمنع اسقف من سقيفاه
وجمعه اساقفة والسقيفي مصدر كالخليفي ومعناه لا يمنع اسقف من تسقيفه ولا راهب
من ترهبه والمسقف الطويل مع انحناء وكذا الاسقف ويقال هو بين السقف وفي خطبة
الحجاج المعروفة اياكم وهؤلاء السقفا قال القتيبي اكثرت السؤال عنه فلم يعرفه احد وقال
بعض اهل اللغة انما هو الشفعا اي الذين يشفعون عند السلطان في المراتب انتهى وفي القاموس
وقول الحجاج اياكم وهذه السقفا تصحيف صوابه الشفعا كانوا يجتمعون عند السلطان
فيشفعون في المراتب انتهى. وليس كما قال فان الزمخشري اثبته في الفايق والاسقف عالم
النصارى ورئيسهم **وضغاطر** بضاد وغين معجمتين مفتوحتين بعدها الف وطا وراء
مهملتين ويقال ضغاطر بنون وبغاطر بموحدة تحتية مفتوحة وفا وهو اسقف من كبار
الروم اسلم على يد دحية رضي الله عنه لما ارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هرقل وغير
لباسه واظهر اسلامه فقتلوه كما ذكره الذهبي في سنة ست من الهجرة وهو الذي ابهمه البخاري
في اوله في قصة قيصر حيث قال كتب هرقل الى صاحب له برومية كان نظيره في العلم قال
دحية لما خرج عظماء الروم من عند هرقل ادخلني وارسل الى اسقف كان صاحب امرهم
فقال هذا الذي كنا ننتظره وبشرنا به عيسى عليه الصلاة والسلام اما انا فمصدقه ومتبعه
فقال قيصر له ان فعلت ذهب ملكي فقال لي الاسقف خذ هذا الكتاب واذهب به الى صاحبك
واقراه عليه السلام واخبره اني اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واني قد آمنت
به وصدقته وروى ابن اسحاق ان هرقل ارسل دحية الى ضغاطر الرومي وقال انه في الروم
انفذ قولا مني فاظهر اسلامه والقى ثيابه ولبس ثيابا بيضا وخرج ودعا الروم الى الاسلام
وشهد شهادة الحق فقتلوه فلما رجع دحية الى هرقل قال له اما قلت لك انا نخافهم على
انفسنا فضغاطر كان عندهم اعظم مني فضغاطر مخضرم وقيل انه المراد باسقف الشام
لكونه ساكنا بها وهو عندهم رئيس دينهم وعالمهم المتعبد المتخشع وهو فوق القسيس
ودون المطران وكان عالما بصفة النبي صلى الله عليه وسلم في كتبهم وقيل انه غيرهم

ودحية رضي الله عنه ووفد على هرقل مرتين **والجارود بن عمرو** بن العلاء او ابن العلا وكان يكنى ابا غياث او ابا عتاب واسمه بشر وكان سيد عبد القيس على دين النصرانية وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة تسع فعرض عليه الاسلام ورغبه فيه فاسلم هو واصحابه وحسن اسلامه وكان متصلبا في دينه وادرك الردة ولما ارتد قومه دعاهم الى الحق وقال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وكفر من لم يشهد وله اشعار رويت في السير كقوله هم

* شهدت بان الله حق وسامحت * بنات فوادي بالشهادة والنهض *
* فابلغ رسول الله عني رسالة * باني حنيف حيث كنت من الارض *

وسكن بالبصرة وقيل بفارس وقتل بنهاوند سنة احدى وعشرين وسمي الجارود لانه غار على بكر بن وائل فجردهم كما قال العبدي

* ودسناهم بالخيل من كل جانب * كما جرد الجارود بكر بن وائل *

وقيل لانه فر ببلده ودآة الى اخواله بني شيبان ففشى الداء في ابلهم حتى اهلكها فهو فاعول من الجرد بالجيم وهو الاستيصال **وسلمان** الفارسي وقصة اسلامه وملاقاته للرهبان وتبشيرهم له ببعث النبي صلى الله عليه وسلم مشهورة تقدم بعض منها **وتميم** الداري بنسب للدار وهم بطن باليمن من لخم وهو ولدها ني بن حبيب بن نمارة بن لخم بن عدي الحارث بن مرة بن ادد منهم تميم بن اوس بن خارجة بن سواد ويقال سود بن جذيمة بن دراع بن عدي بن الدار ويكنى بابي رقية واسلم تميم سنة تسع وسكن المدينة ثم انتقل الى الشام بعد قتل عثمان وكان من اهل الكتاب عالما بكتبهم فقرا فيها بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتبشير به فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمن به واقطعه اراضي بالقدس وقصته مشهورة افردها ابن حجر وتلميذه السيوطي بالتاليف **والنجاشي** بفتح النون وكسرها وتشديد الياء وتخفيفها واسمه اصحمه وقيل غير ذلك كسلم بالتصغير وهو ملك الحبشة توفي في السنة التاسعة من الهجرة في شهر رجب وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الغايب وهاجر اليه المسلمون الهجرة الاولى وكان من قصة اسلامه المشهورة انه قال للمتنبئ اشهد انه رسول الله وانه الذي بشر به عيسى ولولا ما انا فيه من الملك لاتيته وكنت احمل نعليه وكان من اعلم اهل عصره بالانجيل بعثه وصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكى حتى بل لحيته وقد تقدم الكلام في ترجمته **ونصارى الحبشة** هم قوم منهم عرفوا صفته صلى الله عليه وسلم في الانجيل واخبروا بها **واساقفة نجران** وفي نسخة اساقف بدون هاء جمع اسقف وقد تقدم الكلام عليه قريبا اي علماؤهم ورؤساؤهم ونجران بفتح النون وسكون الجيم وراء مهملة والف ونون وهو موضع باليمن سمي بنجران بن زيدان بن سبا بينه وبين مكة سبع مراحل وليس من الحجاز وبه يسمى اهله وهم نصارى وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ستون راكبا من اشرافهم وكان لهم علم بالكتاب واشرفهم ابو حارثة كان ملوك النصارى يجلونه لعلمه بالنصرانية ثم ملكوه ومولوه وبنوا له كنائس واخدموه فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه اخوه كوز بضم الكاف وآخره زاي معجمة على بغلة له فعثرت فقال له كوز تعس الابعد فقال له لم يا اخي قال لم نومن بهذا النبي وانه الذي كنا ننتظره فقال بلى والله فقال له ما يمنعك قال ما صنع هولاء القوم شرفونا ومولونا وقربوا الاخلاق فلو فعلت نزعوا منا كل ما ترى فاضمرها في نفسه حتى اسلم وكان يحدث به فلما دخلوا المسجد الشريف وقت العصر وعليهم

الحبرات في جمال لم ير مثله فحانت صلاتهم فقاموا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون الى الشرق فقال دعوهم ثم اتوه صلى الله عليه وسلم فكلمه منهم ابو حارثة والعاقب والايهم ودينهم النصرانية والتثليث فقال لهم رسول الله اسلموا قالوا اسلمنا قال كذبتم يمنعكم الاسلام ادعاؤكم لله ولدا وعبادة الصليب واكل الخنزير فانزل الله فيهم اول سورة آل عمران فلما اراد صلى الله عليه وسلم ملاعنتهم تشاوروا فقالوا انه ما لاعن نبي قوما الا استوصلوا ثم نزلوا على امره فاسلم بعضهم وقبل بعضهم الجزية وارسل معهم عبيدة بن الجراح رضي الله عنه يقضي بينهم والقصة مفصلة في كتب التفسير والسير **وغيرهم ممن اسلم من علماء اليهود والنصارى وقد اعترف بذلك** اي ببعثته صلى الله عليه وسلم وانه بشر به في الكتب القديمة **هرقل** ملك الروم وقصته مشهورة مذكورة في اول البخاري وهرقل بكسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف وحكي اسكان الراء وكسر القاف وكان يعرف امره صلى الله عليه وسلم في الكتب الالهية ولكن احب الملك فحكم بشقاوته ما لك الملك وفي الاستيعاب انه آمن به صلى الله عليه وسلم وفيه نظر لانه قاتل المسلمين بموتة ووعدهم ان ياتيهم في العام القابل فالاصح الاول وقد مات على النصرانية وكان عالما بالكتاب وباحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما اخبر به دحية **وصاحب رومة** بضم الراء وسكون الواو وميم مفتوحة يليها هاء في اكثر النسخ وفي بعضها رومية بياء مخففة عند اهل اللغة كانطاكية وغيرها وعدوا التشديد لحنا لانه ليس بنسبة عربية وبعضهم يشددها واختلف فيه فقيل هو ابن الناطور بطاء مهملة وهو لفظ اعجمي معناه حارس الكروم والعامة تقول ناطر بدون واو ويجعله بمعنى الحارس مطلقا واعجمه بعضهم وقيل هو ضغاطر الذي تقدم واعترض بانه اسلم فلا يناسبه قوله بعده انه ممن حمله الشقا على البقا على كفره الا ان يخص ذلك باليهود وهو بعيد وفي القاموس رومة بلدة عند طبرية فيها رياستهم وعلمهم وقيل غير ذلك ولا وجه لما قيل ان الصواب صاحبه برومة كما ورد في الحديث ولا دليل لما ذكره على ما زعمه **عالما النصارى** مثنى عالم **ورئيساهم** مثنى رئيس وهو سيد القوم وحاكمهم وهذا قريب مما قلناه من انه كان صاحب رومية اي حاكمها **ومقوقس صاحب مصر** اي ملكها ومقوقس بزنة اسم فاعل من فوعل علم رومي قيل معناه عندهم مطول البنا وهو الذي اهدى الى النبي صلى الله عليه وسلم قدحا من قوارير وجاريته مارية ومنه اخذت مصر ولم يسلم وغلط من عده من الصحابة كيف وهو لم يلاق النبي صلى الله عليه وسلم وما زال نصرانيا على الاصح واسمه جريج بن مينا كما قاله الدارقطني ولهم مقوقس اخر عد في الصحابة قال الذهبي ولعله الاول وهو ملك القبط وصاحب الاسكندرية وارسل له النبي صلى الله عليه وسلم كتابا يدعوه الى الاسلام فاجابه بما هو معلوم في كتب الحديث والسير وقد يدخلون عليه الالف واللام **والشيخ صاحبه** اي صاحب المقوقس قال البرهان وغيره وهذا الشيخ لا نعرفه الا ان المسعودي ذكره وذكر له قصة في كتاب العجايب احال عليها في مروج الذهب فان وقفنا عليها الحقناها بما هنا **وابن صوريا** بضم الصاد المهملة وواو ساكنة يليها راء مهملة مكسورة ومثناة تحتية والف مقصورة وقيل انها ممالة وهو عبد الله ابن صوريا الاعور اليهودي ولم يكن في زمانه اعلم منه بالتورية وقال النقاش انه اسلم وقيل اسلم ثم ارتد ولم يذكر ابن اسحاق اسلامه وعد في الاصابة من الصحابة وفي معالم التنزيل انه الذي نزل فيه من كان عدوا لجبريل

بل

وكلام المصنف مبني على عدم اسلامه **وابن اخطب** بزنة افعل من الخطبة وهو حيي ابو
ام المؤمنين صفية رضي الله تعالى عنها **واخوه** ابو ياسر اليهوديان اللذان قتلا كافرين
صبرا في اسرى بني قريظة وكانا يعلمان امر النبي صلى الله عليه وسلم وما في التوراة من ذكر
بصفته ومع ذلك كانا اشد الناس عداوة له كما ذكرت ذلك صفية لرسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم ما اسلمت وقالت لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة غدا اليه ابي وعمي
ثم جاا بالعشي فسمعت عمي يقول لابي اهو هو قال نعم الحديث **وكعب بن اسد** من بني قريظة
وهو صاحب عقدهم وقال لهم لما حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر يهود انكم
ترون ما نزل بكم من الامر فتعالوا نتابعه ونصدقه فوالله لقد تبين لكم انه نبي مرسل وانه
الذي تجدونه في كتابكم فتامنوا على نسائكم واموالكم واهليكم فقالوا لا نفارق حكم التوراة
ولا نستبدل به غيره الى اخر القصة وما فيها من نقضهم العهد وقتلهم ونقال انه كعب كتف
بمثناتين وكاف ومثناة فوقية ودال مهملة **والزبير بن باطيا** الزبير هنا بفتح الزاي المعجمة
وهو من يهود بني قريظة ايضا قتل كافرا في وقعة بني قريظة وهو جد عبد الرحمن بن الزبير
بضم الزاي وقيل انه بفتحها كاسم جده قيل والصحيح انه بالضم كما في تاريخ البخاري وقال
ابن مرزوق الزبير بفتح الزاي في اليهود وفي غيرهم بالضم والزبير هذا قتله ثابت بن قيس
بن شماس يوم بني قريظة وكان من اعلم اليهود وروي عنه ابنه انه كان يقول اني وجدت
سفرا كان ابي يختمه فيه ذكر احمد نبي يخرج بارض القرظ صفته كذا وكذا فتحدث به بعد ابيه
والنبي صلى الله عليه وسلم لم يبعث فما هو الا ان سمع بان النبي صلى الله عليه وسلم خرج بمكة
فعمد الى السفر فمحاه وكتم شانه صلى الله عليه وسلم وصفته وقال ليس به وباطيا بموحدة والف
ثم طاء مهملة ومثناة تحتية والف مقصورة وفي بعض النسخ باطا بدون ياء وكتب عليها صح
وقال التلمساني لها رواية فيه **وغيرهم من علماء يهود** الذين عرفوا نبوته صلى الله عليه
وسلم وذكروه بصفته نقلا عن كتبهم واخبارهم ولهم ذكر في مفصلات السير **ممن حمله الحسد**
له صلى الله عليه وسلم كابن سلول والحسد للعرب اذ كان هذا الرسول منهم دون بني اسرائيل
والنفاسة بفتح النون بمعنى المنافسة وفسرت بالحسد وهي مغايرة له لانها المنازعة
في الانفسة بان يدعي انه انفس واحق بما هو فيه وانه لا يساهله ويستحقه وحمله بمعنى
بعثه ودعاه لما ذكر حتى كانه حمله حتى اوصله له ثم صار حقيقة عرفية فيما ذكر **على
البقاء على الشقاء** اي اصراره على كفره وارتداده عنادا والشقاوة ضد السعادة وبين الشقا
والبقا تجنيس **والاخبار** الواردة **في هذا** الباب **كثيرة لا تنحصر** اشارة الى ان ما ذكره
قليل بالنسبة لما تركه منها اذ هي لا يمكن حصرها اي الاحاطة بها **وقد قرع** بالبناء للفاعل
والتخفيف والتشديد والقرع الضرب والصدم بما يسمع له صوت فاذا شدد كان مبالغة
فيه ويكون بمعنى التوبيخ والتعيير فاذا خف فهو استعارة للمبالغة في الجهر حتى كانه
يضرب اسماعهم فاذا شدد فالمراد به توبيخهم بما ذكر **اسماع اليهود والنصارى** خصهم
لانهم اهل الكتاب وقدم اليهود لانهم اشد عداوة له صلى الله عليه وسلم واكثر انكارا وعنادا
وفي بعض النسخ يهود والنصارى وعرف النصارى بال دون يهود لانه علم كما مر وقيل
لان اليهود اشد عداوة للمؤمنين وفيه نظر **بما ذكر انه في كتبهم** متعلق بقرع وفاعله
النبي صلى الله عليه وسلم **من صفته صلى الله عليه وسلم وصفة اصحابه** وفي نسخة

وصف امته وكلاهما صحيح متقارب المعنى فانه وقع في الكتب الالهية ذكرها خصوصا
وعموما ففي التوراة انهم خير امة هم الاخرون السابقون يوم القيمة اناجيلهم صدورهم
يؤمنون بالكتاب الاول والاخر ويقاتلون اهل الضلالة الى غير ذلك مما استوفاه ابن ظفر
في كتاب خير البشر بخير البشر **واحتج** صلى الله عليه وسلم اي اقام الحجة عليهما **بما انطوت
عليه صحفهم** اي بما حوته واشتملت عليه وفيه اشارة الى اخفاء ما فيها وكتمه لان الصحيفة
اذا طويت لم ينظر لما فيها وصحف بضمتين وتسكن تخفيفا جمع صحيفة وهي الكتاب والاكثر
جمعه على صحايف لان فعيلة لا تجمع على فعل الا نادرا **من ذلك** اي صفته صلى الله عليه
وسلم وصفة امته **وذمهم بتحريف ذلك** المذكور في كتبهم بتغيير بعض الفاظه وتفسيره
بغير المراد منه كقوله تعالى من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه الاية فبدلوا صفته
حتى اضلوا جهالهم وقالوا ليس هو الموعود به في كتابنا **وكتمانه** اي اخفاء صفته
صلى الله عليه وسلم وصفة امته كما قال تعالى ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق
وانتم تعلمون **وليهم السنتهم ببيان امره** اي صرفه لغيره حسدا وبغيا بان يتركوا
بيانه ويعدلوا عنه لغيره اصل اللي فتل الحبل ونحوها فاستعير لصرفها عن الصدق
الى الكذب قال الراغب لوى لسانه بكذا كناية عن الكذب قال تعالى يلوون السنتهم
بالكتاب انتهى **ودعوتهم اي المباهلة على الكاذب** اي قرع اسماعهم بدعوتهم
اليها وطلبها منهم كما وقع له صلى الله عليه وسلم مع نصارى نجران اذ دعاهم للمباهلة
فابوا وبذلوا الجزية كما مر والمباهلة الملاعنة من الابتهال وهي اللعنة بان يقول كل منهما
لعنة على الظالم والكاذب منا وقد جرب ان المباهل لا تمضي عليه سنة وقيل معناها التضرع
والاجتهاد في الدعاء وتتعدى بعلى **فما احد منهم** اي اليهود والنصارى **الا من نفر**
اي اعرض وهرب **عن معارضته** فيما قرع به اسماعهم وذمهم به فترك المعارضة لعدم
قدرته عليها **وابداه** فاعله ضمير من وافرده نظرا للفظه وجمعه في قوله **ما الزمهم** نظرا
لمعنى من وفاعل الزم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله **من كتبهم** بيان لما اي مما الزمهم
به من نصوص كتبهم كقصة الرجم المشهورة **اظهاره** مفعول الزم اي الزمهم اظهاره اذ كتموه
ولو وجد خلاف قوله في كتبهم **لكان اظهاره** اسم كان وقوله **اهون عليهم** اي
اسهل خبر كان **من بذل النفوس** بموحدة وذال معجمة اي اعطائها له بالقتل **والاموال**
التي غنمها واخذها منهم قهرا **وتخريب الديار** كما وقع ليهود خيبر وبني النضير **ونبذ
القتال** اي تركه وهو استعارة لتغليلهم يقال نبذ النواة اذا طرحها **وقد قال لهم**
جملة حالية اي لليهود لما قرع اسماعهم بقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم
طيبات احلت لهم وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا عليهم كل ذي ظفر فقالوا لسنا اول
من حرمت عليه فقد حرمه الله على ابراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فقال لهم
قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين ليظهر انها لم تحرم الا عليكم لظلمكم
وبغيكم فامر بمحاجتهم بما فيها توبيخا لهم فلما قال لهم ذلك بهتوا ولم ياتوا بنت شفة لانقطاع
حجتهم وظهور كذبهم كما في قصة الرجم وكانوا ادعوا ان لحوم الابل حرمت على يعقوب وبنيه
في التوراة فنحن نحرمها فقال لهم صلى الله عليه وسلم انها لم تحرم وانما امتنع يعقوب
من اكلها لانه كان به عرق النسا وهي تضره **الى ما انذر به الكهان** جمع كاهن وهو الذي

وهو الذي يخبر بالامور قبل وقوعها ويدعي الاطلاع عليها والانذار الاعلام بما فيه
موعظة وتخويف والى غاية لما تقدم اي انتهاما تراد فمن الاخبار الى انذارهم به بقرب
زمانه او الى بعثته ثم وكانت الكهان تتلقى ذلك من الشياطين مثل شافع ابن كليب بشين معجمة
كاسم الفاعل من الشفاعة وكليب مصغر كلب وهو كاهن من كهان العرب اخبر تبعا بخبر النبي
صلى الله عليه وسلم ومهاجره بالمدينة كما تقدم بيانه وقال الحافظ ومن تبعه لا اعرفه
وشق وسطيح وهما كاهنان من كهان العرب وشق بكسر الشين المعجمة هو شق بن صعب
بن يشكر وجه الاعلى ربيعة بن انمار وكان بيد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة وكانت
العرب تاتيه فيخبرهم بما ياتي وسطيح بفتح السين وكسر الطاء المهملتين ومثناة وحاء مهملة
وهو ابن ربيعة بن مسعود بن مازن بن غسان قيل ان جسده كان لا عظم فيه غير جمجمة
راسه فكان يدرج كالثوب فاذا غضب انتفخ وقيل انه عاش ثلاثمائة سنة وقصتهما وذكرهما
للنبي صلى الله عليه وسلم لما ارسل كسرى عبد المسيح يساله عن رؤياها لنه مذكورة في السير
مشهورة ولهما قصص كثيرة في التواريخ وادركا زمانه صلى الله عليه وسلم وسواد بن قارب
بلفظ السواد ضد البياض وقارب بزنة اسم فاعل من القرب وهو سواد الدوسي الصحابي
وكان كاهنا من كهان العرب له رئي من الجن ياتيه ويخبره بالمغيبات فبينما هو ذات ليلة
اذ اتاه فضربه برجله وقال له قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي ان كنت تعقل انه قد بعث
رسول من لؤي بن غالب يدعو الى الله عز وجل والى عبادته ثم اتاه ليالي يقول له مثل مقالته
فركب ناقته واتى المدينة فاجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمن به واخبره بخبر رئيه
وما قال له من الاشعار فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفصيله في السير فاعلمه
وخنافر بضم الخاء المعجمة ونون والف بعدها فاء مكسورة وراء مهملة وهو كاهن من حمير له
رئي من الجن اخبره ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم فاسلم على يد معاذ رضي الله عنه ولم ير النبي
صلى الله عليه وسلم فهو تابعي وهو ابن التوام الحميري وله جنية تسمى شصارا وشاصر
وكان غانيا ذا مال وسعة فاسلم وحسن اسلامه وفي امالي القالي عن الكلبي قال كان
خنافر بن التوام الحميري كاهنا قد اوتي بسطة في الجسم وسعة المال وكان غانيا فلما وفد
وفود اليمن على النبي صلى الله عليه وسلم وظهر الاسلام اغار على ابل لمراد فلحق باهله وبها
الشحر فحالف جودان وهو سيد منيع ونزل عنده بواد مخصب وكان له رئي في الجاهلية
لا يكاد يغيب عنه فلما فشا الاسلام فقده مدة حتى ساءه ذلك فبينما هو بذلك الوادي
هوى عليه هوي العقاب فناداه خنافر فقال شصار قال اسمع قال قل اسمع فقال عِ
تغنم لكل مدة نهاية وكل ذي امد الى غاية فقلت اجل قال كل ذي دولة الى اجل ثم يتاح له حول
انتسخت النحل ورجعت الى حقائقها الملل انك سجير موصول والنصح لك مبذول اني
آنست بارض الشام نفرا من آل العرام حكاما على الحكام يذبرون ذا رونق من الكلام
ليس بالشعر المؤلف ولا السجع المتكلف فاصغيت فزجرت فعاودت فظلفت فقلت علام
تهيمون والى م تعتزون قالوا خطاب كبار جاء من عند الملك الجبار فاسمع يا شصار
اصدق الاخبار واسلك اوضح الاثار تنج من اوار النار فقلت وما هذا الكلام فقالوا فرقان
بين الكفر والايمان رسول من مضر من اهل المدر ابتعث فظهر فجاء بقول قد بهر واوضح
نهجا قد دثر ومواعظ لمن اعتبر ومعاذا لمن ازدجر الف بالاي الكبر قلت ومن هذا

المبعوث

المبعوث من مضر قال احمد خير البشر فان آمنت اعطيت البشر وان خالفت اصليت
سقر فآمنت يا خنافر واقبلت اليك ابادر فجانب كل نجس كافر وشايع كل مؤمن طاهر
والا فهو الفراق عن لا تلاق قلت من ابين هذا الدين قال من ذات الاحرين والنفر الميامين
اهل الماء والطين قلت اوضح قال الحق بيثرب ذات النخل والحرة ذات النعل فهناك
اهل الطول والفضل والمواساة والبذل ثم املس عني فبت مذعورا اراعي الصباح
فلما برق لي النور امتطيت راحلتي واذنت عبدي واحتملت اهلي حتى وردت الجوف
فرددت الابل على اربابها بحولها واسقابها واقبلت اريد صنعاء فاصبت بها معاذ بن جبل
امير رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته على الاسلام وعلمني سورا من القرآن فمن الله
علي بالهدى بعد الضلالة والعلم بعد الجهالة ثم ذكر له شعرا وشرح ما في الخبر من اللغة
فان اردته فارجع اليه وفيما ذكرنا كفاية وافعى نجران هو ملك من ملوك نجران كان كا
وهو الافعى بن الافعى الجرهمي عن عاصم بن عمر بن قتادة قال قدم شيخ من مضر على رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومعه اربعون رجلا يحفون به فقال يا رسول الله خرفت وردت
وعظمت ثم رجع ذلك فاسود شعري وثاب عقلي ونبتت اسناني وهؤلاء ولدي لصلبي وظهم
من نسلهم اضعافهم وقد سمعت افعى نجران يذكر في غابر الازمان انه سيبعث نبي من صفته
ان له خاتما يسطع نوره بين كتفيه يبعث بمكة ويهاجر الى طيبة فبالذي فضلك بالرسالة
وايضاح الدلالة الا كشفت لي عن خاتم نبوتك فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
حفظت على طول العهد وان فيك لمعتبرا ثم كشف له عن خاتم النبوة فاكب عليه يقبله وافعى
نجران هذا هو الذي حكم بين اولاد نزار لما تشاجروا في ميراث ابيهم وهم مضر وربيعة وانمار
واياد وقال يا مضر انت ابو النبي الهاشمي فانا نجد في الآثار انه من ولد نزار بن معد بن
عدنان واني لارى للنبوة بين عينيك نورا واجلسه على سرير ملكه وجلس تحته وهذا مما
اشار اليه المصنف والشراح كلهم لم يقفوا عليه وجدل بن جدل الكندي قال الحافظ الحلبي
لا اعرفه وتبعه غيره من الشراح وهو كاهن من كهان العرب اخبر ببعثته صلى الله عليه وسلم
قديما ولم نر تفصيل قصته الا ان التلمساني قال جذل بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة ولام
وقيل انه بجيم ودال مهملة مفتوحتين من كندة وهي قبيلة معروفة لما ولدته امه لمست
ذكره فلم تجده من شدة البرد فطلبته جارية فطرحته وزوجها في سكرات الموت فاشتغلت
بموته ثم ذكرت بعد ثلاث رؤيا بشرت فيها بولد ذكر تسميه باسم ابيه فقامت وهي تظن انه
مات فوجدت كلبة ترضعه فحملته وسمته باسم ابيه وابن خلصة الدوسي بخاء معجمة ولام
وصاد مهملة مفتوحات وهو كاهن من كهان العرب بشر بالنبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكروا
له ترجمة ودوس بفتح الدال المهملة قبيلة معروفة وقال في الخصائص الكبرى نقلا عن
الهواتف عن مرداس بن قيس الدوسي قال ذكرت الكهانة عند النبي صلى الله عليه وسلم
فقلت يا رسول الله كانت عندنا جارية يقال لها خلصة لم نعلم عليها الا خيرا فجاءتنا فقالت
يا معشر دوس هل علمتم بي الا خيرا قلنا وما ذاك قالت اني لفي غنمي اذ غشيتني ظلمة فوجدت
كحس الرجل مع المرأة فحملت فلما دنت الولادة وضعت غلاما اعضف له اذنان كاذني الكلب
فمكث فينا وكان لا يتكلم شيئا فلما كان منعطك صار يكذب فقلنا له ما هذا فقال ما ادري
كذبني الذي كان يصدقني اسجنوني في بيتي ثلاثا ثم ائتوني ففعلنا وفتحنا عنه فاذا هو

بين

هنا

كانه جمرة نار فقال يا معشر دوس حرست السما وخرج خير الانبيا فقلنا من اين قال بمكة وانا ميت فادفنوني براس جبل فاني ساضطرم نارا فاذا رايتم ذلك فادفنوني بثلاثة احجار فقولوا مع كل حجر باسمك اللهم فاني اهدى واطفى ففعلنا ذلك واقمنا حتى قدم علينا الحاج فاخبرنا بمبعثك يا رسول الله انتهى ومنه تعلم ان الشراح لعدم وقوفهم على قصتها ظنوها كاهنا ذكرا وانما هي كاهنة فاعرفه فان خلصنا مراة والكاهن انثها **وسعدى بنت كريز** بضم الكاف العربية والرا المهملة وآخره زاي معجمة وفي النسخ هنا اختلاف والصحيح ما ذكرناه وهي خالة عثمان بن عفان اخت امه كانت في الجاهلية لها علم وكهانة فاخبرت عثمان ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم وتزوجه بابنته رقية فصدقها وكان ذلك سبب اسلامه فلما اسلم كانت تنشد

هدى الله عثمانا بقولي الى الهدى ... وارشده والله يهدي الى الحق

وفي بعض النسخ سعدى بنت كريز **وفاطمة بنت النعمان** قال التلمساني هي فاطمة بنت النعمان النجارية كان لها تابع من الجن وكان اذا جاء اقتحم عليها فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاها وقعد على حايط الدار فقالت له لم لا تدخل فقال قد بعث نبي يحرم الزنا فكان ذلك اول من سمع بذكر النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وكانت في الجاهلية عالمة كاهنة ونعمان بضم النون هو نعمان بن قراد وقيل هو علي بن نعمان بن قراد وروى عن ابن عمرو وغيره فهو تابعي ونعمان اسم موضع واسم الدم ايضا **ومن لا يعد كثرة** وفي نسخة بعد مطاوع يعد اي لا يعد لكثرته لا لعدم اعتبار مضمونها ومنها **الى ما ظهر على السنة الاصنام** الظاهر انه استعارة تمثيلية شبهها في ظهور صوت شخص تكلم بكلام وقيل هذا لا يصح لانه على مذهب الجبائي الذي يشترط الالة المخصوصة للنطق ونحن لا نشترط الا الحياة فالصواب كلام الاصنام او نطق الاصنام لان المراد بالسان الكلام وليس بشي لما علمت من انه استعارة وهذا تعبير في وجوه الحسان وقد ذكر ابن اسحاق وغيره كثيرا مما سمعه المشركون من جوف اصنامهم يقول ان امرهم بطل بظهور الرسول صلى الله عليه وسلم ويامرهم بالتباعد وان الباطل بطل وقد جاء الحق **من نبوته** صلى الله عليه وسلم **وحلول وقت رسالته** ومن بيانه لما كصنم كان لمازن الطاي قرب له يوما قربانا فسمعه يقول يا مازن اقبل الي اقبل تسمع ما لا تجهل هذا نبي مرسل جاء بحق منزل آمن به كي تعدل عن حر نار تشعل الى آخر ما في الشفا من انه سمعه منه مرارا فكسره ووصل الى النبي صلى الله عليه وسلم ونظايره كثيرة وكانت الشياطين هي التي تسمعهم الكلام من غير ان يروهم **وسمع** مبني للمفعول معطوف على ظهر **من هواتف الجن** وفي نسخة الجان وهما بمعنى وقد فرق بينهما بان الجان ابو الجن والجن الجنس كله والهواتف جمع هاتف من الهتف وهو الصوت العالي مطلقا ثم خص بصوت يسمع ممن لا يرى شخصه من صريح ولذا خص بالجن عند العرب وعند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم كثر ذلك وللخرايطي كتاب الهواتف جمع فيه ذلك فكانت تلك الهواتف تخبر ببعض احواله صلى الله عليه وسلم وهذه اية عظيمة من اياته وظهور بيناته كسماع ذباب بن الحارث هاتفا يقول يا ذباب يا ذباب اسمع العجاب بعث محمد بالكتاب يدعو فلا يجاب وسماع بن قرة الغطفاني هاتفا يقول جاء حق فسطع ودمر باطل فانقمع وسماع قريش هاتفا يخبر بمولده صلى الله عليه وسلم على ابي قبيس الى غير ذلك فحلل الكون السنة تنطق تخبر به وتدل على علو منزلته ولكن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء

والصوفية يسمون الواردات الالهية هاتفا **ومن ذبايح النصب** اي ما سمع منها اذا قربت للذبح والذبايح جمع ذبيحة وهي ما يذبح من بقر وغنم والنصب بضمتين جمع نصب بفتح فسكون وهو ما ينصب من الحجارة والاصنام للعبادة وهو مثل ما سمع عمر رضي الله عنه من عجل قربه رجل ليجعله قربانا للصنم فقال يا آل ذريح امر نجيح رجل فصيح يقول لا اله الا الله الى آخر ما رووه **واجواف الصور** اي ما سمع من الاصنام التي كانوا يصورونها فهو جمع صورة بمعنى جثة مصورة وهي التمثال والاجواف جمع جوف وهو داخل كل شي **وما وجد من اسم النبي صلى الله عليه وسلم مكتوبا في الحجارة والقبور** اي وعلى القبور **بالخط القديم** المتقدم عهد كتابته **والشهادة له بالرسالة** بذكر اسمه وانه نبي مرسل من الله **ما اكثره مشهور** بين الناس وما الثانية بدل من الاولى او خبر والاولى مبتدا وهما موصولتان وقد نقل ثقات المورخين في قصص لا تحصى ومكتوب روي مرفوعا خبر مبتدا محذوف ومنصوب مفعول ثان لوجد والخبر مقدر اي ثابت وقد تقدم انه وجد خط عبراني على بعض الحجارة محمد مقيم مصلح امين وفي تفسير قوله تعالى وكان تحته كنز لهما عن ابن عباس انه لوح من ذهب مكتوب فيه عجبا لمن ايقن بالقدر كيف ينصب عجبا لمن ايقن بالنار كيف يضحك عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها انا الله لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي **واسلام من اسلم بسبب** اي ما راه من الكتابة القديمة والمراد انها بغير اللسان العربي وهو ما يدل على صدق ما كتب فاعرفه **معلوم مذكور** في السير والتواريخ والله الموفق

فصل ومن ذلك

اي مما يدل على نبوته صلى الله عليه وسلم ورسالته **ما ظهر من الايات** اي العلامات او الادلة **عند مولده** اي ولادته صلى الله عليه وسلم فهو مصدر ميمي **وما حكته امه** آمنة بنت وهب وهي اشهر من ان تذكر **ومن حضره** ولادته **من العجايب** قيل اخر هذا الفصل وكان ينبغي تقديمه لانه اقوال لتقدم المعجزات بحسب الشرف ويابا انه ذكر فيه ما يتعلق بوفاته صلى الله عليه وسلم وهي متاخرة فهو ناظر لذلك او لانه لا يختص بزمان وهو كالاول لما قدمه والنكتة فيه لكنه تاخروا العجايب وما معه اشارة الى ما رواه ابو نعيم عن ابن عباس من ان امه صلى الله عليه وسلم لما حملت به اتاها آت في منامها بعد ستة اشهر وقال لها يا آمنة انك قد حملت بخير العالمين فاذا ولدتيه فسميه محمدا واكتمي شانك فلما اخذني ما ياخذ النساء لم يعلم بي احد واني لوحيدة في منزلي فسمعت وجبة عظيمة وامرا عظيما هالني فرايت كان جناح طاير ابيض قد مسح على فوادي فذهب عني الرعب وكلما اجد من الم انقطع فاذا انا بنسوة طوال حولي فقلت من اين علمن بي وفي رواية انهن قلن نحن آسية امراة فرعون ومريم ابنة عمران وهولاء من الحور العين فبينا انا كذلك واذا انا بديباج ابيض بين السما والارض وقايل يقول خذاه عن اعين الناس ورجال في الهوا بايديهم اباريق من فضة وقطعة من الطير منا قيرها من زمرد واجنحتها من الياقوت فكشف الله عن بصري فرايت مشارق الارض ومغاربها وعلما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما فوق الكعبة فوضعته صلى الله عليه وسلم وكانت قريش مجدبة فاخصبت الى غير ذلك مما ذكروه قال ابن الجوزي في تلقيح الفكر اتفقوا على انه ولد يوم الاثنين في شهر ربيع الاول

عام الفيل واختلفوا فيما مضى منه على اربعة اقوال فقيل لثمان خلتا منه وقيل لثماني
وقيل لعشر وقيل لاثني عشر خلت منه ومات ابوه وهو ابن خمس وعشرين سنة ورسول الله صلى
الله عليه وسلم حمل وقيل ابن سبعة اشهر وقيل ابن ثمانية وعشرين شهرا والاصح الاول وكونه
رافعا راسه عند ما وضعته اي رفعه نحو السما كما رواه البيهقي شاخصا ببصره الى السما
قال الراغب شخص من بلده ذهب وشخص سهمه وبصره واشخصه صاحبه وقوله شاخصة ابصارهم
اي اجفانهم لا تطرف وقوله الى السماء تنازعه رافعا وشاخصا وهذا اشارة الى تعلقه صلى الله
عليه وسلم بالملاء الاعلى وتوجهه من اول امره كما قال الابوصيري ﴿

رافعا راسه وفي ذلك الرفـ • ـع الى كل سودد ايماء

وروي انه خرج منه نور اضاء له المشرق والمغرب وروي انه ولد واصابعه مقبوضة
مشيرا بالسبابة كالمسبح وما راته امه كما رواه احمد والبيهقي من النور الذي خرج معه
عند ولادته وحديث النور الذي خرج معه اضاء له جميع الارض رواه جماعة وصححه ابن
حبان والحاكم عن اسحاق بن عبد الله ان امه صلى الله عليه وسلم قالت لما ولدته خرج من فرجي
نور اضاء له قصور الشام فولدته نظيفا ما به قذر قال ابو شامة كان امر هذا النور اشتهر
ذكره في قريش واليه اشار العباس بقوله ﴿

وانت لما ولدت اشرقت الار • ض وضاقت بنورك الافق الخ

وقال حسان رضي الله عنه ﴿

نورا اضاء على البرية كلها • من يهد للنور المبارك يهتدي

قال ابن رجب رحمه الله وهو اشارة الى نور هدايته الذي محى ظلمة الشرك كما قال تعالى قد جاءكم
من الله نور وكتاب مبين وقوله واضاء له قصور الشام خصه لانه مشرق انوار النبوة وهي دار
ملكه وما راته اي وقت ولادته ام عثمان بن ابي العاص ابو عبد الله بن بشر الثقفي
وامه اسمها فاطمة بنت عبد الله وعثمان هذا من اكابر الصحابة وله فتوحات وتولى قضاء البصرة
وروي عنها انها شهدت مولده صلى الله عليه وسلم ورات ما راته من تدلي النجوم التدلي
الدنو والقرب كما قاله الراغب وهو في الاصل استعارة من الدلو صار حقيقة عرفية في القرب
وظهور النور الذي خرج معه كما مر ويحتمل انه نور النجوم لقربها حتى ما تنظر اي ام عثمان المذكورة
بتاء المضارعة ويجوز ان يقرا بالنون للحاضرين او الموجودين والاول اولى دراية ورواية
الا النور اي لا ترى شيا غير النور وهو مبالغة في قوته وانتشاره في جميع النواحي والظاهر
ان تدلي النجوم على ظاهره قال الابوصيري رحمه الله ﴿

وتدلت زهر النجوم اليه • واضاءت بضوئها الارجاء

وقيل معنى تدليها سقوطها ولا ينبغي مثله وقول الشفاء ام عبد الرحمن بن عوف الشفا بشين
معجمة مفتوحة وفاء مشددة وممدود كما قاله الدلجي والمعول عليه ما قاله البرهان الحلبي انها بكسر الشين
والقصر وهي كما قال الذهبي بنت عوف بن عبد الزهرية من المهاجرين والدة عبد الرحمن بن عوف
وحكاه عن الزبير قال وقد قيل انها امه لما سقط صلى الله عليه وسلم على يدي اي وضعته
انه نزل على يديها واستهل اي عطس لا صاح وان كان يقال استهل الصبي اذا صرخ بدليل قوله
سمعت قائلا اي ملكا يقول له صلى الله عليه وسلم رحمك الله تشميتا له بناء على ان رحمك
بفتح الكاف وقال التلمساني انه روي بكسرها والظاهر الاول وهو لم يفسر فالخطاب لامه او له

صلى الله عليه وسلم باعتبار النسمة وتفسير استهل بعطس ذكره الدلجي ويشهد له قول
الابوصيري ﴿ شمتته الاملاك اذ وضعته • وشفتنا بقولها الشفاء •
وهذا الحديث رواه ابو نعيم في الدلائل عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه واضاء لي ما بين
المشرق والمغرب حتى رايت قصور الروم ولا منافاة بين هذا وبين رواية قصور بصرى
والروم لانها كانت اذ ذاك بيد الروم وتتمة الحديث ثم اضجعته فلم البث اذ غشيتني ظلمة ورعب
وقشعريرة ثم غيبت عني فسمعت قائلا يقول اين ذهب به قال الى المشرق فلم يزل ذلك على بال
مني حتى ابتعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنت اول الناس اسلاما وفي الخوارق امور غريبة
من تنكيس اسرة الملوك وذهاب الحيوانات من المغرب للمشرق للتبشير به صلى الله عليه وسلم
وروي انه ولد مختونا مسرورا اي مقطوع السرة قال الحاكم في مستدركه انه تواترت به الاخبار
وقال الذهبي لا اعلم صحته فضلا عن تواتره وقيل انه ختن يوم سابعه وما تعرف به حليمة
بنت ابي ذويب السعدية مرضعته وخبرها مشهور وزوجها الحارث بن عبد العزى ظئراه عطف
بيان او بدل من حليمة وزوجها وهو تثنية ظئر وهو المرضعة في الاصل وتطلق على الاب من الرضاعة
كما هنا والظئر مشترك معنوي لانه من ظار اذا عطف فلا اشكال في تثنيته فانه ليس نحو قمرين
ثم انه مسموع من بركته صلى الله عليه وسلم لما اخذته من امه ودرور لبنها له اي زيادة خروجه
له صلى الله عليه وسلم ولاخيه من الرضاعة بعد قلته ولبن شارفها اي زيادة خروجه ودرور
لبن شارفها والشارف الناقة المسنة ولبنها لا يدر وخصب غنمها اي رعيها في مكان مخصب
في سنة مجدبة او هو مجاز عن سمنها وكثرة لبنها وكل ذلك ببركته صلى الله عليه وسلم لكونه
عندها واصل معنى المخصب بكسر الخاء المعجمة المكان الكثير العشب واول من ارضعته صلى الله عليه
وسلم ثويبة جارية ابي لهب ثم حليمة رضي الله عنها وقد وفدت حليمة رضي الله عنها على النبي صلى
الله عليه وسلم فاكرمها وبسط لها رداءه لتجلس عليه وقال ابن عبد البر انها اسلمت وانكر الدمياطي
وصنف فيه مغلطاي جزءا وله صلى الله عليه وسلم اخوة من الرضاعة مفصلة في السير كما
فصل فيها احوال مرضعته وذهابها به صلى الله عليه وسلم وسرعة شبابه وحسن نشاته
اي سرعة نمو خلقه وقامته ونشاته ابتداء امره في صغره من نشا ينشا ونوناسي فان حليمة
قالت والله ما بلغ سنتيه حتى صار غلاما جفرا وما جرى اي وقع وحدث من العجائب
في ليلة مولده اي ولادته مما رواه البيهقي وغيره وفي نسخة ميلاده وهما بمعنى وهذا يدل
على انه ولد ليلا وهو الذي رواه ابن السكن في حديث تقدم والذي في مسلم وصححوه انه ولد نهارا
بعد الفجر وقبل طلوع الشمس وجمع بينهما بان تلك الحصة تعد ليلا لقربها منه وبعضهم يرى ان
اليوم من طلوع الشمس من ارتجاج اي تحرك واضطراب ايوان كسرى وهو قصره ومن الاولى
بيان لما والثانية للعجائب وقيل بيان لما ايضا وفيه نظر وكسرى بكسر الكاف وفتحها معرب
خسرو وكسرى هذا انوشروان بن قباذ وهو غير كسرى الذي كتب له رسول الله صلى الله عليه
وسلم فمزق كتابه فهو ابرويز بن هرمز بن انوشروان وهذا الحديث رواه البيهقي وابن ابي
الدنيا وابن السكن والايوان الصفة العظيمة والبناء العالي العظيم واصله اوان بتشديد الواو
فابدلت الاولى ياء وفسر بعضهم الايوان ببيت الملك العظيم المعد لجلوسه مع وزرائه لفصل
الامور وسقوط شرفاته جمع شرفة بضمتين او بضم فسكون بوزن غرفة وشرفات بضمتين
جمع شرفة كما في تثقيف اللسان ويجوز تسكينها وفتحها كما قاله البرهان وفسرت بالعالية وانما هي

ما يبني على الحائط منفصلا بعضه من بعض على هيئة معروفة وله شرفات كثيرة فسقط منها اربعة عشر بعدد من ملك من اولاده بعد ظهور الاسلام وانقضت مدتهم في زمان قليل والطاق شرفات على ما ذكر لاستوآء القلة والكثرة فيه لاضافته اولانه لاجمع له سواه اولانه يجوز استعمال كل من الجمعين في معنى الآخر **وغيض بحيرة طبرية** غيض بفتح الغين المعجمة وسكون اليآء التحتية وضاد معجمة مصدر غاض يغيض اذا قل وذهب يقال غاض المآء وغاضه الله واغاضه فيتعدي ولا يتعدي وبحيرة تصغير بحرة وهي البركة الكبيرة التي كثر ماؤها ويطلق على الارض الواسعة والمراد الاول وطبرية بلدة بالشام معروفة من الارض المقدسة بينها وبين بيت المقدس مرحلتان وبحيرتها عظيمة الآن قال البرهان قال المعروف بالغيض بحيرة ساوة اللهم الا ان يريد عند خروج ياجوج وماجوج فان اولهم يشربها ويجي آخرهم فيقول كان ها هنا مآء انتهى وقول ما قاله غير صحيح هنا لان الكلام فيما حصل عند ولادته صلى الله عليه وسلم من الآيات والعجب ممن تابعه على هذا مع ظهوره وساوة بلدة اخرى بينها وبين الري اثنان وعشرون فرسخا والجواب الحق ان المراد بحيرة طبرية وطولها ستة اميال وكذا عرضها وقد روى الحديث البيهقي وابن ابي الدنيا وابن السكن كما نقله السيوطي وغيره فالمعترض لم يقف على هذه الرواية فلعل ماءها نقص نقصا لا ينقص مثله في زمان طويل او غار ماؤها ثم عاد بعد ذلك لما فيها من العيون النابعة التي تمدها الامطار وقد علمت ان بحيرة تصغير بحرة لا بحر والتاء ابرة كما قيل وهي ممنوعة من الصرف للعلمية والتانيث وليست التاء من بنية فيها بعد العلمية كذي التثنية لتاويلها بالبقعة وهو تكلف لا داعي له **وخمود نار فارس** بمنع الصرف لانه علم اعجمي وفارس اقليم معروف هو واهله فكان ما غاض من المآء فاض على النار فاطفاها والخمود الانطفاء وكان ذهن الليلة مولده صلى الله عليه وسلم **فكان لها** اي لتلك النار **الف عام لم تخمد** لشدة اشتعالها وكثرة امدادها دائما وكانوا يعبدونها كما قال ابن هاني

سجدت لك النيران اعصرها وقد • سحرت به سحرت له نيرانها •

وقال الآخر • وذاك دليل للنجاة من اللظى • به لانطفآء النار من كل موقد •

ولم تخمد بضم التآء وفتحها لانه ورد من باب نصر وعلم وكان كسرى واتباعه يعبدونها ويرمون فيها المسك والعنبر ونحوه ولهم بها فتنة عظيمة اذ لم تزل تتوهج وان لم تمد وقصة النار وزويا كسرى وقصة سطيح مذكورة في السير مشهورة **وانه صلى الله عليه وسلم كان** وهو طفل صغير كما رواه ابن سعد وغيره عن ابن عباس **اذا اكل مع عمه ابي طالب وآله** اي اهل بيته وكان صلى الله عليه وسلم عنده في حضانته بعد عبد المطلب وهو صغير جملة حالية **شبعوا** من الطعام **ورووا** اذا شربوا لبنا ونحوه لا مآء ولذا جعله ماكولا لانه غذآء ببركته صلى الله عليه وسلم مما لا يشبع منه مثلهم لقلته **واذا غاب عنهم** فلم يكن معهم **فاكلوا وحدهم في غيبته** منهم **لم يشبعوا** وباتوا جياعا **وكان سائر ولد ابي طالب** اي جميعهم وبقيتهم بعده صلى الله عليه وسلم منهم تغليبا وانكر بعضهم ورود سائر بمعنى جميع ورددناه في شرح الدرة **يصبحون** اذا قاموا من نومهم **شعثا** جمع اشعث وهو المغبر المتغير لونه كما هو عادة الاطفال اذا قاموا من نومهم في مضاجعهم **ويصبح صلى الله عليه وسلم** اي يدخل في وقت الصباح اذا قام من نومه **صقيلا** اي رائق اللون غير متغير البشرة وهو استعارة من المرآة الصقيلة **دهينا** اي كان وجهه دهن بغالية ونحوها مما كانوا يدهنون به حتى تبرق وجوههم **كحيلا** اي مكحل العين وكل ذلك من غير صنع

لاحد وهي منصوبة بيصبح ان كانت ناقصة او احوال واولاد ابي طالب سبعة اذ ذاك عقيل وجعفر وطالب وعلي وام هاني وام طالب وحمامة وكلهم اسلموا الا طالبا فانه مات كافرا وهذا مجاز او حقيقة وفسر المدهون بخلاف الاشعث والمصقول بسوى الشعر والكحل بالذي لا رمص بعينيه ولا قذى وكان ابو طالب يحبه صلى الله عليه وسلم حبا شديدا ويؤثره على اولاده فاذا اتي بطعام يقول لا تاكلوا حتى ياتي ابني وروي في بعض النسخ **وقالت ام ايمن** هي بركة بنت محصن بن ثعلبة بن عمرو بن حفص بن مالك بن سلمة بن عمرو بن النعمان مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم **حاضنته** اي التي كانت تربيه طفلا سميت حاضنة لانها تحمل الولد في حضنها وقيل انها ارضعته وهي حبشية وابنها ايمن بن عبيد الحبشي وتزوجها زيد بن حارثة وكانت وصيفة لعبد الله ابوه صلى الله عليه وسلم وروي عنها في الصحيحين وادركت خلافة عثمان كما نقله الذهبي عن الواقدي وفي مسلم عن الزهري انها توفيت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة او ستة اشهر وهو الذي صححه النووي وخطأ الواقدي فيما قاله وانما حضنته لموت امه آمنة **ما رايته صلى الله عليه وسلم يشكو جوعا ولا عطشا صغيرا ولا كبيرا** لان الله تكفل به فكان يبيت عند ربه يطعمه ويسقيه كما قال ووجدك يتيما فآوى وحاضنته اسم فاعل مؤنث من الحضن وليس فعلا من المفاعلة وانه عدل عن حضنته لحاضنته للاشعار بالفاعلية من جانبه تبركا به كما توهم وهو خطأ فاحش على عادته **ومن ذلك** اي دلائل رسالته المشاهدة عند ولادته **حراسة السمآء بالشهب** وهي شعل النار المرئية في نجوم السمآء جمع شهاب **وقطع رصد الشياطين** اي ترصدهم وترقبهم لسماع ما تقوله الملائكة فتحفظه وتلقيه للكهنة فهو مصدر ويكون بمعنى راصد وجمعا له فلذا اطلق على الواحد وغيره والشياطين مردة الجن **ومنعهم** اي منع الله لهم **من استراق السمع** وهو ان يختفي احد ليسمع كلام من لم يرد سماعه فكانه يسرق الكلام الذي سمعه • واعلم ان رمي الشياطين بالشهب لم يحدث في زمنه صلى الله عليه وسلم فانه كان قبل ذلك ايضا ولكنه لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم في زمان كثير الكهنة وكانت الجن تخبرهم ببعض المغيبات فكثر الرجم بالشهب من جميع الجوانب فبطلت الكهانة ومنع الجن من الاطلاع على المغيبات ولذا لما رات قريش كثرة القذف بالنجوم قالوا قربت الساعة وخراب الدنيا فقال لهم عتبة بن ربيعة انظروا الى العيوق ان كان رمي به فقد آن قيام الساعة والا فلا والى هذا يشير قوله تعالى وانا لمسنا السمآء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا الآية • وقد روي ان ابليس كان يخترق السموات فلما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام حجب عن ثلاث سماوات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم حجب عن جميعها ومنع غيره من القرب منها والشهاب الذي يرمى به قيل انه لا يقتله ولكنه يحرقه ولا يقتله وقال الحسن انه يقتله فقد علمت ان رمي الشهب لم يحدث في زمنه صلى الله عليه وسلم كما توهمه بعضهم وانما كثر واشتد فيه وكانوا في الجاهلية اذا راوا انها تساقط قالوا يموت او يولد عظيم كما ورد في الحديث **و**من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم **ما نشا عليه** اي خلقه الله تعالى عليه من ابتدآء نشاته وطفوليته **من بغض الاصنام** وكراهته لها ومقتها كما روى البيهقي ان زيد بن حارثة مس بصنم فتمسح به فقال له صلى الله عليه وسلم لا تمسه ونهاه عن القرب منه كما نهى ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام آزر عنها **والعفة عن امور الجاهلية** التي كانوا يرتكبونها فخلقه الله متعففا عنها لسلامة طبعه كاللهو واللعب وغيره والعفة حالة للنفس تمنع من غلبة

الشهوة والتعفف تعاطيها كما قاله وما خصه الله به من ذلك فجعل فيه اخلاقا مرضية
واعمالا زكية ونفسا قدسية فصانه وحماه قبل بعثته من الصفات الردية حتى في ستره
بفتح السين وسكون المثناة الفوقية مصدرا اي ستر بدنه حتى لا يرى احد منه صلى الله
عليه وسلم ما لا ينبغي رويته كالعورة فكان لا يتعرى عند احد وكانت الجاهلية تفعله حتى
يطوفوا عراة احيانا وفي نسخة حتى ستره مجرورا بحتى وهو غاية لما قبله من الحماية وما قيل
ان كان المراد كشف العورة فهو قبيح عقلا وما دونها ليس بقبيح عقلا وشرعا الا ان يقال
انه من خصوصياته الدالة على نبوته امر لا طائل تحته في الخبر المشهور الذي رواه الشيخان
عن جابر رضي الله عنه والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما عند بناء الكعبة اي لما بناها
قريش ونقلهم الحجارة لبنائها وكان صلى الله عليه وسلم ينقل الحجارة معهم اذ اخذ ازاره اي
ملحفته التي كان متزرا بها ليجعله على عاتقه اي اخذ الازار ليجعله على كتفه الذي يضع
عليه الحجارة حتى لا تؤذيه ليحمل عليه اي على عاتقه او ازاره الحجارة وتعرى اي انكشف
اسفله لنزع الازار عنه فسقط الى الارض مغشيا عليه وعينه شاخصة للسما حتى رد ازاره
عليه وستر عورته فقال له عمه وهو العباس كما صرحوا به ما بالك اي ما شانك وحالك
الذي عرض لك حتى سقطت فقال اني نهيت بالبنا للمجهول عن التعري وكشف العورة كغيري
وكانت قريش بنت الكعبة لسيل اتي من فوق الردم ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن خمس وثلاثين
سنة قال العباس فكانوا يتفردون رجلين رجلين ينقلون الحجارة فكان العباس مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فكانوا يجعلون ازرهم على عواتقهم فاذا دنوا من الناس لبسوها
فبينما هو كذلك خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغيث رافعا بصره الى السما فقال
له ما بالك يا ابن اخي فقال نهيت اذا مشي عريانا فكتمها حتى بعثه الله مخافة ان يقال
انه مجنون وفي رواية ان ملكا مهيبا ناداه اشدد ازارك وروي انه لكمه لكمة [illegible]
قبل وهو اول ما نودي به ومن ذلك اي مما دل على نبوته في اول امره ما رواه الترمذي والبيهقي
اظلال الله له بالغمام في سفره اي كون غمامة تسير معه صلى الله عليه وسلم اني سار تقيه
حر الشمس دون غيره من الركب كما راه بحيرا لما سافر للشام مع عمه وراه غلام خديجة لما سافر
للشام وخص السفر لانه محل التاثر من الشمس وفي رواية لابن سعد ان خديجة ام المومنين
ونساها اي النساء التي كن معها عند الروية فالاضافة لادنى ملابسة رأينه لما قدم مكة
من سفره للشام في تجارة لها وملكان يظلانه اي بما ان اجنحتهما عليه ليكون ظلة له
ووقاية من الشمس فذكرت خديجة ذلك اي ما راته لميسرة غلامها الذي بعثته معه صلى الله
عليه وسلم في سفره وميسرة بفتح السين فاخبرها ميسرة انه راى ذلك اي كونه مظللا
من السما قديما في ان خديجة رأت تظليل الملائكة وميسرة راى تظليل الغمام او ان الغمام
كانت تسوقه ملائكة فجعلت مظللة له لحامل الظلة يسمى مظللا منذ خرج معه في سفره
الى الشام اي من اوله الى اخره وهذا الحديث رواه الواقدي عن نفيسة بنت منية وهي
احدى النساء اللاتي كن مع خديجة في علية لها تنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين قدم مع خديجة قال البرهان لم يذكر ميسرة في الصحابة فكانه مات قبل نبوته صلى الله
عليه وسلم وفي روية خديجة الملائكة كرامة لها رضي الله عنها وقد روي بالبنا للمجهول
والذي رواه الواقدي وابن سعد وابن عساكر في تاريخه عن ابن عباس ان حليمة بنت

ابي ذؤيب السعدية التي ارضعته صلى الله عليه وسلم رأت غمامة تظله وتقيه
من حر الشمس وهو مقيم عندها لما اخذته صلى الله عليه وسلم لحيها لترضعه وروى ذلك
اي تظليل الغمامة له عن اخيه من الرضاعة يعني انه رآه في صغره ورواه بعد كبره لانه
كان معه والظاهر ان مراده انه هو الذي ذكره لامه وان لم تشاهده لان عبارة الواقدي
عن ابن عباس ان حليمة خرجت تطلبه صلى الله عليه وسلم فوجدته مع اخته من الرضاعة وهو
ولدها فقالت افي حر الشمس يكت شفقة عليه صلى الله عليه وسلم فقال اخوه يا امّاه ما
وجد اخي حرا رأيت غمامة تظله اذا وقف وقفت واذا سار سارت معه وهذا يدل على انه ليس
امرا اتفاقيا وهل كان هذا دايما او احيانا لم ينقل فيه شي وما في المواهب نقلا عن الزركشي
في شرح البردة عن بعض العارفين انه صلى الله عليه وسلم كان مزاجه معتدل الحرارة والبرودة
فلا يحس بالحر ولا بالبرد فكان صلى الله عليه وسلم في ظل غمامة من اعتناء الله قيل عليه انه
ساقط لانه يقتضي ان تظليل الغمامة لم يكن حقيقيا محسوسا وانما هو على طريق التمثيل
قلت ان اراد ذلك فهو وارد عليه ويحتمل ان يريد انه لم يرد ذلك ولم يكن يتأذى به
بسبب الاعتدال بعد النبوة لتمام اعتنا الله العني عنه او انه كان غنيا عنه وانما هذا تكريم
من الله له لم يرد عليه شي فاعرفه فانه لا يخفى مثله على مثله والذي في نسخ الشفا كما قاله
البرهان عن اخيه من كريباء تحتية والذي في سيرة ابن سيد الناس اخته بالمثناة الفوقية
فهذا تصحيف او رواية رواها ايضا ومن ذلك اي مما يدل على نبوته صلى الله عليه وسلم وهذا
لم يذكروا من رواه من المحدثين انه نزل اي قعد في محل نزل به في بعض اسفاره قبل
مبعثه مصدر ميمي بمعنى بعثته ونبوته تحت شجرة يابسة اي ليست مخضرة وليس لها
ورق فاعشوشب ما حولها من الارض اي ظهر به عشب لم يكن واخضرت من ساعتها وافعوعل
للمبالغة اي كثرة عشبه ونباته والعشب الكلاء ما دام رطبا وقدمه لما فيه من المبالغة
وايبعت هي اي الشجرة وابرز الضمير لئلا يتوهم انه عائد على ما حولها باعتبار انه ارض
وهي مونثة سماعية ومعنى اينعت ظهر خضرتها ورقها وزهرها او ثمرها يقال ينعت الثمرة
ينعا وينوعا واينعت ايناعا اذا نضجت قال تع كلوا من ثمره اذا اثمر وينعه وقرئ وينعه
وهو جمع يانع وهو المدرك قاله الراغب فاشرفت اي تمت وعلت اغصانها وتدلت عليه
صلى الله عليه وسلم قضبانها لتقيه وتظلله اغصانها جمع غصن وهي اعلاها وفروعها
بمحضر من راه اي ان من كان عنده شاهد حدوث ذلك وعلم منه ما يدل على كرامته [illegible]
ومن ذلك ميل فيء الشجرة الفيء هو الظل مطلقا او بعد الظهيرة لانه من فاء اذا رجع والكلام
عليه مفصل في كتب اللغة وميل الفيء اما وحده او مع ميل الشجرة نفسها في الخبر الآخر الذي
روي عنه صلى الله عليه وسلم في سفره الى الشام وقصته مع بحيرا الراهب كما تقدم حتى
اظلته علة او غاية مقصودة من ميلها وكان رفقاؤه صلى الله عليه وسلم سبقوه فجلسوا في
الفيء فلما جلس في الجانب الآخر مالت الشجرة عليه بفيئها فظللته فرآه الراهب في قصته
التي تقدمت وكان مع عمه ابي طالب وهو ابن عشر سنين ومن دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم
ما ذكر بالبنا للمجهول والذي ذكره ابن سبع من انه بيان لما الموصولة لا ظل لشخصه اي
لجسده الشريف اللطيف اذا كان في شمس ولا قمر ما نرى فيه الظلال لحجب الاجسام ضوء
النيرين ونحوهما وعلل ذلك ابن سبع بقوله لانه صلى الله عليه وسلم كان نورا والانوار شفافة

لطيفة لا تحجب غيرها من الانوار فلا ظل لها كما هو مشاهد في الانوار الحقيقية وهذا رواه
صاحب الوفا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظل ولو
يقم مع شمس الا غلب ضوؤه ضوءها ولا مع سراج الا غلب ضوؤه ضوءه وقد تقدم هذا والكلام عليه
وربا عيننا فيه وهي

ما جر لظل احمد اذ ناله • في الارض كرامة كما قالوا •
هذا عجب وكم به من عجب • والناس بظله جميعا قالوا •

وقالوا هذا من القيلولة وقد نطق القرآن بانه النور المبين وكونه بشرا لا ينافيه كما توهم
فان فهمت فهو نور على نور فان النور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره وتفصيله في مشكاة
الانوار للغزالي ومن دلايل نبوته صلى الله عليه وسلم **ان الذباب كان لا يقع على** ما ظهر من
جسده ولا يقع على ثيابه وهذا مما قاله ابن سبع ايضا الا انهم قالوا لا يعلم من روى هذا
والذباب واحده ذبابة قيل انه سمي به لانه كلما ذب آب اي كلما طرد رجع وهذا مما اكرمه
الله به لانه طهر من جميع الاقذار وهو مع استقذاره قد يجي من مستقذر قيل وقد نقل مثله
عن الشيخ عبد القادر الكيلاني لان معجزات الانبيا قد تكون كرامة لاولياء امته وفي رباعية لي

من اكرم مرسل عظيم خلقه • لم تدن ذبابة اذا ما جلا •
هذا عجب ولم يزل ذو نظر • في الموجودات من جلاه اجلا •

وتظرف بعض علماء العجم فقال محمد رسول الله ليس فيه حرف منقوط لان الموجودات
النقط تشبه الذباب فصين عنه اسمه ونعته عنه كما قلت في مدحه صلى الله عليه وسلم

لقد ذب الذباب فليس يعلو • رسول الله محمودا محمدا •
ونقط الحرف يحكيه بشكل • لذاك الخط عنه قد تجرد •

ومن ذلك اي من دلايل نبوته صلى الله عليه وسلم في اول امره ومنتهاه ما رواه الشيخان
تحبيب الله بجعله طبيعة له **الخلوة** اي الوحدة والانفراد عن الناس للعبادة **اليه حتى**
اوحي اليه اي انه كان قبل بعثته حتى نزل الوحي عليه تكريما له صلى الله عليه وسلم وفي البخاري
ثم حبب اليه الخلاء اي العزلة عن الناس اذ بها فراغ القلب والاعانة على التفكر والانقطاع عن
مألوفات النفس فكان يخلو بغار حرا فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل النبوة
فاذا نزل منه طاف بالبيت وذهب لاهله وخص حرا كما قاله ابن جمرة لانه كان يتبرك به وينظر
منه البيت فيستقبله وقال حبب بصيغة المجهول اشارة الى انه ليس بتعليم لغيره وانما هو
جبلي بالهام الله له وهو من الارهاصات حتى جاءه الوحي وهو فيه **ثم اعلامه** صلى الله عليه
وسلم اي اعلام الله له **بقرب موته ودنو اجله** اي اخر عمره الذي اجل له وقدر وهذا مما
رواه الشيخان وفهمه صلى الله عليه وسلم من قوله تعالى فسبح بحمد ربك وفي الصحيحين انه مر على
قتلى احد بعد ثمان سنين كالمودع للاحيا والاموات ثم طلع المنبر فقال اني بين يديكم فرط
وانا عليكم شهيد وان موعدكم الحوض الخ • وقوله في خطبة له ان عبدا خيره الله بين ان يؤتيه
من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده فاختار ما عنده فبكى ابو بكر رضي الله عنه وقال فديناك
بابائنا وامهاتنا فقال عمر انظروا الى هذا الشيخ يقول رسول الله ان الله خيره بين زهرة الدنيا
وما عنده فكان اعلمهم بكلامه صلى الله عليه وسلم واسراره بذلك لفاطمة كما تقدم في الحديث الى
غير ذلك مما لا يحصى **واعلامه** صلى الله عليه وسلم **بان قبره بالمدينة** كما رواه ابو نعيم عن
معقل بن يسار بلفظ المدينة مهاجري ومضجعي من الارض **وان قبره في بيته** فقبره صلى الله

عليه

عليه وسلم في سكنه وكذا كان الكثير من الانبيا عليهم الصلاة والسلام اشارة
الى انهم احياء عند ربهم يرزقون **وان بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة** كما سياتي يعني
انه ينقل ويجعل روضة في الجنة او ان العمل فيه يوجب لصاحبه روضة من رياض الجنة وقال
ابن ابي جمرة الاظهر ارادة المعنيين والجمع بينهما معا اذ لا مانع فيه ومن لم يعرف هذا قال لا بد
من تاويله باعتبار القرب من اقرب الخلق الى الله ومن قرب منه كالجالس في رياض الجنة لتنزل
الرحمات وتلذذه بالمشاهدات كما يقال اللهم اجعل قبر فلان روضة من رياض الجنة **وتخيير الله**
له عند موته اي لما قرب موته خيره الله بين البقاء في الدنيا والرحيل للاخرة كما سمعته انفا
ورواه البيهقي في دلايله وعن عايشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحته
يقول لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده في الجنة ويخير فلما اشتكى صلى الله عليه وسلم غشي
عليه فلما افاق شخص بصره لسقف البيت وقال اللهم الرفيق الاعلى فقالت لا يختارنا وعرفت
انه خير وفهمت ما فهم ابوها رضي الله عنهما وهو حديث صحيح رواه احمد في مسنده وغيره وقد صرح
به صلى الله عليه وسلم فقال اوتيت مفاتيح خزاين الارض والخلد فيها ثم الجنة فاخترت الخ مما
يطول ذكره **ومما اشتمل عليه حديث الوفاة** اي وفاته صلى الله عليه وسلم وهو حديث طويل
رواه الشافعي في سننه والبيهقي **من كرامة** التي اكرمه الله بها عند موته كسماع بكاء الملائكة
وسماع صوت من السما ينادي وامحمداه الحديث وقول جبريل له صلى الله عليهما وسلم ان الله يقريك
السلام ويقول لك وهو اعلم كيف تجدك الى غير ذلك **وتشريفه** بما مر وغيره **وصلاة الملائكة**
على جسده وروحه صلى الله عليه وسلم غير محتاجة لذلك او لنكتة اخرى قيل انها ان الصلاة
على جسده وروحه مستمرة دايما لقوله ان الله وملايكته يصلون على النبي الاية **على ما روينا**
في بعضها اي في بعض طرق حديث الوفاة وهو ما روي عن ابن عباس انه لما حضر صلى الله عليه
وسلم يوم الثلاثا وضع على سريره في بيته فصلت عليه الملائكة فوجا فوجا ثم الناس فوجا
فوجا ثم نساؤه ثم النساء ثم الصبيان ولم يؤمهم احد وكان صلى الله عليه وسلم اوصى بذلك
وذلك لعظم امره وليلا يتنافسون في الامامة والخلافة لان الخليفة يستحقها ومن زعم ان
المراد بالصلاة مجرد الدعاء دون صلاة الجنازة لم يات بشي وكونه لم يؤمهم احد ذكره الامام
الشافعي رضي الله عنه في الام وغيره وصححوه وحكمته ما ذكر ولم يدع له صلى الله عليه وسلم
بدعا الجنازة المشهور كما ذكره السهيلي بل قالوا انا نشهد انك بلغت الامانة ونصحت الامة
الى اخر ما ذكر والحديث بطوله مذكور في كثير من كتب الحديث تركناه لطوله **واستيذان**
ملك الموت عليه اي طلبه الاذن منه في قبض روحه الشريفة ان اراد او تركه حيا **ولم يستاذن**
على غيره نبيا او غيره **قبله** روي ان جبريل قال له صلى الله عليه وسلم ان ملك الموت
بالباب يستاذن عليك ولم يستاذن على احد قبلك ولا بعدك فقال ائذن له فقال السلام
عليك يا محمد ان ربي امرني ان اطيعك فيما امرتني به ان اقبض نفسك قبضتها وان اتركها
تركتها فقال اقبض يا ملك الموت كما امرت فقال جبريل عليه السلام عليك يا رسول الله
السلام هذا اخر موطي من الارض **وندايهم** اي نداء الملايكة لهم **الذي سمعوه** ولم يروا من
ينادي **ان لا** اي بان لا الخ فان مفسرة ولا نافية **تنزعوا القميص عنه** اي قميصه
الذي عليه لما ارادوا نزعه **عند غسله** بضم الغين وعن فتحها اشارة لما في حديث ابي داود
والبيهقي الصحيح عن عايشة رضي الله عنها انهم لما ارادوا غسله صلى الله عليه وسلم قالوا

لا ندري انجرده من ثيابه كما نجرد موتانا ام نغسله وعليه ثيابه واختلفوا فغشيهم النوم فاذا قايل من ناحية البيت لا يرونه يقول غسلوه بثيابه فغسلوه وعليه قميصه يصبون الماء فوق القميص ويدلكونه بالقميص وهو من جملة حديث الوفاة وهذا تكريم له باجرايه على عادته فانه صلى الله عليه وسلم كان لا يتجرد عند احد واشارة الى ان تغسيله ليس لاحيا انه وانما هو اجراء السنة وكفن في ثلاثة اثواب يمنية سحولية **وما روي من تعزية الخضر عليه الصلاة والسلام** كما رواه البيهقي في دلايل النبوة بسنده الى جابر وعن علي كرم الله وجهه ورضي عنه انه قال لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعوا صوتا ولم يروا شخصا وهو يقول السلام عليكم اهل البيت ورحمة الله وبركاته كل نفس ذايقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيمة وان في الله عز وجل لعزا من كل هالك ودركا من كل فايت فبالله فثقوا واياه فارجوا واعلموا ان المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته فكانوا يرون انه الخضر عليه الصلاة والسلام كما رواه البيهقي وابن ابي حاتم وقال في مرآة الزمان ان المعزي هو جبريل لا الخضر ورواه العراقي في تخريج احاديث الاحيا ان في الله خلفا من كل احد ودركا لكل رغبة ونجاة من كل مخافة فالله فارجوا وبه فثقوا وسمعوا آخر بعده يقول ان في الله عزا من كل مصيبة وعوضا من كل رغبة فالله فاطيعوا وبامره فاعملوا فقال ابو بكر رضي الله عنه هذا الخضر واليسع ولم اجد في رواية ذكر اليسع وانما ذكر الخضر في التعزية فقد انكر النووي وجوده في كتب الحديث وانما ذكره الاصحاب قلت بل رواه الحاكم في المستدرك من حديث انس ولم يصححه ولا يصح ورواه ابن ابي الدنيا في كتاب العزا قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمع اصحابه حوله يبكون فدخل عليهم رجل طويل شعر المنكبين في ازار ورداء فتخطى الصحابة حتى اخذ بعضادتي الباب وبكى ثم قال ان في الله عزا من كل مصيبة وعوضا من كل ما فات وخلفا من كل هالك فالى الله فانيبوا ولنصره البلاء فانظروا فان المصاب من حرم الثواب فقال ابو بكر لعل هذا الخضر اخو نبينا جاء يعزينا رواه الطبراني في الاوسط واسناده ضعيف جدا وابن ابي الدنيا عن علي بسنده واه ايضا وذكره الشافعي في الام من غير ذكر الخضر انتهى • وقال الحاكم وغيره انه غير صحيح لحديث انه لا يبقى على وجه الارض ممن هو عليها احد على راس ماية سنة من تلك الليلة واراد به انخرام كل احد فيشمل الخضر وغيره يعني به انكار وجوده وسيل عنه ابن حجر رحمه الله فقال سنده ضعيف ولو قدر ثبوته لم يخالف الحديث المذكور لانه يخص من عمومه ان صح ما ينقل عن بعض الصالحين من اجتماعه بالخضر الا انا لم نجد خبرا صحيحا يقتضي انه صاحب موسى عليه الصلاة والسلام والعلم عند الله وقد اختلفوا في وجوده فالصوفية يثبتون وجوده وان منهم من رآه والمحدثون ينكرونه وبعضهم توقف فيه كابن حجر وشدد النكير على من اثبت حياته كصاحب مرآة الزمان حتى صنف في ابطاله كتابا مستقلا سماه عجالة المنتظر في شرح حال الخضر ولكنا لا ننكر ما قاله المشايخ واختلفوا فيه هل هو نبي او ملك او عبد صالح من اولياء الله تعالى اطال الله عمره وجعل من جمع الاوليا والاقطاب اليه وما مر من انه لم ير شخصه يقتضي انه ملك وقوله **والملايكة** بالجر عطف على الخضر يشير لما قلناه **اهل بيته** مفعول التعزية وهي الارشاد للصبر والتسلية عند المصيبة واعلم انه ليس الخلاف في وجود الخضر صاحب موسى عليه السلام انما هو في كونه عاش الى زمن النبوة والى الآن **الى ما ظهر على اصحابه**

صلى الله عليه وسلم والى هنا متعلقة بتقدير اي مضموما ما ذكر من اول الفصل الى هنا او منتهيا وهو كما يقول المصنفون الى اخره اشارة الى انه ترك امورا كثيرة من جنس ما ذكر والمراد بظهورها عليهم ان شرف صحبته صلى الله عليه وسلم اثر فيهم حتى ظهر منهم امور تشابه ما ظهر منه ببركته صلى الله عليه وسلم من كراماته وبركاته اي من مثل ذلك **في حياته وموته** اي وبعد موته **كاستسقاء عمر** بن الخطاب رضي الله عنه **بعمه** العباس رضي الله عنه ابن عبد المطلب اي تقدمه في دعاء الاستسقا كما رواه البخاري وتفسير عمه بالعباس وان كان له اعمام غيره لانه لم يعش بعده صلى الله عليه وسلم منهم غير العباس وقد صرح به في الحديث واعمامه ابو طالب والزبير وعبد الكعبة وحمزة والمقوم وحجل واسمه المغيرة والعوام وضرار والحارث وهو اكبرهم وقثم مات صغيرا وابو لهب واسمه عبد العزى والغيداق واسمه مصعب ونوفل فهم ثلاثة عشر ولم يسلم منهم غير حمزة والعباس وجعل بعضهم الغيداق وحجل واحدا فعدهم اثني عشر واسقط بعضهم العوام وعبد الكعبة فعدهم احد عشر وبعضهم عدهم سبعة وبعضهم عشرة لاسقاط بعضهم وكان عمر رضي الله عنه اذا وقع قحط استسقى بالعباس رضي الله عنه فوقع جدب شديد في خلافته عام الرمادة سنة سبع عشرة فقال كعب يا امير المومنين ان بني اسرائيل كانوا اذا حصل لهم مثل هذا استسقوا بعصبة الانبيا فقال عمر هذا عم النبي صلى الله عليه وسلم صنو ابيه وسيد بني هاشم ثم صعد المنبر ومعه العباس وقال اللهم انا نتقرب اليك بعم نبيك ونستشفع به فاتيناك مستغفرين مستشفعين ثم اقبل على الناس وقال استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا الى قوله انهارا ثم قام العباس رضي الله عنه وعيناه تنضحان فقال اللهم عندك سحاب وعندك ماء فانشر السحاب ثم انزل الماء منه علينا فاشدد به الاصل وصل به الفرع وادر به الضرع اللهم انك لم تنزل بلاء الا بذنب ولم تكشفه الا بتوبة وقد توجه القوم بي اليك فاسقنا اللهم الغيث وشفعنا في انفسنا واهلينا وفيمن لا ينطق من بهايمنا وانعامنا اللهم اسقنا سقيا وادعا نافعا طبقا سحا عاما اللهم انا لا نرجو الا اياك ولا ندعو غيرك ولا نرغب الا اليك اللهم اليك نشكو جوع كل جايع وعري كل عار وخوف كل خايف وضعف كل ضعيف اللهم انت الراعي لا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضيعة فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الشكوى وانت تعلم السر واخفى اللهم واغثهم بغياثك قبل ان يقنطوا فيهلكوا فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فلم يتم دعاه حتى نشات سحابة فقال الناس ترون ترون ثم تلاءمت ومشت وانتشرت ثم درت واذخت عزاليها كافواه القرب فما برحوا حتى علقوا الحذا وقلصوا المآزر وطفق الناس يتمسحون بالعباس ويقولون هنيا لك يا ساقي الحرمين وفي ذلك قال حسان رضي الله عنه

• سال الامام وقد تتابع جدبنا • فسقى الغمام بغرة العباس •
• احيى الاله به البلاد فاصبحت • مخضرة الارجاء بعد الياس •

في ابيات اخر **وتبرك غير واحد** اي كثير من الناس **بذريته صلى الله عليه وسلم** من السادة الاشراف نفعنا الله بهم ولهم في ذلك حكايات كثيرة ليس هذا محلها وقد افردها السيد السمهودي شكر الله صنيعه بتاليف مستقل نافع والله اعلم •

فصل

فيه فذلكة هذا الباب قال القاضي ابو الفضل قد اتينا اي ذكرنا وجمعنا في هذا الباب
الرابع المذكور فيه معجزاته صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته واصل الاتيان المجي بسهولة
وقد يكون بمعنى المرور فيتعدى بعلى ولذا قال على نكت من معجزاته واضحة الا انه يجوز به
عما ذكر من الجمع وعداه بتعديته الاصلية لانه من لوازم من يريد اخذ شي وجمعه ان ياتي له حتى يصل
اليه ويقال اتى على كذا اذا استوفاه واستوعبه والنكت جمع نكتة وهي الامور الدقيقة الذي
يحصل بفكر يقارنه نكت الارض بقضيب ونحوه كما مر والنكت بمثناة فوقية ومن نطق بها بالمثلثة
فقد اخطا فلا وجه لما ذكره البرهان هنا وجمل جمع جملة وهي الامور المجملة من علامات نبوته صلى الله
عليه وسلم مقنعة اي كافية عن غيرها من الغنا عنه وفي نسخة مغنية بالغين المعجمة والنون اي
يستغنى بها عن غيرها وهو مجرور صفة جمل ويجوز نصبه على الحالية في واحد منها الكفاية
عن غيره كالقرآن اي في الاقتصار عليه وضمير منها للنكت والجمل والغنية بالضم والسكون
في ثانيه اي الاستغنا عن غيره لانه يدل عليه دلالة قوية وتركنا الكثير منها سوى ما
ذكرنا اشارة الى ان ما ذكره قليل بالنسبة لما تركه واقتصرنا من الاحاديث الطوال بكسر الطا
جمع طويل على عين الغرض عين الشي المختار منه وهو المراد منه لا الحقيقة وان كان احد معانيه
والغرض ما يقصد منه وفائدته واصل معناه الهدف فنقل لما ذكر وفص المقصد اي الامر
المقصود والفص مثلث الفا بمعنى الاصل يقال اتى بالامر من فصه اي من اصله قال الشاعر

ورب امرئ تزدريه العيون • ويأتيك بالامر من فصه •

وفص الخاتم ما يزين به من الجواهر يقال نقل الحديث بفصه اذا استوفاه • وتظرف ابن
نباتة رحمه الله تعالى في قوله •

حملت خاتم فيه فصان زرقا • من كثرة الاثم الذي لم احصه •
لولاه ما علم الرقيب فيا له • من خاتم نقل الحديث بفصه •

وقال الجوهري العامة تقول الفص بالكسر ظاهره انه غير صحيح وقد نقل الثقات كابن
السيد وغيره تثليثه والمقصد بكسر الصاد وفتحها بعضهم والمراد به المقصود فهو مصدر
ميمي واقتصرنا من كثير الاحاديث وغريبها هو بمعناه اللغوي اي ما يعد مستغربا
غير معهود او غير مشهور او المراد به ما اصطلح عليه المحدثون وهو كما قال ابن الصلاح ما
انفرد به بعض الرواة سوآء انفرد بجمعه او بزيادة فيه كزيادة ثلاث في حبب الي من دنياكم
ثلاث النسا والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة التي تفرد بها ابن فورك وتبعه غيره
كما مر وهو لا ينافي الصحة اذا كان راويه ثقة وقد يكون ضعيفا واضافة كثير من اضافة
الصفة للموصوف اي الاحاديث الكثيرة على ما صح نقله وروايته واشتهر بين المحدثين الا
يسيرا اي قليلا نورده وان لم يصح ويشتهر واليسير ما تيسر في تهل وشاع استعماله بمعنى
القليل لسهولته من غريبه اي غريب الحديث وانما اقتصر على المشهور الصحيح الشامل
للحسن لان المعجزات الخارقة للعادة لا تحصى فالشامل اعتذر عن ايراده في كتابه بقوله
مما ذكره مشاهير الايمة لانهم يعتمد على نقلهم لشهرة علمهم وفضلهم وان لم يرو لغيرهم وحذفنا
اي تركنا وعبر بالحذف وهو الترك بعد الذكر اما لتنزيل ذكر غيره منزلة ذكره او لجعله
لكونه مهما وحقه ان يذكر بمنزلة المذكور والحذف اخص من الترك الاسناد اراد به السند
تسمحا ثانيا وهم رواة الحديث او هو بمعناه الحقيقي في جمهورها اي معظم الاحاديث

واكثرها

واكثرها وقد نورد الحديث سندا طلبا للاختصار وعدم التطويل وهو مفعول له لاكثر
وحسب هذا الباب المذكور فيه المعجزات وحسب بفتح فسكون بمعنى كافي او كفاية وهو
مبتدا مجرور بالبا الزائدة وخبره ان يكون اي يكفيه في شرفه والعلم بكثرة ما ورد فيه عن
ذكره واستقصائه وهو في المعنى تعليل لما لا اختصاره الا ان العبارة لا تخلو من الحزازة
لو تقصي مبني للمجهول بقاف وصاد مهملة اي استوفي وبلغ اقصاه ونهايته وضبطه بعضهم
بفا بدل القاف وهو غير مناسب هنا لان التفصي التخلص وهو غير مراد وتفسيره بتتبع
من مظانه تكلف لا يخفى ان يكون ديوانا اي كتابا مستقلا مدونا جامعا لما في غيره
وتقدم الكلام على الديوان وانه معرب بكسر الدال وفتحها يشتمل على مجلدات عدة اي كتب
من شانها ان تجلد متعددة وعدة بكسر العين بمعنى معدودة تنبيه قال التلمساني
مجلدات جمع مجلدة وهي الكتب الكثيرة وهي عبارة فقهية مولدة ولا وجه له لان المجلد ما عليه
جلد كما في القاموس وفي رسالة المجالد لابي العلا المعري المجالد لا يزال فيما عبر من الزمان
تقبض بجلد العرب من شام ويمان قال الراجز

هل انت كاشل المعتمل • مجلد يكشف عن محض الابل •

انتهى فقد اثبت ذلك وناهيك به من امام في اللغة فان اراد تخصيصها بالكتب الضخمة
وانها لم ترد في كلام العرب فهو مجاز لا يتوقف على السماع والتجلد يكون بمعنى التصبر وتظرف
بعض المتاخرين في قوله

ملكت كتابا اخلق الدهر جلده • وما احد في دهره بمخلد •
اذا غابت كتبي لعدمه جلده • يقولون لا تهلك اسى وتجلد •

ومعجزات نبينا صلى الله عليه وسلم اظهر من معجزات سائر الرسل عليهم الصلاة والسلام
اي من بقيتهم او جميعهم بوجهين احدهما كثرتها وشهرتها لان الكثرة تستلزم الشهرة وانه لم
يوت نبي معجزة الا وعند نبينا صلى الله عليه وسلم مثلها اي من نوعها مساوية لها او مقاربة
في الاعجاز او ما هو ابلغ منها ابلغ ليس من البلاغة كما توهمه من قال كالقرآن العظيم فانه
ابلغ معجزة اوتيت فان معناها هنا اعظم واقوى وليس مقيدا بالقرآن لان بلوغ الشي وصوله
لغايته ومنتهاه او هو من المبالغة على خلاف القياس وكثيرا ما يقولونه بهذا المعنى والمعجزة
هنا في سياق النفي فتعم وتفيد الكثرة والخارق للعادة اذا عظم من شانه الشهرة والظهور فلا يرد
عليه انه كان ينبغي ان يقول اظهر وانه لا يلزم مما ذكره الظهور الذي ادعاه وقد نبه الناس على
ذلك اي بينه علماء الحديث والآثار وفصلوه في كتبهم كابن المنير في كتاب المقتفي فان
اردته اي اردت معرفته والوقوف على ما بينوه فتامل فصول هذا الباب اي اعمل النظر
فيه وتدبر معانيه ومعجزات من تقدم من الانبيا عليهم الصلاة والسلام تقف مجزوم
في جواب الامر على ذلك ان شا الله تعالى والوقوف في الاصل القيام تجوزوا به عن المعرفة
وهو مجاز مشهور ثم ان بعض الشراح ذكر هنا امورا اشرف الله بها كغيره من الانبيا لا مساس لها
بالمعجزات تركناها ولم نطول بذكرها واما كونها كثيرة فهذا القرآن كله معجز وفي بعض
النسخ وكله معجز بالواو فانه يعد في هذا القرآن موجود معروف وجميع اجزائه معجزة فناهيك
به كثرة • ثم شرع في بيان المقدار الذي يقع به الاعجاز فقال واقل ما يقع الاعجاز فيه عند
بعض المحققين سورة انا اعطيناك الكوثر وهي اقصر سورة في القرآن او اية بقدرها

اي مساوية لها في الحروف والكلمات وسورة مرفوع خبر اقل وفي نسخة بسورة بالجر
وذهب بعضهم الى ان كل آية كيف كانت طويلة بمقدار سورة ام لا معجزة وزاد بعضهم
وفي نسخة آخرون اي ترقي عن هذا المقدار الى ان كل جملة منتظمة منه اي مفيدة تامة
معجزة وان كانت من كلمة او كلمتين فان قلت كيف يكون جملة منتظمة وهي كلمة قلت
يكون فيه مقدر كمدهامتان ونحوها فتامل وليس هذا مبني على ان اعجازه بالصرفة كما قيل
والحق ما ذكرناه اولا من ان المعجز اقصر سورة او مقدارها لقوله تعالى فاتوا بسورة
اي سورة كانت من مثله في الاعجاز والضمير للقرآن او النبي صلى الله عليه وسلم كما في الكشاف
وفيه كلام مشهور ودخل مقدار السورة فيه بدلالة النص فلا يتوهم انه دليل على مدعاه فهو
اي ما ذكر اقل ما تحداهم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم به اي طلب منهم معارضته
مع ما ينصر هذا القول المذكور اولا اي يقويه ويؤيده من نظر اي تفكر وتدبر وتحقيق
يطول بسطه ببيان الحق بالادلة والبراهين القايمة لمن تدبره ونظر ما فيه من مراعاة
كل مقام وما احتوى عليه من الجزالة واللطافة التي تحير العقول فقد تحداهم اولا بجملته
فقال فاتوا بكتاب من مثله ثم تحداهم بعشر سور فقال فاتوا بعشر سور مثله ثم تحداهم
بسورة فسجل عجزهم بمحو اوحاء عنان التكليف والحاصل ان الكلام اللفظي هو الذي
وقع التحدي به لا النفسي فانه لا يتصور فيه ذلك على الصحيح. اختلفوا في مقدار المعجز
فذهب بعض المعتزلة الى انه بجميع القرآن ورد بالآيتين المذكورتين وقال القاضي يتعلق
بسورة طويلة وقصيرة لظاهر الاية وقال في موضع له او بمقدارها قالوا ولم يقم دليل على
على المعجز عن اقل من هذا القدر وقيل لا يحصل العجز الا بآيات كثيرة وقيل قليلة وكثيرة معجز
لقوله فليأتوا بحديث مثله اي ثبت ان ما تحداهم به هذا المقدار الاقل ففي
القرآن من الكلمات نحو من سبعة وسبعين كلمة ونيف اي وزيادة على هذا المقدار من
ناف بمعنى زاد وياؤه تخفف وتشدد وكلما زاد على عقد حتى يبلغ ما بعده فهو نيف على عدد
بعضهم اي هذا مقداره عند بعض دون غيره فانه كما قال الداني رحمه الله انه سبعة وسبعون
بالتاء الفوقية الفا واربع مائة وتسع وثمانون كلمة وحروفه ثلثمائة الف واحد وعشرون
الف وخمس مائة وثلاثة وثلاثون حرفا وقيل انه الصواب لا ما ذكره المصنف وهذا مع تصريحه
بالنقل واثباته بلفظه غير وارد عند من انصف ولهم في عدده اختلاف قيل لان الكلمة
والحروف لها اطلاقات وقول السخاوي لا فائدة في عدد حروفه لانه لا يقبل زيادة ولا نقصا
لا وجه له غير الكسل وعدد كلمات انا اعطيناك الكوثر عشر كلمات فتجزى القرآن بصيغة
المصدر وفي نسخة فتجزى بالمضارع المجهول وآخره مهموز ويجوز ابداله الفا بان تعد
عشر آيات عشرة اجزاء على نسبة انا اعطيناك الكوثر اي على مقدارها وانما زاد نسبة
ليشمل آية واحدة بمقدارها كما مر فالنسبة مجاز عن المقدار ومعناها الحقيقي لغة واصطلاحا
مشهور ازيد بالرفع خبر تجزي المصدر وبالنصب ان كان فعلا اي تجزيه تجزئة ازيد او يكون
ازيد من سبعة الاف جزء وكل واحد منها معجز في نفسه اي بقطع النظر عن غيره ففيه
ازيد من سبع الف معجزة وهذا مبني على ما تقدم من التحدد ثم اعجازه اي القرآن كما تقدم
من ذكر الاختلاف في مقداره بوجهين بلاغته اي ما فيه من مراعاة الوجوه التي بها يطابق
اللفظ مقتضى الحال وطريق نظمه اي اسلوبه وكونه على نسق لا يشبه غيره من الكلام نظما

وسجعا ونثرا وتناسب كلماته وجمله وآياته كل كلمة منه ما استحقه وتنزيلها في محل لا
يليق به غيره كما يعرفه من ذاق طعم البلاغة فقارئه لا يمله وان كرره كما لا يخفى على من تامله
حق التامل ونظر فيه بنور الايمان فصار في كل جزء من هذا العدد المذكور آنفا معجزتان
من جهة بلاغته ومن جهة نظمه فتضاعف العدد اي عدد معجزاته وهو ماض من التفاعل
او مضارع من المفاعلة من هذا الوجه اي من هاتين الجهتين البلاغة والنظم فان قلنا كلماته
معجزة صار فيه من المعجزات ما لا يعد ولا يحصى قال ابن عطية رحمه الله الصحيح الذي عليه
الحذاق ان اعجازه بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة الفاظه لانه عز وجل احاط بكل شيء
علما واحاط بالكلام فاتى في كلامه بما لا يحيط به علم غيره وقدرته وبهذا بطل القول بالصرفة
ثم فيه وجوه اعجاز اخر غير ما ذكر من الطريقين من الاخبار بعلوم الغيب بيان لوجوه
اي الامور الغيبية بما سبق او سيقع فقد يكون في السورة الواحدة من هذه التجزية
اي الاجزاء المذكورة المضاعفة من جهتي الاعجاز الخبر اي الاخبار عن اشياء من الغيب اي
الامور المغيبة عن علمنا كل خبر منها بنفسه معجز اي باعتبار اخباره عن الغيب وقطع النظر
عن غيره من وجوه الاعجاز فتضاعف بصيغة الماضي والمضارع كما مر العدد المذكور اي
العدد المضاعف لقوله كرة اخرى اي بعد مضاعفته السابقة وكرة بمعنى مرة واصل الكر
الرجوع بعد الفر فهو ضد الفرار قال امرؤ القيس مكر مفر مقبل مدبر معا ثم وجوه الاعجاز
الاخر التي ذكرناها وهي ذكر المغيبات توجب التضعيف والزيادة الى ما لا يكاد يحصى
كثرة هذا في حق القرآن دون غيره من المعجزات التي تربى على معجزات سائر الانبياء فلا يكاد
ياخذ العد معجزاته وفي نسخة العدد وهما بمعنى والمراد بالاخذ الاحاطة مجازا للمبالغة
كقوله لا تاخذه سنة ولا نوم اي لا يغلبه ذلك اي لا يحيط به العدد لكثرته وهو مبالغة ولذا
قال لا يكاد ولم يقل لا يعد ولا يحوي الحصر اي الاحاطة براهينه اي براهين اعجازه لان
كل جزء فيه معجزة قاطعة البرهان واضحة البيان ولما فرغ من وجوه الاعجاز العقلية اردفها
بالنقلية فقال ثم الاحاديث النبوية الواردة في الروايات الصحيحة والاخبار الصادرة
عنه عليه الصلاة والسلام في هذه الابواب اي ابواب اعجاز القرآن والتحدي به او ابواب
معجزاته عليه الصلاة والسلام كما يؤيده قوله وعن ما دل على امره اي نبوته وعلو شانه مما اشير
فيما سبق من هذا الكتاب الى جملة منه وفي نسخة الى جمل تبلغ نحوا اي قريبا من هذا المقدار
الكثير الوجه الثاني من وجهي ظهور معجزاته وشهرتها وانها اظهر من معجزات سائر الرسل قبله
وضوح معجزاته اي شهرتها بحيث لا تجهل وهذا عين ظهورها او مستلزم له والمراد به شدة
ايضاحها بحيث لا يخفى على احد غير اعمى الفكر والنظر وانها لا يرتاب فيها عاقل مع بقائها على ممر
الدهور وازديادها شهرتها في كل عصر كالشمس في رابعة النهار وهذا مما يدل على ظهورها دلالة
ظاهرة لا غبار عليها فسقط ما قيل ان المدعى ان معجزاته اظهر من غيرها والوضوح عين الظهور فهو
مصادرة للاستدلال على الشيء بنفسه وحاصله الظهور بالكثرة فيرجع الى الوجه الذي قبله
الا ان يقال المراد بقاؤها على وجه الدهر الى يوم القيمة فيكون المراد الزيادة في الوضوح بهذا
الاعتبار وان كان فيه الاخبار بمعجزات الرسل وفيه خلط وخبط لا يخفى وقد اشار الى ما ذكرناه
المصنف بتفسيره بقوله فان معجزات الرسل كانت بقدر همم اهل زمانهم اي هممهم فيما يهتمون به
ويعتنون وبحسب بفتح الحاء والسين وقيل انه بسكون السين وهو بمعنى المقدار الفن اي النوع

الذي سماه اي اشتهر وعلا مقداره بينهم لاعتنائهم به فيه قرنه بفتح القاف وسكون الراء اي عصره والمراد به اهله مجازا او بتقدير مضاف والقرن الزمن المقترن فيه اعمارهم واحوالهم واختلف في مقداره هل هو مائة سنة او ثمانون او اقل كما تقدم ثم فصل هذا بقوله فلما كان زمان موسى كليم الله عليه الصلاة والسلام اي زمن بعثته ونبوته غاية علم اهله اي اهمه واعظمه عندهم السحر وهو معروف تقدم الكلام عليه بعث اليهم بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم عليه وليست منه للفرق بين السحر والمعجزة فجاءهم موسى منها ما خرق عادتهم اي خالف ما يعتادونه ويسهل عليهم فعله واصل الخرق ابانة جسم من آخر فقيل لما ذكر كخرق الاجماع اي مخالفته وهو استعارة صار حقيقة عرفية وذلك كقلب العصا حية واليد البيضاء من غير سوء ولم يكن ما جاء به في قدرتهم اي لا يقدرون عليه فيدخل في جملة مقدوراتهم وقد بطل سحرهم بما عارضهم به وهي جملة حالية يشير الى ما قصه الله في كتابه العزيز وفي نسخة وابطل بدون قد فهو معطوف على جاءهم وكذلك اي كزمن موسى عليه الصلاة والسلام زمن عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم اغنى ما كان الطب اي اعظم ما كان في عصره وعهد رسالته علمه والطب في اللغة معناه العادة والسحر وفي العرف علم يعرف به احوال الانسان من حيث الصحة والسقم واغنى فعل تفضيل بغين معجمة ونون من الغنا وهو الفائدة وقيل انه بعين مهملة ومثناة تحتية اي اكثر مشقة وتعبا وقيل انه بغين معجمة ومثناة تحتية من الغاية وهو النهاية وهو بعيد ولم نر في كلامهم لتفسيره بانهى والطب مثلث الطا مشدد البا واوفر ما كان اهله اي اهل الطب وعلماؤه اي اكثر ما كان في زمنهم فجاءهم على يد عيسى عليه الصلاة والسلام امر لا يقدرون عليه بواسطة علمهم بالطب فانهم لا يقدرون على ازالة الامراض المزمنة والخلقية وقدرتهم في الاكثر على حفظ الصحة كقوله ۞ وكم مرضا اعيى الطبيب المداويا واتاهم ما لم يحتسبوه اي ما لم يخطر ببالهم وقدرة حسابهم وما لم يترقبوه وجعل امره وما فاعل ولم يقل اتاهم بامر وبما هو الظاهر اشارة الى انه من عند الله من غير تصنع وحيلة وفي نسخة يحسبوه اي يظنوه ويقدروه قيل ويجوز فيه ضم الياء اي ينكرونه وهو بعيد لفظا لا معنى من احياء الميت بتخفيف الياء وتشديدها وابراء الاكمه اي ولد اعمى مطموس العين اي فتح عينه حتى يبصر والابرص وهو الذي فيه بياض يخالف لونه والخفيف منه يسمى بهقا من دون معالجة المعالجة المزاولة وعند الاطباء مداواة الامراض بعد تشخيصها وطب المراد به هنا المعنى المصدري اي اعطاء الدواء وانما كان مداواة عيسى عليه الصلاة والسلام بالدعاء والتوجه الى الله وكان يجتمع عنده من المرضى الوف ومن لم يقدر على المجيء اليه يذهب بنفسه اليه وكان اطباء عصره لا يقدرون على ما ذكر فلذا كان معجزة له صلى الله عليه وسلم ۞ تنبيه قال البخاري في تفسير الاكمه الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل انتهى وقال السهيلي انه قول فيه فلا يرد الاعتراض بانه معنى الاعشى وانما الاكمه من ولد اعمى وهكذا اي مثل ما ذكر سائر معجزات الانبياء في انها كانت بمقدار علم اهل زمانهم وما يمتازون به من الاحوال والعلوم ثم ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وجملة معارف العرب جمع معرفة بمعنى المعروف عندهم لا جمع معروف ضد المنكر المجهول كما قيل وعلومها اي ما يعلمونه من الجزئيات والكليات اربعة انواع البلاغة اي الملكة والجبلة التي يقتدرون بها تادية الكلام حقه في كل مقام من مقاماته نظما ونثرا وهم فرسان ميدانها والشعر الكلام الموزون المقفى والخبر

عن سلف وما لهم من الوقائع والايام والانساب والمنازل والكهانة بفتح الكاف مصدر وبكسرها اسم صناعته وحرفته وهي معاناة علم المغيبات بتلقيها عن الجن كما مر فانزل الله عليه صلى الله عليه وسلم ما يناسب قرنه واهل عصره اعني القرآن اي كلامه الموحى اليه الخارق اي المخالف لهذه الاربعة فصول اي الانواع المذكورة وهي البلاغة وما معها وهي جمع فصل وهو النوع المستقل المنفصل المتميز عن غيره من الفصاحة وهي خلوص الكلام عن الغرابة وغير ما يشينه من فصح بمعنى خلص وتشمل البلاغة والفرق بينهما اصطلاح طارئ في علم المعاني ومعناها عندهم غني عن البيان لشهرته والايجاز اي اختصار الكلام اختصارا غير مخل ويقابله الاطناب والمساواة ولم يذكرهما لعلمهما بالمقابلة ولانهما الاكثر ونكات الايجاز اكثر واعظم فهو اهم عندهم والبلاغة وقيدها بقوله الخارجة لهذه عن نمط كلامهم اي كلام العرب لدخولها في الفصاحة كما مر والنمط بمعنى الجنس والطريقة اي لا يعرفون مثل بلاغته لخروجها عن جنس بلاغتهم وما يعهدونه في مخاطباتهم ومحاوراتهم والنمط الجماعة من الناس امرهم واحد فاستعير لما ذكر اي نوعه وطريقته ومن النظم اي تاليف الكلمات وتركيبها متناسبة كنظم الجواهر وعقدها وليس المراد الكلام المنظوم شعرا الغريب الذي لم يعهده البلغاء في كلامهم والاسلوب اي الطريق العجيب الذي يتعجب منه سامعه او يعجبه ويستحسنه الذي لم يصلوا اي لم يصلوا ويقدروا في المنظوم اي المؤلف من كلامهم الى طريقه فضلا عن الاهتداء اليه نفسه حتى يعارضوه وينسجوا على منواله الذي هو نسيج وحده ولا علموا في اساليب الكلام مطلقا او المنثور من خطبهم واسجاعهم والاوزان الشعرية الموزونة على بحوره منهجه اي طريقه ومن الاخبار بكسر الهمزة ويجوز فتحها جمع خبر عن الكوائن اي عما سيكون في المستقبل من المغيبات جمع كائن وهو معطوف على من النظم واعاد من لانه نوع آخر من الاعجاز والطول الفصل بينهما كقوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا والحوادث اي ما يحدث في المستقبل ايضا والاسرار اي ما اسروه في انفسهم كقوله تعالى في قصة ازواجه صلى الله عليه وسلم واظهره الله عليه والمخبآت اي ما اخفوه عنه فاطلعه الله عليه والضمائر اي ما اضمروه في انفسهم كقصة مسجد الضرار ثم فسر ذلك بقوله فوجد تلك الامور المخبر عنها وما اسر وما اخفي عنه على ما كانت عليه ذاتا وصفة مطابقة لما قاله ويعترف ويقر المخبر بفتح الباء مفعول اي من اخبره رسول الله بما اطلعه الله عليه عنها بصحة ذلك الخبر الذي اخبره به وصدقه مطابقته للواقع وان كان المخبر بالفتح اعدى العدو اي اقوى اعدائه واشدهم عداوة له صلى الله عليه وسلم فاعدى افعل تفضيل من العداوة مسموع على خلاف القياس والعدو بمعنى الاعداء لانه يطلق على الواحد وغيره كقوله تعالى من قوم عدو لكم اي مع شدة عداوته لا يمكنه انكاره وهو يائس وصحة التكذيب لظهور صدقه فابطل القرآن او النبي صلى الله عليه وسلم الكهانة بفتح الكاف مصدر كهن وبكسرها صناعته وحرفته والرواية هنا الكسر لانه الانسب التي تصدق مرة وتكذب عشرا صفة الكهانة اي التي كذبها اكثر من صدقها كما ورد في الحديث ان الله تعالى كان اذا قضى امرا في السماء سبح حملة العرش ثم اهل كل سماء حتى ينتهي الى السماء الدنيا فيستخبر اهل كل سماء من فوقهم حتى ينتهي الخبر الى اهل هذه السماء فتخطفه منهم الجن ويزيدون فيه من عندهم ما يزيدون من اكاذيبهم وبما فسرناه ظهر سقوط ما قيل صوابه مائة بدل قوله عشرا لانه ورد في الحديث يكذب اكثر مائة او اكثر من مائة ثم اجتثها بجيم ومثناة ومثلثة

والضمير لكهانة اي قطعها بعد ابطالها وعطفه بثم لانه ابلغ مما قبله وابعد رتبة
واصل معناه نزع الشجر ونحوه بعروقه واصوله كقوله اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار
ففيه استعارة مرشحة بقوله **من اصلها** وان كان المراد به ازالتها بالكلية **برمي الشهب**
بضم الهاء وسكونها جمع شهاب اي رمي الشياطين بشهب تمنعهم من استراق السمع لما تلقي الكهنة
والمراد زيادة الرمي وكثرته فانه كان قبل كما مر وفي نسخة رجم بدل رمي **ورصد النجوم**
رصد بسكون الصاد مصدر رصده يرصده اذا ترقبه واعدله ما يمنعه ويجوز فتحها
ويكون واحدا وجمعا لراصد كخدم فهو من اضافة الصفة لموصوفها اي النجوم المرصدة
اي المعدة لمنعهم من السمع وذلك لمنعهم من السمع وذلك لان الشهب نجوم او شعل نار تنفصل
منها وارتضاه كثيرون فرصدها لانها مبدأ لما يمنعهم **وجاء** في القرآن **من الاخبار عن
القرون** والامم **السالفة** اي الماضية قبلها **وانباء** جمع نبأ وهو الخبر **الانبياء والامم
البائدة** اي الهالكة الفانية في الزمن السابق يقال باد يبيد اذا هلك وفي الحديث
الجنة لا تبيد ابدا اي تهلك وتموت **والحوادث** اي الامور الواقعة من خير وشر في
الازمان السالفة **الماضية** قبل ذلك **ما يعجز من تفرغ لهذا العلم** اي العلم بالاخبار
وتواريخ الامم **عن بعضه** اي عن معرفة بعض منه فضلا عن جميعه وما فاعل جاء ومن فاعل
يعجز **على الوجوه التي بسطناها** اي جاء مبينا على وجوه تقدمت مفصلة **وبينا المعجز
فيها** اي اوضحنا المعجزات فيها بما اغنى عن اعادته **ثم بقيت هذه المعجزة** اي القرآن وفي
المعجزات باعتبار وجوه اعجازه **الجامعة لهذه الوجوه** اي وجوه الاعجاز المذكورة آنفا
المضمومة الى الفصول الاخر يعني الاربعة المتقدمة **التي ذكرناها في معجزات القرآن
ثابتة الى يوم القيمة** لا تتبدل ولا تتغير ولا تذهب ابقاها الله **بينة الحجة** اي ظاهرة
الدلالة على رسالته صلى الله عليه وسلم **لكل امة تاتي** بعد نزول القرآن جيلا بعد
جيل وعصرا بعد عصر **لا يخفى وجوه ذلك** الاعجاز الذي ذكر او لا **على من نظر فيه** اي
من نظر في القرآن بتلاوته او سماعه **وتامل وجوه اعجازه** اي اطال النظر فيها وكرره وهو
من الامل تفعل تجوز به عما ذكر لترقب الامل وامتداده **الى ما اخبر به من الغيوب** اي مع ما
اخبر به من المغيبات **على هذا السبيل** والطريق المذكور **فلا يمر عصر وزمن** اي يجيء
كالمار على اهله وليس المراد به ينقضي لقوله **الا ويظهر فيه صدقه** اي صدق القرآن او
النبي صلى الله عليه وسلم **بظهور مخبره** بفتح الباء اي ما اخبر به او خبره **على ما اخبر** اي كائنا
متحققا على وفق خبره او باقيا على حاله في وجوه اعجازه السابقة اي اخبر به وهو مبني للمفاعل
فيتجدد الايمان به بكل ما ظهر امر جلي بين مصدق له بوقوع ما فيه **ويتظاهر البرهان**
اي يتقوى الدليل ويزيد قوة واصل التظاهر المعاونة والمساعدة كانه يستند لظهره **وليس
الخبر كالعيان** وهو بكسر العين المعاينة والمشاهدة ولا تفتح فيه العين وهو مثل وورد في
الحديث الصحيح ليس الخبر كالمعاينة لان الخبر يحتمل الصدق والكذب بقطع النظر عن قائله
اذا شوهد معناه بان المراد واطمأن الفؤاد ولذا قال ابراهيم ولكن ليطمئن قلبي كما قيل

ولكن للعيان لطيف معنى • له سال المعاينة الكليم

وللمشاهدة بحس البصر **زيادة في اليقين** الذي كان بالبرهان القاطع **والنفس
اشد طمانينة** الطمانينة والاطمئنان السكون بعد الانزعاج **الى عين اليقين** اي الى

ما يتيقن

ما يتيقن بالمعاينة والمشاهدة **منها** اي من طمانينتها **الى علم اليقين** اي الى العلم المستفاد
بالبرهان القاطع والنفس مفضل ومفضل عليه باعتبار حالتين **وان كان كل** من عين اليقين
وعلم اليقين **عندها** اي عند النفس في علمها فان عند يكون بمعنى العلم كما فسر عند الله بعلمه
تارة وحكمه اخرى **حقا** اي متحققا ثابتا بلا مرية لكن الاول اقوى وفيه اشارة الى الفرق
بين عين اليقين وعلم اليقين وحق اليقين وفيه كلام فصلناه في غير هذا المحل والاول
ضروري وغيره نظري **وسائر معجزات الرسل** قد فصلنا في شرح الدرة لفظ سائر بمعنى
ورد بمعنى الباقي من السؤر المهموز وبمعنى الجميع من السير المعتل وان من انكر الثاني كالحريري
وغيره لم يصب **انقرضت بانقراضهم** اي انقطعت وذهبت معهم بسبب ذهابهم **وعدم** (هامش: مت)
بعد وجودها وعدم مبني للمجهول لانه يقال عدمه كعلمه بمعنى اعدمه وعدم بزنة كرم **بعدم
ذواتهم** بفتحتين او بضم فسكون وفي نسخة ذواتهم جمع ذات بمعنى نفس وفي ثبوتها في اللغة كلام (هامش: م)
والمعروف انه بمعنى صاحبه مونث ذو والمشهور في العربية اي تلك المعجزات تعدم فتنقرض
وان علم ثبوتها لكونها امر غير مقبل ومعنى عدم ذوات الانبياء ذهابها من الدنيا وعن الحس وان
كانت باقية في البرزخ احياء لا يموتون كما في حديث الاسراء والاجتماع بالانبياء **ومعجزة نبينا
صلى الله عليه وسلم** يعني القرآن **لا تبيد** اي لا تفنى وتعدم **ولا تنقطع** اي تذهب بالكلية (هامش: م)
واياته معجزاته صلى الله عليه وسلم التي تضمنها القرآن **تتجدد ولا تضمحل** بالحاء والضاد
المعجمة واللام المشددة اي تنحل وتفنى كاضمحل السحاب اذا انقشع **ولهذا** المذكور من بقاء معجزته
صلى الله عليه وسلم **اشار بقوله صلى الله عليه وسلم** في حديث صحيح رواه البخاري رحمه الله
والاشارة هنا بمعنى التصريح او عبر به لانه غير صريح فيما ذكر لان الوحي اعم من القرآن فيحتمل
ان المراد به احكام شريعته الباقية الى يوم القيمة والظاهر ان المشار اليه ما مر من ان القرآن (هامش: ن)
فيه معجزات لا تحصى ليس بصريح الحديث كما ستبينه **فيما حدثنا به القاضي الشهيد ابو
علي** بن سكرة وقدمنا ترجمته **قال حدثنا القاضي ابو الوليد** تقدم ايضا **قال حدثنا
ابو ذر** الهروي وقد تقدم **حدثنا ابو محمد** بن حموية السرخسي وقد تقدم **وابو اسحاق**
المستملي كما تقدم **وابو الهيثم** الكشميهني كما تقدم **قالوا حدثنا الفربري** راوي
صحيح البخاري وقد تقدم ضبطه ونسبته **قال حدثنا البخاري** صاحب الصحيح المشهور
قال حدثنا عبد العزيز بن عبد الله العامري الاويسي الفقيه الحافظ الثقة وترجمته
في الميزان **قال حدثنا الليث** تقدمت ترجمته **عن سعيد** المعروف بالمقبري **عن ابيه**
كيسان ابو سعيد المقبري نسبة للمقبرة لانه كان يتولى حفرها وهو مولى بني ليث
روى عنه اصحاب الكتب الستة وتوفي سنة مائة في خلافة الوليد وهو ثقة **عن ابي هريرة**
رضي الله عنه عبد الرحمن بن صخر وفي اسمه اختلاف كثير لشهرته بكنيته عن النبي صلى الله
عليه وسلم في حديث صحيح رواه البخاري ومسلم والنسائي وما ذكره المصنف لفظ البخاري
قال ما من الانبياء تقديره ما من نبي من الانبياء **الا اعطي** بالبناء للمجهول اي الا اعطاه
الله **من الايات** اي المعجزات الظاهرة **ما مثله** ما موصولة او موصوفة **امن** بالمد ماض **عليه
البشر** يعني اهل عصره **وانما كان الذي اوتيت** من الايات والمعجزات **وحيا اوحاه الله
الي** يعني القرآن المعجز المتحدى به ثم رتب عليه قوله **فارجو** من الله بما اكرمني به من المعجزة
المشتملة على معجزات لا تتناهى الباقية الى يوم القيمة التي ليست كمعجزة غيري تنقرض بانقراضهم

فيؤمن به في كل امة ما لا يحصى فلذا رجوت ان اكون اكثرهم تابعا اي امة
يوم القيمة اذا احشرت الامم مع انبيائها هذا معنى هذا الحديث عند بعضهم ممن فسره
وبين المراد ففيه اشارة عن كثرة ما فيه من المعجزات وانه باق على وجه الدهر الى يوم القيمة
لا يقبل نسخا ولا تبديلا ولا يبلى كغيره من الكتب والمعجزات ومثله المراد به نفسه كما في
قولهم مثلك لا يبخل وعليه للتعليل كما مر وعبر بما فيه من الدلالة على الاستمرار بالقهر والتعليم
الملزم لهم بالايمان به وقال انما مع ما له من المعجزات اشارة الى انه اعظم معجزاته لكفايته عن
غيره وقد حقق الله رجاءه وهو الظاهر من معنى الحديث والصحيح ان شاء الله تعالى ثم اشار
الى ان فيه وجوها اخر بقوله وذهب غير واحد اي كثير من العلماء اي علماء الحديث في تاويل
هذا الحديث اي تفسيره وبيان ما يؤول اليه وعبر بالتاويل اشارة الى انه خلاف الظاهر
بعد ما صرح به وظهور معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم اي في بيان وجه ظهورها الى معنى آخر
غير ما ارتضاه من ظهورها اي بيان ظهورها بكونها اي هذه المعجزة الباهرة وحيا اي
كلاما موحى اليه من الله وكلاما عطف تفسير لان الوحي يحتمل المعنى المصدري ثم بين وجه
الظهور على هذا فقال لا يمكن لاحد ممن ينكره التخيل فيه تفعل من الخيال بالخاء المعجمة وفي نسخة
التحيل بالمهملة فيه والاول انسب بقوله ولا التحيل عليه بالحاء المهملة لانه كلام بليغ
دال على معناه وما قصد به دلالة لا يمكن الواقف عليه ان يقول انه تخييل وتمويه لا اصل له
ولا ان يعمل حيلة في الاتيان بمثله كما فعل سحرة موسى عليه الصلاة والسلام بحبالهم اذ تمعوها
تتحرك كعصاه والتشبه به فان غيرها اي غير المعجزة القرآنية من معجزات الرسل كلها
قد رام اي قصد وطلب المعاندون اي المنكرون لها عنادا اباشيا متعلق برام طمعوا
اي توهموا فجعل التوهم لقربه منه معنى في التخيل والتمويه بها باظهار ما لا حقيقة له
على الضعفاء المراد بهم العامة الذين ضعف عقلهم عن الفرق بين السحر والمعجزة لعدم تمييزهم
كالقاء السحرة عند فرعون جمع ساحر حبالهم وعصيهم جمع حبل وعصا لابطال معجزة
عصا موسى بالاتيان بمثلها فلما ابتلعت عصا موسى عليه الصلاة والسلام ما القوه وابطلته
علموا انها معجزة فآمنوا به واختاروا القتل على اتباع فرعون ولم يغن كيده شيئا وشبه هذا
المذكور في قصة موسى مما يخيله بالمعجمة اي يلبس به ويموه الساحر ويتحيل فيه بالحاء
المهملة اي يأتي به حيلة منه غير واقعة ثم اشار الى ان معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم
لا تقبل ما ذكر بقوله والقرآن كلام من جنس الكلام البالغ غاية البلاغة ومثله ليس بحيلة
ممن لا يقدر عليه ولا للسحر في التخيل فيه بان يعمل بقوة السحر ما لو ترى في شخص لا بلاغة
له حتى يتكلم بكلام بليغ خطبة او شعرا عمل اي تاثير كما عرفته آنفا فان ساحرا لو اتى عاميا
لا قدرة له على كلام حسن ثم سحره بجميع انواع سحره لا يمكنه ان يقوم في ناد منشدا او خطيبا
فانه امر جبلي لا يمكن ايجاده لغير خالق القوى والقدر فتجد الجلف الاعرابي يتكلم بكلام
عند اعقل الناس واظرفهم لا يمكنه ان يأتي بشيء منه ولهذا علم ان الكلام لا يكون بحيلة ولا غير
فما بالك بكلام افحم جميع الفصحاء واخرس السنة البلغاء فكان القرآن من حيث كونه كلاما وهو
المراد بقوله من هذا الوجه عندهم اي من الجهة المذكورة بقطع النظر عن غيرها من جهات
الاعجاز عندهم اي عند المفسرين لهذا الحديث بما ذكرناه ثانيا اظهر من غيره من المعجزات
لعدم قبول التخييل والتمويه كما لا يتم اي يحصل ويتيسر وعبر بالتمام لانه يتحقق به الامر

ولذا قيل الاعمال بخواتيمها اي باواخرها لشاعر يتكلم بالمنظوم ولا خطيب يتكلم
بالمنثور ان يكون شاعرا او خطيبا بضرب اي بشيء ونوع من الحيل جمع حيلة والتمويه
اي التخييل والتلبيس وهو ماخوذ من قولهم موه النحاس بذهب او فضة ليوهم من رآه انه ذهب
او فضة وهو في الاصل من الماء بزنة فيصير كالماء ثم يطلى به وتقول العامة لمثله ما الذهب
وماء الفضة وصيغة فعل تكون للتشبيه كثيرا كانكار اهل المعاني لقوله انف مسرج يعني
كالسراج في البريق واللمعان لا وجه له والتاويل اي التفسير الاول الذي قال انه الظاهر
الصحيح ثم خلص افعل تفضيل من خلص بخاء معجمة ولام وصاد مهملة اي اصفى من الكدر اي
الاشكال قال في المغرب الخلوص الصفاء ويستعار للوصول انتهى او هو بمعنى اجود او من الخلاص
بمعنى النجاة والسلامة وارضى افعل تفضيل من الرضى اي اكثر رضى وقبولا عند العقول
السليمة وفي هذا التاويل الثاني الذي ذهب اليه غيره من علماء الحديث ما يغمض بالبناء
للمجهول وتشديد الميم قبل ضاد معجمة من تغميض الجفن وهو غطاء العين ومعنى يغمض عليه
الجفن اي يغمض عنه البصر والنظر فلا يلتفت اليه ويعتنى به او هو كالقذى في العين
الذي يمنع انفتاح الاجفان وهو كناية عن انه غير سالم من الاعتراض ويغضى بغين معجمة
وضاد معجمة والف مبني للمجهول لاجل قافية السجع من اغضى الجفن اذا اطبقه وبمعنى يكتم
وهو قريب مما قبله قيل جعله مرجوحا لما فيه من ايهام ان معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام
يمكن معارضتها ولو بطريق التخييل والحيلة وفيه وجوه اخر وجه ثالث في اعجاز القرآن
وانه اعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم على مذهب من قال بالصرفة اي ان اعجازه بصرف
الله قدرتهم وتمكنهم من معارضته مع انهم بحسب الجبلة قادرون على الاتيان بمثله لولا ما ذكر
واليه ذهب النظام وكثير من المعتزلة والشريف المرتضى من الشيعة وان المعارضة والاتيان
بمثله كانت في قدرة البشر فصرفوا عنها اما بسلب قدرتهم ودواعيهم او بسلب علمهم
بتاليف كلام مثله وتمكنهم منه او على احد مذهبي اهل السنة من ان الاتيان بمثله من
جنس مقدورهم على الاتيان بكلام من جنسه اي مما هو في قدرتهم متمكنون منه ولكن لم
يكن ذلك قبل بالبناء على الضم اي قبل ظهوره ولا يكون بعد بالضم وقيل المراد قبل التحدي
وبعده لان الله لم يقدرهم بسكون القاف وفتحها وتشديد الدال وتخفيفه اي لم يجعل
فيهم القدرة على الاتيان بمثله قبله لانهم لم يسمعوا كلاما مثله ولا يقدرهم عليه بعده
ولما كان هذا المذهب قريبا مما قبله اشار الى الفرق بينهما بقوله وبين المذهبين اي
مذهب الصرفة والمذهب المذكور بعده فرق بين بالتشديد واضح ظاهر لتمكنهم على
الاول من الاتيان بمثله لكن صرفوا عنه ولعدم تمكنهم منه على الثاني مع انه من جنس مقدورهم
ومثله في الجملة وليس هذا نوعا من الصرفة وذهب اليه بعض اهل السنة كما توهم وهو عجيب
ممن قاله فتدبر وعليهما جميعا اي على هذين القولين فترك العرب الفصحاء على
المذهب الاول الاتيان بما في مقدورهم اي قدرتهم على الاتيان بما هو من مثله او مثل
بعضه كاقصر سورة منه او تركهم على الثاني ما هو من جنس مقدورهم اي من جنس كلامهم
البليغ الذي يقدرون عليه ورضاهم اي اختيارهم بالبلاء اي بما ابتلوا به لعنا
والجلاء بفتح الجيم واللام والمد بوزن البلاء وهو اخراجهم من ديارهم واوطانهم والسباء
بكسر السين المهملة والموحدة والمد وهو سبي اولادهم واهليهم واسترقاقهم والاذلال

لانفسهم واهليهم وتغيير الحال التي كانوا عليها من العزة والشهامة وسلب النفوس بالقتل والفتك فيهم والاموال باخذ الغنايم منهم والتقريع باللوم والزجر والتعيير والتوبيخ بذمهم وتقبيح ما هم عليه من الجهل والتعجيز باظهار عجزهم بالتحدي والتهديد لهم بانذارهم بعذاب الدنيا والاخرة والوعيد بما يقع بهم ان لم يؤمنوا آيتين ٢ انه اي اظهر علامة وهو خبر قوله فترك العرب للعجز عن الاتيان بمثله اي بمثل القرآن في فصاحته واعجازه والنكول وهو النكوص اي الرجوع والاعراض عن معارضته اي الاتيان بمثله وانهم منعوا من شيء هو من جنس مقدورهم اي كلامهم الذي يقدرون عليه لامن نوعه المشابه له من جميع الوجوه والى هذا المذهب وهو انهم قادرون على شيء من جنسه عاجزون عن مثله لا بالصرفة الصرفة وهذا هو الفرق بين القولين ذهب واختاره من هنا الامام ابو المعالي الجويني منسوب الى جوين بزنة المصغر اسم بلدة وهو امام اهل السنة عربا وعجما فرد الامة عبد الملك بن عبد الله بن يوسف النيسابوري الشافعي امام الحرمين اعلم ايمة الشافعية هو ووالده ولد في ثامن عشر المحرم سنة تسع عشرة واربع مائة وتوفي سنة ثمان وسبعين واربع مائة في الخامس والعشرين من ربيع الآخر وغيره من اهل السنة قال ابو المعالي وهذا الاعجاز عندنا ابلغ اي اقوى واكثر مبالغة في خرق العادة بالافعال البديعة اي المبتدعة الغريبة في انفسها اي في حد ذاتها وهو متعلق بالبديعة وفي نسخة في انفسنا وهو متعلق بابلغ كقلب العصا حية لموسى عليه الصلاة والسلام وكانت من شجر اللوز وفيها معجزات كانت تثمر له وتضيء ويتنفع بها الى غير ذلك مما فصلوه ونحوها كاليد البيضا وابراء الابرص والاكمه واحياء الموتى فانه اي الامر والشان او كونه ابلغ قد يسبق الى بال الناظر فيها وفكره وخاطره بدارا اي مبادرة وسرعة في اول نظره ان ذلك الامر البديع الخارق للعادة نشاء من اختصاص صاحب ذلك الامر الذي ظهر على يديه بمزية معرفة اي بزيادة معرفة امتاز بها عمن لم يقدر عليها في ذلك الفن اي النوع الذي كان يعتني به اهل زمانه وفضل علم به واحواله الى ان يرد ذلك الخاطر الذي سبق لفهمه صحيح النظر بالتامل والتدبر فيه حتى يعلم اعجازه ٭ ثم بين البلاغة وقوته بقوله واما التحدي اي طلب معارضة الكلام وتقدم انه مشتق من الحدا لتقابل الحداة في حدائهم للابل للخلائق جمع خليقة بمعنى خلق مئين بكسر الميم جمع مائة من السنين في عصر النبوة وبعده الى غير النهاية بكلام من جنس كلامهم المقدور لهم ليأتوا بمثله علة للتحدي فلم يأتوا اي لم يقدروا على مثله وهم فحول البلاغة وقد وبخوا وعيروا على رؤوس الاشهاد ولم يبق بعد توفر الدواعي اي كثرة ما يدعوهم لمعارضته ويحثهم عليها من الحمية الجاهلية على المعارضة ثم عدمها اي المعارضة مع كثرة دواعيها الا ان منع الله الخلق عنها بالصرفة او بعدم القدرة على نوعه دون جنسه فيصدق على المذهبين وفي نسخة الا منع الله الى اخره بمثابة اي هذا المنع بمثابة واصل المثابة المكان الذي يرجع الناس اليه او يكتسبون فيه الثواب ثم شاع فيما ذكر وقد اصطلح الفقها على استعماله للتشبيه كما قيل فالمراد انه نحو ما لو قال آيتي ومعجزتي ان يمنع الله القيام على الناس مع قدرتهم عليه وارتفاع الزمانة عنهم بان لا يكونوا متعدين وهو بناء لقدرتهم على القيام والقدرة

بضم الدال

بضم الدال وفتحها كما تقدم فلو كان ذلك اي عدم قيامهم وعجزهم بتيسير الله اي جعلهم الله عاجزين عنه لكان ذلك من ابهر آية اي اقوى معجزة واظهر دلالة على نبوته والله التوفيق فيه اشارة الى ان فيه توفيقا بين القولين لاتفاقهم من وجه واختلافهم من آخر وقد غاب عن بعض العلما اي خفي عليهم لان من شان الغائب ان يختفي فاريد به لازمه ظهور آيته صلى الله عليه وسلم ولتضمينه معنى العلو عدي بعلى على سائر آيات الانبيا الذين سلفوا قبله حتى احتاج للعذر عن ذلك اي عن كون معجزته اظهر من معجزات غيره مع ان احياء الموتى ونحوه من آيات الانبيا قد يتوهم انه اقوى واظهر بدقة افهام العرب اصل معنى الدقة كون الشيء دقيقا ثم استعير للوقوف على ما خفي من الامور وذكاء الباب جمع لب وهو العقل والذكا قوة للذهن تقتضي سرعة الانتقال ووفور عقولها الوفور من الوفرة وهي الكثرة والزيادة والعقول جمع عقل وهو القوة المدركة يعني ان هذا من شان هذا الجنس ولا يضره تفاوتهم بحسب الاشخاص فيما ذكر كما توهم مع انه لا يرد على المصنف لانه حكاه عن غيره وانهم لما خصوا به من الذكا والفطنة ادركوا المعجزة فيه اي في القرآن لما علموه من خواص تراكيبه وجزالة معانيه وحسن نظمه وانشائه بفطنتهم اي قوة ذكائهم وجاءهم من ذلك اي حصل في نفوسهم من معرفة اعجازه وظهوره على غيره بحسب ادراكهم بفتح الهمزة اي حصل منه على مقدار ادراكهم وقوته وغيرهم من الامم من القبط وغيرهم القبط بكسر القاف جيل من الناس كانوا قوم فرعون بمصر وبني اسرائيل اي اولاد يعقوب بن ابراهيم واسرائيل لقب يعقوب لم يكونوا بهذه السبيل اصل معنا الطريق وهو هنا كناية عن عدم ذكائهم وفهمهم كالعرب ونفي سبيل الشيء ابلغ من نفيه بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنة الغباوة عدم الفهم والبلادة وعطف قلة الفطنة عليه عطف تفسير ورجل غبي جاهل قال ليس الغبي بسيد في قومه ٭ لكن سيد قومه المتغابي ۞ بحيث جوز عليهم فرعون انه ربهم حيث ظرف مكان وهو خبر كان اي بلغت غباوتهم ان في فرعون قال لهم انا ربكم الاعلى فقبلوا له ذلك وهذا بالنسبة للقبط وجوز عليهم السامري وهو رجل من بني اسرائيل يسمى موسى ابن ظفر وهو منسوب لرجل اسمه سامر ذلك في العجل اي انه ربهم فتعبدوه والعجل الصغير من البقر بعد ايمانهم بالله فاضلهم السامري وكان من اهل كرمان من قوم تسمى السامرة يعبدون البقر وكان منافقا يظهر الاسلام فلما مضى موسى عليه الصلاة والسلام صاغ لهم عجلا من الحلي وزينه بالجواهر وقذف فيه ترابا من اثر فرس ركبه جبريل فكان يتحرك فقال لهم هذا الهكم واله موسى وان موسى اخطا الطريق اليه فجاءكم يكلمكم كما كلمه فاتبعوه لسخافة عقولهم كما فصله المفسرون وغيرهم وعبدوا اي بنو اسرائيل المسيح عيسى بن مريم مع اجماعهم على صلبه واذا كان ربا كيف يقتل مع انه اعتقاد باطل وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم اي القي شبهه على رجل اسرائيلي فظن اليهود انه عيسى عليه الصلاة والسلام فصلبوه وهذا جهل عظيم منهم فجاءهم من الآيات الظاهرة البينة للابصار اي لعدم دقة افهامهم في غاية الظهور تدرك بالبصر بقدر غلظ افهامهم ما لا يشكون فيه فاعل جاء وعدم شكهم لظهور ما جاء ومع هذا الظهور فقالوا لموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة اي معاينة بابصارنا لشكهم فيما اتاهم به وتفصيله في التفاسير غني عن البيان ولم يصبروا اي بنو اسرائيل

على المن وهو طل كالعسل ينزل على الاشجار بعجم ويوكل والسلوى وهو طاير كالسماني واحده سلواه وكانوا الماخرجوا من التيه قالوا لموسى عليه الصلاة والسلام اخرجتنا من العمران للقفر فادع الله ان يرزقنا فرزقهم المن ثم سالوه ان يطعمهم من اللحوم فاتاهم بالسلوى فكانوا ياخذون بايديهم ثم قالوا لن نصبر على طعام واحد واستبدلوا الذي هو ادنى اي طلبوا بدلا ادنى مما عندهم وهو الفوم والعدس والبصل بالذي هو خير وهو المن والسلوى والباء داخلة على المتروك وفيه تفضيل افرده بالتاليف والعرب على جاهليتها اي على حالها التي كانت عليه قبل الاسلام من الجهل لانها امة امية والجاهلية مصدر بمعنى الجهل وعلى بمعنى مع وقيل انها مستعارة لتمكنهم في الجهل كقوله على هدى من ربهم اكثرها يعترف بالصانع اي بوجوده تعالى وليست معطلة كبعض الامم واطلاق الصانع على الله صحيح ثبت في السنة كما ذكره السيوطي رحمه الله تعالى وليس مما احدثوه وفي قوله اكثرها اشارة الى ان منهم فرقة دهرية قالوا ما يهلكنا الا الدهر وفرقة عبدت الملائكة وفرقة عبدت الكواكب وانما كانت عبدة الاصنام منهم تتقرب الى الله زلفى بالاصنام ولا تدعي انها خالقة رازقة وزلفى مقصور بمعنى الحظوة من ازدلف بمعنى دنى وهو مصدر كالزلفة موكد لتتقرب من غير لفظه ومنهم من آمن بالله وحده من قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم في الجاهلية كابن نفيل وقس ابن ساعدة وامية بن ابي الصلت بدليل عقله وصفاء لبه الذي هداه الى معرفة الله تعالى وتوحيده للنظر في مصنوعاته

وفي كل شي له آية • تدل على انه الواحد •

ولما جاءهم الرسول صلى الله عليه وسلم اي بعثه الله تعالى ليهديهم الى الله بكتاب الله المنزل عليه وفهموا حكمته اي ما فيه من الحكم والعلوم النافعة وتبينوا الفضل ادراكهم وزيادة عقلهم لاول وهلة اي في اول نظرة بالبصيرة منهم يقال لقيته اول وهلة بسكون الهاء وفتحها اي اول شي واللام لاول توقيتية اي عند اول وهلة معجزته يعني القرآن فآمنوا به وازدادوا كل يوم ايمانا وتصديقا بنبوته ومعجزته والايمان بمعنى التصديق يقبل الزيادة قوة وضعفا عند المحققين وان لم نقل ان الاعمال داخلة فيه كما تقرر في علم الكلام ورفضوا اي تركوا الدنيا كلها في صحبته اي لاختيار صحبته على كل شي وهجروا ديارهم واموالهم طلبا لرضى الله ورضاه صلى الله عليه وسلم وقتلوا آباءهم وابناءهم المعادين له لاجل نصرته واعزاز دينه في نصرته في هنا تعليلية واين هذا القايل الذي غاب عنه ما تقدم في معنى هذا وزعم ان ظهور آياته لما قاله بما يلوح له رونق اي يظهر له لفظ حسن ويعجب منه زبرج بكسر الزاي المعجمة وسكون الباء الموحدة وكسر الراء المهملة وجيم وهي الزينة والوشي الذي كالطلا وفيه اشارة الى عدم قبوله لضعفه ولذا قال لو احتيج اليه وحقق اي ثبتت حقيقته لكنا قدمنا من بيان معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم وظهورها من غير حاجة لما ذكر من ذكاء العرب وفهمهم ما يغني عن ركوب بطون هذه المسالك اي ادعاء مثل هذه الامور الحقية المتكلفة وظهورها اي ما يظهر منها قبل تدقيق النظر والتدبر وبالله نستعين والحمد لله وحده

القسم الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه عليه الصلاة والسلام

الوجوب الشرعي ما يلزم شرعا وهو ظاهر والانام الخلق والناس والحقوق جمع حق وهو ما يستحقه عليه الصلاة والسلام وهذا قسم من الاقسام الاربعة التي ذكرها المصنف لخصنا الكلام فيه اي اختصرناه من غيره من الكتب وبيناه وسهلناه في اربعة ابواب على ما ذكرناه اول الكتاب في اجمال ما اشتمل عليه وفهرسته ومجموعها اي محصلها واجمالها من قولهم جمل الحساب والضمير للابواب الاربعة في وجوب تصديقه عليه الصلاة والسلام في كل ما جاء به عن ربه ويدخل فيه الايمان بانه رسول والايمان بساير الرسل والكتب المنزلة وقدمه لانه الاصل فلا حاجة لما قيل من انه خصه لانه المقصود من تصنيف الكتاب ولانه اشرفهم وخاتمهم واتباعه صلى الله عليه وسلم اي الاقتداء به فيما ليس من خواصه وهو مجرور معطوف على تصديقه اي بان يجب اتباعه في وجوب الواجب وسنية المسنون واباحة المباح وتحريم المحرم وقيل ينبغي تقييده بالواجب لا المسنون وطاعته بامتثال اوامره واجتناب نواهيه والطاعة كما قال الراغب الانقياد ونقيضها الكره قال تعالى ايتيا طوعا او كرها واكثر ما يقال لما امر ونهي فلذا عطفها فانه قد يكون كرها من قال في الفرق ان المطيع مسلوب الاختيار مع المطاع وفي الصحاح فلان مطيع لك اي منقاد لم يصب في مدعاه واستدلاله ومحبته بان يكون صلى الله عليه وسلم احب اليه من نفسه واهله وماله والمحبة الميل النفساني وهي معروفة ومناصحته له وهي لغة الخلوص وشرعا ارادة الخير للمنصوح وساتي وعبر بالمناصحة دون نصحه لانها ابلغ ولان الرسول صلى الله عليه وسلم نصح الامة قبل نصحهم وتوقيره اي تعظيمه والتادب معه بما هو لايق به صلى الله عليه وسلم وبره صلى الله عليه وسلم ببذل ما في وسعه له من المال وغيره من امور الدنيا فما قيل من انه تكرار ينبغي تركه لانه من الطاعة لا وجه له وحكم الصلاة عليه والسلام من الوجوب وزيارة قبره اي وحكم زيارة قبره عليه الصلاة والسلام عبر بالحكم فيهما لان وجوب ما قبلهما مشتهر دونهما وتعبيره به لانه في بيته صلى الله عليه وسلم وهذا حكمة دفنه فيه دون المقابر والله اعلم

• الباب الاول •

في فرض الايمان به صلى الله عليه وسلم عبر فيما سبق بوجوب تصديقه وهنا بفرض الايمان تفننا واشارة الى ان الفرض والواجب بمعنى عنده هنا وان المراد بالتصديق الايمان لا معناه اللغوي والحنفية فرقوا بين الفرض والواجب بان الفرض ما ثبت بدليل قطعي بخلاف الواجب فان الفرض لغة القطع وخالفهم فيه غيرهم كما بين في الاصول ووجوب طاعته اي بوجوب هنا لما ذكرناه وللاشارة الى ان فيما سبق معطوف على تصديقه لا على وجوب فلا وجه لما قيل انه لا حاجة اليه وانه ينبغي تقديمه واتباع سنته اي طريقته التي سنها صلى الله عليه وسلم وشرعها فهو بالمعنى اللغوي فيدخل فيه السنن الاصطلاحية وغيرها وهو مقابل لقوله اولا اتباعه ولم يعرف في لانه غير مغاير لما قبله لان اتباع سنته طاعة له فلا يقال انه ينبغي ذلك اذا تقرر وثبت بما قدمناه في هذا الكتاب ثبوت نبوته بالوحي اليه وصحة رسالته لجميع الخلق واخره لانه اخص وعبر بالصحة تفننا ولان من الكفرة من ادعى عدم صحتها كاليهود المنكرين للنسخ وبعض من ادعى عدم عموم رسالته وجب الايمان به وتصديقه في جميع ما اتى به فاخبرنا به ومنه الايمان بالله ورسله وكتبه وغيرها ان لم نقل ان الايمان بالله واجب عقلا مقدما على ما عداه لئلا يلزم الدور كما ارتضاه بعض

الماتريدية وخالف فيه بعض الاشعرية كما حقق في كتب الكلام وقيل الايمان بالله تعالى
مقدم على الايمان بالرسل والايمان بالرسل متوقف على ثبوت الرسالة كما قاله ثم من آمن به وجب
عليه طاعته بامتثال ما جاء به من الشرايع انتهى وفيه نظر **قال تعالى فامنوا بالله ورسوله**
محمد صلى الله عليه وسلم **والنور الذي انزلنا** يعني ما اوحي به اليه صلى الله عليه وسلم من
الشريعة وهذا هو المناسب لما قبله وقيل المراد به القرآن اذ هو باعجازه ظاهر بنفسه مظهر لغيره
بديع بيانه فاطلاق النور عليه استعارة كما ذكروا لانه يهتدى به والامر للوجوب والاستدلال
بالاية ظاهر **وقال تعالى انا ارسلناك شاهدا** على من صدق او كذب ليثاب او يعاقب
ومبشرا لمن آمن بسعادة الدارين وحذف المبشر به تعميما لتذهب نفس السامع كل مذهب كما في قوله
ونذيرا اي منذرا ومخوفا لمن عصاك **ليومنوا بالله ورسوله** الخطاب في انا ارسلناك له صلى الله
عليه وسلم ولام ليومنوا لام كي وقيل انه يحتمل ان تكون لام امر وهو بعيد وقرئ ليومنوا
بالغيبة وهي ظاهرة لان خطابه صلى الله عليه وسلم خطاب لامته وفيه كلام بيناه في حاشية
القاضي والاستدلال بالاية على التعليل لان الانذار يقتضي وجوب اتباعه على انه في غنية
عنه بما قبله وبعده من قوله **فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الاية** اي الذي يومن بالله
وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون وقد تكرر الامر به في القرآن في آيات كثيرة فالايمان بالنبي
محمد صلى الله عليه وسلم واجب لامر الله به مرارا متعين اي فرض عين لا فرض كفاية فيجب الاعتراف
به باللسان والتصديق بالجنان فلا بد منهما شرعا **اذ لا يتم** ويصح **ايمان** لاحد بالله
الا به اي بالايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم وبكل ما جاء به **ولا يصح اسلام الا معه**
اي الا مع الاسلام برسوله بعينه وليس هذا مبنيا على تغاير الايمان والاسلام على قول بل هو
تاكيد لما قبله لتغايرهما بحسب المفهوم وان اتحدا بحسب الماصدق فانه لا يكون مومن الا
وهو مسلم ولا مسلم الا وهو مومن لقوله تعالى فاخرجنا من كان فيها من المومنين فما وجدنا فيها غير
بيت من المسلمين **قال تعالى ومن لم يومن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا**
وفي الاية نص على ان الايمان المعتد به انما يكون بالجمع بين الايمان بالله وبرسوله فينتفي بانتفاء
احدهما والتفريع في قوله فانا اعتدنا عليه **حدثنا ابو محمد الخشني بقراتي عليه** وهو حديث صحيح
رواه مسلم والبخاري وابو محمد الخشني بضم الخا والشين المعجمتين ونون ويا نسبة تقدمت
ترجمته **قال حدثنا الامام ابو علي الطبري** تقدمت ترجمته **قال حدثنا عبد الغافر
الفارسي** تقدمت ترجمته **قال حدثنا ابن عمرويه** الجلودي وقد تقدم وابن عمرويه بفتح العين
وسكون الميم وفتح الرا وضمها وان مثله صيغة تصغير عند اهل البصرة مولدة **قال حدثنا ابن
سفيان** ابراهيم بن محمد بن سفيان راوي مسلم **قال حدثنا ابو الحسين** هو الامام مسلم القشيري
صاحب الصحيح المشهور **قال حدثنا امية بن بسطام** بكسر البا وفتحها وفيه الصرف وعدمه
توفي سنة احدى وثلاثين ومايتين امام جليل اخرج له الشيخان والنسائي **قال حدثنا يزيد
بن زريع** بزنة مصغر الزرع الامام الحافظ ابو معاوية البصري كما تقدم **قال حدثنا روح**
بفتح الرا المهملة وواو ساكنة وحا مهملة وهو ابن القاسم التميمي البصري الامام الثقة مات
سنة نيف وخمسين ومايه **عن العلا** بفتح العين المهملة والقصر **ابن عبد الرحمن بن يعقوب**
عالم المدينة وهو ابو شبل مولى الحرقة اخرج له مسلم واصحاب السنن **عن ابيه** عبد الرحمن **عن ابي
هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امرت** ببناء المجهول اي امرني الله

اذ لا آمر له صلى الله عليه وسلم سواه **ان اقاتل الناس** اي بان اقاتلهم ومحله بعد حذف
الجار نصب او جر وهو عام للناس كلهم خص منه من ضربت عليه الجزية **حتى يشهدوا ان لا اله
الا الله** غاية لقتالهم ينتهي به وتخصيص بالغاية **ويومنوا بي** اي بكوني نبيا رسولا **ويومنوا
بما جيت به** من الله واوحاه اليه من شريعته التي امر بتبليغها وتكليفهم بها فاذا فعلوا ذلك المذكور
من الشهادة والتصديق لما جا به والتزام احكام شريعته **عصموا** اي صانوا وحفظوا **مني دماهم**
بعد المقاتلة لهم **واموالهم** فلا توخذ بالغنايم ولا بسبب من الاسباب **الا بحقها** اي ان تستحق
اباحة دماهم بقتل نفس ظلما ونحوه او تستحق اموالهم بمنع زكاة او ثبوت حق عليهم **وحسابهم
على الله** اي امرهم بعد ما ذكر موكول الى الله اذا حاسبهم على ما اسروه في انفسهم وما لم نقف عليه
من الكفر والمعاصي فيثيب من يشا ويعاقب من يشا والمنافق لا يقتل الا اذا ظهر منه ما يقتضي
كفره ومثله الزنديق واختلفوا في قبول توبته فقيل تقبل مطلقا وقيل قبل الاخذ وقيل لا تقبل
مطلقا وتوبته ان خلصت نفعته في الآخرة وقيل ان تاب مرة قبلت وان تكررت لا وقيل
لا تقبل ان دعى لزندقته وقوله صلى الله عليه وسلم ويومنوا بي اشارة الى ان اهل الكتاب لا يمنع
قتالهم مجرد الشهادة بان لا اله الا الله ودخل قتال البغاة ومانعي الزكاة وتاركي الصلاة في قوله
الا بحقها وفي الحديث دليل على ان الايمان يكفي فيه الاقرار بما ذكر فيه وانه لا يشترط فيه معرفة
الادلة الاصولية كما قاله النووي رحمه الله وليس مبنيا على ايمان المقلد كما توهم **قال القاضي
ابو الفضل رضي الله عنه والايمان به صلى الله عليه وسلم هو تصديق نبوته** اي التصديق
بها **ورسالة الله له** اي ارساله والاضافة اختصاصية لا بمعنى اللام كما توهم وان كان المعنى
عليها **وتصديقه في جميع ما جا به** بالوحي عن الله بانواعه **وما قاله** اي في جميع اقواله لانه صلى
الله عليه وسلم معصوم لا يصدر عنه ما يخالف الواقع لا سيما ما امر بتبليغه **ومطابقة** اي
موافقة **تصديق القلب** اي اعتقاده والجزم به واصل المطابقة وضع شي على شي هو طبقه
وقوله **بذلك** اي بالتصديق بالنبوة والرسالة **شهادة اللسان** بنطقه واعترافه **بانه رسول
الله فاذا اجتمع التصديق به صلى الله عليه وسلم بالقلب والنطق بالشهادة بذلك**
المذكور من رسالته وما جاء به **باللسان تم الايمان** الحقيقي المنجي في الدنيا والاخرة
والتصديق له اي كيفيته ولفظه **كما ورد في هذا الحديث** الذي رواه المصنف عن ابي هريرة
نفسه بالجر للحديث تاكيدا **من رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما امرت ان اقاتل
الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله** وهذه رواية مسلم عن ابن عمر
وفيها ويقيموا الصلاة ويوتوا الزكاة فاذا فعلوا الخ وقوله تم الايمان اي تحقق وصح وليس
مراده انه اذا وجد احدهما كتصديق القلب كان ايمانا ناقصا كما يتوهم والنطق بالشهادة
مع انه لا بد منه اختلف فيه هل هو شطر او شرط والاعمال ليست داخلة فيه عند المحققين وفيه
كلام مفصل في كتب الاصول وشروح الصحيحين يضيق المقام عنه **وقد زاده وضوحا**
اي زاد صلى الله عليه وسلم ما ذكر بيانا **في حديث جبريل** عليه الصلاة والسلام الذي رواه
الشيخان كما تقدم **اذ قال له** جبريل لما جاءه صلى الله عليه وسلم في صورة انسان **اخبرني
عن الاسلام** اي حقيقته ومعناه شرعا وهو في اللغة الانقياد والطاعة وقيل السوال
عن شرايعه وشروطه **فقال** صلى الله عليه وسلم **ان تشهد ان لا اله الا الله** ان مخففة
من الثقيلة وتشهد بمعنى تتكلم بان تقول اشهد الخ وقد اختلف هل يشترط فيه لفظ الشهادة

او يكفي ما يودي معناه والصحيح عندنا الثاني ولو بغير لفظ العربية لمن لا يعرف العربية وان محمدا رسول الله ارسله لجميع خلقه وذكر اركان الاسلام يعني قوله وتقيم الصلاة بالنصب عطفا على تشهد وجوز بعضهم رفعه استينافا نظرا الى انه يكفي في اجراء احكام الاسلام الشهادتان وكذا ما بعده وجوابه انه بيان لاكمله ولو اقامة الصلاة اداؤها وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا قال صدقت فعجبنا له يسأله ويصدقه ثم سأله صلى الله عليه وسلم عن الايمان اي عما يجب التصديق به شرعا فقال مجيبا له ان تؤمن بالله اي تصدق بوجوده وانه واحد في ذاته وصفاته وافعاله ولا شريك له في ذلك وليس هذا تعريفا للشيء بنفسه لانه يكون متعديا بنفسه ومعناه الامن من التكذيب ومتعديا بالباء لتضمنه معنى الاعتراف وقد يتعدى باللام لتضمنه معنى القبول والاذعان والمعروف هو الاول وما وقع في التعريف هو الثاني بل لان الاول معلوم والمسؤل عنه بيان متعلقاته التي يجب الايمان بها اجمالا او علم من الحديث تغاير مفهوم الاسلام والايمان فان الاسلام لغة الاستسلام والانقياد وهو جزء من مفهوم الايمان الذي هو التصديق بالقلب واللسان وقيل انهما مترادفان فالاظهر انهما متلازمان لا ينفك احدهما عن الاخر وقيل بينهما عموم وخصوص مطلق وان الاسلام يتناول التصديق واصل الطاعات كما فصل في علم الكلام وملائكته جمع ملك من الالوكة وهي الرسالة واصله مالك ثم قلب وجمع وحقق مفرده وتاؤه لتانيث الجمع او المبالغة وهم اجساد نورانية سالمة من الكدورات الجسمانية قابلة للتشكل والايمان بهم ان تؤمن بانهم عباد الله معصومون لا يفعلون غير ما يؤمرون لا يعلم عدتهم الا الله وكتبه التي هي كلامه تعالى المنزل على رسله الازلي فيصدق بحقيتها وحقيقة ما تتضمنه ورسوله وهو من اوحي اليه بشرع وكتاب وامر بتبليغه عباده الحديث بالنصب اي اذكره واقرأه واعرف ذلك الى اخره وهو واليوم الاخر والقدر خيره وشره واقتصر المصنف رحمه الله على المقصود منه فقد قرر اي بين النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث شان الايمان به اي بالله وبما ذكر في الحديث يحتاج الى العقد اي الاعتقاد الجازم بالجنان بفتح الجيم وهو القلب سمي به لاستتاره او اشتماله وما فيه من جنه اذا ستره والاسلام به اي بالله وبما ذكر مضطر اي محتاج اليه ضرورة لانه لا يظهر الانقياد بدونه ولذا غاير بينهما الى النطق باللسان ليعلم ما في قلبه وهذه الحالة اي اعتقاد الجنان والنطق باللسان هي المحمودة عند الله والناس التامة بناء على انه اسم لفعل القلب واللسان كما ذهب اليه بعض الاشعرية ووصفها بالتمام اشارة الى ان عقد الجنان كاف وان لم ينطق به والنطق شرط لاجراء احكام الاسلام عليه في الدنيا كالصلاة عليه ودفنه في مقابرنا فمن امن بقلبه ولم يعلم به احد نفعه ايمانه الاعلى وجه الاباء واما الحالة المذمومة لضررها في الاخرة فالشهادة باللسان اي الاقرار والتلفظ بالشهادة دون تصديق القلب بالاعتقاد الجازم وهذا هو النفاق الذي يسمى صاحبه منافقا وهو من يظهر الايمان ويخفي الكفر وهو لغة اظهار خلاف ما يضمر من نافقاء اليربوع من نافقائه قال الله تعالى اذا جاءك المنافقون الخطاب له صلى الله عليه وسلم قالوا نشهد انك لرسول الله فاقروا بشهادة مواطية لقلوبهم بزعمهم فرد عليهم علام الغيوب بقوله والله يعلم انك لرسوله وهو توطية لقلوبهم والله يشهد ان المنافقين لكاذبون في قولهم ذلك

ان الايمان

اي قولهم انك لرسول الله عن اعتقاد وتصميم لان سياقه موكدا بهذه التاكيدات يقتضي انه ناشئ عن اعتقادهم الجازم وتصديقهم القلبي او اللساني وهم لا يعتقدونه جملة حالية اي والحال انهم ليسوا معتقدين لذلك كما اخبر الله به فلما لم يصدق ذلك القول ضمائرهم اي ما اضمروه في قلوبهم او قلبهم لان الضمير يطلق عليه لم ينفعهم ان يقولوا اي قولهم لم ينفعهم في الاخرة لانهم في الدرك الاسفل من النار بالسنتهم ما ليس في قلوبهم لاعتقادهم خلافه فهو كذب غير مطابق للواقع وليس هذا مبنيا على ان الكذب ما خالف الاعتقاد كما حققه اهل المعاني وهذه الاية نزلت في ابن ابي ابن سلول راس المنافقين واصحابه وقصته مشهورة في كتب الحديث فلا نطول بها فخرجوا عن اسم الايمان اي عن ان يسموا بما اشتق منه فيقال لهم مومنين في الدنيا عند من عرفهم ولم يكن لهم في الاخرة حكمه وهو دخول الجنة فهم في الدرك الاسفل مع الكفار وقوله في الاخرة اشارة الى انهم يجري عليهم في الدنيا حكمه نظرا الظاهر حالهم كما بينه بقوله اذ لم يكن معهم ايمان في الاخرة لانكشاف حالهم وافتضاحهم فيها وقال معهم ولم يقل اذ لم يكونوا مومنين ايماء الى ان ايمانهم لم يكن في قلوبهم فكانه كان رفيقا لهم لتلفظهم به فاذا ماتوا فارقهم وبطل حكمه ولحقوا بالكافرين في الدرك الاسفل من النار الدرك بفتح الراء وسكونها ما ينزل به لاسفل ضد الدرج يعني انهم في قعر جهنم واخر طبقة منها وهي سبع طبقات جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية ويطلق اسم كل طبقة منها على الجميع ايضا بالاشتراك اللفظي والمعنوي وبقي جار عليهم حكم الاسلام في الدنيا فيعاملون معاملة المسلمين فيما لهم وعليهم باظهار شهادة اللسان اي بسببه لانا نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر والمراد بحكم الاسلام كلما كان داخلا في احكام الدنيا اي ما يحكم به لهم وعليهم من احكام الشرع المتعلقة بالائمة اي السلاطين والخلفاء لا العلماء لانهم ليسوا ماموريين باجرائها وحكام المسلمين كالقضاة وغيرهم والنواب وهذا حكم من لم يظهر لنا حاله منهم فان من ظهر حاله يكون كافرا فلا وجه لايراده نقضا هنا كما توهم ولذا لم يصل النبي صلى الله عليه وسلم على ابن ابي بن سلول وان كنا نصلي عليهم وانما لم يقتله لما اشار اليه في الحديث بقوله لئلا يتحدث الناس بان محمدا يقتل اصحابه فكان هذا من خصائصه في ابتداء الاسلام انتهى بانتهاء سببه ولذا رجع عمر رضي الله عنه حكم المولفة قلوبهم وهذا من عطف العام على الخاص الذين احكامهم جارية ومبنية على الظواهر من احوال الناس كلهم بما اظهروه من علامة الاسلام اي احكام الدنيا جارية عليهم بسبب اظهار الاسلام بانقيادهم له والتزامهم احكامه ظاهرا وان لم يعتقدوها بقلوبهم وفي نسخة علامات وزادها اشارة الى انهم لم يعتقدوها بقلوبهم وليسوا مسلمين حقيقة وانما عليهم علامته اذ لم يجعل بعناء المجهول اي يجعل الله للبشر اي للناس كلهم سبيل اي طريق الى السرائر جمع سريرة وهي ما في القلب مما لم يطلع عليه فلم نكلفهم بمعرفته واجراء حكمه ولا امروا الضمير للبشر باعتبار المعنى بالبحث اي التفحص والتفتيش عنها اي عن السرائر ثم توفي فقال بل نهى صلى الله عليه وسلم عن التحكم عليها اي الحكم على السرائر وعبر بالتحكم لما فيه من التكلف ولانه ليس بحكم كما يقال حكم الرجل لمن لا حكم له فقال صلى الله عليه وسلم لاسامة بن زيد في حديث صحيح رواه البخاري لما اضطر بعض الكفار فاسلم فقتله لاعتقاده ان اسلامه بلسانه خوفا من القتل فقال له اقتلته بعد ان اسلم هلا

هم

ل

هم

شققت عن قلبه وهلا اداة تحضيض اذا دخلت على المستقبل افادت الامر واذا دخلت على الماضي افادت الانكار والتوبيخ وشق متعد بنفسه عداه بعن لتضمينه معنى التفتيش اي شققت قلبه لتفتش ما فيه من الاعتقاد وتعلم اقال ما قاله خوفا ام لا وهو كناية عن استحالة الوقوف عليه لانه بشقه لا يدري ما فيه والامر فيه ظاهر لما فيه من التوبيخ على ما لا يليق به وكان عليه ان يختبره حتى يعلم هل هو مخلص ام لا لكن لما رآه لم يسلم حتى رفع السيف لقتله ظنه ايمان يأس لا ينفعه كايمان الغرغرة فهو متاول لا متهم بالخطأ في قتله والحديث كما في الصحيحين عنه بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحرقة من جهينة فصبحنا القوم ولحقت انا ورجل من الانصار رجلا منهم فلما غشيناه قال لا اله الا الله فكف عنه الانصاري وطعنته برمحي حتى قتلته فلما قدمنا بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا اسامة اقتلته بعد ما قال لا اله الا الله قلت يا رسول الله انما كان متعوذا فقال اقتلته بعد ما قال لا اله الا الله ولم يزل يكررها وقال هلا شققت عن قلبه فكيف تصنع بلا اله الا الله اذا جاءت يوم القيمة فقلت استغفر لي يا رسول الله فقال كيف تصنع بلا اله الا الله الى اخره فلم يقبل عذره وفيه تحسينه وموعظة وزجر والرجل المقتول اسمه مرداس الفزاري او الفدكي ومما ذكرناه علم ان اسامة رضي الله عنه متاول في قتله ولم يسمع منه كلمة الشهادة بتمامها حتى يحكم باسلامه وانما لامه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعجلته وعدم تحسينه وانه كان يجب عليه ان يختبره فلم يقتله وهو مسلم شرعا كما لا يخفى فقول الداوودي انه يلزمه الدية لقتله لمسلم خطا وانما سكت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذكرها لعله لعلم السامع او لانه كان قبل نزول آية الدية والكفارة وقول القرطبي انه لا يلزم من السكوت عدم الوقوع وقول غيره انه يحتمل انه لم يجب عليه شي لانه ماذون له في اصل القتل فهو كالطبيب والخاتن ۞ او لم يكن له وارث مسلم ولا ولي واسامة رضي الله عنه اقرب لك لا حاجة اليه

اقول

اذا لم يكن له وارث ديته لبيت المال ولا يصح عفو الامام عنه عندنا وان رجح السبكي في فتاويه جوازه لمصلحة ولا دليل في الحديث له لما عرفته ولانه يستحق من بيت المال فتحتمله الدية لا يكون عفوا والفرق بين القول اي مجرد التلفظ بالشهادة بلسانه والعقد اي التصديق بقلبه واعتقاد جنانه ما جعل ما مصدرية اي جعله في حديث جبريل الذي تقدم في سؤاله عن الاسلام والايمان الشهادة اي التلفظ بها ركنا من الاسلام لما قال في جوابه ان تشهد الخ وجعله التصديق من الايمان اي الاعتقاد بالقلب وهذا بناء على تغاير الاسلام والايمان وفيه اشارة الى تفسير يومن في قوله ان تومن بالله الخ وبقيت حالتان اخريان بين هذين اي الاقرار بلسانه والتصديق بجنانه اي الجمع بينهما احدهما ان يصدق الكاذبين بقلبه ثم يخترم بخاء معجمة وراء مهملة مبني للمجهول يقال اخترمته المنية والموت اذا اتاه بغتة بسرعة واصل معنى الخرم القطع وتعريق المتصل فقيل له ذلك لقطعه الحياة كما اشار اليه بقوله قبل اتساع وقت الشهادة اي التلفظ والنطق بها الضيق الزمن فصدق حالة بين الحالتين السابقتين وهما الاقرار اللساني والتصديق لمن هو مومن بالاتفاق والثانية الاقرار باللسان وقلبه غير مصدق وهو منافق بالاتفاق وحكمه وهذه حالة بينهما فاختلف فيه اي في هذه الحالة امومن هو ام لا فشرط بعضهم اي قال انه من تمام الايمان القول والشهادة به اي باللسان فلا يكون هذا مومنا عنده لعدم تمام ايمانه وفقد شرطه

عنده وعند بعضهم ان الشهادة جزء من الايمان وركن لا شرط فعرفه بانه تصديق باللسان وتصديق بالجنان وهو المشهور عند الاشاعرة فلا ايمان الا بهما الا عند العجز عن النطق ورآه ما ضمن الرأي بعضهم مومنا فقال من اعتقد بقلبه واخترم قبل تمكنه من النطق مومن كالعاجز فيكون مومنا حقيقة مستوجبا اي مستحقا للجنة ودخولها لعذره بعدم تمكنه ولقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان يخرج بالبناء للفاعل والمفعول من النار من كان في قلبه باعتقاده مثقال ذرة اي وزنها ومقدارها في الثقل ۞ والذرة بالمعجمة صغار النمل والهباء وهو كناية عن غاية القلة وان كان عند الله عظيما وهو بعض من حديث في الصحيحين ولم يقل يدخل الجنة ابتداء لان المراد به العصاة المعذبون بسبب آخر او بترك الشهادة فيكون عاصيا بذلك والظاهر الاول ولذا بينه وبين الاستدلال به بقوله فلم يذكر في الحديث شيئا سوى ما في القلب من ايمانه بمقدار ذرة وهذا المصدق بقلبه دون لسانه لعدم تمكنه من النطق مومن بقلبه فينفعه ايمانه عند الله لانه غير عاص اي تارك لما يلزمه ولا مفرط بتشديد الراء المهملة اي مقصر عمل بترك غيره وهو التلفظ بالشهادة وهذا الرأي الذي رآه بعضهم هو الصحيح في هذا الوجه اي الحالة المعذور فيها بعدم تمكنه وهذا وان صححه المتكلمون الا انه قيل ان ما استدل به المصنف لا يثبت ما ادعاه لان هذا في عصاة امته الذين ثبت ايمانهم ويدل عليه ما في الصحيح عن انس انه صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ثم انه ذكر الوزن في الايمان وهو من المعاني لانه كما قال الكرماني شبه بالجسم فاضيف اليه ما هو من لوازمه وهو الوزن وفيه استعارة بالكناية الثانية اي الحالة الثانية من هاتين الحالتين ۞ ان يصدق بقلبه ويعتقد اعتقادا جازما ويطول بضم التحتية وتشديد الواو المكسورة مهلة بميم وهاء مفتوحتين مفعول يطول ويجوز تسكين هائه مع فتح ميمه وضمها وهي التؤدة والتأني فاربه لازمه وهو طول الزمان والمراد زمان سكوته وعدم نطقه بالشهادة وعلم ما يلزمه من الشهادة والنطق بها وهذه جملة حالية بتقدير قد اي سكت زمانا طويلا مع علمه بلزوم النطق والاعتراف بما صدق به قلبه فلم ينطق بها اي بالشهادة جملة منصوب على الحالية والمراد به بمجموعها بان يومن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره او اجمالها بان لا يفصل الملائكة والكتب ونحوها ولا استشهد في عمره ومدة حياته اي اتى بالشهادة وفي نسخة تشهد ولا مرة اي مرة واحدة فهذا اختلف فيه ايضا كما اختلف في الذي قبله وهو في الاصل مضي آض اذا رجع وشاع في التعبير وفي نصبه كلام مشهور فقيل هو مومن لانه مصدق وحقيقة الايمان هو التصديق القلبي وقد اتصف به فيكفيه والشهادة من جملة الاعمال الزائدة على حقيقة الايمان وان كانت لازمة شرعا فهو عاص بتركها لمرتكب الكبائر غير كافر غير مخلد في النار عند اهل السنة القائلين بان اصحاب الكبائر غير مخلدين وقيل ليس بمومن لان الشهادة شرط فيه او شطر حتى يقارن عقده اي اعتقاد قلبه وجزمه شهادة اللسان اي التلفظ مطابقة لما في قلبه اذ الشهادة انشاء عقد عند الاصوليين لانها عندهم انشاء يتضمن الاخبار بالمشهود به لا اخبار وعزي الباجي اي انه خبر لابي حنيفة وانكره السروجي ۞ وقال لا نعرفه وانما هو انشاء عندنا ايضا ونظر فيه بانهم عرفوها بانها اخبار بحق للغير

على آخر وقد يقال انه بحسب ظاهره لانه خبر لفظا اريد به الانشا كقوله والمطلقات
يتربصن بانفسهن ومن لم يفهم مراده قال انشاؤه بمعنى ابتدائه والتزام ايمان اي التزام
لاحكامه وهي اي الشهادة مرتبطة اي ملازمة متصلة مع العقد الجناني لا تفارقه فلا يكتفي
باحدهما ولا يتم التصديق ويكتفى به مع المهلة اي تاخير النطق زمانا طويلا من غير مانع
الا بها اي بالشهادة والنطق بها وهذا القول هو الصحيح من انه ليس بمؤمن لعدم مقارنة
الاعتقاد للاقرار مع التمكن منه ومن يقول انه التصديق فقط يقول انه مؤمن وان لم يقر
بلسانه وان لم تجر عليه احكام الايمان في الدنيا فهو ينفعه في الاخرة والاصح انه لا بد منه في
الاعتداد به في الدنيا والاخرة وهو شرط او شطر ثم انهم اتفقوا على انه يلزم المصدق ان
يعتقد انه متى طولب به اتى به فانه ان طولب به فلم يقر فهو كفر عناد وهذا نبذ بفتح النون
وسكون الموحدة وذال معجمة وهو الشيء اليسير واصله الرمي والطرح فكانه لقلته مما يطرح
وفي نسخة هذه نبذ بضم النون وفتح الموحدة جمع نبذة بزنة غرفة وقيل انه بضم فسكون
والمعروف ما قدمناه تفضي الى متسع من الكلام تفضي بضم المثناة الفوقية وسكون الفاء
وكسر الضاد المعجمة قبل ياء ساكنة مضارع افضى بمعنى اوصل واصل معناه الايصال الى الفضا
والمتسع بزنة اسم المفعول وهو مصدر ميمي او اسم يعني انه تحتاج الى بسط وانتشار لكثرة
مباحثه وما للعلماء فيه من القيل والقال في الاسلام والايمان اي فيما يتعلق بهما
وابوابهما اي المعقودة لتفصيلهما وفي الزيادة فيهما والنقصان فيهما والكلام في انهما
يقبلان زيادة ونقصا وفيه اختلاف مشهور وهذا التجزي بالزيادة ممتنع على مجرد
التصديق فهو في نفسه من غير نظر لما ينضم له من الاقوال والاعمال لا يقبلهما فانه كامل
قيل انهما مجرد التصديق وهو لا يزيد ولا ينقص وقيل انه قول واعتقاد وقيل قول وعمل
واعتقاد فعلى هذا يقبل التجزي وقوله لا يصح فيه اي في التصديق تجزي بزيادة ونقص
جملة اي مجموعه او الاجمالي منه لا يقبل التجزي وانما يرجع تجزيه والزيادة فيه الى ما زاد
عليه اي ما زاد على التصديق من عمل ونحوه فانه قد يزيد وينقص بل قد لا يكون كمن اسلم
ثم مات فجاءة فلم يات بشيء من الاعمال الصالحة وقد يعرض فيه اي قد يطرا على التصديق
نفسه زيادة او نقص وتجز فانه من الكيفيات النفسانية وهي تتفاوت قوة وضعفا
فان العلم بطلوع الشمس وان الواحد نصف الاثنين ليس كالعلم بحدوث العالم ولا شك في
ان ايمان ابي بكر رضي الله عنه ليس كايمان غيره وقال الشمني في الصحاح عرض له كذا يعرض
اي ظهر وعرضت العود على الاناء اعرضه واعرضه هذه وحدها بالضم وعرضت له القول
بالكسر الخ لاختلاف صفاته قوة وضعفا وتباين اي بعد وافتراق حالاته بعضها عن
بعض من قوة يقين بيان للصفات والحالات وتصميم اعتقاد اي الجزم به بحيث لا يقبل
الشك لمشاهدة وقوة ادلة ووضوح معرفة اي ظهورها كمن شاهده صلى الله عليه وسلم
وعاين معجزاته ودوام حالة اي استمرار التصديق واستمراره بانه زيادة فيه وحضور
قلب اي حضور التصديق حتى لا يغفل عنه قلبه المطمئن وفي بسط هذا اي بسط الكلام
فيما ذكر وذكر تفاصيله وتحقيق ادلته مع ما لها وعليها خروج عن غرض التاليف اي
المقصود منه وهو بيان علو مقامه صلى الله عليه وسلم وما يجب له وهذا يكفي فيه الاجمال
وقطع النظر عن الاستدلال وفيما ذكرناه غنية بضم الغين المعجمة ونون وياء مثناة تحتية

اي كفاية

اي كفاية مغنية عن غيره فيما قصدناه في هذا الكتاب ان شاء الله تع وهذا الذي ذكر المصنف
مذهب المحققين الاظهر المختار ان التصديق يزيد وينقص بكثرة النظر ووضوح الادلة ولا
شك في ان ايمان الصديقين اقوى من ايمان غيرهم والله اعلم

فصل وأما وجوب طاعته صلى الله عليه وسلم

بامتثال اوامره واجتناب نواهيه فاذا وجب الايمان به وتصديقه فيما جاء به من الله
وقد علم هذا مما تقدم في اول الباب وجبت طاعته لان من صدقه واخبره بما لو خالفه يلزم اتباع
امره ونهيه فلو خالفه من غير انكار منه كان عاصيا بترك ما يجب عليه لان ذلك اي وجوب
طاعته مما اتى به عن الله بوحيه كما يدل عليه ما قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اطيعوا
الله واطيعوا الرسول قدم طاعة الله تمهيدا لوجوب طاعة رسوله واشارة الى ان طاعته
تعالى بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وهما شي واحد ولذا افرد الضمير في قوله ولا تولوا
عنه وهو قياس منطقي تقديره وجوب طاعته مما اتى به من عند ربه وكل ما اتى به من عند الله
يجب الايمان به فيجب طاعته وشرك بينهما في صيغة الامر لما ذكرناه وقال تعالى قل اطيعوا
الله واطيعوا الرسول قال القاضي امر الله ان يبلغ المؤمنين ما خاطبهم به مبالغة في
تبكيتهم يعني ان هذه الاية نزلت في بشر المنافق لما دعا خصمه اليهودي الى كعب بن الاشرف
ودعاه خصمه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ينافي هذا ان الكلام في وجوب طاعته
صلى الله عليه وسلم على المؤمنين لان العبرة بعموم اللفظ دون خصوص السبب وقال
تعالى اطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون الترجي بلعل وعسى على لسان العباد للاشارة
الى عزة المطلوب وان العبد دائما بين الرجا والخوف وقال تعالى وان تطيعوه تهتدوا
فجعل هدايتهم متوقفة على طاعته والهداية للحق والايمان وغيره امر لازم لهم وقال من
يطع الرسول فقد اطاع الله فجعل طاعته هي طاعة الله لانه لا يامر الا بامره ولا ينهى الا بنهيه
ولذا اردفه بقوله وقال تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا هذا محمول
على العموم في جميع اوامره ونواهيه لانه لا يامر الا بصلاح ولا ينهى الا عن فساد وان كانت
الاية نزلت في الفيء والغنائم كما يدل عليه قوله اتاكم ونحوه لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص
السبب فلا يتوهم انه غير مناسب لما هو بصدده وقال ومن يطع الله والرسول فاولئك المطيعون
مع الذين انعم الله عليهم الاية من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وهذه الاية
نزلت في ابن عبد ربه الانصاري حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم اذا مت كنت في عليين
فلا نراك وذكر شدة حزنه لذلك فنزلت فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الله ان
يعمي بصره حتى لا يرى غيره فعمي مكانه وهو الذي راى واقعة الاذان وقيل نزلت في ثوبان
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شديد الحب لرسول الله لا يصبر عن رؤيته فحزن
حتى تغير لونه فساله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال ما بي ضر غير اني لا اصبر
عنك فذكرت الاخرة واني لا اراك ثمة لرفعة مقامك وهبوط منزلتي والمراد بالمعية
سهولة الاجتماع والتزاور بينهم في الجنة وان تفاوتت مراتبهم ومنازلهم فيها وقال
تعالى وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله الاذن مجاز عن ارادة التسهيل والتوفيق
او هو نفس التسهيل اي الا ليطيعه من بعث اليه ويرضى بحكمه فمن لم يرض بحكمه لم يرض رسالته

فهو تارك لما يجب عليه كافر وقيل اذنه بمعنى امره وقال القاضي كانه اي الله اخبر
بذلك على ان الذي لم يرض بحكمه وان اظهر الاسلام كافر مستوجب القتل انتهى وقيل في
توجيهه ان من لم يرض بحكمه لم يرض بحكم الله ومن لم يرض بحكم الله كافر ولذا لما تخاصم المنافق
واليهودي وطلب اليهودي حكم رسول الله وكان محقا يعلم حكم رسول الله له فابى المنافق وطلب
ان يتحاكما عند كعب بن الاشرف وابى اليهودي فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم له
فلم يقبل المنافق فاتيا ابا بكر رضي الله عنه فحكم بما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلم يرض فاتيا عمر وذكر له اليهودي ما وقع فقال رويدكما ودخل بيته وخرج بسيفه وضرب
به المنافق فقتله وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينكره **فجعل طاعة رسوله
طاعته** فهما شيء واحد لانه لا يامر الا بامره ولا ينهى الا بنهيه يعني قوله من يطع
الرسول فقد اطاع الله **وقرن طاعته بطاعته** في القرآن كما في قوله اطيعوا الله واطيعوا
الرسول وفيه من تعظيمه ووجوب طاعته ما لا يخفى **ووعد ذلك بجزيل الثواب واوعد
على مخالفته بسوء العقاب** الجزيل بمعنى العظيم او الكثير وعبر في جانب الثواب بالوعد
وفي جانب العقاب بالايعاد المزيد لما اشتهر من الفرق بينهما في اصل الاستعمال كما قال
الشاعر ۝ واني وان اوعدته او وعدته ۝ لمخلف ايعادي ومنجز موعدي
وقد يستعمل كل منهما في مكان الآخر لنكتة وسوء العقاب بمعنى العقاب السيء وهو ظاهر
واوجب الله تعالى **امتثال امره** بالاتيان بما امر به **واجتناب نهيه** بتركه ما نهاه عنه
فقال وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا كما تقدم بيانه **وقال المفسرون**
في تفاسيرهم **والايمة** اي ايمة الدين من الفقهاء والمحدثين **طاعة الرسول** التي امرنا
الله بها في القرآن متحققة ومتبينة **في التزام سنته** اي المداومة على سلوك طريقته
فالسنة معناها اللغوي فيعمل ما عمله ويترك ما تركه **والتسليم** اي الانقياد والمتابعة
له **لما جاء به** من شرعه الموحى اليه الذي اخبرنا به وتصديقه فيما اخبر به من غير تحكيم العقل
وقالوا ايضا **ما ارسل الله من رسول** من زايدة لتاكيد العموم **الا فرض طاعته** اي
جعلها فرضا متحتما يثاب فاعله ويعاقب تاركه **على من ارسله اليه** لتبليغ شرعه
والضمير لمن باعتبار لفظه **وقالوا** اي المفسرون والايمة **من يطع الرسول في سنته**
بنون وتاء مثناة فوقية اي في طريقته وشريعته من امر ونهي وسنة وفرض وليس المراد
بها ما يقابل الفرض كما يوهمه قوله **يطع الله في فرايضه** جمع فريضة بمعنى الفرض وفي
بعض النسخ سننه جمع سنة ويحتمل ان نفس السنة والسنن ما يقابل الفرض لان من اتبع
الرسول فيما سنه من غير ايجاب عليه كان متبعا له في فرايض الله بالطريق الاولى والمراد
ان طاعة الله وما جاء به عين طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم لا ينفصل احدهما عن الآخر
وفي الام للشافعي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا الفين احدكم متكئا على اريكته
ياتيه ما امرت وما نهيت فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله عملنا به وسياتي بيان الفاظه
عند ذكر المصنف له قريبا مرتين لامر اقتضاه فهذا بيان لان العمل بسنة رسول الله عمل
بكتاب الله وهو معنى ما قالوه هنا **وسيل سهل بن عبد الله** التستري الامام الزاهد المشهور
عن شرايع الاسلام اي ما المقصود منها والمراد **فقال** سهل في الجواب **وما آتاكم الرسول
فخذوه** اي تمسكوا به **وقال** الامام ابو الليث الفقيه المشهور **السمرقندي يقال**

في طاعة الله ورسوله ان معناه **اطيعوا الله في فرايضه** اي فيما فرض عليكم في كتابه
الكريم **والرسول في سننه** اي ما سنه وشرعه لنا **وقيل** في معنى اطيعوا الله واطيعوا
الرسول **اطيعوا الله في ما حرم عليكم** باجتناب جميع محرماته وكان الظاهر ان يقال فيما
اوجبه وحرمه وغيره كما عمم اتباع الرسول بقوله **والرسول** اي واطيعوا الرسول فيما بلغكم عن الله
من اوامره ونواهيه مخلصا في ذلك فانه مامور بتبليغه وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي
يوحى **ويقال** في معناه **اطيعوا الله بالشهادة** اي الاقرار والاعتراف **له بالربوبية** اي
انه رب خالق مالك لجميع الموجودات متفرد بالملك والربوبية **والنبي** بالنصب اي واطيعوا
النبي صلى الله عليه وسلم **بالشهادة بالنبوة** المراد بالنبي هنا محمد صلى الله عليه وسلم فالـ
للعهد وهو الفرد الكامل المتبادر عند الاطلاق فيدل حينئذ على رسالته وانه رسول وان
قلنا النبي اعم من الرسول بناء على المشهور فلا حاجة لما قيل ان المراد النبوة المقترنة بالرسالة
وانه كان ينبغي له الجمع بينهما اظهارا للنعمة بهما عليه وتعظيما للمنة لربه والعدول عن الظاهر
ان قلنا ان النبوة افضل ظاهر لا لرعاية السجع كما قيل **حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتي عليه**
وهو حديث رواه الشيخان ومحمد بن عتاب تقدمت ترجمته **قال حدثنا حاتم بن محمد** المعروف
بابن الطرابلسي كما تقدم **قال حدثنا ابو الحسن علي بن محمد بن خلف** الحافظ القابسي كما تقدم
قال حدثنا محمد بن احمد وهو ابو زيد المروزي كما تقدم **قال حدثنا محمد بن يوسف** الفربري راوي
صحيح البخاري كما تقدم **قال حدثنا البخاري قال حدثنا عبدان** يعني عبد الله بن عثمان بن جبلة
بفتح الجيم والموحدة ابن ابي رواد الحافظ المروزي الثقة توفي سنة احدى وعشرين ومايتين
قال اخبرنا عبد الله بن المبارك المروزي **قال حدثنا يونس** بن يزيد الايلي الامام الثقة
توفي سنة تسع وخمسين ومائة واخرج له اصحاب الكتب الستة **عن الزهري** محمد بن عبيد الله
بن عبد الله ابن شهاب الزهري الامام المشهور كما تقدم مرارا **قال اخبرني ابو سلمة بن عبد
الرحمن** احد فقهاء المدينة السبعة على قول الاكثر واسمه عبد الله او اسماعيل **انه سمع ابا هريرة
يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني
فقد عصا الله** لانه لا يامر الا بما امر الله ولا ينهى الا عما نهى الله فمن امتثل امره واجتنب نهيه
او ان الله عز وجل امر بطاعة رسوله وامره ونهيه فمن امتثل امره ونهيه اطاع الله في امره
ونهيه بطاعته كما تقدم **ومن اطاع اميري** اي من جعله هو او خلفاوه حاكما على امته **فقد
اطاعني** لان طاعته طاعة من امره لانه مبلغ عنه **ومن عصا اميري فقد عصاني** قيل
ان قريشا وساير العرب كانوا لا يعرفون الامارة وانما كانوا يطيعون رؤساء قبايلهم فلما
ظهر الاسلام وولى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الامراء انكروا ذلك ولم يطيعوا
الامراء فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك اعلاما لهم بانهم يلزمهم طاعة امرايه
وتوقيرهم والاقتداء بهم في اقوالهم وافعالهم ورواه مسلم الامير بالالف واللام **وطاعة
الرسول** اي رسول الله صلى الله عليه وسلم **من طاعة الله** المرسل له **اذ الله امر بطاعته** اي
لان الله امر جميع الناس باتباعه فيما جاء به من الله **وطاعته** اي الرسول ورسوله **امتثال
لما امر الله به** في قوله اطيعوا الرسول **وطاعة الله** اي لله لانه امرهم اجمالا بطاعته هو
فطاعته طاعة لربه لانا نطيعه لامرنا بطاعته في اوامره ونواهيه وهو انما يامرنا بما امره
الله بتبليغه وما ينطق عن الهوى ويدخله ما كان باجتهاده لانه امره بالاجتهاد على الاصح

وهذا ابسط لما قدمه وايضاح له ولا تكرار فيه كما قيل **وقد حكى الله عن الكفار بما**
سيقولونه اي ذكر في القرآن اخبارا عنهم بما سيكون وهذه العبارة مما ثورة عن السلف
من غير انكار لها الا ان العارف بالله بن عباد الحرمي قال انه ليس بصواب لان كلام الله
صفة قديمة فلا يقال حكى الله في كلامه عن كذا لان الحكاية متاخرة عن المحكي وانما يقال اخبر
الله ونحوه انتهى وهذا مما لا وجه له لانه تعالى قال نقص عليك والقصص والحكاية بمعنى وما
احتج به لا حجة له فيه فانه وارد على الاخبار بعينه من غير فرق في **دركات جهنم** اي محلهم
الاسفل منها **يوم تقلب وجوههم في النار** اي تصرف من جهة الى اخرى لاضطرابهم فيها
كقطع لحم تغلي في قدر يفور او تقلبها تغيرها عن حالها وهيئاتها او تبديل الوانها وخص الوجه
لانه اشرف الاعضاء واظهرها او المراد به الجملة **يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا**
الرسول لنسلم مما نحن فيه لندمهم حيث لا ينفعهم الندم **فتمنوا طاعته** صلى الله عليه وسلم
حيث لا ينفعهم التمني اي في زمان او مكان لا ينفعهم تمنيهم فيه والتمني طلب ما لا يمكن
حصوله **وقال** صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان **اذا نهيتكم عن شيء** محرم او مكروه
فاجتنبوه اي اتركوه كانه طرح في جانب منكم **واذا امرتكم بامر** اي بمامور به ايجابا او ندبا
فاتوا منه ما استطعتم اي قدرتم عليه من غير ترك للواجب بغير عذر واول هذا الحديث
دعوني ما تركتكم انما هلك من قبلكم بسؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا نهيتكم عن شيء
فاجتنبوه الخ وسببه انه صلى الله عليه وسلم قال في خطبة ان الله قد فرض عليكم الحج فحجوا
فقال رجل لكل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم
ثم قال دعوني الحديث وزاد الدارقطني فنزلت يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشياء ان تبد
لكم تسؤكم وروي ذلك عن ابن عباس في التفسير وهو عام خص منه ما اكره عليه المكلف
وفيه خلاف هل الاكراه على المعصية يبيحها او هي باقية على حرمتها ولا يأثم مرتكبها وهو
مبني على الخلاف في ان المكره مكلف ام لا ومعنى فاتوا منه ما استطعتم افعلوا على قدر استطاعتكم
قال النووي وهذا الحديث من جوامع الكلم وقواعد الاسلام يدخل فيه كثير من الاحكام
كمن عجز عن ركن من اركان الصلاة او شرط من شروطها ياتي بمقدوره ولا يسقط عنه مقدوره
ولذا قال الفقهاء الميسور لا يسقط بالمعسور وفي الحديث اشارة الى اعتناء الشارع بالمنهي
لاطلاقه الاجتناب ولو مع مشقة الترك وتقييد المامورات بالاستطاعة والطاقة كما قاله
احمد بن حنبل **فان قلت** الاستطاعة معتبرة في النهي فلا يكلف الله نفسا الا وسعها
قلت قال ابن حجر الاستطاعة لا ترد على المدعى وهو الاعتناء بل هو جهة الكف وكل احد
قادر عليه لولا داعية الشهوة فكل احد قادر على الترك بخلاف الفعل فان العجز عنه محسوس
فلذا قيد الامر بالاستطاعة دون النهي وقال الماوردي الكف عن المعاصي ترك وهو سهل
وعمل الطاعة فعل وهو شاق فلذا لم يبح ارتكاب المعاصي مع العذر وابيح ترك العمل للعذر
وقال بعضهم في قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم انه يتناول امتثال المامور واجتناب
المنهي وقيد الامر بالاستطاعة لكثرته فان العجز في النهي محصور في الاضطرار لقوله
الا ما اضطررتم اليه وقيل قوله اتقوا الله ما استطعتم منسوخ بقوله اتقوا الله حق تقاته والصحيح
انه غير منسوخ والمراد بحق تقاته امتثال امره واجتناب نهيه مع القدرة دون العجز عنه
وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه الذي رواه الحاكم **كل امتي** يعني امة الاجابة **يدخلون**

الجنة الضمير لكل باعتبار معناه ويجوز افراده باعتبار لفظه ولفظ الحاكم كلكم
يدخل الجنة والخطاب خطاب مشافهة للامة ايضا وقيل انه لم يوجد هذا اللفظ والسيوطي
في تخريجه سكت عنه لنكتة **الا من ابى** اي امتنع ثم فسره فقال **قالوا يا رسول الله ومن**
يابى فهو استفهام انه ابى دخول الجنة ولا يابى ها احد لانه روي كما في النهاية وشرحه **قال**
صلى الله عليه وسلم مجيبا لهم **من اطاعني** وانقاد ممتثلا لامري ومجتنبا لنهيي **دخل**
الجنة وفاز بنعيمها **ومن عصاني** وخالفني **فقد ابى** اي امتنع من دخول الجنة لانه بسبب تركه
للطاعة باختياره كانه دعي الى الجنة فامتنع واعلم انه ان اريد بالعصاة المذنبين من المؤمنين
فهو تمثيل ولا ينافي العفو عنهم ولا اخراجهم من النار وان اريد الكفار فهو استعارة ايضا
والمراد خلودهم في النار قال التلمساني اي امتنع قولا وفعلا ولم يقبل شيئا فالامة امة الدعوة
اي كلهم الا من ابى وهم الكفار يدخلون الجنة ويحتمل ان يريد بالامة امة الاجابة فالابي هو العا
من امته فاستثناهم تغليظا عليهم وزجرا لهم عن المعاصي وزاد في الجواب فقد ابى توضيحا
لبيان الصنفين والتقدير من اطاعني وتمسك بالكتاب والسنة دخل الجنة ومن اتبع هواه
ضل عن سواء السبيل ودخل النار انتهى **وفي الحديث الاخر** عرفه اشارة الى انه معلوم مشهور
لانه رواه البخاري في كتابه **الصحيح عنه عليه الصلاة والسلام مثلي ومثل ما بعثني الله**
به ضرب للناس مثلا فيما جاءهم به مما يورث الفوز بخير الدارين وانتظام امر المعاش والمعاد
والمثل بفتحتين والمثل في الاصل بمعنى النظير كشبه وشبه وشبيه نقل الى قول شبه
مضربه بمورده واكثر ما يكون بامر عجيب غريب ثم نقل لكل حالة وقصة او صفة والذي في البخا
مثل ما بعثني وليس فيه به فقال ابن حجر انه مقدر وما موصولة وقيل عليه شرط حذف العائد
المجرور جر الموصول بمثله لفظا ومعنى وانه لم يجر لا سيما فما مصدرية لا عائد لها اقول
ما ذكره النحاة انما هو لجوازه قياسا مطردا الا لعدم صحته فيما سمع منه ولا قتضاه المقام
وذكر المصنف له ان كان لروايته وقعت له او لبيان انه مقدر فيه فهو رواية بالمعنى يدل على ما قاله
ابن حجر والمعنى عليه وفيما ذكره تكلف لا يخفى **كمثل رجل اتى قوما** ليحذرهم ويخوفهم بعدو
الذي قرب مجيئه لهلاكهم **فقال يا قوم اني رايت الجيش** هو جمع كثير يسيرون للمحاربة
والقتال **بعيني** هو مفرد مكسور النون مضاف لياء المتكلم الخفيفة او بفتحها وياء مشددة
مفتوحة مثنى وهو لتاكيد الرؤية وتحقيق انها رؤية حقيقية بصرية ضرورية حسية
واني انا النذير اي المنذر المعلم بما يحذر قبل وقوعه **العريان** اي المجرد من ثيابه المكشوف
جميع بدنه وهو مثل تمثل به صلى الله عليه وسلم والمراد به المبالغة في الانذار ووضوح ما
انذر به وعدم احتمال خلافه واصله ان الرجل كان اذا راى العدو وقرب حله وخشي ان يسبقهم
وقف على مكان عال ونزع عنه ثوبه ورفعه **يلوح به** اي بادروا الى الحذر والفرار فقد جاءكم
من العدو ما لا تطيقونه واصله كان في رجل معين من خثعم قطع رجل يديه ويد امراته فاتى
قومه يحذرهم بفعله ذلك وقيل انما هي امراة وقيل هو عوف بن عامر اليشكري وامراة من
كنانة وقيل امراة من بني عامر وقيل ابرهة الحبشي وقيل انه رجل سلبه العدو فاتى قومه
عريانا لما انفلت منهم فتحققوا صدقه على كل حال فهو استعارة ومن اللطائف ما قاله الا
السهيلي في قوله تعالى يا ايها المدثر قم فانذر ان تعبيره بالمدثر والمزمل فيه ملاطفة له صلى
الله عليه وسلم كانه يقول له انا ارسلناك نذيرا والنذير يكون عريانا لا ملتفا بثيابه

وهي نكتة سرية فالنجا بالنصب على المصدرية بعامل محذوف لضيق المقام ومعناه
الخلاص والنجاء أي انجوا النجاء بسرعة من غير لبث فناب عن عامله وعرّف وهو ممدود أو
مقصور بنية الوقف ورواه البخاري النجا النجا بالتكرير بمدهما وقصرهما ومد الأول وقصر
الثاني وهو منصوب على الإغراء أي اطلبوا النجاء بالهرب ويجوز رفعه أي النجاء خير لكم
فأطاعه طائفة أي جماعة وفرقة من قومه لما أتاهم وقال لهم ما قاله فأدلجوا أي ساروا من أول
الليل أو ساروا الليل كله هربا من عدوهم وهو بتخفيف الدال وتشديدها وقيل المخفف سير
أول الليل والمشدد سير آخره والاسم الدلجة بالضم والفتح وانطلقوا أي ساروا طالبين
النجاة من عدوهم على مهلهم أي متمهلين بتؤدة وتأنٍّ بعد ذلك أو في سيرهم هذا السعة
وقتهم ومهل بفتح الميم مع فتح الهاء وسكونها وبضم الميم وسكون الهاء وفي مسلم مهلتهم بزيادة
تاء والكل بمعنى واحد فنجوا بفتح الجيم أي سلموا من عدوهم وكذبت طائفة منهم النذير في
إنذارهم بالعدو فأصبحوا أي مكثوا مكانهم أي في مكانهم الذي كانوا فيه حتى دخلوا في
الصباح فصبحهم الجيش أي أتاهم في وقت الصباح وأهلكهم واجتاحهم بجيم ومثناة
فوقية وألف وحاء مهملة أي أهلكهم جميعا واستأصلهم فلم يبق لهم باقية من الذراري
والأموال والجائحة الآفة التي تصيب الثمار فتستأصلها أي تفنيها من أصلها وكل مصيبة
عظيمة فهي جائحة فذلك المذكور والمثل المضروب لكم مثل من أطاعني فتشبهوا بمن صدق النذير
فنجا واتبع ما جئت به فصدقه وعمل بما أمره به مما أوحاه الله إليه واجتنب ما نهاه عنه فسلم
ونجا وفاز بسعادة الدارين السعادة الأبدية ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من
الحق فهو كمن كذب النذير ومكث مكانه حتى هلك ومن معه وفي شرح المشكاة للطيبي أنه
صلى الله عليه وسلم شبه نفسه وإنذاره بالعذاب القريب بالرجل الذي أنذر قومه بالجيش
المصبح وشبه من أطاعه من أمته ومن عصاه بمن كذب الرجل ومن صدقه وقيل عليه إنما هو
تشبيه تمثيل شبه فيه المجموع وهيئته لا تشبيه الأجزاء بالأجزاء فإن الأول أبلغ وأحسن
أقول إعادة مثل في الحديث تقتضي ما قاله الطيبي والحال واحد والمبالغة مما ذكره في
هذا المقام غير مسلمة بسلامة الأمر وقيل إنه تشبيه بليغ استعير فيه المثل للحال والقصة
والصفة الغريبة العجيبة وهو وجه وجيه تحقيقه في شروح الكشاف وفي الحديث الآخر
الذي رواه الشيخان في مثله أي تمثيل حاله وصفته صلى الله عليه وسلم مع أمته في دعوته
لهم كمثل بفتحتين كمثل أي كصفة وقصة من بنى دارا عظيمة أنشأها وفرشها بفرش نفيسة
وجعل فيها مأدبة بميم مفتوحة وهمزة ساكنة ودال مهملة مثلثة والأشهر الضم ثم الفتح
وباء موحدة وهاء وهي الأطعمة الكثيرة النفيسة المعدة لإكرام الضيوف والأصحاب
وفي القاموس إنها طعام صنع لدعوة أو عرس والمشهور الأول فهي عامة لكل دعوة وفي فقه
اللغة القرى بكسر القاف والقصر وفتحها والمد طعام الضيف الغريب وهو للزائر تحفة
وللإملاك شندخة وللعرس وليمة وللولادة خرس ولحلق شعر المولود عقيقة وهي في
الأصل اسم لنفس الشعر من عقه قطعه وللختان عذيرة وللعمل قبل العمل سلفة وللمستعجل
العمل عجالة وللكرامة منزلة من النزل انتهى والمأدبة من الأدبة بالضم وهي الطعام وبعث
داعيا يدعو لمنزله وأكل طعامه فمن أجاب الداعي أي امتثل دعوته وذهب معه دخل
الدار التي بناها وأكل من طعام المأدبة التي أكرم بها ومن لم يجب الداعي لدعوته لم

يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة التي حرم منها ثم فصل التشبيه وبينه وسكت عن
بيان من بنى وهو الله الذي خلق الجنة وهيأ أسباب دخولها لظهوره مما بعده وهو قوله
فالدار الجنة التي أعدها الله لمن اختاره من عباده ومأدبتها ما فيها من النعيم وما تشتهيه
الأنفس والداعي لها محمد صلى الله عليه وسلم بما بلغهم عن الله وأمرهم به مما يدخلهم جنته
ويوصلهم للسعادة والنعيم المخلد فمن أطاع محمدا فقد أطاع الله تقدم بيانه ومن عصى
محمدا فقد عصى الله لأن مخالفته مخالفة لأمر الله ومحمد فرق بين الناس فرق بفتح الفاء وسكون
الراء المهملة وتنوينه مصدر بمعنى فارق بين المؤمنين والكافرين بطاعته وعصيانه وروي
فرّق بصيغة الماضي مشدد الراء المهملة أي فرق بين مؤمنهم وكافرهم أو بين من دعي إلى الجنة
وبين من لم يدع لها وهذا أنسب بالسابق والمعنى واحد وأول هذا الحديث أنه صلى الله عليه وسلم
نام وكان إذا نام نفخ فجاءه ملائكة وهو نائم فقال بعضهم لبعض إن العين نائمة والقلب يقظان
فقالوا مثله كمثل رجل الخ وفيه فقالوا أولوها له يفقهها فقالوا الدار الجنة الخ فالممثل الملائكة
وكذا المبين له وهذه رواية غير رواية المصنف وفي رواية أن القائل جبريل وميكائيل ولا يخفى
أن ظاهر الحديث أنه تشبيه مركب فقول الكرماني إنه ليس المقصود تشبيه المفردات بل هو
تشبيه تمثيل مما لا وجه له والله تعالى الموفق

فصل وأما وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم وامتثال سنته

السنة هنا بمعناها اللغوي وهي الطريقة والسيرة بمعنى وهي أقواله وأفعاله وتقريراته
وليس المراد منها ما يقابل الفرض حتى يتوهم منافاتها للوجوب لأنه معطوف على اتباعه والاقتداء
بهديه هدي بزنة ضرب بمعنى سنته وطريقته أيضا وفي نسخة والاهتداء بهديه فقد قال
الله تعالى هو جواب أما أي فقد ثبت بنص القرآن كقوله عز وجل قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني
أي اقتدوا بسنتي واهتدوا بهديي يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم الآية فسر محبة الله
ورسوله باتباعهما ومحبة الله بإنعامه وفضله وهذا تفسير له بلازمه المتجوز فإن المحبة الحقيقية
ميل النفس لما تستلذه وهو غير مقصود هنا ولذا قال الغزالي إن العصيان يضاد أصل المحبة
وقال البيضاوي يحببكم الله يرضى عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم ويقربكم
من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة أو المقابلة
أي المشاكلة ولبعض الشراح من المتأخرين هنا كلام لا طائل تحته غير التطويل فقال
فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي والإيمان به وتصديقه يقتضي اتباعه وطاعته الذي
يؤمن بالله وكلماته التي نزلها الوحي عليه وما أوحي إلى من قبله من الرسل من الكتب والشرائع
وعبر عما ذكر بالكلمات إشارة إلى أنها بالنسبة لعلمه المحيط بكل شيء وكلامه الذي يفنى مداد
البحار في دواة الإمكان كالكلمات القليلة وجمع بين النبوة والرسالة لأن المقام مقام مدح
وإطناب ولأنه يجب الإيمان بكل من الوصفين وإن كان ذكر الأخص يكفي هنا أعني الرسول وعبر
بالظاهر ولم يقل بي لبلاغة الالتفات وليجري عليه الصفات الداعية للإيمان به واتباعه
وعبر بالرجاء في قوله واتبعوه لعلكم تهتدون أي راجين الاهتداء باتباعه تحريضا لهم على
اتباعه وإيماء إلى أن من آمن به ولم يقتد بما شرعه لهم لا ينجو من الضلال والرجاء بالنسبة
للمخاطبين أو هو مجاز عن التعليل كما ذهب إليه بعض النحاة وقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون

لا مزيدة للتاكيد او نفي لما تقدمها اي ليس الامر كما يزعمون من انهم آمنوا بما انزل اليك
وقيل لا الثانية زائدة والقسم معترض بين حرفي النفي **حتى يحكموك** اي يرجعون لحكمك
ويرضون به وهو غاية لصحة ايمانهم **فيما شجر بينهم** اي فيما وقع بينهم من المشاجرة وهي المخاصمة
واصل معناه الاختلاط ومنه الشجر لتداخل اغصانه واختلاطها **الى قوله تسليما** يعني قوله
ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما والحرج ضيق الصدر والشك وهذه
الاية نزلت في بعض الانصار لما خاصم ابن الزبير في ماء سقي به ارضه وسياتي تفصيله **اي**
ينقادون لحكمك تفسير لقوله ويسلموا تسليما واكده ليفيد الانقياد ظاهرا وباطنا وفي
نسخة ينقادوا قيل وهو الظاهر لانه منصوب بحذف النون لاسيما ان قيل ان اي عاطفة
وليس بلازم لانه مفسر للجملة بتمامها لا للمضارع وحده **يقال سلم** بالتشديد **واستسلم** اي
طلب السلامة بانقياده **واسلم اذا انقاد** هذا هو المصرح به في كتب اللغة كما ذكره الراغب وغيره
فما قيل ان المذكور في القاموس ان التسليم الرضا والاستسلام الانقياد فلو فسر التسليم في الاية
بالرضا الاخص كان احسن ليس بشيء **وقال تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة** بالكسر والضم
في غير القرآن وفيه بالضم لقدوة يقال اسيته بمالي اسوة واسيته لغة قليلة وقيل هي الصواب
وهي الخصلة التي يراد الاتصاف بها **حسنة** اي خصلة حسنة من حقها ان يؤتسى بها اي يقتدى
ويجوز ان يراد بالاسوة النبي صلى الله عليه وسلم نفسه لانه قدوة يحسن التاسي به في اقواله
وافعاله وحسنة هنا على الاول صفة موكدة ويجوز ان يكون احترازا عما هو من خصائصه صلى الله
عليه وسلم فيكون صفة مقيدة **لمن كان يرجو الله واليوم الآخر** اي يرجو ثوابه ولقاءه ونعيم
الآخرة او ايامه الاخر خصوصا مع قوله لمن كان وفي الكشاف انه بدل من لكم قيل والاكثر على ان
ضمير المخاطب لا يبدل منه فهو صلة او صفة لحسنة قرنت كثرته بالرجا لان بها يلازم الطاعة
اذ المؤتسى من شانه ذلك **قال محمد بن علي الترمذي** هو المعروف بالحكيم الترمذي الصوفي صاحب
نوادر الاصول وليس هو صاحب السنن وقد تقدمت ترجمته **الاسوة في الرسول** تعريفه للعهد
الخارجي فالمراد به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم او هو للعهد الذهني او الاستغراق فهو
اعم اي في حق رسول من الرسل او كل رسول **الاقتداء به** في اقواله وافعاله كما في قوله فبهداهم اقتده
والاتباع لسنته اي لطريقته وشريعته **وترك مخالفته في قول** قاله امرا او نهيا او ارشادا
او فعل فعله ليقتدى به فيه لانه ليس من خصائصه صلى الله عليه وسلم **وقال غير واحد** تقدم
ان معناه ناس كثيرون **من المفسرين بمعناه** اي قالوا قولا بمعنى ما قاله الترمذي **وقيل معنى الاية**
المذكورة **هو عتاب** من الله اي توبيخ ولوم **للمتخلفين عنه** صلى الله عليه وسلم ممن لم يخرج معه لمحاربة
اعدائه لانهم كان عليهم ان يقتدوا به في جهاد اعداء الدين ومقاساة اهوال الحروب وكان
ذلك في غزوة الاحزاب حبا للبقاء والراحة وكان عليهم المبادرة لطاعته صلى الله عليه وسلم
وبذل انفسهم له لانه سبب سعادتهم وحياتهم الابدية وفيه دليل على ما ذكر على التفاسير وفي
الظرفية ان قلنا الاسوة افعاله واقواله المتصفة ظرفية الموصوف للصفة لانها قائمة به كقيام
المظروف بظرفه فان قلنا الاسوة نفسه صلى الله عليه وسلم فهو تجريد كانه فيه مقتدى
به منتزع كقولهم فيها دار الخلد وليست هذه الظرفية كقولهم الدار في نفسها تساوي كذا وفي
البيضة عشرون منا من حديد كما قيل وقد اشرنا الى ان الاقتدا انما يجب فيما ليس من خصائصه
كالامور الجبلية فيه فانها لا يمكن ان تكون لغيره **وقال سهل بن عبد الله التستري** وقد قدمنا ترجمته

في قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم بين ما انعم به على من سلك الطريق المستقيم
قال سهل في تفسيره ان الله انعم عليهم **بمتابعة السنة** اي اتباع طريقه الذي هو الصراط المستقيم
فقال واتبعوه لعلكم تهتدون وفيه ايماء الى ان الترجي من الله وعد ممن لا يخلف الميعاد **لان الله**
ارسله بالهدى اي بما فيه هدايتهم **ودين الحق** الدين الحق او دين الله **ليزكيهم** اي يطهرهم
من الشرك والمعاصي **ويعلمهم الكتاب** اي القرآن **والحكمة** اي العلوم النافعة المحكمة والشريعة
التي صيرتهم حكماء متقنون للعلم والعمل **ويهديهم الى صراط مستقيم** بالاسلام وطاعة الله
ورسوله الموصل لهم للنعيم المقيم **ووعدهم محبته تعالى** اي محبة الله لهم فالمصدر مضاف لفاعله
في الاية الاخرى يعني قوله ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله **ومغفرته** بقوله
ويغفر لكم ذنوبكم **اذا اتبعوه** لانه جواب الامر في معنى جواب الشرط **وآثروه** بالمد اي قدموه
واختاروه من الاثرة **على اهوائهم** جمع هوى بالقصر وهو ما تميل اليه النفس وتدعو اليه
وهو اذا اطلق يراد به ما ليس بمحمود من الشهوات **وما تجنح** بجيم ونون وحاء مهملة ويجوز في
نونه الفتح والضم والكسر بمعنى تميل واصله الميل على احد شقيه ماخوذ من الجناح **اليه نفوسهم**
وضع الظاهر فيه موضع الضمير ان المعنى يجنحون اليه ويقدمون اتباعه ومحبته صلى الله عليه
وسلم على محبة انفسهم واموالهم واولادهم والناس اجمعين كما ورد في الحديث **واخبرهم بان صحة**
ايمانهم في انقيادهم في جميع ما امرهم به ونهاهم عنه **ورضاهم بحكمه** فيما تخاصموا فيه يعني قوله
تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت
ويسلموا تسليما **وترك الاعتراض عليه** فيما حكم به ومخالفته ومنازعته وعدم رضاه كما تقدم
في قصة الانصاري مع ابن الزبير **وروي عن الحسن** البصري رحمه الله والراوي له ابن المنذر
في تفسيره ويحتمل انه الحسن بن علي رضي الله عنهما **ان اقواما قالوا يا رسول الله انا نحب الله**
اي نميل اليه انفسنا ونخصه بالعبادة والرغبة لما رغبنا فيه **فانزل الله** مبينا لهم محبته
والمراد منها بقوله **قل ان كنتم تحبون الله الاية** اي فاتبعوني يحببكم الله يعني ان محبته تعالى
انما تتحقق بطاعة الله وطاعته بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ومن احب الله احبه الله كما قيل
ما جزاء من يحب الا يحب **وروي** في سبب نزول هذه الاية **ان الاية نزلت في كعب بن**
الاشرف وهو رجل من علماء اليهود وعظمائهم من بني النضير وامه من طي وقيل كان ابوه عربيا من ربيعة
اشهر كما تقدم وقصته مشهورة مفصلة في السير **وغيره** من اليهود اتباعه **وانهم** اي ابن الاشرف
واتباعه **قالوا نحن ابناء الله واحباؤه ونحن اشد حبا لله** وهذا ما حكاه الله عنهم في قوله
قالت اليهود والنصارى الخ وكانوا اتوه صلى الله عليه وسلم فانذرهم وخوفهم عذاب الله فقالوا
ما تخوفنا يا محمد نحن ابناء الله الخ فقال لهم معاذ بن جبل وسعد بن عبادة وعقبة بن وهب يا معشر
اليهود اتقوا الله فانكم تعلمون انه رسول الله وكنتم تصفونه قبل مبعثه فقالوا ما قلنا هذا وما
انزل الله بعد موسى كتابا ولا بعث رسولا ومعنى قول النصارى نحن ابناء الله انهم اتباع عيسى
صلى الله عليه وسلم الذي زعموا انه ابن الله وقالت اليهود انهم اتباع عزير الذي زعموا انه
ابن الله وقيل تقديره ابناء رسل الله **فانزل الله الاية** جوابا لهم بقولهم قل فلم يعذبكم بذنوبكم
وقال الزجاج في تفسير هذه الاية معناه **ان كنتم تحبون الله اي تقصدون طاعته** ان لا
يصح تفسير المحبة فيه بما تعارفه الناس وفي نسخة ان تقصدوا وهذا تفسير لمحبة العبد **فافعلوا**
ما امركم الله به الفا فصيحة اي اتبعوني فافعلوا الخ **اذ محبة العبد لله والرسول** اي رسوله

الله صلى الله عليه وسلم فاللام عوض عن المضاف **طاعتهما** باتباع امرهما ونهيهما **ورضاه بما امر** بان يطيعه ظاهرا وباطنا اذ لو لم يطعه باطنا كان منافقا **ومحبة الله لهم** اي لعباده فسر محبة الله بعد تفسير محبة عباده لذكرهما في الآية **عفوه عنهم** بمغفرة ذنوبهم وقدمه على قوله **وانعامه** اي الله **عليهم** اي على عباده **برحمته** اهتماما به والرحمة في حق الله بمعنى الانعام وارادته في حقه تع لان معناها الحقيقي لا يصح في حقه تع فالمراد بها هنا لطفه بعباده ورأفته بهم **ويقال** في تفسير محبة الله ومحبة عباده له ان معنى **الحب من الله عصمته** اي حفظ الله لعبده من مخالفة امره ونهيه والعصمة بمعنى مطلق الحفظ لا يختص بالنبي صلى الله عليه وسلم فتكون لغيره ويجوز الدعاء بها لكل احد كما تقدم والذي يختص به صلى الله عليه وسلم دون غيره هو ان يخلق الله فيه جبلة تمنعه عن كل ما لا يرضاه الله وان لا يقدر احد على قتله ونحوه والى هذا اشار بقوله **وتوفيق** اي خلق الله فيه قدرة على طاعة الله ومراقبته في السر والعلانية حتى يمتنع من المحرمات ومن قوم نيل نفساني ينتهي الى الله عنه والمحبة معناها طاعة وانقياد لله ولرسوله **كما قال القايل** اي معنى ما ذكره هو معنى قول هذا الشاعر وهو كما في زهر الاداب للحصري رح محمود بن الحسن الوراق وقيل انه لمنصور وهو بليغ مفلق كان في اول الدولة العباسية وكان كثيرا ما ياخذ حكم المتقدمين من الفلاسفة وغيرهم فينظمها في شعره كقوله هم

اذا كان شكري نعمة الله نعمة • علي له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر الا بفضله • وان طالت الايام واتصل العمر
اذا مس بالسراء عم سرورها • وان مس بالضراء اعقبها الاجر
فما منهما الا له فيه نعمة • تضيق بها الاوهام والبر والبحر

تعصي الاله وانت تظهر حبه • هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته • ان المحب لمن يحب مطيع

وفي معناه قول منصور الفقيه ايضا

غلط فاحش وجهل مبين • وعمى لا يحول لا بل جنون
طمع العبد في كرامة مولاه • واصراره على ما يهين

ومعنى الشعر انك تدعي محبة الله وانت عاص له ولو كنت صادقا لم تعص لان المحب لا يخالف حبيبه والعمر بفتح العين الحياة كالعمر بضمها الا انهم في القسم التزموا فتحها الاسلم وذا وهو مبتدا خبره محذوف تقديره قسمي والقياس تقدير الشي بذراع ونحوه وفي الاصطلاح الحاق شي بشي لمناسبة بينهما ويطلق بمعنى الدليل المعروف والمراد قياسه بغيره وبديع بمعنى غريب عجيب يعني ان المعاصي لا تضر المحب لان المتحابين لا يواخذ احدهما الآخر وهو امر عجيب وتنفي القياس ان المحب لا يعصي امر حبيبه ويجوز ان يراد القياس المنطقي كما قيل وهو تكلف **ويقال محبة العبد لله تعظيمه له وهيبته منه** اي خوفه اذا تامل عظمته **ومحبة الله له** اي للعبد **مدحه له** اي احسانه واكرامه لان معناه الحقيقي لا يليق به فاريد به غايته **وارادة الفعل الجميل له** ونكون بالمثناة الفوقية وفيه ضمير المحبة وقيل انه بالتحتية والضمير للجميل والاول اولى **بمعنى مدحه والثنا عليه** اي على العبد **قال القشيري** الامام الزاهد ابو القاسم صاحب الرسالة وقد تقدمت ترجمته **فاذا كان** اي الرحمة وذكره لتاويله او لان تانيث المصدر غير معتبر لتاويله بان والفعل او الضمير للجميل **بمعنى الرحمة والارادة** عطف تفسير لان الرحمة

تفسر

تفسر بالانعام فيكون من صفات الافعال **والمدح** في كلامه الازلي كالثنا على المومنين في القرآن **كان من صفات الذات** اما الارادة فظاهر واما المدح فلانه يرجع لصفة الكلام والكلام على صفات الذات والافعال مفروغ منه في علم الكلام **وسياتي بعد** مبني على الضم لقطعه عن الاضافة اي بعد هذا **في ذكر محبة العبد غير هذا** فاعل سياتي اي غير ما ذكره هنا **بحول الله تعالى** اي باعانته وقوته لان الحول له تعالى ثم هذا ثم ذكر حديثا مسندا رواه الآجري شاهدا لوجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم فقال **حدثنا ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر الفقيه** ابن احمد شيخ المصنف **قال حدثنا ابو الاصبغ عيسى بن سهل** اصبغ بصاد مهملة وباء موحدة وغين معجمة **ح وحدثنا** ح حا مهملة يذكرها المحدثون اذا ارادوا التحول من رواية لرواية اخرى كما بينه ابن الصلاح **ابو الحسن يونس بن مغيث** بميم مضمومة وغين معجمة وياء تحتية ومثلثة **الفقيه بقراتي عليه قال حدثنا حاتم بن محمد** تقدم بيانه **قال حدثنا ابو حفص الجهني** نسبة لجهينة مصغرا قبيلة مشهورة **قال حدثنا ابو بكر الآجري** بفتح الهمزة الممدودة وضم الجيم وتشديد الراء المهملة نسبة للآجر وهو الطوب المعروف وهو الامام الحافظ محمد بن الحسين وقد تقدم بيانه **قال حدثنا ابراهيم بن موسى الجوزي** بفتح الجيم وسكون الواو وزاء معجمة مكسورة وياء نسبة وهو ابو اسحاق الثوري نسبة لجوزه قرية من قرى بغداد وعلى هذا اقتصر الحافظ الحلبي و التلمساني انه كذا في اصل المصنف ورواه العزفي خوزي بخاء معجمة مضمومة وواو ساكنة وزاء معجمة نسبة لخوز جيل من الناس وقرية مشهورة **قال حدثنا داود بن رشيد** بالتصغير علم منقول وهو ابو الفضل الخوارزمي الحافظ الثقة روى عنه اصحاب السنن وتوفي في شعبان سنة تسع وثلاثين ومايتين قال **حدثنا الوليد بن مسلم** الحافظ ابو العباس عالم الشام صاحب التآليف الجليلة روى له اصحاب الكتب الستة الا انه نسب الى التدليس وتوفي سنة خمس وتسعين ومايه وله ترجمة في الميزان **عن ثور بن يزيد** الحافظ الحمصي ثقة لكنه نسب الى القدرية حتى اخرج من حمص وتوفي سنة ثلاث وخمسين ومايه **عن خالد بن معدان** الكلاعي الزاهد الفقيه اخرج له اصحاب الكتب الستة توفي سنة اربع وثمانين ومايه قيل انه كان يسبح في كل يوم اربعين الف تسبيحة **عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي** كذا في النسخ وصوابه كما قال البرهان الحلبي السلمي بضم السين وفتح اللام وهو ابن عبسة وهو حافظ ثقة توفي سنة عشر ومايه **وحجر الكلاعي** حجر بضم الحا المهملة وسكون الجيم وراء مهملة والكلاعي بفتح الكاف ولام والف وعين نسبة الى كلاع بن نبت سحاب بلدة بالاندلس وذو الكلاع من ملوك اليمن المسمين بالاذواء وهذه النسبة لاحدهما توفي سنة خمس وسبعين وروى له اصحاب السنن **عن العرباض بن سارية** صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل الصفة سكن حمص **في حديثه في موعظة النبي صلى الله عليه وسلم انه قال** اي في حديث وعظ فيه النبي صلى الله عليه وسلم من كان في مجلسه من الصحابة وذلك ان عبد الرحمن ابن عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر بن حجر قالا اتينا العرباض بن سارية وهو ممن نزل فيه ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم عليه وقلنا اتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين فقال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح ذات يوم ثم اقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل يا رسول الله كان هذه موعظة مودع فماذا تعهد الينا فقال اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان عبدا حبشيا فانه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا **فعليكم بسنتي وسنة الخلفا الراشدين تمسكوا بها**

وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة
ضلالة رواه عن الوليد كذا قال الذهبي في تاريخه ومن خطه نقلت واعلم أن الموعظة
هي التذكير بما يحث على الطاعة وعليكم اسم فعل يتعدى بنفسه إن كان بمعنى الزموا كقوله
عليكم أنفسكم وبالباء إن كان بمعنى تمسكوا كما هنا والسنة الطريقة بإهمالها وعليه والخلفاء جمع خليفة
والراشدين جمع راشد ضد الغاوي والمراد بهم الخلفاء الأربعة ومن كان على طريقتهم كعمر بن عبد
العزيز وأئمة الإسلام المجتهدين في إعلاء كلمة الله وقوله عضوا الخ فعل أمر والنواجذ
بالذال المعجمة جمع ناجذ أقصى الأضراس وهي أربعة أو الأنياب أو التي تليها والمراد الاجتهاد في
التمسك بها وهو استعارة تمثيلية لما ذكر أو كناية ويجوز أن تكون استعارة تصريحية تبعية
وقيل المراد بالنواجذ جميع الأسنان هنا وقال البرهان عن المنذري إنه يجوز إهمال داله وفيه نظر
لمخالفته لكتب اللغة وإياكم تحذير أي احذروا المحدثات والرضا بها وهي جمع محدثة اسم مفعول
وهي ما حدث مما خالف الكتاب والسنة وإجماع المسلمين والبدعة بمعناها وهي ما لم يعهد في عصره
صلى الله عليه وسلم وهي كما قال العز بن عبد السلام منقسمة إلى واجبة ومحرمة ومندوبة ومباحة
والمندوبة كتدوين الكتب وعلم النحو واللغة والاشتغال بذلك وإحداث الربط والمدارس ۵
ومن المكروه تزويق المصاحف والمساجد وتكبير العمائم وتوسيع الملابس ومن الواجب وفرض
الكفاية تعلم علم العربية الذي يتوقف عليه فهم كلام الله وكلام رسوله ولا ينافي هذا قوله
كل بدعة ضلالة لأن البدعة لها معنيان كل ما حدث بعد العصر الأول وهو المقسم للأقسام
المذكورة ولذا قال صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها وإليه
الإشارة بقوله سنة الخلفاء وقد خصها الشارع بما هو مذموم لعدم دخوله تحت القواعد
الشرعية وهذا هو المراد بالبدعة عند الإطلاق وهو الذي جعل ضلالة وفي عوارف المعارف
وإحياء الغزالي البدعة المذمومة ما زاحم السنة المأثورة أو كان يفضي إلى تغييرها
وفي كتاب المدخل لابن الحاج بيان لها شاف كاف **وزاد** على ما رواه العرباض **في حديث جابر**
الذي رواه مسلم **بمعناه** أي ملتبسا بمعنى حديث العرباض موافق له وليس المراد أنه رواه
بالمعنى كما قيل **وكل ضلالة** أي ضال بارتكاب البدع المذمومة **في النار** أي معذب
بها أو مستحق للعذاب وقيل إنه متضمن لشكل منطقي منتج لما ذكر أي كل محدث بدعة وكل بدعة
ضلالة معذب مرتكبها فكل محدث ضلالة مستوجب للعذاب الأليم **وفي حديث أبي رافع**
الصحيح الذي رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وأبو رافع هو الصحابي مولى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكان قبطيا واختلف في اسمه فقيل إبراهيم وقيل أسلم وقيل ثابت
وقيل هرمز وليس أبو رافع غير راوي هذا الحديث معدود في الصحابة أيضا يروى **عنه**
عليه الصلاة والسلام لا ألفين نفي بمعنى النهي أي لا أجدن والفعل متعد لواحد قال
تعالى وألفيا سيدها لدى الباب وروي لا ألفين كما تقدم عن الإمام الشافعي والصحيح ۵
رواية الأول وإن صح هذا أيضا كأنه لم يعتقد وجدانه هو وهو بضم الهمزة وسكون اللام وفتح
الفاء وكسر المثناة التحتية وتشديد النون أي لا يفعل أحدكم معاشر الأمة أو الصحابة
فعلا يكون هذا من سببه وهو نهي في الحقيقة عن التكبر والبطر **متكئا** أي مائلا
مستندا معتمدا وهو بالهمزة والياء أيضا وقد تقدم أن العامة لا تعرف المتكئ إلا من
مال في قعوده معتمدا على أحد شقيه وتاؤه مبدلة من واو من الوكاء **على أريكته**

هي سرير

هي سرير مزين يتخذ في قبة أو بيت وليس مطلق السرير أريكة وقيل هو سرير
في حجلة وقيل كل ما اتكئ عليه من سرير أو فراش أو منصة أو مخدة مما يفعله المترفهون
وجمعه أرائك وقال الراغب سمي به لاتخاذه من الأراك أو لأنه محل الإقامة من أرك
بالمكان أروكا إذا أقام به وأصله الإقامة لرعي الأراك ثم تجوز به عن كل إقامة هـ
يأتيه الأمر من أمري أي شيء مما أمرت به فقوله **مما أمرت به** تفسير لقوله من أمري بدل
منه ومن بيانية فيهما وقيل الثانية بمعنى الباء كقوله ينظرون من طرف خفي أي به
متعلق بأمري والأمر الأول بمعنى الشأن شامل للنهي وغيره والثاني مقابل النهي لقوله
أو نهيت عنه فيقول لا أدري هذا الأمر الذي تعلمونه لنا ولا أتبع ولا أعرف غير
القرآن **ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه** دون غيره مما روي في الأحاديث ولم يعرف
أن ما في الحديث عن الله أيضا وأن الوحي وحيان متلو وغير متلو وأن السنة لا تخالف
الكتاب وقد قال تعالى ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فهو تحذير عن ترك
امتثال أمره واجتناب نهيه والعمل بهما وسنة رسوله ككتابه يجب اتباعه سواء تواترت
أم لا وفي الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه
ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بالقرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ۵
وما وجدتم فيه من حرام فحرموه وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله الحديث وهذه شبهة
فاسدة مبطلة لكثير من الشرع كشبهة الخوارج **وفي حديث عائشة** المروي في
الصحيحين وما ذكره المصنف لفظ البخاري **صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا**
سيأتي بيانه **ترخص فيه** أي ارتكب الرخصة وترك العزيمة والرخصة الأمر المتغير من
صعوبة إلى سهولة كقصر المسافر صلاته وإفطاره وهذه الرخصة أنه صلى الله عليه
وسلم كان يصبح جنبا وهو صائم فبلغ ذلك بعضهم فقال لست كرسول الله فسمعه صلى
الله عليه وسلم فغضب فقال لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأتقاكم وقيل هو أن بعض
الصحابة سأل أزواجه صلى الله عليه وسلم عن عبادته ليلا فلما أخبرها استقلها
وقال إنه غفر له ما تقدم وما تأخر فأنا أصلي الليل كله وقيل إن بعضهم قال أعتزل
النساء ولا أتزوج وقال البرهان نقلا عن شيخه ابن الملقن أنه إفطاره صلى الله عليه
وسلم عام الفتح والكل صحيح هنا **فتنزه** أي تباعد **قوم** عن العمل بما ترخص فيه **فبلغه**
ذلك أي نقل له صلى الله عليه وسلم تنزه هؤلاء فخطبهم موعظة على عادته **فحمد الله**
وأثنى عليه **ثم قال ما بال قوم** أي ما شأنهم وحالهم وهو استفهام إنكاري **يتنزهون**
عن الشيء حال كوني **أصنعه** فتركهم لمثله لأنهم يظنون أنهم أقرب من الله وأشد من
خوفي له لأن الله غفر لي ما تقدم وما تأخر ولم يكلفني ما كلفهم **فوالله** تأكيدا وتقريرا
لقوله **إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية** أي خوفا وقدم أعلميته به لأن الخشية عن زيادة
العلم كما قال تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء فأنكر عليهم ذلك لظنهم أن حالهم ليس كحاله
وأن ارتكاب مثلهم الرخص يفضي إلى عدم الخوف والتهاون بالعبادة وليس كذلك بل لأن الله
يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه فإنها صدقة تصدق الله بها عليهم لا يليق عدم
قبولها وقيل إنه ليس محلا للإنكار لكنه نزلهم منزلة المنكرين لما لاح عليهم من علامات
الإنكار وليس بشيء **وروي عنه صلى الله عليه وسلم** كما رواه البيهقي والديلمي وأبو نعيم

والشيخ مسندا انه قال القرآن صعب بسكون العين ضد السهل مستصعب بكسر العين
اسم فاعل من استصعب الامر بمعنى صعب وبفتحها من استصعب الامر بمعنى وجدته صعبا او صير
صعبا اي هو في نفسه عسر على من اراد حفظه وفهمه والعمل به وقد صيره الله ايضا صعبا
على من كرهه اي من لم يرد حفظه وتدبر اياته واحكامه وتلذذ بتلاوته وداوم على
مدارسته وتامله فيسهله الله عليه وهو اي القرآن الحكم بفتحتين اي الذي يحكم على الناس
بما تضمنه من الاحكام والحكم من الامثال والمواعظ وجعله حكما اي حاكما بنفسه مبالغة
فمن استمسك بحديثي المروي عني وفهمه وحفظه بتدبر معانيه وضبط الفاظه جاء يوم
القيمة محشورا مع القرآن اي اذا تمسك به وعمل بما فيه وفيه استعارة بتشبيه العامل به
بالمتمسك بشيء محكم وثيق لا ينقطع فانه حبل الله المتين والعروة الوثقى كما ورد التعبير به
عنه في الاحاديث وفيه اشارة الى ان الحديث لا يفارق القرآن وانهما كشيء واحد لان السنة
تبين القرآن ومجيئه معه اما بمجيئه مع اهله او مع نوره او اعماله التي عمل بها منه او هو على
ظاهره بان يجيء تاليا له فيستشفع فيه ويقال اقرأ وارق كما ورد في الحديث والمراد بالقرآن
الفاظه لا الكلام النفسي الذي هو صفة ذاتية ومن تهاون بالقرآن اي اعرض عنه ولم
يوجه اليه فكره او عزه هنا وحديثي بعدم حفظه والعمل به فقد خسر الدنيا لانه يحيى
جاهلا بهما فقيرا والاخرة لفوات السعادة والفوز بنعيمها كما قال الله تعالى ومن اعرض
عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى الاية امرت بالبناء للمجهول اي امرني
الله امتي ان ياخذوا بقولي اي يتمسكوا بحديثي ويعملوا به كما يأتي ويطيعوا امري
لقوله واطيعوا الرسول ويتبعوا سنتي اي يقتدوا بي ويسلكوا طريقي وشريعتي السمحة
كما قال واتبعوه لعلكم تهتدون فالعمل بسنته عمل بالقرآن لانهما توأمان وفيه رد على من
قال لا اعمل الا بالقرآن ونهي عن ترك السنة وخبر الآحاد كما تقدم فمن رضي بقولي فاتبعه
وعمل به فقد رضي بالقرآن لانه موافق له غير مخالف له فهما كالشيء الواحد قال تعالى
وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا عنه فارضوا بما رضيه واكرهوا ما
كرهه فان سنته مبينة وموضحة للقرآن فمن خالفه فقد ضل ولذا قالوا من اراد تفسير القرآن
فليتأمله فان بعضه يفسر بعضا فان لم يجد فيه فعليه بالسنة فان لم يجد ما اراده فيها فعليه باقوال
الصحابة فانها في حكم المرفوع لانه صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم القرآن ويبين لهم معانيه
كما رواه ابن تيمية وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه عبد الرزاق عن الحسن مرسلا بلفظ
من استن سنتي اي اتبعها وعمل بما فيها والمصنف رواه من اقتدى بي في سنتي وشريعتي
فهو مني اي من اتباعي واشياعي الذين يحشرون معي ويتصلون بي كانهم بعض مني لا ينفصل
عني ومن هذه تسمى من الاتصالية كقوله صلى الله عليه وسلم لعلي انت مني بمنزلة هارون
من موسى ومن رغب عن سنتي اي تركها واعرض عنها يقال رغب عنه اذا كرهه وضده رغب
فيه وسنته طريقته او احاديثه المروية عنه الشاملة لاقواله وافعاله وتقريراته وهما متقاربان
معنى فليس مني هذا تبر منه كقوله لست من قيس ولا قيس مني ويجري هنا ما ذكر في الصحيح
ايضا ومعناه ليس متبعا مني اي فهو كافر على ملتي لانها نسبه الحديث وعن ابي هريرة رضي الله عنه
ولم يخرجه السيوطي بهذا اللفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان احسن الحديث
كتاب الله كما قال الله تعالى الله نزل احسن الحديث الاية وخير الهدي بالنصب ويجوز رفعه

هدي

هدي محمد بفتح الهاء وسكون الدال المهملة وتحتية وهو مصدر بمعنى السيرة والطريقة
من قولهم تهادى في مشيته قيل روايته هنا كما قاله القاضي في الاكمال الهدي بضم الهاء
وفتح الدال مقصورا والهداية بمعنى الدلالة والهداية التأييد بالعصمة وهذه هي التي
تضاف الى الله وشر الامور محدثاتها بفتح الدال المتقدم تفسيره وعن عبد الله بن عمرو بن العاص
في حديث رواه ابو داود وابن ماجه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم العلم ثلاثة اقسام
حصره فيها ان قلنا العدد يفيد الحصر لعدم الاعتداد بغيرها فما سوى ذلك وفي نسخة
وما سوى ذلك فضل اي زائد لا حاجة اليه ولا يفتقر اليه وتفسيره بالبقية غير سديد
هنا والاظهر ما قيل ان المراد كل علم غير هذه الثلاثة وما يتعلق بها وما يتوقف عليه فهو
زائد لا ضرورة داعية لمعرفته ومعنى الفضل في اللغة الزيادة اية من كتاب الله محكمة
غير متشابهة لقوله تعالى منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات او غير منسوخة
لان المحكم يفسر بهذا ايضا او المراد ما تشتمل الاحكام بيانها حتى لا تحتاج لزيادة واحكام
نظمها فلا خلل فيها ويطلق المحكم على جميع القرآن ايضا كما قال تعالى احكمت اياته ويجوز ارادته
ايضا او سنة قايمة اي دايمة مستمرة يعمل بها لم تنسخ له ودام العمل بها او فريضة عادلة
اي لا جور فيها وفسرت هنا بالاحكام المستنبطة من القرآن والحديث تسمية لها باعظم اقسام
او لانها استنبطت بالاجتهاد المفروض على هذه الامة وسميت عادلة لمساواتها للنص والمراد
بها فريضة المواريث وقسمتها وهو المشهور وتطلق على ما يقابل العايلة وليس مرادا هنا
وفيه اشارة الى ان العلم اللازم العلوم الشرعية وهي التفسير والحديث والفقه وعن الحسن
بن ابي الحسن هو الحسن بن يسار البصري وقد تقدم وهو حديث رواه عبد الرزاق عن معمر
مرسلا والدارمي متصلا عن ابن مسعود عنه صلى الله عليه وسلم وفي نسخة قال عليه
الصلاة والسلام عمل قليل في سنة في هنا بمعنى مع كقوله تعالى ادخلوا في امم اي موافق
للسنة ومصاحب لها وان قل خير من عمل كثير في بدعة وان كثر لزيادة نفعه وكثرة ثوابه
والتعبير بفي اشارة الى انه يراعي السنة في جميعه عددا وهيئة حتى يحيط السنة به وقيل
انه لمصاحبته للسنة وتمكنه فيها شبه بالظرف والمظروف وهذا كمن تهجد منفردا كالعيال
ولم يصل الصلوات التي ابتدعها بعض الصوفية بجماعة كالرغايب ومن جهد ظاهر وحرام
تفضيل بمقتضى الخيرية في البدعة بحسب ظاهره وليست مرادة وانما عبر بها هنا على اعتقاد
فاعلها الخيرية فيما فعله وقيل المراد الابتداع بالاعمال التي لها اصل في العبادة كوصال
الصوم وما اشبهه وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يدخل العبد الجنة بالسنة الواحدة
وان قلت تمسك بها وعمل بها مخلصا وعن ابي هريرة في حديث رواه الطبراني في الاوسط
المتمسك بسنتي اي العامل بها والسالك طريقتها عند فساد امتي اي تغير احوالها
وتركها امور الدين واتباع البدع وذلك في آخر الزمان له اجر مائة شهيد فيه اشارة
الى ان المراد بالتمسك بها العمل بها وامر غيره بالعمل بها ايضا فيامر بالمعروف وينهى عن المنكر
وهو الجهاد الاكبر وايضا هو يجاهد نفسه حتى يترك ما الفه الناس ويأمله بما يرغب
الناس عنه فيؤذى به اشد الاذى فلذا اعطي ثواب الشهداء وجعله اجر مائة للتكثير والانتهاء
الى ان الكثرة ما يقاومه عشرة والحسنة بعشر امثالها وقيل ان الشهيد في منزلة من ترك
الدنيا وبذل نفسه في نصرة الدين وثناه غيره عليه ودعاه له ومن وفقه الله فقد فاز

مطلب الرغائب بدعة

عصرهم واهله فقد اختار دار البقا على دار الفنا وارتكب المشاق بمخالفة الناس والتقوى
بين الفجار كالمعصية بين الابرار كما ان الجود بين اللئام * يعد من عزة البخل بين الكرام كما قيل

رايت عبد الله اكرم من مشى * واكرم من فضل بن يحيى بن خالد
اولئك جادوا والزمان مساعد * وقد جاد ذا والدهر غير مساعد

وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي ان بني اسرائيل افترقوا اي صاروا
فرقا واسرائيل لقب يعقوب بن ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام واليه انتسب كل من كان
من قبيلته وهم قوم مشهورون على اثنين وسبعين ملة اي مذهبا اودينا لان الملة والدين
بمعنى وان افترقا مفهوما واستعمالا وقد تقدم تفصيله وان امتي تفترق على ثلاث وسبعين
فرقة مختلفة الاعتقاد والمذهب وروي فرقة مكان ملة وفي الحديث روايات مختلفة كلها
في النار الا واحدة قالوا ومن هم يا رسول الله هكذا روي فالواو عاطفة على مقدر ٥
اي هل عددهم ومن هم او هي زائدة قال هم الذين على الذي انا عليه واصحابي وفيه معجزة
له صلى الله عليه وسلم لاخباره بالغيب فان ذلك لم يكن في عصره وعصر الخلفاء الراشدين
من بعده وقد وقع كما قال وهذا باعتبار اصول الفرق فان شعبها كثيرة وقد الف في بيانها
تاليف اجلها كتاب الملل والنحل للشهرستاني وقد عدها فكانت كما ذكر صلى الله عليه وسلم
وهم اهل السنة والشيعة والخوارج والمعتزلة ونحوهم من الفرق واصنافها مما يطول
ذكره والمراد بكونهم في النار انهم مستحقون للعذاب دون الخلود الا ان يكون في اعتقادهم
ما يقتضي الكفر كبعض غلاة الرافضة والفرقة الناجية اهل السنة والجماعة لاتباعهم القرآن
والحديث في الاعتقاد من غير ارتكاب تاويلات بعيدة وزعم الطوسي وابن مطهر انهم الامامية
ورده الجلال الدواني في شرح العقائد كما بيناه في حواشيها ومطابقة الجواب للسؤال ظاهرة
من غير احتياج للتاويل كما توهم وعن انس رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم في حديث
رواه الاصفهاني في ترغيبه وغيره من احيا سنتي اي اظهرها بالعمل بها والحث على اتباعها جعل
ذلك بمنزلة الاحيا ففيه استعارة تبعية او مكنية وتخييلية وهو كالحديث الذي رواه ابو هريرة
لان المراد اظهارها بعد تركها فقد احياني اي اظهر ذكري ورفع امري فجعله بمنزلة احيائه
كما قيل ٥ وحسبه قد عاش آخر دهره * الى الحشر ان ابقى الجميل من الذكر
ومن احياني ببقاء ذكري وشرعي كان اي تحقق ان جزاءه ان يكون معي في الجنة والمراد دخوله
فيها وعلو مرتبته لا مساواته فيها وحذف ظرف المعية من الزمان والمكان تفخيما له لتذهب
نفسه كل مذهب وعن عمرو بن عوف ابن زيد بن ملحة المزني الصحابي وهو قديم الاسلام
شهد المشاهد وتوفي في زمن معاوية وهو منسوب لمزينة قبيلة مشهورة ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال لبلال بن الحارث بن عاصم بن سعيد بن قرة بن مازن ابو عبد الرحمن المزني
الصحابي وفد على النبي صلى الله عليه وسلم مع وفد مزينة وسكن وراء المدينة وتوفي سنة ستين
وسنه ثمانون سنة من احيا سنة من سنتي قد اميتت بعدي اي تركت وترك العمل بها
فشبه الترك بالموت لاشتراكهما في العدم وسنته طريقته وشريعته فهو يشمل السنن وغيرها
فلا وجه لما قيل الظاهر سنني بصيغة الرواية بالافراد والاماتة ضد الاحيا وتختص بالحيوان
حقيقة فان له من الاجر اي الثواب مثل من عمل بها فيه مضاف مقدر اي اجر من عمل بها من غير
ان ينقص ذلك اي الاجر الذي له من اجورهم شيئا دفعا للتوهم انه يعطى من ثوابهم فينقص

اجرهم

اجرهم ومن ابتدع بدعة ضلالة وفسرها بقوله لا ترضي الله ورسوله لانها بدعة غير مرضية
كان عليه مثل آثام بالمد جمع اثم وهو الوزر من عمل بها لا ينقص ذلك من اوزار الناس شيئا
وهذا رواه الترمذي وابن ماجه وحسنه ومن من الموصولة من العموم ما لا يخفى وكذا قوله
شيئا وقوله بدعة ضلالة بالاضافة والتوصيف ولا ينافي هذا قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى
لان هذا وزره وكسبه لانه بفعله سنها لهم وارشدهم لفعلها وحثهم فكان في قوة الآمر
لهم كما ذكره شراح الحديث وقيل ان المراد ان عليه اثما بالغا في المقدار مثل آثام العاملين بها
من جهة انه كان طريقا لهم في العمل بها ولذا غاير بين المقامين لفظا فقال عليه من الاجر مثل الخ
ولم يقل عليه من الاثم انتهى ولا حاجة لما طوله وتحقيقه انه كان سببا في الخير والثاني سببا
لضده والسبب منزل منزلة الفاعل فله ماله وعليه ما عليه اي مثله وفي الحديث الدال على
الخير كفاعله كمن حفر بئرا فوقع فيها غيره فانه يضمن في بعض الصور وهو لا ينافي الآية اما
لان المراد بها ان وزر غيره لا ينتقل له واما لانه مخصوص بغير السبب بالاحاديث المذكورة ٥

فصل واما ما ورد عن السلف

الصالحين يعني الصحابة والتابعين في اول القرون واما اشارة الى انه قسيم لما قبله
ما في القرآن والحديث ولذا قال ورد والائمة يعني من بعدهم من العلما والمجتهدين من اتباع
سنته اي طريقته وهو بيان لما وفي نسخة في اتباع متعلق بورد بمعنى جاء والاقتداء
بهديه وسيرته عطف تفسير لما قبله وهديه وسيرته بمعنى وهو الهيئة والطريقة ايضا كما
فحدثنا الشيخ اصل معناه الكبير سنا ثم شاع عرفا بمعنى من كان قدوة متبعا لطلبة العلم
لانه في الغالب يكون مسنا وهذا مما استعمله قديما واول من اطلق عليه شيخ الاسلام الصديق
رضي الله عنه كما قاله السخاوي رحمه الله ابو عمران بن عبد الرحمن الربعي علامة عصره بالمغرب
وقد تقدمت ترجمته ابن ابي تليد بفتح المثناة الفوقية منقول من تليد بمعنى قديم الفقيه
سماعا عليه وهذا الحديث من احاديث الموطا ورواه النسائي وابن ماجه قال حدثنا ابو عمر
الحافظ هو ابن عبد البر وقد تقدم بيانه قال حدثنا سعيد بن نصر تقدمت ترجمته قال
حدثنا قاسم بن اصبغ بالمعجمة كما تقدم ووهب بن مسرة في بعض النسخ بمثناة تحتية بعد الميم
وقال التلمساني انه مسرة مثقلة من السرور ووهب يحرك ويسكن وهو وهب بن مسرة
بن مفرج بن بكر التميمي مات بقرطبة منتصف شعبان سنة اثنين واربعين وثلاثمائة
انتهى قالا بالتثنية وهو الصحيح وروي قال اي كل واحد منهما او اكتفا باحدهما حدثنا محمد
بن وضاح تقدم ايضا قال حدثنا يحيى بن يحيى الليثي راوي الموطا قال حدثنا مالك
امام دار الهجرة الغني عن البيان عن ابن شهاب بن مسلم الزهري وقد تقدم بيانه عن رجل
من آل خالد اي اهله وقومه وهو غير مسمى فقال الحلبي لا اعرفه وقال التلمساني هو امية
بن عبد الله بن خالد بن اسيد بفتح الهمزة وكسر السين او بضمها وفتح السين والاول اصح وهكذا
رواه مالك ولم يدخل بينه وبين ابن شهاب احدا ورواه الليث بن سعد فسمى الرجل وادخل
بين ابن شهاب وامية عبد الله بن ابي بكر وامية هذا يروي عن ابن عمر توفي سنة سبع
وثمانين انتهى وقال القرطبي في تفسيره انه يعلى بن امية بن عبد الله الخ وخالد هو ابن
اسيد بفتح الهمزة وكسر السين وياء ودال مهملة وهو ابن ابي العيص بن امية بن عبد شمس ٥

مطلب اول من اطلق عليه شيخ الاسلام

أخو عتاب انه سأل عبد الله بن عمر فقال يا ابا عبد الرحمن انا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر بفتحتين اي الصلاة من غير قصر مذكورة في القرآن ولا نجد صلاة السفر المقصورة
في القرآن فقال ابن عمر في جوابه يا ابن اخي هذا جار على عادة العرب في الشفقة بالصغر
وقولهم يا ابني ويا ابن اخي كما يقال للكبير يا ابي ويا عمي ان الله بعث الينا محمدا اي نبيه
ورسوله صلى الله عليه وسلم ونحن لا نعلم شيئا من امور الدين فانما نفعل كما رأيناه
يفعل وروي ما رأيناه بدون كاف وما موصولة او مصدرية اي نقتدي به في ما جاء به
وهذا هو المقصد هنا اما صلاة الخوف فقد ذكرت في القرآن وهي سنة خلافا لمن قال
انها مخصوصة به صلى الله عليه وسلم واما قصر الصلاة سفرا فقد ذكرت في القرآن
في قوله لا جناح عليكم ان تقصروا من الصلاة لكنها مقيدة بقوله ان خفتم الاية ولذا سألوا
عنه الان اطلاقها مبين بالسنة فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصرها
فقال تلك صدقة تصدق بها الله عليكم فاقبلوا صدقته وقد بين لي الله شيئا مقيدا
بشرط وبينه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من غير شرط وقد ورد فيه احاديث
اخر وقال عمر بن عبد العزيز الخليفة العادل الزاهد المشهور رضي الله عنه سن رسول
الله صلى الله عليه وسلم اي اتى باقوال وافعال وطريقة شرعها وولاة الامر بعده
بضم الواو جمع وال وهو من يتولى امور الناس والمراد بهم هنا الخلفا الراشدون سننا
جمع سنة الاخذ بها اي العمل بها واتباعها تصديق بكتاب الله بالباء واللام لانه امر
بالعمل بها واتباع سبيل المؤمنين واستعمال لطاعة الله لان طاعتهم طاعة له في الحقيقة
لانهم لا يقولون شيئا من عند انفسهم وانما يقولون ما رووه عنه صلى الله عليه وسلم او ما
استنبطوه من الكتاب والسنة وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها اي تغيير تلك
السنن بوجه من الوجوه ولا تبديلها بدل لها يغايرها وهو اخص من التغيير لشموله
الزيادة ويجوز ان يكونا بمعنى ولا النظر في رأي من خالفها اي لا يلتفت اليه ولا
يعتبر ما خالفها اصلا وليس المراد بالنظر حقيقته حتى يقال يجوز ان ينظر فيه ليرده
من اقتدى بها اي عمل بتلك السنن فهو مهتد لانهم على هدى من الله ومن انتصر
بها فهو منصور ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين غير ما هم عليه من اعتقاد
او عمل ولاه الله ما تولى اي جعله واليا لما تولى من الضلال وخلى بينه وبين ما
اختاره من الضلال واصلاه جهنم ادخله فيها وساءت مصيرا جهنم وفي ذلك
دليل على حرمة مخالفة الاجماع وقال الحسن بن ابي الحسن هو الحسن البصري كما تقدم
عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة تقدم هذا وقد بينا معناه ولا تكرار فيه
لانه ذكره اولا خبرا وذكره هنا اثرا وفيه نظر وقال ابن شهاب الزهري بلغنا عن رجال
من اهل العلم انهم قالوا الاعتصام بالسنة اي التمسك بها نجاة اي مما يخافه
المرء في الدنيا والاخرة وفي القاموس اعتصم بالله امتنع بلطفه من المعصية اي من
تلبس بالسنة حفظ من ان يقع في معاصي الله وفيه حث على حفظها والعمل بها وكتب
عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى عماله ونوابه وامرهم بتعلم السنة اي ما روي
عنه صلى الله عليه وسلم من اقواله وافعاله في اسفاره واقامته والفرايض اي قسمة
المواريث لانها نصف العلم وفقدها من اشراط الساعة واللحن بفتح اللام وسكون الحاء

المهملة

المهملة وفسرها بقوله اي اللغة والمراد بها لغة العرب وما يتعلق بها من الاعراب
وعلم البلاغة وقال الازهري معناه تعلموا لغة العرب في القرآن واعرفوا معانيه
واللحن بسكون الحاء كما علمت وقد تفتح لها معان منها التعريض وفحوى الكلام كقوله
تع ولتعرفنهم في لحن القول والخطا في الاعراب وقال الزمخشري معنى اللحن
في كلام عمر رضي الله عنه وقوله تعلموا اللحن الغريب واللحن علم الغريب الواقع في القرآن
والحديث ومن لم يعرفه لم يعرف اكثر كلام الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وهذا
رواه سعيد بن منصور في سننه فاللحن من الاضداد ومن معانيه الفطنة وقال ابن
الاعرابي ان اللحن بالسكون الفطنة والخطا وقال غيره من اهل اللغة الفطنة بالفتح
والخطا بالسكون وقال عمر رضي الله عنه في اثر آخر رواه عنه الدارمي ان ناسا يجادلونكم
يعني بالقرآن اي يخاصمونكم وينازعونكم في بعض الاحكام التي قلتم بها فيقولون
القرآن فيه ما يخالفكم نظرا لظاهره مما بينته او خصصته او نسخته السنة فخذوهم
انتم اي حجوهم واغلبوهم بالسنن الواردة عنه صلى الله عليه وسلم فان اصحاب
السنن اي علماء الحديث ونقاده اعلم بكتاب الله اي بمعاني القرآن ممن يتمسك
بظاهر القرآن لمعرفتهم بناسخه ومنسوخه ومخصصه وما اوله فان تفسير القرآن انما
يعلم من السنة وفي خبره اي خبر عمر الذي رواه عنه مسلم حين صلى عمر رضي الله عنه
بذي الحليفة بضم الحاء المهملة ولام وفاء بصيغة المصغر اسم مكان على ستة او سبعة او
اربعة اميال من المدينة من جهة الشام وهو ميقات اهل المدينة والشام الذين يحرمون
منه ركعتين اختلف فيهما والاصح انهما سنة لمن احرم موكدة عند اكثر الفقهاء في تركها
فوات فضيلة من فضائل الاحرام ولم يخالفه فيه الا الحسن البصري فانه استحب كونهما
بعد صلاة فرض لانه روي انها كانت صلاة الصبح والصحيح غيره ولو كان كذلك لم يسأل عنها
ولم يحتج لقوله فقال اصنع كما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع فاقتدي باثاره وكل
ما صنعه وعن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه في اثر رواه عنه البخاري والنسائي حين قرن
بين الحج والعمرة في حجه حجا فقال له اي لعلي عثمان بن عفان وهو خليفة اذ ذاك وفي نسخة
فقال له عمر والصحيح رواية ان القائل له عثمان رضي الله عنه كما في الصحيحين وغيرهما
فهذا وهم من الناسخ تراني وفي نسخة ترى اني اي تعلم وتشاهدني وانا انهى الناس عنه
اي عن القران وتفعله انت فانكر عليه عدم اتباعه له قال علي لعثمان رضي الله عنهما
لم اكن ادع واترك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحد من الناس اي لاجل احد من الناس
خالف فعله فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقتدي بغيره مع علمي بما صنعه رسول
الله صلى الله عليه وسلم والحديث عن مروان بن الحكم قال شهدت عثمان وعليا رضي الله
عنهما وعثمان ينهى عن المتعة وان يجمع بينهما وعلي رضي الله عنه اهل بهما وقال لبيك
بعمرة وحجة فلما كلمه عثمان في ذلك قال له ما ذكره المصنف والمتعة تستعمل بمعنيين
احدهما ان يحرم بالعمرة ثم يحرم بالحج كالمكي فالعطف من عطف المتغايرين وان يجمع بين
الحج والعمرة معا باحرام واحد والعطف على هذا تفسيري وهذا هو المراد كما هو صريح الحديث
واحتمال ارادة الاول كما قيل يأباه الحديث وسمي متعة لما فيه من ترك التعب والاحرام
مرتين وكل منهما جائز وانما نهى عن ذلك لترك الافضل عنده وعلي رضي الله عنه انما خالفه

لاعتقاده خلافه للآفاق في اولئك يتوهم انه انه ممتنع وكل منهما مجتهد ما جوز وهذا مبني
على مسئلة اصولية وهي انه اذا وقع الاختلاف في عصر الصحابة في حكم شرعي هل يصح الاجماع
بعدهم على احد قول الصحابة فذهب احمد واكثر الاشاعرة والشافعية ان حكم الخلاف لا يرتفع
وذهب الغزالي وبعض الشافعية واكثر الحنفية الى ارتفاع الخلاف كبيع امهات الولد فان الصحابة
اختلفوا فيه ثم اجمع الفقهاء على منعه وفيه بحث وهذا الخلاف بين علي وعثمان مبني على الاختلاف
في حج رسول الله صلى الله عليه وسلم او على ما روي من ان عثمان رضي الله عنه لما كلم عليا كرم الله
وجهه في ذلك قال له علي قد علمت انا تمتعنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اجل ولكنا
كنا خائفين يعني ان فعله ذلك لعارض لا انه الافضل وروي ان عثمان رجع لما قاله علي
وقال ما كنت لادع عليا لكنه مما تفرد به مسلم وكان الكلام بينهما بعسفان وهو اسم موضع
معروف وعنه اي مما روي عن علي رضي الله عنه ولم يذكروا من رواه عنه الا اني لست بنبي
ولا يوحى الي بالبنا للمجهول ولكني اعمل بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما استطعت اي ما لم اضطر الى خلافهما فان الضرورات تبيح المحظورات وفي نسخة وسنة نبيه
وكان ابن مسعود يقول في اثر رواه الدارمي والطبراني عن ابي الدرداء القصد اصل معنى
القصد التوجه الى جهة ويطلق على استقامة الطريق ثم شاع في الاعتدال بين الافراط
والتفريط كما قاله الراغب وهذا هو المراد في السنة اي في سلوك طريقة رسول الله صلى
الله عليه وسلم خير من الاجتهاد اي الاكثار منه وبذل الجهد والطاقة في العمل الملتبس بغيرها
وهو معنى قوله في البدعة وتقدم تفسيرها وانها تنقسم لواجب وسنة ومحرم ومكروه كما قاله
ابن عبد السلام وقال ابن عمر رضي الله عنهما فيما رواه عبد بن حميد في مسنده بسند صحيح
صلاة السفر المقصورة فيه وجوبا واستحبابا ركعتان من خالف السنة اي طريقة رسول
الله صلى الله عليه وسلم في قصر الصلاة سفرا كفر اي صار كافرا ان قصد مخالفة فعله
صلى الله عليه وسلم عنادا او انكر جواز فعله والا فهو بمجرد الاتمام مبتدع عند ابي حنيفة رحمه
الله تعالى وبعض الفقهاء وقيل الكفر بمعنى كفران النعمة التي انعم الله بها عليه من احسانه عليه
بتسهيل امره وقال ابي بن كعب فيما رواه الاصبهاني في ترغيبه وغيره وابي هو المنذر
البخاري الانصاري الصحابي توفي سنة تسع عشرة على الاصح وقيل سنة اثنين وثلاثين
في خلافة عثمان عليكم هو هنا اسم فعل بمعنى الزموا او تمسكوا بالسبيل اي طريق الله
وصراطه المستقيم وهو العمل الصالح الخالص تقربا الى الله تعالى والسنة اي طريقة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهديه وقدم السبيل اهتماما بالاخلاص اذ لم نقل ان العطف تفسيري
وهو جائز فانه تعليل للحث على التمسك بالسنة والضمير للشان ما على الارض الظاهر
ان المراد بمن عليها كل موجود من الاحيا المكلفين من هذه الامة من عصره الى يوم القيمة وقيل
المراد به من كان موجودا في عصره من الصحابة وخصهم لان قرنهم خير القرون وثوابهم اكثر
من ثواب غيرهم والظاهر ما قدمناه لما مر من ان العامل بسنتي عند فساد امتي له اجر مائة
شهيد من عبد من زائدة للاستغراق على السبيل والسنة متمسك بهما والسبيل كالطريق
يذكر ويونث وجعله لتمكنه كانه راكب مستعل عليه فهو تمثيل ذكر الله صفة مخصصة لعبد
ففاضت عيناه اي فاض ماء عينيه ببكائه من خشية الله وخوفه فيعذبه الله ابدا
اي لم يعذبه الله ابدا ولا يدخله النار وان كان من اهل النار ولا يعذبه في قبره ايضا ويعذبه

بالنصب في جواب النفي المحض كقولهم لا يقضى عليهم فيموتوا وما على الارض من عبد على
السبيل والسنة اي متمسك بطريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومصدقا به في اقواله
وافعاله ذكر الله في نفسه اي احضره في قلبه وفرغ فكره وذهنه لملاحظة ربه وجلاله
وعظمته والظاهر ان هذا بمجرد التصور من غير لفظ لمقابلته للذكر قبله والذكر المذكور المراد
المقارن للفكر لانه لا يفيض ما عينيه الا لتصوره واحضاره في قلبه وقيل ان هذا يحتمل التصور
المجرد والمقارن للذكر اللساني ولا يخفى ما فيه فاقشعر جلده اقشعر بالتشديد اي اخذته
قشعريرة وهي الرعدة كما في القاموس من خشية الله اي من شدة خوفه قال الراغب الخشية
خوف يشوبه تعظيم واكثر ما يكون عن علم بما يخشى منه ولذا خص العلماء بها في قوله تعالى انما يخشى
الله من عباده العلماء انتهى الا كان مثله اي صفته وحاله العجيبة كمثل بفتحتين اي كهذه
الصفة شجرة ذات اغصان وورق قد يبس ورقها صفة شجرة وانما وصفها بذلك توطئة للتشبيه
الآتي لانه لا يكون كذلك الا الورق اليابس وهو اشارة الى انه له خطايا كثيرة قد يبست فهي
كذلك اي فهي دائمة قائمة على هذه الحالة من قدم اوراقها ويبسها واصلها فبينما هي كذلك
اذ اصابتها ريح شديدة والريح مؤنثة فتحاتت عنها ورقها اي سقط وفي القاموس
حته فركه وقشره فانحت وتحات والورق سقطت كانحت انتهى وفتحات بفتحات وتاء
مشددة آخره مطاوع حته الا حط الله خطاياه المراد بالحط هنا المغفرة وعبر به على طريق
الاستعارة وعبر به لمناسبة المشبه وخطاياه جمع خطيئة وهي الذنب وهذا بدل من الا
الاولى وما معها وكرر الا مع البدل تاكيدا لبعد المسافة باعتراض المثل وقيل انه استئناف
جوابا لمقدر كانه قيل ماذا يترتب على اقشعراره من الخشية مع مراعاة النفي فقيل الا حط عنه
خطاياه كما تحات اصله تتحات مضارع بمعنى تسقط عن الشجرة ورقها فان اقتصادا اي
اعتدالا وتوسطا من غير تفريط كما تقدم وهو افتعال من القصد وهو تعليل لما تضمنه ما قبله
من مغفرة الذنوب الكثيرة بمجرد ذكر الله او تذكره مع الخشوع والخشية وهو قليل ظاهرا وان كان
عظيما في نفسه في سبيل الله وسنة عبر بفي لمناسبة السبيل ولان ذلك الاتباع والاقتدا
محيط بعمله احاطة الظرف بالمظروف خير من اجتهاد اي زيادة وبذل جهده وطاقته في خلاف
سبيل الله وسنة اي بدعة مخالفة لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وتقدم تفسيرها وانظروا
والمراد بالنظر هنا التدبر والتامل وهذا تتميم لما قبله وتاكيد له ان يكون عملكم ان كان اقتصادا
او اجتهادا اي تدبروا في جميع اعمالكم قليلة كانت او كثيرة سواء بالغتم فيها او لم تبالغوا
ان يكون اعمالكم كلها وهو مع ما بعده بدل مما قبله او تاكيد له واعادة للفصل بينهما كما تقدم
وان بفتح الهمزة هي مصدرية لا شرطية مكسورة على منهاج الانبيا اي على طريقتهم والمنهاج
والمنهج بمعنى الطريق الواضح وسنتهم اي طريقتهم وشريعتهم وعبر بالانبيا والمراد منهاج نبينا
صلى الله عليه وسلم اشارة الى ان منهجه جار على منهاجهم غير مخالف له كما قال تعالى فبهداهم
اقتده وجريه باعتبار التوحيد والعقائد الحقة والاعمال الصالحة والاخلاص لا لانا
مامورون باتباعهم فيما لم يرد فيه نص كما توهم وان كان صلى الله عليه وسلم نفسه كذلك
وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وعمال بضم العين وتشديد الميم جمع عامل
وهو الامير المولى من جانب الخليفة لعمله في الاموال والمصالح الى عمر عامل بلده اي يخبره
عامل بلده الذي ولاه عليها وهي حمص كما قاله وكثرة لصوصه عطف تفسير لحال جمع لص

بتثليث اللام وهو السارق وقاطع الطريق الذين ياخذون اموال الناس بالباطل
وهذا رواه اللالكائي في السنة كما قاله السيوطي رحمه الله **هل ياخذهم** اي يحبسهم ويعاقبهم
بالظنة بكسر الظاء المعجمة المشالة وتشديد النون اي بمجرد الظن بانهم لصوص او يحملهم
اي يطلب منهم ويكلفهم على البينة كما في قوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها اي تكلفوا
حملها كما قاله الراغب وضمير ياخذهم للصوص وضمير يحملهم للمدعين عليهم المعلومين من السياق
وعداه بعلى باعتبار معناه الاصلي كما تقدم **وما جرت عليه السنة** اي ما اقتضته الشريعة من
لزوم الثبوت بالبينة ونحوه مما يترتب عليه الحكم دون السياسة المحضة وان كان ذلك يجوز
للحاكم في بعض الاحيان **فكتب اليه** اي الى عامله **عمر** رضي الله عنه **خذهم** اي احكم عليهم **بالبينة**
وما جرت عليه السنة اي وردت واستقرت عليه **فان لم يصلحهم الحق** اي حكم الشريعة دون
السياسة والعنف **فلا اصلحهم الله** اي ينتقم منهم اذ لم يوفقهم لعمل الخير وهذا من شدة تقواه
وانقياده للشريعة واحكامها قبل فكان من ثبت عليه سرقة نصاب قطع يده فما دار الحول
وفيه سارق **وعن عطا في** تفسير **قوله** تبارك وتعالى **فان تنازعتم** اي اختلفتم ايها الناس
في شي من امور الدين **فردوه** اي ارجعوا فيه **الى الله والى الرسول** اي الى ما قالاه اي **الى كتاب
الله وشريعة رسوله صلى الله عليه وسلم** وهذا مويد لما قاله عمر رضي الله عنه ولذا ساقه عقبه
وهذا لا ينافي ما ذكره الفقها من حبس المتهم وضربه حتى يعترف وانه قد يعمل باقراره كما ذهب اليه
مالك وغيره فانه استحسان منهم اذا قويت التهمة واقتضته الحال كما فصله الفقها وما قاله
عمر رضي الله عنه شي آخر وعطا هو عطا ابن ابي رباح المفسر كان من كبار التابعين وتوفي
سنة خمس عشرة ومائة **وقال الشافعي** الامام المشهور امام الائمة وسلطان الامة **ليس في سنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم** اي لم يثبت في حديث في شريعته **الا اتباعها** اي اتباع السنة
والعمل بها وكان يقول اذا صح الحديث فهو مذهبي واذا خالف قولي الحديث فاضربوا به عرض
الحائط وهكذا تبعه ايمتنا الشافعية رضي الله عنهم **وقال عمر** بن الخطاب رضي الله عنه كما
رواه عنه الشيخان **ونظر الى الحجر الاسود** في طوافه والجملة حالية بتقدير قد او معترضة
موذنة بان قوله ذلك حال مشاهدته له **انك حجر لا تضر ولا تنفع** اي لا تقدر على ضر
ونفع بالذات وان كان الله جعله سببا لاجابة الدعا عنده وسنيته **ولولا اني رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك** اي في طوافه وانما استحب تقبيله لانه نزل
من الجنة وكان ابيض كاللبن فسودته خطايا بني آدم كما رووه **ثم قبله** عمر بعد ما ذكر وروى
الحاكم ان عليا رضي الله عنه كان خلف عمر فلما سمع قوله هذا قال له بل يضر وينفع فان الله لما
اخذ الميثاق على بني آدم في عالم الذر كتب ذلك في رق والقمه الحجر الاسود وسياتي يوم القيمة
وله لسان يشهد به لمن استلمه بالتوحيد ووفائه بالعهد وروي ان ذلك ذكره صلى الله
عليه وسلم فاقره وقد قالوا ان عمر رضي الله عنه كان عالما بذلك ولكنه قال مقاله هذا واعلمه
للناس لقرب عهدهم بالجاهلية وعبادة الاحجار فخشي ان يضلوا ويعتقدوا انفعها فقاسا
عليه وقد ورد ان الحجر الاسود يمين الله في ارضه اي وضعه في الارض ليقبل كما تقبل اليمين
اليمنى دون اليسرى تكريما لها وان تقبيله يفيض الانعام والرضا كتقبيل يد العظما فهو استعارة
والاضافة للتشريف كبيت الله وفيه رد على من قال ان الحجر الاسود له خاصية في ذاته كخاصية
المغناطيس لجذب الحديد وفي الحديث من الاحكام انه يكره تقبيل ما لم يرد الشرع بتقبيله كما

يفعله بعض العوام من تقبيل قبور الاوليا والاماكن المباركة وقول الشافعي رضي الله عنه
كل مكان قبل من البيت حسن عند بعض الاصوليين **وروي** مبني للمجهول براء مهملة مضمومة
وهمزة مكسورة وياء مفتوحة وقال ابن مرزوق انه بوزن قيل ففيه ما فيه من اللغات واخره
همزة بالقلب المكاني وتبعه بعضهم فان ساعدته رواية فبها ونعمت والا فهو تكلف لا حاجة
اليه **عبد الله بن عمر** الصحابي المشهور رواه عنه احمد بن حنبل والبزار بسند صحيح **يدير ناقته
في مكان وهو راكبها** اي يلفت وجهها او يطيفها حوله حتى عادت لموضعها الاول **فسئل**
عن فعله لاي شي هو **فقال لا ادري** وجه ما فعلته وحكمته **الا اني رايت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يفعله** اي يدير ناقته في هذا المكان **ففعلته** اقتداء به صلى الله عليه وسلم وفيه
انه يستحب الاقتدا بافعاله صلى الله عليه وسلم تبركا وتيمنا الا انه قيل اذا صدر عنه امر يحتمل
انه اتفاقي بمقتضى الجبلة البشرية لا بنية التعبد هل يستحب فعله ام لا فذهب الاكثرون الى انه
لا يستحب الا انه لا باس به وهو الظاهر واما غيره فيكره الاقتدا به في مثله كما يفعله بعض الصوفية
في اتباع آثار مشايخهم ومن هذا القبيل لبس الخرقة ونحوه فاعرفه **وقال ابو عثمان الحيري** شيخ
الصوفية بنيسابور وهو بكسر الحا المهملة والرا المهملة وقبلها مثناة تحتية ساكنة وبعدها
ياء نسبة مشددة نسبة للحيرة اسم محلة بها كان يسكنها وهو ابو عثمان سعيد بن اسماعيل توفي
سنة ثمان وتسعين ومايتين وهو من كبار الزهاد والمشايخ الصوفية وهو صاحب ابي حفص
النيسابوري كما قاله ابن ماكولا والذهبي وذكره القشيري في رسالته ونقل ما ذكره المصنف عنه
وذكر انه صحب شاه الكرماني ويحيى ابن معاذ الرازي ثم ورد نيسابور مع شاه الكرماني على ابي
حفص الحداد فتخرج عليه وزوجه ابنته وقد صحف الناس هنا نسبته فقيل انه الحنيذي بحاء
مهملة مضمومة ونون ساكنة مفتوحة بعدها ياء ساكنة وذال معجمة مكسورة وياء نسبة كذا
في اصل ابي العباس العزفي وهو مخالف لما في اصل المصنف بخطه وهو الصحيح وفي بعض النسخ
الجنيدي بجيم ودال مهملة وفي بعضها الحميدي مصغرا بحاء ودال مهملتين والكل تحريف وتصحيف
والصحيح ما نقلناه اولا ولولا ذاك لم يبعد ان يراد الجنيد الذي هو بطل هذا الفن وافقها فانه كان على طريقته
في الزهد ولم يكن في عصره اعرف منه بطريق المشايخ ومن كلامه رضي الله عنه الصحبة مع الله
عز وجل بحسن الادب ودوام الهيبة والمراقبة والصحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
باتباع سنته وظاهر فعله والصحبة مع اوليا الله بالاحترام والخدمة والصحبة مع الاهل
بحسن الخلق والصحبة مع الاخوان بدوام البشر والصحبة مع العوام بالدعا والرحمة لهم **من امر
السنة على نفسه** وهو بفتح الهمزة وتشديد الميم وراء مهملة خفيفة اي جعل سنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وطريقته **قولا وفعلا** اي في اقواله وافعاله فهو منصوب على الظرفية او
تمييز محول عن المفعول اي جعلها اميرا عليه وحاكما وهو عبارة عن عدم مخالفتها وقيل انه بفتح
الهمزة والميم المخففة وتشديد الراء المهملة اي اجازها وامضاها عليه وهو بعيد **نطق بالحكمة**
اي القول الصواب النافع له في الدنيا والاخرة وكل كلام وافق الحق فهو حكمة **ومن امر الهوى
على نفسه** امره كالذي قبله ففيه استعارة والهوى ما تهواه نفسه الامارة وتشتهيه **نطق بالبدعة**
اي بما يخالف الحق مما زينه له الشيطان من الضلالة **وقال سهل التستري** وهو سهل بن يونس
بن عيسى بن عبد الله بن رفيع شيخ الصوفية الزهاد تقدمت ترجمته والكلام على بلدته تستر
وهي مشهورة **اصول مذهبنا** اي التصوف اي قواعده التي يدور عليها **ثلاثة** اولها واعظمها

الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم واتباعه في الاخلاق والافعال والثاني
اكل الحلال والثالث اخلاص النية في الاعمال وهذه الاصول وان كانت اصول الصوفية
فهي اصول الشريعة ايضا وقد ورد في الحديث بمعناه وهو ظاهر وجاء اي ورد عن السلف
في التفاسير المشهورة المأثورة في تفسير قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل
الصالح يرفعه انه بفتح الهمزة فاعل جاء الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم فان العمل لا يكون
صالحا مقبولا الا اذا وافق الكتاب والسنة وموافقتهما عين الاقتداء به قولا وعملا وضمير انه
للعمل الصالح وضمير يرفعه المرفوع والمنصوب الاول للكلم الطيب وهو التوحيد والثاني
للعمل والرفع بمعنى القبول ويجوز العكس اي يرفع التوحيد الاقتداء برسول الله صلى الله عليه
وسلم فانه لا يقبل بدونه وعلى الثاني المراد بالكلم الطيب الاذكار وما هو قريب منها وهي انما
تقبل اذا وافقت السنة والكلام عليه مفصل في كتب التفسير وحكي بالبناء للمجهول اي نقل
لنا ان الامام احمد بن حنبل رحمه الله تعالى وحنبل جده فانه احمد بن محمد بن حنبل بن هلال
الشيباني المروزي ثم البغدادي لانه توفي بها ودفن فيها ثاني عشر ربيع الاول سنة احدى
واربعين ومائتين وهو امام السنة صاحب المذهب الزاهد العابد وله مناقب افردت بالتاليف
قال كنت يوما مع جماعة تجردوا من ثيابهم عراة ودخلوا الماء للاغتسال فاستعملت
الحديث اي عملت به فالسين للتاكيد وقيل المعنى طلبت ذلك من نفسي وقلت لا توافقني
هؤلاء وهذا الحديث رواه مسلم والترمذي وهو من كان يؤمن بالله اي يصدق ويعترف
بالله واليوم الاخر اي يوم البعث والحشر وهو يوم القيمة والايمان بهما عبارة عن الايمان
بجميع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فكني بالطرفين عن الجميع فهو من باب الاكتفاء فلا
يدخل الحمام المراد به كل مكان فيه ماء يغتسل به ثم غلب في العرف على محل مخصوص الا بمئزر
والمئزر بكسر الميم وهمزة ساكنة وتبدل ياء بمعنى الازار وهو ما يستر به نصف المرء الاسفل
ولم اتجرد انا اي اخلع ثيابي وانعرى منها وهو عطف تفسير لاستعملت الحديث فرايت
في المنام تلك الليلة اي في تلك الليلة التي تلي يوم تجردهم قائلا لي اي شخصا
يقول لي يا احمد ابشر اي مبشرا من الله بما يسرك ان الله قد غفر لك اي عفا عنك وانعم
عليك بقبول ما صدر منك باستعمال السنة اي بسبب اقتدائك بالرسول صلى الله عليه وسلم
والعمل بحديثه وجعلك اماما يؤتم بك ويقتدى بك لكونك مجتهدا صاحب مذهب قلت
لمن رايته في المنام من انت استفهاما عما يريد به تعيينه عنده قال جبريل اي انا جبريل رسول الله
الى عباده هـ

فصل في مخالفة امره

اي ترك ما امر الامة به وتبديل سنته اي تغييرها بوجه من وجوه التغيير ولو بتاويله
على خلاف مراده ضلال اي عدول عن الطريق المستقيم وهي طريق الرسول صلى الله عليه وسلم
وشريعته وبدعة اي امر احدثه في الدين واذا اطلقت البدعة انصرفت الى غير الحسنة وهي
المرادة هنا متوعد عليه اي ورد الوعيد لفاعلها في احاديث كثيرة تقدم بعضها وفي آيات
قرآنية من الله بالخذلان متعلق بقوله متوعد والخذلان ضد التوفيق وهو ان يخلق
الله فيه داعية المعاصي في الدنيا والعذاب الاليم في الاخرة قال الله تعالى فليحذر
الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم ضمن يخالفون معنى

يعرضون فلذا عداه بعن وهو متعد بنفسه وضمير امره للنبي صلى الله عليه وسلم
لانه المقصود بالذكر في الاية وهو الذي بني المصنف عليه كلامه هنا وفيه وجه آخر انه
لله لانه الامر الحقيقي والفتنة ما في الدنيا من المصائب لا المحنة الدنيوية والعذاب الاليم
في الاخرة وقال تعالى ومن يشاقق الرسول اي يعاديه ويخاصمه فيكون في شق وهو
في شق آخر من بعد ما تبين له الهدى اي ظهر له الحق وثبت بمعاينة معجزاته صلى الله
عليه وسلم وهداية الله لمن هداه برسوله صلى الله عليه وسلم ويتبع غير سبيل المؤمنين
اي يسلك طريقا غير طريقتهم في الاعتقاد والعمل نوله ما تولى اي نجعله متوليا
لما تولاه من الضلالة والبدع الاية اقراها يعني قوله ونصله جهنم وساءت مصيرا وهذا
وعيد شديد لمن لم يقتد به صلى الله عليه وسلم واستدل بهذه الاية على حجة الاجماع
كما بين في كتب الاصول ثم ذكر حديثا رواه مسلم والامام مالك مشتملا شاهدا لما ذكره
فقال حدثنا ابو محمد عبد الله بن ابي جعفر هو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحسين
وقد تقدمت ترجمته وعبد الله بن عتاب تقدم ايضا بقراءتي عليهما بيان لطريق روايته
ويسمى عرضا قالا حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد تقدم ايضا قال حدثنا ابو الحسن
القابسي تقدم قريبا قال حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد تقدم ايضا قال حدثنا
ابو الحسن بن مسرور الدباغ بسين مهملة منقول من اسم المفعول وهو علي بن محمد بن مسرور
توفي في منتصف رمضان سنة تسع وخمسين وثلثمائة قال حدثنا احمد بن ابي سليمان
هو تلميذ سحنون وهو مولى لربيعة ويكنى ابا جعفر توفي في سنة احدى وتسعين ومائتين
وقد ناهز التسعين قال حدثنا سحنون بن سعيد عبد السلام وتاتي ترجمته مفصلة
قال حدثنا ابن القاسم تقدمت ترجمته قال حدثنا مالك الامام المشهور عن العلاء بن عبد الرحمن
تقدم ايضا عن ابيه عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة مثلثة
الباء والكسر لغة قليلة فيها وذكر الحديث في صفة امته صلى الله عليه وسلم يعني قوله لكم
سيما ليست لاحد من الامم تردون علي غرا محجلين من آثار الوضوء وفيه اي في الحديث المذكور
فليذادن رجال عن حوضي اللام في جواب قسم مقدر ويذادن مبني للمجهول بذال معجمة
والف بعدها دال مهملة ونون توكيد مشددة والذود هنا بمعنى الطرد والمنع وهذه رواية
ابن القاسم ورواية غيره فلا يذادن ولا نافية او ناهية اي لا يفعل احدكم فعلا يطرد بسببه
عن حوضي على معنى التحذير والاشفاق ورجح الرواية التي اختارها المصنف كما يذاد
البعير الضال اي كما يطرد البعير اذا ضل من صاحبه واتى ليدخل في ابل اخرى ليستقي
فيطرد من بينها لئلا ينقص شربها فاناديهم اذا طردوا الا هلم الا هلم الا هلم كرره
للتاكيد على العادة في نداء من ضل وهذا بيان لحرصه صلى الله عليه وسلم على ردهم
لشفقته عليهم ورحمته لهم وهلم بفتح الهاء وضم اللام وقد تفتح وهي اسم فعل بمعنى
اقبل واحضر وتتعدى بنفسها وبالى واللام وميمها مشددة مفتوحة يستوي فيها
المذكر وغيره وهي بسيطة في الاصل او مركبة من ها لم او من هل ام وهذه لغة اهل الحجاز
وهي الفصحى لغة القرآن ولغة غيرهم هلم وهلما وهلموا وهلمن وهلممن فهو عندهم
فعل لان اسم الفعل لا يتصل به الضمائر والمطرودون من الحنفاء قيل والمرتدين لكونهم اظهروا
الاسلام وتوضؤوا وصلوا يكونون غرا محجلين ولذا دعاهم وناداهم ولو لم تكن هذه السيما

الا المومنين لم يدعوا فان كان المراد اهل البدع من المومنين واصحاب الكبائر فالامر
ظاهر وقال النووي اختلف في المراد به على اقوال ۰ احدها ان المراد بهم المنافقون ويجوز
ان يحشروا غرا محجلين فينادون بسيماهم فيقال انهم بدلوا ولم يموتوا على الاسلام ۰ والثاني
ان المراد من كان في زمنه صلى الله عليه وسلم ثم ارتد فيناديهم وان لم يكن لهم سيما لانه يعرفهم
والثالث ان المراد اصحاب الكبائر والمعاصي الموحدين واصحاب البدع فيذادون عقوبة
لهم فيقال بالبنا للمجهول اي يقول الله تعالى او الملائكة او من عرفهم من الصحابة انهم قد
بدلوا بعدك اي غيروا سنتك وارتكبوا ما لم تعهده منهم وفي نسخة انهم قد بدلوا بعدك
فاقول سحقا سحقا وفي نسخة فسحقا باعادة الفاء للتاكيد وهو بضم السين والحاء وتسكن ثم
قال ثم فسحقا اي جعلهم الله في مكان سحيق اي بعيد واصله من سحقه اذا فتته والسحيق
الثوب البالي وهو على تقدير اسحقوا او ابعدوا واستدبروا ويحتمل انه دعاء عليهم تقديره الزمهم
الله سحقا فنصبه على المصدرية او هو مفعول به واذا كان دعاء فعامله محذوف وجوبا كجدعا
وعقرا قيل ها هو مصدر لفعل ثلاثي وهو سحقه او لغيره اي اسحقه على حذف الزوائد وقياسه
اسحاقا ولا يحتاج لذلك وان اختاره ابو علي ۰ اقول بل له داع لان سحقه بمعنى فتته كسحق
المسك ونحوه واما من البعد فالمستعمل اسحقه يقال ابعده الله واسحقه كما قاله الراغب وروى
انس بن مالك في حديث رواه الشيخان انه صلى الله عليه وسلم قال من رغب عن سنتي اي
تركها لان رغب اذا تعدى بعن يكون بمعنى الترك ضد رغب فيه وسنته طريقته وشريعته
فليس مني اي ليس من اتباعي واشياعي ومن اتصاليه كما تقدم بيانه وهذا تبري منه ورد له
فهو في معنى الحديث الذي قبله وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان من احدث في
امرنا اي احدث بدعة في الدين وروي من احدث وهما بمعنى هذا عبر باسم الاشارة اشارة
الى انه لظهوره بمنزلة المحسوس المشاهد ما ليس منه اي امر مخالف للكتاب والسنة فهو رد
اي مردود وعبر بالمصدر للمبالغة كرجل عدل وهذا من حديث طويل من قواعد الدين وقال
الطوفي انه نصف الدين وروى ابن ابي رافع عن ابيه وهذا الحديث رواه ابو داود والترمذي
وابن ماجه كما تقدم قريبا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا الفين احدكم بالبنا للمجهول
نهي لنفسه والمراد به نهي غيره عن ان يجدهم ويراهم على هذه الحالة متكيا على اريكته اي
متكيا جالسا على سريره وتقدم بيان الاريكة ياتيه الامر جملة حالية تقريبا لبطره وسوء
ادبه من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما اتيت به لا ادري غير كتاب الله
ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه وقد تقدم قريبا الكلام عليه زاد المقدام في هذا الحديث
كما رواه الحاكم عنه وهو المقدام بكسر الميم بن معدي كرب الكندي المكني بابي صالح ممن وفد
على النبي صلى الله عليه وسلم من كندة وتوفي بالشام سنة سبع وثمانين وهو ابن احدى وتسعين
سنة الا بفتح الهمزة كلمة استفتاح وان ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله لانه مبلغ عنه
فيجب اجتناب ما حرمه وفيه رد على القايل لا نتبع الا كتاب الله وفيه اشارة الى انه معصوم في
اقواله وافعاله وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الدارمي وابن منذر وابن جرير وابو
داود مرسلا وجي مجهول جاء والجملة حالية بتقدير قد او معترضة بكتاب اي مكتوب في كتف
اي في عظم كتف لانهم في الصدر الاول كانوا يكتبون فيه وفي الجلود لعزة الورق اذ ذاك
والجائي به عمر رضي الله عنه او ابنته حفصة او عائشة كما قيل ۰ وقيل انه شي كان كتبه بعض المسلمين

عن اليهود فلما راه صلى الله عليه وسلم القاه وقال كفى بقوم متعلق بكفى او الباء زائدة
في المفعول حمقا او قال ضلالا شك من الراوي ونصبه على التمييز والحمق الغباوة وعدم
الفهم والضلال ضد الهداية وجعله كذلك لنظرهم في امور منسوخة محرفة وتركهم السنة
ورسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بين اظهرهم كما بينه بقوله ان يرغبوا هو فاعل كفى اي
رغبتهم عما جاءهم به نبيهم معرضين عنه مشتغلين بما لا يعنيهم عما جاء به غير نبيهم اي
ناظرين اليه راغبين فيه وهم لا يعلمون بصحته او ناظرين الى كتاب غير كتابهم الذي
انزله الله على رسولهم فلا ينبغي لهم الا الاقتدا به والسماع منه اغتناما له وهو بين وفيه اشارة
الى انه كان امرا منقولا عن اليهود كما نقله في زاد المسير فنزلت آية اولم يكفهم انا انزلنا
عليك الكتاب اي القرآن الذي ما فرطنا فيه من شي فهو لوم على ما فعلوه وهو عطف على ما
قبله والهمزة مقدمة من تاخير او على مقدر معلوم من الحال اي قالوا ذلك وفعلوه ولم يكتفوا
الخ وهذا سبب نزول الآية كما نقله في اسباب النزول وقيل سبب نزولها ان المشركين طلبوا
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم باية من ايات الانبيا عليهم الصلاة والسلام كعصا
موسى وناقة صالح فقال الله لهم اولم يكفهم معجزة القرآن التي هي اعظم المعجزات وهي باقية
مستمرة ولذا قال يتلى عليهم الآية وعبر بالمضارع والضمير لليهود او المسلمين او المشركين
وقيل ان كلا منهما سبب لنزولها ولا مانع من تعدد السبب ولا حاجة لتعدد النزول كما قيل وفيه
دليل على النهي عن قراءة الكتب المنسوخة الا لمصلحة ممن يعرف النسخ والتحريف وقال صلى الله
عليه وسلم في حديث رواه مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه هلك المتنطعون اي وقع في
امر يهلكه ويودي الى غضب الله وعقابه من تنطع اي بالغ وغالى في الامور وتشدق بكلام
لا حاجة اليه من النطع وهو الغار الاعلى من الفم استعير لكل متعمق في قول او فعل عن فهم
واصله من يفتح فمه في تكلمه وقال الخطابي المتنطع المتعمق المتكلف للبحث عن مذاهب اهل
الكلام الخائض في ما لا يبلغه عقله ومناسبته لما نحن فيه من تنطع خرج عن ظاهر السنة
وعدل عن ظاهر سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبه صرح اول الحديث وهو تعلموا الفرائض
قبل ان تقبض واياكم والتنطع والتعمق والبدع وهلك جاء من باب ضرب ومنع وعلم وقال
ابو بكر الصديق رضي الله عنه وهذا رواه عنه ابو داود والبخاري وغيرهما لست تاركا
شيا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به من سنته في اقواله وافعاله واحكامه
وهديه الا عملته اقتداء به صلى الله عليه وسلم واتباعا لاثاره للحميرة اني اخشى
اي اخاف ان تركت شيا من امره اي شانه وحاله الذي كان عليه ان ازيغ بزاي وغين
معجمتين اي اميل عن الحق والسنة واصل معنى الزيغ الميل عن الاستقامة قال تعالى فلما زاغوا
ازاغ الله قلوبهم اي لما فارقوا الاستقامة عاملهم الله تعالى بذلك والله اعلم

الباب الثاني

من القسم الثاني من الكتاب في ذكر ما يدل على لزوم محبته اي وجوبها على كل مكلف
من امته وفي نسخة فصل والصحيح الاول ووجوبها عقلا وشرعا لقوله قال تعالى قل ان
كان اباوكم وابناوكم واخوانكم وازواجكم اي زوجاتكم جمع زوج وهو يطلق على الذكر
والانثى وزوجة لغة ايضا فرقا بين المذكر والمونث وعشيرتكم وهم اقرباء النسب

وأموال اقترفتموها اي اكتسبتموها وملكتموها **الآية** اي اقرأ تمامها او ما ذكر وهو وتجارة
تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى
يأتي الله بأمره وسبب نزولها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما امر بالهجرة تخلف بعضهم
عنه فنزلت وتفسير الآية معلوم من التفاسير لا حاجة لذكره هنا **فكفى بهذا المذكور في الآية**
حضا اي حثا وتحريضا وترغيبا قال الراغب الحض التحريك كالحث الا ان الحث يكون بسير وسوق
والحض لا يكون بذلك واصل الحث على الحضيض وهو قرار الارض انتهى **وتنبيها** اي ايقاظا لهم
من نومة الغفلة عن محبته صلى الله عليه وسلم حتى لا يغيب عنهم طرفة عين **ودلالة** لهم على
ما يجب في محبته **وحجة** اي بيانا لدليل وجوب محبته عليهم والاحزان بالنسبة لمن لا يعرف
ذلك وما قبله لغيره **على التزام محبته** اي لزومهم عقده **ووجوب فرضها** عليهم شرعا **وعظم**
خطرها اي قدرها وفايدتها واصله ما يعطى عند الرهان **واستحقاقه صلى الله عليه وسلم لها**
اي للمحبة المذكورة كما قيل ۝ تملك بعض حبك كل قلبي ۝ فان ترد الزيادة هات قلبا
اللهم املأ قلبي بنور ايمانك ومحبتك ومحبة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم حتى لا يكون
فيه محل لغيرك **اذ قرّع** بفتح القاف والراء المهملة المشددة وعين مهملة اي وبخ وقيل
وفي اصل المصنف تقرّع والصواب الاول **تعالى من كان ماله واهله وولده احب اليه من**
الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ثم بين تقريعه بقوله **واوعدهم بقوله فتربصوا** اي انتظروا
امره وفيه من التوبيخ ما لا يخفى **وفسقهم** اي وصفهم ونسبهم للفسق **بتمام الآية** اي بما ذكر
في آخرها حيث قال والله لا يهدي القوم الفاسقين فجعلهم فاسقين بتخلفهم عن الهجرة
وسلب عنهم الهداية بوصف يشعر بعليته وهو معنى قوله **واعلمهم انهم ممن ضل ولم يهده**
الله حدثنا ابو علي الغساني الجياني الحافظ وتقدمت ترجمته **فيما اجازنيه** يعني انه
رواه عنه بالاجازة ولم يقرأه عليه مع انه معاصر له **وهو** اي هذا الحديث الذي رواه البخاري
وغيره **مما قرأته على غير واحد** من المشايخ غيره فله في روايته طرق كثيرة اقوى من هذه وانما
اختارها لعلو سنده وجلالته **قال** الغساني **حدثنا سراج بن عبد الله القاضي** تقدم
بيانه **قال حدثنا ابو محمد الاصيلي** تقدم ايضا **قال حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف** هو الفربري
راوي البخاري وقد تقدمت ترجمته **قال حدثنا محمد بن اسماعيل** هو امام اهل السنة صاحب
صحيح البخاري **قال حدثنا يعقوب بن ابراهيم** بن كثير البغدادي الدورقي صاحب المسند
وامام الحديث توفي سنة اثنين وخمسين ومائتين ونسب الى دورق اسم بلدة او الى صنعة
الدوارق وهي نوع من القلانس **قال حدثنا ابن علية** بالتصغير الامام الثقة الحافظ
اسمعيل بن ابراهيم بن مقسم المشهور بابن علية اخرج له اصحاب السنن الستة وتوفي سنة
ثلاث وتسعين ومائة وله ترجمة في كتاب الميزان وعلية امه **عن عبد العزيز بن صهيب**
علم منقول من المصغر وهو البناني الاعمى الامام الثقة الحافظ اخرج له الستة وتوفي
سنة خمس وثلاثين ومائة وترجمته مشهورة **عن انس** بن مالك الصحابي المشهور ۝
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم هو من خطاب المشافهة فيعم الموجودين
وغيرهم وقيل خص بالخطاب الموجودون والحكم عام بشهادة انه روي بغير خطاب
في مسلم عبد وفي رواية غيره احد اي لا يؤمن ايمانا كاملا كما في رواية ابن حبان
لا يبلغ عبد حقيقة الايمان **حتى اكون** بالنصب وهو غاية لما قبله **احب اليه من ولده**

ووالده

ووالده والناس اجمعين ايثارا له صلى الله عليه وسلم اكراما له واجلالا لا واجب
بمعنى اكثر محبوبية على خلاف القياس كاشغل من ذات النحيين ولم يذكر نفسه لدخولها
في الناس وقوله اليه لا يقتضي خروجها لمغايرته له من جهة كونه محبا وهي محبوبة والام
وسائر الاهل داخل في الناس ايضا ولا حاجة لادخالها في الولد كما قيل وسيأتي معنى محبتهم
له صلى الله عليه وسلم **وعن ابي هريرة ونحوه** رضي الله عنه اي روي عنه حديث بمعنى
الحديث المذكور **و** روى **عن انس** خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم **عنه** في حديث
رواه الشيخان **عليه الصلاة والسلام ثلاث** اي ثلاث خصال او خصال ثلاث فالوصف
المقدر سوغ الابتدا بالنكرة كقولهم ضعيف عاذ بقرملة اي رجل ضعيف **من كن** اي
الخصال **فيه وجد حلاوة الايمان** خبر المبتدا او صفته وكن بمعنى وجدن فكان تامة
وحلاوة الايمان لذته ففيه استعارة او هو مجاز مرسل الخصلة الاولى **ان يكون الله**
ورسوله احب اليه مما سواهما جمع الله وغيره في ضمير وقد نهى صلى الله عليه وسلم عنه
حيث قال للخطيب الذي قال ومن يعصهما فقد غوى بئس خطيب القوم انت قل ومن
يعص الله ورسوله لايهامه التسوية بين الله وغيره ولذا قيل انه مكروه واجيب
عنه بان الخطبة مقام اطناب لا ايجاز او انه يجوز لله ورسوله ذلك دون غيرهما فهو من
خصائصه واليه مال ابن عبد السلام وقيل انه واقعة حال لا تخصص لاحتمال انه
كان بالمجلس من يتوهم التسوية او ان هذا كان في ابتداء الاسلام ووجود المشركين ۝
بين اظهرهم لا سيما اذا قصد المبالغة في تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه لا
ينفصل بين محبته ومحبة الله بفاصل لفظي وملاحظة انه لا يمكن التسوية بين العبد
وسيده وفيه كلام فصلناه في غير هذا المحل **و** الثانية **ان يحب المرء** بالنصب مفعول
يحب وفاعله ضمير من **لا يحبه الا لله** اي يخلص في محبته من غير ملاحظة انتفاع مما
وعلم منه انه لا يزيد بالبر وينقص بالجفا كما قاله ابن معاذ ۝ والثالثة **ان يكره ان يعود**
في الكفر كما يكره ان يقذف في النار لتمكن الايمان من قلبه ومحبته له واطمئنان قلبه
وفي رواية بعد اذ انقذه الله منه والانقاذ الاخراج وهذا ظاهر في حق من تلبس بالكفر
كالعود فانه بمعنى الرجوع اما من ولد مسلما واستمر على اسلامه فيعلم بالمقايسة عليه
بالطريق الاولى وقيل الانقاذ بمعنى العصمة منه والعود بمعنى الصيرورة وعدي العود
بفي وهو يتعدى بالى لتضمنه معنى الاستقرار كما في قوله تعالى وما يكون لنا ان نعود فيها
وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث رواه البخاري عن عبد الله بن هشام **انه**
قال للنبي صلى الله عليه وسلم لانت احب الي خبر انت واللام في جواب قسم مقدر ۝
من كل شيء في الدنيا وغيرها **الا نفسي التي بين جنبي** بتشديد الياء كياء الي
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لن يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه ايثارا
له صلى الله عليه وسلم على نفسه وغيره **فقال** عمر مجيبا له صلى الله عليه وسلم **والذي**
اي الله الذي **انزل عليك الكتاب** واوحى اليك القرآن **لانت احب الي من نفسي**
التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الآن نطقت بالحق او ظهر اتصا[فك]
بكمال الايمان فهو متعلق بمقدر وهو مبني على الفتح وال فيه لازمة كما اتفق عليه النحاة
وهو الزمان الحاضر **يا عمر** صرح باسمه اشارة الى انه وصل لرتبة علية تخصه بالنسبة

لبعض من عداه اي لا يكفيك المرتبة الاولى ولا يليق بعلو همتك الاقتصار عليها وانما اقتصر
على الاولى احترازا عن المبالغة لان محبة الامر لنفسه وترجيحها طبيعي لا يسلم منه الا من ملك
نفسه وجاهدها وقال ابن حجر جوابه اولا كان بحسب ما طبع عليه ثم تامل فعرف بالاستدلال
انه احب اليه منها لانه الذي نجاه من الهلاك في الدنيا والاخرة فاخبره بذلك ثانيا ولذا قال
له الآن تحققت ونطقت وقيل معناه لن يؤمن احدكم ايمانا يعتد به حتى يقتضي عقله ترجيح
رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما سواه وفيه سوء ادب ثم قال والحديث يومي الى ان محبة
الرسول صلى الله عليه وسلم امر غير اعتقاد اعظميته كما زعمه المصنف ورده القرطبي ولا وجه
له فان عمر لا يشك انه صلى الله عليه وسلم اعظم من نفسه ومن كل شي ولا يلزم من اعتقاد الاعظمية
المحبة كما لا يخفى والمراد بالحب هنا العقلي الاختياري الذي يقتضي العقل ايثاره وان خالف كمحبة
المريض الدواء لا الطبيعي الذي لا يدخل تحت استطاعته والمراد بالنفس هنا الذات ولوازمها
من الحياة ونحوها وقيل المراد الروح وان فرقوا بينهما واراد بالتي بين جنبيه الشي القايم به
للحياة واضافه اليهما لجري العادة بسلب الحياة بسلب ما بينهما وهو القلب وما يتعلق به
من سائر الاعضا الرئيسة وليس هذا موضع الكلام على الروح انتهى • واثر عمر رضي الله عنه
القسم بعد ما قدره تحقيقا لخلوص طويته في مقالته ولذا قال له صلى الله عليه وسلم الآن
لما علمه منه والله اعلم **وقال سهل بن عبد الله** التستري **من لم ير** اي يعلم ويتحقق يقينا **ولاية
الرسول عليه في جميع احواله** الولاية بكسر الواو وفتحها بمعنى نفوذ حكمه وسلطانه حتى
كانه مملوك له وقال الراغب الولاية بالفتح النصرة وبالكسر تولي الامر وقيل الولاية والولاية
واحدة وهي مصدر نحو الدلالة والدلالة وحقيقتها تولي الامر انتهى والمراد انه لا يخالفه في
امر من اموره **ويرى نفسه في ملكه** بكسر الميم اي مملكة حتى كانه عبده صلى الله عليه وسلم
لا يذوق حلاوة سنته استعارة تصريحية او مكنية وتخييلية والمراد انه اذا اسلم لله
ورسوله بطيب قلب شرح الله صدره لاتباعه والاقتداء به فاشتغل بالاعمال الصالحة وقام
ذلك له مقام الغذاء الحلو اللذيذ وهذا ماخوذ من قوله فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك
فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما **لان النبي صلى الله عليه
وسلم قال لا يؤمن احدكم** اي لا يكمل ايمانه **حتى اكون احب اليه من نفسه الحديث**
منصوب باعني ونحوه وتقدم تمام الحديث ووجه مناسبة كلام سهل لما نحن فيه وما علل به انه
يدل على ان من جعل نفسه تابعة للرسول صلى الله عليه وسلم في اقواله وافعاله تلذذ بالاقتداء به
ولا يستلذ بذلك الا اذا احبه فان المحب لا يخالف محبوبه فيترك مراده لمراده وبهذا دل
على الاحبية وطابقت العلة معلولها كما لا يخفى وقد تقدم قوله • ان المحب لمن يحب مطيع •

فصل في ثواب محبته

صلى الله عليه وسلم بما يرجوه من بركتها في الدنيا ومن سعادتها في الاخرة كما قال
صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب والثواب الجزاء اسند حديثا في ذلك رواه البخاري فقال
حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتي عليه تقدم بيانه والقراءة والاجازة سواء عند المصنف وعند
غيره القراءة اقوى وهو الظاهر **قال حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد** تقدم ايضا والكلام على
التكني بابي القاسم مشهور **قال حدثنا ابو الحسن محمد بن خلف القابسي** كما تقدم **قال**

حدثنا ابو زيد المروزي تقدم ايضا **قال حدثنا محمد بن يوسف** الفربري وقد تقدم
قال حدثنا محمد بن اسمعيل البخاري وقد تقدم **قال حدثنا عبدان** عبد الله بن عثمان
وقد تقدم **قال حدثنا ابي** ابو عثمان بن جبلة بن ابي رواد العتكي الثقة اخرج له اصحاب
السنن **قال حدثنا شعبة** تقدمت ترجمته **عن عمرو بن مرة** الجملي نسبة الى جمل
ابو يحيى احد الاعلام العاملين اخرج له اصحاب الكتب الستة وتوفي سنة ست عشرة ومائة
عن سالم بن ابي الجعد الاشجعي الكوفي توفي سنة خمس وخمسين ومائة واخرج له الستة واسمه
رافع **عن انس ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم** قيل ان الرجل اعرابي لا يعرف
وقيل هو الاعرابي الذي بال في المسجد وقال ابن بشكوال انه ابو موسى الاشعري رضي الله
عنه او ابو ذر رضي الله عنه واحتج بحديثين لا حجة له فيهما وقيل انه اعرابي اسمه ذو الخويصرة
وقيل ان السائل عمير بن قتادة وفي معجم الذهبي انه عمر بن الخطاب او اباذر قيل ولذلك اورد
البخاري هذا الحديث في مناقب عمر رضي الله عنه قلت التعبير برجل من غير تعيين يابى كونه
عمر او غيره من مشاهير الصحابة الا ان يكون الراوي نسيه والظاهر انه اعرابي **فقال متى
الساعة يا رسول الله** ساله عن تعيين زمان وقوعها والساعة جزء من اربعة وعشرين جزءا
من اليوم والليلة ثم اطلق لغة على كل زمان قليل فتقول جلست عندك ساعة اي قليلة ثم شاع
في يوم القيمة وصار حقيقة فيه اما لانه قليل بالنسبة لما بعده من الخلود او بالنسبة لما يقع
فيه من الامور العظيمة وهو مجاز صار حقيقة في عرف الشرع واللغة وقيل سميت بها لقربها
كانها لتحقق وقوعها تقع بعد ساعة او لانها تاتي بغتة او لان البعث من القبور يكون في اسرع
من لمحة ولا يخفى ما فيه **قال ما اعددت لها** اي ما هيات واحضرت لها من الاعمال
الصالحة التي تنفعك فيها اذا قامت وهذا قريب من اسلوب الحكيم لانه ترك جوابه وساله عما
هو عدة له فيها اشارة الى انها لا يعين زمان وقوعها لانه مما لا يعلمه الا الله **قال ما** هي نافية
اعددت لها من كثير بالمثلثة وفي بعض النسخ بالموحدة التحتية وهو صحيح ايضا **صلاة
ولا صيام ولا صدقة** من اضافة الصفة للموصوف اي لم اعد لها ما ينفعني **ولكن احب
الله ورسوله** استدراك على ما ذكره من تفريطه وتركه ما ينفعه اي ليس عندي ما ينفعني
ثمة الا الايمان بالله ورسوله ومحبتهما **قال انت مع من احببت** وفيه جواب له على اتم الوجوه
وتبشير له ولمن احب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ولذا قال في تتمة الحديث ان من حضر
من الصحابة قالوا يا رسول الله ونحن كذلك قال نعم قالوا ففرحنا بذلك فرحا شديدا وليس
المراد بكونه معه انه مساو له في منزلته وعلو مرتبته وانما المراد انه يدخل الجنة في زمرة
المؤمنين وان كانت مراتبهم متفاوتة وقد نظم معنى الحديث الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى
كما تقدم فقال

وقايل هل عمل صالح • اعددته ينفع عند الكرب
فقلت حسبي خدمة المصطفى • وحبه فالمرء مع من احب

ومن شعر الصبا قولي

وحق المصطفى لي فيه حب • اذا مرض الرجاء يكون طبا
ولا ارضى سوى الفردوس ماوى • اذا كان الفتى مع من احبا

وتقدم ايضا **وعن صفوان بن قدامة** الصحابي التميمي المرادي كما قال الذهبي وله
ولابنه صحبة واسمه عبد الرحمن **هاجرت الى النبي صلى الله عليه وسلم** اي سافرت لتلقي النبي

صلى الله عليه وسلم وسلم فاتيته فقلت يا رسول الله ناولني يدك اي امددها لي
كما كان عادته في المبايعة ابايعك مجزوم في جواب الامر والمبايعة الاقرار بما جاء به
واتباعه صلى الله عليه وسلم مفاعلة من البيع نعلمت لما ذكر فناولني يده فقلت يا رسول
الله اني احبك قال المرء مع من احب تقدم تفسيره وكان قدم المدينة مع ابنين له كما ذكره
الترمذي والنسائي وروي هذا اللفظ يعني قوله صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب عن
النبي صلى الله عليه وسلم مخاطبا به من ذكر محبته له عبد الله بن مسعود وابو موسى الاشعري
وانس رضي الله عنهم وابي ذر بمعناه وهذا سبب ما تقدم من اختلافهم في تعيين الرجل الذي
ورد منهما في الحديث السابق ونسبة بعضهم الى الغلط فيه وعن علي بن ابي طالب في حديث
رواه عنه الترمذي ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ بيد حسن وحسين ابني علي رضي الله
عنهم اي امسكها فقال وفي نسخة وقال من احبني واحب هذين اشارة الى السبطين الحسن
والحسين واباهما عليا رضي الله عنه وامهما فاطمة الزهرا اي مال اليهما ميلا اختياريا لله
ورسوله صلى الله عليه وسلم كان معي في درجتي اي رتبتي ومنزلتي قال الراغب الدرجة
تعتبر بالصعود دون الامتداد كدرجة السطح والسلم ويعبر بها عن المنزلة الرفيعة قال تعالى
وللرجال عليهن درجة انتهى يوم القيمة ان اريد بيوم القيمة في الحشر فالمعية على ظاهرها
والمعنى انهم معه صلى الله عليه وسلم في صعيد واحد لقربهم منه وتقدمهم على غيرهم من امته
وسائر الامم وان اريد به الاخرة الشاملة للجنة فالمعية والدرجة عبارة عن زيادة القرب
لا المعية الحقيقية وروي رواه الطبراني وابن مردويه عن عايشة وابن عباس رضي الله
عنهم ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم قال البغوي في تفسيره انه ثوبان مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو صاحب الاذان اي قيل هو عبد الله بن زيد بن ثعلبة
ابن عبد ربه الانصاري الخارجي فقال لانت اللام جواب قسم مقدر احب الي من اهلي
ومالي واني لاذكرك اي اتذكرك في ذهني واتصورك او اذكر اسمك وصفاتك فهو
من الذكر بالكسر والضم فما اصبر عنك اي عن رؤيتك لشدة محبتي لك حتى انظر اليك
فيطمئن قلبي وتقر عيني برؤيتك واني ذكرت موتي وموتك اي انا سنموت وننتقل من هذه
الدار لدار اخرى فعرفت وتحققت انك اذا دخلت الجنة بعد الموت رفعت الى الدرجات
العلى مع النبيين صلوات الله عليهم اجمعين وان دخلتها انا بضم التاء وعبر في جانب
النبي باذا لتحقق دخوله صلى الله عليه وسلم الجنة ورفعته فيها وفي جانبه بان لعدم جزمه
في نفسه بذلك لا اراك بعد الدخول لانك في مقام عال لا يصل اليه غيرك فانزل الله
تعالى ومن يطع الله والرسول صلى الله عليه وسلم في امتثال امره ونهيه وبلوغه محبته له
ايضا ولم تذكر لتعميمها لذكر الرجل لها وعلمه صلى الله عليه وسلم بخلوصه فيها فاولئك مع الذين
انعم الله عليهم بنعيم الجنة وعالي مراتبها ففيه تبشير له بمرافقة اكرم خلق الله واقربهم
وارفعهم منزلة من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بيان للمنعم عليهم بما
اخفي لهم من قرة الاعين وحسن اولئك تعجب اي ما احسنهم رفيقا تمييز ولم يجمع لوقوعه على
الواحد وغيره او لارادة كل واحد منهم فدعا به صلى الله عليه وسلم اي طلب حضور ذلك الرجل
فقراها اي هذه الاية عليه جوابا له وتبشيرا وفي تفسير القرطبي انه لما قراها صلى الله عليه
وسلم عليه دعا الله ان يعميه حتى لا يرى احدا غيره في الدنيا فعمي ونقل بعضهم عن التفسير المذكور

عن مكي

عن مكي والقشيري ان عبد الله بن زيد المذكور لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم قال
اللهم اعمني حتى لا ارى شيئا بعده فعمي من ساعته وقسمهم كما قال البيضاوي اربعة اقسام
باعتبار منازلهم في العلم والعمل وهم الانبيا الفايزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد
الكمال الى درجة التكميل ثم صديقون صعدت نفوسهم تارة الى مراقي النظر في الحجج والايات
واخرى الى معارج القدس بالرياضة والتصفية حتى اطلعوا على ما لم يطلع عليه غيرهم ثم شهدا
بذلوا انفسهم في اعلاء كلمة الله واعلاء الحق ثم صالحون صرفوا اعمارهم في طاعته واموالهم
في مرضاته والمراد بالمعية ما تقدم وفي حديث آخر لم يعز لنا قله كان رجل قيل ثوبان
او من تقدم ذكره قريبا عند النبي صلى الله عليه وسلم اي ملازما لمجلسه ينظر اليه اي
يديم النظر الى وجهه الشريف لا يطرف بفتح اليا وسكون الطا وكسر الرا المهملتين وفا
اي لا يطبق احد جفنيه على الاخر ويغض بصره او يصرفه عنه من طرفة العين من طرف يطرف
كضرب يضرب وما طرف البصر اي تحرك وظاهر قول بعضهم اي لا يغض بصره مطرقا
راميا ببصره الى الارض انه من الاطراق بضم اوله وقاف وهو صحيح ايضا لكني لا اعرف هل هو
رواية او تحرف عليه او تسامح في تفسيره فقال له صلى الله عليه وسلم ما بالك اي ما
شانك حتى تحد النظر وتديمه كالمبهوت قال افديك بابي وامي جريا على عادتهم فيمن يحبو
ويجلونه اتمتع بالنظر اليك اي اتلذذ بادامة نظري في وجهك ما دام ممكنا في الدنيا
لانتفع به واتزود منه فاذا كان يوم القيمة وبعدها رفعك الله الى المنازل العالية في
جواره بتفضيلك اي بسبب تفضيل الله لك على سائر مخلوقاته فانزل الله الاية المذكورة
يعني قوله ومن يطع الله والرسول الخ وفي حديث انس رضي الله عنه الذي رواه الاصبهاني
في ترغيبه وسياتي اخراج المصنف له بطوله في فصل علامة محبته ومن احبني كان معي
في الجنة اي قريبا مني متمكنا من رؤيتي وزيارتي وليس المراد المعية الحقيقية كما تقدم
اللهم وفقنا لمحبته هـ

فصل في ما روي عن السلف

من العلما والصلحا والايمة وفي نسخة بعكسه الايمة والسلف وهو من عطف الخاص على
العام وقد يفسران بما يقتضي المغايرة فيفسر بعضهم السلف بالصحابة والتابعين
والايمة اتباع التابعين ومن بعدهم من محبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وشوقهم له
والمحبة الميل الروحاني طبيعيا كان او مكتسبا اختياريا والمحبة تكون في الحضور والغيبة
والشوق انجذاب النفس فهو اخص من المحبة وقال القيصري رحمه الله تعالى في شرح قول
ابن الفارض قدس سره هـ

وما بين شوق واشتياق فنيت في ... تولٍ بحظر او تجل بحضرة

الشوق انجذاب باطن المحب الى محبوبه حال الفراق والاشتياق انجذابه حال الوصال
لنيل زيادة او دوامها انتهى والفرق المذكور اما من اللغوي او هو اصطلاح للقوم
حدثنا القاضي الشهيد بن سكرة وقد تقدم قال حدثنا الرازي تقدم وهو نسبة الى
الراز على خلاف القياس قال حدثنا العذري نسبة لبني عذرة وقد تقدم قال حدثنا
الجلودي تقدم بيانه وبيان نسبته قال حدثنا ابن سفيان هو ابراهيم بن محمد بن سفيان
كما تقدم قال حدثنا مسلم امام السنة وصاحب الصحيح كما تقدم قال حدثنا قتيبة بن سعيد

واختلف في اسمه فقيل يحيى وقيل علي وقيل سيار قال حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن
القاري نزيل الاسكندرية الثقة اخرج له الستة وتوفي سنة احدى وثمانين ومائة
عن سهيل تقدم بيانه عن ابيه هو صالح السمان المعروف بذكوان عن ابي هريرة رضي الله
عنه في حديث صحيح رواه مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اشد امتي لي حبا
منصوب على التمييز ولم يقل احب مع انه اخصر لان هذا ابلغ وان وافق السماع والقياس لدلالته
صريحا على المراد وكونه بالصيغة والمادة كقوله تعالى اشد قوة دون اقسى وانمي بن التبعيضية
لانهم مثل من كان في عصره وهو احب اليه من نفسه واهله ومن لم يفهم هذا مع ظهوره قال
للحب يتفاوت شدة وضعفا وتيقن مفهوم قوله لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه ولا
شيء فوقه الا ان يقال انهم من جملة من بلغ هذا المبلغ في محبته انتهى والتفضيل يختلف بجهاته
لشدة محبته من لم يره الداخل في الايمان تفضل غيرها بهذا الاعتبار ولذا قال ناس يكونون
بعدي فبين اشديته بهذا وبقوله يود احدهم اي يحب ويرغب في انه لو رآني ببصره وشاهدني
ولو للتمني باهله وماله الباء هنا للبدلية والمقابلة كبعته بكذا اي يتمنى لو بذل اهله
وماله لاجل رؤيته وفي لو في مثله اقوال فقيل انها شرطية محذوفة الجواب ومفعول
يود محذوف اي يتمنى رؤيتي ويودها ببذل كل ما يعز عليه والتقدير لو رآني بمقابلة كل شيء له فعل
وقيل انها مصدرية وهي مع ما بعدها مفعول يود وقيل انها حرف تمن كما بينه النحاة ومثله اي
بمعناه قريب منه لفظا عن ابي ذر الغفاري الصحابي المشهور وقد تقدم حديث عمر وقوله
للنبي صلى الله عليه وسلم لانت احب الي من نفسي وتقدم تفصيله في الفصل الذي قبل
هذا وما تقدم عن الصحابة كثوبان وصفوان وغيرهما في مثله من كونه احب اليهم من انفسهم
وعن عمرو بن العاص بحذف الياء واثباتها وقفا ما كان احد احب الي من رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهذا من حديث صحيح طويل رواه مسلم فيه انه بكى عند موته وقال بعد ما ذكر
مبايعته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وطلب منه ان يدعو له بمغفرة ما صدر منه وانه كان
ابغض الناس له واحرصهم على قتله وبعد ما بايعه واسلم قال ما كان احد احب الي من رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولا اجل في عيني منه وما كنت اطيق ان املأ عيني منه اجلالا له
حتى لو قيل لي صفه ما استطعت ان اصفه الخ وعن عبدة بنت خالد بن معدان بفتح الميم
وسكون العين وفتح الدال المهملتين والف ونون تقدم الكلام عليه واما بنته عبدة بفتح
العين المهملة وسكون الموحدة ودال مهملة قال البرهان الحلبي لا اعرفها وفي الصحابة
عبدة بنت صفوان ذكرها الحاكم قالت ما كان خالد يعني اباها يأوي الى فراشه اذا
اراد النوم ليلا وخصت هذا الوقت لان المرء فيه يتذكر من يهواه غالبا كما قال الشاعر

نهاري نهار الناس حتى اذا بدا • لي الليل هزتني اليك المضاجع •

الا وهو يذكر من شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم استثناء من اعم الاحوال
اي لم يكن له غير هذه الحالة والى اصحابه الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لخالد
من المهاجرين والانصار وخالد الكلاعي الحمصي لقي سبعين رجلا من الصحابة يسميهم
اي يعدهم باسمائهم ويقول هم اصلي وفصلي يعني اني افتخر بهم وانتسب اليهم دون
آبائي وقبيلتي كذا قيل من غير نقل وهو اتباع وفي المجمل الاصل وفضل اي حسب ولسان
وكذا في الصحاح وعن ثعلب قولهم لا اصل له ولا فصل الاصل الوالد والفصل الولد هذا

ما ذكر

ما ذكره اهل اللغة والظاهر ان المراد ان عليهم عملي وبهم افضل واحكم فليحرر
واليهم لا الى غيرهم يحن قلبي اي يشتاق بتذكرهم عهودهم طال شوقي اليهم لبعد
عهدي بهم وطول مفارقتي بموتهم فعجل يا رب قبضي اليك اي عجل موتي حتى القاهم
ولا يزال يردد ذلك حتى يغلبه النوم اي حتى ينام ويستغرق في نومه فيترك قوله
هذا وتمني الموت وان كان مكروها فانه يجوز اذا خاف فتنة في دينه فلعل خالدا كان
كذلك وسيأتي لهذا مزيد بيان عن الحكيم الترمذي وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه
وفي نسخة وروي انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم كما رواه ابن عساكر في تاريخه عن
ابن عمر رضي الله عنهما والذي بعثك بالحق اي بالدين الحق وهو قسم لاسلام ابي
طالب جواب القسم يعني عمه صلى الله عليه وسلم كان اي اسلامه اقر لعيني اي اسر
واحب عندي وهو من قرة عيني من القر وهو البرد لان دمع السرور بارد ودمع الحزن حار
او من القرار والثبات فان العين اذا رأت ما يسرها سكنت ولم تلتفت لغيره من اسلامه
يعني اباه ابا قحافة رضي الله عنه وابو قحافة رضي الله عنه هو ابو الصديق وهو
عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم اسلم يوم الفتح وحسن اسلامه وبقي بعد
ابنه حتى توفي سنة اربع عشرة وليس في الصحابة من اسمه ابو قحافة غيره وغير ابي
قحافة كما ذكره الذهبي وسقط من بعض النسخ هنا لفظ اباه وذلك المذكور من كون
اسلام ابي طالب اقر لعينه من اسلام ابيه ان اسلام ابي طالب كان اقر لعينك
اي احب اليك من كثير من الامور فانه كان يحبه حبا شديدا وكان بمنزلة والده اذ كان
في كفالته وكان صلى الله عليه وسلم يتمنى ان يهديه الله للاسلام فمات كافرا وهذا الحديث
رواه احمد وابن اسحاق وابو حاتم وليس في قول المصنف وروي كما في بعض النسخ تمريض له
كما توهم حتى يعترض عليه بانه صحيح تعددت طرقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم الفتح دخل المسجد فاتاه ابو بكر رضي الله عنه بابيه يقوده وكان قد عمي فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم هلا تركت الشيخ في بيته حتى اكون انا آتيه فقال ابو بكر
يا رسول الله هو احق ان يمشي اليك فاجلسه صلى الله عليه وسلم بين يديه ثم مسح صدره وقال
له اسلم فاسلم وراسه كالثغامة بياضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غيروا هذا بشيء
اخضبوه ولما سر باسلامه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر والذي بعثك بالحق
الخ وفيه من محبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى حيث قدم ما يسره على ما يسره
تعلق بماله على نفسه • واعلم ان ابا طالب كانت محبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفته
بانه رسول الله وتصديقه في قلبه محققة لكن الله لم يهده للاسلام وفيه حكمة عظيمة وهي
انه صلى الله عليه وسلم كان في جواره وحمايته ظاهرا حتى ما كان احد يجترئ عليه فلو اسلم
لم يقبلوا جواره اذ لا جوار لمسلمين عندهم فختم الله على لسانه لذلك ولذا لما مات لزمت
الهجرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم واهل بيته وهذا مما تفطن له العلماء كابن القيم في الهدي
النبوي وصاحب الامتاع ونحوه اي في معنى ما رواه البيهقي والبزار عن ابن عمر عن عمر
بن الخطاب رضي الله عنه انه قال للعباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تسلم بكسر
همزة ان الشرطية ان كان قاله له قبل اسلامه وبفتحها على انها مصدرية ان كان بعده والصحيح
الثاني لما يأتي احب الي من اسلام الخطاب اباه لان ذلك اي اسلام العباس احب

الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم ما يحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما يحبه نفسه
وكان قوله ذلك له في فتح مكة لما اشرف النبي صلى الله عليه وسلم على مكة وركب العباس بغلته
صلى الله عليه وسلم واركب ابا سفيان بن حرب خلفه وهو كافر وركضها فرآه عمر فقال ابو سفيان
عدو الله الحمد لله الذي امكنني منك فاستمر جريه حتى دخل به على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعمر خلفه فقال دعني اضرب عنقه فقال العباس اني اجرته يا رسول الله فلما اكثر
عمر في شانه قال مهلا يا ابن الخطاب لو كان من رجال بني عدي ما قلت مثل هذا فقال مهلا
يا عباس لاسلامك يوم اسلمت احب الي من اسلام الخطاب لو اسلم الخ وعن ابن اسحاق
صاحب السيرة وقد تقدمت ترجمته وهذا رواه ايضا البيهقي عن اسماعيل بن محمد عن ابن سعد
بن ابي وقاص مرسلا ان امراة من الانصار هي من بني دينار ولم يسمها قتل ابوها واخوها
وزوجها يوم احد جبل كانت عنده الغزاة المشهورة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم شهيدا
فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس المراد السؤال عن فعله حقيقة وانما المراد
السؤال عن سلامته وحياته وعبرت بذلك تأدبا لان الفعل يستلزم الحياة فاريد لازمه
قالوا خيرا اي فعل خيرا او المراد انه بخير ولذا قال بعده هو بحمد الله كما تحبين اي سالم مظفر
منصور قالت لمن سألته ارنيه اي دلني عليه حتى اراه واتلذذ بمشاهدته وفي نسخة اروني
فلما راته بعد ما دلها عليه قالت كل مصيبة تصيب المال والاهل بعدك اي بعد سلامتك
ووجودك جلل بفتح الجيم واللام الاولى اي هينة لا ابالي به ولا احزن عليه ويكون
جلل بمعنى عظيم ايضا لانه من الاضداد والمراد الاول وشاهد الاول قول امرئ القيس

يقتل بني اسد ربهم • الا كل شي سواه جلل •

والثاني قوله

فلان عفوت لاعفون جللا • ولين سطوت لاوهنن عظما •

وهو دليل على قوة ايمانها وتقديمها محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم على محبة غيره من الاهل
وسئل علي بن ابي طالب كرم الله وجهه اي ما مقداره في شدة قال كان والله احب
الينا من اموالنا واولادنا وابائنا وامهاتنا بضم الهمزة وكسرها مع فتح الميم وكسرها
جمع امهة بمعنى ام لغة فيه الا انه يختص ببني آدم قال امهتي خندف والياس ابي •
ويقال في البهائم امات ومن الماء البارد على الظما بمعنى شدة العطش ويمد ويقصر والافصح
قصره واعاد الجار لانه نوع آخر مما يحب ولكثرة منفعته وخص الظما لانه حال محبته وشدة
الرغبة فيه وعن زيد بن اسلم الفقيه العمري توفي سنة ست وثلاثين ومائة اخرج له اصحاب
الكتب الستة وله ترجمة في الميزان قال خرج عمر رضي الله عنه من بيته لازقة المدينة
ليلة يحرس الناس على عادته في خلافته اذ كان يدور في الازقة ويحرس ليعرف حال الناس
فراى مصباحا موقدا في بيت فقصده ليرى ما في البيت الذي هو فيه فراى عجوزا اي امراة
مسنة ويقال عجوزة ايضا تنفش صوفا بضم الفاء وشين معجمة ونفش الصوف والقطن اصلاحه
معلوم وهي تقول اي تنشد شعرا من بحر السريع على محمد صلاة الابرار بمعنى الصلاة
مشهور وعلى متعلق بصلاة او بمقدر ويجوز تقديم الظرف على المصدر لتوسعهم فيه والابرار
جمع بر او بار وهو كل مطيع لربه متق اي ادعو له بكل ما تدعو به الابرار صلى عليه
المطيعون الاخيار المراد بالمطيعين المتقون الذين طابت ظواهرهم وسرائرهم والاخيار
جمع خير مخفف او جمع خير بمعنى اخير وانقى قد كنت قواما بكا بالاسحار قواما اي متهجدا

لان القيام يختص بصلاة الليل اي كثير القيام للعبادة وبكا بضم الباء والقصر مصدر
بمعنى اسم الفاعل اطلق عليه مبالغة وهو يمد ويقصر والاسحار جمع سحر وهو آخر الليل والبا
بمعنى في هذا هو الصواب رواية ودراية وما قيل من ان بكا بتشديد الكاف والكلام سجع لا نظم
لانكسار الوزن وكذا ما قيل من ان بكا ممدود مضاف للاسحار بل وزن ياء والاضافة على معنى في
تكلف وتعسف يا ليت شعري والمنايا اطوار شعري بمعنى علمي وهو اسم ليت وخبره محذوف
اي حاصل وقوله هل تجمعني وحبيبي الدار قائم مقام شعري معمول على عنه والمنايا
جمع منية وهي الموت من منى بمعنى تصير وتقدر واطوار جمع طور وهو الحال اي امور شتى
مختلفة ومرادها بالحبيب النبي صلى الله عليه وسلم والظاهر ان مرادها بالدار الآخرة اي هل
اراه صلى الله عليه وسلم بعد الموت فانه مقدر له اسباب مختلفة كما قيل

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره • تعددت الاسباب والداء واحد •

وقيل المعنى هل تجمعنا الدار ويحول بيني وبينه الموت فالمراد بالدار الدنيا وليس بمناسب هنا
وهذه القصة حكاه ابن المبارك في كتاب الزهد وفيه فما زال عمر رضي الله عنه يبكي وطرق عليها
الباب فقالت من هذا فقال عمر بن الخطاب فقالت ما لي ولعمر في هذه الساعة فقال افتحي
رحمك الله فلا باس عليك ففتحت له فدخل عليها وقال ردي الكلمات التي قلتها آنفا فردتها
فقال ادخليني معكما وقولي وعمر فاغفر له يا غفار تعني تقصد بقولها حبيبي النبي صلى
الله عليه وسلم وفيه مناسبة لما نحن فيه وجلس عمر رضي الله عنه يبكي وفي الحكاية التي
نقلها ابن المبارك طول اقتصرنا منها على المراد منها وروي ان ابن عمر رضي الله عنهما رواه ابن
السني في عمل اليوم والليلة خدرت رجله بفتح الخاء المعجمة وكسر الدال وفتح الراء المهملتين
اي اصابها خدر وهو امر يعتري الرجل لما يصيب العصب فيمنع عن تحريكها بسهولة ويزول
سريعا لانه لو امتد كان فلجا او من مقدماته فقيل له اذكر احب الناس اليك لان الناس
جربوا في الخدر ان من اصابه اذا ذكر محبوبه زال بسهولة لانه بمسرته تنتعش الحرارة الغريزية
فينتفع الخدر فصاح يا محمداه يعني به صلى الله عليه وسلم لانه احب الناس اليه والى كل
مؤمن كامل ويا محمداه مفعول صاح لتضمينه معنى القول او القول مقدر بعده كما هو مشهور في
امثاله عند النحاة ومن قال انه لم يعطف على جملة صاح لكمال الاتصال بينهما فهو كابو حفص
عمر عطف بيان لم يصب المحز فانتشرت رجله اي امتدت لزوال خدرها وهذا يقتضي صحة
ما جربوه وقد روي انه وقع مثله لابن عباس رضي الله عنهما وذكره النووي في اذكاره وقد
روي ايضا عن غيرهما وفيه يقول ابو العتاهية هـ

وتخدر في بعض الاحايين رجله • فان لم يقل يا عتب لم يذهب الخدر •

وهذا مما تعاهده اهل المدينة وقوله يا محمداه بالف وهاء للندبة في النداء لمن يتوجع او يتفجع
كما قرره النحاة ولما احتضر بلال رضي الله عنه بالبناء للمجهول اي حضرته الملائكة لقبض
روحه نادته امراته اي صاحت باعلى صوتها واحرباه بفتح الحاء والراء المهملتين وبا موحدة
وهو في الاصل النهب والسلب من حربته اذا سلبته ماله وما يعيش به قيل فكانها لتفجعها
لموته نهبت وسلبت وفي القاموس قيل ان اصله ان حرب بن امية لما مات قيل في نعيه
واحرباه ثم نقل ذلك بمعنى عم في كل بغي وحرب كعمارة وواحرف ندبة والمندوب اما ميت
ينعى او امر يتفجع منه نحو يا حسرتنا وقيل انه روي حزناه بفتح الحاء المهملة والزاي المعجمة

يا

برعية

او بضم اوله وسكون ثانيه وروي ايضا حوباه بفتح الحاء والواو ساكنة تليها باء موحدة من
الحوب وهو الاثم والمراد انها اشرة جزعها وقلقها في المصيبة فهي تتفجع على نفسها او هو من
الحوبة بمعنى رقة القلب وهو تكلف والرواية الاولى لما تقدم فقال بلال رضي الله عنه ردا
لما قالته واطرباه الطرب خفة تعتري المرء لحزن او سرور فهو مشترك بينهما والمراد هنا
الثاني والف هنا للندبة والالف والهاء مزيدتان في آخره وملاقاة الاحباب لعلمه بان الارواح
تتلاقى في البرزخ كما اشار اليه بقوله غدا القى الاحبة ٭ محمدا وحزبه ٭
محمدا وحزبه بيان للمراد بالاحبة والحزب الجماعة المتحزبين اي المجتمعين والمراد بهم الصحابة
رضي الله عنهم والمراد بقوله غدا الزمان المستقبل بعد الموت وروي نلقى الاحبة ٭ محمدا وصحبه
وهذا بيت مجزوء بحر الوافر وفيه زحاف يعلمه من له خبرة بعلم العروض ذكره القشيري
رحمه الله ومثله روي عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما وروي ان امراة قالت
لعائشة رضي الله عنها اكشفي لي عن قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لها لانه كان
في بيتها وكان مستورا عن الناس تكريما له صلى الله عليه وسلم فكشفته لها برفع الستارة
عنه فبكت حتى ماتت لشدة محبتها للنبي صلى الله عليه وسلم وهذا لم يخرجوه وروى البيهقي
عن عروة انه لما اخرج اهل مكة زيد بن الدثنة بفتح الدال المهملة وكسر المثلثة وتشديد
النون وهاء تانيث اسم والده من قولهم دثن الطاير اذا طار حول وكره ولم يسقط عليه او من
دثن اذا اتخذ عشا وهو زيد بن الدثنة بن معاوية بن عبيد بن معاوية بن عامر بن بياضة
الخزرجي الصحابي وكان اسر يوم الرجيع من الحرم ليقتلوه فقتل صبرا وانما اخرجوه
لانهم كانوا لا يقتلون فيه تعظيما له وكان قتله في السنة الثالثة من الهجرة قال له قبل قتله
ابو سفيان بن حرب والد معاوية قبل اسلامه وقيل ان الذي قيل له ذلك خبيب بن عدي
حين رفع على خشبة فقال لا فضحكوا منه كما نقله ابن سيد الناس في سيرته عن ابن عقبة
وما ذكره المصنف رواية ابن اسحاق انشدك الله وانشدك بفتح الهمزة وضمها يقال نشدته
وانشدته اذا سالته وفي القاموس نشد فلانا عرفه وبالله استحلفه وقال له نشدتك
الله اي سالتك بالله ونشدك الله بالفتح انشدك الله وقد ناشده مناشدة ونشادا حلفه
والله منصوب بنزع الخافض اي اسالك بالله وفي النهاية انه متعد لمفعولين وقال الوقشي
الصواب نشدتك الله فليحرر يا زيد اتحب ان محمدا الآن عندنا مكانك نضرب عنقه
فيقتل حماه الله من ذلك وانك بفتح الهمزة سالما مقيما في اهلك فقال زيد رضي الله عنه
والله ما احب وارضى ان محمدا في مكانه الذي هو فيه مقيم تصيبه شوكة اي اقل
شيء من الاذى فضلا عما قلتم وانا جالس في اهلي سالم من الاذى وهو متاذ فقال ابو سفيان
ما رايت احدا من الناس ما نافية لا تعجبية كما توهم وان كان مراده بهذا الكلام التعجب من
شدة محبة اصحابه محمدا له يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا مفعول حب المصدر وهذه القصة
مفصلة في السير لا نطيل بذكرها هنا وعن ابن عباس رضي الله عنهما فيما رواه ابن جرير
والبزار كانت المراة اذا اتت النبي صلى الله عليه وسلم مهاجرة الى المدينة احلفها بالله
وفي نسخة حلفها بالتشديد وهما بمعنى اي كلفها القسم بالله انها ما خرجت من ارضها وبلدها
من بغض زوج لها نافرة منه ولا راغبة بارض الى في ارض عن ارض خرجت منها
وانها ما خرجت من ارضها لشيء الا حبا لله ورسوله فهي هجرة خالصة لله وفيه وجوب

محبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وهو الذي قصده المصنف هنا وكان ذلك لما وقعت
الهدنة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركين وشرطوا عليه صلى الله عليه وسلم
ان يرد عليهم كل من اتاه من اهل مكة ولو كان مسلما فرد ابا جندل رضي الله عنه ولم يرد النسا
اما لعدم دخولهن في العهد او لان الله نسخه صونا للفروج ولضعفهن فكان صلى الله عليه
وسلم لا يرد من ظهر اسلامها وامره الله بامتحانهن باستحلافهن بما ذكر فاذا حلفن اعطى مهورهن
ونفقتهن وهو المراد بقوله تعالى فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار الآية وبما ذكرنا
سقط ما قيل في نظم هذا في هذا الفصل نظر ووقف ابن عمر رضي الله عنه كما رواه ابن سعد
على عبد الله ابن الزبير بعد قتله رضي الله عنه حين قتله الحجاج وصلبه على جذع وقد حاصره
ثم قتله سنة ثلاث وسبعين يوم الثلاثا سابع عشر جمادي الاولى او الاخرة كما فصل في التواريخ
فاستغفر له اي دعا له ابن عمر بالمغفرة وقال ابن عمر مخاطبا له بعد موته كنت والله فيما
علمت اي فيما ثبت وتحقق في علمي بك صواما اي مبالغا في الصوم وكثرته قواما
اي كثير القيام والتهجد كما مر قيل انه كان رضي الله عنه قسم لياليه ثلاثة اقسام ليلة
يصلي قائما الى الصباح وليلة راكعا الى الصباح وليلة ساجدا الى الصباح تحب الله ورسوله
اي مخلصا في محبتهما موثرا لهما على كل شيء حتى على نفسه واهله اما عبادته رضي الله عنه
وتوجهه الى الله فيها فنقل عنه امور عجيبة فكان اذا تواجد انتصب كانه جذع لا يعي شيئا
ولا يتحرك حتى يقع عليه الطير ورمي بحجر من المنجنيق وهو يصلي في ايام محاصرته فلم يقطع
صلاته وقد جذبته مغناطيس المحبة ان دفن قريبا منه صلى الله عليه وسلم فانهم لما انزلوه
عن جذعه الذي صلب عليه غسلته امه اسما بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما بعد ان
قطعت مفاصله وحنطته وكفنته وصلت عليه وحملته الى المدينة ودفنته في دار
ام المؤمنين رضي الله عنها وهذه الدار زيدت في المسجد النبوي على افضل الصلاة واشرف السلام

فصل في علامة محبته عليه الصلاة والسلام

اي في ذكر صفات تدل على ان من اتصف بها محب له صلى الله عليه وسلم اعلم امر لكل
من توجه اليه الخطاب من غير تعيين سد مسد مفعوليه قوله ان من احب شيئا اثره
اي اختاره وقدمه على غيره وهو بفتح الهمزة والمد كقوله وآثر موافقته في اقواله وافعاله
والا اي وان لم يوثر موافقته ويوثره واصله وان لا بان الشرطية ولا النافية لم يكن
صادقا في دعوى المحبة كما قال في حبه وكان مدعيا اي كاذبا في دعواه لان المدعي
وان عم عند الاطلاق ولكن يقال مسيلمة مدعي النبوة ولا يقال مثله في حق النبي صلى
الله عليه وسلم كما قال
وكل يدعي وصلا لليلى ٭ وليلى لا تقر لهم بذاكا ٭
وقال
ولما ادعيت الحب قالت كذبتني ٭ فما لي ارى الاعضاء منك كواسيا
فما الحب حتى يلصق القلب بالحشا ٭ وتذهل حتى لا تجيب المناديا ٭
فالصادق في حب النبي صلى الله عليه وسلم من يظهر عليه علامات ذلك الحب
الذي ادعاه بحيث لا يخفى واولها اي اول تلك العلامات الاقتداء به صلى الله عليه
وسلم باتباع اقواله وافعاله وآثاره واستعمال سنته اي العمل بها واتباع اقواله وافعاله
فلا يخالفها وامتثال اوامره واجتناب نواهيه بان يفعل ما امر به ويترك ما نهى عنه

بقدر استطاعته قال ابن هشام في تذكرته ومن خطه نقلت قال الاصوليون الامر بمعنى القول المخصوص يجمع على اوامر بمعنى الفعل او الشان على امور ولا يعلم من وافقهم الا الجوهري وفي التهذيب خلافه ولم يذكر النحاة ان فعلا يجمع على فواعل وفي شرح البرهان قول الجوهري غير معروف وصحح بوجوه الاول انه جمع امر لانه اسم او صفة لما لا يعقل وهو مجاز لان الامر الشخص لا القول ولم يقولوا انه مجاز وصرح جوابا بانه جمع امر فكيف يخرج عليه كلامهم • الثاني انه جمع آمرة وهي الصيغة وفيه ما مر وقال ابن سيده امرة مصدر كالعافية وعليه جرت هذه الصيغة ورد بانه لا يتاتى لان معناها ايجاد الطلب لا الصيغة • الثالث انه جمع الجمع جمع على افعل وجمع افعل على افاعل ورد بان اوامر فواعل لا افاعل والابدال فيه مطرد وقال الاصفهاني في شرح المحصول هذا التوجيه لا يتم في النواهي وكونه جمع ناهية مجازا تكلف وكونه لمشاكلة الاوامر يرده استعماله مفردا انتهى **والتادب بادابه** الادب حسن تناول الامور والتلطف فيها والمراد التخلق باخلاقه صلى الله عليه وسلم في الكرم وحسن الشيم والادب غلب في العرف على هذا المعنى **في عسره ويسره** بضمتين فيهما ويمكن تخفيفا في الشدة والرخا والضمير للنبي صلى الله عليه وسلم او لصاحب الحالة المصدر به **ومنشطه** اي في نشاطه وخفته **ومكرهه** اي كراهته لامر يحمله من غيره وميمهما مفتوحة **وشاهد هذا** المذكور كله اي ما يشهد له ويدل عليه حتى كانه شهد به واثبته **قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله** جعل محبة الله لازمة لاتباع رسوله صلى الله عليه وسلم ومن احب الله احب رسوله فكانه قال ان كنتم تحبوني فاتبعوني وبهذا ظهر مطابقة هذه الاية لما عقد له الفصل **وايثار ما شرعه** من احكامه الواجبة وغيرها **وحض عليه** اي حث الناس على فعله وحرضهم عليه **على هوى نفسه** اي ما تهواه وتميل اليه **وموافقة شهوته** اي ما تشتهيه نفسه وتميل اليه الطبيعة لان الاشتهاء ميل طبيعي غير مقدور ولذا يعاقب المكلف بارادة المعاصي عند بعضهم ولا يعاقب باشتهائها والشهوة مغايرة للارادة لان الشهوة توقان النفس الى الامور المستلذة والارادة قد تتعلق بنفسها بخلاف الشهوة فانه لا تتعلق بنفسها بل بالذات فان تعلقت بنفسها كانت مجازا عن المجازاة كما في قوله اشتهي **قال الله تعالى والذين تبوؤا الدار** اي سكنوها واستقروا بها وهم الانصار والمراد بالدار المدينة **والايمان** اي واخلصوا الايمان وعطفه على الدار على حد قوله • وزججن الحواجب والعيون او جعل الايمان لملازمتهم له كالمنزل المستقر فيه ساكنه وتحقيقه في الكشاف وشروحه **من قبلهم يحبون من هاجر اليهم** من المؤمنين **ولا يجدون في صدورهم** اي في قلوبهم وانفسهم وما وقع في بعض النسخ في انفسهم سهو من الكاتب **حاجة مما اوتوا** اي لا يخطر ببالهم وتطمح انفسهم الى ما اعطي المهاجرين من فيء وغيره حسدا وطمعا **ويؤثرون على انفسهم** اي يقدمون المهاجرين على انفسهم تكرما منهم **ولو كان بهم** اي فيهم **خصاصة** احتياجا وفاقة لما آثروهم به وسبب نزول هذه الاية انه صلى الله عليه وسلم قسم بين الصحابة غنايم بني النضير ولم يعط الانصار منها الا ثلاثة من فقرائهم وقال لهم ان شئتم اشركتكم معهم وقسمتها لهم من دياركم واموالكم وان شئتم كان لكم اموالكم ودياركم ولاء فاخذ واهنه شا فقالوا بل نؤثرهم بالفيء ونقسم لهم من ديارنا واموالنا فلله درهم ما اكرمهم واعونهم على البر والتقوى

وهذا كله محبة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم وكان المهاجرون قبل ذلك نزلوا دور الانصار فلما فتح الله عليهم فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم **وارضاء العباد** اي اغضابهم عليهم بمخالفتهم **في رضى الله** اي فيما يرضيه وهذا وما قبله معطوف على الايثار وهذا كما قال الحريري ⊙

وابغ رضى الله فاغبى الورى • من اغضب المولى وارضى العبيد •

حدثنا القاضي ابو علي الحافظ هو ابن سكرة وقد تقدمت ترجمته **قال حدثنا ابو الحسين الصيرفي** تقدم ايضا وفي نسخة الحسين وهو سهو **وابو الفضل بن خيرون** تقدم ايضا **قالا حدثنا ابو يعلى البغدادي** الذي يقال زوج الحرة كما تقدم **قال حدثنا ابو علي السنجي** تقدم ايضا **قال حدثنا محمد بن محبوب** تقدم ايضا **قال حدثنا ابو عيسى** هو الامام الترمذي صاحب السنن وهو محمد بن عيسى بن سورة كما تقدم **حدثنا مسلم بن حاتم** الانصاري امام جامع البصرة **حدثنا محمد بن عبد الله الانصاري** هو محمد بن عبد الله بن المثنى الانصاري قاضي البصرة الامام الثقة توفي في رجب سنة خمسة عشر ومايتين وله ترجمة في الميزان **عن ابيه** هو عبد الله بن المثنى البصري وقد وثقوه وله ترجمة في الميزان **عن علي بن زيد** بن عبد الله بن ابي مليكة زهير بن عبد الله بن جدعان بن عمرو ابن كعب الضرير احد الحفاظ وان قيل فيه لين وليس بثبت واخرج له الاربعة وله ترجمة في الميزان توفي سنة احدى وثلاثين او تسعة وعشرين ومائة **عن سعيد بن المسيب** تقدم ايضا **قال قال انس بن مالك** الصحابي المشهور **قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني** تصغير بتشديد اليا ويجوز كسرها وفتحها والتصغير للشفقة والمحبة وكان خادمه صلى الله عليه وسلم وفيه دلالة على انه صلى الله عليه وسلم ابو المؤمنين كما ان زوجاته رضي الله عنهن امهاتهم وبناته اخواتهم وقد وقع اطلاق هذا كله في الاحاديث الصحيحة وقرئ وازواجه امهاتهم وهو اب لهم وقوله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم المنفي فيه ابوة النسب حقيقة خلافا لمن لم يجوز اطلاقه عليه صلى الله عليه وسلم عملا بظاهر الاية والصحيح خلافه **ان قدرت ان تصبح وتمسي** اي ان امكنك ذلك ولم يمنعك منه مانع اي على ان الخ لان حذف الجار هنا مطرد والمراد بالاصباح والامسا جميع زمانه لا خصوصهما اذ لا وجه للتخصيص وهما فعلان تامان وقوله **ليس في قلبك غش لاحد** جملة حالية بدون تقدير قد لجموده فعلها او هي خبر وهما ناقصان والغش بكسر الغين المعجمة ضد النصح والمراد به هنا مجازا غل وحقد وهو المراد اذا اضيف للقلب ولو كان على ظاهره فهو بتقدير مضاف اي نية غش والاول احسن واقرب **فافعل** اي فكن مداوما على ذلك **ثم قال** صلى الله عليه وسلم **لي يا بني وذلك** اي بنزع الغش من القلب **من سنتي** اي طريقتي واخلاقي **ومن احيا سنتي** اظهرها واتبعها **فقد احبني** اي علم حبه لي وهذه رواية والذي في الترمذي فقد احياني وهو الظاهر **ومن احبني كان معي في الجنة** لان المرء مع من احب كما تقدم والمحب الصادق لا يخالف من احبه بل يقدم مراده على مراده لانه احب اليه من نفسه **فمن اتصف بهذه الصفة** اي باحيا السنة واتباعها وقيل المراد بالصفة ان لا يكون في قلبه غش لاحد **فهو كامل المحبة لله ورسوله** **ومن خالفها** اي خالف السنة **في بعض هذه الامور** كترك بعض ما امر به او بعض ما نهي عنه احيانا **فهو ناقص المحبة** لا كاملها **ولا يخرج** بارتكاب البعض **عن اسمها** اي عن الاتصاف بها وتسميته محبا

في الجملة ولا ينافي هذا ما قاله • وقوله هم

لو كان حبك صادقا لاطعته • ان المحب لمن يحب مطيع •

لان ذلك في المحبة الكاملة التي هي محبة الخواص لا على نهج قوله لا يزني الزاني وهو
مؤمن ولذا عقبه بقوله **ودليله** اي دليل ان بعض المخالفة لا يخرجه عن اتصافه
بالمحبة قوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البخاري عن عمر رضي الله عنه **للذي حده
في الخمر** اي اقام عليه الحد لشربه الخمر واللام كهي في قوله وقال الذين كفروا للذين آمنوا
لو كان خيرا ما سبقونا اليه اي قوله في حقه وشانه وهي في الحقيقة لام تعليل والصحابي
الذي حد في الخمر في هذا الحديث قيل هو عبد الله الملقب بحمار باسم الحيوان بحاء مهملة
وقيل بل هو بخاء معجمة مكسورة وانه الصواب وقيل ابن نعيمان او نعيمان نفسه ابن عمرو
بن رفاعة البدري وهو الذي حد في الخمر مرارا وهو صاحب الدعابة الذي كان صلى الله
عليه وسلم يضحك منه توفي في زمن معاوية وصحح هذا وقصة حمار اخرى كانت بخيبر
وقيل انه هو نفسه وقال الحافظ الدمياطي ذكون هذا الرجل حمار وهم وانما هو نعيمان
وحمار هنا معدود في الصحابة ولم يذكروا نسبه **فلعنه بعضهم** اي قال اللهم العنه
وروي انه قال له اخزاك الله تعالى والقائل له عمر بن الخطاب كما رواه البيهقي **وقال
ما اكثر ما يؤتى به** تعجب من كثرة ما اتوا به النبي صلى الله عليه وسلم وهو سكران **فقال
صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله** وفيه دليل على ان المسلم اذا ارتكب
الكبائر لا يجوز لعنه ومن كان كذلك لا يجوز لعنه وفيه ان محبة الله ورسوله من اعظم
القربات وفيه رد على المعتزلة في ان مرتكب الكبيرة مخلد في النار **ومن علامات محبة
النبي صلى الله عليه وسلم كثرة ذكره** صلى الله عليه وسلم وذكره بالصلاة عليه ومنه علم
فضيلة الحديث واهله لذكرهم له صلى الله عليه وسلم كثيرا **ومن احب شيئا اكثر من ذكره**
وهذا مثل مشهور وهو امر طبيعي عادي **ومنها** اي علامات محبته **كثرة شوقه الى لقائه**
اما في حياته فظاهر واما بعد موته صلى الله عليه وسلم بان يشتاق لملاقاته في الآخرة
ويشاهد ذاته الكريمة اللهم ارزقنا ذلك **فكل حبيب** اي محب **يحب لقاء حبيبه** فان
فعيل ياتي بمعنى اسم الفاعل والمفعول وان اشتهر هذا الثاني وذكره معادلا لقوله قبله
من احب شيئا الخ وكل منهما علة لما قبله وهو من حسن التعليل الذي يجيء الشيء بالشيء يذكر
ما احسن قول عروة بن حزام في قصيدة له هم

واني لاهوى الحشر اذ قيل انني • وعفراء يوم الحشر ملتقيان •

ومنه اخذ ابن رواحة قوله هم

ان يحلو لديك ظلمي • فزد من الهجر في عذابي •

عسى يطيل الوقوف بيني • وبينك الله في الحساب •

وقلت انا في رباعية •

كم قال لجنته الكثير الآفات • والطول وقوفنا بيوم العرصات •

هيهات لئن بدا محياه له • يغفر ويهب له جميع الزلات •

وفي حديث الاشعريين يعني ابا موسى الاشعري واصحابه المنسوبين الى اشعر ابو قبيلة
باليمن وكانوا قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم سنة سبع من الهجرة وكان صلى الله عليه وسلم

**قال لاصحابه يقدم عليكم ارق قلوبا منكم فقدم الاشعريون وكانوا عند قدومهم
المدينة** منصوب بنزع الخافض لانه يقال قدم فلان على فلان وقدم الى بلد كذا **انهم كانوا
يرتجزون** اي ينشدون شعرا وكلاما موزونا وهو **غدا نلقى الاحبة • محمدا وصحبه**
لكنهم قالوا انما يقال ارتجز اذا انشد شعرا من بحر الرجز وتمامه مستفعلن ست مرات
ويجزؤه اربعا وهذا ليس منه وانما هو من الوافر والهزج وقيل انما سماه رجزا لمشابهته له في تقارب
اجزائه وقلة حروفه ولعل العرب كانت تطلق على ما يقوله الركبان من الاوزان القصيرة رجزا
وما ذكروه من تخصيصه بهذا الوزن اصطلاح حدث بعد الخليل رحمه الله والذي يظهر
ان هذا كله تكلف لا حاجة اليه فانه هنا بمعناه اللغوي وهو يصيحون ويصوتون فانه
اصل معناه ومنه المرتجز اسم فرس لرسول الله صلى الله عليه وسلم لحسن صهيله وصوته
وكون المصنف يخفى عليه مثل هذا سوء ظن به وفي نسخة وحزبه بدل صحبه كما تقدم **وتقدم
قول بلال مثله** يعني ان بلالا ذكر مثله لفظا ومعنى وان اختلف مرادهما فان مراد هذا
القائل لقاء النبي واصحابه في الحياة الدنيا وبلال رضي الله عنه اراد لقاهم في الآخرة ثم
انه يحتمل انه توارد منهم في هذا الكلام او انه تمثل به **ومثله** المذكور وان لم يساوه **ما قاله عمار**
بن ياسر الصحابي **حين قتل** اي قتله اهل الشام الذين كانوا مع معاوية اي لما قتل بصفين مع
علي رضي الله عنه سنة ست وثلاثين فيما رواه ابن سلمة قال كاني انظر الى عمار يوم صفين وقد
استسقى فاتته امراة بشربة من لبن فشربها ثم قال اليوم نلقى الاحبة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم عهد الي ان آخر شربة اشربها من الدنيا شربة لبن ثم قاتل حتى قتل وقد قال صلى الله عليه
وسلم تقتل عمارا الفئة الباغية ومنه علم ان عليا كرم الله وجهه كان على الحق **ومثله** ايضا
ما ذكرنا من قصة خالد بن معدان التي تقدمت من انه كان اذا آوى الى فراشه لا يزال يذكر
شوقه الى النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه حتى يغلب عليه النوم وليس هذا من تمني الموت
المنهي عنه فان من احب الله ورسوله وتمنى الموت لاجل لقائه والاستراحة من الدنيا وغمها ليس
من هذا كما قال في الفتوحات ومن هذا انه صلى الله عليه وسلم لما خير بين البقاء في الدنيا
والانتقال الى الآخرة قال اللهم الرفيق الاعلى • واعلم ان تحقيق هذا المقام ما قاله الحكيم
الترمذي في فروقه اذ تمني الموت على ثلاثة اقسام تمني عبد اقترب الى ربه في منازل القرب
لما يطهر من دناس الشهوة وكدور الاخلاق فكلما اقترب ازداد شوقا فتمنى الموت • والثاني عبد
رأى نعمة الله عليه في دينه شاملة بكل خير فخاف زوالها لما رأى من نفس خادعة وعدو لا
يألو خبالا فتمنى الموت رجاء ان يحرز ذلك لنفسه في لحده فهذان محمودان وردا عن الصحابة
كسلمان رضي الله عنه اذ قال احب الموت اشتياقا وقال ابن مسعود رضي الله عنه احب الموت
لاني لا ادري ما ينزل بي فاخاف على ديني والاول قول صديق والثاني قول صادق والحظ
لصاحبه فيهما • والثالث عبد تربى في رفاهية عيش وتنعم نعمة ثم انقلب الزمان عليه
وعضته النوائب فقل صبره وتمنى الموت وهذا مذموم ولذا جاء في الحديث لا يتمنى احدكم
الموت لضر نزل به واما تمني مريم رضي الله عنها الموت وقولها يا ليتني مت قبل هذا الخ فلخوف
مضي ولذا لم تقل الآن فهو لامر ديني رجاء ان لا يزول لما رأت فتنة تموج لما اتهموا زكريا
وهموا بقتله فجاءها النداء والبشرى فصدقت بكلمات ربها وسميت صديقة انتهى • فقول
السخاوي تمني الموت منهي عنه ولذا جاء في الحديث الصحيح فان كان ولا بد فاعلا فليقل اللهم

رب

أحيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي انتهى بإطلاقه فليس كما
ينبغي والتحقيق ما عرفت ومن علامتها أي علامة حب الله ورسوله فالضمير راجع للمحبة
لتأويلها بالحب وليس راجعا للعاء المحب حبيبه وإن كان أقرب وغير محتاج للتأويل كما قيل
مع كثرة ذكره له صلى الله عليه وسلم تعظيمه له وتوقيره حق توقيره عند ذكره له
وإظهار الخشوع أي الخضوع والانكسار أي التذلل والتواضع مع سماع اسمه أي إذا ذكر
غيره لاسمه صلى الله عليه وسلم وقال إسحاق التجيبي هو إمام المحدثين أبو إبراهيم إسحاق
بن إبراهيم التجيبي توفي لثمان بقين من ذي القعدة سنة اثنين وخمسين وثلاثمائة وهو منسوب
لقبيلة من كندة تسمى تجيب واختلف في تائه هل هي أصلية أم زائدة وضمها المحدثون
وكثير من الأدباء وفتحها غيرهم قال في القاموس تجيب بالضم وتفتح بطن من كندة منهم كنانة بن
بشر التجيبي وتجوب بالواو قبيلة من حمير منهم ابن ملجم التجوبي قاتل علي كرم الله وجهه وغلط
الجوهري وحرف بيت الوليد بن عقبة هـ

• ألا إن خير الناس بعد ثلاثة • قتيل التجيبي الذي جاء من مصر •

انتهى يعني أنه أثره التجيبي وإنما هو التجوبي كما في كامل المبرد • وأعلم أن بعضهم زعم أن
تاءه أصلية لأنه في العين ذكره في فصل التاء وتبعه صاحب القاموس وهي زائدة كما قاله ابن
السيد وجوز في تائه الوجهين أي الفتح والضم وقال النووي في شرح مسلم أن التاء زائدة
لأنه من جاب يجوب كان أصحاب النبي بعده أي بعد وفاته لا يذكرونه إلا خشعوا أي
أظهروا الخشوع والتذلل واقشعرت جلودهم أي عرض لها قشعريرة وبكوا حزنا للفراق وشوقا
للقائه صلى الله عليه وسلم وكذلك أي ومثل الصحابة فيما ذكر كثير من التابعين لهم بإحسان
يفعلون كفعلهم منهم من يفعل ذلك أي من المذكورين كلهم الصحابة والتابعين أو من التابعين
من يبكي ويخشع ويقشعر جلده محبة وتشوقا إليه تمييز أو مفعول له أي من محبته وشوقه أو [illegible]
ومنهم من يفعله تهيبا وتوقيرا أي لهيبته صلى الله عليه وسلم في أنفسهم وإجلاله وتكريمه
ومنها أي من علامات محبته صلى الله عليه وسلم محبته أي محبة الإنسان لمن أحب النبي
صلى الله عليه وسلم بالرفع والعائد محذوف أي أحب النبي صلى الله عليه وسلم ومحبة بسببه
البا للسببية أي للملتبس بسبب من أسبابه وكان بينه وبينه علاقة بقرابة أو صهارة وقال في
النهاية السبب الزواج وأصله الحبل الذي يتوصل به لسقي الماء فاستعير لكل ما يتوصل به قال تعالى
وتقطعت بهم الأسباب أي الوصل والمودات • نكتة خصه ابن الأثير هنا بالزواج وإن كان
عاما لأن الزواج لمناسبة الماء المخصص في المستعار لأنه يطلق على المني كما في الحديث الماء من
الماء وفي قوله تقطعت في الآية لطف خفي وقوله من أهل بيته الخ بيان لمن أحبه ومن هو بسببه
ويجوز أن يكون بيانا لمن هو بسببه بناء على عمومه وفي نسخة من آل بيته وفيهم خلاف والمشهور
عند الشافعي أنهم المؤمنون من بني هاشم وبني المطلب ابني عبد مناف لا بني عبد شمس وبني نوفل
ابني عبد مناف لأنه صلى الله عليه وسلم أشرك الأولين في خمس الخمس الذي هو ذوي القربى
دون هؤلاء وقال إنهم لم يفترقوا في الجاهلية والإسلام وصحابته بفتح الصاد جمع أو اسم
جمع صاحب وهو في الأصل مصدر وهو كل مسلم لقي النبي صلى الله عليه وسلم بعد بعثته ومات
على ذلك فإن تخللت ردة ولم تدم لم يضر وهم لا يحصون كثرة وقد روي أنه صلى الله عليه وسلم
قبض على مائة وأربعة وعشرين ألفا والله أعلم والمهاجرين هو من هاجر وترك وطنه لله ورسوله

صلى الله عليه وسلم فيدخل فيه مهاجرو المدينة والحبشة وقدمهم لأنهم أفضل والأنصار
جمع ناصر أو نصير غلب على الأوس والخزرج ولذا نسب إليه وقيل أنصاري وهو تخصيص بعد تعميم
لأنهم أفضل من غيرهم وفي نسخة من المهاجرين والأنصار والظاهر أنه عبارة عن جميع الصحابة
ليشمل من مات قبل الهجرة كخديجة رضي الله عنها وقيل إنهم في حكم المهاجرين لأنهم السابقون بإيمانهم
قبل غيرهم فتأمله وعداوة من عاداهم أي من علامات المحبة لهم عداوة من عاداهم ظلما وبغيا
كالخوارج فلا يدخل فيه ما وقع بين الصحابة ظاهرا وبغض من أبغضهم أي كرههم وقلاهم
وسبهم وأظهر شتمهم كالروافض قاتلهم الله فإن من أحب شيئا أحب من يحبه وكره من يكرهه
كما قيل وقد تقدم • إذا صافى صديقك من تعادي • فقد عاداك وانفصل الكلام •
وقد قال عليه الصلاة والسلام في الحسن والحسين أي في حقهما وشأنهما كما رواه البخاري
اللهم أي يا الله ناداه بيانا لتحقق حبه وعلم الله به وتوطئة لما طلب منه إني أحبهما فأحبهما
أي أعطهما كل خير دنيوي وأخروي كما سيأتي في بيان محبة الله وهذا اللفظ وقع في رواية الترمذي
في حديث قال إنه حسن صحيح والذي في الصحيحين ذكر فيه أسامة والحسن وفيه روايات
مختلفة ليس هذا محل تفصيلها وإليه أشار المصنف بقوله وفي رواية في الحسن وحده وليس المراد
التخصيص اللهم إني أحبه فأحب من يحبه وقال صلى الله عليه وسلم في رواية أخرى
من أحبهما أي الحسن والحسين فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله لعلمه بالطريق الأولى
ومن أبغضهما فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله وقال صلى الله عليه وسلم
في حديث رواه الترمذي وغيره الله الله منصوبهما بمقدر كاتقوا الله واحذروه واخشوه
وفي تكريره تخويف وتحذير على وجه المبالغة في أصحابي أي في شأنهم وحقهم فاحذروا
تنقيصهم ونسبتهم لما لا يليق بهم والطعن فيهم ثم بين ذلك بقوله لا تتخذوهم غرضا
بغين معجمة وراء مهملة مفتوحتين وضاد معجمة وهو الهدف الذي يرمى بالسهام فهو استعارة
أو تشبيه بليغ على القول في مثله كما بين في المعاني أي لا تقصدوا ذكرهم بسوء ولا
تبحثوا عما وقع منهم ولذا منع السلف منه فمن أحبهم فبحبي أحبهم أي بسبب حبي لهم
وبلوغ من المحبة لهم أن لا يذكروا بسوء ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ولذا ذهب
بعض المالكية كما سيأتي إلى قتل من سبهم لأنه كسبه صلى الله عليه وسلم ومن آذاهم
بذكر ما يسوءهم فقد آذاني لأنه يسوءه ذلك ومن آذاني فقد آذى الله أي عصاه
وفعل ما لا يرضاه وهو المراد بأذية الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه أي يهلكه
سريعا ولا يمهله فيأخذه أخذ عزيز مقتدر وفي النهاية يوشك أن يكون كذا أي يقرب
ويسرع وقال صلى الله عليه وسلم في فاطمة رضي الله عنها أي في حقها وشأنها في حديث
رواه البخاري وغيره إنها بضعة بفتح الباء وكسرها أي قطعة وجزء مني لأن الولد
حاصل من أبيه وقطعة من كبده يغضبني ما يغضبها أي يسوءني ويؤذيني كل ما آذاها
لأن ألم الجزء يتألم به الكل فهو كالدليل لما قبله وسبب الحديث أن عليا كرم الله
وجهه خطب بنتا لأبي جهل فسمعت بذلك فاطمة رضي الله عنها فأتت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك وهذا علي ناكح بنت أبي جهل
فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فتشهد وقال أما بعد فإن فاطمة بضعة مني وإني
أكره أن يسوءها والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد فترك علي ذلك

والحديث وتفسيره مفصل في كتب الحديث وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي
عن عائشة وحسنه لعائشة في اسامة بن زيد اي في حقه وشانه احبيه فانه احبه
وقد قال صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد احب الناس الي فاستوصوا به خيرا ولذا امر
عائشة لتستوصي به خيرا بعده وهذا مما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات وقال صلى
الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان آية الايمان اي علامة تحققه وصدقه وكماله حب
الانصار لمحبة النبي صلى الله عليه وسلم ومحبته لهم ولانهم نصروا الدين وساعدوا المومنين
من الصحابة وواسوهم بما هو معلوم وآية النفاق المنافي لتحقق الايمان بغضهم وصحف
بعضهم الحديث فقال انه بالهمزة المكسورة والنون المشددة وضمير الشان وهو سهو ظاهر
وفي حديث ابن عمر كما اخرجه البيهقي في دلايله من احب العرب والمراد بهم هولاء الجيل
المعروفون مطلقا فبحبي اي بسبب حبي احبهم ومن ابغضهم من حيث ذواتهم لا لسبب
آخر يكون لبغض منهم فببغضي ابغضهم وفي حديث رواه الترمذي عن سلمان انه صلى الله
عليه وسلم قال له لا تبغضني فتفارق دينك قال كيف ابغضك وبك هدانا الله قال
تبغض العرب فتبغضني وفي شعب الايمان للحليمي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان الله عز وجل خلق الخلق فاختار منهم بني آدم واختار من بني آدم العرب واختار من
العرب مضر واختار من مضر قريشا واختار من قريش بني هاشم واختارني من بني هاشم
فانا خيار من خيار فمن احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم ولذا
قيل اطلاق اللسان بالوقيعة فيهم كالشعوبية اذية لله ورسوله وقد قال الله تعالى
ان الذين يوذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وقد فصل ذلك الحافظ العراقي
في تاليف له مستقل سماه انفع القرب في بيان فضل العرب قال المولف رحمه الله فبالحقيقة
اي بسبب النظر للحقيقة ونفس الامر المحقق عند العقول السليمة من احب شيئا من الاشياء
احب كل شيء يحبه محبوبه وهذه سيرة السلف اي دابهم وطريقتهم في محبتهم كل ما كان يحبه
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى المباحات اي كانوا يحبون ما احبه رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الامور المباحة وشهوات النفس اي يتبعونه صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق
بشهوة النفس والطبيعة البشرية كمحبة الطيب وتفضيل الاطعمة والزوجات وغير ذلك
واستشهد لذلك بقوله وقد قال انس رضي الله عنه انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم
يتتبع الدبا بضم الدال المهملة وتشديد الباء الموحدة والمد والهمزة في آخره للالحاق والواحدة
دباة وهي نوع من الماكول معروف عند الناس بالقرع ومعنى تتبعها اي ياخذ قطع القرع
من اي محل وجدت فيه فان قلت اكل الانسان مما يليه مستحب واكله من غيره مكروه لقوله
صلى الله عليه وسلم كل مما يليك لمن رآه يجيل يده في الطعام الا في الفواكه فانه لا يكره فيها
لعدم الاستكراه واليه الاشارة بقوله ثم وفاكهة مما يشتهون قلت قالوا انه اذا كان
الآكل ممن يتبرك به لا يكره في حقه ذلك لا سيما النبي صلى الله عليه وسلم وقيل هو مخصوص
باللون الواحد وهذا كان معه قديد وقيل انه صنع له وحده فله ان يفعل فيه ما يريد لعلمه
برضى صاحبه وقيل هو مخصوص بمن لم يتقذر اتباعه وخدمه • واعلم ان القرع معروف
واما الدبا بالمد كما مر وجوز بعضهم قصره وانكره القرطبي فقيل هو والقرع بمعنى واحد
وقيل هو المستدير منه وقيل هو اليابس منه وقال ابن حجر انه سهو من النووي وهو اليقطين

وهمزته زائدة ولذا ذكره في باب د ب ب وخطأ صاحب القاموس الجوهري في ذكره في المعتل
في مادة د ب ي فقال هو وهم وليست همزته منقلبة عن واو ولا ياء اقول اخطأ من
خطاه ومن تبعه هنا لان الزمخشري ذكره في المعتل ايضا ووجهه ان الهمزة للالحاق كما ذكروه
فهي في حكم الاصلية كما حرروه في باب الالحاق من حوالي القصعة بفتح القاف اناء معروف
وحوالي مثنى حوال بمعنى حول وجانب والتثنية لمجرد التعدد والتكرار كما في البصر كرتين
وهو بفتح الحاء واللام ويجوز كسر لامه وياء تثنيته ساكنة وفيه لغات مذكورة في كتب اللغة
فما زلت هذا مقول انس فتاؤه مضمومة احب الدبا اي احب اكلها تبركا بها من يومئذ
اي انه يتتبعها ويحبها لحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لها وهذا من علامات صدق محبته
وهو شاهد لاتباعهم له في المباحات وما تشتهيه الانفس هذا الحديث اخرجه الشيخان
وكان خياطا صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما ودعاه له فذهب معه انس وقال ابن
حجر لم اقف على اسم هذا الخياط وهذا الحسن بن علي بن ابي طالب وكان الظاهر ان يقول
وابي الحسن فعدل عنه لشهرته كالمشاهد وابن عباس وابن جعفر اتوا سلمى بفتح السين
وهي زوجة ابي رافع ومولاة صفية عمته صلى الله عليه وسلم وقيل مولاته صلى الله عليه وسلم
ودايته فاطمة الزهراء التي غسلتها لما ماتت وقابلة ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم
وهي صحابية مشهورة وفي الصحابة غيرها خمس عشرة امرأة وسألوها ان تصنع لهم طعاما
اي تطبخه وتحضره لهم مما كان يعجبه صلى الله عليه وسلم وانما سألوها ذلك لانها كانت
تخدمه صلى الله عليه وسلم وتعرف ماكوله ومشروبه والعجب عندهم حالة تعرض للانسان
عند الجهل بسبب الشيء هذه الحالة تكون كثيرا مع الاستحسان فيلزمها الميل والمحبة
فاريد به لازمه وهو المحبة وفيه دليل على محبة ما يحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو المراد وهذا رواه الترمذي في الشمائل وابن جعفر هذا هو عبد الله بن جعفر بن ابي
طالب الطيار ذو الجناحين الصحابي ابن الصحابي وتتمة الحديث مما كان يعجب رسول
الله صلى الله عليه وسلم ويحسن اكله فقالت انا لا تشتهيه اليوم فقالوا بل اصنعيه لنا
فقامت وطحنت شيئا من شعير وجعلته في قدر وصبت عليه شيئا من زيت وفلفل وتوابل
وقربته اليهم وكان ابن عمر عبد الله الصحابي رضي الله عنهما في حديث رواه الشيخان
يلبس النعال جمع نعل وهو كل ما وقيت به الرجل وهي مونثة السبتية بكسر السين المهملة
وسكون الموحدة وياء نسبة الى السبت وهو جلد دبغ وازيل شعره من سبته اذا قطعه
لازالة شعره وكانوا في الجاهلية لا يلبس النعال المدبوغة منهم الا اهل السعة والجاه
وهي منسوبة لمحل يقال له سوق السبت كما قاله ابن قرقول وقيل انه يجوز فتح اوله
ايضا ويقال انها يقال مسودة ويصبغ بالصفرة وهو كل ما يصفر الشعر وغيره كالحناء والكتم
ويصبغ مثلث الموحدة وفيه تسمح لانه لا يصبغ بنفس الصفرة وانما هو يصبغ اصفر
والمراد انه يصبغ ثيابه بشيء اصفر كالزعفران ونقل عن مالك جواز لبسه وما ورد من
النهي عنه ليس نهيا تحريميا وانما نهى عنه المحرم في الحج وحمله بعضهم وما روي عن
ابن جعفر انه قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ثوبان مصبوغان بالزعفران
كما رواه الحاكم والطبراني وغيرهما وكذا احاديث كثيرة صحيحة تدل على جوازه ايضا اذ رآه
النبي صلى الله عليه وسلم يفعل نحو ذلك تعليل لفعله ومحبته لما احبه رسول الله

صلى الله عليه وسلم وذلك اشارة الى الصبغ او له وللبس النعال وهو انسب
باشارة التبعيد وهذا استشهاد للاقتداء به صلى الله عليه وسلم في المباحات بالنسبة
اليه وان اختلف في الاقتداء به في مثله هل هو مباح في حق المقتدي به ام لا لكنها به في العيد
من طريق وعوده من اخرى ورجحوا الندب لمن نوى الاقتداء به وهو الظاهر ومنها اي من
علامات محبته صلى الله عليه وسلم بغض من ابغض الله ورسوله ببغض الرسول صلى الله
عليه وسلم ظاهر من مثل ابي جهل وبغض الله تعالى اما ببغض رسوله او بكفره او بانكاره
كالمعطلة والدهرية ومعاداة من عاداه اي من يتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم عدوا
ولم يقل من عاداهما لان معاداة الله انما هي بمعاداة رسوله صلى الله عليه وسلم لان عداوته
تعالى حقيقة لا تتصور ومجانبة من خالف سنته اي اجتناب من لم يتبع طريقته والبعد
عنه وابتدع في دينه اي اظهر البدع وخالف الشريعة وهو عطف تفسيري لما قبله واستثقاله
كل امر يخالف شريعته اي عده ثقيلا منفورا عنه غير مقبول واصل الثقل في الاجسام
ضد الخفة وفي نسخة كل امر ثم ذكر ما يثبته من الكتاب العزيز فقال قال الله تعالى
لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر اي لا يكون كذا حتى تجدهم فانه لا ينبغي ان يكون
وهو مبالغة في النهي يوادون بينهم وبينهم مودة من حاد الله ورسوله اي يخالفون
ويعارضونه وهؤلاء اصحابه رضي الله عنهم اي مما علم من حاله اصحابه حتى كانهم يشاهدون
متلبسين به قد قتلوا احباءهم اي اصدقاءهم قبل الاسلام وقد وقع هذا لكثير من الصحابة
وروي قتلوا اي ابغضوهم ولم يعدوهم قال تعالى ما ودعك ربك وما قلى وقاتلوا آباءهم
وابناءهم الذين بقوا على الكفر في مرضاته في تحصيله والمرضاة مصدر ميمي بمعنى
الرضا كابي عبيدة بن الجراح قتل اباه ببدر وعمر رضي الله عنه قتل خاله العاص ومصعب
بن عمير رضي الله عنه قتل اخاه ونحوه مما هو مذكور في السير وقال له صلى الله عليه وسلم
عبد الله رضي الله عنه ابن عبد الله بن ابي بن سلول راس المنافقين وابنه عبد الله هذا
كان من الصحابة المخلصين محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لو شئت خطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم لاتيتك براسه يعني اباه عبد الله بن سلول اي قتلته واتيت
براسه لك وكان ابن سلول رئيس اهل يثرب قبل الهجرة فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه
وسلم وظهر الاسلام بطلت رياسته فكان لحرصه على الدنيا يكره الاسلام ويظهر النفاق
وهو الذي نزل في حقه سورة المنافقين واما ابنه عبد الله فكان من خيار الصحابة الصادقين
كما علم فلما ظهر من ابيه ما ظهر قال يا رسول الله بالله الا ما اذنت لي في قتل ابي فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم بل برفق به وتحسن اليه وهذا مما رواه البخاري ومنها اي من
علامات محبته صلى الله عليه وسلم ان يحب القرآن الذي اتى به للناس من عند ربه
عز وجل وهدي به الخلق كلهم لسعادة الدارين واهتدى هو اي وصل الى الله به
وتخلق به اي اتخذه خلقا له يعمل بكل ما فيه حتى قالت عائشة رضي الله عنها وقد سئلت
عن خلقه صلى الله عليه وسلم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن اي كان
دابه التمسك به والتادب بادابه والعمل بما فيه من مكارم الاخلاق فجعلت القرآن نفس خلقه
مبالغة في شدة تمسكه به وانه صار سجية له وطبيعة كانه طبع عليها فتخلق بمعنى اظهر
الخلق كتجمل بمعنى اظهر الجمال كما في كامل المبرد رحمه الله وقد يكون التخلق للتكلف كما في قوله

يا ايها

يا ايها المتحلي غير شيمته • ان التخلق ياتي دونه الخلق •

وليس بمراد هنا وحبه للقرآن تلاوته اي كثرة تلاوته له على الوجه المرضي فيها
عند اهل الاداء وليس المراد مطلق القراءة والعمل به اي بما فيه من الاحكام والمواعظ وتفهمه
اي التفهم بفهم معانيه وجعل هذا عين الحب للتسبب عنه ومن العلامات لمحبته صلى الله
عليه وسلم ايضا ان يحب سنته اي طريقته وهديه بالاقتداء به قولا وفعلا ويجوز ان
يريد بسنته احاديثه المروية عنه بقرينة جعلها قرينة للقرآن وكثيرا ما تطلق عليه
ويقف عند حدودها اي لا يتعداها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون وحدود
الله محارمه واحكامه من الحد وهو المنع والفصل ومنه حدود الدار استعير الحد لما ذكر
فالوقوف فيه ترشيح مليح قال سهل بن عبد الله التستري وقد تقدم علامة حب الله
اي امارته ودليله حب القرآن وقد تقدم بيانه وعلامة حب الله وحب القرآن
حب النبي صلى الله عليه وسلم قال من احب الله احب حبيبه وكلامه وعلامة حب النبي
صلى الله عليه وسلم حب السنة فان من احبه لا يخالفه ويعصيه وعلامة حب
السنة حب الآخرة لان من احبه واتبعه احب لقاءه ورغب في الآخرة كما مر وعلامة
حب الآخرة بغض الدنيا والزهد فيها لانهما ضرتان لا يجتمعان في قلب مؤمن وبغضها
لا يقتضي التبذير والاسراف كما توهم وانما هو كما قيل اللهم اجعلها في ايدينا ولا تجعلها
في قلوبنا وعلامة بغض الدنيا ان لا يدخر منها ويبتغي الا زادا اي مقدار ما يتزود
به ويتقوت ولا يجمع منها ما لا حاجة له به كما قيل

• يكفيك مما تبتغيه القوت • ما اكثر القوت لمن يموت •

او بلغة بضم فسكون اي ما يبلغه به الى الدار الآخرة كالمسافر يحمل من الزاد ما يبلغه
لمقصده ومنزله فان الدنيا دار سفر لا دار مقر

• وانما الدنيا كركب سفينة • نظن وقوفا والزمان بنا يسري •

وعن ابن مسعود في حديث رواه البيهقي في الادب وابن الضريس في فضائل القرآن
وفي نسخة وقال ابن مسعود لا يسال احد من غيره عن نفسه في محبتها الله ورسوله
الا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله فاذا اراد ان يعرف
حاله ينظر في ذلك فيستدل به حتى كانه ساله واجابه ببيان حاله فاذا استلذ بتلاوته
وسماعه علم حاله وكيف يشبع المحب من كلام محبوبه وهو غاية مطلوبه كما قيل

ان كنت تزعم حبي • فلم هجرت كتابي • اما تاملت ما فيه • من لذيذ خطابي •

ومن علامات محبته للنبي صلى الله عليه وسلم شفقته على امته بان يرحمهم ويتلطف
بهم ويرق قلبه عليهم ونصحه لهم ببيان ما يصلحهم من امورهم وسعيه في مصالحهم
لتسبا عنه ومعاونته وقضاء حوائجهم ورفع المضار عنهم برفع الظالم وازالة
مصائبهم كما كان صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين منا ومن غيرنا لا بغيرهم رؤوفا
شفوقا رحيما منعما متفضلا عليهم كما وصفه الله به في كتابه العزيز فعلينا الاقتداء
به والتخلق باخلاقه ومن تمام محبته اي كمالها واقصى مراتبها التي لا تتم الا بها
زهد مدعيها اي المحبة في الدنيا وامورها وزخرفها وايثاره الفقر اي اختياره
وتقديمه على الغنى وسعة الدنيا واتصافه به اي جعله شعارا وصفة له تواضعا

وزهدا وقد قال عليه الصلاة والسلام لابي سعيد الخدري رضي الله عنه تقدمت
ترجمته ان الفقر لمن يحبني منكم معاشر المسلمين او الصحابة اسرع اي يصل اليكم بسرعة
اقوى من سرعة السيل اذا انحدر ونزل من اعلى الوادي وهو الموضع الذي يسيل فيه
الماء من ودى بمعنى سال ويسمى الفرجة بين جبلين واديا ويستعار للطريقة والمذهب
كما قال تعالى الم تر انهم في كل واد يهيمون او من الجبل الى اسفل والماء النازل من علو الى
اسفل في غاية السرعة فضربه مثلا لسرعة افتقارهم والى متعلق باسم التفضيل وضمير
اسفله لاحد الامرين من الوادي او الجبل وافرد لانه يكون شيئين عطفا باو وهذا البعض
من الحديث الذي بعده وقد رواه الترمذي وحسنه وفي حديث عبد الله بن مغفل بضم
الميم وفتح الغين المعجمة وتشديد الفا ولام وهو صحابي مزني من اصحاب الشجرة اخرج له
الستة وغيرهم وتوفي سنة ستين قال رجل من الصحابة ولم يسموه للنبي صلى الله عليه
وسلم يا رسول الله اني احبك فقال انظر ما تقول اي تفكر فيه وتامل فان محبتي
امر عظيم من اختارها صادقا مخلصا ينبغي ان لا يحب امرا من امور الدنيا وهو امر صعب
قال والله اني احبك اكده بالقسم لما راى من قوله صلى الله عليه وسلم له المشعر
بالتردد فيه وزاده ان كرره ثلاث مرات ليزيل الشبهة قال له صلى الله عليه وسلم
ان كنت تحبني حبا خالصا صادقا لا تؤثر على شيئا فاعد اي احضر وهيئ للفقر تجفافا
بكسر المثناة الفوقية وسكون الجيم وفائين بينهما الف وتاؤه مزيدة من جف اذا يبس
وهي شيء يوضع على الخيل ليقيها في الحرب الاذى كالدرع للانسان وقد يلبسه الناس
وجمعه تجافيف اي اجعل له عدة تقيك من اذى الفقر فان النفوس لا تحمله يعني
الصبر ورياضة النفس في تحمله فشبه الفقر بجواد محصن بما يقيه لايصاله الى السعادة
او شبه صاحبه بجواد والفقر بالمحاربة لمجاهدة النفس به وفيه ايماء الى ان من احبه
صلى الله عليه وسلم يبتلى بالفقر وكانه فقر اختياري بزهده في الدنيا وقد اختلف
في الفقر والغنى وفي الفقير الصابر والغني الشاكر ايهما افضل وظاهر هذا الحديث
الاول والكلام عليه مفصل في كتب المشايخ وغيرها وقد بينا ما فيه الكفاية وروى
جلبابا ثم ذكر اي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا الكلام الذي قاله للرجل المذكور
نحو حديث ابي سعيد الخدري اي ما يشبهه بمعناه يعني قوله في الحديث الذي سبق
للفقر اسرع الى من يحبني من السيل الى منتهاه ومنتهاه تشبيها له بالسيل واشارة الى
تلاحق النوايب به سريعا حتى لا يخلص منها فليستعد لها والله اعلم

فصل في معنى المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم وحقيقتها

اي المعنى الذي وضعه له واضع اللغة وعين لفظه اختلف الناس المراد بهم علماء
السلف والخلف وسبب اختلافهم ان المحبة التي تعارفها الناس كما سنبينه بحسب
الظاهر لا تليق بالله ورسوله في تفسير محبة الله ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم
اي في بيان المراد بهما وكثرت عباراتهم في ذلك التفسير وليست ترجع بالحقيقة
اي ليس مالها ان نظر الى نفس الامر المحقق في الواقع الى اختلاف فقال اي ليس
اختلافا لفظيا والمعنى واحد ولكنها اختلاف احوال اي سبب اختلافهم اختلاف

حال المحبة وحال المحبة قوة وضعفا فكل نظر الى حال من احوالها وفسرها بتفسير يناسبه
فليس اختلافا حقيقيا ولفظيا فانما هو باعتبار المحبوب والمحب وحالاتهما حتى انكر بعضهم
امكان المحبة حقيقة كما في الاحياء وقال لا معنى لها الا المواظبة على طاعته وقال القشيري
هي حالة للقلب تلطف عن العبارة تحمل على التعظيم وايثار رضاه واستعمالها قيل من حبب
الاسنان وبياضها لصفاء مورده وقيل من الحباب الذي يعلو الماء اذا انصب وتحرك لفورانها
في القلب وقيل من احب البعير اذا برك لثبات القلب عليها وهو اشتقاق بعيد وحقيقتها ميل
النفس ميلا كليا لما يدعوه لمحبوبه من رايق جمال او فايق كمال او فايض احسان وافضال فقال
سفيان يحتمل سفيان بن عيينة وسفيان الثوري قيل والظاهر انه الثوري لطول باعه في علوم
القوم وعلو رتبته في العلم الظاهر ايضا فانه كان مجتهدا وصاحب مذهب مستقل في عزة المحبة
يعني محبة الله بدليل الاية التي استدل بها اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في اقواله
وافعاله وكل ما جاء به عن الله لان من احب الله لا يعصيه فيما امره به ولا نهاه وامره ونواهيه
منه فهو تفسير لها بلازمها ولما كان في هذا خفاء قال كانه اي سفيان التفت اي نظر في
تفسيره هذا الى قوله تعالى واستنبط منه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
فانه اقام اتباعه مقام محبته اذ لم يذكر محبتهم وذكر محبته وهي لا تكون الا لمن احبه والاية
نزلت في اليهود لما قالوا نحن ابناء الله واحباؤه فارشدهم الى ما يحقق مدعاهم فان حقيقة
المحبة ميل النفس الى شيء ادركه منه كما لا يحمله على ما يقربه اليه والكمال الحقيقي ليس الا لله وكل
كمال في غيره فهو منه فمحبته يقتضي طاعته والرغبة فيما يقربه اليه وليس ذلك الا بطاعته
وطاعته لا تقبل الا باتباعه صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم في معنى محبة الرسول
صلى الله عليه وسلم انها اعتقاد لزوم نصرته بالمجاهدة لينصره ويعلي كلمته والذب بمعجمة
اي المنع والطرد عن سنته اي طريقته وشريعته برد ما يخالفها ودفع الشبه الموردة عليها
وتصحيح احاديثه وتفسيرها وبيانها والانقياد لها بان لا يخالفها ويعمل بها وهيبة مخالفته
اي الخوف من مخالفته مع تعظيمه واجلاله وفي نسخة مخالفتها اي السنة وفي النسخة الاولى
الضمير للرسول صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم في تفسير مطلق المحبة ويحتمل انه بيان لمحبة
الله دوام الذكر للمحبوب لان من احب شيئا اكثر من ذكره كما مر وقال اخر ايثار المحبوب
اي اختياره وتقديمه على ما سواه بان يكون احب اليه من نفسه واهله وماله كما تقدم وقال
بعضهم المحبة معناها الشوق الى المحبوب بان يكون نفسه وقلبه دائما تدعوه الى قربه
وتحنه على لقائه وقد تقدم الفرق بين الشوق والاشتياق وانه من الاصطلاحات الصوفية
لا من المعاني اللغوية وقال بعضهم المحبة مواطاة بضم الميم وطاء مهملة بعدها همزة ومعناها
الموافقة واصله ان يطا الرجل برجله موطئ صاحبه قال تعالى ليواطؤوا عدة ما حرم الله
اي موافقة القلب لمراد الرب بان لا يريد الا ما اراده فيترك ما يريد لما يريد الله ثم
بينه بقوله فيحب مضارع احب ما احب ويكره ما كره وفي نسخة ما يكره والاولى اولى وقال
الاخر المحبة ميل القلب الى قبول قوله اي المحبوب والمراد كل ما يقوله وهذا كله من كلام
اهل الطريقة وله امثال كثيرة كقول ذي النون قل لمن اظهر حب الله احذر ان تذل لغير
الله تمت وقال اخر المحبة ميل القلب الى موافق له اي موافق لما يرضاه ويريد محبوبه
وهي اقوال متقاربة واكثر العبارات المتقدمة من اول الفصل الى هنا اشارة الى ثمرات

المحبة انما قال اشارة لانهم لم يصرحوا بانها من ثمراتها واصل الثمرة نتاج الشجر ثم قيل لكل نفع يصدر
عن شي ثمرة كثمرة العلم العمل فهو استعارة تصريحية او تخييلية ومكنية او مجاز مرسل دون
حقيقتها اي لاحقيقتها ودون ترد لمعان هذا منها وانما قال اكثر لان منها ما هو سبب كاتباعه
ولانه احتراز عن الاخر لانه حقيقة لغوية وفيه نظر ثم بين حقيقتها بقوله وحقيقة المحبة
الموضوعة لها مطلقا الميل بمعناه حقيقة العدل وعن الوسط الحجر الجانبين ثم تجوز به
عن ارادته والرغبة فيه الى ما يوافق طبيعة الانسان قيل هذا بعينه هو المعنى الاخير وفيه
انه معنى قوله موافق له ثمة موافق لمحبوبه وهنا لنفسه فبينهما فرق نعم هو قريب منه وبين
الموافقة بقوله وتكون موافقته له اي لنفس المحب اما لاستلذاذه اي عن لذة تشتهيه
نفسه وتستحسنه بادراكه منه امرا محبوبا كالطعم الحلو والمشروب العذب وكحب الصور الجميلة
والاصوات الحسنة والاطعمة والاشربة اللذيذة واشباهها كالروائح الطيبة والملابس
الفاخرة وهو اشارة الى المحسوس بالحواس الظاهرة مما كل طبع سليم من غلظ الطبع وفساد الحواس
كالمريض يجد الحلو مرا لفساد ذوقه لفضل الابرد نقصا مايل اليه لموافقته له طبعا وفي نسخة
موافقتها اي المذكورات او لاستلذاذه اي وجود لذته واللذة من الكيفيات النفسية هم
وضدها الالم وتصور ذلك بديهي لانه من الوجدانيات وهي ادراك الملايم من حيث هو ملايم
والالم ضده والمراد بالملايم للشي كماله اللايق به كالتكيف بالحلاوة للذائق ونحوه من المحسوسات
وتعقل الاشياء على ما هي عليه للقوة العاقلة وقيد بالحيثية لان الشي قد يكون ملايما من وجه
دون وجه آخر والمراد بادراكه ادراكه بعد الوصول لا مجرد تخيله كما تقرر في كتب الحكمة
فاللذة تكون حسية وعقلية والى الاشارة بقوله او لادراكه الخ وهو القسم الاول والثاني بينه
بقوله بادراكه بعد الوصول اليه لا قبله بحاسة عقله وقلبه فيه تسمح على راي الحكماء لان
المدرك عندهم القوى الباطنة في الدماغ لا العقل المدرك للكليات لكن لما كان اهل الشرع
لم يثبتوها تسمح فيه معاني باطنة غير مدركة بالحواس الظاهرة شريفة اي نفيسة القدر
رفيعة عالية القدر كانها في شرف اي مكان عال وحاسة العقل قوته المدركة فالاضافة لامية
او المراد حاسة هي العقل فالاضافة بيانية كحب الصالحين والعلماء واهل المعروف
المراد بالمعروف كلما يعرف بالشرع والعقل حسنه كالجود كما قاله الراغب وحب المأثور اي
المنقول عنهم من السير المرادها الاحوال والصفات الجميلة الحسنة المحمودة شرعا وعقلا والافعال
الحسنة كالكرم والعلم والزهد كالحسن البصري فان طبع الانسان مائل الى الشغف اي المحبة
الزائدة وهو بشين وغين معجمتين وفاء من شغفه الحب اذا وصل الى شغاف قلبه اي غلافه او
بياطه او داخله وحبته وهذا انسب بالمراد وروي بعين مهملة فقيل هما بمعنى وقيل الثاني
بمعنى الاحراق يقال شغفه الحب اذا احرقه وامرضه ومع ذلك يجد له لذة فان عذابه
عذب لذيذ وقوله بامثال هؤلاء اي بهؤلاء وامثالهم والمراد بامثالهم انفسهم كمثلك
لا يبخل وهو كناية كما تقرر في كتب المعاني والاشارة للصالحين ومن بعدهم حتى يبلغ
الشغف بهؤلاء وفرطه بهم التعصب تفعل من العصبة وهي الجماعة المتعاضدة والمتعاقدة
والمعنى اظهار الحمية والمبالغة في الصيانة حتى يفارقوا من خالفهم في محبتهم للحمية والغضب
لمن احبه والتشيع تفعل من الشيعة فهو هنا بمعنى التعصب ايضا وضمنه معنى الانفصال
لقوله من امة اي فارقوا امة خالفوهم وصاروا في آخرين اي في قوم آخرين وفي نسخة اخرى

بقوم القوم

اي امة اخرى والشيعة من المشايعة وهي المتابعة والشيعة الفرقة من الناس
فلذا غلب على من والى عليا رضي الله عنه ما يودي اي يوصل يقال اداه الى كذا اي
اوصله وهو بهمزة ودال مشددة وهو مفعول يبلغ اي يصل والنصب فاعله فان
نصب على انه مفعوله وفاعله ضمير الشغف فهو بدل منه والثاني اقرب الى الجلاء
بفتح الجيم واللام والمد الخروج عن الاوطان اي المساكن والبلاد والاهل وهتك
الحرم بضم الحاء وفتح الراء المهملتين جمع حرمة والهتك بمثناة فوقية وكاف كشف
الستر بازالته وتقطيعه والحرم جمع حرمة بضمتين وميم فسكون وفتح كهمزة وهو كل
ما يصان ويمنع ولذا قيل للنساء اي افتضاح نسائهم وذهاب عرضهم وكل ما يليق بهم صيانة

نته

واخترام بخاء معجمة ومثناة النفوس اي الذوات او الارواح اي اهلاكهم بسرعة
يقال اخترمته المنية كانها قطعت عمره وكل ما استاصل شيا اخترمه وفي نسخة القلوب
والاول احسن فترى المرء يحب هؤلاء وان لم يرهم فحبهم يحمله على ما ذكر ثم ذكر سببا
ثالثا للمحبة فقال او يكون حبه اياه وميل نفسه وطبعه اليه لموافقته له اي
لملايمته وموافقة طبعه من جهة احسانه اليه اي انعامه وبذله وجوده وفي نسخة
له اي لاجل ذلك فقوله وانعامه عليه عطف تفسير فقد جبلت النفوس بالبنا
للمفعول اي جعلت مطبوعة ومخلوقة على حب من احسن اليها كما جبلت على بغض من
اساء اليها وقيل ان هذا من الفاظ النبوة ولم اره بعينه حديثا الا انه ورد بمعناه ففي
الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم لا تجعل لفاجر علي يدا فيحبه قلبي فاشار الى
ان حب المحسن اضطراري وفي الاحيان المحبة قد تكون لغير هذا من الائتلاف الروحانية
من غير سبب ظاهر وقال في الاحيا في ائتلاف القلوب امر غامض لا يطلع عليه فقد
يحب المرء من غير حسن واحسان وسبب ظاهر بل المناسبة روحانية وشبه الشي منجذب
اليه وفي الحديث الارواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وقول المنجمين
انه دائر على الطالع وتقابله لا اصل له وورد في حديث رواه في الفردوس لو ان مؤمنا دخل
مجلسا فيه مائة منافق ومؤمن واحد لجاء حتى جلس اليه ولو ان منافقا دخل مجلسا فيه مائة
مؤمن ومنافق واحد لجاء حتى جلس اليه فما ذكره هو الاغلب المعروف فاذا تقرر اي ثبت
وتحقق لك هذا المذكور من اسباب المحبة نظرت الى هذه الاسباب كلها اي عرفتها بنظر سديد
وكلها تاكيد للاسباب او مبتدا خبره في حقه اي موجودة في حقه وشانه متقررة محققة فعلمت
انه عليه الصلاة والسلام جامع لهذه المعاني الثلاثة الموجبة للمحبة بمقتضى العقل
والشرع والطبع السليم ثم بين ذلك بقوله اما جمال الصورة وهو السبب الاول وهو حب
الصورة الحسنة والصورة الهيئة والمراد ما يظهر للناظر كالوجه والظاهر عطف تفسير للصورة
وكمال الاخلاق اي كونها في غاية الكمال فيه صلى الله عليه وسلم وهذا ليس من الحسن الظاهري
بل حسن باطني كالصورة لان حسن الصورة يدل على حسن السيرة فقوله والباطن عطف تفسير
له فقد قررنا اي بينا في هذا الكتاب سابقا منها قبل مبني على الضم فيما مر اول الكتاب
ما لا يحتاج الى زيادة فيه هنا واما احسانه صلى الله عليه وسلم وهذا هو السبب الثاني
وانعامه على امته يعني امة الاجابة فكذلك اي مثل ما قبله في عدم احتياجه للبيان
هنا لانه قد مر منه اشارة الى انه ذكر بعضه منه لا يمكن استيفاؤه هم

وعلى تفنن مادحيه ووصفه • يفني الزمان وفيه ما لم يوصف •

في اوصافه الله تعالى له صلى الله عليه وسلم جمع وصف بمعنى وصف او نوصف ثم بينه بقوله
من رافته بهم اي شفقته ولطفه بهم كما مر ورحمته لهم اي انعامه صلى الله عليه وسلم عليهم
وكرمه وهدايته اياهم اي من احسانه انه هداهم الى سعادة الدارين واي احسان اعظم من
هذا وشفقته اي حنوه عليهم ومرحمته لهم واستنقاذهم اي تخليص الله هذه الامة به
اي بسببه صلى الله عليه وسلم اذ بعثه اليهم من النار وعذابها حيث اذ هداهم لطريق النجاة
منها وانه بالمومنين رؤف رحيم كما في قوله تع بالمومنين رؤف رحيم كما مر مع تفسيره وانه
رحمة للعالمين فهو مرفوع وضبط في بعض النسخ منصوبا اي كونه رحمة ومبشرا بكل خير
ونذيرا مخوفا لهم ليرتدعوا عما يضرهم وداعيا الى الله ودينه الحق باذنه في الدعوة او بارادة
كما مر وسراجا منيرا منقذا لهم من ظلمة الجهالة والضلال ويتلو عليهم اياته المرشدة لهم
فيقرا عليهم ما يوحى اليه منه دلايل التوحيد والنبوة ويزكيهم يطهرهم من الشرك والمعاصي
ويعلمهم الكتاب اي القرآن العظيم والحكمة وما يكملهم من المعارف والاحكام ويهديهم
الى صراط مستقيم يدلهم على الطريق الموصل الى الله بلطفه وهذا مما وصفه الله به في كتابه
العزيز واي احسان اي للتفخيم والتعظيم كما يقال عندي رجل اي رجل اي كامل الرجولية
اجل قدرا وارفع رتبة واعظم خطرا بفتح الخاء المعجمة والطاء المهملة اي قدرا او شرفا فما
بينهما تفنن من احسانه اي احسان هذا النبي الكريم على امته فكيف لا يحسن الى جميع المومنين
خصهم لانهم المنتفعون به والا فاحسانه عام واي افضال بمعنى احسان وتفضل اعم منفعة
واكثر فائدة على كافة المسلمين اي جميعهم وقد قيل ان كافة تلزم التنكير والنصب على الحالية
واستعمالها على خلافه خطا وان وقع في عباراتهم كما في درة الغواص وقد احتجنا عنه
في شرح الدرة وبينا انه سمع خلافه اذ تعليلية اي لانه صلى الله عليه وسلم كان ذريعتهم
اي وسيلتهم وسبب موصل لهم الى الهداية اي ما يخلصهم وينجيهم واصل الذريعة سترة يتخذها
الصائد للغنون بالصيد والوصول اليه وهو صلى الله عليه وسلم سترة من النيران وجنة لمن
طلب الجنان ومنقذهم مخلصهم من العماية وهي الغواية والجهالة وداعيهم الى الفلاح اي
الفوز والظفر بسعادة الدارين والى الكرامة اي الاكرام بنيل الخير ووسيلتهم الى ربهم
اي موصلهم ومقربهم اليه وجاعل لهم منزلة عنده وشفيعهم في الدنيا والاخرة والمتكلم
عنهم عند الله ببيان اعذارهم وهم احوج ما يكونون الى الكلام وقد خرست الالسن ولم يوذن
لاحد غيره صلى الله عليه وسلم ان يتكلم والشاهد لهم بانهم آمنوا وصدقوا يوم القيمة حين يشهدون
للانبياء عليهم الصلاة والسلام انهم قد بلغوا قومهم فيزكيهم كما تقدم والموجب لهم اي الذي
يحقق لهم البقاء الدايم بالخلود في الجنة وليس المراد الوجوب الشرعي لانه لا يجب على الله
شيء والنعيم في الجنة السرمد اي الدايم الذي لا ينقطع ولولاه صلى الله عليه وسلم لم يكن شيء
من ذلك فقد استبان لك بما ذكر اي ظهر واتضح انه عليه الصلاة والسلام مستوجب
اي مستحق للمحبة الحقيقية لان اسبابها متوفرة فيه صلى الله عليه وسلم على اكمل وجه لا يتيسر
لغيره شرعا بما قدمناه من صحيح الاثار الموجبة له من شرف وحسن فانه المحسن والمتفضل
بكل خير وانا مامورين بمحبته واتباعه بامر من الله له وعادة معطوف على قوله شرعا اي بما
اعتاده الناس في كل عصر من محبة من حاز الكمال كله وجبلة لان كل خير واحسان وصل الينا

فنوسنه

فهو منه والنفوس مجبولة على حب من احسن اليها والجبلة بمعنى الطبيعة قال تع واتقوا الذي
خلقكم والجبلة الاولين اي المجبولين الاولين مما ذكرنا متعلق باستبان آنفا بالمد اي قريبا
وهو منصوب على الظرفية من انف بمعنى تقدم ومنه الانف اسم الجارحة لا فاضته اي اعطائه
من بحر كرمه الاحسان بكل خير دنيوي واخروي وعمومه الاجمال اي تعميم الجميل منه لكل احد
وهذا اجمال لما قدمه بذكر السابقة ثم وضحه بقوله فاذا كان الانسان يحب من منحه اي
اعطاه والمنحة العطية في دنياه اي في حياته في الدنيا مرة او مرتين معروفا اي شيا
حسنا كما مر تفسيره او استنقذه ونجاه من هلكة بفتح الهاء واللام اي مهلك او مضرة امر
يضره ويوذيه بفتح الميم والضاد مدة التاذي بها اي بالمضرة قليل منقطع اي زائل في زمن
قليل وذكره لان المدة بمعنى الزمان او لانه فعيل ومنقطع لمشاكلته ومدة مضاف للتاذي او
منون منصوب والتاذي مبتدا خبره قليل وعلى الاول المبتدا امره فمن منحه ما لا يبيد بموحدة
بموحدة ودال مهملة اي يذهب وينفد من النعيم المخلد في الجنة وهذه النسخة اولى مما وقع
في بعض النسخ من النعم جمع نعمة للسجع ووقاه بالتشديد والتخفيف اي صانه وحماه ما لا يفني
من عذاب الجحيم اي النار من جحم بمعنى توقد وقد يخص بطبقة منها وقوله اولى ما يحب بالبناء
للمفعول وفي نسخة اولى بالحب واولى افعل تفضيل بمعنى احق وهو خبر من اي احق من كل شيء
يحب من نفسه وماله واهله واذا كان يحب مبني للمجهول ايضا بالطبع متعلق باولى وخص
هذا بالطبع لانه ليس محبوبا شرعا او العقل والعادة لا تخالفه ملك بكسر اللام نايب فاعل
يحب لحسن فهو مرفوع وكذا ما بعده وفي نسخة نصب الجميع ويحب مبني للفاعل سيرته
بعدله في رعيته او حاكم غير ملك كامير لما يرى اي ينقل عنه وهو مجهول ايضا من قوام طريقته
اي حسن سلوكه وقوام بكسر القاف وهو العماد والنظام ويجوز فتحه بمعنى الاعتدال قال
تع وكان بين ذلك قواما اي معتدلا او قاض بضاد معجمة اي حاكم الشرع اذا سمع بعدله
وهو بعيد الدار عنه ويروى بصاد مهملة فنعيد تفسيره لما يشاد مبني للمجهول
اي لاجل ما يشيع ويشتهر من ذكره بين الناس وهو مستعار من شاد البنا بشين معجمة ودال
مهملة اذا رفعه ومنه وقصر مشيد وغلط من قال انه بدال معجمة من شاذت علت وفي نسخة
لما فشا بالفاء والشين المعجمة من علمه او كرم شيمته اي سجيته وخلقه وهذا مناسب لاهل
قاص واذا كان يحب من فيه بعض هذه الخصال فمن جمع هذه الخصال كلها وحواها وكل منها
مستقر على غاية مراتب الكمال بحيث لا يشبه صفات غيره كما قال الابوصيري رحمه الله

انما مثلوا صفاتك للناس • كما مثل النجوم الماء •

احق بالحب مما عداه واولى بالميل اليه واعلم انما ذكره من قوله فقد استبان لك
الى لدفع شبهة لمن لا بصيرة له وهي ان هذه الامور انما تتحقق فيه صلى الله عليه وسلم عند من
رآه وشاهده منه لانها المؤثرة في الطباع بان وصول نفعه وخيره لمن بعده معلوم لكل
مؤمن بالغيب وكماله صلى الله عليه وسلم لتواترها وبقاء اثارها كالمحسوس المشاهد
وقد قال علي رضي الله عنه في حديث الحلية السابق ذكره من راه صلى الله عليه وسلم بديهة
اي ابصره في اول رؤيته هابه توقيرا واجلالا لما يرى من نور نبوته ومن خالطه
اي صاحبه صلى الله عليه وسلم وعاشره معرفة احبه اي بعد ما عرف فضايله وفواضله
وشاهد شمايله لا بد ان يحبه وذكرنا في فصل ثواب محبته عن بعض الصحابة وهو ثوبان

كما تقدم انه كان لا يصرف بصره عند محبته فيه صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم

فصل في وجوب مناصحتهم

النصح معناه الخلوص لغة ثم قيل لارادة الخير بقلبه ولسانه وانما قاله بصيغة المفاعلة لان نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم امر مقرر لكل احد فاذا نصحه احد من امته تحققت المناصحة من الجانبين واخر هذا الفصل عن المحبة لانها تترتب عليها • واعلم انه يأتي ان اصل معنى النصح تصفية العسل وخياطة الثوب ثم استعمل في ضد الغش والاخلاص كالتوبة النصوح قال تعالى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اي اثم بضيقهم اذا تخلفوا عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لفقرهم المانع لهم اذا نصحوا لله ورسوله الخ اي اذا اخلصوا الايمان بهما والطاعة لهما ظاهرا وباطنا ما استطاعوا او اخلصوا لهما من فعل وقول يعود على المسلمين بالصلاح وفي الصحيحين عن جابر رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة فقال ان بالمدينة ناسا ما سرتم سيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم حبسهم المرض شركوكم في الاجر ففي الآية دليل على وجوب النصح لله ورسوله كما اشرنا اليه ما على المحسنين من سبيل ووضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على انهم منخرطون في سلك المحسنين غير معاتبين في ذلك والله غفور رحيم لهم او للمسيء فكيف المحسن قال اهل التفسير في بيان معنى الآية اجمالا اذا نصحوا لله ورسوله معناه اذا كانوا مخلصين في اقوالهم وافعالهم مسلمين منقادين مطيعين حال لازمة في السر اي فيما في باطنهم مما اسروه والعلانية ظاهر حالهم المطابق لما في ضمائرهم والعلن والعلا بتخفيف الياء مصدر الجهر والاظهار فالنصح هنا بمعنى الاخلاص والصدق ثم اتبع ما استشهد به من الكتاب العزيز بحديث رواه ابو داود كما رواه مسلم فقال حدثنا ابو الوليد بقراءتي عليه حدثنا حسين بن محمد هو ابو علي الغساني وقد تقدمت ترجمته قال حدثنا يوسف بن عبد الله هو حافظ الاسلام ابن عبد البر وقد تقدم قال حدثنا ابن عبد المؤمن تقدم ايضا قال حدثنا احمد بن يونس ابو عبد الله احمد بن عبد الله بن يونس اليربوعي الكوفي الحافظ الثقة المتقن روى عنه الستة توفي سنة سبع وعشرين ومائتين قال حدثنا زهير بن محمد المروزي نزيل الشام الثقة توفي سنة اثنين وستين ومائة اخرج له الستة وترجمته في الميزان قال حدثنا سهيل بن ابي صالح تقدمت ترجمته عن عطاء بن يزيد الليثي الثقة التابعي توفي سنة سبع او خمس ومائة واخرج له الستة عن تميم الداري وهو تميم بن اوس بن خارجة اللخمي المكني بابي رقية وهي ابنة له لم يولد له غيرها والداري نسبة لجده الدار بن هاني او لدارين اسم مكان ويقال الديري لدير كان يتعبد فيه وقيل انه اسم قبيلة وهو بعيد كما في المطالع وكان نصرانيا اسلم سنة تسع بالمثناة وتوفي سنة اربعين وروى عنه في السنن ومسند احمد وقصته في الجساسة مشهورة قال تميم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة كررها ثلاثا للزيادة للحث والتحريض ولذا عدل المصنف عن رواية مسلم مع ان كتابه اصح الكتب عند علماء المغرب وما قيل انها مكررة في هامش نسخة مسلم فلا وجه للعدول عنه امر سهل وسؤال ساقط والدين ملة الاسلام والنصيحة

تقدم بيانها وفي رواية انما الدين النصيحة وهما بمعنى لافادة تعريف الطرفين الحصر قالوا اي الصحابة الحاضرين عنده لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه بالعمل بما فيه وتعظيمه وحفظه ولرسوله بالايمان به واتباعه وطاعته ولائمة المسلمين الخلفاء والسلاطين والحكام وعامتهم ان اريد العوام فظاهر وان اريد جميعهم فهو من عطف العام على الخاص وسيأتي بيانه قال ائمتنا المراد بهم علماء الاسلام وائمة مذهبه النصيحة لله ورسوله وائمة المسلمين وعامتهم واجبة اي فرض عين على كل مكلف ونقل النووي انها فرض كفاية فان خشي اذى فهو سعة من الترك قال الامام ابو سليمان البستي بضم الموحدة وسين مهملة ومثناة فوقية وياء نسبة بلدة بسجستان وهو ابو سليمان بن محمد بن ابراهيم بن خطاب المعروف بالخطابي الامام المشهور واختلف في اسمه فقيل احمد وقيل حمد توفي ببست في ربيع الاول سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة بالتنوين فقوله ارادة الخير بدل منه او مرفوع او منصوب على هذا ولا مانع للاضافة للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر عنها اي عن الجملة بكلمة واحدة تحصرها اي تجمع جميع معانيها قيل نقل بعضهم غيرها اي غير هذه الكلمة وهي النصيحة ومادتها كالنصح والنصاحة وفي كلامه تسمح فان مجرد ارادة الخير لا يسمى نصحا فالظاهر ان يقول ارشاد المنصوح للخير وايضا في تركيبه شيء لان اسم ليس الظاهر انه ان يعبر وجملة يمكن خبرها فيتعين تاخيرها لما فيه من اللبس بالفاعل ومراده ان هذه من اوجز الاسماء واحصرها لدلالتها على معان بمفردها وكذا قيل في لفظ الفلاح انه ليس في كلام العرب كلمة اجمع لخيري الدنيا والآخرة منها ثم اشار الى اصل معناها لغة بعدما بين معناها في عرف اللغة والشرع بقوله ومعناها في اللغة اي في عرف اللغة الاخلاص اي لنفسه وغيره من قولهم نصحت العسل اذا خلصته وصفيته من شمعه بسكون الميم وفتحها مضافا لضمير العسل فهي فعيلة بمعنى فاعلة او مفعولة لانها خلصت من الغش كما خلص العسل من شمعه وقال ابو بكر بن ابي اسحاق الخفاف وهو امام من ائمة اللغة ترجمته مذكورة في التواريخ وفي نسخة ابن اسحاق وهو ابو بكر احمد بن عمر ابن يوسف الشافعي وهو صاحب كتاب الخصال في مذهب الشافعي كما قاله الرافعي النصح فعل الشيء الذي به الصلاح لنفسه وغيره واراد بالفعل ما يشمل القول والملاءمة بضم الميم ومد الهمزة من لاءمت بينهما اذا وفقت وتلاءموا والتاموا بمعنى وقد تبدل همزته ياء مأخوذة اي مشتقة اشتقاقا وكثيرا ما يعبر عنه بالاخذ ويقولون دائرة الاخذ اوسع من دائرة الاشتقاق من النصاح بكسر النون وتخفيف الصاد وهو الخيط الذي يخاط به الثوب فتلتئم اجزاؤه فالنصيحة على هذا مأخوذة من نصح الثوب اذا خاطه ولا حاجة لنقله عن الخفاف فانه في اكثر كتب اللغة وقال ابو اسحاق الزجاج امام العربية والتفسير تلميذ المبرد وشيخ ابي علي الفارسي وهو ابراهيم بن سهل الزجاج منسوب لعمل الزجاج لانه كان حرفته توفي في جمادى الآخرة من سنة احدى عشرة وثلثمائة وقد ناف على الثمانين نحوه اي قريب مما قاله الخطابي معنى ثم فرع على ما بينه من معناه لغة وعرفا بيان اقسامه فقال فنصيحة الله معناها والمراد بها صحة الاعتقاد اي الاخلاص للايمان به ولذا عداه باللام في قوله له وذلك بتخصيصه بالوحدانية اي بانه واحد احد لا شريك له في الالوهية ولا يشاركه احد في ذاته وصفاته وهو مصدر بمعنى الانفراد وزيد فيه الالف والنون على خلاف القياس كربانى ووصفه بما هو اهله اي بما يستحقه ويليق به كما يقال هو اهل الحمد

وهو اهله ومحله وهو مجاز ما لون مشهود وتنزيهه عما لا يجوز عليه في كل ما يوهم نقصا
والرغبة في محابه جمع محب بفتح الميم اسم مفعول احب بمعنى محبوب اي يرغب في كل ما يحبه
ويرضاه والبعد عن مساخطه بفتح الميم جمع مسخط اسم مفعول اي كل ما يسخط الله ويورث
غضبه من المعاصي وقيل هما جمع مسخوط ومحبوب والاصل محابيب ومساخيط والاخلاص
في عبادته فيعبده امتثالا لامره من غير ريا ولا ارادة امر آخر ولا تضره العبادة رجا الجنة
وخوف النار وان قال الرازي ان الاخلاص بنعم هو مرتبة الخواص وقد فصلناه في محل آخر
فالنصيحة لله حقيقة راجعة الى العبد نفسه لانه تعالى ليس له ناصح ولا يتصور في حقه
فلذا حملت على هذا والنصيحة لكتابه معناها الايمان به اي بانه كلام الله المنزل على رسوله
صلى الله عليه وسلم فيصدق بذلك تصديقا لا ريب فيه والعمل بما فيه باتباع اوامره واجتناب
نواهيه وتسليم متشابهه والايمان به وتحسين تلاوته بالتجويد والترتيل بان يخرج حروفه
من مخارجها من غير تكلف وتشدق فيه ويدخل فيه تحسين الصوت من غير تغن وزيادة مد وقال
القرآن اذ تجويده واجب واختلف هل هو واجب شرعا او صناعة فذهب الى كل من القولين قوم من
الفقها والحق انه واجب شرعا للقادر عليه من غير مشقة كبعض العجم والتخشع عنده
اي عند تلاوته وسماعه ينبغي له ان يظهر الخشوع وان لم يكن خاشعا كبعض العوام كما قيل
ان لم تكن باكيا فكن متباكيا وضمير عنده للكتاب وقيل انه لتحسين التلاوة والاول
اولى واوفق وفي التخشع ما يفيد انه لا ينبغي الصياح واظهار الوجد ما لم يكن عن حال سلب
اختياره والتعظيم له بان لا يقراه محدثا وان لا يمد رجليه ولا يجلس في محل قذر ولذا كرهت
القراة في الحمام وعلى الطرقات والاسواق وتفهمه اي تدبر معانيه والفكر فيه بدقة نظر
والتفقه فيه اي فهم معانيه والنظر في احكامه الفقهية من حلاله وحرامه والاتعاظ بمواعظه
ونصائحه وامثاله والذب عنه بمهملة ومعجمة اي زجر من طعن فيه من الملحدين من تاويل
الغالين في تاويله وطعن الملحدين بما لا يليق به من الغلو وهو تجاوز الحد وللتلاوة وتعلمه
اداب كثيرة بينها النووي في كتاب التبيان في اداب حملة القرآن فعليك به والنصيحة
لرسوله صلى الله عليه وسلم التصديق بنبوته ورسالته الى الناس كافة والى غير ذلك من
الملائكة والجن وبذل الطاعة فيما امر به ونهى عنه لان طاعته واجبة وهي طاعة لله
كما مر قال ابو سليمان هو الخطابي الذي تقدم بيانه وقال ابو بكر هو ابن ابي اسحاق
الخفاف الذي مر ذكره وهو الظاهر الذي ذكره الثقات وقيل هو الحافظ الآجري
ومؤازرته بواو مفتوحة او همزة من الازر وهو القوة او من الوزر وهو الملجا اي معاضدته
ومعاونته وهو معطوف على مقدر او على ما قبله عطف تفسير ونصرته اي اعانته على
اعدائه او نصرة دينه واعلاء كلمته وحمايته اي دفع السوء عنه حيا بالمجاهدة معه
وخدمته وميتا بتقوية دينه وتاييد شريعته وهو راجع لكل ما قبله واحياء سنته
اي هديه وطريقته وفيه استعارة تصريحية بالطلب لها بان يسال عنها ويجتهد في
معرفتها والذب عنها اي دفع الشبه عنها والتاويلات الفارغة ونشرها اي اظهارها
واشاعتها وتعليمها من انتشر الحديث اذا شاع والتخلق باخلاقه اي الاتصاف بمثل صفاته
الماثورة عنه وان لم يكن مساواته ان التشبه بالكرام فلاح الكريمة اي المكرمة
المجيدة واداب الجميلة التي فيها جمال ومدح لمن اتصف بها وقال ابو ابراهيم اسحاق التجيبي

تقدم

تقدم بيانه وانه بفتح التاء وضمها وانه المعروف بالوراق نصيحة رسول الله صلى
الله عليه وسلم معناها التصديق بما جاء به اي الايمان بكل ما جاء به عن الله والاعتصام
بسنته اي التمسك بها ونشرها والحض عليها اي حث الناس وتحريضهم على اتباعها
والدعوة الى الله اي الى الايمان به وتوحيده والى كتابه القرآن بالايمان به والعمل بما فيه
والى رسوله بالايمان به واتباعه واليها اي الدعوة الى سنته والى العمل بها كما مر وقال
احمد بن محمد هو الامام احمد بن حنبل نفعنا الله ببركاته من مفروضات القلوب اي مما
فرض ووجب اعتقاده وجزم القلوب به اعتقاد وجوب النصيحة لرسول الله صلى
الله عليه وسلم بالمعنى المتقدم وقال ابو بكر الآجري الحافظ تقدم بيانه وغيره من
الائمة النصح له صلى الله عليه وسلم يقتضي نصحين اي منقسم الى قسمين نصحا
في حياته ونصحا بعد مماته ففي حياته اي النصح له وهو حي نصح اصحابه اي هو
نصح اصحابه او كنصح اصحابه له بالنصر على اعاديه والمحاماة عنه بدفع السوء عنه
ومن يريده ومعاداة من عاداه ببغضه وتنقيصه وعدم موالاته والسمع اي امتثال
ما يقوله وقبوله كما في قوله سمع الله لمن حمده فانه فسر بقبله والطاعة له اي الانقياد
التام وبذل النفوس اي الذوات والارواح والاموال دونه اي صرفها والجود بها
في حمايته صلى الله عليه وسلم وتقديمهم دون ما يضره كما قال تعالى من المومنين رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية اي عاهدوا الله على بذل ارواحهم واموالهم في
سبيل الله ونصرة رسوله صلى الله عليه وسلم فوفوا بعهدهم وهذه الاية كما في الصحيحين
نزلت في انس بن النضر وكان شق عليه انه لم يحضر بدرا وقال اول مشهد من مشاهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه لان اراني الله مشهدا بعده ليرين الله ما اصنع
فلما كان من العام المقبل وقعة احد استقبله سعد بن مالك فقال له يا ابا محمد الى اين
قال واها لريح الجنة اجدها دون احد فقاتل حتى قتل رضي الله عنه ووجد فيه بضعا
وثمانين طعنة وضربة وقال تعالى وينصرون الله ورسوله الاية اولئك هم الصادقون
وهذه الاية نزلت في المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم ابتغاء رضوان الله واما
نصيحة المومنين له صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فالتزام التوقير اي الادب
والتعظيم والاجلال لقدره برفع ذكره وتعظيمه وشدة المحبة له بكونه احب عنده
من نفسه واهله وماله والمثابرة بمثلثة وموحدة وراء مهملة اي المداومة والمحافظة
على تعلم سنته وفي نسخة تعليم وسنته طريقته وهديه او حديثه والتفقه في
شريعته بفهم معانيها والعلم باحكامها ومحبة آل بيته وهم اقرباؤه الذين لا تحل لهم
الزكاة وقد تقدم بيانهم واصحابه وهم كل من اجتمع به مومنا ومات على ذلك ومجانبة
من رغب عن سنته اي البعد عن كل من تركها وعدم الركون اليه والانحراف عنها
اي مال عنها ورغب في غيرها وبغضه اي اظهار عداوته والتحذير منه من لا يعرفه
بان يعرفهم حاله وينهاهم عن استماع كلامه والشفقة على امته اي التلطف بهم والاهتمام
بهم لاجله صلى الله عليه وسلم لا لامر آخر والبحث اي التفتيش عن تعرف احواله
صلى الله عليه وسلم اي احواله المعروفة وفي نسخة اخلاقه وسيرته قال المرزوقي
في معناها حاله من احوال السير اجري مجرى الشيم والعادات انتهى وآدابه

ليقتدي بها والصبر على ذلك اي حبس النفس عليها بحيث تصير طبيعة له فعلى ما ذكره
الآجري تكون النصيحة احدى ثمرات المحبة لان كل ما ذكره متفرع عليها كما يعرفه من له تامل
وعلامة من علاماتها كما قدمناه في فصل العلامات ولذا قدم المصنف امر المحبة على النصيحة
كما مر وحكى الامام ابي القاسم القشيري عبد الملك بن هوازن بن عبد الملك النيسابوري
صاحب الرسالة وشيخ الطريقة فريد دهره علما وعملا وعمدة اهل السنة وفقيه الشافعية
الجامع بين الشريعة والحقيقة وترجمته مشهورة وتقدم طرف منها توفي في سنة خمس وستين
واربعمائة وعمره تسع وثمانون سنة ان عمرو بن الليث احد ملوك خراسان اقليم معروف
وعمرو هذا اخو يعقوب الصفار وكان يعقوب هذا كما قاله المسعودي في خلافة المعتضد
بالله احد الخلفاء العباسيين في صغره صفارا فتغلب وصار له جيوش عظيمة فتسلط
ثم توفي في سنة خمس وستين ومائتين وخلف اموالا كثيرة خلفه عليها اخوه عمرو المذكور
ومشاهير جمع مشهور الثوار بضم المثلثة وتشديد الواو والف تليها وراء مهملة جمع ثائر
من ثار يثور اذا هاج ووثب بقوة والمراد بهم المتغلبون على الملك فانه كان كذلك لشجاعته
وكثرة جنده المعروف بالصفار منسوب لعمل الصفر وهو نوع من النحاس تعمل منه الاواني
وقد مر وجه التسمية به رؤي من الرؤيا مبني للمجهول وهو مهموز اي رآه بعضهم في المنام
وفي نسخة في النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي ذنوبي وحاسبني فقيل
بماذا اي باي سبب هذا الذي نلته فقال صعدت بكسر العين في الماضي وفتحها في
اي ارتقيت وعلوت ذروة بكسر الذال المعجمة وضمها وهي اعلى كل مرتفع من جبل ونحوه يوما
فاشرفت على جنودي اي رايتهم من مكان عال واطلعت عليهم فاعجبتني كثرتهم اي
حسنت في عيني فتمنيت اني حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم اي كنت في عصره
فشهدت غزواته وحروبه بجندي فاعنته ونصرته على اعدائه بما تلي انا وجندي
معه فشكر الله لي ذلك القول والتمني كما قال ورقة هم

يا ليتني فيها جذع • اخب فيها واضع

ومعناها شكر الله ثوابه وانعامه وغفر لي بسبب قولي هذا وقال ابن فورك شكر الله
ثناؤه عليه عند ملائكته وقيل هو مضاعفة ثوابه واما النصح لائمة المسلمين جمع امام وهو
الخليفة والسلطان المقتدى به والمراد الحكام مطلقا فمعناه طاعتهم في الحق الموافق
للشرع اذ لا طاعة لمخلوق في معصية الله كما ورد في الحديث لقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول
واولي الامر منكم ومعونتهم فيه اي في الحق لا في الباطل فالمعونة والاعانة بمعنى وامرهم
به اي باتباعه وتذكيرهم اياه بان يذكرهم ويعظهم ويحثهم على اتباعه على احسن وجه
برفق وتلطيف القول وتحسينه فانه ادعى للامتثال وتنبيههم على ما غفلوا عنه لعدم
العلم به لخفائه او لعدم الوقوف عليه وكتم عنهم بان كتم فلم يبلغهم خبره من امور المسلمين
تفضوع عليهم وترك الخروج عليهم لمخالفتهم وعصيان امرائهم وهو معطوف على طاعتهم
وتضريب الناس بمثناة مفتوحة وسكون الضاد المعجمة ومثناة وموحدة مكسورتين مجرور
اي ترك تضريبهم وهو اغراؤهم وتحريكهم عليهم بما يضربه اذ الغراه وافساد قلوبهم
اي ترك افساد قلوب الناس عليهم بذمهم وتشهير مساويهم حتى تنفر عنهم القلوب فتؤدي
الى التجري عليهم ومخالفتهم تجر الى مفاسد عظيمة واما النصح لعامة المسلمين المراد بالعامة

هنا من عدا الحكام لا العوام بالمعنى العرفي فمعناه ارشادهم الى مصالحهم اي دلالتهم
على ما يوصلهم الى ما فيه صلاح امورهم ومعونتهم اي اعانتهم في امر دينهم ودنياهم بالقول
والفعل وتنبيه غافلهم لما غفل عنه من مصالحه وتبصير جاهلهم اي تعريفه بما جهله
ليكون ذا بصيرة في اموره ورفد محتاجهم بفتح الراء المهملة اي اعانته ويجوز كسرها فان
الرفد بمعنى العطا والصلة وكل شيء عملته وجعلت له عونا فقد رفدته ومنه الرفادة التي كانت
لقريش في الجاهلية وستر عوراتهم اي يستر عليهم بعض معاصيهم اذا راها فلا يذكرها
حتى يفتضح مرتكبها فاذا ارشده لتركه ذكره خفية فان النصيحة بين الملأ تقريع ودفع
المضار عنهم اي ما يضرهم في دينهم ودنياهم وجلب المنافع لهم اي كل ما ينفعهم دينا ودنيا
وفقنا الله لذلك

الباب الثالث في تعظيم امره

اي شانه وقدره والامور المتعلقة به ووجوب توقيره اي تبجيله وترجيح ما يتعلق به
وبره وصلته بالدعاء له والصلاة عليه وزيادة مقامه وبر اهل بيته قال الله تعالى
يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه
وتوقروه هكذا في اكثر النسخ وليس موافقا للتلاوة لان اية الاحزاب المصدرة بيا ايها
النبي ليس فيها لتؤمنوا الخ والتي في الفتح انا ارسلناك دون يا ايها النبي فقيل كانه
بدا باية الاحزاب وثنى باية الفتح فسقط الفاصل بينهما سهوا او تبيضا له فوصله الناسخ
وفي بعض النسخ انا ارسلناك فقط وشاهدا وما بعده احوال مقدرة كجاء معه صقر صائدا
به غدا واستشهاده بالاية على ما ذهب اليه الضحاك من ان الضمائر كلها له صلى الله عليه وسلم
وشهادته لهم يوم القيمة بما عملوه من طاعة وغيرها وعلى هذا فالوقف على قوله وتوقروه كما
اشار اليه المصنف وهو وقف كاف وقال القرطبي انه تام وفيه نظر فقوله وتسبحوه ابتداء
كلام فان ضميره لله وقال عز وجل يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت
النبي اي لا تجعلوا اصواتكم في خطابكم جهرا فوق جهره صلى الله عليه وسلم بالقول
واخفضوها تادبا وتكريما له وانه لعظم مقامه لا يليق عنده الصخب واللغط على عادة
جفاة الاعراب في ترك الادب الايات الثلاث وهي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض
ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك
الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم واضافة ذي الالف واللام لمثله
جائزة في المثال ونحوه كما تعرفه لمن عنده علم بالعربية والشاهد فيها انه امرهم اذا خاطبوه
صلى الله عليه وسلم ان لا يجهروا ويخفضوا اصواتهم تادبا معه لما في الجهر من الاستخفاف
المؤدي الى الكفر المحبط للاعمال لما فيه من الاهانة وعدم الاعتناء بمقام النبوة ثم اثنى على
من غض صوته عنده بان الله قد امتحنه وعلمه بان له مغفرة واجرا عظيما لارتضائه له
وفيه تعريض بشناعة الجهر وانه لا يغض وان من ناداه صلى الله عليه وسلم وهو في حجراته
مع ان واحدهم مسلوب العقل لعدم اذنه وارشدهم الى الاولى بهم وهو الصبر حتى يخرج اليهم
من نفسه من غير نداء فيكون هو المفتتح بكلامهم والكلام على الاية مفصل في كتب التفاسير
وقال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا بان تنادونه باسمه
يا محمد ونحوه كما سياتي فلا تدعوه بغيره فاوجب تعالى على المؤمنين تعزيره بزاي معجمة

وأمهمله أي أجله وتوقيره أي التأدب معه والزم إكرامه وتعظيمه قال ابن
عباس معنى تعزروه تجلوه الإجلال افعال من الجلال وهو التناهي في عظم القدر
ولذا خص بالله فقيل ذو الجلال والإكرام كما قاله الراغب وقال المبرد شيخ التفسير والنحو
تعزروه تبالغوا في تعظيمه وهو موافق لما قاله ابن عباس رضي الله عنهما وليس أخص
منه كما توهم وقال الأخفش الكبير لتبادره وقيل هو الأوسط صاحب التفسير المسمى بالمعاني
والأخافشة المشهورة ثلاث وهو لقب له من الخفش وهو ضعف البصر وهو من يرى ليلا
ولا يرى نهارا تنصروه وقال الراغب التعزير نصرة مع تعظيم وقال الطبري وهو محمد
بن جرير كما تقدم تعينوه الإعانة أعم من النصرة والتعزير من العزر بفتح فسكون وهو
الرد والدفع ثم نقل لما ذكر لما فيه من دفع العدو والنقايص ولذا قيل لما دون الحد تعزير
لرد عدوه ودفع عوده لجنايته وله معنى آخر وهو الوقوف على الأحكام وقرئ في الشواذ
تعززوه بزائين معجمتين تفعيل من العز وهو التقوية والغلبة كما في قوله تعالى فعززنا
بثالث والعز برفعة القدر وهذه كالمفسرة للقراءة المشهورة ونهوا أي نهاهم الله
في الآية الثانية عن التقدم بين يديه أي بحضرته وعنده بالقول بأن يسبقه
بالكلام وسوء الأدب بسبقه بالكلام في أمر ما وهو قول ابن عباس وغيره
واختيار ثعلب في تفسير الآية وثعلب لقب إمام العربية واللغة وهو أبو العباس
أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني البغدادي توفي سنة إحدى وتسعين ومائتين وقال
سهل بن عبد الله التستري الإمام الزاهد شيخ الطريقة في تفسير قوله تعالى لا تقدموا
بين يدي الله ورسوله لا تقولوا قبل أن يقول فتستفتحون الكلام عنده وهو ترك
أدب وإذا قال فاستمعوا له وأنصتوا أي اسكتوا ثم عطف عليه عطف تفسير
قوله ونهوا عن التقدم والتعجل بقضاء أمر قبل قضائه فيه أي في الأمر وأن
يفتاتوا أي يستبدوا ويستقلوا بشيء في ذلك أي في قضاء أمر من الأمور عنده
يقال افتات يفتات وهمزته أصلية عند أبي عمرو وغيره من أهل اللغة أو هي مبدلة من
حرف العلة كما قالوا في ريث الميت رثاثته وهو من الفوت عند بعضهم ويقال افتات
بالف ويقال افتات الباطل إذا اختلقه من قتال أو غيره من أمر دينهم إلا بأمره ولا
يسبقونه به وإلى هذا المذكور في تفسير الآية يرجع قول الحسن البصري ومجاهد
والضحاك والسدي وسفيان الثوري يعني أنهم فسروا الآية بما هذا حاصله ومآله
إشارة إلى أن أكثر المفسرين ارتضوه ثم وعظهم الله في الآية بعد ما ذكر وحذرهم
مخالفة ذلك أي أمره في قضاياه بعد ما نهاهم عن سبقه بالقول فقال واتقوا الله
فدل على أن مخالفه غير متق إن الله سميع لأقوالهم عند رسوله صلى الله عليه وسلم عليم
بأفعالهم فهو رقيب عليهم يخشى من غضبه وعقابه به تنبيه من الموعظة والتحذير ما لا
يخفى قال الماوردي أبو الحسن وقد تقدم ذكره اتقوه يعني أي يريد الله به هنا في
التقدم بقرينة أول الآية وإن كان مطلقا وقال السلمي أبو عبد الرحمن كما تقدم
اتقوا الله في إهمال حقه أي ترك حقه وتضييع حرمته أي احترامه وتوقيره إنه
سميع عليم بفعلكم فسبقه صلى الله عليه وسلم بالقول ترك أدب من فعله لم يراع حقه
ولا وقر حرمته فهو في معنى ما قبله ثم إنه تعالى نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته

في الآيات الأخيرة وأعاد النداء اهتماما به وتنبيها على أنه أمر آخر مستقل بالنهي
ورفع الصوت بشدة الجهر سوء أدب وغلظة يعتادها العوام والجهر له صلى الله عليه
وسلم عطف تفسير على رفع الصوت بالقول كما يجهر بعضهم لبعض ويرفع صوته
فالمراد النهي عن ارتفاع الأصوات عنده وإن لم يكن الخطاب له في النداء وقيل كما
ينادي بعضهم بعضا فالمراد برفع الصوت النداء فنهاهم عن أن ينادوه كما ينادي بعضهم
بعضا باسمه فعبر عن النداء برفع الصوت لأنه يلزمه غالبا فهو كقوله لا تجعلوا دعاء
الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وبيانه ما قال أبو محمد مكي وهو مكي بن أبي طالب
القيسي المالكي نزيل قرطبة كان متبحرا في العلوم لا سيما علوم القرآن متواضعا
مجاب الدعوة له تصانيف جليلة منها تفسيره المسمى بالهداية وكتابه أحكام القرآن
توفي سنة سبع وثلاثين وأربعمائة أي لا تسابقوه بالكلام هو معنى قوله لا تقدموا
الخ وتغلظوا له الخطاب أي تخاطبوه بغلظة وأصل الغلظة ضد الرقة في الأجسام
ثم شاع في المعاني والخطاب توجيه الخطاب للغير والمراد به هنا الكلام المخاطب به
ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم بعضا أي كنداء بعضكم فهو منصوب على المصدرية
وهو عطف تفسير ولكن عظموه ووقروه ونادوه بأشرف ما يحب أن ينادى به
يا نبي الله يا رسول الله بدل من أشرف وهذا معنى قوله لا تجهروا له بالقول لأن كثيرا
من جفاة الأعراب دأبهم فيما بينهم هذا وهذا أي ما قاله مكي كقوله في الآية الأخرى
لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ووجهه أن النهي عن الشيء أمر بضده
أو يتضمنه وقد نهى الله عن هذه الأمور التي تقتضي إهانته فكأنه أمر بتعظيمه وتوقيره
على أحد التأويلين أي المفسرين اللذين ذكرا في التفاسير وهو أن يكون الدعاء بمعنى
النداء والتسمية أي لا تنادوه باسمه رافعين أصواتكم بأن تقولوا يا محمد يا أبا القاسم كما
ينادي بعضكم بعضا إذا طلب إقباله بل خاطبوه بأدب فقولوا يا رسول الله يا نبي الله يا خير
خلق الله ونحوه والثاني أن يكون المراد بالدعاء الدعاء على أحد أي لا تظنوا أن دعاءه كدعاء
سواء كان بخير أو شر فإن الله ضمن له إجابة دعائه ووعده ممن لا يخلف الميعاد وهذا غير
مراد هنا كما أشار إليه المصنف وهو الذي قاله مكي وقال غيره أي غير مكي معنى الآية
أي لا تجهروا له بالقول الخ لا تخاطبوه إلا مستفهمين وفي نسخة إلا مشفقين من الإشفاق
وهو الخوف وعلى الأول معناه إلا سائلين له متعلمين منه بالأدب ثم خوفهم الله عز وجل
من أن تحبط أعمالهم إذا هم فعلوا ذلك أي جهروا له بالقول ولم يتأدبوا عنده وحذرهم
منه أي من فعلهم هذا بقوله أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون فأن تحبط في محل نصب
بنزع الخافض وبحذف المضاف أي لأن لا تفعلوا ما يؤدي إلى إحباط أعمالكم بالاستخفاف
به وهو كفر فليس فيه دليل لإحباط الأعمال بالكبيرة كما قاله المعتزلة والخوارج قال
في الإشباع من خصائصه صلى الله عليه وسلم أنه لا يجوز لأحد أن يناديه باسمه وما ورد
في الحديث من أن أعرابيا قال له صلى الله عليه وسلم يا محمد أنا رسولك الخ فمحمول
قبل إسلامه أو قبل النهي أو قبل علمه به ثم إنه لو ناداه أحد بكنيته فقال يا أبا القاسم
هل يحرم أم لا انتهى وهذا مخصوص بحياته وهذا مقيد بما فيه استخفاف فلو اقتضته
حال لم يحرم كما في حال الحرب والجهاد له قيل نزلت الآية في وفد بني تميم قبيلة معروفة

سمّوا باسم جدّهم والوفد جمع وافد وهو القادم على العظماء لأمر ما وكان ذلك في
سنة تسع وهي سنة الوفود وكان صلى الله عليه وسلم أرسل إليهم سرية فنحوا عليهم
وأخذ أموالهم ومواشيهم وأسارى فقدموا إلى المدينة فجلسوا في دار رملة بنت الحارث فأرسلوا
عدة من رؤسائهم فجاؤوا بابه صلى الله عليه وسلم ونادوا يا محمد اخرج إلينا كما فصل في السير
وقيل نزلت الآية في غيرهم أي غير بني تميم من العرب أتوا النبي صلى الله عليه وسلم
فنادوه من خلف داره يا محمد اخرج إلينا فذمهم الله تعالى بالجهل بمقام النبوة وترك
الأدب ووصفهم بأن أكثرهم لا يعقلون بقوله إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم
لا يعقلون وقيل نزلت الآية الأولى أي قوله لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي في تماري
بتاء مضمومة وحاء وراء مهملتين وهي المجادلة ومراجعة القول بين أبي بكر وعمر رضي الله
عنهما بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم أي في مجلسه وحضوره واختلاف جرى
أي وقع بينهما حتى ارتفعت أصواتهما وهو كما في البخاري عن ابن الزبير رضي الله عنه
وهو أن أبا بكر رضي الله عنه قال في أمر بني تميم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمّر عليهم
القعقاع بن معبد فقال عمر رضي الله عنه بل الأقرع بن حابس فقال أبو بكر ما أردت إلا خلافي
فقال عمر ما أردت خلافك وتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزلت الآية فما كان عمر رضي
الله عنه يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يستفهمه والحكم عام وسببه خاص ۰ وقيل
إنه في أمر الزبرقان والذي ارتضاه السيوطي الأول وقيل نزلت الآية كما روي عن ابن عباس
في ثابت بن شماس بن مالك بن امرئ القيس الخزرجي الأنصاري وكان خطيب الأنصار
وكان أيضا خطيب النبي صلى الله عليه وسلم ليس المراد بالخطيب خطيب الجمعة والعيدين
بل كان من عادة العرب إذا اجتمعوا لمهم يقوم واحد منهم ويتكلم كلاما بليغا تقتضيه للأمر
الذي اجتمعوا له كالمفاخرة وتفضيل بعضهم بعضا ما أشبهه فكان له صلى الله عليه وسلم خطيب
عند الوفود وشاعر كحسان رضي الله عنه في مفاخرة بني تميم لما قدم وفدهم عليه صلى
الله عليه وسلم وشرف وكرم ودخلوا المسجد ونادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اخرج
إلينا يا محمد ورفعوا أصواتهم فآذى رسول الله صلى الله عليه وسلم صياحهم فخرج إليهم
فقالوا جئناك لنفاخرك فأذن لخطيبنا وشاعرنا فأذن لهم فقام خطيبهم وهو عطارد فقال
الحمد لله الذي له علينا الفضل والمن وهو أهله الذي جعلنا ملوكا ووهب لنا أموالا عظاما
نفعل فيها المعروف وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثره عددا وعدة فمن مثلنا في الناس ألسنا
برؤوس الناس وأولي فضلهم فمن فاخرنا فليعدد مثل ما عددنا ولو شئنا لأكثرنا الكلام ولكنا
نحيا من الإكثار فيما أعطانا وإنا نعرف بذلك أقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا وأمر أفضل
من أمرنا ثم جلس فقال النبي صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس الخزرجي قم فأجبه
فقام وقال الحمد لله الذي السموات والأرض خلقه قضى فيهن أمره ووسع كرسيه علمه
ولم يك شيء قط إلا من فضله ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكا واصطفى من خير خلقه رسولا
أكرمه نسبا وأصدقه حديثا وأفضله حسبا فأنزل عليه كتابه وائتمنه على خلقه فكان خيرة
الله من العالمين ثم دعا الناس إلى الإيمان به فآمن برسوله المهاجرون من قومه وذوي
رحمه أكرم الناس أحسابا وأحسنهم وجوها وخيرهم فعالا ثم كنا أول الخلق إجابة لله
حين دعانا رسوله صلى الله عليه وسلم فنحن أنصار الله ووزراء رسول الله صلى الله عليه وسلم

نقاتل الناس حتى يؤمنوا فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه ومن كفر جاهدناه
وكان قتله علينا يسيرا أقول قولي هذا وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم
ثم قام شاعرهم الزبرقان بن بدر فأنشد شعرا في فخر قومه فأمر رسول الله صلى الله عليه
وسلم حسان فأجابه كما هو مبسوط في السير فأسلم بنو تميم فرد عليهم رسول الله صلى الله
صلى الله عليه وسلم سبيهم وما لهم وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال ما بالشعر بعثت
ولا بالفخر ولكن هاتوا ما عندكم وكان في أذنيه أي أذني ثابت رضي الله عنه صمم
فكان يرفع صوته أي كان هذا دأبه كما تراه فيمن به صمم وإنما احتاج لرفع الصوت من
كلمه ليسمعه أو نسب الرفع له لأنه تسببه والأول هو المراد كما صرح به فلما نزلت
هذه الآية التي نهت عن رفع الصوت عنده أقام في منزله يعني لم يأت مجلس رسول الله
صلى الله عليه وسلم وخشي أن يحبط عمله برفع الصوت عنده صلى الله عليه وسلم
ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم ليعتذر له عن تخلفه عنه بعد ما سأل عنه فقال يا نبي
الله لقد خشيت أن أكون هلكت أي تحقق هلاكي لأني إن حضرت عندك بطل عملي وإن
تخلفت فاتني كل خير وليس المراد بالهلاك الموت لأنه ترك حضور صلاة الجماعة لمرض لحقه
من شدة خوفه كما قيل إذ ليس هنا ما يدل عليه وقد بين موجب هلاكه الذي تحقق عنده
حتى كأنه وقع بقوله نهانا الله أن نجهر بالقول عندك وأنا امرؤ جهير الصوت فقال
صلى الله عليه وسلم له يا ثابت أما ترضى أن تعيش حميدا أي محمودا عند الله والناس
وهذا يدل على قبول عمله وأنه لا يحبط فهو الجواب حقيقة وتقتل شهيدا فيكون لك خير
الدنيا والآخرة وفيه معجزة له صلى الله عليه وسلم لإخباره بالغيب كما أشار إليه بقوله
وتدخل الجنة فقتل يوم اليمامة أي في وقعة اليمامة في خلافة الصديق سنة ثنتي
عشرة في ربيع الأول وهي وقعة مسيلمة المشهورة واليمامة اسم مدينة من جانب اليمن على
مرحلة أو مرحلتين من الطائف وأربع من مكة وكان خرج في وقعتها مع خالد بن الوليد فلما
التقوا لم ينكشفوا فقال ثابت وسالم مولى أبي حذيفة ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم فحفر كل واحد منهما حفرة له وثبتا وقاتلا حتى قتلا وروي رواه طاهر
بن شهاب أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية لا ترفعوا أصواتكم
فوق صوت النبي قال أبو بكر امتثالا لقول الله تعالى وخوفا من مخالفة نهيه ولذا أكده بالقسم
فقال والله يا رسول الله لا أكلمك بعدها أي بعد نزول هذه الآية إلا كأخي السرار
أي إلا كلاما خفيا كالمسارة وهي الكلام بخفية حتى لا يسمعه من عنده والسرار بكسر السين
مصدر سارره مسارة وسرارا وهي مفاعلة في السر والأخ في التشبيه معروف يتجوز به
عن المثل والشبه كقولهم كان وأخواتها ويكون بمعنى الصاحب والمراد الأول ويجوز إرادة
الثاني وهذا مروي عن ابن عباس وعمر أيضا كما ذكره المصنف بقوله وأن عمر كان إذا حدث
صلى الله عليه وسلم حدثه كأخي السرار وهذه العبارة من كلامهم قديما ما كان يسمع
بضم الياء وكسر الميم وفاعله ضمير أبي بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول
هذه الآية حتى يستفهمه رسول الله صلى الله عليه وسلم لشدة إخفائه كلامه وهو تفسير
لقوله كأخي السرار فأنزل الله فيهم أي في حق أبي بكر وعمر ومن ضاهاه كثابت مدحا
لهم إن الذين يغضون أصواتهم أي يخفونها عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله

[margin: الأصوات] [margin: ق] [margin: نه]

الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم والامتحان التجربة والمراد أنه عاملهم معاملة
المختبر ليظهر للناس أدبهم وتقواهم واستحقاقهم للأجر العظيم وقيل نزلت آية إن الذين ينادونك
الخ في غير بني تميم من الأعراب نادوه باسمه لجهلهم بمقامه وعدم أدبهم وروي رواه
الترمذي والنسائي عن صفوان بن عسال بفتح العين والسين المشددة ابن الربض بن زاهر
المرادي الكوفي الصحابي المشهور روى عنه الستة بينا بالألف كافة كبينما وفي نسخة بينما
النبي صلى الله عليه وسلم في سفر إذ ناداه أعرابي بصوت له جهوري بفتح الجيم وسكون
الهاء والواو ومفتوحة أي صياح شديد يقال جهور وجهر إذا رفع صوته وهو جهوري الصوت
وجهيره أي رفيعه وبين ظرف مكان أو زمان يجاب بجملة وقد يتصور بإذ أو إذا الفجائية والأكثر
تركهما كقوله

فبينا نحن نرقبه أتانا • معلق وفضة وزناد راعي •

ويعم بعدها الجمل إذا كفت بما والألف يا محمد يا محمد مرتين وفي نسخة ثلاثا ويا
ينادى بها البعيد فقلنا له أي قال له الصحابة تعليما له وتأديبا اغضض من صوتك
أي لا ترفعه وإنك قد نهيت أي نهاك الله عنه حذف فاعله للعلم به • واعلم أن رفع الصوت
يكره في بعض المواضع كمجلس العظماء إذا تكلف من غير داع وقد يستحب في بعض المواضع كالأذان
ومجالس الوعظ والخطبة ولذا روي أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا خطب وذكر الساعة
وعلا صوته حتى يسمع بالسوق وكانت العرب تفخر بالصوت الجهير كما قيل

جهير الكلام جهير العطا • جهير الرواء جهير النغم •

فنهى الله عما اعتادوه في الجاهلية وقول لقمان لابنه اغضض من صوتك نهي عن الجهر تهاونا
بالناس ثم ذكر من توقيره صلى الله عليه وسلم أمرا آخر فقال وقال الله تعالى لا تقولوا
راعنا كان المؤمنون يقولونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خاطبهم يريدون تأن في
خطابك حتى نفهم كلامك فراع مقامنا فإنا لسنا فهما فانظر لحالنا فانتهز اليهود الفرصة
وقالوها لأنها كانت كلمة يتسابون بها كما يأتي عن الكشاف وقال بعض المفسرين هي لغة في
الأنصار كانوا يقولونها في محاوراتهم إذا أرادوا التفهم نهوا عن قولها تعظيما للنبي صلى الله
عليه وسلم لأنها ولاعتياده خطاب الأقران وتبجيلا له أي تعظيما له صلى الله عليه وسلم وهو
أبلغ من التعظيم لأن معناه قال له بجل أي حسبك لأن معناها ارعنا نرعك من المراعاة
أي احفظنا نحفظك فنهوا عن قولها إذ مقتضاها على تفسيرها السابق
أنهم لا يرعونه ويراعون مقامه إلا برعايته لهم لأن المعنى ارعنا نرعك بل حقه اللائق به
أن يرعى على كل حال راعاهم أم لا بخلاف انظرنا فإن معناها انظر إلينا وفهمنا وبين لنا وهي
كل أدب فلذا أمر الله بأن تقال دون راعنا وقيل كانت اليهود تعرض بها له صلى الله
عليه وسلم بالرعونة وهي الخفة والحماقة وجعلها تعريضا لأنها تحتمل الرعاية احتمالا ظاهرا
وقول البرهان إنها إنما تأتي على قراءة شاذة راعنا بالتنوين والنصب ليس بشيء لأنه لو كان كذلك
كان تصريحا لا تعريضا ولذا روي أن اليهود قالوا كنا نسب محمدا سرا فصار ذلك علنا فكانوا
يقولون يا محمد راعنا ويضحكون ففطن لهم سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه فقال لليهود
عليكم لعنة الله والله لأضربن عنق من سمعته يقولها فنهي المسلمون مبني للمفعول أي
نهاهم الله عز وجل عن قولها قطعا للذريعة الذريعة في اللغة الوسيلة والسبب وقال بعض
شراح المدونة إن أصل معناها لغة جمل يترك هملا في فلاة يصاد فيه الظباء والحمر الوحشية

تستأنس به الصيد وتمل وترعى معه فإذا ذهبوا للصيد لم يهرب الجمل منهم لأنسه بالناس فإذا
وقف للصيد معه فيأخذون منه بسهولة ثم سمي به كل ما كان سببا للهلاك فإنه سبب
لهلاك الصيد الذي معه كما أن هذه سبب لهلاك من قالها فلذا جعلت ذريعة وهي فعيلة
بذال معجمة وراء وعين مهملتين • واعلم أن الشراح رحمهم الله تعالى لم يتعرضوا هنا لبيان المراد
بهذه العبارة هنا وهي إشارة إلى قاعدة مشهورة في مذهب الإمام مالك وهي وجوب سد
الذريعة أي يجب دفع كل ما يؤدي إلى فساد في أمر مشروع وقد ظن كثير أن هذه المسألة
مخصوصة بمذهب مالك وأنه واجب عنده مطلقا وليس كذلك كما قاله العلامة القرافي حيث
قال ليس كل ذريعة فساد يجب سدها مطلقا فإن الذرائع ثلاثة أقسام فمنها ما أجمع
الناس على وجوب سده كسب الأصنام عند من يسب الله إذا سبت وحفر الآبار في طريق
المسلمين وإلقاء السم في طعامهم • ومنها ما أجمعوا على عدمه كالمنع من غرس الكروم لئلا يتخذ
منها خمر • ومنها ما اختلف فيه كبيوع الآجال • ومنها ما يكون خلاف الأولى وقد تكون ذريعة
الفساد ذريعة لمصلحة أيضا فتقدم الأرجح منهما كدفع المال للكفار لافتكاك الأسير
والحاصل كما نقله بعضهم عن علمائهم المتأخرين أن سد الذريعة في الأصل من باب الورع
والاحتياط لا من الواجب إذ المفعول بهما ليس فسادا في حد ذاته والفساد معهما مظنون
وقد اشتهر نسبة هذه المسألة للمالكية حتى ظن كثير أنها من خواصهم وليس كذلك كما علم مما
بينه القرافي ومنعا للتشبه بهم أي أن يتشبه المؤمنون باليهود في قولها أي في
التكلم بهذه الكلمة لمشاركة اللفظ واتحاده وإن كان قصد المسلمين غير ما قصده اليهود
وقال الواحدي في الوسيط النهي عن التكلم بهذه الكلمة مخصوص بذلك الوقت لإجماع الأمة
على جواز المخاطبة بهذه اللفظة الآن ونقله الأصبهاني في تفسيره ويبقى الكلام في أسباب
النزول وقيل في تفسير هذه الآية غير هذا المذكور في تفسيرها ففي الكشاف كان المسلمون
يقولون له صلى الله عليه وسلم إذا أخفي عليهم شيء من كلامه راعنا أي تأن حتى نفهم كلامك
ونحفظه وكان لليهود كلمة سريانية أو عبرانية يتسابون بها وهي راعينا فلما سمعوا قول
المسلمين راعنا بمعنى انظر إلينا انتهزوا الفرصة وقالوها يريدون سبه صلى الله عليه وسلم
بها فنهي المسلمون عن قولها لما فيها من الإبهام وأمروا أن يقولوا انظرنا من النظرة أي أمهلنا

فصل في عادة الصحابة في تعظيمه عليه الصلاة والسلام وتوقيره وإجلاله

أي في نقل أخبارهم فيما كانوا يعتادونه من المعاملة معه بالأدب وغاية الإجلال له فمنه
ما رواه المصنف هنا من حديث طويل رواه مسلم فأشار إليه بقوله حدثنا القاضي أبو
علي الصدفي هو ابن سكرة وقد تقدم والصدفي نسبة لصدف قبيلة بالمغرب وأبو عمر
الأسدي نسبة لقبيلته بسماعي عليهما في آخرين مبتدأ وخبر إشارة إلى أن من مشايخه
وطريق روايته هذا الحديث عنهما قالوا أي مشايخه لا هما والآخرون لأنه لم يرو عنهم قد
بضمير الجمع تعظيما أو لأن الواحد وما فوقه جمع قال حدثنا أحمد بن عمر قال حدثنا أحمد
بن الحسن العباس بن بندار الرازي المعروف بالروايه وفي بعض النسخ الحسين والصحيح
الأول قال حدثنا محمد بن عيسى هو الجلودي كما تقدم قال حدثنا إبراهيم بن سفيان
قدمنا ترجمته قال حدثنا مسلم صاحب الصحيح وتقدمت ترجمته قال حدثنا محمد بن مثنى

تقدم تفصيل ترجمته وابو معمر الرقاشي وهو زيد بن يزيد البصري الثقة واسحاق
بن منصور الحافظ الثقة المعروف بالكوسج اخرج له الستة وتوفي في سنة احدى وخمسين
ومايتين قالوا حدثنا الضحاك بن مخلد ابو عاصم الشيباني البصري الثقة توفي في ذي
الحجة سنة ثلاث عشرة ومايتين وترجمته في الميزان قال حدثنا حيوة بن شريح تقدم ايضا
وفي نسخة انبانا قال حدثنا يزيد بن ابي حبيب الازدي محدث مصر وكان حبشيا من العلما
الحكما الاتقيا توفي في سنة ثمان وعشرين ومايه واخرج له الستة عن ابن شماسة بضم
الشين المعجمة وميم والف وسين واسمه عبد الرحمن المهري بميم مفتوحة وها ساكنة
وراء ويا نسبة وهو حافظ ثقة توفي في خلافة يزيد بن عبد الملك وما في بعض
النسخ من انه الفهري تحريف قال حضرنا عمرو بن العاص بن هشام بياء وقد تحذف فذكر
حديثا طويلا فيه عن عمرو وقال وما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولا احد اجل في عيني منه تثنية عين ويجوز افراده والمعنى واجل وما
كنت اطيق اي اقدر ان املا عيني منه اي اطيل النظر اليه وملء العين تحقيق النظر
وتطويله وهو مجاز مشهور وقوله ولكن ملء عيني حبيبها بمعنى آخر بمعنى ما يحبه ويحسن
منظره اجلالا له اي لاجلاله وهيبته ولو سئلت ان اصفه بحليته ما طقت وقدرت
لعدم احاطة علمي به لاني لم اكن املا عيني منه لو هنا لتحقق الجواب على كل حال
كقوله نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه اي لا اقدر ان اصفه على تقدير اني سئلت
فكيف اذا لم اسال فلا يقال ان لو لامتناع الشرط والجواب فيقتضي انه يطيق وصفه والمراد
خلافه وحديث مسلم في الايمان حضرنا عمرا في سياقة الموت يبكي طويلا وحول وجهه الى
الجدار فقال ابنه يا ابتاه اما بشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا او كذا فاقبل
بوجهه وقال ان افضل ما نعد شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله اني كنت على
اطباق ثلاث الخ فذكر حاله في جاهليته وبغضه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكر
اسلامه وشدة حبه له بعد ذلك ثم ذكر ما آل اليه في الولاية وخوفه من اثامها رضي الله عنه
وروى الترمذي والحاكم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج من بيته على
اصحابه من المهاجرين والانصار رضي الله عنهم وعداه بعلى وهو يتعدى بالى ومعناه
خروج خاص لمن لم ينظره وهم جلوس في المسجد فيهم ابو بكر وعمر فلا يرفع احد منهم اليه
بصره بل يطرقون لهيبته الا ابا بكر وعمر رضي الله عنهما ويجوز الا ابو بكر وعمر نصبا
فانهما كانا ينظران اليه وينظر اليهما ويتبسمان اليه ويتبسم اليهما لما بينهما من
الالفة وقدم الصحبة والصهارة وتمكن مقامهما عنده صلى الله عليه وسلم وروى اسامة
بن شريك الصحابي الثعلبي من ثعلب بن يربوع وقيل من ثعلبة بن بشكر وقد اخرج له
اصحاب السنن واحمد في مسنده قال اي اسامة اتيت النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه حوله اي محيطون به في مجلسه كانما على رؤسهم الطير وهذا مثل تضرب به العرب
لشدة الرزانة والسكون لان الطير لا تنزل الا على ساكن وقيل تقدم وفي مقصورة البوصيري

كانما الطير على رؤسهم ● من كل غصن في ربا المجد نما ●

وهذا الحديث رواه الاربعة وصححه الترمذي وفي حديث صفته بالتا الفوقية يعني حديث
الحلية المشهور وصحفه بعضهم بصفية بالياء التحتية اسم امراة ولا يعرف هذا وانما المروي

الرواية

روايته عن هند بنت ابي هالة كما تقدم اذا تكلم صلى الله عليه وسلم اطرق
جلساؤه كانما على رؤسهم الطير اي طاطاوا رؤسهم تادبا وذكر هذا مع ما تقدم
اشارة لتعدد طرقه ولما بينهما من المغايرة بذكر وجه الشبه والعموم في الجلسا المافيه
من ان كل من حضر مجلسه صلى الله عليه وسلم ولو من اعرابيه يتادب به لانه امر ذاتي له
وقال عروة بن مسعود رضي الله عنه ابن معتب الثقفي حين وجهته قريش الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم سنة ست بالحديبية لما صدوه عن دخول مكة معتمرا عام
القضية اراد به قصة الحديبية وقيل اراد السنة التي قضى فيها العمرة والقضية بمعنى
القضا والمراد عام جرى فيه القضا والقضية اذ القضا وقع بعد الحديبية وعروة
انما جاء بالحديبية فهو محتاج للتاويل ولذا قيل ان القضية وقعت عام الحديبية سنة
ست وعام القضية كان سنة سبع بعد فتح خيبر فلعل المصنف اراد القضية اللغوية
التي جرت في الحديبية من الصلح والصد عن البيت وبيعة الشجرة ولم يرد القضية
التي ارادها اهل السير انتهى وهذا بنا على ان عمرته صلى الله عليه وسلم بالحديبية لم تتم
فتسمت لما صدوه عن البيت وقد اختلف الفقها في مثله فقيل يجب الهدي ولا قضاء
وقيل يجب القضا بلا هدي وقيل لا يلزمه هدي ولا قضا وقيل يلزمه الهدي والقضا
وقصة القضية مفصلة في السير وعروة هذا اسلم لما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم
من الطائف وادركه قبل وصوله الى المدينة وكان حين ارسلوه مشركا ورأى عروة من
تعظيم اصحابه له صلى الله عليه وسلم ما رأى هذا فيه من المبالغة ما في قوله تعالى
فغشيهم من اليم ما غشيهم اي رأى من اكرامهم له صلى الله عليه وسلم وتعظيمهم له شيئا عظيما
لا يمكن التعبير عنه لخروجه عن الحصر ولهذا ابهمه وان ذكر بعضا منه بقوله وانه صلى الله
عليه وسلم لا يتوضا الا ابتدروا اي اسرعوا واخذوا وضوءه بفتح الواو اي بقية الماء
الذي توضا به وما تساقط قبل وصوله الى الارض وكادوا اي قربوا لازدحامهم ودفع
بعضهم بعضا من ان يقتتلوا عليه اي على وضوئه واخذه لحرصهم على التبرك بما مسته
صلى الله عليه وسلم بيده ولا يبصق بصاقا اي رمى شيئا من ريقه الشريف ولا تنخم نخاعة
بضم النون لانه فعالة وضم لكل قليل انفصل من شي كالبرابة والتنخم اخراجه من الفم
والفرق بين البصاق والنخامة ان الاول ما يخرج من الفم والثاني ما يخرج من اقصى
الحلق الا تلقوها اي النخامة باكفهم واكتفى بضميرها عن ضمير البصاق وكان الظاهر تلقوهما
او جعلهما شيئا واحدا لاتحادهما جنسا فدلكوا بها وجوههم واجسادهم تبركا بهما
ولا تسقط منه شعرة بفتح العين وسكونها في حلاقة راس ونحوه الا ابتدروها وسا
لاخذها واذا امرهم بامر ابتدروا امره بالامتثال والامر مصدر او بمعنى المامور وكان
حقه ان يقول ابتدروه فصرح به تفخيما لشانه ونبه لتعدده واذا تكلم صلى الله عليه
وسلم خفضوا اصواتهم عنده لتبيين ما يقول لهم ولا يحدون اليه النظر اي لا
ينظرون اليه صلى الله عليه وسلم نظرا حديدا اي قويا او لا يبلغ نظرهم اليه حده ومنتهاه
بل ينظرون اليه من طرف خفي مطرقين رؤسهم تادبا بالجلالة في قلوبهم تعظيما له صلى
الله عليه وسلم والنفي لا للتنفي اي يتركون كمال نظرهم لتعظيمه صلى الله عليه وسلم فلما
رجع عروة الى قريش قال لهم يا معشر قريش المعشر والعشيرة بمعنى اني جئت كسرى

وهو الاصح

منه

رعول

بفتح الكاف وكسرها ملك فارس كما تقدم في مملكته في زمان سلطنته وقيصر ملك الروم
في ملكه وجيت النجاشي ملك الحبشة في ملكه فرأيتهم وشاهدت عظمتهم والنجاشي بفتح
النون وكسرها وياؤه مشددة ومخففة واني والله ما رايت ملكا في قوم قط مثل محمد في
اصحابه اي لا يعظمون ملكهم كما يعظمه صلى الله عليه وسلم اصحابه وفي رواية لحديث
عروة ان بكسر وتخفيف نافية بمعنى ما رايت ملكا قط يعظمه اصحابه كمثل ما يعظم
محمدا اصحابه ففيه مضاف مقدر وما مصدرية او موصولة اي كالتعظيم الذي يعظمه اصحابه
والعائد مقدر وقد رايت قوما يعني بهم الصحابة رضي الله عنهم لا يسلمونه بضم اوله
وسكون ثانيه وكسر لامه مضارع اسلمه يقال اسلمه لعدوه اذا امكنه منه وخلى بينه وبينه
ويقال اسلمه اذا القاه في هلكة فهو عام اريد به خاص ابدا ظرف لاستغراق الزمان المستقبل
كما ان قط لاستغراق الماضي يعني ان ما شاهدته من احوالهم في تعظيمه صلى الله عليه وسلم
وانقيادهم له يدل على انهم لا يقصرون في نصره ويبذلون انفسهم دونه فاياكم ان تطمعوا
في خلافه وهذا بعض من حديث طويل رواه البخاري وعن انس في حديث رواه مسلم قال فيه
لقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق بتشديد اللام وهو الذي يحلق شعر
راسه فقوله يحلقه بتقدير مضاف وقد طاف به اصحابه اي جلسوا حلقة حوله صلى
الله عليه وسلم وطاف بمعنى دار واطاف بمعنى استدار من غير حركة فما يريدون ان تقع
شعرة من شعر راسه الا في يد رجل منهم حرصا على التبرك بآثاره صلى الله عليه وسلم
والذي حلق راسه وقلم اظفاره معمر بن عبد الله العدوي في حجة الوداع وقال ابن الاثير
في الانساب انه خراش بن امية الكلبي وكان ذلك يوم الحديبية كما قاله ابن عبد البر والذي
حلقه بالجعرانة ابو هند وكان لا يحلق الا في حج او عمرة ومن هذا اي من تعظيم الصحابة
له صلى الله عليه وسلم لما اذنت قريش لعثمان بن عفان رضي الله عنه حين ارسله صلى
الله عليه وسلم الى اهل مكة وهو بالحديبية وقد صدوه عن البيت وارساله لاعلامهم
بانهم لم يأتوا لقتالهم فلا وجه لصدهم عن دخول الحرم فلم يرضوا بذلك ولكنهم اذنوا له
رضي الله عنه في الطواف بالبيت بعد منعهم له كغيره حين وجهه اي ارسله رسول الله
صلى الله عليه وسلم لجهتهم في القضية اي قضية صدهم المسلمين عن البيت وهم بالحديبية
كما مر ابى الطواف وهو جواب لما وقال ما كنت لافعل الطواف وحدي ورسول الله صلى
الله عليه وسلم ممنوع منه ولم يرض لذلك فلا اطوف حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه
وسلم ففيه من تعظيمه والوقوف عند امره ما لا يخفى وهذه القصة مفصلة في السير وذلك
انهم لما صدوهم عن دخول مكة وارسلوا عروة لاعلامهم بذلك ارسل رسول الله صلى الله عليه
وسلم لعظماء قريش ليخبرهم بمجيئه صلى الله عليه وسلم معتمرا لا مقاتلا فلما دخل مكة اجاره
ابان بن العاص حتى يبلغ رسالته فلما بلغهم قالوا له ان قضيت فقال ما كنت لافعل فاحتبسوه
وبلغ المسلمين انه قتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز القوم وبايع
بيعة الرضوان تحت الشجرة كما رواه الترمذي عن طلحة رضي الله عنه وقال انه حسن غريب
وقوله ما كنت لافعل ابلغ من لا اطوف وفي حديث طلحة الذي رواه الترمذي وحسنه
ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لاعرابي جاهل سله اي سل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عمن قضى نحبه في قوله تع من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه

فمنهم

فمنهم من قضى نحبه والنحب النذر والعهد استعير هنا للموت لانه لازم له كانه نذر
في ذمته يجب قضاؤه والزم نفسه ان يجاهد في سبيل الله ويقاتل اعداءه والثبات
في مواقفه حتى كانه نذر عليه والمراد هنا الثاني فمن اقتصر على الاول فقد قصر اي
منهم من قاتل حتى مات شهيدا كحمزة رضي الله عنه وكانوا اي اصحابه يهابونه ويوقرونه
فلا يكثرون سؤاله صلى الله عليه وسلم اجلالا له فساله الاعرابي فاعرض عنه ولم يجبه
اذ طلع طلحة اي كان اعراضه في وقت طلوعه اي مجيئه لمجلسه صلى الله عليه وسلم
وقيل اذ هنا فجائية كقوله   فبينما العسر اذ دارت مياسير
اي فاجاهم طلوعه عليهم بغتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ممن قضى نحبه
وهو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن كعب بن سعد التيمي احد العشرة وفي الصحابة طلحة
تيمي غيره وهو الذي نزل فيه قوله تع وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله الاية وروى ابو
نعيم انه صلى الله عليه وسلم تلا هذه الاية على المنبر فساله رجل من هؤلاء فاقبل طلحة
بن عبيد الله فقال هذا منهم وكذا في سنن ابن ماجة وفي تفسير ابن ابي حاتم ان عمارا منهم
وفي تفسير يحيى بن سلام هم حمزة واصحابه قال ابن التين كان ممن في ذلك اليوم عبد
الله بن جحش ومنهم من ينتظر منهم طلحة بن عبيد الله انتهى قال ابن الملقن فاجتمع منهم انس
بن النضر وطلحة بن عبيد الله وعمار وحمزة واصحابه الذين قتلوا معه باحد انتهى وطلحة
هذا هو الملقب بطلحة الخير والفياض وانما قال صلى الله عليه وسلم في حقه ذلك لانه
كان غاب عن بدر فقال لئن حضرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا آخر ليرين
الله ما اصنع فلما كان يوم احد ابلى فيه بلاء حسنا ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يومئذ بنفسه واتقى النبل بيده حتى شلت اصابعه وحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ظهره حتى استعلى الصخرة فلذا شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بما شهد وهو احد
العشرة فالنحب هنا بمعنى العهد لانه مشترك بينه وبين النذر والموت وفيه في الاية
كلام طويل في التفاسير واما لي ابن الحاجب ليس هذا محله وفي حديث قيلة الذي رواه
ابو داود والترمذي وقيلة بفتح القاف وسكون المثناة التحتية ولام وهي بنت مخرمة
العنبرية الصحابية وقيل انها تميمية كما تقدم وحديثها في الشمائل وفيه قال فلما رايته
صلى الله عليه وسلم جالسا القرفصا وهو نوع من الجلوس محتبيا بيديه قال في القاموس
القرفصا مثلث القاف والفا مقصور والقرفصا بضم القاف والرا ان يجلس على اليتيه
ويلصق بطنه بفخذيه ويحتبي بيديه ويضعهما على ساقيه او يجلس على ركبتيه
متكئا بطنه بفخذيه انتهى ارعدت اي حصل لي رعدة واضطراب من الفرق بفتحتين
اي شدة الخوف وذلك اي ما كان لي من الرعدة والخوف هيبة له وتعظيما لجلالته
وعظمه في عين رائيه وفي حديث المغيرة بن شعبة الذي رواه الحاكم والبيهقي
كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتوا لامر وهو في منزله يقرعون
القرع ضرب خفيف وله صوت بابه بالاظافير جمع ظفر على غير القياس او جمع
اظفور او اظفار جمع ظفر فاظافير جمع الجمع فالاول اولى لان جمع المفرد اقيس من جمع
الجمع وهذا اي ذكر الباب والقرع يقتضي ان حجرته صلى الله عليه وسلم كان لها باب
من خشب ونحوه وقد ورد انه عليه ستر ا نحف وجمع بانه كان من جلد يقرع فليحرر

فان مثله لا يقال من قبل الراي واعلم ان هذا هل يسمى حديثا اولا وعلى تقدير تسميته
حديثا هل هو مرفوع ام لا اختلفوا فيه كما قال الحافظ العراقي في الفيته هـ

لكن حديث كان باب المصطفى ◦ يقرع بالاظفار مما وقفا
حكما لدى الحاكم والخطيب ◦ والرفع عند الشيخ ذو تصويب

والمراد بالشيخ ابن الصلاح **وقال البرا بن عازب** بن حارث الخزرجي الانصاري
توفي في ايام مصعب بن الزبير في حديث رواه ابو يعلى وصححه **لقد كنت** الا هو جواب
قسم مقدر اي والله **اريد ان اسال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الامر**
من الامور التي تهمني او تخطر ببالي مما احتاج لبيانه **فاؤخر** بهمزتين وقد تبدل الثانية
واوا والافصح الاول **سنتين** مثنى سنة وفي نسخة سنين بصيغة الجمع **من هيبته**
صلى الله عليه وسلم اي من مهابته في قلبي وعظمته في نفسي ◦

فصل واعلم

امر من العلم معطوف على ما قبله والخطاب عام لكل من يصلح له وسد مسد مفعوليه قوله
ان حرمته صلى الله عليه وسلم بضم فسكون وبضمتين وكهمزة وهي المهابة اي احترامه
والتادب معه **بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم** على كل احد **كما كان** لازما في
حال حياته لبقاء نبوته ورسالته **وذلك** اي ما ذكر من احترامه وتعظيمه لازم
عند ذكره وذكر حديثه وسنته وسيرته وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله
تقدم بيان المراد بهم **وعترته** بكسر العين وسكون المثناة وكونها مثلثة خطا من العامة
وهم نسله ورهطه وعشيرته الادنون ومعاملتهم بمعنى مخالطتهم في امور دينية
او دنيوية **وتعظيم اهل بيته** اي زوجاته وخدمه واتباعه وليس المراد به آله وعترته
حتى يكون اطنابا **وصحابته** رضي الله عنهم **قال ابو ابراهيم التجيبي** بضم التاء وفتح
كما تقدم **واجب على كل مؤمن** خصه لان الكافر لا يجب عليه ذلك وقيل انه يجب عليه ايضا
بناء على انه مخاطب بفروع الشريعة والوجوب عليه بمعنى مطالبته به في الآخرة
وعقابه عليه **متى ذكره صلى الله عليه وسلم او ذكر عنده** وسمعه **ان يخضع**
اي يظهر التذلل والاستكانة وخفض الجناح وخضع يكون لازما وهو المعروف
ومتعديا يقال خضع الحرب اي لينه **ويخشع** الخضوع والخشوع متقاربان كما قاله الآلي
وقيل الخشوع اعم لانه يوصف به القلب والجماد كترى الارض خاشعة ولا يخفى انه مجاز
لا يدل على مدعاه **ويتوقر** اي يظهر الوقار والرزانة **ويسكن من حركته وياخذ** اي
يشرع **في هيبته** اي اظهار هيبته صلى الله عليه وسلم عنده **واجلاله** بتعظيمه حق
تعظيمه **بما كان ياخذ به نفسه** اي يكلفها ويلزمها **لو كان بين يديه صلى الله عليه
وسلم** حاضرا في مجلسه فيفرض ذلك ويلاحظه ويمثله فكانه عنده **ويتادب بما
ادبنا الله به** مثل قوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم الخ ولا ترفعوا اصواتكم وغيره
مما تقدم آنفا وفيه اشارة الى ان هذا ثابت بالقرآن ايضا لدخوله في عموم ما تقدم ◦
واطلاقه وان لم يرد تصريح فيه بخصوصه في النصوص القرآنية ومن لم يتنبه
لهذا قال كان على المصنف ان يقدم دليلا قرآنيا على الحديثي يدل على ان وجوب حرمته

بعد موته حيا كما هو دابه وان يذكر انه حكم عام فيه صلى الله عليه وسلم وفي
سائر الانبياء لما ورد في حقهم من المدح والتعظيم وقوله فيهم اهداهم اقتده والقوله وزمنا
لك ذكرك واقتران اسمه باسمه الواجب التعظيم يقتضي تعظيمه لقوله صلى الله عليه
وسلم رغم انف من ذكرت عنده فلم يصل علي ولا يخفى ما فيه **قال القاضي رحمه الله وهذه**
الامور المذكورة من توقيره صلى الله عليه وسلم حيا وميتا وانه باعتبار ما ذكر لقوله
كانت سيرة سلفنا الصالح اي داب وطريقة من تقدم من الصالحين والعلماء العاملين
رضي الله عنهم ثم بين هذه السيرة بقوله **حدثنا ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الاشعري**
هو ابن سعيد القرطبي وقد تقدم **وابو القاسم بن بقي** بفتح الموحدة وسكون القاف
المكسورة وياء مثناة الحاكم وهو احمد بن محمد بن احمد بن مخلد بن يزيد بن بقي وغير
واحد **مما اجازونيه** اي روايته عنهم بطريق الاجازة المعروفة بين المحدثين كما
بينه ابن الصلاح وغيره **قالوا** اي قال هؤلاء كلهم **انبانا ابو العباس احمد بن عمر
بن دلهاث** بكسر الدال المهملة وسكون اللام وهاء والف يليها ثاء مثلثة بزنة جلبابا
علم مصروف منقول من اسم الاسد كدلهث ودلهاث ودلاهث **قال حدثنا ابو الحسن
علي بن فهر** بالكسر كاسم القبيلة **قال حدثنا ابو بكر محمد بن احمد ابن الفرج قال
حدثنا ابو الحسن عبد الله بن المنتاب** بضم الميم وسكون النون وتاء مثناة فوقية
والف وباء موحدة وهو عبد الله بن المنتاب ابن الفضل بن ايوب قاضي المدينة **قال
حدثنا يعقوب بن اسحاق بن ابي اسرائيل قال حدثنا ابو حميد** بالتصغير بن
حميد بن ثعلبة احد رواة مالك **قال ناظر** من المناظرة وهي المباحثة في امر من
الامور وهي مفاعلة من النظر بمعنى الفكر لان كلا منهما ينظر في كلام من يجادله وفيه
كلام في شرح آداب البحث ليس هذا محله **ابو جعفر امير المؤمنين** ثاني خلفاء بني
العباس اخو السفاح المعروف بالمنصور وترجمته مفصلة في التواريخ **مالكا** امام
المدينة وعالمها المشهور **في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع صوته** في
مناظرته **فقال مالك يا امير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد** النبوي
المحترم واول من سمي بامير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه سماه به المغيرة هـ
بن شعبة وقيل لبيد بن ربيعة وعدي بن حاتم واول من سمي بامير المؤمنين يوسف
بن تاشفين الملثم **فان الله ادب قوما فقال لا ترفعوا اصواتكم** الخ وتقدم
تفسيرها **ومدح قوما فقال ان الذين يغضون اصواتهم** الخ وتقدم بيانها
ايضا **وذم قوما فقال ان الذين ينادونك** الخ كما تقدم **وان حرمته صلى الله
عليه وسلم ميتا كحرمته حيا** اي ما يجب ان يراعى في حقه في حياته يراعى بعد
مماته **فاستكان لها ابو جعفر** استكان افتعل من المسكنة بمعنى خضع وذل واشبعت
حركته كما في القاموس وفيه كلام في التصريف وضميرها راجع لمقالة الامام مالك
المعلومة من المقام ولم يذكروا ما ناظره فيه لانه لا يترتب عليه فائدة هنا **وقال** جعفر
للامام مالك **يا ابا عبد الله** كناه تعظيما له بسؤاله بقوله **استقبل القبلة** اصله
ءاستقبل بهمزتين همزة الاستفهام وهمزة المضارع للمتكلم فحذفت الاولى للتخفيف
ووجود القرينة وقد ورد حذفها كثيرا كقوله هـ

فوالله ما ادري وان كنت داريا * بسبع رمين الجمر ام بثمان

وهو من خصائص الهمزة وادعوا اذا اردت زيارته صلى الله عليه وسلم ام استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي اجعل وجهي مقابلا لجهته وحينئذ يكون مستدبر القبلة فلذا اشكل عليه لان استقبال القبلة في الدعاء مشروع فاذا عارضه هذا فايهما يقدم فقال له مالك رحمه الله ولم تصرف وجهك عنه اي عن مقابلته ومواجهته حال الدعا وهو وسيلتك ووسيلة ابيك ادم عليه الصلاة والسلام الى الله يوم القيمة والمراد بالوسيلة وهي السبب ما يتوصل به الى اجابة الدعا وكنى بذلك عن جميع الناس اي هو الشفيع المشفع المتوسل به الى الله تع يوم القيمة اشارة الى حديث الشفاعة العظمى وقد تقدم والى ما ورد من ان الداعي اذا قال اللهم اني استشفع اليك بنبيك يا نبي الرحمة اشفع لي عند ربك استجيب له بل استقبله صلى الله عليه وسلم بوجهك في دعايك بما تريد واستشفع به الى الله في الاجابة فانه شفيع لا يرد من توسل به اليه فيشفعه الله فيك ويقبل دعاك وفي نسخة فيشفعك الله وهي مشكلة اذ المراد الاول واولت هذه بان اصلها فيشفعه فيك فحذف المفعول والجار ووصل به الضمير وقيل المعنى يقبل شفاعتك والمصدر مضاف للمفعول ولا يخفى ما فيه وفي هذا رد على ما قاله ابن تيمية من ان استقبال القبر الشريف في الدعاء عند الزيارة امر منكر لم يقل به احد ولم يروا الا في حكاية مفتراة على الامام مالك يعني هذه القصة التي اوردها المص هنا ولله دره حيث اوردها باسناد صحيح وذكر انه تلقاها عن عدة من ثقات مشايخه فقوله انها كذب محض ومجازفة من ترهاته وقوله لم ينقل ولم يرو باطل فان مذهب مالك واحمد والشافعي رضي الله عنهم استحباب استقبال القبر الشريف في السلام والدعا وهو مسطر في كتبهم وصرح به النووي في الاذكار والايضاح وقال السبكي صرح اصحابنا بانه يستحب ان ياتي القبر ويستقبله ويستدبر القبلة ويقف من راس القبر نحو اربع اذرع ويسلم عليه صلى الله عليه وسلم ثم يتاخر ويسلم على ابي بكر رضي الله عنه ثم يتاخر ويسلم على عمر رضي الله عنه ثم يرجع لموقفه الاول مستقبلا للقبر ويدعو بما اراد وقد نقل عن ابي حنيفة رضي الله عنه انه يستقبله في الزيارة ثم يستقبل القبلة ثم يدعو كما ذكره السروجي من ايمتنا وقيل في قوله وسيلة ابيك ادم ان ادم عليه الصلاة والسلام لما اكل من الشجرة ندم ثم قال يا رب اسالك بحق محمد الا غفرت لي فقال له الله كيف عرفت محمدا فقال لاني رايت على قوايم العرش لا اله الا الله محمد رسول الله فعرفت انك لم تضف لنفسك الا احب الخلق اليك فقال صدقت يا ادم انه لاحب الخلق الي ولولاه ما خلقتك وهو حديث صحيح رواه الحاكم قال الله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاوك الاية استدل بهذه الاية على ما ادعاه من التوسل به صلى الله عليه وسلم وقبول التوسل به كما ينادي عليه لوجدوا الله توابا رحيما لتعليق قبول استغفارهم على استغفاره صلى الله عليه وسلم لهم واستدل به لاستحباب استقباله ايضا دون استقبال القبلة لانه صلى الله عليه وسلم حي في قبره يسمع دعاء زايره ومن جاء عظيما لرجاء شفاعته له لا شك في انه يتوجه اليه بقلبه وقالبه كما قاله ابن المقري رحمه الله هـ

تخاطبه لما تناجيه مقبلا * على غيره فيها لاي ضرورة

ولو رد من ناجاك للغير طرفه * تميزت من غيظ عليه وغيرة

فتدبر وقال مالك وقد سيل عن ايوب السختياني وهو الامام ابو بكر البصري التابعي سيد الفقهاء والمحدثين روى عنه مالك والثوري وغيره والسختياني بكسر السين نسبة لعمل السختيان وهو الجلد المدبوغ وتاؤه تفتح وتكسر وهو معرب اخرج له الستة وتوفي سنة احدى وثلاثين ومائة وقيل غير ذلك ما حدثتكم اي رويت لكم عن احد من مشايخه الا وايوب افضل منه قال مالك وحج حجتين وكنت حاجا اذ ذاك فكنت ارمقه اي انظر اليه يقال رمقه اذا نظر اليه ولا اسمع منه شيا يتكلم به لطول صمته كذا قيل والظاهر انه اراد لا اسمع منه الحديث فارويه عنه لما ياتي من قوله كتبت عنه غير انه كان اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عنده بكى حتى ارحمه اي يرق قلبي عليه رحمة له لما اراه منه فلما رايت منه ما رايت واجلاله للنبي صلى الله عليه وسلم واتباع سنته في جميع احواله المقتضية لمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخشوعه لذكره علمت شدة ديانته وانه ثقة ظاهر العدالة فحملت منه وكتبت عنه الحديث ورويته عنه وهذا يدل على ورعه في الرواية وانه لا يروي عن كل احد حتى يختبره وبكاؤه اما للتحسر على انه لم ير النبي صلى الله عليه وسلم واشتياقه له او لخوفه من تقصيره في اتباعه او لاجلاله وتذكره منه حتى كانه يراه وهذا اقرب للسياق وقال مصعب بصيغة المفعول علم منقول من الفحل السمين ابن عبد الله بن مصعب بن ثابت الزبيري الحافظ احد رواة الامام مالك كان مالك بن انس رضي الله عنه ورحمه اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عنده يتغير لونه بان يصفر كما يعتري من اشتد خوفه وينحني اي يتطاطا لشدة خشوعه حتى يصير كالمنحني حتى يصعب ذلك على جلسائه وتلامذته لخوفهم عليه فقيل له في ذلك اي سيل عنه وما سببه فقال لو رايتم ما رايت من السلف من خشوعهم واجلالهم لذكره صلى الله عليه وسلم لما انكرتم علي ما ترون مما شاهدتموه من حالي لقد رايت محمد بن المنكدر بن عبد الله التيمي المدني الحافظ توفي في سنة خمس وثلثين اخرج له الستة وكان سيد القراء اي كان في عصره رئيس العلماء العارفين بالقران وتفسيره ووجوه قراءاته واحكامه لا نكاد نساله عن حديث ابدا الا يبكي حتى نرحمه شفقة عليه لما نراه من اضطرابه لشدة محبته لذكره صلى الله عليه وسلم او لشدة شوقه الى لقايه وتاسفه على عدم رؤيته صلى الله عليه وسلم وكاد هنا زايدة لتاكيد الكلام وقد ورد في كلامهم كثيرا كما في القاموس وهو احد الوجوه في قوله تع لم يكد يراها اي لم يرها وهو المراد وابدا لمطلق الاستغراق وتكون لاستغراق الازمنة المستقبلة فهي هنا لحكاية الحال الماضية وتنزيلها منزلة ما حضر واستمر كالمضارع في قوله هنا الا يبكي قال الامام مالك رحمه الله ولقد كنت ارى جعفر بن محمد اللام في جواب قسم مقدر ووقع في بعض النسخ هنا تلقيب جعفر بانه الصادق ومحمد هو الباقر بن زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم وكان كثير الدعابة بضم الدال والعين المهملتين والف وباء موحدة وهي المزاح والتبسم وهو اقل الضحك والجملة معترضة ومع كثرة مزاحه وانشراح صدره اذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم اصفر لونه وتغير وجهه لهيبته واجلاله لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما رايته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو على طهارة اي بوضوء لتعظيم الحديث فيعلم منه نفي التحدث الاكثر بالطريق الاولى وذلك لتعظيمه للحديث ولقد اختلفت اليه زمانا كثيرا اي ذهبت اليه مرارا كثيرة يقال اختلف اليه اذا جاء وذهب واتى وقتا بعد وقت في اوقات مختلفة نزل

اختلاف الاوقات منزلة اختلاف الذوات وضمير انه لجعفر المذكور وما كنت اراه الا
مستمرا على ثلاث خصال اما مصليا واما صامتا واما يقرأ القرآن
فيناجي ربه ولا يتكلم فيما لا يعنيه بفتح اوله اي يهمه ويحوجه نفعا لصون لسانه عن اللغو
وكان من العلماء بالعلوم الشرعية والعباد الذين يخشون الله تعالى وهذا حاله في منزله
وخلوته والدعابة والتبسم اذا كان في ملاء من الناس تلطفا وحسن خلق فلا منافاة بينهما كلام
قال مالك رحمه الله ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق احد فقهاء
المدينة توفي رحمه الله تع سنة احدى وثلاثين ومائة وابوه احد الفقهاء السبعة يذكر النبي
صلى الله عليه وسلم فينظر الى لونه كانه نزف منه الدم نزف مبني للمجهول ومعناه سال
وعنه نسح او نقص يراد اللون لا ينزف والمراد انه سال دمه فاصفر صفرة مفرطة لان حمرة
البشرة بما تحتها من الدم وتوهم بعضهم ان معناه انه احمر خجلا واعترض بان المناسب لقوله
وقد جف لسانه في فمه الاصفرار لا الاحمرار ثم قال ولعله يحصل له حالة خجل ثم حالة
خوف وهو من عدم التامل وجفاف اللسان ذهاب ريقه لخوفه هيبة لرسول الله صلى
الله صلى الله عليه وسلم مفعول له لما قبله وقيل المقدر ليتحد فاعلهما ولا حاجة اليه وان
جاز ولقد كنت آتي عامر بن عبد الله بن الزبير بن العوام العابد الجليل القدر اخرج
له الستة وتوفي بعد عشرين ومائة وترجمته معروفة فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه
وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع اي لبكائه بكاء شديدا كاملا ولقد كنت آتي
صفوان بن سليم مصغرا وهو مولى حميد بن عبد الرحمن الزهري القرشي مات سنة اثنتين
وثلاثين ومائة وكان اكثر اهل المدينة عبادة وزهدا وفضلا وبها توفي كما قال وكان
صفوان المذكور من المتعبدين اي المكثرين للعبادة المداومين عليها المجتهدين في العبادة
المجدين فيها او يكون وصل المرتبة الاجتهاد في احكام الدين لزيادة فضله واحاطته بالسنة
وهو جملة معترضة فاذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عنده بكى فلا يزال يبكي حتى
يقوم الناس عنه ويتركوه لاتصال بكائه وطوله ولقد رايت الزهري الامام محمد
بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب التابعي الامام الجليل المشهور توفي في رمضان
سنة اربع وعشرين ومائة وهو ابن اثنين وسبعين كما تقدم وكان من اهنا الناس
اي اسهلهم واحسنهم خلقا والينهم عريكة مستعارا من هنو الطعام اذا ساغ وسهل
واقربهم الى الناس لحسن توده لهم ومع ذلك اذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم
فكانه ما عرفك ولا عرفته لدهشته وحيرته واعراضه عمن عنده وذهوله عن معرفته
لاشتغال قلبه وحواسه بالفكر لاجلاله له وتعظيمه وقد ذكر مالك هؤلاء رحمهم الله تع
بيانا لانه اقتدى بهم واهتدى بهديهم وانه حاله لم يصل لحالهم فلا يستعجب منه
وروي عن قتادة تعلم بيانه انه كان اذا سمع الحديث يقرؤ عنده اخذه اي عرض
له واستولى عليه حتى كانه اخذه العويل بعين مهملة هو صياح مع البكا والزويل
بفتح الزاي المعجمة وكسر الواو وياء ولام وهو القلق والانزعاج لشدة الخوف يقال
زال زويلة في الدعاء اي ذهب ذعره وهو ماخوذ من الزوال لتغير حاله عما كان عليه
ولما كثر على الامام مالك الناس اي اجتمع عنده لسماع الحديث ناس لا يحصون
كثرة واتوه من كل فج قيل لو جعلت مستمليا اي احدا يجلس قريبا منك ويملي عليه الحديث

فيأخذ

فيأخذ عنك فيعلمهم ويسمعهم ما يعيده لهم لكثرتهم وبعد بعضهم عنك ممن في
آخر الحلقة ولو للتمني لمناسبة بينهما في عدم الوقوع ولما الزم ما قالوه رفع صوت
المبلغ كما هو المعتاد لم يرتض ما قالوه من وضع مستمل في الحلقة والاستملاء طلب
الاملاء وهو القاء الكلام على الغير فقال مالك مجيبا ارشادا لهم وتاديبا مستدلا
بقوله تع قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم الى آخره فقاس منع رفع
الصوت في مجلس قراءة الحديث على منعه في مجلسه حال حياته وبينه بقوله وحرمته
اي احترامه وتوقيره حيا وميتا سواء فكما يلزم الاول يلزم الثاني ثم نقل ما يوافق ما
قاله مالك بقوله وكان ابن سيرين ربما يضحك فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه
وسلم خشع وكان عبد الرحمن بن مهدي بن حسان ابو سعيد الحافظ الثقة البصري
المعروف باللؤلؤي احد اعلام الحديث وقال ابن المديني اعلم الناس بالحديث ابن مهدي
توفي سنة ثمان وتسعين ومائة واخرج له اصحاب الستة اذا قرأ حديث النبي صلى الله
عليه وسلم امرهم اي امر من حضر في مجلسه بالسكوت والانصات لاستماعه وقال
مخاطبا لمن عنده لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ويتاول الآية التي تلاها
بحمل الصوت شاملا لحكايته وانه عام لها ودال على انه يجب له صلى الله عليه وسلم
من الانصات عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله حقيقة في حياته من التوقير
وحرمته وحسن الادب كما قيل

هذا اذا غاب او هذا اذا حضرا ● حديثه او حديث عنه يطربني

فان قلت ما نقل عن مالك من انه لم يرض بمستمل في مجلسه ينافي ما نقل عنه انه كان
له مستمل يبلغ الناس عنه قلت حاله الاول كان قبل كثرة الناس حين يسمعون
كلامه بغير واسطة ثم كثر الناس عليه بعد ذلك فراى ان المستملي لا بد منه فاتخذه للضرورة
وقد قال المحدثون انه لا يتخذ مستمليا اذا اسمعهم لان اعلا مرتبة السماع ما كان من لفظه
فان لم يتيسر ذلك اتخذ مستمليا واحدا فاكثر واستدلوا لذلك بانه صلى الله عليه وسلم
خطب الناس بمنى على بغلته الشهباء وعلي رضي الله عنه يبلغ الناس فان كثروا بحيث لا
يكفي مستمل واحد زادوا بقدر الحاجة ويكون المستملي على مكان واحد مرتفع من كرسي
او نحوه او قائما والله اعلم

فرع

فصل في سيرة السلف

وعادتهم في تعظيم رواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه عطف تفسير
لشموله لاقواله وافعاله وجميع ما يتعلق به وفي نسخة سننه بصيغة الجمع وفي
اخرى وسنتهم وهذا تتمة للفصل الذي قبله كما ادرجه في ترجمته لكنه فصله لاختصاصه
بالحديث واتى له بشاهد رواه مسندا فقال حدثنا الحسين بن محمد الحافظ المعروف
بابن سكرة كما تقدم قال حدثنا ابو الفضل بن خيرون تقدمت ترجمته ويجوز فيه الصرف
وعدمه قال حدثنا ابو بكر البرقاني وهو احمد بن محمد بن احمد بن غالب الخوارزمي
الشافعي شيخ بغداد واحد الاعلام صاحب التصانيف الجليلة ومخرج الصحيحين
روى عنه كثير كالصوري والبيهقي والخطيب وابي اسحاق الشيرازي وابن خيرون
وتوفي ببغداد في اول رجب سنة خمس وعشرين واربعمائة وترجمته معروفة والبرقاني

صح

بنا موحدة وراء مهملة وقاف وغيره حدثنا ابو الحسن الدارقطني شيخ الاسلام وبعضهم
يسكنها كما قاله ابن مرزوق والاولى الاول قال حدثنا ابو علي ابن مبشر بن اسماعيل الكلبي
الثقة وشينه معجمة مشددة مكسورة بوزن اسم الفاعل قال حدثنا احمد بن سنان القطان
ابو جعفر الحافظ الواسطي الثقة امام اهل زمانه توفي في سنة ثمان وخمسين ومايتين
واخرج له اصحاب السنن قال حدثنا يزيد بن هارون ابو خالد السلمي الواسطي العابد
الزاهد احد الاعلام قال ابن المديني ما رايت احفظ منه وعمي في آخر عمره وتوفي في سنة
ست ومايتين واخرج له الستة قال حدثنا المسعودي عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة
بن عبد الله بن مسعود ولذا عرف بالمسعودي وهو كوفي روى عنه خلق كثير وهو ثقة
كثير الحديث توفي في سنة ستين ومائة وترجمته في الميزان عن مسلم البطين بفتح الموحدة
وكسر الطاء المهملة وهو مسلم بن عمران ابو عبد الله الكوفي وثقه احمد واخرج له الستة
عن عمرو بن ميمون العابد التابعي الازدي ادرك زمنه صلى الله عليه وسلم ولم يلقه
وهو ثقة حج مائة حجة وتوفي في سنة اربع وسبعين ومائة قال اختلفت الى ابن مسعود
ترددت عليه سنة تمين فما سمعته اذا حدث يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
صونا للذكره وهيبة له واحتياطا في النقل عنه الا انه حدث يوما بحديث نقله فجرى
على لسانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم علاه كرب اي ظهر عليه حزن وغم
يؤدي لضيق نفس فرايت العرق يتحدر اي ينزل سائلا منه منفصلا عن جبهته ثم قال
ابن مسعود هكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رويته لكم مساوي له لفظا ومعنى
ان شاء الله اشارة الى انه لم يصدر عن جزم منه وهذا بناء منه على عدم جواز الرواية بالمعنى
وفيه خلاف مشهور تفصيله في كتاب ابن الصلاح وهو احتراز عن الكذب عليه وان يقول
ما لم يقله او فوق ذا اي يزيد عليه يسيرا او ما دون ذا اي ينقص عنه او قريب من ذا
بمخالفته بامر قليل جدا وهو احتياط منه رضي الله عنه وفي رواية فتربد بباء موحدة
بعد راء ثم دال مهملتين اي تغير لونه لكموده من شدة الكرب وقد اغرورقت عيناه اي
امتلاتا بدمع متردد كالماء في فم من يتغرغر به فهو مجاز كما في حديث تقبل توبة العبد ما
لم يغرغر اي تبلغ روحه حلقومه كماء الغرغرة وانتفخت اوداجه جمع ودج بفتحتين وهو
عرق غليظ في العنق والودجان يقطعهما الذابح وانتفاخهما لكبرهما بغليان الدم لانتشار
الحرارة الغريزية لخوف ونحوه وقال ابراهيم بن عبد الله بن قريم بضم القاف وفتح الراء
المهملة ومثناة تحتية وميم مصغر قرم الانصاري قاضي المدينة ذكره في التهذيب
والميزان واخرج له الترمذي في علل جامعه ولم يترجموه وروى عن مالك فقال مر مالك
بن انس على ابي حازم بحاء مهملة وزاي معجمة وهو سلمة بن دينار الاعرج احد الاعلام
الذي روى عنه مالك وغيره ثقة لم يكن في زمانه مثله توفي في سنة اربعين ومائة
واخرج له الستة وهو يحدث اي يروي الحديث لمن عنده فجازه اي تجاوز مجلسه ولم
يقف وقال لم اجد موضعا اجلس فيه لكثرة الناس فكرهت ان آخذ اي اسمع لاروي
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا قائم صونا لحديثه عن الابتذال والامتهان
واستماعه في محل يخل بعظمته وهكذا كان دابه ولذا رفع الله قدره وشيد ذكره وهذا
لا ينافي ما نقل عنه من انه كان لا يعمل بالحديث ما لم يوافق عمل اهل المدينة فانه لسنة

احتياطه

احتياطه في احاديث الاحكام فلا وجه لا يراد هذا هنا وقيل التعظيم شيء آخر لا مساس
له هنا وقال مالك جاء رجل الى ابن المسيب فساله عن حديث وهو مضطجع اي واضع
جنبه على الارض والجملة حالية فجلس وحدثه فقال له الرجل وددت اي كان احب الي
انك لم تتعن اي لم تتعب وتترك راحتك فقال اني كرهت اذا احدثك عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وانا مضطجع تعظيما للحديث وتادبا معه وروي عن محمد بن
سيرين انه قد يكون يضحك فاذا ذكر عنده في حال ضحكه حديث رسول الله صلى
الله عليه وسلم خشع اي اظهر الخشوع والاستكانة تادبا ومهابة وقال ابو مصعب
كان مالك لا يحدث بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو على وضوء
اي متوضئا متطهرا اجلالا له اي للحديث وحكى مالك ذلك اي الحديث على وضوء عن
جعفر بن محمد الباقر زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب وقد تقدم قريبا
وقال مصعب بن عبد الله وهو الزبيري كما تقدم كان مالك بن انس اذا حدث عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم اي اذا اراد ان يحدث عنه توضا وتهيا للحديث باصلاح
هيئته في ثيابه وجلوسه ثم يحدث تعظيما لذلك قال مصعب فسئل عن ذلك اي عن
الداعي فقال انه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي نسخة لانه وهو من بليغ المدح
كما اذا قيل لك لم عظمت فلانا فتقول انه فلان ولا تزيد اي حقيق بذلك وشهرة استحقاقه
تغني عن بيان وجهه فلا حاجة لتقديره وهو جدير بالتعظيم كما قيل وقال مطرف بزنة
الفاعل بطاء مهملة وراء مشددة مهملة وهو مطرف بن عبد الله بن مطرف بن سليمان
بن يسار مولى ميمونة وهو ابن اخت الامام مالك توفي في سنة عشرين ومايتين وترجمته
في الميزان كان اذا اتى الناس مالكا لطلب العلم وهو داخل في منزله وطلبوا خروجه
لاقرائهم خرجت اليهم الجارية اي ارسل لهم جارية له فيه فتقول لهم لما تعلم من العادة
يقول لكم الشيخ يعني مالكا تريدون الحديث بتقدير اداة الاستفهام اي تريدون
قراءة الحديث وسماعه او المسائل تعريفه للعهد اي مسائل الفقه فان قالوا نريد
قراءة المسائل خرج اليهم بسرعة من غير تهيئ وان قالوا الحديث دخل مغتسله اي
موضعه المعد للغسل والطهارة في بيته واغتسل وتطيب وتضمخ بما تطيب رائحته
ولبس ثيابا جددا بضم اوله وثانيه جمع جديد ككثيب وكثب ولبس ساجه هو الطيلسان
مطلقا او الاخضر او الاسود منه وهو شيء كالبرنس وتعمم اي وضع عمامته المعدة للتجمل
على راسه ووضع على راسه رداءه على عادة الاشراف والعرب وتلقى له منصة
في محله المعد له لاقرائه وهي بكسر الميم وفتحها شيء عال كالكرسي والسرير من نصصته
اذا رفعته فيخرج من بيته للناس ويجلس عليها وعليه الخشوع اي السكينة والوقار
ولا يزال يبخر بالبناء للمفعول ويجوز بناؤه للفاعل يعني يامر بالعود الهندي المعروف
فيوقد عنده ليعطر مجلسه به حتى يفرغ من قراءة حديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم اجلالا له وتكريما وتطييبا فانه صلى الله عليه وسلم كان يحب الرائحة الطيبة فيحفل
مجلس حديثه كمجلسه حيا كما تقدم قال غيره اي غير مطرف ولم يكن يجلس على تلك
المنصة الا اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلم انه فعله رعاية للحديث
لا لنفسه قال ابن ابي اويس هو اسماعيل بن عبد الله بن اويس بن ابي عامر وقيل اسماعيل بن

عبد العزيز بن عبد الله توفي سنة ست او سبع وعشرين ومايتين في رجب وهو ابن
عم الامام مالك وابن اخته وزوج بنته روى عنه وعن غيره ولازم مالكا احدا وعشرين سنة
واخرج له في الصحيحين والسنن وضعفه النسائي لانه كان مغفلا كما قال ابو حاتم وترجمة
في الميزان فقيل لمالك في ذلك اي سئل عن سبب ما كان يفعله من لباسه واغتساله
وبخوره وجميع ما تقدم عنه فقال احب ان اعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعلته
ولا احدث به اي بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على طهارة كاملة متمكنا اي
جالسا في مكان على هيئة مستقرة غير مستوفز لما فيه من عدم المبالاة بما حدث به عنه صلى الله
عليه وسلم وكان مالك رحمه الله يكره ان يحدث اي ينقل الحديث وهو مار في الطريق او
وهو قايم على رجليه او مستعجل اي على عجلة اي فيتأنى فان الخير كله في ترك العجلة ولان
قيل العجلة من الشيطان وقد يكون مع المستعجل الزلل فيخطي فيما نقله وقال مالك احب ان افهم
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلذا تأنى في نقله ليكون اعون على فهمه وقال
ضرار بن مرة ابو سنان الشيباني الكوفي العابد الثقة اخرج له اصحاب السنن كانوا اي
السلف ومن لقيهم من التابعين يكرهون ان يحدثوا اي ينقلوا الحديث النبوي على غير وضوء
وطهارة ونحوه روي عن قتادة وقد تقدمت ترجمته وفي نسخة هنا وكان الاعمش سليمان
بن مهران اذا اراد ان يحدث وهو على غير وضوء ولم يتمكن منه تيمم وكان قتادة لا
يحدث الا على طهارة ويأتي الكلام على ذلك آخر الفصل قال عبد الله ابن المبارك تقدمت
ترجمته كنت عند مالك بن انس وهو يحدثنا اي ينقل لنا الحديث فلدغته عقرب العقرب
من ذوات السموم المعروفة وسمها في راس ذنبها فاذا ضربت به احدا انتشر فيه سمها فيقتله
ولدغها ضربها بعقد ذنبها وقد اشتهر على الالسنة ان اللذغ بذال وغين معجمتين وقيل
قال الشراح هنا ان الصحيح انه بدال مهملة وغين معجمة وانه يقال لدغته العقرب ولسعته
الحية ويقال عقرب وعقربة ونقل بعض العلماء ان الذال المعجمة والغين المعجمة لا يجتمعان
في كلمة عربية اما اللذع بالنار فهو باعجام الاولى واهمال الثانية ومعناه الاحراق وقوله
ست عشر مرة كذا في النسخ وصوابه ست عشرة بلحوق التاء في جزئه الثاني كذا قيل وفيه
نظر وهو يتغير لونه ويصفر عطف تفسير ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم احتراما له واجلالا فلما فرغ من المجلس اي تم نقل الحديث وتفرق عنه الناس
قلت له يا ابا عبد الله لقد رايت منك اليوم عجبا اي امرا يتعجب منه لصبرك
وعدم تحركك قال نعم ما قلته صحيح انما صبرت اجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذ لم يتحرك وينزعج وهو يحدث وقال ابن مهدي مشيت يوما مع مالك الى العقيق
هو اسم لمواضع كثيرة بالحجاز والمراد هنا موضع قريب من المدينة على نحو ميلين منها يتنزه فيه
اهل المدينة فسألته وانا ماش معه في الطريق عن حديث من احاديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم فانتهرني اي زجرني والنهر الزجر قال تعالى واما السائل فلا تنهر وقال بعد
الزجر باسكت ونحوه توبيخا لي كنت في عيني كناية عن اعتقاده فيه الناشي عن رؤيته
اجل من ان تسالني فيه توسع فيه معروف كاكثر من ان يحصى اي اعظم من السائلين عن حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن تمشي جملة حالية وسأله يعني الامام مالك رحمه الله
جرير بن عبد الحميد القاضي الضبي الثقة المحدث صاحب المصنفات الجليلة روى عنه

البخاري

البخاري وغيره من اصحاب الكتب الستة وكان رحلة توفي سنة ثمان وثمانين ومايه
عن حديث وهو قايم الضمير لجرير ويجوز ان يكون لمالك رحمه الله فامر مالك بحبسه قيل
مالك لم يكن حاكما حتى يحبسه بامره واجيب ان الولاة كانوا يمتثلون امره فالمعنى ارسله
للحاكم ليحبسه فحبسه وفي تاريخ الذهبي ان مالكا كان يجلس في المسجد يحدث ويقضي
فان كان اذن له في القضا في بعض الامور فهو على ظاهره فقيل له انه قاض لا يليق حبسه
فقال القاضي احق من ادب بالهمزة المضمومة لا بواو والذال رسمها في بعض النسخ يعني ان
العلما والاشراف اولى برعاية الادب فاذا تركوه كانوا احق بذلك من العوام وذكر ابن هشام
ابن الغازي بغين وزاي معجمتين بزنة فاعل من الغزو قالوا وهذا ليس بصواب فان هشام
بن الغازي بن ربيعة تابعي مات قبل مولد الحرث ولا يروي عنه والحكاية المذكورة انما
وقعت لمالك مع هشام بن عمار خطيب دمشق كما رواها مسندة البرهان الحلبي وقيل انها
تصحفت على الناسخ وصوابه القاري بالقاف والراء المهملة وقيل ما في الاصل صواب وهو
هشام بن الغازي بن ربيعة الشامي وفيه ان الحافظ الحلبي اسند رواية هذه القصة
عن هشام بن عمار بن يسر كما مر سال مالكا عن حديث وهو اي هشام ومالك رحمه الله
واقف فضربه عشرين سوطا وهذا دليل على انه كان مأذونا له في اجرا الاحكام على تلا
او كان يعلم برضاهم بحكمه فهو يحكم فيهم ثم اشفق عليه اي حصل عنده رقة قلب وشفقة
لضربه لا لانه ضربه بغير ذنب كما قيل وهذا بنا على انه يجوز ان يزاد التعزير على عشرة
اسواط في غير الحد وكما هو مذهب ابي حنيفة والحديث الوارد في النهي عنه فيه كلام للمحدثين
ليس هذا محل تفصيله ولعله وجد اشفاقه عليه فحدثه اي افاد مالك هشاما وروى له
عشرين حديثا تطييبا لخاطره فقال هشام بعد ذلك لاصحابه وددت اي احببت يقال
وددت كذا اذا رغبت فيه واحببته لو زادني سياطا اي ضربا بها ويزيدني حديثا
بعد زيادة ضربه لي ولو مصدرية او شرطية جوابها مقدر وقال عبد الله بن صالح الجهني
وقال الحربي العجلي وله ترجمة في الميزان مطولة توفي سنة ثلاث وعشرين ومايتين وعمره
ست وثمانون سنة واخرج له اصحاب السنن كان مالك والليث ابن سعد ابن عبد الرحمن
الفهمي المصري الفقيه البارع الذي قيل فيه انه كان افقه من مالك الا ان اصحابه اضاعوه
وهو من تبع التابعين توفي سنة خمس وسبعين ومايه وحيث قال مالك اخبرني من ارضى
به من اهل العلم فهو الليث لا يكتبان العلم الا وهما طاهران اي على طهارة تامة وجملة وهما طاهران
حالية يجوز اقترانها بالواو وتركها لا لصفة والواو لا تلصق كما قيل وتحقيقه في كتب العربية
و قتادة يستحب ان لا يقرا احاديث النبي صلى الله عليه وسلم الا على وضوء اي
متوضيا تعظيما لحديثه صلى الله عليه وسلم ولا يحدث بتشديد الدال اي ينقل الحديث
ويجوز بناؤه للمفعول اي يسمع من غيره حديثا الا على طهارة قيل المراد انه يغتسل لقرينة
ما قبله وكان الاعمش سليمان بن مهران كما تقدم اذا اراد ان يحدث وهو على غير وضوء
جملة معترضة او حالية تيمم اذ لم يحضره الما لسهولة لشدة اعتنائه بتعظيم الحديث
وللمحدث آداب آخر ذكرها المحدثون كافتتاح اول المجلس وختمه بالحمد لله والصلاة والسلام
على النبي صلى الله عليه وسلم وان لا يقوم في مجلسه لاحد من الناس

فصل ومن توقيره صلى الله عليه وسلم

قد تقدم عن الاعمش ما قاله بعينه قبل سطور فاطلب فائدة التكرار

اي تعظيمه وتبجيله **وبره** اي صلته ورعاية جنابه وللبر معان اخر غير مراده هنا
والجار والمجرور خبر مقدم لقوله **بر آله** تقدم ان في آله خلاف فقيل انهم ذوو القربى
ومن تحرم عليهم الصدقة وهم المومنون من بني هاشم وبني المطلب دون غيرهم كما بينه
وان اصله اول وقيل اهل وبرهم الاحسان اليهم ومعاونتهم ومودتهم ورعايتهم **وذريته**
الذرية النسل من الاولاد واولادهم وهي بضم الذال وكسرها وفي اشتقاقه خلاف فقيل من
الذر وهو صغار النمل اعتبارا باول احوالهم وقيل من ذرا بالهمز بمعنى خلق والتزم ابدالها
بابعد النقل **وامهات المومنين** فسره بقوله **ازواجه** صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن جمع زوج
لاطلاقه على الذكر والانثى او زوجة على لغة فيه واطلاقه عليهن لحرمة نكاحهن بعده
واختلف في وجهه هل هو لتكريمه صلى الله عليه وسلم اولانه حي ولذا وجبت النفقة عليهن
لحرمة نكاحهن بعده وهل هن امهات المومنات ايضا فقيل لا والاحرم نكاحهن عليه وقيل نعم
لوجوب اكرامهن لهن وهو تشبيه بليغ لا يراعى فيه جميع وجوه الشبه واسما ازواجه صلى
الله عليه وسلم مشهورة في السير **كما حض** اي حث وحرض بطلبه من كل احد **عليه** اي على
بر من ذكر **عليه الصلاة والسلام** بما روي عنه من الاحاديث وسياتي بعضها **وسلك
السلف الصالح** من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من العلماء العاملين والتقدير سلك
طريقه او شبه برهم بطريق مسلوك فهو استعارة مكنية مخيلة ثم ايده بدليل من القرآن
فقال **قال تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس** اصل معناه القذر الحسي ثم استعير
للاثم والذنب وهو المراد **اهل البيت** نصب على النداء او المدح او الاختصاص **ويطهركم
تطهيرا** ترشيح لاستعارة الرجس للذنب واستشهاده بهذه الآية بناء على ان اهل بيته هم
ذريته وازواجه كما اختاره ابن عطية في تفسيره وهو احد الاقوال فيه وقيل هم اهل الكسا
علي وفاطمة وابناهما لما روي في الحديث انه خرج عليه الصلاة والسلام غداة وعليه مرط
مرحل فادخلهم فيه ثم تلا الآية وقيل المراد زوجاته وتذكير الضمير باباه ووجه الاستشهاد
ان من طهره الله من الآثام احبه الله ورسوله ومن احباه يلزمنا محبته وبره وصلته **وقال تعالى
وازواجه امهاتهم** اذ كانت شاهد التسمية امهات فهو ظاهر وان كان للزوم برهن وتكريمهن
فلان حق الوالدة على الولد ولزوم برها امر معلوم مركوز في الطباع لان وجه الشبه وجوب
احترامهن وبرهن والحصر يقتضي ان اكرامهن احق من الامهات الحقيقية ثم اسند المصنف
حديثا شاهدا لما قدمه رواه من طريق له عن مشايخه رحمهم الله في غيره من السنن كمسلم والنسائي
بسند اعلى مما هنا واعتذر له بانه تنويع لما فيه من الفائدة الزائدة ولانه اسلم من التعليل
فقال اخبرنا الشيخ ابو محمد عبد الله بن احمد التميمي **العدل من كتابه وكتب من اصله** اشارة
الى ضبطه فيما رواه عنه والمراد باصله نسخته التي قرأ منها **قال حدثنا ابو الحسن المقرئ
الفرغاني** بفاء وغين معجمة نسبة لفرغانة اسم بلدة **قال حدثتني ام القاسم بنت الشيخ
ابي بكر الخفاف قالت حدثني ابي قال حدثنا حاتم هو ابن عقيل قال حدثنا يحيى هو ابن
اسمعيل قال حدثنا يحيى هو الحماني قال حدثنا وكيع** هو وكيع بن الجراح بن فليح بن عدي
الرواسي احد الاعلام المشهورين توفي سنة سبع وتسعين ومائة اخرج له الائمة الستة
عن ابيه الجراح عن سعيد بن مسروق الثوري الثقة توفي سنة ست وعشرين ومائة
واخرج له الائمة الستة عن يزيد بن حيان بفتح الحاء المهملة ومثناة تحتية وهو التيمي الثقة

عن زيد بن ارقم رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدكم الله اي اسالكم
بالله واقسم عليكم به يقال انشدك الله وبالله اي اذكرك به ثم استعمل في القسم وصار حقيقة
فيه وليس مرادا هنا بل المراد حقيقته **واهل بيتي** معطوف على الله اي اذكركم اهل بيتي فلا
تنسوا حقوقهم ورعايتهم فان رعايتهم رعاية لي وقيل انه منصوب بنزع الخافض اي في اهل بيتي
كما روي في هذا الحديث ولا وجه له فانه تعسف من غير داع له ومثله قول المزي ومن تبعه هنا
لعله في اهل بيتي **ثلاثا** كرره للاهتمام والتشديد في رعايتهم **قلنا لزيد** بن ارقم راوي
الحديث لما ذكره وما في بعض النسخ ليزيد من غلط الكاتب **من اهل بيته** اي من المراد بهم في هذا
الحديث **قال آل علي** بن ابي طالب وهم اولاده واهل بيته من اقاربه الادنون **وآل جعفر
وآل عقيل وآل العباس** وهم من تحرم عليهم الصدقة من اقاربه كما تقدم وهذا كما رواه مسلم
في فضائل آل البيت في خطبة خطبها صلى الله عليه وسلم وهو راجع من حجة الوداع في آخر
عمره قال فيها اما بعد ايها الناس انما انا بشر مثلكم يوشك ان ياتيني رسول ربي فاجيب
واني تارك فيكم الثقلين كتاب الله فيه الهدى والنور فتمسكوا به واهل بيتي وفيه مما ذكره
المصنف من تفسيره لاهل بيته بما ذكر وهو الذي فهم عنه صلى الله عليه وسلم هنا لانه علم بالوحي
ما يكون بعده في امر الخلافة والفتن فلذا خصهم وحرض على رعايتهم كما اقتضاه المقام ومما
قيل ان جوابه هنا خاص باقاربه وهو احد الاقوال ويعارضه الآية الدالة على دخول
ازواجه صلى الله عليه وسلم واهل بيته كما تقدم لا وجه له لما عرفته من وجه تخصيصه هنا
وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي عن زيد بن ارقم وجابر وحسنه **اني تارك
فيكم** اشارة الى قرب اجله صلى الله عليه وسلم وانه وصية لامته **ما ان اخذتم به** اي
تمسكتم وعملتم به واتبعتموه وما موصوفة وان شرطية والجملة صفة او موصولة وصلة
لن تضلوا بمخالفة الشريعة والطريق المستقيم **كتاب الله** بدل من ما مفسر له **وعترتي**
بمثناة فوقية ومعناه **اهل بيتي** السابق بيانهم ووجه تخصيصهم هنا وروي لم تضلوا وما
قيل ان قوله اخذتم به هنا يدل على ارادة المجتهدين منهم فلا يبعد دخول الصحابة المتصفين
بهذه الصفة كما دلت الآية على دخول ازواجه صلى الله عليه وسلم غير مناسب لسياق الحديث
والمراد منه هنا **فانظروا كيف تخلفوني فيهما** اي بعدي وفاتي انظروا في عملكم بكتاب الله
واتباعكم لاهل بيتي ورعايتهم وبرهم بعدي فان ما يسرهم يسرني وما يسوؤهم يسوؤني
وقال عليه الصلاة والسلام في حديث لم يخرجوه **معرفة آل محمد براءة من النار** اي
اي معرفة مقدارهم وحرمتهم ورعاية ما يجب من حقوقهم فان محبتهم لاجله صلى الله عليه
وسلم تدل على خلوص محبته له وذلك مرتبة مستوجبة لذلك تفضلا من الله وكرامة لرسوله
صلى الله عليه وسلم **وحب آل محمد جواز على الصراط** اي مرور عليه بسرعة جوازا موصلا
للجنان فان المرء مع من احب ومن فسر الجواز بالجائزة بمعنى العطية فقد تعسف تعسفا
غريبا **والولاية** بفتح الواو ويجوز كسرها لانها ترد بمعناها وان اشتهرت في المال والحكم
اي الموالاة بالنصرة والمودة **لآل محمد امان من العذاب وقال بعض العلماء معرفتهم**
اي معرفة الآل المذكورة **هي معرفة مكانهم منه صلى الله عليه وسلم** والمراد بالمكان
المنزلة المعنوية وهي قرب نسبهم وعلو مرتبتهم منه صلى الله عليه وسلم ولذا علق به قوله
منه **واذا عرفهم بذلك** اي بسبب علو مرتبتهم لقربهم منه **عرف وجوب حقهم وحرمتهم**

اي احترامهم واكرامهم بسببه صلى الله عليه وسلم لا لغرض آخر وقد دعا النبي صلى
الله عليه وسلم لمن احبهم لحبه صلى الله عليه وسلم ومن اراد تفصيل هذا فلينظر كتاب السيد
السمهودي الذي صنفه في فضائل آل البيت فانه جمع فاوعى جزاه الله خيرا وعن عمر
بن ابي سلمة في حديث رواه الترمذي وابن ابي سلمة الصحابي المخزومي ربيبه صلى
الله عليه وسلم وابن اخيه من الرضاع وترجمته مشهورة لما نزلت اية انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت الاية وقد قدمنا تفسيرها فكفينا مؤنته هنا وذلك اي نزولها
كان في بيت ام سلمة ام المؤمنين رضي الله عنها دعا جواب لما اي طلب صلى الله عليه وسلم
ونادى فاطمة الزهراء رضي الله عنها وحسنا وحسينا سبطاه وريحانتاه رضي الله عنهما
فجللهم اي غشاهم وغطاهم ومنه الجل للفرس بكسا وهو مرط من شعر كما ورد في رواية
اخرى وعلي كرم الله وجهه خلف ظهره صلى الله عليه وسلم داخل الكسا ايضا وانما جعله
خلف ظهره ليفرق بينه وبين زوجته وقت الدعا ثم قال اللهم هؤلاء اهل بيتي ليس
المراد للحصر او هو مراد لارادته اقرب الناس الى نسبا فاذهب عنهم الرجس وطهرهم
تطهيرا اي جنبهم الآثام والمعاصي وما يشينهم ولذا سموا اهل الكسا وادخالهم في
الكسا اشارة الى قربهم منه صلى الله عليه وسلم وان الله سترهم كما سترهم الكسا وانه صانهم
واحرزهم تعالى ولا بد لذلك كما حول صلى الله عليه وسلم رداءه في الاستسقا اشارة الى تبدل
الحال وتغيرها عما هي فيه والدعا وانما دعا لهم بما ذكر بعد ما ذكر الله انه اراد ذلك لهم
وارادته تعالى لا تتخلف عن مراده اما تاكيدا او تنويها بقدرهم ليعلم الناس به او المراد
دوام ذلك وثباته وزيادته وعن سعد بن ابي وقاص في حديث رواه مسلم في صحيحه
لما نزلت اية المباهلة تقدم ان المباهلة مفاعلة من البهلة وهي اللعنة اي الملاعنة
وهي ان يقول كل من المتخاصمين في المجادلة لعنة الله على الظالم منا والآية هي قوله تع
فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم الخ وذلك لما وفد
عليه صلى الله عليه وسلم نصارى نجران ودعاهم للاسلام فلم يسلموا وادعوا حقية دينهم
وانه لم ينسخ وقصتهم مفصلة في كتب التفسير والسير دعا النبي صلى الله عليه وسلم جواب
لما اي احضر عنده وحسنا وحسينا وفاطمة رضي الله عنهم لانهم كانوا في المباهلة
يحضرون اولادهم واهاليهم ويرغبون بوقوع العقاب على الكاذب واهله جميعا ولذا قال
وقال صلى الله عليه وسلم اللهم هؤلاء اهلي واقرباي فامتنعوا من المباهلة لعلمهم بانه
صلى الله عليه وسلم نبي وانه ما باهل نبي قوما الا اهلكهم الله ورضوا بالجزية وقال
صلى الله عليه وسلم لو باهلوا لمسخوا قردة وخنازير واشتعل عليهم الوادي نارا وحكم
المباهلة باق الى الآن وقد فعله العز بن عبد السلام فلم يمض الحول حتى هلك من باهله
وقال صلى الله عليه وسلم في حديث تقدم في علي بن ابي طالب اي في حقه وشانه وسبب
قوله هذا ان اسامة قال لعلي لست مولاي انما مولاي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان هذا في سفره وهو عند غدير خم وقد خطب الناس فقال من كنت مولاه اي علي عليه
ولاية وحكم والمولى له معان منها السيد وهو المراد والمعتق والمنعم والمعاهد والصهر
الى غير ذلك من المعاني وقال الشافعي المراد ولاء الاسلام وقوله فعلي مولاه اي
سيده وناصره واستدل به على الولا بعض الفقها وغيرهم يقول المراد بره وصلته هـ

وهو الموافق

وهو الموافق لسباق المصنف واستدل به بعض الشيعة على تقدم علي كرم الله وجهه
على غيره في الخلافة ولا دليل لهم فيه لما عرفت من معاني المولى وانما المراد من احبني
يحبه لقوله وعاد من عاداه اي من كرهه غضب الله عليه وانتقم منه فالمعاداة من الله
مجاز او مشاكلة وقال فيه اي في حق علي كرم الله وجهه كما في مسلم لا يحبك الا مؤمن ولا
يبغضك الا منافق لان من احب اصحابه واقرباه لمحبته فهو مؤمن ومن كان بخلاف ذلك
ففي قلبه كفر مضمر وان اظهر اسلامه كالخوارج والمقصود ذمه وتهديده والمبالغة في
النهي عنه ولكونه ظاهر الاسلام وارتكب ما لا يليق باهل الاسلام سماه منافقا مجازا ومثله
في الخطابيات كثير وقال صلى الله عليه وسلم للعباس بن عبد المطلب عمه في حديث صحيح
رواه الترمذي وابن ماجة والذي نفسي اي روحي وما به حياتي بيده اي في قبضته وتصرفه
فه
لانه المحيي والمميت وهو قسم للتاكيد والتحقيق لا يدخل قلب رجل الايمان اي لا يؤمن ويصير
مؤمنا كاملا في الدخول استعارة ظاهرة حتى يحبكم يعني آله صلى الله عليه وسلم واقرباه فجعل
من رآه وعرفه كمن عرفهم كلهم لله ولرسوله اي محبة خالصة من الاغراض الدنيوية والريا فانما
هي لمحبة الله ورسوله ورضاهما ومن آذى عمي بشيء يؤذيه فقد آذاني لان ما يؤذي آل
بيتي يؤذيني وانما عم الرجل صنو ابيه الصنو بضم الصاد وكسرها وهو هنا بمعنى المثل اي
في المعنى ابوه والرجل يغار لابيه ويؤذيه ما يؤذيه واصل معناه نخلتان فاكثر تخرج من اصل
واحد فاستعير للاخ ولما ذكر اي كانه ابي يجب علي بره وكذا على غيري وروي العباس
صنوي اي مثلي في النسب وسبب قوله صلى الله عليه وسلم هذا ان العباس دخل عليه مغضبا
فقال له ما اغضبك قال يا رسول الله ما لنا ولقريش اذا تلاقوا بينهم تلاقوا بوجوه مبشرة
واذا لقونا لقونا بغير ذلك فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احمر وجهه ثم قال
ما ذكره المصنف وقال صلى الله عليه وسلم للعباس ايضا في حديث رواه البيهقي اغد علي
يا عم اي ائتني يقال غدا عليه اذا اتى فاصل معناه المجي في وقت الغداة فاستعمل في مطلق
المجي مع ولدك اي مع اولادك وكان له رضي الله عنه اذ ذاك عدة اولاد عشرة ذكور منهم
الفضل وعبد الله وقثم وعبيد الله ومعبد وعبد الرحمن وغيرهم من الذكور والاناث واشهرهم
عبد الله وهو البحر وترجمان القرآن وابو الخلفا فجمعهم اي جمع العباس رضي الله عنه اولاده
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم او المراد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضمهم اليه وقال
ابن الجزري في الوفا ان الذي جمعهم من اولاده سبعة وجللهم اي غطاهم وسترهم والبسهم
بملاءة بضم الميم ولام وهمزة ممدودة وهي ربطة او ملحفة وقيل هي ما يكون من ثوبين وقال
صلى الله عليه وسلم بعد ما ضمهم كما فعل مع علي واهله فيما تقدم هذا عمي وصنو ابي
وهؤلاء اهل بيتي اي من اقربائي فاسترهم من النار لستري اياهم اشارة الى وجه ادخالهم
لهم
في ملاءته كما تقدم فامنت اي قالت بعد قوله صلى الله عليه وسلم ودعائه هذا اسكفة
الباب بضم الهمزة وسكون السين المهملة وضم الكاف وتشديد الفاء بزنة طرطبة ويقال
اسكوفه فابدل احد حرفي التضعيف واوا وتخفف فاؤه ايضا وفسر بالعتبة التي في اسفل
الباب وتطلق على ما يقابلها من اعلاه ايضا وحوائط جمع حائط وهو معروف امين
امين بالمد والقصر وتشديد وهو اسم فعل معناه استجب وفيه كلام ليس هنا محله وهو مفعول
انث لانه تضمن معنى قالت او مفعول قبله وفيه معجزة له صلى الله عليه وسلم بنطق الجماد له

كرامة لاهل البيت **وكان** صلى الله عليه وسلم كما في حديث رواه البخاري **ياخذ بيد اسامة بن زيد والحسن** اي يمسكهما بيده وسقط لفظ بيده من بعض النسخ والمعنى يضمهما اليه **ويقول** داعيا لهما **اللهم اني احبهما فاحبهما** بالادغام ويجوز فكه فيقال احببهما والامر للدعاء ودعا بذلك لعلمه بان من احبه رسول الله يحبه الله وعكسه والقول بان احبهما مشاكلة لاوجه له لان محبة الله لعبده مجاز باعتبار غايتها ورد كثيرا من غير مشاكلة واسامة بن زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبه **وقال ابو بكر** الصديق رضي الله عنه **ارقبوا محمدا** ارقب وراقب من المراقبة وهي ادامة النظر في مقابلة شيء ثم اريد به لازمه وهو الحفظ فالمراد احفظوا محمدا اي حقه عليكم **في اهل بيته** اي في رعايتهم واكرامهم وبرهم فان رعاية حقه تتحقق بذلك بعد موته **وقال** ابو بكر **ايضا** اي كمقالته المذكورة فيما رواه الشيخان عنه **والله الذي نفسي** اي روحي وحياتي **بيده** بقبضة تصرفه **لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم** وهي مصدر صارت اسم جمع لقريب النسب **احب الي ان اصل** اي صلتهم بدل اشتمال عن قرابة **من قرابتي** فيه مضاف مقدر اي من صلة قرابتي قال هذا لما ارسلت اليه فاطمة رضي الله عنها تطلب ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وسلم من فدك وغيرها وقال له علي كرم الله وجهه قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم صلتهم لازمة فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا لا نورث ليس لآل محمد ان ياخذوا على المال كلا لا اغير شيئا كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم **وقال** صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابن ماجة والترمذي وحسنه **احب الله من احب حسنا** دعا او خبر يحب حسن حسن ويبغضه قبيحا وروي حسينا **وقال** صلى الله عليه وسلم في حديث تقدم **من احبني واحب هذين** واشار الى حسن وحسين **واباهما** عليا رضي الله عنهم معطوف على هذين **وامهما** فاطمة الزهراء رضي الله عنها **كان معي في درجتي** بدل من معي اي في منزلتي ورتبتي في الجنة **يوم القيمة** اذ كان على ظاهره وانه معه في الحشر فهو كناية عن سلامته من هوله فان اريد به الاخرة مطلقا فالمراد قربه منه لانه لا يساويه صلى الله عليه وسلم في درجته احد كقوله المرء مع من احب **وقال** صلى الله عليه وسلم في حديث رواه م الترمذي وحسنه **من اهان قريشا اهانه الله** لانهم اكرم الناس في الجاهلية فكانوا سادة العرب لهم الرياسة والرفادة وفي الاسلام لان الامامة بحقهم وقريش مصغر تصغير تعظيم لقب النضر بن كنانة ونسله من التقرش وهو التجارة والاكتساب او التجمع لاجتماعهم في الحرم وهو من توافق اللغات وقيل سموا باسم دابة عظيمة في البحر لا تطاق كما قيل

• وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا •

وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البزار عن علي وابن ابي شيبة عن سهل **قدموا قريشا** في كل امر من الامور لاسيما الامارة والخلافة واقتدوا بآرائهم **ولا تقدموها** نهي عن تاخيرهم والتقدم عليهم توكيد للامر قبله وهو بفتح المثناة والدال المهملة المشددة واصله تتقدموا بتائين حذفت احديهما تخفيفا **وقال** صلى الله عليه وسلم لام سلمة في حديث رواه البخاري **لا تؤذيني في عايشة** رضي الله عنها وسببه انه قيل لام سلمة ام المؤمنين رضي الله عنها ان الناس يتحرون بهداياهم يوم عايشة فقولي له صلى الله عليه وسلم يامر الناس بان يهدوا اليه حيث كان او حيث يرى فذكرت ذلك له صلى الله عليه وسلم مرتين وهو يعرض عنها فلما كان في الثالثة قال لها يا ام سلمة لا تؤذيني في عايشة فانه ما نزل علي الوحي وانا في لحاف امراة منكن غيرها فبين صلى الله عليه وسلم لها محبته لها وتقدمها عنده وان الناس خصوا يومها بالهدايا

واستدل

واستدل بهذا على تفضيل عايشة رضي الله عنها على ساير امهات المومنين حتى خديجة وقال السبكي الذي ندين الله به ان فاطمة افضل ثم خديجة ثم عايشة والحديث مخصوص بمن كان موجودا حال الخطاب بقوله منكن وقال ابن تيمية الراي في هذا التوقف لتقابل احاديث التفضيل وتكافيها واختصاص نزول الوحي بلحافها وجه بانها كانت تبالغ في التنظيف والتعطر والعبادة مع شدة حبها وشوقها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظها لاوامره ونواهيه حتى غلبت صفاته صفاتها فصارت معه كشيء واحد رضي الله تعالى عنها **وعن عقبة بن الحارث** في حديث رواه البخاري عنه **رايت ابا بكر** الصديق رضي الله عنه **وقد حمل الحسن على عنقه** اي حمله على ما تقدم المجاور لعنقه ففيه تجوز **وهو يقول** الجملتان حاليتان اي حاملا وقائلا شعرا من مجزو الكامل لا رجز وقيل انه منه وهو مخروم **بابي شبيه بالنبي** • اي افدي بابي من اشتد شبهه برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كناية عن شدة المحبة وتقدم الرتبة عنده **ليس شبيها بعلي** • اي ليس شبيها بابيه رضي الله عنه شبها تاما وانما تم شبهه بجده صلى الله عليه وسلم والبا متعلقة بافدي فليست قسمية وقيل انها قسمية وقد ورد النهي عنه بحديث لا تحلفوا بابائكم واجيب بانه قبل النهي وهو بعيد والظاهر ان النهي عن القسم الحقيقي لا عما ورد للتعظيم والاستعطاف وهذا كله في غير الله ورسوله فان ظاهر انه يقسم بما اراد ويقال بابي وبابا وبابا الرجل اذا قال بابي **وعلي يضحك** من فعل ابي بكر رضي الله عنهما وقوله هذا تعجبا منه وسرورا وفرحا بذلك وتعجبا من ان الظاهر ان كل امر يشابه اباه ومن يشابه ابه فما ظلم ولكنه جذبه عرقه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولذا سماه صلى الله عليه وسلم ابنا وجعل نسبه منه وهي خاصية لحكم ربانية وقد روي ان فاطمة رضي الله عنها كانت ترقص الحسن وهو طفل وتقول بابي شبيه بالنبي الخ فيحتمل التوارد او ان ابا بكر تمثل به بعدما سمعه ووقع في البخاري ليس شبيه بعلي بالرفع فقال ابن مالك ليس حرف عطف كما ذهب اليه الكوفيون وغيرهم يقول هو اسمها والخبر محذوف اي ليس الشبيه غيره وقد يؤول بغير ذلك وهذا لا ينافي ما في الشمايل لمن لم ار قبله ولا بعده مثله لان المنفي المماثلة من جميع الوجوه والمثبت من بعضها وقيل المثل اخص من الشبيه ولا ينتفي الاعم بانتفاء الاخص والذين شبهوا برسول الله صلى الله عليه وسلم نحو العشرة الحسن والحسين وقيل الحسن كان اعلاه اشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم والحسين اسفله وجعفر بن ابي طالب وقثم بن العباس والسايب بن يزيد احد اجداد الشافعي وابو سفيان بن الحارث وكابس بن ربيعة وعبد الله بن عامر بن كريز بضم الكاف ومسلم بن معتب وعبد الرحمن بن عبد الله ابن محمد بن عقيل بن ابي طالب وابن القاسم رضي الله عنهم ونظم بعضهم ابن سيد الناس رحمه الله تع فقال

• بخمسة شبه المختار من مضر • يا حسن ما خولوا من شبهه الحسن •

• بجعفر وابن عم المصطفى قثم • وسايب وابي سفيان والحسن •

وقال ابو محمد الاقمدي وزاد اثنين وقيل انه للعراقي رحمه الله تع

• وسبعة شبهوا بالمصطفى فسما • لهم بذلك قدر قدر زكي ونما •

• سبط النبي ابو سفيان سايبهم • وجعفر وابنه ذو الجود مع قثما •

وقال ابن حجر وزاد عليه ثامنا

قد اشبه المصطفى الهادي ثمانية * من صحبه فعلا في الناس قدرهم
سبطاه وابن كريز وابن حارثهم * وجعفر وابنه مع سائب قثم

وزاد عليه ابن سيدي ابي الحسن فقال

قد اشبه المصطفى المختار من مضر * جماعة عدهم يربو على عشره
سبطاه وابن كريز وابن حارثهم * وجعفر وابناهم سادة خيره
وسائب مسلم وكابس قثم * وسبط نجل عقيل وابنه البرره

وقد زيد على هذا كثير بلغوا العشرين في بعضهم كلام وطعن ونظموها نظما متكلفا ولذا لم اتعرض له فتابعهم ابن الشحنة في نظم له خمسة عشر فزاد ابن عقيل الثاني وزيد بن عبد الله بن الحارث الملقب ببه وقد مات في حياته صلى الله عليه وسلم وزيد بن عثمان بن عفان لانه صلى الله عليه وسلم قال انه اشبه الناس بابيه ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ه والنبي صلى الله عليه وسلم كان يشبه الخليل ايضا وشبه الشبيه شبيه وعد ابن سعد منهم علي ابن عباد بن رفاعة ولو ذكر كل من قيل انه يشبهه صلى الله عليه وسلم لبلغ عددا كثيرا فانه ذكر منهم عبد الله بن محمد بن عقيل وابراهيم وعبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي ويحيى بن القاسم بن جعفر العلوي ومنهم كما قيل المهدي الذي يخرج آخر الزمان والظاهر منهم انهم تسمحوا في وجه الشبه في الخلق والخلق فان الشبه التام لم يتيسر لاحد كيف وقد اعطي صلى الله عليه وسلم الحسن كله واعطي يوسف عليه الصلاة والسلام شطره فهو كما قيل

انما مثلوا صفاتك للنا * س كما مثل النجوم الماء

وروي عن عبد الله بن حسن بن حسين بن علي بن ابي طالب وهو من ثقات آل البيت وفضلائهم وله ترجمة واخرج له اصحاب السنن قال اتيت عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال لي اذا كان لك حاجة فارسل الي واكتب لي كتابا تعلمني فيه بحاجتك فاني استحيي من الله ان يراك واقفا على بابي كما هو المعتاد لمن اتى باب عظيم ان يقف حتى يؤذن له وهذا تعظيم منه لآل البيت لمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وعن الشعبي عامر بن شرحبيل كما تقدم وهذا رواه الحاكم والبيهقي وصححه قال صلى زيد بن ثابت بن قيس بن شماس الانصاري الصحابي المشهور رضي الله عنه وقال البرهان زيد بن ثابت الكلبي ه على جنازة امه اي ام زيد والجنازة بفتح الجيم وكسرها الميت او التابوت وامه النوار بنت مالك بن معاوية بن عدي بن عامر الانصارية ثم قربت له بغلته ليركبها فلما ركبها جاء ابن عباس رضي الله عنهما واخذ بركابه اي امسكه ليركب او مشى معه ماسكا ركابه فقال زيد لابن عباس خل عنه اي دع الركاب وتباعد عنه يا ابن عم رسول الله يعني انه لا يليق مثله بآل البيت لعظمتهم وتكريمهم اللازم لكل احد فقال ابن عباس مجيبا له هكذا نفعل بالعلماء اي مثل هذا التعظيم نعظم به علماءنا فقبل زيد يد ابن عباس تعظيما له وجزاء لاكرامه وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم وقول الصحابي امرنا كما بين في مصطلح الحديث له حكم الرفع على كلام فيه ليس هذا محله والشاهد فيه تعظيم آل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحبتهم وروى عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما احد العبادلة المشهور محمد بن اسامة بن زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهذا الحديث

وهذا الحديث في صحيح البخاري فقالت هذا عندي بكسر العين وسكون النون في والبا الموحدة وروي بالوجهين والذي رجحوه الاول وهكذا ضبطه الحافظ العراقي وتمنى ذلك ليعلمه ويؤدبه ولم يكن عرفه حين رآه فقيل له هو محمد بن اسامة فطأطأ راسه اي خفضها واطرق حياء لما عرفه وبقر بيده الارض وهو متفكر في ما قاله ندما عليه وقال ابن عمر لو رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحبه كما كان يحب اباه اسامة وانما فعل وقال ذلك تعظيما لموالي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الاوزاعي الامام العابد الزاهد الحافظ صاحب المذهب الذي كان عليه اهل الغرب قبل اتباع مذهب الامام مالك سكن الشام حتى مات وهو منسوب للاوزاع بطن من حمير او من همدان او قرية وقد تقدم ه دخلت بنت اسامة بن زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسمها فاطمة وكانت تسكن المزة بالشام كما ذكره ابن عبد البر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجر صفة اسامة او زيد فان كلا منهما صحابي مشهور على عمر بن عبد العزيز وهو خليفة وقيل انها دخلت عليه وهو امير بالمدينة قبل خلافته في خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان والصحيح الاول لان هذه القصة ذكرها ابن عساكر في تاريخه وان اسامة توفي بقرية له بوادي القرى وخلف بنته فاطمة بالمزة فلم تزل بها الى ان ولي عمر بن عبد العزيز فاتته ومعها مولى لها اي عبد تمسك بيدها لكبرها وضعف بصرها فلما رآها قام لها ومشى اليها تكريما لكونها من نسل موالي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جعل يدها بين يديه بان امسكها بدلا عن مولاها وتولى خدمتها ويداه في ثيابه اي مغشاة بكمه حتى لا يمس بدنه بدن اجنبية لتقواه ه ومشى بها حتى اجلسها على مجلسه اي على فراشه الذي كان جالسا عليه وجلس بين يديها كما يفعله الصغير مع الكبير تأدبا منه واكراما وتعظيما وما ترك لها حاجة ذكرتها له الا قضاها وانجزها وكان قال لها ما حاجتك يا فاطمة قالت حملني الى اخي فجهزها وحملها اليه فانظر رحمك الله الى الخلفاء الراشدين لم تمنعهم الخلافة عن قضاء الحوائج والتواضع لهم ولما فرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ديوانه الذي رتب فيه الوظائف للناس وهذا مما رواه الترمذي وحسنه فلما عين من بيت المال لهم فرض لابنه عبد الله وظيفة في ثلاثة الاف اي في الطبقة التي لكل واحد منها ثلاثة الاف في السنة وفرض لاسامة بن زيد في ثلاثة الاف وخمسمائة فجعل وظيفته من بيت المال في رتبة اعلى من ابنه عبد الله قال جوابا لما عبد الله ابنه لابيه عمر رضي الله عنهما لم فضلته علي بزيادة عطائه فوالله ما سبقني الى مشهد اي محل شهده الناس من الجهاد وخدمة الدين التي ترتب الوظائف بقدرها وبالتقدم فيها فقال عمر له اي لابنه مجيبا له لان زيدا اباه احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابيك يعني نفسه فتقديمه انما هو لمحبة رسول الله لا لسبقه لك وهو امر يقتضي التقدم وزيادة التكريم وهذا قيل انه تواضع منه لحرمته لموالي رسول الله صلى الله عليه وسلم والا فهو احب الى رسول الله لحديث عمرو بن العاص قلت يا رسول الله اي الناس احب اليك قال عائشة قلت من الرجال قال ابوها قلت ثم من قال عمر ولك ان تقول الاحبية عنده لاسامة رضي الله عنه احبيته لكونه من خدمته المقربين له فلا ينافي كون عمر احب من غير ذلك الوجه فانه اقرب منه على غيره ثم ان ما ذكره يخالفه ما في الاستيعاب انه فرض لاسامة خمسة الاف ولابنه ثلاثة الاف لكنه لا ينافي المقصد من القصة وهذا كله من الغنائم كما فصلوه

فاثرت اي اخترت وقدمت حب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حبي بضم الحاء فيهما
اي محبته او بكسرها بمعنى محبوبه على محبوبي وبلغ معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنهما
فيما رواه ابن عساكر ان كابس بن ربيعة بن مالك بن لوي الشامي البصري بسين مهملة
من بني سامة بن لوي وكابس بكاف وباء موحدة بعد الالف وسين مهملة وما قيل انه بمثناة تحتية
وانه صح في نسخة العز في تمييز الصحابة تصحيف من ناقله وقول القرطبي ان المحفوظ فيه عابس
الصحيح خلافه يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم بنوع من الشبه واتى الترمذي والطبراني
فلما دخل عليه من باب الدار الفاء داله على مقدر اي وجه له من احضره فلما دخل باب داره
قام عن سريره فمشى له وتلقاه وقبل بين عينيه تكريما لمشابهته لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان انس بن مالك اذا راه بكى لتذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم واقطعه المرغاب
اسم ارض بمرو الشاهجان او قرية بهراة كانت ذات غلة كثيرة يرغب فيها وهو بكسر الميم وغين معجمة
والف وباء موحدة فسلمها اي مهملة والاقطاع ان يعوض اليه ارضا بتمليك ونحوه ويسوغه
لمن هو اهل له وفي شرح احكام عبد الحق انه اسم نهر بالبصرة وما في القاموس مما يقتضي
ان ميمه مفتوحة مخالف لما نقله اهل اللغة كابي عبيد في معجمه والظاهر انه لا وجه له
وعبارته المرغاب ع ونهر بمرو الشاهجان وبلد بهراة وبالكسر سيف مالك بن حمار انتهى وقوله
لشبهه صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم اي كل ما فعله معاوية رضي الله عنه من تعظيمه
له لمشابهته له صلى الله عليه وسلم والصورة ظاهر الوجه وهيئة الانسان وصفته وصورة
مضاف لما بعده مفعول او منصوب منون للشبه وروي ان مالكا هو ابن انس الامام المعروف
لما ضربه جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وجعفر هذا كان
واليا على المدينة من قبل عمه المنصور ونال منه ما نال من تعزيره من نابه واهانته وسببه
وكان سببه انه بلغه انه يقول ان الايمان في بيعة الخلفاء ليست لازمة لان الناس يكرهون
فيها فغضب لذلك ودعا به فحصل منه ما لا خير فيه وحمل الى منزله مغشيا عليه من الضرب والله
مدت يده حتى خلعت من كتفه دخل عليه الناس فافاق من غشيه فقال اشهدكم اني جعلت
ضاربي اي الامر بضربي ومن باشره في حل بكسر الحاء يقال هو في حل من كذا اذا ابراه
ذمته من عهدته فسئل مالك بعد ذلك عن وجه ما قاله واسقاطه حقه فقال اني
خفت ان اموت مما فعله بي فالقى النبي صلى الله عليه وسلم في الدار الاخرة فاستحي منه
لما يلحقني من الخجل منه خوفا ان يدخل بعض آله من اقربائه النار بسببي جزاء له على ما
فعله لان حق العبد لا يسقط الا برضاه فاذا لم يرض يعذبه الله عز وجل منه فلذا احاله حذرا
من ذلك ولذا جزم بذلك واحتمال ارضاء الله له وغيره امر مخالف للظاهر فلا وجه للاعتراض
على جزمه بذلك كما قيل • ولله در الامام النووي رحمه الله في قوله

من نال مني او علقت بذمته •	ابرأته لله شاكر منته
والله ما طالبت عبدا بعده •	ولئن طلبت رجوت واسع رحمته
اارى معوق مؤمن يوم الجزا •	او ان اسوء محمدا في امته

وقيل ان المنصور الخليفة العباسي المشهور اقاده من جعفر اي امران يقتص لمالك من جعفر
فيضرب كما ضربه وسياتي كلام في قصاص الضرب فقال اعوذ بالله والتجي اليه في
الاعانة على عدم ما اريد وهو عبارة في العرف عن عدم الرضا ما ارتفع منه سوط عن جسمي

في حال الضرب الا وقد جعلته في حل وابرات ذمته لقرابته من رسول الله صلى الله
عليه وسلم تكريما له لتعظيمه ومحبته وقال ابو بكر بن عياش بفتح العين المهملة وتشديد المثناة
التحتية واخره شين معجمة ابن سالم الازدي المقرئ احد الاعلام اختلف في اسمه فقيل شعبة
وقيل اسمه كنيته وشهرته تغني عن ذكره توفي سنة تسع وثلاثين ومائة في جمادى الاولى
وعمره ست وتسعون سنة لو اتاني ابو بكر وعمر وعلي في حاجة اقدر عليها لبدات بحاجة
علي قبلهما وقدمته عليهما وهما ما هما اشارة الى علو شانهما لقرابته وفي نسخة لقرباه من رسول الله
صلى الله عليه وسلم لشرف قربه وصهره رتبة فتقدمه ذاتي وعرضي وفرقهما منه لا يمنعه ولان
اخر من السماء الى الارض هذا تمثيل لصعوبته حتى ان مخالفته عنده اشد عنده من انه
يرفع الى السماء ويرمى به منها الى الارض فيتقطع وتتكسر جميع اعضائه وخر بمعنى سقط احب
الي من ان اقدمه عليهما يعني لولا قرابته منه صلى الله عليه وسلم ما قدمته عليهما مع علمي بافضليتهما
عليه وانما قدمته لما فيه من صلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم كما قال •
ولاجل عين الف عين تكرم • ففي الكلام تقدير كما اشرنا اليه وقيل لابن عباس كما رواه
ابو داود والترمذي وحسنه ماتت فلانة كناية عن امراة معينة كما بينه بقوله لبعض
ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعينوها وقيل هي ميمونة وقيل هي زينب فسجد فقيل
له اتسجد في هذه الساعة اي في مثل هذه الساعة التي اخبرت فيها بهذه المصيبة والسجود انما
يكون من الشكر فقال اليس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رايتم اية فاسجدوا اي
امرا عظيما فيه عبرة كالكسوف والخسوف وجزم بعضهم بانها ميمونة خالة ابن عباس وهي اخر
زوجاته صلى الله عليه وسلم موتا وفي انقراضهن يخشى رفع الرحمة من الارض وغضب الله
على اهلها وفي السجود والصلاة تذلل يدفع غضب الرب ولذا استحب بعضهم الصلاة ه
للخسوف والزلزلة واي اية اعظم من ذهاب ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وغلق بابه
فانه امر عظيم يورث حزنا واسفا وكان ابو بكر وعمر يزوران ام ايمن مولاة النبي صلى الله عليه
وسلم ويقولان كان النبي صلى الله عليه وسلم يزورها فاقتديا به واحبا ما احب واسمها
بركة بنت حفص بن ثعلبة بن عمرو بن حفص بن مالك بن سلمان بن عمرو بن النعمان كانت
وصيفة لعبد الله بن عبد المطلب تزوجها زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فولدت له
اسامة وهاجرت الهجرتين وكانت آلت اليه من ابيه وقيل كانت لامه وكان صلى الله عليه
وسلم يحبها ويحب زوجها وابنها ويقول هي امي بعد امي فلذا كان يزورها ويصلها وكانت
عنده وحضنته وامنت به صلى الله عليه وسلم قبل بعثته لان امه ذهبت به لاخواله بني
النجار بالمدينة واقامت شهرا عندهم فكان اليهود يختلفون اليه وينظرونه فسمعتهم
ام ايمن يقولون هذا نبي هذه الامة فوقر ذلك في قلبها فهي اول من امن به صلى الله عليه وسلم
ثم رجعت به امه فماتت بالابواء وقبرها هناك فحضنته ام ايمن ولما وردت حليمة السعدية
من بني سعد على النبي صلى الله عليه وسلم بعد هجرته وهي امه صلى الله عليه وسلم من الرضاع
وهذا الحديث رواه ابن سعد رحمه الله بسط لها رداءه لتجلس عليه اكراما لحق امومة الرضاع
وقضى حاجتها التي سالته قضاها فلما توفي صلى الله عليه وسلم وفدت اي جاءت وافدة
وقادمة من محل بعيد على ابي بكر وعمر في خلافتهما الحاجة لها فصنعا بها مثل ذلك اي
بسطا رداءهما لها واكرماها وقضيا حاجتها تاسيا به صلى الله عليه وسلم ومحبة لمن احب

عة
ع

واعترض عليه البرهان وقال ان التي قدمت عليه صلى الله عليه وسلم انما هي بنت حليمة المسماة
بالشما وهي التي اسلمت لا حليمة كما ذكره الدمياطي رحمه الله وتبعه غيره لكن رد عليه ذلك مغلطاي
في مؤلف له سماه التحفة الجسيمة في اسلام حليمة والحاصل كما تقدم انهم اختلفوا في اسلامها وانها
صحابية فانكره بعضهم وقال انه غلط من بنتها الشما فانها اسلمت وقال ابن عبد البر في الاستيعاب
انها اتته صلى الله عليه وسلم يوم حنين فبسط لها رداءه وانه روي عنها حديث وورد بانه لم يصح
والذي اتته بنتها الشما بنت الحارث واسمها حذافة واما هي فاتته صلى الله عليه وسلم زمن
خديجة فاعطاها اربعين شاة وجملا وانصرفت الى اهلها ولم يذكر اسلامها الا ان عبد البر اثبته
وعدها في الصحابة وقال هي الذي اتته بحنين وروي عنها عبد الله بن جعفر وذكر في الوفا انها
اسلمت هي وزوجها وبنتها وكفي بهذا مستندا للمصنف رحمه الله فالمخطي له مخطي والشاهد فيما ذكره
لما نحن فيه ان ابا بكر اكرمها وعظمها اقتداء به صلى الله عليه وسلم ومحبة لمن احبه وهي في حكم آل
بيته لانها امه من الرضاعة وهي في حكم القرابة وهذا امر ظاهر لم يفهمه من قال معترضا
على المصنف هذه القصة لا مدخل لها في هذا الفصل لانه معقود لتوقير آله واصحابه تكريما له
وتعظيما وهذا انما هو من قبيل تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم نفسه لغيره وهذه غفلة منه عجيبة

فصل ومن توقيره صلى الله عليه وسلم وبره

توقيره بتعظيمه وبره مضاف الى المفعول بمعنى الاحسان والمراد به رعاية جانبه وصلته
توقير اصحابه وبرهم اي تعظيمهم والاحسان اليهم بموالاتهم ونصرتهم وكل ما يليق بهم
قولا وفعلا فان من اكرم عظيما اكرم اتباعه والاصحاب جمع صاحب وتعريفه كما تقدم من رآه
صلى الله عليه وسلم مؤمنا به ومات على ذلك وتفصيله في كتب الحديث والاصليين **ومعرفة
حقهم** اي ما يلزم لهم من تكريمهم وحسن معاملتهم وتنزيل كل منهم في منزلته اللايقة به وليس
المراد مجرد المعرفة حتى يقال ينبغي ان يقول القيام بها لان ثمرة العلم العمل ولذا عطف
عليه قوله **والاقتدا بهم** اي اتباع اقوالهم وافعالهم فانهم على هدي اضاء في مشكاتهم
الانوار النبوية فهم خير الناس ومجموعهم افضل من مجموع من بعدهم واما كون كل فرد منهم
افضل من كل فرد من غيرهم فصرحوا بانه لا يلزم فقد يكون بعض التابعين افضل من بعض الصحابة
واستدل بحديث امتي كالمطر لا يدري الخير في اوله ام آخره والمناقشة فيه بانه باعتبار النفع
لا الفضيلة غير مسلمة وبالجملة فكلهم عدول مطلقا صغيرهم وكبيرهم **وحسن الثنا عليهم**
اذا ذكروا ومدحوا **والاستغفار لهم** اي الدعا لهم بالمغفرة والرحمة نحو رحمهم الله ورضي عنهم
والامساك اي السكوت يقال امسك عن ذكره اذا سكت وهو مجاز صار حقيقة فيه **عما
شجر بينهم** اي وقع فيه خلاف ونزاع ماخوذ من الشجر المختلف المتداخل اغصانه
بعضها في بعض وفي الحديث اياكم وما شجر بين اصحابي **ومعاداة من عاداهم** كالخوارج
والرفضة **والاضراب** اي الترك والاعراض **عن اخبار المورخين** التي نقلوها عنهم
فانها تورث تنقيص بعضهم بما نقلوه **وجهلة الرواة** الذين رووا قصصا باطلة تودي
لسوء ظن بهم **وضلال الشيعة** بضم الضاد المعجمة وتشديد اللام جمع ضال والشيعة كل
فرقة تابعة لاحد ثم خصت بفرقة مخصوصة شايعوا عليا وبالغوا فيه وقالوا ان
الامامة حقه وحق بنيه دون غيرهم وهو من اضافة الصفة لموصوفها اي الشيعة

والصفة كاشفة معرفة لا مقيدة حتى يتوهم ان من الشيعة فرقة غير ضالة او هي مقيدة
للمعطوف والمعطوف عليه اعني قوله **والمبتدعين** فان البدعة على اقسام كما تقدم والمراد
ابتداع العقايد الفاسدة كالخوارج وبعض المعتزلة وقوله **القادحة** صفة اخبار
والقدح الذم والتنقيص بذكر ما يودي اليه **في احد منهم** اي من الصحابة **وان يلتمس لهم**
اي يطلب لهم واصله ادراك الظاهر للبشرة كاللمس فعبر به عن مطلق الطلب **فيما نقل
من مثل ذلك** الامر المشترك عنهم في الاخبار المروية **فيما كان بينهم من الفتن** كما وقع
بين علي ومعاوية رضي الله عنهما **احسن التاويلات والمحامل** لانها امور وقعت باجتهاد
منهم لا لاغراض نفسانية ومطامع دنيوية كما يظنه الجهلة **ويخرج** بضم اوله مجهول
كقوله يلتمس ايضا اضوب المخارج بان يحمله على امر محمود ويؤوله بما يخرجه عن عده من
المعايب الى الحاقه بالمحاسن **اذ هم اهل ذلك** اي يستحقون بان يحمل ما صدر منهم على
امور حسنة محمودة **ولا يذكر** مبني للمجهول **احد منهم بسوء** اي بامر قبيح **ولا يغمص
عليه امر** بضم اليا التحتية وسكون الغين المعجمة وميم مفتوحة وصاد مهملة مبني للمجهول
اي لا يعاب ولا ينقص في امر من اموره ويقال غمصه اذا احتقره وتهاون به ويجوز فيه
ايضا اعجام صاده من غمض الجفن اذا اطبقه بعضه على بعض ثم استعير للتغافل والتسا
قال ثم الان تغمضوا فيه فالمعنى لا تغتفر والاول اولى رواية ودراية **بل يذكر
حسناتهم** المروية عنهم من عباداتهم وزهدهم **وفضايلهم** الكثيرة من علمهم وكرمهم
وحلمهم **وحميد سيرهم** من انصافهم وعدلهم واصابة رايهم وعلو همتهم **ويسكت** مجهول
عما وراء ذلك اي عن غيره مما لا يليق بشرفهم كما نهيهم **كما قال صلى الله عليه وسلم** في حديث
رواه الطبراني وابن اسامة عن ابن مسعود **اذا ذكر اصحابي** بذكر احوالهم **فامسكوا** عن
الطعن فيهم وذكرهم بما يوهم نقصا فيهم **وقال تعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء
على الكفار رحماء بينهم الى آخر السورة** فتضمن خاتمة سورة الفتح الثنا عليهم كلهم وان الله
وعدهم بمغفرة واجر عظيم منه وانهم من ابتداء امرهم الى آخره نعم وخير كثير كزرع تكامل
فشا حتى تمت سنابله وعم نفعه والاية وما فيها من التفاسير قد كفينا مونته هنا والذي
يراد منها هنا ان من مدحه الله وبالغ في مدحه في كتبه المنزلة على رسله لا يحتاج لمدح مادح
يتمدح فيه بقدح قادح لكني اقول عمي البصاير بالتكحل بذهب **وقال الله عز وجل**
في حقهم ايضا **والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار الاية** وفي هذه الاية
مدح عظيم ايضا لهم ووعد عظيم بما لهم في العقبى وهم على طبقات ثلاث الاولى السابقون
الاولون للبيعة وهم الانصار اصحاب العقبة الاولى والثانية والثالثة الذين اسلموا
هولاء باحسان وهم اللاحقون بالسابقين الاولين ويشمل هولاء كلهم الثنا والوعد
وقد قسموا اقساما اخر ليس هذا محل تفصيله **وقال تعالى لقد رضي الله عن المومنين اذ يبايعونك
تحت الشجرة** وهذه قصة الحديبية وما وقع فيها مما تغني شهرته عن ذكره **وقال تعالى
من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية** قدمنا انها نزلت في ناس من الصحابة
منهم انس بن النضر عم انس بن مالك كان لم يشهد بدرا فكبر عليه ذلك فقال اول
مشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه والله لئن اراني الله مشهدا بعده ليرين
الله ما اصنع فلما كانت وقعة احد من العام القابل قاتل فيها حتى قتل ومنهم حمزة وسعد

بن معاذ وطلحة ابن عبيد الله كما تقدم **حدثنا ابو علي** هو ابن سكرة كما تقدم **قال حدثنا ابو الحسين** تقدم ايضا **و ابو الفضل** بن خيرون **قالا حدثنا ابو يعلى** احمد بن عبد الواحد البغدادي وقد تقدم **قال حدثنا ابو علي السنجي حدثنا محمد بن محبوب** المعروف بالمحبوبي كما تقدم **قال حدثنا الترمذي** الحافظ ابو عيسى صاحب السنن **قال حدثنا الحسن بن الصباح** هو البزار براء في آخره كما تقدم وهو الحسن بن محمد بن الصباح بن علي الزعفراني **قال حدثنا سفيان بن عيينة** تقدم ايضا **عن زائدة** بن قدامة ابو الصلت الثقفي الكوفي الحافظ الثقة الحجة توفي غازيا بالروم سنة ستين او احدى وستين ومائة واخرج له الستة **عن عبد الملك بن عمير** الكوفي التابعي روى عنه الستة توفي سنة ست وثلاثين ومائة **عن ربعي** بكسر الراء المهملة وسكون الموحدة **ابن حراش** بكسر الحاء وفتح الراء المهملتين وآخره شين معجمة وما عداه خراش بخاء معجمة وهو ابو مريم العبسي **عن حذيفة** بن اليمان باسكان اليا وهو الافصح وتحذف وهو الصحابي المشهور رضي الله عنه **قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم** في حديث رواه الترمذي وابن ماجة **اقتدوا بالذين من بعدي ابي بكر وعمر** اراد بهم الخلفاء الراشدين مطلقا وخص منهم ابا بكر وعمر لزيادة فضلهما وتقدمهما على غيرهما وهذا الحديث اخرجه الحاكم وابن حبان ايضا وفي طرقه اختلاف بزيادة ونحوها واوله قال حذيفة رضي الله عنه كنا جلوسا عنده صلى الله عليه وسلم فقال اني لا ادري ما بقائي فيكم فاقتدوا بالذين من بعدي ابي بكر وعمر فانهما حبل الله الممدود من تمسك بهما فقد تمسك بعروة الله الوثقى لا انفصام لها والمراد الاقتدا بهما اذا اقاما مقامه في الخلافة وهو دليل على خلافتهما وعلى ان قول الصحابي حجة مقدمة على القياس ومنهم من خصه بابي بكر وعمر واستدل بهذا الحديث كما فصل في كتب الاصول **وقال** صلى الله عليه وسلم في حديث آخر رواه الدارقطني وابن عبد البر في العلم من طرق اسانيدها كلها ضعيفة حتى قال ابن حزم انه موضوع وقال الحافظ العراقي كان ينبغي للمصنف ان لا يورده بصيغة الجزم وما قيل من انه ليس بوارد لان المصنف ساقه في فضل الصحابة وقد اتفقوا على جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الاعمال فضلا عن فضائل الرجال لا وجه له لان قوله **اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم** فيه العمل بما فعلوه وقالوه من الاحكام وليس هذا من قبيل الفضائل التي يجوز فيها العمل بالضعيف فلو قال انه بمعنى الحديث الذي قبله وهو حديث صحيح نعمل به ولذا ساقه بعده كالمتابعة له ولو جزم به كان اقوى واحسن مما قاله وقال ابن الرومي رحمه الله تعالى

قوم اذا دجت الخطوب فانما • اراؤهم في الحادثات نجوم •
منهم مصابيح في الدجا ومعالم • فيها الهدى والاخريات نجوم •

وليس هذا مع ما قبله حديثا واحدا كما نبه عليه المصنف بقوله وقال فوجه التشبيه ما ذكر مع العلو والشرف **وعن انس** فيما رواه البزار وابو يعلى **مثل اصحابي** زاد في المصابيح في امتي **كمثل الملح في الطعام** اي فيما يطبخ ويؤكل مما يعتاد اصلاحه بالملح ووجه الشبه الاصلاح وان ضر كثير الملح واصلح قليله ولدفع توهم ضرر كثيرهم قال **لا يصلح الطعام** بالبنا للفاعل ويجوز بناؤه للمفعول ايضا **الا به** اي بوضعه فيه وهذا الحديث رواه ابن ابي حاتم وغيره من طرق مختلفة وقال الحسن البصري قد ذهب ملحنا فكيف نصلح واصلاحهم بارشادهم وهدايتهم وحثهم على الطاعات وامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وبجلو فيهم

وبيان الشريعة وامور الدين فعلينا باتباعهم واقتفاء آثارهم ومن اشراط الساعة فقد العلما كما قيل

• فكيف بالملح ان حلت به الغير • بالملح يصلح ما يرجى تغيره •

قيل فيه دقيقة وهي الاشارة الى الاعتدال وانهم امة وسط ولا يخفى بعده ولو قيل انه اشارة الى قلتهم وسرعة انقراضهم كان اظهر فتامل **وقال** صلى الله عليه وسلم في حديث تقدم **الله الله في اصحابي** اي اتقوا الله فيهم وكرره للحث والتاكيد وهو منصوب على التحذير بعامل يجب حذفه لقيام التكرير مقامه ولولاه حسن اظهاره كما قاله ابن مالك وفي البسيط يجوز اظهاره وقال الجزولي انه يجوز مع تكريره **لا تتخذوهم غرضا بعدي** الظرف متعلق بالفعل لا صفة غرضا والغرض الهدف الذي يرمى بالسهام والمعنى لا تتهموهم وتطعنوا فيهم باشياء امور قبيحة لهم وصانوا اعراضهم **فمن احبهم فبحبي احبهم** اي فانما احبهم لاجل محبتي لهم ومحبتهم عين محبتي وبرهم بري **ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله** اذية الله عبارة عن فعل ما لا يرضاه اذ معناه الحقيقي لا يتصور في حقه فهو مشاكلة **ومن آذى الله يوشك** بكسر الشين وقد تفتح بمعنى يقرب ويسرع **ان ياخذه** اي يهلكه ويستاصله بعذابه ويوشك يجوز رفعه وجزمه لان من شرطية او موصولة ورواه في المصابيح فيوشك بالفاء والرفع بتقدير مبتدا او هو مستانف دليل على الجواب **وقال** صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم وغيره **لا تسبوا اصحابي فلو انفق احدكم مثل احد ذهبا** وفي بعض الروايات من طريق ابي بكر بن عياش زيادة كل يوم واحد اسم جبل معروف اي لو بذل في سبيل الله مقدار وزنه ذهبا **ما بلغ** اي ما وصل وساوى ثوابه ثواب **مد احدهم ولا نصيفه** الذي يتصدق به من تمر او شعير او قمح ونحوه ففيه من المبالغة ما لا يخفى والمد بضم الميم ربع صاع وهو اقل ما يتصدق به عادة وهو رطل وثلث عراقي عند الشافعي ورطلان عند ابي حنيفة وروي مد بفتح الميم اي مداه وغايته كمد البصيرة ومداه والنصيف بفتح النون وكسر الصاد المهملة بوزن رغيف وفيه اربع لغات نصف بكسر النون وضمها وفتحها ونصيفه بزيادة تحتية لغة في النصف كثمين بمعنى ثمن وقيل النصيف مكيال دون المد اي اعلى صدقتكم وانفاقكم لا يبلغ اجره وموقعه عند الله اقل صدقتهم لسبقهم في الخير وخلوص نيتهم بدون رياء منهم وقد انفقوا رضي الله عنهم وهم في فاقة وقلة ومن بعدهم انفق والدنيا واسعة دارة عليهم مع شدة الحاجة لما انفقوه في اول ظهور الاسلام وقتال اعداء الدين مع بذلهم ما لهم واهلهم وارواحهم في سبيل الله كما قيل

• رايت عبيد الله اكرم من سعى • واكرم من فضل بن يحيى بن خالد •
• اولئك جادوا والزمان مساعد • وقد جاد ذا والدهر غير مساعد •

وللصبار جدت وفارا والزمان هازل • وجاد عفرا والزمان جامد

والخطاب للموجودين من غير الصحابة ولمن يوجد بعدهم كما قيل والمراد باصحابه هنا السابقون الاولون منهم كما قال تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة الآية والاصحاب جماعة مخصوصون منهم واختلف في حكم من سبهم هل هو كبيرة يعزر فاعله او كفر فيقتل وسياتي تفصيله **وقال** فيما رواه الديلمي وابو نعيم في الحلية عن جابر رضي الله عنه **من سب اصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين** اللعنة بمعنى الابعاد والطرد والمراد بعده من رحمة الله وبهذا تمسك من قال بكفره وقتله ومثله كثير في احاديث

التهديد والتخويف حتى لا يتجرى عليه احد من الناس **لا يقبل منه** اي ممن سبهم **صرفا ولا عدلا** في تفسيرهما اقوال فقيل الصرف التوبة وقيل التصرف في الامور وقيل التطوع وقيل الوزن وقيل الغنيمة وقيل المثل وقيل ما تصرف فيه وقيل الزيادة والعدل قيل الفرض وقيل الفدية وقيل الكيل وقيل المثل وقيل الفضل قال النووي ومعنى الفدية انه لا يجد في يوم القيمة من يفتدى به فان بغض المومنين قد يفديه الله ببعض الكفار كما روي في الحديث **وقال** صلى الله عليه وسلم **اذا ذكر اصحابي فامسكوا** اي اذا ذكروا بسوء وغيبة فاتركوا ذلك ولا تخوضوا مع الخائضين فيهم وقد تقدم هذا وبيانه **وقال في حديث جابر** رضي الله عنه الذي رواه البزار والديلمي عنه صلى الله عليه وسلم **ان الله اختار اصحابي على جميع العالمين** اي فضلهم على الناس كلهم وجعلهم خيرة خلقه اتقيا كلهم **سوى الانبيا والمرسلين** فانهم افضل منهم **واختار لي منهم** اي من الصحابة فضلهم على غيرهم من الصحابة **اربعة ابا بكر وعمر وعثمان وعليا** وقد روى الترمذي انه صلى الله عليه وسلم رأى ابا بكر وعمر فقال هذان السمع والبصر فسر اختيارهم له بقوله **فجعلهم خير اصحابي وفي اصحابي كلهم خير** اي فضل وتقوى فكلهم علما عدول كما في حديث خير القرون قرني ثم وشرع وهذا سبب ما حكاه امام الحرمين رحمه الله من الاجماع على عدالتهم كلهم صغيرهم وكبيرهم فلا يجوز الانتقاد عليهم بما صدر عن بعضهم مما ادى اليه اجتهاده لما اوجب القطع بانهم خير الناس بعد النبيين والمرسلين ولما الفوه من الهجرة وترك الاهل والاوطان وبذل النفوس والاموال في نصرة الدين وقتل الاباء والابناء والمناصحة في الدين وقوة الايمان واليقين وغير ذلك من المنح الالهية **وقال** صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الطبراني في اوسطه بسند حسن **من احب عمر فقد احبني ومن ابغض عمر فقد ابغضني** خصه بذلك لما كان فيه من الشدة على امور الدين التي قد تورث حزازة في بعض النفوس القاصرة ولا يلزم منه تفضيله على ابي بكر رضي الله عنه وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بغضه نفاقا لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قيل •

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه •

نكتة من خصائص ابي بكر وعمر رضي الله عنهما انهما جليساه وضجيعاه صلى الله عليه وسلم في حياته ومماته وقد ورد في حديث ان كل احد يدفن في تربته التي خلق منها وهو يدل على انهم خلقوا من طينة واحدة وليس بعد هذه المنقبة شرف اعظم منها **وقال مالك بن انس** شيخ السنة وامام دار الهجرة **وغيره** من الائمة اشارة الى انه رحمه الله لم ينفرد بهذا الاستنباط فانه سبقه له ابن عباس كما نقله ابن تيمية في كتاب رد الروافض **من ابغض الصحابة وسبهم فليس له في فيء المسلمين حق** الفيء ما اخذ غنيمة من الكفار وهو رصد للمسلمين فعدم نصيبه منه عقوبة له على ما فعله وفيه اشارة الى انه يخرج بذلك عن الاسلام ولذا حكم بعض المالكية بقتله اذ لم يتب والفيء هنا شامل للغنيمة فان كلا منهما يطلق على الآخر وان فرق بينهما الفقهاء واهل اللغة وقد قال مشايخنا في هذا ونحوه انه كالمسكين والفقير اذا افترقا اجتمعا واذا اجتمعا افترقا وهو معنى بديع سمعته من شيخنا النور الزيادي **ونزع** بنون وزاي معجمتين وعين مبني للفاعل ويجوز جعله مبنيا للمجهول ايضا فعلى الاول فاعله ضمير من ذكر او ضمير مالك وغيره وعلى الثاني نائب فاعله قوله **باية سورة الحشر** وقيل ضمير من ابغضهم وفيه نظر وفسر نزع بمعنى استدل واستخرج من الاية وسيأتي في آخر

الكتاب قال مالك من انتقص احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فليس له في هذا الفيء حق قد قسم الله الفيء ثلاثة اصناف فقال للفقراء المهاجرين الاية الى اخره فمن نقصهم فلا حق له في الاسلام وعطف سبهم على بغض عطف تفسيري لان البغض امر قلبي لا يطلع عليه وهذا اقوى امارته فلا يرد عليه ان تعلق الحكم به مما يقتضي انه لا يكفي احدهما فيه وهو محل نظر كما قيل ومن فسر نزع بمعنى اخذ الايمان بشهادة حديث الله الله في اصحابي الخ لم يصب واصل معنى النزع القلع والخروج فيتجوز به عما من النزوع عن الاوطان والتغرب كما توهمه هذا القائل والاية المذكورة قوله تعالى وما افاء الله على رسوله الى قوله **والذين جاؤا من بعدهم** يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم ووجه الاستدلال بالاية جعل ما افاء الله على رسوله حقا للفقراء المهاجرين والفقراء الذين تبوؤا الدار والايمان والفقراء الذين جاؤا من بعدهم من جريح بعد ما قوي الاسلام والتابعين لهم باحسان ممن آمن بعد المهاجرين والانصار الى آخر الزمان وجملة يقولون الخ حال اي قائلين ربنا اغفر لنا ولاخواننا وهي حال مقدرة فجعل شرط استحقاقهم قولهم ذلك ومن لم يستهم لم يقل ذلك لاقتضائه محبتهم والشفقة عليهم وانهم لا غل ولا بغض لهم فيهم حيث قالوا ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا وسيذكره المصنف في آخر الكتاب ثم انه بين ان هذا يقتضي كفرهم والكفار لا حق لهم في الفيء فلذا قال **وقال** مالك بن انس رحمه الله **من غاظه** بظاء مشالة قيل وبالضاد ايضا وهو لغة فيه لا ابدال واختلف في الغيظ والغضب هل هما بمعنى والغيظ اشد الغضب او الكمين في النفس او الغضب للقادر والغيظ للعاجز اي من اغتاظ واحتد اذا ذكر **اصحاب محمد** صلى الله عليه وسلم **عنده فهو كافر** لان من ابغضهم فقد ابغضه صلى الله عليه وسلم وبغضه كفر وهذا رواه الخطيب البغدادي عن عروة الزبيري قال كنا عند مالك بن انس فذكر عنده رجل انتقص الصحابة فقرأ قوله تعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار الخ وقال من اصبح في قلبه غيظ على اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقد اصابته هذه الاية لانها صدرت بلام التعليل فهي اما علة لما قبلها من تشبيههم بالزرع في النمو والاستحكام ثم ذكر انه انما شبههم بذلك ليغيظهم **قال تعالى ليغيظ بهم الكفار** فالمومن لا يكون عنده غيظ منهم وعلة لقوله بعده وعد الله الذين آمنوا منهم فانما وعدهم ليغيظ الكفار بوعده لهم فالحاصل انه لا يغتاظ باصحابه مومنا من غيرهم فيخرج غيظ بعضهم على بعض لما ادى اليه اجتهاده **وقال عبد الله بن المبارك خصلتان من كانت فيه نجا من كل امر يشينه ويبغضه** عند الله **الصدق** بان يتحرى الصدق في جميع اقواله حتى يكون عند الله صديقا **وحب اصحاب محمد** صلى الله عليه وسلم كبيرهم وصغيرهم حتى يقدمهم على نفسه واهله وليس هذا من كلام ابن المبارك بل هو حديث رواه ابن مسعود عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة فان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا وقد روي من طريق آخر بمعناه وترتب النجاة عليهما ذكر سر من اسرار الله يطلع عليه من يشا من خلص عباده ومنهم ابن المبارك وناهيك به **وقال ايوب السختياني** التابعي المشهور **من احب ابا بكر فقد اقام الدين** لان الدين

استشفاء به في صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم في اول البعثة وفي اول الهجرة
وفي قيامه مقامه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته وقد تزلزل الناس وارتد بعضهم وفاض
النفاق واقتدح الخلاف بين القول والعمل وقد نزل بهم ما لو نزل بالجبال لهاضها فحمل
اعباء الخلافة حتى قر الدين ووفى من وفى ومن احب احدا كان معه وتخلق باخلاقه **ومن**
احب عمر فقد اوضح السبيل اي بين طريق الحق لمن اراد سلوك الطريق لانه بعده صلى
الله عليه وسلم اظهر الدين واقمع الاعداء وقضى لاهل الاوطار ففتح الفتوح حتى
بلغ صيت الاسلام اقصى الارض كما في حديث الشيخين هنا بينا انا نائم رايتني على قليب
عليها دلو فنزعت منها ما شاء الله ثم اخذها ابن ابي قحافة فنزع بها ذنوبا او ذنوبين وفي
نزعه ضعف والله يغفر له ثم استحالت غربا اي دلوا كبيرا فاخذها ابن الخطاب فلم ار عبقريا
من الناس ينزع نزع عمر وفي رواية فلم ار عبقريا من الناس يفري فريه حتى ضرب
الناس بعطن وهو تمثيل لطول مدة خلافته وكثرة فتوحاته في الاسلام **ومن احب عثمان**
فقد استضاء بنور الله الذي اظهره الله فيه ولذا لقب بذي النورين لما فيه من الكرم
والحلم والزهد والورع والصبر على ما ابتلاه الله به حتى لقي الله وهو عليه راض وكان
اشد الناس حياء **ومن احب عليا فقد اخذ بالعروة الوثقى** اي تمسك بها لكونه عالما
بعلم الحقيقة وقائما بالذب عن حوزة الدين لا يأخذه في الله لومة لائم وهو باب مدينة العلم
فمن احبه مستمسك بالعروة الوثقى اي بالحق والراي القويم الذي هو عروة لا تنفصم
وهو استعارة مصرحة من عروة الكلا وهو ما له اصل ثابت واطراف لا تنقص اذا سقطت
الاوراق **ومن احسن الثناء** بمدح ناشئ عن محبة خالصة فان الظاهر عنوان الباطن
على اصحاب محمد تعميم بعد التخصيص **فقد برئ** اي سلم وخلص **من النفاق** المراد به
معناه العرفي وهو مخالفة الظاهر للباطن مطلقا واصله اخفاء الكفر واظهار الاسلام
ويجوز ان يراد هنا والمراد بالثناء ثناء من غير غلو كغلو الشيعة **ومن انتقص** اي نقص
واحدا منهم بذمه وذكر ما يشينه **فهو مبتدع** لمخالفته السنة واتيانه ما نهى الله عنه ورسوله
وفي نسخة ابغضهم فسر المبتدع بقوله **مخالف للسنة** اي لهديه وطريقته صلى الله عليه وسلم
في جميع اقواله وافعاله والسلف الصالح من الصحابة والتابعين **واخاف** اي اظن او اعلم
ان لا يصعد له عمل من اعماله الصالحة اي لا يقبله الله منه ويثيبه عليه ورفع الاعمال
يعبر به عما ذكر وليس الخوف هنا بمعناه الحقيقي وهو ضد الامن لعدم مناسبته هنا قال
الراغب الخوف توقع مكروه من امارة مظنونة او معلومة وفسر قوله تعالى وان خفتم شقاق
بينهما بعرفتم انتهى **الى السماء** لعدم تمسكه بالكتاب والسنة **حتى يحبهم جميعا ويكون**
قلبه سليما من بغضهم مقتديا بالسلف الصالح **وفي حديث خالد بن سعيد** بن
العاص بن امية بن عبد شمس الصحابي وهو ثالث او رابع او خامس من اسلم وسبق غيره
وليس في الصحابة من اسمه خالد بن سعيد غيره ولم يرو عنه حديث في الكتب الستة وهذا
الحديث رواه الطبراني وابن منده وما ذكره المصنف نقله البرهان الحلبي وقال غيره انه
خالد بن عمرو بن سعيد فتصحف جده وذكره ابن عبد البر في الاستيعاب وذكر سبب اسلامه
في واقعة راها وخالد بن سعيد ان كان غير المذكور لانه لم يشتهر عنه الرواية فالحديث
مرسل والظاهر هو المعتمد واول هذا الحديث انه صلى الله عليه وسلم لما قدم من حجة

الوداع

الوداع المدينة صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس اي **ان النبي صلى**
الله عليه وسلم قال ايها الناس اني راض عن ابي بكر فاعرفوا له ذلك اي رضاي عنه
في صحبته له وانه لم يال جهدا في خدمته ولم يفارقه في حياته ومماته ولم ير منه الا ما يسر
وفي تقديمه وافراده له بالذكر وعدم تشريكه له مع غيره ما يدل على خلافته له وفضله على
سائر الصحابة وهو صريح فيه لا يعند من ختم الله على قلبه وسمعه وسياتي ان من انكر خلافة
ابي بكر مبتدع ولا يكفر ومن سب احدا من الصحابة ولم يستحل يفسق والا كفر **ايها الناس اني**
راض عن عمر وعن عثمان وعن علي وعن طلحة والزبير بن العوام رضي الله عنه **وسعد**
بن ابي وقاص **وسعيد** بن زيد بن عمرو بن نفيل **وعبد الرحمن بن عوف** الزهري **فاعرفوا**
ذلك لهم اي كوني راضيا عنهم والمراد بمعرفتهم رعاية حقوقهم وتوقيرهم ومحبتهم والواو
لا تدل على الترتيب وان كان اهل السنة على تقديم ابي بكر ثم عمر بالاتفاق واختلفوا في عثمان
وعلي ايهما افضل والمشهور تقديم عثمان ومنهم من قدم عليا ومنهم من توقف في ايهما الافضل
فان هذه المسالة غير قطعية عندهم لكن الذي عليه اعتقاد السلف الصالح واعتقاد ما ذكر
وبقية الصحابة لم ينصوا على شيء فيهم ولم يذكر عاشرهم وهو ابو عبيدة بن الجراح لدخوله في
الصحابة وشهرته **ايها الناس ان الله قد غفر لاهل بدر** كلهم جميع ما صدر منهم لحضور
اول مشهد اعز الله به الاسلام والمسلمين وبدر اسم موضع معروف سميت باسم رجل حفر
بئرها كما تقدم **والحديبية** بتشديد الياء وتخفيفها وهي اسم مكان قريب من مكة من الحرم
او خارجه او بعضه منه اقوال وفيه الشجرة التي كانت تحتها بيعة الرضوان وقصتها
معروفة في السير وقد تقدم ذكرها **ايها الناس احفظوني في اصحابي** اي احفظوا حقي
وقدري برعاية ما يجب منه كما تقدم تفصيله في اصحابي اي وحفظ حقي بهم وتحقق
بحفظ اصحابي ومحبتهم وتوقيرهم فان من بغضهم بغضني ولم يحفظني ثم خص بعد التعميم
احتياطا وحثا بقوله **واصهاري واختاني** الاصهار جمع صهر بكسر فسكون قال الجوهري
هو اهل المراة عن الخليل قال ومن العرب من يجعل الصهر من الاحماء والاختان جميعا جمع
ختن والختن بفتحتين واحد الاختان كل من كان من قبل المراة كالاب والاخ وعند العامة
ختن الرجل زوج ابنته وكل شيء من قبل الزوج فهو حمو وفيه لغات مشهورة فالمراد بهما من بينه
صلى الله عليه وسلم وبينه علاقة نسبية بتزويجه والتزوج منه **لا يطالبنكم** معاشر
المسلمين اجمعين **احد منهم** اي من المذكورين من اصحابي واصهاري واختاني اي لا يكون لاحد منهم
عليكم حق يستحق ان يطالبكم به ويدعيه عليكم وهو معنى قوله **بمظلمة** بكسر اللام وفتحها
وهي ما يوخذ ظلما وجورا فيطالب به ويشكى ممن اخذه والكسر فيها اكثر واشهر **فانها**
مظلمة اي حق للعبد اخذ منه ظلما **لا توهب في القيامة غدا** اي لا يهبها الله لانها
حق العبد فلما لم يرض صاحبها لا تترك وقوله غدا اشارة الى قرب اليوم الذي يؤاخذ فيه
العباد ترهيبا لهم وتخويفا **وقال رجل للمعافى** بفتح الفاء والقصر **ابن عمران** ابو مسعود
الازدي الموصلي احد الاعلام المحدثين كان يقال له ياقوتة العلماء توفي سنة خمس وثمانين
ومائة واخرج له البخاري وغيره والقائل له لا يعرف **اين عمر بن عبد العزيز** الخليفة
العابد الزاهد العادل **من معاوية** بن ابي سفيان رضي الله عنهما اي ايهما افضل وخصهما بالسؤال
لانهما امويان فاين تذهب انت في الفرق بينهما **فغضب** على السائل لما لاح عليه من تفضيله

لابن عبد العزيز نظراً لظاهر الحال وقال لا يقاس اي لا يسوى فضلا عن التفضيل
باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم احد وفي نسخة على اصحاب النبي وقاس يتعدى بالباء وعلى
وقد يعدى بالى لما فيه من معنى الجمع والضم قال المتنبي

بمن تضرب الامثال ام من اقيسه • اليك واهل الدهر دونك والدهر

ثم اشار لفضل معاوية على غيره بقوله معاوية صاحبه صلى الله عليه وسلم وصهره لانه
اخو زوجته ام حبيبة بنت ابي سفيان ام المؤمنين وكاتبه لما ثبت انه من اجل كتابه صلى
الله عليه وسلم وامينه على وحيه لانه بعد ان استكتبه كان يكتب ما ينزل عليه من الوحي
ولو لم يثق منه صلى الله عليه وسلم ما استكتبه الوحي وكفاك بهذه منقبة لم يصل اليها عمر
بن عبد العزيز واضرابه وابن العاص في رجل منصف وبما صح عنه يرد ما قيل انه لم يكتب له صلى
الله عليه وسلم شيئا من الوحي وانما كان يكتب له كتبه الى الاطراف ولم يذكر فضل معاوية
لقرب نسبه من رسول الله صلى الله عليه وسلم لان عمر بن عبد العزيز يشاركه في ذلك وروي
ان عمر سمع مثله فقال لغبار غزوة غزاها معاوية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خير
من عمر وآل عمر وفي الطاعن فيه ما قيل

ومن يكن يطعن في معاوية • فذاك كلب من كلاب الهاوية

وروى الترمذي عن جابر وضعفه انه صلى الله عليه وسلم اتي بالبنا للمفعول النبي صلى
الله عليه وسلم بجنازة رجل بفتح الجيم وكسرها الميت ونعشه او فوق للفوق وتحت
للتحت وقد يعكس فلم يصل عليه وقال كان هذا الميت يبغض عثمان فانا ابغضه فلذا
لم يصل عليه لان صلاته على الميت دعاء له وشفاعة له فحرم من ذلك والعياذ بالله تعالى
وفي نسخة بدل ما ذكر فابغضه الله فهو خبر او دعاء عليه وليس في الحديث انه صلى الله عليه
وسلم نهى عن الصلاة عليه حتى يقتضي كفره كما توهم لجواز ان لا يصلي هو ويصلي غيره كما في
المديون والبغض لا يقتضي الكفر وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان في
الانصار اي في حقهم والوصية بهم وقيل في شانهم وفضلهم اعفوا عن مسيئهم اي عمن
وقع منه اساءة ما واقبلوا من محسنهم كل ما احسنوه فحذف معموله تعميما وفي البخاري اوصي
الخليفة بعدي بالمهاجرين والانصار ان يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم اي ما فرط منه
من زلة والانصار اسم حدث لهم في الاسلام وهم الاوس والخزرج والتجاوز عن مسيئهم في غير
الحدود وحقوق الناس وما ذكر بعض من حديث رواه الشيخان ففي البخاري عن انس بن مالك
ان ابا بكر والعباس رضي الله عنهما مرا بمجلس من مجالس الانصار وهم يبكون في مرضه صلى الله عليه
وسلم فقالا ما يبكيكم قالوا ذكرنا مجلسه صلى الله عليه وسلم منا فدخلا عليه صلى الله عليه وسلم
واخبراه بذلك فخرج وقد عصب على راسه حاشية برد فصعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر
ولم يصعده بعد ذلك فحمد الله واثنى عليه ثم قال اوصيكم بالانصار فانهم كرشي وعيبتي وقد
قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم وهذا تمثيل لان
الكرش يجمع الغذاء الذي به حياة الحيوان ونماؤه ويقال لفلان كرش منثورة اي عيال كثيرة
والعيبة بفتح العين المهملة ما يحرز فيه المتاع يريد انهم موضع سره وامانته قال ابن دريد
وهو من موجز الكلام الذي لم يسبق به صلى الله عليه وسلم وقيل الكرش بمنزلة المعدة والعيبة
مستودع الثياب والاول امر باطن والثاني ظاهر فضرب به مثلا لاختصاصهم بامور الباطنة

والظاهرة وهو تشبيه بليغ او استعارة واراد صلى الله عليه وسلم بما عليهم نصرته
وقضاء ما تعوم عليه وما لهم عليه الجزاء في الدنيا والاخرة وقال صلى الله عليه وسلم في حديث
رواه ابو نعيم والديلمي عن عياض الانصاري وابن منيع عن انس احفظوني في اصحابي
واصهاري تقدم بيانه فانه الشان من حفظني فيهم برعاية حقوقهم واكرامهم حفظه
الله في الدنيا والاخرة حفظه في الدنيا مما يسوءه وتوفيقه لترك المعاصي وفي الاخرة
من العذاب والعقاب ومن لم يحفظني فيهم بترك ما مر تخلى الله منه اي اعرض عنه وتركه
في غيه استدراجا له ومن تخلى الله منه يوشك يسرع ويقرب ان ياخذه اخذ عزيز
مقتدر بان يهلكه ويستاصله مستعار من الاخذ المعروف وقوله تخلى الله عنه اخبار حمّا
يتم به وكونه انشاء للدعاء عليه يأباه السياق لما قيل انه اقرب ليس بشي ولهذه الزيادة ذكره المصنف
وان تقدم وعنه صلى الله عليه وسلم في حديث رواه سعيد بن منصور عن عطاء مرسلا من
حفظني في اصحابي برعاية حقي فيهم كنت له حافظا يوم القيامة اي مانعا له من هول
الحشر وما يسوءه فيه وقال صلى الله عليه وسلم كما رواه الطبراني بسند ضعيف من حفظني
في اصحابي ورد علي الحوض اي وصل اليه وشرب منه حتى لا يظما بعده ومن لم يحفظني في
اصحابي بتضييع حقوقهم وعدم محبتهم ورعاية ذريتهم لم يرد على الحوض ولم يرني الا
من بعيد فلا يقرب منه صلى الله عليه وسلم لان من ابغض الصحابة بغضه الله فاستحق الطرد
عن الحوض وعدم شفاعته صلى الله عليه وسلم وتفويته بركته وعنايته في مثل ذلك اليوم
الشديد الهول قال مالك امام دار الهجرة ونجم السنة رحمه الله هذا النبي صلى الله عليه وسلم
عبر باسم الاشارة القريب لانه لحضوره في قلبه وذهنه قدر نفسه كانه بين يديه بمرأى منه
صلى الله عليه وسلم الذي هدانا الله به لخيري الدنيا والآخرة والضمير للناس كلهم
وجعله رحمة عامة للعالمين وجميع المخلوقين يخرج في جوف الليل اي في وسطه شبهه
بالجوف وهو داخل البدن وعبر بالمضارع لحكاية الحال الماضية الى البقيع اسم موضع بظاهر
المدينة واصله اسم كل مكان متسع فيه شجر ويقال له بقيع الغرقد بغين معجمة وهو اسم لنوع
من شجر العضاة كان به ثم زال وصار مقبرة لاهل المدينة المنورة وانما كان صلى الله عليه وسلم
يخرج له ليناجي ربه متخليا عن اهله فيدعو لهم اي لمن بتلك المقبرة منهم ويستغفر لهم
اي يدعو لامواتهم واحيائهم بالمغفرة كالمودع لهم كانه يودع من بتلك الجبانة لعلمه صلى
الله عليه وسلم بقرب اجله ومفارقة زيارتهم وبذلك امره الله اي امره بان يدعو لامته
اولامواتهم ويستغفر لهم وفيه دليل على شدة محبته لهم فيجب علينا اتباعه في ذلك وامر
النبي بالبنا للمجهول صلى الله عليه وسلم اي امره الله بحبهم وموالاتهم اي معاونتهم
ونصرتهم كما امر وابذلك ومعاداة من عاداهم من الكفرة والمنافقين وهو اشارة لما رواه
مسلم عن عايشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم كان يخرج في ليلتها آخر الليل الى البقيع
ويقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لاهل بقيع الغرقد
وكان لما خرج خرجت عايشة مستخفية منه فاحس صلى الله عليه وسلم بذلك وسالته عما
صنع فقال ان جبريل اتاني وناداني ولم يدخل عليك ولم اوقظك خشية ان تستوحشي فقال
ان ربك يامرك ان تاتي اهل البقيع فتستغفر لهم فقلت كيف اقول فقال تقول السلام على
اهل الديار من المومنين والمسلمين ويرحم الله عز وجل المستقدمين منا والمستاخرين وانا بكم

انه بالله للاحقوف وهو ما اشار اليه مالك رحمه الله وقيل انه اشارة الى قوله تعالى
فاعف عنهم واستغفر لهم فاذا امر بذلك فنحن احق به والظاهر ما قدمناه وقال كعب
الاحبار التابعي المشهور وهذا رواه عنه ابن سعد بلفظ ليس مؤمن بدل قوله ليس احد من
اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الا وله شفاعة في غيره من المؤمنين يوم القيمة وهذا اما مروي عنه صلى الله عليه
وسلم فهو مرسل او هو ما رواه في الكتب القديمة لانه كان عالما بها وفيه تكريم لهم وما يقتضي محبتهم
رجاء شفاعتهم فيمن احبهم وطلب اي كعب الاحبار وهذا دليل على صحة اعتقاده لما قاله وانه
كان محبا لهم مترجيا لشفاعتهم من المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم القرشي
الصحابي ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة وكان من انصار علي رضي الله عنه
وقيل انه لم يدرك من حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ست سنين وكان قاضيا في خلافة
عثمان وعد من الصحابة وطلب كعب منه ان يشفع له يوم القيمة يدل على علمه ونوفل والده هو ابن عم
رسول الله صلى الله عليه وسلم والحارث جده لم يدرك الاسلام وهذا ما ذكره البرهان ومن تبعه
وقال التلمساني نوفل والده هو ابن معاوية بن عروة الدؤلي من كنانة سمع النبي صلى الله عليه وسلم
ومات في زمن يزيد بن معاوية وقد بلغ المائة كما قاله الواقدي وقال البرهان الحلبي الحارث
بن عبد المطلب قال ابن عبد الغني المقدسي انه لم يدرك الاسلام واسلم من اولاده اربعة نوفل
وربيعة وابو سفيان وعبد الله ونوفل اسن اخوته واسن من اسلم من بني هاشم ولم يذكر المغيرة فيهم
ومنهم من جعل المغيرة اسم ابي سفيان والصحيح خلافه وانه غيره ولم يتعقب ابا الفتح اليعمري
حين ذكره وقال الذهبي في التجريد ابو سفيان اسمه المغيرة قال ابن المنذر ولم يتعقبه وقال
سهل بن عبد الله التستري لم يؤمن بالرسول ايمانا كاملا من لم يوقر اصحابه بتعظيمهم ومحبتهم
ولم يعز من اعزه اذا نصره وقواه او جعله عزيزا مبجلا موقرا معظما اوامره جمع امر وقد تقدم
الكلام عليه قيل وهذا يقتضي ان سب الصحابة وتنقيصهم كفر وقيل انه كبيرة قال الزركشي
وينبغي ان يقيد الخلاف بغير من فعل ذلك لكونهم صحابة لا لامر آخر وهو مقتضى من هنا ايضا
وفي منظومة ابن وهبان رحمه الله تعالى

يخاف على من قال بعض علمائنا • من الكفر اذ لا مقتضي الكفر يظهر

وسيأتي تفصيله

فصل ومن اكباره واعظامه صلى الله عليه وسلم:

اعظامه واكباره بمعنى تعظيمه وتكبيره واجلاله وفي القاموس اعظمه فخمه وكبره واستعظمه
رآه عظيما اي من تفخيمه وتعظيمه اللذين هما واجبان على المؤمن اعظام جميع اسبابه قيل هو
بالمعنى العرفي وهو كل ما ينسب اليه صلى الله عليه وسلم من فراش ولباس مما لا روح له او له روح
كعبده ودابته وقال الراغب السبب الحبل الذي يصعد به النخل قال تعالى فليرتقوا في الاسباب
ويسمى كل ما يتوصل به سببا وتسمى العمامة والخمار والثوب الطويل سببا تشبيها بالحبل في الطول
انتهى واكرام مشاهده جمع مشهد وهو محل الشهود اي الحضور من المشاهدة وهي الادراك بحاسة
البصر ومشاهد الحج مواضع النسك وامكنته جمع مكان عطف تفسير من مكة والمدينة بيان
للامكنة فالمراد به مساكنه ومحل اقامته لا مطلق المكان ومعاهده اي المحال التي عهد
الفه صلى الله عليه وسلم لها كالاساطين التي كان يصلي عندها ومحل صلاته في المساجد والاماكن
المباركة ومنازله وما لمسته بيده او بغيره من اعضائه كالحجر الاسود والركن اليماني والملتزم

متقاربات او عرف به كالاماكن التي جاهد فيها والغار الذي دخله صلى الله عليه وسلم
وقد مر ان ابن عمر كان يتحرى الصلاة والنزول والمرور حيث حل صلى الله عليه وسلم ونزل
وما روي عن مالك مما يخالف ذلك فهو جري على قاعدته في سد الذرائع وكذا ما جاء عن عمر
انه رأى الناس في الرجوع من الحج ابتدروا مسجدا فقال ما هذا قالوا مسجد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال هكذا اهلك اهل الكتاب قبلكم اتخذوا آثار الانبياء بيعا من عرضت له منكم الصلاة
فيه فليصل ومن لم تعرض له فليمض وكلام المص هنا غير موافق لما مر عن امامه لانا نقول يمكن
لكنه بعيد من ظاهر عبارته ويؤيد ظاهرها ان محققهم الشيخ خليل لما قال يسن زيارة البقيع
ومسجد قبا قيده ذلك بمن كثرت اقامته بالمدينة قال والا فالمقام عنده صلى الله عليه وسلم
احسن لغنيمة مشاهدته ثم نقل عن العارف ابن ابي جمرة انه من حين دخل المسجد ما جلس الا للصلاة
حتى رحل الركب ولم يخرج لبقيع ولا غيره ولما خطر له ذلك قال هذا باب الله تعالى مفتوح للسائلين
والمتضرعين وليس ثم من يقصد مثله وروي عن صفية بنت بحرة في الحواشي التلمسانية ان
هذه المرأة زوجة ابي محذورة الآتي ذكره وقد روى عنها ايوب بن ثابت وروت هي عن زوجها
ابي محذورة واختلف في اسم ابيها بحرة فقيل انه بنون مفتوحة وجيم ساكنة ودال مهملة وهاء
وقيل بحداه بدال مهملة تليها الف وهاء وقيل بحراه براء مهملة بدل الدال المهملة وقيل الصواب
بحرة بموحدة مفتوحة وحاء وراء مهملتين وهاء قالت كان لابي محذورة بحاء مهملة وذال
معجمة وبعدها راء مهملة وهاء بزنة اسم مفعول وهو محذورة بن محيريز بميم مكسورة وعين مهملة
ساكنة ومثناة تحتية مفتوحة وراء مهملة وقيل معين بنون بدل الراء ابن لوذان بفتح اللام
وضمها وواو وذال معجمة القرشي مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ولم يزل الاذان فيه
وفي عقبه واختلف في اسمه اختلافا كثيرا فقيل سمرة وقيل سلمان وقيل سلمة وهو جمحي
صحابي توفي سنة تسع وخمسين او سبعين واخرج له مسلم واحمد واصحاب السنن قصة
بضم القاف وتشديد الصاد المهملة وهي خصلة من شعر الراس في مقدم راسه مما يلي وجهه
من الناصية سميت بها لانها مما يقص وقال ابن دريد كل خصلة من الشعر قصة وقال الجوهري
هو شعر الناصية وسبب توفيرها ان النبي صلى الله عليه وسلم مسحها بيده فابقاها تبركا بماسته
وهو محل الشاهد وكان ابو محذورة لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة واذن له بها
مع فتية من قريش سمعوا الاذان فاستهزؤوا به وجعل ابو محذورة يحاكي الاذان استهزاء فسمعه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر باحضاره فلما مثل بين يديه ظن انه مقتول فمسح رسول الله
صلى الله عليه وسلم ناصيته وصدره بيده قال فامتلأ قلبي يقينا وايمانا وعلمت انه رسول
الله فاسلم وعلمه رسول الله الاذان وامره ان يؤذن لاهل مكة وهو ابن ستة عشر سنة فكان
يؤذنهم حتى مات اذا قعد وارسلها اي حل عقصها وسدل شعرها اصابت الارض اي
وصلت اليها لطولها فقيل له اي قال الناس لابي محذورة الا تحلقها بكسر اللام مضارع حلق
الشعر بفتحها والا للعرض او الاستفتاح فقال لم اكن بالذي احلقها وقد مسها رسول الله
صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة فابقاها تبركا بمسته بيده وبهذا زالت الكراهة وان قيل
بها في غيره و في حديث رواه ابو يعلى قال كانت في قلنسوة خالد بن الوليد بن المغيرة الصحابي
المخزومي المشهور والقلنسوة ما يوضع على الراس تحت العمامة وتسمى شاشية وقبعا ويقال
قلنسه وهو بفتح القاف وضمها وضم السين وكسرها ففيه لغات شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم

في

صح

جعلها في داخلها تبركاً بها **فسقطت قلنسوته** عن رأسه في بعض حروبه قيل هو في غزاة
اليمامة في خلافة ابي بكر رضي الله عنه فشد عليها شدة اي شدة قوية اي رجع لاخذها وهو
يعدو عدواً واشتد بها يقال شد اذا اجرى جرياً قوياً اي كاراً عليها ليأخذها خوفاً من
ضياعها **فانكر اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم** رجوعه لاجل عمامته لظنهم انه حرص عليها
لذاتها **كثرة من قتل فيها** اي في شدته هذه ممن رجع معه لجانب العدو وبسببه وكثرة منصوب
مفعول انكر وهو مفعول لاجله **فقال لم افعلها** اي هذه الشدة والكرة **بسبب** اخذ هذه **القلنسوة**
كما ظننتم **بل فعلته لما تضمنته** اي لما في ضمنها وداخلها **من شعره** صلى الله عليه وسلم وهو
بفتح العين وسكونها **لئلا تسلب** بالبناء للمجهول ونائب فاعله **بركتها** وتسلب بمعنى تذهب
بركتها مني وذلك امر عظيم يخاطر بالارواح لاجله وفي نسخة اسلب ويحتمل انه من السلب
بفتحتين اي يأخذها العدو ويدل عليه قوله **وتقع في ايدي المشركين** الذين لا يليق ان
يكون عندهم آثار النبي صلى الله عليه وسلم **ورئي** مبني للمجهول بهمزة قبل الياء آخره **ابن
عمر واضعاً يده على مقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم** اي موضع قعوده **من المنبر
ثم وضعها على وجهه** اي مسحه بها تبركاً بمس ما مس جسده الشريف وثيابه وهذا رواه ابن
سعد ويأتي الكلام على ذلك عند اعادة المصنف له وهذا يدل على جواز التبرك بالانبياء والصالحين
وآثارهم وما يتعلق بهم ما لم يؤد الى فتنة او فساد عقيدة وعلى هذا يحمل ما روي عن عمر رضي الله
عنه من انه قطع الشجرة التي وقعت تحتها البيعة لئلا يفتتن بها الناس لقرب عهدهم
بالجاهلية ولا منافاة بينهما ولا عبرة بمن انكر مثله من جهلة عصرنا **وفي معناه انشدوا**

امر على الديار ديار ليلى • اقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي • ولكن حب من سكن الديارا

وهذا وقع مقدماً في بعض النسخ **وهذا** اي للتبرك بآثاره صلى الله عليه وسلم **كان الامام
مالك لا يركب بالمدينة دابة** فرساً ونحوها مما يركب رجاء لان يمس جسده تراباً مشى عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما ذكره بقوله اذا سئل عن ذلك **وكان يقول استحيي من الله**
اي اخشى واهاب **ان اطأ تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة** اي ارضاً
ذات تراب ونسب الوطء له مع انه للدابة لانه منسوب له والحافر للفرس ونحوها كالخف للبعير
والقدم للانسان ثم بين ان عدم ركوبه لم يكن لكونه ليس له دواب بل للتعظيم صلى الله عليه وسلم
فقال **وروي عنه** اي عن الامام مالك **انه وهب للامام الشافعي** لما كان بالمدينة وضمن
وهب معنى اهدى فعداه باللام وهو متعد لاثنين بنفسه **كراعاً** بوزن غراب وهو جمع من الخيل
وله معان اخر فيطلق على الخيل والسلاح وما استدق من الساق واسم موضع **كثيراً كان عنده**
اي في ملكه وحيازته وهو يدل على كرمه واجلاله للامام الشافعي **فقال له الشافعي**
لما وهبه جميع دوابه **امسك منها دابة** اي ابقها عندك لتركبها **فاجابه بمثل هذا الجواب**
الذي اجاب به من تقدم بانه يستحيي من الركوب بالمدينة الى آخره **وقد حكى ابو عبد الرحمن
السلمي** بضم السين وفتح اللام الامام الجليل شيخ الامام القشيري صاحب الرسالة
عن احمد بن فضلويه بفتح الفاء وسكون الضاد المعجمة وفتح اللام والواو وسكون الياء ويجوز
ضم اللام وسكون الواو وفتح الياء وهو طريقة المحدثين يقولونه كراهة من لفظة ويه فانها
كلمة تدل على مكروه كالويل وقال المصري انها كلمة تصغير عند عوام البصرة ثم وصفه بقوله

الزاهد

الزاهد وكان من الرماة الغزاة كان مكثراً للمجاهدة في سبيل الله مجيداً للرمي
بالسهام ملازماً للمجاهدة بها **انه قال ما مسست القوس بيدي** ولمسه حال الرمي وغيره
الا على طهارة اي متوضئاً **منذ بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ القوس بيده** اي
امسكها وهو كناية عن الرمي بها وقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم حث على الرمي وامر به
فهو سنة ففي صحيح مسلم عن عقبة ابن عامر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو على المنبر يقول واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل الا ان القوة الرمي
وكررها ثلاثاً قال صلى الله عليه وسلم ان الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه
والرامي به ومنبله اي من يناوله السهم ليرمي به وصح انه صلى الله عليه وسلم رمى بالسهام في
غزوة احد وكان له قسي ست مذكورة في السير ثم انه قيل ان تخصيصه الطهارة بمس القوس
دون السيف وغيره حماسته وتعظيمه انه يدل من غيره من آلات الحرب لما فيه من دفعه عنه دون
مشقة كما في غيره ولذا كانت العرب تسميها اي السهام رسل المنايا وما قيل انه يحتمل انه كان
يفعل ذلك في كل نوع من الآلات لا يساعده لفظه **وقد افتى الامام مالك فيمن قال تربة
المدينة** اي ارضها **ردية** لمن يحل فيها غير طيبة ذات وباء متعفنة الهوى ورديئة مهموز
وغير مهموز مأخوذ من الردي **يضرب بثلاثين درة** بكسر الدال وتشديد الراء المهملتين
وهي آلة من جلد غليظ يضرب بها معروفة وفي الكلام مقدر اي وقال انه يضرب او يضرب
بدل من افتى **وامر بحبسه** لتعزيره له **وكان** الذي حبسه **له قدر عظيم** وشرف بين الناس
وذكر هذا لان التعزير يختلف حاله بحال من عزر ففيه اشارة الى انه اذنب ذنباً عظيماً
اذ لو كان امراً سهلاً صدر من شريف لعزره باللسان والزجر والى هذا اشار بقوله **وقال**
الامام مالك **ما احوجه** تعجب من استحقاقه لعقاب اشد مما فعله وفيه تجوز لانه جعل
استحقاقه بمقتضى ما صدر عنه كأن له حاجة اليه لان العاقل لا يفعل ما لا يحتاج اليه
ففيه تهكم به يومي الى عدم شعوره بمصالحه **الى ضرب عنقه** اي الى القتل **تربة** وارض
دفن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم يزعم انها غير طيبة اي ردية متغيرة الهواء ذات
وباء وهي وان كانت ذات حمى قبل الهجرة فقد دعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنقل
حماها وعفونة هوائها الى الجحفة فصارت معتدلة طيبة كما هو مشاهد فيها وعبر بيزعم
للاشارة الى انه قول باطل وان كان الزعم يجيء بمعنى القول ولذا قالوا زعم مطية الكذب
وهذا مبالغة عن زجره تفادياً عن تنقيص ما هو من افضل الاماكن عند الله وان امكن حمله
على محمل آخر من ان بعض اماكنها سباخ ولكونها كانت ذات وباء لما قدم الصحابة لها واخذتهم
الحمى قال صلى الله عليه وسلم اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة او اشد اللهم بارك
لنا فيها وصححها لنا وانقل حماها الى الجحفة فطابت وطابت تربتها حتى صار ترابها شفاء
من الجذام كما ورد في الآثار وقال البوصيري

لا طيب يعدل ترباً ضم اعظمه • طوبى لمنتشق منه وملتثم

وفي الصحيح اي الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان عن انس انه صلى الله عليه وسلم
قال في المدينة اي في حقها وشأنها **من احدث فيها حدثاً** اي من فعل فيها امراً فيه اثم
عد فيها كالمظالم واصل الحدث كل ما حدث وتجدد ثم خصه العرف بما ذكر من البدع المنكرة شرعاً
كما في النهاية ومن موصولة او شرطية **او آوى** بالمد ويجوز قصره **محدثاً** بكسر الدال اسم فاعل

من احلته اي ادخلته وحمته لاهلها يقال آوى اليه كذا اذا انضم اليه اي ادخلها خائنا فاجاره ونصره على خصمه وفتح داله كما قيل على انه بمعنى الامر المبتدع والايواء الرضا به تكلف لا حاجة اليه **فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا** وقد تقدم تفسيره وانه تغليظ في الزجر او مأول كما قدمنا وفيه من تعظيم المدينة لكونها مكانه صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى ولها حرمة الحرم كما فصلوه وسيأتي وحكي بالبنا للمفعول والذي حكاه ابن عبد البر رحمه الله كما تقدم **ان جهجاها الغفاري** بن سعيد بن حرام قال الطبري كذا رواه المحدثون والصواب جهجا بلا هاء وقال الذهبي هو جهجاه بن قيس وقيل ابن سعيد وهو مدني صحابي شهد بيعة الرضوان وبعض الغزوات وتوفي بعد عثمان بسنة وتقدم وسيأتي انه مات قبل الحول **اخذ قضيب النبي صلى الله عليه وسلم من يد عثمان رضي الله عنه وتناوله منه ليكسره على ركبته** كما هو معتاد في كسر ما يحتاج كسره بقوة والقضيب عصا قصيرة كان يمسكها صلى الله عليه وسلم في يده وكذا فعله الصحابة **فصاح به الناس** تحذيرا له وزجرا ليرتدع عما اراد **فاخذته الاكلة** اي اصابته وبدت به **في ركبته** لوضعه القضيب عليها **فقطعها** لان العضو المتآكل ان لم يقطع سرت الاكلة للبدن واكلته **ومات قبل الحول** الذي بعده او قبل تمام الحول الذي فعله فيه وروي انه مات عقبه كما تقدم والاكلة قال في القاموس انه بضم الهمزة وسكون الكاف وورد كسرها ايضا قال بعض الفقهاء وما اشتهر من مد همزته خطا وفيه نظر فقد روى الثعالبي في بثار القلوب شعرا فيه ذكر الاكلة ولم ينكره وهو ما قيل في هجا الاصمعي

ومن انت هل انت الا امرؤ	اذا صح نسلك من باهله
وللباهلي على خبزه	كتاب لآكلة الآكله

والاكلة كما قال مرض يفسد الاعضا كالجذام معروف وليس في كلام القاضي رحمه الله هنا وفيما تقدم ما يقتضي انه كسر القضيب وروى الطبري في الرياض النضرة انه كسرها ورواية انها عصى ليست مخالفة لما ذكرهنا لان القضيب يسمى عصى وكان هذا في الفتنة لما حصبه الناس وهو على المنبر فلما نزل اخذ الجهجاه منه العصا التي كانت بيده وكان ممن قام عليه في قصته المشهورة وقد تقدم الكلام عليها في فضل الكرامات وانقلاب الاعيان **وقال** صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مالك وابو داود والنسائي وابن ماجه عن ابي هريرة **من حلف على منبري** المراد بكونه على المنبر انه عنده ويجوز ابقاوه على ظاهره بان يصعد عليه ويحلف وقد نص عليه الشافعية وانه يجوز ان يؤمر بصعوده ولكن الاصح الاول وهذا بنا على ان اليمين تغلظ بالمكان والزمان فمن ذهب بالحالف للمسجد وكان في حياته صلى الله عليه وسلم يحلف عند المنبر لان ما بينه وبين القبر الشريف افضل بقعة بالمدينة بعد من قبره وما ضم جسده العظيم **كاذبا فليتبوا مقعده من النار** تبوا بمعنى يتخذ مباءة اي مقرا ومسكنا يقال بواه اذا اسكنه وهو دعاء او امر اريد به الخبر وجعل استحقاقه العذاب بمنزلة حضوره وحضور محله فامر بان يجعله مقرا له على طريق التمثيل وهو من بديع الكلام وبديعه الذي يعرفه من ذاق حلاوة البلاغة والفصاحة **وحدث** بالبنا للمجهول **ان ابا الفضل الجوهري** ليس هو عبد الله بن الحسن المصري الواعظ بجامع مصر في حدود السبعين واربع مائة وكان للعلما الصالحين تتبرك به وتقتدي به في السلوك

وانما هو

وانما هو كما في تاريخ الاندلس عبد الله بن الحكيم الرندي الاندلسي ذو الوزارتين له فضل وحسب وفضل باهر وادب عالم بالقراآت والحديث وله شعر رايق ونثر فايق وارتحل للمشرق فاخذ عن ابن عساكر واكثر الرواية عنه وله رياسة في عصره صار بها كالمثل الى ان ردت منه الايام ما وهبت فانتقضت ايامه وذهبت فقتل لما خلع سلطانه فنهبت امواله وكتبه ومات شهيدا رحمه الله **لما ورد المدينة زائرا وقرب من بيوتها ترجل** اي نزل عن دابته التي كان راكبها تادبا **ومشى باكيا** خضوعا وخشية وغلبة شوق او مسرة فان من المسرة قد يحصل البكا **منشدا** انشاد الشعر قراءته والمراد انه تمثل به لان الشعر من قصيدة المتنبي اولها

فديناك من ربع وان زدتنا كربا	لانك كنت الشرق للشمس والغربا

ومنها

ولما راينا رسم من لم يدع لنا	**فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا**
نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة	**لمن بان عنه ان نلم به ركبا**

وغيره قليلا لان في ديوانه وكيف عرفنا رسم الى آخره والقصيدة في مدح سيف الدولة ولقد اجاد في تمثله به ونقله لمحل لايق به وقد ضمنه المصنف ايضا في قصيدة نبوية له فقال بعد قوله

ونهنا باكناف الخيال تواجدا	نقبلها طورا ونرشفها حبا
ونبدي سرورا والفؤاد بحبها	تقطع والاكباد اورى بها لهبا
اقدم رجلا بعد رجل مهابة	واسحب خدي في مواطنها سحبا
واسكب دمعي في مناهل حبها	وارسل حبا في اماكنها النجبا
واذعو تماثيل البائس لوالدي	براه الهوى حتى برا شخصه سحبا

والفؤاد القلب او داخله والعرفان والعرف بمعنى واللب العقل والاكوار جمع كور بضم الكاف وهو للابل بمنزلة السرج وبان هنا بمعنى بعد اي لا يليق الركوب بمن قرب من مقامه تادبا ويلم ياتيه لزيارته والالمام الاتيان قليلا ويكون بمعنى القرب ومن فسره بان بمعنى ظهر لم يصب والركب اسم جمع لراكب ويختص بالابل وقد ينعم وقد شرح البيت هنا بعضهم بما استحي من ايراده **وحكي عن بعض المريدين** والمريد صاحب الارادة لغة والمراد به ما اصطلح عليه مشايخ الصوفية من قولهم هو طالب الحق على يد المرشد الكامل بجعل ارادته ما عند الحق عنه **انه لما اشرف على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم** اي قرب منها بحيث يراها واصل الاشراف النظر من مكان عال اريد به لازمه **انشا** اي شرع والانشا يكون بمعنى الايجاد ابتدا **يقول متمثلا** التمثيل انشاد شعر الغير في مقام يناسبه وهو من قصيدة لابي نواس بن هاني في مدح محمد الامين الخليفة ابن هارون الرشيد العباسي من قصيدة له قصد المتمثل به لمدح النبي صلى الله عليه وسلم لموافقة اسمه اسمه وهذا نوع من البلاغة قريب من التضمين وهو ان يورد شعر الغير في مقام يكون احق به من صاحبه ولم يتعرض له اصحاب البديع الا ان الامام محمد النوزري اورده في كتاب العزة اللاتحة واورد منه ما ذكره المصنف رحمه الله هنا بقوله

رفع الحجاب لنا فلاح لناظري	**قمر تقطع دونه الاوهام**
واذا المطي بنا بلغن محمدا	**فظهورهن على الرحال حرام**
قربتنا من خير من وطي الثرى	**فلها علينا حرمة وذمام**

واول هذه القصيدة المذكورة

يا دار ما فعلت بك الايام	لم تبق فيك بشاشة تستام

والمراد برفع الحجاب في كلام ابي نواس ستاير ابواب الملوك والعظام وهو هنا بمعنى انقضا
المسافة والقرب من المدينة والقمر الممدوح فيهما وتقطع ماض او مضارع حذفت احدى تائيه
تخفيفا والاوهام جمع وهم وتقطعها اضمحلالها باليقين وناظر اسم فاعل بنظر او ناظر العين
وانسانها والمطي جمع مطية ناقة تمتطى وتمتطى اي تركب ولاح بمعنى بدا وظهر ودونه بمعنى
قريبا منه ويجوز في تقطع بناؤه للمجهول ايضا وقوله فظهورهن الخ جمع ظهر وهو معروف
والرحال بحاء مهملة جمع رحل وهو للابل كالسرج للخيل او بجيم جمع رجل ذكر من بني آدم والمعنى
متقارب اي اذا اوصلتهم لقادهم كان لها حرمة تقتضي رعايتها واراحتها فلا يركبها بعد ذلك
رجل ولا يوضع على ظهرها رحل بل تترك سارحة منعمة في مرعاها ومعناه ظاهر وبين علة
هذه الرعاية بقوله قربتنا وهي جملة مستانفة استينافا بيانيا والحرمة الحق الذي يلزمه
احترامه والذمام مفرد بمعنى ما يلزم احترامه او جمع ذمة وهي العهد وما يجب الوفا به والمعنى
ظاهر لا حاجة للتطويل بشرحه ومن وطئ الثرى وهو التراب كناية عن الناس كلهم وما قاله
ابو نواس من تحريم ركوبها كناية بليغة لانه يشير الى ان من وصل له لا يرحل بعدها لعدم حاجته
لسواه ولانه لا يقدر على مفارقة من هو غاية ما تمناه وقد كان كما قال عبد الله ابن رواحة في
قصيدة له هـ

> اذا ادنيتني وحملت رحلي • مسيرة اربع بعد الحساء •
> فشانك فانعمي وخلاك ذم • ولا ارجع الى اهلي وراءي •

وفيه رد على الشماخ في قوله هـ

> اذا بلغتني وحملت رحلي • عرابة فاشرقي بدم الوتين •

وقال المبرد بعدما انشد قول ابن رواحة المذكور لقد احسن كل الاحسان حيث قال
لو احتاج الى ان ارحل الى غيره وقد عاب الرواة قول الشماخ المذكور ولذا قال صلى الله عليه وسلم
للانصارية النادرة التي نجت على ناقته لها وقالت اني نذرت ان عوفت عليها ان انحرها بيس ما جزيتها
وقال في الموازنة ان الشماخ راى ناقته شقها السير وهزلت ودبرت كما قال

> اليك بعثت راحلتي تشكى • كلوما بعد محفدها السمين •

فقال اذا بلغتني عرابة فلا ابالي ان تهلكي • وليس دعا عليها وانما اراد انه بلغ المنى وليس
هذا مضادا لقول ابي نواس وانما يضاده قول الانصارية وللشعرا والادبا هنا كلام كثير
لا يسعه هذا المقام وقلت انا في معناه هـ

> اذا بلغتنا النوق حين تلفتت • قريرة عين في اعز المسارح •
> وحق لها تحدي الخدود وتفتدي • بانفسنا من قادحات الطفائح •
> فيا ليتها تمشي لاكرام مثلها • جميع نياق الارض ناقة صالح •

وحكي عن بعض المشايخ يعني به كبار الصالحين والعلما انه حج ماشيا تواضعا منه
للزيارة وقد قال الفقها انه افضل لمن قدر عليه من داره فان لم يقدر فمن الميقات فان لم
يقدر فعند الدخول ونحوه وذكر مجاهد ان ابراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام حجا
ماشيين وحج الحسين رضي الله عنه ماشيا ونجائبه تقاد معه فقيل له في ذلك اي سئل
لم فعله فقال العبد الابق لا ياتي الى بيت مولاه اي سيده
راكبا وفي نسخة يايتي بل وذلك وهو يرمى ياتي بتقديم الاسقفهام الانكاري واراد بالابق
المذنب المقصر في خدمة مولاه مجازا اي انا مذنب مقصر حقيق بالخضوع والتذلل لو قدرت

ان امشي على راسي ما مشيت على قدمي مشي قدم مضاف لياء المتكلم والمشي على الراس
عبارة عن غاية الجد والاجتهاد والتذلل كما قيل

سعيا على الراس لا سعيا على القدم •

قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه هـ
يعني المصنف في بيان ايضاح انه ينبغي للزائر المشي واظهار الخضوع والذلة وجدير اي
خليق وحقيق وهو خبر مقدم لمواطن اي اماكن ومساكن جمع موطن وهو محل التوطن والاقامة
واراد بها مكة والمدينة عمرت اي صارت معمورة بالوحي والتنزيل من عطف الخاص على العام
والبا للسببية او هي با التعدية بجعل الوحي بمنزلة ساكن عمرها وتردد جبريل وميكائيل
التردد بمعنى المجي والذهاب من قولهم فلان تردد الينا وليس من التردد بمعنى الشك اما
تردد جبريل فظاهر واما ميكائيل فكان ينزل عليه صلى الله عليه وسلم احيانا وعرجت
اي صعدت من عنده منها اي من المواطن الملائكة والروح هو جبريل عطف عليهم عطف
الخاص على العام وقيل ملائكة كالحفظة على الملائكة لا نراهم الملائكة كما انا لا نراهم وايا
ان المراد به ارواح الناس فما لا يليق ذكره هنا وضجت عرصاتها بالتسبيح والتقديس
هما لغة التطهير والتنزيه والمراد بهما هنا توحيد الله وذكره كقول سبحان الله ولا اله
الا الله والضجيج والضجاج الصياح ورفع الاصوات المختلفة واصله صياح العاجز
المغلوب والعرصات بفتحتين جمع عرصة وهي الارض والساحة المتسعة من غير بناء
والمراد هنا الارض مطلقا واسناد الضجيج للعرصات تجوز للمبالغة في كثرة الدعا والذكر
واشتملت تربتها اي تضمنت وحوت ارضها على جسد سيد البشر وهو صلى الله عليه وسلم
اشرف المخلوقات فالمكان الذي حواه افضل الامكنة فيلزم تعظيمه والسعي اليه ماشيا
بالذلة والادب ثم ذكر بعد فضيلتها الذاتية ما نشا عنها وعرضه منها فقال وانتشر
اي شاع وتفرق واشتهر في الارض منتقلا عنها اي عن تلك المواطن وفي نسخة منها
من دين الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انتشر اي امر عظيم كثير لا يعلمه الا
الله ولذا عبر بما المبهمة كقوله الحاقة ما الحاقة مدارس آيات عطف بيان او بدل من مواطن
اي محال يدرس فيها القران جمع مدرس من درس اذا قرا وتلى وقيل جمع مدراس ومفعال
غريب في اسم المكان كالمرصاد ولا حاجة لارتكابه ومساجد جمع مسجد بالكسر اسم موضع السجود
ويجوز فتحها وهو وضع الجبهة على الارض خضوعا وعبادة وليس المراد الموضع المعد للعبادة
وان صحت ارادته وصلوات جمع صلاة وهي العبادة المعروفة واصل معناها الدعا
ويجوز ارادته هنا وفي نسخة مساجد صلوات بالاضافة على تقدير لام الاختصاص
ومن قال معناه مساجد لاجل الصلوات لم يصب ومشاهد الفضائل والخيرات
المشاهد جمع مشهد وهو محل يشهده الناس ويجتمعون فيه والفضائل جمع فضيلة كالعلم وتعليم
الاداب وغيرها من الكمالات والخيرات هي خير الدنيا والآخرة ومعاهد البراهين والمعجزات
اي محل ظهور معجزاته صلى الله عليه وسلم وبراهين نبوته الدالة على صدقه وهو
عطف تفسير وقيل البراهين اعم من المعجزات ومناسك الدين جمع منسك وهو محل
النسك ومشاعر المسلمين اي محال معالمهم التي يجب القيام بها من الواجبات وغيرها
ومواقف سيد المرسلين اي المحال التي قام فيها صلى الله عليه وسلم لاعلاء كلمة الله
واظهار دينه كمحاربيه ومحال الصلاة ومتبوا خاتم النبيين اي مساكنه ومحال اقامته

حيث انفجرت النبوة اي ظهرت وفاض على جميع الخلق منافعها واشرق في القلوب انوارها ففيه استعارة مكنية وتخييلية اما بتشبيه النبوة بالفجر الصادق والصبح في ظهوره الماحي لظلمة الكفر او بمنبع الماء المروي للناس بعد ظما الجهل فقوله **واين فاض عبابها** بضم العين وهو الماء الكثير كالسيل او الماء الكثير المتدفق الفايض وحيث يكون ظرف زمان ومكان وفيه لغات مشهورة واين اسم يستفهم به عن المكان فجرد عن الاستفهام لمجرد المكان وقيل انها باقية على اصلها اي هي جواب من سال وقال اين فاض عباب النبوة فيقال في هذه الاماكن **ومواطن مهبط الرسالة** مهبط مصدر ميمي بمعنى الهبوط اي محال نزول الوحي برسالته وامره بتبليغ الخلق ما ارسل به لهم والمراد مكة لان مراده مدح الحرمين كما فسرنا به المواطن اولا ولذا قال **واول ارض مس جلد المصطفى ترابها** هو مكني به عن مولده كل احد لانه لو فرض انه سقط على ارضه كان كذلك كما قال • بلاد بها نيطت علي تمايمي • واول ارض مس جلدي ترابها • ومنه حل المصة كلامه ولمح به **ان تعظم عرصاتها** جمع عرصة وهي ارض لا بناء فيها فالمراد بها هنا مطلق الارض او بقاعها الحقيقي فهي ساحة المدينة ومكة وقيل ارضها فيعلم منه غيرها بالطريق الاولى وهذا هو المبتدا الذي تقدم خبره وطول ليتشوق اليه سامعه وينتظره ۞ **وتتنسم نفحاتها** تفعل من النسيم مبني للمجهول والمراد ما في النسيم من نفحاتها الطيبة والنفحة في الاصل دفعة من الريح تجوز بها عن الطيب الذي ترتاح له النفس من نفح الطيب اذا فاح وفي الحديث ان لربكم في دهركم نفحات فتعرضوا لها فشبه ما فيها من بركاته بطيب نسيم روايحه استعارة تبعية او مكنية وتخييلية **وتقبل** اي تلثم وتباس بالشفاه **ربوعها** جمع ربع وهو المنزل في الربيع ويطلق على المنزل مطلقا وهو المراد هنا **وجدرانها** بضم الجيم وسكون الدال المهملة والف ونون جمع جدار وهو اصل الحائط ويطلق عليه ايضا ويجوز ان يكون بتاء التانيث جمع الجمع لما تزايد شوقه لمعاهده صلى الله عليه وسلم قال مخاطبا لها بتنزيلها منزلة العقلاء في شعر له مروي عنه وهو قوله ولمولف رحمه الله هـ

يا دار خير المرسلين ومن به • هدي الانام وخص بالايات

اراد به ان كل محل فرقيه مطلقا فيشمل مكة والمدينة وفي نسخة المسلمين والاولى اولى ۞ وهدي مبني للمجهول اي هدى الله به والانام الخلق مطلقا او كل ذي روح وقوله خص بالايات المراد بها القران او جميع المعجزات لان الله خصه منها بما لم يكن لغيره او التعريف فيه للعهد ۞

عندي لاجلك لوعة وصبابة • وتشوق متوقد الجمرات

اللوعة شدة الحب وحرقته والصبابة رقة الشوق من صبا اليه اذا مال والشوق زيادة التشوق وشبه ما في القلب منه بجمرات محرقة متوقدة ومتوقد بكسر القاف من اضافة الصفة للموصوف وضبط بفتحها ايضا كما في المقتفى ۞

وعلي عهد ان ملات محاجري • من تلكم الجدران والعرصات

وعلي عهد اي موثق النزمته وهو يمين كما قال على عهد الله والمحاجر جمع محجر وهو جوانب العين وملوها مجاز عن النظر اليها وابصارها وتلك الجدرات جمع مونث لجدر جمع جدار كما تقدم والعرصات تقدم تفسيرها

لاعفرن مصون شيبي بينها • من كثرة التقبيل والرشفات

التعفير تمريغه في التراب ويقال له عفار واراد بشيبه لحيته المبيضة وبينها اي بين

ثراها وارضها وجعله مصونا لانه محفوظ عما يلوثه ويشينه والتقبيل اللثم والرشفات جمع رشفة وهي مص الريق ونحوه وفسر هنا بالتقبيل ايضا وتفسيره بمص ريق المحبوب غير مناسب هنا واللام جواب القسم الذي تضمنه قوله وعلي عهد ۞

لولا العوادي والاعادي لزرتها • ابدا ولو سحبا على الوجنات

العوادي جمع عادية وهي الامور التي تمنع عن زيارتها والعوايق او الظلمة جمع عادية بمعنى غاية ظالمة والاعادي جمع عدى وهو جمع اعدا جمع الجمع والوجنات جمع وجنة وهي اعلى الخد وما ارتفع عنه وغلظ وسحبا منصوب بمقدر اي اسحب وجهي على الارض بذلة وخضوع وضمير زرتها للدار وابدا ظرف لما يستقبل من الزمان والمعنى لولا عوايق الدهر لم افارقها ولم اتخلف عنها ۞

لكن ساهدي من حفيل تحيتي • لقطين تلك الدار والحجرات

استدراك على ما افاده ما قبله اي اني منعت عن زيارتها والاقامة بها والتضمخ بتربها فاني اهدي لمن سكنها يعني به رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه الذين دفنوا بها والاهدا الارسال والحفيل بحاء مهملة وفاء وياء مثناة تحتية ولام بمعنى كثير نفيس يحتفل به والتحية من الحياة بمعنى السلام والقطين بقاف وطاء مهملة ونون بمعنى المقيم ويطلق على الاتباع والخدم والحجرات جمع حجرة وهي بيت صغير من تلك الدار ليقرر ويجعل اشارة الى حجراته صلى الله عليه وسلم التي كان بها زوجاته امهات المومنين رضي الله عنهن اجمعين • وكان الشيخ احمد بن الرفاعي كل عام يرسل مع الحجاج السلام على النبي صلى الله عليه وسلم فلما زاره وقف تجاه مرقده الشريف وانشد ۞

في حالة البعد روحي كنت ارسلها • تقبل الارض عني فهي نايبتي

وهذه نوبة الاشباح قد حضرت • فامدد يديك لكي تحظى بها شفتي

فقيل ان اليد الشريفة بدت له فقبلها فهنيئا له ثم هنيئا

اذكى من المسك المفتق نفحة • تغشاه بالاصال والبكرات

اذكى بمعنى اكثر طيبا ورايحة طيبة والمفتق بزنة مكرم بالقاف من فتق المسك اذا خلط بغيره مما يزيد طيبه كماء الورد ونفحة تقدم تفسيرها وهو منصوب تمييز وروي بالرفع واضافته لها اي رايحته نايب فاعل المفتق وتغشاه تتعرض له او تغطيه وتجلله من الغشا والاصال جمع اصيل او جمع اصل جمعه فهو جمع الجمع وهو ما قرب من الغروب والبكرات جمع بكرة وهي اول النهار وخصهما لطيب النسيم ولطافة الهوا فيهما ۞

وتخصه بزواكي الصلوات • ونوامي التسليم والبركات

وتخصه بتاء التانيث فاعله ضمير التحية او بنون المتكلم مع الغير والزواكي جمع زاكية وهي الزايدة بمعنى النوامي جمع نامية وحركت ياوهما بالكسر للضرورة والصلاة والتسليم عليه صلى الله عليه وسلم معناهما ظاهر ولقد جاد في الختم بهما والبركات جمع بركة والاوجه لما قيل انه فاسد الوزن وهو صوابه ان يقول ۞

وتخصه ازكي صلاة دايما • بنوامي التسليم والبركات

مع انه وقع فيما هرب منه روي ان المصنف رحمه الله تعالى لم يحج ولم يزره صلى الله عليه وسلم فقال هذه الابيات الثمانية متحسرا على ما فاته كما وقع للعارف بالله ابي العباس بن العريف نفعنا الله به فقال ۞ **شاب الوكاب وسو الحظ اقعدني • ولم اجد لبلوغ القصد مفتاحا**

يا سائرين الى المختار من اضم • سرتم جسوما وسرنا نحن ارواحا
انا اقمنا على عجز ومسكنة • ومن اقام على عجز كمن راحا

الباب الرابع من القسم الثاني
في حكم الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم والتسليم

والصلاة اصل معناها الدعا والعبادة المخصوصة لما فيها من تحريك الصلوين والمراد بها
ان يقال صلى الله عليه وسلم والتسليم مصدر سلم تسليما كالكلمة تكليما اذا انقاد له وسلم امره
اليه **وفرض ذلك** اي وجوبها على امته في اي مقام **وفضيلته** اي فضيلة ما ذكر من الصلاة والتسليم
وليس للتسليم فقط والمراد بفضيلته ما هو اعم من الوجوب فيشمل الندب والاستحباب وقال ابو ذر
ابتدا مشروعية الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كان في السنة الخامسة من الهجرة وقيل كانت
الابتدا بمكة لانه ورد في حديث الاسرا وما قاله ابو ذر هو ابتدا اظهاره للناس وهذا مما خص به
صلى الله عليه وسلم دون الانبيا كلهم فانه لم يشرع ذلك لاممهم وان كان الصلاة والسلام عليهم
مشروعة كما سياتي **قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي الاية** صدر بهذه الاية لاثباته
مدعاه لان الامر يحتمل الايجاب والندب • واعلم ان معنى الصلاة كما تقدم لغة الدعا وتطلق شرعا
على العبادة المخصوصة واختلف هل هي منقولة من المعنى اللغوي لمعنى آخر وضعه الشارع له
لمناسبته لمعناه الاصلي لاشتمالها على الدعا ولما فيها من تحريك الصلوين وهما طرفا العجز او هي مجاز
لاشتمالها على الدعا والظاهر الاول وقال ابن القيم وبعض المتاخرين انها باقية على معناها اللغوي
ولا نقل فيها ولا تجوز لان المصلي في جميع صلاته في دعا وعبادة غايته ان الشارع خصها ببعض من
افراد الحقيقة كالدابة لذوات الاربع ورد بانه كلام من لم يعرف معنى النقل واهل الشرع اذا استعملوها
لا يلاحظون معناها اللغوي ولا ينظرون اليه وهو كلام غير مهذب فان المجاز اذا اشتهر يتناسى
فيه المعنى الاصلي ويصير كالعلم بالغلبة وهو المراد بقولهم انه حقيقة عرفية شرعية فالمال واحد
والخلاف لفظي وهذه الاية مدنية اخبر الله عباده فيها بشرف منزلته صلى الله عليه وسلم عنده
وان الله وملائكته يثنون عليه عليه في الملا الاعلى ثم امر اهل العالم السفلي بان يفعلوا كفعلهم
وفي الكشاف لما نزلت هذه الاية قالوا ما خصك الله بشرف الا اشركنا فيه فنزل هو الذي يصلي
عليكم وملائكته قال الحافظ السخاوي لم اقف على اصله الى الان وقال ابن حجر الهيتمي رحمه الله
هو موافق لما اخرجه ابو نعيم في الدلائل في ترجمة سفيان بن عيينة انه سئل عن قولهم اللهم صل
على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم فقال اكرم الله امة محمد صلى الله عليه
وسلم فصلى عليهم كما صلى على الانبيا فقال هو الذي يصلي عليكم وملائكته وقال لنبيه عليه الصلاة
والسلام وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم اي سكينة فصلى عليهم كما صلى على ابراهيم واسحاق
ويعقوب والاسباط وهولا انبيا مخصوصون منهم وعم هذه الامة بالصلاة وادخلهم فيما ادخل فيه
نبيهم صلى الله عليه وسلم ولم يدخل في شي الا دخل فيه امته ثم تلى ان الله وملائكته يصلون على
النبي الاية وقال هو الذي يصلي عليكم وملائكته واشار الى مزيد خصوصيته على امته باسناد
الصلاة عليهم اليه والى ملائكته وصلاة الملائكة على الامة لا تكون الا بتبعيته وجمهور القرا
على نصب الملائكة عطفا على اسم ان ويصلون خبر عنهما وقيل خبر ملائكته وخبر الجلالة محذوف

لدلالة يصلون عليه ورجح بتغاير الصلاتين ورجح الاول ابو حيان والجملة اسمية خبرها
مضارع لافادة الاستمرار التجددي فالملائكة استمرت صلاتهم عليه وهذه منقبة لم توجد
لغيره اعظم من سجود الملائكة لادم الذي وقع وانقطع وقال على النبي دون محمد او الرسول تنويها
بنبوته صلى الله عليه وسلم والنبوة اشرف من الرسالة لانها اتصال بالله واشتغال به والرسالة
اشتغال بالناس ثم انه اكد السلام وخصه بالمؤمنين قيل لان الصلاة موكد معنى بصدورها من
الله وملائكته فكيف لا نصلي عليه امته ولانها موكدة بان والجملة الاسمية والسلام سواء كان بمعنى
الانقياد او بمعنى السلامة من الافات لا يليق اسناده الى الله والملائكة ولذا استحق التاكيد لصدوره
فلا من جنسهم ولا يرد عليه قوله تعالى سلام على ابراهيم وقوله يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم
كما اورده السخاوي لانه تحية واكرام وبقي هنا كلام بيناه في رسالة مستقلة • ثم شرع في بيان معنى
الصلاة فقال **قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه** اي معنى الصلاة وذكره لتاويله بالدعا او
لان تانيث المصادر غير معتبر وهذا رواه ابن جرير وابن ابي حاتم **ان الله وملائكته يباركون على
النبي** صلى الله عليه وسلم اي يدعون له بزيادة بركة لائقة بمقامه وشرف قدره وسياتي فيه
كلام واصل معنى البركة النمو وزيادة الخير اللازم **وقيل في معناه** انه بمعنى **ان الله يترحم على
النبي صلى الله عليه وسلم** اي يدعوله بالرحمة وفي القاموس رحمت عليه وترحمته والاولى الفصحى
وهو رد على من قال ترحمت عليه لحن كما نقله الصاغاني وورد بانه ورد في الحديث وياتي الاشارة
اليه ايضا **وملائكته يدعون له** ولم يبين الدعا لتفسيره بقوله **وقال المبرد معنى الصلاة الترحم**
اي الانعام او الدعا بالرحمة ومعنى الدعا من الله ارادته او التبشير به لان معناه الحقيقي لا يتصور
في حق الله فاريد به لازمه وغايته ولذا فسره بقوله **فهي من الله رحمة** اي انعام او ارادته
ومن الملائكة رقة اي شفقة عليه ومحبة **واستدعاء للرحمة من الله** له اي طلبها والدعا بها
وقد ورد في الحديث الذي رواه الشيخان عن ابي هريرة **صفة صلاة الملائكة على من
جلس ينتظر الصلاة** في المسجد **اللهم اغفر له اللهم ارحمه فهذا دعاء** لهم بالمغفرة والرحمة
وقد صرح بها في قوله في حق الملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا وقد يمنا
وجه الدعا بخصوص الاستغفار فيما ياتي في فضل المواطن ولفظ الحديث في مسلم لا يزال
العبد في صلاة ما كان في مصلاه ينتظر الصلاة والملائكة تقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه
حتى ينصرف او يحدث **وقال الامام ابو بكر القشيري الصلاة من الله تعالى لمن دون
النبي** اي لمن منزلته دون منزلته من الامة **رحمة** اي طلب ان يرحمه الله واما النبي فرحوم
باعلا انواع الرحمة فهو غير محتاج لان يدعى له بها وفي فتاوى الصيرفية لو قال اللهم ارحم
محمدا كما رحمت او ترحمت على ابراهيم قال الصفار انه مكروه في حق الانبيا والرسل وحكي عن
محمد انه كان يكرهه ويقول فيه ظن نوع تقصيرهم فانه لا يستحق الرحمة الا من اتى بما يلام
عليه وقد امرنا بتعظيم الانبيا وتوقيرهم فاذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم لا يقال رحمه الله بل
لا يقال للصحابة رحمهم الله بل رضي الله عنهم وكذا قال خواهر زاده وصاحب المحيط والظهيرية
وانا اقول ان اللهم ارحم محمدا وآل محمد جائز متوارث وكان الشيخ الزاهد الرستغفني يقول
معنى ارحم محمدا ارحم محمدا والترحم لامته لا له كما يقال لمن يراد عقابه وله اب حاضر ينوجع
لابنه ارحم هذا الشيخ الكبير وهو لم يجن ولم يواخذ كما في جامع المضمرات وقال الزيلعي
رحمه الله الصحيح انه لا يكره لانه صلى الله عليه وسلم من اشوق الناس الى رحمة ربه انتهى **وللنبي**

صلى الله عليه وسلم تشريف وتكرمة بميم في اوله وراء مضمومة وفي نسخة تكرمة بتاء بدل الميم وهما مصدران وظاهره ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم غير الرحمة وانما هي في حقه بمعنى التشريف والتعظيم اللائق به وقد علمت ما فيه وانه ورد الدعاء له بالرحمة ولكن استحبوا الدعاء له بلفظ الصلاة تادبا وفرقا بينه وبين غيره وقال ابو العالية صلاة الله عليه صلى الله عليه وسلم ثناؤه عليه بمدحه وبيان منزلته عنده عند الملائكة اي بحيث يطلعون على ذلك وصلاة الملائكة الدعاء له كما مر وقال القاضي ابو الفضل مصنف هذا الكتاب رضي الله عنه وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم في حديث تعليم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة ولفظ البركة فدل تفريقه بينهما بعطف احدهما على الآخر على انهما بمعنيين متغايرين وحديث تعليمهم الصلاة سياتي بيانه وبيان طرقه ومراده ان بعضهم فسر الصلاة بالبركة وهذا الحديث يدل على خلافه وكونه عطف تفسير خلاف الظاهر والفرق بينهما ان الصلاة كما تقدم معناها الرحمة والبركة كما قال الراغب اصلها من البرك وهو صدر البعير ومنه برك البعير اذا القى بركه واعتبر فيه معنى اللزوم ولذا سمي محبس الماء بركة فالبركة ثبوت الخير الالهي في الشيء والمبارك ما فيه ذلك الشيء ولما كان الخير الالهي يصدر من حيث لا يحس وعلى وجه لا يحصر قيل لكل ما يشاهد منه زيادة غير محسوسة مبارك وفيه بركة وكل ما ذكر فيه مبارك • تنبيه على اختصاصه تعالى بالخيرات المذكورة معه فمعنى صل وبارك على محمد ارحمه وادم خيراتك عليه ثم ان الصلاة على رسول الله وعلى غيره فهي على انبيائه ثناء وتعظيم وعلى غيرهم رحمة من رحمته التي وسعت كل شيء وقال الغزالي لفظ الصلاة مشترك في الاعتناء بالمصلى عليه ثم لما فسر الصلاة والاقوال ذكر تفسير السلام الذي هو قرينه فقال واما التسليم الذي امر الله تعالى به عباده في قوله وسلموا تسليما فقال القاضي ابو بكر بن بكير بالتصغير وهو ابو بكر محمد بن احمد بن عبد الله بن بكير التميمي المالكي البغدادي الفقيه الثقة صاحب التاليف الجليلة منها احكام القرآن وهو عراقي من اقران ابن الجهم وقيل اسمه احمد بن محمد بن بكير وقيل محمد بن بكير لا غير فبكير ابوه او جده نزلت هذه الآية يعني قوله ان الله وملائكته يصلون الخ على النبي صلى الله عليه وسلم فامر النبي اصحابه ان يسلموا عليه عند حضورهم قبره وعند ذكره وهذا مبني على ان الامر العام النازل عليه صلى الله عليه وسلم هل يختص بالموجودين او يعمهم ومن بعدهم وهو خطاب المشافهة والكلام عليه مبسوط في كتب الاصول وعلى الاول اذا قام دليل او قياس جلي على شموله لمن بعدهم يعمل به وما نحن فيه من هذا القبيل وفي معنى السلام عليه صلى الله عليه وسلم ثلاثة اوجه وفي نسخة ثلاثة وجوه باستعمال جمع القلة للكثرة وهو جائز شائع في كلامهم احدها انه بمعنى السلامة من النقائص والآفات ثابتة لك ومعك اي مصاحبة وملازمة لك ويكون على هذا التفسير السلام مصدر بمعنى السلامة كاللذاذ واللذاذة بمعنى التلذذ باللذة فمعناهما واحد تناودونه وشبهه كثير كالملام والملامة والمقال والمقالة ولما في السلام من الثناء عدي بعلى لا لانه بمعنى القضاء والمعنى قضى الله عليك بالسلام كما قيل لان القضاء كالدعاء لا يتعدى بعلى للنفع ولا لتضمنه معنى الولاية والاستيلاء لانه وجه آخر ذكره بقوله الثاني اي السلام مداوم على حفظك ورعايتك اي اكرامك وعنايتك ومراقبتك ومتوله اي قائم به بحيث لا يكل امرك لغيره وكفيل به اي متكفل ملتزم له ويكون هنا اي في هذا الوجه السلام اسم الله تعالى ومعناه ذو السلامة وليس في اسماء الله مصدر غيره الثالث من الاوجه ان السلام بمعنى

المسالمة له والانقياد عطف تفسير فالمسالمة التسليم وعدم المخالفة كما قال الله تعالى فان قوله فلا وربك قسم جوابه لا يؤمنون اي لا يظهر ايمانهم ولا يكمل حتى يحكموك اي يفوضوا الحكم اليك فيما شجر بينهم اي وقع بينهم من المنازعات والدعاوي ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا اي ضيقا لعدم رضاهم مما قضيت حكمت به عليهم ويسلموا تسليما اي يذعنوا وينقادوا لامرك منشرحة صدورهم لقبوله قال الراغب السلام والسلامة التعري عن الآفات الظاهرة والباطنة والسلام من اسمائه لسلامته وتنزهه عما لا يليق به انتهى • وقال الخطابي صيغته صيغة خبر ومعناها الدعاء والطلب ومثله يحتاج للنية انتهى ومعناه من الله في صلى الله وسلم على محمد ونحوه فانه لا يتصور في حقه الطلب من غيره اذ هو المطلوب منه انه يريد من نفسه له الخير والسلامة والعزة حتى ينقاد الناس كلهم فبين الطالب والمطلوب تغاير اعتباري ومثله يكفي في هذا المقام وقد افرد السلام بتاليف نفيس السيد السمهودي وقفت عليه وفيه امور يضيق المقام عنها وفي الشرح الجديد هنا كلام غير محرر رأينا ترك التعرض له اولى وفي الاذكار للنووي انه يكره افراد الصلاة عن السلام في حقه صلى الله عليه وسلم ويأتي فيه كلام وهذه الآية الاخيرة نزلت في حق من خاصم الزبير في سقاية الماء وسيأتي الكلام عليه ان شاء الله مع تقدم بعضه

فصل اعلم ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض في الجملة

اي اجمالا من غير تعيين زمان او محل غير محدد بحاء ودال مهملتين اي غير معين واصله ما له حدود فاستعمل في لازم معناه بوقت من الاوقات المعلومة واستدل على مطلق الوجوب بقوله لامر الله تعالى واصل الامر للوجوب بالصلاة عليه بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما وحمل الائمة من السلف والعلماء من اهل التفسير له على الوجوب اي على انه امر ايجاب لا ندب اي فسروا بان المراد منه ذلك يقال حملت كلامه على كذا اذا فسرته به واجمعوا عليه اي على انه للوجوب من غير تعيين محل او زمان والآية تدل على ذلك عند الجمهور لانه الاصل في الامر وحقيقته عند الاكثر وتقرر في كتب الاصول ومستند الاجماع هذه الآية وما عضدها من الاحاديث لا الآية فقط حتى يقال انه ينافيه ما حكاه عقبه من قوله وحكى ابو جعفر الطبري هو الامام محمد بن جرير وقد تقدم بيانه ان محمل الآية اي المراد منها وما فيها من الامر عنده اي عند ابي جعفر على الندب وفيه نقد تراه تبعا لغيره والا فلا معنى لحكايته ما عنده ويدل على المقدر قوله وادعى فيه اي في الامر فيها للندب الاجماع وفي قوله ادعى اشارة الى ان ما قاله ممنوع عنده لثبوت خلافه عنده ثم وفق بينه وبين ما ذكره قبله فقال ولعله اي ما ادعاه فيما زاد على مرة واحدة في العمر فانه لا خلاف في عدم وجوبه لانه على كل احد والواجب منه مرة كما سيأتي الذي يسقط به الحرج اي التضييق على الناس لو وجب دائما او كلما ذكر والاثم فان الحرج ورد بمعنى الضيق والاثم كما صرحوا به وما ثم ترك الفرض اي يسقط به الاثم عمن تركه اذا كان فرضا فالمأثم بالمثلثة مصدر ميمي بمعنى الاثم مضاف لترك المضاف للفرض بمعنى الواجب مرة مرفوع على الخبرية كالشهادة له صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة فانها واجبة في العمر مرة فاذا سقط الوجوب بمرة يتحقق في ضمنها ما منه المأمور به فالصلاة بالطريق الاولى وهو احد المذاهب في الصلاة كما سيأتي بيانه وما عدا ذلك اي المرة الواحدة في الصلاة والشهادة فمندوب مرغب فيه بكثرة ثوابه وفوائده من سنن الاسلام وشعار

اهله اي ذا ابهم الذي هو علامة طم وهو لغة بمعنى العلامة وله معان اخر وهذا جواب عما اعترض به على ابن جرير مما خالف الاجماع الذي حكاه المصنف وليس من مذهب مالك كما نقله بعض الشراح وما نقله المصنف صرح به ابن عبد البر من غير عز وله لمذهب وهو ظاهر قال القاضي ابو الحسن بن القصار بقاف وصاد وراء مهملتين وهو علي بن عمر بن احمد الفقيه الثقة له كتاب في الخلاف كبير الفوائد لم يصنف في بابه احسن منه وفي نسخة الصفار بصاد مهملة بعدها فاء والف وراء قال التلمساني والاول هو المعتمد وهو من ائمة المالكية منسوب لصنعة قصارة الثياب وهي تبييضها والثاني لبيع الصفر وهو النحاس المشهور عن اصحابنا بعض المالكية ان ذلك اي الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم واجب في الجملة اي اجمالا ومطلقا من غير تعيين وقت له على الانسان وفرض عليه اشارة الى ان الواجب والفرض عنده بمعنى خلافا للحنفية ان ياتي به مرة من دهره اي في مدة عمره لخروجه بذلك عن عهدته مع القدرة على ذلك اي شرط في وجوبه في عمره مرة ان يقدر على التكلم به فلو عجز عنه لمانع منعه من التلفظ به سقط عنه كسائر الواجبات كمن اخترمته المنية وقوله لا ينافي ما تقدم من الاجماع لانه لا مفهوم له وقصده انه تم الاجماع مما اشتهر بين الائمة ايضا وهو اشارة لما نقله عن الطبري وان كان عنده لا ينافي الاجماع لكونه واهيا او مؤولا كما تقدم ولم يتعرضوا لحكم السلام عنده ونقل الحطاب من متاخري المالكية عن الرصاع ان الذي يظهر ان السلام عليه صلى الله عليه وسلم واجب مرة مثل الصلاة والزائد مستحب لقول ابن عباس رضي الله عنهما فريضة من الله علينا ان نصلي على نبينا ونسلم تسليما وما نقل من مشايخ المغاربة من التوقف في وجوبه لا اصل له والحق ان حكمه حكم الصلاة انتهى وقال القاضي ابو بكر بن بكير وقد تقدمت ترجمته افترض الله عز وجل على خلقه جميعا وافترض بمعنى اوجب وفيه زيادة تاكيد لزيادة بنيته ان يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما كما مر نقله عن ابن عباس من فرض الصلاة والسلام وينبغي ذكره ثم مصدره المؤكد امتثالا للماثور ولم يجعل ذلك الافتراض لوقت معلوم واللام فيه للتوقيت والظرفية كما يقال كتبت لسنة عشر مثلا فالواجب على الخلق ان يكثر المرء اي الرجل والمراد به الانسان ولو امراة تغليبا منها اي من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ولا يغفل عنها اي يتركها ويشتغل عنها بغيرها وفي كلامه شيء لانه بصدد بيان وجوبها مرة وكونه يكثر منها ولا يغفل عنها مناف له لاقتضائه مرات كثيرة فان اراد انه ان فعلها في وقت ما يكررها مرارا في ذلك الوقت فالجواب مثله غير ظاهر مما نقله قبله فان كان قولا اخر فسياقه لا يساعده واما الاعتراض عليه بانه امر لا الفرض فيه لعدم تعيين وقتها فلا معنى له وفي بعض الشروح انه قول ثالث انه يجب الاكثار منها مطلقا من غير تعيين مقدار ووقت وهو كلام حسن وقال القاضي ابو محمد بن نصر المالكي وهو القاضي عبد الوهاب بن نصر بن احمد بن حسين وقيل ابن الحسن بن احمد بن هارون بن مالك ادركه الشيرازي وسمع منه في النظريات وكان فقيها شاعرا بليغا اديبا له شعر كثير وكتب كثيرة في كل فن وارتحل في اخر عمره لمصر فحصلت له ثروة وتوفي في سنة احدى وعشرين واربعمائة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم واجبة في الجملة اي من غير تعيين مقدار ولا زمان ولا غيره قال القاضي ابو عبد الله محمد بن سعيد قيل هو محمد بن سعيد بن بشير بن شرحبيل الفقيه كتب في حداثته للقاضي مصعب بن عمران ثم رحل الى المشرق فلقي مالكا رضي الله عنه فقرا عليه ثم انصرف للاندلس والتزم صنعته بباجه الى ان توفي سنة ثمان

وتسعين ومائة كما قاله القاضي في المدارك ذهب مالك واصحابه وغيرهم من اهل العلم ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض بالجملة اي اجمالا من غير تعيين مقدار ووقت بعقد الايمان اصل معنى العقد ربط اطراف الشيء كعقد الحبل وعقد الايمان والايمان بفتح الهمزة وكسرها بمعنى تصميمها واعتقادها يقينا لقوله بعقد الايمان بكسر الهمزة والباء بمعنى بعد اي هي اول ما يفرض بعد الايمان بالله ورسوله لا تتعين في الصلاة اي ليس وجوبها مخصوصا وموقتا بها وان من صلى عليه مرة واحدة من عمره ومدة حياته الى موته سقط الفرض عنه لخروجه عن عهدته قيل حاصل ما ذكره المصنف غير ما نقله عن الطبري ولم يرتضه قولان الاول انها فرض في الجملة تسقط بمرة والثاني انه يجب الاكثار منها من غير تعيين وتقدم ما فيه والفرق بين القول بانها تجب مرة والقول بانها تجب في الجملة مطلقا ان ما زاد على المرة في القول الاول يقع نفلا وعلى الثاني يقع الكل فرضا ويثاب عليه ثواب الفرض قيل وهو التحقيق ونظيره ما قاله الشافعي رحمه الله في مسح الراس انه يجب مسحه مطلقا ولو مسح شعرة وقعت فرضا ولو مسح الجميع وقع فرضا وبقي اقوال اخر غير ما ذكره المصنف منها انها تجب في كل مجلس مرة في جلسة وهل هي فرض كفاية على اهل المجلس فلو صلى واحد كفى عن الجميع او فرض عين ومنها انها تجب كلما ذكر وقيل كلما ذكر او سمع ونقلا عن الطحاوي وبعض الحنفية والشافعية للحديث الاتي رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وقيل انه مبني على ان الامر يفيد التكرار وهو ضعيف وقيل عليه انه يلزمه شغل المرء عن غيرها من العبادة وانه يقتضي وجوب ذلك على المصلي وقارئ القرآن والمتشهد ويلزمه التسلسل وفيه مشقة على الناس ولم ينقل مثله عن احد من الصحابة والتابعين ولو كان كذلك وجب الثنا على الله كلما ذكر بالطريق الاولى ولم يقله احد واجيب بانه منقول عن الائمة الاجلة وانه مخصوص بما لم يكن في الصلاة ونحوها والحرج فيه غير مسلم وانا نلتزم وجوب الثنا على الله ايضا او نقول بالفرق بينهما بانه تعالى غني مطلق وعظمته غير متوقفة على ذكرها وان هذا حق العبد وذاك حق الله وهو مبني على المسامحة دون المشاحة والقول بانه حق الله ايضا لامره به ناش عن عدم فهم المراد بحق الله وقال اصحاب الشافعي الفرض منها الذي امر الله به في الاية المذكورة اولا وامر به رسوله عليه الصلاة والسلام كما ياتي بيانه هو في اخر الصلاة اي هو عقب التشهد قبل التحلل وسياتي تفصيله وذكر الاحاديث التي استدل بها الشافعي واصحابه كما صرح به في الام وقول القرافي في الذخيرة انه استدل بالاجماع مردود بانه صرح بخلافه ولا اجماع على وجوبها وقالوا اي اصحاب الشافعي واما في غيرها اي في غير الصلاة وهو خارجها فلا خلاف في انها غير واجبة المراد انه لا خلاف عند الشافعي واصحابه والا فقد تقدم القول بوجوبها وتقدير الامر واحد كما مر لا يجدي نفعا الا ان نفي الخلاف عما على المشهور عندهم وفي الشرح الجديد ما نقله المصنف عن الشافعية غير صحيح فان المفتى به عندهم ان الصلاة واجبة في الخطبة الاولى والثانية لانه لم ينقل عن الخلفاء الراشدين تركها فيهما ووافقه احمد وهما امام السنة وقال الشافعي بوجوبها في صلاة الجنازة ووافقه احمد ايضا ورووا فيه احاديث صححوها واما في الصلاة اي حكمها فيها فحكى الامامان ابو جعفر يعني محمد بن جرير الطبري وقد تقدمت ترجمته والطحاوي احمد بن محمد بن سلامة كما تقدم بيانه وهما ممن قال بعدم وجوبها في الصلاة وغيرهما من الائمة اجماع جميع المتقدمين والمتاخرين من علماء الامة على ان الصلاة على النبي صلى الله

عليه وسلم في التشهد الأول والأخير غير واجبة وشذ الشافعي رحمه الله أي في قوله شاذ انفرد به عن جميع أيمة الدين ولم يقل به أحد قبله ولم يوافقه عليه أحد في ذلك أي بقوله بوجوبها في تشهد الصلاة الأخير فقال من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد الأخير وقبل السلام فصلاته فاسدة لأنها ركن من أركان الصلاة فتفسد بتركه في التشهد الأخير فقط وإن صلى عليه صلى الله عليه وسلم قبل ذلك أي قبل التشهد الأخير وقوله فيه أشهد أن محمدا رسول الله لم تجزيه صلاته ولا سلف له في هذا القول بوجوبها في التشهد الأخير أي لم يقل به أحد من السلف ولا سنة يتبعها أي لم يثبت في السنة والأحاديث النبوية ما يكون دليلا على ما قاله الإمام الشافعي وقد بالغ في إنكار هذه المسئلة عليه لمخالفته فيها من تقدمه من الأيمة والسلف جماعة وشنعوا عليه الخلاف فيها مفعول شنعوا بمعنى قبحوا أي عدوا ما قاله أمرا قبيحا مستبشعا منه منهم محمد بن جرير الطبري والإمام القشيري قيل المراد به أبو ناصر بن صاحب الرسالة وأبو بكر بن العلا القشيري المالكي وأما الإمام القشيري صاحب الرسالة فهو شافعي لم ينكر عليه شيئا مما ذكر وغير واحد أي ناس كثيرون من الفقهاء والعلماء وقال أبو بكر بن المنذر بصيغة اسم الفاعل وهو الإمام الأوحد أبو بكر محمد بن إبراهيم النيسابوري الثقة المجتهد إمام عصره وشيخ الحرم توفي بمكة سنة تسع أو عشرة وثلثماية يستحب أن لا يصلي أحد صلاة إما فرضا كانت أو نفلا أو جنازة إلا صلى فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد التشهد فإن ترك ذلك تارك أي واحد أي واحد كان في أي صلاة كانت فصلاته مجزية أي صحيحة وإن كان الأفضل عدم الترك في مذهب مالك وأهل المدينة أي علمائها وهم من عطف العام على الخاص وسفيان الثوري صرح به لأنه مجتهد وصاحب مذهب وأهل الكوفة وعلمائها من أصحاب الرأي المراد بالرأي القياس في عرف الفقهاء والمالكية والشافعية يريدون بهذه العبارة أتباع أبي حنيفة ويقابلهم أهل الحديث لاقتصارهم في العمل عليه وغيرهم من العلماء وهو قول جل أهل العلم الجل بضم الجيم المعظم والأكثر من كل شي وحكي عن مالك وسفيان الثوري أنها في التشهد الأخير مستحبة لا واجبة وخص الأخير لأنه محل الخلاف وأن تاركها في التشهد مسي غير محسن لأن تاركه ارتكب أمرا مكروها قصده وشذ الشافعي أي انفرد بهذه المقالة المخالفة عن غيره من الأيمة فأوجب على تاركها في الصلاة الإعادة لتركه ركنا به تتم سواء تركها عمدا أو سهوا وأوجب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد وهو الإمام الجليل أبو يعقوب بن راهويه عالم خراسان ومحدثها توفي وسنه سبع وسبعون سنة في شعبان سنة ثمان وثلاثين ومايتين الإعادة مع تعمد تركها دون النسيان وحكى محمد بن أبي زيد هو صاحب الرسالة المشهور وهو من أيمة المالكية عن محمد بن المواز بفتح الميم والواو المشددة وآخره زاي معجمة وهو الإمام محمد بن إبراهيم ومن أجل الأيمة في مذهب مالك وعليه المعول فيه وهو إسكندراني تفقه بابن الماجشون وابن عبد الحكم الآتي واعتمد على أصبغ وتوفي ببعض حصون الشام وقد هرب في فتنة واختفى به ووفاته سنة احدى وثمانين ومايتين أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فريضة ولم يبين لوجوبها وقتا ولا غيره قال أبو محمد هو ابن أبي زيد المار ذكره قريبا في تفسير كلام ابن المواز يريد ليست من فرايض الصلاة بل إنها فرض في الجملة

كما تقدم وسيأتي ما يخالفه وقاله محمد بن الحكم وغيره وهو أبو عبد الله محمد بن عبد الحكم المصري صاحب الشافعي لم يكن في عصره أجل منه ولا أعرف بأقوال الصحابة والتابعين ولد سنة اثنين وثمانين ومايه وتوفي في ليلة خلت من ذي القعدة سنة ثمان أو تسع وستين ومايتين وأخرج له النسائي رحمه الله وحكى ابن القصار وعبد الوهاب من أيمة المالكية أن محمد ابن المواز يراها فريضة في الصلاة كقول الإمام الشافعي وقد نقل الإسنوي رحمه الله أيضا أن للشافعي رضي الله عنه قولا آخر غير ما اشتهر عنه أنها سنة في الصلاة لا ركن واجب وقال ابن عبد السلام المالكي هو ظاهر كلام ابن المواز وصححه ابن الحاجب في مختصره الفرعي وابن العربي في سراج المريدين وقد خالف الخطابي من أصحاب الشا وغيره الشافعي في هذه المسالة قال الخطابي وليست بواجبة في الصلاة وهو قول جماعة الفقهاء إلا الشافعي فإنه ذهب لوجوبها فيها ولا أعلم له فيها قدوة أي ما يقتدى به من الأدلة والسلف وسيأتي رد هذا والدليل على أنها ليست من فروض الصلاة كما قاله الشافعي عمل السلف الصالح من الصحابة والتابعين وهذا لا وجه له كما سيأتي بيانه ثم وإجماعهم عليه سيأتي أنه لا إجماع فيه وقد شنع الناس عليه في هذه المسالة جدا أي قبحوه وأنكروه أي تشنيعا كثيرا اجتهدوا وجدوا فيه جدا ثم بين وجه الإنكار بقوله وهذا التشهد ابن مسعود جعله لشهرته كمحسوس حاضر عنده يشير إليه الذي اختاره الشافعي رضي الله عنه أي رجحه على غيره فإن التشهد له طرق مختلفة وهو الذي علمه له النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وما قاله مردود أيضا لأنه إنما اختار تشهد ابن مسعود الذي فيه زيادة لفظ المباركات كما دل له قوله تحية من عند الله مباركة طيبة ولتأخره عن تعليم ابن مسعود كما قاله البيهقي رحمه الله وكذلك أي مثله في عدم ذكر الصلاة عليه فيه كل من روى التشهد عن النبي صلى الله عليه وسلم من الصحابة الذين علمهم التشهد كأبي هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وأبي سعيد الخدري وأبي موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير كلهم لم يذكروا فيه أي في تشهدهم الذي تعلموه صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم هذا أعظم ما تمسك به في رده لما ذكر لما يلزم من عدم ذكر الله لم يأمرهم به وهو مردود أيضا لأن تعليمهم ذلك كان في ابتداء الهجرة قبل نزول الآية والأمر في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه الآية فلذا لم يأمرهم بما لم يؤمر به فلما نزلت أمرهم وهذا مصرح به في الحديث وسيأتي نقله مفصلا بطرقه وقد قال ابن عباس وجا في حديث رواه مسلم كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن فيقرؤه عليهم ويأمرهم بتلقينه بألفاظه وحفظه فكيف يترك ما هو مذكور فيه وقد عرفت جوابه وغيره أي مثل ما ذكر وقال ابن عمر كان أبو بكر يعلمنا التشهد كما روى ابن أبي شيبة في مصنفه كما تعلمون الصبيان في الكتاب بضم الكاف وتشديد المثناة وهو اسم للمحل الذي فيه الصبيان منقول من جمع كاتب فهو تسمية للمحل باسم الحال فيه وقد ورد بهذا المعنى في كلامهم كما قاله الزمخشري في الأساس وغيره ولا عبرة بمن أنكره أو قال إنه مولد والصواب المكتب وعلمه أي التشهد أيضا على المنبر عمر بن الخطاب كما علمه أبو بكر في خلافته يعني بذلك شهرته بحيث لا يخفى على أحد ولا يترك ولا دليل فيه له لأن ما علم على المنبر لم يذكر ولم ينقل بدون ذكر الصلاة حتى يتم له ما ادعاه ثم أشار إلى الجواب عن بعض

ما استدل به الشافعية فقال وفي الحديث الذي رواه ابن ماجة والحاكم في مستدركه
والطبراني والدارقطني والبيهقي وفي بعض ألفاظه اختلاف مما لا صلاة لمن لم يصل
علي بالتشديد وروي لمن لم يصل على نبيه وهو بظاهره دليل للشافعي على أن الصلاة
لا تصح بدونه قال ابن القصار معناه المراد منه كاملة الأجر وهو صرف للنفي عن
المتبادر منه من نفي الصحة إلى نفي الكمال فتصح وإن لم تكمل وهذا مبني على قاعدة أصولية
وهي أن النفي إذا دخل على شيء ليس بمنفي هل يقدر الصحة أو الكمال فقال الشافعي الأرجح تقدير
الصحة لأنه أقرب إلى نفي ذات الشيء وقال غيره يقدر الكمال وقد بينه البيضاوي في شرح
المصابيح في حديث إنما الأعمال بالنيات أو لمن يصل علي مرة في عمره وهو تحكم وترجيح بلا
مرجح وسيأتي تفصيله ثم بين ما فيه بحسب الرواية وضعف أهل الحديث كلهم رواية
هذا الحديث لأنه كما قاله الإمام الخيضري في كتاب اللواء المعلم من حديث عبد المهيمن بن
عباس عن أبيه عن جده وعبد المهيمن ليس بحجة وروي من طريق أخرى لم تثبت انتهى وفي
حديث أبي جعفر محمد بن الباقر ابن زين العابدين عن ابن مسعود عن النبي صلى الله
عليه وسلم من صلى صلاة لم يصل علي فيها وعلى أهل بيتي لم تقبل منه وهذا مبني على أن
الصلاة على الآل في التشهد الأخير واجبة كالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وفيها قولان
للشافعي والصحيح في المذهب أنها غير واجبة وأما في التشهد الأول فمن قال أنها واجبة في
الأخير قال باستحبابها فيه ومما ينسب للشافعي رضي الله عنه •

يا أهل بيت رسول الله حبكم • فرض من الله في القرآن أنزله •
كفاكم من عظيم القدر أنكم • من لم يصل عليكم لا صلاة له •

قال الدارقطني الصواب أنه قول أبي جعفر محمد الباقر بن زين العابدين ابن
علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب لو صليت صلاة لم أصل فيها على النبي صلى الله
عليه وسلم ولا على أهل بيته لرأيت أنها لا تتم وهذا يوافق ما قال الشافعي رحمه الله تع
فنعيده تأييدا له دون ما قاله المصنف • اعلم أن الإمام الخيضري رحمه الله صنف في هذه
المسئلة كتابا سماه زهر الرياض في رد ما شنعه القاضي عياض طالعته بتمامه وقد قال
فيه ما قصدت به تنقيص مقدار م فإنه طراز هذه العصابة وتخصيصه أن الإمام الشافعي رضي
الله عنه قال في الأم فرض الله عز وجل الصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم فقال إن الله
وملائكته الآية فلم يكن فرض الصلاة عليه في موضع أولى منه في الصلاة ووجدنا الدلالة بما
وصف عنه صلى الله عليه وسلم ثم ساق بإسناده إلى أبي هريرة أنهم قالوا يا رسول الله كيف
نصلي عليك يعني في الصلاة قال تقولون اللهم صل على محمد الخ وساق بسنده أيضا إلى كعب
بن عجرة عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول في الصلاة اللهم صل على محمد الخ فلما روي
أنه كان يعلمهم التشهد في الصلاة وأنه علمهم كيف يصلون عليه فيها لم يجز أن يقول
التشهد واجب والصلاة غير واجبة والخبر فيهما عنه صلى الله عليه وسلم فعلى كل مسلم وجبت
عليه الفرائض أن يتعلم التشهد والصلاة عليه فمن صلى ولم يتشهد ولم يصل عليه صلى الله عليه
وسلم فعليه إعادتها انتهى • ثم ذكر ما قاله المصنف وقال هذا قول لا ينبغي الاعتماد عليه •
ولا الاستناد إليه • ولقد عجبت منه كيف أقدم على هذه المقالة الشنيعة • وتجاسر على
الإتيان بهذه العبارة الوضيعة • وهي قولة غير صحيحة • ينادي مدعيها على نفسه بفضيحة

وأي فضيحة

وأي فضيحة • وسترى حججا بالغة وسننا مشروعة • وثمار براهين لا مقطوعة ولا ممنوعة
من الأدلة على وجوبها في التشهد الأخير الآية المذكورة لاتفاقهم على أن الأمر المطلق يقتضي
الوجوب ما لم يقم الدليل على خلافه والله قد أمر عباده بالصلاة والتسليم عليه صلى الله عليه
وسلم وثبت أن الصحابة رضوان الله عليهم سألوه عن كيفية هذه الصلاة المأمور بها
فقال قولوا اللهم صل على محمد الخ والسلام الذي علموه هو السلام في الصلاة والتشهد
فيخرج الأمران والتعليمان والمحلان واحد ويوضحه أنه صلى الله عليه وسلم لما علمهم التشهد
علمهم التسليم فيه فقالوا كيف الصلاة عليك المأمور بها فقال اللهم الخ وهما في الصلاة في
ظاهر الحال ويؤيده أنه لو كان خارج الصلاة كان كل من دخل عليه صلى الله عليه وسلم يقول
له السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته كما علموه وكذا كل من واجهه بالصلاة عليه
بهذه الألفاظ بتمامها والمنقول أنهم كانوا يقولون في تحية السلام السلام عليك يا رسول
الله أو نبي الله صلى الله عليك ونحوه مما تعلموه زائدا على التحية في الصلاة فيخرج هذا مخرج
البيان لما في القرآن وظهر وجه دلالة الآية عليه وأورد عليه أن قول الصحابة قد عرفنا السلام
عليك فكيف الصلاة يحتمل أن يراد به السلام في الخروج من الصلاة كما قاله ابن عبد البر
والدليل إذا تطرقه الاحتمال بطل به الاستدلال وأن غاية ما ذكرتم دلالة اقتران الصلاة
بالسلام على الوجوب في الصلاة ودلالة الاقتران ضعيفة وهذا إنما يتم إذا سلم وجوب
السلام وهو غير مسلم وأجيب بأن الأول فاسد يرده لفظ الحديث وقولهم هذا السلام عليك
لا السلام فقط حتى يكون السلام من الصلاة والسائل لم يستدل باقترانه وإنما استدل بالأمر بها
في الآية وبهذا سقط ما بعده والدليل الثاني من السنة ما في البخاري مسندا قال عبد الرحمن
ابن أبي ليلى لقيني كعب بن عجرة فقال ألا أهدي لك هدية أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج
علينا فقلنا يا رسول الله قد علمتنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم
صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد
كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد وأخرجه مسلم وغيره من طرق ساقها وأصحاب السنن فإن قلت
قد علمنا من الأحاديث صفة الصلاة لكنها مطلقة لم تتقيد بالصلاة قلت علم هذا من اطباق
العلماء والمحدثين من غير نكير على أن المراد بها في الصلاة ولذا وردت مذكورة في التشهد في
كتبهم دون باب الأدعية ولا يكتفى بهذا بل نقول ورد التصريح بذلك في الحديث أيضا فيما
رواه أحمد في مسنده من طريقين عن ابن إسحاق قال حدث في الصلاة على رسول الله صلى الله عليه
وسلم إذا المرء المسلم صلى عليه في صلاته وساقه الخ والعجب من المصنف رحمه الله أنه قال
في شرح مسلم في سؤالهم عن الصلاة يحتمل أنه في غير الصلاة وفي الصلاة والأظهر الثاني
لقوله والسلام كما علمتم انتهى فسبحان الله كيف ينكر بعد هذا على الشافعي وهذا من زيادة ثقة
فهي مقبولة وقد رواها الشافعي في مسنده فدعاه ذلك إلى حمل الآية عليها فإن قلت
بم تخصيصه بالصلاة ليس في الحديث ما يدل على الوجوب قلت الوجوب معلوم
من قوله صلى الله عليه وسلم صلوا كما رأيتموني أصلي ولا يلزمه وجوب ما في صلاته من
السنن لقيام دليل من خارج على عدم وجوبها ثم ذكر أصحابنا أخص حجة فيما ذكر رواها بمعنى
ما سبق من الأدلة مسند أحمد الآتي في كلام المصنف أنه صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يدعو
في صلاته لم يحمد الله في صلاته ولم يصل عليه فقال صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه

يقال له او لغيره اذا صلى احدكم فليبدا بتحميده والثنا عليه ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو بما شاء وهو حديث صحيح اخرجه الترمذي والحاكم وابن حبان وقال انه على شرط الشيخين • فان قلت انه هذا يدل على عدم الوجوب لانه لم يامره باعادة الصلاة وقد يقال ايضا ان هذا الدعا كان خارج الصلاة لان الترمذي روى هذا الحديث في جامعه عن فضالة بن عبيد بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد اذ دخل عليه رجل فصلى وقال اللهم اغفر لي وارحمني فقال له عجلت ايها المصلي اذا صليت فقعدت فاحمد الله بما هو اهله وصل علي ثم ادع وفي رواية بما غب قلت انه كان غير عالم بوجوبها فلم يامره بالاعادة ويحتمل انه اعادها او انها نفل لا تجب اعادته وما ذكر من الحديث رواته غير ثقات فهو ضعيف لا يصلح لمعارضة الحديث الآخر مع قوته ورواته على شرط الشيخين وقد ورد التصريح بانه يتشهد ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم نفسه في الصلاة ثم اورده على قول المصنف انه اي الشافعي لا سلف له فيما قاله انه قال به جماعة من الصحابة والتابعين منهم عبد الله بن مسعود راوي حديث التشهد وروي عنه انه كان يراها واجبة في الصلاة وابو مسعود البدري روى عنه مرفوعا وموقوفا ومنهم عبد الله بن عمر وابو جعفر محمد بن علي بن الحسين والشعبي كما نقله البيهقي ومقا ابن حبان ومحمد بن كعب القرظي كما نقله الماوردي واسحاق بن راهويه كما نقله المصنف واحمد بن حنبل في رواية عنه ومن العجايب ان المصنف انكر على الشافعي ما ذكر وقال في شرح مسلم ما نصه حكى بعض البغداديين عن مذهب مالك في المسالة ثلاثة اقوال الوجوب والسنة والفضيلة وحمل بعضهم كلام ابن المواز على الوجوب في الصلاة كمذهب الشافعي وكلامه محتمل للوجوب على الجملة ونقله ايضا في كتابه هذا وعبارة ابن القصار في كتابه عيون الادلة وهو من اجل كتبهم بعد ما نقل ما سياتي من ادلة المخالفين فرضيتها في الصلاة وجه ما نقل عن ابن المواز ما استدل به القايلون بالوجوب فتكون الجلسة الاخيرة للتسليم عليه وان الصلاة لما تضمنت ذكر الله وتمجيده كما في فاتحة الكتاب وجب ان يذكر فيها الصلاة والسلام على الرسول صلى الله عليه وسلم حتى لا تخلو الصلاة عن ذكره مع الله كما في الاذان والاقامة فذكره وحصره يدل على انه مال اليه وقال ابن العربي في احكام القرآن ان الصحيح ما قاله ابن المواز فتعينت كيفية ووقتا كما بيناه في مسايل الخلاف انتهى وهو امام مشهور من ايمتهم وكذا ذكره ابن الحاجب في منهاجه وشارحه ابن عبد السلام فظهر منه انه قول راجح في مذهبهم وانه ذهب اليه كثير من السلف فنسبته الى الشذوذ خطا ظاهر مع ما بينا فقد ظهر من كلامه هنا وان اذا نقل هذا عن الصحابي ولم يصرح غيره بخلافه يصير اجماعا سكوتيا وحكمه مفصل في الاصول وعمل الناس على الصلاة عليه بعد التشهد وتعليمهم للصبيان فكيف يدعي خلافه واما ادلة المخالفين للشافعي كابي حنيفة واتباعه ومالك في احد قوليه واليه ذهب بعض الشافعية كابي المنذر والخطابي والقشيري كما نقله المصنف ولهم ادلة وحديث التشهد المروي عن نحو اربعة وعشرين من الصحابة وليس في رواية منه ذكر الصلاة ثم سردها ورواتها وفصلها تفصيلا لم يسبق ثم قال والجواب عنه من وجوه منها انه لم يقل انه جميع الواجب في الجلسة الاخيرة فايجاب الصلاة فيها بدليل آخر لا ينافيه ومنها انكم قلتم بوجوب السلام

ولم يامرهم به في هذا التشهد فيلزمكم عدم وجوبه وقد اوجبتموه فما كان جوابكم فهو جوابنا لثبوته بدليل آخر وايضا التشهد ثبت بتعليمه وكذا الصلاة فاي فرق بينهما وقد بينا انه مخصوص بالصلاة كالسلام • ومنها ان احاديث التشهد لو كانت نافية للوجوب كان الوجوب مقدما عليها لان النافي مستصحب للاصل من عدم الوجوب والموجب ناقل وهو مقدم على المستصحب لزيادة علمه فكيف اذا لم يعارضه راسا • وورد ايضا بان التشهد فرض حين فرضت الصلاة وفرضت الصلاة عليه حين نزلت آية الاحزاب بعد تغيره او واجبه فالتشهد كان تعليمه قبل فرضها فلا يضر عدم ذكره في تلك الرواية ولذا قالوا له قد عرفنا السلام فكيف نصلي عليك فان قلت فما تقول في الحديث الصحيح المروي الذي فيه انه صلى الله عليه وسلم اخذ بيد ابن مسعود وعلمه التشهد الى قوله اشهد ان محمدا عبده ورسوله ثم قال فاذا قلت هذا او قضيت هذا فقد قضيت صلاتك ان شيت ان تقوم فقم وان شيت ان تقعد فاقعد فانه يدل على ان الصلاة عليه فيها ليست بواجبة ولا سنة كما قاله ابن عبد البر في التمهيد قلت هذا مطعون فيه وقد قال الدارقطني في العلل انه من زيادة زهير مدرجة في الحديث وصله بكلام النبي صلى الله عليه وسلم وليس منه وتتبع طرق الحديث ظاهر شاهد لما قالوه وايضا انه يحتمل ايضا انه قبل ايجاب الصلاة عليه وايضا هو ورد نفيا لما كانوا يقولون السلام على الله فقال لهم لا تقولوا هذا فان الله هو السلام ولكن قولوا كذا مع سائر ما علمه وجوبه ولذا لم يتعرض لذكر السلام مع وجوبه ثم ان المستدل بهذا اصحاب ابي حنيفة القايلين بان التشهد ليس بواجب وانما الواجب الجلوس بقدره فلو تم هذا كان دليلا عليهم لا لهم لتعليقه تمام الصلاة على التشهد وهم لا يقولون به فبطلت المعارضة به ولا يصح ان يقال المراد تمام الاستحباب لانه موقوف عليه عندهم انتهى زبدة ما ذكره الامام الخيضري مما يهمنا هنا وقد بالغ الشافعية في الرد على المصنف وتغليطه فيما قاله كما سمعته ولكن اذا امعنت النظر علمت انه ناقل لما قاله الطحاوي ومن تبعه وما على الناقل الا تصحيح نقله وما على الرسول الا البلاغ فغاية ما قالوه انه تحامل عليه لكن الحرام من جلس للعمل وهذا من لباب الالباب الذي لا تجده في غير هذا الكتاب وههنا بحث ذكره الاسنوي رحمه الله في التمهيد وهو ان الامر بعد سوال التعليم كالامر بعد الاستيذان او بعد التحريم يفيد الاباحة عند الشافعية والوجوب عند ابي حنيفة فلا يستقيم استدلالهم على وجوب الصلاة عليه بقوله قولوا اللهم صل الى آخره بعد قولهم كيف نصلي عليك الآن يقال استفيد الوجوب من امر خارجي فيكون الامر للوجوب لانه بيان لكيفية واجب انتهى وفيه نظر ۞

فصل في المواطن •

اي الاماكن فهو من قبيل المشعر لان معناه مكان التوطن والاقامة تستحب ولتسن فيها الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم ويرغب بالبنا للمفعول من الترغيب ويجوز تخفيفه وهو عطف تفسير والرغبة بمعرفة ما فيه من الفوايد والثواب من ذلك المستحب المرغب في تشهد الصلاة وهو الثنا على الله في الجلسة فيها وسمي تشهدا باسم جزئه وهو قوله فيه اشهد ان لا اله الا الله الخ واطلقه ليشمل الاول والاخير فانه مستحب في الاول واجب في الاخير كما تقدم تفصيله كما قدمناه في الفصل الذي قبله ومن ذلك

ان موطنه ومحله المعلوم مما قبله بعد التشهد اي قوله اشهد ان محمدا رسول الله وقبل الدعا الماثور في كتب الفقها او بما شاء حدثنا القاضي ابو علي هو ابن سكرة شيخه كما تقدم بقراتي عليه لا بغيره من طرق الاجازة حدثنا ابو القاسم البلخي نسبة لبلخ مدينة معروفة قال حدثنا الفارسي تقدمت ترجمته عن ابي القاسم الخزاعي عن الهيثم بن كليب عن ابي عيسى الحافظ هو الترمذي صاحب الشمايل والسنن وقد تقدم قال حدثنا محمود بن غيلان ابو احمد الحافظ المروزي اخرج له اصحاب السنن وتوفي سنة تسع وعشرين ومايتين قال حدثنا عبد الله بن يزيد المقري وفي نسخة زيد بدون يا والصواب الاول وهو المعروف بالقصير البصري نزيل مكة ومولى آل عمر بن الخطاب وهو حافظ ثقة روى عن ابي حنيفة وغيره وتوفي سنة ثلاث عشرة ومايتين عن حيوة بن شريح تقدم بيانه وحيوة على خلاف القياس في الاعلام وقياسه حية قال حدثني ابو هاني الخولاني اسمه حميد بن هاني وهاني بهمزة في آخره ويجوز ابدالها يا وقال البرهان انه احمد بن هلال وهو ثقة توفي سنة اثنين واربعين ومايتين ان عمرو بن مالك الجنبي في نسخة عمر بدون واو وهي الصواب وهو ابو علي الجنبي بفتح الجيم ثم نون ساكنة وبا موحدة نسبة لجنب بطن من مذحج وهو مصري ثقة وذكره في الميزان توفي سنة اثنين او ثلاث ومايه اخبره انه سمع فضالة بضم الفا وفتح الضاد المعجمة ولام ابن عبيد بالتصغير بن نافذ بن قيس الانصاري الاوسي ابو محمد الصحابي ولي قضا دمشق وتوفي سنة ثلاث وخمسين ومايه واخرج له الائمة وغيرهم يقول سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته بعد التشهد في الجلسة الاخيرة فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم بعد تشهده فقال صلى الله عليه وسلم عجل بفتح العين وكسر الجيم اي اسرع بدعايه واتى به في غير محله قبل ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم لان الدعا معلق حتى يصلى عليه كما ياتي فان من سال حاجة لا بد له ان يقدم وسيلة توصل لقضا حاجته ثم دعاه اي طلب ذلك الرجل وقربه اليه او لغيره اي وجه خطابه لغيره وهو يسمع وهو المراد بالاعلام اذا صلى احدكم فليبدا بالهمز اي يقدم على دعايه ليقبل بتحميد الله والثنا عليه عطف تفسير لبيان ان المراد ما يفيد المدح والثنا لا خصوص الحمد والمراد قوله التحيات الخ وفي كيفيته روايات مختلفة بلغت نحو ثلاثة عشر كما فصل في محله ثم يصلي علي ثم ليدع بلام مكسورة او ساكنة للامر بما شاء من الخير والدعا بالماثور افضل وتروى من غير هذا السند الذي رواه المصنف عن الترمذي ورواه ابو داود بتمجيد الله بميم وجيم ودال مهملة والتعظيم ومعناهما متقارب والرواية الثانية لابن ماجه بسند آخر وهو اصح رواية لقوة سنده لا بن حيث المعنى وان قيل انه امدح وفيه نظر وانما يتم استدلال المصنف به ان كان في الصلاة وقد استدل به الشافعي على وجوبها فيها وقد نوزع فيه فانه ورد من طريق آخر تقدمت قريبا بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد اذ دخل عليه رجل فصلى وقال اللهم اغفر لي وارحمني فقال صلى الله عليه وسلم عجلت ايها المصلي اذا صليت فقعدت فاحمد الله بما هو اهله وصل علي ثم ادع وظاهر قوله فقعدت انه كان بعد الصلاة فلا يدل على مدعاه اقول قد اجاب الخيضري عنه باجوبة حاصلها انه ليس نصا فيما ذكرت لان المراد بالقعود الجلسة الاخيرة في التشهد وقد ورد التصريح به في رواية اخرى

فانه

فانه رفع الابواب وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما رواه الترمذي قال الدعا او الصلاة عطف تفسير او المراد به العبادة المخصوصة الا انه قيل ان هذا اللفظ اي الصلاة ليس مذكورا في الترمذي وهو المشهور معلق كل منهما اي موقوف قبوله فهو استعارة او حقيقة لان الملايكة لا تصعد به بين السما والارض لا يصعد الى الله منه شي لعدم رضاه بدفعه اليه حتى يصلى عليه صلى الله عليه وسلم لان اعمال المومنين تكتب وترفع الى السما اذا قبلت وقبولها متوقف على الصلاة عليه لانه هو الذي هدانا وارشدنا الى الله وهو وسيلتنا العظمى اليه وقد فسر قوله تعالى لا تفتح لهم ابواب السما بهذا والرفع والصعود من صفات الاجسام فالمراد رفع صحفها وقيل انها تجسم ولا مانع منه وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه رواه البيهقي وابن عساكر وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه اي بمعنى حديث ابن عمر الا انه زاد فيه وقال وعلى آل محمد فلا بد من الصلاة على الآل مع الصلاة عليه وهذا هو الاكمل وفي وجوبها تقدم الكلام عليه وروي رواه عبد الرزاق والطبراني بسند صحيح عن ابن مسعود ان الدعا محجوب عن السما فلا تفتح له ويلزمه انه لا يقبل ويجوز ان يكون تمثيلا واستعارة لعدم القبول حتى يصلي الداعي على النبي صلى الله عليه وسلم وليس في هذا دليل على وجوبه في الصلاة لان القبول ليس من شرايط الصحة ومن ادعاه فقد تبرع بما لا يمكنه ولا يقبل ولو عد المصنف هذا موطنا مستقلا كان اولى كما فعله غيره لكنه ادرجه في التشهد لانه محل الدعا ايضا وعن ابن مسعود في حديث صحيح مسند اذا اراد احدكم ان يسال الله شيئا ويدعو به فليبدا بحمده والثناء عليه بما هو اهله اي بما يستحقه ويليق به كما ارشدنا لذلك في سورة الفاتحة قال ابن برجان في تفسيره اذا قيل لك ان احدا احيا ميتا بقراءة الفاتحة فلا تنكره ولتقراها ملاحظا للثنا عليه وحده لانه المنعم بجميع النعم الدنيوية والاخروية جليلها ودقيقها كما اشار اليه بقوله بسم الله الرحمن الرحيم الى اخرها ثم يلاحظ عظمته وجلاله المشير اليه بقوله مالك يوم الدين ثم يخضع غاية الخضوع كما يشير اليه قوله اياك نعبد ثم يفوض اموره اليه بقوله اياك نستعين ثم يسال حاجته بقوله اهدنا ولذلك سميت سورة تعليم الدعا ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ليستشفع باقرب مخلوقاته واحبهم اليه فانه الوسيلة العظمى فانه اي دعاوه بهذه الكيفية اجدر اي احق واليق ان ينجح بضم اوله مبني للفاعل من انجح اذا فاز وبلغ مقصوده ومطلوبه وهذا الحديث رواه عبد الرزاق والطبراني وابن ابي الدنيا بسند صحيح فيقدم صلاته ويختم بها ويوسطها في دعايه كما قاله الخيضري ويدل له ما ياتي فكلما اكثر من صلاته تحقق الاجابة وعن جابر بن عبد الله فيما رواه البزار والبيهقي وابو يعلى في شعب الايمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوني كقدح الراكب قيل وما قدحه يا رسول الله قال فان الراكب اي من يريد الركوب لراحلته لسفر او غيره يملا قدحه وهو اناء صغير من خشب ونحوه ليشرب به ثم يصعد عنده ويرفع متاعه الذي يريد حمله على راحلته فان احتاج الى شراب اي شرب ماء شربه اي شرب ماء قدحه الذي وضعه فيه او الوضوء من ماء قدحه توضا بالهمزة ويجوز ابدالها الفا والا اي وان لم يكن محتاجا لشرب او وضوء هراقه بتقدير مضاف اي هراق ماءه اي صبه على الارض لاستغنائه

لرحلة

عنه واصل هراقه اراقه فابدل الهمزة هآ وقد يجمع بينهما فيقال اهراقه وتفصيله
في كتب اللغة والعربية قال ابن الاثير وغيره معناه لا تؤخروني اذا صليتم علي في الذكر
وتجعلوا ذكري تبعا لغيره بل اعتنوا به فقدموه واذكروه في وسطه واختموا به كما اشار
اليه بقوله ولكن اجعلوني اي اجعلوا ذكري بالصلاة علي في اول الدعاء واوسطه وآخره
ففيه تشبيه تمثيلي بليغ لتاخر ذكره عن دعائه كما ان من يريد الركوب لرحلة يملأ متاعه
فيحمله ويجمع ماله وقدحه موضوع ثم ينظر لقدحه فيأخذ ما فيه او يريقه وهذا كقول
حسان رضي الله عنه في هجائه حيث قال

وانت هجين نيط في آل هاشم • كما نيط خلف الراكب القدح الفرد •

والراكب يجعل القدح خلفه وفي هذا الحديث زيادة على ما قبله بجعله اولا ووسطا وآخرا
وقال ابن عطا ابو العباس احمد بن محمد بن سهل الادمي وهو من اجل مشايخ الصوفية توفي
سنة تسع وثلثمائة للدعاء اركان اي امور مهمة ولا بد منها شبهت باركان البناء ومنه اركان
الصلاة عند الفقهاء واجنحة جناح الطير كاليد للانسان يحصل بها ما يريد وفيه استعارة
تخييلية ومكنية شبه ما هو مقدمة لقبوله ورفعه الى السماء بالاجنحة واسباب اي
وسائل للوصول للمطلوب والفوز به واوقات مخصوصة يكون فيها اسرع اجابة كاوقات
الصلاة فان وافق اركانه اي قارنها وكانت تامة قوي اي كمل وتم كما يتقوى البناء والبدن
باركانه وان وافق اركانه واجنحته بان كان له اجنحة كاملة طار في السماء اي صعد
اليها وقبل كما مر وان وافق مواقيته جمع ميقات بمعنى الوقت اي ان وقع في اوقاته
فاز اي ظفر بالاجابة وحصلها وان وافق اسبابه انجح اي تم وكمل نجاحه وسعادته
ثم بين ذلك فقال واركانه حضور القلب اي توجهه توجها تاما بجمع فكره وحواسه
والرقة اي رقة القلب وفسرها بقوله والاستكانة اي للخضوع والانقياد والخشوع
بالمذلة والخوف وعدم رفع الصوت والبصر وتعلق القلب بالله بقطع النظر عما
سواه وقطعه الاسباب بان لا يرجو غيره كما في الدعاء المأثور اللهم اقذف في قلبي
رجاءك واقطع رجائي عما سواك واجنحته الصدق بان يوقن بانه لا معطي ولا مانع
غيره تعالى وفي الحديث الصدق يهدي الى البر والصدق معناه خلوص النية
والطوية ومواقيته الاسحار اي اواخر الليل لانها محل الاجابة وتجلي الرحمن وقرب
عباده منه وهو اقوى في التوجه وفيه تهب نفحات الرحمة ونسمات الخير كما قال تعالى
وبالاسحار هم يستغفرون وقال وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا واسبابه
المسرعة لحصول المراد الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم كما تقدم وقال اسبابه
والمراد اسباب اجابته ففي ذلك اشارة الى انه بدون الاجابة كالعدم وفيه اشارة
الى الحديث ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا في الثلث الاخير فيقول من يدعوني فاستجيب
له ومن يسألني فاعطيه ومن يستغفرني فاغفر له كما في الصحيحين وقد اختلفوا هل
الدعاء افضل لما فيه من التذلل والافتقار او السكوت لما فيه من التسليم والرضا فذهب
الى كل طائفة وقيل انه يختلف باختلاف الاحوال وهو الارجح عند البعض وفيه كلام ليس
هذا محله وفي حديث لم يذكروا من رواه الدعاء الواقع بين الصلاتين علي لا يرد
اي ويستجاب ذلك الدعاء بان يصلي عليه صلى الله عليه وسلم قبله وبعده فان الصلاة عليه

مقبولة ومن كرم الله تعالى اذا قبل الطرفين لا يترك ما بينهما وسئل السنوسي رحمه الله
عن القطع بقبول الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فاجاب بانه منصوص عن
السلف واستشكله بانه لو قطع بها للمؤمن المصلي عليه لقطع له بحسن الخاتمة اذا دعا
بها مع الصلاة وبين الصلاتين عليه وهي مجهولة لكل احد واجاب بان معنى القطع
بقبولها انه اذا قضى الله له بخاتمة الايمان ووجدت حسنة الصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم مقبولة بلا ريب فيها بفضل الله بخلاف سائر الحسنات فانه لا يوثق بقبولها
ويحتمل انها اذا صدرت على سبيل المحبة من صاحبها يقطع بانتفاعه بها في الآخرة بوجه ما
ولو بتخفيف العذاب وفيه نظر وفي حديث كل دعاء محجوب دون السماء كما مر في حديث
الترمذي عن عمر رضي الله عنه فاذا جاءت الصلاة علي اي ذكرت معه صعد الدعاء
الى السماء اي قبل واستجيب وفي دعاء ابن عباس الذي رواه عنه حنش بفتح الحاء المهملة
والنون وشين معجمة وهو ابن عبد الله بن عمرو ابن حنظلة بن فهد ابو رشد التابعي
الصنعاني احد الداخلين الى الاندلس في صدر الاسلام وله رواية عن علي وابن عباس وغيرهما
الا ان هذا الحديث لم يرو عنه في الكتب وروى له غيره وتوفي بافريقية سنة مائة وقيل
ان قبره بسرقسطة فقال في آخره اي آخر الدعاء واستجب دعائي ثم يبدأ بالصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم قبل ما يدعو به ويقول اسالك ان تصلي على محمد
عبدك ورسولك صلاة من افضل ما صليت على احد من خلقك اجمعين آمين
اي استجب وهو اسم فعل له فان قلت هل يجوز ان يقال صل على سيدنا محمد قلت
يجوز ويجوز اتباع المأثور فيه ولكن اختلف في ايهما الافضل رعاية الادب او امتثال الامر
الامر عين الادب وهو الظاهر ولنا عودة الى بسط الكلام فيه واطلاق السيد عليه صلى
الله عليه وسلم جائز وكذا على الله وفيه خلاف ليس هذا محله ومن مواطن الصلاة عليه
واماكنها عند ذكره وسماع اسمه او كتابته وتقدم القول بانه واجب كلما ذكر
او سمع وذكره اعم من ان يكون في الصلاة او عند قراءة القرآن كما ذكره الخيضري في كتاب
اللواء المعلم ورواه عن السلف وعند كتابة اسمه هل يكتفي بكتابة الصلاة عليه او الافضل
ان يتلفظ به تردد فيه بعضهم والافضل ان يكتب ويتلفظ او عند الاذان اي بعده
وهو مستحب للمؤذن وسامعه لما رواه مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم المؤذن
فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي صلاة صلى الله بها عشرا الحديث وهل
يقتصر على الصلاة او يذكر معها السلام لما ذكروه من كراهة الاقتصار عليها مطلقا لان الآية
الشاملة صرح به النووي وقال غيره يقتصر عليها لظاهر الحديث حديث مسلم قال الخيضري
ويستحب ايضا بعد الاقامة لما رواه الطبراني في كتاب الدعاء عن ابي الدرداء انه قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمع المؤذن يقيم يقول اللهم رب هذه الدعوة التامة
والصلاة القائمة آت محمدا سؤله يوم القيامة ليسمعها من حوله ويحب ان يقولوا مثله
وهذا مما سكتوا عنه انتهى وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم عن ابي
هريرة رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي فيدخل فيه ما في هذا الموطن كله
لان الذكر يشمل ذكره وذكر غيره والكتابة ذكر معنى وهذا دعاء عليه بان يذله الله
لعدم اعزاز رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر عنده فلم يصل عليه ورغم يرغم كنال

يقال رغما وارغمه الله اذله وهو من الرغام بمعنى التراب فجعل عبارة عما ذكر ولذا ذكر الانف
من انف رفعه ويقال رفع انفه اذا تكبر وهذا الحديث رواه الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه
انه صلى الله عليه وسلم قال رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ورغم انف رجل دخل عليه رمضان
ثم انسلخ قبل ان يغفر له ورغم انف رجل ادرك عنده ابواه الكبر فلم يدخلاه الجنة ورواه الحاكم
وقال هو صحيح الاسناد وسياتي الكلام عليه عند ذكر المصنف له برمته وكره ابن حبيب وهو عبد
الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمي من ولد العباس بن مرداس الصحابي وقيل عبد الملك
بن سليمان وهو فقيه نحوي طبيب مفسر محدث الا انه لم يكن له نقد ونظر تام في الحديث توفي سنة
ثمان او تسع وثلاثين ومايتين ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عند الذبح وهو مذهب مالك
وقال غيره يستحب وانما كره لئلا يكون مما اهل به لغير الله والى هذا ذهب الحنفية كما في المحيط
وخالفهم الشافعي في الام فقال وتسن التسمية على الذبيحة عند الذبح باسم الله ولا اكره
ان يقول وصلى الله على رسول الله بل احب وقال المزني انها لا تستحب ولا تكره فهي مباحة وقال
الاذرعي يختص بما اذا كان قربة كالاضحية وقال الحليمي لا يجوز ان يقول باسم محمد ولا باسم
الله واسم محمد وذهب بعضهم الى ان ما ذبح باسم غير الله لا يحل اكله وكذا ما ذبح للكعبة او عند
قدوم سلطان وقيل ان قصد التبرك جاز ونقل عن ابن حنبل فيه خلاف وكذا قيل انه لا يذكر
عند العطاس كما ياتي وقيل انما يكره اذا لم يقصد بعد الحمد الصلاة على من سنه وقال الحطاب
الذي تحصل من كلام المالكية ان في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند الذبح والعطاس
قولين وتكره عند الجماع والحاجة انتهى وكره سحنون الفقيه المشهور المالكي واسمه عبد السلام
بن عبد السلام بن سعيد بن حبيب ابن حسان التنوخي وهو بمرتبة من الكمال فضلا وزهدا
وسماحة ولد في رمضان سنة ستين او احدى وستين ومايه وتوفي لتسع خلون من رجب
سنة اربعين ومايتين وعمره ثمانون سنة كما في الميزان وسينه مضمومة ويجوز منع صرفه
وفتح سينه ايضا كما سياتي الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عند التعجب لرؤية امر
عجيب وهو مذهب مالك واليه ذهب الشافعية كما في الاذكار للنووي وقال الحليمي من
الشافعية لا تكره كسبحان لان التسبيح تنزيه لموجد العجائب والصلاة عليه لانه اعظم المخلوقات
واعجبها والشيء بالشيء يذكر وقال قاضي خان لو راى شيئا جيدا فقال اللهم صل على محمد
ان قصد الاعلام بجودته كره والناس يستعملونه نظما ونثرا قال عرقلة هه

اقبل يمشي في غلالته • من ليس يشفي لعاشق عليه
فقال كل امرئ تامله • الف صلاة على رسول الله

وقيل ____ في مطلع قصيدة هه

ظبي على الضب سلم • صلى على المصطفى وسلم

وقال سحنون لا يصلى عليه صلى الله عليه وسلم الا على طريق الاحتساب اي من غير سبب
بل خالصا لوجه الله وحسبة وطلب الثواب لا للتعجب وغيره كما امرنا الله به تعظيما له صلى الله
عليه وسلم واما عند الضحك ورؤية مستقذر فقالوا يخشى عليه الكفر وقال العيني رحمه الله
لا يوتى بها عند الغضب خوفا من ان يحمله الغضب على الكفر ونقله النووي في اذكاره عن بعض
الشافعية واقره وقال اصبغ هو ابو عبد الله اصبغ بن فرج بن سعيد بن نافع الاموي
مولى عمر بن عبد العزيز المصري الفقيه الجليل المحدث روى عنه البخاري وغيره وتوفي

سنة خمس وعشرين ومايتين في قول عن ابي القاسم عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن
جنادة المصري امام الفقه صاحب الامام مالك وهو ثقة حجة توفي سنة احدى وتسعين
ومايه وارتحل الى مالك اثني عشر مرة انفق في كل مرة الف دينار موطنان لا يذكر فيهما الا
اسم الله الذبيحة والعطاس فلا يقل فيهما محمد رسول الله اي لا يقل فيهما باسم الله وباسم
محمد رسول الله لئلا يكون مما اهل لغير الله في الذبيحة لغير الله والعطاس يدل على قوة الدماغ الدافعة
لاذى البخار فهو نعمة من الله خفية لا يقدر عليها غير الله فيذكر اسمه شكرا له على نعمه دون
غيره قال اصبغ ولو قال بعد ذكر الله فيهما وصلى الله على محمد لم يكن ذلك تسمية له مع
الله ولكنه صلاة عليه بنية التقرب الى الله بالصلاة عليه فلا يكره وعن ابي سعيد الخدري
عنه صلى الله عليه وسلم قال من عطس فقال الحمد لله على كل حال وصلى الله على محمد وعلى اهل
بيته اخرج الله من منخره الايمن طائرا يقول اللهم اغفر لقائلها اخرجه الديلمي في الفردوس
بسند لا باس به وعطس رجل عند ابن عمر رضي الله عنهما فحمد الله فقال له لقد بخلت هلا حيث
حمدت الله صليت على نبيه صلى الله عليه وسلم ولذا رجح البيهقي استحباب الصلاة عند العطاس
واليه ذهب جماعة وقال اخرون لا يستحب ولكل موطن ذكر يخصه واستدلوا بحديث لا تذكروني
في ثلاث مواطن عند العطاس والذبيحة والتعجب وروي بعد تسمية الطعام بدل اولهما وعند
العطاس بدل التعجب اخرجه الديلمي في مسنده وفيه من اتهم بالوضع وقال الخيضري يستحب
لمن يجب ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ذكره شيخنا وقال اخذته من نص الشافعي في
قوله احب ان تكثر الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في كل الحالات فدخل في عمومه ففيه نظر
وقاله اشهب اي كما قال اصبغ واشهب هو ابن عمر كعب مسكين ابن عبد العزيز بن داود
بن ابراهيم العبسي ولد سنة اربعين ومايه وقيل سنة ست وخمسين وتوفي سنة ثلاث
او اربع ومايتين بعد الشافعي بثمانية عشر يوما وسنه اربع وستون واخرج له اصحاب
السنن وهو احد فقهاء مصر المالكية حتى فضل على ابن القاسم قال اشهب ولا ينبغي ان
ان تجعل الصلاة فيه اي فيما ذكر من الذبيحة والعطاس استنانا اي سنة وطريقة
لانه تشريع فيما لم ينقل وقيل الاستنان هنا بمعنى الفرح والنشاط واللعب وقيل معنى استن
جرى في غير طريق وهو خلاف الظاهر والذي عليه الشراح الاول والكلام على ذكر الله هه
والتسمية عند الذبح وانه سنة او واجب مفصل في الفروع وروى النسائي وابو داود
وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه عن اوس بن اوس الثقفي الصحابي ويقال اوس بن
ابي اوس كما في الاستيعاب عن النبي صلى الله عليه وسلم الامر بالاكثار من الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وليلتها لانه افضل الاوقات ولما ورد ان الصلاة
عليه تعرض عليه فيه والحديث المذكور من افضل ايامكم يوم الجمعة فيه خلق الله ادم وفيه
قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فاكثروا من الصلاة علي فيه فان صلاتكم معروضة علي
قالوا يا رسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد ارمت يعني بليت فقال ان الله حرم
على الارض ان تاكل اجساد الانبيا وفيه احاديث اخر جمعناه وهذا اكمل مواطن الصلاة عليه
ومن مواطن استحبابه الصلاة عليه والسلام دخول المسجد والخروج منه كما سيصرح
به لورود الامر به في الحديث وقال ابن اسحاق بن شعبان هو محمد بن قاسم المصري
وقد تقدم بيانه وينبغي لمن دخل المسجد ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى اله

اي يقول اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد اي ازد البركة وادمها لهم كما تقدم شرحه
وسلم تسليما اي يقول صل عليه وسلم تسليما فيأتي بالسلام موكدا كما ورد الامر به
في الآية الكريمة وتقدم ان النووي كره افراد الصلاة عن السلام ويقول بعد الصلاة
والسلام وفي الاذكار يقول اعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وبسلطانه القديم من
الشيطان الرجيم اللهم صل على محمد وعلى آل محمد اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب
رحمتك وروى النسائي وابن ماجه اذا دخل احدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم
ثم ليقل اللهم افتح لي ابواب رحمتك فاذا خرج صلى وقال اللهم اني اسالك من فضلك وروي
اجرني من الشيطان وما في معناه وفيما ذكره النووي زيادة وسياتي للمصنف ذكرها في اداب
المسجد النبوي قيل وينبغي ذكر السلام ايضا وسياتي ما يصرح به وذلك لان المساجد محل
العبادة والثواب والرحمة والمراد بابواب الرحمة انواعها وفتحها تيسيرها واعطاوها
وعبر بالفتح والابواب لمناسبته للدخول ففيه من اللطف ما لا يخفى وكذا في قوله
واذا خرج من المسجد فعل مثل ذلك اي يقول ما قاله بعينه وجعل موضع رحمتك فضلك
لان من خرج من المسجد يخرج لكسبه ومصالحه ملتمسا لفضل الله كما قال فاذا قضيت
الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله والحديث في مسلم الاول وترحم
وبارك وقال عمرو بن دينار هو ابو محمد مولى قيس الامام المكي التابعي توفي سنة ست
وعشرين ومايه وله ترجمة في الميزان فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم الآية
وفي هذه الآية اقوال المفسرين فقيل البيوت المساكن وقيل المساجد لما ياتي وفي قوله
على انفسكم وجوه ايضا فقيل هو على ظاهره وقيل المراد به من فيها بجعله كنفسه لاتحاد
جنسه واهله وقال تحية من عند الله مباركة طيبة ومعنى كونها من عند الله انه امره بها
وكونها مباركة لحصول البركة وسعة الرزق بها وطيبة لذلك ولطيب الانفس بها فهذا احد
المواطن التي تستحب فيها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند دخول المؤمن منزله قال
الامام الخيضري في اللواء المعلم روى ابو موسى المديني عن سهل بن سعد قال جاء رجل الى
النبي صلى الله عليه وسلم فشكا اليه الفقر وضيق العيش او المعاش فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا دخلت منزلك فسلم ان كان فيه احد او لم يكن ثم سلم علي ثم اقرأ قل
هو الله احد مرة واحدة ففعل الرجل فادر الله عليه الرزق حتى افاض على جيرانه قال
اي ابن دينار ان لم يكن في البيت احد نسلم عليه فقل السلام على النبي ورحمة الله
وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين من الملائكة وغيرهم السلام على
اهل البيت ورحمة الله وبركاته كلام المصنف هنا في استحباب الصلاة على النبي صلى
الله عليه وسلم لمن دخل المسجد وهذا التفسير لا يوافقه لانه لم يذكر فيه صلاة وهو مبني
على ان المراد بالبيوت المنازل فاما ان يقال ذكره استطرادا او تتميما لكلام المفسرين
فيها او يقال اذا شرع التسليم على اهل كل بيت فبيت الله واهله اولى ولكن حمل التحية
على هذا على الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم لمن دخل المسجد مع انه خلاف الظاهر لم يقله
المفسرون فان التحية عندهم على هذا بمعنى السلام على من بالمنزل لما رواه الترمذي من انه
صلى الله عليه وسلم قال اذا دخلت على اهلك فسلم يكن بركة عليك وعلى اهل بيتك كذا قيل
وهو تكلف لا داعي له قال ابن عباس رضي الله عنهما فيما رواه عنه ابن ابي حاتم المراد بالبيوت

هنا اي في هذه الآية المساجد لانه ورد اطلاقها عليها حقيقة فاذا دخلها سن له
الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كما تقدم تفصيله وقال النخعي بفتح المعجمة نسبة
لقبيلة وهو ابراهيم بن يزيد بن الاسود بن عمرو بن ربيعة فقيه الكوفة المشهور توفي سنة
خمس او ست وتسعين لا الاسود بن يزيد الكوفي كما قيل لانه المتبادر لشهرته اذا لم يكن في
المسجد احد ودخلته يا رجل فقل السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم تحية من
عند الله مباركة عليه طيبة واذا لم يكن في البيت احد فقل السلام علينا وعلى عباد
الله الصالحين وهذا يقتضي استحباب السلام عليه صلى الله عليه وسلم وانه لم يذكر معه
الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وهكذا ورد في الحديث كما تقدم وقد عدوا من مواطن الصلاة عليه
صلى الله عليه وسلم دخول المسجد والمنزل كما علم وعن علقمة بن قيس ابو شبل الفقيه كما تقدم
اذا دخلت انا المسجد اقول السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته صلى الله وملائكته
كما تقدم من انه يسن للداخل المسجد والخارج منه ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وفي هذا
زيادة السلام عليه وتقديمه عليها وعن عمرو مروي عن كعب الاحبار وقد تقدم بيانه اذا
دخل المسجد او خرج منه ولم يذكر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وهي مستحبة ايضا
واحتج ابن شعبان لما ذكره فيما تقدم من استحباب ان يصلي عليه صلى الله عليه وسلم
وعلى آله ويترحم عليهم ويبارك ويسلم تسليما بحديث فاطمة بنت النبي صلى الله عليه
وسلم انه صلى الله عليه وسلم كان يفعله اذا دخل المسجد الذي تقدم الا انه ليس فيه
ترحم وتبرك ومثله اي حديث فاطمة وبمعناه روى عن ابي بكر بن عمرو بن حزم هو محمد
بن عمرو بن حزم قاضي المدينة واميرها ولد قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين
فسماه النبي صلى الله عليه وسلم محمدا وقيل انه ولد بنجران وابوه عامل عليها من قبله صلى الله
عليه وسلم في سنة عشر من الهجرة فسماه ابوه سليمان وكتب بذلك الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فامره ان يسميه محمدا ويكنيه بعبد الملك ففعل وتوفي في سنة عشرين ومايه
واخرج له الستة وذكر اي ابن حزم السلام والرحمة اي الدعا بهما وقد ذكرنا هذا
الحديث يعني حديث فاطمة الزهرا في آخر القسم الثاني من هذا الكتاب وذكرنا الاختلاف
في بعض الفاظه لتعدد طرقه وتغاير بعض الفاظه ومن مواطنها اي الصلاة عليه صلى
الله عليه وسلم التي تستحب فيها الصلاة على الجنائز وهي عند الشافعي رضي الله عنه
من اركانها بعد التكبيرة الثانية ويقرا بعد الاولى سورة الفاتحة ثم يدعو للميت بعد الثالثة
كما بينه الفقهاء وتجزي الفاتحة بعد غير الاولى وعن ابي امامة هو اسعد بن سهل بن حنيف
بن واهب بن العليم بن ثعلبة الانصاري ولد في زمنه صلى الله عليه وسلم فكناه وبرك
عليه ولم يسمع منه صلى الله عليه وسلم وحديثه مرسل وتوفي سنة مايه واخرج له الستة
انها من السنة فتستحب في صلاة الجنازة عنده وليست من اركانها وذهب الشافعي في اجل
قوليه انها واجبة واستدل بقول ابي امامة هذا لان مراده بالسنة طريقته صلى الله عليه
وسلم فيشمل الواجب وغيره وقول الصحابي ونحوه من السنة كذا في حكم المرفوع واختلفوا
في الصلاة على الآل هنا ايضا فقيل واجبة وقيل سنة وروى المزني انه يحمد الله ثم يصلي على
النبي صلى الله عليه وسلم ويدعو للمومنين والمومنات وقيل ان التحميد لا يعرف هنا ويصلي
على النبي صلى الله عليه وسلم عند ادخال الميت قبره ايضا فيقول بسم الله وعلى ملة رسول الله

صلى الله عليه وسلم كما رواه الترمذي وابو داود وهذا الحديث رواه الشافعي في الام الا
ان في سنده ضعفا كما قاله الخيضري ورواه الحاكم والبيهقي وغيرهما وهذا وجه عند ابي
حنيفة واحمد ومالك ومن مواطن الصلاة التي تستحب فيها التي مضى عليها عمل الامة
ولم تنكرها الامة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى اله تبعا له في الرسايل
جمع رسالة كعصابة بمعنى المفعول وهو المكتوب الذي يرسل مطلقا ولا وجه لتخصيصه
بما يكتب بين الاخوان كما قيل وما يكتب بعد البسملة اي كتابة بسم الله الرحمن الرحيم
وهو من باب النحت كالحوقلة والسبحلة وليس بمولد كما قيل لسماعه من العرب كما رواه الثقة وكتابة
البسملة سنة في الكتب مقررة في القرآن والسنة كقوله تعالى انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم
وتقدم على غيرها وذكر سليمان انما هو عنوان الكتاب لا فاتحة له كما ذكره المفسرون ولم يكن
هذا اي ابتداء الكتب بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصدر الاول اي في
ابتداء الاسلام وزمن الخلفاء الراشدين فالصدر مستعار للابتداء والاول صفة موضحة
ومفسرة له واحدث عند ولاية بني هاشم يعني بني العباس واختلف في اول من كتبه منهم
فقيل السفاح عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وقيلها رون الرشيد واورد عليه ان
الكلاعي قال في كتاب الاكتفا عن الواقدي بسنده ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه كتب في ردة
بني سليم الى طريفة بن حاجز عامله ما صورته بسم الله الرحمن الرحيم من ابي بكر خليفة رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى طريفة بن حاجز سلام عليك فاني احمد الله الذي لا اله الا هو اليك
واسأله ان يصلي على محمد صلى الله عليه وسلم اما بعد الخ فهذا يدل على اوليته فعله الصديق
الا انه ترك ذلك في زمن بني امية وفي الاذكار مثله وهو يدل على انه سنة قديمة وهذا
غفلة عن مورده عن قوله بعد البسملة فانهم احدثوا ان يكتب بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله
وسلم فقد يرد على جميع ما بعده وليس فيما ذكره ذلك فتفطن له ثم اختلفوا في الصلاة هل
تعطف اولا على قولين من عطف فظاهر ومن قطعه رآه انشاء وفي عطفه على الخبر كلام طويل
في كتب النحو والمعاني فمضى عليه عمل الناس في اقطار الارض اي استمر فصار سنة
او بدعة حسنة مستحبة ومنهم من يختم به ايضا الكتب كما بدأها به فيجعل في الاول
والاخر لتشمل بركتها جميع ما كتبه وقال عليه الصلاة والسلام من صلى علي في كتاب لم تزل
الملايكة تستغفر له ما دام اسمي مكتوبا في ذلك الكتاب اي المكتوب مطلقا وليس
المراد به المصنفات كما يتوهم حتى يقال ان تدوين الكتب حدث بعد العصر الاول او هو من
المغيبات التي اخبر بها صلى الله عليه وسلم وقال الشيخ زروق في معنى ذلك يحتمل ان يكون
المراد كتب الصلاة وهو الظاهر او قراءة الصلاة المكتوبة وهو اوسع وارجى انتهى وقال بعضهم
انه يشترط في حصول الثواب المذكور ان يتلفظ بالصلاة في حال الكتابة وهو خلاف ظاهر
الحديث وكلام العلما وقال السخاوي في كتابه القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع
هذا الحديث رواه الطبراني في الاوسط والخطيب في شرف اصحاب الحديث وابو الشيخ والمستغفري
وصاحب الترغيب بسند ضعيف واورده ابن الجوزي في الموضوعات وقال ابن كثير انه
لم يصح وروي من كتب في كتابه صلى الله على محمد لم تزل الملايكة تستغفر له ما دام في كتابه
انتهى والمراد باستغفار الملايكة دعاؤهم لبني آدم مطلقا حيث ورد حتى لا ينبا بالاستغفار
قال تعالى يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا وكان وجهه انهم لما علموا ان ما ركب

في طبيعة

في طبيعة النوع الانساني من الشهوات والمشاغل التي هي من لوازم البشرية يقتضي
الاشتغال بغير الله وهم لا يفترون عن التسبيح ولا يفعلون الا ما يؤمرون اشفقوا عليه
ورأموا ان الله لا يؤاخذه بشيء من تبعاته فاني لم ار من نبه عليه وذكروا في ذلك آثارا عن
الصالحين ومنامات منها ان الشافعي رضي الله عنه رؤي في المنام فقيل له ما فعل الله
بك فقال غفر لي ولم يحاسبني واكرمني لصلاة صليتها عليه صلى الله عليه وسلم في الرسالة
وهي اللهم صل على محمد كلما ذكرك الذاكرون وصل على محمد كلما غفل عن ذكره الغافلون
وصل عليه في الاولين والآخرين افضل واكثر وازكى ما صلى على احد من خلقك وقد روي
هذا من طرق بالفاظ مختلفة ومن مواطن السلام اي الاماكن التي يستحب فيها السلام
عليه تشهد الصلاة الذي يذكر في آخرها واطلقه ليشمل الاول والثاني كما مر واورد
في ذلك حديثا رواه البخاري وهو حدثنا ابو القاسم خلف بن ابراهيم المقري الخطيب
وغيره قال حدثتني كريمة بنت محمد تقدمت ترجمتها قالت حدثنا ابو الهيثم تقدم
ايضا قال حدثنا محمد بن يوسف هو الفربري كما تقدم قال حدثنا محمد بن اسماعيل
هو الامام البخاري كما تقدم قال حدثنا ابو نعيم الفضل بن عمرو بن حماد الحافظ توفي
في سلخ شعبان سنة تسع عشرة ومايتين اخرج له الستة وترجمته في الميزان قال
حدثنا الاعمش سليمان بن مهران وقد تقدم عن شقيق بن سلمة الاسدي المخضرم
توفي سنة احدى وثمانين كما تقدم عن عبد الله بن مسعود قال اي ابن مسعود
فهو موقوف له حكم المرفوع وفي نسخة عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو مرفوع إذا صلى
احدكم صلاة ما فرضا او نفلا فليقل التحيات الخ والتحية تفعلة من الحياة ومعناها
الاحيا والابقا والملك والبقا وكل منهما صحيح هنا اي كل تحية تحيى بها الملوك والعظما
ثابتة لله لا تليق بغيره والصلوات اي انواع الدعا الذي يراد به الثنا وقيل الصلاة
العبادة والطيبات اي جميع كلمات الثنا الطيبة لله لا لغيره السلام عليك ايها
النبي حكاية لما علمهم حال حياته صلى الله عليه وسلم ثم استمروا على ذلك بعده ومن
ابن مسعود رضي الله عنه كنا نقوله وهو بين اظهرنا فلما قبض قلنا السلام على النبي
ورحمة الله وبركاته اي كل نعمة وخير كثير لازم ثابت له صلى الله عليه وسلم في كل
زمان السلام علينا معاشر الامة وعلى عباد الله الصالحين من جميع الامم السالفة
وملايكة السماء والارضين والجن المومنين كما قال فانكم اذا قلتموها اي قلتم هذه
الكلمات وهي السلام علينا الى آخره اصابت اي نالت رحمتها وبركتها كل عبد صالح
في السماء والارض لعموم الجمع المحلى بالالف واللام ومن هنا علم ان المصلي محسن لنفسه
ولجميع خلق الله وان تارك الصلاة ظالم لنفسه ولجميع خلق الله قيل الفصل معقود
لمواطن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وهو وان لم يقل بوجوبها لا يسكو كونها سنة
واجيب بانه لما ذكر الصلاة عليه شرع في مواطن السلام عليه وقد يقال انه طوى
ذكر الصلاة لعلمها مما تقدم هذا اي التشهد في الصلاة احد مواطن التسليم عليه
اشارة الى ان له مواطن اخر وسنته اي استحبابه وفي نسخة سنيته بياء النسبة وهي
اولى اول التشهد اي قبل ان يقول اشهد ان لا اله الا الله وبعد التحيات لله وفي
التشهد وكيفيته روايات مفصلة في كتب الفقه وقد روي مالك عن ابن عمر رضي الله عنهما

انه كان يقول ذلك اي السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى
عباد الله الصالحين اذا فرغ من تشهده واراد ان يسلم سلام التحلل اي الخروج من الصلاة
واستحب مالك في المبسوطة اسم كتاب له ان يسلم بمثل ذلك المذكور من السلام على
النبي صلى الله عليه وسلم الخ قبل السلام من صلاته وهو في ما قيل خلاف المشهور من مذهبه
قال محمد بن مسلمة بفتح الميمين وهو محمد بن مسلمة بن هشام بن الوليد بن المغيرة توفي سنة
ستة عشر ومائتين اراد ما جاء مرويا عن عائشة وابن عمر رضي الله عنهم انهما كانا
يقولان عند سلامهما اي قبل سلام الخروج السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ثم يقول السلام عليكم وهو خاتمة الصلاة
واستحب اهل العلم ان ينوي الانسان المصلي اماما او مقتديا او منفردا حين سلامه
اي قوله السلام في صلاته السلام على كل عبد صالح في السماء والارض من الملائكة
و نوع بني آدم ومؤمني الجن وقيل الامام ينوي السلام على من اقتدى به وهم ينوون
الرد عليه وغيره ينوي به من على يمينه ويساره وهم الرد وغيرهم ينوي من حضر او غاب
قال مالك في المجموعة قيل اراد بها المدونة واحب للماموم اذا سلم امامه ان يقول
قبل ان يسلم هو السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد
الله الصالحين ثم يقول السلام عليكم واعلم انه عقد الفصل الذي قبل هذا لوجوب
الصلاة عليه وعقبه بفصل عقده للمواطن التي تستحب فيها الصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم وقد افرد له الخيضري رحمه الله كتابا مستقلا سماه اللواء المعلم في المواطن
التي تستحب فيها الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ولما اتم المصنف رحمه الله ما قصده ثم
شرع في بيان كيفيتها فقال

فصل في كيفية

اي بيان الفاظ الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وهو لفظ مولد نسب لكيف اسم الاستفهام
لانها من شانها ان يسال بها عن مثله والتسليم عليه اي كيف يذكر السلام عليه والمراد بيان
الهيئة الفاضلة اذ اصلها معلوم وبدا بحديث رواه في الموطا وهو قوله حدثنا ابو اسحاق
ابراهيم بن جعفر الفقيه وقد تقدم وقوله بقراءتي عليه هو احد طرق الرواية قال حدثنا
القاضي ابو الاصبغ عيسى ابن سهل صاحب كتاب الاعلام في نوازل الاحكام قال حدثنا
ابو عبد الله بن عتاب تقدم بيانه قال حدثنا ابو بكر بن واقد وغيره بالقاف وهو معروف
قال حدثنا ابو عيسى هو عم يحيى بن كثير الذي تقدم بيانه قال حدثنا عبد الله قال
حدثنا يحيى ابن يحيى الليثي احد رواة الموطا عن مالك كما تقدم قال حدثنا مالك الامام
المشهور عن عبد الله بن ابي بكر بن عمرو بن حزم عن ابيه تقدم ترجمته عن عمرو بن سليم
الزرقي بسليم بضم السين وفتح اللام والزرقي بضم الزاي المعجمة وفتح الراء المهملة قبل القاف
وهو من الانصار وترجمته في الميزان قال اخبرني ابو حميد الساعدي اسمه عبد الرحمن
بن عمرو بن سعد وقيل المنذر بن سعد وهو خزرجي مدني له صحبة اخرج له الستة واحمد في
مسنده وتوفي في حدود الستين انهم اي الصحابة قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك
سالوه عنه بعد ورود الامر به في الآية ان الله وملائكته الخ فقال قولوا اللهم صل على
محمد وازواجه وذريته ازواجه صلى الله عليه وسلم امهات المؤمنين معلومة والذرية النسل

والولد بضم الدال وكسرها فعلية من ذرا بمعنى خلق ترك همزته في الاستعمال تخفيفا وقيل
انه نسبة الى الذر لصغرهم والذرية الولد وولده ويشمل اولاد البنات كما ذكروه مفصلا في كتب
الفقه وسؤالهم بكيف المراد به السؤال عن العبارة التي يعبر بها وباي كيفية تؤدى وقيل عن
معناها ولا يخفى ما فيه فانهم لما سمعوا السلام عليه في التشهد وامروا بالصلاة سالوه عما
يقولونه فعلمهم ذلك وفيه من التعظيم ما لا يخفى فانه امرهم ان يطلبوا من الله ان يصلي هو عليه فكا
قالوا الانقدر على اداء الصلاة حق الاداء فافعل انت ما يليق به كما صليت على آل ابراهيم اي
ازواجه وذريته والتشبيه انما وقع بهم لشهرتهم وتعرف ان آله فيهم انبياء ورسل فشبه المجموع
بالمجموع او الال بالال فلا يرد عليه ان المشبه دون المشبه به فكيف شبه صلاة نبينا بصلاة
ابراهيم وهو افضل منه في السؤال المشهور وقد اجيب عنه باجوبة هذا محصلها وياتي
الكلام عليه ايضا قريبا وللجلال الدواني رسالة فيه مشهورة سهرتها تغني عن ذكرها فان قلت
الذي في الآية الامر بالصلاة عليه فقط من غير تشبيه بابراهيم وغيره من آله قلت لما كان
معنى الصلاة الرحمة وهو صلى الله عليه وسلم مرحوم ومنعم عليه في الدارين باعظم النعم ضم
ذلك للصلاة عليه اشارة الى ان المقصد من رحمته رحمة اهل بيته كما يقال لمن نزل لا عقوبة ولا هم
ارحم هذا الشيخ كما اشعر اليه بقوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا
وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت على آل ابراهيم اي ادم وكثر الخيرات النامية
عليهم كما ادمت ذلك لابراهيم وآله في العالمين انك حميد مجيد اي رحمة وبركة منتشرة في
جميع الخلق وحميد فعيل من الحمد وهو الثناء الجميل ومجيد فعيل من المجد وهو الشرف والكرم وفعيل فيهما
بمعنى فاعل او مفعول اي انت فاعل الجميل وواهبه وانت المحمود المعظم فكل حمد واكرام لرسلك
واتباعهم عائد عليك فانه لاجلك وامتثال امرك وهو تذييل في موقع جليل ومما ذكرناه علمت
معنى قوله على آل ابراهيم دون ابراهيم فتفطن لهذه الدقائق وفي رواية مالك في الموطا
عن ابي مسعود الانصاري الصحابي البدري رضي الله عنه قال قولوا اللهم صل على محمد
وعلى آله كما صليت على آل ابراهيم وبارك على محمد كما باركت على آل ابراهيم في العالمين
انك حميد مجيد ذكره اشارة الى انه له طرقا كثيرة وانه انما قدم رواية الموطا لعلو سنده فيها فلا وجه
لما قيل انه لا فائدة في ذكره وهو بعينه ما قبله والسلام اي كيفيته ولفظه كما قد علمتم في التشهد
كما ذكره المصنف سابقا وسياتي ايضا شرحه في كلامه وعلمتم بفتح العين وكسر اللام المخففة مبني
للفاعل او بضمها وتشديد اللام مبني للمجهول من العلم والتعليم وكلاهما صحيح رواية ودراية كما قاله
النووي وقيل الاول اصح ولفظ الموطا عن ابي مسعود قال اتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد امرنا الله ان نصلي عليك يا رسول الله فكيف
نصلي عليك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا انه لم يساله ثم قال قولوا اللهم صل
على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم
في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم وفي رواية كعب بن عجرة في الترمذي وهو
بضم العين وسكون الجيم وراء مهملة وهو ابو محمد او ابو عبد الله او ابو اسحاق من بني سالم بن عوف
او من غيرهم صحابي شهد بيعة الرضوان وتوفي سنة اثنين او احدى وخمسين واخرج له الستة
وغيرهم قال قلنا يا رسول الله هذا السلام عليك قد علمناه فكيف الصلاة عليك قال قولوا
اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد

وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد قال الترمذي حديث كعب بن عجرة
حديث حسن صحيح وهذا الحديث ايضا رواه الشيخان من عبد بن ابي ليلى عن كعب قال قلت
يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل الخ وهو
متفق عليه الا ان لفظ البخاري على ابراهيم وعلى آل ابراهيم في الموضعين وسقط منه آل
في الموضعين ورواية المصنف تخالفه وعن عقبة بن عمرو عبد الله الانصاري الصحابي
توفي بالمدينة سنة احدى واربعين في ايام علي او معاوية وكان علي كرم الله وجهه استخلفه
على الكوفة لما خرج لصفين في حديثه الذي رواه اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى آل
محمد هم المؤمنون من ازواجه وذريته ومن تحرم عليهم الصدقة من اقربائه على الراجح وقيل جميع
امته ايضا وهذا الحديث اخرجه احمد وابن حبان والدارقطني والبيهقي ومسلم بدون لفظ
النبي الامي وفي رواية ابي سعيد الخدري وهو سعد بن مالك بن سنان كما تقدم اللهم صل
على محمد عبدك ورسولك اخرجه الحاكم بسند وفي بعض رجاله كلام وذكر معناه اي معنى
الحديث السابق من قوله كما صليت الى اخره ورواه البخاري ايضا واورده من طريق آخر مسلسل
فيه زيادة والمسلسل ما وقع معه امر من النبي صلى الله عليه وسلم من قول وفعل ونحوه وتم
مثله قصدا من جميع رواته تبركا ومحاكاته في حال صدوره كالعد في اليد هنا وهو قوله
حدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي تقدم بيانه سماعا عليه بقراءة غيره عليه وابو الحسن
بن طريف النحوي طريف بفتح الطا وكسر الرآء المهملتين ومثناة وفاء احد شيوخ المصنف ولم
يذكره في كتابه الا في هذا الموضع توفي تاسع ذي الحجة سنة احدى وعشرين وخمسمائة وفيها
توفي ابن رشد بقراءتي عليه قال حدثنا ابو علي ابن سعدون الفقيه يعرف كما تقدم في
ذكر المشوف اليه قال حدثنا ابو بكر المطوعي بضم الميم وفتح الطآء المهملة المشددة وكسر
الواو المشددة وعين مهملة بينهما يا نسبة غلب على المجاهد تطوعا بلا اجرة وهو محمد بن علي
الغازي النيسابوري قال حدثنا ابو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم
الضبي النيسابوري الامام الحافظ شيخ الحديث في عصره وعرف بابن البيع صاحب
التصانيف الجليلة ولد في ربيع الاول سنة احدى وعشرين وثلثمائة وتوفي في صفر
سنة خمس واربعمائة وله ترجمة في الميزان وفي مستدركه احاديث ضعيفة وموضوعة
انتقدت عليه عن ابي بكر بن دارم الحافظ المسند السبيعي الحاكم احمد بن محمد بن السري بن
يحيى بن السري التميمي الكوفي روى عنه الحاكم وغيره وهو متهم بالكذب توفي في المحرم
سنة اثنتين اوست وخمسين وثلثمائة وله ترجمة في الميزان عن علي بن احمد العجلي
هو من يروي عنه ابو بكر المذكور ولم يعرف عن حرب بن الحسن في نسخة ابن الحسين وهو
الطحان قال في الميزان ليس حديثه بذاك وذكره ابن حبان في الثقات عن يحيى بن
المساور بميم مضمومة وسين وراء مهملتين قيل انه كذاب عن عمرو بن خالد ابو خالد القرشي
مولى بني هاشم الكوفي روى عنه طلق الا انه كذاب له قبائح مذكورة في الميزان عن زيد
بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب وهو ابو الحسين العلوي المدني اخو محمد الباقر نسب
الامام الثقة راى جماعة من الصحابة واستشهد رضي الله عنه سنة اثنتين وعشرين
ومائة عن ابيه علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب قال الزهري ما رايت قرشيا افضل منه
توفي سنة اربع وتسعين وهو امام ثقة جليل اخرج له الستة عن ابيه الحسين عن ابيه علي

بن ابي طالب قال علي رضي الله عنه عدهن في يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
صفة لمقدر اي كلمات تذكر في التشهد او صلوات ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم وكان
في ذكرها يعدها لي في يدي باشكالها يشير الى انه حديث مسلسل بالعد في اليد الى جبريل
عليه الصلاة والسلام تنبيها على حفظها وان لا تترك واحدة منها قال عدهن في يدي
جبريل وقال هكذا اي بهذا العدد نزلت من عند رب العزة سبحانه وتعالى والعزة كما قال الراغب
حال تقتضي الامتناع من القهر والغلبة من الارض العزاز وهي الصلبة فرب العزة اما بمعنى
من له العزة وهو مالكها كما قال ولله العزة ولرسوله او من يعطيها ممن يشا كما قال تعز من تشا
وتذل من تشا وله موقع هنا لاعزازه واكرامه لرسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على
محمد وعلى آل محمد اي افض عليه وعلى آله رحماتك وانعامك كما صليت على ابراهيم
وعلى آل ابراهيم جعله مشبها به لشهرته لا لانه افضل واعلى كما مر انك حميد مجيد اي محمود
مجد او المستحق للثناء والشرف من انعمت عليه وشرفته اللهم بارك على محمد اي انزل البركة
عليه ولذا عداه بعلى وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد
مجيد اللهم وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك
حميد مجيد وفيه انه يدل على جواز الدعا للانبيا عليهم الصلاة والسلام بالرحمة والترحم
عليهم كما تقدم وياتي ذلك مطولا في كلام المصنف مع الكلام على ما فيه اللهم وتحنن على
محمد وعلى آل محمد كما تحننت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد تحنن تفعل من الحنين
صار بمعنى الرحمة والشفقة والحنان المنان من اسماء الله بمعنى الروف المنعم اللهم وسلم على
محمد وعلى آل محمد كما سلمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد قال السيوطي في
الجامع الكبير قال الحاكم هكذا بلغنا هذا الحديث واسناده ضعيف واخرجه الديلمي وابن منده والترمذي
وقال العراقي ضعيف جدا وعمرو بن خالد كذاب وضاع وكذا ابن مساور وحرب بن الحسن اورده
الازدي في الضعفا وقال حديثه ليس بذاك وقال ابن حجر في اماليه اعتقادي انه موضوع
وفي سنده ثلاثة ضعفا وبعضهم من نسب الى الوضع والكذب قلت وجدت له متابعات تجبره
وان لم تخل من الضعف ووجدت له طريقا اخر عن انس في مسند انتهى قلت ذكر البرهان انه
رواه مسلسلا ايضا فتعدد هذه الطرق يقتضي انه غير موضوع غاية ما يقال فيه انه ضعيف فاعرفه
والحديث مسلسل وتقدم ان المسلسل ما توارد رواته على حالة واحدة او صفة في اسناده او صيغ
ادابه ومن قوله وترحم يرد قول ابن العربي ان زيادة الترحم في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بدعة
وقال الصيدلاني انه مع انه لم يرد غير صحيح لانه لا يقال رحمت عليه بل رحمته وفي الترحم معنى
التكلف فلا يصح اطلاقه على الله وفي الاذكار زيادة ارحم محمدا بدعة لا اصل لها وقال ابن ابي زيد
المالكي وبعض المالكية يستحب زيادة ارحم محمدا في التشهد وفي شرح مسلم الاختيار تركه اذ لم
يات في خبر صحيح وقال السخاوي من زاده راه من فضائل الاعمال يكفي فيه الحديث الضعيف وقال
ابو جعفر والسرخسي من الحنفية باستحبابه لتوارث العمل به ورحمة الله لا يستغني احد عنها وذكر
كثير الى انه لا ينبغي للانبيا عليهم الصلاة والسلام بالرحمة وفي شرح البخاري لابن حجر انه غير مسلم
لوروده في احاديث كثيرة ففي التشهد السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته وسبقه اليه
صاحب القاموس واستدل عليه بقول الاعرابي له صلى الله عليه وسلم اللهم ارحمني وارحم محمدا
وتقريره له وفي حديث ابن عباس اسالك رحمة من عندك وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم

استعطفوك لن نبي واسألك رحمتك يا حي يا قيوم برحمتك استغيث وفي الذخيرة من كتب
الحنفية كراهته وجزم الغزالي بعدم جوازه مفردا لايهامه النقص وانه صلى الله عليه وسلم
كغيره يدعى له بالرحمة **اقول** هذا كلام مضطرب وعدم جواز ان يقال دعاؤه صلى الله عليه
وسلم بالرحمة لنفسه لا منع منه اصلا واما دعا غيره له فيما لم يؤثر فعلى الافراد مكروه وبالتبع
للصلاة ونحوها لا كراهة فيه وهذا هو الحق عندي ثم ان الصاغاني نقل في العباب ان قولك
الناس ترحمت عليه لحن والصواب ترحمت ترحيما وفي الحديث ما يرده وخص ابراهيم عليه الصلاة
والسلام بالتشبيه قال البغوي عن مقاتل لانه افضل الانبيا بعد نبينا عليه الصلاة والسلام
ومكافاة له على دعائه لامة محمد صلى الله عليه وسلم بقوله رب اغفر لي ولوالدي وللمومنين او
لمشاركته له في التاذين بالحج والاعلان او امر بذلك اجابة لدعائه بقوله اجعل لي لسان صدق
في الاخرين ولانه امر بالاقتدا به واما التشبيه به والمشبه دون المشبه به فقد اجيب عنه
بانه قاله قبل ان يعلم انه افضل منه او لسبق زمانه واشتهاره لا لعلو مرتبته وقيل انه من باب
التهييج وفيه نظر وقيل الكاف للتعليل وقيل المشبه آل محمد وفيه تحقيقات في رسالة الجلال
الدواني **وعن ابي هريرة** في حديث رواه ابو داود وغيره **عن النبي صلى الله عليه وسلم من سره**
ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت اي من احب ان ياتي باحسن
صلاة واعظمها او من اراد ان ينال اجرا لا يساويه فيه غيره فالاكتيال عبارة عن ذلك استعارة
تبعية مصرحة او شبه الاجر بما يشترى من الحبوب والتمر وشبهه ذكره او مثله باكتيال به
له لاستيفائه على طريقة المكنية والتخييلية والاجر لظهور ارادته في قوة المذكور ووجه انه
به البقا والمكيال بكسر الميم آلة الكيل والاوفى افعل تفضيل من الوفا وهو استيفاء الشي
وحيازته والمراد الترغيب في الصلاة عليه وعلى اهل بيته بهذه العبارة المخصوصة **فليقل**
اذا صلى عليهم **اللهم صل على محمد النبي وازواجه امهات المومنين وذريته واهل بيته**
كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد فضل هذه الصلاة لما فيها من شمول آل بيته كلهم وتعظيمه
بوصفه بالنبوة التي هي اقرب منزلة اليه وتعظيم ازواجه بما يعمه وذكر الصلاة على ابيه ابراهيم
والايمان به وبغيره من الانبيا وهذا الحديث صحيح اخرجه ابو داود والطبراني وغيرهما كما علمت
وفي رواية زيد بن خارجة الانصاري الصحابي المعروف توفي في خلافة عثمان وله
قصة في تكلمه بعد موته تقدمت وهذا اخرجه الديلمي في الفردوس وابو نعيم والطحاوي
والنسائي والبغوي **سالت النبي صلى الله عليه وسلم كيف نصلي عليك** هذه الجملة معمولة
لسالت لتضمنه القول او لقول مقدر **فقال صلوا علي واجتهدوا في الدعا** المراد به الصلاة
وعبر به تفننا او المراد الدعا لانفسهم بما يريدون واجتهدوا بمعنى بالغوا في ذلك بالاتيان
بجهدكم وطاقتكم **ثم قولوا** بعد الصلاة عليه وعلى آله وازواجه وذريته **وبارك على محمد**
وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد تقدم ما يغني عن اعادته **وعن**
سلامة الكندي هو سلامة بن قيصر الحضرمي التابعي ذكره ابن حبان في الثقات وانه
يروي عن علي كرم الله وجهه **كان علي يعلمنا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم**
وفي رواية يعلم الناس ويقول قولوا **اللهم داحي المدحوات** وروي المدحيات
ودحى بمعنى بسط قال تعالى والارض بعد ذلك دحاها اي مدها وبسطها لانها خلقت اولا
ربوة ثم بسطت ومهدت والمدحوات الاراضي السبع وفيه اطلاق الداحي على الله واشتقاقه

من قال الاسماء ليست توقيفية وانه يكفي ورود مادتها كالحي **وباري** بالهمز اسم فاعل
من برا بمعنى خلق على غير مثال او ميز وابرز **المسموكات** بمعنى المرفوعات والمراد بها
السموات وروي سامك المسموكات وسمك بمعنى رفع وارتفع متعدي ولازم **اجعل شرايف**
صلواتك اي افضل صلواتك واعلاها جمع شريفة بمعنى عالية رفيعة المقدار في الشرف
واصله ما علا من الارض على غيره **ونوامي بركاتك** اي ما زاد على غيرها النامية من خيراتك
اي بركاتك النامية فهو من باب اضافة الصفة لموصوفها **ورافة تحننك** اي لطفك
ورحمتك وعناياتك نازلة متوالية **على محمد عبدك** قدمه لشرف العبودية على غيرها
ودلالتها على القرب **ورسولك** الذي ارسلته لجميع خلقك **الفاتح لما اغلق** بضم الهمزة
وكسر اللام مبني للمفعول بصيغة فاعله من اغلق الباب والقفل ونحوه اذا قفله وهو ضد الفتح
هذا حقيقته ويستعار لما صعب واشكل وابهم فالمعنى انه فتح ما كان غير مفتوح من الرسالة
لا رسالة بعد الفترة الجاهلية او انه فتح الله به على عباده انواع الخيرات وابواب السعادات
الدنيوية والاخروية او بين لامته ما اوحي اليه بتفسيره وتيسيره وايضاحه وفك
فيه اشكاله بايضاح براهينه وحججه وتفسيره بانه اول الناس خلقا واخرهم بعثا كما فسر به
جعلنك فاتحا وخاتما كما قيل بعيد هنا كما لا يخفى وفيه استعارة وتلميح لقوله صلى الله عليه
وسلم اوتيت مفاتيح الكلام لما اوضحه بسرا عنه وبلاغته ويجوز ان يراد به ما فتح الله به
عليه وعلى امته من تيسير الفتوحات وتسخير الممالك كما في قوله صلى الله عليه وسلم اوتيت
مفاتيح خزاين السموات والارض **والخاتم لما سبق** من النبوة والرسالة فانه لا نبي ولا
رسول يرسل بعده ولا في عصره وعيسى عليه الصلاة والسلام اذا نزل كان على شريعته
ومن امته والخضر والياس ان قيل بنبوتهما بعد بعثته من امته ايضا ولا حاجة لتفسير ما
سبق بالانبيا والرسل وجعل ما بمعنى من **والمعلن** اسم فاعل بمعنى المظهر من الاعلان
وهو الجهر **الحق** بالنصب مفعول المعلن والجر باضافته له وليس منصوبا بنزع الخافض
اي بالحق وقوله **بالحق** اي بالامر الحق لا بالقهر والغلبة والمراد بالحق الدين والشرع
ففيه اقامة الظاهر مقام الضمير والحق الثاني المراد به الله عز وجل وانه من اسمايه
اي بمعونة الله وتاييده **والدامغ** اي الدافع والمزيل ومنه حجة دامغة وهو مستعار
من دمغه اذا كسر دماغه كما قاله الراغب قال تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه
لجيشات الاباطيل جمع جيشة وهي المرة من جاش يجيش اذا فار وارتفع والاباطيل
جمع باطل وهو مقابل الحق على خلاف القياس او جمع مفرد مقدر اي الدافع لما ظهر من الباطل
وشاع ففيه استعارة وتمثيل لما ظهر من الكفر والفساد بامر علا والقي عليه صخرة رضته
والصقته بتراب المذلة وتفسير الجيشات بالاخبار لا ينبغي وقيل الاباطيل جمع ابطول
او ابطيله او ابطالة ولم يسمع **كما حمل** بضم الحاء المهملة وكسر الميم المشددة مبني للمجهول
فاضطلع بضاد معجمة فطاء مهملة بمعنى قوي على حمله ونهض به لشدة تحمله عليه
وقيامه باعبائه وهو افتعال من الضلاعة وهي القوة واصلها قوة الاضلاع والكاف
للتشبيه وجوز ان تكون للتعليل وان تكون بمعنى على والاول اولى والظاهر فهو متعلق
بما قبله او خبر مبتدا مقدر اي هذه الحالة المذكورة ثابتة له صلى الله عليه وسلم كما ثبت
له تحمله اثقال الرسالة واعباها انعامها ثم قيام اوصل وسلم عليه لقيامه بذلك

او فعل به هذا له على ذلك **بامرك** اي قام به بسبب امرك امتثالا له لا لغرض آخر او المراد بامره تيسيره واعانته وقوله **بطاعتك** بدل مما قبله او متعلق به لامره بالطاعة فامتثله وادى ما كلفته به وفي نسخة لطاعتك باللام **مستوفزا** حال من الضمير في حمل او اضطلع والاستيفاز الوثوب في الانتصاب من قعود والمراد التقيد وعدم الاهمال اي مسرعا مستعجلا في الاتيان بامرته به جادا غير متوان ومنه قولهم لعتبة على اوفاز اي على عجلة جمع وفز ومن العجب ما قيل انه اسم مكان بزنة المفعول يشير به الى المستوى الذي سمع فيه صريف الاقلام وتاخر عنه جبريل فيه خبط لا يخفى على عادته **في مرضاتك** مصدر ميمي بمعنى الرضى وفي ظرفية ويجوز كونها بمعنى لام التعليل كما في حديث دخلت النار امراة في هرة وفي بعض النسخ **بغير نكل في قدم ولا وهن في عزم** اي لا جبن يطرا عليه في اقدامه ولا ضعف في عزيمته **واعيا** اي حافظا ضابطا **لوحيك** الذي اوحيته اليه لم يشغله عنه ما حمله من الاعبا وما لقيه من المشاق في تبليغ الرسالة ومنه اذن واعية واصل الوحي جعل الشيء في وعاء قاله والسر اخفى ما لم وعيت من زاده وحفظه شامل للعمل **حافظا لعهدك** اي متمسك ومداوم على ما عهدته عليه من الايمان بك والاخلاص في طاعتك وامتثال امرك ونهيك كما قال صلى الله عليه وسلم وانا على عهدك ووعدك ما استطعت **ماضيا** اي مجتهدا مستمرا على امضاء ما عهدته وانزلته مثل وما **على نفاذ امرك** بذال معجمة من نفذ كذا اذا امضاه وبلغ اقصاه **حتى اورى قبسا لقابس** لا اثر اقدح الزناد لخروج النار شررا يوقد منه والقبس ما يتناول من الشعلة قال تع او آتيكم بشهاب قبس والاقتباس طلبه ثم استعير ذلك لاظهار الحق وما يهدي به الناس وفي المثل ما كل قادح زنده يوري اخلم بر صلى الله عليه وسلم مجاهرا قائما على الحق حتى اظهره ابلج منيرا فاهتدى بنوره من كان في ظلمات الجهالة وقوله لقابس اي لقابل طالب نور الحق والهداية التي هي من الا الله بالمد جمع الى وفيه لغات ومعناها النعم الالهية والسعادة في الدارين بواسطته صلى الله عليه وسلم **تصل باهله اسبابه** الجملة صفة قبس اي ذلك القبس سبب موصل لمن طلبه من اهله الذين اهلهم الله له ووفقهم لقبوله ونور بصائرهم بانواره والسبب معناه الحبل ثم صار بمعنى كل واسطة موصلة **به** اي بذلك القبس الذي اوراه فراه من راه وقيل الضمير له صلى الله عليه وسلم **هديت القلوب** الضالة عن طريق الحق في ظلمة الجهل **بعد خوضات الفتن والاثم** جمع خوضة بمعجمتين وهي المرة من الخوض وهو الدخول في الماء ويستعار للشروع والدخول في كل امر يذم والاثم الذنب والفتن جمع فتنة وهي ما يفتتن به المرء وتطلق على الكفر وبه فسر قوله والفتنة اشد من القتل وهو المراد هنا بعد كفرهم وارتكابهم الاثام **وابهج موضحات الاعلام** وقع في النسخ هنا اختلاف فسقط من اكثرها لفظ ابهج موضحات بفتح الضاد اسم مفعول لهديت بنزع الخافض اي الى موضحات الاعلام او هو حال من القلوب والاعلام جمع علم بمعنى علامة وقيل انه جمع علامة ولا وجه له ويجوز رفعه على انه خبر مبتدا مقدر وهو ضمير القلوب اي هي ظاهرة ادلة هدايتها وجوز فيه كسر الضاد جمع موضحة اسم فاعل من الايضاح وهو الكشف اي صارت القلوب بما رزقت من الهداية منشورات الاعلام او ناشرة لها فالعلم بمعنى اللواء استعارة لما ذكر ومن اثبت

ابهج بناض فهو بالنون من النهج بمعنى اوضح وبين وسهل كما ذكر ابن القوطية كما في بعض الشروح وفي بعضها ابهج بالباء الموحدة من البهجة اي انار واشرق وهذا ساقط من خط المصنف رحمه الله كما قاله التلمساني **ونايرات الاحكام** جمع نايرة اسم فاعل من النور والضياء من نار لازم بمعنى ظهر واتضح والاحكام احكام الشريعة من الحلال والحرام وغيرهما وفي القاموس نار نورا وانار واستنار ونور وتنور انتهى **ومنيرات الاسلام** من انار المتعدي والاسلام بمعنى الدين او الاستسلام والانقياد لامر الله فان قلت على النسخة المشهورة الساقط منها لفظ ابهج فالمعنى ظاهر لان ما له الى انه هديت به القلوب للادلة الدالة على ما امرهم الله له من احكام الشريعة الظاهرة ولما يظهر الاسلام ويؤيده من نصرة الاسلام باليد واللسان واما على النسخة الاخرى التي فيها ابهج بمعناه ففيه تحصيل الحاصل لان مالها اظهار الظاهر والمظهر قلت على هذه الرواية انه ظاهر في نفسه لمن له بصيرة ونفس قدسية واظهاره بالنسبة لغيرهم او اظهاره اشاعته وانتشاره الى ان يصل الى اقصى الارض فقد بين له الجبابرة والملوك **فهو** صلى الله عليه وسلم **امينك** ارتضيته لحفظ اسرارك او خلقته حفيظا عليما كما اشار اليه بقوله **وخازن علمك المخزون** في خزائن ملكوتك وكنوز عرشك حتى انزلته وائتمنته عليه دون غيره وامرته بايصاله لمن يليق له الاطلاع عليه **وشهيدك** فعيل بمعنى فاعل صيغة مبالغة وارتضاه للشهادة على الانبيا واممهم اي تصديقهم على تبليغهم لهم كما قال الله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا كما تقدم **يوم الدين** اي القيامة والجزاء بما يعلمه الله تع **وبعيثك** فعيل بمعنى مفعول مبعوثك بمعنى ورسولك الذي بعثته وارسلته لتبليغ اوامرك ونواهيك **نعمة** مفعول لاجله اي بعثته ليكون نعمة ورحمة للعالمين **ورسولك** الذي ارسلته للناس كافة خاتما للنبوة والرسالة **بالحق** متعلق برسول اي ارسلته به بالدين الحق الثابت في نفس الامر **رحمة** عامة لجميع خلقك وهو منصوب مفعول له ايضا فهو رحمة في الدنيا والاخرة لمن آمن به وفي الدعا لمن آمن وكفر بحقن دمه وصيانة ما له وقد يحصل لبعضهم رحمة في الاخرة بتخفيف عذابه ايضا وقد يفرق بين النعمة والرحمة هنا بان يقال النعمة ما حصل به من الخير والبركة ليمنه والرحمة هداية من سببه التي كانت سببا لخلوصهم من الكفر والضلال لئلا يكون تكرارا **وافسح له في عدنك** الفسحة التوسعة وعدن بسكون الدال اسم للجنة ومعناها دار الاقامة والخلود من عدن بمعنى اقام وهو اسم للجنة مطلقا ولها اسما اخر وتكون اسما لجنة مخصوصة ايضا عرفها المراد بالدعا له بالفسحة طلب بهجة مقامه وزيادة حسنه وشرف منزله لان سعة المنزل امر مستحسن ولذا قالوا احسن المنازل ما سافر فيه النظر والافسحة الجنة معلوم قيل روي عدلك اي معدلتك وجزايك له بما يليق به **واجزه مضاعفات الخير من فضلك** المعنى اعطه من انعامك وفضلك ما تضاعفه له من الخيرات الاخروية ما لا عين رأت ولا اذن سمعت وهو ظاهر الا انه قد اختلف في ضبطه بعد الاتفاق على انه بهمزة وجيم وزاي معجمة فقيل انه بهمزة وصل وجيم ساكنة من الجزا فانه ثلاثي وقيل انه بهمزة قطع مفتوحة وجيم مكسورة وزاي ساكنة من الجايزة وهي العطية ثم وقال السخاوي في القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع انه بفتح الهمزة

وجيم ساكنة وزاي مكسورة من الجزا كما ضبط في نسخ بعض الشفا والصواب كما وجد في
بعض الاصول المعتمدة وصل الهمزة لان فعل ثلاثي كما قال الله تعالى وجزاهم بما صبروا الاية
اقول ان صحت الرواية بما ذكر اولا فتوجيهه انه من الاجزا بمعنى الكفاية ابدلت
همزته الاخيرة ثم عومل معاملة المعتل كما هو والمعنى اكفه عمن سواك لما كلفته من العنا
باعباء رسالتك والضعف المثل فما زاد وليس بمحصور كما حققه اهل اللغة وقوله من
فضلك اشارة الى اذ الصواب ان الثواب تفضل من الله لانه لا يجب عليه شيء خلافا للمعتزلة
كما بينه المتكلمون مهناة له صلى الله عليه وسلم جمع مهناه بتشديد النون والهمزة اسم
مفعول من الهنى وهو السائغ وكل ما اتى من غير تنغيص وتعب وهو حال من مضاعفات
غير مكدرات اي منغصات وهو حال ايضا او صفة لمهنات موكدة مرفوزة بفاء وزاي
معجمة عند الاكثر وهو الظعن بمثل البغية وقيل انه براء مهملة بمعنى سريع عاجل كما قيل
امهنو البر عاجله مستعار من فارت القدر اذا غلت ثوابك الثواب العطا في مقابلة
عمل المحلول بحاء مهملة اسم مفعول من حل المكان وبه وفيه اذا نزل اي الكائن في الجنة او
الذي او صلته له فضلا صفة حالة فيه وقيل بمعناه المستوجب بفتح الجيم اي الذي استوجبه
واستحقه من حل اذا وجب وهو بعيد متكلف وجزيلا اي كثيرا عظيما عطايك اي
احسانك وانعامك المعلول اي المضاعف من العلل وهو الشرب مرة بعد اخرى وبقا
النهل وهو الشرب مرة قال كعب (ح) كانه منهل بالراح معلول
فشبه عطاه بمنهل عذب يرده العطاش كلما نزل مرارا فهو استعارة والمراد انه كثير لا
ينقطع اللهم اعل بقطع الهمزة على بنا الناس بموحدة ونون اي اجعله عاليا رفيعا اي
اجعل مقامه في الجنة فوق كل مقام او اجعل مقداره ارفع من كل مقدار وذاته اشرف
من جميع الذوات لان الذوات بناء الله كما ورد في الحديث وصح في بعض النسخ ثنا الناس
وثناه بمثلثة اي اجعل مدحه والثنا عليه فوق ما يثني به الناس عليه فانهم لا يقدرون
على اداته حق الادا واكرم مثواه اليك وفي نسخة لديك اي اجعل مقامه عندك
كريما اي حسنا مرضيا من ثوى المكان اذا اقام به ونزله بضم النون وسكون الزاي
ويجوز ضمها وهو القرى المعد للضيف اذا نزل والمراد به ثوابه واجره وحسن استعماله
هنا ذكره بعد المثوى وهو المنزل فانه كرم على كرم واتم له نوره اي اجعل النور الذي
اودعته فيه تاما كاملا فيكون في ساير جهاته وحواسه وقلبه كما ورد في دعائه
عليه الصلاة والسلام اللهم اجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا وفي
ساير جهاتي نورا واجزه فيه ما تقدم من الضبط قريبا من ابتعاثك افتعال من
البعث بموحدة ومثلثة اي بعثك له بالنبوة والرسالة فقوله له متعلق به والبيت
اللام تعليلية متعلقة باجزه كما قيل اي كافئه على ما قام به من امور الرسالة مقبول
الشهادة اي شهادته في المحشر للانبيا عليهم الصلاة والسلام وعلى الامم مرضي المقالة
اي ما يقوله ثمة من الشهادة والشفاعة فلا يسخط ولا يرد له قول ذا منطق عدل
مصدر ميمي بمعنى النطق وعدل بمعنى معتدل مستقيم وهو حال ايضا والمراد به ما
يقوله بعد الشفاعة من حمده تعالى بمحامد لا تضاهى وخطة فصل بتقدير مضاف
اي وذا خطة وهي بضم الخا المعجمة وتشديد الطا المهملة وهي الامر والشان والفضل

الجزل الفاصل بين الحق والباطل يوم القيمة وبرهان عظيم اي دليل نبوته وبيانه
القوي القاطع من معجزاته الباهرة وقد ذكر هذا صاحب القاموس في كتابه المسمى بالصلات
والبشر في الصلاة على خير البشر بما فيه من الزيادات واختلاف الروايات وحسبك من
القلادة ما احاط بالجيد وعنه اي عن علي كرم الله وجهه ايضا في كيفية الصلاة على
النبي صلى الله عليه وسلم الله صلى عليه فقال ان الله وملايكته يصلون على النبي الاية
اي وتلا الاية الى اخرها مرة بدليل الى اخرها لتنفع صلاته بعدها امتثالا للامر في قوله
عقبه لبيك اللهم وسعديك اي اجابة بعد اجابة واسعادا بعد اسعاد في طاعتك
وامتثال اوامرك والتثنية فيهما لمجرد التكرار وعاملهما محذوف وجوبا كما فصل في النحو
صلوات الله البر الرحيم اي المنعم المتفضل بانواع البر والرحمة ومعنى البر العطوف
اللطيف بعباده وهو من اسمائه تعالى ولم يسم بار لان البر ابلغ منه وصلوات الملايكة
المقربين كجبرئيل واسرافيل وخصهم لشرفهم والنبيين والصديقين اي المبالغين
في الصدق والاخلاص من اشراف المومنين الصالحين والشهداء والصالحين لكل خير
القايمين من غير تقصير بحقوق الله وحقوق عباده والشهدا جمع شهيد فعيل بمعنى فاعل
او مفعول وهو من قتل مجاهدا في سبيل الله لاعلاء كلمته تعالى ومن الحق بهم كالمطعون
والغريق ونحوهما سمي به لان الله وملايكته ورسله يشهدون له بالجنة او لانه حي فكانه
شاهد حاضر او لان ملايكة الرحمة تشهده او لقيامه بشهادة الحق او لشهوده ما اعد له
من الكرامة حين قتل ما سبح لك من شيء ما مصدرية ومن زائدة وهو للتابيد اي
صلوات هولاء دائمة مستمرة مدة تسبيح الاشيا لك وان من شيء الا يسبح بحمده وهذا على ما
وقع بدون واو في قوله ما سبح الى اخره وفي نسخة وما سبح فما موصولة معطوفة على الاسم
ومن بيانية اي وصلوات الله وصلوات كل شيء سبحك يا رب العالمين اي جميع المخلوقات
فهو شامل للعقلاء وغيرهم تغليبا كما حقق في كتب التفسير على محمد بن عبد الله متعلق بمقدر
خبر لصلوات الله خاتم النبيين اي اخرهم بعثة وسيد المرسلين اي افضلهم واشرفهم
واضافة خاتم للنبيين متابعة لما في القران وسيد المرسلين تفننا واطلاق السيد
عليه ثابت بالاحاديث كقوله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم ولا فخر واما قوله
لا تسموني سيدا فماول بلا تصفوني بسيادة كسيادتكم او هو تواضع منه وورد
اطلاقه على الله تعالى ايضا بمعنى المالك كما فصلناه في غير هذا المحل وامام المتقين الذين
يقتدون به في العلم والعمل ورسول رب العالمين الى الخلق اجمعين الشاهد على الانبيا
وانهم بلغوا اممهم وعلى اممهم بما بلغوهم يوم القيمة كما قال تعالى وجينا بك على هولاء شهيدا
كما تقدم تحقيقه البشير للمومنين بسعادة الدارين الداعي اليك اي الذي دعا الخلق
الى طاعة الله وتوحيده باذنك اي بامرك له بدعوتهم او بتيسيرك وتسهيلك السراج
المنير شبهه بذلك لازالته ظلمة الكفر وتنويره لقلوب المومنين بنور هدايته وتوضيح
لطرق الحق والحقيقة ولان ذاته صلى الله عليه وسلم نور ولذا ورد انه لم يكن له ظل
وعليه السلام اي السلامة من كل وصمة ونقص وعن ابن مسعود كما رواه ابن ماجه
والبيهقي في كيفية اخرى للصلاة عليه اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك
المراد بجعلها انزالها عاداه بعلى فقال على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد

بالجر بدل مما قبله **عبدك ورسولك** تقدم وصفه بالعبودية لشرفها بالاختصاص وشرفها
وتقدمها **امام الخير** اي امام الاخيار او المقتدى به في كل خير **ورسول الرحمة** اي الذي
ارسله رحمة للعالمين وقد ورد في حديث مسلم انا نبي الرحمة **اللهم ابعثه مقاما محمودا**
يحمده فيه جميع الانبيا وساير الخلق وهو مقام الشفاعة العظمى وقد ورد تفسيره بهذا
ومقاما منصوب على الظرفية بابعثه بمعنى اقمه وفسر بعضهم البعث بالاحيا والتنكير
للتعظيم **يغبطه فيه الاولون والاخرون** اي يتمنون نيل مثله من غير زواله وهذا هو
الفرق بين الغبطة والحسد ولذا قيل ان الغبطة حسد غير مذموم وقد يراد بالغبطة لازمها
وهي المحبة والسرور بما رواه فقط وهو الاليق بمقام الرسل والكمل فان في تمني مقام غيره
الذي خصه الله به كانه يقول هلا ساويته في مقامه وفيه اعتراض خفي ولذا لما قيل له
صلى الله عليه وسلم هل يضر الغبط قال لا الا كما يضر العضاة الخبط فاشار الى انه قد يضر
ليس كضرر بمعنى الزوال فان الخبط يقع الورق دون الاغصان والساق فاعرفه فانه دقيق
اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد تقدم بيانه **وبارك
على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم وال ابراهيم انك حميد مجيد وكان الحسن البصري**
رحمه **يقول من اراد ان يشرب بالكاس الاوفى** اراد به انا فيه ماي وبه ويزيد من الوفا وهو
الكثرة وفي القاموس وفي واوفى تم وكثر فهو وفي ووافٍ وهو المراد ووروده الزبيدي في لحن العوام
بانهم يقولون درهم وافٍ اذا كان يزيد في وزنه وقال ابو بكر الوافي الذي لا زيادة فيه ولا نقص
وهو الذي وفى بزنته انتهى **من حوض المصطفى** الذي يسقى منه العطاش يوم القيمة وهل هو الكوثر
او غيره فيه ما فيه **فليقل اللهم صل على محمد وعلى اله واصحابه واولاده وازواجه وذريته
واهل بيته واصهاره وانصاره واشياعه** جمع شيعة وشيعة الرجل اتباعه والفرقة على
حدة ويقع على الواحد المذكور وغيره وغلب بعد ذلك على طايفة ادعت تفضيل علي كرم الله وجهه
على غيره **ومحبيه** المراد بهم من بلغت محبته منه محلا لا يصل اليه غيره بحيث يكون احب اليه
من نفسه واهله وماله **وامته** من عطف العام على الخاص ليشمل جميع الامة **وعلينا** يعني المتكلم
ومن يختص به **معهم اجمعين يا ارحم الراحمين** ولتعميمه في هذا الدعا وتفصيله تفصيلا تاما
كان جزا من صلى به ودعا له بهذا الدعا من جنس عمله بان يكون مشربه اوفى **وعن طاوس** هو الامام
ابو عبد الرحمن بن كيسان كما تقدم **عن ابن عباس** رضي الله عنهما **انه كان يقول اذا صلى عليه**
صلى الله عليه وسلم **اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى** يوم القيمة اذا قيل له صلى الله عليه وسلم
اشفع تشفع وقال الكبرى لان له صلى الله عليه وسلم شفاعات ثمة بلغها النووي رحمه الله
الله خمسا وقد تقدم ذكرها والمراد بها شفاعته لفصل القضاء لا لاخراج عصاة المومنين من
النار كما قيل فان قلت شفاعته صلى الله عليه وسلم مقبولة فما فايدة الدعا له صلى الله عليه
وسلم بهذا قلت هذا امرنا به تعبدا لنيل الثواب وان كان امرا محققا كما في قوله **وارفع
درجته العليا** ومرتبته في جنات النعيم والمراد بهذا كله تعظيمه صلى الله عليه وسلم **واته**
اي اعطه وانعم عليه **سؤله** فعول بمعنى مفعول كخبز بمعنى مخبوز اي مسؤوله ومطلوبه وما يحبه
ويبتغيه **في الاخرة والاولى** اي الدنيا سميت اولى لتقدمها على الاخرة ومطلوبه في الاخرة
درجات قربه ونجاة امته وفي الدنيا اعلاء كلمة الله ونصره ونصر امته وسعة ملكهم وان لا
يسلط عليهم اعداهم ولا يستاصلهم ولا يهلكهم بسنة عامة ونحو ما ورد في الحديث **كما اتيت**

اي اتباعه صح

ابراهيم

ابراهيم وموسى فان قلت الفضل مفقود لبيان الصلاة وليس في هذا ذكرها
قلت المراد بالصلاة الدعا له صلى الله عليه وسلم وهو دعا فيه تعظيم وثنا عليه بما يليق
وعن وهيب بالتصغير **ابن الورد** ويقال ابن ابي الورد المخزومي المكي الزاهد الثقة مولاهم
واسمه عبد الوهاب ووهيب لقبه وكنيته ابو عثمان روى عن عطا مرسلا وغيره وروى
عنه كثير واخرج له مسلم واصحاب السنن وله احاديث ومواعظ توفي سنة ثلاث وخمسين
وماية وفي بعض النسخ وهب مكبرا والمعروف الاول **انه كان يقول في دعايه له** صلى الله
عليه وسلم **اللهم اعط محمدا افضل ما سالك لنفسه** اي اجب دعاه بما احب لنفسه **واعط محمدا
افضل ما سالك له** اي لاجله **احد من خلقك** فاستجب دعاهم له **واعط محمدا افضل ما انت مسول
له الى يوم القيمة** تعميم بعد تخصيص **وعن ابن مسعود** رواه عنه ابن ماجه والبيهقي والديلمي
والدارقطني وتمام في فوائده **انه كان يقول اذا صليتم على النبي صلى الله عليه وسلم فاحسنوا
الصلاة عليه** اي افضلوا واحسنه وقوله **فانكم لا تدرون انه تبلغه ام لا لعل ذلك** الدعا
والصلاة **يعرض عليه** وتبلغه صلاتكم عليه فينبغي ان يتحرى الاحسن حتى يسره صلى الله عليه
وسلم ما يبلغه منه قيل لعل هنا للجزم فانه ورد انها تعرض عليه صلى الله عليه وسلم وسياتي
وسيل ابن حجر رحمه الله هل الافضل والاحسن في الصلاة عليه ان يقول صل على محمد او على
محمد بصيغة السيادة فاجاب بان اتباع الاثار الواردة ارجح لا يقال لعله تركه تواضعا
منه كما لم يكن يقول عند ذكر اسمه صلى الله عليه وسلم وهو مندوب لغيره لانا نقول لو كان كذلك جا
عن الصحابة والتابعين ولم يرو عنهم الا في حديث ضعيف في الشفا عن ابن مسعود وذكر
الشافعية انه لو حلف احد ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم افضل صلاة فبره بان يقول
اللهم صل على محمد كلما ذكره الذاكرون وسهى عن ذكره الغافلون وقال النووي رحمه الله افضل
ما في التشهد والحاصل انه لم يرد ذكر سيدنا عن احد من الصحابة ولو كان مندوبا ما خفي عليهم
والخير كله في الاتباع انتهى وهذا يقرب من مسالة اصولية وهي ان الادب احسن او الاتباع
والامتثال ورجح الثاني وقيل انه هو الادب كما مر وقوله **اللهم اجعل صلواتك ورحمتك
الى قوله انك حميد مجيد** تقدم بيانه بما يغني عن اعادته الا انه قيل انه بيان للحسن الذي
ذكره ابن مسعود وارشاد لما امر به من الاحسان في الصلاة عليه وانه الاحسن وقيل انه يحتمله
ويحتمل ان يكون تمثيلا للحسن منه وان كان فوقه ما هو احسن منه وانه هو الظاهر وفيه نظر
وما يوثر بالبنا للمجهول اي ينقل عنه صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين وما ثم
موصول مبتدا خبره كثير **من تطويل الصلاة وتكثير الثنا على اهل البيت وغيرهم** من الصحابة
وتفضيلهم كما مر **كثير** في الاثار المروية عن السلف حتى افرد بتاليف من احسنها القول البديع
للسخاوي **وقوله** في الحديث المتقدم في التشهد **والسلام كما علمتم** يعني في تشهد الصلاة
في قوله السلام عليك ايها النبي الخ وهو اشارة الى تفسير ما سبق في رواية مالك عن ابن مسعود
لما سالوه كيف نصلي عليك اخره الى هنا وهو اشارة الى ما علمهم من التشهد وعلمتم بالبنا للمجهول
وتشديد اللام او بالبنا للفاعل وتخفيف اللام كما تقدم والمعنى ظاهر وهما متلازمان لانهم اذا
علموا علموا لكن ما بعده يقتضي الاول اعني قوله **هو ما علمهم في التشهد من قوله صلى الله
عليه وسلم السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد
الله الصالحين** تقدم تفسيره **وفي تشهد علي** رضي الله عنه والتشهد روي عن الصحابة

من طرق كثيرة اسنادها وهنا لم نر من رواه عن علي السلام على نبي الله السلام على انبياء
الله ورسله قدمه لبيان شرفه وتفضيله عليهم السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم
قيل اخر وصفه بالرسالة اشارة الى انه اخر رسالته بحسب الزمان لانه مسك الختام السلام
على محمد بن عبد الله كرر السلام عليه باسمه ونسبه تاكيدا السلام علينا وعلى المومنين والمومنات
من غاب منهم ومن شهد اي حضر اللهم اغفر لمحمد سياتي بيان الدعاء له صلى الله عليه وسلم
بالمغفرة وتقبل شفاعته واغفر لاهل بيته واغفر لي ولوالدي بالتثنية مضافا لياء
المتكلم وما ولدا زاده ليشمل اقاربه المسلمين وحواشي نسبه الا ان فيه اشكالا لان عليا
كرم الله وجهه هو الذي قاله فكيف يدعو لوالديه وامه فاطمة بنت اسد بن هاشم بن عبد مناف
وهي اول هاشمية ولدت هاشميا اسلمت وتوفيت بالمدينة وكفنها رسول الله صلى الله عليه وسلم
في قميصه واضطجع في قبرها وقال جزاك الله من ام خيرا لانها ربته صلى الله عليه وسلم واحسنت
صنيعها معه كما ذكره الطبري في الرياض النضرة وانما اضطجع صلى الله عليه وسلم في قبرها
ليخفف عنها ضغطة القبر كما صرح به في الحديث وابوه ابو طالب توفي كافرا وادعى بعض
الشيعة انه اسلم لا اصل له وقيل نهي عن الاستغفار للمشركين كما في الاية الكريمة واجيب
عنه باجوبة فقيل انه تغليب لامه ولا وجه له وقيل المراد بابويه ادم وحوى ولا يخفى بعده
وقيل المراد تعليم من يدعو من المومنين ان يقوله وهو اقربها وما قيل انه سهو من الناسخ زاده
فيه الغاء وانما هو ولدي يعني الحسن والحسين واولادهما ليس بشي وكذا ان كان من كلامه صلى
الله عليه وسلم او هو بناء على اسلام ابويه على ما ارتضاه السهيلي وسياتي بيانه وارحمهما
فيه ما تقدم السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليك ايها النبي ورحمة
الله وبركاته تقدم بيانه جاء في هذا الحديث عن غاية الدعاء له بالغفران وهو
المغفرة وهي كما قال الراغب الباس الشي ما يصونه فهي من الله صون عبده عن مس العذاب
والدعاء له صلى الله عليه وسلم من امته لا ينبغي لايهامه القصور كالدعاء واما قول الله تعالى
له ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ودعاوه لنفسه بالمغفرة لا يقاس عليه
وفي حديث الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عنه ايضا اي عن علي مثله قبل بالبناء
على الضم اي تقدم من طريق الحاكم الدعاء له صلى الله عليه وسلم بالرحمة وانما يدعى
بالصلاة والبركة اقتصارا على ما ورد في حقه وان كان معناها الرحمة لكنها رحمة خاصة
مشعرة بنوع تعظيم ولم يات في غيره اي في غير هذا الحديث من الاحاديث المرفوعة
المعروفة المنسوبة اليه صلى الله عليه وسلم وهو بيان لغيره وقد ذهب ابو عمرو بن
عبد البر الامام الجليل القدر كما تقدم وغيره من علماء المالكية والحديث الى انه لا يدعى
للنبي صلى الله عليه وسلم بالرحمة فهو مكروه عندهم لايهامه التقصير وانما يدعى له
بالصلاة اي بهذا اللفظ الماموربه في القرآن والبركة التي تختص به بمعنى التي بمعنى
الدوام والثبوت على التشريف والتكريم بكثرة الخيرات الالهية وفيض المواهب
اللدنية ويدعى لغيره من المومنين بالرحمة والمغفرة لانه غير معصوم ولا يخلو من تقصير
فهو محتاج لمغفرة الله ورحمته اشد لا كالرسول المعصوم الذي غفر الله له ما تقدم وما
تاخر والمراد غيره صلى الله عليه وسلم من امته لا الانبيا فان من الادب ان لا يدعى لهم
بذلك ايضا وكذلك الصحابة ينبغي ان يقال فيهم رضي الله عنهم ولا يرد على هذا ان الصلاة

معناها

معناها الرحمة فانه لا يلزم من كون لفظ بمعنى لفظ انه يستعمل في محله مع انه غير
مسلم فان الصلاة فيها معنى التعظيم ولو كانت مطلق الرحمة لزم استعمالها في حق غيره
وليس كذلك وقد ذكر الامام محمد ابن ابي زيد في مذهب مالك صاحب الرسالة المشهورة
كما تقدم في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في تشهد الصلاة اللهم ارحم محمدا
وآل محمد كما ترحمت على ابراهيم وال ابراهيم ورده بقوله ولم يات هذا في حديث صحيح وحجته
وجواز الدعاء له بالرحمة الذي منعه غيره قوله صلى الله عليه وسلم فيما روي عنه في
السلام المروي في التشهد السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته فاطلاق
الرحمة عليه هنا يدل على جواز الدعاء له صلى الله عليه وسلم بالرحمة اذ لا فرق بينهما وقال
الرافعي في الشرح الكبير من الناس من زاد وارحم محمدا كما رحمت على ابراهيم وربما يقولون
وترحمت على ابراهيم بالتاء ولم يرد في خبر وهو غير فصيح فانه لا يقال ترحمت عليه وانما
يقال رحمته وفي الترحم تكلف لا يحسن اطلاقه على الله وقال الاسنوي فيه اقوال
وقد اسقطها النووي في الروضة وقال الرافعي انه لا يقال ترحمت عليه غير مستقيم فان
الصغاني قال يقال ترحمت عليه وقال الغزالي لا يجوز ترحم بالتاء وهو مراد الرافعي
بقوله انه لا يحسن وقال النووي انه بدعة وبالغ ابن العربي في انكاره وتخطئة ابن ابي
زيد وفي الاذكار ما قاله بعض اصحابنا وابن ابي زيد من استحباب زيادة وارحم محمدا
وآل محمد بدعة لا اصل لها وقد جهل ابن العربي في شرح الترمذي قايله لانه ليس في
التشهد الذي علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابة فالزيادة استدراك وقال
بعضهم انكاره غلط لان الحاكم رواه في مستدركه باسانيد صحيحة عن ابن مسعود وكذا رواه
الذهبي وقد قال الشافعي في رسالته وهو رد لما قاله معلوم كما قاله البرهان الحلبي
في حواشيه **اقول** محصل ما قالوه باسرهم انهم اختلفوا في جواز الدعاء له صلى
الله عليه وسلم بالرحمة والمغفرة وفي وروده في الحديث والذي صححه اكثر الفقهاء والحفاظ
ثبوته وجوازه ومنشا الخلاف ان الرحمة والمغفرة تقتضي قصورا وذنبا حماه الله منه
واعطاه براة منه اذ قال له صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر
وسوى بينهما ايماء الى ان المتقدم كالمتاخر في عدم الوقوع ولذا قيل المراد بذنبه ذنب
امته فينبغي ان يقال بجوازه مقرونا بغيره غير منفرد تعبدا او طلبا للثواب والمغفور
له ليس ذنبا كذنوبنا بل امور تقتضيها الجبلة البشرية وتاباها العادة الملكية من الاشتغال
الدنيوية وان كانت مباحة او لازمة لمقامه صلى الله عليه وسلم ولذا قال انه ليغان
على قلبي فاستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة وسياتي تحقيقه ان شاء الله تعالى

فصل في فضيلة الصلاة عليه

صلى الله عليه وسلم اي ثوابها وفوايدها لمن قالها والتسليم عليه اي قول السلام عليك
ايها النبي ونحوه والدعاء له الماثور نحو اللهم آته الوسيلة والدرجة العالية الرفيعة
والمراد تعظيمه صلى الله عليه وسلم واظهار محبته بطلب بغيته فليس من تحصيل الحاصل
ولا لاحتياجه له صلى الله عليه وسلم وقدم المصنف حديثا مشتملا على كا به رواه النساي
ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما حدثنا احمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه قال وامن روى

عند المصنف من مشايخه واسمه احمد بن محمد عدة ناس منهم احمد بن محمد بن عبد الله بن عبد
الرحمن بن عثمان بن غلبون الخولاني واحمد بن محمد بن عبد العزيز اللخمي وهو
ابن الوضي ابو جعفر واحمد بن محمد بن عبد الله الشارفي والمراد الاول لانه اشهر مشايخه
وكان عليه ان يذكر ما يعينه فكانه اعتمد على شهرته **قال حدثنا القاضي يونس بن مغيث**
تقدمت ترجمته **قال حدثنا ابو بكر بن معاوية** بن الاحمر الاندلسي وهو محمد بن معاوية
بن عبد الرحمن ابن معاوية بن اسحاق بن عبد الله بن هشام بن عبد الملك بن مروان ابو بكر
القرطبي الامام الثقة الجليل رحل الى المشرق سنة خمس وتسعين ومايتين وسمع
من النساي وغيره ودخل الهند تاجرا وتوفي سنة ثمان وخمسين وثلثمايه **قال حدثنا
النساي** امام الحديث وصاحب السنن المشهورة واسمه احمد بن شعيب كما تقدم بيانه
قال حدثنا وفي نسخة اخبرنا **سويد بن نصر** ابو الفضل المروزي المعروف بالشاه الامام
روى عن ابن المبارك وغيره واخرج له اصحاب السنن وتوفي سنة اربعين ومايتين
قال اخبرنا عبد الله عن حيوة بن شريح هو ابو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح
التميمي مولاهم المروزي شيخ خراسان وابوه تركي تاجر وامه خوارزمية ولد سنة ثمان
وعشر ومايه وتوفي سنة احدى وثمانين ومايه وقبره بهيت يزار واخرج له الستة
كما تقدم وحيوة بن شريح تقدمت ترجمته وما فيه **قال اخبرني كعب بن علقمة** بن كعب
بن عدي التنوخي المصري التابعي الثقة توفي سنة ثلاثين ومايه واخرج له اصحاب
السنن وفي بعض النسخ كعب عن علقمة وهو سهو وقد تقدم هذا الحديث **انه سمع عبد
الرحمن بن جبير مولى نافع** الامام الجليل الثقة اخرج له اصحاب السنن وتوفي سنة
سبع وتسعين **انه سمع عبد الله بن عمرو** الصحابي المشهور رضي الله عنه **يقول اذا سمعتم
المؤذن وهو يؤذن** للصلاة او غيرها **فقولوا مثل ما يقول** من تكبير وتشهد وصلاة م
وحيعلة تصديقا وهو سنة معروفة وقيل انه واجب وتقدم بسط الكلام فيه **وصلوا علي**
وفي مسلم ثم صلوا علي والمعنى واحد وقد علمت انه احد المواطن التي تستحب فيها الصلاة
عليه كما تقدم وانه يقرن فيها الصلاة بالسلام فانه الافضل وكذا في الاقامة كما ذكره بعضهم
كما تقدم **فانه من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا** فان الحسنة بعشر امثالها وكون الله
عز وجل يصلي عليه فيه من الرحمة له واعلاء قدره ما لا يخفى وقال يقول بالمضارع اشارة
الى انه يقوله من غير تاخير بعد الاذان وظاهره انه يتابعه في الحيعلتين وهو قول فيه
وفي قول معتمد انه يقول عندهما لا حول ولا قوة الا بالله اي لا قدرة للعبد على طاعته
التي دعي لها الا بتوفيقه وكان ابن جبير يقول سمعنا واطعنا ولا يرفع المجيب صوته في
الاجابة لان التشبيه ليس من كل الوجوه **ثم سلوا الله لي الوسيلة** بان يقول اللهم رب
هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة ات محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه المقام المحمود
الذي وعدته فان من قال ذلك حلت له شفاعتي يوم القيمة والوسيلة لغة ما يتقرب به
الى كبير وفسرت في الحديث بقوله **فانها منزلة في الجنة** من اعلى منازلها وقد يرد هذا
لمعناها اللغوي فانها تقربه الى الله **لا تنبغي لاحد من عباد الله** اي لا تليق لكل احد
فانها اعلى المنازل فلا تليق الا باقرب البشر **وانا ارجو ان اكون انا هو** عبر بالرجا وان
كان الله تعالى اعطى له ذلك لوعده من لا يخلف الميعاد تواضعا منه وتفويضا لامره فيما

الا لعبد

يستنقل

يستنقل الى الله وتعليما لامته وارشادا لهم لان يكونوا بين الخوف والرجاء دايما لا سيما
في امور الاخرة وقد فسرت الوسيلة ايضا بالشفاعة العظمى وجمع بينهما بان صاحب تلك
المنزلة هو صاحب الشفاعة العظمى ايضا وانا تاكيد لاسم كان المستتر وهو خبرها ووضع مو
اياه استعير ضمير الرفع لضمير النصب وتقدم ان ذلك خلاف الظاهر وقيل ضمير مستتر وانا
هو مبتدا وخبر والجملة خبر اكون وما قيل من ان هو وضع موضع اسم الاشارة اي ان اكون
ذلك العبد كما في قول روبة

فيها خطوط من سواد وبلق • كانه في الجلد توليع البهق

لا وجه له فان مثله انما ذكروه في وضع الضمير المفرد موضع غيره لا في وضع المرفوع موضع
غيره كما ذكره النحاة **فمن سال لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي** اي استحقت ووجبت
له من فضل الله من حل بمعنى نزل وفي البخاري حلت له وهما بمعنى والشفاعة هنا مطلقة فان
كان مذنبا خلصته شفاعته صلى الله عليه وسلم من العذاب والا شفع له باعلاء درجته
او بادخاله الجنة من غير حساب وفي شرح مسلم للمصنف ان هذا مختص بمن قاله مخلصا قاصدا
بذلك تعظيمه صلى الله عليه وسلم لا لمجرد الثواب وقال ابن حجر انه تحكم غير مرضي ولو اخرج
الغافل كان اشبه وقد مر الكلام على ذلك كله وفيه الحث على الدعا في اوقات الصلاة لانه
محل الاجابة كما قالوه **وروى انس بن مالك** كما في شعب الايمان للبيهقي **ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال من صلى علي صلاة** واحدة في وقت ما **صلى الله عليه عشر صلوات**
اي رحمه الله رحمة مضاعفة معظمة لا تشابه غيرها لان اضافتها الى الله اضافة تعظيم
وتشريف وان كان كل من جاء بحسنة له عشر امثالها **وحط عنه عشر خطيات** اي ان
كان ارتكب خطيئة **ورفع له عشر درجات** باعلاء مقاماته في جنة النعيم وعلو منزلته بقر
من الله **وفي رواية** اخرى رواها ابو يعلى **وكتب له عشر حسنات** فان الصلاة عليه
حسنة وكل حسنة بعشر امثالها والزيادة هنا باسناد ذلك الى الله تع وانه فعل ذلك
بنفسه ولو تولاه بملايكة الكتبة فيدل على انها اعظم من ساير الحسنات وصلاة الله كما علمت
رحمته رحمة خاصة فهي على حقيقتها من غير مشاكلة كما قيل **وعن انس** ابن مالك انه روى
عنه صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابن ابي شيبة في مسنده انه قال ان جبريل عليه
الصلاة والسلام ناداني اي قال لي ويحتمل انه راه في الافق فناداه بصوت عال قال
فيه له من صلى ويويد الاول قوله في بعض النسخ **فقال من صلى عليك صلاة** باخلاص
يتضمن تعظيمك **صلى الله عليه عشرا ورفعه عشر درجات** فوق مقامه الذي يستحقه
وصلاة الله على من صلى عليه ثابتة في عدة احاديث كثيرة مسندة صحيحة وفي بعض الروا
زيادة على العشر والا فلا ينفي الاكثر **وفي رواية عبد الرحمن بن عوف** التي رواها الحا
والبيهقي وصححاه **عنه** صلى الله عليه وسلم انه قال **لقيت جبريل فقال لي ابشرك**
اي اخبرك بما يسرك سرورا عظيما يظهر في وجهك وبشرك وهو اصل معناه **ان الله**
اي بان الله **يقول من سلم عليك** اي قال السلام عليك ايها النبي ايها النبي اعيا لك
بالسلامة من كل نقص وسوء وملقيا اليك عنان تسليمه **سلمت عليه** اي سلمته من كل نقص
وحفته عنايتي وعبر بهذا مشاكلة **ومن صلى عليك صلى الله عليه** ليس في هذه الروا
عدد ولا غيره فهي محمولة على ما مر والحديث صحيح روي من طرق وسببه ان عبد الرحمن بن عوف

ضع
اسمها صح
به
يات
كم
يه

كان يلازم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخدمه ليلاً ونهاراً فاتبعه ليلة وقد خرج
من منزله فدخل حائطاً وسجد سجوداً طويلاً حتى ظن ان الله قبض روحه فبكى فقال له رسول الله
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لك فاخبره بما خطر بباله فقال له جاءني جبريل واخبرني
بان الله يقول لي من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه فسجدت شكراً لله
وهو حديث صحيح المتن والسند وقال الحاكم لا اعلم في سجدة الشكر اصح منه والاحاديث
في فضل الصلاة كثيرة لا تحصى **ونحوه** اي مثل هذا الحديث لفظاً ومعنى **من رواية ابي**
هريرة ومالك بن اوس بن الحدثان بفتح الحاء والدال المهملتين ومثلثة والف ونون
علم منقول من المصدر ومالك هذا هوازني مخضرم ادرك الجاهلية والاسلام واخرج له
الستة واختلف فيه هل هو صحابي رأى النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه احاديث
مرفوعة او تابعي روايته مرسلة والاصح عند الذهبي وغيره انه تابعي وتوفي في سنة
اثنين وتسعين وهو هنا روى عن عمر بن الخطاب انه صلى الله عليه وسلم خرج يتبرز فلم
يجد من يتبعه ففزع عمر واتبعه بمطهرة فوجده ساجداً في سربة فتنحى عنه حتى رفع راسه
فقال له احسنت يا عمر لتنحيه عنه تادباً قال له ان جبريل اتاني فقال من صلى عليك
واحدة صلى الله عليه عشراً ورفعه عشر درجات اخرجه البخاري في الادب **وعبيد الله**
بن ابي طلحة الانصاري وهو بالتصغير وفي نسخة عبد الله مكبراً وقال البرهان وهو
الاصح بل الصواب وهو عبد الله بن ابي طلحة زيد بن سهل الانصاري اخو انس لامه ووالد
اسحاق واخوته وهو صحابي له رؤية توفي في زمن الوليد وحنكه رسول الله صلى الله عليه
وسلم وسماه وحديثه رواه احمد والحاكم وابن حبان والنسائي قال خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذات يوم والبشر يرى في وجهه فقال لما سئل عن سبب بشره جاءني جبريل فقال
اما يرضيك يا محمد انه لا يصلي عليك احد من امتك الا صليت عليه عشراً ولا يسلم عليك احد
من امتك الا سلمت عليه عشراً واخرجه ابن الجوزي في الوفا بزيادة ولا يكون لصلاته منتهى
دون العرش ولا تمر بملك الا قال صلوا على قائلها كما صلى على النبي صلى الله عليه وسلم **وعن زيد**
ابن الحباب بضم الحاء المهملة وموحدتين بينهما الف **قال سمعت النبي صلى الله عليه**
وسلم يقول ظاهره انه صحابي سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في سائر النسخ وهو
كما قالوا وهم او سهو او سقط من الكاتب فان ابن الحباب ليس بصحابي ولا تابعي واين هو
واين رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وان صحت روايته وقيل انه لم يكن به باس ورحل
في طلب الحديث الى الاندلس مع فقره وله ترجمة في الميزان وكان المصنف لما اراد كتابة الحديث
سقط اول سنده ولذا قال يحيى بن علي القرشي المحدث انه وهم ظاهر فانه ليس بتابعي ولا من
اتباعهم وانما روى عن مالك وامثاله وليس له نظير في اسمه واسم ابيه من الصحابة وهذا
الحديث رواه ابن الحباب عن ابن لهيعة عن بكر بن سوادة عن زياد بن نعيم عن ابي شريح
الحضرمي عن رويفع بن ثابت الصحابي عنه صلى الله عليه وسلم فهو معضل او مرسل كما قيل
وابن الحباب توفي سنة ثلاث ومائتين وقيل انما حذف سنده لضعفه وهو اعتذار اعظم
من الذنب فانه تدليس معضل ايضاً لان المعضل اذا قال سمعت يكون كذاباً فالصواب انه
وهم وجواب الشمني عنه بان المصنف اسقط ما على زيد لانه لا غرض له في ذكر رواته لا وجه
له وانما يصح لو لم يقل سمعت وزيد هذا هو ابو الحسن الحافظ الخراساني والذي يخطر بالبال

ان قوله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس من قول زيد وانما هو قول ابي
هريرة وهو المقصود بالرواية وما بعده متابعة له وبيان لكثرة طرقه وهذا غاية ما
يمكن في توجيهه لحسن الظن به وليس ببعيد الا ان نظر لزيادة قوله وعن من قال في
صلاته على رسول الله صلى الله عليه وسلم **اللهم صل على محمد وانزله في المنزل**
المقرب بصيغة المفعول ويجوز كسر رائه **يوم القيمة** هو على ظاهره او المراد في
الاخرة والقرب منه رفعة معنوية المراد منه تعظيم الثواب وفيض المواهب الربانية
لا قرب مكاني لان الله منزه عنه **وجبت له شفاعتي** اي ثبتت وتحققت بلا تردد لان
الله لا يجب عليه شيء عندنا **وروى ابن مسعود** في حديث صحيح رواه الترمذي وابن حبان [margin: ن]
وفي نسخة وعن ابن مسعود **اولى الناس بي يوم القيمة** اي احقهم بشفاعتي وعنايتي
واقربهم مني منزلة **اكثرهم صلاة علي** لان ذلك يدل على محبته والمرء مع من احب **وعن**
ابي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب كتبه من تاليف ورسالة [margin: ورساله هـ]
وغيره **لم تزل الملائكة تستغفر له** اي تدعو له بالمغفرة **ما بقي اسمي** اي مدة بقائه
مكتوباً **في ذلك الكتاب** والمراد التابيد كقوله تعالى ما دامت السموات والارض قال
الطبراني في الاوسط رواه ابو الشيخ في الثواب والمستغفري قال العراقي في تخريج
احاديث الاحياء وروي بسند فيه ضعف ومثله يعمل به في فضائل الاعمال وقال خاتمة
علماء المالكية الحطاب يحتمل ان المراد انه كتب الصلاة عليه في كتابه ويحتمل انه قرأ الصلاة [margin: ه]
عليه المكتوبة وهو اوسع وارجى والاول اظهر واقوى انتهى وتقدم نقله عن الشيخ زروق
قلت الاول هو المراد لان المعنى انه سن بذلك سنة حسنة لما كتبه وكان سبباً لقراءته
فله اجره واجر من قرأه اجراً غير مقطوع ولا ممنون **وعن عامر بن ربيعة سمعت النبي**
صلى الله عليه وسلم يقول من صلى علي صلت عليه الملائكة ما صلى علي فليقلل من
ذلك عبد او ليكثر العطف للتخيير والفاء فصيحة اي اذا عرفت بقاء هذا ودوامه
ونفعه لك فان شئت اكثرت من كتابته كما استفيد من الاول او التلفظ به كما استفيد
من هذا لتربح ربحاً كثيراً دائماً وان لم تشأ فاقتصر على قليل منه نافع لك وهذا في الحقيقة
حث له على الاكثار فان العاقل لا يترك الخير الكثير ما امكنه ولذا قيل التخيير بعد الاعلام
بما هو خير اكثر تحذير من التفريط في تحصيله قريب من التهديد وفيه من البلاغة ما لا يخفى
وعن ابي بن كعب في حديث رواه الترمذي وحسنه **كان رسول الله صلى الله عليه**
وسلم اذا ذهب ربع الليل اي الاول وكان فعل ماض لكنها تستعمل عرفاً للدوام نحو كان
الله غفوراً رحيماً كما ذكره ابن جني في الخصائص **قام** من نومه وانتبه بعد استراحته **فقال**
لمن عنده من زوجاته واهل بيته **يا ايها الناس اذكروا الله** بتحميده وتمجيده باسمائه
الحسنى ثم ذكرهم ووعظهم وقيامه لينتهجد وخص هذا الوقت لانه وقت غفلة بمقتضى
الطبيعة البشرية **جاءت الراجفة تتبعها الرادفة** والراجفة من الرجف وهي الحركة
بشدة والرعدة معها صوت واضطراب ولذا قيل للبحر رجاف وقد تظرف ابن نباتة المصري [margin: ي]
في وصف من حدثت له رعشة في كفه فقال

ما كان من رجاف كفك منكراً ... فالبحر من اسمائه الرجاف

والمراد بالراجفة ما يكون بين يدي الساعة من الفتن والهرج والزلازل

والرادفة من ردف بمعنى تبع والمراد الصيحة او النفخة والساعة او زلزلة الاخرى
والمراد اخبارهم بقرب الساعة واشراطها **جاء الموت بما فيه** من سكراته واهواله وهو
اقرب لكل احد من حبل الوريد والمراد حثهم على طاعة الله وايقاظهم من نومة الغفلة **فقال**
ابي بن كعب لما قاله صلى الله عليه وسلم **يا رسول الله اني اكثر الصلاة عليك** واشتغل
بها اوقاتي بعد اداء الفرايض ونحوها **فكم اجعل لك من صلاتي** اي مقدار الوقت الذي
اصلي عليك فيه **قال ما شئت** اي اي قدر تريده وتختاره لك **قال الربع** اي اصرف ربع
اوقاتي لها **قال ما شئت فان زدت** على الربع **فهو خير لك** نافع في الدنيا والاخرة **قال**
الثلث اي اصرف لها ثلث وقتي **قال ما شئت** اي يكفي هذا **وان زدت فهو خير** واحسن
لك **قال النصف قال ما شئت وان زدت فهو خير قال الثلثان قال ما شئت وان**
زدت فهو خير قال يا رسول الله اجعل صلاتي لك كلها قال اذا تكفى اي تغنيك
عما عداها لان فيها خير الدنيا والاخرة وزيادة الرزق ببركتها **ويغفر ذنبك** لانها مكفرة
لساير الذنوب اقول الصلاة في هذا الحديث بمعنى الدعا كما ذكره في كتاب الصلات
والبشر ومعناه انه في مواطن الدعا كعقب الصلاة ونحوها اذا اراد ان يدعو لنفسه هو
وله صلى الله عليه وسلم هل يزيد في دعايه لنفسه على الصلاة عليه او يسوي بينهما
او يزيد في الصلاة عليه او يجعل دعاه كله له ويترك دعاه لنفسه فانه اذا فعل ذلك
كفاه عن الدعا لنفسه فان الله يصلي عليه اضعاف صلاته فينال كل خير من الله من غير طلب
وهذا اولى واحب الى الله ورسوله اذا عرفت هذا فما قيل هنا من ان هذا الحديث يقتضي
ان الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم افضل من ساير العبادات لان الشارع اذا خص وقتا
بعبادة تكون فيه افضل من غيرها كما كان الركوع والسجود فانه افضل من غيرها وان
كان غيرها في نفسه افضل فالصلاة عليه لمن يريد الدعا افضل من قوله لا اله الا الله هو
وان ورد في الحديث افضل ما قلت انا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وقد سيل شيخ
الاسلام السراج البلقيني عن قراة القران وذكر الله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه
وسلم ايها افضل فاجاب بان كلا منها افضل في محله فالصلاة على النبي صلى
الله عليه وسلم افضل في وقت الدعا وهي في الصلاة واجبة افضل من غيرها فاذا جعل
الانسان دعاه كله صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فانه يكفي عما تمه وهي افضل من الا
وغيره من الدعا وهذا مما لا وجه له ولا حاجة بنا اليه فان الحديث كما علمت انما يدل على ان صلاته
على رسول الله صلى الله عليه وسلم تغني عن دعايه لنفسه ولا يقتضي انها افضل من
ساير العبادات ولا من قراة القران وغيرها كما لا يخفى وقد اطال هذا القايل من غير طايل
وتبعد عن المرام بمراحل ولبعض الشراح هنا كلام لا مناسبة له بهذا المقام وهذا الحديث
في المعنى كالحديث القدسي من شغله ذكري عن مسلتي اعطيته افضل ما اعطي السايلين
وعن ابي طلحة زيد بن سهل الصحابي وفي الصحابة ابو طلحة ايضا آخر وهو الذي نزل
فيه قوله تع ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة كما قاله الخطيب وقال البرهان
لا اعرف في الصحابة من اسمه ابو طلحة غير ابن سهل هذا وحديثه هذا اخرجه النسايي هو
دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فرايت في وجهه **من** آثار **بشره** اي مسرته
وانشراحه **وطلاقته ما لم اره قط فيه** لان دابه الخشوع والسكون والطلاقة مصدر بمعنى

الثالثة

البشاشة قال الراغب يقال هو طلق الوجه وطليق الوجه اذا لم يكن كالحا انتهى وهو في
الاصل من الاطلاق من الوثاق فاستعير للبشاشة والسرور **فسالته عن سبب ذلك**
فقال وما يمنعني من المسرة وانشراح الصدر **وقد خرج جبريل من عندي آنفا** اي
قريبا من مجيئك **فاتاني ببشارة من ربي** الظاهر ان فيه قلبا اي اتاني ببشارة ثم خرج
ومثله كثير في كلامهم والحديث صحيح اخرجه احمد واصحاب السنن **ان الله** بفتح الهمزة بدل
مما قبله وبكسرها والجملة مفسرة للبشارة وهي الخبر السار **بعثني** اي ارسلني اليك هو
ابشرك انه ليس احد من امتك يصلي عليك الا صلى الله عليه وملايكته بها اي بصلاته
التي صلاها **عشرا** وقد تقدم هذا وتفسيره **وعن جابر بن عبد الله** في حديث رواه البخاري
قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من قال حين يسمع النداء اي الاذان فمعمول بعده
اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القايمة اي الدايمة او التي تقوم لها الناس
فهو كعيشة راضية **آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته**
حلت له شفاعتي اي تحققت **يوم القيمة** وظاهره انه يقوله وهو يسمع الاذان من غير اجابة
وبه استدل الطحاوي على انه لا تتعين الاجابة او المراد انه يقول حين يسمع النداء بتمامه فيكون
بعد الاجابة والرواية تنكير مقاما حكاية لما في القران وهو منصوب مفعول آت والذي
بدل او عطف بيان وهو منصوب على الظرفية والذي مفعول وروى المقام المحمود بالتعريف
كما قال النووي ولا وجه لانكاره وقد تقدم بيانه **وعن سعد بن ابي وقاص** في حديث
صحيح رواه مسلم **من قال حين يسمع** اذان **المؤذن وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده**
لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا
غفر له اي جميع ذنوبه وذكره استطرادا لمناسبته لما قبله لانه ليس فيه شيء مما نحن فيه
من فضيلة الصلاة عليه وما قيل انه يعلم منه التزاما لان مجرد الرضا به اذا كان سببا
للمغفرة فكيف اذا قرن به الصلاة والسلام عليه بعيد جدا لانه ليس في الكلام ما يدل
عليه بوجه من الوجوه **وروى ابن وهب** هو الامام ابو محمد عبد الله الفهري كما تقدم **ان**
النبي صلى الله عليه وسلم قال من سلم علي عشرا اي قال السلام عليك يا رسول الله
عشر مرات **فكانما اعتق رقبة** اي عبدا وعبر بالجزء عن الكل اي كان ثوابه مثل ثواب ذلك
وفي بعض الاثار جمع اثر بمعنى الخبر الذي يوثر اي ينقل والمراد به هنا الحديث **ليردن**
علي اقوام لا اعرفهم اي ياتون على الحوض لا اعرفهم **الا بكثرة صلاتهم علي** وفي نسخة
تابدل لا يعني انه صلى الله عليه وسلم يرى في وجوههم نورا وعلامة من اثار الصلاة
عليه **وفي** حديث **آخر ان انجاكم** اي اسرعكم نجاة وخلاصا **يوم القيمة من اهوالها**
اي شدايدها ومخوفها **ومواطنها** الضمير للاهوال او للقيامة التي يخافونها **اكثركم**
علي صلاة يعني ان بركتها تسهل عليه شدايدها وهذا الحديث رواه الاصبهاني في ترغيبه
عن انس رضي الله عنه **وفيه** ايضا **عن ابي بكر الصديق** رضي الله عنه **الصلاة علي**
النبي صلى الله عليه وسلم امحق للذنوب اي اشد ابطالا واذهابا من محق الشي اذا ازاله
من الماء البارد للنار فانه اذا صب عليها اطفاها واذهب ضررها ففيه تشبيه
للصلاة بذلك **والسلام عليه** صلى الله عليه وسلم **افضل من عتق الرقاب** انما خص الثواب
بجعل ثوابه كثواب عتق الرقاب لان السلام فيه تسليم له من ساير النقايص ومن اعتق رقبة

اعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار فسلم مما يخشاه في الآخرة فلذا جعل الصلاة
عليه واجره كالاعتاق واجره وشبهه به دون الصلاة وهذه نكتة لطيفة لا تنافي
ما مر لان وجه الشبه قد يكون اقوى في المشبه وفي بعض الشروح هنا كلام تركه خير منه ثم

فصل في ذم من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم واثمه

لتركه الواجب عليه وذمه بترك الافضل في حقه ففيه اشارة الى انه قد يجب وقد
يندب كما مر ولهذا اخر هذا الفصل عما قبله وصدره بحديث مسند رواه مسلم والترمذي
كما دابه في كتابه هذا فقال حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله هو ابن
سكرة وقد تقدم مرارا قال حدثنا ابو الفضل بن خيرون هو احمد بن الحسن بن خيرون
البغدادي الحافظ الناقد وقد تقدم ايضا وابو الحسين الصيرفي كذا في النسخ والصواب
ابو الحسين بالتصغير وقد تقدمت ترجمته ايضا قالا حدثنا ابو يعلى هو احمد بن عبد
الواحد المعروف بزوج الحرة كما تقدم قال حدثنا السنجي تقدم بيانه وبيان نسبته
وضبطها قال حدثنا محمد بن محبوب تقدمت ترجمته قال حدثنا ابو عيسى محمد بن
عيسى بن سورة الترمذي المشهور وقد تقدم بيانه قال حدثنا احمد بن ابراهيم الدورقي
هو احمد بن ابراهيم البغدادي الحافظ والدورقي بفتح الدال والراء المهملتين بينهما
واو وبليها قاف وياء نسبة منسوب لبلد وهو في الاصل اسم اناء للماء كالجرة والنوع من
القلانس شبهه بالاواني لطولها ووهم من غلط المزي في قوله انه اسم بلد فانه سبقه
اليه الحاكم في كتاب الكنى والمعترض اعتمد على كتاب الرشاطي وقد رده البرهان الحلبي في
المقتفي والدورقي كان امام الحديث في عصره اخرج له الستة وغيرهم ولد في سنة ست واربعين
ومائتين قال حدثنا ربعي بن ابراهيم وهو ربعي بن مقسم الاسدي الثقة الحافظ توفي
سنة سبع وتسعين ومائة عن عبد الرحمن بن اسحاق بن عبد الله بن الحارث بن كنانة
القرشي العامري المدني ويقال له عباد بن اسحاق ووثقوه وضعفه بعضهم وله ترجمة في
الميزان عن سعيد بن ابي سعيد هو المقبري وقد تقدم عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل اي اذله الله واخزاه وحقيقته
الصق الله وجهه بالرغام وهو التراب فكنى به عما ذكر واضيف للانف لتقدمه ذكرت
عنده فلم يصل علي لان الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم تعظيم له وثواب لقائلها واعزاز
له باعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم فمن تركه مع سهولته عليه كان مستحقا للاهانة وهذا
الحديث اخرجه الترمذي وحسنه والحاكم وصححه ورغم انف رجل دخل رمضان اي جاء
زمانه والتعبير فيه بالدخول حقيقة عرفا اي في عرف اللغة ثم انسلخ اي تم ومضى واصل
السلخ نزع جلد الحيوان فاستعير لكل اخراج يقال سلخت درعها اي نزعته منه ومنه سلخ الشهر
قال تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار ومما قلته هو

ادهم الليل حين كان حرونا • سلخته يد الاهلة سلخا

قبل ان يغفر له اي ولم يغفر له وفي التعبير بالقبلية اشارة الى انه لكونه محل المغفرة
كانت كالموجودة فذهب قبلها ورغم انف رجل ادرك عنده ابواه الكبر اي ادركا الشيخوخة
وعمرا او هو صحبهما الا انه لم يبرهما ولم يعاملهما بما يرضيهما فلم يدخلاه الجنة لانه لو فعل ذلك

بهما اثابه الله وادخله الجنة فان الجنة تحت اقدام الوالدين كما ورد في الحديث
قال عبد الرحمن بن اسحاق الذي تقدم قريبا واظنه اي رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال او احدهما اي احد ابويه ويجوز عود الضمير لابي هريرة ففيه شك من الراوي
وسيأتي تتمة الكلام على هذا الحديث والجامع بين هذه ان في صوم رمضان رضي به وفي
وفي رضى الوالدين بر من هو سبب لوجوده وفي الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
رضى من هو سبب لبقائه في النعيم المخلد والصوم رضي للرب بامر ليس عليه فيه كلفة
كالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فقد احرم نفسه من فائدة عظيمة وبترك امر لا مشقة
فيه ورواه مسلم بثم بدل الفاء لاستبعاده ممن له عقل والفاء نظرا لكون ذلك واقعا عقبه
لان الفاء بمعنى ثم كما توهم وقيد من الوالدين بحال الكبر لانه حال العجز ورحمتهما والاسناد
في قوله يدخلاه اسناد مجازي للسبب وفي حديث اخر رواه الحاكم وصححه عن كعب بن
عجرة بطريق اطول من هذا ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر صعد بكسر العين في الماضي
وفتحها في المستقبل كما قاله البرهان الحلبي والمنبر بكسر الميم اسم آلة من نبر بمعنى ارتفع
لارتفاع الخطيب عليه فقال آمين اذا صعد درجة وآمين اسم فعل بمعنى استجب وقوله
آمين يقتضي انه سمع داعيا يدعو ولم يكن ثمة احد فلذا سالوه عن سبب قوله هذا كما سيأتي
ثم صعد درجة اخرى من درجات المنبر فقال آمين ثم صعد درجة فقال آمين فسأله
معاذ راوي الحديث عن ذلك اي عن قوله آمين ثلاثا وما سببه فقال مجيبا للسائل
عن سؤاله ان جبريل اتاني لما صعدت وروي انه اتاه قبله فقال يا محمد وروي انه
قال له لبيك وسعديك من سميت بالبناء للمجهول وتاء الخطاب المفتوحة نائب الفاعل
اي ذكر اسمك بين يديه اي عنده وهو حاضر يسمع فلم يصل عليك فمات تاركا للصلاة
عليك والتعقيب عرفي كتزوج فولد له ودخل النار عقوبة له على ترك الصلاة وقد
قدمنا انه يقتضي وجوبها كلما سمع اسمه والجواب عنه فابعده الله عن رحمته ونعيم جنته
وقال له جبريل قل آمين طلب منه التامين على دعائه ليستجاب وفيه تعظيم له لا يخفى
فقلت آمين امتثالا لامره الذي بلغه عن ربه قال ابن حجر في الزواجر ولهذا الوعيد
بتكرير الدعاء عليه بالبعد والسحق وعد ابخل الناس عد واترك الصلاة عليه صلى الله عليه
وسلم عند ذكره من الكبائر بناء على وجوبها كلما سمع ذكره كما ذهب اليه طائفة من الحنفية
وغيرهم ويمكن حمله على من ترك الصلاة عليه لاشتغاله بلهو ولعب على وجه يشعر بالاستخفاف
بحقه صلى الله عليه وسلم فيكون الترك حينئذ كبيرة مفسقة فلا منافاة بين هذا وبين
القول بعدم الوجوب بالكلية وهذا امر مهم لم ار من نبه عليه انتهى وقال فيمن ادرك
رمضان وصومه فلم يقبل منه مبني للمجهول اي لم يقبله الله منه بان ابطل واحبط عمله
فمات مثل ذلك اي فدخل النار فابعده الله قل آمين فقلت آمين ومن ادرك ابويه
او احدهما فلم يبرهما اي لم يقم بواجب حقوقهما وما يستحقانه يقال بره بفتح عين الماضي
يبره بضمها لانه مضاعف متعد والمطرد فيه ذلك الا ان افعالا قليلة جاء فيها الضم
والكسر كما قاله ابن القوطية وغيره كما فصل في كتب التصريف فمات مثله بالنصب اي وذكر
مثله اي فدخل النار فابعده الله الخ وعدم قبول رمضان اما لانه لم يات به على وفق امر
الله له بان اخل به او اما لانه لم يخلص نيته فيه وهذا حديث صحيح من حديث صحيح رواه

الترمذي وصححه والبيهقي والنسائي عنه عليه الصلاة والسلام انه قال البخيل كل البخيل
الذي اذا ذكرت عنده فلم يصل علي وتعريف الطرفين يدل على الحصر اي لا بخيل الا هذا
والبخل الامساك عن بذل ما ينبغي شرعا او مروءة والشرع يقتضي ذلك لانه امرنا به وكذا
المروءة لانها تقتضي الثنا على من انعم واحسن واي منعم مثله صلى الله عليه وسلم فانه واسطة
لكل احد في جميع النعم التي وصل اليه والبخل بكلمة تنفع في الدنيا والاخرة بخل لا يضاهيه بخل
وفي الحديث روايات مختلفة فروي البخيل كل البخيل وفيه مبالغة لا تخفى وهو هنا استعارة
تبعية بتشبيه ترك الصلاة بترك الانفاق او مكنية وتخييلية بتشبيه الصلاة بالمال
الذي ينبغي انفاقه وعن جعفر الصادق بن محمد الباقر عن ابيه محمد الباقر وهو تابعي
فالحديث مرسل كما في شعب الايمان للبيهقي ورواه الطبراني في الكبير متصلا عن الحسين بن
علي عن جده رضي الله تعالى عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكرت عنده فلم يصل
علي اخطي به طريق الجنة اخطي بضم الهمزة وكسر الطا في اكثر النسخ مبني لما لم يسم فاعله وجوز
بناؤه للفاعل ايضا اي دخل النار لانه اخطي عن طريق الجنة فكانت طريقه الى النار لانه قد
اضله الله عن طريقها وهذا رواه جماعة من طرق متعددة وفي بعضها خطي وعن علي بن ابي
طالب رضي الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان البخيل كل البخيل
كل البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي وكل هنا صفة البخيل للمبالغة كانه جمع افراده كلها
ويجب حينئذ اضافته لظاهر مماثل الموصوف لفظا ومعنى كما هنا وكقوله

وان الذي حانت بفلج دماؤهم • هم القوم كل القوم يا ام خالد

وقد يضاف لما يماثله معنى فقط وهذا الحديث اخرج من طرق متعددة اخرجه النسائي
والبيهقي والبخاري في تاريخه وعن ابي هريرة رضي الله عنه رواه ابو داود والترمذي
وحسنه والحاكم وصححه قال ابو القاسم صلى الله عليه وسلم ايما قوم اي هنا للعموم وما
مزيدة اي كل قوم جلسوا مجلسا اي في مجلس ما ثم تفرقوا اي قاموا من مجلسهم قبل ان يذكروا
الله اي من غير ذكر له تعالى في مجلسهم او عند قيامهم وقبل ان يصلوا علي كانت عليهم
من الله ترة بكسر التاء المثناة وفتح الراء المهملة وهاء تانيث عوض من الفاء المحذوفة كعدة
وزنة وهي مرفوعة اسم كان وعليهم خبر مقدم وجوز نصبها على الخبرية واسم كان ضمير
مستتر راجع الى الخلة المفهومة مما قبله والترة لها معان الظلم والذنب والنقص والتبعة
وقد فسرت بالحسرة وهو اوفق بها لانه ورد في رواية كما سياتي وقوله ان شاء عذبهم
وان شاء غفر لهم يقتضي انه بمعنى الذنب والخطيئة فهو كالتفسير لما قبله والمعاني
كلها متقاربة وقيل انها بمعنى الحجة القائمة عليهم فهم في مشيئة الله تع ان شاء عذبهم
بترك الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وان شاء غفر لهم لانه الغفور الرحيم وهي في الاصل
النقص قال تع ولن يتركم اعمالكم ومعناها هنا التبعة كما في شرح السنة وفي غريب
المدونة ان بعض الفقهاء حرفه وقراه بالثاء المثلثة من الثار بالهمزة اي طلب الدم من
القاتل واين هو منه لفظا ومعنى اذا علمت هذا فليس لمن اراد القيام من مجلس ان يقول
لا اله الا الله وصلى الله على سيدنا رسول الله ليكون مكفرا لما في ذلك المجلس وعن
ابي هريرة رضي الله عنه في حديث رواه البيهقي في الشعب من نسي الصلاة علي
نسي بضم اوله وتشديد ثانيه مبني للمجهول وفي نسخة نسي مخففة مبني للفاعل

قف
على ان البخل بكلمة
بخل لا يضاهيه
بخل

على رسوله

طريق الجنة فقيه جعل الصلاة كانها دليل ترشده لطريق الجنة او من كونه يذكر بها
فقيه استعارة او النسيان بمعنى الترك مجازا من ذكر المقيد وارادة المطلق كقوله
الله تع نسوا الله فنسيهم وقوله وكذلك اليوم تنسى وعن قتادة عنه صلى الله عليه
وسلم في حديث رواه عبد الرزاق عن معمر والحديث مرسل يستدل به في الفضائل دون
الاحكام من الجفاء ان اذكر عند الرجل وفي نسخة رجل وفي اخرى احد فلا يصلي علي
الجفاء ترك الصلة والبر ويكون بمعنى غلظة الطبع ومنه قيل للاعراب اهل الجفاء
والجفاء يمد ويقصر والمراد بالرجل الجنس كاللئيم في قوله • ولقد امر على اللئيم يسبني •
وعن جابر رضي الله عنه في حديث رواه البيهقي عنه صلى الله عليه وسلم ما جلس
قوم مجلسا ثم تفرقوا على غير صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم الا تفرقوا عن
عن رايحة انتن افعل من النتن وهي الرائحة الخبيثة التي يكرهها كل طبع وتكون للحوم
المتغيرة بعد الموت وفعله نتن بالكسر والضم عند ابن القوطية فافعل من الثلاثي
على القياس او من انتن على مذهب سيبويه فما قيل ان صوابه اشد نتنا لا وجه له مع
انه يكفي لصحته وروده في كلام افصح الناس من ريح الجيفة الريح اما على ظاهره او
بمعنى الرائحة والجيفة في الاصل رمة الحيوان اذا انتفخت وتغيرت لانهم اتوا بامر
مذموم فشبه المعقول بالمحسوس وقيل انه لما صدر عنهم من الكلام المذموم شرعا
من غير مكفر له او هو تعبير من غير دليل وقيل انه ريحهم في الملا الاعلى او يوم القيمة يشمه
اهل الموقف وهو بعيد لا يلايمه السياق فالظاهر انه على التشبيه او المراد انه كذلك
في الدنيا وقد نقل عن بعض المشايخ انه كان يشم من اهل الغيبة رايحة خبيثة وهذا
الحديث رواه الطيالسي والبيهقي والنسائي والضيا في المختارة بسند صحيح الا انه
فيه ذكر الله مع الصلاة كما مر والمشبه به اما فرد من افراد الجيفة او شي غيرها اشد نتنا
منها وعن ابي سعيد الخدري في حديث رواه البيهقي وسعيد بن منصور وغيرهما من طرق
صحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجلس قوم مجلسا اي في مجلس يتحدثون
فيه ولا يصلون فيه على النبي صلى الله عليه وسلم في اثنائه او في آخره الا كان
ذلك المجلس حسرة عليهم اي ندامة وتاسفا على ما فاتهم فيه وان دخلوا الجنة لما
يرون من الثواب لمن صلى عليه والقوم جماعة الرجال خاصة كقوله

اقوم آل حصن ام نساء • ويطلق على ما يشملهم تغليبا وقيل انه عام لكل جماعة وهو
المناسب هنا وقد تقدم معنى حسرة وهي في الاصل بمعنى الانقطاع من حسرت الناقة
اذا انقطعت عن السير لكلال ويجوز في كان ان تكون تامة وناقصة وجعله نفس الحسرة
مبالغة كقوله وانه لحسرة على الكافرين او اسناد مجازي وحكى ابو عيسى الترمذي
امام الحديث وصاحب الجامع والشمائل وقد قدمنا ترجمته وشهرته تغني عن ذكره عن بعض
اهل العلم انه قال اذا صلى الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم مرة في المجلس اجزاء
بالهمزة عنه ما كان في ذلك المجلس اي كفت المرة عن تكريرها بتكرر ما ذكر اسمه
في ذلك المجلس فهو سنة كفاية او فرض كفاية بناء على الخلاف السابق وفي بعض الحوا
اختلفت الرواية فيه فعن صاحب المجتبى من الحنفية انه يتكرر الوجوب بتكرر ذكره
وقيل لا يتكرر كما لو تكررت ايات سجدة في مجلس فانه يكفي فيه سجدة واحدة وقيل المراد

بما كان في ذلك اللفظ ونحوه مما يحتاج للكفارة ويؤيده ما ورد في الحديث من صلى علي
مرة واحدة محى الله عنه ذنوب ثمانين سنة فيعلم منه ما ذكر بالطريق الاولى
تتمة ورد عنه صلى الله عليه وسلم ان من قال اذا قام من مجلسه سبحانك اللهم
وبحمدك واشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك غفر الله له ما كان في مجلسه
ذلك فاذا ضم الى ذلك الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم حاز فضلا عظيما
وكفر عنه ما صدر منه ومن اهل مجلسه واعلم انه قال في الخزانة انه صلى الله عليه وسلم
لا يجب عليه ان يصلي على نفسه انتهى قيل فاذا كان لا يجب عليه ذلك فهل كانت صلاته
صلى الله عليه وسلم عليه في صلاته بطريق الاستحباب او لم يكن يصلي على نفسه
فيها قيل لم يصرح به احد انتهى وفي فتاوى السبكي الحلبيات الصلاة عليه صلى الله
عليه وسلم واجبة بالاجماع وكونها ركنا من الصلاة مذهب الشافعي والظاهر ان النبي صلى
الله عليه وسلم مشارك لامته في هذا الحكم من كونها واجبة عليه في صلاته ركنا فيها فان نقل
اجماع انه لم يكن يجب على الامم المتقدمة ان يصلوا على انبيائهم فينبغي ان تعد من الخصائص
واما غير الانبيا فاقل من ان يتوهم مشاركتهم في الوجوب حتى يقتضي خصوصية وما
نقله الجرجاني من انها لا تجب على غيره استقلالا بالاجماع ان اريد في غير هذه الملة
ثبتت الخصوصية وان اريد انه لا يجب علينا في ملتنا ان يصلي على غيره استقلالا لا
فيفهم انه يجب بغير استقلال ولا نعرفه انتهى ۞

فصل في تخصيصه عليه الصلاة والسلام بتبليغ صلاة من صلى عليه من الانام

كسحاب مطلق او كل ذي روح او الجن او الانس خاصة ويقال آنام بالمد كساباط
وانيم كاسير وبيان بحديث رواه احمد وابو داود والبيهقي بسند حسن وهو قوله
حدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي قال حدثنا الحسين بن محمد ابو علي الغساني وقد
تقدما قال حدثنا ابو عمر الحافظ بن عبد المؤمن هو ابن عبد البر كما تقدم قال حدثنا
ابن داسه تقدمت ترجمته قال حدثنا ابو داود امام الحديث وصاحب السنن كما تقدم
قال حدثنا ابن عوف محمد بن عوف الطائي الحمصي راوي سنن ابي داود عنه توفي
سنة اثنين وسبعين ومائتين قال حدثنا المقرئ ابو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد القصير
المقرئ مولى عمر رضي الله عنه وهو ثقة اخرج له الستة وتوفي سنة ثلاث عشر ومائتين
كما تقدم قال حدثنا حيوة بن شريح كما تقدم قريبا عن ابي صخر حميد بن زياد الخراط قال
لا باس به وله ترجمة في الميزان عن يزيد بن عبد الله بن قسيط بالتصغير الليثي التابعي ۞
الثقة توفي سنة اثنين وعشرين ومائة واخرج له الستة وترجمته في الميزان عن
ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يسلم علي الا
رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام اي اجيبه وكلام المصنف في تبليغ الصلاة
له وهذا في تبليغ السلام ولذا قيل انه مخصوص بوقت الزيارة وان نوزع فيه فاما
ان يكون ذكره لمناسبته للصلاة او فهم منه ان المراد بالسلام قولهم الصلاة والسلام
عليك يا رسول الله وفيه دليل على انه صلى الله عليه وسلم حي حياة مستمرة لان الكون لا يخلو
من مسلم عليه في كل لحظة وقد ثبت بالاحاديث الصحيحة انه صلى الله عليه وسلم وسائر الانبيا

عليهم

عليهم الصلاة والسلام احياء حياة حقيقية كالشهدا وان كان حال البرزخ لا يقاس
على حال الدنيا وقد قال ابن العماد رحمه الله تعالى ان رد الروح يقتضي الموت وهو خلاف المقصد
وقد اجيب عنه باجوبة منها ما قاله صاحب القاموس في كتاب الصلاة والبشر ان
البيهقي قال معناه ان الله رد روحه الشريفة لاجل رد سلام من يسلم عليه واستمرت في
جسده وقال عبد الكافي السبكي شيخنا انه يحتمل انه رد معنوي بان يكون روحه مشتغلة
بشهود الحضرة الالهية والملأ الاعلى عن عالم الدنيا فاذا سلم عليه اقبلت روحه لهذا العالم لرد
السلام وقال السخاوي في كتابه القول البديع رد روحه يلزمه حياته ووفاته في اقل من
ساعة اذ الكون لا يخلو من مسلم عليه بل قد يتعدد في آن واحد كثيرا واجاب الفاكهاني
وبعضهم بان الروح هنا بمعنى النطق مجازا فكانه قال رد الله علي نطقي والنطق من لوازم
وجود الروح بالفعل او بالقوة فعبر بالملزوم عن الآخر ويؤيده ان الحياة مرتين
لا غير لقوله تعالى امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين وقيل انه على ظاهره بلا مشقة وقيل المراد
بالروح ملك وكل بابلاغه السلام وفيه نظر انتهى وفي رواية كما قاله السبكي يسلم علي عند
قبري فان ثبتت فهو مخصوص ولا يرد بالزائر اقول هذا جملة ما في الحديث
من القيل والقال وللنظر فيه مجال اما اولا فاستعارة رد الروح للنطق بعيدة وغير
معروفة ولا مألوفة وليس لها رونق يليق بالفصاحة النبوية ولو سلم لكان ركيكا
لان قوله حتى رد يأباه ولو قيل انه مجاز عن المسرة كان اقرب فانه يقال لمن سر عادت
له روحه ولضده راحت روحه ولولا خوف الاطالة اوردت له شواهد وهذا يكون جوابا
سادسا وجواب البيهقي خلاف الظاهر كما لا يخفى وكون المراد بالروح الملك يأباه الاضافة
لضميره الا ان يقال انه ملك كان ملازما له صلى الله عليه وسلم فاختص به على انه اقرب
الاجوبة وقد ورد في بعض الاحاديث وقال ابو داود بلغني ان ملكا موكلا بكل من صلى عليه
صلى الله عليه وسلم حتى يبلغه سلامه وقد ورد ايضا اطلاق الروح على الملك في القرآن
واذا خص هذا بالزوار هان امره وجملة رد الله علي روحي حالية ولا تلزمها قد اذا وقعت
بعد الا كما ذكره السهيلي وهو استثنا من اعم الاحوال وبالجملة فهذا الحديث لا يخلو من
الاشكال واقول الذي يظهر في تفسير الحديث من غير تكلف ان الانبيا والشهدا
احياء وحياة الانبيا اقوى ولذا لم تتسلط عليهم الارض فهم كالنائمين والنائم لا يسمع ولا
ينطق حتى ينتبه كما قال تعالى والتي لم تمت في منامها اي يرسلها فالمراد بالرد الارسال
الذي في الآية وحينئذ فمعناه انه اذا سمع السلام والصلاة بواسطة او بدونها تيقظ
ورد لان روحه تقبض قبض الممات ثم تنفخ وتعاد كموت الدنيا وحياتها لان روحه صلى الله
عليه وسلم مجردة نورانية وهذا لمن زاره وبعد عنه يبلغه الملك صلاته كما ذكر بعد
فلا اشكال اصلا الا لمن يتدبر وذكر ابو بكر بن ابي شيبة هو عبد الله بن محمد العبسي
الكوفي الحافظ الثقة صاحب التصانيف الجليلة اخرج له الائمة الستة وتوفي سنة
خمس وثلاثين ومائتين وترجمته مفصلة في الميزان عن ابي هريرة رضي الله عنه كما رواه
البيهقي وابو الشيخ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى عند قبري سمعته
ومن صلى علي نائيا اي بعيدا عني والنائي بالهمز البعيد بلغته بالبنا للمفعول اي بلغني
الملائكة صلاته وسلامه كما ورد مصرحا به في الحديث وفي بعضها ان الله ملكا معينا وقوله

٥

وعن ابن مسعود عقبة بن عمرو الانصاري وفي نسخة ابن مسعود وهو غلط ان لله
ملائكة سياحين في الارض يبلغوني عن امتي السلام يقتضي انهم جماعة كثيرة لا واحد
معين والسياحين جمع سياح صيغة مبالغة من السياحة وهي الطواف في الارض والدوران
فيها والذهاب الى البلاد البعيدة وكانت النصارى تفعله تعبدا فنهي عنه صلى الله عليه وسلم
بقوله لا سياحة في الاسلام لما فيه من ترك الجمعة والجماعة وهو مستعار من ساح الماء اذا
جرى على وجه الارض والملائكة اذا امروا بذلك لهذه الخدمة فهو عبادة لهم لانهم لا يفعلون
الا ما يومرون وقوله يبلغوني صفة لملائكة او جملة مستانفة استينافا بيانيا وليس
هذا الحديث موقوفا بل هو مرفوع رواه احمد والنسائي والبيهقي والدارمي وابن حبان
وابو نعيم في الحلية بسند صحيح ونحوه عن ابي هريرة اي بمعناه ما رواه في الترغيب عن
ابي هريرة وفي الحلية لابي نعيم والذي في الترغيب عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان لله عز وجل سيارة من الملائكة اذا مروا بحلق الذكر قال بعضهم
لبعض اقعدوا فاذا دعا القوم امنوا على دعائهم فاذا صلوا على صلوا معهم حتى يفرغوا
ثم يقول بعضهم لبعض طوبى لهؤلاء فانهم مغفور لهم وفي الحلية انه يبلغ صلاتهم ويكفوا امر
دنياهم واخراهم وعن ابن عمر رضي الله عنهما ولم يخرجوا هذا الحديث اكثروا من السلام على
نبيكم كل جمعة المراد به الصلاة والسلام عليه في يوم الجمعة وليلتها ويحتمل ان يريد السلام
وحده فانه اي السلام يؤتى به منكم في كل جمعة لانه يوم تعرض فيه الاعمال والصلاة فيه
فضل على غيره وفي رواية اخرى فان احدا لا يصلي علي في ذلك اليوم وليلته الا عرضت
على صلاته حين يفرغ منها قال السخاوي رحمه الله هذا الحديث لم اقف عليه وروى
البيهقي عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اقربكم مني يوم القيمة اكثركم على
صلاة في الدنيا ومن صلى علي يوم الجمعة وليلة الجمعة قضى الله له مائة حاجة وورد في
الاحاديث الحث عليها في يوم الجمعة وانه يوم مشهود والانبياء احياء في قبورهم فان قلت
ورد تبليغ الصلاة عليه له صلى الله عليه وسلم مطلقا في احاديث وفي بعضها مقيدا بيوم
الجمعة كما ياتي فما وجهه قلت يجوز ان يكون عرضها وتبليغها كل يوم من بعض الملائكة
وما في يوم الجمعة من آخرين او ذاك عرض لها فرادى وهذا جملة على وجه خاص او لتكتب في
صحف عنده كما وقع في بعض الروايات وعن الحسن بن علي بن ابي طالب في حديث رواه ابن
ابي شيبة والطبراني وابو يعلى بسند صحيح عنه صلى الله عليه وسلم حيثما كنتم فصلوا
علي فان صلاتكم تبلغني اي تبلغها الملائكة كما تقدم وحيث ان اتصلت بما فهي شرطية
وهي ظرف مكان وتاتي للزمان كما في قوله هم

حيثما تستقم يقدر لك الله نجاحا في غابر الازمان

وعن ابن عباس في حديث موقوف رواه البيهقي وابن راهويه ليس احد من امة محمد
صلى الله عليه وسلم يسلم او يصلي عليه الا بلغته بضم الباء وكسر اللام المشددة مبني للمجهول
اي بلغته الملائكة سلامه وصلاته وهذا يحتمل تعيين المصلي وعدمه فلذا اردفه بقوله
وذكر بعضهم ان العبد اذا صلى وسلم على النبي صلى الله عليه وسلم عرض عليه صلى
الله عليه وسلم صلاته واسمه واسم ابيه وعشيرته فيثبت عنده في صحيفة كما ورد في
حديث مرفوع وقيل المراد ببعضهم النميري عن حماد وياتي قريبا ما يؤيد صحة ما قاله اهـ

وعن الحسن بن علي اذا دخلت بتا الخطاب لغير معين المسجد تعريفه للجنس فان كل من
دخل مسجدا اي مسجد كان يستحب له ان يصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ذكره الخيضري
في كتاب العلم وقيل تعريفه للعهد والمراد به مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والظاهر
الموافق للرواية الاولى والذي حمله على هذا قوله فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتي عيدا فان بيته عند مسجده ولذا قيل
المراد ببيته قبره فانه في بيته دفن وياتي في رواية اخرى ولا تجعلوا قبري عيدا ام
الكلام عليها والعيد الموسم الذي يجتمع فيه وياؤه منقلبة عن الواو لانه سمي به لعوده في كل
عام وانما جمع على اعياد وقياسه الجمع على اعواد للفرق بينه وبين جمع عود ونهيه صلى
الله عليه وسلم عما كان يفعله اليهود والنصارى عند قبور انبيائهم من الزينة واللهو
والطرب وقيل النهي عن تعظيمها لما فيه من الفتنة بها حتى لا تتخذ وثنا يعبد وقيل
المراد لا تتخذوها كالعيد تزورونها في العام بل اكثروا من زيارتها ولا تتخذوا بيوتكم
قبورا اي لا تتركوا الصلاة والعبادة فيها فتكونوا فيها كانكم اموات ولذا قيل هم

فيا نائم الليل هنيته • فقبل الممات سكنت القبورا

وقيل المراد لا تدفنوا في القبور بل في الجبانة ولا يرد عليه انه صلى الله عليه وسلم
دفن ببيته لانه اتبع فيه سنة الانبياء كما ورد ما قبض نبي الا دفن حيث قبض فهو
مخصوص بهم وصلوا علي حيث كنتم اي في اي مكان فلا يحتاج لاتيان المسجد ولا القبر
الشريف حتى يسلم عليه وهذا دليل على ان المسجد في اول الحديث ليس المراد به مسجده صلى
الله عليه وسلم فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم اعاد حيث كنتم لئلا يتوهم ان الصلاة
انما تبلغه ممن كان عنده في مسجده الشريف او عند قبره الشريف وليس تاكيدا لما قبله
لافادته تعميما آخر لا يعلم مما قبله وهذا الحديث اخرجه الطبراني وابو يعلى وفي حديث
اوس بن اوس الصحابي الثقفي اكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة خصها لما فيها من
الفضل وهي يوم تشهده الملائكة وتعرض عليه صلاة من صلى عليه والصلاة فيه فضل
على غيرها ولما فيه من الصلة بيوم يزار فيه وهذا الحديث رواه ابو داود والنسائي واحمد
في مسنده والبيهقي وغيرهم وصححوه وخص يوم الجمعة لانه كما ورد في الحديث افضل
ايام الجمعة فيه خلق آدم عليه الصلاة والسلام وقبض روحه وفيه النفخة والصعقة
وحد اقل الكثرة من الصلاة عليه ثلثمائة وبضع عشرة كما في قوت القلوب قال السخاوي
لم اقف له على مستند فلعله تلقاه عن احد من الصالحين عرفه بتجارب او غيره او ورد انه
اقل ما يحصل به الكثرة فان صلاتكم معروضة علي تقدم بيانه قريبا وعن سليمان
بن سحيم بالتصغير وسين وحاء مهملتين وهو مولى آل العباس وقيل آل الحسين وهو
من علماء الحجاز المشهورين وحيث اطلق في النقل فهو المراد ولهم سليمان بن سحيم آخر لكنه لم
يشتهر النقل عنه وهو ثقة توفي في خلافة المنصور وهذا رواه عنه ابن ابي الدنيا والبيهقي
في حياة الانبياء رايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ومن رآه في المنام فقد رآه
حقا فان الشيطان لا يتمثل في صورته فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين ياتونك
فيسلمون عليك اذا زاروا مقامك بعد الانتقال اتفقه سلامهم اي اتسمعه وتفهمه
قال نعم وارد عليهم وفقه يفقه ورد من باب نصر وفرح ومعناه فهم وقوله وارد

عطف على قول السايل اتفقه ويسمى هذا عطف التلقين وقد فصل في شرح الكشاف في قوله تعالى قال ومن كفر فامتعه قليلا ويكون في الجمل والمفردات كما تقدم ونعم في الجواب عما سيل عنه وهو ظاهر • تنبيه اذا راى احد النبي في منامه وامره بامر هل يلزمه العمل بما قاله فيه تفصيل فان وافق الشرع فله نفسه العمل به ولا يلزمه امر غيره به وما عداه لا يلزمه العمل به لان الرويا لا يضبطها النايم ويحتمل التاويل وهذا هو الصحيح وفيه كلام ليس هذا محله **وعن ابن شهاب** هو الزهري كما تقدم وهذا رواه عنه النميري **بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال** وفي نسخة بلغنا ان رسول الله قال **اكثروا من الصلاة علي في الليلة الزهرا واليوم الازهر** يعني ليلة الجمعة ويومها ومعنى الازهر الابيض المستنير ولذا كان الازهر لا يطلق في وضع اللغة على غير اللون الابيض وان شاع بعد ذلك في مطلقه ونورها البركتهما وما في ذلك اليوم من العبادة التي خص بها وما فيه من ساعة الاجابة وغير ذلك مما ذكر في فضايله وهو عيد المومنين وتنزل فيه الملايكة كثيرا **فانهما** اي يوم الجمعة وليلتها **يؤديان عنكم** بضم المثناة التحتية وفتح الهمزة والدال المهملة المشددة اي يوصلان صلاتكم الي ويبلغانها الي والاسناد الى الزمان اسناد مجازي اي يودي الملايكة فيهما ذلك وكونهما يخلق لهما نطقا بذلك الادا خلاف الظاهر وان جاز الان التصريح بنحو تحمل الملك لذلك ياباه **وان الارض لا تاكل اجساد الانبيا** لانهم عليهم الصلاة والسلام احيا في قبورهم لا تبلى اجسادهم وهذا جواب عن سوال مقدر كانه يقول كيف يكون ذلك لمن مات واكلته الارض كما ورد مصرحا به في حديث اخر وان بكسر الهمزة والجملة حالية او بفتحها بتقدير وبلغنا ان الارض الخ وقيل انه بيان لخاصية اخرى والاول اولى **وما من مسلم** من مزيدة للتعميم اي كل مسلم **يصلي علي** وهو بعيد **الا حملها** اي صلاته وسلامه **ملك حتى يوديها** اي يوصلها **ويسميه الي حتى انه** بكسر الهمزة **يقول ان فلانا يقول لك كذا وكذا** فيذكر ما قاله بعينه بعد تعيينه باسمه واسم ابيه ومكانه وشهرته وكان من عادة السلف ايضا ان يرسلوا السلام له صلى الله عليه وسلم مع الزوار ايضا كما قيل ☼

الا ايها الغادي الى يثرب مهلا • لتحمل شوقا ما اطيق له حملا
تحمل رعاك الله مني تحية • وبلغ سلامي روح من طيبة حلا

فصل في الاختلاف

الواقع بين العلما **في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم** اي في جواز الصلاة على غيره من المومنين غير الانبيا كالصحابة ونحوهم **وساير الانبيا** اي بقيتهم غيره كابراهيم وموسى ونحوهم وساير بمعنى باقي كما تقدم والخلاف في ساير جواز الصلاة عليهم استقلالا لا بطريق التبعية له كالصلاة على اله وازواجه **قال القاضي ابو الفضل عياض وفقه الله تعالى عامة اهل العلم** اي جميعهم **متفقون على جواز الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم** من الانبيا والملايكة والمومنين ودعواه الاتفاق مطلقا ليس بمسلم وقد قال النووي في الاذكار اجمعوا على طلب الصلاة على نبينا صلى الله عليه وسلم وكذلك اجمع من يعتد به على استحبابها على ساير الانبيا والملايكة استقلالا واما على

غيرهم ابتدا

غيرهم ابتدا فالجمهور على انه لا يصلى عليهم واختلف في هذا المنع فقال بعض اصحابنا انه حرام والاكثر على انه مكروه كراهة تنزيه وذهب كثير الى انه خلاف الاولى وليس مكروها والصحيح الذي عليه الاكثرون كراهة تنزيه لانه شعار اهل البدع انتهى ملخصا ودعواه الاتفاق مخالفة لهذا المنقول وقال الجويني ان السلام مثل الصلاة فلا يقال علي عليه السلام اللهم الا ان يقال مراده بغير النبي بقية الانبيا الا انه تخصيص من غير دليل **وروي عن ابن عباس انه لا تجوز الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم** رواه البيهقي في الشعب وسعيد بن منصور في سننه والطبراني وابن ابي شيبة وعبد الرزاق ومراده بغيره بقية امته لقوله فيه ولكن يدعى للمسلمين والمسلمات بالاستغفار ولقوله **لا تنبغي الصلاة** من احد **على احد الا للنبيين** وهذا مفسر لما قبله **وقال سفيان** الثوري **يكره ان يصلى الا على نبي** وهو موافق لكلام ابن عباس ولما في الكراهة من معنى النهي عم وصح وقوع الاستثنا المفرغ بعده وهذه احدى الروايتين عن سفيان رواها عنه عبد الرزاق والبيهقي والاخرى تفرد بها البيهقي يكره ان يصلى على غير النبي صلى الله عليه وسلم **ووجدت بخط بعض شيوخ مذهب مالك انه لا يجوز ان يصلى على احد من الانبيا سوى محمد صلى الله عليه وسلم** فعلى هذا لا يصلى على غيره من الانبيا استقلالا وهو احد الروايتين عن الثوري كما تقدم **وهذا غير معروف من مذهبه** اي مذهب الامام مالك والدليل كونه غير معروف من مذهبه قوله **وقد قال الامام مالك في المبسوطة** اسم كتاب كالمدونة **ليحيى بن اسحاق** الذي روى المبسوطة عن مالك وهو يحيى بن اسحاق بن عبد الله بن اسحاق بن المهلب بن جعفر ويكنى ابا بكر وله بيت شريف بقرطبة **اكره الصلاة على غير الانبيا وما ينبغي لنا ان نتعدى ما امرنا به** فلا نتجاوزه لغيره لانه امر تعبدي لا يعقل معناه بالراي ويقتصر فيه على ما روي عنهم **وقال يحيى بن يحيى** الليثي عالم الاندلس وراوي الموطا عن مالك رحمه الله **لست اخذ بقوله** اي لا اتمسك بقول مالك ما ينبغي لنا ان نتعدى ما امرنا به من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فقط يعني قوله ان الله وملايكته يصلون على النبي الاية ومن عزا لمالك عدم الجواز حمل قوله ما ينبغي على عدم الجواز فعزاه له وهي تستعمل بهذا المعنى ووردت لغيره ايضا **ولا باس بالصلاة على الانبيا كلهم وعلى غيرهم** من الملايكة والمومنين **واحتج** يحيى بن يحيى لما قاله **بحديث ابن عمر** الاتي انه كان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ابي بكر تبعا **وبما جاء في حديث تعليم النبي صلى الله عليه وسلم** الصحابة **الصلاة عليه** كما مر **وفيه** اي في حديث تعليمه ايضا **وعلى ازواجه وعلى اله** فهذا ونحوه يدل على ان الصلاة على غير الانبيا جايزة الا ان هذا بطريق التبعية والخلاف في الصلاة على غيره استقلالا وحينئذ ما ذكر لا ينافي ما قاله مالك ولا يتجه ما قاله يحيى بن يحيى رحمه الله وفي بعض النسخ زيادة وهي **وقد وجدت معلقا** اي مكتوبا في بعض الكتب وقيل التعليق هنا ما اصطلح عليه المحدثون من ذكر حديث طوي سنده او بعضه وقوله وجدت من الوجادة وهي في اصطلاح المحدثين ان يجد حديثا بخط من يعرفه سوا عاصره ام لا فيرويه به **عن ابي عمران الفاسي** هو موسى بن عيسى الغفجومي بفتح الغين المعجمة وسكون المثلثة وجيم وواو وميم نسبة لقبيلة من البربر والفاسي

ميم

نسبة لفاس بلدة بالمغرب وقوله في القاموس انه بهمزة لا اصل له وابن عمران فقيه المغرب توفي سنة ثلاثين واربع مائة في ثالث شهر رمضان روي عن ابن عباس كراهة الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم نبينا او غيره قال ابو عمران وبه نقول اي نعتقده ونعمل به ولم تكن الصلاة على غير نبينا استقلالا تستعمل فيما مضى من عصر الصحابة فمن بعدهم وهو غير مسلم كما تقدم وقد روي عبد الرحمن وفي نسخة عبد الرزاق هو امام الحديث ابو بكر بن همام بن نافع الحميري وله تصانيف جليلة وروى عنه احمد وغيره وتوفي سنة احدى عشر ومايتين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا على انبيا الله ورسله فان الله بعثهم كما بعثني تعليلا للصلاة عليهم بانهم ساووه في اصل البعث فينبغي ان يصلى عليهم كما يصلى عليه وهذا الحديث رواه الطبراني والقاضي اسماعيل والتيمي في الترغيب وغيرهم بسند صحيح قالوا والاسانيد عن ابن عباس الواردة في منع الصلاة على غيره صلى الله عليه وسلم لينة اي ليست بقوية فلا تعارض ما روى عنه وعن غيره من طرق متعددة باسانيد صحيحة قوية وهذا اصطلاح المحدثين يقال فلان لين الحديث وسند لين اذا كان لا يصلح للاحتجاج به واللين غير الضعيف لكنه يقرب منه وقيل ان رجاله رجال الصحيح فليس بلين فتامله ثم رده بوجه اخر مقبول فقال والصلاة معناها التي وضعت له في لسان العرب اي في لغتهم واللسان اسم للجارحة التي هي آلة النطق تجوز به عما ذكر قال تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه بمعنى الترحم والدعا بالرحمة وذلك اي الدعا بالرحمة على الاطلاق اي يجوز مطلقا على نبينا صلى الله عليه وسلم وعلى غيره وليس قوله وذلك اشارة الى قول يحيى لا باس به على الانبيا وغيرهم كما قيل حتى يمنع منه حديث صحيح او اجماع لان الاصل ان كل لفظ وضع لمعنى يجوز اطلاقه على ما وجد فيه ذلك المعنى الا ان هذا غير مسلم فانه لم يوضع لمطلق الدعا بالرحمة بل هو مقيد بنوع من التعظيم يليق بمقام النبوة ثم انه اورد دليلا اقوى من هذا فقال وقد قال تعالى هو الذي يصلي عليكم وملايكته وفي هذه الاية دليل على انه يجوز الصلاة على كل مومن فضلا من الانبيا عليهم الصلاة والسلام لان سبب نزولها انه لما نزل عليه ان الله وملايكته يصلون على النبي قال الصحابة هذا لك يا رسول الله خاصة وليس لنا فيه شي فانزل الله هذه الاية وصلاة الله رحمته وصلاة الملايكة الدعا والاستغفار لساير المومنين وقال تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها الايه وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم فامره بالدعا لهم بلفظ الصلاة لمن ادى الصدقة فكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم صل على آل ابي اوفى كما ياتي وفي دعايه بذلك دليل على جوازه مطلقا وتطهيرهم بمغفرة ذنوبهم وسكنهم باطمينان قلوبهم وقال تعالى اوليك الاشارة لمن صبر عند المصيبة من المومنين عليهم صلوات من ربهم ورحمة وعطف الرحمة عطف تفسير وان قلنا انها اعم لانه يجوز التفسير بالاعم المقصود منه فلا يرد عليه ان العطف يقتضي المغايرة لان الصلاة رحمة مشتملة على تعظيم وتكريم وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان اللهم صل على آل ابي اوفى وهذا الحديث روي عن عبد الله بن ابي اوفى وتتمته كان اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على آل فلان فاتاه ابي اوفى بصدقته

فقال اللهم

فقال اللهم صل على آل ابي اوفى والصدقة هنا المراد بها الزكاة وان كانت عامة صل عليهم اجمعين وطهرهم وزك اموالهم التي بذلوا زكاتها واله اهله واتباعه وقيل المراد نفسه وذاته كما في قوله مزمارا من مزامير داود عليه الصلاة والسلام نظيره ما ذكره المصنف في تفسير آله صلى الله عليه وسلم وابو اوفى هو علقمة بن خالد بن الحارث الاسلمي الصحابي وهو اخر من الصحابة بالكوفة سنة سبع وثمانين وابنه صحابي ايضا شهد مع ابيه بيعة الرضوان وهذا الحديث من اقوى ما استدل به على جواز الصلاة على غير الانبيا استقلالا وفي حديث الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في التشهد وقد تقدم بيانه وبيان سنده وطرقه مفصلا اللهم صل على محمد وعلى ازواجه وذريته وهم نسله واولاده كما تقدم وفي حديث اخر روي في صلاة التشهد وعلى آل محمد وفسر الآل بقوله قيل آله اتباعه جمع تابع او تبيع وهو من يقفو اثره ويلحقه وخص عرفا بمن يخص من الاهل والخدم وقيل آله امته والمراد امة الاجابة وهم كل من آمن به وامة الدعوة اعم منهم وقيل هم الاتباع والرهط والعشيرة الرهط القبيلة مطلقا وهو في الاصل ما دون العشرة ثم والعشيرة بنو ابيه الادنون وقبيلته وقيل آل الرجل ولده اي نسله مطلقا وقيل قومه وقيل اهله الذين حرمت عليهم الصدقة لانها اوساخ الناس فلا تليق بهم وقد طهرهم الله وهم بنو هاشم والمطلب الذين لهم سهم من خمس الخمس بكمالهم وفي رواية انس سيل النبي صلى الله عليه وسلم من آل محمد فقال كل تقي وهذا حديث صحيح روي من طرق رواه الطبراني والديلمي وسنان وغيرهم وهذا معنى مجازي كقوله صلى الله عليه وسلم سلمان منا آل البيت لان الله طهر آل البيت ووعدهم بمغفرة ذنوبهم فاطلق على كل تقي اكرمه الله وغفر سيئاته وهذا معروف في لسانهم كما قيل

رب اخ لي لم تلده امي

ويجي على مذهب الحسن البصري رضي الله عنه والضمير المستتر في يجي للآل اي عنده ان الآل معناه الذات والنفس فيقال آل فلان بمعنى ذاته ان المراد بآل محمد الوارد في الصلاة محمد نفسه كما بيناه وغيره من النحاة واللغويين بجعله في مثله زايدا مقحما والزيادة في الاسما خلاف ما عهد من اسماتهم كلامهم وان امكن حمل كلامه عليه الا ان ابن حبيب نقل عن محمد بن سلام ان الحسن قال ذلك وروي عنه صلى الله عليه وسلم قال ارض يقال لها البصرة اقوم الارضين قبلة قارئها اقرأ الناس وعابدها اعبد الناس ومتصدقها اعظم الناس صدقة وتجارها اعظم الناس تجارة منها قرية يقال لها الابلة اربعة فراسخ تستشهد عند مسجدها تسعون الف شهيد من افضل الشهدا قلت وعلماوها في العربية اقوالهم مقدمة على غيرها لمدحه صلى الله عليه وسلم لها فانه كان يقول في صلاته على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل احمد يريد نفسه لانه كان لا يخل بضم اليا وكسر الخا المعجمة وتشديد اللام اي لا يترك والخلل ياتي بمعنى الترك والنقص بالفرض يعني به الصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم ويأتي بالنفل يعني به الصلاة على آله صلى الله عليه وسلم واعترض عليه بما تقدم من ان الصلاة عليه في التشهد ليست بفرض الا عند الشافعي وعنده انه سنة فيه ولم يوافقه غيره فيه لان الفرض الذي امر الله به في آية صلوا عليه وسلموا تسليما هو الصلاة على محمد نفسه لا على آله كما ذهب اليه الشافعي خلافا لقوله لحسن له تنافي السنن وذا الذي ذكره وشنع به عليه

والجواب عنه ان مراده بالغرض ما لابد منه لمن اراد الصلاة فانه يلزمه ان يذكره ولا
يتركه مقتصرا على غيره او نقول انه من مذهب الحسن وموافقه واحد لا اثنا في السند ونحوه
وهذا اي ذكر الآل وارادة الذات منه مثل قوله صلى الله عليه في حق ابي موسى الاشعري
لما سمعه يتلو القرآن بصوت حسن كما رواه الشيخان عنه لقد اوتي اي والله لقد آتى الله ابا
موسى مزمارا من مزامير آل داود يريد صلى الله عليه وسلم من مزامير داود نبي الله صلى
الله عليه وسلم قاله بمعنى نفسه كما في صلاة الحسن وقد تقدم بيانه والمزامير جمع مزمار بكسر
الميم وهو اسم آلة ويقال مزمور ايضا والزمر النفخ في المزمار والصوت الحسن بغير آلة
لان اصل معنى الزمر الغناء الحسن كما قال الشاعر

رنتا نان حنانان بينهما ۰ رجل احسن غناؤه زمر

اي حسن كما قاله الانباري في مزاميره بمعنى ترنماته لا انه كان له الآلة المعروفة والمنقول
انه له نفسه لا لآله وكان لحسن صوته اذا قرأ يتلو حينئذ الزبور واد عيمه تعكف له الطيور
والدواب حتى قيل ان الماء الجاري له وهو مبالغة في غاية حسنه واول هذا الحديث انه صلى
الله عليه وسلم مر هو وعائشة على بيت ابي موسى وهو يقرأ القرآن ليلة فوقفا يستمعان
له وكان من احسن الناس صوتا فلما اصبح صلى الله عليه وسلم اخبره باستماعه له وقال له لقد
اوتيت مزمارا من مزامير داود فقال لو علمت بذلك لحبرته تحبيرا اي لزدت في تحسين صوتي
به لاستماعك لي وفي حديث ابي حميد بالتصغير الساعدي وهو ابو عبد الرحمن بن عمرو
بن سعد الخزرجي كما تقدم الذي رواه في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في التشهد اللهم
صل على محمد وازواجه وذريته وهو يدل على جواز الصلاة على غير الانبيا لكن تبعا لهم
وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما انه اي ابن عمر كان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم
وعلى ابي بكر وعمر قاله مالك في الموطا من رواية يحيى بن يحيى الاندلسي عن مالك وانما
قيده بالاندلسي لان الموطا رواه عن مالك اثنان كل منهما يسمى يحيى بن يحيى احدهما يحيى
يحيى بن كثير الاندلسي الليثي مات سنة اربع وثلاثين ومايتين والآخر ابو زكريا يحيى
بن يحيى بن بكر بن عبد الرحمن التميمي النيسابوري توفي سنة ست وعشرين ومايتين وله
رواية في الصحيحين كما قاله السيوطي في مناقب مالك وتقدم ضبط الاندلسي بفتح الهمزة
والدال وضمهما والصحيح رواية غيره ويدعو لابي بكر وعمر رضي الله عنهما وروى
ابن وهب عن مالك بن انس كنا ندعو لاصحابنا بالغيب حال اي في حال غيبتهم
عنا وعدم حضورهم معنا فنقول في دعائنا لهم اللهم اجعل منك على فلان صلوات
قوم ابرار الذين يقومون بالليل للتهجد والعبادة ويصومون بالنهار ففي هذا
دليل على جواز الصلاة على غير الانبيا استقلالا وقوله الذين بدل من قوم مفسر له
قال القاضي والذي ذهب اليه المحققون واميل اليه اي ارجحه واعتقد صحته
والميل في الاجسام معروف وشاع في المحبة والمعتقد تجوزا به عما قلناه ما قاله مالك
بن انس امام اهل الحديث وسفيان الثوري رحمهما الله وروي عن ابن عباس واختاره
غير واحد اي كثير من الفقهاء والمتكلمين اي اهل علم الكلام لان منهم من ذكرها في
السمعيات كمسائل الامامة انه بفتح الهمزة بدل مما لا يصلى على غير الانبيا بانفراده
ولا عند ذكرهم اي عند ذكر الانبيا والصلاة عليهم فلا يصلى على غيرهم تبعا والصحيح

جوازه تبعا

جوازه تبعا وعود ضمير ذكره لغيره يأباه قوله بل هو اي المذكور وهو الصلاة اي
ذكر رعاية للخبر شيء تختص به الانبيا عليهم الصلاة والسلام لا يشاركهم فيه غيرهم
مطلقا وقيل لا يشاركهم في الانفراد به وفيه نظر توقيرا لهم وتعزيزا اي تعظيما وتبجيلا
بجعله شعارا لهم كما يختص الله تعالى عند ذكره بالتنزيه اراد به قوله سبحانه فان معناه
انزهه والانبيا عليهم الصلاة والسلام منزهون عن النقايص ولكن لا يجوز ان يقال
في حقهم ذلك والتقديس باطلاق قدس وقدوس ونحوه وهو بمعنى التطهير والتعظيم
المخصوص به عز وجل جلاله وعز وجل فتعريفه للعهد وليس المراد به هذه المادة لعدم
صحته ولا يشاركه فيه غيره اي لا يشارك الله فيما ذكر من التنزيه وما بعده غيره من
نبي وغيره كذلك يجب تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم وساير الانبيا بالصلاة
والتسليم اي بهما معا ولا يشارك مبني للفاعل او المفعول هنا فيه اي في ذكر الصلاة
والتسليم سواهم من غير الانبيا وفي نسخة ولا يشاركهم كما امر الله بقوله صلوا عليه
وسلموا تسليما وقوله بيان لما ذكر لا دليل لما ذكره لانه ليس في الصلاة على غيره
ولا منعها عما عداهم لان التخصيص بالذكر لا يفيده ثم بين كيفية الدعا لغيرهم فقال
ويذكر من سواهم اي من سوى الانبيا والرسل في الدعا لهم من الايمة اي ايمة الدين
او الخلفا وغيرهم من ساير العلماء والمومنين بالغفران والرضى فيقال غفر الله لهم
ورضي عنهم كما قال تعالى ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان
وقال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم
باحسان رضي الله عنهم فيدعى بذلك من المغفرة والرحمة والرضى لساير المومنين
والصحابة وقيل في الاستدلال بما ذكر نظر فان قوله رضي الله عنهم ليس دعا لهم بل
اخبار بان الله رضي عنهم واعد لهم جنات النعيم ولا يلزمه جواز الدعا به كما ان اخبار
الله بالصلاة على المومنين بمعنى رحمتهم لا يدل على جواز الصلاة عليهم وهو مردود بان
من رضي الله عنه يدعى له بزيادة رضوانه ولا مانع منه وقياسه على الصلاة قياس
مع الفارق وما قيل من انه لا يدعى للصحابة الا برضي الله عنهم فهو امر حسن للادب
وليس بلازم فلو قال رحمه الله وغفر له كان حسنا الا اذا اوهم وقوع ذنب ونحوه ومن لا
يعلم صحة نبوته كمريم ولقمان والخضر لا يصلى عليهم وقال النووي لا باس به والارجح
ان يقال رضي الله عنهم وقول امام الحرمين في الارشاد ومريم ليست نبية بالاجماع مردود
بذهاب بعضهم لنبوتها ورجحه ابن السيد وايضا فهو اي الصلاة عليهم امر لم يكن معروفا
في الصدر الاول اي عصر الصحابة ومن قرب منهم والفاء في جواب شرط مقدر اي
فان اردت دليلا اوضح مما ذكر فنقول لك آخره وفيه بحث سياتي في آخر هذا الفصل
كما قال ابو عمران هو موسى بن عيسى الفاسي فقيه القيروان كما تقدم قريبا وانما احدثه
الرافضة والشيعة في بعض الايمة المراد علي واولاده وفي نسخة في بعض ايمتهم
وهما طايفتان من اهل البدع والاهواء المخالفين لاهل السنة والرافضة قيل
انهم فرقة من الشيعة وكلاهما من اتفق على تفضيل علي كرم الله وجهه وان الخلافة حقه
وسموا رافضة من الرفض وهو الترك لانهم رفضوا زيد بن علي بن الحسين لما طلبوا منه
ان يتبرأ من الشيخين وان يقول امامتهما باطلة فابى وقال ان الخلافة فوضت لابي بكر

لمصلحة راوها من تسكين نائرة الفتنة وتطييب قلوب العامة فتركوه حتى صلى وقيل وليت الشيعة قوما اظهروا بغض علي كالنواصب واصل معنى الشيعة الجماعة مطلقا ثم خص بهؤلاء والذي اخترته هو لا انما هو الصلاة على علي وحده فترك ذلك لكونه شعارهم وطردوه في سائر الصحابة حسما لمادة المخالفة فسقط ما قيل ان الكلام في الصلاة على غير الانبيا مطلقا والشيعة انما يصلون على علي فقط فلا مناسبة لما هو بصدده والرافضة اسم جمع لرافضي والمتشيعة اسم جمع لمتشيع من تشيع اذا ادعى نفسه من الشيعة وفي نسخة الشيعة بدل المتشيعة **فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلاة** عليهم بانفرادهم وان لم يكونوا تبعا له صلى الله عليه وسلم **وساووهم بالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك** اي في قولهم في الدعا لكل واحد منهم صلى الله عليه وسلم لاعتقادهم عصمتهم وان الامامة العظمى لهم كالنبي صلى الله عليه وسلم فصلوا عليهم استقلالا كما صلوا عليه **وايضا** مما يدل على عدم الصلاة على غير الانبيا **فان التشبه باهل البدع** المراد بهم اصحاب المذاهب الباطلة **منهي عنه** شرعا **فتجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك** اي الصلاة على غيره صلى الله عليه وسلم وفيه ان ذلك غير واجب عند من لم يمنعه فتامله ثم اجاب عما ورد منه بقوله **وذكر الصلاة على الال والازواج مع النبي صلى الله عليه وسلم بحكم التبع** والكلام في ذكره مستقلا فلا يرد هذا نقضا عليه **والاضافة اليه** صلى الله عليه وسلم اي اذ كروا الصلاة عليهم بعد ذكر الصلاة عليه فتعظيمهم بذلك انما هو لكونهم من اتباعه صلى الله عليه وسلم فتعظيمهم تعظيم له في الحقيقة **لا على التخصيص** لهم بذلك **قالوا** اي جمهور العلما الذاهبين لمنع الصلاة على غيره بانفراده مجيبين عما استدل به من خالفهم **وصلاة النبي** صلى الله عليه وسلم **على من صلى عليه** بانفراده كقوله اللهم صل على آل ابي اوفى كما تقدم **مجراها مجرى الدعا** بضم الميم وفتحها فيهما والجري المشي السريع والمجرى محل الجري والاجرا وجوبه في مجراه جملة حالية ومن نوعه اي المقصود منه الدعا بالرحمة لهم والمواجهة لهم بالدعا لهم بان يرحمهم تعطفا عليهم وجبرا لقلوبهم فهي كالسلام يقال تحية لكل احد بالمواجهة ولا يقال فلان عليه السلام دون مواجهة لانه في المواجهة يقصد به مجرد معناه الحقيقي وفي ذكره في الغيبة زيادة توقير لا يليق لكل احد كما قال **وليس فيها** اي في المواجهة **معنى التعظيم والتوقير** الذي في الغيبة فانه من خصائص مقام النبوة وهذا مما دل عليه الاستعمال وعرف التخاطب به ويدرك بالذوق ومن لم يذق لم يعرف **وقالوا** تاييدا لما ذكر من الفرق بين المواجهة وغيرها بقوله **وقد قال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا** فالدعا وقوله بينكم خصه بالمواجهة فلا تنادونه باسمه كما ينادي بعضكم بعضا ونحوه فلا يقال يا محمد بل يا رسول الله ونحوه فاذا كان له صلى الله عليه وسلم شان يخصه فيما يطلق عليه مواجهة ليس لغيره فكذا الدعا له بغير مواجهة ينبغي ان يكون بغاية التعظيم والتوقير فسقط ما قيل من انه ليس في الاية مناسبة لمقصوده وما هو بسببه **فكذلك** اي مثل ما يجب له في الدعاء مواجهة **يجب ان يكون الدعا له** في غير حال المواجهة **مخالفا لدعاء الناس بعضهم لبعض** فلذا خص بالصلاة عليه النبي قصدا للتوقير وغاية التعظيم **وهذا** اي اختصاصه بالصلاة استقلالا وفي نسخة وهو اختيار الامام ابي المظفر الاسفرايني من شيوخنا اي من كبار علماء اهل السنة بقرينة

مقابلة الرافضة واسفراين بلدة بخراسان معروفة وابو المظفر كنيته طاهر بن احمد وهو الملقب بشاه كما تقدم **وبه قال الامام ابو عمر بن عبد البر** رحمه الله وتقدمت ترجمته واعلم ان التصلية والتسليم على نبينا صلى الله عليه وسلم مطلوبة امرنا بالتعبد بها فهي واجبة له على اختلاف محل الوجوب كما تقدم والصلاة على غيره من الانبيا ايضا استقلالا لا مستحبة وما نقل عن مالك من انها منهي عنها مخالف للقول الصحيح وقال القرطبي انه مجمع عليه والصلاة على غير الانبيا تبعا لنبينا صلى الله عليه وسلم مستحبة ايضا كما في التشهد فلا عبرة بمن خالف فيه ايضا فلم يبق محل الخلاف غير الصلاة على غير الانبيا بانفرادهم فالصحيح انه مكروه وان كراهته كراهة تنزيه لا تحريم لانه اختص به صلى الله عليه وسلم كما اختص عز وجل بالله ثم فلا يقال محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا هذا هو الصحيح فلا يعتد بخلافه وقد قيل ان السلام مثل الصلاة مخصوص بالانبيا ايضا فلا يقال على غيرهم عليه السلام كما صرح به الفقها فهو مكروه تنزيها والله اعلم

فصل في حكم زيارة قبره عليه الصلاة والسلام

اي ذكر ما يتعلق به من سننه وادابه وما يلزم من اتاه والزيارة مصدر زاره يزوره زيارة ومزارا فالمزار مصدر واسم مكان ايضا والزيارة تختص بمجي بعض الاحيا لبعض مودة ومحبة هذا اصل معناها لغة واستعمالها في القبور للاموات لاعطائهم حكم الاحيا وصار حقيقة عرفية لتنوعه فيها **وفضيلة من زاره** بالجر عطفا على الحكم او على ما اضيف اليه والضمير له صلى الله عليه وسلم او للقبر وفضيلة ما يستحق من الثنا والثواب **وسلم عليه وكيف يسلم** من زاره صلى الله عليه وسلم اي ما يقوله ويفعله عند الزيارة **ويدعوله** اي وكيف يدعو له صلى الله عليه وسلم عند زيارته بما يليق بمقامه **وزيارة قبره سنة** ماثورة مستحبة **مجمع عليها** اي على كونها سنة ولا عبرة بمن خالف فيه كابن تيمية كما ياتي بيانه **وفضيلة مرغب فيها** بصيغة المفعول مشددة اي رغب السلف فيها وحثوا عليها وزيارة القبور اما لتذكر بها الموت ويتعظ وهذا يجري في جميعها او للدعا لاهلها المسلمين كما زار صلى الله عليه وسلم البقيع وهذا مستحب او ليتبرك بمن فيها من الانبيا والصالحين فينتفع بزيارتهم فذهب بعض المالكية الى انه مخصوص بالانبيا وانه في غيرهم بدعة واما في الانبيا فهي مشروعة وتوقف فيه السبكي وقد يقصد بالزيارة برهم واكرامهم كزيارة قبر الوالدين ومن له عليه حق لاكرامه فان الميت يكرم كالحي وقد يقصد بالزيارة تانيس الميت ورحمته وهو مستحب ايضا لما روي عنه صلى الله عليه وسلم ان الميت انس ما يكون اذا زاره من كان يحبه في دار الدنيا وزيارته صلى الله عليه وسلم جامعة لهذه المعاني كلها فلهذا كانت سنة وان كان غنيا عن الدعاء وما عدا ذلك بدعة كتقبيل القبور وغيره مما يفعله العوام **وروي عن ابن عمر** رواه ابن خزيمة والبزار والطبراني والذهبي وحسنه وله طرق وشواهد والطعن في رواته مردود كما بينه السبكي واطال فيه وقول البيهقي انه منكر يجاب عنه بان معناه انه تفرد به رواته والمفرد قد يطلق عليه ذلك كما قاله احمد في حديثه في دعا الاستخارة مع انه في الصحيحين وقول الذهبي طرقها كلها

لتقوي بعضها بعضا لا ينافيه لان غايته انه بتسليم ذلك حسن وهو يطلق عليه
الصحيح كما بين في محله وفي نسخة هنا حدثنا القاضي ابو علي قال حدثنا ابو الفضل
بن خيرون قال حدثنا الحسن بن جعفر قال حدثنا ابو الحسن علي بن عمر الدارقطني
قال حدثنا القاضي المحاملي قال حدثنا محمد بن عبد الرزاق قال حدثنا موسى بن
هلال عن عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما فذكره قال قال
النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي اي سوالي الله له ان
يتجاوز عنه مكافاة له ومعنى وجبت تحققت وثبتت فهي ثابتة له بالوعد الصادق
لا بد منها وليس المراد به الوجوب الشرعي وروي حلت له شفاعتي والمراد انه يخصه
بشفاعة ليست لغيره واضافته لنفسه للتنويه به والتعظيم قال ابن حجر الهيتمي
وافاد قوله مع عموم شفاعته له ولغيره انه يخص بشفاعة تناسب عظيم عمله اما بزيادة
النعيم واما بتخفيف الاهوال عنه في ذلك اليوم واما بكونه من الذين يحشرون بلا
حساب واما برفع درجات في الجنة واما بزيادة شهود الحق والنظر اليه واما بغير ذلك
مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر هذا كله اذا ريد انه يخص بشفاعة
لا تحصل لغيره ويحتمل ان يراد انه يفرد بشفاعة مما تحصل لغيره والافراد للتشريف
والتنويه بسبب الزيارة وان يراد انه ببركتها يجب دخوله فيمن تناله الشفاعة فهو بشرى
بموته مسلما فيجري على عمومه ولا يضمن فيه شرط الوفاة على الاسلام والا لم يكن لذكر
الزيارة معنى لان الاسلام وحده كاف في نيل مثل هذه الشفاعة خلافه على الاولين
وافادت اضافة الشفاعة له صلى الله عليه وسلم انها شفاعة عظيمة جليلة اذ هي تعظم
بعظم الشافع ولا اعظم منه صلى الله عليه وسلم ولا اعظم من شفاعته ثم اشار الى هذا الثواب
العظيم وهو الفوز بتلك الشفاعة العظيمة منه صلى الله عليه وسلم لا يحصل الا لمن اخلص
وجهته فيها بان لا يقصد بها او معها امرا آخر دنيا فيها بقوله وعن انس بن مالك قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من زار قبري في المدينة محتسبا اي ناويا بزيارته
وجه الله من غير غرض مخلصا في نيته وقصد اكرامه لا ينوي غيره والاحتساب افتعال
من الحساب معناه الاعتداد والاسم منه الحسبة وعن عمر رضي الله عنه ايها الناس احتسبوا
اعمالكم فان من احتسب عمله كتب له اجر عمله واجر حسبته فالمراد ان يقصد بالزيارة اكرامه
وتفويض اجره فيه الى الله كان في جواري اي له منزلة رفيعة في الآخرة او المراد
انه يكون في امانه وعهده فلا يناله مكروه اصلا والجوار مصدر بكسر الجيم وضمه والكسر
افصح وكنت له شفيعا يوم القيمة المراد به شفاعة خاصة غير الشفاعة العامة
فان له شفاعات كما تقدم وفي قوله في المدينة اعلام بانه صلى الله عليه وسلم يموت بالمدينة
ويدفن بها فهو من اخباره صلى الله عليه وسلم بالمغيبات وان كان لا تدري نفس باي ارض
تموت وفي حديث آخر رواه البيهقي والدارقطني والطبراني وابن منصور عن ابن عمر
من زارني بعد موتي فكانما زارني في حياتي لانه صلى الله عليه وسلم حي في قبره
يدري بمن يزوره ويرد سلامه كما تقدم وروي هذا اللفظ من طرق كثيرة وكره مالك
ان يقال زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم هكذا روي عنه واختلف في معنى ذلك
وما اراده مالك رحمه الله لانه خلاف المعروف بين الناس فقيل كراهة الاسم اي اسم

الزيارة واطلاقها لما ورد من قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله زوارات القبور
فلعنهم من حيث انهن زوارات يقتضي ذم الزيارة وهذا رواه احمد والترمذي وابن حبان
عن ابي هريرة وهذا يرده قوله صلى الله عليه وسلم نهيتكم بالبناء للمجهول والرواية
كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجرا فهذا ناسخ له لانه امر بعد
نهي وهذا الدليل وجوابه اوهى من بيت العنكبوت لان الاول في حق النساء المكثرين
للزيارة وهذا المطلق زيارة الرجال ودخول النساء تغليبا لا يسلمه المعترض ولكن عهدته
على قائله لا على المصنف فانه ناقل غير مرتض لما نقله وقيل ان الحديث الاول خاص بزوار
القبور المتخذات عليها مساجد وسرجا كما ورد مصرحا به في حديث رواه ابو داود والترمذي
وحسنه فليس بمنسوخ والحديثان مرويان في السنن من طرق صحيحة ولما كان هذا في
غير ما نحن فيه من اطلاق الزيارة على قبره صلى الله عليه وسلم اورد ما يدل عليه ايضا
فقال وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي تقدمت روايته عن ابن عمر من زار
قبري فقد اطلق اسم الزيارة فدل على ان الكراهة التي رويت عن مالك ليست لهذا كما توهم
وقيل وجه كراهته لان ذلك لما قيل ان الزائر افضل من المزور وهو من يزار ولا يقال
منه مزار بضم الميم وقول العامة في قبضة المزار خطا قبيح وهذا ايضا كالذي قبله
ليس بشيء يعتد به بل عكسه اقرب الى الصواب منه وليس كل زائر بهذه الصفة وهي
الافضلية فقد يكون مساويا له او ادنى منه وليس عموما في كل زائر وقد ورد في حديث
اهل الجنة زيارتهم لربهم في الجنة وهم عبيده لا مناسبة بينهم وبينه في العظمة فكيف
يتوهم هذا ولم يمنع اطلاق هذا اللفظ في حقه تعالى ولو كان كذلك لم يصح ورود حديث
الزيارة هنا وروي على وجوه منها ما رواه ابو نعيم عن علي كرم الله وجهه اذا سكن اهل الجنة
الجنة اتاهم ملك يقول ان الله يامركم ان تزوروه فيجتمعون ثم يوضع لهم ما في الحديث
وقال ابو عمران رحمه الله انما كره مالك ان يقال طواف الزيارة وزرنا قبر النبي صلى
الله عليه وسلم لاستعمال الناس ذلك بينهم بعضهم لبعض وكره تسوية النبي صلى الله عليه
وسلم مع الناس بهذا اللفظ وان يخص بان يقال سلمنا على النبي صلى الله عليه وسلم وايضا
فان الزيارة مباحة بين الناس وواجب شد المطي الى قبره صلى الله عليه وسلم يريد بالوجوب
هنا وجوب ندب وترغيب وتاكيد والذي عندي في وجه الكراهة عنده وفي نسخة
والاولى عندي اي في اعتقادي وحكمي في توجيه الكراهة عنده ان منعه من اطلاق
الزيارة على قبره ووجه كراهة مالك له اي لقولهم زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم
الاضافة اي نسبة الزيارة الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم بايقاعها عليه فليست الاضافة
هنا لغوية بل عرفية وذلك بذكر القبر وجعله مزورا وانه لو قال كل قائل زرنا النبي صلى الله
عليه وسلم بدون ذكر القبر لم يكرهه اي على ما ياتي قبل وهو منافٍ لما قدمه من حديث ابن
عمر من زار قبري وجبت له شفاعتي الا ان يقول انه ضعيف وان الصحيح حديث انس من
زارني بدون ذكر القبر الا انه غير مسلم لان ابن عبد الحق رواه في الاحكام ولم يتعقبه
وتقدم ايضا الكلام فيه لقوله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري وثنا اي كالوثن
وهو الصنم من الحجارة يعبد بعدي اي بعد وفاتي فيه وقيل الفرق بين الوثن والصنم
ان الاول ما كان منحوتا من حجارة وغيرها والثاني ما كان صورة مجسمة وقيل هما بمعنى فيطلقان

عليهما معًا وهو المشهور **اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد**
اي يسجدون لها كما يسجد للاوثان قال الشراح هنا كالنصارى وهو مشكل كما قاله
لان نبي النصارى عيسى عليه السلام ولا قبر له فانه رفع الى السما اللهم الا ان يقال
انه تغليب اي قبور كبارهم ممن يعتقدونه ويعظمونه لا انه نبي فحينئذ فلا حاجة لتفسير
الحديث هنا بهذا نعم وقع في حديث آخر لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم
مساجد وهذا يشكل عليه ما ذكرناه ويحتاج الى الجواب بما قلناه والمصنف لم يورده هنا
فلا حاجة الى الكلام عليه واعلم ان هذا الحديث هو الذي دعا ابن تيمية ومن تبعه كابن
القيم الى مقالته الشنيعة التي كفروه بها وصنف فيها السبكي مصنفا مستقلا وهي منعه
من زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وشد الرحال اليه وهو كما قيل

لمهبط الوحي حقا ترحل النجب • وعند ذاك المرجى ينتهي الطلب

فتوهم انه حمى جانب التوحيد بخرافات لا ينبغي ذكرها فانها لا تصدر عن عاقل فضلا عن
فاضل سامحه الله واما قوله صلى الله عليه وسلم الآتي لا تتخذوا قبري عيدا فقيل كره الاجتماع
عنده في يوم معين على هيئة مخصوصة وقيل المراد لا تزوروه في العام مرة فقط بل اكثروا
من الزيارة له واما احتماله للنهي عنها فهو بعيد لانه المراد محمول على حالة مخصوصة اي لا
تتخذوه كالعيد في العكوف عليه واظهار الزينة عنده وغيره مما يجتمع له في الاعياد بل لا
يؤتى الا للزيارة والسلام والدعاء ثم ينصرف **فحمى** اي صان مالك رحمه الله **اضافة هذا
اللفظ** اي لفظ الزيارة اضافة معنوية **الى القبر** يعني قبره الشريف صلى الله عليه وسلم
والتشبه بفعل اولئك الكفرة الذين اتخذوا قبور الانبيا مواطن للسجود **وقطعا
للذريعة وحسما** اي قطعا وسدا **للباب** اي باب الذريعة وهذا مبني على سد الذرائع
التي هي من قواعد مذهب مالك وقد قلنا ما عندنا فيه **والله اعلم** بمراد مالك فيما قاله وهذا
كما قيل مما يتعجب منه فانه لا تشبه فيه بوجه من الوجوه اصلا بفعل اولئك فالظاهر
انه لم يصح عنه وانما المروي عنه كما وقع هنا في بعض النسخ وهو كما قال ابو عمران موسى بن
عيسى الفاسي فقيه القيروان وقد تقدمت ترجمته **انما كره ان يقول طواف
الزيارة** الذي يكون بعد رمي الجمار فقال انما يقال له طواف الافاضة وطواف الصدر
لانه لا معنى للزيارة هنا عنده وان خالفه في اطلاقه غيره فالتبس عليهم كراهة اطلاق
الزيارة في كلام مالك • تنبيه ما ادعى المصنف انه الاولى الاوجه له رواية ودراية
فقد ورد اطلاق الزيارة لقبره في احاديث كثيرة منها ما تقدم وما رواه ابن عمر انه صلى الله عليه
وسلم قال من حج فزار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي وصحبني الا ان قوله وصحبني
تفرد به بعض رواته كما قاله ابن عساكر وقال ابن حجر انها زيادة منكرة ورد بان له متابعات
وليس التشبيه من كل الوجوه فلا ينافي خبر لو انفق احدكم مثل احد ذهبا الحديث وروي ايضا
في معناه احاديث كثيرة قال السبكي كانها لم تبلغ مالكا رحمه الله مع انه روي عنه والذي
رواه هو ابن رشد حيث قال عنه واكره ما يقوله الناس زرت النبي صلى الله عليه وسلم واعظم
ان يكون النبي يزار ووجهه ابن رشد بان الزيارة تستعمل في الموتى فكره مالك ذلك لئلا يتوهم
منه انه صلى الله عليه وسلم كغيره من الموتى كما كره ان يقال العتمة وايام التشريق وطواف الزيارة انتهى
وبه ظهر انه انما يكره اللفظ دون المعنى ومع ذلك يرد بمنع اختصاص الزيارة بالموتى لان الغرض

انه لم يكن يذكر القبر فلا يتوهم ذلك احد انما روي عنه كراهة ان يقال زرنا النبي لان
النبي اعظم من ان يزار ولانه اشتهر في الموتى وهو صلى الله عليه وسلم حي في قبره وقيل كرهه
لان الذهاب للزيارة ليس لصلته ونفعه وانما هو رغبة في الثواب قال السبكي وهو لا
في توجيه كلام مالك اي ومع ذلك لا نسلم ان زرنا النبي يوهم ذلك لان كل مسلم علم انه
صلى الله عليه وسلم وان كل احد من امته وان جلت مرتبته مفتقر الى التبرك به والمثول
في حضرته وان كان المختار الصحيح انه لا يكره شيء من ذلك وقيل كرهه لان الزيارة من شاء فعلها
ومن شاء تركها وهي كالواجب عنده واختار ابن رشد انه كره لفظ القبر لانه صلى الله عليه وسلم
حي **قال اسحاق بن ابراهيم الفقيه ومما لم يزل في شان من حج** اي انه استمر من عادة
السلف اذا حجوا **ان ياتوا المزور** قيل انه بكسر الميم وسكون الزاي المعجمة وفتح الواو
مصدر ميمي بمعنى الزيارة وقوله **بالمدينة** متعلق به وهو تكلف لا يخفى ولا رواية تدل
اليه والظاهر انه بضم الميم وراءين مهملتين مصدر مر اي من حج يمر بالمدينة ويقصدها
ويدل عليه قوله **والقصد الى الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم**
اقتداء به صلى الله عليه وسلم فانه كان اذا قدم من سفر دخل المسجد وصلى فيه **والتبرك
برؤية روضته** وهي ما بين قبره ومنبره سميت لقوله صلى الله عليه وسلم فيها انها
روضة من رياض الجنة **وقبره** وكيفية التبرك به ستاتي **ومجلسه** اي موضع جلوسه
في الروضة المأثور **وملامس يديه** اي المحال التي لمسها بيده في سجوده فيها **ومواطن
قدميه والعمود الذي استند اليه** باسناد ظهره الشريف اليه في جلوسه **ومنزل
جبريل بالوحي عليه فيه** وكان مراده ان يقصد التبرك بمسجده لانه كان محلا لما
ذكر وان لم يكن ذلك مبينا الآن فان نقل تعيين شيء من ذلك فعل به ذلك رزقنا
الله العون بالوصول الى السعادة العظمى بمشاهدة تلك المآثر والمشاهد بجاه محمد
صلى الله عليه وسلم **وبمن عمره** بالتخفيف للميم اي سكنه واما تشديد الميم فمن التعمير
وهو بلوغ العمر بضم الميم اي مدة الحياة كما اعتمده اهل اللغة **وقصده من الصحابة
وائمة المسلمين والاعتبار بذلك كله** اي الاعتناء به تعظيما وتكريما او التفكر فيهم
وفي مآثرهم **وقال ابن ابي فديك** بضم الفاء ودال مهملة وياء تصغير وكاف
الامام الثقة روى عنه الستة واحمد وتوفي في سنة مائتين وله ترجمة في الميزان
وحديث هذا رواه البيهقي **سمعت من ادركت** يقال ادرك فلانا اذا ادرك زمانه
ورآه والمراد من ادركه من العلماء والصالحين **يقول من وقف عند قبر النبي صلى
الله عليه وسلم** متوجها له **وقال** تاليا **هذه الاية ان الله وملائكته الخ ثم قال** بعد
تلاوتها **صلى الله عليك يا محمد سبعين مرة ملك صلى الله عليك يا فلان
ولم تسقط لك حاجة** وفي رواية ولم تسقط لك اليوم حاجة اي لا ترد ولا تخيب
شبه عدم قبولها بسقوط شيء يضيع منه وخص السبعين لانها محل الاجابة كما قال تعالى
ان تستغفر لهم سبعين مرة وقد قيل على هذا انه ينافي ما قالوه كما مر من انه لا يجوز نداؤه
باسمه يا محمد يا احمد في حياته وبعد مماته لقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء
بعضكم بعضا بل يقال يا رسول الله ونحوه تعظيما وكذا لا ينادى بكنيته كابي القاسم
وقد تقدم فان كان هذا ماثورا عنه يغتفر اتباعا للماثور ولتقديم تعظيمه هنا بقوله

صلى الله عليه وسلم فليتأمل هذا وفي الدر المنظم بعد اخراج البيهقي لما ذكر عن ابن
ابي فديك ما نصه ولا دليل فيه لجواز ان نداءه صلى الله عليه وسلم باسمه فقد صرح ائمتنا
بحرمة ذلك وظاهره انه لا فرق بينه بين ان يتقدمه تعظيم له وان لا وهو ظاهر خلافا
لمن بحث تقييده وتخصيصه بالثاني وذلك لما في النداء بالاسم وان تقدمه تعظيم
كما هو جلي من ترك التعظيم اذ مثله يقع من بعضنا لبعض وما تقدمه لا نظر اليه لا نقضائه
قال ائمتنا وانما ينادي بنحو يا نبي الله يا رسول الله فقول الزين المراغي الاولى لمن عمل بالاثر
ان يقول يا رسول الله وهم بل الصواب ان ذلك واجب لا اولى **وعن يزيد بن ابي سعيد
المهري** بفتح الميم نسبة الى مهرة قبيلة وهو محدث مشهور اخرج له مسلم وغيره **قال قدمت
على عمر ابن عبد العزيز** اي اتاه قاصدا له واجتمع به **فلما ودعته** اي لما اردت الانصراف
من عنده **قال لي اليك حاجة** اسالك قضاها وهي انك **اذا اتيت المدينة سترى قبر
النبي صلى الله عليه وسلم** اذا زرته فاذا رايته **فاقرئه مني السلام** اي بلغه سلامي واني
مسلم عليه يقال قرأه عليه واقرأه السلام اي بلغه سلامي اذا بلغه سلاما من غايب عليه
وقيل لا يقال اقرأه الا اذا كان مكتوبا والمشهور انهما بمعنى والذي يناسب الحديث الذي
نحن فيه **وقال غيره** اي غير يزيد المذكور والقايل هو حاتم بن وردان كما ذكره البيهقي
في شعب الايمان **كان** اي عمر بن عبد العزيز الخليفة المشهور الجليل المقدار **يبرد** بضم
اوله من ابرد بمعنى ارسل **اليه** صلى الله عليه وسلم **البريد من الشام** لانه كان مقر الخلفا
اي يرسل رسولا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبلغه سلامه ويقريه السلام لا لقصد
غير ذلك البتة وذلك في صدر زمن التابعين ولم ينكره احد منهم فالبريد هو الموصول
بالرسول الذي يكون مستعجلا ليبلغ امر الخلفا ونحوهم وهو في الاصل فارسي معرب من بريده
دم اي مقطوع الذنب لانهم كانوا يصنعون في المنازل بغالا تركبها الرسل لتبليغ الاخبار
بعجلة ويجعلون اذنابها علامة لها ثم اطلق على الرسول وصار حقيقة فيه مطلقا وقيل
سمي الرسول بريدا لانه يقطع البريد وهو اثنى عشر ميلا وصاحب البريد رجل يعد لتبليغ
الاخبار واحوال البلاد والولاة فاصحاب البريد معد ولذلك عندهم مزاذين سيادة
فاذا وقع امر عظيم وجههم صاحب البريد لاخباره وكان من داب السلف انهم يرسلون
السلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابن عمر يفعله ويرسل له السلام ولابي
بكر وعمر رضي الله عنهما ورسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان يبلغه سلام من سلم عليه
وان كان بعيدا عنه لكن في هذا فضيلة خطابه عنده ورده عليه السلام بنفسه كما مر الا
انه قيل انه لا يجب عليه تبليغه بخلاف من قال سلم لي على فلان فانه يجب عليه اداه امانة
لداي ان لم يصرح له بعدم القبول كما هو ظاهر ويجب على المسلم عليه الرد بلسانه فورا كما
لو كان المسلم حاضرا وفرق بينهما بان القصد بالسلام ابتداء وردا من الاحيا التواصل وعدم
التقاطع الذي يغلب وقوعه بين الاحيا وحينئذ فارسال السلام للغايب القصد به
مواصلته وعدم تقاطعه واذا كان هذا هو القصد به كان تركه مع تحمله تسببا او وسيلة
الى المقاطعة المحرمة اي من شانه ذلك وللوسايل حكم المقاصد واما ارسال السلام له صلى الله
عليه وسلم فالقصد به الاستمداد منه وعود البركة على المسلم فليس في تركه الا عدم اكتساب
فضيلة للغير فالتبليغ سنة لا واجب ولا يقال تفويت الفضايل على الغير حرام لانا نقول

فرق واضح بين عدم اكتساب الفضيلة للغير وتفويت الفضيلة الحاصلة على الغير
فائدة قال صاحب القاموس في رسالة الصلاة له ان السلام عليه صلى الله عليه وسلم
عند قبره افضل من الصلاة عليه اي للاخبار الكثيرة ومنها ما من احد يسلم علي عند قبري الخ
وفيه نظر ثم رايت في الدر المنظم بعد ذكره ويعارضه ما تقدم انه تعالى يصلي هو وملايكته
على المصلي بدل الصلاة الواحدة عشرا او مائة على ما مر وصلاة الله افضل من رده صلى الله
عليه وسلم على انه مر انه صلى الله عليه وسلم يرد الصلاة عليه كالسلام بالاولى ان يوجه
افضلية السلام بانه شعار اللقا والتحية وحينئذ تختص فضيلته بحالة اللقا عند كل
زيارة اما اذا اسلم سلام اللقا فالصلاة بعده اولى من استمرار السلام وان كان باقيا في معا
الزيارة ويدل لذلك صنيع العلما فانهم لما ذكروا ان الزاير يبدا بالسلام ذكروا انه يختم بالصلاة
عليه **قال بعضهم رايت انس بن مالك** الصحابي خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم لزيارته **فوقف** عند القبر **فرفع يديه للدعا** فانه
يستحب لمن زاره صلى الله عليه وسلم ان يدعو ويستشفع به ويتضرع **حتى ظننت انه افتتح
الصلاة** لانه يسن رفع اليدين لافتتاح الصلاة ولعله كان مستقبل القبلة للظن المذكور
فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم بعد رفع يديه ودعايه **ثم انصرف** من عنده **قال
مالك في رواية ابن وهب عنه** وهو عبد الله بن وهب عالم مصر كما تقدم وهو ممن روى
عن الامام مالك **اذا سلم** الزاير لقبره الشريف **على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا**
بما يريد الدعا به **يقف** عنده **ووجهه الى القبر لا الى القبلة** كما يستحب للداعي في غير هذا
المحل لان استدباره خلاف الادب **ويدنوا** اي يقرب من القبر في حال الدعا **ويسلم** عليه
صلى الله عليه وسلم **ولا يمس القبر بيده** فيكره الصاق الظهر والبطن بجدار القبر المكرم
ويلحق بجداره جدار الساتر عليه المستور بالحرير الان لما في ذلك من مخالفة الادب
معه صلى الله عليه وسلم ومن ثم تعين على كل احد ان لا يعظمه صلى الله عليه وسلم الا بما اذن
اذن الله فيه لامته في جنسه مما يليق بالبشر فان مجاوزة ذلك تفضي الى الكفر والعياذ
بالله بل مجاوزة الوارد من حيث هو ربما تؤدي الى محذور فليقتصر على الوارد ما امكن واستقبال
وجهه صلى الله عليه وسلم واستدبار القبلة مذهب الشافعي والجمهور ونقل عن ابي حنيفة
وقال ابن الهمام ما نقل عن ابي حنيفة انه يستقبل القبلة مردود بما روي عن ابن عمر ان
من السنة ان يستقبل القبر المكرم ويجعل ظهره للقبلة وهو الصحيح من مذهب ابي حنيفة
وقول الكرماني ان مذهبه بخلافه ليس بشي لانه صلى الله عليه وسلم حي في ضريحه يعلم
بزايره ومن ياتيه في حياته انما يتوجه اليه ويستحب القيام في حال الزيارة كما نبه عليه
المصنف بقوله يقف وهو افضل من الجلوس عند الجمهور ومن خير بينهما اراد الجواز دون
المساواة فان جلس فالافضل ان يجثو على ركبتيه ولا يفترش ويتربع لانه الاليق بالادب
وقال مالك في المبسوط اسم كتاب له تقدم **لا ارى** اي لا استحسنه واعده رايا
ان يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو اي في حال كونه داعيا بما اراد **ولكن
يسلم عليه ويمضي** اي ينصرف من غير وقوف وظاهره ان مذهب مالك عدم استحباب
الوقوف مطلقا ونقل الشافعية عنه ان استحباب عدم الوقوف عنده لاهل المدينة
المقيمين بها لا للغرباء الزوار فانه يستحب لهم الوقوف للدعا له صلى الله عليه وسلم

ولابي بكر وعمر ففرق بين المدني وغيره فلا يجعل المدني قبره الشريف كالمسجد ياتيه في
اكثر ايامه للعبادة والقربة بناء على قاعدته في سد الذرائع وسياتي ايضا بيان ذلك في
كلام المصنف عن المبسوط والصحيح عند غيره انه لا فرق بين المدني وغيره من استحباب الاكثار
من زيارته والوقوف عنده للدعا ففي المسئلة ثلاثة مذاهب وقال ابن ابي مليكة هو عبيد
الله بن عبيد الله بن ابي مليكة بالتصغير وهو من اعلام التابعين وابوه ابو مليكة صحابي
جليل وانه توفي سنة سبع عشرة ومائة واخرج له اصحاب الكتب الستة من احب ان يكون
وفي نسخة يقوم وجاه النبي صلى الله عليه وسلم اي في مواجهته ومقابلته ووجاه مثلث
الواو بمعنى تجاه وهو مثلث التا ايضا كما في مثلثات صاحب القاموس ومعناه ان يقابل وجهه
وجهه وتا تجاه مبدلة من الواو وكتمه فليجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر الشريف
على راسه محاذيا لها والقنديل بكسر القاف مصباح من زجاج يعلق وهو معروف وبفتح
القاف معناه العظيم الراس ووزنه فعليل وقيل فنعيل ونونه زائدة وهو ارشاد لكيفية
الزيارة وانه يكون بينه وبين القبر فاصل فقيل انه يبعد عنه بمقدار اربعة اذرع وقيل ثلاثة
وهذا مبني على ان البعد اولى والبق بالادب كما كان في حياته صلى الله عليه وسلم وعليه الاكثر
وذهب بعض المالكية الى ان القرب اولى وقيل يعامله معاملته في حياته فيختلف باختلاف
الناس وهذا باعتبار ما كان في العصر الاول واما اليوم فعليه مقصورة تمنع من دنو الزائر
فيقف عند الشباك وقال نافع بن هرمز مولى ابن عمر اشتراه من سبي خراسان وهو تابعي
جليل توفي بالمدينة سنة سبع عشرة ومائة وهو غير نافع بن عبد الرحمن المدني المقري وهذا
رواه البيهقي وغيره كان ابن عمر الصحابي المشهور يسلم على القبر الشريف رايته مائة
مرة واكثر ياتي القبر بدل من قوله يسلم مفسر له فيقول السلام على النبي السلام على
ابي بكر السلام على ابي وفي نسخة حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم ينصرف قيل
وفيه اشارة الى انه لا ينبغي له ان يطيل الكلام عند السلام ويختصر وقيل يطيل ما شا في الثنا
والدعا والتوسل وقيل يختلف باختلاف الناس والاحوال وياتي الزائر من قبل راسه الشريف
صلى الله عليه وسلم ثم يتاخر لابي بكر وعمر رضي الله عنهما فيبدا بالاشرف فالاشرف تعظيما
لهما كما يليق وقيل ياتي من قبل رجل عمر لانه من الادب ويتاخر قليلا قليلا وفي كيفية وضع
القبور اختلاف مذكور في تاريخ المدينة الكبير للسيد السمهودي مفصلا ليس هذا محله
وفي الموطا من رواية يحيى بن يحيى الليثي تقدم ان يحيى بن يحيى راوي الموطا عن
مالك اثبات انه كان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم على هنا بمعنى عند وهذا
اشارة الى اختيار القرب منه صلى الله عليه وسلم كما مر فيصلي على النبي صلى الله عليه وسلم
وعلى ابي بكر وعمر تبعا له ويصلي بمعنى يدعو وعند ابن القاسم عبد الرحمن فقيه مصر
كما تقدم والقعنبي بفتح القاف وسكون العين المهملة وفتح النون بعدها باء موحدة وياء
نسبة وهو عبد الله بن مسلمة بن قعنب الحارثي ابو عبد الرحمن احد الاعلام روى عنه البخاري
وابو داود وغيرهما وهو ثقة حجة توفي سنة عشرين او احدى وعشرين ومائتين اخرج له
الشيخان وغيرهما كما علم في روايتهما عن مالك بلفظ ويدعو لابي بكر وعمر لا بلفظ يصلي
كما مر قال مالك في رواية ابن وهب عنه يقول المسلم او الزائر السلام عليك ايها النبي
ورحمة الله وبركاته وقال مالك في المبسوط ويسلم على ابي بكر وعمر بعد السلام

عليه صلى

عليه صلى الله عليه وسلم قال القاضي ابو الوليد الباجي تقدمت ترجمته وعندي اي
الراجح عندي انه يدعو للنبي صلى الله عليه وسلم بلفظ الصلاة لما فيها من التعظيم كما
تقدم ويدعو لابي بكر وعمر كما جا في حديث ابن عمر الذي تقدم وقوله فيه السلام على
ابي بكر السلام على عمر فيدعو لهما بالسلامة من كل مكروه ولا يصلي عليهما لما مر من الخلاف
اي مخالفة الدعا لهما للدعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفي المناسك هنا تفصيل طويل
فيما يقوله الناس ليس هذا محله وقال ابن حبيب عبد الملك بن حبيب القرطبي الامام الجليل
الثقة مصنف كتاب الواضحة ولا يلتفت لمن نسبه الى الكذب وترجمته في الميزان ويقول
الزائر اذا دخل مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بسم الله وسلام على رسول الله صلى
الله عليه وسلم السلام علينا من ربنا وصلى الله وملائكته على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي
وافتح لي ابواب رحمتك وجنتك اي يسر لي ما يوصل اليهما فان دخوله من باب المسجد الموصل
لجنة روضته شوقه الى الجنان وقوى رجاه فناسب دعاؤه بما ذكر ولما سلك الطريق الموصلة
اعتصم بالله من قطاع طريقها بقوله واحفظني من الشيطان الرجيم ثم اقصد بعد الدعاء
الى الروضة وهي ما بين القبر والمنبر واركع فيها ركعتين تحية المسجد شكرا لله
قبل وقوفك بالقبر اي عنده تحمد الله فيهما اي في تلك الصلاة وتساله تمام ما خرجت
اليه من زيارتك وسفرك والعون عليه اي المساعدة بتيسيره له وان كانت ركعتان
في غير الروضة من المسجد النبوي اجزاتاك بالهمزة اكفتاك في اداء السنة وفي الروضة
افضل اي اكثر ثوابا اقتداء به صلى الله عليه وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم ما بين قبري
ومنبري روضة من رياض الجنة وياتي الكلام عليه وما بين القبر والمنبر نحو خمسين ذراعا
ومعنى كونه روضة من رياض الجنة انه يؤدي الى دخولها فكانه منها فاطلق السبب واراد
المسبب او هو تشبيه بليغ وقيل انه على حقيقته وانه ينقل الى الجنة وفي حديث آخر ياتي وان
اوهم كلامه هنا انه من تتمة الاول ومنبري على ترعة من ترع الجنة ترع وترعة بفتحات كغرف
وغرفة قيل هي الروضة تكون في مكان مرتفع وقيل الباب والروضة محل الاشجار مطلقا او الما
وبمعنى الدرجة كما ذكره اهل اللغة والكل محتمل هنا والكلام في هذا كما تقدم في قوله روضة من
رياض الجنة في احتمال التشبيه والاستعارة وياتي بيان الحديث في كلام المصنف ثم يقف بالقبر
اي عنده متواضعا متوقرا اي بتواضع ووقار اي سكون تادبا بهيبة واجلال وغض
طرف وقال الكرماني الحنفي في مناسكه انه يضع يمينه على شماله كما يقف في الصلاة وقال غيره
الاولى الارسال لئلا يتشبه بالمصلي فانه منهي عنه فتصلي بالخطاب لكل زائر عليه وتثني عليه
بثناء يليق به بما يحضرك اي يخطر ببالك من غير تكلف لامور تستعد لها بسجعة ونحوها ويقبح
الانحنا وتقبيل الارض وما يظنه جهلة العوام من ان فيه زيادة تعظيم ليس بشيء وتسلم على
ابي بكر وعمر وتدعو لهما بما يناسب مقامهما كما مر واكثر من الصلاة في مسجد النبي صلى
الله عليه وسلم بالليل والنهار والمراد بمسجده هنا هو المراد بقوله صلاة في مسجدي
هذا تعدل الف صلاة في غيره كما ياتي وهو ما كان مسجدا في زمنه لا ما زيد فيه كما قاله النووي
وغيره والاشارة بقوله هذا تعينه واعتراض ابن تيمية عليه بما ورد في الحديث لو زيد في مسجدي
الى ذي الحليفة كان مسجدي رد بانه لا يقتضي مساواته من كل وجه ولا شك في ان الاول
افضل من غيره وفي حديث الزيادة معجزة واخبار بالغيب ولا ينبغي جعل القبر خلف ظهره ولا

تجاهه كما قاله ابن عبد السلام ولا تدع بالخطاب والجزم اي تترك ان تاتي مسجد قبا
بضم القاف ويمد ويقصر ويذكر ويونث فيجوز صرفه ومنع صرفه وهو اسم موضع قريب من
المدينة بني فيه عمرو بن عوف الانصاري مسجدا اتاه النبي صلى الله عليه وسلم وصلى فيه وهو المراد
بقوله لمسجد اسس على التقوى على الراجح كما ياتي وكان صلى الله عليه وسلم يزوره راكبا وماشيا
في كل سبت وحكمة تخصيصه ان في اتيانه زيارة اهله والموتى يعلمون بزوارهم يوما قبل الجمعة
ويوما بعده واعطى اهل احد يوم الخميس لانهم افضل فبقي السبت لاهل قبا وقال الصلاة ركعتين فيه
كعمرة ويقال له مسجد الفتح وكان عمر رضي الله عنه ياتيه في كل اثنين وخميس وقال رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه ينقلون حجارته على بطونهم فلو كان في طرف الارض لضربنا اليه
اكباد الابل وقال الصلاة ركعتين فيه احب الي من ان ياتي بيت المقدس مرتين وكذا غيره من المساجد
الماثور صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها كمسجد القبلتين وقبور الشهدا المعهودين وهم
شهدا احد رضي الله عنهم فانه صلى الله عليه وسلم كان يزورهم وينبغي ان لا تدع زيارتهم وان تبدا
بحمزة سيد الشهدا في الدنيا والاخرة وقال مالك في كتاب محمد ويسلم اذا دخل وخرج اي اذا
دخل المدينة وخرج منها وفيما بين ذلك اي في ايام اقامته بالمدينة بان يدخل المسجد ويسلم
عليه كلما دخل وخرج قال محمد واذا خرج من المدينة من اتاها زايرا اجعل آخر عهده بالمدينة
الوقوف بالقبر اي عنده للوداع وكذلك كل من خرج مسافرا من المدينة يجعل آخر عهده
زيارته صلى الله عليه وسلم والسلام عليه وروى ابن وهب عن فاطمة الزهرا ابنت النبي
صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخلت المسجد يعني مسجده صلى
الله عليه وسلم فصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح
لي ابواب رحمتك وفيه مناسبة تامة لان العبادة مكفرة للسيات وللدخول بفتح الباب
وهو باب موصل لاعظم رحمة واذا خرجت من المسجد النبوي فصلى على النبي صلى الله عليه
وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي ببركة العمل الصالح وافتح لي ابواب فضلك وذكر
الفضل هنا انسب لان الخارج من المسجد يخرج لكسب مصالحه والفضل الرزق وفتح الباب كناية
عن تسهيل اموره وتيسير مسالكه واسباب معاشه وقد علم بذلك حكمة ذكر الرحمة في الدخول
والفضل في الخروج وحاصلها ان المساجد محال رحمة للحق تعالى لعباده رحمة مخصوصة تناسب
قصدهم وعباداتهم فطلب تلك الرحمة الخاصة عند دخولها واما الخروج منها فهو الى محال الاسباب
والاكتساب التي بها تحصل الارزاق والغنا عن الناس وهذا مظهر الفضايل التي تفضل بها على عبا
فسال عند التوجه ليفاض عليه ما يتوفر به خشوعه وانقطاعه الى الله ثم قالوا ويصلي ركعتين
نفلا مطلقا وقيل انهما سنة الوداع واختلف هل يقدم الوداع على الصلاة او يوخرها ليكون
آخر عهده ملاقاته صلى الله عليه وسلم ويحسن ان يقول اللهم لا تجعل هذا آخر العهد بحرم رسولك
صلى الله عليه وسلم ويسر لي العود اليه وارزقني العفو والعافية في الدنيا والاخرة ويتاسف
على مفارقته. واعلم ان هذا الحديث رواه اصحاب السنن على انه سنة لدخول كل مسجد وليس
مخصوصا بالمسجد النبوي كما ذكره الخيضري في اللوا العلم الا انه يكفي انه يدخل فيه دخولا اوليا
وزاد بعضهم في المسجد النبوي رب وفقني وسددني واصلحني واعني على ما يرضيك عني
ومن علي بحسن الادب في هذه الحضرة الشريفة وفي رواية اخرى من طريق آخر وحديث
فاطمة رواه احمد وابو يعلى والترمذي وحسنه فليسلم مكان فليصل فيه ويقول اذا خرج

اللهم اني اسالك من فضلك وفي رواية اخرى اللهم احفظني من الشيطان الرجيم
وهذه الامور كلها محل ذكرها مناسك الحج وفصلت ثم وعن محمد بن سيرين التابعي المشهور كان
الناس يقولون اذا دخلوا المسجد النبوي صلى الله وملايكته على محمد السلام عليك ايها
النبي ورحمة الله وبركاته باسم الله دخلنا وباسم الله خرجنا اي ندخل وعبر بالماضي مشاكلة
واشارة الى ان المساجد انما هي للعبادة وليست محل مكث واقامة لغير المعتكف وعلى الله تو
اي فوضنا اليه امورنا كلها لترك من دخل المسجد امور دنياه فان توجهه فيه انما هو لله وكانوا
يقولون اذا خرجوا مثل ذلك وهذا ليس خاصا بمسجد المدينة بل هو مستحب في كل مسجد واستحب
الصلاة عليه عند دخولها والخروج منها لانه صلى الله عليه وسلم هو الذي بين لنا العبادة
فيها وهدانا لطرق الخير فكان حقا علينا تذكره وال دعا له والمراد بالناس هنا الصحابة ففعلهم
يدل على انه سنة ماثورة فلا يتوهم انه كيف يكون دليلا على انه سنة ولذا اردفه بما يوضحه من
قوله عن فاطمة ايضا اي كما روي عنها قبل هذا كان النبي اذا دخل المسجد قال صلى الله
على محمد وسلم ثم ذكر مثل حديث فاطمة قبل هذا وفي رواية حمد الله الذي وفقه للعبادة
وسمى الله تيمنا وتبركا ليتم ما شرع فيه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم كما مر وذكر
مثله اي ما هو بمعناه وفي رواية يقول اذا دخل المسجد بسم الله والسلام على رسول الله
فهذا صريح في ان ما فعله الناس فعله صلى الله عليه وسلم بنفسه فهم مقتدون به وروي
عن غيرها اي عن غير فاطمة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد
قال اللهم افتح لي ابواب رحمتك وانعامك بنعم الدنيا والاخرة ويسر لي ابواب رزقك
اي سهلها ويسر اسبابها والتعبير بالتيسير اشارة الى انه مما قضي وفرغ منه وعن ابي هريرة
رضي الله عنه اذا دخل احدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل
اللهم افتح لي يعني ما تقدم بتمامه وحاصله ان هذه الاحاديث تدل على ان من دخل المسجد او خرج
منه او مر به اي مسجد كان يستحب له ان يسمي الله ويصلي ويسلم على رسول الله ويدعو بخيري من
خيري الدنيا والاخرة والماثور افضل وهذا مما اتفقوا عليه ووردت فيه احاديث صحيحة
مسندة في باب الدعوات وقال مالك في المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد النبوي
وخرج منه من اهل المدينة المقيمين بها الوقوف بالقبر اي عنده للزيارة وانما يلزم ذلك
اي الوقوف لازم للغربا الذين جاوا المدينة للزيارة وليس اللزوم هنا بمعنى الوجوب الشرعي
بل التاكيد في حقه وقال مالك فيه اي في كتاب المبسوط ايضا كما نقل عنه ولا باس
لمن قدم من سفر او خرج الى سفر من اهل المدينة ان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم
اي يقوم عنده زايرا فيصلي عليه صلى الله عليه وسلم ويدعو لابي بكر وعمر بعد الصلاة على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له ان ناسا من اهل المدينة لا يقدمون من سفر
ولا يريدونه اي الخروج للسفر فهم مقيمون يفعلون ذلك اي الوقوف عند القبر والصلاة
عليه والدعا لصاحبيه في اليوم الواحد مرة او اكثر وربما وقفوا في الجمعة او الايام
المرة والمرتين او اكثر عند القبر فيسلمون عليه صلى الله عليه وسلم ويدعون
لابي بكر وعمر ساعة فقال مالك لما ذكر له ذلك لم يبلغني هذا اي الوقوف للمدني
من غير سفر عند القبر عن احد من اهل الفقه ببلدنا يعني المدينة لان عمل اهلها حجة عنده
وتركه اي تركه هذا الفعل واسع اي لا كره واولى ولا يصلح آخر هذه الامة المحمدية واخرها

من بعد الصحابة والعصر الاول الا ما اصلح اولها اي لا يصلح لآخرهم الا ما اصلح لاولهم ولا
يستحب لهم الا ما استحبوه اولا ولم يبلغني عن اول هذه الامة وصدرها من الصحابة ومن
الحق بهم انهم كانوا يفعلون ذلك اي الوقوف للزيارة من غير الغربا بلا ارادة سفر اي لم اسمعه
بنقل صحيح ويكره ذلك الا لمن جاء من سفر او اراده من اهل المدينة وقال ابن القاسم من اتباع
الامام مالك ورايت اهل المدينة اذا خرجوا منها للسفر او دخلوها قادمين من السفر
اتوا القبر فسلموا عليه صلى الله عليه وسلم قال ابن القاسم وذلك راي اي قول لمالك
وفي نسخة رايي اي انه يقول وقال الباجي بباء موحدة نسبة لباجة بلدة بالمغرب وهو ابو الوليد
الحافظ من ايمة المالكية وقد تقدم ففرق مالك او ابن القاسم رواية عنه بين اهل المدينة
والغربا فاستحب للغربا الزيارة في الدخول للمسجد في كل حين ولم يستحب للمدني الا اذا خرج لسفر
او قدم منه لان الغربا قصدوا المدينة لذلك اي لاجل الزيارة فينبغي لهم فعل ذلك في كل
حين واهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من اوطانهم من اجل زيارة القبر والتسليم
عليه صلى الله عليه وسلم قال السبكي في كتابه شفاء السقام بعد نقل ما هنا من مذهب مالك
ان الزيارة قربة لكنه كره الاكثار منها للمقيم بالمدينة على قاعدته في سد الذرايع وغيره من اهل
المذاهب قالوا باستحباب الاكثار منها مطلقا واتفقوا عليه وهو الحق الذي لا شبهة فيه والذريعة
ليست بممنوعة في كل مقام كما تقدم عن القرافي وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه عبد
الرزاق ومالك في الموطا عن عطا بن يسار اللهم لا تجعل قبري وثنا اي كالوثن وهو الصنم
الذي يعبد اي يتخذ معبودا وتقدم فيه زيادة بقوله اشتد غضب الله على قوم اتخذوا
قبور انبيايهم مساجد اي يسجدون لها كما يسجدون لله وقد تقدم الكلام عليه وقال صلى الله
عليه وسلم في حديث رواه ابن ابي شيبة وغيره بسند متصل لا تجعلوا قبري عيدا اي
كالعيد باجتماع الناس عنده وقد تقدم تاويل الحديث وانه لا حجة فيه لما قاله ابن تيمية وغيره
فان اجماع الامة على خلافه يقتضي تفسيره بغير ما فهموه فانه نزغة شيطانية وقوله وقال
الى اخره يحتمل انه من كلام الباجي او من كلام مالك وابن القاسم تاييدا لما قاله وهو الظاهر
واحتمال انه من كلام المناسب غير مناسب لما عقد له هذا الفصل ونقل من كتاب احمد بن سعيد
الهندي عالم الاندلس توفي سنة تسع وتسعين وثلثماية وعمره سبع وسبعون سنة وترجمته
مبسوطة في التواريخ وفي نسخة سعد الهندي والصحيح الاول فيمن وقف بالقبر اي قال
في حقه وبيان ذلك انه ينبغي له انه لا يلصق به صدره ولا يمسه بشي من جسده فلا يقبله
فيكره مسه وتقبيله والصاق [illegible] صدره به لانه ترك ادب وكذا كل ضريح يكره فيه ذلك
وهذا امر غير مجمع عليه ولذا قال احمد والطبري لا باس بتقبيله والتزامه وروي ان ابا
ايوب الانصاري كان يلتزم القبر الشريف قيل وهذا لغير من لم يغلبه الشوق والمحبة وهو كلام
حسن ولا يقف عنده طويلا بل بمقدار الصلاة والدعا تادبا منه فهذا مستحب عنده
وفي العتبية بضم العين المهملة وسكون المثناة الفوقية وكسر الموحدة وياء نسبة اسم
كتاب يعرف بالعتبية وبالمستخرجة من الاسمعة اي مما سمع من مالك من مسايل المدونة وصاحبها
يسمى العتبي نسبة لعتبة ابن ابي سفيان وهو فقيه الاندلس محمد بن احمد بن عبد العزيز بن عتبة
بن ابي سفيان القرطبي توفي في منتصف ربيع سنة خمسين او اربع وخمسين ومايتين واخذ
عن يحيى بن يحيى الليثي وطبقته ويقال انه من موالي عتبة وله رحلة الى المشرق وفي تاريخ

الاندلس محمد العتبي هو محمد بن احمد بن عتبة الاموي من اهل قرطبة وقيل هو مولى لآل عتبة بن ابي
سفيان وهو الاصح وسمع من سحنون واصبغ وغيرهما وجمع كتابا سماه المستخرجة اكثر فيه من الشواذ
والمسايل الغريبة فاذا سمع غريبة قال ادخلوها في المستخرجة وقال ابن وضاح في المستخرجة
خطا كثير يبدا بالركوع المراد به الصلاة اي تحية المسجد اذا دخله تسمية باسم الجزء كالركعة
قبل السلام على قبره عليه الصلاة والسلام وزيارته وهو احد القولين كما تقدم في مسجد
النبي صلى الله عليه وسلم وقيل يسلم اولا ثم يصلي ويتحرى بصلاته محل ما كان يصلي فيه صلى الله
عليه وسلم وله علامة ذكروها وهو على يسار محراب الشافعية وتمام ذلك عموم قوله واحب
افعل تفضيل من المحبة مواضع التنفل اي افضلها للصلاة النافلة وتحية المسجد والزيارة فيه مصلى
النبي صلى الله عليه وسلم اي محل صلاته المأثور وبين محله بقوله حيث العمود المخلق
بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وتشديد اللام وقاف وهو ما عليه الخلوق بالفتح وهو نوع من الطيب
اصفر فيه زعفران والعمود هو السارية والاسطوانة وسمي مخلقا لانه كان يطيب بالخلوق
تعظيما وهذا هو المعروف وقيل انه مخلق بحاء مهملة اي له حلقة من حديد ونحوه قيل وهو محل
جذع الذي كان يخطب عنده قبل عمل المنبر له وهذه الاماكن الشريفة واسماؤها وفضايلها
من اراد الوقوف عليها فليطالع تاريخ المدينة الكبير للسيد السمهودي وفضيلة هذا المحل
والصلاة عنده انما هي للتنفل الزاير واما في صلاة الفريضة فالتقدم الى الصفوف
اي التقدم الى الصف الاول افضل من غيره مطلقا والتنفل اي صلاة النافلة فيه اي في المسجد
النبوي للغربا الذين قدموا للزيارة وليس من اهل المدينة المقيمين بها احب الي اي افضل عندي
من التنفل في البيوت اي ساكنهم ومحل نزولهم وهذا مستثنى مما قاله الفقها واطلقوه ان
الافضل في الفرض الصلاة في المساجد والنافلة الافضل فيها ان تصلى في المنازل ووجه
المخالفة ان الصلاة في مسجد المدينة افضل من الف صلاة في غيره على ما ياتي وهذا مبني على
ان المضاعفة تخص مسجد المدينة وذهب بعضهم الى ان الصلاة في المدينة مطلقا مضاعفة
لا فرق بين فرضها ونفلها ومسجدها وغيره فعلى هذا نافلتها كغيرها الا ان الغريب يستحب له
الاكثار من المكث في مسجدها والزيارة والتبرك بمواطن عبادته فله شان يخصه وهو الظاهر

فصل فيما يلزم من دخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم من الادب

اللازم لمن حضر مجلسه في حياته سوى ما قدمناه في الفصل الذي قبل هذا وفضله
اي المسجد النبوي وفضل الصلاة فيه اي زيادة ثوابها على ثواب غيرها وفي مسجد مكة
وفضله وفضل الصلاة فيه وذكر قبره ومنبره وفضل سكنى المدينة والمجاورة فيها
قال تعالى لمسجد اسس على التقوى من اول يوم وضع اساسه فيه احق ان تقوم فيه
للصلاة من غيره وقد اختلف فيه كما سياتي روي عنه صلى الله عليه وسلم في حديث رواه
مسلم وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم سيل عن المراد به في هذه الآية اي مسجد هو فقال
مسجدي هذا يعني الذي داخل المدينة وهو معروف وهو اي كونه المراد في هذه الآية
قول ابن المسيب وزيد بن ثابت وابن عمر ومالك بن انس وغيرهم من كبار الصحابة
قيل كان ينبغي له تقديم ابن عمر ثم زيد ثم ابن المسيب ثم مالك لكنه قدم الاسن والترتيب
في الذكر ليس بلازم وعن ابن عباس انه مسجد قبا الذي تقدم بيانه وهو المراد في الآية

عنه لانه صلى الله عليه وسلم اسسه وصلى فيه ايام اقامته من الاثنين الى الاثنين وكلاهما
مما اسسه على التقوى الا ان تاسيس مسجد قبا كان في ابتداء دخوله صلى الله عليه وسلم
دار الهجرة ثم انتقل منه واسس الاخر فالاولية ظاهرة فيه الا ان نحمل شاملة للحقيقة والنسبة
والمراد بالتقوى الاخلاص في رضى الله لا لمسجد الضرار وما ذكره ابن عباس هو الذي ارتضاه
المفسرون وهو الظاهر والاول ايضا مروي عن كبار الصحابة مسندا له صلى الله عليه وسلم
وقد رواه مسلم واصحاب السنن ولذا قيل كان ينبغي للمصنف ان يقول صح عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا روي بصيغة المجهول التي تغلب في الضعيف فكانه ايماء منه الى ان الاقوى ما
قاله ابن عباس وهو مشكل وغاية ما يقال فيه ان الاولية اضافية باعتبار ما بني بعد الهجرة ومسجد
مكة فيشمل مسجد قبا ومسجد المدينة والمراد اخراج مسجد الضرار ولا ينافيه ما بعده لانه اثنى على
اهل احد المسجدين بزيادة الطهارة وانما فسره صلى الله عليه وسلم بمسجده لاجل قوله احق ان
تقوم فيه لانه انما كان اكثر قيامه به فلو فسر بمسجد قبا لكان صلى الله عليه وسلم تاركا للاحق
ففسره بما يدل على دخوله مع مسجد قبا في الحكم ونص على ما خرج من منطوقه لانه هو المحتاج للبيان
فاعرفه فانه دقيق جدا **حدثنا هشام بن احمد الفقيه** هو احد شيوخ المصنف رحمه الله لقوله
بقراءتي عليه قال حدثنا ابو عمر هو ابن عبد البر كما تقدم **النمري** تقدم بيانه ايضا **قال**
حدثنا ابو محمد بن عبد المؤمن تقدم بيانه **قال حدثنا ابو بكر بن داسة** تقدم ايضا **قال**
حدثنا ابو داود صاحب السنن تقدم ايضا **قال حدثنا مسدد** تقدم **قال حدثنا سفيان**
هو ابن عيينة وقد تقدم **عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة** تراجمهم تقدمت
كلها **عن النبي صلى الله عليه وسلم** انه **قال لا تشد الرحال** لا نافية وتشد مضارع مجهول
وهو خبر اريد به النهي وهو ابلغ في النهي لانه جعل كانه امر لا يقع في الخارج فاخبر عنه لتحققه
والرحال بالحاء المهملة جمع رحل وهو للجمال كالسروج للخيل لا جمع راحلة كما توهم وهي البعير
ونحوه والمنع او نفي شدها كناية عن منع السفر اي لا ينبغي السفر وقطع المسافة **الا الى ثلاثة**
مساجد جمع مسجد وهو المكان المعد للعبادة واصله موضع السجود **مسجد الحرام** بالحركات
الثلاث وفي نسخة المسجد الحرام وهو مسجد مكة ويطلق على مكة نفسها وكلاهما جائز هنا والاول
من اضافة الموصوف للصفة اي المسجد جعله محترما وهو مشهور غني عن البيان **ومسجدي هذا**
اي مسجد المدينة المعروف **ومسجد الاقصى** بالاضافة كالاول وفي نسخة والمقصد الاقصى
اي الابعد لانه ابعد من مكة بالنسبة للمدينة وفيه كلام مشهور ليس هذا محله واختلف في
هذا النهي هل هو على ظاهره للتحريم كما ذهب اليه بعضهم والصحيح انه مأول اي لا تشد لنذر
العبادة فيه ولذا قالوا لو نذر الصلاة في غيرها لم يلزمه فلا يكره له شد الرحل لبعض الاماكن
المتبركة او لزيارة من فيها من الصالحين او لطلب العلم بل قد يكون هذا واجبا عليه **وقد**
تقدمت الاثار والاحاديث **في الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم**
عند دخول المسجد النبوي في الفصل الذي قبل هذا كما سمعت آنفا والاثار كل ما يؤثر اي
مروي فيشمل الحديث وغيره ويطلق على ما يقابله والفرق بين الحديث والخبر والاثر مشهور
في مصطلح الحديث ككتاب ابن الصلاح وغيره **وعن عبد الله بن عمرو بن العاص** في حديث
رواه ابو داود باسناد جيد حسن كما في الاذكار للنووي **ان النبي صلى الله عليه وسلم**
كان اذا دخل المسجد اي مسجده بالمدينة وتقدم ان هذا مستحب في كل مسجد **قال اعوذ بالله**

العظيم

العظيم اي الذي في امور كلها وفي التوفيق للعبادة واخلاصها الى عظيم لا يخاف
من التجا اليه **وبوجهه الكريم** الوجه معروف فاذا اضيف الى الله فالمراد به ذاته المكرمة
المبجلة **وسلطانه القديم** سلطانه بمعنى قدرته وغلبته والقديم صفة سلطان وذلك
ثابت له في الازل والقدم **من الشيطان الرجيم** المطرود عن رحمة الله وقربه واستعاذته
منه لئلا يصده عما نواه من العبادة ويشغله بوسوسته وتتمة الحديث فاذا قال ذلك قال
الشيطان حفظ مني سائر اليوم **وقال مالك** ابن انس في حديث رواه البخاري والنسائي فيه
سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه صوتا عاليا كالصياح **في المسجد** اي مسجد النبي صلى الله
عليه وسلم **فدعا بصاحبه** اي امر بطلبه ليجيء به اليه وسقط هذا من بعض النسخ فالفاء
في قوله **فقال ممن انت** فصيحة اي من اي قبيلة وطائفة من الناس **قال من ثقيف** قبيلة
من العرب مشهورة من هوازن **قال** عمر رضي الله عنه له **لو كنت من اهل هاتين القريتين**
يعني مكة والمدينة في نسخة **لادبتك** وفي اخرى **لعلوتك بالدرة** بكسر الدال وتشديد
الراء المهملتين وهي سوط عريض يضرب به وعلوتك بمعنى ضربتك وهو تعبير فصيح منه
لانه يضرب به على راسه واعالي بدنه يقال علاه بالدرة وعلاه وقنعه بالسيف وهذا
ساقط من بعض النسخ فالجواب مقدر كقوله تعالى ولو ان قرآنا سيرت به الجبال ونحوه وانما
قال له هذا لان من كان من اهل الحرمين وهما مهبط الوحي ومقر الدين لا يعذر في الجهل
بالشرع وآدابه ثم بين له وجه ما قاله بقوله **ان مسجدنا** يعني مسجد المدينة او الاعم منه
لا يرفع فيه الصوت فعلى الاول يعلم غيره بالقياس وعلى الثاني هو دال نصا وهو الظاهر
لانه ورد من الطريق الاخر ومساجدنا وذهب كثير من الفقهاء الى ان رفع الصوت في المساجد
مطلقا مكروه لحديث جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم ورفع اصواتكم وخصوماتكم
لانها متخذة للعبادة ولذا يكره النوم فيها لغير ضرورة الا انه قيل ان مرتكب المكروه لا يعزر
وكلام عمر رضي الله تعالى عنه يدل على انه لو كان من اهل القريتين عزره لانه لا يعذر بجهله
واجيب بانه علم منه اكثار انه بحضرته صلى الله عليه وسلم وهو حرام يؤدي الى الكفر
والعياذ بالله قلت ليس كما قاله بل لانه يمنع رفع الصوت عنده صلى الله عليه وسلم
لقوله لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي اي عنده وهو في حياته كما تقدم الان قوله
او مسجدنا يأباه فان قيل المراد بمسجدنا مسجده صلى الله عليه وسلم بخصوصه فالاضافة
عهدية لم يرد عليه شيء فاعرفه ويستثنى من هذا رفع الصوت بالاذان والاقامة والتلبية
كما صرحوا به **قال محمد بن مسلمة** بفتحتين كما تقدم **لا ينبغي لاحد ان يعتمد المسجد**
اي يقصده وفي نسخة يتعمد **برفع الصوت** فيه يقال عمده واعتمده اذا قصده فان فعله
لا عن عمد لجهل وغيره جاز له ذلك **ولا بشيء من الاذى** اي كل مستقذر لان الطبع يتاذى
به **وان ينزه** بالبناء للمجهول اي يبعد عنه فيتبعد هو **عما يكره** مجهول ايضا والمكروه المراد
به ايضا المستقذرات ولا ينبغي تحمل الكراهة والحرمة وخلاف الاولى وقد صرح الفقهاء
بمنع حمل النجاسة والمستقذرات في المساجد حتى النخاعة والروائح الخبيثة كرائحة
البصل والثوم الحي ونحو ذلك مما فصل في احكام المساجد وقد افرده بالتاليف الامام
الزركشي فلا حاجة لذكره هنا لانا لسنا بصدده **قال القاضي** هو المصنف عياض رحمه الله
حكى ذلك المذكور **كله القاضي اسماعيل** بن اسحاق بن اسماعيل الازدي البصري العلامة

الرحلة في سائر الفنون والادب وكان ممن له معرفة بكتاب سيبويه حتى عد من افراد المبرد حتى قيل لولا اشتغاله بالقضا انه درس ذكر المبرد ومات سنة اثنين وثمانين ومائتين ببغداد فجاة في مبسوطه اسم كتاب له في فضل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم والعلما كلهم متفقون ان حكم سائر المساجد هذا الحكم لان المقصود منها واحد وشرفها كلها لكونها محلا لعبادة الله تع فاذا تساوت في ذلك كان حكمها واحدا قال القاضي اسماعيل بن اسحاق المتقدم وقال محمد بن مسلمة يكره في مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام الجهر على المصلين فيما يخلط عليهم صلاتهم اي يشوش عليهم والخلط مزج شي بشي من المائعات ونحوها بحيث لا يتميز احدها عن الآخر كالدقيق والشعير بالبر والمراد ان اصواتهم لشدة الجهر تلهيهم عن قراتهم وصلاتهم فاستعير لذلك الخلط وليس كراهة رفع الصوت مما يخص بالمساجد فتثبت كراهة رفع الصوت رفع اسم ليس خبره الجار والمجرور قبله ويكره رفع الصوت بالتلبية اي قول الحاج لبيك اللهم لبيك في مساجد الجماعات التي يجتمع فيها للصلاة الجمعة وغيرها الا المسجد الحرام يعني مسجد مكة ومسجدنا يعني مسجد المدينة لان محمد بن مسلمة كان من سكانها فرفع الصوت بالتلبية مامور به لحديث افضل الحج العج والثج والعج رفع الصوت والثج اراقة الدما ورفع الصوت مستحب لغير المراة والخنثى وهذا مذهب مالك وخالفه غيره فجعله مستحبا في جميع المساجد وانما كرهه مالك في المساجد لانها محل الخشوع وقال ابو هريرة في حديث رواه الشيخان عنه عليه الصلاة والسلام صلاة في مسجدي هذا خير اي افضل واكثر ثوابا من الف صلاة فيما سواه من جميع المساجد الا المسجد الحرام يعني مكة المشرفة وسمي حراما لحرمة القتال فيه وكذا الصيد وقطع شجره وتتمة الحديث وصلاة في المسجد الحرام افضل من مائة صلاة في مسجدي هذا قال القاضي مصنف هذا الكتاب وهو عياض رحمه الله اختلف بالبنا للمجهول اي اختلف العلما والفقها في معنى هذا الاستثنا يعني المراد بقوله الا المسجد الحرام واختلافهم فيه مبني على اختلافهم في المفاضلة اي القول بانهما افضل من الآخر بين مكة والمدينة فذهب الامام مالك في رواية اشهب بن عبد العزيز ابو عمرو القيسي المصري تلميذ الامام مالك في روايته عنه اي عن مالك وقال عبد الله بن نافع صاحبه اي صاحب الامام مالك الذي يروي عنه وجماعة اصحابه اي اصحاب مالك الى ان معنى الحديث المذكور والاستثنا فيه لانه اذا لم يكن خيرا من الف صلاة فيما سواه احتمل ان تكون الصلاة في المسجد الحرام اكثر ثوابا من الصلاة في المسجد النبوي وان الصلاة فيه تفضل صلاة المسجد الحرام باقل من الف وان الصلاة في المسجد النبوي لا تفضله بل تساويه والكل محتمل وهذه رواية اشهب عنه ورواية ابن وهب وابن مطرف وابن حبيب من اصحاب مالك عنه موافقة للجمهور في تفضيل مكة على المدينة والاولون على ان معناه ان الصلاة في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم افضل من الصلاة في سائر المساجد اي باقيها بالف صلاة الا المسجد الحرام وان الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم افضل من الصلاة فيه اي في المسجد الحرام بدون الف اي اقل منه وهو تاويل بعيد وممن استبعده من المالكية ابن عبد البر رحمه الله وناهيك به لما ثبت في مسند احمد عن ابن الزبير انه صلى الله عليه وسلم قال صلاة في مسجدي هذا افضل من الف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام وصلاة في المسجد

الحرام افضل

الحرام افضل من مائة صلاة في مسجدي هذا وسيذكره المصنف قريبا وهو حديث حسن كما ذكره البيهقي كيف لا وقد مدحه الله وامر بالحج اليه وفي الحديث ايضا انه صلى الله عليه وسلم وقف على راحلته بمكة يقول والله انك لخير ارض الله واحب ارض الله الى الله ولولا اني اخرجت منك ما خرجت رواه الترمذي والنسائي وقال انه حديث حسن واحتجوا لما ذهبوا اليه من تفضيل المدينة بما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه صلاة في المسجد الحرام خير من مائة صلاة فيما سواه اي غير المسجد الحرام لما علم مما تقدم فتاتي فضيلة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم عليه اي على المسجد الحرام بتسع مائة وعلى غيره بالف اي غيره من المساجد ورد بان هذه الرواية شاذة والمحفوظ ما رواه سليمان بن عتيق عن ابن الزبير عن عمر رضي الله عنهم بلفظ صلاة في المسجد الحرام افضل من الف صلاة فيما سواه الا مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فانه فضله عليه بمائة صلاة وقد روي من طرق وهذا اي ما ذكره من ان الصلاة في مسجد الرسول افضل من الصلاة في مسجد مكة بدون الالف مبني على تفضيل المدينة على مكة على ما قدمناه قريبا وهو اي تفضيلها عليها قول عمر بن الخطاب ومالك في احدى الروايتين عنه واكثر المدنيين اي علماؤها لقوله ما بين قبري ومنبري الخ ونحوه وذهب اهل مكة وعلماء الكوفة الى تفضيل مكة على المدينة وهو قول ابن وهب وعطا وابن حبيب من اصحاب مالك في رواية عنه وحكاه الساجي بسين مهملة وجيم نسبة الى ساج بلده وهو ابو يحيى زكريا بن يحيى الضبي البصري عن الشافعي رضي الله عنه لانه من ايمة الشافعية توفي بالبصرة سنة سبع وثلثمائة وله كتاب جليل في علل الحديث وكتاب في اختلاف الفقه وهو حجة وان ضعفه بعضهم وله ترجمة في الميزان وحملوا اي الفضل لمكة الاستثنا في الحديث المتقدم على ظاهره من استثنائه واخراجه مما فضل عليه مسجد المدينة ولا يكون مفضلا عليه بل دونه لما عرفته فلا يراد انه يحتمل المساواة وهو على هذا مستثنى مما سواه لغربه واحتجوا لما قالوه بحديث عبد الله بن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي اخرجه احمد وابن حبان بمثل حديث ابي هريرة وفيه اي في حديث ابن الزبير وصلاة في المسجد الحرام افضل من الصلاة في مسجدي هذا بمائة صلاة وروى قتادة مثله اي مثل حديث ابن الزبير في افضلية مكة فياتي فضل الصلاة في المسجد الحرام على هذا الذي رواه ابن الزبير وقتادة على الصلاة في سائر المساجد بمائة الف وفيما قاله شي لانه لا قيل اسقط منه مضاف الى صلاة اي مائة الف صلاة وهو كذلك في روا احمد وابن ماجه باسنادين صحيحين فلا يخفى ما فيه وحديث ابن الزبير هذا روى صدره ابو هريرة وعجزه عمر فاعرفه ولا خلاف بين العلما والمحدثين في ان موضع قبره اي الموضع الذي قبر فيه صلى الله عليه وسلم وضم جسده الشريف افضل من سائر بقاع الارض كلها بل هي افضل من السموات والارض والعرش والكرسي والكعبة كما نقله السبكي لشرفه صلى الله عليه وسلم وعلو قدره وقال القرافي في القواعد للتفضيل اسباب فقد يكون للذات كتفضيل العلم وقد يكون بكثرة العبادة له ولما وقع فيه وقد يكون بالمجاورة كتفضيل جلد المصحف وقد يكون بالحلول كتفضيل قبره صلى الله عليه وسلم على البقاع فلا وجه لانكار ما في الشفا بان التفضيل انما هو بكثرة الثواب على الاعمال ولا عمل على القبر فانه ممنوع ويلزمه ان لا يكون جلد المصحف بل المصحف مفضلا وبطلانه معلوم من الدين بالضرورة وهو مستثنى من تفضيل

مكة على المدينة كما قيل

جزم الجميع بان خير الارض ما • قد حاط ذات المصطفى وحواها
ونعم لقد صدقوا بساكنها علت • كالنفس حين زكت زكى ماواها

وقال ابن عبد السلام التفضيل يكون لامور غير العمل فقبره صلى الله عليه وسلم افضل الامكنة لتجلى الله له بما ينزله عليه من الرحمة والرضوان والملائكة ولا حاجة الى ما قيل انه صلى الله عليه وسلم حي في قبره له اعمال فيه مضاعفة وان كان ضعيفا ولو سلمنا ان المكان لا فضل له في ذاته كفى انه لاجل ما حل فيه وقول السروجي من الحنفية لم يجد من تعرض لهذا في مذهبنا بل توقف فيه بل العدم وقوفه عليه ويكفي لفضله ما اشتهر من ان كل احد يدفن في التربة التي خلق منها قلت وفي هذا فضل الصحيفة وفخر كفى شرفا لهما حتى قال في عوارف المعارف روي عن ابن عباس ان اصل طينته صلى الله عليه وسلم من سرة الارض وهو موضع الكعبة بمكة فاول ما اجاب ذريته صلى الله عليه وسلم ومنها دحيت الارض فهو اصل التكوين والكائنات تبع له ولما تموج الطوفان القى بطينته لمحل دفنه ففي الحقيقة لم يدفن الا في اصل الكعبة الذي خلق منه صلى الله عليه وسلم انتهى وهو غريب لا يعلم مثله الا بالنقل وهو ثقة ويؤيده ما جاء في بعض الاثار ان سليمان عليه الصلاة والسلام زار محل قبر نبينا واخبر انه سيدفن فيه وترك ثم اربعمائة من احبار بني اسرائيل ينتظرون بعثته وهجرته اليهم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين • وها هنا بحث وهو ان البقعة التي ضمت الجسد العظيم اذا كانت افضل من سائر البقاع يلزم ان تكون المدينة افضل من مكة بلا نزاع لان المدينة هي تلك البقعة مع زيادة وزيادة الخير خير فكيف يتصور الخلاف بينهم على هذا بل يقول المدينة بعد هجرته صلى الله عليه وسلم اليها واقامته بها تفضل مكة حينئذ لان شرف المكان بالمكين فلابد من تحرير محل الخلاف حتى يقام عليه الدليل • واعلم ان العز بن عبد السلام لما قال ان الامكنة والازمنة متساوية لا تفاضل بينها ظن بعضهم ان القبر الشريف لا يتصور تفضيله لذاته فان التفضيل بالمكان انما هو بحسب فضل الاعمال الواقعة فيه ورد بان التفضيل له اسباب غير ذلك كما مر وفضل الاعمال في المدينة على اعمال مكة غير مسلم كما مر وفضل الاعمال ولو سلم ففيها اعمال كثيرة ليست بغيرها كالحج والعمرة والمناسك فهي تزيد بذلك فان قال ثمة ان في المدينة ايضا ما ليس في غيرها كمجاورة رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهور الاسلام ونحوه فالخلاف لفظي فتدبر **قال القاضي ابو الوليد الباجي** بموحدة وقد تقدمت ترجمته **الذي يقتضيه الحديث** المتقدم الذي في فضل مسجدي **مخالفة حكم مسجد مكة لسائر المساجد** حتى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم لانه ذكر فيه التفاضل بين المسجدين **ولا يعلم منه** اي من الحديث الذي اشتمل ثوابه **حكمها** اي حكم مكة في التفاضل **مع المدينة** اي بالنسبة اليها بالتفاضل وانتهما الفضلى وهو الذي ذكر الخلاف فيه بين مالك وغيره **وذهب الطحاوي** هو الامام ابو جعفر احمد بن محمد الحنفي كما تقدم **الى ان هذا التفضيل** بالضاد المعجمة اي تضعيف اجر الصلاة باحد المسجدين مسجد مكة او المدينة وضبطه بعضهم بالصاد المهملة وقال انه المسموع عن المصنف في الاصول والظاهر الاول **انما هو في صلاة الفرض** وانه الذي يضاعف ثوابه وعممه بعضهم في الفرض والنفل وهو المختار واليه اشار بقوله **وذهب مطرف** بضم الميم وفتح الطاء وكسر الراء المهملة المشددة وفاء وهو ابو مصعب مطرف

الصلاة

عبد الله

عبد الله بن مطرف اليساري المدني ابن اخت الامام مالك روى عنه البخاري وهو من كان القنطرة حتى روى عنه مالك وان كان من اتباعه في الفقه توفي سنة عشرين ومائتين وعمره ثلاث وثمانون سنة **من اصحابنا** اي المالكية وقيد به احترازا عن مطرف بن عبد الله بن الشخير البصري الزاهد توفي في سنة خمس وتسعين كما في الحلية لابي نعيم **الى ان ذلك** اي مضاعفة ثواب الصلاة **في النافلة ايضا** اي كالفرض لظاهر عموم الحديث وهو المختار عند الشافعي اذ لا داعي للتخصيص بل شامل لسائر العبادة بدلالة النص كما اشار اليه بقوله **قال** اي مطرف وقيل الضمير للطحاوي **وجمعة خير من جمعة** اي ثواب جمعة فيه يزيد على جمعة في غيره ويحتمل انه جمع جمعة مضاف لضمير المسجد والاول اولى لقوله **ورمضان فيه خير من رمضان في غيره** وهو منون مصروف لتنكيره **وقد ذكر عبد الرزاق** بن همام المحدث الحافظ كما تقدم **في تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها** من البلاد **حديثا نحوه** اي مثل الحديث المذكور في فضل الصلاة وهو ما رواه الطبراني وغيره عن بلال رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال صيام شهر رمضان في المدينة كصيام الف شهر فيما سواها ثم رجع الى فضائل المدينة فقال **وقال صلى الله عليه وسلم** في حديث رواه الشيخان **ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة** تقدم الكلام تقدم الكلام عليه وان الروضة ارض في مكان مطمئن ذات اشجار ومياه **ومثله** في معناه ولفظه **عن ابي هريرة وابي سعيد الخدري وزاد** فيه ابو سعيد كما في الموطا **ومنبري على حوضي** قيل انه تمثيل لان الذي والعبادة عنده والايقاظ تورث الري من العطش في هول القيامة **وفي حديث اخر** تقدم **منبري على ترعة من ترع الجنة** تقدم بيانه وهو تمثيل ايضا وتقدم تفسير الترعة **قال الطبري** محمد بن جرير لا ما لكيا كما قيل **فيه معنيان** اي وجهان واحتمالان **احدهما ان المراد بالبيت بيت سكناه** الذي يسكنه وهذا مبني **على الظاهر** المتبادر من لفظه **مع انه ورد** في بعض الروايات ما يبينه ويعين المراد منه **وهو ما بين حجرتي ومنبري** لانه الحجرة بضم الحاء محل السكنى على وجه الارض وقد فسرت بالغرفة فلم يبق احتمال ارادة القبر لانه لا يطلق عليه حجرة **والثاني ان البيت هنا** اي في الحديث المذكور المراد به القبر فانه يطلق عليه بيت مجازا لان معناه ما يبيت فيه الحي وقربه هنا انه صلى الله عليه وسلم حي في قبره **وهو قول زيد بن اسلم** الفقيه العمري كما تقدم **في هذا الحديث** وفسره به **كما روي ما بين قبري ومنبري** فصل ابو بكر ووفق بين القولين بما **قاله الطبري واذا كان قبره في بيته اتفقت** معاني **الروايات ولم يكن بينها خلاف** بحسب المعنى **لان قبره في حجرته وهو بيته** واخباره صلى الله عليه وسلم به قبل موته اخبار باحدى المغيبات الخمس فهو من معجزاته **وقوله** في هذا الحديث ومنبري على حوضي في تفسيره اقوال منها **ما قيل انه يحتمل انه منبره** المعروف **بعينه الذي كان في الدنيا وهو الاظهر** لتبادره من غير داع لتاويله فينقل ويجعل ثمة كما ان الجذع الذي كان صلى الله عليه وسلم يخطب عنده يغرس في الجنة **والقول الثاني ان يكون له هناك** اي في المحشر عند الحوض **منبر** آخر يوضع له عند الحوض تكريما له صلى الله عليه وسلم فيقوم عليه لدعوة الخلق لحوضه تكريما له ولامته **والقول الثالث** انه ليس على حقيقته بذكر السبب وارادة المسبب فالمراد **ان قصد منبره والحضور عنده في الدنيا الملازمة**

الاعمال الصالحة متعلق بقصد وخصوا وهو علة مقدمة لقوله نورد الحوض ونوجب الشرب منه لاعماله الصالحة في الدنيا قاله الباجي تقدم بيانه وقوله في الحديث روضة من رياض الجنة يحتمل معنيين وتفسيرين انه موجب لذلك اي تفضي له اقتضا محققا فكانه موجب له اي لدخول روضة من رياض الجنة لمن دخله في الدنيا وان الدعا والصلاة فيه اي فيما بين المنبر والقبر ويستحق صاحبها ذلك من الثواب بسبب لذلك او تعليل له ففيه تجوز كما قيل في حديث صحيح في الترغيب في الجهاد والشهادة الجنة تحت ظلال السيوف كناية عن دنو المجاهد من الجنة حتى كانه اذا رفع سيفه للضرب به او علاه سيف لمن يضربه فظهر ظله فالجنة تحت ذلك الظل او ظلال السيوف كناية عن القتال بها فجعله سببا لدخول من اظلته الجنة وهذا مراد القاضي هنا والثاني من معانيه المحتملة ان تلك البقعة من بقاع المسجد التي بين القبر والمنبر قد ينقلها الله من الدنيا الى الاخرة فتكون في الجنة بعينها فهو على حقيقته قاله الداودي احمد بن نصر شارح البخاري وهو ابو جعفر الاسدي البسكري التلمساني توفي بتلمسان سنة اربعين واربع مائة وتلمسان بكسر التاء واللام ويقال تلمسين ويجوز تسكين لامها وفي نسخة الماوردي وقال ابن حجر ان معنى قوله روضة الى اخره انه كروضة من رياض الجنة في نزول الرحمة وحصول السعادة لمزيد طوق ذكرها لا سيما في عهده صلى الله عليه وسلم فهو تشبيه بليغ ومعناه ان العبادة فيه تؤدي الى الجنة او هو على ظاهره بان ينقل الدنيا للاخرة قال والوجوه الثلاثة على ترتيبها في القوة فالوجه الاخير اضعفها وقال بعضهم انه اقواها لان الاصل الحقيقة ولا يخفى ما فيه ثم قال ابن حجر والاظهر الجمع بين المعنيين يعني انها تنقل الى الجنة وتؤديه الى رياضها وتؤيده وتقويه ان الصلاة فيه بالف صلاة في غيره وان الجذع الذي كان صلى الله عليه وسلم يخطب عنده يغرس في الجنة لهذا يقتضي ان البقعة تنقل اليها ايضا ولا يخفى ما بين اول كلامه واخره من التدافع وقوله الجنة تحت ظلال السيوف حديث صحيح كما مر رواه الشيخان عن عبد الله ابن ابي اوفى • او كما انه صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته انتظر حتى مالت الشمس ثم قام في الناس فقال يا ايها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف • اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الاحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم وفي النهاية انه كناية عن الضراب والجهاد والدنو منه والظل والفيء بمعنى وقد يقال الظل لما قبل الزوال والفيء لما بعده كما فصله اهل اللغة وقلت في قطعة

قلت له لما رنا ناظره • بناظر اهدى الينا الحتوف •

او جنة من تحت اهدابه • ام جنة تحت ظلال السيوف •

وروى ابن عمر في حديث رواه مسلم وجماعة من الصحابة انه صلى الله عليه وسلم قال في حق المدينة والساكنين بها لا يصبر على لاوائها بفتح اللام وسكون الهمزة وواو وبعدها مد وشدتها عطف تفسير لان اللاواء هي الشدة والمشقة والضيق وجاءت بمعنى القحط ورجح الاخير ليكون تاسيسا احد فاعل يصبر الا كنت عبر بالماضي لتحققه اي اكون له شهيدا او شافعا يوم القيمة قال المصنف والنووي او هنا ليست للشك من الراوي لانه رواه نحو عشرة من الصحابة كذا ولا يظهر اتفاقهم على الشك فهو صلى الله عليه وسلم قاله هكذا فاو للتقسيم اي شهيدا للبعض وشفيعا للبعض او شهيدا للمطيعين او لمن مات في حياته

وشفيعا للعاصين ولمن مات بعده وشهادته باثم ما توا على خير وشفاعته بتضعيف ثوابهم او تخفيف حسابهم وغير ذلك وينبغي ان تكون هذه خصوصية زايدة لعموم شفاعته صلى الله عليه وسلم وشهادته كما قال تع وجئنا بك على هؤلاء شهيدا او بمعنى الواو وقال بعضهم انها للشك وعليه فرواية شهيدا ظاهرة ورواية شفيعا المراد بها شفاعة خاصة بهم بعلو درجاتهم وحملهم في جوار ه دنيا واخرة وفي الحديث دليل لمن استحب الجوار بالحرمين ومن كرهه لانه خاص بمن لا يراعي حقوقهما لمضاعفة الامور ثمة وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان فيمن تحمل عن المدينة اي رحل عنها وفارقها مختارا لسكنى غيرها من البلاد عليها ومعنى تحمل رفع حمله عنها وامتعته منها فكنى به عما ذكر وفي نسخة يتحمل وهما بمعنى والمدينة خير لهم من غيرها من البلاد لو كانوا يعلمون فيه ايجاز اي لو كانوا يعلمون فضلها ما اختاروا غيرها من البلاد ويحتمل ان لا يقدر شي والمعنى لو كانوا من ذوي العلم والادراك وهو ابلغ في اداء المراد ولو شرطية او للتمني اي ليتهم علموا ذلك وهو من حديث طويل معناه انه ستفتح بلاد اليمن والشام ويأتي منها قوم يسوقون اهلهم ومن والاهم ثم يترحلون عن المدينة وهي خير لهم والحديث في البخاري وشروحه وفيه معجزة له صلى الله عليه وسلم باخباره بالمغيبات لانها فتحت في عهد الخلفا واختاروا سكناها وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن جابر انما المدينة كالكير بكسر الكاف وسكون المثناة التحتية وراء مهملة وهو آلة الحداد معروفة ينفخ بها النار لايقادها على الحديد والكور البنا من طين ونحوه يوضع عليه وهما بمعنى والياء منقلبة عن الواو وهما من الكور وهو الزيادة وقيل الكير حانوت الحداد وفي النهاية الكير الطين الذي بجنبه الحداد لاجل النار وقيل هو الزق والحصر فيه اضافي وفي الصحاح ظاهر ووجه الشبه انها تنفي خبثها بفتحتين واخره مثلثة على المفعولية اي تخرج ما خبث منها ولا تقبله كما ينفي الكير خبث الحديد لان ما فيه من الصدا والاجزاء التي ليست خالصة منه تطير عنه مع الشرر ويبقى خالصه فكذلك المدينة لا يخرج عنها ويختار غيرها من غير ضرورة الا من خبث طويته فهو لا يترك فيها من في قلبه غل وعدم صدق فتميزه عن غيره كما يميز الحداد بكيره جيد الحديد من رديه وتنصع طيبها بكسر الطاء وسكون المثناة التحتية وموحدة وروي طيب بزنة سيد وهو مرفوع فاعل وينصع بفتح اليا وسكون النون وفتح الصاد المهملة وبعدها عين مهملة اي يخلص ويبقى خالصا فيها مطلقا كما يبقى من الحديد جيده ويذهب رديه من النصوع وهو صفاء الباطن ومنه ابيض ناصع واكثر الرواة على تشديد يائه وان تنصع بمثناة تحتية ورفع طيبها على الفاعلية حتى قيل ان التشديد متفق عليه وروي تنصع بمثناة فوقية ونصب طيبها وفاعله ضمير المدينة وضبط الغزالي ولها بكسر اوله واستشكله بان النصوع لا يعرف في الطيب والمعروف فيه ينضوع بضاد معجمة وواو مشددة واغرب في الفايق فقال انه بموحدة وضاد معجمة من بضع التاجر عطى البضاعة اي تعطي طيبها من سكنها وتبعه في النهاية وقال الصاغاني انه خالف فيه جميع الرواة وكانه تصحيف وروي تنضح بضاد وخاء معجمتين ففيه روايات مختلفة اصحها انه بصاد وعين مهملتين بعد النون وقال المصنف في شرح مسلم الاظهر ان هذا مختص بزمنه صلى الله عليه وسلم والهجرة واجبة لانه لا يصبر على الهجرة والاقامة بها الا من ثبت على ايمانه لا المنافقون وجعله الاعم كما وقع للاعرابي الذي اصابه الوعك وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقلني فقال

هذا في حقه وقال النووي ليس هذا اظهر لما في صحيح مسلم لا تقوم الساعة حتى تنفي
المدينة شرارها يعني في زمن الدجال وان المدينة ترجف ثلاث رجفات فيخرج منها كل كافر
ومنافق ويحتمل ان يكون هذا في ازمنة مختلفة متفرقة انتهى قلت اراد المصنف
انه المراد بهذا الحديث بقرينة سببه وقصة الاعرابي لا يرد عليه ما قاله النووي وروي
عنه وفي نسخة وقال صلى الله عليه وسلم كما في مسلم رواية عن جابر لا يخرج احد من المدينة
رغبة عنها من غير داع له ولا ضرورة الا ابدلها الله خيرا منه يقال رغب عنه اذا كرهه
فالمنهي عنه ذلك فلا ينافي ان بعض الصحابة ارتحل عنها كبلال ومعاذ وابي موسى الاشعري
او هو مخصوص بزمنه صلى الله عليه وسلم اذ كانت الهجرة لها واجبة وروي عنه صلى الله
عليه وسلم في حديث رواه البيهقي والدارقطني عن عائشة رضي الله عنها بسند ضعيف من مات
في احد الحرمين حرم مكة والمدينة حاجا او معتمرا اي قاصدا الاحرام بحج او عمرة وهو حال
من الفاعل بعثه الله يوم القيمة لا حساب عليه ولا عذاب وانما فسرناه بقاصدا لذلك
لان الاحرام من المدينة لا يتصور الا لمن احرم من دويرة اهله او لقرب ميقاتها والاحرام من
الميقات افضل عند بعضهم وقيل انه بتقدير او زائرا واكتفى بما لاحد الحرمين بعلم ما لغيره وهو
متجه ايضا وقوله لا حساب عليه ولا عذاب حال مقدرة او مأولة بمبشرا ونحوه من الآمنين
يوم القيمة اي آمنا من مناقشة الحساب والعذاب وعن ابن عمر رضي الله عنهما في حديث رواه
ابن ماجه وابن حبان والترمذي وصححه من استطاع ان يموت بالمدينة اي يقيم بها حتى يموت
لان الموت ليس بقدرته واختياره فليمت بها اي فليقم بها كما عرفته آنفا والامر للاستحباب
اشفع لمن يموت بها شفاعة خاصة به كامن لانه في جواره وحمايته وهو صلى الله عليه وسلم
اوصى بالجار وروي فانه تشفع على الاسناد المجازي وقد احسن المصنف بختم ما يتعلق بالمدينة
ثم ذكر الحرمين لذكره بعده ما يتعلق بمكة كما اشار اليه في الترجمة بقوله وقال تعالى ان اول
بيت وضع للناس الى قوله آمنا شروع في بيان فضل مكة ووضعه للناس جعله متعبدا وقبلة
لهم ومكة وبكة بمعنى والباء تعاقب الميم كثيرا وقيل بكة موضع الكعبة ومكة اسم البلد وبكة
من بكه اذا دقه وهي تدق اعناق الجبابرة اذا قصدوها بسوء او هو اشارة الى ازدحام الناس
اذا طافوا وسئل صلى الله عليه وسلم عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت
المقدس فقيل كم بينهما فقال اربعون سنة وهو حديث صحيح لكنه مشكل لان وضع المسجد في زمن
ابراهيم عليه الصلاة والسلام ووضع بيت المقدس في زمن داود وسليمان وبينهما زمان اطول
من اربعين باضعاف مضاعفة واجيب بان داود عليه الصلاة والسلام لم يضعه
وانما عمره كما بيناه في حواشي البيضاوي وتفسير الآية ظاهر تكفلت به التفاسير ومن بركته
كثرة الخير فيه ومضاعفة ثواب العامل فيه قال بعض المفسرين في هذه الآية معنى قوله
ومن دخله كان آمنا امنه من النار وعذابها في الآخرة اذا دخله مؤمنا به وورد انه
يدخل الجنة بغير حساب وقيل المراد بالامن امنه في الدنيا وفي بعض النسخ بل اضراب
عن التفسير الاول كان ذا يأمن من الطلب من احدث حدثا اي فعل امرا يستحق به العقوبة
كالقتل ولجأ بالهمز بوزن ضرب بمعنى التجأ واعتصم من عدوه اليه اي المسجد الحرام
بدخوله فيه هاربا في الجاهلية هو زمن الفترة بين عيسى ونبينا صلى الله عليه وسلم
سمي بها لكثرة الجهل فيه فكان الرجل اذا جنى جناية ودخله لا يمسكه احد حتى يخرج

وقال ابو حنيفة من لزمه القتل ودخل الحرم لا يتعرض له ولكنه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى
ولا يبايع حتى يضطر للخروج منه وغيره يقول ان الحدود تقام ويؤخذ من دخله فارا
واليه اشار المصنف بقوله كان اشارة الى تغير هذا الحكم بعد مجيء الاسلام وهذا اي قوله
من دخله كان آمنا مثل قوله تعالى واذ جعلنا البيت اي الكعبة وحرمها مثابة للناس
اي ملجأ ومرجعا من ثاب يثوب اذا رجع ومثابة اسم مكان منه ومعناه ملجأ لكل مطلوب
بجرم ولا يليق تفسيره هنا بمرجع الزيارة لانه يأباه سياق المصنف لقوله وامنا في قول بعضهم
اشارة الى ان في الآية اقوالا اخر منها انه محل الثواب وحكي ان قوما اتوا سعدون
الخولاني بخاء معجمة نسبة لخولان قبيلة من اليمن مشهورة واسمه ابكل بن احمد بن مالك وهو
من اهل القيروان وعظماء علمائها وسعدون لقب له بصورة الجمع ومثله يجوز فيه الصرف
وعدمه للعلمية وشبه العجمة وقول بعض الشراح انه منصرف ولا وجه له لما وقع في بعض
كتب الحديث من ضبطه غير منصرف غفلة منه بالمنستير الباء بمعنى في والمنستير بميم ونون
وسين مهملة ومثناة فوقية وراء مهملة وهذا اللفظ رومي ومعناه عندهم خانقاه للرهبان
على الطريق لينزل فيه ابناء السبيل والذي سمعناه منهم فتح الميم والنون مع سكون السين
وكسر التاء الفوقية وياء تحتية وقد تخفف بحذف الالف والياء وهذا مما لا شبهة فيه عندهم
فقوله في القاموس منستير بضم الميم وفتح النون موضع بافريقية يتعبد الزهاد والمنقطعين
وبلد آخر بافريقية اهله من قريش بينه وبين القيروان ستة مراحل وموضع بشرقي الاندلس
انتهى مخالف لما صح سماعا فان ظنه عربيا فهو خطأ وان قال معرب وغيره كان عليه ان ينبه عليه
وقال التلمساني انه بضم الميم والنون ويجوز كسر نونه والعامة تفتحها وعليه اقتصر التيمي
وهي بلدة بساحل البحر او حصن ورباط بافريقية له سور بناه هرثمة بن اعين حين بعثه الرشيد
لافريقية سنة ثمانين وسبعين ومائة وهو الذي بنى سور طرابلس الغرب فاعلموه ان كتامة
بضم الكاف وفتح المثناة الفوقية والف وميم مخففة اسم لقبيلة من البربر واصلهم فيما قيل
من حمير قتلوا رجلا واضرموا عليه النار اي وقدوها وقودا شديدا طول الليل منصوب
على الظرفية والطول بفتح الطاء المهملة مصدر طال وطول الليل بمعنى الليل كله والناس
يستعملونه بهذا المعنى تسمحا وتجوزا ووجهه ان الطول البعد الامتدادي فما شغله شغل
عمره بالطريق الاولى وقد سمع في كلامهم كقول الوزير المهلبي

قال لي من احب والبين قد حل • وفي مهجتي لهيب الحريق
ما الذي في الطريق تصنع بعدي • قلت ابكي عليك طول الطريق

ثم استعمل فيما لا طول له ولا عرض لعقولته ثم فتشوا عنه عن بعض فلم تعمل فيه فهو مجاز بمعنى لم
تؤثر وبقي ابيض اللون لم يتغير لونه ولو حرق اسود لونه فقالوا لعله اي الرجل
المقتول والقاء مصيبة اي وسئل عن وجهه فقال الخ ولعل هنا مجاز عن الظن اذ لا وجه للترجي
هنا حج ثلاث حجج بكسر الحاء بمعنى حجة وهي المرة من الحج قالوا نعم اي الامر كذلك
قال حدثت بالبناء للمجهول اي روى لي من سمعت منه الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ان
من حج حجة اي مرة ادى فرضه لانه فرض على كل احد ان يحج في عمره مرة لقوله تعالى ولله على
الناس حج البيت الآية ومن حج ثانية بعد اداء الفرائض داين ربه اي اقرضه كقوله من
ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا والدين والقرض دفع شيء الى غيره ليرد مثله وبدله

قال الراغب قال ابو عبيدة يقال دِنته اذا اقرضته فهو داين وذاك مدين ومديون
وهو لما لم يكن هذا الحج قرضا عليه كانه اعطاه الله قرضا يرد عليه ثوابه الذي هو كبدل القرض
فهو استعارة ومن فسّر داين هنا بمعنى اطاع وعند لم يصب وفي نسخة داين مفاعلة منه
وهما بمعنى وتمام الحديث فينادي عن امكن من عند الله من كان له عند الله دين فليقم ومن حج
ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره اي ظاهر جلده وبرئه على النار اي لم يعذب به ولم يدخله
نار جهنم وفيه كناية بليغة وقوله فينادي الخ سقط من بعض النسخ والمراد بقوله عذاب يوم
القيمة واصل معناه اليوم الذي قبل يومك فعبّر به اما لقربه وهذا الحديث لا يعرف من
رواه ولما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة لما هاجر او في حجة الوداع او في
يوم الفتح كما رواه الطبراني في الاوسط عن جابر رضي الله عنه قال مرحبا بك بفتح الكاف
وكسرها اصلها دعا للقادم بالرحب والسعة اريد به هنا اظهار محبته لها والقرب منها
من بيت بيان لمدعو له ما اعظمك عند الله وعند الخلق واعظم حرمتك اي احترامك
وشرفك وهو تعجب اريد به المبالغة في عظمته وتعظيمه وفي الحديث عنه صلى الله عليه
وسلم ما من احد يدعو الله عند الركن الاسود المراد به الركن الذي فيه الحجر الاسود ثم
وهو معروف الا استجاب الله له دعاه اي قبله واعطاه ما دعا به او خيرا منه والحجر
الاسود لما نزل من الجنة كان اشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بني آدم وابقي سواده
ليكون عبرة والكلام عليه مبسوط في تاريخ مكة وكذلك يستجاب الدعا عند الميزاب
والملتزم والصفا والمروة وغيرها من المواطن التي جاء في الحديث الصحيح استجابة الدعا عندها
والميزاب هو المسمى الآن بميزاب الرحمة وهو مسيل ماء السطح وهو معروف من جانب الحجر
وفي كتاب العلل لابن فارس الميزاب مهموز واصحابنا يقولون ليس فيه همز لانه من وزب يزب
انتهى ووزب بمعنى سال ويقال انه فارسي معرب معناه مسيل الما واطال السلماني هنا
بذكر مساحة البيت والحرم وغيره بما ليس هذا محله وعنه اي روي عنه صلى الله عليه وسلم
والراوي هو الحسن البصري في رسالته الى اهل مكة من صلى خلف المقام اي مقام
ابراهيم المعروف الذي قام عليه لما بنى الكعبة ركعتين نافلة غفر له ما تقدم من ذنبه
وما تأخر وحشر يوم القيمة من الآمنين من العذاب وهول المحشر والمعفور الصغاير و الكبائر
وقيل الصغاير فقط والمقام معروف في موضعه الذي كان فيه قديما وتفصيله في تاريخ
مكة قرات على القاضي الحافظ ابو علي هو ابن سكرة وقد تقدم قلت حدثك
ابو العباس العذري قد تقدمت ترجمته وهذا طريق من طرق الرواية يقولها التلميذ لشيخه
ويصدقه عليه قال حدثنا ابو اسامة محمد بن احمد الهروي قال حدثنا الحسن بن رشيق
عبد الغني بن سعيد العسكري الحافظ العالي السند وترجمته في الميزان بطولها
سمعت ابا الحسن محمد بن الحسن بن راشد في الميزان محمد بن الحسن ابن علي ابن راشد
الانصاري وفيه كلام سمعت ابا بكر محمد بن ادريس ذكر كنيته وقدمها لئلا يلتبس بمحمد
بن ادريس الشافعي رضي الله عنه فان كنيته ابو عبد الله لا ابو بكر وهو محمد بن ادريس
بن عمر وهو من اهل مكة سمعت الحميدي بالتصغير وهو عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبد
الله القرشي الاسدي المكي صاحب الشافعي ورفيقه في رحلته لمصر وهو شيخ البخاري
وهو لاهل الحجاز كاحمد بن حنبل لاهل العراق وهو نسبة لحميد بطن من اسد بن عبد العزى

وقيل

وقيل نسب للحميدات وهي قبيلة توفي في سنة تسع عشرة او عشرين ومايتين قال سمعت
سفيان بن عيينة تقدم بيانه قال سمعت عمرو بن دينار تقدمت ترجمته قال سمعت
ابن عباس يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما دعا احد بشي في هذا
الملتزم بزنة اسم المفعول من التزمه اذا امسكه سمي به لالتصاق الناس به في الدعا وهو ما بين
باب الكعبة والحجر الاسود وقدره عشرة اشبار واربعة اذرع وتسميته بذلك قديمة وردت في
الحديث ويسمى المدعي والمتعوذ بفتح الواو المشددة وهو احد المواضع التي ورد استجابة الدعا
فيه وقد جرب ذلك قال ابن عباس رضي الله عنه وانا فما دعوت الله بشي في هذا الملتزم
منذ سمعت هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا استجيب لي الى آخر الحديث وهو
ظاهر غير محتاج للشرح الا كلمات يسيرة فيه والفاء في قوله فما دعوت الله الخ اما زايدة بناء
على انه يجوز زيادتها في الخبر مطلقا والمشهور زيادتها في الخبر اذا تضمن المبتدا معنى الشرط
نحو وما بكم من نعمة فمن الله وبعضهم قيد زيادتها بكون الخبر امرا او نهيا كقوله هـ
وقايلة خولان فانكح فتاتهم • واما عاطفة على مقدر تقديره وانا جربت ذلك فما دعوت
الخ وانا جواب شرط مقدر اي اذا سالت عما عندي فيه فما الخ وقوله منذ في الجميع روي منذ
بدون نون ومنذ بضم اوله وكسره ومعناه اشهر من ان يذكر وقال عمرو بن دينار وانا فما دعوت
الله بشي في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس الا استجيب لي وقال سفيان وانا فما
دعوت الله بشي في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو الا استجيب لي وقال محمد بن
ادريس وانا فما دعوت الله بشي في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدي الا استجيب
لي وقال ابو الحسن محمد بن الحسن وانا فما دعوت الله بشي في هذا الملتزم منذ سمعت
هذا من محمد بن ادريس الا استجيب لي وهذا الحديث مسلسل بالسماع رواه البيهقي
وسعيد بن منصور وغيرهما من طرق بينوها قال ابو اسامة وما اذكر الحسن بن رشيق
قال فيه شيئا اي لم يحفظ عنه انه قال كغيره وانا فما دعوت الله بشي الا استجيب لي
والتسلسل قد ينقطع بعض منه في اوله او آخره او وسطه فلا يضر التسلسل مع ان هذا
ليس بقطع في الواقع والاحاديث المسلسلة صحتها قليلة والتسلسل يقع بامور متغايرة
من الاقوال والافعال والامكنة والازمنة كما فصل في مصطلح الحديث وانا فما دعوت
الله بشي في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق الا استجيب لي من امر
الدنيا وانا ارجو ان يستجاب لي من امر الآخرة قال العذري وانا فما دعوت
الله بشي في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابي اسامة الا استجيب لي قال
ابو بكر وانا فقد دعوت الله فيه باشيا كثيرة استجيب لي بعضها وانا ارجو من سعة
فضله ان يستجيب لي بقيتها اي ارجو ذلك لزيادة كرمه وسعة بفتح السين وكسرها
بمعنى الوسع قال القاضي ابو الفضل عياض مصنف هذا الكتاب رحمه الله تعالى
ذكرنا نبذا بفتح النون وسكون الموحدة وذال معجمة اي شيا قليلا واصل معناه الطرح
والرمي كانه لقلته ما يطرح ويجوز ضم اوله وفتح ثانيه على انه نبذة من هذه النكت
جمع نكتة وتقدم بيانه في هذا الفصل الذي نحن فيه وان لم يكن من الباب اي من المعاني
التي عقد لها الباب فانه معقود للصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيمه
وذكر فضائل مكة وحرمها ليست منه بل من موضوع كتابه لتعلقها اي مناسبتها بالفصل

الذي قبله من ذكر مشيئته صلى الله عليه وسلم وما يتعلق به حرصا على تمام الفايدة
بافادة امور مهمة يرغب فيها والشي بالشي يذكر والله الموفق للصواب برحمته
اي بفضله وانعامه لا بكسبنا وكتبنا والله تعالى اعلم بالصواب

القسم الثالث من هذا الكتاب فيما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم

المراد به الوجوب الشرعي او العقلي لقوله وما يستحيل في حقه اي يعد كالمحال
عقلا لانه لا يليق بجنابه العظيم او عادة واصل معنى الاستحالة التغير من حالة الى اخرى
ومنه استحال الخل خمرا او يجوز عليه مما لا يخل بشريف مقامه وما يمتنع في حقه شرعا وعادة
وعقلا او يصح وصفه واطلاقه عليه كما سياتي من الاحوال البشرية اي التي تطرا عليها
باعتبارانه وهو بيان لما ان يضاف اليه اي ينسب اليه والاضافة بمعناها اللغوي لا النحوي
ثم صدر الكلام باية دالة على ما سياتي اجماله فقال قال الله تعالى في حقه صلى الله عليه وسلم
وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل الاية فهذا بيان لما يجوز
عليه ويصح من الاحوال البشرية كالموت والقتل كما ان الرسل قبله منهم من مات ومنهم من قتل
والمقصود فيه قصر افراد اي ليس بمخلد حتى يستبعد موته وقتله وهذا كما وقع باحد لما نادى
ابليس لعنه الله ان محمدا قد قتل فقال ناس من المنافقين ارجعوا الى دينكم فان محمدا لو كان نبيا
ما قتل وقال المومنون ان كان محمد مات فرب محمد لا يموت فما نصنع بالحياة فقاتلوا على ما
قاتل عليه وكما وقع لبعض الصحابة لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم ذهلوا من عظم
المصيبة فخطبهم ابو بكر رضي الله عنه وتلا هذه الاية والقصة مشهورة وقوله افان الى اخرها
انكار وتوبيخ لمن توهم خلافه والانقلاب على العقب كناية عن الرجوع عما كانوا عليه من الدين وقال
الله تعالى ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة الاية
اي ليس المسيح الا رسولا كغيره من الرسل له ايات ومعجزات مثلهم وليس باله كما زعمت النصارى
وامه صديقة اي صادقة في اقوالها وافعالها او مصدقة للرسل وهذا غاية امرهما دون
ما يزعمون فيه ولذا اتى باثبات صفات بشرية تنافي الالوهية من الاكل ونحوه ولذا قال
تعالى انظر كيف نبين لهم الايات ثم انظر انى يوفكون وقال وما ارسلنا قبلك من المرسلين
الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق فهو كغيره من البشر يصح له ما صح لهم
وقال تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي الاية فلا يزيد على البشر الا بما خصه الله
من الوحي والرسالة والتوحيد فبهذا تميز عنهم ولذا قال محمد صلى الله عليه وسلم وساير
الانبيا اي باقيهم فهو من عطف المتغايرين لا من عطف العام على الخاص كما توهم وانما
يكون كذلك لو فسر بجميع ما تقدم من البشر اي من جنسهم تميزوا عنهم بانهم ارسلوا الى
البشر لتبليغ ما امرهم الله به ووضع فيه الظاهر موضع الضمير ولولا ذلك اي كونهم
من جنس البشر بان كانوا ملايكة لما اطاق الناس مقاومتهم اي مقابلتهم في الامور
الدنيوية لقدرة الملايكة على ما لا يقدر عليه غيرهم والقبول عنهم اي مما بلغوهم عن
الله مما ارسلوا به ومخاطبتهم حتى يبلغوهم عن الله ثم اثبت هذا بقوله ولو جعلناه اي النبي
المرسل ملكا اي قدرنا ارسال الملك للبشر من غير جنسهم كما اقترحوا لجعلناه رجلا

اي لما كان الا في صورة البشر تفسير لجعله رجلا واشارة الى انه بحسب الصورة لان
الملك يتصور باي صورة اراد ثم بين وجهه بقوله الذين يمكنهم بحسب الطاقة البشرية
مخالطتهم اي معاشرتهم والاختلاط معهم وفي نسخة مخاطبتهم وفي اخرى مخاللتهم اي
اتخاذهم اخلاء وهي متقاربة معنى اذ لا يطيقون مقاومة الملك ومخاطبته ورؤيته
اذا كان على صورته الاصلية التي خلق عليها ابتداء وقال الله تعالى قل لو كان في الارض
ملايكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السما ملكا رسولا هذا جواب عن شبهة المشركين
وقولهم بعد مشاهدة الايات التي الجمتهم الحجر فقالوا لم لم يرسل الله ملكا يبلغ اوامره ونواهيه
فقال الله لرسوله قل لهم جوابا عن شبهتهم الواهية انما يرسل الله الملايكة لو كان اهل الارض
ملايكة من جنسهم كما قال المصنف اي لا يمكن في سنة الله اي طريقته وعادته المستمرة ارسال
الملك الا لمن هو من جنسه حتى يمكنه مخاطبته وتلقيه عنه ولما نافي هذا الحصر ارسال
الرسل من الملايكة الى الانبيا بين وجهه بقوله او من خصه الله معطوف على ما هو من جنسه اي
خصه بنفس قدسية ملكية واصطفاه اي اختاره من نوع البشر لتلقي وحيه من الملك
وقواه على مقاومته اي مقاومة الملك ومخالطته لمناسبة تامة بينه وبين الملك
باستعداده حتى يكون واسطة بينه وبين الناس كالانبيا والرسل فانهم خلقهم الله بابدان
بشرية وارواح ملكية فكانوا دون غيرهم مستعدين لمقاومة الملك ومخالطته ومخاطبته
ثم فصل هذا فقال فالانبيا والرسل صلوات الله عليهم اجمعين وسايط بين الله وبين
خلقه وتوسطهم لانهم هو انهم يبلغونهم عن الله اوامره ونواهيه اي كل امر ونهي لهم وفي كتب
الاصول تبعا للصحاح ان الامر بمعنى القول المخصوص يجمع على اوامر وبمعنى الفعل والشان
يجمع على امور ولم يوافقهم عليه احد من النحاة واهل اللغة فان فعلا لا يجمع على فواعل ونقل ابن
هشام في تذكرته انه صحح بوجهين احدهما انه جمع آمر اسم فاعل لما لا يعقل وسمي القول امرا مجازا
وكلاهما لا دليل عليه والثاني انه جمع آمرة مصدر كالعاقبة اي صيغة آمرة لا آمر وقد نقله
ابن سيده وقيل انه جمع الجمع فجمع امر على امر كما كلب ثم جمع على اوامر كما كالب فهو فواعل وافاعل
وقال الاصفهاني في شرح المحصول ان هذا التوجيه لا يتم في النواهي وكونه جمع ناهية مجازا
تكلف ولكن كونه مشاكلة للاوامر فانه استعمل مفرد النهي وقد تقدم ووعده ووعيده الوعد يستعمل
في الخير والوعيد في الشر كما فصلوه في محله ويعرفونهم ما لم يعلموه من امره هو الفعل
والشان واصل الامور اي اقواله وافعاله فيما سبق قضاؤه في كل شي وقيل يجوز ان يراد بالامر
هنا عالم الامر بقرينة قوله وخلقه وعالمه ما ابدعه الله من غير مادة وتولد من اصل بمجرد كن
وعالم الخلق مقابله قال تعالى الا له الخلق والامر وعلى الاول الخلق بمعنى الايجاد وجلاله
اصل معناه العظمة وهو في صفاته تعالى كما يقتضيه كلام الغزالي والقشيري الثبوتية وكلام
غيرهما يقتضي انه الصفات السلبية او ما يعمهما وقال الغزالي في معنى ذي الجلال والاكرام
ان الجلال كاله في ذاته والاكرام ما كان منه لغيره وسلطانه اي قهره وغلبته او حجته
الباهرة او ملكه او انهم يبينون للناس ذلك وجبروته وملكوته التاء فيه زايدة اي كونه
جبارا قهارا ومالك الملك الذي لا مرد لقضايه ولا معقب لحكمه ثم فصل هذا بقوله فظواهرهم
اي ما يظهر من حال انبياء الله ورسله وصفاتهم واجسادهم اي ذواتهم الظاهرة المشاهدة
وبنيتهم بكسر البا اي هيئة ابدانهم التي خلقهم الله عليها لانه بنا الله وهو في الاصل

هيئة
ل
ش
ظواهرهم
هرة

مصدر ثم اطلق على الهيكل والبدن المحبوس **متصفة باوصاف البشر** من الخلق والتركيب
ونحوه **طاري** بهمزة في آخره وابن الهايا اي حادث **متجدد عليها مما يطرا على البشر**
لان الاجسام كلها متساوية في قبول ذلك **من الاعراض** جمع عرض والمراد مطلق الالام و
ما لا يكون قارا منها ومقابله عند الاطبا الامراض والاسقام جمع سقم وسقم كحزن وحزن والموت
والفنا الموت ضد الحياة واختلف فيه هل هو عدمي او وجودي كما بين في محله ويطلق مجازا
على النوم والجهل كما في قوله ❊ ذو الجهل ميت وثوبه كفنه ❊
واما الفنا فهو تفرق الاعضا وتفتتها حتى تضمحل وهذا لا يكون في الانبيا عليهم الصلاة والسلام
لان الله حرم على الارض ان تاكل اجساد الانبيا كما ورد في الحديث ولذا قيل انه كان ينبغي للمصنف
ان يبدل قوله متصفة بقوله قابلة وقد يقال المراد بالفنا هنا كبر السن والهرم ومنه الشيخ الفاني
الا ان اقترانه بالموت يبعده **ونعوت الانسانية** جمع نعت وفسره النحاة والمعنويون
بالوصف مطلقا فهما مترادفان ومنهم من فرق بينهما فقيل انه لا يطلق على الله ولم يبين وجهه فقيل
لانه مما يصيب ويطرو من العوارض وهذه قضية مطلقة فلا يقتضي ان الانبيا لا يصيبهم بعض
الامراض المنفرة وهي ما يفسخ به النكاح كالبرص والجذام والعمى واما ما اصاب ايوب ويعقوب
عليهما الصلاة والسلام فلم يكن من ذلك ويعقوب انما ضعف بصره وقيل ان بعضها يطرا عليهم
بعد استقرار النبوة فيهم وانما يمتنع في ابتدا الدعوة والحق انها لا تطرا عليهم اصلا **وارواحهم**
وبواطنهم كالقلب والدماغ وما لا يدرك بالحواس الظاهرة والباطن خلاف الظاهر فاعلم
متصفة باعلى من اوصاف البشر اي باوصاف اعلى منها من الفضايل الروحانية والتبري
من العلايق الجسمانية كحب المال والتنعم بالماكل والمشرب فارواحهم وبواطنهم متعلقة بالملا
الاعلى هو كالرفيق الاعلى الملايكة العلوية وتعلقها به اتصالها قال الراغب
❊ الملا جماعة تملا العيون رواء والقلوب جلالة وبهاء ❊
متشبهة بصفات الملايكة في القوة والتجرد من العلايق الدنيوية وترك الشهوات والاهتمام
ولا يفعلون الا ما يومرون غالبا **سليمة من التغير** اي تبدل احوالهم الصالحة بغيرها **والافات**
وهي النقايص **لا تلحقها** اي تطرا على ارواحهم وبواطنهم **غالبا عجز البشرية** كالجبن
والخوف المفرط المانع من تحصيل المهمات وقال غالبا لانه قد يلحقهم شي منه كما في قوله فاوجس في
نفسه خيفة **ولا ضعف الانسانية** فانه لا يلحقهم وان كان الانسان خلق ضعيفا الا انه
قد يعرض لهم شي من ذلك بحسب الجبلة البشرية ولا يعجزهم عن كمال القوة والهمة **اذ لو كانت**
بواطنهم اي امورهم الباطنة وهو شامل لارواحهم هنا **خالصة للبشرية كظواهرهم**
وظواهر غيرهم وبواطنهم **لما اطاقوا الاخذ** اي قدروا على تلقي الوحي **عن الملايكة** برويتهم
ومخاطبتهم اي مكالمتهم **ومخالتهم** بضم الميم وفتح الخاء المعجمة والف ولام مشددة مفاعلة
من الخلة بالضم وهي اتخاذه خليلا وصديقا وقد تقدم معناه والفرق بينه وبين المحبة ويجوز
مخاللتهم بفك الادغام والاول افصح **كما لا يطيقه** اي ما تقدم **غيرهم** اي غير الانبيا
من البشر لضعف ارواحهم وبواطنهم **ولو كانت اجسامهم** اي الانبيا وفي نسخة اجسادهم
وظواهرهم متسمة اي موصوفة مستعار من السمة وهي العلامة والوسم بمعنى الكي **بنعوت**
الملايكة اي صفاتهم الذاتية وهياتها الحقيقية **وبخلاف صفات البشر** ما خلقت عليه
الملايكة وصورتهم التي صوروا عليها عظما ونورانية **لما اطاق البشر** عن الانبيا **ومن**

كحزن صح

اي الانبيا

اي الانبيا **الذين** من امتهم **مخاطبتهم** وروبتهم ومخالطتهم **كما تقدم من قول الله تعالى**
يعني قوله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وهو يدل على انهم لا يطيقون روية الملك على
خلقته الاصلية بخلاف ما لو تمثل بصورة البشر فانه يمكن البشر رويته كما كان ياتي بصورة
دحية ويراه الصحابة وكما كان يتمثل لمريم فما قيل من ان هذا الاية اي لو كان روبتهم ومخا
وهم على خلقتهم والوارد في القرآن والحديث خلافه وقد رآهم بعض الصالحين واصحاب
الرياضة غلط وخبط ناشئ من عدم الفهم **فجعلوا** اي الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين
من جهة الاجسام والظواهر مع البشر اي موافقين لهم في صورتها **ومن جهة الارواح**
والبواطن مع الملايكة اي متصفين بصفاتهم والمراد بالمعية المشاكلة في الروحانية
والقوى الباطنية حتى اطاقوا رويتهم ومخالطتهم ومخالتهم **كما قال صلى الله عليه وسلم**
في حديث رواه البخاري وغيره يشهد لمخالته للملايكة **لو كنت متخذا من امتي خليلا**
لاتخذت ابا بكر خليلا فانه اقرب الناس اليه واصدقهم محبة له واعظمهم مواساة له بماله
ونفسه واسبق الناس لاتباعه له فاذا لم يتخذه خليلا لم يتخذ احدا غيره وهذا دليل على انه
لم يكن مع البشر بباطنه فهو لا يعتمد على غير الله ولا يحتاج لاحد سواه ثم استدرك على ما
يتوهم من نفي خلة الصديق من انه لا مناسبة بينه وبينه فقال **ولكن** بيني وبين ابي بكر **اخوة**
الاسلام اي انه لم يكن خليلي فهو اخي في الله وفي دين الاسلام لاشتراكنا معا في محبة الله تعالى
وطاعته واتباع دينه والاخلاص فيه والاخوة بضم الهمزة مصدر اي كونه اخا لي ويقال اخوة
بفتح الخا وهي لغة قليلة فيه والحاصل ان بواطنهم وقواهم الروحانية ملكية ولذا ترى مشارق
الارض ومغاربها وتسمع اطيط السما وتشم رايحة جبريل عليه الصلاة والسلام اذا اراد النزول
اليه كما شم يعقوب عليه الصلاة والسلام رايحة يوسف صلى الله عليه وسلم ولذا عرج به صلى
الله عليه وسلم الى السما ولما نفى الخلة عن ابي بكر رضي الله عنه استدرك لتوهم نبوة الغير من
الناس فقال **لكن صاحبكم خليل الرحمن** وقال صاحبكم ولم يقل ولكني وهو اخصر واظهر
اشارة الى انه مناسبته لهم بحسب الظاهر وانه بين اظهرهم لا بحسب الحقيقة وقال خليل الرحمن دون
خليل الله اشارة الى انه خلته لله برحمته وبخلقه بصفة الرحمة فليس خليله الا الله لان الخلة تخلل
المحبة في باطنه وباطنه مشغول بمحبة الله عما سواه وهذا لا ينافي ما ورد في حديث آخر لم يكن نبي
الا وقد اتخذ من امته خليلا الا ان الله اتخذ خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا لان النفي للخلة الحقيقية
المقتضية لاعتماده عليه ظاهرا وباطنا والمثبتة الخلة بحسب الظاهر بحيث يكون وزيره
ووكيله في امور الدنيا وايضا خليل فعيل بمعنى فاعل ومفعول وابو بكر رضي الله عنه خليله بمعنى
الفاعل وليس مخاللا له بمعنى المفعول وانه كان خليلا اولا ثم محضت خلته بعد ذلك لله عند
ما قرب رحلته للقاء ربه فان اول الحديث كما في البخاري عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال
خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فقال ان الله عز وجل خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده
فاختار ذلك العبد ما عند الله فبكى ابو بكر رضي الله عنه فعجبنا لبكائه ان اخبر عن عبد خير
فكان اعلمنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من امن الناس علي في صحبته وماله
ابو بكر ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر ولكن اخوة الاسلام ومودته لا يبقين في
المسجد باب الا سد الا باب ابي بكر وهو نص منه صلى الله عليه وسلم على خلافته كما يعرفه
من له بصيرة **وكما قال** صلى الله عليه وسلم فيما يدل على ان باطنه ملكي وظاهره بشري **تنام**

لطتهم

ح

عيناي بتغميض الاجفان والنوم ظاهرا ولا ينام قلبي لبقاء احساسه وتعلقه بالملأ
الاعلى وكذا سائر الانبيا تنام اعينهم دون قلوبهم كما ورد مصرحا به في حديث البخاري فليس
ذلك من خواصه كما توهمه القضاعي ومن تبعه هنا وهذا دليل على ان ظاهره صلى الله عليه
وسلم بشري وباطنه ملكي ولذا قالوا ان نومه عليه الصلاة والسلام لا ينقض وضوءه كما صرحوا
به ولا يقاس عليه غيره من الامة كما توهم ويتوضيه صلى الله عليه وسلم بعد نومه استحبابا او تعليما
لغيره او لعروض ما يقتضيه وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان في النهي عن صوم
الوصال مع فعله صلى الله عليه وسلم له اني لست كهيئتكم اي لست في حالي وامور مثلكم
فان لي خواص خصني الله بها اكراما منه واصل معنى الهيئة الصورة الظاهرة تجوز بها عن الكيفيات
النفسانية تنزيلا للمعقول منزلة المحسوس ثم بين ذلك بقوله اني اظل بفتحتين اي اكون
عند ربي خص الرب اشارة الى تربيته له باعطائه ما يقويه فلذا وقع موقعه هنا ولم يقل
عند الله ونحوه يطعمني ويسقيني اي يعطيني قوة على ذلك حتى اكون كاني اكلت وشربت
وليس المراد ان الله يطعمه ويسقيه حقيقة وطعام الجنة وشرابها لا يفطر كما قيل لانه ينافي الغرض
المقصود منه من اختصاصه بامر ليس لغيره مع ان قوله اظل يا باه بحسب الظاهر وان امكنه
التجوز فيه لان ظل حقيقته فعل نهارا ولو كان كذلك لم يكن صائما وكون طعام الجنة لا يفطر
لم يقل به احد وهذه القوة تدل على انه صلى الله عليه وسلم ملكي الباطن وقول ابن حبان وغيره
اذا اعطاه الله قوة الصوم من غير جوع لم يكن فيه عظيم اجر فهو لا يناسبه وقوله انه يدل على ان
ما روي من انه صلى الله عليه وسلم كان يجوع حتى يشد الحجر على بطنه لا يصح وانما هو الحجز بزاي
معجمة وشد الحجر لا معنى له في اذهاب الجوع غير ظاهر لان جوعه صلى الله عليه وسلم وشكواه منه
وخروجه لاصحابه وسؤالهم له فاخبرهم فشكوا له ما شكاه وشد الحجارة على بطونهم امر ثابت
في الاحاديث لا وجه لانكاره وشد الحجر يخفف الم الجوع ببرده واقامة صلبه ويمنع امعاه من
الارتخاء ولا ينافي هذا انه يطعمه ربه لاختلاف الحالتين فان في الصوم رياضة واجتذاب للملأ
الاعلى واشتغال الروح عن البدن يمنع الجوع الا ترى المرتاض يمكث اياما لا ياكل ولا يضره وقد
وقد بين وجهه الشيخ في اخر كتاب الاشارات فهذه القوة ملكية روحانية واستبعد القرطبي
ما قيل ان الله يخلق فيه شبعا كما يخلقه فيمن اكل ومراده ما ذكرنا فلا وجه لاستبعاده فبواطنهم
اي بواطن الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم منزهة عن الافات اي ما ينقص قواهم
الملكية مطهرة عن النقائص والاعتلالات اي العلل المضعفة لهم فهذه
جملة فيما يختص بالانبيا عليهم الصلاة والسلام اجمالا لن يكتفي بمضمونها الى ما تضمنته
ودلت عليه كل ذي همة في تحصيل الفضائل بل الاكثر يحتاج الى بسط اي تطويل وتفصيل
ما ياتي به صفة لبسط وتفصيل اي تفصيل على نهج ما ناتي به في البابين المذكور عقب
هذا بعون الله اي اعانته على ما قصده وهو حسبي ونعم الوكيل الذي لا يكل من توكل
عليه هـ

الباب الاول

فيما يجب للانبيا عليهم الصلاة والسلام ويمتنع عليهم فيما يختص بالامور الدينية
اي ما هو من الدين والشرائع النبوية والكلام في عصمة نبينا اي وفي الكلام في عصمته
صلى الله عليه وسلم وعصمة سائر الانبيا اي باقيهم صلوات الله وسلامه عليهم

والعصمة

والعصمة قالوا تختص قدرته بالطاعة دون المعصية او خلق ما نع فيه عن المعصية
لكن لا يجب ان يلجيه ويسلب اختياره ويجبره على الطاعة بل هي لطف من الله يحمله على الطا عة
ويزجره عن المعصية مع بقاء الاختيار تحقيقا للابتلا والتكليف كما قاله الماتريدي ويأتي
الكلام على ذلك مبسوطا وقال القاضي ابو الفضل المصنف عياض رحمه الله تع بتمهيد مقد مة
لما ياتي اعلم ان الطواري اي ما يحدث من غير ما قرن خلقته من التغيرات المغيرة لما
خلق عليه والافات جمع افة وهي ما يفسد ما اصابه والموف ما اصابته وانكره ابو حاتم
وقال انما هو مئيف كما في افعال الشر فيطرى على احاد البشر بالمد جمع ابدلت واوه همزة
ثم الفا لانه من الوحدة اي افرادهم واشخاصهم لا يخلو من ان تطرا على جسمه اي ظاهر
بدنه وجسده او على حواسه جمع حاسة وهي ما يدرك به من البصر والسمع والشم واللمس
والذوق فالمراد الحواس الظاهرة وفعله احس وحس لغة قليلة ومعناها ادرك وحواس
وحاسة من هذه اللغة غير الفصحى وانكره بعضهم وقال انه لم يسمع وقياسه محسة بغير
قصد واختيار بل يخلق الله المنافيه كالامراض والاسقام السقم بمعنى المرض كما في
الصحاح وقيل السقم مسبب عن المرض فالحمى مرض وتغير البدن وضعفه سقم ويقال
سقم وسقم وسقام بمعنى او يطرا بقصد واختيار كافعال العبد واعماله وكله
اي كل ما يطرا باختيار وغيره في الحقيقة اي حقيقة الامر في الواقع عمل وفعل قال في
القاموس الفعل بالكسر الاسنا وكناية عن كل عمل فهما على هذا بمعنى وقال الصاغاني بينهما
فرق فالفعل احداث شي من عمل او غيره فهو اعم وقال الخوي الفعل ما يكون في زمان يسير
من غير تكرير والعمل ما تكرر وطال زمنه وقيل الفعل يختص بمن يعقل ورد بقوله صلى الله عليه
وسلم في الحديث يا ابا عمير ما فعل النغير ولكن جرى رسم المشايخ اي استمرت عادتهم
والرسم التصوير بكتابة ونحوها والفقها استعملوه بمعنى العادة وهو المراد هنا والمراد
بالمشايخ العلما بتفصيله اي تفصيل ما يطرا الى ثلاثة انواع الاول عقد بالقلب
اي نيته نية جازمة وعزما مصمما صادقا والعقد بهذا المعنى ورد في الحديث واصل
معناه الربط المحكم والثاني قول باللسان والثالث عمل بالجوارح جمع جارحة وهي
العضو من اعضاء البدن من الاجتراح وهو الاكتساب وجميع البشر يطرا عليهم الافات
والتغيرات بالاختيار وبغير الاختيار اي لهم حالات مختلفة تنتقل منها من حال
الى حال من نعيم وبؤس ونصر وقهر وهذا امر عام شامل وليس المراد به العزائم واحوال القلب
كما قيل في هذه الوجوه كلها والنبي صلى الله عليه وسلم اي جنس النبي او كل نبي فتعريفه
جنسي او استغراقي وليس المراد نبينا مخصوصا لاستوائهم فيما ذكر وان كان من جنس
البشر ويجوز على جبلته بكسر الجيم والبا الموحدة وفتح اللام المشددة بمعنى الطبيعة
والخلقة التي خلق عليها بحيث لا يقبل التغير بسهولة ما يجوز على البشر سواه وما موصو لة
في محل رفع فاعل يجوز الذي تقدم فقد قامت اي تحققت وظهرت البراهين جمع
برهان وهو الدليل والحجة كما تقدم القاطعة اي القطعية دلالتها على ما ثبت بها وتمت
كلمة الاجماع كلمة واحدة تامة على خروجه عنهم اي خروج النبي من جنس البشر غيره هـ
وتنزيهه اي تبرئته بنفي ذلك عنه وتبعيده ساحته عن كثير من الافات اي العوارض
التي تطرا على البشر فتنقص مقاماتهم العلية التي تقع اي تصدر وتتحقق في الواقع والخاد

على الاختيار وعدم الاختيار لتكريم الله لهم بالعصمة من امثالها كالامور القبيحة والافعال الذميمة كما سنبينه ان شاء الله تع فيما نأتي به من هذا الكتاب وهذا القسم من التفصيل الموضح لها

فصل في حكم عقد قلب النبي صلى الله عليه وسلم

والمراد بعقد قلبه ما انعقد عليه اعتقاده وجزم به مما ثبت عنده يقينا من وقت نبوته ورسالته اي اظهارها للناس بعد الوحي اليه والغاية محل وقد للعلم بها اي الى اخر عمره فعقد القلب هو الاعتقاد الجازم الذي لا يحتمل النقيض اصلا اعلم تقدم انه مثله يبتدا به فيما يهتم به والخطاب عام لكل من يصلح للخطاب منحنا الله اي اعطانا وانعم علينا واياك الخطاب كالذي قبله وهو معطوف على المفعول الاول وقوله توفيقه المفعول الثاني وقوله ان ما يتعلق منه بطريق التوحيد ضمير منه لعقد قلب النبي صلى الله عليه وسلم اي اعتقاده وعلمه اليقيني الجازم الذي اتصف به بعد نبوته وما موصولة والعائد ضمير منه اي علمه الذي له تعلق بالتوحيد والعلم بالله اي بذاته وحقيقته وصفاته الذاتية الثبوتية والسلبية والاضافية وغيرها والايمان به اي بما ذكر من توحيده وحقيقة ذاته وصفاته وبما اوحي اليه بالبناء للمجهول اي ما اوحاه الله اليه من شرعه ليعمل به او يبلغه لغيره فعلى غاية المعرفة الفاء زائدة في خبر الموصول ودخول الباء لا يمنع منه كما بينه النحاة يعني ان علم الانبيا المتعلق باصول الدين والعقائد وصل الى النهاية والغاية التي لا يصل اليها سواهم ووضوح العلم واليقين اي لتيقنهم لذلك انكشف لهم انكشافا تاما بحيث انه لا يقبل الزوال ولا ترتاب فيه النفس لقدسية وعلى غاية الانتفاء عن الجهل بشيء من ذلك فليس لهم جهل بشيء من ذلك اصلا او الشك او الريب فيه اي التردد واحتمال نقيضه لانه حق اليقين لا يطرا عليه شيء من ذلك والعصمة بالجر عطف على المعرفة اي على غاية العصمة وتقدم معناها عن كل ما يضاد المعرفة بذلك المذكور من التوحيد وما بعده بان يحصل شاغل لها ويضاد اليقين من شك او ريب في شيء منه هذا المذكور من علم الانبيا بما ذكر ما وقع اجماع المسلمين عليه ولم يخالف فيه احد منهم ولا يصح بالبراهين الواضحة التي في غاية الظهور ان يكون في عقود الانبيا اي عقائدهم التي ارتبطت عليها قلوبهم سواه اي غيره مما يخالفه اصلا ولا يعترض على هذا اي ما وقع عليه الاجماع وكشفته البراهين القاطعة حتى لا يحتمل غيره بوجه من الوجوه بقول ابراهيم صلى الله عليه وسلم فيما حكاه الله تع عنه اذ قال بلى ولكن ليطمئن قلبي فجعل اطمينان قلبه بمشاهدة الاحيا يقتضي ان عنده ريبة وشبهة في ذلك ورده بقوله اذ لم يشك ابراهيم متعلق بالنفي اي انتفى الاعتراض بما ذكر في اخبار الله تعالى له باحياء الموتى اي ما اخبر الله به من انه هو الذي يحيي الموتى ويوجدها من العدم ولكن اراد بما قاله مما يوهم الشك طمانينة القلب قال الراغب الاطمينان السكون بعد الانزعاج واطمان وتطامن متقاربان لفظا ومعنى انتهى فطمانينته زوال القلق وانزعاجه من امر ما وترك المنازعة مفاعلة من النزع وهو جذب الشيء عن مقره كنزع القوس ويعبر بها عن المخاصمة والمجادلة ومنازعة القلب ميله الى شيء ما والمراد هنا ترك القلق او ترك الميل الى الشبهة في كيفية ذلك بعد تحققه عنده كما اشار اليه بقوله بمشاهدة الاحيا وكيفية صدوره عن القدرة فحصل له العلم الاول

بوقوعه اي تيقن وقوعه من الله اجمالا من غير شبهة فيه واراد بسؤاله رتبة العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته اي مشاهدة صدوره عن الله تفصيلا ليزيد علمه وطمانينته لا انه شاك فيه وهو جواب عن الاعتراض الوارد عن قولهم ان علم الانبيا بالله لا يعتريه شك بان الخليل عليه الصلاة والسلام اجلهم وقد شك فاجاب بانه لم يشك ولم يحصل وانما اراد الانتقال عن علم اليقين الى عين اليقين وهذا امر لا ضرر فيه الوجه الثاني في جواب الاعتراض على ما وقع من الخليل ان ابراهيم صلى الله عليه وسلم انما اراد بسؤال ربه اختبار منزلته عند ربه المراد بالاختبار لازمه وهو العلم اي ان يتحقق رتبته عند الله وعلم اجابة دعوته اي يعلم انه مقبول عنده حتى لا يرد دعاه ولا يخيب فيه رجاه وان يريه كيف احيا الموتى وفي نسخة اجابة دعوته بالاضافة وعلم تحقق رتبته عند الله ليس فيه ما يضره وينقص معرفته بربه فما قيل انه يقتضي شكه في منزلته عند الله وهو غير واقع لا وجه له ولما كان قوله تع في جوابه اولم تؤمن يقتضي الاعتراض دفعه بقوله ويكون على هذا قوله اولم تؤمن بالاستفهام الانكاري المقتضي بحسب الظاهر نفي ايمانه فيأول اي الم تصدق بمنزلتك مني وخلتك اي اتخاذك خليلا واصطفائك اي اختيارك على غيرك تشريفا وتكريما لك فالايمان بمعناه اللغوي وهو التصديق والمصدق به المنزلة والاصطفا فانه لا يلزم من النبوة اصطفاؤه بحيث يطلعه على اسرار لدنيه ولعله كان في اول امره الوجه الثالث انه سال من ربه زيادة اليقين وقوة طمانينته اي ان يقوي طمانينة قلبه وسكونه بحيث يتقرر قرارا متمكنا غاية التمكن وان لم يكن في علمه الاول الذي كان قبل المشاهدة شك في شيء من امور الرب وتوحيده وقدرته وهو دفع لما يتوهم من ان هذا الطلب يقتضي الشك منه بانه انما هو لقبول اليقين الزيادة كما بينه بقوله اذ العلوم الضرورية التي تحصل من غير استدلال لظهورها والنظرية التي تتوقف على نظر واستدلال لكونها غير بديهية قد تتفاضل اي تزيد بعضها على بعض لانه تفاعل من الفضل بمعنى الزيادة كما وكيفا في قوتها لانها كيفيات نفسانية تقبل التفاوت في الوضوح والخفا والعلم ينقسم الى ضروري ونظري وعلم الله حضوري لا يوصف بذلك اصلا وطريان بفتحات بمعنى حدوث شكوك جمع شك على الضروريات اي العلوم الضرورية كالواحد نصف الاثنين والضدان لا يجتمعان ممتنع لما هو ظاهر ومجوز بصيغة المفعول اي يجوز العقل طريانها وعروضها في النظريات المكتسبة بالنظر والفكر يعني ان علم الخليل عليه الصلاة والسلام بذلك اولا كان نظريا يقينا لا شبهة فيه ولكن النظريات من شانها انها تحتمل الشكوك فاراد الانتقال الى رتبة اعلى منها يكون علمه بقدرة الله على الاحيا ضروريا فيها لا يحتمل خلافه اصلا ليطمئن قلبه بذلك فقط وهذا معنى ما في المواقف من ان سؤال الخليل عليه الصلاة والسلام لم يكن عن شك في قدرته تع بل طلبه لان في عين اليقين ما ليس في علم اليقين فان للوهم باحداث الوساوس والدغادغ سلطانا على القلب عند علم اليقين دون عين اليقين وليس في كلام المصنف رحمه الله ما يقتضي ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقع منه شك في علمه النظري بل ان النظري من حيث هو يجوز طريان الشك عليه وفرق بين الشك وجوازه فجوازه على العلم اليقيني لا يقتضي وقوعه حتى يعترض عليه بان ابراهيم علمه يقيني لا يحتمل النقيض وانه يجوز ان يخلق الله فيه علما ضروريا بذلك بعد الوحي

او الكشف وكذا ما قيل من انه اذا علم منه ذلك لما وجد قوله اولم تؤمن لان المصنف اشار الى دفعه في الجواب الثاني فيعلم بالقياس عليه اي لم نعلم ذلك علما غير محتاج للمشاهدة والى هذا اشار المصنف بقوله فاراد ابراهيم عليه الصلاة والسلام بسؤاله الانتقال من النظر اي من العلم الحاصل من البرهان القطعي اليقيني الذي لا يحتمل النقيض والخبر الصادق بالوحي اليه الذي لا شك فيه الى المشاهدة والنظر بعينه والترقي اي الصعود الى الاعلى من علم اليقين الحاصل بالنظر او الخبر الى عين اليقين الحاصل بمشاهدته عيانا وهذا يقتضي ان المحسوسات والعلوم الضرورية تسمى يقينا وايقانا وفي الكشاف وشروحه وتفسير القاضي ان العلم الذي من شانه ان يتطرق اليه الشك والشبهة اذا انتفيا عنه كان ايقانا ولذلك لا يوصف به العلم القديم ولا الضروري فلا يقال تيقنت ان الكل اعظم من الجزء وينافيه قوله في سورة التكاثر علم المشاهدة اعلى مراتب اليقين وقد بيناه في حواشي البيضاوي فليس الخبر كالمعاينة هذا من الامثال النبوية ورد في حديث مرفوع رواه احمد في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الخبر كالمعاينة ان الله اخبر موسى بما صنع قومه بالعجل فلم يلق الالواح فلما عاين ما صنعوا القى الالواح فانكسرت وقال الشاعر

ولكن للعيان لطيف معنى • له سال المعاينة الكليم •

ولهذا قال سهل بن عبد الله التستري وقد قدمنا ترجمته سال الخليل عليه الصلاة والسلام كشف غطا العيان اي الغطا المانع للعيان بكسر العين اي المعاينة والغطا ما يغطيه ويستره ليزداد بنور اليقين اي ما ينوره ويظهره عيانا تمكنا في حاله من العلم والمشاهدة ليكون على بصيرة تامة في معرفة الله وفيه استعارة مكنية مرشحة لتشبيهه بامر محجب تحت غطاء ازالته المشاهدة والكلام على علم اليقين وحق اليقين وعين اليقين والفرق بينها بحسب اللغة ظاهر وللصوفية فيها اصطلاح اورده بعضهم هنا وبنى عليه امورا واهية ولا حاجة لنا به • وههنا سؤال مشهور وهو مروي عن علي كرم الله وجهه انه قال لو كشف الغطا ما ازددت يقينا فقيل كيف يقول هذا والخليل عليه الصلاة والسلام يقول ولكن ليطمئن قلبي فطلب كشف الغطا ليزداد يقينا وهو اجل رتبة فنقل السبكي عن الغزالي رحمه الله انه قال اليقين يتصور ان يطرا عليه الجحود لقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم والطمانينة لا يطرا عليها ذلك وقال ابن عبد السلام مراد علي ما ازددت يقينا في الايمان وان كان برؤيته يزداد بمعرفة تفاصيلها كمن راى بناء عجيبا علم ان له صانعا قادرا فطلب ان يرى كيف يبني وعندي ان السؤال غير وارد راسا حتى يحتاج لما قالوه فان كلا منهما لم يتوارد على امر واحد اذ مراد علي كرم الله وجهه ان امور الاخرة التي عرفها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقف على حقايقها بالكشف اذا شاهدها عيانا لا يزيد يقينه بها والخليل عليه الصلاة والسلام طلب في الدنيا ان يشاهد كيفية الاحيا ونفخ الروح لا مراجعة واين هذا من هذا حتى يحتاج للتوفيق الوجه الرابع انه اي ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما احتج على المشركين يعني نمروذ وقومه بان ربه يحيي ويميت طلب ذلك اي سال ربه الاحيا وكيفيته ليصح احتجاجه ويتحقق ما انكروه عيانا ومشاهدة ليقطع عنادهم ويبطل شركهم وهو في نفسه غير متردد فيه فقوله اولم تؤمن تعريض لهم على حد قوله اياك اعني فاسمعي يا جاره • ولا طريق لالزامهم الا هذا فسقط

ما قيل انه لا يلزم من اقامة البرهان بشيء مشاهدته الوجه الخامس قول بعضهم هو سؤال على طريق الادب والمراد منه حقيقة اقدرني على احيا الموتى ليكون معجزة له كما وقع لعيسى عليه الصلاة والسلام ليفحم من عارضه ويوبخهم فلم يسند الاحيا اليه تادبا منه واسنده الى الله لانه المحيي والمميت حقيقة وان اجراه على يد غيره ومعنى قوله ليطمئن قلبي على هذا التقدير اطمئنانه عن هذه الامنية بضم الهمزة ما يتمنى ويراد وهي معجزة احيائه الموتى عيانا وقوله اولم تؤمن اي اولم تصدق باني اجيب دعوتك واعطيك امنيتك او تعريض كما تقدم وقوله ارني الخ تجوز به عن سببه ولازمه لانه اذا اقدره على صدوره نقل منه راه فلا يرد انه لا دلالة للفظ على هذا المعنى ولا يمكن مع قوله اولم تؤمن الوجه السادس انه اري اي اظهر لغيره من نفسه وفي نسخة راي في نفسه والاصح ما تقدم لاحتياج هذا للتكليف الشك اي صورته والتكلم به وما شك حقيقة لقوة يقينه وكمال علمه بالله وقدرته ولكن فعل ذلك ليجاوب بالبنا للمجهول اي ليجيبه ربه تادبا منه فيزداد قربه من الله حال مناجاته له وتلذذه بخطابه وشرفه بقرب منزلته عنده لاعتنائه باجابته واستبعد هذا بانه كيف يظهر ما هو منتف عنه مما يؤدي الى تنقيصه وسوء الظن باعتقاده وليس بشيء لانه انما يتم ما قاله لو استمر على حاله اما اذا ادى الى ما حقق كماله ويقينه كما هو معروف من طريق المجادلة والجري مع الخصم حتى يفحمه فلا وقول نبينا صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك من ابراهيم هذا جواب عن سؤال تقديره قد نفيت الشك عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام في هذه الاجوبة والنبي صلى الله عليه وسلم اثبته له في هذا الحديث وجعل نفسه احق بذلك منه فاجاب بما اجاب به المزني صاحب الشافعي فقال هو نفي لان يكون ابراهيم شك وابعاد للخواطر جمع خاطر او خاطرة بمعنى الفكر او الشبهة لانها في الاصل ما يعرض للانسان من الافكار والشبه ويتجوز بها عن محله وهو القلب ويصح ارادة كل منهما هنا الضعيفة اي التي ترتفع بادنى تامل لظهور بطلانها وان يظن هذا اي الشك بابراهيم لان مقامه يجل عن مثله وحاصله انه صلى الله عليه وسلم قصد نفي الشك عنه ببرهان قوي وقياس منطقي تقريره لو شك ابراهيم كنت انا شاكا ايضا بل احق اي اولى واقرب لذلك مني لانه يجوز علي ما يجوز على غيري من الانبيا عليهم الصلاة والسلام وما كنت بشاك وقد علم اني لم يقع مني شك قط فكذلك ابراهيم ايضا فنفاه بنفي لازمه الا انه صلى الله عليه وسلم افضل من ابراهيم ولا يلزم من نفي شيء عن الفاضل نفيه عن المفضول فكيف قال أفضل من ابراهيم وانه احق منه واشار المصنف الى جوابه بقوله اي نحن موقنون بالبعث واحيا الموتى عطف تفسير على البعث فلو شك ابراهيم اشارة الى انه قياس استثنائي لكنا اولى بيان لان احق بمعنى اولى بالشك منه اي من ابراهيم ثم اشار الى دفع السؤال الوارد على قوله احق كما قدمنا بانه انما على طريق الادب منه مع ابيه ابراهيم عليهما الصلاة والسلام بقوله احق او يريد بقوله نحن امته الذين يجوز عليهم الشك لعدم عصمتهم لانه كثيرا ما ينسب لنفسه ما هو لامته لنكتة تقتضيه اي انتم مع انكم دون مقام ابراهيم لم تشكوا فكيف به لانه قيل ان بعضهم لما سمع قوله ارني الخ ان ابراهيم شك او قاله على طريق التواضع منه وهو قريب من الجواب الاول مع الفرق الظاهر والاشفاق اي الخوف من ان يبتلى بما ابتلي به اذ جهلت

بالبنا للمفعول ونايب فاعله قصة ابراهيم عليه الصلاة والسلام في سؤاله ربه على
اختباره حاله بالبا الموحدة وهو الوجه الثاني من الاجوبة السابقة كما تقدم او زيادة
يقينه وقيل انه قاله قبل علمه بانه افضل من ابراهيم وقيل انما قاله لما عاين من انكار قومه
البعث فتامل ثم اورد دفع شبهة تتوهم من ظاهر بعض الايات وتقريرها ان الانبيا عليهم
الصلاة والسلام لا يطرا عليهم شك في عقايدهم وفيما اوحي اليهم فقال فان قلت
فما معنى قوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك بناء على ان الخطاب له صلى الله
عليه وسلم لا عامة ولا لغيره والشك فيه شك في انه من عند الله ومطابق لما اوحي اليه من
الانبيا فاسال الذين يقرون الكتاب من قبلك الايتين يعني لقد جاءك الحق من ربك
فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله فتكون من الخاسرين وفي الارتشاف
ان هذه الشرطية غير ممكنة فاحذر ثبت الله قلبك جملة دعايية معترضة ان يخطر
ببالك اي قلبك وفكرك ما ذكره بعض المفسرين ممن لم يرق فوق النظر وليس من اهل التحقيق
وهو مبالغة في عدم اعتقاد مثله عن ابن عباس او غيره من السلف من اثبات شك النبي
صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه بناء على ظاهر اللفظ وانه من البشر فيطرا عليه
صلى الله عليه وسلم ما يطرا عليهم فمثل هذا اي هذا وامثاله او ومثله غير جائز فكيف به
لا يجوز ان يطرا عليه جملة اي لا يجوز كله ولا شي منه بل اضراب ابطالي قد قال ابن
عباس فيما صح روايته عنه كما قاله ابن ابي حاتم في تفسيره لم يشك النبي صلى الله عليه
وسلم لان الشرطية فرضية غير ممكنة ولو قلنا الخطاب له صلى الله عليه وسلم ولم يسال
احدا من اهل الكتاب ونحوه عن ابن جبير والحسن البصري وحكي قتادة كما رواه ابن جرير
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لما نزلت الاية لا اشك ولا اسال في شي من ذلك
وعامة المفسرين اي كلهم يقال جاوا عامة وقاطبة اي جميعا على هذا اي متفقون على انه
ليس المراد انه شك او سال وبعد اتفاقهم على هذا اختلفوا في معنى الاية المقصود بها
فقيل المراد قل يا محمد للشاك اي لمن يشك في الوحي المنزل عليك ان كنت في شك
من دينى الاية فالخطاب ليس له صلى الله عليه وسلم فلا ترد الشبهة وبراة الساحة قرينة
قرينة وتقدير القول كثير في كلام العرب قالوا اي الذاهبون لهذا التاويل وفي السورة
نفسها عطف على مقدر اي في القرآن ما يدل عليه وفي السورة الخ ما دل على هذا التاويل
وقوله قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني الاية وقوله قل بدل من مما او خبر
مبتدا تقديره هو ويجوز نصبه اي اعني قوله والاية تمامها فلا اعبد الذين تعبدون من
دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم ووجه السؤال ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام
لا يعتريهم شك في شي من امور الدين والاية بحسب الظاهر دالة على خلافه فاجاب
بان الخطاب لغيره وايده بانه ورد مصرحا به في هذه السورة والقرآن يفسر بعضه بعضا كثيرا
ووصف الله بانه الذي يتوفاهم ويميتهم كما احياهم تهديد لهم وتنبيه لهم على انه الذي ينبغي
ان يخاف منه ولا يشك فيه احد فضلا عن سيد الانبيا عليهم الصلاة والسلام وقيل المراد
بالخطاب في قوله فان كنت في شك الاية العرب وغير النبي صلى الله عليه وسلم وافرد
الضمير لنا ويله بمن يسمع الخطاب فالخطاب بحسب الظاهر له والمراد غيره بطريق التعريض
ومثله كثير في القرآن وكلام العرب كقوله يا ايها النبي اتق الله بدليل قوله بعده واتبع ما يوحي

اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا ولو كان الخطاب له قال بما تعمل ووجه الخطاب
تعظيما له وتهويلا لامر الشرك كما قال الله عز وجل لئن اشركت ليحبطن عملك الخ اي يفسد
ويسقط عن الاعتبار ويبطل من حبطت الدابة اذا افرطت في المرعى حتى ماتت وانتفخت وجعل
هذه الاية مشبهة به لانه اظهر في التعليق بالمحال لان الخطاب فيها للرسل كلهم اذ اولها لقد
اوحي اليك والى الذين من قبلك اي من الرسل لئن اشركت الخ وافرد لان المراد كل واحد منهم وهم
مبرؤون عن الشرك فالمراد بذلك اممهم ممن يجوز عليه الشرك واليه اشار بقوله الخطاب له
والمراد غيره تعريضا وتضييقا لحميتهم حتى ينتهوا عما لو وقع من احب خلق الله لم يعف
ومثله اي ما ذكر من الخطاب المقصود به غيره قوله تعالى فلا تك في مرية اي شك وريب مما يعبد
هؤلاء اي لا تشك في انه ضلال باطل مؤد الى العذاب الشديد ونظيره مما قصد بالخطاب الغير
كثير في القرآن وكلام العرب وهو باب واسع يسمونه التعريض والتلويح وله نكات ومقاصد
جليلة كحمله على قبول ما يلقى والاذعان واطفاء نار الغضب والحمية كما فصله اهل المعاني وهو
اقسام مشهورة قال بكر بن العلا بفتح العين وهو القاضي بكر بن العلا من علماء المالكية الاجلاء
وما قاله مؤيد لما قدمه من ان الخطاب لغيره الا تراه اي الله عز وجل يقول في هذه الاية
ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله فهذا شاهد صدق في غاية الظهور وهو صلى الله عليه
وسلم كان المكذب بالتشديد وصيغة اسم المفعول في التكذيب فهذا كله مما ذكر في تلوين
الخطاب يدل على ان المراد بالخطاب غيره لانه لا يصح كونه مرادا بالخطاب لظهور فساده
لما عرفته مما قرره ومثل هذه الاية في ان المقصود بالخطاب غير من القي اليه قوله تعالى
الرحمن فاسال به خبيرا اتى بهذه الاية دليلا لما قاله من انه قد يومر الرسول بامر والمقصود
امر غيره من امته ان يسال النبي صلى الله عليه وسلم فهو مسؤول وان كان ظاهر النظم انه سايل كما
بينه بقوله المامور ها هنا اي في قوله فاسال به خبيرا غير النبي صلى الله عليه وسلم من امته
ليسال النبي والنبي هو المقصود بقوله الخبير اي العارف بحقيقة الامر فهو في الحقيقة
المسؤول منه لا المستخبر السايل هو تفسير للمستخبر اي الطالب للخبر السايل عنه وهذا وما بعده
من كلام بكر بن العلا رحمه الله وهذا بناء على احد التفاسير في هذه الاية وقيل انه صلى الله عليه وسلم
امر ان يسال جبريل او الله عز وجل والاية على ظاهرها وقيل انه امر بسؤال اهل الكتاب فيصدقوه
لتندفع شبهة المشركين وقيل الضمير راجع للرحمن وان المشركين انكروا اسم الرحمن فالمعنى انهم
انكروا اطلاق الرحمن على الله فسل اهل الكتاب ليخبروهم باطلاقه عليه في الكتب المنزلة على غيرك
من الرسل وعلى هذا فلا شاهد فيه لما عن بصدده والبا سببية او تجريدية او بمعنى عن وقال
بكر بن العلا في معنى قوله تعالى فان كنت في شك الاية ان الشك الذي امر به غير النبي صلى
الله عليه وسلم بسؤال الذين يقرون الكتاب عنه من الاحبار والرهبان انما هو فيما قصه الله عز
وجل في كتابه الكريم من اخبار الامم السالفة مع انبيايهم ونجاة المؤمنين منهم وهلاك من كفر
فانهم امة امية لا يعرفون احوال الامم ولم يصدقوا ما قصه الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه
وسلم لا فيما دعا النبي صلى الله عليه وسلم اليه اي الى الايمان به من التوحيد اي الايمان بالله وحده
والشريعة التي شرعها على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وبلغها لهم وامرهم باتباعه من الملة الحنيفية
فان هذا امر لا تندفع شبهة المشركين فيه بسؤال اهل الكتاب وانما تندفع بالبراهين والمعجزات
الباهرة ومثل هذا اي امر النبي صلى الله عليه وسلم بالسؤال والمقصود امر غيره قوله عز وجل

نبيه

واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا الآية اي اقرأ الآية بتمامها وهو أجعلنا من دون الرحمن
آلهة يعبدون الاستفهام انكاري لتكذيبهم ونفي ما ادعوه ببرهان تقريري اي لم نجعل آلهة
غير الله تعبد في ملة من الملل لاجماع من قبلك من الانبيا على توحيد الله فهو امر لم تبتدعه فكيف
يكذب ويعادى من اتى به ولما كان ظاهر الآية مشكل لانه امر صلى الله عليه وسلم بسؤال الرسل
الذين قبله وهم غير موجودين فكيف يتمكن من سؤالهم وهو ايضا عالم بالتوحيد متيقن له كما اخبر الله
به غير محتاج للسؤال عنه اشار الى تأويلها بقوله المراد به المشركون والمسؤول عنه اهل الكتاب واحبارهم
فالمعنى اسألوا علماء اهل الكتاب العالمين بما انزل الله على الرسل من قبلك هل في كتبهم غير التوحيد
والخطاب في هذه الآية مواجهة للنبي صلى الله عليه وسلم لامره به ظاهرا والمقصود غيره من
المشركين قاله اي هذا التأويل والتوجيه القتيبي اختلف النسخ هنا ففي اكثرها العتبي بعين
مضمومة ومثناة فوقية مفتوحة وبا موحدة ويا نسبة مشددة وفي بعضها القتيبي بزيادة يا
مثناة تحتية بعد التا الفوقية وهما بمعنى والمراد به امام اهل اللغة والتفسير ابن قتيبة بن سعيد بن
طريف بن جميل صاحب التآليف الجليلة المشهورة وفي بعضها العتبي بضم العين المهملة وسكون التا
المثناة الفوقية والموحدة وهو عمدة مذهب مالك فقيه الاندلس محمد بن احمد بن عبد العزيز القرطبي
العتبي نسبة لعتبة بن ابي سفيان لانه من مواليه وهو صاحب كتاب العتبية المشهور في مذهب مالك
وتسمى المستخرجة كما تقدم بيانه ورجح البرهان الحلبي النسخة الاولى وقيل معناه المذكور في هذه
الآية سلنا اصله اسألنا فنقل حركة الهمزة للسين فحذفت همزة الوصل وهي لغة مشهورة وضمير العظمة
لله وحده عمن ارسلنا فحذف الخافض اي عن الجارة وتم الكلام من غير تعلق له بما بعده بعد حذف
المفعول والجار واتصال الفعل بنفسه ومثله كثير وان كان غير منقاس ثم ابتدأ الكلام واستأنفه
فقال أجعلنا من دون الرحمن آلهة الى آخر الآية يعني آلهة يعبدون على طريق الانكار لعبادة
غير الله بالاستفهام الانكاري الذي هو في معنى النفي فلذا قال اي ما جعلنا آلهة فلا عبادة
لغيره وفي نسخة ما جعلناه قاله وفي نسخة حكاه مكي بن ابي طالب الامام المفسر الزاهد صاحب
التآليف الجليلة ولد بالقيروان واقام بالاندلس بعد اقامته بمكة ولذا نسب اليها كما تقدم وقيل
في تأويل الآية وامره بسؤال الرسل وهم غير موجودين انه امر صلى الله عليه وسلم وامر مبني للمفعول
او الفاعل اي امره الله ورجح الاول هنا ان يسأل الانبيا لما اجتمع بهم في ليلة الاسرا كما مر من
اجتماعه بهم في السما عن ذلك اي عن جعله آلهة تعبد من دون الله فكان صلى الله عليه وسلم بما
كشف له من عين اليقين اشد يقينا واكثر علما بالله وبما جعله من سائر الانبيا من ان يحتاج الى السؤال
منهم لانه اعرفهم بالله وبما فعله وفي قوله وقيل اشارة الى ضعفه الا ان مثله لا يقال من قبل الرأي
وشدة يقينه صلى الله عليه وسلم معروفة فامره بذلك انما هو لاظهار امره ورفعة قدره فلا وجه
للاعتراض عليه بما ذكر فروي انه صلى الله عليه وسلم وروي مبني للمجهول واوله انه صلى الله عليه
وسلم ليلة اسري به بعث الله له آدم وولده من الانبيا عليهم الصلاة والسلام فاذن جبريل ثم
قال له يا محمد صل بهم فلما فرغ قال له عن الله سل من ارسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون
الرحمن آلهة يعبدون فقال لا اسأل احدا منهم قد كفيت بما عندي من اليقين الذي ثلج
به صدري قاله ابن زيد هو عبد الرحمن بن زيد بن اسلم كما تقدم وليس فيه مخالفة لامر الله له
لانه علم الله ليس امر ايجاب بل اظهار لعلمه وشدة يقينه وقيل معناها سل امم من ارسلنا بتقدير
مضاف بقرينة ان الرسل لم يكونوا موجودين لما امر بالسؤال بل الاخبار من اممهم هل جاءهم

اي هل جاءهم رسلهم من عند الله بغير التوحيد اي اعتقاد وحدانيته وعبادته وحده والاستفهام
تقريري اي ما جاؤهم الا به فهو لنفي مجيئهم بغيره وهو اي ما ذكر قول مجاهد والسدي
والضحاك وقتادة في تفسير هذه الآية والمراد بهذا اي ما قاله مجاهد ومن ذكر بعده والذي
قبله مما حكاه بقيل او ما ذكره ابن زيد ومن تقدمه وقيل المراد بهذا قوله واسأل من ارسلنا قبلك
من رسلنا الآية والذي قبله قوله فان كنت في شك الخ اعلامه صلى الله عليه وسلم بما بعث به
الرسل من التوحيد وانه لم يأذن لاحد من الرسل واممهم في عبادة غيره عز وجل ردا على مشركي
العرب وغيرهم من عبدة الاصنام وغيرهم وردا مفعول لاجله تعليل لما قبله من مراد الله فانه
لا يتصور نسبة ما ذكر له صلى الله عليه وسلم في قولهم انما نعبدهم اي الاوثان ليقربونا الى الله
زلفى اي قربى من زلف بمعنى قرب فهو مؤكد لما قبله وتفصيله في التفاسير وفي الشرح
الجديد ان الاجوبة المذكورة كلها بعيدة وان الداعي لهم لتأويل الآية بما ذكر قصور النظر عن تصور
مقامه صلى الله عليه وسلم واتصاله بالملأ الاعلى في كل حين واجتماعه بارواح الانبيا واطال
في ذلك بنقل كلام سادات الصوفية وهو قريب مما ذكره المصنف في سؤاله في قصة الاسرا ولولا
خشية الاطالة بلا طائل نقلنا كلامه هنا وكذلك اي مثل ما ذكر من الآيات التي نسب له صلى
الله عليه وسلم الشك فيها والمراد غيره بلا شك قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه
اي القرآن منزل من ربك بالحق اي ملتبسا به ونسب العلم لجميعهم لعلم احبارهم به وتمكن باقيهم
من ذلك بادنى تأمل فلا تكونن من الممترين اي لا يكن عندك شك فالمراد ظاهرا نهيه عن الشك
والمراد نهي غيره كقوله يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني ووجه آخر اشار اليه بقوله اي في
علمهم بانك رسول الله وانهم يعرفون ذلك اي بحقيقة ما نزل عليك وانك رسول الله حسدا
منهم بعد ما تبين لهم الحق وليس المراد به اي بقوله فلا تكونن من الممترين شك فيما ذكر في
اول الآية يعني قوله فان كنت في شك كما يتوهم من ظاهر الآية بل المراد ما قررناه لك وقد
يكون ايضا هذه الآية واردة على مثل ما تقدم اي على طريقته في التأويل السابق بان يكون
الخطاب له صلى الله عليه وسلم والمقصود غيره على نهج الكناية التعريضية التلويحية اي قل
يا محمد لمن امترى وشك في ذلك اي في حقيقة ذلك وانك رسول الله فلا تكونن من الممترين
في ان القرآن نزل عليك من الله ارسلك به وايدك بمعجزاته فليست الآية على ظاهرها بدليل
قوله تعالى في اول الآية التي فيها والذين آتيناهم الكتاب افغير الله ابتغي حكما الآية
اي لا اريد حاكما غير الله يحكم بيني وبينكم يميز المحق والمبطل فهذا صريح في انه صلى الله عليه
وسلم مبرأ عن الشك والريب وان النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب بذلك اي بما يدل على
الشك والامترا غيره من اهل الكتاب والمشركين كما تقدم بيانه وقيل هو اي ما ذكر مما نسب اليه
فيه ما لا يليق وقيل المراد امره صلى الله عليه وسلم بالسؤال في الآية تقرير اي حمل لغيره على
ان يقر بما عنده فيزجر عنه او بالحق حتى يسجل عليه كقوله أأنت قلت للناس اتخذوني
وامي الهين من دون الله فانه استفهام تقريري حمله على الاعتراف توبيخا لغيره ممن اسند
ذلك لغيره وقد علم الله انه لم يقل ذلك وقيل معناه اي معنى الامر بالسؤال في الآية ما
كنت في شك في حقيقة ما انزل اليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب تزدد بسؤالك طمأنينة
اطمئنان قلب وعلما الى علمك ويقينا الى يقينك فانه يقبل الزيادة كما تقدم وقيل معناه
وتأويله إذ كنت تشك فيما شرفناك وفضلناك به لا في امر التوحيد والذين فسلهم

اي اهل الكتاب **عن صفتك في الكتب** المنزلة على من قبلك **ونشر فضايلك** اي ما ينبه فيها او شاع من فضايلك التي فضلك الله بها على غيرك من الرسل **وحكي عن ابي عبيدة** معمر بن المثنى التيمي امام اهل اللغة توفي سنة عشر او احدى عشرة ومايتين وقد قارب المائة **ان المراد** في هذه الاية **ان كنت في شك من غيرك** من اعتقاد غيرك **فيما انزلناه** عليك من الحق المنقذ من الضلال فاسيل الذين يقرون الكتاب من قبلك حتى يخبروك بما عندهم فيه **قد كذبوا على قراة التخفيف** اي تخفيف الذال والبنا للمفعول استيأس استفعل من اليأس ضد الرجا واستيأس بمعنى يئس كاستعجب بمعنى عجب الا ان فيه مبالغة في اليأس عند الزمخشري لان زيادة البنا تدل على زيادة المعنى وبهذه القراة قرا عاصم وحمزة والكساي وغيرهم والمعنى انهم لشدة مخالفة اممهم لهم يئسوا منهم فظنوا ان ما وعدوا به من النصر عليهم كذبا والوعد من الله الذي لا يخلف الميعاد فهذا منهم يقتضي شكهم فيما جاهم من الوحي وهم منزهون عن مثله فهذه شبهة تقتضي خلاف ما قرره اولا وحتى غاية لما قبلها محذوف قدروه بوجوه متقاربة منها ما ارسلنا قبلك الا رجالا لا تراخي النصر عنهم حتى يئسوا منه وظنوا تخلف ما وعدهم الله به فاجاب المصنف عنه بقوله **قلنا** جوابا عن هذه الشبهة التي هي اقوى مما قبلها لان في تلك نسبة الشك بحرف الشرط المقتضي لعدم وقوعه وفي هذه نسبة الظن باذا المقتضية لتحققها **المعنى في ذلك** اي في نسبة الظن المذكور في الاية **ما قالته عايشة** ام المومنين **معاذ الله** منصوب على المصدرية اي انزه الله وابرئه **ان تظن ذلك الرسل بربها** اي تظن ان الله اخلفهم ما وعدهم به **وان معنى ذلك** اي ما ذكر في الاية **ان الرسل لما استيأسوا** ليس المراد انهم وقع منهم يأس من انجاز ما وعدهم الله به بل المراد انه طالت المدة عليهم فاستعار اليأس له او المراد انهم يئسوا من اتباعهم بقرينة قوله **ظنوا ان من وعدهم النصر من اتباعهم** جمع تابع كاصحاب جمع صاحب **كذبوهم** بالتخفيف والتشديد اي اخلفوا ما وعدوا وارسلهم به من نصرهم على عدوهم فليس يأسهم وظنهم التكذيب معناه اليأس من نصر الله والتكذيب كذب وعد الله لهم فلا يرد عليه ما ذكر من الشبهة **وعلى هذا التاويل اكثر المفسرين** وفيما نقله المصنف عن عايشة نظر فان المروي عنها في صحيح البخاري ان عروة بن الزبير سالها عن هذه الاية فقال لها اهي كذبوا ام كذبوا اي بالتشديد او بالتخفيف فقالت كذبوا بالتشديد فقلت لها وقد تلا لعمري لقد استيقنوا بذلك وظنوا انهم قد كذبوا قالت معاذ الله لم تكن الرسل تظن ذلك بربها فقال لها وما هذه الاية قالت هم اتباع الرسل الذين امنوا بربهم عز وجل وصدقوهم وطال عليهم البلا واستاخر عنهم النصر حتى استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم فظنت الرسل ان اتباعهم قد كذبوهم فجاهم نصر الله عند ذلك قيل لا منافاة بين ما ذكره المصنف هنا وبين ما في صحيح البخاري اذ مراده انه على قراة التخفيف والتشديد المعنى واحد وانكارها قراة التشديد لانه لم تبلغها لا لان معناها لا يصح ولانها لا تنافي قول بما ذكر وقول عايشة معاذ الله ليس لانكار هذه القراة بل لما فهمه عروة منها من ان الرسل ظنوا بربهم ما هم معصومون عنه فضمير ظنوا للرسل وكذبوا مبني للمجهول وفاعله اتباع الرسل لا الله كما تقدم وقيل الظن هنا بمعنى الوسوسة والهاجس وان انفسهم كذبتهم حين حدثتهم بانهم ينصرون وله تفصيل في الكشاف وشروحه **وقيل ان الضمير في ظنوا عايد على الاتباع والامم**

تم

فان قلت فما معنى قوله عز وجل حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم ... صح

اي امم الدعوة لا امم الاجابة المومنين برسلهم **لا على الانبيا والرسل** فظن بعض اممهم ممن لا يومن بهم ان الرسل كذبوا فيما وعدوهم من النصر على اعدايهم والاتباع وان لم يسبق لهم ذكر معلومون من فحوى الكلام لان الرسل لا بد لهم من مرسل اليه مومنا كان او كافرا فمرجع الضمير بين اختلاف بين المفسرين علم مما ذكر ويجوز ان يراد امة الاجابة مطلقا وهذا الظن يتبع مثله وان كان منكرا من المومن مثله **وهو** اي هذا التفسير المذكور **قول ابن عباس والنخعي وابن جبير وجماعة من العلما** اي علما التفسير من السلف **وبهذا المعنى** اي بسبب هذا المعنى الذي جعل فيه ضمير ظنوا للامم **قرا مجاهد** اي اختاره ورجح قراءة **كذبوا بالفتح** للكاف والتخفيف مبنيا للفاعل اي ظنوا ان رسلهم كذبوا فيما وعدوهم به من النصرة على اعدايهم فان القراة سنة متبعة لا تكون بالراي وان جاز ترجيحها على غيرها كاختيارات القرا ووجهه كما قيل انه على هذه القراة ضمير ظنوا للاتباع اي ظن اتباع الرسل ان الرسل كذبوا فيما وعدوهم به من النصرة على اعدايهم ولا ينافي هذا عصمة الرسل لان صدور مثل هذا الظن عن غيرهم جايز عقلا ويمكن على قراة التخفيف والبنا للمجهول ايضا ان يفسر بهذا ايضا بان يجعل فاعل كذبوا المحذوف راجعا الى الاتباع وقيل انه تمثيل كمن يقدم رجلا ويوخر اخرى فشبه حال الرسل لما ابطا عليهم النصر وصاروا في غم وكرب بحال من وعد بامر يحتاج اليه ولم يعجل له فقنط وحدثته نفسه بان مواعيده عرقوبية فبينما هو كذلك جاه الفرج واليه ذهب الزمخشري **فلا تشغل بالك** الفا فصيحة في جواب شرط المقدر اي اذا عرفت ان ما فسر به الاية جاريا على مقتضى مقام النبوة فلا تجعل فكرك مشغولا بغيره مما يوهم خلافه فالبال بمعنى القلب والفكر وتشغل بفتح اوله وثالثه هو الفصيح **من شاذ التفسير** اي غريبه مما لا يشتهر فالشاذ حقيقته المنفرد فتجوز به عما ذكر وهو بيان لقوله بسواه اي بغيره والضمير لما ذكر وقيل لقول عايشة رضي الله عنها **بما لا يليق** اي يناسب وهو بدل من قوله بسواه **بمنصب العلما** اي بمقامهم ومقدارهم وهذا معناه لغة ويكون بمعنى الحسب واطلاقه على الاعمال السلطانية تولد وما موصولة عبارة عن الشك في مثله **فكيف بالانبيا** اي فكيف يليق بهم عليهم الصلاة والسلام وكيف تجوز به عن الاستبعاد نحو كيف تكفرون بالله ويجوز ان يريد بالشاذ ما ذكر في مصطلح الحديث وهو ما خالف الراوي فيه غيره من الثقات والمراد به ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم اخلفوا ما وعدهم الله به لانهم بشر وتلا قوله تع وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله وقد ضعف ابن الانباري هذه الرواية عن ابن عباس وقال الزمخشري ان صح عنه هذا فالمراد بالظن الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشر لا الطرف الراجح فانه لا يليق بهم ان يظنوا ان الله يخلف وعده اي توقف في صحة هذه الرواية عنه وتبعه البيضاوي واعترض عليه بانها ثابتة عنه في صحيح البخاري وقال الخطابي لا شك ان ابن عباس لا يجوز على الرسل الشك في الوحي فيحمل كلامه على انهم لشدة تاخره وابطائه توهموا ان انفسهم غلطت في تلقي ما ورد عليهم منه فالمراد بالكذب الغلط كقولهم كذبتك نفسك وقال القشيري انه هاجس خطر على قلوبهم فصرفوه عنها فالمعنى انهم قربوا من الظن وقال الحكيم انهم ظنوا تخلفه لتخلف بعض شروطه لا انهم اتهموا الوحي ورجح ابن حجر ان الظان اتباعهم وحمل عليه كلام ابن عباس وهو بعيد جدا **وكذلك** اي مثل

ما ذكر مما ظاهره الشك فيما جاءه من الوحي وهو ما أول او مثل قوله استيئس الرسل الاية ما ورد
في حديث السيرة اي الحديث المتعلق بسيرته وطريقته صلى الله عليه وسلم في النبوة وهو ما
رواه البخاري وغيره ومبدا الوحي اي ما وقع له صلى الله عليه وسلم في ابتدائه من قوله لخديجة
ام المؤمنين رضي الله عنها لما اخبرها برؤية جبريل عليه الصلاة والسلام وهو بحرا لقد خشيت
على نفسي اي خفت عليها فان ظاهره انه شك في انه وحي اتاه به الملك لان مثله صلى الله عليه
وسلم لا يخشى وليس معناه الشك فيما اتاه الله اي اوحى الله به اليه ولكن لعله خشي وخاف
ان لا تحمل قوته اي لا تطيق قواه البشرية مقاومة الملك اي مقابلته وان لا يقوم بحقه
ومكالمته واعباء الوحي لانه جمع عبء وهو الحمل فاستعير لمقاساة مشاقه ففيه استعارة
مكنية وتخييلية فينخلع قلبه وفي نسخة لينخلع قلبه اصل معنى الخلع النزع كما قال تعالى فاخلع
نعليك فاستعير لشدة الخوف كانه نزع قلبه وتزهق نفسه اي تخرج روحه من فزعه وهذا
بناء على ما ورد في الحديث الصحيح انه قاله اي قوله خشيت على نفسي بعد لقائه الملك
حين ظهر له وبشره بانه رسول الله او يكون قال ذلك قبل لقائه الملك وقبل اعلام الله له
بالنبوة اي انه صيره نبيا وفيما خشيه اثني عشر وجها فقيل خشي الجنون او انه هاجس ووسوسة
او الموت او المرض او دوامه او العجز عن النظر للملك او القتل وعدم الصبر على اذى قومه
او تكذيبهم الى غير ذلك من الاقوال واضعفها الاولان والاول هو الصحيح لما في البخاري من انه
غطه وقال له اقرا ومن قال انه قبله يقول في زمن الارهاص والمنامات وصححه الكرماني ⊙
لاول اللام بمعنى في كما في قولهم كتبته لست خلون من الشهر ما عرضت بالبناء للمجهول
اي ظهر له وراه من العجايب اي الامور الخارقة للعادة المفسرة بقوله وسلم عليه الحجر
والشجر اي قال السلام عليك يا رسول الله والمراد الجنس او شيء معين منهما وقد روي
انه الحجر الاسود كما تقدم في المعجزات وهو كان قبل النبوة وبعد بعثته ايضا وبداية المنامات
الصالحة التي كان يراها صلى الله عليه وسلم في اول امره ورؤيا الانبيا قسم من الوحي فاعلم
والتباشير اي العلامات المبشرة له صلى الله عليه وسلم بالنبوة والمقدمات الدالة على النتايج
قال في الاساس من المجاز تباشير الفجر وهي اوله كانه جمع تبشير مصدر بشر وفيه تخايل الخير
وتباشيره وتباشير الثمر بواكيره قال ابن كمال وهذا يبين ما في قول الجوهري التباشير
البشرى وتباشير الصبح اوائله وكذا اوائل كل شيء ولا يكون منه فعل من الخلل قلت
يعني انه انكر فعله وكلام الزمخشري يدل على خلافه والخطي ابن اخت خالته لان الفعل من البناء
وهي الخبر السار لا من الاولية والتقدم • واعلم انه يقال في تباشير بشاير ايضا قال
ابو فراس ⊙
اقول وقد نم الخلي عرسه • علينا ولاحت للصباح بشايره •
كما روي في بعض طرق هذا الحديث اي حديث مبدا الوحي ان ذلك اي المذكور من التباشير
كان في المنام اولا اي في ابتداء البعثة ثم اري في اليقظة عند المنام مثل ذلك
اي مثل ما راى في المنام اولا تانيسا له صلى الله عليه وسلم اي ليحصل له الانس بالملائكة
والوحي فيراه اولا منام ثم يراه جهرة لئلا يفجاه اي يراه بغتة وابتداء من غير تدرب
في رؤيته مشاهدة برؤية البصر ومشافهة اي مخاطبة بفمه حقيقة فلا يحتمله اي يقدر
عليه ويطيقه لاول حاله بالاضافة للضمير او بتاء التانيث اي في اول احواله لعدم تدربه
وتانسه بغتة فعلة بالكسر لهيئة البناء والمراد جسده وما جبلت عليه البشرية اي الانسان

فانه لا يطيق رؤية الملايكة ابتداء وهذا اشارة الى حديث البخاري من انه صلى الله عليه
وسلم كان في اول امره يجاور في كل سنة شهرا في غار حرا يتعبد فيه وكان ذلك عادة
قريش فاذا انصرف منه طاف بالبيت ويرجع لبيته فكان يرى في منامه ما يرى ثم جاءه
جبريل الى آخر الحديث المشهور في اول البخاري والكلام عليه مفصل في شروحه وفي الصحيح
اي الحديث الصحيح او البخاري او مسلم عن عايشة وهو من مرسل الصحابة لانها رضي الله عنها
لم تكن معه صلى الله عليه وسلم او هي سمعته منه فهو متصل اول ما بدي به رسول
الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت كفلق الصبح
وهكذا رؤيا الانبيا عليهم الصلاة والسلام فانها قسم من الوحي ورؤيا الصالحة وهما بمعنى
قالت عايشة رضي الله عنها ثم حبب اليه الخلاء بفتح اوله والمد وهو المكان او بمعنى الخلوة
وهو الانفراد عن الناس لفراغ القلب وتوجه الفكر والرياضة ليفرغ قلبه عما سواه ليتمكن
الوحي منه اذا اتاه • فصادف قلبا خاليا فتمكنا • وقالت الى ان جاءه الحق اي الوحي
الذي تحققه والمد والقصر يذكر ويؤنث فيجوز صرفه وعدم صرفه وبينه وبين مكة ثلاثة
اميال على يمين السائر لمنى والجملة حالية الحديث بالنصب اي اذكر او اقراه وعن ابن عباس في
حديث مسند رواه ابن سعد مكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة خمسة عشر سنة قال البرهان
الحلبي هذا على القول المرجوح انه عاش خمسا وستين سنة والصحيح انه عاش ثلاثا وستين سنة
منها بمكة ثلاث عشرة وبالمدينة عشرة وقيل انه عاش ستين سنة وقد جمع بين الاقوال الثلاثة انتهى
يعني انه عد الكسر سنة وفيه نظر وبعث على راس الاربعين يسمع الصوت اي يسمع صوت
ملك يناديه ولا يراه وكان من الانبيا من يسمع الملك ولا يراه كما حكاه ابن سيد الناس عن ابن
عباس ويرى الضوء اي نور الملك من غير رؤية ذاته لان الملايكة انوار مجردة وسبع
سنين قبل ان يظهر له الملك لا يرى شيا وثمان سنين يوحى اليه اي ياتيه الملك ظاهرا
له بالوحي من الله وهذا مبني على القول السابق لا على الثاني كما توهم وقد روى ابن اسحا
عن بعضهم هذه رواية لم تخرج ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر جواره بكسر الجيم
وضمها اي مجاورته واعتكافه والجوار جاء بمعنى الاقامة ومعناه الاخر معروف والجوار
اعم من الاعتكاف لانه يختص بالمسجد كما قاله ابن عبد البر بغار حرا اي اقامته به كما
تقدم بيانه قال تاكيد لقال الاولى فجاءني يعني الملك وهو جبريل وانا نايم الظاهر
انه نوم حقيقي لما ياتي من قوله هببت من نومي ويحتمل ان يريد انه مضطجع على هيئة النائم
فقال اقرا امر قلت ما اقرا ما استفهامية او نافية لانه روي ما انا بقارئ وتفصيله
في شروح البخاري وذكر الراوي نحو حديث عايشة في غطه له بفتح الغين المعجمة
وتشديد الطاء المهملة مصدر بمعنى شدة ضمه وخنقه وغمه ليصرفه عن الدنيا ويوقظه
لما يلقيه له واستدل به على تاديب المعلم واقرائه اقرا باسم ربك السورة واستدل به
على ان البسملة ليست آية من كل سورة وفيه نظر وهذه اول ما نزل في قول قال النبي صلى الله
عليه وسلم فانصرف جبريل عني اي فارقني وهببت بتاءين موحدتين فعل ماض مسند
الى الضمير المتكلم يقال هب اذا استيقظ من منامه وتحرك من هبت الريح من نومي اي استيقظت
منه وتقدم كلام فيه كانما صورت سورة اقرأ في قلبي اي مثلت السورة في قلبه صلى
الله عليه وسلم فحفظها وفي رواية كانما كتبت في قلبي وهو كناية عن حفظها وبقائها في قوته

وفي غار حرا وراه عيانا والغار هو النقب في الجبل وحرا بكسر اوله م

فانه لايطيق

الحافظة بحيث لاينساها بعده ورويا الانبيا واذ كانت وحيا الا ان رواية ابن اسحاق
هذه تدل على ان من القرآن ما نزل عليه مناما • وقد قسموا النزول الى اقسام منها ما نزل
سفرا وحضرا وقل من تعرض الى نزوله يقظة ومناما ولم يتعرض له الشراح هنا ولم يكن كان
ان كانت ناقصة فاسمها ضمير يرجع الى الشي المفهوم من السياق وخبرها قوله ابغض الي اي
اشد بغضا عنده من ان يقال اني شاعر او مجنون وقيل ان اسمها ضمير شان وابغض
خبرها وهذا بنا على انه يجوز الاخبار عن ضمير الشان بمفرد نحو ان هي الا حياتنا الدنيا
وقيل اسمها ابغض وهو صفة موصوف مقدر والخبر محذوف ايضا وتقديره لم يكن شي
ابغض الي موجودا او كان تامة وابغض فاعلها وانما حسن هذا لانه اذا اخبر قريشا انه جاءه
ملك بوحي يتلوه عليهم منهم من يقول انه شاعر ومنهم من يقول انه مجنون ثم قلت
اي قال صلى الله عليه وسلم لما اوحي اليه وخشي مما مر لا تحدث مضارع مرفوع بتائين
فوقانيتين حذفت احديهما تخفيفا ويجوز بناؤه للمجهول وهو نهي في صورة الخبر اي لا
يخبرهم احد سمعه مني وينقله عني ابدا وهذا اشارة الى كونه شاعرا او مجنونا لاعمدن
جواب قسم مقدر اي والله لاعمدن اي اقصدن مضارع من العمد بمعنى القصد بكسر الميم
وفتحها وماضيه عمد بهما والمشهور فتحه كضرب يضرب الى حالق من الجبل بالحاء المهملة
واللام المكسورة والقاف اي مكان مرتفع منه وقيل انه الجبل المرتفع من قولهم حلق الطائر
اذا ارتفع في الجو فلاطرحن نفسي منه اي ارمين جسدي من اعلى الجبل فلاقتلنها ترمي
من الجبل حتى لا يبلغني ما يتحدثون به من اني شاعر او مجنون اذا بلغهم ما جرى لي فبينا
انا عامد لذلك اي وقع لي عقب اذ كنت قاصدا لالقاء نفسي من اعلى الجبل لاهلكها
حتى لا اسمع ما تحدثوا به في حقي وهذا كان هاجسا خطر على قلبه صلى الله عليه وسلم
لشدة حميته وغيرته على عرضه ولم يكن في ابتداء امره معصوما عن مثله فلا يتوهم انه
امر جزم به وهو ممتنع شرعا اذ سمعت مناديا اي سمعت صوته ولا اراه يناديني من
السما اي من جانبها يسمعه ولا يراه كما تقدم وهو يقول يا محمد انت رسول الله وانا جبريل
ارسلني الله اليك لتبليغ وحيه تحقيقا لمن ناداه ليلا يظنه غيره فرفعت راسي الى جانب
السما لاراه فاذا اي فاجاني بغتة روية جبريل على صورة رجل حال من جبريل اي متمثلا
بصورته دون صورته حتى لا يهوله في ابتدا امره الحديث اي اذكر الحديث الذي رواه
ابن اسحاق الخ ثم انه فسر ما ذكر بقوله فقد بين الراوي للحديث او النبي صلى الله عليه وسلم
في هذا الحديث ان قوله صلى الله عليه وسلم لما قال بكسر اللام وتخفيف الميم اي لقوله
وقصده مصدر معطوف على قوله وقوله لما قصد متعلق به وما موصولة والعائد
مقدر تقديره لما قصده وما قاله خشية ان يتحدثوا بانه شاعر اذا اتلى عليهم ما اوحي اليه
او مجنون اذا قيل انه يسمع صوتا ويرى في الافق ملكا لتوهمهم ان كلامه شعر وما تراءى
له جني انما كان قبل لقاء جبريل عليه السلام اي قبل رويته على صورة رجل وقبل
اعلام الله له بالنبوة بواسطة جبريل واخباره له واظهاره اي الله او جبريل عليه الصلاة
والسلام واصطفائه اي الله له بالرسالة اما بعد ذلك فلا فانه حينئذ لا يخشى احدا
ولا يتوهم شيئا يضيق به صدره ومثله اي مثل حديث ابن اسحاق فيما ذكر حديث عمرو بن
شرحبيل الذي رواه البيهقي وشرحبيل بضم الشين المعجمة وفتح الرا وسكون الحا المهملتين

وموحدة مكسورة وشاة تحتية ولام وعمرو وابنه تابعي جليل توفي سنة ثلاث وستين
ومائة وهو ابو ميسرة الهمداني ولهم عمرو بن شرحبيل آخر خزرجي وليس بمراد هنا انه
صلى الله عليه وسلم وهو بفتح الهمزة بدل من حديث عمرو قال لخديجة ام المومنين رضي الله عنها
اني اذا خلوت وحدي سمعت نداء يا محمد وقد خشيت والله ان يكون هذا النداء لامر
يصيبني مما لم احط به خبرا فقالت معاذ الله ما كان الله ليفعل ذلك فوالله انك لتودي الامانة
وتصل الرحم وتصدق الحديث فمثلك لا يخشى امرا شيطانيا وفي رواية حماد بن سلمة كما رواه
الطبراني وابن منيع عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لخديجة اني لاسمع صوتا
من جانب السما واري ضوءا اي نور الملك النازل عليه قبل تمثله له وظهوره عيانا واخشى
ان يكون بي جنون يخيل في ما ذكر وهذا كله قبل ظهور الامر له وعلى هذا المذكور يتاول لو
صح روايته قوله صلى الله عليه وسلم في بعض الاحاديث التي ورد فيها ان الابعد شاعر او مجنون
يخشى ان ما سمعه شعر تلقيه الجن عليه كما كان في الجاهلية لبعض الشعرا رئي من الجن ومثل
هذه الكلمة تقولها العرب اذا تحاشوا تادبا عن اطلاق شي على المخاطب اي الشعر متباعد
عنك وان قاله غيرك فيما تريد به في مكان انت كذا وهو استعمال شايع فما قيل من انه شتم
معناه الخاسر الذي لا خير فيه ليس بشي والفاظا وردت عنه صلى الله عليه وسلم في
بعض الاحاديث يوهم منها معاني الشك في صحيح ما راه اي فيما اوحي اليه ومثله صلى
الله عليه وسلم لا يليق به شك وتردد في مثله وهو لا يرتاب في شي مما ذكر وانه كان
كله في ابتداء امره وقبل لقاء الملك له وقبل اعلام الله انه رسوله وبعده اطمان
وشاهد الامر عيانا وبعض هذه الالفاظ الموهمة لما ذكر لا تصح طرقها بحسب الرواية
واما بعد اعلام الله تعالى له ولقائه الملك فلا يصح فيه ريب ولا يجوز عليه شك
فيما القي اليه من الوحي فان الانبيا عليهم الصلاة والسلام لا يتصور منهم ذلك وروى
ابن اسحاق صاحب السيرة في سيرته عن شيوخه ممن لقيه واخذ عنه وله شيوخ كثيرون
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقى بالبنا للمجهول من الرقية المعروفة بمكة من
العين اي صيانة له صلى الله عليه وسلم من اصابة العين والعين حق كما ورد في الحديث
قال ابن القيم في كتاب الروح تاثير النفس امر لا ينكر لا سيما عند تجردها عن العلايق البدنية
وحينئذ تؤثر ما يعجز عنه البدن كمن نظر الى نعم فتسقه والى نعمة فازالها وهذا مما
شاهده الناس على اختلاف الملل والاعصار ويسمونه اصابة العين يضيفون الاثر الى
العين وانما هو للنفس المتكيفة بالكيفية الردية السمية فيكون بواسطتها وقد يكون بدونها
فيوصف له شي فيتوجه اليه فيؤثر فيه وان لم يره وقد امر النبي صلى الله عليه وسلم
ان يغسل مغابن العاين بما يصب على من اصابته عينه فيزول عنه ما يجده والغابن بغين معجمة
وبا موحدة ونون المواضع القذرة من البدن كتحت الابط وهو امر طبيعي اقتضته الحكمة
فان الارواح الخبيثة تالف هذه المواضع فتنشر اذا اغسلت انطفئت نارها كما فصله صاحب
النهاية في حرف العين في حديث العين حق ولو كان شي سابق القدر سبقته العين واذا استغسلتم
فاغسلوا وفي شرح مسلم انهم اخذوا بظاهر الحديث وانكره بعض المبتدعة واهل الطبايع
زعموا انه ينبعث من عينه قوة سمية تؤثر فيها نظره وقيل انه ينفصل عنه اجزاء لطيفة
يخلقها الله ولا ترى وقيل انه ليس بانفصال شي وقد قيل انه يجب عليه اذا استغسل ان يغسل

وان من عرف بذلك يلزمه الامام بيته ويرزقه من بيت المال ويتداوى بر في معروفة قبل الاصابة وبعدها ومن فسر العين هنا بما يلم به من الهوا رض عدل عن الظاهر بغير داع له قبل ان ينزل عليه بالبنا للمجهول اي قبل نزول القرآن عليه فلما نزل عليه القرآن اصابه ما كان يصيبه كما قال تع وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم ولم يبتنه احد باكثر مما ذكر فقالت له خديجة بنت خويلد ام المومنين رضي الله عنها اوجه اليك اي أأوجه اليك بحذف همزة الاستفهام ومعناه أأرسل اليك من يرقيك اي يقرا عليك رقية قال اما الآن فلا الآن الزمان الحاضر وهو ظرف متعلق بمقدر اي ان اردت ان ترقيني الان فلا تفعلي ذلك اي لا حاجة لي بالرقى بعد نزول القرآن فانه شفاء من كل داء وقد ورد في احاديث كثيرة الرقى وجوازها والنهي عنها وجمع بينهما بان الجائز منها ما كان بلسان عربي ظاهر المعنى كاسماء الله وسورة الفاتحة وورد في الحديث ان جبريل جاءه عليهما الصلاة والسلام وقد اصابته حمى فقال بسم الله ارقيك والممنوع المنهي عنه ما لم يكن بشي مما ذكروا واعتقاد تاثيرها بنفسها ولذا ورد ما توكل من استرقى ولما كانت الرقى من باب مباشرة الاسباب وتركها توكل وتسليم لله وهو اليق بمقام النبوة تركها صلى الله عليه وسلم وله دفي ما نوره استوفيت في محلها وحديث خديجة رضي الله عنها الذي رواه ابن اسحاق والبيهقي وابو نعيم في الدلائل واختبارها بخا معجمة ومثناة فوقية وبا موحدة وراء مهملة اي تجربة خديجة امر جبريل عليه الصلاة والسلام لما اخبرها النبي صلى الله عليه وسلم بمجيئه اليه فارادت ان تعرف امره هل هو ملك ام لا بكشف راسها الحديث لان الملك لا يدخل بيتا فيه عورة مكشوفة والمراة الحرة بدنها كله عورة وكانت قالت له صلى الله عليه وسلم اذا اتاك اخبرني به فلما اتاه واخبرها كشفت راسها فرجع فعلمت انه ملك لانه لو كان شيطانا دخل البيت ولما كان في اقرار النبي صلى الله عليه وسلم لما فعلته خديجة ما يوهم الشك دفعه بقوله انما ذلك الاختبار والتردد واقع في حق خديجة لا صادر منه صلى الله عليه وسلم حتى يتوهم شك في نزول الملك عليه لتتحقق خديجة صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وان الذي ياتيه ملك ويزول الشك عنها لا عنه صلى الله عليه وسلم كما توهم لانها فعلت ذلك الاختبار للنبي صلى الله عليه وسلم ولا نافية داخلة على ان المفتوحة وما وقع في بعض النسخ من انها للتعليل خطأ من الناسخ وليختبر اي يعرف هو صلى الله عليه وسلم حاله بذلك وهو معطوف على المنفي فهو منفي اي لم تفعله لازالة شكه ولا لاختباره فالاختبار بكشف راسها وهي كانت جازمة بنبوته ولكن ارادت كشف الغطا التردد او تيقنا فالمراد بالشك مجرد الاحتمال المرجوح لا المتساوي الطرفين كما يعرفه من وقف على جلية حالها بل اضراب انتقالي قد ورد في حديث عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة بن الزبير المدني وقد قال ابن حبان فيه انه متروك الحديث يروي الموضوعات وله ترجمة في الميزان عن هشام عن ابيه هو هشام بن عروة بن الزبير ابو المنذر وقيل ابو عبد الله القرشي مولاهم توفي سنة ست واربعين ومائة وهو امام ثقة اخرج له الستة وقال ابن القطان انه اختلط في آخر عمره ورده الذهبي كما فصله في ترجمته عن عائشة رضي الله عنها ان ورقة بن نوفل بن اسد المشهور ام خديجة بنت خويلد بن اسد ام المومنين وورقة عمها كانت تاتيه وتذكر له ما كان يراه النبي صلى الله عليه وسلم في اول بعثته اي تعرض عليه ما كان يراه وانه يقول انه ياتيه بالوحي ملك فامرها ان تخبره امره اي امر النبي صلى

لك

الله عليه وسلم بذلك اي بكشف راسها اذا اتاه وهو عندها فان رجع فهو ملك والا فلا فتعلم كامره وتختبر ثلاثي بفتح المثناة الفوقية وسكون الخا المعجمة وضم البا الموحدة وراء مهملة مضارع خبره اذا امتحنه وجربه وحاصله انه لم يكن من النبي صلى الله عليه وسلم شك في امره وانما هو تردد تام من خديجة في اول امرها كما ذكره في الحديث الذي بعده في قوله وفي حديث اسماعيل بن ابي حكيم الذي رواه ابن اسحاق ايضا وحكيم بفتح الحا المهملة وكسر الكاف ومثناة تحتية وميم واسماعيل هذا قرشي مدني ثقة كان كاتبا لعمر بن عبد العزيز في خلافته اخرج له مسلم وغيره من اصحاب السنن وتوفي سنة ثلاثين ومائة انها اي خديجة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن عم وهو صلى الله عليه وسلم ابن عمها لاجتماع نسبهما في قصي فانه صلى الله عليه وسلم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي وهي خديجة بنت خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصي ولا حاجة لما قيل انه جار على عادة العرب في تخاطبهم بل لا وجه له هل تستطيع ان تخبرني بصاحبك يعني الملك الذي ياتيك وهو جبريل اذا جاءك بالوحي جهرة وانما قالت له هل تستطيع لانها تخشى انه لا يقدر على اخبار غيره لما يغشاه من دهشة الوحي وشدته عليه قال نعم اخبرك به فلما جاءه جبريل وهو عندها اخبرها بمجيئه اليه فقالت له اجلس الى شقي بكسر الشين المعجمة اي لجنبي ملاصقا له وذكر اسماعيل الحديث الى آخره يعني انه جلس وجبريل قائم عليه فكشفت راسها فلم يدخل جبريل عليه فاخبرها بذلك وفيه فقالت ما هذا الآتي لك بشيطان هذا الملك يا ابن عم لانه لو كان شيطانا دخل البيت وراسها مكشوف فاثبت له اذا جاءك واسمع منه ما اتاك من الوحي وابشر اي قر عينا وكن مسرورا بما اكرمك الله به وآمنت به صلى الله عليه وسلم وبرسالته وهي اول من آمن مطلقا او من النسا رضي الله عنها فهذا اي ما روي عن خديجة يدل على انها اي خديجة مستثبتة اي طالبة للثبات باطمئنان القلب وزيادة اليقين بما فعلته من السؤال والاختبار لنفسها ومستظهرة لايمانها اي طالبة لظهور ما امنت به حتى لا يبقى عندها شائبة تردد لا للنبي صلى الله عليه وسلم لانه لا شبهة عنده ولا تردد اصلا وما يوهم وقوع ما نوهم عند قول معمر بن راشد اليماني فيما رواه عنه احمد والبيهقي في حديث فترة الوحي اي انقطاعه في ابتدا امره مقدار سنتين ونصف والفترة والفتر سكون بعد حركة ولين بعد شدة وضعف بعد قوة قال تع على فترة من الرسل قاله الراغب والمراد ما مر فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم اي عرض له حزن وغم لانقطاع الوحي فيما بلغنا رواية عمن علمه حزنا غدا بغين معجمة اي ذهب ومشى به اي بسبب حزنه لذلك مرارا متعددة كي يتردى اي يلقي نفسه وهو في الاصل تفعل من الردى بمعنى الهلاك لان من يفعله يهلك غالبا من شواهق الجبال اي من اعالي جبال مكة وهذا جواب سؤال تقديره اذا كان الامر كما قلتم انه صلى الله عليه وسلم لا يعتريه شك فيما يتعلق بالعقائد والنبوة فلم حزن حتى كاد يقتل نفسه فيما رواه معمر اجاب ـــــ عنه بانه لا يقدح اي لا يطعن فيما قلناه ولا يضره من القدح بمعنى الذم في هذا الاصل اي الفضيلة الكلية من انه في غاية اليقين لامور الوحي والتوحيد وليس المراد به ما قاله لخديجة كما قيل ثم بين عدم القدح بوجوه الاول قوله لقول معمر بفتح الميمين وهو من اتباع التابعين عنه صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا ولم يسنده اي لم يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم فلا يستدل به ولا ذكر رواته جمع راو وهو من رواه عنه ولا من حدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان ابن سيد الناس

عيل

ي

واسندا من طريق الدولابي ولم يذكر فيه معمرا بل رواه عن الزهري عن عروة عن عائشة
فقال لم يلبث ورقة ان توفي وفتر الوحي وذكر هذا الحديث ولا ذكر معمرا ايضا ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال لم ولا يعرف مثل ذلك وفي نسخة هذا من احواله الا من جهة النبي
صلى الله عليه وسلم لان مثله لا يقال من قبل الراي فهو في حكم المرفوع وان كان منقطعا
والجواب الثاني ما اشار اليه بقوله على انه اي ما ذكر من حزنه الى اخره وفي نسخة مع انه
قد يحمل على انه كان اول الامر اي اول امره قبل ان يلقاه جبريل ويعلمه بانه رسول الله
وانه اوحي اليه ويتمكن من حمل اعباء النبوة وجواب آخر اشار اليه بقوله او انه فعل ذلك
المذكور لما احرجه بكسر اللام وتخفيف الميم واحرجه بحاء مهملة وجيم اي اوقعه في حرج
وضيق صدر من تكذيب من بلغه ما ارسل به اليهم وهو بتشديد اللام وتخفيف الميم ويجوز
تخفيفه كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث
اسفا وباخع بمعنى قاتل من بخع الشاة اذا ذبحها والاسف الحزن على ما فات وعلى آثارهم
اي بعدهم جمع اثر فحزنه صلى الله عليه وسلم لم يكن لشك اعتراه وانما كان لتكذيبهم له وعدم
طاعتهم له وهو حريص على ان يهديهم الله رحمة منه لما فاتهم من سعادة الدارين وهذا
الشفقة عليه تسلية له صلى الله عليه وسلم ويصح هذا التاويل اي تاويل ما رواه معمر
وحمله بمعنى الاية المذكورة حديث رواه شريك والراوي له عند البزار وهو شريك
بن عبد الله النخعي الامام الثقة وقد وثقه ابن معين وقال غيره لا باس به وقد قيل انه كان سيء
الحفظ توفي في سنة سبع وسبعين ومائة وسنه ثمانون وله ترجمة في الميزان عن عبد الله
بن محمد بن عقيل بن ابي طالب بن عبد المطلب توفي بعد الاربعين ومائة وهو لين الحديث
حتى قيل انه لا يحتج بروايته عن جابر بن عبد الله ان المشركين لما اجتمعوا بدار الندوة
بفتح النون وسكون الدال المهملة والندوة بمعنى الاجتماع ومنه النادي ودار الندوة دار كانت
بمكة يجتمع فيها قريش للمشاورة والحكومة بناها قصي بن كلاب فكانت ديوان رؤسائهم
للتشاور في شان النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك بعد موت خديجة رضي الله عنها
وابي طالب وقد امر النبي صلى الله عليه وسلم بانذارهم وانذرهم مرارا كما هو مشهور مفصل في
السير وحضور ابليس لعنه الله ورايه في هذه القصة مشهور واتفق رايهم على ان يقولوا
انه ساحر كما مر عن ابي جهل والوليد بن المغيرة اشتد ذلك اي قولهم هذا واشتد عليه الامر
بمعنى صعب وعسر عليه صلى الله عليه وسلم وتزمل في ثيابه اي تلفف فيها كالنائم وتدثر
اي تغطى بها فوق لباسه الذي على بدنه ويلي جسده ومنه الحديث الانصار شعار
والعرب دثار فاتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال له جبريل يا ايها المزمل
يا ايها المدثر اصله المتزمل والمتدثر تفعل من زمله اذا لفه ودثره اذا غطاه فادغم وابدل
على قاعدة اهل التصريف قيل انه اجتمع في دار الندوة ابو لهب وابو سفيان والوليد بن المغيرة
والنضر بن الحارث وامية بن خلف والعاص بن وائل ومطعم بن عدي وقالوا ان العرب
يجتمعون في ايام الحج ويسمعون امر محمد صلى الله عليه وسلم وقد اختلفتم فيه فاجمعوا
على راي فيما يقال لهم فقال رجل منهم نقول انه شاعر فقال الوليد قد سمعت الشعر وكلام
[illegible] به فقالوا نقول كاهن فقال الكاهن يكذب ويصدق وما كذب محمد قط فقالوا نقول
مجنون فقال المجنون يخنق ولم يخنق ثم انصرف لبيته فقالوا صبا الوليد فذهب له ابو جهل

فقال انا

قف على حديث انتصاره صلى الله عليه وسلم بالعرب

وقال له انا نجمع لك كتبا من المال فقال ما لي حاجة اليه ولم اصب وانما فكرت في امره
فرايته يفرق بين المرء وزوجه وبين الوالد وولده وهذا شان الساحر فنقول انه ساحر
فلما سمع هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم حزن حزنا شديدا كما ذكره المصنف وعزم من غير تعقب
له ولا يخفى انه مخالف للرواية الصحيحة من ان اجتماعهم بدار الندوة انما كان وقت الهجرة ونزول
يا ايها المزمل ويا ايها المدثر كان في ابتداء نزول الوحي عليه كما في البخاري وهو مخالف لما هنا
فان صحت هذه الرواية تكون نزلت عليه مرتين ومن العجب ان الشراح لم ينبهوا على هذا مع
ظهوره ثم اجاب بجواب آخر عن هذه الشبهة فقال او خاف صلى الله عليه وسلم من ان الفترة
اي انقطاع الوحي عنه سنة ونصف او سنتين ونصف على اختلاف فيه كان لامر
صدر منه او سبب صدر منه لم يعرفه فخشي ان يكون انقطاع الوحي عنه عقوبة من ربه
لغضبه عليه ففعل ذلك اي الهم بان يلقي نفسه من اعالي الجبال حتى يهلك بنفسه
اي بذاته وجسمه ولم يرد بعد بالبناء على الضم اي بعد ما وقع له صلى الله عليه وسلم وما هم
به شرع يبين بالنهي عن ذلك اي ينهاه عما فعله وخطر على قلبه فيعترض به بالبناء
للمجهول اي يكون سببا لان يعترض معترض به عليه ويعده شبهة في فعله ويعترض مرفوع
اي فكيف يعترض ويجوز نصبه ونحو هذا اي مثل ما صدر عن نبينا صلى الله عليه وسلم
مما يتوهم فيه امر ويحتاج للتاويل ونحو ما روي من حزنه صلى الله عليه وسلم وارادته لالقاء
نفسه من الجبل فرار يونس بن متى نبي الله صلى الله عليه وسلم المعلوم وقد تقدم ان يونس
مثلث النون بهمز ودونه ففيه ست لغات مشهورة خشية بالنصب اي خوفا من تكذيب
قومه له لما بكسر اللام وتخفيف الميم وعدهم به من العذاب بيان لما ويونس صلى الله عليه
وسلم كما في مرآة الزمان كان بعد سليمان نبي الله صلى الله عليه وسلم وقد علم انه ابن متى
ومتى اسم ابيه وقيل اسم امه وهو من ولد بنيامين بن يعقوب عليه الصلاة والسلام وكان
من عباد بني اسرائيل ينزل بشاطئ دجلة فبعثه الله نبيا مرسلا لاهل نينوى من ارض الموصل
فلما بلغهم الرسالة لم يجيبوه فانذرهم بعذاب يصيبهم بعد اربعين يوما فقالوا ان رأينا اسباب
العذاب آمنا بك فلما مضى من ميعاده خمسة وثلاثون يوما غامت السماء غيما اسود يدخن
فلما ايقنوا برزوا من القرية باهليهم ومواشيهم وفرقوا بين كل ذات ولد وولدها وضجوا الى
الله تعالى فقبل الله توبتهم وقد ساح يونس عليه الصلاة والسلام في الارض وروى ابن مسعود
ان يونس صلى الله عليه وسلم وعد قومه العذاب واخبرهم انه ياتيهم الى ثلاثة ايام ففرقوا بين
كل والدة وولدها وجاروا الى الله فرفع عنهم العذاب بعد مشاهدة الباس وذلك لم يكن لغيرهم
وانتظر يونس العذاب فلم ير شيئا وخاف الكذب فانطلق مغاضبا وركب سفينته فوكدت
وغيرها سائرة فقال ما بالها قالوا لا ندري فقال ان عبدا ابق من ربه لا تسير حتى تلقوه منها
فقالوا اما انت فلا نلقيك فقال اقترعوا فمن وقعت عليه القرعة القي فخرجت القرعة عليه
ثلاث مرات فالقى وابتلعه الحوت وهوى به لقراره فسمع تسبيح الحصا فنادى في الظلمات
يعني ظلمة بطن الحوت والليل وجوف البحر الى آخر ما قصه الله من امره واختلفوا في مدة
مكثه في بطن الحوت فقيل عشرون وقيل اربعون وقيل ثلاثة ايام وقيل سبعة وقيل يوم
وقول الله تعالى في يونس اي في قصته فظن ان لن نقدر عليه جواب سؤال مقدر تقديره
انك قلت ان من الاصول المقررة ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام منزهون من ان يكون

عندهم شك وشبهة في شيء مما يتعلق بالعقائد وذات الله وصفاته فكيف يظن يونس
نبي الله عليه الصلاة والسلام أن قدرة الله لا تتعلق عليه وهو على كل شيء قدير أجاب
عنه بقوله **معناه أن لن نضيق عليه** فإنه يقال قدر وقتر وقتر بمعنى ضيق أي ظن أنا
لا نضيق عليه وهذا مروي عن جماعة من أئمة التفسير واللغة **قال مكي** رحمه الله **طمع في رحمة**
الله وأن لا يضيق عليه مسلكه في خروجه مما هو فيه وقيل إنه لا يناسب قوله إني كنت من الظالمين
وأجيب بأنه باعتبار مقامه فإنه أمر بالصبر فكان عليه أن يسلم أمره لله عز وجل ولا يذهب
مغاضبا لقومه ولأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مقامات لا يناسب مقام غيرهم فليس من القدرة
لأنه غير مناسب هنا وقيل إنه تمثيل لحاله بحال من ظن أنه لن يقدر عليه لما استعجل ولم ينتظر أمر الله
عز وجل **وقيل حسن ظنه بمولاه** يعني الله عز وجل **أنه لا يقضي عليه العقوبة** هذا جواب
ثان وهو من التقدير قال الجوهري قدرت الشيء أقدره وأقدره من التقدير وهو القضاء والحكم
أي ظن أن الله لا يقضي عليه بعقوبة ويجازيه على ذهابه وعدم صبره وهذا قاله مجاهد وقتادة
واختاره الفراء وثعلب **وقيل** في تأويله أن معناه **يقدر** بضم أوله وتشديد ثالثه **ما**
أصابه من الابتلاء بابتلاع الحوت له **وقرئ يقدر عليه بالتشديد** فهذه القراءة تدل
على أن المخفف بمعنى المشدد كما قاله ثعلب وأنشد شاهدا عليه قوله هـ

ولا عائد ذاك الزمان الذي مضى • تباركت ما تقدر يقع ولك الشكر •

وفي الآية قراءات لا حاجة لتفصيلها هنا وهذا قريب من الجواب الذي قبله فإن الفعل فيهما
من التقدير والفرق بينهما أنه في الأول عرف أن فعله مستحق للعقوبة ولكن رجا العفو من كرم
ربه وفي هذا لم يكن يخشى عقوبة ويظن أن الله لا يبتليه بما ابتلاه به وقيل معناه **يؤاخذه**
الله أي يجازيه **بغضبه** على قومه **وذهابه** مفارقا لهم ولم يصبر منتظرا لأمر الله فلن نقدر
عليه بمعنى لن نؤاخذه بغضبه وذهابه فأطلق السبب على المسبب فليس فيه ظن لعدم قدرة
الله عليه وليس هذا راجعا إلى معنى القضاء عليه لأن المؤاخذة بالقضاء والحكم السابق كما قيل
وقال ابن دريد هو كما تقدم عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقد تقدمت ترجمته وما في بعض
النسخ أبو زيد وفي بعضها ابن دريد من تحريف الناسخ والصحيح الأول كما في المقتفي للبرهان
الحلبي **معناه أيظن أن لن نقدر عليه على تقدير** حرف **الاستفهام** وقد ورد حذفه كثيرا
كقوله هـ

قالوا تحبها قلت بهرا • عدد الرمل والحصى والتراب •

أي أتحبها وهو مفصل في كتب النحو والاستفهام إنكاري أي أيظن عدم قدرتنا عليه أي
لم يظنه ولم يخطره بباله كما أشار إليه بقوله **ولا يليق** أي لا يناسب عقلا **وشرعا أن**
يظن بالبناء للمجهول أي يظن أحد **بنبي أن يجهل صفة من صفات ربه** وهي هنا قدرته
تعالى وتعلقها بكل شيء وفي نسخة أنه جهل **وكذلك** أي مثل ما تقدم في أنه مصروف عن ظاهره
قوله إذ ذهب مغاضبا الصحيح في معناه أنه أراد **مغاضبا لقومه لكفرهم** أي لإقامتهم
على كفرهم فراغمهم بفراقهم رغما لهم لظنه أنه سائغ شرعا حيث لم يفعله إلا غضبا لله وأنفة لدينه
وبغضا للكفر وأهله وإذ ينتظر الإذن من الله كما قاله الزمخشري **وهو** أي التفسير المذكور
قول ابن عباس والضحاك وغيرهما من السلف **لا لربه** إذ لا يليق ذلك بمقام النبوة
إذ مغاضبة الله تعالى معناها معاداة الله وهو تفسير باللازم لأن العداوة تقتضي عدم
الرضا **ومعاداة الله تعالى كفر لا يليق بالمؤمنين فكيف** يليق **بالأنبياء عليهم الصلاة و[السلام]**

وكيف استفهام تجوز به عن الاستبعاد لما بعده والمغاضبة مفاعلة أريد بها أصل الفعل
أو هي على ظاهرها لأنها بمعنى العداوة وهي من الجانبين لأنه عاداهم لله وعادوه لجحدهم
وكفرهم فلا حاجة لصرفه عن ظاهره **وقيل** ذهابه في صورة الغضب لأنه كان مستحييا أي شأنه
بيان أي حياء **من قومه أن يسموه** بدلا من قومه بدل اشتمال أي يصفوه **بالكذب** لأنه
أوعدهم بعذاب يحل بهم لما خالفوه وعين له مدة كما تقدم وهو من السمة بمعنى العلامة كالكي
وغيره فاستعير للصفة لأنها تميزه كالعلامة أي كراهة أن يصفوه به إذ كان أجلهم أربعين
ليلة فقالوا إن رأينا مخايله آمنا فلما رأوا ذلك آمنوا فكشف عنهم العذاب كما قصه الله بقوله
إلا قوم يونس لما آمنوا الآية وقوله **أو يقتلوه** أي وخوفا من أن يقتلوه فهو كقوله هـ

متقلدا سيفا ورمحا •

كما روي في الخبر المذكور في قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
وقد تقدم بعض منه وليس هذا راجعا إلى القول بأنه غضب من ربه كما حكاه ابن عطية فتوهمه
لا وجه له في مرآة الزمان أن يونس عليه الصلاة والسلام لما ساح فرأى راعيا في فلاة
فسقاه لبنا وهو مستند إلى صخرة فأعلمه أنه يونس وأمره أن يقرأ على قومه السلام فقال يا نبي
الله لا أستطيع لأن من كذب منا قتل قال فإن كذبوك فالشاة التي سقيتني من لبنها والعصا
والصخرة يشهدون لك فأتاهم مع الراعي وأخبرهم فأنكروا فأنطقت الشاة والصخرة والعصا
وشهدن له فقالوا له أنت خيرنا إذ رأيت نبينا وملكوه عليهم أربعين سنة **وقيل** إنه ذهب
مغاضبا لبعض الملوك في عصره **فيما أمره به** أي بسبب أمر أمره به **من التوجه** بيان لما
إلى أمر أمره الله تعالى به على لسان نبي آخر أي بواسطة تبليغه له وضمير أمره للملك
فقال له أي قال يونس للملك **غيري أقوى عليه مني** اعتذر له لخشيته من التقصير فيه
فعزم عليه أي صمم وأقسم عليه أنه يفعل ما أمر به ولم يقبل عذره **فخرج كذلك** أي لما
صمم الملك معه **مغاضبا له** أي للملك لا لربه كما توهم وهذا إشارة لما في بعض التفاسير
كما حكاه الأخفش من أن يونس خرج مغاضبا للملك كان لقومه والنبي المذكور كما روي عن ابن عباس
شعيا والملك اسمه حزقيل فأوحى الله إلى شعيا أن قل لحزقيل أن يبعث نبيا من أنبياء بني
إسرائيل فإني ملق على قلوبهم جبابرتهم وملوكهم فقال ليونس اخرج إليهم فقال يونس هل أمرك
الله بإخراجي قال لا قال فهل سماني قال لا فقال ههنا أنبياء أقوياء فألح عليه فخرج مغاضبا إلى آخر
ما قصه الله **وقد روي عن ابن عباس أن رسالة يونس** عليه الصلاة والسلام **ونبوته**
أي بعثته نبيا مرسلا إلى أهل نينوى من أرض الموصل **إنما كان بعد أن نبذه الحوت** ونبذه
بلفظ الماضي المعلوم وفي نسخة بعد نبذه بإضافة المصدر لمفعوله أي قذفه من بطنه
والمراد مطلق الإلقاء وقال الراغب النبذ إلقاء الشيء وطرحه لقلة الاعتداد به ولذا
يقال نبذه نبذ النعل الخلق وقال فنبذوه وراء ظهورهم انتهى وفيه نظر لأنه لا يناسب
قوله فنبذناه بالعراء فتأمل **واستدل** لما قاله ابن عباس رضي الله عنهما **بقوله ثم فنبذناه**
بالعراء وهو سقيم العراء بالفتح والمد المكان المتسع الخالي من البناء والشجر فهو كأنه عار وكان
الحوت يسير مع السفينة رافعا رأسه ليتنفس واختلف في مدة لبثه في بطنه كما مر وقوله
وهو سقيم أي ضعيف كالطفل حين يولد من حرارة بطن الحوت **وأنبتنا عليه شجرة من يقطين**
تفعيل من قطن إذا أقام وهو شجر بلا ساق وقيل هي القرع وعلى هذا فإطلاق الشجرة عليه مجاز
لأنه ما له ساق والمشهور الثاني لما روي أنه صلى الله عليه وسلم كان يحبه ويقول هي شجرة أخي يونس

وأنبت عليه لتظله ويأكل منها وقيل لانه لا يقع عليها الذباب وأرسلناه الآية ووجه
الاستدلال انه ذكر الارسال بعد اخراجه من بطن الحوت والواو وان لم تفد الترتيب
على الصحيح لكن الترتيب الذكري يقتضيه لان غيره مخالف الظاهر وهو معنى ما نقل عن
الشافعي اذ لا وجه للعدول عن الظاهر من غير قرينة وقوله او يزيدون او بمعنى الواو
او المراد وصفهم بالكثرة او تردد من رآهم وقد اجيب عما استدل به ابن عباس رضي الله عنهما
بانه ارسال لغوي اي ارجعه الى من ارسل اليه اولا او هو ارسال لغيرهم الى غير ذلك مما
ذكره المفسرون واستدل ايضا اي لقول ابن عباس كما استدل بما قبله بقوله ولا تكن
الخطاب له صلى الله عليه وسلم كصاحب الحوت اذ ضجر ولم يصبر فاصبر فان الله ناصرك
وذكر القصة يعني قوله اذ نادى وهو مكظوم الخ ثم قال فاجتباه ربه فجعله من الصالحين
وهذا بناء على ان معنى اجتباه اصطفاه واختاره لرسالته وليس هذا بمتعين بقوله فتكون
هذه القصة قبل نبوته وارساله لقومه غير مسلم لما تقدم وانما قال هذا ابن عباس لانه
قبل النبوة يجوز صدور ما ذكر عنه لانه لم يوح اليه بما يزيل الشك عنه ثم اورد سؤالا على
الاصل الذي قرره من براءة الانبياء عليهم الصلاة والسلام مما يعرض لغيرهم من الشك ونحو
فقال فان قيل فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم عن الاغر
المزني انه اي الامر والشان ليغان على قلبي الغين بالغين المعجمة وياء ونون الستر
والتغطية وهو قريب من الغيم ويكون بمعناه اي يرد على قلبي امور تشغلني ويقال غين على
قلبه اذا اعرض له وسوسة ونحوها ولما توهم من ظاهر الحديث انه قد يعرض له صلى الله عليه وسلم
شك في بعض شؤونه ورد سؤال بانه مخالف لما قرره لان قوله فاستغفر الله في كل يوم
مائة مرة وفي طريق اي في رواية له في اليوم اكثر من سبعين مرة يقتضي انه خواطر غير
مرضية محتاجة للعفو عنها دفعه فقال اذا سمعت هذا وعرفت ما يوهم فاحذر ان يقع ببالك
اي يخطر على قلبك وفكرك وذكر البال هنا فيه لطف صادف محزه ان هذا الغين الوارد
في هذا الحديث وسوسة او ريبا اي شكا في شيء من اموره المتعلقة بالوحي وقع في قلبه
صلى الله عليه وسلم في شيء من امور الدين ثم وضحه بعد بيان معناه حقيقة فقال بل اصل الغين
اي اصل معناه وما وضع له لغة في هذا الكلام ما يتغشى القلب ويغطيه عطف تفسير وهو
استعارة لما يشغله قال الامام ابو عبيدة وفي نسخة ابو عبيد القاسم بن سلام كما تقدم
واصله اي ما وضع له اولا ماخوذ من غين السماء وهو اطباق الغيم عليها اي على السماء هـ
واطباقه تغطيته جميع نواحيها وقريب منه ما قيل انه الغيم المطبق فيحتمل ان النون مبدلة من
الميم وقال غيره اي غير ابي عبيدة الغين شيء يغشى بفتح الياء وتشديد الشين المخففة او بضمها
وكسر الشين المشددة والاول اظهر القلب اي يعرض له او يستره ولا يغطيه كل التغطية اي
لا يغطيه كله كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهوا اي في الجو فلا يمنع ضوء الشمس
لرقته وكذلك اي مثل ما ذكر من انه لا يفهم منه من انه وسوسة لا يفهم من الحديث انه يغان
على قلبه مائة مرة او اكثر من سبعين مرة في اليوم ثم بينه بقوله اذ ليس يقتضيه
لفظه الذي ذكرناه اي لا يدل عليه دلالة متعينة وهو اكثر الروايات اشارة الى ان فيه
روايات اخر وانما هذا المذكور في الحديث عدد الاستغفار لا الغين فانه واقع بعد
الاستغفار المرتب على الغين بالفاء وان احتمل ان يكون كل استغفار لغين فيكون المراد العدد

واما الروايات

واما الروايات فلا تنافي بينهما لانه اما باعتبار الاحوال او الاكثر من سبعين هو
المائة نفسها فيكون المراد بهذا الغين اشارة الى غفلات قلبه وفترات نفسه اي
فتورها وكسلها وسهوها اي زوال الصورة عن الفكر وبين ما غفل عنه في فترة وسهو بقوله
عن مداومة الذكر اي ذكره صلى الله عليه وسلم لله بلسانه وقلبه ومشاهدة الحق ان
اريد به الله ثم فالمراد مشاهدته في مرايا مصنوعاته حتى كانه يراه بعين عيانه وان اريد
به ما هو حق ثابت متيقن من العلوم الحقة والامور اليقينية اللدنية ولما كان هذا يوهم
امرا لا يناسب مقامه صلى الله عليه وسلم حتى قيل انه لا ينبغي ذكره فانه يقتضي تفضيل الملا يكة
على الانبيا عليهم الصلاة والسلام لانهم لا يفترون عن العبادة والتسبيح طرفة عين اشار
الى دفعه بما لم يتنبه له المعترض فقال بما كان اي بسبب ما كان صلى الله عليه وسلم دفع
اليه بالدال المهملة المضمومة فبني للمجهول اي فوض اليه واعطيه قال الراغب
الدفع اذا عدي بالى معناه الانالة كقوله ثم فادفعوا اليهم اموالهم فان عدي بمن فمعناه
الحماية نحو ان الله يدفع عن الذين آمنوا من مقاساة البشر المقاساة والمكابدة مباشرة
ما فيه مشقة من امور غيره وسياسة الامة السياسة هي الحكم والتدبير لامر غيره من سا سه
يسوسه اذا قام عليه لاصلاح اموره وهو لفظ عربي لا معرب كما توهم وهي حكم مخصوص بما
يكون بطريق القهر والضبط ومعاناة الاهل اي الاعتناء بامرهم والتقيد بما فيه معاشهم
ومقاومة اي القيام بالامر الذي يتعلق بالولي وهو من يواليه ويتبعه والعدو وهو
من يظهر عداوته ومقاومته مقابلته والقهر كما كان يفعله صلى الله عليه وسلم في غزواته
وتدبير جيوشه ومصلحة النفس اي مصلحة لنفسه في امور معاشه وكلفه بالبناء للمجهول
معطوف على دفع اليه من اعباء الرسالة جمع عبء بهمزة في آخره وهو كالحمل لفظا ومعنى
بكسر اوله وهو ما يكون له في تبليغها ودعوة الخلق وحمل بفتح اوله الامانة اي ما استود عه
الله من اسراره واعطاء كل ذي حق حقه وليس المراد بها طاعة الله التي اوجبها الله عليه
كما قيل وهو صلى الله عليه وسلم في هذا كله اي ما وقع اليه وكلفه مما ذكر من المقاساة وما
بعدها في طاعة ربه وعبادة خالقه دفع لما يتوهم من انه كان اللائق به صلى الله عليه
وسلم ان لا يشغله شيء عن ذكر ربه ومشاهدته بانه لم يشغله به لحظوظ نفسانية ولا
لامور ربانية وانما الله شغله بذلك عما انقطع عنه لاخذه من التي امره الله عز وجل بها
كما قيل ◉ اريد وصاله ويريد هجري • فاترك ما اريد لما يريد •
ولما ورد عليه ان هذا اذا كان طاعة وعبادة فلم استغفر منه والاستغفار انما يكون
من الذنب وجهه على طريق الاستدراك بقوله ولكن لما كان صلى الله عليه وسلم ارفع
الخلق عند الله مكانة اي له رتبة عند الله ومنزلة عالية على كل مخلوق والمكانة بالتاء
تختص بالمحل المعنوي كالمنزلة واعلاهم درجة الدرجة ما في جانب العلو ضد الدركة
ومكانة ودرجة تمييز واتمهم اي اكملهم به اي بالله معرفة فهو اعرف بالله مما سواه هـ
واخر هذا لانه مرتب على ما قبله في المعقول والمحسوس كانت حاله الحال مؤنثة اي
امره وشانه عند خلوص قلبه لله بحيث لا يمر به سواه وخلو همه اي جعل همته وعزمه
وفكره خالية عن غير الله تعالى وتفرده به اي جعل امره منفردا بالتوجه لجنابه الاعلى
فيكون قلبه معه وحده في خلوته فان ذاكر الله جليس الرحمن كما ورد عنه واقباله بهمته

اي بذاته كلها قلبا وقالبا ومقامه هنالك اي اقامته مع الله في حظيرة قدسه وانا
بالبعد لعلو مقامه ثمة ارفع اي اعلى حاليه اي حال اشتغاله بالظاهر وحال كونه مع الله
عالم السراير وكل منهما رفيعة ولكن هذا ارفع رأى صلى الله عليه وسلم اي علم او شاهد حال
فترته عنها اي عن ارفع حاليه وشغله بسواها اي اشتغاله بغيرها غضاضة عن علي
حاله وهو مفعول ثان لرأى او حال وغض الطرف بمعنى رخاوته واطراقه ويكون بمعنى النقصان
كما يقال غض صوته قاله الراغب وهو المراد هنا وكنى به عن التنزل عما ذكر وخفضا اي حطا
وتنزيلا من رفيع مقامه وهذا بالنسبة للحالة الاخرى وان لم يكن كذلك في نفسه
فاستغفر الله تعالى اي طلب مغفرته وعفوه وما محتد له من ذلك لعدم بالنسبة
لمقامه الاخر كالذنب كما قال البحتري

إذا محاسني اللاتي أدل بها • كانت ذنوبي فقل لي كيف أعتذر

ولذا ورد انه صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من مجلسه قال استغفر الله الذي لا اله
الا هو الحي القيوم واتوب اليه وروي انه كان يقول رب اغفر لي وتب علي انك انت
التواب الرحيم مائة مرة وهذا التفسير اولى وجوه الحديث التي ذكرت في توجيهه واشهرها
والى معنى ما اشرنا اليه مال كثير من الناس وحام حوله وقارب اي دار باطرافه وقرب
منه كقوله صلى الله عليه وسلم من حام حول الحمى واصله رفرفة الطاير على الماء ارادة النزول
عليه وقارب اي حاول القرب والوصول اليه ولم يرد اي لم يصل اليه استعارة من ورود
الماء اذا اتاه ليستقي منه وفيه اشارة الى ان ذلك فيه شفاء الغليل وثلج الصدور وان النفس
لها ظما اليه وفيه من البلاغة ما لا يخفى وقد قربنا غامض معناه اي ادنيناه لمن قاربه
ففيه لطف لا يخفى اي خفيه الذي لم يتضح واصله المكان المنخفض فكني به عما ذكر ثم صار حقيقة
فيه وكشفنا لمستفيده اي طالب الفايدة العلمية من تجارته الرابحة محياه بالضم
والتشديد بمعنى الوجه وفيه مكنية وتخييلية بتشبيهه بعيان مخدرة والكشف للحديث
هنا لرفع عينه واظهار محياه لعينه وهو اي هذا التفسير مبني اي متفرع على جواز الفترات
والغفلات والسهو على ساير الانبيا عليهم الصلاة والسلام في غير طريق البلاغ اي ما
امر بتبليغه لا من الشرايع واما ما طريقه البلاغ فلا يجوز فيه ذلك لما فاته له على ما سيأتي
في هذا الكتاب وفي كلامه نظر لا يخفى فانه جعل الغفلة والفترة والسهو عبارة عن اشتغاله
بامر امته واهله فلا غفلة ولا فترة ولا سهو حقيقة فكيف بناه على غير اساسه وهذا عندي
كالغفلة فيما قاله فتامله فانه غريب ومن هنا علمت سر دعاء الملايكة لبني آدم بالمغفرة
وتمنت صلاتهم بها ومعنى قوله تع ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شي رحمة وعلما
وسر تذييل هذه الاية بما ذكر وذهبت طايفة اي اختاروا مذهبا وراياً كقوله

وللناس فيما يعشقون مذاهب • من ارباب القلوب اي اوليا الله الذين
نور الله قلوبهم وطهرها حتى صاروا من ارباب الكشف ومشيخة بفتح الميم وسكون الشين
ويجوز كسرها جمع شيخ وهو الكبير سنا ثم شاع فيمن كبر قدره في العلم والصلاح المتصوفة
اي ارباب التصوف وهو علم السلوك وهو لفظ اطلق على هولاء بعد العصر الاول
لتقشفهم ولبسهم الصوف او لصفاء قلوبهم او لمضاهاتهم لاهل الصفة كما بيناه في كتاب
شفاء الغليل ممن قال بتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا اي ما ذكر من الغفلة

وما بعده جملة اي كله ومجموعه واجله اي عظمه صلى الله عليه وسلم بتنزيهه عن
مثله عن ان يجوز بالبنا للمجهول بضم اوله وتشديد الواو المفتوحة اي يراه جايزا اطلاقه
عليه في حال من احواله سهوا وفترة السهو الذهول عن شي يتنبه له سريعا وقيل انه في الشي
تركه من غير علم وعن الشي تركه مع علم ومنه الذين هم عن صلاتهم ساهون والفترة السكون
بكسل ونحوه كما تقدم الى ان معنى هذا الحديث والى متعلقة بذهبت ما يهم بضم اوله
وكسر هائه من اهمه اذا اقلقه واحزنه وخاطره بالنصب مفعول اي قلبه وفكره وجعل
فكره ذا هم مجاز كقوله ويغم فكره اي يجعله ذا غم والهم والغم الحزن وقد يفرق بينهما من امر
امته صلى الله عليه وسلم لاهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم وحنوه ورحمته لهم فيستغفر
لهم اي يدعو لهم بالمغفرة لما صدر منهم او لما سيصدر فالغين خواطره فيما يتعلق بهم
واستغفاره صلى الله عليه وسلم انما هو لهم فلا اشكال في الحديث اصلا قالوا اي الناس
المنزهون له صلى الله عليه وسلم عما ذكر وقد يكون الغين هاهنا اي في هذا الحديث
هو السكينة اي الوقار والتأني والطمانينة في الامور التي تغشاه اي تعرض له صلى
الله عليه وسلم لقوله تعالى فانزل الله سكينته عليه اي طمانينته وحلمه ووقاره وفي
الضمير في عليه قولان احدهما على النبي صلى الله عليه وسلم والثاني على ابي بكر قال ابن العربي
قال علماونا وهو الاقوى لانه خاف على النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله سكينته عليه
بتامين النبي صلى الله عليه وسلم وسكن فسكن جاشه وذهب روعه وحصل الامن والسكينة
لها معان منها الوقار والسكون والرحمة وقيل انها وردت بمعنى ذات لطيفة هوائية لها
وجه كوجه الانسان او على صورة هرة مع بني اسرائيل اذا ظهرت انهزم عدوهم ووردت بمعنى
السحابة كذا في الشرح الجديد وقال الراغب في قوله وانزل السكينة في قلوب المومنين
قيل هي ملك يسكن قلب المومن فيومنه ومنه ان السكينة تنطق على لسان عمر وقيل هو العقل
ويقال له سكينة اذا سكن عن الميل والشهوة والسكينة زوال الرعب وعليه قوله تع ان يأتيكم
التابوت فيه سكينة من ربكم وما ذكر من انها شي له راس كراس الهرة لم يصح ويكون استغفاره
صلى الله عليه وسلم عندها على هذا وهو ليس بذنب بل خضوع وخشوع اظهار العبودية
والافتقار الى ربه عز وجل وقال ابن عطا تقدمت ترجمته استغفاره وفعله هذا اي
الواقع في هذا الحديث تعريف للامة اي تعليم لهم بحملهم على الاستغفار اي طلب مغفرة
ربهم وقال غيره اي غير ابن عطا ويستشعرون اي يدركون ويعرفون من تعريف رسول الله
صلى الله عليه وسلم لهم واصله طلب الشعور فعبر به عما ذكر الحذر اي الاحتراز من المعاصي
والخوف منه كما قال تع ويحذركم الله نفسه وفي نسخة الحضر اي جلس انفسهم على طاعة الله
والامتناع من الذنوب ولا يركنون اي لا يميلون ميلا تاما الى الامن من الوقوع في المعاصي
والذنوب فان من حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه وقد يحتمل الحديث ان يكون هذه الغينة
في قوله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي حالة خشية واعظام اي يخطر بباله عظمة
الله والخشية منه تغشى قلبه اي تعرض له حالة من تصور ذلك فيستغفر حينئذ اي حين
ما غشيته هذه الحالة شكرا لله تعالى على نعمة جليلة اذ عرفه عظمته وخشيته وهو اعظم
المعلومات فهو نعمة لا تساويها غيرها وملازمة لعبوديته اي مداومة عليها اذ مقتضاها عده
نفسه مقصرة لا تفي باداء حقه فلذلك يستغفره كما قال صلى الله عليه وسلم في ملازمة العبادة

كما ورد في حديث انه صلى الله عليه وسلم اكثر من قيام الليل حتى تورمت قدماه فقال له الصحابة
تفعل ذلك يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال **افلا اكون عبدا**
شكورا عطفه بالفاء على كلامهم بتقدير اذا انعم علي بمغفرة ما تقدم وما تاخر ففي مقابلة
هذه النعمة اللائق مني الشكر واعظمه الاعتقاد بالجنان والعمل بالاركان ولا عمل له افضل من
الصلاة وقد كمل شكره بلسانه لما قال هذا فلذا قال عبدا شكورا فاعترف بعبوديته وهي من
اعظم النعم عليه واتى بصيغة المبالغة وفاء السببية وهو معطوف على كلامهم ويسمى
عطف تلقين كما صرح به سيبويه وذكره في الكشاف وهذا الحديث رواه البخاري وغيره وفي
رواية له افلا احب ان اكون عبدا شكورا فان الشكر سبب النعم او هو معطوف على مقدر اي
اترك التهجد فلا اكون الخ وفيه حث لغيره ودليل على ان الشكر كما يكون باللسان يكون بالابدان
كما قال تع اعملوا آل داود شكرا لكن غيره اذا اخشى الملال لا ياتي الا بما يستطيعه كما ورد في
الحديث فلا منافاة بينه وبين قوله عليكم من الاعمال ما تستطيعون فان الله لا يمل حتى تملوا
وعلى هذه الوجوه الاخيرة قالوا هي قوله وقد يكون الغين الى هنا وقيل من قوله وذهبت
طايفة من ارباب القلوب الخ **يحمل** اي يفسر **ما ورد في بعض طرق هذا الحديث** من رواية
البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه **عنه صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي في اليوم**
اكثر من سبعين مرة فاستغفر الله فيفسر الغين بما مر ويجعل الاستغفار له لما مر او لامته
تعليما لهم والعدد للاستغفار لا للغين لبعده لفظا ومعنى وقال الخيضري في خصايصه
قال السهروردي لا تعتقد ان هذا الغين نقص بل هو كمال متمم لكمال ومثله بجفن العين
يسبل لدفع القذى عن العين فيمنع من الرؤية فهو نقص بحسب الظاهر وكمال في الحقيقة
وهكذا بصيرة النبي صلى الله عليه وسلم للاء غيرة الثايرة من انفاس الاغيار التي ستر حدقة
بصيرته صيانة ووقاية لها وقول ابن الجوزي هفوات الطباع البشرية لا يخلو احد منها
والانبيا عليهم الصلاة والسلام وان عصموا من الكباير لم يعصموا من الصغاير مبني على خلاف
المختار وقال ابن بطال الانبيا عليهم الصلاة والسلام اشد الناس اجتهادا في العبادة
فهم دايبون في شكره معترفون بالتقصير عما يجب له تع ويحتمل انه عد اشتغاله بالمباحات
كالاكل والشرب والجماع وغيره من امور الدنيا والنظر في امور العباد وغيره مما يشغله عن ذكر الله
ومراقبته فعده ذنبا بالنسبة لعالي مقامه يمنعه من اتصاله بحضرة القدس وكونه تعليما لامته
مخالف للسياق وكذا ما قيل انه لاطلاعه على ما يحدث من امته بعده وفي الاحيا كان صلى الله عليه
وسلم دايما يترقى في المقامات فاذا انتقل من مقام الى اعلا منه راه نقصانا فتاب منه واستغفر
وحسنات الابرار سيئات المقربين كما قاله الجنيد وتعقب هذا بانه يدل على وقوع الاستغفار
متفرقا بحسب الاحوال وظاهر الحديث يخالفه كما قاله ابن حجر وفيه نظر لانه ليس في الحديث
ما يدل على افتراق واجتماع انتهى • وسيل العراقي عن هذا الحديث فاجاب بما مر ثم قال
والظاهر ان الجملة الثانية مترتبة على الاولى وان سببا لاستغفار الغين بدليل ما روي
حتى استغفر وفاستغفر الله ويحتمل الجمع بينهما من الراوي فاخبر بحصول ذلك الغين
مع كثرة الاستغفار فما ظنك بمن لم يكن كذلك والجملة حالية مقدرة وقال بعض المشايخ الصوفية
الغين في اصطلاح ارباب السلوك شهود الحق بشهود الاغيار التي هي حجاب عن شهود
الحق وهو منزه عنه فالمراد به اختلاف التجليات كالتجلي الصفاتي والذاتي وقال الشاذلي

اشكل علي

اشكل علي هذا الحديث فرأيته صلى الله عليه وسلم في المنام فقال يا مبارك ذلك
غين الانوار لا غين الاغيار وفي لطايف المنن لابن عطا الله وحل الرموز للمقدسي من
ظنه غين غفلة وحجاب فقد اخطا وانما كان صلى الله عليه وسلم يستغرق في انوار التجليات
فيغيب في ذلك الحضور فيسال المغفرة اي ستر هذه الحالة لانه من الغفر بمعنى الستر لان
الخواص لو دام لهم تجلي ما يكاشفون به تلاشوا عند ظهور سلطان الحقيقة وهذا الستر لهم
رحمة وللعوام عقوبة لانه حجاب يستر عين بصايرهم فانهم مشتغلون عنه بغيره والخواص
ص
مستورون به عما سواه وهو ستر عن دنو الذات المحرق للسوا كما قال ابن الفارض رحمه الله تع

ولولا احتجابي بالصفات لاحرقت • مظاهر ذاتي من سناء سجيتي •

هذا محصل ما قاله اهل الباطن والظاهر وزبدة ما في الحديث من الطوالع والسراير فاختر
لنفسك ما يحلو • ثم انتقل لشبهة اخرى ترد على الاصل الذي قرره فقال **فان قلت**
فما معنى قوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ولو شا الله لجمعهم اي جعل الناس كلهم
مجتمعين متفقين **على الهدى** بهدايته لهم للعقايد الحقة واتباع الشريعة اللازمة فلا يضل
احد منهم عن الطريق المستقيم **فلا تكونن من الجاهلين** اول الاية فان استطعت ان تبتغي
نفقا في الارض او سلما في السما فتاتيهم باية ولو شا الله الخ وهو شفقة عليه صلى الله عليه وسلم
لما راى من حرصه على ايمان الناس فنهيه عن الجهل بقدرة الله لما شاء يوهم انه لم يحط بذلك
وهو منزه عنه ودفعه بما ياتي وكذلك قوله تع لنوح عليه الصلاة والسلام **فلا تسالني**
ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين حين ناداه وقال رب ان ابني
من اهلي وان وعدك الحق يعني ما وعده به من نجاة اهله لما قال له احمل فيها من كل زوجين اثنين
واهلك وابنه من اهله فساله عن سبب عدم نجاته فانكر عليه سواله ونسبه لما لا يليق بالانبيا
عليهم الصلاة والسلام من الجهل والى دفع وجه السوال والشبهة اشار بقوله **فاعلم** امرا لكل
من يمكن توجيه الخطاب اليه وسد مسد مفعوله قوله **انه لا يلتفت** بالبنا للمجهول اي لا يلتفت
التفات احد ونظره **في ذلك** اي في خطابه تع لهما بما ذكر **الى قول من قال** من المفسرين **في اية**
نبينا اي في الاية الاولى التي نزلت في حقه **صلى الله عليه وسلم** وقوله فيها فلا تكونن
من الجاهلين وان معناها **لا تكونن ممن يجهل ان الله لو شا لجمعهم على الهدى** باسناد الجهل
نن
بمشية الله اليه **ولا تلتفت** ايضا لقول من قال **في اية نوح عليه الصلاة والسلام لا تكون**
ت
ممن يجهل ان وعد الله حق لقوله ان وعدك الحق فانك لا تخلف الميعاد وعلل عدم الالتفات
لهذا القول بقوله **اذ فيه** اي في هذا القول وتفسير الايتين بما ذكر **اثبات الجهل بصفة**
من صفات الله وهي قدرته وعلمه **وذلك لا يجوز على الانبيا** صلوات الله وسلامه عليهم
دهم
لمعرفتهم بالله تع وصفاته **والمقصود** اي المعنى المراد منهما اي الايتين **وعظهم** اي ارشادهم
وتنبيههم **على ان لا يتشبهوا في امورهم** حين الدعوة للخلق **بسمات الجاهلين** اي لا
يتصفوا بصفاتهم من عدم الصبر والحرص على سرعة حصول المراد مما هو شان الجهلة **كما قال**
اني اعظك فهو دليل على انه ارشاد له صلى الله عليه وسلم ان لا يتسم بما ليس من شانه
ولا يتخلق بما يضاهي اخلاق الجهلة لا انه جاهل بذلك **وليس في اية منها** اي من الايات
المذكورة **دليل على انهم على تلك الصفة** اي صفة الجهل بصفة من صفات الله فانهم اعلم
الناس بها **الذي نهاهم عن الكون عليها** اي الاتصاف بذلك وانه نهي عن الكون ابلغ من النهي

عن الانصاف بها كما قرره ابن جني في كتاب المحتسب **فكيف** يكونون وهم اعلم الخلق على صفة
نهوا عن الكون عليها والاستفهام لاستبعاد ذلك **واية نوح** عليه الصلاة والسلام المذكور
فيها قصته وهي قوله اني اعظك الخ **قبلها فلا تسالني ما ليس لك به علم** فهي موذنة
بان المراد نهيه عن التشبيه بالجهلة لنهيه عن السوال عما لا يحتاج اليه **فحمل ما بعدها على
ما قبلها اولى** من الجري على ظاهرها ونسبة ما لا يليق بهم اليهم **لان مثل هذا** السوال عما
ليس له بعلم من حال ابنه **قد يحتاج الى اذن** من الله فلا يحتاج يتقدم الى اذن عليه بل ومنه
وقد تجوز اباحة السوال فيه ابتداء منه من غير اذن فيختلف باختلاف الاحوال والمقامات
فنهاه الله عن ان يساله عما طوي عنه او اخفي عنه **علمه** به فشبه الامر المخفي عنه بثوب
مطوي ملفوف لا يظهر باطنه وداخله **واكنه** اي ستره كقوله قلوبنا في اكنة اي حجاب
يمنع الادراك **من غيبه** اي من الامر المغيب عنه وفي نسخة في غيبه **من السبب الموجب لهلاك
ابنه** باغراقه وعدم ادخاله في سفينته بيان لما طوي عنه واكنه لانه لم يكن على دينه لانه
كان يبطن الكفر ونوح عليه الصلاة والسلام لم يعلمه **ثم اكمل الله نعمه عليه** جمع نعمة وفي نسخة
نعمته بالافراد **باعلامه بذلك** اي بما سال عنه وانما جعله من كمال النعمة لانه علمه ما لم يعلم وبين
له ما نهي عن السوال عنه بقوله عز وجل له **انه** اي ابنه **ليس من اهلك** لانقطاع الولاية بكفره
وخروجه عن دينه **انه عمل غير صالح** تعليل لنفي كونه منه ومعدودا من اهله **حكاه** اي اهل
التفسير حكاه عن السلف **مكي** تقدمت ترجمته **كذلك** اي مثل قصة نوح في انها مخالفة لظاهرها
محتاجة للتاويل بانها تشبيه بمن استطى مطية الجهل **امر** فعل مبني للمفعول **نبينا** صلى الله عليه
وسلم **في الاية الاخرى** السابقة وهي ولو شاء الله الخ **بالتزام الصبر** متعلق بامر والمراد
بالامر ما يلزم النهي وامره بالصبر مذكور صريحا في ايات اخر كقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم
من الرسل **على اعراض قومه** عن دينه وعنه **ولا يحرج** من الحرج وهو ضيق الصدر والقلق
عند ذلك اي عند اعراضهم عنه **فيقارب** حاله **حال الجاهل لشدة التحسر** اي التالم
والندم على عدم اطاعة قومه له **حكاه** اي ما ذكر من التفسير **ابو بكر بن فورك** تقدمت
ترجمته والكلام على اسمه في منع الصرف وعدمه **وقيل معنى الخطاب** في قوله فلا تكونن من
الجاهلين **لامة محمد** لا له صلى الله عليه وسلم فهو تعريض كما تقدم تحقيقه **اي فلا تكونوا
من الجاهلين** اي ممن اتصف بصفاتهم وانخرط في سلكهم **حكاه مكي ايضا وقال مكي
مثله في القران كثير** فيخاطب النبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته كقوله يا ايها النبي اذا
طلقتم النساء **فبهذا الفصل** الذي قرره من تاويل ما يوهم نسبتهم لما لا يليق بعلي مقامهم
وجب وفي نسخة اوجب **القول بعصمة الانبيا** عليهم الصلاة والسلام **منه** لشرفهم
وكمال علمهم ورجحان عقولهم وتنزيه الله لهم عن النقايص **بعد النبوة قطعا** لقيام الادلة
عليه والحاصل ان معنى الاية الاولى انه تعالى لما راى اشتداد حرصه صلى الله عليه وسلم على
ايمانهم وشق عليه حتى كان يهلك نفسه لم يرض تعالى له فقال له ان كان عظم ذلك عليك
فان امكنك ان تغوص في الارض لتطلع منها اية لهم او تنصب سلما تصعد به الى السماء
لتاتيهم باية منها حتى يومنوا اي انت لا تستطيع هذا فما فايدة هذا الحرص ولو اراد الله
هدى جميع الخلق فلا تحرص على ما لم يرده وقيل كانوا يقترحون عليه ايات يودوا لو اجيبوا
لها حرصا على ايمانهم فقيل له ان استطعت ان تفعل هذا لتاتيهم بما اقترحوه فافعل ليومنوا

وقيل ابتغا

وقيل ابتغاء النفق والسلم هو الاية نفسها فتضمنت ثلاثة اوجه الاول بيان لشدة حرصه
وانه لو قدر على المحال لفعله والثاني بيان لحرصه على تثبيت مطلوبهم ومقترحهم والثالث
حرصه على جعل الصعود والهبوط اية لهم حتى يومنوا به وترك القاضي الاخرين لان ما
الله ان من اجيب لما اقترح يحل هلاكه وهو مناف لحرصه على ايمانهم ولان المتبادر من الاية
ان النفق والسلم غير الاية مع ما فيه من النزعة الاعتزالية وقصة نوح وهلاك ابنه كنعان
بعد ما سال الله نجاته فقيل له انه سبق القول بهلاكه لكفره والكلام فيه مفصل في التفسير
فلا نطيل بذكره ثم اورد سوالا اخر على ما قرره من السلك في شي مما يتعلق بالعقايد والدين
فقال **فان قلت فاذا قررت عصمتهم من هذا** اي حفظ الله لهم عما ذكر **وانه لا يجوز
عليهم شي من ذلك** ولا يصح اعتقاده فيهم **فما معنى اذن** وقعت في جواب سوال مقدر فا
بين المضاف والمضاف اليه ملغاة لعدم شروط عملها **وعيد الله تعالى لنبيه صلى الله عليه
وسلم** اي تخويفه بتقدير صدور شي من ذلك منه وتهديده **على ذلك ان فعله** ونحوه مما
يقتضي جواز مثله عليه **كقوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك الاية** حبوط العمل بطلانه
بالكلية بحيث لا يثاب عليه ولا يبقى له عمل من حبطت الدابة اذا وجدت مرعى طيبا فاكلت منه اكلا
كثيرا حتى انتفخت بطنها فماتت فالاتيان بالشرط واسناد الشرك له صلى الله عليه وسلم بحسب
الظاهر يدل على جواز مثله عليه وعلى غيره من الانبيا مع انهم منزهون عنه واطلاق الاحباط
في هذه الاية اما لانه مخصوص لان ذنب العظيم عظيم او هو مقيد بموته على ذلك كما يعلم من قوله
ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم والجواب علم مما تقدم واللام
الاولى موطئة للقسم المقدر والثانية في جوابه **وقوله** بالجر اي وما معنى قوله تعالى **ولا تدع
من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك الاية** اي ان فعلت فانك اذا من الظالمين ونهيه
عن ان يدعو غير ربه اي يعبده لان الدعاء هنا بمعنى العبادة يقتضي صدوره منه صلى
الله عليه وسلم وتاويله يعلم مما مر **وقوله اذا لاذقناك ضعف الحياة الاية** اي وضعف
الممات اي يضاعف له عذاب الدنيا والاخرة **وقوله تعالى** ولو تقول علينا بعض الاقاويل
اي ولو افترى علينا **لاخذنا منه باليمين** جواب لو ثم لقطعنا منه الوتين والكلام على
الوتين وسبب نزولها مبين في التفاسير والذي يهمنا هنا ما قصده المصنف بايراده ها
هنا **وقوله وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله** والمراد بهم الكفرة
الجهلة واطاعتهم بموافقته لهم عليه ومثله لا يجوز عليه صلى الله عليه وسلم فكيف اسند اليه
فيهما وقد مر جوابه **وقوله تعالى فان يشا الله يختم على قلبك** وهذا بناء على الظاهر من
ان المراد يمنعه من قبول الحق كما في قوله ختم الله على قلوبهم لا على تفسير مجاهد **وان لم تفعل
فما بلغت رسالته** اي فكانك لم تبلغ شيا منها لنقصه لك فهذا يقتضي جواز تقصيره ظاهرا
في تبليغ جميع ما اوحي اليه فامره بان يبلغه جميعا ولا يخشى مكروها من احد فان الله عصمه
وصانه وجعله في حصن حمايته وكان نعم او لمن اظهر ذلك وقال لا نعبد الله سرا **وقوله
تعالى يا ايها النبي اتق الله** ولا تخف من احد **ولا تطع المنافقين** فيما يودي الى نقض
في شي من امر الدين روي انه صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة كان يحب اسلام اليهود
وقد تبعه ناس على نفاق منهم فكان يلين جانبه لهم ويتجاوز عن قبايحهم فنزلت هذه الاية
فيهم وقيل في سبب نزولها غير ذلك كما ذكره الواحدي وغيره ثم شرع في الجواب عما ذكر في

ده
صلة
م

فقال فاعلم وفقنا الله وإياك للوقوف على معاني كلامه فإنه لا يكون إلا بتوفيق منه
تعالى أنه صلى الله عليه وسلم لا يصح عقلا وشرعا ولا يجوز عليه صلى الله عليه وسلم أن لا
يبلغ شيئا مما أمره الله بتبليغه كما يوهمه ظاهر قوله فما بلغت رسالته ولا أن يخالف أمر ربه
كما يوهمه قوله فإن لم تفعل ولا أن يشرك ويتقول على الله أي يكذب عليه ويفتري كما مر في
قوله ولو تقول علينا الآية بالحاء المهملة أي ما لم يرده ولم يأذن له فيه أو يفتري
عليه أي يكذب عليه وهذا بمعنى يتقول وأعاده لأنه صريح في المراد وقد يفرق بينهما بأن يراد
بالتقول تكلفه فيما يقوله بزيادة أو مبالغة فيه وهو المناسب لعطفه بأو أو يضل عن الصواب
والطريق المستقيم بإطاعة غير الله فهو إشارة إلى قوله تعالى وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك الخ
أو يختم الله على قلبه ويطبع عليه بما يمنعه عن قبول الحق أو يطيع الكافرين والمنافقين في
أمر بتصراه أنفسهم وهو إشارة إلى قوله ولا تطع الكافرين والمنافقين فإن الأمة أجمعوا على
عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل النبوة وبعدها عن الكفر غير الخوارج حيث جوزوا
عليهم بعض الذنوب وهي كفر عندهم وبعض الشيعة القائلين بجواز إظهار الكفر تقية ولا
يعتد بأقوالهم الواهية فلذا كان المراد بقوله لئن أشركت تقبيح الشرك وإقناط الكفرة على طريق
الفرض أي إذا كان هو لا يحبط عمله به فكيف حال غيرهم وكذا قيل في نفي الافتراء والتقول عنه
وقس عليه ما بعده لكن يسر الله أمره أي حاله صلى الله عليه وسلم وشأنه وما أمره به
بالمكاشفة متعلق بيسر أو بأمره وهما على التنازع والبيان عطف تفسير لأن المراد بالمكاشفة
كشفه له وتبيينه أو المراد بالأول ما يكشفه بالإلهام وبالثاني ما يوحى به إليه في البلاغ
متعلق بأمره وقيل بالمكاشفة للمخالفين متعلق بالبلاغ أي من خالفه فيما بلغه لهم عن
ربه ويجوز في قوله المكاشفة والبيان أن يراد به المبارزة والإظهار للبلاغ من غير مبالاة
بأحد فهو متعلق بأمره فإذا لم يبارزهم به فكأنه لم يفعل وأن إبلاغ بفتح همزة أن وهو معمول
لمقدر أي وأعلمه أن تبليغه لما أمر به إذا لم يكن بهذه السبيل أي على هذه الحالة والطريقة
من تبليغ جميعه وإظهاره والصدع به فكأنه ما بلغ أصلا لأنه كالعدم كمن ترك ركنا من أركان
الصلاة لا يعتد بصلاته وأنث اسم الإشارة لأن السبيل يذكر ويؤنث وطيب نفسه طيب
النفس جعلها مسرورة غير مكدرة ولا خائفة من شيء وقوى قلبه أي كان قويا متحققا لأنه لا
يصيبه مكروه ويقابله ضعفه وهو خوفه مما يتوهمه بقوله والله يعصمك من الناس أي
يحميك ويصونك منهم حتى لا يقدر أحد على شيء يضرك وهذه الآية إن كانت نزلت بعد أحد فهي
على عمومها وكان قبل نزولها له صلى الله عليه وسلم يحرسونه فلما نزلت ترك ذلك وإن كانت
نزلت قبلها فالمراد عصمته من القتل فلا ينافي ما أصابه بأحد من جراحته وكسر ثنيته لحكمة
تطييبا لقلوب المؤمنين وتكثير الثواب فمن ظن من بلا في الحروب أن لا يصاب فقد ظن عجزا كما
قال الله عز وجل لموسى وهارون حين أرسلهما لفرعون الجبابرة لا تخافا إنني معكما
أي حافظا وناصرا لكما على هؤلاء مع عتوهم وتجبرهم فبلغا أوامري واصدعا بالحق لنشد
أي نقوي ونزيل شدة بصائرهم أي موسى وهارون ومحمد صلى الله عليه وسلم فيكونوا على
بصيرة ويقين في أمورهم في الإبلاغ أي تبليغ ما أرسلوا به وإظهار دين الله من غير خوف
ويذهب عنهم بالبناء للمجهول والنصب معطوفا على نشد خوف العدو لو عدم ثم يحفظهم
وينصرهم عليهم المضعف للنفس صفة خوف اسم فاعل بتخفيف العين وتشديدها أي المؤدي

لضعف

لضعف نفس من خاف فهو بنون وفاء وسين مهملة وروي لليقين بيائين تحتيتين
وقاف ونون والأول أولى رواية ودراية لأن يقين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من
قوي أبدا وإن جاز ضعف أنفسهم بمقتضى البشرية ويؤيده بل يعينه قوله تعالى فأوجس
في نفسه خيفة موسى والخوف من المضرات أمر طبع عليه البشر مع أنهم على يقين من الله
هو الضار النافع وهو لا ينافي التسليم والتوكل ألا تراهم خندقوا في الأحزاب وهاجروا
عن مكة وهم ودخلوا الغار وهو بحسب المقامات فلا يرد عليه أن بعض الأولياء كان لا يفر
من الأسد وأما قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الأقاويل الآية تقدم أنه ليس فيه
شين له صلى الله عليه وسلم وقوله إذا لأذقناك ضعف الحياة معناه أذقناك
العذاب المضاعف في الدنيا والآخرة جزاء من فعل هذا التقول والافتراء على الله وجزاء
لو كنت ممن يفعله فإذا هدد به من لا يتصور عنه فما بالك بغيره وكذلك أي مثل ما ذكر
في الآيتين قوله وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله الخطاب له
صلى الله عليه وسلم ظاهرا والمراد غيره بطريق التعريض فزعا للعصاة إيقاظا لهم وتعريضا
لغفلتهم لارتفاع قدره صلى الله عليه وسلم عن ارتكاب مثله كما صرح تعالى بالمراد إذ قال
مخاطبا لهم صريحا إن تطيعوا الذين كفروا الآية يعني قوله يردوكم على أعقابكم
فتنقلبوا خاسرين فإن المراد بالخطاب ثمة فريق إذ قالوا للمؤمنين بأحد لما أرجف
بقتله صلى الله عليه وسلم ارجعوا لإخوانكم وادخلوا في دينهم فلو كان محمد نبيا ما قتل وكذا
قوله فإن يشأ الله يختم على قلبك خوطب والمراد غيره وكذلك قوله تعالى لئن أشركت
ليحبطن عملك كما تقدم بيانه وما أشبهه مما خوطب به فالمراد غيره تعريضا وإيقاظا
وأن هذه الحال المذكورة من الإحباط ونحوه حال من أشرك بالله لا حاله والنبي صلى
الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا فلا بد من تأويله بما مر وأما قوله تعالى اتق الله ولا تطع
الكافرين في خطابهم بما تقدم فليس فيه أنه أطاعهم وإنما نزلت لما بايعه بعض اليهود على
نفاق منهم فكان صلى الله عليه وسلم يداريهم رجاء أن يحسن إسلامهم وليس في الآية
أنه صلى الله عليه وسلم فعل ما نهي عنه ولما استشعر سؤالا وهو أن يقال حيث كان
الأمر كما ذكر فلم نهي عنه أجاب عنه بقوله والله سبحانه يعامل نبيه صلى الله عليه وسلم
بما لا يجوز أن يعامل به غيره ولا يسأل عما يفعل فله أن ينهاه عما يشاء وإن تصور صدوره
منه ويأمره بما يشاء وإن لم يتصور منه مخالفته له كقوله اتق الله وكما قال تعالى له ولا
تطرد الذين يدعون ربهم أي يعبدونه وقوله الآية إشارة لقوله بالغداة والعشي
يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون
من الظالمين وما كان صلى الله عليه وسلم طردهم عن مجلسه ولا كان من الظالمين
أي ممن ظلمهم بطردهم وهم أحقاء بتقريبه لهم وإكرامهم وأن لا يطمع فيهم من يبغي خلا
إرضاء له وكان المشركون قالوا لا نرضى مجالسة مثل هؤلاء يعنون سالما وصهيبا وبلالا
وحسان فاطردهم عنك وطلبوا أن يكتب لهم بذلك فقاموا وجلسوا ناحية فنزلت الآية
فنهاهم عما قالوه كما في مسلم وإنما هم بذلك رجاء إسلامهم مع أن ذلك لا يضر أصحابه لعلمه
صلى الله عليه وسلم بأحوالهم ورضاهم بما يرضاه
كما فسره المفسرون والله أعلم

فصل وأما عصمتهم

اي حفظ الله لانبيائه عليهم الصلاة والسلام من هذا الشيء اي اعتقاد ما لا يليق في التوحيد والعلم بالله وصفاته وبما اوحي اليه من امور الدين كما تقدم قبل ان تنبؤا اي قبل ان ينبئهم الله ويأتيهم الوحي من الله والنبوة والرسالة والفرق بينهما مشهور وليس هذا محل تفصيله وللناس من علماء الاصول والسلف خلاف جري بينهم من كون في كتبهم والصواب اي القول الموافق للواقع والادلة الذي على خلافه خطاء من قايله انهم معصومون اي محفوظون مصونون قبل النبوة من الجهل بمعرفة ذات الله تعالى بوجه ما او بجنبه وصفاته فلا يجهلون شيئا منها ومعصومون ايضا من التشكيك في شيء من ذلك وفي نسخة او التشكيك بالعطف باو الفاصلة اي لا يقع في نفسهم شك في ذات الله ولا في صفة من صفاته لان فطرتهم جبلت على التوحيد والايمان واما قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان فالمراد به الايمان بما لا يعرف الا بالوحي كوجوب الصلاة ونحوه من فروع الشريعة وقوله من الجهل بيان لما قصد من العصمة فلا وجه لما قيل انه اطلق فيما منه العصمة وكان عليه ان يعينه وهذا اظهر من الشمس لا يخفى على ذي بصيرة وقد تقرر ان العصمة عند المتكلمين ان لا يخلق الله في النبي ذنبا وعند الحكماء ملكة تمنع من الفجور حاصلة من العلم بالقبايح والمحاسن فانه الزاجر عن المعاصي والداعي للطاعة ويتاكد في الانبيا بالوحي الالهي وقيل العصمة خاصة في النفس او البدن بسببها يمتنع عن صدور الذنب ويأباه انه لو كان كذلك ما استحق المدح او الثواب لانها ليست داخلة تحت الاختيار وهم مكلفون بالاتفاق وفي التحرير لابن الهمام العصمة عدم القدرة على المعصية او خلق غير ملجي وهو مناسب لقول الماتريدي العصمة لا تزيل المحنة اي الابتلاء المقتضي لبقاء الاختيار ومعناه كما في الهداية انها لا تجبره على الطاعة ولا تعجزه عن المعصية بل هي لطف من الله يحمله على فعله ويزجره عن الشر مع بقاء الاختيار تحقيقا للابتلاء واعلم ان العلامة القرافي قال في التنقيح شرح الاربعين الرازية العصمة لغة الامتناع ومنه العصم لبعض الوحش لبعده عن مظان الاذى وامتناعه واستعصم الرجل امتنع ومنه عصمة الزوجية وحملة الشرع يطلقون العصمة على معنيين احدهما عدم المعصية في الجملة ومنه قولهم في الدعا نسالك من العصمة تمامها والثاني عصمة الانبيا والملايكة عن الكفر دون سائر البشر فان الله امتن على الخلق بدوام الايمان فلا بد من تفسير عصمة الانبيا بغير عدم الكفر ومنع الله منه حتى يصح قولنا ليس احد منا معصوما وان كنا غير كافرين مساوين للانبيا في ذلك فتمييزهم انما هو باعلام الله لنا انهم صانهم في قضائه وقدره عن الكفر وقدر لهم السعادة الابدية حتما مقتضيا فهذا الاعلام الرباني هو عصمة الانبيا والملايكة ومجموع الامة دون كل واحد منهم انتهى وقد تعاضدت اي تقوت وهو ماخوذ من العضد وهو ما بين المرفق الى الكتف ولكونه محل الانسان واعتماده بذلك قيل عضدته بمعنى قويته كما اشار اليه الامام الراغب الاخبار والآثار هما بمعنى وقد يفرق بينهما كما تقدم اي قوي كل منهما الآخر حتى حصلت القوة التامة والمراد بهما ما اشتهر من احوالهم وصفاتهم المأثورة المعروفة عند كل احد عن الانبياء كلهم والمرسلين باسرهم وليس المراد انه نقل عنهم بل عرفه منهم وفي حقهم فمن قدر هنا وعن غيرهم لم يصب بتنزيههم اي تبريتهم عن هذه النقيصة بصاد مهملة اي الصفة المنقصة لمن تتصف بها منذ ولدوا اي من ابتداء ولادتهم الى آخر عمرهم والكلام

على منذ ومنذ معروف في كتب النحو ونشأتهم بالجر معطوف على تنزيههم والنشأة ابتدا خلقهم لان من شأنهم كما توهم على التوحيد وهو عدم الشرك بالله والايمان بالله وبكل ما يجب الايمان به بل كانوا نشأوا على سبيل الترقي على اشراق انوار المعارف جمع معرفة والمراد معرفة الله تعالى وصفاته وكل ما يتعلق به وسطوع انوارها منهم شدة ظهورها في احوالهم واقوالهم ونفحات الطاف السعادة والنفحة الرايحة الطيبة التي تفوح والسعادة اي كونهم سعداء الدارين فشبه ما يلوح منهم من اماراتها بروايح طيب معبق منهم فيعطر الكون وفي الحديث ان لله في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها كما نبهنا عليه في الباب الثاني من القسم الاول من كتابنا هذا فمن اراد فلينظره ثمة ولم ينقل احد من اهل الاخبار عن احد غيره ان احدا نبي بالبنا للمجهول وهو من آخره اي صيره الله نبيا واصطفي اي اصطفاه الله واختاره لذلك وهو مجهول ايضا ممن عرف بكفر واشراك وهو من عطف الخاص على العام قبل ذلك اي قبل نبوته واصطفايه به ومستند اسم مفعول اي ما يستند اليه ويعلم به هذا الباب اي باب معرفة احوال الانبيا عليهم الصلاة والسلام النقل عن اهل الاخبار والآثار ويؤيده العقل الدال على انه تعالى لا يختار من خلقه لنبوته الا من كان كذلك فليس المراد الحصر ولذا عقبه بما يدل على ان العقل موافق للنقل فقال وقد استدل بعضهم عليه بدليل عقلي وهو بان القلوب والعقول السليمة تنفر اي تكره فكانها تفر عمن كانت هذه اي صفة الكفر والشرك سبيله اي طريقه والمراد عادته ودابه قبل اذ فيه اشارة الى ان منهم من خالف في ذلك فجوز عدم عصمتهم عن الكفر قبل النبوة الا انه ليس بصواب وقد نقل عن الباقلاني انه جوزه عقلا وانه لم يقع لان الله بعث كافرا ولا فاسقا وفي المواقف اجمعت الامة على عصمتهم من الكفر قبل النبوة وبعدها كما تقدم وانا اقول ان قريشا قد رمت نبينا صلى الله عليه وسلم بكل ما افترته عليه تاكيدا لما يؤيد ذلك واصل الرمي في الاعيان كرمي السهم والحجر واستعير للشتم والقذف كالرجم والمراد الطعن في ذمته ونسبته للنقيصة مثل قولهم انه ساحر او مجنون او شاعر اي لم تترك شيئا من مفتريات الكذب سمعتها فوهتهم حتى افترته عليه وعير بفتح العين المهملة وتشديد المثناة التحتية وراء مهملة كفار الامم انبياها وفي نسخة انبياءها اي نسبوهم للعار وهو الامر الذي يستقبح وينفر منه وقال الراغب عيرته ذممته من العار وقولهم تعاير بنو فلان قيل معناه تذاكروا العار وقيل تعاطوا العيارة اي فعل العير في الانفلات والتخلية ومنه عارت الدابة انتهى فالمعنى عيروهم بكل ما امكنها وفي نسخة امكنهم اي تيسر لهم وجاز صدوره منهم واختلقته وكذبت عليهم بوصفهم بما ليس فيهم واصل الاختلاق للشيء اختراعه من غير سبق لمثله فيهم كالكذب بما نص الله عليه اي ذكره الله في كتابه الكريم وفي غيره من الكتب الالهية من تكذيبهم ورميهم بانواع البهتان او نقله الينا الرواة نقلا مستفيضا بحيث لا يمكن انكاره ولم نجد في شيء من ذلك اي من الكتب الالهية والاخبار المروية او المراد به ما نقلته الرواة لقوله تعيير الواحد منهم اي من الانبيا عليهم الصلاة والسلام اي نسبتهم لعار بين منهم ووصفه برفضه اي تركه بعد اتباعه آلهتهم اذ كان هذا الضمير راجعا لمن عير المعلوم من السياق لا للواحد لانه من الانبيا وليس لهم آلهة اللهم الا ان يكون على طريق الفرض والتقدير فيصح تفسير ذلك بالكتب الالهية والاخبار فاعرفه وتقريعه اي توبيخه وتعييره بذمه اي ذم اهل

من الانبيا **بترك ما كان** النبي صلى الله عليه وسلم **جامعهم** اي وافقهم واجتمع معهم **عليه**
اي على عبادته كما فعلوا **الكانوا** اي كفار الامم **بذلك** اي تعييره وتوبيخه برجوعه عن عبادة
الهتهم التي كان موافقا لهم على عبادتها **مبادرين** بدال وراء مهملتين اي مسارعين لذكره
مقدمين له على جميع ما افتروه **ويتلونه** بالبا الجارة ومثناة فوقية ولام مفتوحتين وواو
مكسورة مشددة ونون وضمير مضاف اليه مصدر يتلون تلونا اذا تغير وتنقل من حالة الى حالة
آخر تنقل من اللون كالبياض والصفرة تجوز به عن الاحوال كما عبر به عن الاجناس والانواع
قال الراغب يقال فلان اتى بالوان من الاحاديث وتناول الوانا من الطعام **في معبوده**
اي ما يعبده متعلق بتلونه المتعلق بقوله **محتجين** اي مقيمين الحجة والدليل فيقولون انت
لا تستقر على دين تارة تعبد هذا وتارة تعبد ذاك فما صرفك عن معبودك الاول
ومعبود قومك **ولكان توبيخهم له** اي توبيخ كفار امة لنبيهم مبتدا مصدر مضاف
للمفعول اي نهي النبي لامته **عما كان يعبد قبل** اي قبل نبوته **افظع** بفاء وظاء معجمة اي اشد
فظاعة وهي الشناعة والقباحة **واقطع** بقاف وطاء مهملة اي اقوى واشد قطعا **في الحجة**
اي الدليل الذي استدلوا به عليه **من توبيخه** هو المفضل عليه فيهما على التنازع والتجاذب
بنهيهم عن تركهم الهتهم ان قيل الظاهر عن الهتهم وتركه تركهم او عن تركه قيل ضمير نهيهم
للكفار وضمير تركهم للانبيا عليهم الصلاة والسلام **وما كان يعبد اباؤهم من قبل**
اي قبل انبيائهم **ففي اطباقهم** اي اتفاق كفار الامم واجماعهم ويقال اطبق القوم على كذا
اذا اتفقوا **على الاعراض عنه** اي عن التوبيخ بما ذكر وهو اقوى واظهر في احتجاجهم على رسلهم
دليل على انهم لم يجدوا سبيلا وطريقا موصلا **اليه** في نص او خبر او اثر **اذ لو كان** لهم
سبيل اليه **لنقل** بالبنا للمجهول اي نقل الرواة لهم ذلك ونقل لنا من بعدهم احتجاجهم به ولم
ينقله احد **و** لو نقل لهم ذلك **ما سكتوا عنه** بل بادروا اليه قبل كل شي **كما لم يسكتوا** اي الكفار
عن تحويل القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة فانهم وبخوا به وشنعوا حين سفههم الله ثم
قال سيقول السفها الاية **وقالوا ما ولاهم** اي صرفهم **عن قبلتهم التي كانوا عليها** في اول
امرهم كما حكاه الله عنهم في القرآن والكلام عليه مفصل في كتب الحديث والتفسير **وقد استدل
القاضي القشيري** هذا هو الامام عبد الرحيم بن الامام عبد الكريم بن هوازن الاستاذ ابو
نصر ابن الاستاذ ابي القاسم القشيري صاحب الرسالة المجمع على جلالته وعلمه وزهده
وامامته تخرج على امام الحرمين توفي سنة اربع عشرة وخمسمائة بنيسابور وله عدة اولاد
كما فصله البرهان الحلبي وقال انه لم يل هو ولا احد من اولاده القضا فقول المصنف له القاضي
لا اصل له وما قيل انه شخص آخر غير هولا احتمال وراه لنقله عن شخص غير معلوم يوهم لغير
مراده **على تنزيههم عن هذا** اي عن الكفر والاشراك بالله قبل النبوة او عن نقيصة الجهل
بالله وصفاته والشك في شي لعدم مناسبته لما بعده واذا كان منزها عن ذلك ايضا **بقوله
تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك** ومن نوح **الاية** تقدم ان الميثاق العهد
وهو ماخوذ من الوثاق وهو حبل يشد به الاسير استعير للعهد كما استعير له الحبل كما ورد في
الحديث بيننا وبينهم حبال وتمام الاية ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم واخذنا
منهم ميثاقا غليظا وخص هولا بالذكر لشرفهم وقدم نبينا صلى الله عليه وسلم لشرفه وفضله
على جميع الانبيا والميثاق الذي اخذ عليهم هو تبليغ الرسالة ودعوة الخلق الى دين الاسلام

وإذ يصدق

وإذ يصدق بعضهم بعضا ويبشر به وكان هذا حين كتب وقدر كل ما هو كائن وقال مجاهد
انه كان في عالم الذر ووجه الاستدلال على الوجهين انه اذا عهد اليهم قبل ظهورهم بتبليغ دينه
وتوحيده فكيف يصدر عنهم ما يخالفه قبل النبوة وبعدها وهو بمعنى قوله صلى الله عليه وسلم
كل مولود يولد على الفطرة الحديث **وبقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين الى قوله
لتؤمنن به ولتنصرنه** فعهد اليهم
لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم
انفسهم او الى اولادهم فهو على تقدير المضاف او اكتفى بذكر انبيائهم او سماهم انبيا تهكما لقولهم
نحن احق بالنبوة من محمد صلى الله عليه وسلم وقد تقدم الكلام على هذه الاية وللسبكي فيها تاليف
مستقل لخصناه فيما مر **قال القشيري** **فطهره الله** اي براه ونزهه عما يليق بعلي قدره **في
الميثاق** اي حين اخذ الميثاق عليهم في عالم الازل **وبعيد** غاية البعد عند العقول السليمة
ان ياخذ الله منه صلى الله عليه وسلم **الميثاق** والعهد الوثيق المحكم بالايمان وامور الدين
كله وكذا اخوانه من الانبيا والمرسلين **قبل خلقه** وظهوره في عالم الارواح والذر وآدم بين
الماء والطين **ثم ياخذ ميثاق النبيين** بما عهده اليهم **بالايمان به** اي بمحمد صلى الله عليه وسلم
ونصره على اعدائه ان ادرك زمانه فيتبعه ويكون من امته **قبل مولده** اي زمان ولادته صلى
الله عليه وسلم **بدهور** جمع دهر وهو الزمان الطويل كما قيل

إن دهرا يلف شملي بسعدى • لزمان يهم بالإحسان •

ويجوز بتشديد الواو ويجوز تخفيفها ايضا من الجواز والتجويز وهو منصوب معطوف
على ياخذ اي وان يجوز الخ ويجوز رفعه بتقدير وهو يجوز **عليه الشرك او غيره من الذنوب**
والضمائر عائدة عليه صلى الله عليه وسلم فلا يجوز عليه ولا على غيره من الانبيا الشرك
وغيره من الذنوب بعد اخذ الميثاق عليهم قبل خلقهم بالايمان واقامة شرعه القويم **هذا**
اي تجويز الشرك والذنوب عليهم بعد اصطفائهم واخذ الميثاق عليهم **ما** اي امر وشي **لا يجوزه**
عليه وعليهم **الا** شخص **ملحد** فاسد العقيدة عادل عن طريق الحق ونهج الصواب يقال الحد اذا
حفر حفرة مائلة عن الوسط كلحد القبر ثم عم لكل ميل يقال لحد والحد وشاع في الميل عن الحق
وصار حقيقة فيه **هذا** المذكور **معنى كلامه** اي كلام القشيري واستدلاله على ما ذكر **قال
وكيف يكون ذلك** وفي نسخة كيف وفي اخرى فكيف وهو اسم استفهام عن الكيفية والهيئة
التي وقع عليها الامر تجوز به عن التعجب الانكاري وتوانكار لتجويز ما ذكر عليه بانكار حالته
التي يكون عليها لان كل امر لا ينفك عن حالة وصفة يكون عليها فاذا انكرت حالته لزم انكار
وجوده كناية على وجه برهاني اقوى من انكاره ابتدا كما قرروه في قوله كيف تكفرون بالله
وذلك اشارة لتجويز ما ذكر **وقد اتاه جبريل** عليهما الصلاة والسلام كما تقدم عن انس في
رواية مسلم **وشق قلبه صغيرا** اي في حال صغره وهو عند مرضعته حليمة كما تقدم تفصيله
واستخرج منه علقة اي قطعة صغيرة من دم متجمد تشبه العلقة المعروفة **وقال جبريل**
عليه الصلاة والسلام **هذا** المستخرج **حظ الشيطان منك** اي نصيبه في وسوسته
لبني آدم الذي يسترق من غيرك لقبوله ما يلقيه له فباخراجه لم يبق له عليه سبيل كغيره من الانبيا
عليهم الصلاة والسلام لقوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين
وجعله نفس الحظ مبالغة وتقدم فيه كلام نفيس **ثم غسله** بماء زمزم او الكوثر كما تقدم اي
قلبه الشريف **وملاه حكمة وايمانا** تمثيل لاستقرارهما فيه او انه تعالى جسمه لك بقدرته وقد

تقدم الكلام عليه مفصلا في قصة الاسرا **كما تظاهرت** اي اشتهرت وقويت من قولهم ظاهره
اذا اعانه **به** اي بشق صدره الشريف وقد وقع مرارا كما تقدم **اخبار المبدا** اي الاحاديث
الصحيحة الواردة في ابتداء امره ونبوته فهو مصدر ميمي او اسم زمان او مكان والاول اظهر
ولا يشتبه عليك بضم اوله وفتح ثانيه المعجم وفتح الموحدة المشددة مبني للمجهول اي لا يشبه
عليك ولا توقعك في شبهة ولبس كقوله تع ولكن شبه لهم وهذه شبهة شرع في دفعها لايهامها في
حق الانبيا عليهم الصلاة والسلام ما يخالف ما قدمه في تنزيههم عن الشك في معرفة الله تع
وصفاته **بقول ابراهيم** اي بسبب قول الخليل عليه الصلاة والسلام لما جن عليه الليل **في
الكوكب** اذ رآه طالعا **والقمر** اذ رآه غاربا **والشمس هذا ربي** هذا اكبر الاية اي لا تقع في
شبهة كما وقع لابراهيم عليه الصلاة والسلام في اطلاعه على هذا الكوكب ربا وهو من كبار اولي
العزم وذلك اشارة الى ما روي وهو انه عليه الصلاة والسلام لما كان في السرب قال لامه
من ربي قالت انا قال فمن ربك قالت ابوك قال فمن رب ابي قالت اسكت فقالت لابيه
الغلام الذي تحدثوا بانه يغير دين اهل الارض هو ابنك واخبرته بما قال كله ثم اتاه اباه
فقال له مثل ذلك فلطمه ثم قال لابويه اخرجاني من السرب فاخرجاه فنظر ابلا وغيرها سارحة
فقال لابد لها من خالق يطعمها ويسقيها ويفكر في خلق السموات والارض فقال ان الذي خلقني
ورزقني هو ربي لا اله سواه ثم نظر الى كوكب طالع وهو المشتري او الزهرة طالعة فقال
هذا ربي الى اخر ما قصه الله عنه وهذا ما ذكره اهل الاخبار والجواب هذه الشبهة اشار
المصنف بقوله **فانه قد قيل كان هذا في سن الطفولية** هو مصدر طفل اذا كان طفلا اي
ولدا صغيرا كما توهم لكن الذي ذكره الراغب وغيره ممن يعتمد عليه من اهل اللغة انه يقال
طفل طفولة وطفالة فاذا كانت الطفولية مصدرا لاحتاج لياء النسبة التي تصير بها الجوامد
مصادر فان مثله سماعي كالخصوصية كما فصله المرزوقي وغيره من ائمة اللغة الا ان المصنف
ثقة فلعله وقف عليه **وابتدا النظر والاستدلال** على وحدانية الله ووجوده لقوله تع
وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه **وقبل لزوم التكليف** في ابتداء تمييزه من غير ثبات
على ما قاله بل اراد الاستدلال على وجود صانع قديم لا يجري عليه تغير الا انه جواب ضعيف
لاقتضائه صدور شك منه في صغره ومثله لا يليق بمثله عليه الصلاة والسلام وكونه
تنبيها لابويه وقومه على خطائهم في عبادة غير الله جواب آخر فادخاله في هذا الكلام هنا
غير مناسب لمنافاته لقوله وابتداء النظر الخ **وذهب معظم الحذاق** جمع حاذق وهو من له
ذكاء وفهم ومعظم بمعنى اكثر **من العلماء والمفسرين** اشارة الى ضعف ما قبله وان قايله لا
يعتد به **الى انه** عليه الصلاة والسلام **انما قال ذلك** اي هذا ربي الخ **تبكيتا** وفي نسخة
تبكيتا **لقومه** لانهم كانوا يعبدون الكواكب والتبكيت بالموحدة والكاف واخره مثناة فوقية
وهو اللوم والتقريع يقال بكته اذا عنفه واستقبله بمكروه او غلبه بحجة وكل منهما صحيح
هنا وفي الكشاف انه قول من ينصف خصمه مع علمه انه مبطل وهو جواب اخر قريب مما ذكر
ومستدلا عليهم بالزام الحجة لان الظهور والاحتجاب تغير يؤذن بالحدوث مناف
للالوهية فاراد ارشادهم الى النظر بارخاء العنان حتى ينقادوا للحق من غير عناد **وقيل
معناه** اي معنى قوله هذا ربي هذا اكبر **الاستفهام** الانكاري بتقدير الهمزة كما بينه
بقوله **الوارد مورد الانكار** الذي صدر منه مصدر الانكار لا على طريق الشك ولا رجوعه

ولا يبعد رفعه وان كان الاصل عدم التقدير **والمراد فهذا ربي** اي لا يليق بمثله ان يكون
ربا معبودا **او قال الزجاج قولهم هذا ربي اي على قولكم** وفي نسخة قوله اي هو حكاية لقول
الخصم حتى يكر عليه بالابطال كما تقدم في كلام الكشاف **كما قال** الله تع في آية اخرى **اين شركاي**
فاضافهم الى نفسه لما سالهم تهكما منه **اي عندكم** اي كونهم شركاه على زعمهم وادعاهم كما في هذه
الاية فسماهم الله شركا باعتبار اعتقادهم الفاسد وقومه ان كانوا يعبدون الكواكب فهو ظاهر
وان كانوا يعبدون الاصنام فابطال الوهية الاجرام العلوية النيرة يقتضي ابطال
غيرها بالطريق الاولى وفي شرح المواقف هذا الكلام صدر عن الخليل عليه الصلاة والسلام
قبل تمام النظر في معرفة الله وكم بينه وبين نبوته لا ينتصون نبوة الا بعد تمام ذلك النظر
فلا اشكال او نختار انه لم يعتقده فيكون كذبا صادرا قبل البعثة او هو على سبيل الفرض
ارشادا لقومه كما في برهان الخلف اي الكواكب لو كانت اربابا كما يزعمون لزم ان يكون الرب متغيرا
وذلك باطل وفيه ما فيه **ويدل على انه** اي الخليل عليه الصلاة والسلام **لم يعبد شيئا من
ذلك** اي من جنس الكواكب والاوثان **ولا اشرك قط** لاستغراق الازمنة **بالله عز وجل
طرفة عين** اي في اقل الازمنة وطرفة العين مقدار تحريك جفنها من اعلى لاسفل ويكنى به
عن غاية القلة وطرفة مصدره منصوب على الظرفية الزمانية ومثله كثير **قول الله** فيما حكاه
عنه اذ قال لابيه لازر **وقومه ما تعبدون** سايلا لهم مضيقا العبادة لهم قالوا نعبد
اصناما فنظل لها عاكفين الاية **ثم قال** ابراهيم عليه الصلاة والسلام لهم **افرايتم ما كنتم
تعبدون انتم واباوكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين** يريد انهم اعداء
لعابديهم لتضررهم بعبادتهم فوق ضرر الاعدى اعاديهم وهو الشيطان فصور الامر في نفسه
تعريضا لهم فانه انفع في النصح من التعريض واشعار بانها نصيحة بدا فيها بنفسه ليكون
ادعى الى القبول كما قاله القاضي البيضاوي وقوله الا رب العالمين استثناء منقطع والقول
بان هذا الاستثناء لاحتمال انه يعبد البنوة لا وجه له وفي المقام كلام يضيق عنه البيان هنا
فمن شاء ما فيه شفا الصدور **وقال اذ جاء ربه بقلب سليم** اي من الشرك فسلامته منه دليل
على انه لم يعرض له اصلا **وقوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام** اي باعد بيني وبين
عبادتها فهذا يدل على انه هو وذريته لم يصدر منهم شيء من ذلك **فان قلت فما معنى قوله**
اي قول ابراهيم عليه الصلاة والسلام بعد افول القمر **لئن لم يهدني ربي لاكونن من
القوم الضالين** فانه ربما يتوهم منه انه في شبهة ما **قيل في الجواب انه** اراد به الاستغناء
بربه وقد استعجز نفسه وعلم انه انما اهتدى بتوفيق الله له فقال لقومه **ان لم يؤيدني
بمعونته** اي يقويني **اكن مثلكم** ايها القوم **في ضلالكم وعبادتكم لغير الله** وانما قال
هذا وهو مهتد بلا شك **على معنى الاشفاق** على قومه ترحما لهم **والحذر** اي الخوف من الله
والاحتراز عما هم فيه **والا** اي وان لم يحمل منه ما ذكر على هذا لم يكن لذكره هنا فائدة **فهو معصوم
في الازل** قدما في قضاء الله له بالسعادة وتطهير فطرته **من الضلال** وهذا السوال
وارد على ما قرره من عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام عن الريب والشبه وبعض الشراح
هنا خاطب ليل ترك ما كتب به سواده **فان قلت فما معنى قوله** تع في سورة ابراهيم **وقال
الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا** فان العود يقتضي انهم كانوا
على دينهم وكفرهم وهم معصومون من ذلك قبل البعثة وبعدها كما تقدم فالاية يشكل ظاهرها

عليهم ثم قال الله عز وجل بعد بالبناء على الضم اي بعد قول الذين كفروا ما ذكر وقيل بعد قوله لنخرجنكم من ارضنا الاية وسياتي ما فيه عن الرسل اي حاكيا عنهم وما تقدم كان محكيا عن قومهم لا عنهم والثاني اظهر في الاشكال لان قومهم قد يظنون انهم قبل البعثة كانوا على دينهم واما الرسل فعلى يقين من خلافه فكيف يصح منهم ان يفتروا ويرد على التقدير الثاني ان قوله نعم قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها ليس بعد هذه الاية فان الاولى في سورة الاعراف وهذه في سورة ابراهيم وكونه بعدها في النزول يحتاج الى نقل وقيل انه بعدها في الجملة لان القصة واحدة وهي قصة شعيب وليس المراد بالرسل جميعهم بل الجنس الصادق على الواحد وقد وقع جوابا للكفرة فهو اقوى في الشبهة فانهم لا يقولون على انفسهم ما لم يتصفوا به لانهم منزهون عن الكذب ومعنى قد افترينا على الله التعجب اي ما اكذبنا على الله ومعنى نجانا الله منها عصمنا عن الميل اليها فضلا عن الدخول فيها وجواب الشرط مقدر يدل عليه ما قبله وهو ماض لفظا مستقبل معنى لدخول حرف الشرط عليه ونحو ذلك وقد يعزى به له للمحال اذا عرفت هذا فلا يشكل عليك لفظة العود بمعنى الرجوع الى الكفر المقتضية لاتصافهم به اولا وهم معصومون من قبل البعثة وبعدها كما قرره اولا ثم تشكل هي وانه تقتضي اي تستلزم بحسب الدلالة انهم اي الرسل انما يعودون اي يرجعون الى ما كانوا فيه اي داخلين فيه ومتصفين به من ملتهم يعني الكفر لان الملة تطلق عليه كالدين فان هذه اللفظة اي لفظة العود وردت كثيرا في كلام العرب الفصحا لغير ما ليس له ابتداء اي لما لم يثبت له ابتداء اي قبل حاله التي هو عليه مما بينا فيها بمعنى الصيرورة وهي وجود الشي بعد ان لم يكن تقول صار لفلان كذا وصار غنيا بعد فقره وفي المحصول ان ما صار اليه شرع لنبي وقيل الضمائر للاتباعهم فادخلوا فيه بطريق التغليب او هو باعتبار ظنهم وزعمهم او على حد قولهم ضيق فم الركية يجعل المتوهم كالمحقق وفيه كلام في شرح المفتاح وحواشيه كما جا في حديث الجهنميين اي الحديث الذي في حق اهل جهنم المروي في الصحيحين عن ابي سعيد الخدري عادوا حمما بضم اوله وفتح ثانيه جمع حممة اي سودا كالفحم جمع حممة واوله اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار يقول الله من كان في قلبه حبة خردل من ايمان فاخرجوه فيخرجون قد امتحشوا وعادوا حمما فيلقون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل وعاد هنا بمعنى صار ولم يكونوا اي الجهنميون قبل ذلك كذلك اي حمما ومثله اي مثل الحديث في ان عاد بمعنى صار وحدث وان لم يكن موجودا قبل قول الشاعر هو امية بن ابي الصلت من قصيدة مدح بها سيف ابن ذي يزن ملك اليمن لما ظفر بالحبشة وقد غلبوا على ملكهم فقهرهم ونفاهم من بلاده وذلك بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين فاتته وفود العرب تهنيه وفيهم قريش وعبد المطلب فانشده امية بن ابي الصلت قوله

لا يطلب الثار الا كابن ذي يزن • يمم البحر للاعداء احوالا

ثم انتحى نحو كسرى بعد تاسعة • من السنين يهين النفس والمالا

حتى اتى ببني الاحرار يحملهم • تخالهم فوق متن الارض اجبالا

الى ان قال فيها

فاشرب هنيئا عليك التاج مرتفعا • في راس غمدان دارا منك محلالا

واشرب هنيئا فقد شالت نعامتهم • واسبل اليوم من برديك اسبالا

تلك المكارم لا قعبان من لبن • شيبا بماء فعادا بعد ابوالا

وعارضها بعضهم بقصيدة منها في مدح الصوفية فقال

لله تحت قباب العز طائفة • اخفاهم في ثياب الفقر اجلالا

هم السلاطين في اطمار مسكنة • استعبدوا من ملوك الارض اقيالا

غبر ملابسهم شم معاطسهم • جروا على فلك العلياء اذيالا

هذي المناقب لا ثوبان من عدن • خيطا قميصا فعادا بعد اسمالا

هذي المكارم لا قعبان من لبن • شيبا بماء فعادا بعد ابوالا

والقصيدة الاولى بتمامها في ديوانه وفي كثير من كتب الادب والتاريخ والسير باسانيد صحيحة ولها قصة مشهورة وفيها البشارة ببعثته صلى الله عليه وسلم كما فصله وليس الشعر المذكور منها كما توهمه من لا خبرة له بالادب واساليب كلام العرب وليس كما قيل لابي الصلت ولا للاعشى ولا للنابغة ولا لعمر بن عبد العزيز وانما تمثل رضي الله عنه بهذا البيت فتوهم الحافظ الحلبي انه له وهذا مثل في التحقير بالامور وعدم التنزل لسفسافها وشيبا بمعنى خلطا ومزجا والقعب اناء معروف يقول انك في معان وقصور رفيعة متلذذا بالخمور ام الشرور وتجود بالاموال لست كعرب البادية الذين جودهم سقي ضيفانهم لبنا بماء ممزوج به يعود في يومه بولا امرا قا وجودك بمكارم واموال تبقى عند من انعمت عليه فشتان بينك وبين غيرك فعاد هنا بمعنى صار لانه لا يتصور انه كانت بولا قبل ذلك واليه اشار بقوله وما كان ما ذكر قبل ذلك كذلك اي بولا وهو ظاهر وانما اطلنا فيه لما في الشرح هنا من الخلط ثم اورد سؤالا اخر على ما قرره من عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام فقال فان قلت فما معنى قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى الخطاب له صلى الله عليه وسلم واصله فهداك فحذف المفعول رعاية للفاصلة فانه يقتضي نسبته صلى الله عليه وسلم للضلال قبل البعثة والضلال شرعا اما بالكفر او بارتكاب المعاصي وهو صلى الله عليه وسلم منزه عنهما وجوابه فليس من الضلال الذي هو الكفر فانه صلى الله عليه وسلم منزه معصوم من المعاصي قبل النبوة وبعدها فضلا عن الكفر واذا كان كذلك فقيل معناه هنا وجدك ضالا عن النبوة فهداك اليها لان الضلال معناه لغة العدول عن الطريق المستقيم وضده الهداية فكل عدول ضلال سوا كان عمدا ام لا فمعناه غير مختص لما سبق لك من النبوة كقوله فعلتها اذن وانا من الضالين كما ياتي قاله اي التفسير المذكور محمد بن جرير الطبري وقد قدمنا ترجمته وقيل في معناه وتاويله وجدك بين اهل الضلال فعصمك عن ان تنتظم في سلكهم وتعد منهم فضلا عن ذلك اي من الضلال وموافقة اهله وهداك للايمان بالله ومعرفته اذ جعله فطرة لك ثم اودع فيك ما يرشدك له بعقلك السليم اي ارشدك له بالوحي والى ارشادهم اي ارشاد من لم يكن مهتديا للحق افعال من الرشد ضد الغي وهو قريب من الهداية كما قاله الراغب وله معان اخر اليه اي الى الايمان وسلوك الطريق المستقيم بتبليغ ما اوحي اليه ونحوه اي قريب منه ومشابه له ونحوه نقل عن الكندي رحمه الله وقد تقدمت ترجمته ونقل ذلك ايضا عن غير واحد اي عن ناس كثيرين من اهل التفسير فعلى هذا الضلال بمعناه المشهور وليس متصفا به ولكنه لكونه بين اهله اطلق عليه مجازا بعلاقة المجاورة

وليس من قبيل قولهم بنو فلان قتلوا قتيلا كما لا يخفى ولم يبين وجهه الشراح هنا وقيل
معناه المراد ضالا عن شريعتك التي اوحاها الله سبحانه وتعالى اليك اي لا تعرفها قبل
ان اوحي اليك فالضلال بمعنى الغفلة وقد ورد بهذا المعنى كقوله ان تضل احديهما فتذكر
احديهما الاخرى كما قيل له صلى الله عليه وسلم بعد ما اوحي اليه فلا تكن من الغافلين ويأتي ايضا
انه بمعنى النسيان واستدل له بهذه الاية ومثله قبل البلاغ ليس بنقص كما قيل وقوله الضلال
هاهنا اي في هذه الاية على هذا القول التحير اي الوقوع في الحيرة حتى لا يدري اين
يذهب وما يفعل

رام عرفانا فلم يجد ... حيرة تمت فاي فتى

لا يناسبه فانه ليس للغافل والناسي حيرة فالظاهر تفسيره بعدم المعرفة كما صرح به ومن لم
يعرف شيئا وطلبه تحير فتدبر فهداك اليه ودلك على ما تعرفه وانت طالب له فعلمك ما لم
تكن تعلم ولهذا كان صلى الله عليه وسلم قبل نزول الوحي عليه يخلو اي يختلي ويعتزل
الناس بغار حرا بالصرف وعدمه اسم جبل بمكة كما تقدم في طلب ما يتوجه به الى ربه
اي بسبب تصفية باطنه واعمال فكره في وسيلة توصله الى الله ويتشرع به اي يتخذه شريعة
وعبادة تقربه لربه وفي نسخة يتشرك بتاء بضم اوله وبكسر ثالثه وشينه معجمة وقيل انه
بسين مهملة من الاسراع في اصل المصنف وفي الرواية الصحيحة في الاصول الاول وهو الاظهر
ولم يزل صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك حتى هداه الله وله دلالة موصلة الى الاسلام والدين
الحق بما جاءه عن الله كما تبين في بدء الوحي قال اي حكي في نسخة معناه الامام القشيري
الذي تقدمت ترجمته يعني انه صلى الله عليه وسلم كان موجلا في اول امره طالبا لاتمام النعمة
عليه بهدايته لما يرضيه ويكمله فمن عليه بذلك وقيل يعني ضالا لا يعرف الحق اي الدين
الحق لانه لا يعرف الا بالوحي فهداك اليه بما اوحاه له وهذا في المعنى مثل قوله عز وجل
وعلمك ما لم تكن تعلم من الشرع واحكامه او من خفياته واسرار الله التي لم يقف عليها ومعنى ما لم
تكن تعلم ما لم يكن في قوتك وقدرتك علمه ولذا عدل عما لم تعلم وهو اخصر واظهر واما كونه لغوا
لان كل احد انما يعلم ما لم يعلم اذ تعليم ما يعلم تحصيل الحاصل وكذا قال السبكي في عروس الافراح
وغيره ان قوله علم الانسان بتقدير ما لم يكن يعلم فليس بشي لانه للامتنان او بتاويل ما لم يكن
من شانه علمه والوقوف عليه ومن هذا تتمة عن بعض حواشي المطول قاله علي بن عيسى
الامام في العربية والكلام شارح الكتاب المعروف بالرماني وقد تقدمت ترجمته قال ابن عباس
في تفسير هذه الاية لم يكن له اي من شانه وصفته ضلالة معصية اي ليس الضال هنا بمعنى مرتكب
المعاصي لعصمة الله له فالضلال مأول ومفسر بما مر وقيل معنى هدى هنا بين امرك
للناس بالبراهين والادلة القاطعة لعرق الشبه فيك وفيما جئت به حتى صرت لا تخفى على
احد والبرهان الدليل اليقيني ومن تفسيره الهداية علم معنى ضالا وانه وجدك خفيا وكنزا مخفيا
لم يعرفه الناس ولم يطلعوا على شانه وعلو قدره فاظهره الله حتى ذاع وشاع وملأ الافكار
والاسماع فتقدير مفعوله على هذا هدى بك الناس كلهم وهدى العقول وقيل معناه وجدك ضالا
بين مكة والمدينة فهداك الى المدينة بان جعلها دار هجرتك ومثواك فالمراد انه
بعد البعثة ودعوة الناس لربه مع ما كان عليه قومه في القيام عليه صلى الله عليه وسلم
واذيته وهجرة بعض المسلمين للحبشة كان في حيرة تردد في الاقامة بمكة والهجرة للمدينة يرجو
ان يؤذن له في الهجرة حتى اذن الله له في ذلك كما فصل في السير وقيل المعنى وجدك قائما

بأعباء الرسالة وتبليغها وهو عالم بذلك قبل وقوعه ولكن هو متحير في تنويهه بامره
ومحبة الله له فكانه امر مطلوب لعظيم عز عليه كما يقال العلم ضالة المؤمن فهدى بك ضالا
بارشادك له فضالا مفعول لهدى قدم عليه لرعاية الفاصلة وليس صفة له حتى يتوجه
السؤال وهو وجه متكلف عضدته على قائله لانا قلنا وعن جعفر بن محمد هو جعفر الصادق
الذي تقدم ومحمد هو الباقر بن زين العابدين فقال جعفر معناه ووجدك ضالا عن محبتي
لك اي لم يظهر لك اي اني اتخذتك حبيبا لي مقربا عندي في الازل اي في القدم قبل
خلقتك اي لا تعرفها وهو معنى ضالا فمننت عليك بمعرفتي اي الحب وتفضلت لاني
احببتك وهو تفسير لقوله فهدى فعلى هذا لا يتوهم فيه نقص لان معناه ليس احد اكرم علي
منك قال في الكمال الازل القدم واصله انهم قالوا للقديم لم يزل ثم نسبوا له باختصار فقالوا
يزلي ثم ابدلوا الياء همزة فهو من النحت عنده وقال غيره هو من الازل وهو الضيق لضيق القلوب
عن تقديره وهي كلمة محدثة وقال الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ووجدك
ضالٌ بالرفع فالضال له صفة لغيره على هذه القراءة الشاذة فلا يرد السؤال فهدى وهو على
هذا لازم اي اهتدى بك لسعادة الدارين والمعنى فهداه الله بك وجوز ايضا على
القراءة المشهورة ان يكون فاعل وجد ضمير الواحد المفهوم منه وضالا حال من هذا الضمير ولا
بعيد وقال ابن عطا في تفسير الاية ووجدك ضالا اي محبا لمعرفتي فهداك بانوار
هدايته وعنايته ولما كان هذا خلاف المشهور في اللغة بينه بقوله والضال ورد بمعنى
المحب كما قال الله تعالى انك لفي ضلالك القديم هو من كلام اخوة يوسف عليهم الصلاة
والسلام لابيهم حكاه الله عنهم اي فارادوا انك على محبتك القديمة ليوسف لا تنساه وهذا
منقول عن قتادة وسفيان وقيل ارادوا بضلاله خطؤه وقيل حنوه من جب يوسف عليه الصلاة
والسلام كما قاله الحسن ولم يريدوا هنا اي لم يقصد اولاد يعقوب هنا اي فيما حكى عنهم في هذه
الاية ضلاله في الدين بان يعتقد واخطاه في دينه باعتقاد ما يخالفه او اضراره على ما
ينافيه اذ لو قالوا ذلك معتقدين مثله في نبي الله الذي عصمه الله عن الخطا في دينه
علما وعملا لكفروا في اجترائهم على نبي الله ونسبته لما لا يليق به وتحقيرهم ومثله كفر في
الشرع فلذا فسر الضلال بالمحبة ومثله اي مثل كون الضلال بمعنى المحبة في هذه الاية
انا لنراها في ضلال مبين هو في حق زليخا وقد شغفها حب يوسف عليه الصلاة والسلام
اي فان المناسب للمقام انه بمعنى محبة بينة اي ظاهرة مكشوفة لافتضاحها عند هذا
اي ابن عطا الذي فسر الضلال بالمحبة فوضع اسم الاشارة موضع الضمير لتميزه اكمل تمييز
وفي بعض النسخ ومثله عند هذا الخ وقال الجنيد في تاويل هذه الاية وهو ابو القاسم بن محمد
الزاهد العابد شيخ وقته ونسيج وحده واصله من نهاوند ونشا بالعراق وتفقه باخذ
عن الثوري رحمه الله وسفيان واخذ الطريق عن السري السقطي والمحاسبي وتوفي سنة
سبع وتسعين ومايتين وهو من فقهاء الشافعية كما في طبقات السبكي ودفن بالشونيزية
عند خاله السري ووجدك متحيرا في بيان ما انزل اليك من القرآن تفسير لقوله ضالا
فهداك لبيانه باظهاره وبيان ما خفي من معانيه في حال تبليغه لامته كقوله وانزلنا
اليك الذكر الاية المراد بالذكر القرآن لما ذكر من التذكير والموعظة لتبين للناس ما نزل
اليهم ما خفي عليهم فالضلال التحير فيما شق عليه في ابتداء امره ومثله لا ضير فيه وقيل معناه

وجدك ضالا بمعنى انك في خفاء حالك بين الناس كمن ضل فتاه وفارق قومه حتى خفي
امره عنهم فهو استعارة وعبارة عن انك **لم يعرفك احد** من الناس ولم يعرف اتصافك
بالنبوة حتى اظهرك الله فهدى بك السعدا اي من اسعده الله بمعرفتك واتباعك
بالايمان بك وفي الاية وجوه كثيرة منها انه بمعناه الحقيقي لانه وهو طفل ضل في شعاب مكة
فراه ابو جهل لعنه الله ورده لجده عبد المطلب كما رواه ابن عباس وعن ابن جبير انه خرج مع
ابي طالب في سفر فاخذ ابليس بزمام ناقته وعدل به عن الطريق في ليلة ظلما فجا جبريل
عليه الصلاة والسلام ونفخ ابليس نفخة رماه بها للهند ورده صلى الله عليه وسلم الى القافلة
فمن الله عليه بذلك وعن كعب ان مرضعته حليمة لما اتت به لترده لعبد المطلب حلت
لتصلح ثيابها فلم تره وسمعت هدة شديدة فقالت ابن الصبي قالوا لم نره فصاحت وا محمداه
فرات ابليس لعنه الله على هيئة شيخ متكئ على عصا وقال اذهبي لهبل يرده عليك ثم
جاء وقبل راس الصنم وقال له رد ابن السعدية عليها فتساقطت الاصنام وقالت له
اليك عنا فارتعد وقال لها لابنك رب يحميه فاطلبيه فطلبته في جماعة من قريش فيهم
عبد المطلب فتضرع الى الله قايلا في ذلك ○ يا رب رد ولدي محمدا
فاردده لي واتخذ عندي يدا ● فشمل قومي كلهم تبددا ● فسمعوا منا ديا
يقول لا تضجوا فان لمحمد ربا لا يضيعه وها هو بتهامة عند شجرة فوجدوه عندها يلعب
باوراقها وقيل المعنى وجدك ضالا عن طريق المعراج فهداك له **ولا اعلم احدا من المفسرين**
قال فيها اي في تفسير اية ووجدك ضالا فهدى ان معناها **ضالا عن الايمان** لانه صلى
الله عليه وسلم وساير الانبيا معصومون قبل النبوة وبعدها عن الكفر وكل ما ينفر عنهم
القلوب وفي الكشاف من قال من انه صلى الله عليه وسلم كان على امر قومه اربعين سنة
ان اراد خلوه عن العلوم السمعية فنعم وان اراد انه على كفرهم ودينهم فمعاذ الله فانه صلى
الله عليه وسلم وساير الانبيا معصومون قبل النبوة وبعدها عن الكباير والصغاير الشاينة
فما بالك بالكفر والجهل بالصانع ما كان لنا ان نشرك بالله من شي وكفى نقيصة عند الكفار
ان يسبق منه كفر انتهى وما نقل عن الكلبي والسدي من ان الاية على ظاهرها ومعناها وجدك
كافرا في قوم كفار مخالف للاجماع وبعيد عن الادراك ان ينسب صلى الله عليه وسلم الى الاشراك
ولهذه الرواية الشاذة نقل الفاسي رد الزمخشري فيما قال والعجب من نقل هذه المقالة وقال
لا وجه لترديده مع حملها على الشق الثاني **وكذلك** اي مثل اية ووجدك ضالا فهدى وتاويلها
قوله تع **في قصة موسى** صلى الله عليه وسلم في قوله تع **قال فعلتها اذا وانا من الضالين**
وقرا ابن مسعود من الجاهلين **اي** ومعناه **من المخطيين الفاعلين شيا بغير قصد** وتعمد
لقتل النفس التي قتلها او الذاهبين الى ما يفضي اليه الوكز قصدا من التاديب وهذا المعنى
جايز قبل النبوة فلا يتوهم من هذه الاية ان فيها نقيصة لموسى عليه الصلاة والسلام لان
الضلال بمعنى الخطا وضمير فعلتها للفعلة التي فعلها وهي قتله قبطيا من اتباع فرعون
عمدا قبل نبوته وبخه فرعون عليها لما دعاه وعدد نعمه عليه بقوله الم نربك فينا وليدا
الى قوله وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين فاجابه بقوله فعلتها اذا وانا من
الضالين فوصف نفسه بالضلال وهو معصوم منه فاجاب بان الضلال بمعنى الخطا
وعدم القصد لقتله وانما اراد دفعه فوكزه فمات من وكزه ومثله لا ضير فيه لانه خطا معفو عنه

ويابى الكلام على ذلك ايضا **قاله** اي قال هذا التفسير لهذه الاية **ابن عرفة** وهو الحسن
العبدي المؤدب المحدث الثقة الذي روى عنه الترمذي وغيره وهو معمر عاش ماية
وسبع او عشر وتوفي سنة سبع وخمسين وماتين وهو المراد هنا عند الحافظ الحلبي وغيره
لا ابن عرفة الذي هو عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة المعروف بنفطويه وقال التلمساني
انه المراد هنا وفيه نظر **وقال الازهري** ابو منصور محمد بن احمد امام اللغة صاحب التهذيب
توفي سنة سبعين وثلاث ماية **معناه** اي معنى من الضالين في الاية **من الناسين** وعروض
النسيان للانبيا عليهم الصلاة والسلام جايز وهو تكذيب لفرعون في قوله وفعلت
فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين والمراد به عدم القصد اذ القتل لا يكون نسيانا
اللهم الا ان يريد ● نسيان انه من القبط وجند فرعون وهو الظاهر لقوله **وقد قيل ذلك**
اي ان الضلال بمعنى النسيان **في قوله** عز وجل في حق نبينا صلى الله عليه وسلم كما تقدم **ووجدك**
ضالا اي ناسيا فهدى اي فهداك وذكرك **كما قال ان تضل احديهما** اي تنس احدى
المراتين ما شهدت به فتذكرها الاخرى ما نسيته ثم اورد اية اخرى تخالف ما قرره من
عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام عن الشرك وكل ما ينفر كالجهل فقال **فان قلت**
فما معنى قوله عز وجل لنبينا صلى الله عليه وسلم ولقد اوحينا اليك روحا من امرنا **ما كنت**
تدري ما الكتاب ولا الايمان ووجه السوال انه نفى عنه صلى الله عليه وسلم معرفته بالقران
المنزل عليه وبالايمان والاول صحيح لان عدم معرفته بالقران المنزل عليه قبل الوحي امر
مقرر والمشكل انما هو الثاني لانه يقتضي انه صلى الله عليه وسلم لم يكن مومنا قبله وهو
معصوم عن الكفر قبل النبوة وبعدها كما تقدم فلذا قيل ان المراد به الايمان بما يجب الايمان
به من احكام الشريعة لا مجرد التوحيد والتصديق والكل ينتفي بانتفاء جزيه ولا
حاجة لما تكلفه بعضهم من ان الايمان المراد به ما ذهب اليه المحدثون وهو التصديق بالقلب
والاقرار باللسان والعمل بالجوارح ومجموعه لم يكن معلوما له صلى الله عليه وسلم قبل الوحي
فالجواب عما ذكر في هذه الاية **ان السمرقندي** هو الامام ابو الليث رحمه الله وقد تقدمت
ترجمته **قال معناه** اي ما ذكر في هذه الاية **ما كنت تدري قبل الوحي ان تقرا القران**
اي لا تعرف قراءته ودراسته **ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان** وقيل انه بعيد غاية
البعد فان قلت مثله في النظم فلا قرينة تدل عليه وقد يقال تعريف الايمان عهدي
والمراد به ايمان امته اي لا تدري كيف يومن قومك وباي طريق يدخلون في الايمان
وملة الاسلام وهو بدعوته له وستسمع بيانه قريبا **وقال ابو بكر القاضي** تقدمت ترجمته
نحوه اي نحو ما قاله السمرقندي مما هو قريب منه **قال** اي ابو بكر لا السمرقندي كما قيل
ومقوله هو قوله **بتوحيده ولا الايمان** مصدر بمعنى المفعول اي ما يجب الايمان به **الذي**
هو الفرايض والاحكام الشرعية التي كلف بها علما وعملا مما لا بد منه **قال** ابو بكر
فكان صلى الله عليه وسلم اي قبل نزول الوحي ومجي الملك له **مومنا** اي مصدقا **بتوحيده**
وانه لا اله الا هو **ثم نزلت الفرايض التي لم يكن يدريها قبل** اي قبل نزولها وقبل بعثته
فزاد بالتكليف اي بسبب ما كلفه الله من الفرايض **ايمانا وهو** اي ما قاله السمرقندي
وابو بكر **احسن وجوهه** اي احسن ما وجهت به هذه الاية واحسن تفاسيرها لانه تعالى
لم يرد انه صلى الله عليه وسلم لا يدري وانه لا يعرف الايمان لانه لو كان كذلك قال ما كنت تدري

الكتاب والايمان فلما اتى بما الاستفهامية كان معناه انه لم يدر حالة الكتاب وحال الايمان وحالة الكتاب تلاوته وحفظه وهو امي لا يعرفه وحال الايمان لم يرد به ايمان النبي صلى الله عليه وسلم بالله وهو مجبول عليه متيقن له من ابتداء خلقه الى فالمراد به ايمان غيره من امته وهو انما يعرف ايمانهم المضمر في قلوبهم الا اذا دعاهم فاجابوه وطابق لسانهم جنانهم فهذا تفسير له بلازمه البين وهو وجه دقيق كما اشار اليه المصنف ومن لم يقف على مراده قال هذا الايمان في هذه الاية معناه التصديق والاقرار والعمل والتصديق بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو معناه الحقيقي شرعا وما عداه عنده اهل قيد الا على قول واما تفسيره بدعوة الخلق ومعرفته فلم يقله احد وكيف يكون ما ذكره وجها حسنا ولا دلالة للفظ عليه بوجه من الوجوه والمراد ما قدمناه وقيل معناه ما كنت تعرف الكتاب قبل نزوله عليك ولا الايمان بالفرايض والاعمال التفصيلية قبل مجيء الكتاب الذي هو تبيان لكل شيء وهذا وجه آخر غير ما ذكره المصنف رحمه الله ومنهم من نزل عليه كلام المصنف فخلط وخبط **فان قلت** اذا كان صلى الله عليه وسلم عالما بالله وصفاته **فما معنى قوله** تع له **وان كنت من قبله لمن الغافلين** فوصفه بالغفلة ان كان غفلة عن ايات الله قبل الوحي نافى ما قررته اولا واورده بقوله **فاعلم انه** اي ما ذكر من وصفه بالغفلة **ليس بمعنى** الغفلة التي في **قوله تعالى والذين هم عن اياتنا غافلون** فان الغفلة في هذه الاية غفلة عن العلم بالله وصفاته واول الاية ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمانوا بها والذين هم عن اياتنا غافلون اولئك ماواهم النار بما كانوا يكسبون وهو صلى الله عليه وسلم معصوم عن هذه الغفلة **بل معنى** الغفلة المذكورة **ما حكى ابو عبيد الهروي** امام اهل اللغة **ان معناه لمن الغافلين عن قصة يوسف** مع ابيه واخوته فانه صريح قوله نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين **اذ لم يعلمها الا بوحينا** قبل ما قصه الله عليه والغفلة عن مثله مما لا يعلم الا بالنقل لا نقص فيه وهذا اظهر من ان يذكر فالفرق بين الغفلتين ظاهر وفي التعبير بالغفلة اشارة الى شدة استعداده للعلم بما لم يعلم حتى كانه عالما به ونسيه **وكذلك** اي مما ذكر مما يوهم ما لا يليق بعصمته قبل النبوة **الحديث الذي يرويه** ابو يعلى الموصلي في مسنده **وعثمان بن ابي شيبة** وهو من المحدثين الا انه ضعيف على ما ياتي لانه نسب اليه اوهام **بسنده عن جابر** رضي الله عنه كما قال ابو يعلى حدثنا ابن ابي شيبة قال حدثنا جرير بن عبد الحميد الضبي عن سفيان الثوري عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم **قد كان يشهد** اي يحضر مع المشركين بمكة في صغره **مشاهدهم** اي محال اجتماعهم عند اصنامهم وهذا هو محل الانكار من هذا الحديث فانه لم ينقل ذلك عنه الا في رواية ذكرها السهيلي وقال انه مرة واحدة على ما فيه وكان ذلك بالحاح عليه من عمه ابي طالب ثم لم يعد لها **فسمع ملكين خلفه** كانا موكلين به يحفظانه **احدهما** اي احد الملكين **يقول لصاحبه اذهب حتى تقوم خلفه** تحفظه **فقال الآخر كيف اقوم خلفه** واقرب منه **وعهده** مبتدا خبره محذوف اي قريب والعهد بمعنى الزمان كقولهم في عهد خلافة فلان **استلام الاصنام** وفي الزاهر لابن الانباري الاستلام افتعال من السلمة وهي الحجر ومعناه مس الحجر او هو استفعال من السلامة وهي السلاح اي حصن نفسه بمسه وعن الفراء استلمت الحجر واستلامته بالهمز ولم يعرف الدماميني في حاشية البخاري على هذا فذكره

بطريق البحث من عنده وفي كشف الكشاف انه ماخوذ لا من مصدر وفيه صيرورة لتعل بوية وهو افتعال للاتخاذ والاختصاص اي اتخذ سلمة وحجرا لنفسه يعظمه بالاشارة اليه بيده ومسه ثم لكل تقبيل **فلم يشهدهم** اي لم يشهد المشركين في مشاهدهم **بعد** اي بعدما سمع من الملكين ما قالاه وهذا الحديث مشكل لما تقرر من انه لم يكن على شيء مما كان عليه المشركون من ولادته الى وفاته صلى الله عليه وسلم واورده المصنف رحمه الله بقوله **فهذا حديث انكره احمد بن حنبل جدا** اي انكارا شديدا ولم يقل بصحته واصل الجد ضد الهزل استعير لما ذكر **وقال هو موضوع** وكذب لم يثبت والثابت خلافه **او شبيه بالموضوع** على زنة فعيل يعني به انه يشبه الموضوع لشدة ضعفه وليس من الفضائل حتى تغتفر روايته وحرف بعضهم شبيه بتشبيه تفعل منه وروي يشبه مضارع مجهول مسند الى البا **قال الدارقطني ان عثمان وهم** بوزن غلط ومعناه ويقال وهم واوهم بمعنى غلط ايضا **في اسناده والحديث بالجملة** اي اجمالا **منكر غير متفق على اسناده** اي روايته **فلا يلتفت اليه** اي لا يعتبر بل ينبغي تركه وعدم روايته اصلا لثبوت خلافه كما ستبينه المصنف وقال انه مما انكر على عثمان وقد انكر عليه احاديث اخر رواها مع ان الشيخين رويا عنه لبعض الاحاديث وعثمان هذا هو عثمان بن محمد بن ابي شيبة ابو الحسن العبسي الكوفي الحافظ توفي سنة تسع وثلاثين ومائتين وقد ضعفوه الا ان ابن معين قال انه ثقة مامون والتسعيد من عدت غلطاته ثم اشار الى رده بعد ما رد سنده وبين الوهم فيه فقال **والمعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم خلافه** اي ما يخالفه معنى عند اهل العلم بالحديث وباحواله صلى الله عليه وسلم **من قوله** صلى الله عليه وسلم **بغضت الي الاصنام** بالتشديد والبناء للمجهول اي جعلني الله مجبولا على عدم حبها وهو يقتضي ظاهرا انه لم يشهد مشاهدها ولم يوافق قومه في امرها **ومن قوله في الحديث الآخر الذي روته ام ايمن** حاضنته صلى الله عليه وسلم وهي ام اسامة واسمها بركة وهي صحابية وترجمتها مشهورة وحديثها هذا رواه ابن سعد عن ابن عباس عنها **حين كلمه عمه** ابو طالب **واله في حضور بعض اعيادهم** وكان قال له صلى الله عليه وسلم يا بني لم لا تشهد مع قومك مشاهدهم عند اصنامهم يريد بذلك ان يؤلف بينه وبينهم بالظاهر لموافقته لما هم عليه لما راى اجتنابه لهم وللاصنام **وعزموا عليه** اي الحوا عليه واقسموا عليه **فيه** اي في شان الحضور معهم يقال عزم عليه اذا اقسم وهو قسم استعطاف وطلب وضمير عزموا لاهل بيته لاخبارهم ابا طالب بانه لا يريد ذلك واليه اشار بقوله **بعد** ظهور **كراهته لذلك** اي لحضور مشاهدهم **فخرج** صلى الله عليه وسلم **معهم** اي مع اهل بيته وقومه الى اعيادهم ومجامعهم **ورجع** من عندهم **مرعوبا** اي ظاهر عليه آثار الرعب والخوف وفي نسخة منقولة من الام **فقال** الفاضحة اي فساله عمه عن سبب رعبه فقال **كلما دنوت** اي قربت منها لامسها بيدي **من صنم** بدل من قوله منها **تمثل** اي ظهر لي **شخص** وهو ملك موكل بحفظه صلى الله عليه وسلم ظهر له على مثال رجل ابيض **طويل يصيح بي وراءك** بالنصب على انه ظرف جعل اسم فعل اي ارجع **لا تمسه** اي لا تمس صنما من بعدك كما يفعلون وهذا سبب رعبه صلى الله عليه وسلم لانه كان قبل بعثته وانسه بالملائكة الكرام عليهم الصلاة والسلام **فلم يشهد** اي لم يحضر صلى الله عليه وسلم **بعد** مبني على الضم اي بعدما رآه ذلك الملك الموكل بحفظه **عيدا** لهم يجتمعون فيه عند اصنامهم وهذا مناف لقوله انه كان يشهد مشاهدهم المقتضي لوقوع ذلك منه باختياره مرارا فان كان يقتضي

نكرة ما بعدها كقولهم كان حاتم يكرم الضيف وهذا الحديث تقدمت الاشارة اليه في الاسرا حين نفر البراق وهو ضعيف ايضا **وقوله في قصة بحيرا** بفتح البا والمد والقصر وقصته معروفة حين سافر صلى الله عليه وسلم الى الشام مع عمه ابي طالب ومر بصومعة بحيرا ورأى السحابة تظله والشجرة التي نزل صلى الله عليه وسلم تحتها تميل اليه لتظله وقصته مشهورة **حين استحلف صلى الله عليه وسلم** اي اقسم عليه او طلب منه ان يحلف **باللات والعزى** اسم صنمين معروفين **اذ لقيه بالشام** اي قريبا منها او بارضها واقليمها **في سفرته مع عمه ابي طالب** لما استصحبه مع صغره لانه كان لا يفارقه سفرا ولا حضرا **وهو صبي** صغير **ورأى بحيرا** عند قدومه عليه **فيه** صلى الله عليه وسلم **علامات النبوة** كتظليل الغمامة له وميل الشجرة لجانبه ونزوله صلى الله عليه وسلم في منزل كان الانبيا عليهم الصلاة والسلام ينزلون فيه كما فصل في قصته وارهاصاته قبل النبوة فاخبرهم بذلك وفي نسخة **فاخبره** اي اخبر بحيرا ابا طالب **بذلك** اي بعلامات النبوة التي شاهدها فيه **فقال له** اي لبحيرا **النبي** صلى الله عليه وسلم **لا تسلني** اصله كما في نسخة لا تسالني فخفف بحذف الهمزة بعد نقل حركتها اي لا تقسم علي بهما لما فيه من الشرك وتعظيم الاصنام **فوالله** اقسم صلى الله عليه وسلم بالله تعليما وارشادا وبيانا لما حقه ان يقسم به وتاكيدا لقوله **ما ابغضت شيا** وكرهته **قط بغضهما** كبغضي لهما **فقال له بحيرا فبالله الا ما اخبرتني عما اسالك عنه فقال** له صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم **سل عما بدا لك** اي عن كل شي خطر ببالك وقد تقدم الكلام على هذا التركيب واعلم ان قصته صلى الله عليه وسلم مع عمه ابي طالب رواها ابن سعد في طبقاته وابن سيد الناس في سيرته وحاصلها ان قريشا كانوا يجتمعون في كل سنة بمحل وراء ينبع يسمى بولاه بضم البا او فتحها وواو مفتوحة والف وها اسم هضبة فيها اصنامهم يعبدونها في كل سنة فقال ابو طالب وعماته له صلى الله عليه وسلم اذهب معنا لعيدنا فابى فقال له ابو طالب ما نراك تخالفنا في امر الهتنا ونحن نخاف عليك من ذلك والحوا عليه حتى غضب ابو طالب فلم يزالوا به صلى الله عليه وسلم حتى ذهب معهم وبينما هو معهم ثمة غاب عنهم ما شا الله ثم رجع مرعوبا فزعا فقالوا له ما دهاك فقال اخشى ان يكون بي لمم فقالوا له ما كان الله ليبتليك بالشيطان ما فيك من خصال الخير فما رايت قال اني كلما دنوت من صنم منها تمثل لي رجل طويل ينادي ورائك يا محمد لا تمسه ثم عاد صلى الله عليه وسلم الى عيدهم حتى نبئ واما قصة بحيرا فمذكورة في السير وقد عرفت محصلها **وكذلك** اي مثل ما ذكر في الدلالة على خلاف ما رواه ابن ابي شيبة او مثل ما تقدم من نزاهته صلى الله عليه وسلم عما كان عليه اهل الجاهلية **المعروف من سيرته** عليه الصلاة والسلام واحواله المرضية المروية عنه في السير **وتوفيق الله** بهدايته وخلوص طويته من ابتدا خلقته الى وفاته والمعروف مبتدا خبره قوله **انه كان قبل نبوته** بفتح همزة انه وكذلك مبتدا خبره الجملة التي بعده او انه مبتدا مؤخر وكذلك خبر مقدم والمعروف بدل من اسم الاشارة **يخالف المشركين في وقوفهم بمزدلفة في الحج فكان** صلى الله عليه وسلم اذا حج **يقف بعرفة** اسم مكان معروف يقف به الحاج ويسمى عرفات ايضا ويقال المعرف والتعريف قال ابن دريد في مقصورته

ثم اتى التعريف يقرو مخبتا ٭ موافقا بين الال فالنقا ٭

واصله الوقوف بعرفة وعرفة علم منقول من جمع عارف سمي به لتعارف ادم وحوا فيه

وقيل ان عرفة

وقيل ان عرفة اسم مولد ويرده حديث الحج عرفة وقيل عرفات اسم المكان وعرفة اسم يوم الاجتماع وفيه كلام ليس هذا محله **لانه** اي عرفة **كان موقف ابراهيم الخليل** صلى الله عليه وسلم **فهداه الله** لاتباع شريعته ومخالفة الجاهلية فيما كانوا عليه وكانت قريش تقف بمزدلفة لانها من الحرم وسائر العرب تقف بعرفات وهي خارجة عن الحرم فخالفهم صلى الله عليه وسلم في ذلك كما في صحيح البخاري وفي هذا نزل ثم افيضوا من حيث افاض الناس الاية ٭

فصل قال القاضي ابو الفضل

هو كنيته رحمه الله تعالى **قد بان بما قدمناه** في هذا الباب **عقود الانبيا** عليهم الصلاة والسلام جمع عقد وهو الجزم والتصميم مستعار من العقد وهو جمع الاطراف **في التوحيد** اي اعتقاد وحدانيته تعالى **وعدم الشرك والايمان** اي التصديق بكل ما يجب الايمان به **والوحي** النازل عليه من الله **وعصمتهم في ذلك** اي حفظهم عن اعتقاد خلاف ذلك المذكور كله **على ما بيناه** في الفصل الذي قبل هذا **فاما ما عدا هذا الباب** اي غير ما ذكر من التوحيد والايمان والوحي وعصمتهم فيه **من عقود قلوبهم** اي جزمها وهو بيان لما عدا **فجماعها** بكسر الجيم بمعنى جميعها ومجتمعها والمراد جملتها وما يجمعها اي جملة عقود قلوبهم في غيرها **انها** اي قلوبهم كلها **مملوءة علما ويقينا** نصب على التمييز والمراد بما عداها ما لا بد منه كاحوال الاخرة والبرزخ والملائكة **على الجملة** اي هذا حالها اجمالا لا تفصيلا لانه لا يحصى لكثرته **وانها قد احتوت** اي اشتملت وجمعت وقوله **من المعرفة والعلم** بيان لما تقدم عليه بناء على جواز تقدم من البيانية على مبينها كما ذهب اليه بعض النحاة ومن منعه يقدر له مبينا يبينه ما بالحق والفرق بين المعرفة والعلم ان الاولى تتعلق بالجزئيات والعلم بغيرها او بما يسبقه جهل ولذا قيل انه لا يطلق على علم الله معرفة الا ان ابن جماعة اعترض عليه وقال انه ورد في الحديث ما يخالفه وقد بيناه في غير هذا المحل **بامور الدين والدنيا** جزئياته وكلياتها **ما لا شي فوقه** اي يزيد عليه ويفضله وفوق ضد تحت ويكون في المكان والزمان والجسم والعدد ونحوه فاستعيرت لما ذكر كما قاله الراغب **ومن طالع** الاخبار اي اطلع على ما في كتبها والمطالعة تختص عرفا بالنظر في الكتب وقراتها **واعتنى** اي اهتم واشتغل **بالحديث** النبوي رواية ودراية **وتامل** اي فكر ودقق النظر واصله تفعل من الامل استعير لما ذكر **ما قلناه** فيما تقدم **وجده محققا** كما قلناه **وقد قدمنا منه** اي من الامور المتعلقة بعقد قلوب الانبيا في كل ما ذكر **في حق نبينا صلى الله عليه وسلم في الباب الرابع** فيما اظهره الله على يديه من المعجزات وشرفه به من الخصائص والكرامات في القسم الاول **اول قسم من هذا الكتاب ما ينبه على ما وراه** اي ما ذكر بعده في هذا الكتاب فلا يخفى منه او يحتويه ذلك عليه **الا ان احوالهم في هذه المعارف تختلف** استثنا منقطع كالاستدراك على ما قبله اي لكن احوالهم مختلفة فبعضهم له معرفة فيها اعلى مما عداه كنبينا صلى الله عليه وسلم فالتفاوت لا ضرر فيه وقال الباقلاني يجوز عقلا عدم معرفة النبي ببعض شرايع من قبله وعدم معرفته ببعض الفروع الفقهية التي فرعها الفقها لكنه اذا سئل عنها لا بد ان يعرفها وكذا علمه باللغات بشرط ان لا يخل بالتوحيد كما قيل وفيه نظر لا يخفى **فاما ما يتعلق منها** اي من العلوم المفهومة من السياق لا بالعقود بامور الدنيا

كامر المعاش واحوال الناس **فلا يشترط** بالياء التحتية مبني للمفعول ونايب فاعله العصمة
في قوله **في حق الانبيا العصمة من عدم معرفتهم ببعضها** ويجوز ان يكون مبنيا للفاعل
ونصب العصمة على المفعولية والضمير فيه للعلما واجاد في قوله ببعضها لان عدم معرفتها
بالكلية ينافي شدة فطنتهم وسلامة عقولهم والمراد ما لا تعلق له بالدين اصلا فيجوز
عدم معرفتهم بذلك **او اعتقادها على خلاف ما هي عليه** كقصة تابير النخل وسياتي
ورجوعه صلى الله عليه وسلم لراي الحباب بن المنذر في بدر والمراد بالاعتقاد ما يشمل
الظن الحاصل منه **ولا وصم** بفتح الواو وسكون الصاد المهملة اي لا عيب ولا نقص يقضي
عليهم اي عايد على الانبيا عليهم الصلاة والسلام **فيه** اي في عدم معرفته وبين علته
بقوله **اذ هممهم** جمع همة وهي العزيمة من هم بالامر اذا عزم عليه **متعلقة** اي مشغولة
بامور الاخرة وانبائها جمع نبا وهو الخبر وعبر به لانها لم تعلم الا بالوحي واخبار الله لهم بها
وامر الشريعة وقوانينها وهو لفظ رومي معرب **وامور الدنيا تضادها** اي تخالفها
فالاشتغال بها لا يليق بعلو هممهم **بخلاف غيرهم من اهل الدنيا** اي غير الانبيا من الناس
الذين يعلمون بدل من اهل الدنيا تكو الجاهل ان علمهم لا يعتد به لانهم انما يعلمون **ظاهرا من
الحياة الدنيا** ففيه اشارة لبلادتهم ولانهم انما يعلمون ظاهر زخارفها التي يتمتعون به
دون باطنها الذي يستعدون به للاخرة ويتزودون به لدار القرار من صالح الاعمال
وتنكير ظاهرا اشارة الى انه متاع قليل **وهم عن الاخرة هم غافلون** عنها لا يخطر ببالهم
تدارك ما يلزمهم منها فهم كالانعام وهم الثانية تكرير للاولى وغافلون خبرها والمبتدا خبره
غافلون والجملة خبر الاولى وعلى كل حال ففيه تاكيد لغفلتهم وهو اقتباس واشار بالمضادة
الى ان المراد بالدنيا ما يختص بها كرياستها وجاهها ولذايذها بخلاف بيان امور المعاملة
فانها امور شرعية يلزمهم بيانها فلا حاجة لذكره هنا لانه سياتي واليه اشار بقوله **كما سنبين
هذا في الباب الاتي** ولكنه ضمير شان وهو استدراك على ما قبله لا يصح ان يقال انهم
لا يعلمون شيا من امر الدنيا اصلا **فان ذلك** اي عدم علمهم بشي منه **يودي الى** نسبتهم الى ما
لا يليق بهم من **الغفلة والبله** اي شدة البلادة وعدم
وهم المنزهون عنه
اي عما ذكر من الغفلة والبله لكمال عقولهم وتمام خلقتهم فالله نزههم والبعد خلقهم عن مثله
واشار بتعريف الطرفين لكمالهم فيه حتى كانه مخصوص بهم والحاصل ان الانبيا عليهم الصلاة
والسلام كلهم لا بد لهم من العلم بالعقايد والشرايع والوحي يقينا من غير شك وشبهة واما
امور الدنيا البحتة فلا يلزمهم العلم بها لكنهم عليهم الصلاة والسلام لكونهم اكمل الناس فطنة
وعقلا لا يكثر عدم علمهم بها وانما يكون ذلك في النادر وليس في كلامه هنا ما يقتضي
ان كل نبي اكمل اهل زمانه واعلمهم كما قيل وهو غير مسلم لقول ابن الهمام انه اكمل اهل زمانه ممن
ليس بنبي وفيه في الكشاف بمن ارسل اليه وهو الحق فلا يلزم ان يكون موسى عليه الصلاة
والسلام اعلم من الخضر عليه الصلاة والسلام لانه لم يرسل اليه ولا يحتاج الى ان يقال
انه موسى بن ميشا لا موسى بن عمران **بل قد ارسلوا الى اهل الدنيا وقلدوا** بالبنا
للمجهول اي ولوا وحكموا ومنه تقليد القضا وهو في الاصل من قلادة العنق **سياستهم**
اي ضبط امورهم امرا ونهيا بالقهر واصلها القيام على الشي بما يصلحه **وهدايتهم** اي ارشادهم
لكل خير في الدارين **والنظر في مصالح دينهم ودنياهم** ببيان ما ينتظم به صلاح المعاش

والمعاد

والمعاد **وهذا** اي النظر والسياسة **لا يكون ويوجد مع عدم العلم بامور الدنيا بالكلية**
بان لا يعلم شيا منها اصلا لانه مانع للنظر في احوالهم لكن العلم بها لدين مقصود لهم بالذات
واحوال الانبيا صلوات الله وسلامه وتحياته عليهم اجمعين **وسيرهم** جمع سيرة وقد تقدمت
في هذا الباب اي في هذا النوع من العلم وهو العلم بامور الدنيا **معلومة** مما اشتهر من اخبار
ومعرفتهم بذلك المذكور **مشهورة** لا يخفى على اهل العلم **واما ان كان هذا العقد** اي عقد
قلوبهم بالاعتقاد الجازم **فيما يتعلق بالدين** وان كان له تعلق بالدنيا كالمعاملات **فلا يصح
من النبي صلى الله عليه وسلم الا العلم به** يقينا وجزما من غير شك وشبهة فيه **ولا يجوز
عليه جهالة جملة** اي لا يجهل شيا منه ولا يخفى عليه شي من جملته ويجوز ان يراد بالجملة الاجمال
اي يعلم علما اجماليا انه يجب اعتقاده وانه صلى الله عليه وسلم لا يجهل شيا مما له تعلق
بالدين وقيل انه قيد للنفي اي انتفى جهالة به انتفا كليا فيعلم جميع ذلك **لانه** اي علمه
بذلك **لا يخلو** علمه من **ان يكون حصل عنده ذلك** العلم صادرا **عن وحي من الله** بارسال
ملك ونحوه **فهو مما** اي امر **لا يصح الشك منه** صلى الله عليه وسلم **فيه** اي في الوحي وما يتعلق
به بنا **على ما قدمناه** كما علمته قبل هذا واذا لم يحصل منه اذ في شك في شي من ذلك **فكيف
الجهل** اي فكيف يصح منه جهل الشي من ذلك وهو انكار لجهله بانكار كيفيته وحاله على طريق برهاني
لان اذا وقع لا بد ان يقع على كيفية مخصوصة **بل حصل له العلم اليقيني** اي المتيقن واشترك
لانه لا يلزم من عدم العلم تيقن ضده **او يكون فعل ذلك** الامر المتعلق بالدين ببيان احكامه حلا
وحرمة ونحوه **باجتهاده** وهو افتعال من الجهد وهو الطاقة والوسع وبذله في تحصيل المطلوب
وهو تحصيل الحكم ما اعلمه الله واستخراجه من قواعد الدين والتفاته اليه **فيما لم ينزل عليه فيه شي
من الوحي** في بيان حكمه بذلك وهو في عرفهم تحصيل ظن بحكم شرعي استخرجه من نص ونحوه **على القول
بجواز وقوع الاجتهاد منه** صلى الله عليه وسلم **في ذلك** اي فيما لم ينزل عليه وحي فيه **على
قول المحققين** الذاهبين لجواز اجتهاده وهو القول الصحيح ثم على هذا هل يجوز وقوع الخطا منه
فيما اجتهد فيه فمنعه بعضهم وجوزه بعض مع الاتفاق على عدم اقراره صلى الله عليه وسلم على الخطا
وهذا رجحه كثير من الاصوليين وذهب كثير منهم الى ترجيح عدم وقوع الخطا في اجتهاده اصلا واليه
مال المصنف رحمه الله وادلتهم مبسوطة في كتب الاصول فمن ارادها فليا خذ الماء من مجاريه **وعلى
مقتضى** بصيغة المفعول اي على ما يقتضيه ويدل عليه لزوما **حديث ام** المومنين هند بنت
ابي امية المشهورة بام **سلمة** بفتحات فيما رويته عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اني انما اقضي بينكم
براي واجتهادي **فيما لم ينزل علي فيه شي** اي فيما لم ينزل الله فيه شي من وحيه وهو صريح في وقوع
الاجتهاد منه صلى الله عليه وسلم **خرجه الثقات** اي رواه مسندا من يوثق به كابي داود وغيره
فهو حديث صحيح دال على صحة اجتهاده صلى الله عليه وسلم وسبب هذا الحديث انه صلى الله عليه
وسلم اتاه رجلان يختصمان في مواريث واشيا قد درست فقال اني الخ وهو دليل على جواز رويته
ووقوعه منه خلافا لمن لم يجوزه او جوزه وقال لم يقع لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي
يوحى او خصه بالحروب لان اجتهاده في حكم الوحي لاستنباطه منه بالقياس فليس هوى وقوله
صلى الله عليه وسلم لا ادري في بعض الاحيان لا ينافيه لعدم ظهور القياس له والقياس مستند
الى الوحي لقوله تعالى فاعتبروا يا اولي الابصار **وكقصة اسرى بدر** جمع اسير كاسارى وهما
بمعنى وقيل الاسرى من لم يوثق والموثقون اسارى وهم سبعون رجلا والقصة كما في صحيح مسلم

انه صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر والصحابة ما ترون في هؤلاء فقال ابو بكر رضي الله عنه
بنو العم والعشيرة اري ان تاخذ منهم فدية يكون لها قوة على الكفار فعسى الله ان يهديهم للاسلام
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقول يا عمر فقال اري ان تضرب اعناقهم فانهم ائمة
الكفر وصناديدها فنزل ما كان لنبي ان تكون له اسرى حتى يثخن في الارض بعدم الفدية
فجلس صلى الله عليه وسلم هو وابو بكر يبكيان فقال لهما عمر لم تبكيان اخبراني فان وجدت
بكاء بكيت والا تباكيت فقال صلى الله عليه وسلم ابكي لما عرض من الفداء لقد عرض عذابهم ادنى
من هذه الشجرة لشجرة عنده فهذا دليل على وقوع الاجتهاد منه صلى الله عليه وسلم **وكقصة الاذن**
للمخلفين عنه صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فانه اذن لجماعة استاذنوه في القعود
عنه فاذن لهم باجتهاده ولم ينتظر الوحي فعاتبه الله على ذلك مع لطفه في تقديم العفو عنه
بقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا الآية لانه كان منهم من استاذنه
واعتذر باعذار بعض المنافقين لم يعرف نفاقهم حتى نزلت آية التوبة عليه **على راي بعضهم**
راجع للقصتين او للثانية فقط فانه قيل ان ذلك كان باجتهاد من الصحابة بناء على جواز وقوع
الاجتهاد منهم عنده صلى الله عليه وسلم بناء على ان العتاب لهم وخطابه لقبوله له واقراره
مع انه خلاف الاولى وان الله خيره في ذلك قبل واذن له ولا اجتهاد فيه وانما كان عليه ان
ينتظر الوحي ان يتبين الاولى به وفيه مباحث وانظار دقيقة **فلا يكون ايضا ما يعتقده مما**
يثمره اجتهاده اي يترتب عليه ويكون ثمرة له ومن بيانية او تبعيضية او تجريدية **الا**
حقا موافقا للواقع **وصحيحا** في نفسه بقطع النظر عن الواقع ومطابقته وهذا بناء على انه
صلى الله عليه وسلم لا يخطئ في اجتهاده اصلا كما ارتضاه الغزالي وبنى عليه انه لا يجوز القياس
على ما اجتهد وهو اللائق بمقام النبوة ومثله في هذا كله سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام
وذهب ابن الحاجب وغيره الى انه يقع منه الخطا نادرا الا انه لا يقر عليه وليس ما استدل لوابه
خطا بل خلاف الاولى فان اراد وارتفع الخلاف فقد برهن القول من ان اجتهاده صلى الله عليه
وسلم لا يكون الا حقا صحيحا **هو الحق الذي لا يلتفت** ولا يستند **الى خلاف من خالف فيه**
بان قال لا يجتهد اصلا او يقع في اجتهاده الخطا او اجتهاده مخصوص بالحروب **ممن اجاز عليه**
الخطا في الاجتهاد ونحوه وهذا وقع في بعض النسخ وسقط من بعضها **اذ لو قام عليه دليل**
لا على القول بتصويب المجتهدين بصيغة التثنية او بصيغة الجمع اي موافقة حكم كل منهما
او منهم للصواب وقوله **الذي هو الحق والصواب** مفعول تصويب في محل نصب اي ما اعتقده
كل موافق للحق والصواب فكل مجتهد مصيب كما قيل

رمى فاصاب قلبي باجتهاد ⁕ صدقتم كل مجتهد مصيب

او الذي مبتدا خبره قوله **عندنا** وهو احد قولين ورجحه المصنف والاشعري فالضمير للاشعرية
ولا على القول الآخر الذي ذهب اليه الجمهور القائلون **بان الحق في طرف واحد** غير معين
فالآخر خطا الا انه لا اثم عليه فيه وهذا في غير النبي صلى الله عليه وسلم لانه لا يخطئ او لا يقر
على الخطا **لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم** اي لعصمة الله له **من الخطا في الاجتهاد في الشرعيات**
قيده به لانه محل الخلاف بخلاف العقائد وامور الوحي كما تقدم وما لا تعلق له بالدين فان الاول
لا يجوز فيه الخطا بالاتفاق والثاني يجوز فيه بالاتفاق كما تقدم تفصيله ومحل الخلاف
في اجتهاد غير الانبياء **وان القول في تخطئة المجتهدين** اي كلام الاصوليين فيما يتعلق به

انما هو بعد استقرار الشرع فلا يتصور بدونه اجتهاد لانه يكون قياسا على حكم شرع قبله
ونظر النبي صلى الله عليه وسلم واجتهاده انما هو فيما لم ينزل عليه فيه شيء من الوحي **ولم**
يشرع له قبل اي قبل اجتهاده فيه ونظره ليظهر له الصواب في محل الاجتهاد فلا يتصور
خطاؤه لان خطا المجتهد انما يظهر بمخالفة نص او اجماع او قياس جلي وقد تقرر انه لم يسبق به
شرع وهذا دليل على انه لا يتم للخطا في اجتهاده وفيه بحث لان الاجتهاد بالنظر في نظائر
فان اراد لم ينزل شيء في عينه فمسلم لكنه لا يمنع الاجتهاد وان اراد شيء من نوعه واشباهه
فممنوع فهذه مغالطة وتمويه فتامله **هذا** المذكور فيما اوحي اليه او عمل فيه برايه واجتهاده
فيما لم ينزل فيه شيء **فيما عقد صلى الله** عليه وسلم اي علمه علما جازما او عزم عليه واعمل فيه
فكره من امور الدين التي لا بد منها سواء كان من العقائد وامور الوحي مما لا بد من علمه من غير شك
فيه او من الشرع المعلوم بالوحي او الاجتهاد كما فصله وليس هذا مخصوصا بالاعتقاديات
كما قيل **فاما ما لم يعقد** النبي صلى الله عليه وسلم **عليه قلبه** ويعلمه علما جازما **من النوازل**
جمع نازلة وهي القضية التي تحدث له ويحتاج لبيان الحكم فيها وقوله **الشرعية** المتعلق بها
حكم شرعي من حل وحرمة ونحوه **فقد كان** صلى الله عليه وسلم **لا يعلم شيئا منها اولا** اي
اي في ابتداء بعثته وقبل الوحي والاذن له في التشريع **الا ما علمه الله** بالوحي اليه **شيئا**
فشيئا اي شيئا بعد شيء على سبيل التدريج بحسب الوقائع واسبابها المقتضية لبيانه لها وهذا
منصوب على الحال كعلمته النحو بابا بابا لانه مأول بمفعول ونحوه وليس الثاني تاكيدا وتفصيله
في كتب العربية **حتى استقر علم جملتها** اي علم جميعها **عنده** اي في علمه وحفظه لما نزل عليه
منها **اما بوحي من الله او اذن له في ان يشرع في ذلك** بفتح اوله وثالثه المخففة او بضم اوله
وكسر ثالثه المشدد اي ياخذ في بيانه او يبين ما حكم الشرع فيه برايه واجتهاده **ويحكم**
في القضايا بما اراه الله اي عرفه وعلمه بوحي منه او الهام ونظر فيما انزل عليه كما قال تعالى
انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله والآية على اجتهاده الماذون
له فيه وانه مصيب فيه **وقد كان صلى الله عليه وسلم ينتظر الوحي في كثير منها** اي من
النوازل الواقعة ليبين الله له الحكم فيها ويجتهد في قليل منها احيانا **ولكنه لم يمت**
حتى استقر جميعها عنده اي تحقق صلى الله عليه وسلم وتقرر عنده العلم بجميع الاحكام
الشرعية اللازمة ولذا قال تم اليوم اكملت لكم دينكم وفي نسخة استفرغ بفاء وغين معجمة
اي استوفي واستكمل وهو استعارة من استفراغ الماء وصبه كانه افاضه على العطا
وتقررت وتحققت **معارفها** اي العلوم بالاحكام الشرعية وجزئياتها **لديه** اي عنده
وعند امته **على التحقيق** اي متيقنة محققة بلا تردد ورفع الشك والريب اي لا اشتباه
في شيء منها وانتفاء الجهل عن امته وبالجملة اي اجمالا وقد يراد بهذه الكلمة على كل حال وبكل
وجه فلا يصح ولا يجوز عقلا وشرعا منه ومن كل نبي الجهل بشيء من تفاصيل الشرع اي شرعه
صلى الله عليه وسلم الذي امر بالبناء للمجهول اي امره الله بالدعوة اي دعوة امته اليه اي
الى اتباعه والعمل به لان جهله به ينافي امره بدعوته ولا تصح دعوته الى ما لا يعلمه لانه
طلب للمجهول وهو ممتنع عقلا وعبث غير مفيد فكان صلى الله عليه وسلم اعلم الناس باحكام
ربه وله الولاية العامة على جميع خلقه والامامة العظمى فكان يحكم بالقضاء والسياسة
والافتاء ويحكم بالظاهر والباطن كالخضر عليه الصلاة والسلام كما قاله السيوطي والفرق

ببين احكامه بما ذكر فصله السبكي والقرافي في قواعده وللعلامة ابي شامة فيه تاليف مستقل لا يستطيع هذا المقام تفصيله وان تكلم بعضهم فيه هنا كلاما غير مهذب فان اردت تحقيقه فانظر كلام القوم فيه **واما ما تعلق بعقده** اي بجزم قلبه فيما بصره الله به **من ملكوت السموات والارض** الملكوت مبالغة في الملك كالرهبوت والجبروت وقد يخص بغير المشاهد كعالم الامر والمراد علمه صلى الله عليه وسلم بحقيقة الاجرام العلوية وانها حادثة ستفنى وما فيها من الملائكة الموكلين بها والكواكب التي خلقت فيها زينة لها وهداية لخلقه وعلامات لحكم الصنعة وكذلك الارض التي جعلها الله مقر العباده وعلمه بما فيها علما اطلعه به على حقيقتها وما اودعه فيها وليست كما تزعم الفلاسفة واهل الطبيعة من امور محزومة العواعل كثيرة المفاسد **وخلق الله** اي مخلوقاته فيهما وابدعها واودعها حكما تحار فيها العقلا ⊙

وفي كل شي له آية • تدل على انه الواحد •

وتعيين اسمائه الحسنى الدالة على ذاته وبديع صفاته وفي قوله تعيين اشارة الى انها توقيفية فلا يطلق عليه الا ما ورد به اذن شرعي والكلام عليها مفرد بالتاليف واجل ما صنف فيه كتاب الامام القرطبي وقيل يصح ان يطلق عليه كل اسم ثبت اتصافه به مما لا يوهم نقصا وقيل يجوز ما كان على سبيل التوصيف والكلام عليه مفصل في كتب الاصول **وآياته الكبرى** اي عجائب مخلوقاته الدالة على عظمته والكبرى بمعنى العظمة من ما اخبر عنه صلى الله عليه وسلم مما شاهده في ليلة الاسرا كما تقدم **وامور الآخرة** كالبعث والنشر واهوال الموقف والصراط والميزان والنفخ في الصور **واشراط الساعة** اي علاماتها الدالة عليها جمع شرط بفتحتين وفي الاساس يقال لاوائل كل شي اشراطه ومنه اشرط اليه رسولا اذا قدمه واشراط الساعة مشهورة والساعة مقدار من الزمان ثم خص بالقيامة وقيل الاشراط تختص بعلاماتها الصغار كما نقله الخطابي عن ابي عبيدة والمشهور شمولها للصغار والكبار كخروج المهدي والدجال **واحوال السعدا والاشقيا** في البرزخ والدنيا والآخرة وما لهم من نعيم وعقاب **وعلم ما كان** من احوال الامم السالفة وما كان في ابتدا خلق العالم **وما يكون** بعده من الفتن وغيرها كما في حديث حذيفة المشهور **مما لا يعلمه الا بوحي** علمه الله به في المغيبات **فعلى ما تقدم** اي واقع على اسلوب ما تقدم والفا في جواب اما **من انه** بيان لما تقدم **معصوم** فيه عن الخطا والشك في شي منه **لا ياخذه** اي لا يعرض له ويطرو عليه **فيما اعلم** بالبنا للمجهول اي اعلمه الله بوحيه ويجوز فيه البنا للفاعل اي اعلم به امته **منه** اي مما ذكر **شك ولا ريب** وتردد في علمه به **بل هو فيه** اي فيما اعلم به **على غاية اليقين** والجزم به بلا تردد فقلبه صلى الله عليه وسلم مطمئن بعلمه لا يقلق ويضطرب لان اصل معنى الريب الاضطراب كما حققه اهل اللغة **لكنه** استدراك من كونه على غاية من اليقين لانه ربما يتوهم احاطة علمه بتفاصيلها فلذا قال **لا يشترط له العلم بتفاصيل ذلك** لانه مما يعجز عنه البشر **وان كان عنده** صلى الله عليه وسلم **من علم ذلك ما ليس عند جميع البشر** سواه لما خصه الله به من اطلاعه على ما لم يطلع عليه احد غيره **لقوله** صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البيهقي **اني لا اعلم الا ما علمني ربي** اي لا اعلم شيا مما يخفى على الناس الا بتعليمه تعالى ⊙ ولقوله صلى الله عليه وسلم في حديث روي في الصحيحين **ولا خطر** اي طرا علمه **على قلب بشر** اي احد من الناس ⊙ وهو حديث قدسي اوله اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات

بجميع صح

ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه اقروا ان شئتم **فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين الآية** ففيه دليل على ان من احوال السعدا ما لم يطلع عليه صلى الله عليه وسلم وبله اسم فعل بمعنى دع والآية تدل على ان الله اخفى ذلك عن انبيائه من احوال السعدا التي تجافى جنوبهم عن المضاجع وقرة العين سرورها اما لان زيادة السرور بارده او لانها تقر وتسكن لعدم التفاتها لغير ما هي فيه **و** مما يدل على ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام لا يعلمون جميع الغيب قصة موسى **لخضر** في قصته التي قصها الله تعالى في القرآن وهو من كبار الانبيا عليهم الصلاة والسلام هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا وموسى هو ابن عمران وما روي عن نوف البكالي من انه موسى بن ميشا وهو نبي آخر من بني اسرائيل ليس من اولي العزم هو قول اهل الكتاب يرون ان موسى الكليم مقامه اجل من ان يتعلم من غيره وقد نقل ما قاله نوف لابن عباس رضي الله عنهما فقال كذب عدو الله وانما هو ابن عمران واستشكل هذا بان نوفا تابعي صالح ثقة فكيف يقال انه عدو الله فقيل انه قصد زجره في حال شدة غضبه وتهوره لما سمع ما يخالف ما صح عنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واما كونه استعارة كما قاله الله فليس بشي والخضر صاحب موسى عليهما الصلاة والسلام هو بليا بن ملكان والكلام فيه هل هو ولي او نبي او ملك وهل هو حي الآن مشهور وللعلامة الخيضري فيه كتاب الروض النضر في احوال الخضر لم يدع فيه مقالا لغيره يحتاج اليه وخضر كحذر لقبه سمي به لانه كان اذا جلس على الارض اخضرت كما مر وقصته معلومة وتفسير هذه الآية قد كفينا مؤنته ووجه استشهاد المصنف بهذه الآية والقصة غني عن البيان ومما يدل على ان النبي لا يجب ان يعلم تفاصيل كل شي قوله صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح ⊙ رواه الديلمي عن انس في بعض الادعية المأثورة عنه صلى الله عليه وسلم **اسالك** يا الله **باسمائك الحسنى** تانيث احسن واسماؤه عز وجل كلها حسنة لما دلت عليه من المعاني الجليلة والحسن في العرف العام يقال لما يدرك بالبصر واكثر ما جا في القرآن لما تستحسنه البصيرة كقوله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه كما قاله الراغب في مفرداته **ما علمت منها وما لم اعلم** بدل من اسمائك وهذا الحديث يدل على ان لله تعالى اسما لم يعلمها صلى الله عليه وسلم لا يعلمها الا الله تعالى ولا ضير في مثله **و** مثله **قوله** صلى الله عليه وسلم في حديث رواه احمد في مسنده فيه **اسالك بكل اسم هو لك** اي مخصوص بك **مما سميت به نفسك** اي ذاتك وفيه دليل على صحة اطلاق النفس على ذاته من غير مشاكلة خلافا لمن منعه وفيه لبعض المحققين تفصيل حسن وهو ان كان بمعنى الروح ونحوه كقوله تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك لم يطلق الا مشاكلة فتدبر **او استاثرت به** اي انفردت بعلمه دون غيرك **في علم الغيب عندك** اي في جملة معلوماتك المغيبة عن غيرك والشاهد فيه كالحديث الذي قبله **وقد قال الله تعالى** مما يدل على ان الله لا يحيط بجميع العلوم غيره **وفوق كل ذي علم عليم** هو اعلم واعلى رتبة في العلم فهذا دليل على ان علم البشر متناه محصور وقال القاضي في تفسيره المراد كل ذي علم من الخلق لان الكلام فيهم ولان العليم هو الله عز وجل الذي له العلم البالغ فلا فرق بينه وبين قولنا وفوق كل ذي علم عليم وهو مخصوص انتهى وهو اشارة الى دفع شبهة تقريرها ان الله ذو علم فهو داخل في هذه الكلمة فيقتضي ان فوق الله عليما يعلم ما لم يعلمه بانها قضية مخصوصة بالمخلوقين فالعليم الذي فوق كل ذي علم هو الله لا غيره فهو عام مخصوص ⊙ **وقال زيد بن اسلم وغيره** في تفسير هذه الآية اشارة لما قلناه المراد ان رتبة العلما لا تزال

تترقى في العلم حتى ينتهي العلم الى الله تعالى فهو الذي فوق كل ذي علم عليم فوقه
بالقوة الى مرتبة ليس فوقها شيء اصلا فهو العليم المحيط علمه بكل شيء علما بسائر الجزئيات علما
تفصيليا خلافا للفلاسفة القائلين بانه يعلم الكليات دون الجزئيات وبطلان قولهم مذكور
في كتب الكلام الا ان النصير الطوسي قال في مقالة له في هذا المبحث ان المخطئين لم يقفوا على
مرادهم وانهم لم ينكروا ذلك وهو كلام طويل لا يحيط به نطاق البيان هنا وقد ذهب الى ما
قاله النصير ابن عربي في فتوحاته وارتضاه بعض مشايخ عصرنا ولكل وجهة وفوق كل ذي
علم عليم وهذا اي انتهاء العلم اليه تعالى مما لا خفاء به عند من له عقل سليم اذ معلوماته
تعالى لا يحاط بها ولا يحيطون بعلمه اي لا يقفون على جميعها وهو احاط بكل شيء علما وهو
في الاصل استعارة من احاطة الحائط بما في داخله ولا منتهى لها عطف تفسير لعدم الاحاطة
هذا اي ما ذكر من عصمة النبي صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بعقد قلبه فيما ذكر في هذا الفصل
كما اشار اليه بقوله حكم عقد النبي صلى الله عليه وسلم اي اعتقاده الجازم فيما ذكر في
هذا الفصل في التوحيد المراد به ما يتعلق بالعقايد والشرع ونحوه مما اوحي اليه والمعارف
والامور الدينية من عطف بعض افراد العام عليه لمزيته والكلام على الحلم وحقيقة علم
الله الحضوري وماله وعليه مما تكفلت به الكتب الكلامية ولكل مقام مقال ○

فصل واعلم ان الامة

اي امة الاجابة مجمعة على عصمة النبي اي حفظه صلى الله عليه وسلم من الشيطان والتعريف
في النبي للجنس او للاستغراق ويجوز ان يكون للعهد ويعلم غيره بطريق الدلالة فانه تعالى
قال ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فاذا لم يكن له سلطان على خلص عباده علم انه ليس
له تسلط على انبيائه عليهم الصلاة والسلام بالطريق الاولى وكفايته منه اي حمايته
لا في جسمه بانواع الاذى اي اذى الشيطان مما يكون من اصابته لا واصابة جنده من الجن
كالصرع والطاعون وذات الجنب فانها من الشيطان ولذا لم يرض صلى الله عليه وسلم بلدوده
في مرض موته لظنهم ان به ذات الجنب فقال انها من الشيطان وقد عصمني الله منه كما ياتي ومنه
علم ان الطاعون لا يصيب الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا يسلط الشيطان على خاطره
اي فكره وقلبه صلى الله عليه وسلم بالوساوس جمع وسوسة وهي ما يلقيه الشيطان في نفسه
وقيل من الوسوسة ما هو غير اختياري يقدر الانسان على دفعه ولا يؤاخذ به ما لم يعمل او يتكلم
وهذا مما لم يعصم عنه احد لانه من الاعراض البشرية الا انه صلى الله عليه وسلم معصوم عن ان يقر
فيه اذا عرض له نادرا وليس من هذا القبيل التحرز فتامله وقد اخبرنا القاضي الحافظ ابو
علي هو ابن سكرة وقد تقدمت ترجمته رحمه الله قال حدثنا ابو الفضل بن خيرون العدل
تقدم ايضا قال حدثنا ابو بكر البرقاني وغيره بكسر الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وقاف
والف ونون نسبة لبرقان قرية من نواحي خوارزم وهو الحافظ ابو بكر احمد بن محمد بن احمد بن غالب
الخوارزمي الشافعي امام بغداد كما تقدم قال حدثنا ابو الحسن علي بن عمر الدارقطني
نسبة لدار قطن محلة ببغداد كما تقدم فقال حدثنا اسماعيل بن محمد بن اسماعيل الامام العابد
الثقة النحوي المشهور الصفار نسبة لعمل الصفر وهو النحاس توفي في سنة احدى واربعين
وثلاثمائة وقد جاوز التسعين باربع سنين قال حدثنا عباس بمهملتين بينهما موحدة الترقفي

بفتح المثناة

بفتح المثناة الفوقية وسكون الراء وضم القاف وفاء مكسورة وياء نسبة وهو امام ثقة
عدل روى عنه ابن ماجه وغيره وهو يروي عن الفريابي وترقف قيل اسم امراة وقيل اسم
بلد قال حدثنا محمد بن يوسف وهو الفريابي وقد تقدم عن سفيان الثوري وقد تقدم عن
منصور هو ابن المعتمر وقد تقدم عن سالم بن ابي الجعد الاشجعي الكوفي وقد تقدم ايضا
عن مسروق بن الاجدع الهمداني العابد الزاهد التابعي توفي سنة ثلاث وستين واخرج
له الستة عن عبد الله بن مسعود الصحابي المشهور في حديث رواه مسلم عن سالم بن ابي الجعد
عن ابيه عن ابن مسعود ورواه من طريق آخر لعلو سنده فيه وعظم رجاله قال ابن مسعود
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم اي معاشر الناس من احد من زائدة واحد مبتدا خبره
مقدم عليه وهو منكم وزيادة من لتاكيد العموم الا وقد وكل مسنده مبني للمجهول اي عين
ملازمته كالحفيظ الملازم لمن يحفظه كما قال تعالى وما انت عليهم بوكيل فاستعمل المقيد في
المطلق مجازا به قرينه اي الذي يكون مقارنا له من الجن وقرينه من الملائكة اما قرين
الجن فانه موكل بوسوسته واغوائه واما قرينه من الملائكة فهو من الحفظة لا من الكتبة
كما قيل لعدم مناسبته لما هنا قالوا اي قال الصحابة الحاضرون عنده صلى الله عليه وسلم
واياك يا رسول الله اياضمير نصب معمول لمقدر واصله او وكل بك قرين من الجن كغيرك فحذف
الفاعل وحرف الجر فانتصب الضمير وانفصل وانما عدل عن الظاهر تادبا واشارة الى استبعاد
ان يكون كغيره في ذلك لانه يقتضي توكيله به تسليطه عليه لوسوسته واغوائه وهو صلى
الله عليه وسلم معصوم من مثله او الضمير مستعار من ضمير الرفع واصله وانت كما ورد في رواية
صحيحة البرهان عن ابن عباس رضي الله عنهما وسياتي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واياي
اي وكل بي قرين من الجن كغيري ثم استدرك ببيان تميزه صلى الله عليه وسلم عنهم بقوله ولكن
بالتشديد والتخفيف الله بالرفع والنصب على وجهي لكن اعانني عليه اي على قريني من الجن
بحفظي منه ومنعه من التسلط على بهدايته للاسلام فاسلم بصيغة الماضي من الاسلام اي
هداه الله قريني للاسلام ببركة مقارنته له صلى الله عليه وسلم او هو مضارع مرفوع فاعله
ضميره صلى الله عليه وسلم اي سلمني الله منه وقال النصير الطوسي في شرح الاشارات في الحديث
ما من مولود يولد من بني آدم الا وله ومعه قرين من الشياطين ومنهم من انكر هذه الرواية وقال
الرواية الصحيحة فاسلم ومعناها ان الله اعانني عليه حتى اسلم من شره فان الشيطان لا يسلم
قط انتهى ومنهم من اوله فقال المراد بالشيطان القوة الغضبية والاسلام انقيادها للعقل
والنفس القدسية واليه ذهب الامام الغزالي رحمه الله في الاحياء ويجوز كون الروايتين بمعنى
على ان اسلم مضارع منصوب على نحو قوله ‌ والحق بالحجاز فاستريحا •
ولك ان تقول اعانني عليه بمعنى لم يسلطه علي فالمضارع منصوب في جواب النفي وقد يخرج
عليه البيت زاد غيره اي زاد غير سفيان راوي هذا الحديث فيه عن منصور بن المعتمر الذي
تقدم في جملة رواة هذا الحديث فلا يامرني هذا القرين الا بخير فصار قرينه صلى الله عليه
وسلم قرين خير وروي عن عائشة رضي الله عنها بمعناه وروي اي عن عائشة رضي الله عنها
فهو بيان لما قبله فاسلم بضم الميم وهمزة المتكلم مضارع مرفوع اي فانا اسلم منه وفي نسخة
اي فاسلم انا منه ومن وسوسته وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها على الرواية الاولى
ولم يرجح المحدثون وقد تقدم في كلام الطوسي وهو ليس من فرسان هذا الميدان وروي بالبنا

للمجهول والرواية في صحيح البخاري **فاسلم** بصيغة الماضي يعني القرين تفسير لضمير
الفاعل المستتر فيه **ومعنى اسلم انه استسلم عن حاله كعزم** بناء على ان الشياطين منهم
من يسلم وقوله **الى الاسلام** متعلق بانتقل اي تحول من حال الى اخرى فصار **لا يامر الا بخير
كالملك** القرين الموكل به **وهو** اي هذا المعنى وانتقاله من الكفر الى الاسلام **ظاهر
الحديث** المفهوم من سياقه بل نيل قوله **ورواه بعضهم فاستسلم** اي انقاد وكف عن
الوسوسة قال ابن الاثير رواية اسلم بفتح الميم يشهد لها ما روي كان شيطان آدم كافرا
وشيطاني مسلما وفي رواية حتى اسلم ورواية مسلم بضم الميم والمصنف مرجح لرواية الفتح
وفي الحديث ثلاث روايات واسلم جاء بمعنى استسلم وانقاد ايضا قيل انه قد تقدم
ان الشيطان ممنوع من التسلط بالاذى على المؤمنين وفيه انا نجد منهم من حصل له مس وخطف
كتميم رضي الله عنه فلعله لتقدم سبب يمنع من حفظه انتهى ولا يخفى انه في حق الانبيا محقق
وفي غيرهم اغلبي والنادر لا حكم له والقرين الملازم ولذا سميت الزوجة قرينة وقدم قرين
الجن لمناسبة المقام له وحديث عايشة في مسلم قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
من عندها ذات ليلة فغرت فلما جاء قال ما لك يا عايشة اغرت فقالت كيف لا يغار مثلي
على مثلك فقال هذا من شيطانك قلت او معي شيطان يا رسول الله قال نعم ولكن الله اعانني
عليه حتى اسلم قال الخطابي رحمه الله الصحيح المختار عندهم ورجح القاضي عياض الفتح وهو
المختار لقوله ولا يامر الا بخير واختلفوا في الفتح فقيل اسلم بمعنى استسلم كما رواه مسلم وقيل
معناه صار مسلما وهو الظاهر انتهى وايد هذا بما اخرجه البيهقي وابن الجوزي في الوفا
عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال فضلت على آدم بخصلتين كان
شيطاني كافرا فاعانني الله عليه حتى اسلم وكن ازواجي عونا لي وكان شيطان آدم كافرا
وكانت زوجته عونا على خطيئاته وقد اشار الى ذلك الصرصري رحمه الله في نونيته بقوله

في خصلتين تفرق آدم فيهما • وهما لاهل الحق واضحتان •
شيطان آدم كافر يغوي وقد • وصلت هدايته الى الشيطان •
ولزوجه عون عليه وانه • بنسائه قد كان خير معان •

ونقل الشيخ محمد الشامي في سيرته عن المطلع ما اسلم من الشياطين الا شيطانان شيطان
نبينا صلى الله عليه وسلم وشيطان نوح عليه السلام وقال بعضهم بل سائر الانبيا
على هذا المنوال فتدبر **قال القاضي ابو الفضل** مصنف هذا الكتاب رحمه الله **فاذا كان
هذا حكم شيطانه** صلى الله عليه وسلم في احتياجه الى اعانة الله له عليه حتى يسلم منه **وحكم
قرينه** من الجن الذي وكل به وهو عطف تفسير لما قبله ووصفه بقوله **المسلط على كل
احد من بني ادم** وفي نسخة المسلط على بني آدم والمراد المسلط نوعه وجنسه لان
قرينه مختص به **فكيف الظن بمن بعد منه** ولم يقارنه من الشياطين ايتوهم احد انه لا
يسلم منه فعدم تسلطه معلوم بالطريق الاولى لانه لا يقدر على الدنو منه **وهو لم يلزم
صحبته** لان الله لم يجعله قرينا له اذ القرين معناه الملازم للصحبة كما تقدم **ولا اقدر** بضم
الهمزة والبنا للمفعول اي لم يجعله الله قادرا **على الدنو** والقرب **منه** صلى الله عليه وسلم
لعصمة الله له عن تسلطه عليه وعلى سائر الانبياء وخلص عباد الله **وقد جاءت الآثار**
والاحاديث المروية عنه صلى الله عليه وسلم **بتصدي** اي تعرض **الشياطين له** صلى الله عليه وسلم

في غير موطن اي في مواضع كثيرة كالصلاة وغيرها **رغبة** مفعول له او حال **في اطفاء
نوره** ويابى الله الا ان يتم نوره **واماتة نفسه** اي اهلاكه او صده عما هو مشغول به
من العبادة **وادخال شغل عليه** اي بالوسوسة المانعة عن الفكر فيما فيه صلاحه وصلاح
امته فعلوا ذلك **اذ يئسوا من اغوائه** واضلاله عن طريق الحق **فانقلبوا** اي رجعوا عما
تصدوا له **خاسرين** خايبين لعدم قدرتهم عليه صلى الله عليه وسلم وعلى الغرض منه **كتعرضه**
اي تعرض الشيطان له صلى الله عليه وسلم وهو مستغرق بالتوجه اليه **في صلاته فاسره**
اي اخذه وقهره باستيلائه عليه قهرا وبينه بقوله **ففي الصحاح** اي الاحاديث الصحيحة المروية
في البخاري ومسلم وغيرهما **قال ابو هريرة** في حديث رواه **عنه** صلى الله عليه وسلم **ان
الشيطان تعرض لي** وفي نسخة عرض لي اي اتاني ووقف عندي **قال عبد الرزاق** بن
همام الامام الحافظ كما تقدم في ترجمته وهذا في زيادته على الصحيحين **في صورة هر**
وهو السنور الذي يقال له القط والشياطين تتمثل باي صورة ارادت من صور الحيوان
وغيره **فشد علي** اي حمل ووثب وثبة علي يقال شد يشد بكسر الشين المعجمة وضمها
اذا حمل على العدو ونحوه **يقطع علي الصلاة** اي يبطل صلاتي باخراجي منها واصله
ليقطع علي الخ او اراد ان يقطع صلاتي وليفسدها **فامكنني الله منه** اي اقدرني عليه
ومكنني من اخذه وقهره **فذعته** بفاء ودال مهملة ومعجمة وعين مهملة ومعجمة ويقال
ذاته بدال مهملة ومعجمة وهمزة اي خنقته وعصرته حتى صرعته وروي فاخذت بحلقه
واصل الذعت بمهملة ومعجمة الدفع بعنف والمعك في التراب كما في النهاية وفي غيرها انه
الغط في الماء والخنق الشديد وانكر الخطابي المهملة وصححه غيره **ولقد هممت ان اوثقه**
اي اربطه والوثاق ما يشد به قال الله فشدوا الوثاق وهممت بمعنى عزمت ولو نويت
الى سارية وروي بسارية من سواري المسجد والسارية العمود المنصوب ليوضع عليه
سقف ونحوه وكان ذلك ليلا في تهجده ولذا قال **حتى تصبحوا** اي تدخلوا في وقت
الصباح **تنظرون اليه فذكرت قول اخي سليمان** عليه الصلاة والسلام والاخوة
هنا المراد بها اخوة النبوة لانها تطلق على المشابهة والمشاركة في امر ما **رب اغفر لي
وهب لي ملكا الآية** لان الملك الذي اعطاه الله ملك الانس والجن والدنيا كلها وليس
طلب سليمان لذلك محبة للدنيا وزينتها انما هو لاجل ان يتم له اعلاء كلمة الله وتنفيذ
امره وقدم الدعا بالمغفرة عليه لانه ادعى للاجابة وللاشارة الى ان القيام باعباء الملك
والنبوة شاغل عن العبودية وهو عنده صلى الله عليه وسلم كالذنب **فرده الله** اي رد
ذلك الشيطان **خاسيا** اي خايبا حقيرا لعدم ظفره بما اراد ومنه قولهم للكلب اخسا
لانها تدل على الطرد مع التحقير قال الخطابي هذا يدل على ان سليمان واصحابه كانوا يرون
الجن على خلقتهم الاصلية فيجوز وقوعه لغيرهم فان قلت كيف ياتي الشيطان لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد قال لو سلك عمر فجا لم يسلكه الشيطان فكيف يخاف عمر ولا
يخاف النبي صلى الله عليه وسلم حين يتغلب عليه قلت عمر رضي الله عنه لما لم يكن
معصوما محفوظا من الجن حفظه الله بالقاء الرعب منه في قلوبهم لحدته وشدته والنبي
صلى الله عليه وسلم معصوم من الجن والانس فلو سلكوا فجه اخذ واو اوثقوا ويكون ذلك
معجزة له صلى الله عليه وسلم لا تليق بغيره كما قيل وفي شرح مسلم للنووي ان سليمان

عليه الصلاة والسلام اختص بهذا عن غيره فامتناعه صلى الله عليه وسلم عن امساكه
اما لانه لم يقدر عليه لذلك او قدر وترك تواضعا وتادبا منه وكونه لم يقدر عليه يرده
قوله امكنني الله منه **وفي حديث ابي الدردا عنه صلى الله عليه وسلم** الذي رواه البيهقي
عن عبد الله بن عبد الرحمن بن جبير وابو الدردا هو عويمر واختلف في اسم ابيه على اقوال
فقيل عامر وقيل مالك وقيل قيس وقيل ثعلبة وهو انصاري خزرجي اسلم عقب بدر
وتوفي سنة اثنين وثلاثين واخرج له احمد والستة وله مناقب مشهورة **ان عدو الله**
ابليس جاني بشهاب اي شعلة من نار **ليجعله في وجهي** اي يلقيه علي ليقطع صلاتي
والنبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة جملة حالية او معترضة في كلام ابي الدردا **وذكر**
ابو الدردا **تعوذه** صلى الله عليه وسلم **بالله منه** اي قوله صلى الله عليه وسلم اعوذ بالله
منك **ولعنه له** وقوله **ثم اردت اخذه** مصدر مفعول لاردت وفي نسخة اخذه مضارع
بتقدير ان كما في بعض النسخ **وذكر نحوه** اي نحو قول ابي الدردا كهممت ان اوثقه وفاعل
ذكر النبي صلى الله عليه وسلم **وكذا قال** وفيه تقدير اي لولا ولو تمنته **لاصبح موثقا** اي
مربوطا **يتلاعب به ولدان اهل المدينة** والولدان بكسر الواو جمع وليد وهو الصبي
الصغير وهذا الحديث في مسلم وفيه مسايل فقهية منها ان الدعا على غيره بالخطاب لا يبطل
الصلاة لقوله فيه لعنك الله ان لم نقل انه مخصوص به صلى الله عليه وسلم او قبل تحريم
الكلام وان الجن ترى بخلقتها الاصلية وقوله تعالى انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم
اغلبي وقد قيل انه مخصوص بالانبيا كرؤية الملك قال الشافعي ومن زعم انه يراهم ردت
شهادته وعزر لمخالفته القرآن وقال النووي اخذ منه قول من منع التفضيل بين الانبيا
عزر لمخالفته القرآن وحمل بعضهم كلام الشافعي على زاعم رؤية صورهم التي خلقوا عليها
واستشكل ما ذكر شيخنا ابن قاسم بان غاية ما في الاية اثبات حالة مخصوصة وهي تمكنهم
من رؤيتنا في حالة لا نراهم فيها وليس فيها عموم ولا حصر وذلك لا ينافي ان لنا حالة اخرى
نراهم فيها خصوصا وقد وردت الادلة برؤيتهم **وكذلك** اي مثل حديث ابي الدردا ما روي
في حديثه صلى الله عليه وسلم الوارد **في الاسرا او طلب عفريت له** صلى الله عليه وسلم
وطلبه هنا بمعنى توجهه نحوه ليرميه **بشعلة من نار فعلمه جبريل ما يتعوذ به منه**
بان قال له قل اعوذ بالله منك فانه حرز له **وذكره** اي امر الشيطان معه في الاسرا وتعليم
جبريل له الامام مالك **في الموطا** وهذا كان قبل صعوده صلى الله عليه وسلم للسما وكونه
قصد بتعليم جبريل له لا معنى له والعفريت الشرير الخبيث المتمرد من الجن واطلاقه على غيرهم
مجاز والكلام على اشتقاقه وغيره مبسوط في كتب اللغة وما علمه له جبريل هو قوله اعوذ
بوجه الله الكريم وكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السما
وشر ما يعرج فيها وشر ما ذرا في الارض وشر ما يخرج منها وشر فتن الليل والنهار وشر طوارق
الليل الا طارقا يطرق بخير وقال له اذا قلتهن اطفات ناره **ولما لم يقدر الشيطان على اذاه**
اذ لم يصل اليه ولم يسلط عليه لعصمة الله له بمباشرته اي بالقرب منه جل لانها في
الاصل ملامسة البشرة وهي ظاهر البدن **تسبب بالتوسط الى عداه** بكسر العين وضمها
اسم عدو اي لما لم يصل اليه ابتدا وكان متمكنا من الوصول لاعاديه وهم الكفرة جعلهم
واسطة وسببا لايصال الاذى اليه باغوايهم وتحريضهم على اذيته واغرايهم عليه

كقصته

كقصته صلى الله عليه وسلم **مع قريش** بعد موت ابي طالب لما جد صلى الله عليه وسلم في
دعوتهم وانذارهم **في الايتمار** هو افتعال من الامر ومعناه المشاورة في المهم **بقتل النبي**
صلى الله عليه وسلم وهو رايهم الذي استقروا عليه **وتصوره** اي ظهور ابليس لعنه
الله **في صورة الشيخ النجدي** نسبة لنجد وهي ارض فوق تهامة وانما تصور بصورة شيخ
لما يعلمونه من تجربة الشيوخ وحسن رايهم وكانت صورته صورة نجدي لانهم لما اجتمعوا
بدار الندوة قالوا لا يدخلن عليكم ومعكم في الشورى احد من اهل تهامة لان هواهم مع محمد
ولما ورد في الحديث انها محل الفتن ومنها نجم قرن الشيطان وكان وقف بباب دار الندوة وهي
دار قصي التي كانوا يجتمعون فيها لما يهمهم فقالوا له من انت قال شيخ من نجد رايت اجتماعكم
للشورى ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال ابو البختري ارى ان تحبسوه في دار تشدوا امنا
غير كوة تلقون منها طعامه وشرابه فقال الشيخ بئس الراي ياتيكم من يقاتلكم ويخرجه منها
فقال الاسود بن ربيعة ارى ان تخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما يصنع فقال الشيخ بئس
الراي اذا اخرجتموه يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل ارى ان تاخذوا من كل
بطن غلاما معه سيف فيضربونه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبايل فلا يقوى بنو
هاشم على حرب قريش كلهم فيقتلوه اي فيرضوا منا بالدية فقال الشيخ صدق الغلام فتفرقوا
على رايه فاخبره جبريل عليه الصلاة والسلام بذلك ونزل عليه واذ يمكر بك الذين كفروا
ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك الاية وامره بالهجرة فكان ما فصل في السير **و** تصور الشيطان
مرة اخرى في غزوة يوم بدر في حديث رواه ابن ابي حاتم عن ابن عباس كما قاله السيوطي
رحمه الله ولم يورد الحديث **في صورة سراقة بن مالك** الذي قدمنا ترجمته **وهو قوله اذ**
زين لهم الشيطان اعمالهم الاية وكان من امره ما رواه البيهقي رحمه الله في دلايله ان
الشيطان تمثل لكفار قريش ببدر في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الكناني وكانت قريش
تخاف من بني بكر ان ياتوهم من خلفهم لانهم كانوا قتلوا رجلا منهم فقال لهم ما اخبر الله به من
لقائه الشيطان لهم انهم لا يهزمون وهم يقاتلون عن دين ابائهم وكان تمثل مع جنده لهم بصورة
قوم من بني مدلج فيهم سراقة انى لا امداد لهم فقال الشيطان لهم لا غالب لكم اليوم من الناس
واني جار لكم فامدهم الله بجنود من الملايكة فلما راهم ابليس ولى عنهم فقالوا له انك جار لنا
فقال اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله اي هلاكه لي ولجندي وهو احد الوجوه في الاية
واليه اشار المصنف رحمه الله وقيل المراد وسوسته لهم بما ذكر **و** تصور الشيطان ايضا **مرة اخرى**
ينذر قريشا او نحوهم **بشانه** اي بامره صلى الله عليه وسلم **عند بيعة العقبة** وهي منى
السفلى التي بايعه الانصار عندها قبل الهجرة ثلاث مرات كما فصل في السير والمراد البيعة
الثالثة وكان الانصار بايعوه صلى الله عليه وسلم بها بمحل فيه الان مسجد يسمى مسجد البيعة
فلما راى ذلك الشيطان صرخ باعلى صوته هذا محمد ومعه الصباة قد اجمعوا على حربكم
فقال صلى الله عليه وسلم لما سمعه هذا ازب العقبة اي شيطانها واصله الازب بهمزة
وزاي معجمة مفتوحتين الكثير الشعر سمي به الشيطان وتفصيله في السيرة ايضا **وكل هذا المذكور**
من امر الشيطان الذي تعرض فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر **فقد كفاه الله امره**
الفا زايدة في الخبر او هو بتقدير اما او توهمها وعلى ما في بعض النسخ وقد بالواو الخبر مقدر
اي وقع حفظه فيه **وعصمه ضره** بفتح الضاد اي ضرره وضمها غير مناسب هنا والضمير

لكل او للشيطان وشره كما كفي سائر الانبيا عليهم الصلاة والسلام اذ عصمهم منه وقد
قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه ان عيسى
نبي الله عليه الصلاة والسلام كفي بالبنا للمجهول اي كفاه الله وحفظه من لمسه اي
من ان يلمسه او يمسه كما ياتي بيانه والضمير للشيطان للعلم به من السياق فجاء الشيطان
عيسى عليه السلام حين ولادته ليطعن اي لينخسه ويمسه بيده في خاصرته بخا معجمة
وصاد مهملة هي جانبه مما فوق اضلاعه وهي الشاكلة ايضا حين ولد فطعن في الحجاب
اي في شي حجبه عن الوصول للمس جسده قيل هو المشيمة وقيل هو ما لف فيه وقيل انه امر حجبه
الله به عنه او حجبته امه مريم عنه والفا سببية اي بسبب كفاية الله له وقع طعنه في
الحجاب والحديث كل بني آدم يطعنه الشيطان في جنبه باصبعه حين يولد غير عيسى
عليه الصلاة والسلام ذهب ليطعنه طعن في الحجاب وفي رواية ما من مولود يولد الا
والشيطان يمسه حين يولد ويستهل صارخا من مس الشيطان الا مريم وابنها وهو المذكور
في آية اني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وليس هذا مخصوصا بعيسى كما يتوهم
من ظاهره وفي شرح مسلم عموم عدم طعن ابليس وغنسه لم يقم عليه دليل غير عصمة الانبيا
ولا يلزم منه ان لا يمس انما يلزمه عدم الاغوا والاذية لهم ولا يلزم من اختصاص عيسى بهذه
المنقبة تفضيله على نبينا صلى الله عليه وسلم وكرامة تقدمه مما يدل عليه دلالة ظاهرة
فقد يخص الله بعض عباده بامر لم يكن لا فضل منه نعم حديث مولده صلى الله عليه وسلم الدال
على انه لم يستهل دال على انه لم يستهل صارخا فاختصاص عيسى وامه انما هو بالنسبة لمن تمكن
الشيطان من القرب منه لا لمن امتلات الارض بالملايكة الحافين به فتدبر ولما ساق مسلم
حديث ما من مولود يولد الا نخسه الشيطان فيستهل صارخا من نخسه قال القرطبي في شرحه
اي في اول وقت الولادة يسلط عليه بنخسه الا مريم وابنها عليهما الصلاة والسلام لدعوة
امها بقولها اني اعيذها بك الاية وامها امراة عمران وهي حنة بنت فاقود وهو عام
شامل للانبيا عليهم الصلاة والسلام والاوليا ومع ذلك عصمهم الله منه لقوله ان عبادي
ليس لك عليهم سلطان ولكل قرين من الشياطين وقد خص الله نبينا صلى الله عليه وسلم
بان اسلم قرينه فلا يامر الا بخير وهذه لم يوتها غيره انتهى وقد تقدم ما في ذلك ثم قال
وقول مسلم صياح المولود نزغة من الشيطان روي بنون وزاي وغين معجمتين وروي فزعة
بفا وعين مهملة وللزمخشري في تاويل الحديث تخيل يا باه للحق الصريح فان اردته فانظر
الكشاف وشروحه وقال صلى الله عليه وسلم حين لد بالبنا للمجهول من اللدود بفتح اللام
ودال مهملتين بينهما واو دوا يمايل من ماء واجزا حارة يوضع في احد شقي الفم بتجرعه
به ثم يشربه واسما الادوية بهذه الزنة كالسعوط ولما لدوه صلى الله عليه وسلم قال
لا يبقى احد في البيت الا لد عقوبة له لما نالهم في مرضه الذي مات فيه والاضافة فيه
للعهد وقيل له خشينا اي خفنا عليك ان يكون بك اي وقع بك واصابك ذات
الجنب وهو اسم لمرض يكون في باطن الجنب كالدمل ينفجر في الداخل وذو الجنب من تشكى منه
ويقال الدبيلة ولذا انث وهو مخوف قل من يسلم منه فهو موتث باعتبار انه سمي دبيلة لا لانه
لا يصدر الا مرة واحدة كما قيل الا انه امر تبع فيه الشراح بعضهم بعضا وهو مخالف لما في
الاطبا فان الدبيلة مرض في الكبد وذكر بعض الاطبا انه قد يكون في المعدة وذات الجنب

فطعن

في الخاصرة واسمها يعرب عن معناها فقال صلى الله عليه وسلم انها اي ذات الجنب
من الشيطان اي وخز يصيب الناس من الشياطين كالطاعون لانه بسبب وسوسته
كما قيل وليست ايضا من طعنة المولود حين يولد ولم يكن الله لعصمته له ليسلط على
تعظيما له صلى الله عليه وسلم ومن اللطايف ما قلته مما جنا لبعض الاخوان وقد تزوج
بعجوزة هم
يا خليلي قد اصطفيت عجوزا • هي دا من المهمات الشد •
قال ذات الجنب ابتليت بها • ما لي لكن ودها وخصي الكن •
وهذا الحديث رواه في الموطا وقال السهيلي وذات الجنب تسمى الخاصرة وهي من سيي
الاسقام الذي استعاذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت تصيبه صلى الله عليه
وسلم فيظنها عرق الكلية وهو مرض آخر ومن هنا علم خطا من قال انها لا تصيبه الا مرة
كما تقدم وكانوا لما ارادوا ان يلدوه صلى الله عليه وسلم اشار اليهم بالمنع منه فظنوه كراهة
المريض للدوا فلما افاق قال لا يبق احد في البيت الا لد كما مر وكونها من الشيطان ومن
طعنه ورد في احاديث اخر واليه يومي قوله فان قيل فما معنى قوله واما ينزغنك
من الشيطان نزغ الاية فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم فان اصل معنى النزغ لغة ادخال
شي مفسد كالطعن كما ذكره الراغب فاتصال السوال بما قبله وبما عقد له الفصل في غاية
الظهور وان اطال فيه بعضهم بغير طايل يفيده وحاصله ان الله عصمه صلى الله عليه وسلم
من تسلط الشيطان عليه باذية او وسوسة وفي الاية ما يوهم خلافه وان كانت ان الشرطية
لا تقتضي الوقوع ولو سلم فالمراد امته بجعل ما يصيبهم كانه يصيبه واسناد النزغ للمصدر
مجازا كقوله جد جده واصل النزغ الطعن ثم شاع في كل مفسد فقد قال بعض المفسرين
في تفسير هذه الاية انها اي هذه الاية راجعة الى قوله تعالى قبل واعرض عن الجاهلين
ثم قال الله واما ينزغنك من الشيطان نزغ اي يستخفنك غضب اي لا تكافئ السفها
الذين خفت احلامهم اذا اغضبوك بمثل افعالهم واعرض عنهم ولذا قيل ان هذه الاية جامعة
لمكارم الاخلاق ولذا قال له جبريل لما ساله صلى الله عليه وسلم عنها ان الله امرك ان
تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عن من ظلمك يحملك على ترك الاعراض عنهم
لجزايك لهم بمثل فعلهم فاستعذ بالله اي قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا تطعه
وتفعل بنزغه وهذا من مكارم الاخلاق لا من امر ليسه فان الغضب على السفيه وجزاوه
بمثل فعله تاديبا له لا يعد من الامور الشيطانية والاستعاذة عند الغضب مشروع وعلى
هذا ليست الاية منسوخة باية القتال كما قيل وقيل النزغ هنا في هذه الاية الفساد مستعار
من النزغ بمعنى الطعن والنخس كما قال تعالى حكاية عن يوسف عليه الصلاة والسلام من بعد
ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي اي افسد ما بيني وبينهم بما حملهم عليه في قصته
معهم فالمراد هنا فساده بوسوسته له في حال غضبه وحمله على ما لا يليق به فاذا خطر
بباله ليستعيذ بالله طلبا للنجاة من كيده وقيل معنى ينزغنك يغرينك من الاغرا بغين
وراء مهملة وهو الحث والتحريض على امر ما ويحركنك بازعاجك للانتقام ممن اغضبك
والنزغ ادنى الوسوسة اي اقلها كحديث النفس والتفكر واصل معنى الوسوسة الصوت
الخفي ومنه قيل الصوت الحلي وسوسة كما قيل •
قالوا كلامك وسواس فقلت لهم • وقد يقال لصوت الحلي وسواس •

هذ

لكل اولى الشيطان وشره كما كفي سائر الانبيا عليهم الصلاة والسلام اذ عصمهم منه وقد
قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه ان عيسى
نبي الله عليه الصلاة والسلام كفي بالبنا للمجهول اي كفاه الله وحفظه من لمسه اي
من ان يلمسه او يمسه كما ياتي بيانه والضمير للشيطان للعلم به من السياق فجاء الشيطان
عيسى عليه السلام حين ولادته ليطعن اي لينخسه ويمسه بيده في خاصرته بخا معجمة
وصاد مهملة هي جانبه مما فوق اضلاعه وهي الشاكلة ايضا حين ولد فطعن في الحجاب
اي في شي حجبه عن الوصول للمس جسده قيل هو المشيمة وقيل هو ما لف فيه وقيل انه امر حجبه
الله به عنه او حجبته امه مريم عنه والفا سببية اي بسبب كفاية الله له وقع طعنه في
الحجاب والحديث كل بني آدم يطعنه الشيطان في جنبه باصبعه حين يولد غير عيسى
عليه الصلاة والسلام ذهب ليطعنه طعن في الحجاب وفي رواية ما من مولود يولد الا
والشيطان يمسه حين يولد ويستهل صارخا من مس الشيطان الا مريم وابنها وهو المذكور
في آية اني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وليس هذا مخصوصا بعيسى كما يتوهم
من ظاهره وفي شرح مسلم عموم عدم طعن ابليس ونخسه لم يقم عليه دليل غير عصمة الانبيا
ولا يلزم منه ان لا يمس انما يلزمه عدم الاغوا والاذية لهم ولا يلزم من اختصاص عيسى بهذه
المنقبة تفضيله على نبينا صلى الله عليه وسلم وذكر امه معه مما يدل عليه دلالة ظاهرة
فقد يخص الله بعض عباده بامر لم يكن لافضل منه نعم حديث مولده صلى الله عليه وسلم الدال
على انه لم يستهل دال على انه لم يستهل صارخا فاختصاص عيسى وامه انما هو بالنسبة لمن تمكن
الشيطان من القرب منه لا لمن امتلات الارض بالملايكة الحافين به فتدبر ولما ساق مسلم
حديث ما من مولود يولد الا نخسه الشيطان فيستهل صارخا من نخسه قال القرطبي في شرحه
اي في اول وقت الولادة يسلط عليه بنخسه الا مريم وابنها عليهما الصلاة والسلام لدعوة
امها يعني قولها اني اعيذها بك الآية وامها امراة عمران وهي حنة بنت فاقوذ وهو عام
شامل للانبيا عليهم الصلاة والسلام والاوليا ومع ذلك عصمهم الله منه لقوله ان عبادي
ليس لك عليهم سلطان ولكل قرين من الشياطين وقد خص الله نبينا صلى الله عليه وسلم
بان اسلم قرينه فلا يامر الا بخير وهذه لم يوتها غيره انتهى وقد تقدم ما في ذلك ثم قال
وقول مسلم صياح المولود نزغة من الشيطان روي بنون وزاي وغين معجمتين وروي فزعة
بفا وعين مهملة وللزمخشري في تاويل الحديث تخيل باباه للحق الصحيح فان اردته فانظر
الكشاف وشروحه وقال صلى الله عليه وسلم حين لد بالبنا للمجهول من اللدود بفتح اللام
ودال مهملتين بينهما واو دوا يصب من ما واجزا حارة يوضع في احد شقي الفم بتجرعه
ثم يشربه واسما الادوية بهذه الزنة كالسعوط ولما لد صلى الله عليه وسلم قال
لا يبقى احد في البيت الا لد عقوبة له لما انا لم في مرضه الذي مات فيه واو اضافه فيه
للعهد وقيل له خشينا اي خفنا عليك ان يكون بك اي وقع بك واصابك ذات
الجنب وهو اسم لمرض يكون في باطن الجنب كالدمل ينفجر في الداخل وذو الجنب من يشتكي منه
ويقال له الدبيلة ولذا انث وهو مخوف قل من يسلم منه فهو مونث باعتبار انه سمي دبيلة لا لانه
لا يصدر الا مرة واحدة كما قيل الا انه امر يتم فيه السراح بعضهم بعضا وهو مخالف لما قرره
الاطبا فان الدبيلة مرض في الكبد وذكر بعض الاطبا انه قد يكون في المعده وذات الجنب

قطعن

في الخاصرة واسمها يعرب عن معناها فقال صلى الله عليه وسلم انها اي ذات الجنب
من الشيطان اي وخزة يصيب الناس من الشياطين كالطاعون لانه لسبب وسوسته
كما قيل وليست ايضا من طعنة المولود حين يولد ولم يكن الله لعصمته له ليسلط على
نبينا الله صلى الله عليه وسلم ومن اللطايف ما قلته مما حنا لبعض الاخوان ... [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم
تبت يدا ابي لهب اللهم التقمه منه انتقامك
اقهره بقهرك يا قهار وتب ما اغنى عنه
ماله وما كسب اللهم رميت من بحرك
يا قهار سيصلى نارا ذات لهب اللهم كفيه
بما نبته اقهره بقهرك يا قهار وامراته حمالة
الحطب في جيدها حبل من مسد غضب الله
عليه والله عزيز ذو انتقام الله واحد قهار
اللهم شدد اعداهم قلب تدبيرهم وزلزل
اقدامهم واقصر امرهم واقطع لا يطاق
انتقامه يا منتقم

بالد ليـ[illegible]
ورا مهملة [illegible]
والنزغ اد في الوسوسة [illegible] افلها عن [illegible]
الخفي ومنه قيل الصوت الحلي وسوسة كما قيل
• قالوا كلامك وسواس فقلت لهم • وقد يقال لصوت الحلي وسواس •

لكل او للشيطان وشره كما كفي سائر الانبيا عليهم الصلاة والسلام اذ عصمهم منه وقد
قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه ان عيسى
نبي الله عليه الصلاة والسلام كفي بالبنا للمجهول اي كفاه الله وحفظه من لمسه اي
من ان يلمسه او يمسه كما ياتي بيانه والضمير للشيطان للعلم به من السياق فجاء الشيطان
عيسى عليه السلام حين ولادته ليطعن اي لينخسه ويمسه بيده في خاصرته بخا معجمة
وصاد مهملة هي جانبه ما فوق اضلاعه وهي الشاكلة ايضا حين ولد فطعن في الحجاب
اي في شي حجبه عن الوصول للمس جسده قيل هو المشيمة وقيل هو ما لف فيه وقيل انه امر حجب
الله به عنه او حجبته امه مريم عنه والفا سببية اي بسبب كفاية الله له وقع طعنه
الحجاب والحديث كل بني آدم يطعنه الشيطان في جنبه باصبعه حين يولد غير عيسى
عليه الصلاة والسلام ذهب ليطعنه فطعن في الحجاب وفي رواية ما من مولود يولد الا
والشيطان يمسه حين يولد ويستهل صارخا من مس الشيطان الا مريم وابنها وهو المذكور
في آية اني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وليس هذا مخصوصا بعيسى كما يتوهم
من ظاهره وفي شرح مسلم عموم عدم طعن ابليس وغنسه لم يقم عليه دليل غير عصمة الانبيا
ولا يلزم منه ان لا يمس انما يلزمه عدم الاغوا والاذية لهم ولا يلزم من اختصاص عيسى بهذه
المنقبة تفضيله على نبينا صلى الله عليه وسلم وذكرامه معه مما يدل عليه دلالة ظاهرة
فقد يخص الله بعض عباده بامر لم يكن لافضل منه نعم حديث مولده صلى الله عليه وسلم الدال
على انه لم يستهل دال على انه لم يستهل صارخا فاختصاص عيسى وامه انما هو بالنسبة لمن تمكن
الشيطان من القرب منه لا لمن امتلات الارض بالملايكة الحافين به فتدبر ولما ساق مسلم
حديث ما من مولود يولد الا نخسه الشيطان فيستهل صارخا من نخسه قال القرطبي في شرحه
اي في اول وقت الولادة يسلط عليه بنخسه الا مريم وابنها عليهما الصلاة والسلام لدعوة
امها يعني قولها اني اعيذها بك الآية وامها امراة عمران وهي حنه بنت فاقود وهو عام
شامل للانبيا عليهم الصلاة والسلام والاوليا ومع ذلك عصمهم الله منه لقوله ان عبادي
ليس لك عليهم سلطان ولكل قرين من الشياطين وقد خص الله نبينا صلى الله عليه وسلم
بان اسلم قرينه فلا يامر الا بخير وهذه لم يوتها غيره انتهى وقد تقدم ما في ذلك ثم قال
وقول مسلم صياح المولود نزغة من الشيطان روي بنون وزاي وغين معجمتين وروي فزعه
بفا وعين مهملة وللزمخشري في تاويل الحديث تخيل يا باه للحق الصحيح فان اردته فانظر
الكشاف وشروحه وقال صلى الله عليه وسلم حين لد بالبنا للمجهول من اللدود بفتح اللام
ودال مهملتين بينهما واو دوا يعالج من داء واجزا حارة توضع في احد شقي الفم يتعرغر
به ثم يسر به واسما الادوية بهذه الزنة كالسعوط ولما لد وهو صلى الله عليه وسلم قال
لا يبقى احد في البيت الا لد عقوبة له لما نالهم في مرضه الذي مات فيه والاضافة فيه
للعهد وقيل له خشينا اي خفنا عليك ان يكون بك اي وقع بك واصابك ذات
الجنب وهو اسم لمرض يكون في باطن الجنب كالدمل ينفجر في الداخل وذو الجنب من يشتكي منه
ويقال له الدبيلة ولذا انث وهو مخوف قل من يسلم منه فهو مونث باعتبار انه سمي دبيلة لالانه
لا يقصد للامرة واحدة كما قيل الا انه امر يتم فيه الشراح بعضهم بعضا وهو مخالف لما قاله
الاطبا فان الدبيلة مرض في الكبد وذكر بعض الاطبا انه قد يكون في المعدة وذات الجنب

في الخاصرة واسمها يعرب عن معناها فقال صلى الله عليه وسلم انها اي ذات الجنب
من الشيطان اي وخزة يصيب الناس من الشياطين كالطاعون لانه بسبب وسوسته
كما قيل وليست ايضا من طعنة المولود حين يولد ولم يكن الله لعصمته له ليسلط على
نبينا له صلى الله عليه وسلم ومن اللطايف ما قلته مما جنا لبعض الاخوان وقد تزوج
بعجوزة هم

يا خليلي قد اصطفيت عجوزا • هي دا من الممات اشد •
قال ذات الجنب ابتليت بها • ما لي لد ودلها وخصم الد •

وهذا الحديث رواه في الموطا وقال السهيلي وذات الجنب تسمى الخاصرة وهي من سي

تبت يدا ابي لهب اللهم النقمة منه و
انتقامك اقهره بقهرك يا قهار وتب
ما اغنى عنه ماله وما كسب اللهم
رميت لا يفوتك يا قهار سيصلى نارا
ذات لهب اللهم كفيه بما و
تبته اقهره بقهرك يا قهار وامراته
حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد
غضب الله عليه والله عزيز ذو انتقام
الله واحد القهار اللهم شتت اعداهم
قلب تدبيرهم وزلزل اقدامهم واقصر
امرهم واقطع لا يطاق انتقامه
يا منتقم

وهذا تقول له العامة وسواس بالاعجام فامره الله في هذه الآية انه متى نزغك اي
طرا عليه وعرض له غضب على عدوه لسوء ما صدر منه او رام الشيطان من اغرايه
به وايقاع به لحمله على قتله فهو بغين معجمة وراء مهملة وفي نسخة اغواته بغين مهملة
ونون وما في بعض النسخ من اغرايه بغين وزاي معجمتين فهو تحريف من النساخ والصواب
الاول وخواطر ادنى اي اقل وساوسه جمع وسواس بما لم يجعل له سبيل اليه اي جاه
من التلبس به له لعصمته منه ان يستعيذ منه بقبول امره لان مجرد الوسوسة والخطر
بالبال لا يضر في عصمته صلى الله عليه وسلم وان كان امرا ممنوعا وهذه الاية في سورة
الاعراف وهي المذكورة هنا ووقعت في سورة فصلت مسبوقة بقوله ادفع بالتي هي احسن
فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وهما متماثلان معنى وسياقا فيكفي
بالبنا للمجهول اي يكفي الله رسوله صلى الله عليه وسلم اذا استعاذ به والتجا اليه امره
اي امر الشيطان بوسوسته لصرفها عنه ويكون ذلك سبب تمام عصمته لعصمته
صلى الله عليه وسلم من مجرد الخواطر وهو نهاية الحفظ والعصمة اذ لم يسلط الشيطان
عليه باكثر من التعرض له فضلا عن التمكن منه وايصال اذيته له ولم يجعل له قدرة
عليه فيرجع خايبا خاسيا وقد قيل في هذه الاية غير هذا من التفاسير التي اقتصرنا
على ما يناسب غرضه فيما عقد له هذا الفصل وكذلك اي مثل ما ذكر من حفظ الله له عن
تسلط الشيطان عليه لا يصح ان يتصور له الشيطان في صورة الملك بان يتمثل
بمثاله ويقول له انا ملك ارسلني الله اليك لحفظ الله عنه ومنعه من ان ياتيه بهذه
الصورة وهذه شبهة اوردها منكروا النبوة بانه من اين يعلم ان الاتي له ملك بلغه
الوحي عن الله لم لا يجوز ان يكون جنيا ويلبس عليه امره فيلتبس الوحي بغيره لا يقع
ذلك في اول الرسالة اي في اول امره بدعوة الخلق الى الله ولا بعدها الظاهر بعده اي
بعد الاول في اثنايه والاعتماد اي اعتماده صلى الله عليه وسلم في حقية ما اتاه وعدم
احتماله لغيره في ذلك اي في عدم تلبيس الشيطان عليه وتصوره بصورة الملك دليل
المعجزة اي قوة يقينه دليل على انه معجزة له او هو يعتمد في انه امر الهي على ما ظهر له من
المعجزة كتسليم الحجر عليه واظلال الغمام له فمعنى قوله لا يصح اي لا يجوز عقلا ذلك
والقول بانه لا مدخل للعقل فيه وانه امر علم من الشرع ومعنى لا يصح اي ممنوع من جانب
الشرع كلام باطل بل لا يشك النبي صلى الله عليه وسلم ان ما ياتيه من الله الملك
فهذا هو الخبر او خبر بعد خبر ورسوله الذي ارسله الله اليه من رسل الملايكة حقيقة لا شبهة
وتلبيسا عليه من غير شك اما بعلم ضروري يخلقه الله له بل بهي غير محتاج لدليل لعدم
تردده فيه او برهان ودليل قطعي يظهره لديه مما يشاهده من معجزاته كنطق الحجر
وتسليم الشجر وكل ذلك لتتم كلمة ربك فتبلغ الغاية احكامه واخباره ومواعيده صدقا
في خبره له ووعيده وعدلا ما حكم به من احكامه التي بلغها وهما تمييزان محول لان عن الفاعل
او حالان لا مبدل لكلماته اي لا يمكن تغييرها ولا تنسخ بعد ما بلغت غاية لا تقبل
الزيادة عليها ولذا كانت شريعته صلى الله عليه وسلم آخر الشرايع وهذا التعليل لما ذكره
من حفظه صلى الله عليه وسلم من ان يتصور له الشيطان بصورة ملك فيكون ما يلقيه امر
مخلطا قابلا للتبديل والتغيير ولذا عقبه بقوله فان قيل فما معنى قوله تعالى وما ارسلنا

من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته الاية فينسخ الله
ما يلقي الشيطان ثم يحكم اياته والله عليم حكيم التمني هنا بمعنى التلاوة والامنية الكلام المتلو
لان التمني ما يتصوره الانسان في نفسه والمتلو كذلك فحاصل السوال المذكور انك قلت
ان الشيطان لا يتسلط على الانبيا عليهم وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام بوسوسته وهذه
الاية تدل على ان بين النبي والرسول فرقا وقد اختلفوا في الفرق بينهما بعد الاتفاق على
انهما من ينزل عليه الملك بالوحي والمشهور ان الرسول اخص من النبي وهو من يكون مامورا
بالتبليغ وله شرع جديد واشترط بعضهم ان يكون معه كتاب ويستعمل كل منهما بمعنى الاخر
فاجاب بقوله فاعلم ان للناس اي العلما لانهم هم الناس اقاويل جمع قول فهو
جمع الجمع منها اي من جملة هذه الاقاويل السهل والوعث اي ما هو ظاهر سهل فهمه ومنها
ما هو خفي يعسر فهمه وهو مستعار من المكان السهل وهو المنبسط الذي يسهل المشي فيه
والوعث المكان الكثير الرمل الذي يشق المشي فيه والارض وعثا ثم استعمل مجازا او استعارة
لمعنى الشاق ومنه ما ورد في الحديث اللهم اني اعوذ بك من وعثا السفر اي مشقته فهذه
الكلمة هنا موقعها ليس لمشقة فالمعنى منها ما هو ظاهر بتلكه الافهام بسهولة ومنها ما هو
صعب يشق على اقدام الافهام وهو بفتح الواو وسكون العين المهملة والمثلثة والسمين
مستعار من السمين وهو الممتلي باللحم والشحم والغث بفتح الغين المعجمة وتشديد المثلثة
ضده وهو الناقة المهزول استعير لما فيه فوايد جليلة ولما خلا عنها يعني ما جمع بين حسن
العبارة وجزالة المعنى واولى ما يقال فيها اي ما يقال في تفسيرها واولى بمعنى احق
بالقبول او بمعنى اقرب كما في قوله صلى الله عليه وسلم في حديث الميراث فلاولى رجل ذكر
اي اقرب وهو العصبة ما عليه الجمهور اي ما استقر عليه راي الجمهور اي الاكثر من المفسرين
ان التمني معناه هنا اي في هذه الاية التلاوة لانه تفعل من منى بمعنى قدر كما قال
الشاعر

لا تامنن وان امسيت في حرم • حتى تلاقي ما يمني لك الماني •

اي ما قدره لك المقدر والتمني امر يقدره المرء في نفسه وهو بمعنى تلا قال

• تمنى كتاب الله اول ليله • تمنى داود الزبور على رسل •

والقاء الشيطان في قوله القى الشيطان في امنيته اي متلوه شغله مصدر بوزن ضرب
مضاف لفاعله اي شغل الشيطان للتالي بخواطر اي امور دنيوية تخطر على قلبه فتشغله عما
تلاه واذكار جمع ذكر اي حديث نفس يذكره فيلهيه من امور الدنيا بيان لهما للتالي صفة لخواطر
واذكار اي كاينة وعارضة له حتى علة لتشغله يدخل مضارع ادخل وفاعله ضمير الشيطان
ومفعوله الوهم في قوله عليه اي على التالي الوهم اي الغلط او مضارع دخل والوهم فاعله
والنسيان في ما تلاه او يدخل عليه غير ذلك اي غير الوهم والنسيان على افهام السامعين
ويبين ما يدخل على افهام السامعين بقوله من التحريف لما تلاه عليهم وسوء التاويل
الناشي عن تحريف ما سمعوه ما يزيله الله بقوله القاء وينسخه اي يحوله من الباطل الى الحق
ويكشف لبسه اي يزيله ويبينه ويظهره ويحكم آياته اي يحققها ويبينها وسياتي
الكلام على هذه الاية مفصلا باشبع من هذا اي باكثر تفصيلا وهو استعارة من الشبع
ضد الجوع لان العلم غذاء الارواح وهذا التفسير هو المنقول عن السلف وهو احسن ما قيل
فيها كما قاله النحاس وهو المنقول عن ابن عباس كما سياتي وتفسير التمني بالتلاوة مشهور في اللغة

والتفسير وذكر الكسائي والفرا انه يقال تمنى اذا حدث نفسه قال القرطبي وهو المعروف في اللغة ومن قال انه لم يجده في كتب اللغة والذي فيها اعم منه فقد قصر فلقد صرح به الراغب في مفرداته فليت شعري ما هذه الكتب التي رآها وفتشها وليس هذا منافيا لما ذكره اولا من عصمة الانبيا عن الوساوس لان الذي عصم عنه الانبيا الخواطر القارة واما مجرد الخواطر فلا تضر ولا يقروا عليها وبه صرح الثعلبي في تفسيره وقد حكى الامام ابو الليث الحنفي السمرقندي وقد تقدمت ترجمته في تفسيره انكار قول من قال بتسلط الشيطان على ملك سليمان وغلبته عليه وهو جني اخذ خاتمه الذي يتصرف في ملكه به بامر الله وهرب سليمان عليه الصلاة والسلام الى ان رد الله عليه الخاتم فان ذلك الشيطان كان يسمى صخرا الى آخر ما ذكره القصاص من الخرافات في قصته وقد رده ايضا بان مثل هذا لا يصح وقد ذكرنا قصة سليمان مبينة بعد هذا وكذا قول من قال في هذه القصة ان الجسد الذي ذكره الله في قوله والقينا على كرسيه جسدا هو الولد الذي ولد له حين قال صلى الله عليه وسلم لاطوفن على نسائي هذه الليلة وتحمل كل واحدة منهن بذكر يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شا الله وكان له تسعون امراة فلم تحمل منهن غير واحدة بشق رجل واهل القصص ذكروا فيه غير ذلك كما سياتي ان شا الله تع وما ذكره السمرقندي هو المعتمد عند المفسرين وقد حكى ابو محمد مكي وقدمنا ترجمته في قصة ايوب نبي الله عليه الصلاة والسلام وهو كما قال ابن اسحاق ايوب بن ابوص بن رازح بن عيص بن اسحاق بن ابراهيم وقيل غير ذلك وكان في زمن يعقوب وتحته ابنته وابوه آمن بابراهيم وامه بنت لوط وقد فصل احواله صاحب مرآة الزمان وقيل انه بعد سليمان وقوله اني مسني الشيطان بنصب وعذاب اي الم ومشقة عظيمة ونصب بمعنى تعب يعني ما اصابه في بدنه وقرئ بضم وسكون وفيه قراآت اخر انه بالكسر مقول القول لا يجوز لاحد ان يتاول اي يفسر ما ذكر في هذه الآية برايه فيقول ان الشيطان هو الذي امرضه والقى الضر بالضم وهو المرض في بدنه لان الله تع عصم الانبيا عليهم الصلاة والسلام من اذيته وتسلطه عليهم ولا يكون اي لا يقع ولا يصح ذلك اي كون الشيطان امرضه الا استثنا منقطع اي لكن كل ما يصيبهم بفعل الله وامره اي تقديره ليبتليهم اي يوقع بهم بلا من مرض وغيره ويثيبهم اي يعطيهم ثوابا جزيلا على ما ابتلاهم وفي نسخة ويثبتهم من الثبات بمثلثة وموحدة ومثناة اي يصبرهم حتى يكون منهم ثبات على شكره والرضا بقضايه وهذا اشارة لما ذكر في القصص وبيان لرده وان ذكره بعض المفسرين لما في ظاهر الآية من اسناد ما مسه للشيطان وهو اسناد مجازي تادبا مع ربه في عدم اضافة الشر له لان كل ما صدر عنه خير من صدوره عنه والذي قالوه ان الشيطان حسد لما رآه من نعم الله عليه وكثرة تصدقه وكان ابليس لا يحجب عن السما فقال يا رب لو سلطتني عليه لكفر بك فقال اذهب فقد سلطتك على ماله واهله وجسده وكانت زوجته رحمة بنت لوط عليه الصلاة والسلام وقيل بنت افرائيم بن يوسف فاصابه قروح عمت بدنه واهلك ماله وولده ودوره وكان نفخ في بدنه فتقرح كله وقعد في الطريق يتطبب فقالت له زوجته ان هنا عندنا مبتلى فهل لك ان تداويه فقال نعم ان قال لي انت شفيتني فاخبرته زوجته بذلك فقال ويلك هو الشيطان ان عافاني الله لاجلدنك ماية جلدة

فكان ما كان من امر الصحف ثم اتاه جبريل عليه الصلاة والسلام وركض برجله فنبعت عين ماء اغتسل منه فرد الله عليه صحته وجماله وكان مدة بلائه سبع سنين وزيادة وقد ذكر ابن العربي هذه القصة وبين ما لم يثبت فيها قال مكي ان الذي اصابه من الشيطان ما وسوس به الى اهله اراد باهله زوجته رحمة ويصح ان يراد به ظاهره فهو على هذا لم يصب بشي في نفسه وانما اضاف ما اصاب اهله اليه مجازا وقد قدمنا ما وسوس به لاهله فان قلت فما معنى قوله تعالى عن يوشع نبي الله عليه الصلاة والسلام وهو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف بن يعقوب كان في زمن موسى عليه الصلاة والسلام وهو الذي اقام لبني اسرائيل احكام التورية بعده وقسم الشام بين بني اسرائيل وقاتل الجبارين وردت له الشمس كما مر وتفصيل احواله معلوم من التواريخ وهو فتى موسى المذكور في القرآن وما انسانيه الا الشيطان ووجه السوال انه نبي وقد سلط عليه الشيطان حتى انساه ذكره وسياتي جوابه وان اذكره بدل من مفعول انسانيه ومثله قوله تعالى عن يوسف فانساه الشيطان ذكر ربه وكذا قول نبينا صلى الله عليه وسلم حين نام عن الصلاة اي صلاة الصبح فنام حتى فاته وقتها فقضاها بعد طلوع الشمس في يوم الوادي متعلق بنام او بالصلاة وهو واد بقرب مكة وكان لما نزل به امر بلالا ان ينبههم اذا طلع الفجر فغفل عنه فنام صلى الله عليه وسلم حتى ادركه حر الشمس كما في الموطا وفي البخاري عن عمران بن حصين كنا في سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كنا في آخر الليل رقدنا رقدة لا رقدة احلى منها عند المسافر فما ايقظنا الا حر الشمس فكبر عمر رضي الله عنه حتى استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا قالوا له لو عرست بنا يا رسول الله فقال اخاف ان تناموا عن الصلاة فقال بلال انا اوقظكم فاضطجعوا واسند بلال ظهره لراحلته فغلبته عيناه فنام حتى طلعت الشمس وقال ما القيت علي نومة مثلها قط فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالارتحال عن الوادي ثم نزل فتوضا وصلى بهم وفي مصنف عبد الرزاق عن عطا بن يسار انه كان ببطن تبوك ونحوه في دلايل البيهقي وقيل انه كان بغزوة موتة فقال صلى الله عليه وسلم لما انتبه ان هذا واد به شيطان وفي هذا الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال ليأخذ كل رجل براس راحلته فان هذا منزل حضرنا فيه شيطان واخر الصلاة حتى خرجوا من ذلك الوادي كما مر اذ لم يكن تركها قصدا وانما تحول عن الوادي كراهة ما اصابه فيه من الغفلة ولانه يخشى فيه من اعراض المسلمين لا لان الوقت وقت كراهة فان قلت كيف هذا مع قوله صلى الله عليه وسلم تنام عيناي ولا ينام قلبي قلت اجاب عنه المصنف فيما ياتي وتبعه النووي بان القلب لا يدرك ما تدركه الحواس الظاهرة كالعين والاذن وانه صلى الله عليه وسلم كان له حالان في احوال وهو الاكثر ان قلبه لا ينام وفي بعض الاحيان ينام عينه وقلبه لعارض كتعب سفر ونحوه وفيه تشريع للقضا وتاخيره ولو كان قلبه الشريف يقظان لم يعذر صلى الله عليه وسلم في تاخير الصلاة والجواب الثاني هو الاولى وهذا الحديث له اصل ايضا في مسلم عن ابي هريرة وله طرق اخرى وقال القرطبي اخذ بعض العلما بظاهره فقال من انتبه من نومه عن صلاة فاتته في سفر فليتحول عن موضعه وقيل انما يستحب في ذلك الوادي بعينه كما في قصة آبار ثمود وقيل انه مخصوص به صلى الله عليه وسلم لان مثل ذلك لا يطلع عليه

غيره ولا بأس بالقول باستحبابه مطلقا وهو محدث لحديث البخاري من فاتته صلاة فليصلها
إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك وسيأتي ما فيه عند ذكر الجواب عنه وما معنى قول
موسى نبي الله صلى الله عليه وسلم في وكزه وفي نسخة وكزته والمعنى واحد والوكز الدفع
والضرب بجمع الكف ووكزه المراد به وكز القبطي المذكور في القرآن هذا الوكز من عمل
الشيطان وهو مقول القول وهو معصوم فكيف وقع منه ما وقع من قتل من لم يؤمر بقتله
فلذا سماه ظلما واستغفر منه ووجه السؤال ظاهر وكان موسى قبل النبوة يركب مع فرعون
في مواكبه إلا أنه لم يكن على دينه فلحقه مرة في وقت القايلة أو بين العشائين فدخل
مدينته منف في وقت غفلة فوجد رجلين يقتتلان أحدهما قبطي والآخر من بني إسرائيل
من قوم موسى فأراد القبطي أن يسخره بحمل متاع له فاستغاث بموسى لينصره عليه ونصرة
المظلوم واجبة في سائر الملل فوكزه بيده أو بعصا ليدفعه فقتله ولم يكن هذا ظلما منه
صلى الله عليه وسلم وإنما جعله من عمل الشيطان استعظاما لتركه الأولى ولم يضفه إلى الله تعالى
تأدبا منه فاعلم جواب الشرط في قوله إن قلنا أن هذا الكلام المذكور عن الأنبياء عليهم
الصلاة والسلام في السؤال قد يرد في القرآن والحديث ما هو أعم منه أو بمعناه في جميع
هذا المحكي عنهم على مورد مستمر بالإضافة لكلام أي طريق معروف في استعمال كلام
العرب أو هو فاعل يرد أي دأبهم في كلامهم ومعتادهم فيه والأول هو الظاهر وفاعل يرد
ضمير الكلام في وصفهم كل قبيح من شخص أو فعل بيان لكل قبيح كقبيح الشخص في منظره
والأفعال القبيحة الصادرة من الناس فيقولون للقبيح هو شيطان ويضيفون الأفعال
القبيحة له وقوله للشيطان يتعلق بوصفهم أو فعله مجرور معطوف على الشيطان فإذا
رأوا شخصا قبيحا قالوا هذا شيطان بالتشبيه البليغ وإذا رأوا فعلا قبيحا قالوا هذا
فعل الشيطان كما قال تعالى في شجرة الزقوم التي في جهنم طلعها كأنه رؤوس الشياطين
ما فيها مما يشبه طلع النخل فشبه ما يطلع منها تشبيها تخييليا بما لما استقر عندهم
من تشبيه كل قبيح بها وإن لم يروها كقول امرئ القيس ه

ومسنونة زرق كأنياب أغوال • كما بين في كتب المعاني وقيل الشياطين
حيات كثيرة هائلة وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان في المار بين يدي
المصلي فليقاتله فإنما هو شيطان والحديث رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي
الله عنه وفيه إذا صلى أحدكم إلى شيء يستره فأراد أحد أن يجتاز بين يديه فليدفع في نحره
فإن أبى فليقاتله فإنما هو شيطان والأمر للندب لا للوجوب وإنما يندب إذا كان بين
يديه سترة وإنما يفعل ذلك إذا لم يمر بأسهل الوجوه وذكر المقاتلة مبالغة في شدة
الدفع وإلا فالمقاتلة أفعال كثيرة لا تجوز في غير صلاة الخوف وقوله هو شيطان استعارة
تصريحية شبهه بالشيطان في صدور الأفعال القبيحة منه وقيل إنه مجاز مرسل لأن
الشيطان سبب لما فعله وأما كونه حقيقة لقوله شياطين الإنس والجن فليس بشيء
لأنه مجاز أيضا وإنما كره ذلك لأنه يشغله عن خدمة ربه والتوجه إليه وأيضا من آخر إذا
رجع أي يرجع إلى الجواب عما مر في السؤال فإن قول يوشع عليه الصلاة والسلام وما
أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره الذي حكاه الله عنه لا يلزمنا الجواب عنه لعدم وروده
على ما قررناه من عصمة الأنبياء عن تسلط الشيطان عليهم إذ لم يثبت في ذلك الوقت

أي وقت صدور هذا القول عنه وهو في خدمة موسى عليهما الصلاة والسلام ه
نبوة أي أنه كان نبيا حال كونه مع موسى مصاحبا له في سفره وهو خادمه ويدل
على ذلك قوله تعالى وإذ قال موسى لفتاه الخ والفتى في الأصل معناه الشاب فاستعمل
بمعنى العبد والخادم لأن الغالب استخدام الشباب وتوقير الكبار وهو من الآداب الشرعية
ففي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يقل أحدكم عبدي وأمتي ولكن يقول فتاي
وفتاتي وإنما سمي يوشع فتى موسى لأنه كان يلازمه فيقوم مقام العبد ويقال إنه ابن
أخته وهو يوشع بن نون كما في صحيح البخاري والمروي عن العلماء الثقات أنه إنما نبي
أي جعله الله نبيا وأوحى إليه بعد موت موسى وقيل إنه نبي قبل موته أي موت موسى
وفي بعض النسخ قبيل بالتصغير إشارة لقلة زمن نبوته في حياته وسيأتي فيه كلام أيضا
ولذا قيل إنه نبي في حياته فكان إذا سأله عما أوحي إليه يقول صحبتك كذا وكذا ولم أسألك
عما أوحي إليك فلما رأى ذلك كره الحياة وسأل ربه أن يقبضه إليه وقيل الأصح أنه إنما
نبي بعد موسى وقول موسى في ذكر القبطي أنه من عمل الشيطان كان قبل نبوته فلا يرد
السؤال به لأن الكلام في عصمة الأنبياء عن تسلط الشيطان عليهم بدليل القرآن فإنه
نص فيه القصة بما يدل على أنه إنما نبي بعد ذلك كما يعرفه من عرف الآية وتفسيرها في سورة
القصص فإنه قبل خروجه لمدين واستئجار شعيب له وتمكينه عنده فإنه صرح في الآية
بأنه نبي بعد ذلك وقوله في الشرح الجديد إن المراد بقول موسى ما قال ليوشع وإن ما في
القرآن ذكره بأنه فتاه دون أن يقول نبي الله مخالفته للمشروح لا وجه له وقصة يوسف
وما فيها مما عقد له الفصل للجواب عنها أنه قد ذكر بالبناء للمجهول أي ذكر علماء التفسير وغيرهم
أنها كانت قبل نبوته أي قبل نبوة يوسف عليه الصلاة والسلام فلا يمتنع قبلها أن يخطر
عليه خاطر ينسي به ذكر ربه المشار إليه بقوله فأنساه الشيطان ذكر ربه وهذا أحد قولين
فيه وقيل إنه نبئ في الجب وهو على حجر مرتفع فيه بدليل قوله تعالى وأوحينا إليه لتنبئنهم
بأمرهم هذا وهو قبل مجيئه لمصر وهو قول الحسن ومجاهد والضحاك وقتادة وهو ابن ثمان
عشرة سنة ومن الأنبياء من نبي صغيرا قبل الأربعين فعلى هذا يجاب بأنه إنما كان اشتغالا
بمخلوق ومثله جائز وإن لم يلق بمنصب النبوة فإضافة ما هو خلاف الأولى إلى الشيطان تأدبا
ولا ضير فيه وهذا بناء على أن ضمير النسيان راجع ليوسف وقد قال أكثر العلماء والمفسرون
في قوله تعالى فأنساه الشيطان قولين آخرين أحدهما أن الذي أنساه الشيطان
ذكر ربه ليس المراد به يوسف والرب بمعنى السيد أي الملك أحد صاحبي السجن وليس
المراد بصاحب السجن مالكه بل من طال حبسه فيه فالإضافة لأدنى ملابسة كقوله ه
يا سارق الليلة أهل الدار • وربه المراد به في الآية على هذا سيده وهو الملك
أي الشيطان أنساه أي أنسى الشرابي المسجون أن يذكر يوسف بربه يعقل وفي بعض النسخ بضم
الياء وكسر الكاف المشددة والأول هو الصواب لأنه الموافق لقوله اذكرني عند ربك
للملك شأن يوسف في السجن والورطة التي وقع فيها وكان معه فتيان من عبيد الملك
أحدهما شرابيه الذي يسقيه الشراب وكان الملك عم فيهم طويلا فدسوا في شرابه سما
فلما أخبر به الملك حبسهما فالتقيا يوسف وهو مسجون معهما ورأى كل منهما رؤيا قصها
على يوسف وبينها له ثم قال لمن رآه ناج منهما وهو الشرابي إذا خلصت اذكرني عند

ربك يعني الملك فتسلط الشيطان عليه حتى انساه ان يذكره للملك قصة يوسف
تعالى هذا لم يتسلط الشيطان على يوسف حتى يرد السؤال والى ذلك اشار المصنف
وايضا اي مثل ما ذكر في جواب الشبهة عن قصة يوسف ويوشع **فان مثل هذا**
المذكور **من قبل الشيطان** بكسر القاف وفتح البا الموحدة بمعنى عند وجانب يقال لفلان
قبل فلان كذا اي عنده قال تع فما للذين كفروا قبلك مهطعين وفي بعض النسخ من فعل
الشيطان والجار والمجرور حال من اسم الاشارة بتقدير اه منه والخبر قوله **ليس فيه تسلط**
على يوسف ويوشع اوهو خبر بعد خبر **بوساوس** متعلق بتسليط **ونزغ** بنون وغين معجمة
وقد تقدم معناه لعصمة الله لهما عن ان يكون له سلطان عليهما وعلى غيرهما من الانبيا
وانما هو الضمير لمثل **بشغل خواطرهما** بمعجمتين من الشاغل ويجوز كونه من المزيد على
لغة غير فصيحة كما تقدم اي شغل ليس بطريق الوسوسة والتسليط بل **بامر آخر** مما يرد
على الخاطر ولا يضر ولا يستقر **وهو تذكيرهما** اي يوسف ويوشع **من امورهما ما ينسيهما**
بالتشديد للمبالغة والتخفيف **ما نسيا** اي يذكر ان امرا انساه من احوالهما السالفة كاستعانة
يوسف بمخلوق وشان الحوت الذي نسيه يوشع ونسباه للشيطان تادبا كما مر ومثله لا
محذور فيه **واما قوله** اي قول نبينا **صلى الله عليه وسلم** في الحديث الذي تقدم بيانه
وروايته عن مسلم **ان هذا واد به شيطان** وتقدم بيان الوادي ومكانه **فليس فيه**
اي في هذا الحديث ما يقتضي **ذكر تسليطه** اي الشيطان **عليه** صلى الله عليه وسلم
ولا وسوسته له صلى الله عليه وسلم لعصمته ونزاهته عن مثله فهو لا يقدر على ان يقرب
من سرادق حمايته **بل ان كان** ذكر في الحديث ما يوهم تسلطه عليه **بمقتضى ظاهره** قبل
التامل فيه **فقد بين** وكشف صلى الله عليه وسلم **امر ذلك الشيطان** في هذه الواقعة
بقوله صلى الله عليه وسلم في رواية مالك والبيهقي عن زيد بن اسلم **ان الشيطان اتى**
بلالا بعد ما امره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينتظر طلوع الفجر ويوقظه صلى الله عليه
وسلم من نومه **فلم يزل** الشيطان **يهديه كما يهدى الصبي** الصغير في مهده **حتى نام**
بلال فلم يستيقظ حتى اصابه صلى الله عليه وسلم حر الشمس فاستيقظ وقال ما هذا يا بلال
فقال اخذ بنفسي الذي اخذ بنفسك يا رسول الله الحديث وقوله يهديه بضم المثناة التحتية
وسكون الها ودال مهملة مكسورة ومخففة وآخره ياء ساكنة او همزة مضمومة او هو بفتح
اوله وسكون ثانيه وفتح داله وبعده همزة او الف ودال مشددة الا ان رسمه بالياء في
النسخ وكذا يهدى في قوله كما يهدى الخ قال الجوهري هدأ هدءا وهدوا اذا سكن
واهدات الصبي اذا سكنته وامررت يدك عليه لينام وكذا في القاموس وافعال ابن القطاع
وغيره ومثل هدأه بالتشديد مهموزا او معتلا وهدهده بنون وهدهده كله بمعنى تحريك
الصبي او نحوه حتى ينام والحديث في الصحيحين **فاعلم ان تسليط الشيطان في ذلك**
الوادي الذي نزل به رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وغلبهم النوم حتى فاتتهم
صلاة الفجر وقد رجعوا من الغزاة **انما كان** تسلطه **على بلال** لا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى يرد السؤال **الموكل** بفتح الكاف المشددة اسم مفعول اي المعتمد عليه في
الحفظ عن خروج الوقت **بكلاءة** بكسر الكاف كالحراسة وزنا ومعنى فهو ممدود مهموز وقد
تبدل همزته ياء كما في النهاية يقال كلاه يكلؤه اذا حرسه وضمن معنى المراقبة اي مراقبة طلوع

الفجر ليوقظهم وقيل المراد كلاءة صلاة الفجر بتقدير مضاف وله وجه وجيه **هذا**
اي ما ذكر من ان تسلط الشيطان انما كان على بلال **ان جعلنا قوله** صلى الله عليه وسلم
في هذا الحديث **ان هذا واد به شيطان تنبيها** مفعول له **على سبب النوم عن الصلاة**
بناء على ان المراد ان الشيطان تسلط على من غفل عن الصلاة حتى فات وقتها بطريق من
الطرق لكن ليس المسلط عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بل بلال وان الشيطان تحيل
عليه في غلبة النوم كما تتحيل الام والداية على طفلها حتى يستغرق في نومه **واما ان جعلناه**
تنبيها على سبب الرحيل عن الوادي فانه صلى الله عليه وسلم لما استيقظ من نومه امر
بالرحيل عن ذلك الوادي وقال انه واد به شيطان كما مر **وعلة لترك الصلاة فيه**
لان الافضل في قضا الصلاة ان يبادر في قضائها في اول تذكرها فلما ترك ذلك وارتحل
وقال ان هذا واد به شيطان كما مر دل مساق كلامه على ان كونه لم يصل به لذلك فليس فيه
ما يقتضي ان للشيطان تسلطا على بلال فضلا عنه صلى الله عليه وسلم **وهو** اي ما ذكر
من انه علة لارتحاله وترك الصلاة **دليل** فعيل بمعنى مفعول اي مدلول **مساق** بفتح الميم
مصدر بمعنى سوق **حديث زيد بن اسلم** والسياق ما يفهم من ذكر شي مع شي وزيد تقدم بيانه
وهو ايضا وهذا الحديث المذكور لكنه من طريق آخر رواه مالك في الموطأ والبيهقي عن
زيد بن اسلم وعلى هذه الرواية التي يعين سياقها ما ذكر **فلا اعتراض بهذا الحديث**
في هذا الباب الذي عقد لان الشياطين لا تسلط لهم على الانبيا بوسوسة ونحوها **لبيانه**
اي بيان حديث زيد لما ذكر ووضوح دلالته عليه **وارتفاع اشكاله** اي زواله بالكلية
حتى استغنى عن الجواب لعدم احتماله لما يخالفه هم

فصل واما اقواله صلى الله عليه وسلم

لما كان هذا الباب معقودا لعصمة الانبيا في عقائدهم واحوال قلوبهم واقوالهم
وافعالهم قدم الكلام على الاول لانه الاهم والاساس وعقبه بالثاني وهو ما يتعلق
باقوالهم فقال **فقد قامت الدلائل** اي صحت وثبتت فصارت كالعماد والسناد الذي يقوم
به غيره والدلائل جمع دليل وقد قال ابن مالك في شرح الكافية انه لم يات فعائل جمعا لاسم
اسم جنس وان جاز بطريق القياس وفي الآيات البينات انه يحتمل ان يكون جمع دلالة بمعنى
دليل وفعالة يجمع على فعائل قياسا مطردا وقد قال امام الحرمين ان الدليل يسمى دلالة
والظاهر انه مجاز انتهى وقد تقدم هذا ايضا **الواضحة** اي الظاهرة القاطعة العقلية
والنقلية من الآيات والبراهين **بصحة المعجزة** اي المعتضدة بصحة معجزاته او الباء تجريدية
كما في قوله فاسئل به خبيرا على احد القولين وهذا احسن واقوى **على صدقه** اي انه صادق
فيما اخبر به ووجه الدلالة مقرر في الاصول والاصح انها دلالة عقلية اظهر من الشمس
واجمعت الامة على صدقه صلى الله عليه وسلم وصدق اخباره **فيما كان طريقه البلاغ**
وهو مصدر او اسم مصدر بمعنى التبليغ عن ربه ما اوحي اليه لانه لازم لرسالته **انه**
معصوم فيه اي فيما امر بتبليغه للخلق عن ربه **من الاخبار** يتعلق بمعصوم **عن شيء منها**
اي مما طريقه البلاغ ملتبسا **بخلاف ما هو به** الباء بمعنى على او للملابسة اي لا يخالف
شيء من اخباره الواقع **لا قصدا** لخلافه حتى يكون كذبا وقوله **ولا عمدا** ان فسر بالقصد

فهو عطف تفسير كما قاله الراغب وان قيل القصد ما كان لسبب والعمد ما كان بلا سبب كما
قاله التلمساني فهو تاسيس وهو الاولي **ولا سهوا اما غلطا** الاول ما كان بغير قصد والثاني
ما قصده خطا لظنه واقعا وفي نسخة وغلطا بالواو واو اولي هنا **اما تعمد الخلف في ذلك**
اي في الاخبار عما طريقه البلاغ **فمنتف** عنه لانه غير لايق بمقامه والخلف بضم الخا بمعني
الكذب في اخباره عن امر مستقبل والكذب يكون عن الماضي وقيل انه بفتحها وسكون اللام
بمعني الباطل واصل معناه القبيح الردي ومنه المثل سكت الفا ونطق خلفا وتفسيره
بالمخالفة غير متجه الا ان يريد مخالفة الواقع فيرجع لما قبله وقوله **بدليل المعجزة** متعلق
بمنتف **القايمة مقام قول الله** لمن بعث اليهم الرسول **صدق رسولي** ونبيي **فيما قال**
لكم وبلغكم عني بدليل معجزته التي هي برهان قاطع علي صدق مدعاه **اتفاقا وباطباق**
اهل الملة اي اتفاقهم علي ذلك واصل معني الاطباق جعل الشي مطابقا لاخر اي موافقا
له **اجماعا** منصوب بنزع الخافض اي اطباقهم ثابت بالاجماع منهم وقوله اهل الملة اشارة
الي بطلان قول البراهمة والصابية باستحالة ثبوت النبوات عقلا كما تبين في علم الكلام
ثم اختلفوا بعد ذلك فذهبت المعتزلة وبعض الشيعة الي انها واجبة عقلا من جهة اللطف
وذهب الاشعري واهل السنة الي القول بجوازها عقلا ووقوعها عيانا وادلتهم مفصلة
في كتب الكلام ولما كان كل خبر محتملا للصدق والكذب من حيث هو قالوا الدليل علي
صدقه صلي الله عليه وسلم معجزته ولا يرد عليه قول المنكرين انها فعل والفعل من حيث هو لا يدل
علي الاختصاص بشخص معين الا باقترانه لدعواه ولاقتران اسباب اخر كما ان لخرق العادة
احوالا مختلفة واذا احتملت الوجوه عقلا لم تثبت الدلالة لان القرينة والتحدي دالان
علي بطلان هذه الاحتمالات وسبيل تعريف الله عباده صدق الرسالة بالايات الخارقة للعادة
كسبيل تعريفهم الهيته بالايات الدالة عليها والتعريف يكون بالقول كقول الله لملايكته اني
جاعل في الارض خليفة وبالفعل كتعجيزهم عن معارضة القرآن المنزل علي نبينا صلي الله عليه
وسلم ودلالة المعجزة علي صدقه دلالة عقلية وهذا معني ما قاله المص كما تقرر في علم الكلام
واما وقوعه اي وقوع خبره علي خلاف ما هو عليه فيما طريقه البلاغ **علي جهة الغلط**
في ذلك من غير تعمد وقصد منه بل بسهو ونحوه **فبهذه السبيل** اي طريق انتفايه كطريق انتفاء
التعمد فيه عنه فان الدليل الدال عليه دال علي انتفايه هذا نصا الا ان الاول متفق عليه وهذا
مختلف فيه فكونهما علي نهج واحد **عند الاستاذ** بضم الهمزة وسين مهملة ومثناة فوقية
والف وذال معجمة وهي كلمة معربة معناه الرييس في علم او صناعة وتفصيله في كتابنا شفاء
الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل **ابي اسحاق الاسفرايني** وهو ابراهيم بن محمد بن ابراهيم
بن مهران واسفراين بكسر الهمزة وفتح الفا بلدة بخراسان وهو امام جليل متبحر في علوم
الدين كلاما وفروعا واصولا توفي بنيسابور يوم عاشورا سنة ثمان عشرة واربع مائة
ومن قال بقوله واتبعه في هذه المسيلة يعني ان المعجزة تدل علي صدقه صلي الله عليه وسلم
فيما قاله وانه لا يصدر عنه ما خالف الواقع لا قصدا ولا غلطا ولا سهوا بطريق من الطرق
فمعجزته صلي الله عليه وسلم كما دلت علي نبوته دلت علي صدقه وهذا القول ارتضاه المص
ومن جهة الاجماع الدال علي انه لم يصدر عنه الكذب قصدا ولا سهوا وهو معطوف علي
قوله بهذه السبيل قطعا اي الدال علي ذلك انما هو المعجزة والاجماع لا دليل عقلي غيرهما

وورد الشرع

وورد الشرع بانتفاء ذلك اي انه ورد في الايات المتواترة والاحاديث الصحيحة
ما يدل علي ما ذكر من انه صلي الله عليه وسلم علي هدي وانك لتهدي الي صراط مستقيم
وغيره مما يدل عليه صريحا وتلويحا **و** مما يدل علي ذلك **عصمة النبي صلي الله عليه وسلم**
وهي ملكة نفسانية تمنع عن النقايص والمعاصي والكلام بما يخالف نقيضه تاباها العصمة
وفي دلالة ذلك علي عدم صدور السهو منه نظر **من مقتضي المعجزة** اسم مفعول اي ليس
ما يدل عليه دلالة التزامية عقلية كدلالة اعتق عبدك عني علي تمليكه لي وقوله **نفسها**
اشارة الي ان المعجزة دخل ما في ذلك **عند القاضي ابي بكر الباقلاني** بتشديد اللام
المالكي كما تقدم **ومن وافقه** علي مذهبه وهذا مرتبط بقوله ومن جهة الاجماع الي هنا والحاصل
انه صادق فيما طريقه البلاغ والدال علي صدقه معجزته عند الاسفرايني وعند الباقلاني
ورود الشرع بذلك واجماع الامة علي عصمته صلي الله عليه وسلم وسبب الاختلاف
ونتيجة ما اشار اليه بقوله **لاختلاف** وقع **بينهم** اي بين الاسفرايني واتباعه والباقلاني
ومن وافقه **في مقتضي دليل المعجزة** اي في دلالتها علي صدقه وانها بمنزلة قول الله انه
صادق ام لا **لا نطول بذكره** فانه بحث طويل صعب المدرك **فيخرج عن غرض هذا**
الكتاب الذي وضع لبيان شرف قدر المصطفي من غير تطويل واطناب ممل من غير تعرض
لمباحث كلامية **فلنعتمد** ما هو اصل مقصود كاف فيما قصدناه **علي ما وقع عليه اجماع**
المسلمين من غير تعرض للادلة العقلية وما اجمعوا عليه هو **انه لا يجوز** بتخفيف الواو
وتشديدها **عليه** صلي الله عليه وسلم **خلف في القول** اي ما يخالف الحق الواقع **في ابلاغ**
الشريعة اي فيما طريقه ذلك ما امر بتبليغه **والاعلام بما اخبر به عن ربه تعالي وبما**
اوحاه اليه من وحيه الذي نزل عليه الملك به بوجه من الوجوه وفي حال من الاحوال
لا علي وجه العمد بان يتعمد الاخبار بخلاف الواقع **ولا علي غير عمد** من خطا ونسيان
كما تقدم **ولا في حال الرضي والسخط** بفتحتين او بضم فسكون وهي كراهة ذلك الامر
المخبر به او في حال رضاه عمن خاطبه وسخطه عليه والرضي يقابله كما في حديث اللهم اني اعوذ
برضاك من سخطك ويكون في مقابلة الجبر والاكراه كما فعله برضاه اي باختياره
وارادته لا قهرا وجبرا وعلي الوجهين يدور ان الله يرضي بالكفر لعباده ام لا كما وقع بين
الماتريدية والاشعرية وفي تفسير قوله ولا يرضي لعباده الكفر هل المراد جميع عباده او خاصهم
والاضافة تشريفية كما فصل في محله **والصحة والمرض** اي لا يقع ذلك منه في صحته
ولا في حال مرضه واختلاف مزاجه الذي قد يشوش الفكر بما يودي لمثله وذكر دليلا
علي ما قاله من السنة فقال **وفي حديث عبد الله بن عمرو** ابن العاص ابن وايل السهمي
الصحابي المشهور وهذا الحديث رواه عنه الامام احمد وابو داود والحاكم وصححوه وفيه
قلت يا رسول الله اكتب كل ما اسمع منك قال نعم اي اكتب كل ما سمعته مني **قلت**
في الرضي والغضب اي في حالتيك هاتين **قال نعم** اي اكتب ما تسمعه في حال
رضاي وغضبي **فاني لا اقول في ذلك** المذكور **كله** من حالتي الرضي والغضب **الا حقا**
فلا يصدر عنه ما يخالف الواقع لا عمدا ولا غيره لعصمة الله له في افعاله واقواله كلها
واشار بذلك ليقظته او لرفعة محله في الصدق وفيه رد علي من منع كتابة الحديث ونقله
عن بعض الصحابة والتابعين وقالوا انهم كرهوه لا تكتبوا عني شيا غير القرآن ومن كتب

عني غيره فليمحه كما رواه مسلم والبخاري في قصة ابي شاه عام الفتح وقد اجيب عنه
بانه منسوخ او انه مخصوص بعصره في حياته صلى الله عليه وسلم اما بعده فصار واجبا او
المراد النهي عن كتابة الحديث مع القرآن مختلطا به او المراد لا تكتبوا عني شيئا كنت قلته ثم
جاء القرآن بما يخالفه واول ما دونت كتب الحديث في زمن عمر بن عبد العزيز رحمه الله
كما ذكره الطبري في كتاب مناقبه **ولنزدن** بالمعجمة من الزيادة وفي نسخة ولنزد **فيما اشرنا
اليه** مما مضى قريبا **من دليل المعجزة عليه** اي دلالتها على ما ذكر **بيانا** مفعول نزد وهو توضيح
وتاييد لما قاله الاسفرايني **فنقول** تفصيله لهذه الزيادة **اذا قامت المعجزة** من اقامة الدليل
اي دلت **على صدقه صلى الله عليه وسلم** في كل ما اخبر به عن الله **وانه لا يقول الا حقا** وصدقا
لنزاهته عما سواه وعصمة الله له عما عداه فقوله **ولا يبلغ عن الله الا صدقا** تاكيد لما قاله
وان المعجزة قائمة مقام قول الله صدقت في كل ما قلت لدلالتها على ذلك بطريق الاقتضا
والاستلزام فصارت عبارة عنه بطريق الكناية وفي نسخة صدق عبدي **فيما يذكره**
ويخبر به **وهو يقول اني رسول الله** الذي ارسله **اليكم لابلغكم ما ارسلت به اليكم** مما اوحاه
الله الي وامرني بتبليغه **وابين لكم ما نزل عليكم** وفي نسخة اليكم وتنزيله عليهم بواسطته
صلى الله عليه وسلم والمراد بنزوله عليهم وصوله اليهم ونزوله على نبي بين اظهرهم
والنزول في القرآن تارة ينسب الى النبي صلى الله عليه وسلم وحده فيقال نزل وتارة الى
الامة فالمراد بالاول مشافهة ملك الوحي وبالثاني مطلق الوصول والبلاغ وهو من
قبيل بنو فلان قتلوا قتيلا والقاتل واحد منهم ودلالة المعجزة على صدقه تقدم بيانها
وظهورها على يد الكاذب ممتنع عقلا وعادة وقال الشهرستاني في نهاية الاقدام من
اصطفاه الله لرسالته واجتباه لدعوته كساه ثوب جمال والفاظه واخلاقه واحواله
فتعجز الخلائق عن معارضة شيء من ذلك فيصير جميع حركاته معجزة له دونهم من الحيوانات
وما ينطق عن الهوى اي لا يصدر عنه امر بمجرد هوى نفسه وتشهيه **ان هو الا وحي يوحى**
اليه وتقدم بيانه وبيان انها لا تدل على انه صلى الله عليه وسلم لا يجوز له الاجتهاد **وقد
جاءكم الرسول بالحق من ربكم** فلا يصدر عنه صلى الله عليه وسلم ما يخالف الواقع **وما اتاكم
الرسول فخذوه** اي تمسكوا به **وما نهاكم عنه فانتهوا** عنه ولا تقولوه لانه انما يامركم بما
امره الله وانما نهاكم عما نهاه الله عنه فان فسرت بما اعطاكم من الفيء فخذوه وما نهاكم عنه من
الفيء فلا تاخذوه فانه انما يعطي ويمنع بامر الله دل على ما ذكر ايضا بطريق الفحوى والقياس
فلا يقال ان الاية لا تدل على المراد على هذا التفسير **فما يصح ان يوجد منه** صلى الله عليه وسلم
في هذا الباب وهو ما طريقه البلاغ عن الله **خبر** سمع منه او صح عنه **بخلاف مخبره** بضم
اوله وسكون ثانيه وفتح ثالثه وتخفيفه اي لا يصدر عنه خبر غير مطابق للواقع **على
اي وجه كان** خبره الصادر عنه **فلو جوزنا عليه** صلى الله عليه وسلم **الغلط والسهو**
فيما بلغه عن الله وانما حماه الله عنه **لما تميز لنا عن غيره** اي ما تميز صوابه الواجب اتباعه
عن غيره او خبره عن خبر غيره **ولاختلط الحق بالباطل** ولم يتميز احدهما عن الآخر فالمعجزة
الخارقة للعادة المتحدى بها كما تقدم مشتملة على تصديقه اي ثبوت صدقه فيما اخبر به
عن ربه **جملة واحدة** اي في جميع ما جاء به من جميع اخباره وما بلغه عن الله **من غير خصوص**
اي تخصيص لامر دون امر بدليل يقوم على التخصيص **فتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم**

اي تنزيه ساحته فيما بلغه عن ربه **عن ذلك** اي عن ان يقع منه اخبار بما يخالف الواقع
قصدا او غلطا او سهوا **واجب** وقوعه واعتقاده **برهانا** اي بطريق البرهان القطعي
العقلي المعلوم من المعجزة والتحدي بها كما تقدم **واجماعا** من جميع اهل الملل الاسلامية وعلماء
الدين **كما قاله ابو اسحاق** الاسفرايني بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله صدق رسولي
فيما قاله لا كما قاله الباقلاني من انه بورود الشرع والاجماع لا بالبرهان العقلي كما عرف تفصيله

فصل تتميم لما قبله **وقد توجهت**

اي صدرت ووقعت في جهة من قولهم وجهه اذا ارسله في جهة فتوجه ويكون توجه
بمعنى قبل وليس بمراد ههنا اي في هذا المبحث **لبعض الطاعنين** من الطعن وهو الضرب
برمح ونحوه فاستعير للدخل والاعتراض كما قال تعالى وطعنوا في دينكم **سؤالات** جمع سؤال
وهو طلب امر من الامور فقد يكون للتعلم ونحوه مما يحمد وقد يكون تعنتا منهيا عنه وطلبا
لامر نهي عنه كما قال تعالى لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم **منها ما روي من ان النبي صلى
الله عليه وسلم** كما رواه ابن جرير وابن المنذر وابو حاتم عن سعيد بن جبير بسند فيه ما سيأتي
لما قرأ في صلاته **سورة والنجم وقال** اي بلغ في قراءته الى قوله **افرايتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى** واللات صنم لقريش كان او لثقيف والعزى تانيث الاعز
وهي شجرة كانت لغطفان تعبدها ومناة صخرة كانت لخزاعة وهذيل بعينها والثالثة
الاخرى بمعنى المتاخرة لضعة منزلتها صفتان لمناة وامر هذه مبين في التفاسير غني عن
البيان **قال** قائل سمع ما قاله عند تلاوته صلى الله عليه وسلم كما سنبينه **تلك** المذكورة
من اللات وما بعدها **الغرانيق العلا** جمع غرنوق بضم المعجمة والنون وبكسرها وفتح النون
او غرنيق بضمها وفتح النون وهي طير من طيور الماء كبير طويل العنق ابيض واصله الشاب
الناعم استعير للاصنام والعلا جمع عليا لزعمهم انها ترتفع للسماء **وان شفاعتهن** لهم **لترتجى**
اي تؤمل وتنتظر **ويروى لترتضى** اي تقبل عند الله بزعمهم الفارغ **وفي رواية ان شفاعتهن
لترتجى وانهن لمع الغرانيق العلا** يعنون الملائكة **وفي** رواية **اخرى والغرانقة العلا
تلك الشفاعة ترتجى** ومعانيها متقاربة **فلما ختم** اي اتم صلى الله عليه وسلم قراءة هذه
السورة **سجد** صلى الله عليه وسلم **وسجد معه المسلمون** ممن كان حاضرا عنده من الصحابة
رضي الله عنهم **والكفار** الحاضرون عنده ايضا **لما سمعوه اثنى على الهتهم** بقوله تلك
الغرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجى **وما وقع في بعض الروايات** لهذه القصة **ان
الشيطان القاها** اي هذه الكلمات **على لسانه** فسبق لسانه بها سهوا منه ثم تنبه او
نبهه جبريل لها وكان ذلك ابتلاء من الله ليعلم من ثبت على ذلك او تزلزل **وان النبي صلى
الله عليه وسلم كان** لحرصه على ايمان قومه **تمنى ان لو نزل عليه شيء** مما يوحى اليه
يقارب بينه وبين قومه اي يقربهم من الاسلام حتى يتركوا عنادهم **وفي رواية اخرى**
لهذه القصة انه صلى الله عليه وسلم كان تمنى **ان لا ينزل عليه شيء ينفرهم عنه**
من الطعن فيهم وفي الهتهم ولم يزل كذلك حتى نزلت عليه سورة النجم وهذه الرواية والتي
قبلها بمعنى فان عدم التنفير عنه والقرب بينه وبين قومه متساويان **وذكر** صاحب
هذه الرواية وناقلها **هذه القصة** اي قراءته صلى الله عليه وسلم سورة النجم وسجوده وسجود المسلمين

والكفار معه وان جبريل جاءه عليه الصلاة والسلام بالوحي فعرض عليه اي قرأ عليه
هذه السورة وفاعل عرض ضمير النبي صلى الله عليه وسلم فلما بلغ اي وصل في قراءتها ابن
الكلمتين يعني تلك الغرانيق العلى الخ قال له اي قال جبريل له صلى الله عليه وسلم ما
جئتك من الله بوحي فيه هاتين الكلمتين يعني تلك الغرانيق العلى وفي نسخة الاتين
فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك اي لما قال له جبريل له فانزل الله لما راى حزنه
صلى الله عليه وسلم تسلية له صلى الله عليه وسلم والتسلية اذهاب حزنه بتطييب
خاطره قوله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الاية تقدم في تفسير هذه الاية
ما فيه كفاية وان النبي صلى الله عليه وسلم تمنى ان يوحى اليه ما يقرب قريشا منه ويستعطفهم
فلما نزلت هذه السورة وقراها الى قوله ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان عليه تلك
الغرانيق العلى الخ فتكلم بها ثم مضى في قراءته حتى ختمها وسجد فسجد معه من سمعها من المسلمين
والمشركين ورضي بما قاله لظنهم انه رضي بالهتهم فلما امسى اتاه جبريل عليهما الصلاة والسلام
فعرضها عليه حتى بلغ قوله تلك الغرانيق العلى فقال له ما جئتك بهذا وهذا لم يقله الله
فما زال صلى الله عليه وسلم مهموما حتى نزل عليه قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول
الاية فطابت نفسه لتسلية الله فيها باخباره ان كل نبي ورسول وقع له مثل ذلك من القاء
الشيطان في الوحي وتلاوته في اياته ثم بين له ذلك ونسخه الله فكانه قال له ذلك
اسوة بمن سبق من الرسل والانبيا وانزل عليه صلى الله عليه وسلم تسلية له ايضا وان
كادوا ليفتنونك الاية اي قوله عن الذي اوحينا اليك لتفتري علينا غيره واذا لاتخذوك
خليلا ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا وان مخففة من الثقيلة اي قاربوا
ان يخدعوك عما اوحيناه اليك حتى تقول ما لم تقله مما ارادته قريش وحتى تركن الى بعض
الكفرة لتستميل قلوبهم الى الاسلام فثبتك الله لاجل ذلك وثبتك على الحق واغناك عن
المداراة كما فصله المفسرون وبين في اسباب النزول واذا عرفت ما ذكر وازدت كشف
غطائه عنك فاعلم اكرمك الله بما علمك وهداك لما ينفعه ان لنا في الكلام على مشكل
هذا الحديث الذي اورده عليه بعض الطاعنين كما تقدم ماخذين اي طريقين في الاخذ
على الكلام فيه نقلا وعقلا من اخذ عليه اذا منعه عما يريد فعله حتى كانه مسكه من تشبث
به واعتمد عليه من رواته احدهما في توهين اصله اي تضعيف روايته ونقله من الوهن
وهو الضعف وجعل ثبوته اصلا للسؤال والجواب المبني عليه واصل الوهن ضعف الخلقة
كقوله وهن العظم مني والثاني مبني على تسليمه وصحة روايته تنزلا وارخاء للعنان
لمن اورده اما الماخذ الاول في الكلام على صحة روايته فيكفيك في تضعيف روايته
ان هذا الحديث لم يخرجه بالتشديد والتخفيف اي لم يرو بسنده احد من العلما بالحديث
اهل الصحة ممن يعتمد على روايته واتى باسم الاشارة مكان الضمير لتمييزه اكمل تمييز لقرب
العهد به ولا رواه ثقة ممن يوثق بنقله بسند سليم اي سالم من الطعن والعلة والجرح
من نقاد السلف متصل الى قائله ومن نقل عنه وانما اولع به بضم الهمزة وكسر اللام وعين
مهملة يقال اولع بكذا فهو مولع بالفتح اذا لهج واكثر من ذكره ويكون بمعنى الكذب وعبر به
لانه من ذلك ويمثله من الاحاديث الموهمة لما لا يليق بالرسل عليهم الصلاة والسلام المفسرون
فانهم يوردون كثيرا من الاحاديث الضعيفة الموهمة لما لا يليق بمقام النبوة والمؤرخون بالهمزة

وقد يبدل

وقد يبدل واوا واهل التاريخ نقلة الاخبار واختلف في لفظ التاريخ فقيل انه من الارخ
وهو الفتي من البقر وقيل انه معرب ماه روز اي حساب الشهور والايام واول من ارخ الكتب
عمر بن الخطاب كما فصلناه في غير هذا المحل المولعون جمع مولع بفتح اللام وهو المكثر من نقل
بكل غريب من الاخبار والقصص التي لم تشتهر وتعرف المتلقفون بالمثناة الفوقية
بعدها لام وقاف وفاء وفي نسخة المتلقفون بحذف الفاء يقال تلقفه اذا تناوله بسرعة
وتلقاه اذا اخذ من غيره والتلقي مفعل من اللقا وهو المقابلة من الصحف كل صحيح لفظه
ومعناه وسقيم لفظه كالمحرف لفظه ومعناه كالمفسر بغير المراد والصحف جمع صحيفة والاخذ
من الصحف غير منقول ومقبول عند السلف لانه قد يحرف لفظه ويخفى معناه او يفهم منه غير المراد
والقبول التلقي من افواه الرجال واعلم ان ابن سيد الناس قال بلغني عن الحافظ المنذري انه
كان يرد هذا الحديث من جهة الرواية بالكلية وان الحافظ الدمياطي خالفه فيه ولا وجه لتصحيحه
الان يكتب بسند لا مطعن فيه ولا سبيل لذلك انتهى وفي سيرة مغلطاي ان الشيطان
القاه في امنيته كما ذكره الكلبي عن باذان عن ابن عباس رضي الله عنهما وقد قالوا انه باطل
نقلا وعقلا وسياتي ما في سنده وصدق القاضي ابو بكر بن العلاء المالكي وفي نسخ حذف
ابي وتقدمت ترجمته وهو المشهور بابن العربي حيث قال لقد بلي الناس بالبنا للمجهول
من الابتلا وهو الامتحان اي صار لهم بلية ومحنة اي اصيب الناس ببعض بعين مهملة وضاد
معجمة مقابل كل وهو واضح في بعض النسخ وفي بعضها ببعض بنون معجمة ثم موحدة ثم ضاد
معجمة وفي نسخة بنقضي بياء جارة ومثناة فوقية وقاف مفتوحة وصاد مهملة مشددة ومثناة
تحتية مخففة من تقضيته اذا تاملته تاملا تاما كما قال ابو تمام

يا صاحبي تقضيا نظريكما ● كانه بلغ اقصاه واصله تقصص تفعل من قص

عليه الخبر فابدلت احد حروف التضعيف حرف علة كما قالوا تمطى في تمطط ونظائره اهل الاهوا
بالمد اي اصحاب الاراء الفاسدة والمذاهب الباطلة والتفسير اي بعض المفسرين الذين
يذكرون في تفاسيرهم قصصا لا اصل لها يبنون عليها تاويلات بعيدة وامورا غريبة
وتعلق بذلك اي بما ذكر من كلام اهل الاهوا وبدع التفاسير لا بحديث سورة النجم بخصوصه
كما قيل الملحدون جمع ملحد من الالحاد وهو العدول عن الاستقامة فيطلق على كل من لم يكن عقيدته
حقا مع ضعف بعض نقلته بفتحات جمع ناقل كفاسق وفسقة يعني به رواته او من ذكره
في كتاب له استعارة لمن ابتلي به من اهل الاهوا السابقين وغيرهم من المفسرين والقصاص
واضطراب رواياته الاضطراب في اصطلاح المحدثين ان يقع من الراوي اختلاف في
روايته فيرويه تارة على وجه واخرى على وجه اخر وهكذا او يرويه راو على وجوه مختلفة
بشرط ان لا يكون لبعض طرقه ارجح من بعض فان العمل حينئذ بالراجح فلا يعد مضطربا عندهم
ومن فسر الاضطراب بعدم عزوه الى ما هو لم يصب وانقطاع اسناده الاسناد يكون
بمعنى المسند وهم رواة الحديث وبمعنى مصدري وهو ذكر السند وانقطاعه وهو ان يسقط
منه واحد فاكثر غير الصحابي وضده الاتصال وقوله واختلاف كلماته هو قريب من الاضطراب
ثم بين ذلك بقوله فقائل يقول انه اي ما ذكر وقع في الصلاة او الضمير له صلى الله عليه
وسلم والتقدير يقراها في الصلاة واخر يقول قالها في نادي قومه حين انزلت عليه
السورة اي سورة النجم والنادي والندي مجلس يجتمع فيه القوم للمشاورة وفصل الامور المهمة

ولذا سميت دار قصي دار الندوة وآخر يقول قالها اي الكلمات المذكورة وقد اصابته
سنة اي وقد عرض له اوايل النوم من غير قصد منه فالسنة بكسر السين اول النوم وهو النعاس
وقيل السنة ثقل في الراس والنعاس في العين والنوم في القلب فهو غشية ثقيلة تقع على
القلب تمنع الادراك وآخر يقول بل حدث بتشديد الدال نفسه في سنة فخطرت ببالة
وحديث النفس ما يجري على فكره من غير تلفظ به حتى صار كانه يحادثها فسها اي فحصل له سهو حتى
تكلم بها في اثناء قراءته سورة النجم وآخر يقول ان الشيطان قالها يعني الكلمات المذكورة على
لسانه صلى الله عليه وسلم وهو لا يدري فظنها وحي اليه عليه وسلم من كان عنده فتوهم انه صلى
الله عليه وسلم نطق بها عن قصد وانها من القران حقيقة وان النبي صلى الله عليه وسلم لما عرضها
وقراها على جبريل قال له ما هكذا اقراتك فحزن لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم كما مر
وآخر يقول ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقراها بل اعلمهم الشيطان ان النبي صلى الله عليه
وسلم قراها اي قرا الكلمات المذكورة في اثناء تلاوة سورة النجم وعرضها على جبريل فلما بلغ
النبي صلى الله عليه وسلم ذلك اي وصل لقراءة هذه الكلمات التي اعلمهم الشيطان بها قال
جبريل عليه الصلاة والسلام والله ما هكذا نزلت هذه السورة الى غير ذلك من الاقوال
الموذنة بان الشيطان له دخل في ذلك مع انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وهذا كله صدد
من اختلاف الرواة ومن حكيت هذه الحكاية عنه كابن جرير والمنذري وابي حاتم من المفسرين
والتابعين كالزهري وابي بكر بن عبد الرحمن ابن هشام وسعيد بن جبير لم يسندها احد
منهم اي لم يذكرها سندا مرضيا احد ممن حكيت عنه ولا رفعها الى صاحب اي الى صحابي
من اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم قالها وقيل المعنى لم يعزها لصاحبها قد قالها واكثر
الطرق التي رويت منها عنهم فيها اي في هذه القصة واهية ساقطة ضعيفة غير مرضية
لا يعول عليها والمرفوع فيه اي ما رفع فيه ذكر من روى هذه القصة وفي نسخة منه حديث
شعبة بن الحجاج الذي رواه عن ابي بشر بكسر الباء الموحدة وسكون الشين المعجمة وهو
جعفر بن ابي وحشية اياس التابعي الثقة توفي في سنة خمس وعشرين ومايه واخرج له
اصحاب الكتب الستة وله ترجمة في الميزان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال فيما احسب اي اظن ومثله يستعمل للشك فيما قاربه ثم بين المصنف ما وقع فيه من الشك
من الراوي بقوله فيما احسب فقال الشك المذكور في الحديث اي في متنه واصله لا في
سنده والحديث حديث شعبة المذكور ان النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة وان المتعوخ
وما بعدها بدل من الحديث وذكر شعبة القصة المذكورة في هذا الحديث بتمامها وانه
صلى الله عليه وسلم يتمنى ان ينزل عليه ما يطيب نفوس قومه عسى ان يومنوا فنزل عليه
سورة النجم فقراها حتى بلغ افرايتم اللات والعزى الاية فقال تلك الغرانيق العلى
الى آخر السورة وسجد فسجد معه المسلمون والمشركون وفرح الكفار قال ابو بكر
البزار بتقديم الزاي المعجمة على الراء المهملة نسبة لعمل بزر الكتان بلغة البغداديين وهو
الحافظ المشهور كما تقدم هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم
باسناد متصل الى احد من الصحابة الذين حضروا عنده او اليه صلى الله عليه وسلم يجوز
ذكره لصحة نقله والاعتماد عليه الا هذا الحديث المسند الى ابن عباس ولم يسنده اي لم
ينقله مسندا عن شعبة الا امية بن خالد وهو ثقة اخرج له مسلم وغيره وتوفي سنة

احدى وثمانين وترجمته في الميزان وغيره اي غير امية بن خالد ممن روى هذا الحديث
يرسله اي يرويه مرسلا والمرسل ما سقط من سنده الصحابي فهو يروي عن سعيد ابن جبير
عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير ذكر ابن عباس وظاهر كلام المصنف ان السند بتمامه مذكور
غير الصحابي فان اراد انه لم يعزه لغير ابن جبير واسقط رجاله كلهم فهو معضل والمحدثون
يعبرون عنه بانه ارسل او يرسل بصيغة الفعل ويفرقون بينه وبين المرسل بالاسم وتفصيله
في كتاب ابن الصلاح وغيره وانما يعرف هذا الحديث وروايته عن الكلبي نسبة لكلب قبيلة معروفة
وهو ابو النضر المفسر النسابة الاخباري الراوي المشهور وسياتي كلام المصنف فيه والكلبي
يرويه عن ابي صالح وهو باذان بنون او باذام بميم وهو يروي عن مولاته ام هانئ وعلي
كرم الله وجهه وروى عنه السدي وغيره اخرج له اصحاب السنن الاربعة وقال ابو حاتم
انه لا يحتج به عن ابن عباس وهو لم يسمع منه فالحديث منقطع فقد بين لك ايها الواقف
على هذا الحديث ابو بكر البزار المذكور انه اي هذا الحديث لا يعرف روايته من طريق يجوز
ذكره اي يصح ويعتمد عليه سوى هذا الطريق الذي رواه شعبة منه بسند يعتمد عليه وفيه
وفيه اي حديث شعبة ايضا من الضعف ما نبه عليه البزار وغيره من انه لا يعرف من
طريق غيره مع اختلاف كلماته واضطراب رواياته وانقطاع سنده او ارساله والاختلاف
في مواطن قراءته وكيفيته اكان في الصلاة او في نادي قومه او في سنته او حدث به نفسه
فنسيها وذكره او قاله الشيطان على لسانه او اعلمهم به وانكار جبريل له عند عرضه عليه كما مر
مع وقوع الشك فيه الذي اشار اليه بقوله فيما احسب كما ذكرناه فيما تقدم الذي لا
يوثق به صيغة الشك كقوله ولا حقيقة معه اي تحقق وتيقن مع ما فيه من تشكيكه
في اصله كما اشار اليه البزار واما حديث الكلبي وروايته لهذا الحديث وغيره فمما لا تجوز
شرعا ويصح نقله الرواية عنه ولا ذكره هذا بحسب الظاهر غير منتظم اذ الظاهر ان يقول
اما حديث فما لا يجوز ذكره او الكلبي لا تجوز الرواية عنه فاما ان يقول هو لف ونشر تقديره
واصله اما الكلبي وحديثه كقولهم راكب الناقة طليحان اي الناقة وراكبها او هو من قبيل قوله
والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن على قول الفراء واطلق ما فيه على من يعض
وكذا قوله لقوة ضعفه وكذبه اي كثرة كذبه وفي قوله لقوة ضعفه طباق بديع جدا
كما اشار اليه البزار رحمه الله فانه وغيره من المحدثين قالوا انه كذاب وضاع لا يوثق به
وان كان اماما في اللغة والتفسير وقد قال الجوزجاني وابن معين وغيرهما انه يضع الاحاديث
وكذاب لا يحتج به وروى عن ابي صالح عن ابن عباس وابو صالح لم ير ابن عباس وقال ابن حبان
انه في الدين غير مبين وكذبه اظهر من ان يذكر ولم يسمع من ابي صالح ايضا والذي صح وثبت منه
ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا سورة والنجم وهو بمكة قبل الهجرة فسجد وسجد معه
المسلمون والمشركون من الجن والانس قال الكرماني هي اول سورة نزل فيها سجدة وانما سجد
المشركون لان فيها الهتهم معارضة للمسلمين او وقع ذلك منهم بلا قصد او خافوا من مخالفتهم في
ذلك المجلس وقال ابن حجر فيه نظر لمخالفته لما قاله ابن مسعود من انهم اخذوا حصا ووضعوا
على جباههم ولان خوف المشركين لا يظهر له وجه بل الظاهر العكس ثم قال الكرماني ايضا
ما قيل من ان سبب ذلك القاء الشيطان في اثناء قراءته صلى الله عليه وسلم ذكر الهتهم
لا يصح عقلا ونقلا واما سجود الجن المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما فكانه استند

فيه الى سماع منه صلى الله عليه وسلم قاله مدحا لالهتهم وارتضا لها فسجد واسجد وهو
لا ينافي عصمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث اخرجه الشيخان ففي البخاري
مسندا انه صلى الله عليه وسلم قرا سورة النجم بمكة فسجد وسجد من معه غير شيخ اخذ كفا
وترابا ووضعه على جبهته فقتل كافرا وفيه عن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم
سجد وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس والشيخ الذي وضع الحصا على جبهته
امية بن خلف وفي سيرة ابن اسحاق انه الوليد بن المغيرة وفيه نظر لانه مات حتف انفه وقيل
انه سعيد بن العاص وقال ابو حيان النحوي انه ابو لهب ولم يسنده وفي مصنف ابن ابي شيبة
الارجلين من قريش وقيل انه المطلب بن المطلب بن ابي وداعة ولم يكن اسلم وما قاله الطبراني
من ان اهل مكة لما اظهر النبي صلى الله عليه وسلم دينه اسلموا وكانوا يسجدون معه وبعضهم
لا يسجد من الزحام فلما سمع ذلك رؤساء قريش كالوليد وابو جهل وغيرهما قالوا لهم اتتركون
دين اباءكم فارتدوا واغرب هذا اي الامر هذا او هذا هو قاله فهو خبر مبتدا مقدرا او مبتدا
خبره ما بعده او منصوب بمقدر نحو خذ هذا فاعلم ونحوه واما كون ها اسم فعل بمعنى خذ وذا
مفعوله وان جاز فياباه رسمه متصلا بدون الف توهينه اي بيان وجه ضعفه من جهة
طريق النقل ومنه الواهنة وهي ضربان عرق يتالم منه فيرقى وقد قال الحافظ ابن حجر
قول ابي بكر بن العربي ان طرق هذا الحديث كلها باطلة وقول عياض في الشفا انه لم يخرجه
احد من اهل الصحة وليس له سند متصل مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وان من نقله من
المفسرين وغيرهم لم يسنده احد منهم ولا رفعه لصاحب لا وجه له فان له طرقا متعددة كثيرة
متباينة المخارج وكل ذلك يدل على ان له اصلا وقد ذكرنا له ثلاث اسانيد منها ما هو على شرط
الصحيح وهي وان كانت مراسيل يحتج بها من يحتج بالمرسل كمالك ومن لا يحتج به لاعتضاد بعضها
ببعض فتبين بهذا ان هذا مبالغة المصنف في رد نقله غير مرضية واما توهينه من جهة
المعنى فقد قامت الحجة اي الدليل الواضح على ضعفه واجمعت الامة على عصمته صلى
الله عليه وسلم ونزاهته عما لا يليق بجنابه عن مثل هذه الرذيلة اي الخصلة القبيحة
المرذية من الرذالة وهي الرداءة والقول على الله بما لم يقله ولا شيء اعظم من الافترا لا سيما
على الله عز وجل ونحوه ثم بين ما فيه من القبائح فقال اما من تمنيه بكسر الهمزة وتشديد الميم
ما نقل كما مر ان ينزل بالتخفيف والتشديد في الزاي المعجمة مثل هذا المذكور من مدح الهة
غير الله بقول تلك الغرانيق الى اخره وهو كفر لان الرضا بالكفر كفر او ان يتسور اي
يتسلط عليه الشيطان واصل التسور التسلق والصعود من حائط السور فكني به عن الترفع
واريد به هنا التسلط كما علم ويشبه عليه القران اي يلبسه ويغلط عليه فيه ما ليس منه
حتى يجعل فيه ما ليس منه وهو الكلمات المذكورة ويعتقد النبي صلى الله عليه وسلم ان
من القران ما اي شيء ليس منه ويستمر على اعتقاده حتى ينبهه اي يوقظه من غفلته عما
شبه عليه جبريل عليهما الصلاة والسلام بقوله له ليس هذا من الوحي الذي اتيت به لك
وذلك كله ممتنع في حقه صلى الله عليه وسلم لنزاهته عن مثله وحفظ الله له او يقول
ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من قبله بكسر القاف وفتح البا الموحدة اي من عند نفسه
عمدا من غير القاء الشيطان عليه وهو لا ينطق عن الهوى وذلك اي ما يقوله من عنده
كفر لانه افتراء عليه وتبديل لكلام الله بالزيادة فيه او سهوا حفظه الله منه وهو

معصوم

معصوم عن هذا كله بالاجماع كما تقدم وقد قررنا فيما تقدم بالبرهان والدليل القا
والاجماع من امة الاجابة عصمته عليه الصلاة والسلام من جريان الكفر اي طريانه
ووقوعه منه على قلبه باعتقاده او لسانه بالنطق به لا عمدا ولا سهوا فضلا عن استقرا
فان الجريان عبارة عن صدوره منه من غير ثبات كانه ماء جار فهو استعارة لما ذكر او ان
يتشبه اي يختلط ويلتبس عليه ما يلقيه الوحي من وحي الله اليه بما يلقيه الشيطان على
لسانه محاكيا نطقه به او يكون للشيطان عليه سبيل اي طريق يصل اليه مما حماه الله عنه
وان يتقول على الله اي يفتري عليه عمدا ما لم يوحه اليه ويقول انه اوحي الي لا عمدا ولا سهوا
تاكيد لما افاده ما قبله من نفي التقول على الله ما لم ينزل عليه مفعول مطلق لقوله يتقول
لانه لا ينصب المفردات الا اذا اريد بها نفسها وليس بمعنى الظن لعدم ذكر مفعوليه وقد قال
تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل الاية تقول تكلف من نفسه قولا لم يقله كتشجع اذا
اظهر الشجاعة وهو جبان فكنى به عن الافترا والكذب والاقاويل جمع اقوال فهو جمع الجمع او جمع
اقوولة افعولة وهو يستعمل للتحقير كالاضاحيك الاول وهو الذي صرح به سيبويه رحمه الله
فمن اختار الثاني فقد رجح المرجوح وتمامها لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين اي
لاسكناه واهلكناه كما يفعل بمن افترى علينا والوتين عرق في العنق اذا انقطع مات صاحبه
وهو الوريد وقطعه عبارة عن الذبح وفيه دليل على ان الكذب على الله كفر وانه لا يقول على الله
ما لم يقله وقال تعالى لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف
الممات الاية اي لو قربت من الميل الى الكفرة وضعف صفة لمقدر اي لاوصلنا لك عذابا مضاعفا
في مماتك يعني به عذاب القبر وفي حياتك بعد البعث في الاخرة والاية دليل على عدم تمنيه
السابق وانه معصوم من مقاربة شيء من ذلك والاية نزلت في ثقيف لما قالوا له صلى الله عليه
وسلم لا نتبعك حتى تخصنا بخصال نفتخر بها على العرب لا نحشر ولا نعشر ولا ننحني في صلاتنا
ونضم عنا الزنا وتمتعنا باللات سنة وتحرم وادينا كمكة وتقول للعرب ان الله امرني بهذا
فانزل الله عليه هذه الاية ووجه ثان في توهين ما ذكر من انه صلى الله عليه وسلم ذكر قوله
تلك الغرانيق الخ في اثناء قراءة هذه السورة وهو اي الوجه الثاني استحالة هذه القصة
اي عدها من المحال عقلا او مما لا يستقيم لان اصل معناه لغة ما لا يستقيم مما اعوج ومن لم يعرف
اللغة يعترض على المتنبي قوله • كانك مستقيم في محال •
والمراد بالعصمة صدور ما ذكر منه بتسليط الشيطان عليه نظرا اي من جهة النظر والفكر
الصادر عن عقل مستقيم في عصمة رسل الله عليهم الصلاة والسلام فيما طريقه البلاغ واستحالتها
عرفا اي من جهة ما عرف من احواله واحوال غيره من الانبيا اي امرا متعارفا ومن فسر العرف
بما يليق كلامه وتناسب الفاظه فقد ارتكب شططا وكانه نظر لقوله عقبه وذلك ان
هذا الكلام الذي تلاه مع ما الحق فيه من قوله تلك الغرانيق الخ لو كان كما روي لكان
ما روي بعيد الالتئام بهمزة بعد المثناة الفوقية وقد تبدل ياء تحتية والمراد به ان مناسبته
لما وقع فيه من كلام الله الذي هو في اعلا طبقات البلاغة في غاية البعد وهو مع كونه وقع
في كلام رب العزة متناقض الاقسام متنافر النظم لما فيه من التضاد من حيث انه يصير
ممتزج المدح لالهتهم بجعلها عليه مرجوة الشفاعة بالذم لها الذي دل عليه سياقه في قوله
ان هي الا اسما سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان وانها ليس لها عند الله شان

طع
ره
عفا
لها

ولا منزلة وهذا يناقض علو منزلتها ورجاء شفاعتها وبتصيير الكلام القرآني بذكرها في
اثنائها متخاذل التاليف اي متنافر النظم غير متلايم فكان بعضه يخذل بعضا ويكر
عليه هدما ونقضا والنظم معناه في الاصل ادخال الدرر ونحوها في سلك متناسب الوضع
والمقدار فاستعير لتاليف الكلمات متناسبة المعاني متناسقة الدلالات ثم صار حقيقة
فيه وغلب استعماله في التراكيب القرآنية حتى انصرف اليه عند الاطلاق ولما بكسر اللام
وتخفيف الميم وقيل انه بفتح اللام وما موصولة كان النبي صلى الله عليه وسلم ولا من
بحضرته معطوف على النبي من المسلمين بيان لمن الموصولة والحضرة مصدر بمعنى الحضور
مثلث الحا وتطلق على كل كبير يحضر عنده الناس فيقال الحضرة العالية وهو اصطلاح
اصحاب الترسل ويصح ارادة كل منهما هنا والاول اولى وصناديد المشركين جمع صنديد
وهو كصندد بزنة زبرج السيد الشجاع والحليم والجواد والشريف والمراد خواص رؤسائهم
وكبارهم ممن يخفى عليه ذلك لكونهم بلغا اصحاب سليقة مستقيمة والسنة فصيحة بليغة
وهذا المذكور امر لا يخفى على ادنى متامل يتامل الفاظ القرآن التي هي في اعلى طبقات
البلاغة وما ادرج فيه مما بينه وبينه بون بعيد فكيف بمن رجح حلمه بضم الحا المهملة وسكون
اللام بمعنى لبه وعقله ورجحانه زيادته وقوته وكيف يتصور لاستبعاد خفاء مثله
على مثله كقوله كيف تكفرون بالله كما تقرر في كتب العربية يقال حلم يحلم حلما وحلما
واتسع اي عظم وكثر في باب البيان اي في نوع المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير
وفي معرفة فصيح الكلام علمه لقوة فهمه وذكائه واستقامة سليقته مع فطرة وقادة
وبصيرة نقادة ووجه ثالث لبيان توهينه وضعفه انه الضمير ضمير شان قد علم
ببناء المجهول من عادة المنافقين الذين لم يظهروا كفرهم ومعاندي المشركين اي المشركين
المعاندين فهو من اضافة الصفة للموصوف وضعفة القلوب بفتحات جمع ضعيف
اي الذين قلوبهم ضعيفة عن ادراك الحق لانهم بله لا اذعان لهم والمراد بهم الكفار غير المعاندين
ممن اشرك اتباعا لغيره او المراد بهم الجهلة من المسلمين فهو عطف تفسير عليه نفورهم
نايب فاعل علم لاول وهلة اي عند اول شي يقع في اذانهم واذهانهم يقال لقيته لاول
وهلة بوزن ضربة ويجوز فتح هايه اي اول شي كما في القاموس اي قبل التفكر والتامل
فما قرع سمعه حتما لتحدي لانه ليس متسقا منتظما مع ما وقع في اثنايه من نظم القرآن وتخليط
العدو من الكفرة والمنافقين على النبي صلى الله عليه وسلم بادخالهم في كلامه ما لم يقله
لو قل فتنة يفتتن بها المسلمون لادخالهم الشبهة عليهم في دينهم وتعييرهم بعين مهملة ومثناة
اي الحاق ما هو عار عليهم باتباع المسلمين الهوى ومدح الهة غير الله والشمات بهم بضم
الشين المعجمة وتشديد الميم جمع شامت كفجار وكفار من الشماتة وهي فرح العدو بما يصيب
عدوه من نوائب الدهر الفينة بعد الفينة بفتح الفا وسكون المثناة التحتية ونون تليها
ها تانيث اي حينا بعد حين مما امتحنهم الله به من المصائب تعظيما لاجرهم بما امتحنهم به من ذلك
قال في القاموس الفينة والحين وقد تحذف اللام فيقال لقيته فينة يعني انه استعمل
علما وعن علم الشخوص للمنية وارتداد من في قلبه مرض اي من ضعف ايمانه اي من نافق
وسمع ما ذكر يرجع عن الاسلام الى الكفر ممن اظهر الاسلام بلسانه ولم يذق حلاوته فيرتد
لادنى شبهة ترد عليه لضعف ايمانه وايقانه ولم يعد ذلك احد اي لم ينقل احد من المحدثين او احد

من عاداه

من عاداه صلى الله عليه وسلم في هذه القصة اي قصة تلك الغرانيق شيا سوى هذه
الرواية الضعيفة الاصل رواية ودراية لركاكتها وتناقضها كما تقدم ولو كان اي وقع وصح
ذلك الذي ذكره بعضهم لوجدت قريش اي كفارهم بها اي بسبب هذه القصة على المسلمين
الصولة اي الاستطالة والقهر وتسلطوا بذلك على ترويج امرهم وما هم عليه ولا اقامت
بها اليهود عليهم الحجة اي على المسلمين بانه مدح الهتهم واعترف بانها وسيلة الى الله كما
فعلوا اي كفار قريش مكابرة وعنادا في قصة الاسرا حين قصها عليهم كما تقدم حتى
كانت في ذلك لبعض الضعفا اي من ضعف ايمانه لقرب عهده ردة ورجوع عن الاسلام
لانكاره واستبعاده لها وكذلك اي مثل ما ذكر او مثل قصة الاسرا ما ورد في قصة
القضية بقاف وضاد معجمة ويا مشددة وهي مصدر بمعنى القضا والتقاضي او اسم
للواقعة التي وقع فيها القضا بينهم بما وقع في صلح الحديبية لما راى صلى الله عليه وسلم
انه دخل هو واصحابه مكة فسار اليها ثم رجع الى المدينة في الواقعة التي قصها الله تع في قوله
وما جعلنا الرويا التي اريناك الا فتنة للناس كما تقدم وهذه القضية مذكورة في الصحيحين
وقد وقع بسببها فتنة للمسلمين لما صدهم عن دخول مكة وصالحهم صلى الله عليه وسلم
على ان يرجع وياتي من العام القابل وكتب لهم بذلك كتابا شرط فيه شروطا فيها شطط على
المسلمين حتى قال عمر يا رسول الله الست رسول الله حقا قال بلى قال الست على الحق وهم
على الباطل قال بلى قال فلم نعطي الدنية في ديننا وانما قاله ليقف على الحكمة في ذلك لا للشك
فيه كما توهمه بعضهم والكلام عليه مفصل في السير وشروح البخاري والافتتان اعظم من
هذه البلية التي وقعت بسبب ما ذكر لو وجدت اي لو وقعت وصحت لما يترتب على ذلك من
صولة الكفرة وشماتتهم وغير ذلك مما مر آنفا ولا تشغيب بشين وغين معجمتين ومثناة
تحتية وبا موحدة من الشغب وهو تهييج الشر والفتنة للمعادي حينئذ اشد من هذه
الحادثة المعلومة مما مر لو امكنته وقوعا فان قلت لم قال في الفتنة لو وجدت
وفي الحادثة لو امكنت ومجرد الامكان لا يقتضي شرا وفتنة قلت الاول ظاهر لترتيب
الفتنة على وجود ما ذكر واما الثاني فعبر بالامكان مبالغة لان نفيه ابلغ من نفي الوجود
لعدم وقوعه محال لما علم من الكلام في عصمته من عدم تسلط الشيطان عليه فما روى عن
معاند من الكفرة فيها كلمة تليق ان يلقى اليها السمع ولا عن مسلم بسببها بنت شفة بنت
الشفة هي الكلمة شبه اخراجها من الشفة باخراج المولود من بطن امه ففيه استعارة مصرحة
او مكنية فدل ما ذكر من انها لم ترد ولم يتكلم بها احد على بطلها بضم البا الموحدة وسكون الطا
المهملة ولام مصدر بمعنى البطلان كما في القاموس واجتثاث اصلها بجيم ومثناة فوقية
ومثلثتين بينهما الف مصدر بمعنى قلعها من اصلها كما تقلع الشجرة بنزع عروقها ولا شك
في ادخال بعض شياطين الانس والجن اشارة الى ما قدمناه هذا الحديث يعني ما قيل في
اثناء تلاوته هذه السورة او الحديث الذي روي فيه ذلك على بعض مغفلي المحدثين
الذين لا خبرة لهم بالرواية ليلبس اي يوقع في لبس واشتباه على ضعفا المسلمين الذين
لم يقفوا على ما يناسب مقام النبوة وقدرها وقد قال العراقي في شرح الاربعين
للامام الرازي ان الجواب الشديد فيه على تسليم صحته ان الله قد عصمه اذ الله امره
بترتيل القرآن وكان يفعل ذلك فتمكن من ترصده من الشياطين في حال سكوته بين الايات

من دس ما اختلقه من الكلمات محاكيا صوته صلى الله عليه وسلم وقد سجد من في من الكفار
معه فظنوها من كلامه صلى الله عليه وسلم واشاعوها فلم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظهم
السورة على ما انزلت قبل ذلك ومعرفتهم من حاله صلى الله عليه وسلم ما علم من ذم الاوثان
واهانتها فحزن صلى الله عليه وسلم من هذه الاشاعة والقاء الشبهة وهو معنى قوله
سبحانه وتم وما ارسلنا الى قوله القى الشيطان في امنيته وقوله سبحانه وتم فينسخ الله
ما يلقي الشيطان اي يذهبه ويزيله وقيل انه صلى الله عليه وسلم لما قرا السورة الى قوله
افرايتم اللات الخ خاف الكفار ان ياتي بشي من ذم الهتهم فسبقوا عليه على عادتهم في قولهم
لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه الخ وسبب هذا ان الشيطان حملهم عليه فاشاعوا ذلك
ونسبوه له فحزن لذلك انتهى وسياتي تلخيص الجوابين في كلام المصنف وقد قدمنا لك
ان هذه القصة لها اصل ثابت في الجملة لكنه ليس فيه ما ينقص مقامه صلى الله عليه وسلم
فابطالها بالكلية كما قاله المصنف لا ينبغي كما قاله ابن حجر وقد تقدم ما يغني عن اعادته هنا
فتذكره ووجه رابع لتضعيف ذلك ما ذكر الرواة لهذه القصة المذكورة التي عقد
لها هذا الفصل ان فيها اي بسببها نزلت وان كادوا اي قربوا مما لم يقع ليفتنونك
اي يوقعونك في الفتنة ويصدونك عن الذي اوحينا اليك الايتين اي ذكر الايتين
المتقدم بيانهما وهما اي الايتان المذكورتان وفي نسخة وهاتان الايتان يردان
الخبر الذي رووه لمنافاتهما له الا انه قيل ان الايتين لم ينزلا في هذه القصة واما
الذي نزل فيها فقوله تم وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان
في امنيته وهاتان الايتان نزلتا في ثقيف كما تقدم ثم بين وجه منافاتهما له بقوله
لان الله تعالى ذكر انهم كادوا يفتنونه حتى يفتري على الله بخلطه في القرآن
ما لم يوح اليه وانه اي الشان او والله لولا ان ثبته الله على الحق ببيان جبريل له لكاد
يركن اي قارب الميل اليهم بمدح الهتهم واتباع هواهم ولكنه لم يفعل شيئا من ذلك فاعلم
مضمون هذا اي ما تضمنه المذكور في الايتين ومفهومه الذي دل عليه وفهم منه
ان الله عصمه من ان يفتري ما لم يقله لا ان يفعل ما ارادوه منه من ان يبدل الوعد
وعيدا وعكسه كما قيل وثبته حتى لم يركن اليهم قليلا فكيف يركن اليهم ركونا كثيرا
وهذا تقرير لمعنى الايتين بناء على ما ادعاه من سبب النزول وقد علمت انه لم يثبت
نقله وقوله حتى لم يركن بيان لحاصل المعنى لان نفي القرب من الركون القليل لا نفس الركون
كما زعمه المصنف لان الجواب لقد كدت يعني انا ادركناك بعصمتنا عن الميل لهم ولما ارادوه
بعد ما كانوا كادوا يخدعونك بمكرهم وشدة تحيلهم وهم اي رواة الحديث مع ذكر الايتين
يروون في اخبارهم الواهية اي الشديدة الضعف انه صلى الله عليه وسلم زاد
على الركون الذي هو مجرد الميل القريب من الميل الذي هو ابلغ في نزاهته وعصمته
وافترى اي الكذب على الله بجعل ما ليس من الوحي منه مدح الهتهم يعني قوله تلك
الغرانيق العلى الخ وحاشاه صلى الله عليه وسلم من ذلك حماه الله وانه قال عليه الصلاة
والسلام حين قال له جبريل ما جئتك بهذا حين عرض عليه السورة كما تقدم فقال
في جوابه له افتريت على الله وقلت ما لم يقل عطف تفسير وهذا الذي رووه في اخبارهم
الواهية عنه صلى الله عليه وسلم ضد مفهوم الاية التي ذكروا ان هذه القصة سبب نزولها

لان عدم ركونه اليهم قليلا ينافي تصريحه بمدح الهتهم وهي اي الاية بصريح
مفهومها تضعف الحديث اي تدل على شدة ضعفه لو صح نقله وروايته فكيف والحال
انه لا صحة له عند المصنف كما تقدم بيانه وما فيه فاذا ورد في الحديث ما ينافي القرآن
ولم يمكن تاويله ولا الجمع بينه وبينه حكم بضعفه وقد علمت ان الحديث رواه مسلم وائمة
اجابوا عنه كما بيناه وهذا المذكور في هذه الاية مما دل عليه مفهومها مثل ما دل عليه
قوله تعالى في الاية الاخرى وهي قوله عز وجل ولولا فضل الله عليك ورحمته بعصمته
لك وصرفه عنك ما هموا به من خداعك والمكر بك لهمت طائفة منهم ان يضلوك
ويصرفوك عن الحق وطريق العدل مع علمهم بانك ثابت على ذلك ولا يمكن زلة قدمك
بوجه من الوجوه وقيل انها نزلت في بني ظفر وما يضلون الا انفسهم اي لا يقع ما
ارادوه بك الا بهم ولا يحيق المكر السيئ الا باهله وما يضرونك من شيء وانما يضرون
الا انفسهم وتفصيل معنى الاية مذكور في كتب التفاسير وانما المقصود بذكرها تنظيرها
بما ذكر قبلها ولنزول هذه الاية سبب ذكره الترمذي والمصنف استشهد بها استشهادا
معنويا كما هو بصدده وليس لنا حاجة بتفصيل ما ذكر فيها وقد روي بالبناء للمجهول
والراوي له ابن ابي حاتم وغيره من المحدثين عن ابن عباس انه قال كل ما وقع في القرآن
من لفظ كاد وما تصرف منه من مضارع وغيره يدل على ان ما بعده لا يكون وفي نسخة
فهو ما لا يكون اي لا يقع ويوجد وانما يدل على انه قاربه ولم يقع قال تعالى يكاد سنا برقه
السنا بالقصر الضوء والنور وبالمد العلو والشرف يذهب بالابصار اي تذهب
بصر الناظر اليه ولم تذهب بالتاء الفوقية والبناء للفاعل وفاعله ضمير الابصار المستتر
ويجوز بناؤه للمجهول مع التحتية ونائب فاعله ضمير السنا وفي نسخة ولم يذهب بها وهما بمعنى
والمقصود انها اشرفت على الذهاب ولم تذهب وقال تعالى في امر الساعة ان الساعة آتية
اكاد اخفيها ان كان المراد باخفائها انه لا يقول انها اتية فهو كما قال ابن عباس وان كان
المراد انه لا يعين زمان وقوعها فكاد بمعناها المشهور وكلامه هنا مبني على الاول
واليه اشار بقوله ولم يفعل اشار المصنف الى هذين المعنيين وخفاء الشيء ستره وعدم اظهاره
ويقال خفيته واخفيته اذا ازلت خفاءه ولا تنافي بين المعنيين لان الله اخفاها على
الناس واطلع عليها بعض خلص انبيائه وقد قدمنا الكلام عليه وقال القشيري القاضي
ولقد طالبته قريش قومه اي سالته وطلبت منه وسبب تسميتهم بذلك مشهور وقد قدم
وطالبته ثقيف قبيلة مشهورة بالطائف اذ مر صلى الله عليه وسلم بالهتهم اي انصابهم
واللاتهم واصنامهم التي كانوا يعبدونها ان يقبل بوجهه ويتوجه اليها وفي نسخة عليها
ووعدوه الايمان به ان فعل ما سالوه من الاقبال عليها معظما لها فما فعل ذلك ولا كاد
يفعل مع حرصه على ايمان العرب وطاعتهم فلم يكترث بهم ولم يلتفت لمقالهم مع انهم من اشد
الناس شكيمة وعصبية وهذا امر متعلق بقوله لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا دال على
ما قاله اولا وقال ابن الانباري هو الامام في العربية وسائر العلوم الادبية ابو بكر محمد
بن القاسم بن محمد بن بشار النحوي الحافظ المفسر المحدث نادرة الدهر وفريد العصر ولد
سنة احدى وسبعين ومائتين وتوفي ليلة النحر ببغداد سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة
وله تصانيف جليلة مفيدة مشهورة ما قارب الرسول صلى الله عليه وسلم اي لم يقرب

من شيء مما كان عليه الكفرة واهل الجاهلية **ولا ركن** اي مال **الي شيء من امورهم** وما كانوا عليه فضلا عن التلبس به وما ذكره في كاد هو المشهور والتحقيق فيه ما قاله الجرجاني في دلايل الاعجاز من ان نفيها يدل على نفي ما في حيزها على ابلغ وجه لا نفي القرب من الشيء الدال على انتفايه لانه يطريق برهاني وقد يكون لوقوع الشيء بعسرة نحو فذبحوها وما كادوا يفعلون **وقد ذكر** بالبنا للمجهول وفي نسخة ذكرت بتاء التانيث **في معنى الاية** يعني قوله تع وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيا قليلا **تفاسير اخر** تركها لكونها غير مرضية عنده **ما ذكرناه** ما اسم موصول مبتدا بينه بقوله **من نص الله تعالى على عصمة رسوله** صلى الله عليه وسلم كما تقدم وخبره قوله **يرد سفسافها** اي التفاسير الردية الحقيرة فيه واصل معنى السفساف ما يطير من غبار الدقيق اذا نخل وكل غبار دقيق كالهبا سفساف ثم عبر به عن كل حقير جدا فلذا قوبل في الحديث بمعالي الامور تارة وبمكارم الاخلاق اخرى كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب معالي الامور ويبغض سفسافها وفي آخر رضي لكم مكارم الاخلاق وكره سفسافها **فلم يبق في الاية** يعني قوله وان كادوا ليفتنونك الخ اي لم يبق فيها تفسير يرتضي **الا ان الله امتن على رسوله** صلى الله عليه وسلم **في هذه الاية** اي من عليه والنعم والمنة تعداد نعم سابقة وهو محمود من الله دون غيره ويكون بمعنى النعمة نفسها **بعصمته** اي حفظه عن ان يصدر منه امر لا يرضاه فضلا عما ذكر من مدح اوثانهم **وتثبيته** على ما هو عليه من ذم آلهتهم وما هم عليه **مما كاده به الكفار** من خداعهم وطلبهم منه صلى الله عليه وسلم موافقته لهم في بعض امورهم التي لا تليق به **وراموا منه فتنته** اي ايقاعه في بلية ومحنة واصل معناها الاختبار ثم عبر عنه بما ذكر **ومرادنا من ذلك** الذي ذكرناه **تنزيهه** اي تنزيهه وصيانته صلى الله عليه وسلم واصل معنى النزاهة البعد اي بعده عما لا يليق بمقام النبوة **وعصمته** صلى الله عليه وسلم **وهو** اي ما اراده **مفهوم الاية** لا ما ذكروه من سفساف التفاسير **واما الماخذ** اي محل الاخذ والطريق في بيان ما ذكر وتاويله وهو الوجه **الثاني** في الكلام على مشكل هذا الحديث الذي فيه انه ذكر قوله تلك الغرانيق العلى الخ في اثناء قراءة سورة النجم كما تقدم **فهو** اي تاويله والجواب عنه **مبني على تسليم** رواية هذا **الحديث لو صح** نقله من طريق يعتد بها **وقد اعاذنا الله** بعين مهملة وذال معجمة اي حمانا وحفظنا **من صحته** اي وقوع اعتقادنا في صحة ووقوعه منا فضلا عنه واصل معنى العوذ الالتجا والتعلق فاريد به ما يتسبب عنه من الالتجا الى الله حماه وكفاه وحفظه مما لا يرضاه **ولكن على** تقدير صحة **ذلك فقد اجاب عن ذلك** المذكور من مدحه آلهتهم **ايمة المسلمين** بالهمزة والياء جمع امام وعبر به دون العلما وغيره اشارة الى ان مقتضى الاسلام تنزيهه من مثله **باجوبة منها الغث** بغين معجمة ومثلثة اي الضعيف الركيك **والسمين** اي القوي المقبول واصل معنى الغث المهزول المقابل بالسمين فاستعير لما ذكر كما تقدم **فمنها** اي الاجوبة المذكورة **ما روى قتادة** مشهور **ومقاتل** بن حيان الخراساني العابد المفسر الثقة روى عنه اصحاب السنن وغيرهم وتوفي قبل خمسين ومائة ولهم مقاتل آخر وهو مقاتل بن سليمان وهو محدث مفسر الا انه اتهم بالكذب والظاهر انه الاول **انه صلى الله عليه وسلم اصابته** اي عرضت له **سنة** وهي فتور مع اوائل النوم قبل الاستغراق فيه السامع

عن الحس والادراك وهي قريبة من النعاس كما تقدم بيانه وليسا بمعنى وان قيل به وقوله

• وسنان اقصده النعاس فرنقت • في عينه سنة وليس بنائم •

ولا دليل فيه **عند قراءته هذه السورة** يعني سورة النجم **فجرى هذا الكلام** اي قوله تلك الغرانيق **على لسانه** ونطق به من غير قصد بل **بحكم النوم** وغلبته حتى تكلم بما لا يقصده **وهذا** المذكور **لا يصح** صدوره منه **اذ لا يجوز على النبي** صلى الله عليه وسلم ان يقع منه مثله **في حالة من الاحوال** لا في يقظة ولا منام لانه صلى الله عليه وسلم وان نامت عيناه لا ينام قلبه **ولا يخلقه الله** اي يوجد جريانه **على لسانه** كما قاله بعضهم لحفظه له في ساير احواله **ولا يستولي الشيطان** اي يتسلط **عليه** لحفظ الله له **في نوم ولا يقظة** بفتحات ثلاث وتسكين القاف خطا الا في ضرورة الشعر كقول التهامي

• فالعيش نوم والمنية يقظة • والمرء بينهما خيال سار •

لعصمته في هذا الباب الذي طريقه البلاغ عما اوحي اليه **من جميع العمد** بقصد القول عليه ما لم يقله **والسهو** في شيء منه **وفي قول الكلبي** في الجواب عنه **ان النبي** صلى الله عليه وسلم **حدث نفسه** اي فكر فيما ذكر وخطر بباله في غير نطق به **فقال ذلك الشيطان على لسانه** اي نطق به محاكيا لصوته ونطقه به في اثناء قراءته وهو لا يدري فتوهموا انه قاله وانه اوحي به اليه كما تقدم وكذا ما وقع **في رواية ابن شهاب** الزهري وقد تقدمت ترجمته **عن ابي بكر بن عبد الرحمن** وفي نسخة ابو عبد الرحمن وكلاهما صحيح وهو ابو بكر بن عبد الرحمن بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي التابعي الامام احد الفقها السبعة على قول وهو من سادات قريش ويسمى الراهب لزهده قيل اسمه ابو بكر وكنيته ابو عبد الرحمن والصحيح ان اسمه كنيته وتوفي سنة اربع وتسعين وقيل غير ذلك **قال** اي ابن شهاب او ابو بكر **وسها** صلى الله عليه وسلم في نطقه **بذلك فلما احس** وفي نسخة اخبر **بذلك** اي عرف سهوه فيما نطق به **قال انما ذلك** الذي جرى على لسانه وسمع **من الشيطان وكل هذا** المذكور من الاقوال آنفا **لا يصح** رواية ودراية **ان يقوله النبي صلى الله عليه وسلم لا سهوا ولا قصدا** لحفظ الله له عن مثله **ولا يصح** ايضا **ان يتقوله** بالتشديد اي يفتريه **على لسانه** اي ينطق به محاكيا لقوله ونطقه فيلتبس الوحي بغيره لمنع الله له عن تسلطه عليه بمثله فقوله على لسانه صريح فيما اراده فما قيل ان فيه نظرا لانه ما المانع من ان يقول الشيطان عليه ما لم يقله من غير ان يصدر عنه فكم اماكن ب عليه وهذا لا ينافي عصمته صلى الله عليه وسلم غفلة عما عناه المصنف فلا وجه له **وقيل** في الجواب عما ذكر **لعل النبي صلى الله عليه وسلم قال في اثناء تلاوته** وقراءته لسورة النجم فذكره في خلال اياته ولعل الترجي من عادة المصنف استعماله كناية عن ضعف من معه واشاجم ثني بمعنى مثنى اي ملفوف بعضه على بعض فشبه ما هو فيه ببرد مطوي في داخله شي اشتمل عليه **على تقدير التقرير** اي حملهم على الاقرار **والتوبيخ للكفار** اي توبيخهم بعد اقرارهم بعبادة الاصنام فوصفها بالعلو وحاشفا عنه على هذا تهكم واستهزاء وقيل المراد حملهم على الاقرار بان المدح بهذه الكلمات انما يليق بمن يضر وينفع توبيخا وتبكيتا تنبيها على خطائهم وابدل نابانها لا تصلح ان تكون الهة والتوبيخ على امر باطل وقع منهم فما قيل انه حري ان يسمى انكارا ابطاليا تهنية لادعايهم انه قال ليس في الكلام ما يفيد ذلك فلا بد من تقدير اداة استفهام فهو كقوله هم

طربت وما شوقا الى البيض أطرب • ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب •

او ذلك معلوم من المقام لان من ذكر امرا علم انه غير يكرهه ويصرح بذمه واشتهر منه ذلك فاذا امدحه بما مدحه به اعداوه علم انه تهكم واستهزا وارخا لعنان الخصم حتى يقع في هوة الضلال ولك ان تقول انه عند هذا القايل مفهوم من قراءة افرايتم وان ما ذكر مقدر مفعول ثان لرايت وهو محط الاستفهام وهو وان كان غير مستقيم لكن هذا مما يؤيد توجيهه فتدبر **كقول ابراهيم** الخليل صلى الله عليه وسلم **هذا ربي** للكواكب التي كان يعبدها قومه فوصفها بالربوبية انما هو توبيخ لهم لانه بري من مثله كما لا يخفى **على احد التاويلات** التي ذكرها المفسرون فهو على هذا يقدر معه اداة استفهام كالاية التي قبله وفيه اقوال اخر مذكورة في التفاسير لا حاجة للتطويل بذكرها **وقوله** اي الخليل عليه الصلاة والسلام في حق الاصنام **بل فعله كبيرهم هذا** والضمير للاصنام وكانوا يمة في عيد لهم ثم يرجعون للسجود لها فتخلف عنهم ودخل عليها فكسرها الا اصنما هو اكبرها فلما راوه قالوا أأنت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم فقال بل فعله كبيرهم كما قصه الله في هذه الاية وحاصله انه من معاريض الكلام الذي قصد به اقامة الحجة عليهم وان ما عبدوه لا يصلح للعبادة **بعد السكت** اي الوقفة الخفيفة بين آيات سورة النجم والحاصل انه لما فرغ صلى الله عليه وسلم من ذم الاصنام بما اوحي اليه سكت وذكر كلاما وبخهم به كما فعل ابراهيم **والتوبيخ** لهم بذم آلهتهم **وبعد بيان الفصل بين الكلامين** اي كلام الله في ذم الاصنام وكلامه الذي وبخهم به **وقرينة تدل على المراد وانه** اي ما ذكر توبيخا وتقريرا **ليس من كلام الله المتلو** لفصله بينه وبينه بالسكت **وهو** اي ما قاله **الله** قاله في اثناء قراءته لما ذكر من التوبيخ والتقرير احد ما اي الاقوال **ذكره القاضي ابو بكر** الباقلاني وابن العربي وهما مما الكتابان تقدم ذكرهما وبيانهما **ولا يعترض على هذا** القول الذي قاله القاضي **بما روي** بالبناء للمجهول فيهما **انه** صلى الله عليه وسلم او هذا الكلام **كان في الصلاة** وهو كلام ليس بقران ولا ذكر فيبطلها **فقد كان** في صدر الاسلام وقبل الهجرة **الكلام فيها** اي في الصلاة **قبل** مبني على الضم اي قبل النهي عنه **غير ممنوع** في الشرع وغير مبطل للصلاة وكان الكلام غير محرم لما فرضت الصلاة ثم حرم عليهم قبل الهجرة بثلاث سنين **والذي يظهر ويترجح في تاويله** اي تاويل هذا الحديث وهذا ما اختاره العراقي كما نقلناه اولا **عنده** اي عند القاضي ابي بكر **وعند غيره من المحققين** اي اهل الكلام والتفسير والحديث **على فرض تسليمه** اي تسليم وقوعه منه صلى الله عليه وسلم وانه نطق بذلك **ان النبي صلى الله عليه وسلم كان كما امره ربه يرتل القرآن ترتيلا** لقوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا والترتيل القراءة بتؤدة من غير استعجال وفي الاصل مستعار من قولهم ثغر مرتل اي مفلج كالاقحوان والوراقة ومن لطايف بعض المتاخرين

افدي الذي جبينه وشعره • طرة صبح تحت اذيال الدجى •
مالي به مع قرب داري ملتقى • فهل رايت ثغره المفلجا •

ويفصل الاي جمع اية بالمد فيهما **تفصيلا** بفصل بعضها بعضا **في قراءته** وفي نسخة في تلاوته مع سكت خفيف بينها **كما رواه الثقات عنه** كما قالت عائشة رضي الله عنها

وقد سئلت عن قراءته لو اراد سامع ان يعد حروفه عدها لتانيه فيها وتجويد حروفها وبيان حركاتها ومدها **فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات** بالنون او التا المثناة الفوقية وترصده ترقبه وانتظاره اي يترقب وقفه وسكتته بين الايات في ترتيله القراءة **ودسه** بمهملتين مصدر معطوف على ترصد اي ادخاله فيما بين سكتاته خفية يقال دسه دسا اذا ادخله قال الراغب الدس ادخال الشي في الشي بضرب من الاكراه واصل الدس الاخفا ومنه العرق دساس **فيها** اي في القراءة ما اختلقه اي كذبه وافتراه ومأمول دسه **من تلك الكلمات** بيان لما **محاكيا نغمة النبي** صلى الله عليه وسلم في القاموس النغم محركة وتسكن الكلام الخفي والواحدة بها ونغم في الغنا كضرب وبصر وسمع انتهى فالنغمة بمعنى الكلام الخفي وتكون بمعنى الغنا وليس مرادا هنا وهو المعروف عرفا كقوله

الشرب بغير نغم غم • وبغير دسم سم •

والظاهر انه اريد به هنا الصوت مطلقا **بحيث يسمعه** اي بمكان قريب منه صلى الله عليه وسلم **من دنا** اي قرب **اليه من الكفار** الحاضرين عنده ليسمعون تلاوته صلى الله عليه وسلم لسورة النجم **فظنوها** اي ظنوا تلك الكلمات التي قالها الشيطان ودسها في تلاوته محاكيا لصوته وهو لا يرى **من قوله** صلى الله عليه وسلم اي مما تلاه من القرآن وجعلها قوله لنطقه بها اوبنا على اعتقادهم الفاسد **واشاعوها** اي اظهروها وقالوا انه مدح الهتنا ووافق طريقنا **ولم يقدح ذلك** اي ما دسه الشيطان واشاعوا انه صلى الله عليه وسلم قاله عند المسلمين فلم يغير اعتقادهم ولم يلتبس عليهم القرآن بغيره مما ادخل فيه لحفظ المسلمين السورة اي سورة النجم فالمصدر مضاف لمفعوله **قبل ذلك** اي قبل ادخال الشيطان ودسه فيها ما دسه **على ما انزل الله** متعلق بحفظ فعلموا ان ما اشاعوه ليس من الوحي في شي ثم علمهم مما سمعته له لفظا ومعنى **وتحققهم** اي المسلمين **من حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذم الاوثان وعيبها على ما عرف منه** صلى الله عليه وسلم او من حاله لانه يذكر ويؤنث وهذا بيان للقرينة القاطعة على انه ليس من قوله ولا مما اوحي اليه فاندفع ما قيل من انه ليس للشيطان سبيل حتى يتمكن ان يدخل في كلامه وما تلاه ما ليس منه وقد بينا لك انه اختاره العراقي لصحة الرواية عنده **وقد حكى** اي روى **موسى بن عقبة** كذا في النسخ وفي بعضها محمد بن عقبة **في مغازيه** اي في كتابه الذي الفه في مغازي النبي صلى الله عليه وسلم فالاضافة لما بينهما من الملابسة ثم ورجحوا النسخة الاولى وصححوها في الحواشي وضربوا على النسخة الثانية وقال الحافظ الحلبي انه مما لا شك فيه وهو موسى بن عقبة بن ابي عياش مولى آل الزبير وقيل مولى ام خالد روى عنه خلق كثير وهو ثبت ثقة توفي سنة احدى او اثنين واربعين ومائة واخ له السنة ومغازيه من اصح المغازي كما قاله الامام مالك ومحمد بن عقبة اخو موسى ولعقبة اولاد كلهم فقهاء محدثون لكل واحد منهم حلقة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتراجمهم مشهورة **نحوه** وفي نسخة نحو هذا اي نحو ما نقله عن المحققين مما هو معناه وفيه ميل لما اليه لنقله عن المحققين وكثرة من تابعهم عليه وان قيل انه لم يرض **وقال** موسى بن عقبة **ان المسلمين لم يسمعوها** اي مقالة الشيطان التي دسها وانما القى الشيطان ذلك القول الذي شاع **في اسماع المشركين** بدليل انهم هم الذين اشاعوه ولم يشع عن غيرهم حتى خفي على كثير منهم وانكروه ولا مانع من ذلك فما قيل من انه دعوى بلا دليل اذ لا قدرة للشيطان لعنه على القايه للمشركين فقط

وهم مختلطون معهم في محل واحد غير مسلم وفي نسخة وملائهم وهو كما قاله الراغب جماعة
يجتمعون على رأي فيملؤون العيون رواء والقلوب جلالة وبهاء ومنه قيل فلان ملء العين
وقلوبهم بان يفقهوه ويتقبلوه ويكون ما روي اي رواية ما نقل من حزن النبي صلى الله
عليه وسلم بيان لما اسم كان وقوله لهذه الاشاعة خبرها اي لما حزنه كان من لحزن اشاعة
ذلك والشبهة الحاصلة ومن اجل الشبهة الناشئة منها ومن سبب هذه الفتنة الحادثة
من شيوع ما هو بريء منه وهذا جواب عن سؤال مقدر تقريره اذا كان المسلمون لم يسمعوا هذه
المقالة فلم حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس الجواب عن هذه الشبهة ان الشيطان
الجاه هذه المقالة ولا انه سمعها منهم فتعلقت بين هذه ثم سهما صلى الله عليه وسلم فقالها كالنوم
اذ لا مناسبة لهذا هنا وقد قال الله تعالى في هذه القصة وهذا من تتمة الكلام عليها وليس
متعلقا بما قبله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الاية الفرق بين النبي والرسول
مشهور والكلام عليهما اشهر من ان يذكر والاول اعم لانه كل من اوحي اليه والرسول من اوحي اليه
وامر بالتبليغ وقيل غير ذلك وقوله الاية اي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فينسخ الله
ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته ثم اشار الى تفسير هذه الاية فقال معنى تمنى تلا لان
اصل معناه تفعل من المنا بمعنى القدر ومنه المني نطفة من مني تمنى اي تقدر ومنه المنية
ويراد به تقدير شيء في النفس وتصويره ولكون النفس تتصور امورا لا حقيقة لها سمي به
الكذب كقوله تعالى لا يعلمون الكتاب الا اماني اي كذبا كما قاله مجاهد وقال غيره تلاوة بلا فهم
بمعنى فاجراه مجرى التمني لما لا وجود له لان التمني كذلك في الاكثر ثم استعمل لمطلق التلاوة
واليه اشار بقوله معنى تمنى تلا قال الشاعر

تمنى كتاب الله اول ليلة * تمنى داود الزبور على رسل

وقال تعالى لا يعلمون الكتاب الا اماني اي تلاوة وقد عرفت وجهه والمراد بالكتاب
التوراة والاستثناء منقطع لان التلاوة ليست من العلم وقيل انه متصل بمعنى الكتابة لقوله
ومنهم اميون وهي في حق اليهود وقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهبه لان النسخ
لغة كما قاله الراغب ازالة شيء بشيء يعقبه كنسخ الشمس الظل وما يلقيه الشيطان على هذا ما
يدسه كما تقدم ويزيل اللبس الحاصل به وبسببه ويحكم الله اياته اي يبقيها حتى لا تشتبه
بغيرها وقيل معنى هذه الاية اي قوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان هو ما يقع للنبي
صلى الله عليه وسلم من السهو اذا قرأ فينتبه لذلك السهو الصادر عنه بمقتضى البشرية
بان ينبهه ويرجع عنه اي عما وقع له سهوا وهذا المذكور هنا نحو قول الكلبي في الاية
اي اية سورة النجم كما نقل عنه والا من انه حدث لنفسه بان خطر بباله قولهم تلك الغرانيق العلا
وقال الكلبي ايضا معنى اذا تمنى اي حدث نفسه وفي رواية ابي بكر بن عبد الرحمن الذي
تقدمت ترجمته نحوه اي نحو ما ذكر مما هو بمعناه وهذا السهو المذكور كائنا في القراءة انما
يصح وقوعه منه فيما ليس طريقه الواقع عليها والاتي فيها تغيير المعاني فلا يقع ما يغير
معاني الوحي ويخالفها وتبديل الالفاظ بالفاظ غيرها وزيادة ما ليس في القرآن فيه بل
الجائز عليه السهو الناشي عن اسقاط اية منه او اسقاط كلمة منه ولكنه صلى الله عليه
وسلم اذا سها لا يقر بالبناء للمفعول او الفاعل على ذلك السهو بل ينبه عليه ويذكر به
للحين اي يبادر به في وقت سهوه لا يقاظه لسهوه من غير امهال له فتعرف حين الحضور والا

بمعنى

بمعنى في وقيل بمعنى وقت كقوله فطلقوهن لعدتهن وهذا مبني على ما سنذكره
مفصلا في حكم ما يجوز عليه من السهو وما لا يجوز ومما يظهر في تاويله اي تاويل ما
ذكر في سورة النجم وما دس فيها ايضا كما ظهر في بعض التاويلات السابقة المتبادرة
الى الافهام ان مجاهدا رحمه الله تعالى روى هذه القصة اي قصة سورة النجم السابقة المتبادر رة
الى الافهام والغرانقة العلا بالعطف على اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى وحينئذ
فلا اشكال يرد على ما تقدم فان سلمنا وقوع هذه القصة وصحة روايتها قلنا هذا على
التقدير لا يبعد ان هذا المذكور في هذه الرواية وهو قوله والغرانقة العلا كان قرانا
نزل عليه صلى الله عليه وسلم ثم نسخت تلاوته والمراد على هذه الرواية على تقدير انها قراءة
منسوخة بالغرانقة العلا والمراد بان شفاعتهن ترتجى اشارة الى هذه القراءة بفتح همزة
ان من قوله وان شفاعتهن لترتجى الملائكة على هذه الرواية التي فيها الواو العاطفة وهي جمع
غرنوق كزنبور وقنديل وقرطاس وفسرت بالاصنام ايضا وهي في الاصل طير من طيور الماء
والشاب الجميل فاستعيرت لما ذكر واستعارة الطير للملك ظاهر وبهذا فسر الكلبي الغرانقة
بانها الملائكة انها بالفتح بدل من هذا وذلك يعني ان الباعث على تفسيرها بما ذكر ان الكفار
اي عبدة الاصنام من قريش وغيرهم كانوا يعتقدون ان الاوثان والملائكة بنات الله
سبحانه اي تنزه له عز وجل عما قالوه بجهلهم كما حكى الله عنهم ذلك في القرآن في ايات
كقوله افاصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا وقوله اصطفى البنات على البنين
وقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا الاية يجعلونها لاحتجابهن مخدرات
وهو في الملائكة مشهور واما في الاصنام فبناء على ما نقله الحليمي في تفسير قوله تعالى
وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا اي مشركي العرب زعمت في اللات والعزى ومناة بنات الله
تنسيبهم له لما كانوا يسمعون تكلمها وانما كان يكلمهم شياطين الجن من اجوافها ورد الله عليهم
ما قالوه في هذه السورة يعني سورة النجم بقوله تعالى الكم الذكر وله الانثى اي اختار
لكم الذكور دون الاناث لانهم كانوا يقتلونهن وهي الموءودة واعتقدوا ان له بنات لم يرتضوها
لانفسهم وهي الملائكة والاصنام كما مر ولذا قال تلك اذا قسمة ضيزى اي جائرة فانكر
الله كل هذا الذي ادعوه من قولهم اشارة الى ان الاستفهام فيه انكاري تكذيبا لهم فيما قالوا
بجهالتهم مما كادت تحرك الجبال هذا فالاستفهام منصب على الجميع وبهذا يرتفع الاشكال
على هذه القراءة ورجا الشفاعة في قوله وان شفاعتهن لترتجى صحيح على هذه القراءة ولا
حاجة لهذا فانه منكر لانصبابه الاستفهام الانكاري عليه كما قررناه لك بناء على فتح همزة
ان فيه ولذا قيل هذا التاويل وان كان صحيحا في نفسه مباين للمقام ناء عن سياق الكلام
فتدبر فلما تاوله اي تاول هذا الكلام بصرفه عن ظاهره المشركون حسب اغراضهم الفاسدة
على ان المراد بهذا الذكر اي المذكور وهو قوله تلك الغرانيق العلا الهتهم اي اصنامهم
التي عبدوها ولبس الشيطان عليهم ذلك بوسوسته لهم وتزيينه لافكارهم وزينه في
قلوبهم بتحسينه وتزيينه والقاه اليهم اي القى الشيطان ذلك المعنى الذي فهموه لما سمعوه
منه صلى الله عليه وسلم حقيقة على هذا الوجه الذي استظهره نسخ الله من كلامه ما تلاه كما
تقدم وقوله ما القاه الشيطان المراد به اللفظ او لوم بما القاه الشيطان في قلوبهم
حتى يلتئم هذا بما قاله اولا واحكم اياته الباقية بعد ما نسخه منها ورفع تلاوة تلك اللفظتين

اي الجليلين يعني قوله تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى وقوله تلك بالاولى
لحملهم كشيء واحد فلذا وجه لما قبل صولح به تمنيك **اللتين وجد الشيطان لهما سبيلا**
للالباس اي طريقا لتلبيسه عليهم بهما اذا تليا في هذه السورة ووقع فيه في بعض النسخ
التي وجد الشيطان ٢ بالا فزاد فيهما والصواب ما ذكر **كما ينسخ** بالبنا للمفعول ٣ والمجهول
كثيرا يجوز رفعه ونصبه وكذا قوله **ويرفع تلاوته** مع بقا حكمه ٢ وبدونه **وكان في انزال**
الله لذلك اي الذي نسخه بعد ذلك **حكمة** هي كما يعلم مما بعده تمييز من ضل ممن اهتدى
وفي نسخة برفع تلاوته حكمة من خبر او شرع بين تلك الحكمة بنص القران في قوله **يضل الله من**
يشاء ويهدي من يشاء وقوله **وما يضل به الا الفاسقين** الخارجين عن طاعته بارتكاب
المعاصي وفي قوله **ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة** اي بمنزلة الاختبار لاظهاره للناس ما خفي
عليهم فكانه اختبار **للذين في قلوبهم مرض** اي شك او نفاق فاستعار لذلك اسم المرض
والقاسية قلوبهم من المشركين الذين لم يدخل الايمان في قلوبهم لشدة قسوتها فشبه قلوبهم
بالحجارة الصلبة التي لا تتغير عما هي عليه ولا تلين لقبول الحق **وان الظالمين** اي الكافرين
وان الشرك لظلم عظيم واقام الظاهر مقام المضمر ليسجل عليهم بظلمهم وكفرهم **لفي**
شقاق اي عداوة ومباينة للمسلمين فهو في شق وهم في شق **بعيد** عن الحق وقوله
وليعلم الذين اوتوا العلم اي الذين اتاهم الله العلم من المومنين **انه** ما انزله الله
ثم نسخه وازاله لحكمة وليس رجوع الضمير لتمكين الشيطان من الالقاء ثم ازالته بما
هنا **الحق من ربك** لعدم اشتباهه عليهم وتمكن الشيطان بتلبيسه عليهم **فيؤمنوا**
به اي يصدقوا ويذعنوا لما انزل وان نسخ **فتخبت له قلوبهم** اي تنقاد وتخضع مطمئنة
من غير شك وتزلزل واصل معنى الخبت ما اطمان من الارض وهو السهل ضد الحزن فاستعير
لما ذكر من الانقياد بخضوع وخشوع **الاية** اي وان الله لهادي الذين امنوا الى صراط
مستقيم ثم ذكر وجها اخر في هذه القصة اشارة الى ضعفه بقوله **وقيل ان النبي** صلى
الله عليه وسلم **لما قرا هذه السورة** اي شرع في قراءة سورة النجم **وبلغ** اي وصل في
حال قراءته **ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى** وكونها ثالثة لما قبلها والاخرى
للتاكيد كطاير يطير بجناحيه او الاخرى المتاخرة في الرتبة والاحسن ما قيل ان اللات
والعزى كثيرا ما يذكرونهما معا اذا حلفوا فيقولون واللات والعزى فوصف مناة
بالثالثة ليعلم ان مناة ثالثة وليست واحدة واكد ذلك بالاخرى اشارة لتاخر رتبتها
وتقاصرها عما قبلها فهي ثالثة اخرى افعل تفضيل فتامل **خاف الكفار** لما سمعوا ذكرها منه
صلى الله عليه وسلم **ان ياتي بشيء من ذمها** وتنقيصها كما هو كان عادته اذا ذكرها
فسبقوه الى مدحها بتلك الكلمتين اي تلك الغرانيق الخ **ليخلطوا في تلاوته** ذكرها
بمدحها الصادر منهم **ويشغبوا عليه** بشين وغين معجمتين مشددة من الشغب بالفتح
ويجوز تسكينه وهو تهييج الشر مع الصياح به وفي نسخة شنعوا بنون وعين مهملة
من الشناعة **على عادتهم** اذا حضروا قراءته صلى الله عليه وسلم انهم يرفعون اصواتهم
عنده حتى يلتبس ويشغلوا خاطره ويمنعوا من سماعه كما حكى الله عنهم من قولهم **لا تسمعوا**
لهذا القران اذا قراه **والغوا فيه** اي اظهروا اللغو برفع الاصوات تخليطا وتشويشا
عليه بما يشغل الخواطر عنه **لعلكم تغلبون** باصواتكم لغوكم على قراءته من فوقكم هذا غالب

على

نحو ستين

على هذا اذا كان ذا ابنا عليه فكانوا يوصون بذلك من يحضر منهم كما قال ابو
جهل لعنه الله اذا قرا محمد فصيحوا حتى لا يدري ما يقول وقيل كان ذلك بالصياح
والتصفيق وانهم فعلوا ذلك لما ظهر عجزهم عن معارضته **ونسب هذا الفعل** اي الالقاء
للشيطان بطريق المجاز المرسل والنسبة للسبب ما للمسبب **لحمله لهم عليه** اي لان
الشيطان هو الذي تسبب فيه حتى فعلوه وهو الباعث عليه والحمل حقيقته حمل شي
فوق شي ثم تجوز به عما ذكر وصار حقيقة عرفية فيه **واشاعوا ذلك** المذكور **واذاعوه**
في الكفرة والاشاعة والاذاعة بمعجمتين بمعنى وهو جعله مشهورا منتشرا **وان النبي**
صلى الله عليه وسلم قاله بفتح همزة ان لعطفه على المفعول فهو قاله على هذا الوجه
ايلي غيرهم فهو افتراء عليه وبهتان منهم كما يعلم مما تقدم **فحزن لذلك** صلى الله عليه وسلم
وهو جواب عن سوال مقدر تقديره اذا لم يصدر عنه ذلك او صدر بمعنى اخر فلم حزن
صلى الله عليه وسلم وقوله **من كذبهم وافترايهم عليه** بيان لذلك لتعصبهم لانهم
اذا اضلهم **فسلاه الله تعالى** التسلية اذهاب الحزن بوجه ما اي ازال غمه بما ذكر
بقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك الاية يعني من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان
في امنيته الى اخرها اي انما وقع لك في هذه القصة سبق مثله لمن قبلك من الرسل فاصبر
كما صبروا ولا تحزن وقد تقدم من تفسير هذه الاية ما يغني عن اعادته **وبين** الله تعالى
في كتابه **للناس الحق من ذلك** اي من الوحي الذي انزل على لسانه **من الباطل** الذي القاه
الشيطان فيما تلاه ومن الثانية متعلق بقوله بين والاولى ظرف مستقر فلا يرد عليه ان
الفعل لا يتعدى بحرفين بمعنى واحد **واحكم** الله **اياته** اي اتقنها فلا ياتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه **ودفع ما لبس به العدو** من الكفرة والشياطين **كما ضمنه** بفتح الميم
المشددة وتخفيفها مكسورة فتعدى مع على الاول انه ضمن القران اي جعل في ضمنه فافهم
من قوله تعالى الخ وعلى الثاني انه تعهد بحفظه اذ قال **انا نحن نزلنا الذكر** اي القران
لانه من اسمايه **وانا له لحافظون** من التبديل وان يزاد فيه او ينقص فلم يكل ذلك الى غيره
حيث اسنده الى نفسه بضمير العظمة بخلاف غيره من كتب الانبياء اذ عرض حفظها للاحبار
كما قال بما استحفظوا من كتاب الله ولذا وقع فيها التحريف والتغيير حكمة بالغة والى في
ذلك بتاكيدات وقدم معمول حافظون للحصر **ومن ذلك** اي من جملة اسئلة الطاعنين
على الرسل **ما وقع** فيما روي **من قصة يونس** نبي الله صلى الله عليه وسلم وهو يونس بن
متى وقد اختلف في متى هل هو اسم امه او اسم ابيه فقيل انه اسم امه وانه لم ينسب احد الى امه
غير يونس وعيسى عليهما الصلاة والسلام ورد بما في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي
الله عنهما انه قال لا ينبغي لاحد ان يقول انا خير من يونس بن متى ونسبه لابيه فانه
يقتضي ان متى اسم ابيه خلافا لمن قال انه اسم امه وهو مروي عن وهب بن منبه وذكره
الطبري وابن الاثير في الكامل واول قول ابن عباس انه كان في رواية يونس بن فلان
فمراده ان الراوي كنى عن اسم ابيه بفلان ولم يصرح به وهو السبب في نسبته لامه وقيل
ان الصحيح الاول وان ما ذكر من التاويل وكان من اهل قرية بالموصل تسمى نينوى كان
يتعبد في جبل عندها ثم بعثه الله بالتوحيد لقوم يعبدون الاصنام وكان فيه حدة
فلم يصبر على الناس ولحق بالجبل ولذا قال تعالى ولا تكن كصاحب الحوت وكان كما اود

لقا

الشيطان

هم

في حسن الصوت اذا قرأه وقفت عنده الوحوش لتسمع قراءته وتقدمت ترجمته بركم
من هذا اذ وعد قومه بالعذاب مخبرا لهم عن ربه بمجيء العذاب لهم فلما تابوا ورجعوا
عما كانوا عليه كانت توبتهم في يوم عاشورا او يوم جمعة كشف بالبنا للمجهول اي كشف
الله عنهم ما اوعدوا به فقال يونس عليه الصلاة والسلام لما راى تخلف الوعيد لا
ارجع اليهم اي الى قومه حال كونه كذابا ابدا فذهب مغاضبا مفاعلة من الغضب وهو
ثوران دم القلب لارادة الانتقام والمفاعلة ظاهرة اذ ارى الله مغاضب لقومه وان
ارى غضب لاجل ربه فهو مثل يخادعون الله وكان اقام في قومه ثلاثين سنة يدعوهم
فلا يؤمنوا فلم يومن منهم الا رجل فدعا عليهم فقيل له ما اسرع ما فعلت ارجع اليهم وادعهم
اربعين ليلة فان لم يجيبوا احل بهم العذاب فدعاهم سبعا وثلاثين ليلة وقام فيهم خطيبا
وقال ان لم ترجعوا الى ثلاثة ايام حل بكم العذاب وعلامته تغير الوانكم فلما راوا التغير وعلم
يونس بالعذاب خرج من بينهم وطلبوه فلم يجدوه والهمهم الله التوبة فخرجوا الى الصحرا باطفالهم
ودوابهم واولادهم وضجوا الى الله تعالى وقالوا امنا بيونس فقبل الله توبتهم وكشف عنهم العذاب
بعد ما غامت في سحابة على روسهم كما قال تعالى الا قوم يونس الاية والى ذلك اشار بقوله
واعلم اكرمك الله بما علمك من براءة ساحة الانبيا مما توهمه الطاعنون فيهم بمثل هذا
السوال بانه كيف اخبر وهو نبي معصوم بما لم يقع واعترف فيه انه ليس في خبر من الاخبار
الواردة في كتاب ولا في سنة صحيحة في هذا الباب المتعلق بقصص الانبيا وقصة
يونس عليه الصلاة والسلام ان يونس قال لهم مخبرا عن ربه ان الله مهلككم حتى ياتي
ان يقال انه حصل منه الكذب وانما الذي ورد فيه من الاخبار الصحيحة انه دعا عليهم
بالهلاك اي بان الله يهلكهم لعدم اطاعتهم له والدعا ليس بخبر اي كلام خبري بل انشاء
وطلب من الله يطلب صدق قائله من كذبه اي يحتمل الصدق والكذب والضميران للخبر لا ليونس
كما قيل قيل ولو كان خبرا ايضا لم يكن كذبا كما توهمه السائلون لانه على تقدير شرط هو ان لم يومنوا
كما يعلم من قوله الا قوم يونس لما امنوا الاية ولا ينافيه قوله لا ارجع اليهم كذابا ابدا لعدم صحته
عند المعصوم كما تقدم وياتي او وصفه بالكذب لتضمن كلامه خبرا يحتمل الصدق والكذب
وهو ان من لم يجب دعوة الرسل حل به العذاب لكنه اي الشان او يونس عليه الصلاة والسلام
قال لهم اي لقومه لما وعظهم ان العذاب مصبحكم اي ياتيكم في وقت الصباح وقت كذا
وكذا اي عند تمام المدة التي عينها لهم كما تقدم فكان ذلك اي وقع وتحقق مجيئه لهم في الوقت
المعين فانهم لما راوا سحابة دنت منهم كرغيف فيها عذاب ودخان اسود فاخلصوا التوبة وامنوا
ولبسوا المسوح وتضرعوا الى الله فقبل توبتهم ثم رفع عنهم العذاب الذي تيقنوه
حتى كانه نزل بهم وتداركهم اي انعم عليهم بالخلاص مما خافوه والتدارك بمعنى الاعانة
والنعمة كما قاله الراغب اي تداركهم الله برحمته لما تابوا ومتعهم بالحياة الى حين كما قال
الله تعالى الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا
ومتعناهم الى حين والاستثنا منقطع من قوله فلولا كانت قرية امنت فنفعها ايمانها الاية
الى اذ المعنى لولا كانت قرية من القرى التي اهلكناها امنت الا قوم يونس ويحتمل الاتصال لانه
في معنى ما نجينا قرية اي اهلها الذين عاينوا العذاب الا هولاء كما تقرر في التفاسير وفي
كلامه خلل لا يخفى فان تحصله جوابان احدهما المنع وانه ليس بخبر وارد والثاني انه خبر عن

عن وقوع العذاب وقد وقع لانهم عاينوه لكن الله رفعه عنهم فالاستدراك ليس في محله
لما بينته لما قبله ومقصوده هذا الكنه تسمح في العبارة وايضا العذاب لم يحل بهم ولكنه
لما بينته كما تقدم جعل كانه وقع واذا عبر بالرفع دون الدفع وهو من خصايص قوم يونس
لان ايمان ياس وهو لا يقبل وروي في الاخبار انه امهلهم اربعين ليلة فلما مضت خمسة
وثلاثون راوا دلايل العذاب في سحابة دنت منهم كما تقدم ومخايله بالخا المعجمة اي
علاماته جمع مخيلة وهي المظنة من خاله بمعنى ظنه وهي في الاصل موضع التخيل ثم استعير للاما
كقولهم الولد مبخلة ومجبنة قاله ابن مسعود رضي الله عنه رواه عنه ابن مردويه مرفوعا
وابن ابي حاتم موقوفا وقال سعيد بن جبير غشاهم العذاب كما يغشى الثوب القبر
يعني ان السحاب قربت منهم فكانت عليهم كثوب يغطى به قبر وفي التعبير بالقبر اشارة
الى انهم كالاموات ولذا عبر في الاية بالكشف وفي نسخة كما يغشى النوء القمر والنوء بواو
ساكنة وهمزة او بواو مشددة بمعنى النجم الطالع او الساقط واراد به هنا السحاب لانه
لا يخلو من سحاب ومطر معه والانوا عند العرب مشهورة والقمر معروف ثم اورد شيا مما يتعلق
بالاسيلة والمطاعن فقال فان قلت ايها السايل عما يوهم ما لا يليق بمقام النبوة
فما معنى ما روي رواه ابن جرير عن عكرمة مولى ابن عباس من ان عبد الله بن ابي سرح
بفتح السين وسكون الراء وبالحاء المهملة وهو عبد الله بن سعد بن ابي سرح بن الحارث
العامري القرشي الصحابي كاتب النبي صلى الله عليه وسلم قبل الفتح وهاجر ثم ارتد واسلم
بعد ذلك وحسن اسلامه كما تقدم وولي في خلافة عثمان فلما قتل اعتزل الناس والتزم العبادة
ودعا الله ان يتوفاه بعد الصلاة فمات بعد تسليمه من صلاة الصبح كما ذكره السهيلي وكان
يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينزل عليه من الوحي ثم ارتد مشركا اي عاد لما كان
عليه من الشرك وصار الى قريش اي رجع اليهم بمكة ولحق بهم ووافقهم على شركهم وقال
لهم بعد عوده لهم اني كنت وانا اكتب الوحي اصرف محمدا من التصريف وهو التغيير والتبديل
كما قال وتصريف الرياح اي ابدل ما يمليه علي وهو يسمعه فيوافقني على ما اختاره حيث
اريد اي في كل شيء اريده كان يملي علي عزيز حكيم في خواتم الايات فاقول له صلى الله عليه
وسلم او عليم حكيم اي اكتب هذا بدل ذاك فيقول لي نعم اي اكتب ما قلت بدل ما تمليه
كل صواب اي ما امليته وما قلته انت من عندك وسياتي ما فيه وفي حديث اخر اي في
رواية اخرى لهذا الحديث رواها السدي فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم وهو بين
يديه اكتب كذا كتابة عما يامره بكتابته فيقول اي ابن ابي سرح له صلى الله عليه
وسلم اكتب كذا فيقول اكتب كيف شئت يحتمل الخبر والاستفهام والظاهر الاول
فيقول النبي صلى الله عليه وسلم اكتب عليما حكيما فيقول اي ابن ابي سرح اكتب بدل
هذا سميعا بصيرا فيقول النبي صلى الله عليه وسلم له اي لابن ابي سرح اكتب كيف
شئت واردت كتابته وسياتي تاويله على تقدير صحته وفي الصحيح اي في الحديث الصحيح
الذي رواه البخاري والصحيح اذا اطلق يراد به كتابه وحديثه هذا مروي عن انس رضي
الله عنه ان نصرانيا قال البرهان لا اعرفه باسمه وفي مسلم انه رجل من بني النجار كان
يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ما يوحى اليه بعد ما اسلم ثم ارتد عن الاسلام الى الكفر
وكان يقول بعد ما ارتد ما يدري محمد الا ما كتبته له يعني انه كان يكتب من نفسه ويزعم

زات

دة
ن

يل

الصحيح

ان ما يقرؤه النبي صلى الله عليه وسلم من كلامه ولم يزل لعنه الله على ردته حتى مات
فدفنوه فلفظته الارض فقالوا هذا من فعل النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فحفروا
واعمقوا له ودفنوه فلفظته ذلك فقالوا مثل ذلك ثم وقع ذلك مرة ثالثة فعلموا انه
بفعل الله وتركوه كما فضحه الله واعلم ايها المريد للوقوف على الحق وظهوره ثبتنا الله واياك
على الحق في هذه القصة وغيرها اي جعلنا ممن علم الحق وعرفه ولم يتغير عما هو عليه وفي
هذا الدعا مناسبة لما قبله فان فيه ذكر من ارتد بعد اسلامه ممن لم يثبت على الحق بعدما عاينه
ولا جعل للشيطان ولا جعل لتلبيسه اي خلطه الحق بالباطل الينا اي لوصوله
الينا سبيلا وطريقا يصل منه لنا اي بعده الله عن ساحتنا ولا سلطه علينا ان مثل هذه
الحكاية اي حكاية ابن ابي سرح والكاتب النصراني اولا اي قبل النظر في معناها والبحث
عن صحتها واحوال رواتها لا توقع في قلب مومن ريبا اي شكا وترددا في حقيقة ما اوحي
الى النبي صلى الله عليه وسلم وان الشيطان لا يتسلط عليه اذ هي حكاية عمن ارتد وكفر
بعد ايمانه يعني ابن ابي سرح والكاتب النصراني كما مر ونحن معاشر العلما علما الدين وعلما
الحديث لا نقبل خبر المسلم المتهم اي الذي جرح وطعن فيه المحدثون مما يعنونه في باب
الجرح والتعديل مع اسلامه وعلمه لا يقبل خبره لعدم عدالته فكيف بكافر قد افترى هو
ومثله من الكفرة الفجرة اي اتصف بانه كافر كاذب مفتر على الله بادعا شريك وولد ونحوه
ورسله بنسبتهم لما لا يليق بمقامهم بما هو اعظم من هذا المذكور عنهما وكيف للاستفهام
الانكاري التعجبي نحو كيف تكفرون بالله والمصنفون يستعملونه للتعجب من امر لا اعظم منه
كما هنا والعجب لسليم العقل اي انه يتعجب ممن سلم عقله من الافات والحماقة وشوائب
الشك والالتباس يشتغل بمثل هذه الحكاية يعني حكاية الكاتبين سره السر هو الامر
الخفي واريد به هنا فكره او قلبه ويشغل بزنة يعلم اي يجعله مشغولا وهذه جملة مستانفة لبيان
وجه التعجب وقد صدرت من عدو كافر مبغض للدين مبغض بوزن مصلح من البغض ضد
المحبة وروي بتشديد الغين المعجمة وروي بنون وقاف وصاد مهملة من النقص ضد الزيادة
مفتر على الله ورسوله لانه قال انه صلى الله عليه وسلم يقول قوله وان الله لم يوح اليه
وكل منهما كذب على كل منهما ولم يرد عن احد من المسلمين انه روى ما ذكر عن ابن ابي سرح
والكاتب النصراني ولم يصح احد منهم ما قالاه ولم يثبت قولهما له صلى الله عليه وسلم ما ذكر
ولا ذكر احد من الصحابة انه شاهد ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لهما او ما قاله
كل واحد منهما له وافتراه على نبي الله صلى الله عليه وسلم وانما يفتري الكذب من لا يومن
بايات الله وفي نسخة الذين لا يومنون بايات الله واولايك هم الكاذبون حقيقة لعد
كذبهم بالنسبة للكذب على الله ورسوله كالعدم فالفاختة عنده ابو ذر حكم من كذب يغتفر
وحاصله ان مثله مما يشهد العقل بكذبه مما لا ينبغي ذكره فانه مما يسود وجوه القراطيس
بلا فايدة وانما ذكره لازالة الشبهة عن العقول القاصرة وتبيين حاله فلا وجه للانكار
على المصنف وايراده له بعدما بين مراده وما وقع من ذكرها اي ذكر هذه القصة فانه
لاستوا مقالتهما حتى صارا امرا واحدا من حديث انس المروي عنه وما وقع من ظاهر
حكايته لها بنقلها فليس فيه اي في الحديث ونقله لغيره ما يدل على انه شاهدها اي
ابصرها وحضرها والشاهد عندهم ما يدل على صحة الحديث من روايته من طرق اخر تقويه

كالمتابعة

كالمتابعة والفرق بينه وبين المتابعة مذكور في مصطلح الحديث ولعله حكى ما سمع
من غير جزم به ولا قول بصحته وفي قوله لعله اشارة الى انه متردد فيه ايضا وقد علل
البزار حديثه اي حديث انس رضي الله عنه ذلك المذكور فاشار الى ان فيه علة قادحة
في صحته وقال في بيان ذلك انه رواه ثابت عنه اي عن انس ولم يتابع عليه اي لم يرو
من طريق اخر يعضده غير طريق ثابت عنه ورواه حميد بالتصغير عن انس قال واظن
حميدا انما سمعه من ثابت لا من طريق اخر فلا يكون متابعة وحميد هذا هو حميد بن عبد ال
وقيل غير ذلك وهو يروي عن انس وغيره وكان له طول في يديه توفي وهو قايم يصلي
سنة اثنين واربعين ومايه ونحوه وقيل انه يدلس واخرج له الستة وحديثه الذي
رواه المصنف اخرجه البخاري فقال انه كان رجل نصراني فاسلم وقرا البقرة وال عمران
وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتد فانطلق هاربا حتى لحق باهل الكتاب
فعجبوا به الحديث وهو حديث صحيح فرد المصنف له غير صحيح والذي ينبغي له ان يقول
ان من قال كذب وافترى ولا يقدح في اصل القصة وصحتها فانها مروية في الصحيحين
كما تقدم قال القاضي ابو الفضل رحمه الله ولهذا اي ما ذكر مما سمعته من انه لا
شاهد له ولا متابعة لم يخرج اهل الصحيح حديث ثابت ولا حميد والصحيح حديث
عبد العزيز بن رفيع وهو ما رواه البخاري ومسلم كما تقدم واخرجه البخاري في علامات
النبوة عن ابي معمر عن عبد الوارث بن سعيد عن عبد العزيز بن رفيع عن انس وعبد
العزيز هذا توفي سنة ثلاث ومايه الذي خرجه اهل الصحة صفة لحديثه واهل
الصحة الذين يروون الاحاديث الصحيحة كالبخاري ومسلم وذكرناه وليس فيه
اي في الحديث المذكور في هذه الرواية عن انس قول شي من ذلك الذي ذكره السايل
من المطاعن من قبل نفسه بكسر القاف وفتح الموحدة اي لم يرو فيه ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال له من قبل نفسه لم يوح به اليه الا عن حكايته عن المرتد النصراني وهو مفتر
على الله ورسوله واما ما فعله ابن ابي سرح فسياتي بيانه ولو كانت القصة صحيحة من
جهة الرواية لما كان فيها اي في هذه الحكاية التي افتراها النصراني عدو الله المرتد
قدح اي عيب ونقص في مقام النبوة من قدح كمنع اذا طعن فيه ولا توهيم اي نسبة
الى الوهم بفتح الهاء وهو الغلط وبسكونها ذهاب الوهم لشي كما في الصحاح وفي بعض النسخ
توهين بالنون من الوهن وهو الضعف اي نسبته لما يوهن جانبه بما لا يرضى له للنبي
صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه من ربه وليس مثله مما يغتر به ولا جواز للنسيان
والغلط عليه فيما طريقه البلاغ من الوحي كما توهمه السايل والتحريف تفعيل من الانحراف
وهو الميل عن الحق والمراد به التبديل والتغيير فيما بلغه عن الله ولا طعن في نظم
القرآن بان يقال انه اثبت فيه ما ليس منه من كلام الكاتب الكاذب ولا طعن في انه
من عند الله وانه فيه ما ليس منه بتبديل الفاظه بغيرها اذ ليس فيه اي فيما قاله الكاتب
لو صح ما قاله اكثر من ان الكاتب المذكور قال له صلى الله عليه وسلم عليم حكيم مثلا
او كتبه اي ما ذكره وعزوه وهو يملي ويكتب ما يلقيه لفهم خاتمة الكلام من ابتدايه على طريقة
الارصاد البديعي وهو ان يورد نظما او نثرا يفهم اخره من اوله قبل تمامه فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم كذلك هو اي لفظ القرآن مثل ما قلت وما تبادر لفهمك

لذكاتبك الذي دل على مقطع الكلام الدال عليه اوله فسبقه لسانه او قلمه اي سبق
النبي صلى الله عليه وسلم لسان الكاتب او قلمه لما سيمليه عليه وتوارد معه لكلمة واحدة
مثل عليم او حكيم او كلمتين كغفور رحيم لانتقاله من سياق الكلام لذلك مما نزل على
الرسول بالوحي الذي املاه عليه قبل اظهار الرسول لها اي لخاتمة الكلام من كلمة او
كلمتين او الضمير للكلمة ويعلم منه الكلمتان وما قدمناه اولى اذا كان ما تقدم مما املاه
الرسول صلى الله عليه وسلم بيانا لما يدل عليه اي على الخاتمة او الكلمة ويقتضي وقوعه
في اخره وخاتمته بقوة قدرة الكاتب على الكلام بيان لسبب سبقه وانه لكونه
من صميم العرب الناشئين في حجر البلاغة المرتضعين لثديها ومعرفته به اي بتبليغ
الكلام نظما ونثرا وصناعته وصبه في قالبه وجودة حسه المدرك له وفطنته اي
سرعة انتقاله قبل اتمامه كما يتفق ذلك الانتقال للعارف باساليب الكلام اذا
سمع البيت من الشعر اذا انشد اذ يسبق فهمه لقوة ادراكه الى قافيته اي آخر
كلمة منه قبل الوصول اليها واوله للحسن اي الفصيح المنسجم وقيده
لانه هو يرتبط بعضه ببعض وتتجاذب كلماته فتتعانق وتتلازم بخلاف المتنافر كلماته الى ما
يتم به من خواتمه ولا يتفق اي يقع اتفاقا ذلك اي سبق الفهم من اول الكلام الى آخره
في جملة الكلام اي لا يقع ذلك في الكلام بتمامه بان يسبق فهمه الى خطبة او قصيدة بتمامها
فان النوادر في مثله بعيد جدا كما وقع للصفدي بن الوكيل مع ابن اسرائيل لما ادعى قصيدة
له وتحاكما فيها عند ابن الفارض فحكم بها للصفدي فقال قائل انه من وقع الحافر على الحافر
فقال وقع الحافر على الحافر من الاول الى الاخر في القصيدة المشهورة وقيل مراده بجملة الكلام
انه ليس كل كلام مرتبا لخاتمته على فاتحته والظاهر الاول لقوله كما لا يتفق ذلك في آية
ولا سورة بتمامها من الايات والسور ثم شرع في الجواب عن قصة ابن ابي سرح بعدما اجاب
عن قصة النصراني وقدمها لصحتها وظهور جوابها فقال وكذلك اي مثل هذه القصة قوله
صلى الله عليه وسلم فيما تقدم في قصة ابن ابي سرح لما قال بعد ردته كنت اصرف
محمدا حيث اريد كان يملي علي عزيز حكيم فاقول او عليم حكيم ان صح انه كان يقول ذلك
كل صواب مما امليته وقلته انت فقد يكون هذا الذي وقع له مع ابن ابي سرح فيما
كان فيه من مقاطع الآي جمع آية وضمير فيه لما اوحي اليه من القرآن والمقاطع جمع مقطع
وهو اواخر الكلام وفواصله وجهان وقراءتان علمهما بالوحي فاملى عليه احدهما وذكر الكاتب
الاخرى فلذا قال له صلى الله عليه وسلم كل صواب لانهما انزلتا جميعا على النبي صلى
الله عليه وسلم فاملى صلى الله عليه وسلم احدهما على ذلك الكاتب وتوصل الكاتب
المذكور لما ذكره بفطنته ومعرفته باساليب البلاغة بمقتضى الكلام اي بما يقتضيه
مقامه ويدل عليه سياقه الى القراءة الاخرى التي ذكرها الكاتب ظانا انه ابتكرها فذكرها
للنبي صلى الله عليه وسلم اي القراءة الاخرى ذكرها كاتبه توارد من حيث القرينة
على نظم القرآن النازل على اساليب كلامهم فتوهم ان الرسول صلى الله عليه وسلم قرأ كلامه
قبل ذكر النبي صلى الله عليه وسلم لها اي لتلك الكلمة او الكلمتين فصوبها له اي قال
له انه صواب لموافقته لما اوحي اليه وهي مقدار لا اعجاز فيه ثم احكم الله من ذلك
الذي انزله على رسوله صلى الله عليه وسلم فاملاه عليه ما احكم اي اثبته واتقنه ونسخ

ما نسخ

ما نسخ اي ما اراد نسخه لفظا ومعنى وذلك كما فصل في كتاب الناسخ والمنسوخ وما
انما قاله ابن ابي سرح لا ضير فيه فانه سبق النبي صلى الله عليه وسلم بكلمات وافق فيها
لفظه لفظ القرآن وصوبه النبي صلى الله عليه وسلم واقره عليها فلما ارتد واضله الله قال
ما قال ثم اسلم عام الفتح وحسن باسلامه حاله بعد ذلك ومحى الله ما افتراه حال ردته
سواء كان ما قاله موافقا لما املاه عليه او مخالفا له على انه قراءة اخرى وقد تخالف القراءآت
لفظا ومعنى وانما الممنوع فيها التناقض كما قد وجد ذلك اي تخالف القراءآت في بعض
مقاطع الآي وهي فواصلها او اواخرها التي هي في النثر كالقوافي في الشعر مثل قوله
تعالى حكاية عن عيسى صلى الله عليه وسلم ان تعذبهم فانهم عبادك تفعل بهم ما تريد
وان تغفر لهم ذنوبهم وعصيانهم فانك انت العزيز القوي القادر على العقاب والثواب
الحكيم اي الواقع جميع افعاله على مقتضى الحكمة لا يسأل عما يفعل بحكمته البالغة وان لم
يظهر لنا وجهه وهذه القراءة قراءة الجمهور اي اكثر القراء وهي القراءة المتواترة وقد يتوهم
في بادي النظر ان المناسب للمغفرة الغفور الرحيم بدل العزيز الحكيم وقرأ جماعة من الصحابة
في الشواذ فانك انت الغفور الرحيم بدل قوله فانك انت العزيز الحكيم القراءة المتواترة
وليست هذه القراءة الشاذة في المصحف العثماني المسمى بالامام المجمع على القراءة بما فيه
وترك ما عداه وظن بعضهم ان القراءة الشاذة هي المناسبة هنا وليس هذا وجه لمن له معرفة
به وبدقائق البلاغة فان المعنى انك ان غفرت ذنوبهم فليس ذلك عن عجز لانك عزيز غالب
على كل من سواك ولا قبح في فعلك لانك حكيم ولو قال انك انت الغفور الرحيم اوهم الدعاء
بالمغفرة لمن مات مشركا وهو غير مستقيم اي ان تبقهم على كفرهم حتى يموتوا وتعذبهم فانهم
عبادك وان هديتهم لطاعتك وتغفر لهم فانت العزيز الذي لا يمنع عما اراد والحكيم في
افعاله فيضل من يشاء ويهدي من يشاء ولا وجه للطعن فيه بعدم المناسبة وقال ابن
الانباري هذا هو المناسب لان الغفور الرحيم ينفرد بالشرط الثاني والعزيز الحكيم يتعلق
بالشرطين اي ان تعذبهم او تغفر لهم فانك العزيز الحكيم في الامرين التعذيب والمغفرة
فهو اليق فتدبر وكذلك وقع في القراءآت كلمات جاءت على وجهين متواترين في غير
المقاطع والاواخر كما جاء في المقاطع قرأ بهما الجمهور من القراء العشرة المتفق على قراءتهم
وثبتا اي القراءة بالوجهين في المصحف العثماني المعمول برسمه مثل قوله تعالى وانظر الى
العظام جمع عظم اي عظم الحمار او عظم الموتى التي عجب من احيائها كيف ننشرها براء مهملة
من النشر اي نحييها وبه قرأ ابو عمرو وغيره وننشزها بزاي معجمة بقراءة نافع وغيره
اي نحركها ونرفع بعضها على بعض من النشز بمعنى المرتفع ومثل قوله تعالى يقضي الحق بضاد
معجمة وتخفيفه في قراءة ابي عمرو ويقضي الحق اي يقضي القضاء الحق في كل ما يقضيه ويقص
بصاد مهملة مشددة في قراءة نافع وغيره اي يتبع الحق ويحكم به ويقدره وكل هذا المذكور
في هذا الفصل لا يوجب اي لا يستلزم ولا يقتضي ريبا اي شبهة ولا يسبب بصيغة
المضارع اي يكون سببا له صلى الله عليه وسلم غلطا ينسب اليه فيما طريقه البلاغ ولا وهما
بسكون الهاء بمعنى الغلط فهو عطف تفسير وقيل انه بفتحها من وهم يهم اذا ذهب وهمه
اليه وفيه نظر وقد قيل ان هذا الذي وقع في قصة الكاتبين يحتمل ان يكون فيما يكتبه
عن النبي صلى الله عليه وسلم في مكاتبته الى الناس يدعوهم الى الاسلام ملوكا وغيرهم

عن القرآن فله فيه ان يصف الله عز وجل هو او يأذن في ذلك ويسمه في ذلك الكتاب الذي يكتبه لانه ليس قرآنا يجب اتباع نظمه كيف ما شاء باي لفظ كان يليق به كما مر ولذا قال له اكتب كيف شئت وكل صواب والله الموفق بمنه

فصل هذا القول

المذكور في هذا الفصل الذي قبل هذا واقع فيما طريقه البلاغ اي تبليغ الناس ما امر بتبليغه من ربه بالوحي واما ما ليس سبيله سبيل البلاغ بما امر ببيانه من الاخبار بيان لما الثانية وهي بفتح الهمزة جمع خبر التي لا مستند اي لا استناد لها الى الاحكام الشرعية التي يتعبد بها ولا مستند لها الى اخبار المعاد بفتح الميم اي احوال القيمة والآخرة التي لا تعلم الا بالوحي ولا تضاف اي تنسب وتنسب الى وحي اي امر اوحي به اليه بل اضرب بالانتقال الى بيان ما ليس طريقه البلاغ وليس من الاحكام واخبار المعاد والوحي مما وقع ذكره في احوال الدنيا وفي نسخة امور الدنيا واحوال نفسه صلى الله عليه وسلم المتعلقة بامور نفسه فالذي يجب شرعا علينا اعتقاده والجزم به تنزيهه صلى الله عليه وسلم وتبرئته عن ان يقع خبره الذي اخبر به في شيء من ذلك المذكور من احوال الدنيا واحوال نفسه وذاته ملتبسا بخلاف مخبره اسم مفعول بضم الميم وفتح الباء اي غير مطابق لما اخبر عنه بوجه ما لا عمدا لانه يكون كذبا ولا يليق بمقامه ولا سهوا ولا غلطا كاعتقاده ما ليس واقعا واقعا وانه معصوم بفتح الهمزة معطوف على تنزيهه حفظه الله عن ضل وزرمنه في جميع احواله في حال رضاه اي لونه غير غضبان ولا مكره على اخباره وفي حال سخطه بفتحتين او بضم فسكون اي كراهته وعدم رضاه وجده بكسر الجيم وهو ضد الهزل والمزح الذي اشار اليه بقوله ومزحه اي مزاحه وهزله فانه صلى الله عليه وسلم كان يمزح احيانا ولا يقول الا حقا وفي حال صحته اي صحة مزاجه وسلامته من الامراض ومرضه اي عروض بعض الامراض البشرية ودليل ذلك المذكور من عصمته في اخباره وجميع احواله اتفاق السلف اي من تقدم عصره من هذه الامة واجماعهم عليه اي على انه لا يصدر عنه خبر بخلاف مخبره اصلا وذلك انا نعلم يقينا من دين الصحابة رضي الله عنهم والدين اما بمعنى الديانة او بمعنى العادة فقوله وعادتهم تفسير اي دابهم الذي استمروا عليه او الدين بمعنى الطاعة والانقياد له مبادرتهم اي اسراعهم من غير توقف وتردد وفي نسخة مبادرين فهو حال مما قبله اي مسارعين الى تصديقه صلى الله عليه وسلم بقبول ما يقوله في جميع احواله السابقة من جد وما بعده والثقة اي الوثوق والاعتماد لتصديقهم بجميع اخباره في اي باب اي نوع من الانواع كانت اخباره واي شيء وفي نسخة وعن اي شيء وقعت وصدرت منه وباي سبب في اي حال من احواله وانه اي الامر والشان لم يكن لهم توقف تفعل من الوقوف اريد به الشك والريبة ولا تردد هو ايضا حقيقة عرفية في الشك وعدم الوثوق في شيء منه اي من اخباره بل بمجرد السماع يجزمون بتحقيق خبره كانهم عاينوه فيتلقوه بالقبول وانشراح الصدر ولا استثبات عن حاله اي حال خبره او عن احواله صلى الله عليه وسلم في اخباره والاستثبات بسين مهملة ومثناة فوقية ومثلثة وهو طلب

من ربه كاخباره عن بعض المغيبات ونحوها مما يقول انه اوحي به اليه صح

السؤال بسؤال ونحوه عند ذلك اي في زمان اخباره فلا يخطر ببالهم ولا يقولون هل وقع فيه سهو ام لا اي هل صدر اخباره سهوا منه او عمدا وغيره وهذا بيان لاستثنائهم وهذا دليل على انه لم يقع منه ذلك واما عدم جوازه عليه وان كنا نعتقده ايضا فليس بمراد فلا وجه لما قيل من انه انما يدل على عدم الوقوع لا على عدم الجواز فللقائل به ان يطلب الدليل على امتناعه ولما احتج اي تمسك واستدل ابن ابي الحقيق بصيغة المصغر علم لهذا اليهودي وبنو الحقيق طائفة من يهود خيبر له حصن منهم كنانة بن الربيع بن ابي الحقيق زوج صفية بنت حيي بن اخطب ام المؤمنين رضي الله عنها وله قصر في السير وليس هو هذا لانه قتل في زمنه صلى الله عليه وسلم واما هذا فلم يذكروا اسمه وهذا الحديث رواه البخاري في حديث اجلاء يهود خيبر على عمر بن الخطاب رضي الله عنه متعلق باحتج ويحتمل ان يريد بابن ابي الحقيق جماعتهم كابن آدم للناس لقوله حين اجلاهم من خيبر اي اخرجهم وطردهم منها في زمان خلافته رضي الله عنه وهي بلاد بقرب المدينة لليهود علم ممنوع من الصرف والجار متعلق باجلاهم باقرار اي جعلهم قادرين فيها ساكنين من غير اخراج لهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم اي لبني حقيق متعلق باقرار فجعل فعله صلى الله عليه وسلم حجة على عمر رضي الله عنه واحتج عمر رضي الله عنه اي اقام الحجة عليه ورد ما احتج به بقوله صلى الله عليه وسلم لذلك اليهودي من بني الحقيق بقوله كيف بك اذا اخرجت من بلادك اي في اي حال تكون اذا وقع بك ما يصيبك واجليت من بلادك ونفيت منها فهذا يدل على عدم دوام اقرارهم منه كما ظن فهو متضمن لخبر صادق منه فقال له اي لعمر رضي الله عنه اليهودي المذكور رد لما احتج به كانت مقالته صلى الله عليه وسلم كيف بك الخ هزيلة تصغير هزلة وهي المرة من الهزل ضد الجد كما في النهاية من ابي القاسم هي كنيته صلى الله عليه وسلم كابي ابراهيم اي انما قال هذا على طريق الهزل والمزح فلا دليل به فقال عمر رضي الله عنه مجيبا له كذبت يا عدو الله اي لم يقل صلى الله عليه وسلم ذلك هزلا ولو كان مزحا ايضا فهو لا يمزح الا بالحق وذلك الفعل ويعتقد خلاف ذلك عنادا منه وجهلا بمقام النبوة وتحقيرا له لعنه الله والصحابة لا يقولون بشيء من ذلك وهذا الحديث رواه الشيخان عن ابن عمر مفصلا في خطبة لعمر رضي الله عنه وكان صلى الله عليه وسلم اقرهم بها على ان تكون ثمارها بينه وبينهم ثم اقرهم ابو بكر رضي الله عنه على ما اقرهم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اقرهم عمر رضي الله عنه صدرا من خلافته على ذلك ثم لما ظهر له غدرهم بابن عمر اجلاهم منها واعطاهم قيمة ما لهم من الثمار والاموال واخرجهم لتيما واريحا من جانب الشام لحديث لا يجتمع بجزيرة العرب دينان كما فصل في السير والبخاري وشروحه وكانت محاجة اليهود له عند ذلك كما تقرر وايضا اي مثل ما ذكر في الدلائل على عصمته صلى الله عليه وسلم في جميع اخباره فان اخباره المروية عنه صلى الله عليه وسلم وآثاره جمع اثر بمعنى خبر يؤثر وينقل عنه وسيره جمع سيرة وهي الصفة الحميدة وشمائله جمع شمال بكسر الشين وهي الصفات الذاتية الحسنة معتني بها نقلا وحفظا اسم مفعول من العناية بمعنى الاعتناء والاهتمام مستقصى اي مستوفاة متممة من اولها الى آخرها واقصاها بتفاصيلها اي مفصلة مبينة كلها ولم يرد عنه في شيء منها اي من الاخبار والآثار والسير استدراك

اي ترك صلى الله عليه وسلم بالرجوع عما فرط منه للصواب فيه **لغلط في قول**
قاله فيما ذكر من الاخبار وغيرها **او اعترافه** واقراره **بوهم** اي غلط **في شي اخبر به** احدا
من اصحابه **ولو كان** اي وقع منه شي من ذلك **لنقل** الينا **كما نقل** فيما رواه مسلم عن طلحة
وانس وغيرهما **في قصة رجوعه** صلى الله عليه وسلم اي تحوله عن رايه لغيره **عما اشار به**
على الانصار في تلقيح النخل التلقيح والتابير جعل شي من طلع الذكر في الانثى
ليحصل ثمرها ويجود وهو بمنزلة النطفة للحمل جرت العادة لحكمة الهية انها لا تحمل بدونه
وكان صلى الله عليه وسلم يراهم وهم يفعلون ذلك فسالهم عنه فاخبروه فقال لهم دعوه
فتركوه امتثالا له صلى الله عليه وسلم فلم يثمر نخلهم في ذلك العام فلما اخبروه بذلك
قال لهم انتم اعرف بدنياكم فعدم معرفته صلى الله عليه وسلم بامر من هذه الامور لا ينافي
عصمته وانه لا يخبر بما يخالف الواقع لان مهمه صلى الله عليه وسلم امور الاخرة والشرايع
وتوابعها وغيره انما جل قصده العلم بظاهر من الحياة الدنيا وهذه القصة رواها مسلم
كما علمت بسند صحيح وفيه ان تمرها خرج شيصا وهو البسر الذي لا نوى له وقال المصنف
هو ردي البسر الذي اذا يبس صار حشفا **وكان ذلك** الامر الذي اشار عليهم به النبي
صلى الله عليه وسلم بقوله لو لم تفعلوا لكان خيرا **رايا** اشار به عليهم بناء على عادته صلى
الله عليه وسلم في ترك الاسباب الظاهرة والنظر لمسببها كما هو داب الكمل ولو كان اعتمادهم
واعتمادهم على الله مثله صلى الله عليه وسلم لم يتخلف ذلك ولذا فوض لهم صلى الله عليه وسلم
امور دنياهم نظرا لقلوبهم **لا خبرا** اخبرهم به يكون وقوع خلافه كذبا حماه الله منه ولا غلطا فيه
لانه اجتهاد تغير بحسب الظاهر فلا نقص ولا يطعن به عليه **وغير ذلك** مما صدر منه
من الامور التي صدرت من هذا الباب مما ينتزع من الاخبار وفيه مما يخالف مخبره من امور
الشرع والمعاد **كقوله صلى الله عليه وسلم** في حديث رواه الشيخان عن ابي موسى الاشعري
رضي الله عنه في غزوة تبوك لما ساله بعض الصحابة ان يحملهم فقال والله ما عندي
ما احملكم عليه فاتي بعد ذلك بابل فاعطاها السائل وقال ما انا حملتكم ولكن الله حملكم ثم
قال **والله اني لا احلف** اي اقسم **على يمين** المراد باليمين المستعمل بمعنى القسم هنا
والمراد المقسم عليه من فعل او ترك قال الزمخشري سمي المحلوف عليه يمينا لتلبسه به
واصله العقد بنية وعزم واكده اشارة الى انه ليس لغوا لا ينعقد واصل اليمين اليد اليمنى
تسمى به لانهم كانوا يتمسكون بها اذا حلفوا **فاري غيرها** اي اعلم غير اليمين المحلوف
عليها واليمين مؤنث بجميع معانيه فكني بضميرها عن المحلوف عليه اعني تركه صلى الله عليه
وسلم حملهم لانه سببها **خيرا منها** اي احسن من فعلها **الا فعلت الذي حلفت عليه**
اي الامر الذي اقسم على ان لا يفعله كتركه حملانهم هنا **وكفرت عن يميني** بكفارته
المعروفة شرعا وليس هذا بغلط فيما طريقه البلاغ ولا خبر لانه انشاء قسم قال ابو موسى
رضي الله عنه وكان لما حلف ان لا يحملنا ثم ارسل الينا وحملنا فقلنا نسي ما اقسم عليه والله
لئن فعلنا ما فيه حنث له صلى الله عليه وسلم لا نفلح فلنذكره فرجعنا وذكرنا له ذلك
فقال انطلقوا انما حملكم الله ثم قال والله لا احلف على يمين الخ وبه استدل على ان الحنث
بما هو خير يستحب وليس فيه انه حنث في هذه اليمين وكفر لانه يحتمل انه لم يكن عنده ما
يحملهم لما اقسم عليه ويحتمل انه قال ان شا الله **ومن هذا القبيل قوله** صلى الله عليه وسلم

وسلم في حديث رواه الشيخان عن ام سلمة رضي الله عنها **انكم** معاشر الامة **لتختصمون**
اي تاتون لفصل الخصومة **الي** اي عندي اقرا **الحديث** الى اخره وتمامه ولعل بعضكم الحن
من بعض اي افصح فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن اقتطعت له من اخيه شيا اي البس
حقه فلا ياخذه فانما اقتطع له قطعة من النار فليحملها او ليذرها وفيه تنبيه على بشريته
صلى الله عليه وسلم وانه لا يعلم الغيب وانما يحكم بالظاهر وقد كان له صلى الله عليه وسلم
الحكم بالباطن لاطلاع الله له عليه كما ذكره السيوطي ولكن هذا اغلب احواله صلى الله عليه
وسلم تعليما للامة حتى يقتدوا به **وقوله** صلى الله عليه وسلم للزبير ان يسقي نخله ولا
يستوعب الماء ثم يرسله لجاره من الانصار فقال له الانصاري ان كان ابن عمتك فقال
صلى الله عليه وسلم **اسق حتى يبلغ الماء الجدار** اسق بهمزة وصل امر من سقى وقيل بهمزة
قطع من اسقاه الجدر بضم الجيم جمع جدار ومعنى الاول ما رفع كالجدار لحبس ما السقي او هو
لغة في الجدار وقيل اصل الجدار وعلى الاعجام تمام الشرب من جذر الحسابات ويجوز كسر
جيمه ومعناه الاصل وقيل هو اصل الحائط وكان رجل انصاري خاصم الزبير بن عمته صلى
الله عليه وسلم فقال له اسق يا زبير ثم ارسل الى جارك فقال ان كان ابن عمتك فتلون
وجهه صلى الله عليه وسلم فقال يا زبير واحبس الماء حتى يبلغ الجدر وفيه نزل فلا وربك
لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم والرجل المخاصم قيل هو حاطب بن بلتعة ولا يصح
لانه ليس انصاريا وقيل ثابت بن قيس وقيل ثعلبة بن حاطب وقيل حميد وقيل انه بدري
ونقل ابن الملقن رحمه الله انه منافق من الانصار **كما سنبين كل ما في هذا الحديث** وما
تعلق به في اخر الكتاب **من مشكل ما في هذا الباب** والباب **الذي بعده ان شاء الله**
تعالى مع اشباهها اي اشباه وامثال ما في البابين وانث باعتبار المعنى اي اشباه
هذه المشكلات **وايضا** اي مثل ما ذكر من الجواب **فان الكذب متى عرف من احد في شي**
من الاخبار بخلاف ما هو عليه في الواقع والاولى ترك هذا لان الكذب لا يكون الا كذلك
وقد اطنب المصنف وطول بما لا فائدة فيه وكان يمكن اختصار هذا في كلمات قليلة **على اي**
وجه كان سواء كان هزلا او جدا كالحكوية الذين ينقلون الحكايات الباطلة مع علمهم ببطلانها
للتسلي بها كما هو معروف الان **استريب بخبره** اي اوقع الناس في ريبة وشك فيما
يخبر به حتى لو صدق لم يصدق **واتهم في حديثه** الذي يحدث به الناس **ولم يقع قوله**
في النفوس موقعا اي لم يقبل ولم يلتفت اليه **ولهذا** اي ولكون الكذب يوقع في ذلك
ما ترك المحدثون ما زايدة وفي نسخة حذفها وهي اولى **والعلما** من عطف العام على
الخاص اي علما الحديث والفقه وغيرهم من اهل العلم **الحديث** مفعول ترك **ممن عرف بالوهم**
بفتح الها بمعنى الغلط وهو بسكونها بمعنى الوقوع في القوة الواهمة وفيه تفصيل في كتب
اللغة **والغفلة** اي الذهول وعدم معرفة الامور **وسوء الحفظ وكثرة الغلط** عطف
تفسير على سوء الحفظ اي كون حفظه سببا غير قوي **مع ثقته** اي كونه ممن يوثق منه لديانته
وعدم تعمده الكذب فيما يحدث به ومع ذلك يتركون رواية الحديث عنه لانه قد يقع منه
ما لا اصل له لغفلته وقلة حفظه واذا كان هذا المخالفة الواقع غير مقبول فما بالك
بالكذب ممن عرف به ولا يرد على المصنف انه اذا حدث من اصل صحيح عنده تقبل روايته منه
لا عن ظهر قلبه وحفظه وانه لا يشترط في هذه الاعصار ذلك ابقاء لسلسلة الحديث

لانه اذا احدث عن اصل كان الاعتماد عليه لا على حفظه وما ذكره هو الذي عليه
علماء الحديث المعتمد عليهم **وايضا** اي مثل ما ذكر في عدم الاعتماد على من يكذب
فان تعمد الكذب قصدا والفا في جواب شرط مقدر نحو اذا احطت بما ذكر خبرا او علمه
في امور الدنيا فضلا عن الحديث والامور الشرعية **معصية** وذنب يترتب عليها جلد ولعاه
عليه آجلا ان لم يغفر الله **والاكثار منه كبيرة باجماع** من ايمة الدين وهي كما قالوه مختلف
في تعريفها وهل هي محصورة ام لا كما تقرر في كتب الاصول **مسقط للمروة** اي مذهب
عدالته والمروة بهمز او واو مشددة مصدر من المرء كالرجولية والانسانية **وكل هذا**
المذكور من الكذب وقبايحه **مما ينزه** ويبعد عن حقامه ويبرا **عنه منصب النبوة** المراد
بمنصبها مقامها وهو في اللغة بمعنى الحسب كما في قول ابي تمام ●
ومنصب نماه ووالد سما به ● واما استعماله بمعنى الولاية السلطانية فمولد كقول
ابن الوردي رحمه الله ● نصب المنصب اوهى جلدي ● وعناي من مداراة السفل
كما تقدم **والمرة الواحدة منه** اي من الكذب وفي نسخة منها اي من هذه المعصية **فيما**
اي يستقبح من الشناعة بوحدة وشين معجمة **ويشاع** اي يسمعه الناس لشناعته وقوله
فيما يتعلق بمقدر اي معدود فيما الخ وفي نسخة يستشنع بنون من الشناعة وهما بمعنى وفيها
ايضا ويشيع بدل ويشاع **مما يخل** من الخلل بعرضه ودينه **بصاحبه** المتصف به **ويزري**
اي يعيب وينقص ويحقر **بقايله** اي يجعله متصفا بالخلل والنقص من ازريت عليه
ازراء اذا عيبته وفي نسخة صاحبه وقايلها كما تقدم وقوله والمرة مبتدا خبره قوله
لاحقة بذلك اي بما لا يليق بمنصب النبوة او خبره مما وهو حال **واما الكذب فيما لا**
يقع هذا الموقع اي لا يعد مما يستبشع **فان عددناها** اي جعلناها **من الصغاير**
دون الكباير التي يترتب عليها حد او وعيد على الخلاف فيها **فهل يجري على حكمها** اي يوافق
حكمها ويتحد **في الخلاف فيه** اي وقع الخلاف فيما قبلها هل يجوز صدوره من الانبيا قبل
البعثة ام لا فذلك الخلاف هل وقع من ايمة الدين في هذه ام لا **مختلف فيه** اي وقع فيه
خلاف من ايمة الاصول فمنهم من قال اختلف فيه ايضا ومنهم من قال لا خلاف في عدم وقوعه
منهم لانه مما ينفر القلوب عنهم والكذب حرام منه ما هو صغيرة وما هو كبيرة وقد يقترن
به ما يصيره كبيرة لكونها تودي الى القتل والقتال كما قال الجويني وليس هذا محل تفصيله
والصواب من هذه الاقوال **تنزيه** النبي صلى الله عليه وسلم ومقام **النبوة عن**
قليله اي الكذب **وكثيره** لا خلاف له تعظيم قدرها وشرعها **سهوه** لعصمة الله عنه **وعمده**
لعلو طبعه عنه **اذ عمدة النبوة** بضم العين ما تعتمد عليه والمراد به المقصود منها بالذات
البلاغ والاعلام لمن ارسل اليهم ما اوحاه الله اليه **والتبيين لهم** ما شرعه الله **وتصديق**
من ارسل له **في ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم** من التوحيد والشرايع التي جاء بها عن
ربه **وتجويز شي من هذا** بالتواعه على انبيا الله **قادح في ذلك** العمدة المقصودة من بعثته
وبلاغه واعلامه ووجوب تصديقه لان من يجوز عليه الكذب في شي مما لا يجوز عليه
فيما بلغه عن الله واني بالاشارة للقرب في الكذب تحقيرا له وباشارة البعيد فيما بعده
تعظيما له وهو ظاهر **وتجويز** ايضا **مشكك فيه** اي فيما جاء به لالتباس صدقه الواجب
اتباعه بكذبه لو وقع منه ولو سهوا **مناقض للمعجزة** لايجابها تصديقه ولذا قرنت بها

الدعوة

الدعوة **فليقطع** امر للغايب اي يعتقد قطعا **بانه** اي الامر والشان او الكذب
باقامة الظاهر في قوله **لا يجوز** بسكون الواو وتشديدها **على الانبيا** كلهم **خلف**
بضم الخاء وفتحها اي كذب **في القول** الصادر عنهم وفي نسخة في قول **بوجه من الوجوه**
وفي نسخة في وجه اي في اي شي كان سوا كان من قبيل البلاغ ام لا **لا بقصد ولا**
بغيره كالسهو **ولا بتسامح** اي بتساهل وتهاون **مع من تسامح** متبعا لمن تساهل في
حقهم **في تجويز ذلك** الخلف في اقوالهم فجوزه **عليهم حال السهو فيما ليس طريقه**
البلاغ عن الله لعصمة الله لهم عن وصمته ومنهم بعض الشراح القايل بانه لا دليل على
عدمه وتوعده منهم نادرا **نعم** جواب سوال تقديره هل هذا شامل لما قبل النبوة فاجاب بانا
نقطع بانه لا يجوز بعد النبوة **وبانه لا يجوز عليهم الكذب** مطلقا **قبل اظهار النبوة**
ولا الا تسام اي الاتصاف من التهمة **به** الى الكذب **في امورهم** الخاصة بانفسهم **واحوال**
دنياهم اي الاحوال المتعلقة بالدنيا لهم ولامهم **لان ذلك** اي الخلف في القول **كان**
يزري اي يعيب وينقص كما مر **ويريب** اي يوقع في ريب وتهمة **فيهم** فيوقع الشك والتحير
في القلوب وهو مما ينزه عنه مقام النبوة **وينفر القلوب** اي قلوب الناس **عن تصديقهم**
فيما يبلغونه **بعد** مبني على الضم اي بعد ارسالهم وتبليغهم او بعد العلم باتصافهم بالكذب
ثم بين ذلك بقوله **وانظر** امر لكل من له نظر ومعرفة **احوال اهل عصر النبي صلى الله**
عليه وسلم اي من عاصره في مدة حياته **من قريش وغيرها** من العرب انثه باعتبار القبيلة
وغيرهم **من الامم** كالروم والعجم والحبش **وسوالهم** تفتيشا **عن حاله** في اموره وسيرته
بعد دعوتهم وقبلها لما شاع صيته في الافاق **في صدق لسانه** اي صدق كلامه وان
اللسان يطلق على الجارحة والكلام وقوله في صدق الخ بيان لحاله اي حاله الكاين في
صدقه **وما عرفوا به من ذلك** بتشديد الراو والبنا للمفعول ويجوز تخفيفها والبنا للفا[عل]
واعترفوا به مما عرف هو ايضا كالاول **واتفق النقل على عصمة نبينا صلى الله**
عليه وسلم منه اي من جميع ما ذكر عمدا او سهوا **قبل وبعد** مبنيان على الضم اي قبل البعثة
وبعدها والمراد نقل علما الملة او نقل الناس بعضهم عن بعض عصرا بعد عصر ثم لم يزالوا
ينقلون خلفا عن سلف انه لم يقع منه ذلك وعدم وقوعه يدل على عدم جوازه عليه فالتوقف
فيه لا يجوز وتحقيقه كما قاله العلامة العلاي في تاليف افرده لشرح هذا الحديث
ومن خطه نقلت وعبارته اتفق جميع اهل الملل والشرايع على وجوب عصمة الانبيا عليهم
الصلاة والسلام عن تعمد الكذب فيما دلت عليه المعجزة القاطعة على صدقهم فيه وذلك
فيما طريقه التبليغ عن الله من دعوى الرسالة وما ينزل عليهم من الكتب الالهية اذ لو جاز ذ[لك]
ادى الى ابطال دلالة المعجزة وهو محال واما السهو والنسيان فقال الامدي اختلف
الناس فيه فذهب ابو اسحاق الاسفرايني وكثير من الايمة الى امتناعه وذهب القاضي ابو بكر
الى جوازه وادعى الفخر الرازي في بعض كتبه الاجماع على امتناعه ونقل الخلاف فيه في بعضها
وحاصل الخلاف يرجع الى ان ذلك داخل تحت دلالة المعجزة على التصديق فمن جعله غير
داخل فيها جوزه لعدم انتقاض الدلالة وفي كلام امام الحرمين ان ذلك فيما يتعلق ببيان
الشرايع سوا كان قولا او فعلا نازلا منزلة قوله في اقتضا البيان وميل كلامه الى جواز السهو
فيه واحتج بقصة ذي اليدين وقال شيخنا الزملكاني ان الذي يظهر ان ما طريقه البلاغ

يقطع بدخوله تحت دلالة المعجزة علي الصدق فهذا لا نزاع فيه انه لا يجوز فيه التحريف
ولا الكذب ولا السهو وما لا يكون كذلك وهو ما طريقه التبليغ وبيان الشرايع فهل
يجوز فيه النسيان وهذا محل الخلاف ويحتمل اطلاق الفخر الاجماع فيه علي الاول وذكر
الخلاف علي الثاني وكذا كلام الامدي محمول علي هذا التفصيل وقال الباقلاني في كتاب
الانتصار المعجزة تدل علي صدق النبي صلي الله عليه وسلم فيما تفكر فيه وهو عامد له
وذ هول النفس وطريان النسيان وبوادر البيان لا يدخل تحت الصدق الذي هو مدلول
المعجزة ومن زعم ان في تجويز ذلك القدح في الثقة بتبليغ الانبيا عليهم الصلاة والسلام
فليس بشي فانه انما يكون ذلك لو جوز تقرير هم عليه وهو ممتنع واما القاضي عياض
فانه نقل الاجماع علي عدم جواز السهو والنسيان في الاقوال البلاغية وخص الخلاف
بالافعال وهو يرجع الي ان راجع تحت دلالة المعجزة كما ذكرنا انتهي ثم اشار الي ما يوهم
هذا ما قدمه بقوله وقد ذكرنا الي اخره واورد سوالا وجوابا عما يرد علي كلامه فقال

فصل فان قلت فما معني قوله صلي الله عليه وسلم في حديث السهو

اي الحديث الذي روي فيه سهوه في صلاته والفا الاولي في جواب شرط مقدر اي
اذا علمت تنزهه صلي الله عليه وسلم عن الخلف عمدا وسهوا في اقواله فقد نعرض لك
شبهة وسوال عما خالفه من هذا الحديث فنقول الخ والثانية في جواب الشرط المذكور
ويقول القول بعضه مقدر اي اذا قلت انك قررت عصمته عن السهو فما معني قوله
واعلم ان الراغب قال النسيان ترك الانسان ضبط ما استودع اما عن غفلة واما عن
ضعف قلب واما عن قصد حتي ينحذف عن القلب وكل نسيان ذمه الله فهو ما كان عن
تعمد نحو فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا وما لا فمرفوع عنه كما في حديث رفع عن امتي
الخ وما نسب الي الله نحو قوله انا نسيناكم بمعني الترك كما قاله الزجاج وغيره لانه من
لوازمه واصله عدم الحفظ والله منزه عنه واما السهو فقد حكي المصنف الفرق بينه وبين
النسيان معني وقال ان السهو في الصلاة جايز علي الانبيا بخلاف النسيان لانه غفلة
وآفة والسهو انما هو شغل بال فكان النبي صلي الله عليه وسلم يسهو في صلاته ولا يغفل
عنها وكان يشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة شغلا بها لا غفلة عنها وياتي شرحه
عند ذكره له وقال الحافظ العلاي انه ضعيف معني ولغة اما الاول فلما في رواية
من قوله صلي الله عليه وسلم انما انا بشر انسي كما تنسون اي كما سياتي بتمامه واما الثاني
فقد قال الازهري السهو الغفلة عن الشي وذهاب القلب عنه وسها في صلاته غفل
وكذا في الصحاح والمحكم وقال الراغب السهو خطا عن غفلة وقسمه قسمين وفي النهاية
السهو في الشي تركه عن غير علم والسهو عنه تركه مع العلم وهو قريب مما قاله الراغب وستاتي
تتمته قريبا وهذا الحديث رواه الشيخان ومالك والترمذي وغيرهم ولم يروه المصنف
من طريق الصحيحين بل من طريق غيرهما لما ياتي فقال حدثنا به الفقيه ابو اسحاق بن
جعفر الذي تقدمت ترجمته قال حدثنا القاضي ابو الاصبغ ابن سهل قال
حدثنا حاتم قال حدثنا ابو عبد الله بن العطار بن عمر بن يوسف المالكي القرطبي عالم
الاندلس وزاهدها وكان رحمه الله مجاب الدعوة توفي سنة سبع عشرة واربع مائة

قال حدثنا ابو عيسي يحيي ابن يحيي الليثي كما تقدم قال حدثنا عبيد الله قال حدثنا
يحيي تقدم ايضا عن مالك امام دار الهجرة المشهور عن داود بن الحصين بحا مضمومة
وصاد مفتوحة مهملتين وياء تصغير ونون وهو مولي عمرو بن عثمان مدني ثقة يحتج
بحديثه وان كان يري راي الخوارج لانه لم يكن داعية وروي هو عن عكرمة ونافع وغيرهم
وروي عنه مالك وغيره توفي سنة خمس وثلاثين ومائة عن ابي سفيان مولي
ابن احمد اسمه وهب وقيل قزمان وهو ثقة يروي عن ابي هريرة وغيره واخرج له الستة
انه قال سمعت ابا هريرة تقدم بيانه وانه اختلف في اسمه علي ثلاثين قولا اشهرها
انه عبد الرحمن بن صخر الدوسي نسبة لدوس قبيلة سميت باسم جدها دوس ابن ثابت
كني بابي هريرة لانه اتي بهرة وحشية لقومه وقيل انه صلي الله عليه وسلم هو الذي
لقبه بذلك وقد قدمنا انه ممنوع من الصرف كما صرح به سيبويه والنحاة المغرب فيه
لا وجه لما بينا خطاه في كتاب التواريخ يقول اي يحدث قايلا صلي رسول الله صلي الله عليه
وسلم صلاة العصر في جماعة هذه رواية الامام مالك في موطايه واختارها المصنف
علي رواية مسلم وغيره لعلو سنده من طريقه ولترجيح اهل المغرب له فسلم من ركعتين
اي بعد ما فرغ منهما ومن التشهد وهذه رواية الموطا وقيل في ثلاث وله طرق مشهورة
اشهرها رواية ابي هريرة وقال ابن عبد البر ليس في اخبار الاحاد اكثر طرقا من حديث
ذي اليدين وفي طرقه اختلاف في تلك الطرق وفي سلامه هل هو في ركعتين او
ثلاث وهل الصلاة العصر او غيرها ومن وقعت منه القصة هل هو ذو اليدين او ذو
الشمالين وتفصيله انه رواية مالك عن السختياني عن ابن سيرين عن ابي هريرة واخرجه
البخاري وابو داود والترمذي والنسائي ورواه الزهري من طريق خالف فيه في
تسميته ذي اليدين ذا الشمالين وياتي ما فيه وفيه انه لم يسجد للسهو وفي مسلم انه
سجد سجدتين بعد السلام وفي البخاري عن ابي سلمة انه صلي الله عليه وسلم صلي الظهر
او العصر وسلم علي راس ركعتين وفي رواية علي ثلاث وفي رواية انها كانت صلاة
المغرب وقد رواها مفصلة الحافظ العلاي باسانيدها ومتابعاتها وليس هذا مما
يلزم ايراده هنا فقام ذو اليدين من صلاته وسمي ذا اليدين لطول يديه وكان
خلفه صلي الله عليه وسلم وفي رواية ذو الشمالين قيل وهما اسم رجل واحد وقال
العلاي انه غير علي الصحيح وثبت من طريق ان ابا هريرة رضي الله عنه كان حاضرا في
هذه القصة كما صرح به في رواية المصنف وقوله سمعت ابا هريرة يقول صلي بنا
رسول الله صلي الله عليه وسلم الخ وفي رواية لمسلم صلي بنا صلاة الظهر وفي اخري
الظهر او العصر وفي رواية احدي صلاتي العشي من طرق صحيحة كلها تدل علي ان ابا
هريرة كان حاضرا لها قال العلاي ولا خلاف بين اهل السير ان ذا الشمالين استشهد
ببدر سنة اثنتين قال ابن اسحاق هو عمرو بن عبد عمرو بن نضلة بن عمرو بن غبشان
ابن سليم بن مالك بن افصي من خزاعة حليف بني زهرة وقال مسدد بن مسرهد الذي
قتل ببدر ذو الشمالين بن عبد عمرو حليف بني زهرة وذو اليدين رجل من العرب
بالبادية كان يجي فيصلي مع النبي صلي الله عليه وسلم واين قول مسدد ابن عبد البر
وقال انه الذي عليه اصحاب السير والعلم ولذا روي عن ابي هريرة فقام رجل من بني سليم

وقيل ان ذا اليدين بن عمر الى خلافة معاوية وتوفي بذي خشب وقول الزهري انه ذا
الشمالين ابن عبد عمرو وغلط فيه وروايته فيها اضطراب وقيل انه لم ينفرد بتسمية
ذو الشمالين ورد المصنف في الاكمال قول من غلط الزهري واختلفوا ايضا في تسمية ذي
اليدين فقيل الخرباق واختاره المصنف والنووي وابن الاثير وقال ابو حاتم بن حبان
ان الخرباق غير ذي اليدين وقال ابن عبد البر والقرطبي يحتمل انه غيره وقد جمع بين
بتعدد الواقعة فاحديها قبل بدر والمتكلم فيها ذو الشمالين ولم يسندها ابو هريرة بل ارسل
روايتها والثانية حضرها والمتكلم فيها ذو اليدين كما حكاه المصنف في الاكمال واختاره
لما فيه من الجمع بين الروايات ونفي الغلط عن مثل الزهري قال العلائي وفيه نظر لان
فيها ما لا يمكن الجمع فيه ولا شك ان ذا اليدين غير ذي الشمالين وقال بعضهم ان القصص
ثلاث والكلام فيه طويل لا يسعه هذا المقام فاعرفه **فقال يا رسول الله اقصرت
الصلاة** روي كما قاله الحافظ العلائي بضم القاف وكسر الصاد بالبناء للمفعول وهي
المشهورة وروي بفتح القاف وضم الصاد وهذا الفعل سمع لازما بضم عينه وفتحها وهو متعد
كقصرها بالتشديد واقصرها على السواء كما حكاه الازهري ولا يقال ان قصر اذا كان
مخففا لا يتعدى الا بحرف الجر كقوله تعالى ان تقصروا من الصلاة لانا نقول تعديه بنفسه
ثابت حكاه الجوهري وغيره ومن زائدة عند الاخفش وعند سيبويه تقديره شيئا من
الصلاة ومعناه يرجع الى الاختصار والكف ومنه قصر طرفه على كذا **ام نسيت** تقدم
ان النسيان ترك ما لا بد منه اما للغفلة او لضعف قلب حتى يزول تذكره وانه يذم منه
ما كان عمدا او بعذر فيما لم يكن سببه منه لقوله رفع عن امتي الخطأ والنسيان واما اذا
الى الله فمعناه الترك كما قاله الزجاج وابن سيده وام متصلة ولا بد ان يتقدمها استفهام
لفظا او تقديرا مع تساوي ما دخلت عليه سواء كانا اسمين ام لا وتكون بمعنى اي الامرين
ويكون السؤال عن احد الامرين لتعيين كما هنا والكلام عليها مفصل في كتب العربية **فقال
صلى الله عليه وسلم** جوابا للذي اليدين **كل ذلك لم يكن** لما سلم صلى الله عليه وسلم واقتصر
على ركعتين او ثلاث دار الامر عند ذي اليدين على امرين النسخ او السهو فسأل عن تعيين
احدهما فحق الجواب تعيين احدهما لكنه اجاب بمعنى كل منهما معينا ونفس الامر لا ينفك
عن وجود احدهما وما ذكره صلى الله عليه وسلم بحسب ظنه لانه لا يقع الخلف في اخباره
وذو اليدين تحقق عدم النسخ فتعين وقوع السهو كما سيأتي والسؤال المقترن بام لطلب
التعيين بعد الاستثبات يجاب بالتعيين فجوابه صلى الله عليه وسلم على حسب ظنه كما
علم ونظيره قول ذو الرمة هـ

تقول عجوز مدرجي متروحا • على بابها من عند اهلي وغاديا
اذو زوجة في المصر ام ذو خصومة • اراك لها بالبصرة العام ثاويا
فقلت لها لا ان اهلي جيرة • لاكثبة الدهنا جميعا وماليا

فالجواب باحدهما انما هو اذا كان فيها احدهما والا فيجاب بنفيهما وقد يزاد بذكر ما لك
فيهما وان لم يسأل عنه وهذا مما لا شبهة فيه فان قلت كيف جوابه صلى الله عليه
وسلم بنفيهما واحدهما محقق فيلزم الخلف في اقواله وخبره وهو لا يجوز عليه قلت
قد اجيب عنه في شرح مسلم بوجوه احدها انه نفي الجميع اي لم يكن لا هذا ولا هذا معا

وهو لا ينافي

وهو لا ينافي وجود احدهما وقد رد هذا بان تصريحه بقوله لم انس يأباه فانه مذكور
في الحديث في بعض الروايات وكونه مصروفا الى السلام كما قيل لا وجه له اي كما يأتي في كلام
المصنف الثاني انه مبني على الفرق بين السهو والنسيان اي سهوت ولم انس وهو بعيد لانه
وان كان بينهما فرق يستعمل كل منهما بمعنى الآخر الثالث انه نفي اضافة النسيان اليه وكره اضافة
له كما ورد لا يقل احدكم نسيت فانه انما نسّي اي خلق الله فيه النسيان وليس فعله وهذا مما قال
المصنف انه اخترعه وهو ضعيف فانه فعله بلا شبهة وان كان بخلق الله الرابع انه اخبار عما في
ظنه واعتقاده وكانه قال كل ذلك لم يكن في ظني ولو قال ذلك لم يكن فيه خلف وكذب والمنوي
والمقدر كالمذكور كالحلف على شيء يعتقده وهو غير واقع تكون يمينه لاغية كما ذهب اليه بعض
الفقهاء فانه ليس مما كسبت القلوب وليس هذا مبنيا على ان الصدق والكذب باعتبار مطابقة الواقع
وعدمها مما يخالف مذهب الجمهور فان ظنه ذلك واقع والنفي منصب على القيد فكل ذلك لم يكن
لنفي القصر والعلم بالنسيان وهو صحيح واقع وكل ذلك روي كما قاله التلمساني بالرفع والنصب
وعليه بني انه لشمول النفي او لنفي الشمول كما فصله اهل المعاني في قوله هـ

قد اصبحت ام الخيار تدعي • علي ذنبا كله لم اصنع

وهذا البحث مع طوله لشهرته تغني عن ذكره فان اردته فارجع الى المطول وحواشيه **وفي
الرواية الاخرى** لهذا الحديث **ما قصرت** اي الصلاة بالبناء للمفعول **وما نسيت الحديث
بقصته** وفي رواية لم انس ولم تقصر **فاخبره** اي اخبر صلى الله عليه وسلم ذا اليدين السائل له
بنفي الحالتين نفي النسيان والقصر في الحالتين كلتيهما **وانها** اي كل حالة منها **لم تكن** وانما
انث فافرد الضمير المؤنث لتأويله باسم الاشارة وفي نسخة وانهما لم يكونا **و**الحال انه **قد كان
امر ذلك** المذكور وفي اسم الاشارة تنبيه على ما قلناه **كما قال له** صلى الله عليه وسلم ذو اليدين
قد كان بعض ذلك يا رسول الله وهذا بيان لمحل الشبهة لوقوع الخلف في قوله صلى الله
عليه وسلم كل ذلك لم يكن كما بيناه آنفا وفي قوله بعض ذلك اشارة الى نقيض القضية الاولى
التي هي سالبة كلية بالموجبة الجزئية وليس هذا محله كالكلام على تقدم كل على النفي وتأخرها
عنه كقول المتنبي • ما كل ما يتمنى المرء يدركه • وقد اطال الكلام فيه
في الشرح الجديد وقد تركنا الاطالة خوف الملل له **فاعلم وفقنا الله واياك** جملة
غاية معترضة **ان العلماء** من المحدثين والفقهاء **في ذلك** السهو الذي وقع له صلى الله عليه
وسلم في هذه القصة **اجوبة بعضها بصدد الانصاف** الصدد معناه القرب هنا اي قريب
من الانصاف يقال داره صدد داري اي في مقابلها وقربها فهو ظرف منصرف والباء بمعنى في
والانصاف العدل والاستقامة في الامور **ومنها** اي بعض الاجوبة **ما هو بنية التعسف
والاعتساف** روي بنون وتحتية مشددة وهي تكون بمعنى القصد وعقد القلب وبمعنى
الجهة التي يذهب فيها وبمعنى البعد كالنوى كما في القاموس وغيره من كتب اللغة وهما شائعان
في الاستعمال وروي بمثناة فوقية من تاه يتيه اذا ضل عن الطريق ويكون بمعنى الارض
الواسعة التي يضل سالكها كتيه بني اسرائيل والتعسف والاعتساف السير على غير الطريق
والجور والظلم هذا حقيقته لغة فعلى الاول يصح انه اريد به انه قصد الجور والتعدي على
من خالف من العلماء والتعسف بمعنى انه في حالة ومقامه غير مستقيم والاعتساف بمعنى
حمل غيره على ذلك فهو ضال مضل فلا تكرار فيه لاجل السجع كما قيل والاحسن ان يقال انه استعارة

تمثيلية بتشبيه مسلكه فيما قاله بمن دخل مسافة ضل فيها لكونها حزنا بعيدا لم يهتد لطريقه
وكذا على الثاني التيه بمعنى القفر الواسع او الضلال وتفسيره بالتكبر بعيد بمراحل عن مقصد
فتامل **وها انا اقول** شروع في بسط ما يقرر قضية عدولها عن طريق من تعسف وها
للتنبيه وما بعده مبتدا وخبر والفصيح ان تدخلها على اسم الاشارة او على ضمير خبره اسم اشارة
نحو هذا وها انا ذا وهذا ايضا مسموع كما في شرح التسهيل **اما على القول بتجويز الوهم** [illegible]
بفتح الها وجوزنا سكونها مع تفسيره بامر **والغلط** اي الخطا عما العد مع علمه بالصواب ويقال
في الحساب غلت بمثناة وقيل انها لغة والفرق بينه وبين النسيان والسهو ظاهر **فيما ليس**
طريقه معناه معروف مستعار هنا للنوعه وجنسه **من القول** لا من قبيل الافعال فانها ليست
محل الخلاف فهنا ومن بيانية مقدمة من تاخير **البلاغ** خبر ليس اي لا يتعلق به حكم او وحي او
خبر عن امر المعاد **وهو** اي هذا القول **الذي زيفناه** اي رددناه ولم نرضه مستعار من
من النقد الزايف المغشوش الذي ابطل التعامل به **من القولين** المذكورين سابقا وهذا اعتراض
بين اما وجوابها تذكيرا بما تقدم **فلا اعتراض** على ما تقرر في عصمة الانبيا **بهذا الحديث**
المذكور في قصة ذي اليدين وشبهه بما روي فيه عنه صلى الله عليه وسلم من سهو ونسيان
ونحوها التجويزه على الانبيا عند صاحب هذا القول الذي يقول انه لا يمتنع فيما ليس طريقه
البلاغ **واما على مذهب من منع السهو والنسيان في افعاله** دون اقواله كغيره من
الانبيا عليهم الصلاة والسلام **جملة** اي جميعا وقد استعمله بهذا المعنى كثيرا وهذا الذي
ذهب اليه كثير من مشايخ الصوفية وبعض المتكلمين وخصه بعضهم بنبينا صلى الله عليه وسلم
ويرى اي يعتقده رايا **انه** صلى الله عليه وسلم **في مثل هذا عامدا** وقاصدا لكل ما يفعله
لصورة النسيان فياتي به على وجه العمد ذاكرا له متوهما كالسجود له **ونحوه من الاحكام**
لغيره انه ناس **ليسن** اي ليعلم الناس سنته في السهو كالسجود له ونحوه من الاحكام وكان
حقه ان يذكره لهم ليعلمهم لكن البيان بالفعل اظهر وفي شرح مسلم شذت طايفة من الباطنية
وارباب القلوب فقالوا لا يجوز النسيان عليه وانما ينسى قصدا اي ياتي بما هو في صورة
النسيان ليبين حكمه وقال المحقق ابو اسحاق الاسفرايني هذا منحي غير سديد وجمع الضد
مع الضد مستحيل والاول هو الصحيح فان السهو في الافعال غير مناقض للنبوة ولا قادح
فيه بخلاف الاقوال في البلاغ انتهى **فهو** على هذا القول **صادق في خبره** اي قوله لم
انس ولم تقصر ونحوه **لانه لم ينس ولا قصرت** الصلاة **ولكنه على هذا القول** بقصده
لصورة النسيان ذاكرا له **تعمد هذا الفعل** اي سلامه مقتصرا على ركعتين **في هذه الصلاة**
اي صورة الناسي **ليسنه** اي يجعله سنة **لمن اعتراه** اي عرض له ووقع منه **مثله**
اي مثل هذا الفعل ناسيا من امته ليقتدي وابافعاله **وهو قول مرغوب عنه** اي متروك
لبعده وضعفه عنده وفي الحواشي التلمسانية عن ابن سعيد قال سمعت ابي رحمه الله
يقول عن شيوخه ان السهو في الصلاة يكون عن معصية سبقت منه ولذا صين عنه نبينا
صلى الله عليه وسلم وقد بين كونه مرغوبا عنه كما اشار اليه بقوله **نذكره في موضعه**
من هذا الكتاب وقد قال العلامة العلاء ان هذا القول خطا لانه صلى الله عليه وسلم
اخبر عن نفسه بوقوع النسيان منه في حديث ابن مسعود المتفق عليه انما انا بشر انسى
كما تنسون وايضا لو كان هذا عمدا ابطل الصلاة ولا يعلم العمد في صورة النسيان الا اذا

بينه بالقول ولم ينقل عنه ذلك **واما على القول باحالة السهو عليه في الاقوال**
الصادرة عنه والمراد بالاحالة المنع كما يدل عليه مقابلته بالتجويز في قوله **وتجويز**
السهو عليه فيما ليس طريقه القول من الاعمال كالسهو في الصلاة **ففيه اجوبة منها** اي من
الاجوبة عن قول القايل على هذا القول انك قلت انه لا يقع منه صلى الله عليه وسلم سهو
في الاقوال وقد وقع منه ذلك في قوله كل ذلك لم يكن مع انه كان بعضه كما تقدم فاجاب عنه
بقوله **ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر** بقوله كل ذلك لم يكن **عن اعتقاده وضميره** اي
ما اضمره في نفسه وقدره في كلامه من هذا القيد **اما انكاره** صلى الله عليه وسلم **التقصير**
اي ان الصلاة الرباعية لنسخ كونها رباعية في الحضر فصارت ركعتين ولذا سلم منها **فحق وصدق**
اذ لا شك فيه ولا شبهة **ظاهرا وباطنا** اي انكاره صلى الله عليه وسلم ذلك وقع منه ظاهرا
لتصريحه به وباطنا لاعتقاده له اذ لم يوح اليه خلافه وما ينطق عن الهوى **واما النسيان**
اي انكاره صدوره منه في فعله ثم وقوعه منه ولا غير بخلاف الواقع عمدا **فاخبر صلى الله**
عليه وسلم عن اعتقاده ظنا منه لذلك والاعتقاد يطلق على اليقين والظن الراجح عنده
بقوله لم انس المراد به **انه لم ينس في ظنه فكانه** صلى الله عليه وسلم **قصد الخبر بهذا عن**
ظنه وان لم ينطق به ولم يقل في اعتقادي وظني لكنه لارادته وتقديره في كلامه واضماره
في نفسه كان كالملفوظ به المذكور صريحا لان المقدر كالمصرح به فيكون كلامه هذا حق
وهو صدق مطابق للواقع لانه في نفس الامر لم يظن انه نسي ولم يخطر ذلك بباله **ايضا**
كما ان القصر كذلك او كما ان المنطوق به صدق فلا يتوهم ان كونه صدقا مبني على ان الخبر الصادق
ما طابق الاعتقاد والجمهور على خلافه فان قلت فما بال ذي اليدين رده بقوله
بل كان بعض ذلك وهو لم يكن في ظنه واعتقاده قلت لم يرد ذو اليدين تكذيبه صلى
الله عليه وسلم وانما اراد تنبيهه على ان ظنه غير مطابق للواقع لانه امر شرعي لا تسامح فيه
فلما قال له ذلك سال صلى الله عليه وسلم في امره وسال من عنده من الصحابة فصدقوا ذا
اليدين على ما قاله وكانهم لم يسبقوا ذا اليدين مهابة له صلى الله عليه وسلم ولذا شك في امره
لانهم سكتوا عن امر لا يخفى عليهم وفيهم مثل ابي بكر وعمر رضي الله عنهما والظاهر ان القول
الاول مبني على عدم وقوعه في الاقوال البلاغية وفي الافعال ايضا وخص الثاني بالذكر
لانه محل الخلاف وقد وقع لبعضهم هنا خبط اعرضنا عنه لركاكته **ووجه ثان** في الجواب
كما ذكر على هذا القول وهو **ان قوله** صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث على احدى الروايات
كما تقدم **ولم انس راجع الى السلام** من الاقتصار على ركعتين من الصلاة او ثلاث منها
اي اني سلمت قصدا لنفس السلام فليس سبق لسان مني **وسهوت عن العدد** اي عدد
الركعات فتوهمت اني اتممتها **اي لم اسه في نفس السلام** لظني اني اكملتها اربعا والمقصود
من هذا دفع الخلف عما قال **وهذا التاويل محتمل** بصيغة المفعول اي يجوز حمل الحديث عليه
لما ذكرناه **و** لكنه **فيه بعد** لانه خلاف الظاهر وقول ذي اليدين له بلى نسيت كما تقدم في بعض
الروايات مبعد له لا منافي ولا حاجة لان يقال ان ذا اليدين لم يفهم مراده وكذا قوله صلى
الله عليه وسلم للصحابة احق ما يقوله ذو اليدين وقد قيل انه يا باه قرينة الحال والمقال
وهو الذي عناه المصنف **ووجه ثالث وهو ابعدها** اي الاجوبة **ما ذهب اليه بعضهم**
وان احتمل اللفظ اي لفظ الحديث وبينه بقوله **من قوله كل ذلك لم يكن اي لم يجتمع**

القصر والنسيان في الانتفا بان ينتفيا معًا بلى كان احدها وهو النسيان لان النفي قد يكون لنفي المجموع وقد يكون لنفي واحد لا على التعيين ومفهوم اللفظ خلافه اي مخالف لهذا الجواب ويؤيده ما في بعض الروايات كما اشار اليه بقوله مع الرواية الاخرى الصحيحة في هذا الحديث وهو قوله ما قصرت الصلاة وما نسيت فان اعادة النفي تقتضي ان كل واحد منهما منفي لا احدها فقط يعني ان محصل هذا الجواب ان كل محمولة على الكل المجموعي نحو كل الرجال يحمل على هذه الصخرة العظيمة وهذا وان كان صحيحا لكنه خلاف الواقع المتبادر لاسيما في النفي وسياق الحديث ياباه وكذا قول ذي اليدين بلى كان بعض ذلك فان الموجبة الجزئية انما تنافي السالبة كما فصلوه في كتب المعاني والاصول وكذا ينافيه ما في الرواية التي ذكرها هذا المذكور من الاجوبة ما رايت فيه اي في الحديث الذي تقدم بيانه ورايته من كون الاعتنا لا المحدثين والفقها وكل من هذه الوجوه التي ذكرها محتمل للفظ يعني للفظ الحديث على بعد بعضها في الواقع وسياق الحديث وتعسف الآخر بفتح الخا اي تكلفه وبعده عن الطريق المستقيم قال القاضي ابو الفضل مصنف هذا الكتاب رحمه الله اقول في الجواب عنه ويظهر لي انه اقرب الى الصواب من هذه الوجوه المذكورة كلها ان قوله صلى الله عليه وسلم لم انس في الحديث انكار للفظ الذي نفاه عن نفسه بقوله لم انس بصيغة المتكلم وانكره على غيره يعني كل احد من امته بقوله بيس ما لاحدكم معاشر الملة والمسلمين اي ليس لستقيم لكل احد من المسلمين ان يقول نسيت اية كذا وكذا كناية عن بعض الايات القرآنية ولكنه نسي مبني للمجهول مشدد السين اي انساه الله لانه فعل الله لا فعله فلا ينبغي اضافته له لما فيه من الاشعار بتهاونه بالقرآن بمباشرة اسبابه المقتضية لذلك وقيل معنى نسي انه نسخت تلاوته لحكمة فيكون مخصوصا بزمانه صلى الله عليه وسلم وانهم عن ذلك لئلا يتوهم الضياع لحكم القرآن وبيس من افعال الذم واصلها بيس بمعنى اصابه البوس ثم نقلت بغير لفظها ومعناها وفي ما الواقعة بعدها اقوال فقيل انها تامة وقيل موصولة وقيل نكرة في محل نصب تمييز كما فصله النحاة ونسي مشدد كما مر وروي بالتخفيف والتثقيل هو الذي وقع في جميع روايات البخاري وكذا هو مروي وعليه ابو عبيدة وفي النهاية انه صلى الله عليه وسلم كره نسبة النسيان الى النفس لان الله هو الفاعل الحقيقي ولان النسيان معناه الترك فكره ان يقول الانسان تركت القرآن لاشعاره بالتهاون به وعلى رواية التخفيف معناه انه ترك وحرم الخير انتهى فاراد ارشادهم الى نسبة الافعال لخالقها واقرارهم بالعبودية والاستسلام وهو ادب وان النسبة لحكمة كما قال موسى ويوشع نسيت الحوت وقد ينسب للشيطان لانه بوسوسته نحوها انسانيه الا الشيطان ونسيان القرآن غير محمود لانه غفلة عنه وتفريط فيه لا ينبغي قيل ويحتمل ان يكون فاعل نسيت النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى لا يقل احد عني اني نسيت اية كذا فانه تعالى نسخها لحكمة كما مر وهذا الحديث رواه الشيخان وغيرهما وبما ذكرناه سقط ما قيل ان هذا الجواب الذي ارتضاه يرده قوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت لانه لو كان ادبا علمه الله له لانه هنا الاولى اضافته له لنكتة لم يتفطن لها وقيل انه مخصوص بالقرآن لانه هو الذي علمه له فيكون هو الذي انساه ايضا فتامل وبقوله في بعض روايات الحديث كما في موطا مالك لست انسى بصيغة المتكلم المعلوم المخفف ولكني انسى بالمجهول المشدد اي ينسيني الله لحكمة كالتشريع وتعليم الامة فلما قال له السايل اي ذو اليدين اقصرت الصلاة ام نسيت

يا رسول الله انكر قصرها كما كان اي تحقق في الواقع حقيقة وانكر ايضا نسيانه صلى الله عليه وسلم للبعض والمنكر من نسيانه هو ما كان من قبل نفسه وفي نسخة قبل اي انه فعل ذلك بكسبه وتعاطي اسبابه وعن ايجاد الله له فيه وخلقه لما لم يكن في جبلته كغيره فان وجل

نسي من ذلك النسيان فقد نسي بالمجهول وتشديد السين اي اوجد الله فيه من غير تعاطي لاسبابه حتى سال غيره من الصحابة الحاضرين عنده عنه بقوله احق ما يقول ذو اليدين فقالوا نعم وهذا عناية له بانه لم يعلم نسيانه لانه لم يقصر في ذكر الله وطاعته فلذا استبعد صدوره منه فان قلت اذا انساه الله فلا بد ان ينسى لانه مطاوعه الذي لا ينفك عنه ولا زمه الذي لا ينفك قد قلت اللازم وقوع نسيان اوجده الله فيه لحكمة لا ما حصل بتعاطي اسبابه وتقصيره كغيره فتحقق انه نسي من نفسه اي انساه الله فنسي لحكمة واجرى الله عليه ذلك النسيان ليسن اي ليعلم امته احكام السهو كالسجود ونحوه فقوله صلى الله عليه وسلم على هذا التوجيه الذي استظهره لم انس ولم تقصر وقوله في رواية اخرى كل ذلك لم يكن حق مطابق للواقع محقق وصدق لا ظن فيه كما توهم ومعناه لم تقصر حقيقة في نفس الامر ولم انس حقيقة اي نسيانا صادرا مني صدورا حقيقيا وانما الفاعل له حقيقة هو الله وانا له آلة كنسبة القطع للسكين كما هو مذهب الاشعري في افعال العباد المضاف لهم وهذا لا ينافي كونه حقيقة لغوية كمات زيد ولكني نسيت بالبنا للمجهول والتشديد ووجه آخر في الجواب

كما في هذا الحديث استثرته بسين ومثناه ومثلثة وراء مهملة واصله استثورته ومنه فاثرن به نقعا وهو من ثار الغبار يثور اذا انتشر وعلا فشبهه لخفائه بشي مدفون تحت التراب عنده حتى ظهر له اي استخرجته بفهمي ولكنه من كلام بعض المشايخ وان لم يصرحوا به وينصوا عليه وهو مبني على الفرق بين السهو والنسيان وذلك الوجه المستخرج انه اي بعض المشايخ قال ان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو ولا ينسى لان السهو ما يقع بلا غفلة ويتنبه له بادنى تنبيه والنسيان ما يزول عن الحافظة بالكلية حتى يحتاج لتحصيل كثير ولذلك نفى عن نفسه النسيان اذ قال لم انس لان النسيان غفلة وآفة اي كالمرض الذي يعرض له ولذا عده الاطباء من امراض الدماغ المحتاجة للعلاج والسهو انما هو ما يعرض عن شغل بال بامور والنظر لغيره بحيث يتنبه له سريعا قال فكان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في صلاته كما وقع له من المراقبة لربه وتوجهه له ولا يغفل عنها اي عن صلاته لتنزهه عن ان يستولي على قلبه الشريف ما يلهيه عن عبادته وانما كان يشغل عن حركات الصلاة في السجود والركوع ما في الصلاة من قرة عينه بمشاهدة تجليات ربه وتدبر آياته شغلا بها لا غفلة عنها بغيرها فلذا كان صلى الله عليه وسلم يسهو ولا ينسى فهذا المذكور ان تحقق وتصور حقيقة على هذا الوجه والمعنى الذي قرره لم يكن في قوله صلى الله عليه وسلم ما قصرت وما نسيت في الحديث خلف في قول صدر منه حتى سال عنه وقد تقدم ان هذا مخالف لما روي اني انسى كما تنسون وان الفرق بينهما لغة فيه شي يعلم مما تقدم ووجه اخر في الجواب وهو ان قوله وفي نسخة وعندي ان قوله ما قصرت الصلاة وما نسيت بمعنى الترك وهو احد وجهي النسيان اي احد معنييه الواردين في كلام الله وغيره كما اذا اسند الى الله تعالى وهو مجاز مشهور ملحق بالحقيقة اراد وفي نسخة اراد والله اعلم على هذا التقدير اني لم اسلم عن ركعتين تاركا

كمال الصلاة عن قصد **ولكني نسيت** اي سهوت عن اتمامها فالمنفي في كلامه الترك عمدا وهو لا ينافي السهو والنسيان **ولم يكن** ترك الاتمام **من تلقاء نفسي** اي من عند نفسه وقصده **والدليل على** صحة **ذلك قوله** صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر الصحيح **لم انس** اي لم اترك قصدا **ولم انسي** من غير قصد بل بارادة الله وايجاده في ذلك لحكمة اشار اليها بقوله **لاسن** تقدم تفسيره وهذا مبني على احد التفسيرين في هذا الحديث وقد تقدم فيه وجه آخر هو اقرب من هذا والمراد به انه ما سها بما تعاطيت اسبابه من الاشتغال او بدونه لحكمة ربانية وبقي في هذا الحديث امور اخر ما يتعلق بانه صلى الله عليه وسلم وقع منه افعال وكلام في اثناء صلاته قبل اتمامها ومثل يبطل الصلاة والكلام فيه طويل الذيل افرده الحافظ العلائي بتاليف نفيس ولم يتعرض المصنف لذكر الحديث بتمامه اضربنا عنه صفحا فان اردته فخذه من محله هـ

واما قصة كلمات ابراهيم

الخليل عليه وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام الواردة على ما قدمه من ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام لا يصدر عنهم خلف في اقوالهم وينافيه ما في هذه القصة عن اجل الانبيا بعد نبينا صلى الله عليه وسلم **الواردة** وفي نسخة المذكورة **في الحديث** الصحيح الذي رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه انه لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات الخ واليه اشار المصنف بقوله **المذكورة انه** بفتح الهمزة بدل من قصة او معمولة للمذكورة **كذبات** بفتح الكاف والذال المعجمة جمع كذبة بسكونها لان عين فعلة انما تحرك في الجمع كتمرة وتمرات وركعة وركعات الا اذا كانت صفة او مضاعفة او معتلة العين كضخمات وجوزات كما في المغرب وقيل انه يقال بكسرها في المفرد والجمع وهي جمع كذبة اسم جامد **الثلاث المنصوصة** اي المذكورة صريحا **في القرآن منها** اي من تلك الكذبات الثلاث **اثنتان في قوله تعالى** في سورة الصافات فنظر نظرة في النجوم فقال **اني سقيم** كما سيأتي بيانه **و** قوله تعالى في سورة الانبيا **قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا** فاسألوهم ان كانوا ينطقون **وقوله** في قصة ابراهيم وهذه هي الثالثة الواردة في الحديث **للملك** بكسر اللام اي سلطان زمانه **لما سأل** ابراهيم عليه الصلاة والسلام وفي اسم هذا الملك اختلاف فقيل سنان وقيل عمرو وقيل صادوق وعمرو بن امرئ القيس ملك مصر **عن زوجته** سارة رضي الله عنها حين اخذها لما وصف له جمالها وسأله عنها فقال **انها اختي** قاله صلى الله عليه وسلم تقية خشية ان يقتله لو قال انها زوجتي فنجاه الله منه كما سيأتي تفصيله ولما كان هذا واردا على ما قرره من عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام عن الكذب عمدا وسهوا اورده على سبيل السؤال ثم ذكر الجواب عنه بما سيأتي مفصلا واورد على الحصر الوارد في الحديث بقوله ما كذب ابراهيم الا ثلاث كذبات ان ثمة رابعا هو قوله في الكوكب هذا ربي وقد تعرض لهذا ابن حجر في شرح البخاري ولم يجب بما يشفي الغليل والذي يدفعه ان يقدر هذا ربي على طريق الاستفهام التوبيخي لالزامهم بالحجة كما قرره المفسرون وقصة سارة ان جبارا من الجبابرة قيل له ان هنا رجلا معه امرأة من احسن النسا فارسل اليه وسأله عنها فقال هي اختي ثم قال صلى الله عليه وسلم انه ليس على وجه الارض مؤمن غيري وغيرك الآن يعني انها اخوة الاسلام لا النسب ثم قال تعالى انما المؤمنون اخوة كما يأتي بيان ذلك فلما اتي بها له تناولها

بيده فشلت يده فقال لها ادع الله لي ولا اضرك فدعت فاطلق ثم فعل مثل ذلك ثانية وثالثة فقال انما اتيتموني بالشيطان وقوله اني سقيم لانه عليه الصلاة والسلام كان لا يأتي معهم في اعيادهم لاصنامهم فنظر لنجم طالع فقال هذا يطلع لسقمي وكانوا اهل فلاحة ينظرون في النجوم واحكامها وكان ذلك مما اوحاه الله لهم فلما حبست الشمس ليوشع ابطله الله تعالى وقال الضحاك انه بقي الى زمن عيسى عليه الصلاة والسلام فمحى الله بر فعه فن وحرم النظر فيه شرعا وفيه بحث وكان ابراهيم عليه الصلاة والسلام حاج عبدة الاصنام فلما عجز عنهم كسرها وجعل فاسه في عنق صنم اكبرها لم يكسره ليلزمهم الحجة كما قصه الله تعالى في كتابه وبينه المفسرون وقد علمت ان قوله اختي اخوة الاسلام وانما قاله ليمتنع الملك من اخذها او لئلا يقتله لانهم كانوا لا يأخذون منكوحة الغير الا ان يقتلوه او قال ذلك ليعلمه غيرته عليها او اراد انها ليست جارية له في ملك يمينه فيطلب منه بيعها له وقد علم ان الله طهر وحرم الانبيا عن الفواحش فنزههم عما يأباه مقامهم وقوله كلمات ابراهيم دون كذبات فيه ادب لطيف وصرح به بعده اتباعا للحديث وبيانا لمنشأ السؤال **فاعلم اكرمك الله** دعا له بالاكرام لاكرام الانبيا عليهم الصلاة والسلام بمعرفة علو مقاماتهم عما فيه شين لهم **ان هذه** اشارة للكلمات ابراهيم عليه السلام **كلها خارجة عن الكذب** لان الله تعالى عصمهم عنه قبل النبوة وبعدها **لا في القصد ولا في غيره** من السهو والنسيان لما مر **وهي** اي الكلمات المذكورة **داخلة في باب المعاريض** جمع معراض ويقال معرض بكسر الميم وجمعه معارض وهو من التعريض وهو خلاف التصريح والتلويح نوع من الكناية كالتورية بان يتكلم بما يوهم خلاف مراده كقوله اختي المحتمل لمعنيين كما تقدم فان قلت قوله اختي ادعى لاخذ الملك لها بان يقول له زوجنيها فلا وجه للعدول عن الظاهر قلت نقل البرهان عن ابن الجوزي رحمه الله انه عليه الصلاة والسلام علم انهم على دين المجوس ومن دينهم ان الاخت اذا تزوجها اخوها كان احق بها من غيره فالتجأ لما يعتقده في دينه فاذا هو جبار لا يرعى دينه وقد ارتضى هذا الجواب غيره واعترض بان المجوسية دين زرادشت وهو بعد ابراهيم واجيب بانه دين قديم وانما زرادشت اظهره وزاد فيه خرافات فتأمل **التي فيها مندوحة** اي في المعاريض سعة يتخلص بها من الكذب من ندح بمعنى توسع ومندوحة بفتح الميم وضم الحاء وفي لحن العوام للزبيدي يقال له عن هذا الامر مندوحة ومنتدح والمنتدح الكلام الواسع وهو الندح ايضا من انتدحت الغنم في مراحها وقال ابو عبيدة المندوحة الفسحة والسعة ومنه انداح بطنه اذا انتفخ واندحا لغة فيه وهو غلط من ابي عبيدة لان نونه اصلية واندحا انفعال نونه زايدة واشتقاقه من الدوح وهو السعة انتهى اقول تبعه فيه الجوهري وخطاه صاحب القاموس **عن الكذب** اي في سعة القول ما يغني عن الكذب ونحوه فهو صدق لا كذب فيه وقد علمت انه ضمنه معنى التخلص ولذا عداه بعن وفي الحديث ان في معاريض الكلام مندوحة عن الكذب رواه البخاري في الادب المفرد مسندا موقوفا على عمران بن حصين رضي الله عنه واخرجه الطبراني والبيهقي من طريق آخر عن قتادة موقوفا وحسنه العراقي فلا عبرة بقول الصاغاني انه موضوع والى هذا الحديث اشار المصنف رحمه الله تعالى **اما قوله** اي ابراهيم عليه الصلاة والسلام فيما حكاه الله عنه **اني سقيم فقال الحسن** ابن ابي الحسن البصري الذي تقدمت ترجمته **وغيره** من العلما في الجواب عنه **معناه اني سقيم**

في المستقبل اي ان كل مخلوق معرض اسم مفعول مشدد الرا للزلل اي للسقم والمرض فاعتذر
اي ذكر عذرا له في عدم خروجه معهم لمحل اجتماعهم في اعيادهم عند اصنامهم لقومه لما ارادوا
خروجه معهم من الخروج معهم الى محل عيدهم وقيل بمعنى فاعل حقيقة في الحال ويجوز ان يراد به
الاتصاف في المستقبل مجازا والقرينة انما تشترط لفهم المخاطب لا للخروج عن الكذب اذ لولاه فانه
مصدق فيه شرعا كما قيل وفيه بحث لان الفرق بين الكذب والمجاز انما هو بالقرينة وعدمها فما
قاله يعود عليه بالضرر والذي ينبغي ان يقال ان سقيم ومريض ملحق باسماء الجوامد كمؤمن
وكافر فلا يختص بزمان فهو حقيقة فيما ذكر وهو ظاهر كلام الكشاف فانه قال فمن في عنقه
الموت سقيم وفي المثل كفى بالسلامة داء وقال لبيد

دعوت ربي بالسلامة جاهدا • لتصحني فاذا السلامة داء •

ومات رجل فجاءة فقالوا مات وهو صحيح فقال اعرابي اصحيح من الموت في عنقه ومنه اخذ
المتنبي قوله

قد استشفيت من داء بداء • فاقتل ما اعلك ما شفاك

فلا يرد عليه ما قيل انه مجاز والاصل الحقيقة والذي غره معناه قوله معناه ساسقم هذا
اي الجواب اولا من هذا كما تقدم وقيل اي وقد قيل فالجملة حالية بتقدير قد بل سقيم بما
قدرت علي من الموت يعني انه اراد بسقيم انه حزين مشغول الفكر بعلمه من انه لا بد من الموت
والغم مرض من الامراض القلبية ومن كان كذلك لا يليق به ان يفرح باعيادهم ولا يكون في مجال
اللهو واللعب ولذا ورد كما تقدم انه صلى الله عليه وسلم كان متواصل الاحزان وفي الحديث
لو تعلم البهائم من الموت ما تعلمون ما اكلتم منها سمينا فورى عليه الصلاة والسلام عما اراده بهذا
وقيل معناه اني سقيم القلب اي قلبي متالم بما شاهدته من كفركم وعنادكم في الباطل
وعدم قبول الحق وقيل بل كانت الحمى تاخذه اي تعرض له وتستولي عليه حتى كانها اخذته
واسرته عند طلوع نجم معلوم لهم ولذا قال فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم
فلما راه اي راى ذلك النجم طالعا اعتذر لهم بعدم حضور اعيادهم معهم بعادته من السقم
الذي يعرض له اذا طلع ذلك النجم وهذا الجواب ذكره النووي ايضا وقال ابن حجر انه بعيد لانه
يكون حقيقة وليس من المعاريض والتورية في شيء ورد بان المعاريض ان يذكر ما يدل على معنى
قريب ومعنى بعيد فيراد البعيد ويوهم مخاطبه انه اراد القريب وهذا كذلك لان ظاهره
انه سقيم بالفعل حالا والمراد انه في زمان مرض وسقم لم يكن والفرق بين هذا وبين الجواب
الاول ظاهر لمن تدبر وكل هذا على ما ذكر من التاويل الذي صرفه عن ظاهره ليس فيه كذب
كما يتوهم من ظاهره بل هو خبر صحيح صدق اي صادق مطابق للواقع وانما سماه كذبا في الحديث
باعتبار ما يتبادر لذهن السامع من ظاهره لا حقيقة فلا اعتراض عليه به وقيل في الجواب
بل عرض اي قال بطريق التعريض والتورية وراؤه مشددة من التعريض بسقم حجته اي ضعف
دليله الذي اقامه عليهم متعلق بحجته بمعنى احتجاجه عليهم في عبادة غير الله وضعف
ما اراد بيانه لهم من توحيد الله ونفي الشركاء بدليل عقلي اراد اقامته عليهم من جهة النجوم
لما راى كوكبا فقال هذا ربي كما قصه الله عنه التي كانوا يشتغلون بها اي بعبادتها
وتعظيمها واسناد الامور اليها وانه اي ابراهيم عليه الصلاة والسلام في اثناء نظره في
ذلك اي في خلال نظره وتقدم انه جمع ثني بمعنى منثني والنظر بمعنى التفكر والتامل فيما يناظرهم
به وقيل استقامة حجته اي اقامة دليل ملزم لهم في حال سقم ومرض حال خبر انه فجعل

سقم حجته لعدم فائدتها بمنزلة مرض نفسه وبدنه يعني انهم كانوا ينسبون التاثيرات
للنجوم ويعظمونها ويشتغلون بها لعلمهم بالنجوم وارصادها فاراد ابطال اعتقادهم فيها
وان حجتهم واهية فلم يقل ذلك لهم ابتداء بل نسبه لنفسه تعريضا بهم كما قال •

اياك اعني فاسمعي يا جاره •

وهذا احسن في الزام الخصم وتعريضه على وجه لا
يغضبه ويهيج حميته لجاهليته مع انه اي الخليل صلى الله عليه وسلم لم يشك هو اي
لم يقع منه شك في ربه ولا ضعف ايمانه حتى يحتاج الى الادلة الضعيفة ولكنه ضعف
حاله في استدلاله عليهم لابطال عبادتهم للنجوم والاوثان تبكيتا لهم وزجرا وسقم نظره
اي ما ناظرهم به حتى لم تتم حجته التي اقامها عليهم بين صحة اتصاف الدليل بما ذكر لانه
يقال حجة سقيمة فيوصف بذلك مجازا ونظر اي فكر ودليل معلول اي ضعيف
مدخول وقيل ان هذه العبارة ملحونة وان وقعت في عبارة المحدثين والصواب معل والمعلول
انما هو من العلل وهو الشرب مرة بعد اخرى كقوله

كانه منهل بالراح معلول •

ورد بانهم استغنوا بمفعول عن مفعل كما قالوا احمد الله فهو محمود وقد صرح به سيبويه وذ
في المحكم وقول ابن الصلاح والنووي انه لحن مردود وتبعهما بعض الشراح هنا حتى الحمد لله
والفي في نفسه ومن عليه باستدلاله الباسبية وصحة حجته عليهم اي احتجاجه
بالكواكب والقمر والشمس متعلق باستدلاله ما نصه الله مفعول الحمد وقد قدمنا بيانه
وايضاحه في هذا الكتاب والحاصل انه لا يلزم من ضعف الدليل ضعف الايمان بل قد يثلج
صدر ذي العقل السليم بيقين لا شبهة فيه عنده وهو لا يقدر على اقامة دليل عليه واما
قوله اي الخليل عليه الصلاة والسلام في الاصنام التي كسرها وترك اكبرها وقد علق
الفاس في عنقه وقال ما فعلته بل فعله كبيرهم هذا الاية والحال انه اي كبير الاصنام
لم يفعل ولا قدرة له على الفعل فهو مخالف للواقع من جهتين مع انه معصوم في اقواله
فانه علق خبره الذي ذكره بشرط نطقه في قوله فاسئلوهم ان كانوا ينطقون فهو كانه
قال ان كان ينطق فهو فعله وانما قاله مع علمه بعدم نطقه لفرضه على طريق التبكيت
لقومه عبدة الاصنام فوبخهم بانكم كيف تعبدون جمادا لا ينطق ولا يقدر على شيء فلو قدر
دفعوا عن انفسهم ففيه تجهيل لهم واستهزاء بهم لتعظيمهم ما لا يضر ولا ينفع وذكر الكواكب
هنا لا وجه له وهذا صدق اي خبر صادق ايضا كما صدق ما قدمه ولا خلف فيه بضم
الخاء وفتحها لان صدق الشرطية بمقدمها ومؤخرها على سبيل الفرض وهو فرض محال بالاضافة
صحيح لا فرض محال بالتوصيف وليس هذا مبنيا على ان جملة الجواب جملة خبرية مقيدة
بالشرط والجملة المقيدة بقيد صدقها وكذبها بتحقق المقيد وعدمه كما هو مسلك اهل العر
واهل الميزان على خلافه لان الشرطية بمجموعها قضية في قوة الحملية والخبر عنه مجموع الشرط
وجوابه كما قيل فان هذا بناء على ما قاله السيد في حواشي المطول وغيره فان الحق ما قاله
السعد وانه لا خلاف بين النحاة والمنطقيين في هذه المسئلة فان مآلهما واحد كما حققه
المحقق فتح الله في حواشي التهذيب وليس هذا محله الا انه يقتضي ان قوله فعله كبيرهم جواب
الشرط او دال عليه فهو في معناه وقوله فاسئلوهم جملة معترضة مصدرة بالفاء كما في قوله

واعلم فعلم المرء ينفعه • ان سوف ياتي كلما قدرا •

وقد يقال انه بيان لما يفيده الكلام من غير نظر لما ذكر وهو الظاهر يعني فصدقه بنسبة الفعل

الصادر منه لكبرهم لاستهزا والتهكم به لتبليغ ما قصده من الزامهم الحجة برجوعهم الى
انفسهم ونظرهم لما هم عليه من الباطل الذي لا يقبله عقل سقيم فضلا من عقل سليم وفي
الاية وجوه هذا اولاها واحسنها ولذا اقتصر عليه المص فاذا اردت الوقوف فانظر في الكشاف
وشروحه **واما قوله** اي الخليل عليه الصلاة والسلام للجبار الذي اراد اخذ زوجته حين ساله
عنها فقال هذه **اختي** لارادة ان يخلص منه وليس هذا بكذب **فقد بين** بالبنا للمجهول
في الحديث الذي رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه انه لا كذب فيه **وقال فانك
اختي في الاسلام** والدين الحق الذي كانا عليه **فهو على هذا صدق** اي كلام صادق
حق والاخوة تطلق على المشاركة في الصفات مجازا مرسلا او استعارة من المشاركة في
النسب **والله تعالى يقول** في القران **انما المومنون اخوة** وهذا يدل على صحة اطلاقه وحسنه
اي اخوة في الدين وفي الحديث المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله وهو قد شاع حتى قيل
انه حقيقة عرفية وقد تقدم تتمة لهذا **فان قلت** انه على هذا ليس فيه شي من الكذب
فهذا النبي صلى الله عليه وسلم **قد سماها** اي اطلق عليها انها **كذبات وقال لم يكذب
ابراهيم الا ثلاث كذبات** وهذا ينافي ما قررته وبينته **وقال** صلى الله عليه وسلم
في حديث الشفاعة للناس يوم القيمة **ويذكر كذباته** هو مقول القول يشير الى ما
في حديث الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه انهم ياتون ابراهيم عليه الصلاة والسلام
ويقولون له انت نبي الله وخليله اشفع لنا الى ربك الا ترى الى ما نحن فيه فيقول لهم ان ربي قد
غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله ولا بعده مثله واني قد كنت كذبت ثلاث كذبات ويذكرهن
اذهبوا الى غيري الحديث فقد صرح الخليل نفسه عليه الصلاة والسلام بان هذا وقع
كذبا منه فيدل على خلاف ما قلنا سابقا وجواب الشرط قوله **فمعناه** اي معنى قوله
صلى الله عليه وسلم لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات **انه تكلم بكلام صورته صورة
الكذب وان كان حقا في الباطن** المراد به ما اخفاه واضمره في نفسه او المراد به
ما خفي مما هو خلاف الظاهر **الا هذه الكلمات** المذكورة وهي الثلاثة المتقدمة ثم اشار
الى الجواب عما وقع في حديث الشفاعة بقوله **ولما كان مفهوم ظاهرها** اي ظاهر الكلمات
المذكورة قبل النظر لما قصد منه **خلاف باطنه** المقصود منه فانه صدق كما بيناه سابقا
اشفق اي خاف ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه **من مواخذته** وفي نسخة بمواخذته
اي المعاتبة او المعاقبة عليه او رد شفاعته بسببه لانه كان عليه ان يصدع بالحق صريحا
من غير تورية وتعريض يقال اشفق وشفق اذا خاف والحاصل انه لم يصدر عنه كذب
وانما سمي كذبا باعتبار ظاهر العبارة قبل التامل فيه من سامعه وانما خاف ابراهيم عليه
الصلاة والسلام ذلك لجلالة قدره لا لانه معصية صدرت منه وكان ذلك في اول
امره وشدة خوفه في حالة يجوز فيها الكذب فضلا عن التعريض الذي هو من حسنات الابرار
وكذلك اي مثل ما صدر عن الخليل ما وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم **في الحديث** الذي
رواه الشيخان عن كعب بن مالك وفي نسخ واما الحديث انه كان صلى الله عليه وسلم عادته
اذا اراد غزوة اي سفر الغزاة معينة **ورى بغيرها** عنها والتورية ان يقول ما يظهر
منه خلاف مراده ويحتمله احتمالا بعيدا فكانه جعل ما قصده وراء ما ابداه فكان يسال
عن طريق وناحية ويذهب لغيرها **فليس فيه** اي فيما فعله وقاله **انما هو ستر** واخفا

لمقصده اي لما قصده وتوجه اليه **لئلا ياخذ عدوه حذره** اي لئلا يتاهب له فيمنعه ما
يحذره بان يستعد له ويحضر له ما يهمه واخذ الحذر عبارة عما ذكر كما بين في قوله سبحانه
ونحو خذوا احذركم وفيه من البلاغة ما لا يخفى **وكتم وجه ذهابه** اي جهة مقصده وهو
عطف على قوله ورى وبين التورية والكتم بقوله **بذكر السوال عن موضع آخر** غير الذي
قصده **والبحث عن اخباره** اي اخبار الموضع الاخر بالسوال عن طريقه وحاله **والتعريض
بذكره** له دون غيره ليشتهر قصده به كقوله صلى الله عليه وسلم استعينوا على قضاء الحوائج
او حوائجكم بالكتمان **لا انه يقول** لاصحابه **تجهزوا الى غزوة كذا** تصريحا باول ثم
او بخلافه وهو غير مراد له **او يقول وجهتنا الى موضع كذا** اي توجهنا وقصدنا له خلاف
مقصده بيان لذا **فهذا القول** كله **لم يكن** اي لم يقع منه صلى الله عليه وسلم وانما وقع
منه التورية والتعريض دون تصريح به **والاول** اي سواله عن غير مقصده **ليس فيه
خبر** يتوجه له ولا امر لغيره بالتجهز له **يدخله الخلف** اي يعرض له كذب لعدم مطابقته
للواقع وانما هو تعريض وايهام لغير مقصده لا ضير فيه والتجهز التاهب باحضار جهازه
ولوازمه وقيل بمعناه احتالوا وهذا هو الا غلب من احواله وقد يقتضي الحال خلافه كما ورد
في الصحيحين لم يكن صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورى بغيرها حتى كانت غزوة تبوك
في حر شديد الى مكان بعيد وعدو كثير فجلا للمسلمين امرها ليتاهبوا لها فاخبرهم بوجهه الذي
يريد كما في حديث طويل فيه خبر الثلاثة الذين تخلفوا فهو باعتبار الاكثر في اول الامر قبل قوة
شوكة المسلمين وكذا اخبرهم انه سائر لمكة في اول غزوة الفتح فلا يرد الاعتراض على حديث كان
لا يريد غزوة الا ورى بغيرها كما قيل وقوله تجهزوا وان كان انشاء لا ينافي فيه الخلف كما توهم لانه
ينافي فيه ذلك باعتبار ما تضمنه من الخبر لان قوله تجهزوا الارض كذا معناه المراد منه سا غزو
اهلها وهو ظاهر ثم اورد سوالا على عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام عن الكذب سهوا وعمدا
فقال **فان قلت** ايها السائل عما يتوهم عن شبهة ترد على ما قرره **فما معنى قول موسى** الكليم
صلى الله عليه وسلم **وقد سئل** اي ساله جماعة من امته **اي الناس اعلم** على وجه الارض
في هذا العصر وهذا الحديث مروي في الصحيح عن ابي سفيان رضي الله عنه **فقال** موسى عليه
الصلاة والسلام لمن ساله **انا اعلم** من على وجه الارض جميعا لعلمه انه ليس عليها من الرسل من هو
مثله وفي البخاري هل في الارض اعلم منك وفي رواية ابن اسحاق فقال موسى ما اعلم في الارض
خيرا مني قيل وبين الروايتين فرق لان في رواية ابي سفيان الجزم بانه اعلم وتلك تنفي الاعلمية
عن غيره فيبقى احتمال المساواة يعني بحسب الظاهر والا فقد علمت انه يقتضي نفي المساواة كما
من قبل وامام ما رواه نوف البكالي عن كعب الاحبار ان موسى المذكور في هذه القصة ليس هو
الكليم الذي هو من اولي العزم بل موسى ابن ميشا ابن افرائيم ابن يوسف فقد قيل ان ابن عباس
رضي الله عنهما رده وقال انه سمعه كذب عدو الله ويابى فيه كلام عن الكشاف وغيره وانما قال ذلك
لان كعبا تلقاه عن اهل الكتاب وهم اعدا الله لكفرهم او هو استعارة لانه كذب قولهم قاتله الله **فعتب
الله عليه** ولامه **بسبب ذلك** اي قوله انا اعلم **اذ لم يرد العلم** بذلك اعني اعلم الناس جميعا
اليه اي الى الله تعالى بان يقول الله اعلم بذلك ونحوه **الحديث** اي اذكر الحديث الذي رواه الشيخان
بتمامه **وفيه** اي في هذا الحديث **فقال** اي الله عز وجل لموسى **بلى** اي فيها من هو اعلم وفي رواية
عبد لنا ووصفه بالعبودية تشريفا له كما في قوله سبحان الذي اسرى بعبده وقوله

لا تدعي الانبيا غيرها • فانه اشرف اسمائي •
وللمصنف • وممازادني شرفا وتيها • وكدت باخمصي اطا الثريا •
• دخولي تحت قولك يا عبادي • وجعلك خير خلقك لي نبيا •

بمجمع البحرين اعلم منك يا موسى ومجمع اسم مكان والبحران كما قاله السهيلي بحر الاردن وبحر القلزم وقيل بحر المغرب وبحر الزقاق وقيل بحر الروم وفارس وعن ابن عباس اجتمع بحرا علم في مجمع بحرين حقيقتين والعلمان علم الظاهر من الشرعيات وعلم الباطن اللدني وهذا اي قول موسى انا اعلم خبر صدر من موسى عليه الصلاة والسلام قد انبانا الله اي اخبرنا كما ورد في الحديث الصحيح انه ليس كذلك كما سمعته كذلك فيكون خلفا منه وهو معصوم عن مثله فيرد على ما قرره وسياتي الجواب عنه والعتب بمثناة فوقية كالمعاتبة وهو اللوم على ارتكاب ما لا يليق وضمنه معنى العيب بالتحتية ولذا عداه بنفسه دون على ورد العلم الى الله تقدم معناه وتفسير انه يطالب بترك الجواب اذ ينبغي وكذا لو قال انا والله اعلم كان اولى وهذا هو اللائق الاولى بمقام النبوة اذ مراده فيما اظن واعلم ولا لابد فيه وقصته في حمل الحوت في مكتل مفصلة في التفاسير ومجمع اسم مكان ثم شرع في الجواب بقوله فاعلم انه وقع في هذا الحديث الصحيح المروي عن ابن عباس ما يدفع السؤال هل تعلم احدا اعلم منك فالسؤال عما يعلمه لا عما في الواقع ومن القواعد المقررة ان السؤال معاد في الجواب فاذا يجوز ان يكون اذن بنون مرسومة بالالف كان جوابه على حسب علمه فكانه قال لا اعلم انا احدا اعلم مني فهو اي كلام موسى وجوابه خبر حق وصدق مطابق للواقع باعتبار تقييده بانه على حسب علمه واعتقاده لا خلف فيه لمخالفته الواقع ولا شبهة اي لا يشتبه على احد صدقه فيما قاله وفي الحديث روايات مختلفة يرجع بعضها الى بعض كما ستسمعه قريبا ومن بعضها وهذا تاكيد لما قبله وعلى الطريق الاخر التي فيها اطلاق اعلميته من غير تقييد بعلمه واعتقاده المفيد لنفي الاعلمية والمساواة فيها كما تقدم على العموم فانه روي من طرق مختلفة بالفاظ مختلفة وقد اشرنا اليه قبل هذا فمحمله على غلبة ظنه ومعتقده مصدر ميمي بمعنى اعتقاده اي محمله مقيد بهذا تقديرا لانه صرح به في رواية اخرى والروايات تفسر بعضها بعضا كالقران والمقدر في حكم المذكور عندهم كما اشار اليه بقوله كما لو صرح به بالبنا للمفعول او الفاعل اي صرح به موسى عليه الصلاة والسلام كما قال انا اعلم في ظني او معتقدي ونحوه لا في نفس الامر ومحمله بلفظ المضارع وفي نسخة فمحمله باسم مبتدا وهذا لا يرد عليه شي ثم بين وجه قول موسى على هذا بقوله لان حاله اي حال موسى صلى الله عليه وسلم كغيره من الرسل اصحاب الشرائع في عصرهم في النبوة والاصطفا اي اختيار الله له دون غيره من خلقه يقتضي ذلك اي انما اختاره لانه اعلم اهل عصره اذ لو لم يكن كذلك لم يختره لتبليغ رسالته وسياسته لهم ورجوعهم اليه في كل امورهم وهو صلى الله عليه وسلم كليمه وامين وحيه ومثله لا يكون دون غيره او مساويا له في العلم ويحتمل ان معناه ان نبوته واصطفاءه يقتضيان اي يستلزمان انه لا يقول مقالة غير مطابقة للواقع فيحمل كلامه على ما يطابقه وان لم يكن فيه ما يدل عليه وهو ظاهر قوله فيكون اخباره بذلك اي بقوله انا اعلم ايضا اي كما في الرواية المصرح فيها بذلك القيد عن اعتقاده وحسبانه بضم الحا المهملة وكسرها بمعنى ظنه صدقا حتى يكون وقوله لا خلف فيه مفسوله او موكله اي لا شبهة فيه عند سامعه وقد يريد

موسى صلى الله عليه وسلم بقوله انا اعلم انه اعلم بما تقتضيه اي تستلزمه وظائف النبوة جمع وظيفة بالظا المشالة وهي الاحوال التي اقتضاها ذلك المقام من شروطها وما لا بد منه لكل نبي رسول من علوم التوحيد بيان المعلوم من معرفة الله وصفاته وانه منفرد في ذاته وصفاته واستحقاقه للعبادة وامور الشريعة التي امره الله بتبليغها وسياسة الامة اي امته والسياسة ضبط الخلق واجراء احكام الشرع عليهم بالسلطنة ويكون الخضر عليه الصلاة والسلام وفيه لغات فتح الخا وكسر الضاد المعجمتين وبسكونها مع الفتح والكسر وسياتي بيانه اعلم منه اي من موسى عليه الصلاة والسلام بامور اخر غير الشريعة والسياسة والحكومات الظاهرة بما بين الناس يعني انه صادق فيها لانه عام مخصوص بما هو المتبادر من علوم اكثر الانبيا وهو العلم بالامور الشرعية والحاكم بين الناس كما هو شان الرسل وعلم الخضر بامور باطنة كشفية فلا تنافي بينهما واعلم انه تقدم ان الخضر انما سمي خضرا لانه كان اذا جلس على الارض نبت بها عشب اخضر وقيل لانه كان اذا صلى اخضر ما حوله واسمه بليا وقيل غير ذلك ويكنى ابا العباس واختلف فيه كما ياتي هل هو ولي او نبي او ملك وهل هو حي الى الآن ام لا وقد افرد احواله بالتاليف الحافظ الخيضري سماه الروض النضر في احوال الخضر وقال الثعلبي انه معمر محجوب عن الابصار وهذا اوجه ما قيل انه ملك وان كان قولا ضعيفا وروي في اجتماع النبي صلى الله عليه وسلم به حديث ضعيف وتقدم الكلام على تعزيته لاهل البيت مما لا يعلمه احد الا باعلام الله من علوم غيبه تعالى كالقصص المذكورة في خبرهما الذي قصه الله في سورة الكهف فكان موسى عليه الصلاة والسلام اعلم من اهل عصره مطلقا بالشريعة والتوحيد والسياسة على الجملة اي بجميع العلوم المذكورة بما تقدم بيانه وهذا اي الخضر عليه الصلاة والسلام اعلم منه على الخصوص بعلم اللدني يختص به من الامور الغيبية الكشفية التي لم يكلف غيره بعلمها ويدل عليه اي على انه اعلم بعلم اختص به قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما اي من علم الغيب الذي لا يعلمه الا الله ومن اراد من ارتضاه للعلم به وعتب الله ذلك عليه عتب مصدر مبني او فعل وقوله ذلك مفعوله وهو جواب سؤال تقديره اذا كان اعلم من وجه وهو صادق في قوله هذا فلم عاتبه الله عليه ودل على عبد له اعلم منه فيما قاله العلما اي بعضهم ووضحوه بما يدفع اشكاله انكاره هذا القول عليه اي قوله انا اعلم لانه اي موسى عليه الصلاة والسلام فيما قاله وهو خبر المبتدا لم يرد العلم اي الى الله تعالى تادبا كما قالت الملائكة لله تعالى لما قال لهم انبئوني باسماء هؤلاء فقالوا لا علم لنا الا ما علمتنا او عتبه وانكاره لانه لم يرض قوله انا اعلم اي لم يرضه الله منه ويستحسنه شرعا لترك الاولى وان كان صادقا في مقالة هذا وذلك اي عدم رضاه بقوله هذا والله اعلم بوجه هذا ولقد اجاد في هذا الرد تحقق هذه العلة الى علم الله لئلا يقتدي به فيه اي في ادعاء الاعلمية جزما من غير رد الى الله تعالى من لم يبلغ كماله اي من لم يصل الى رتبته في الكمال في العلم من غير الانبيا في تزكية نفسه اي مدحها بجعلها زكية مبراة زائدة على غيرها فان مدح المرء نفسه غير محمود وان حسن احيانا للمقتضي له كما قال تعالى فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى والتزكية التطهير من الاخلاق الردية التي من جملتها العجب وعلو درجته بالنصب عطف على كماله ويجوز جره من امته متعلق بقوله يقتدي حال من ضمير يبلغ فيهلك اي من يقتدي به من امته في قوله انا اعلم لما تضمنه اي قوله انا اعلم من مدح الانسان لنفسه وهو امر مذموم ويورثه اي يكسبه ويعقبه

ما يتصف به شبه ذلك بالميزات ذلك القول اي قوله انا اعلم من الكبر والعجب بضم فسكون قال الراغب يقال لمن تروقه نفسه فلان معجب بنفسه اي يستحسن افعاله واموره والتعاطي اي الاخذ في تزكية نفسه والدعوي الباطلة اي لئلا يتوقع اقتدا وقوع في قوله انا اعلم ما ذكر من الرذايل وان ينزه بالبنا للمفعول اي برأهم الله وعصمهم عن هذه الرذايل اي الصفات الذميمة من الكبر والعجب والتعاطي والدعوي الانبيا عليهم الصلاة والسلام لشرفهم وعلو مقامهم فغيرهم اي غير الانبيا بمدرجة سيلها اي غير الانبيا يتصف بها ولا ينزه عنها لاستعداده لها وقبول طبعه لها والسبيل الطريق والمدرجة اسم مكان بمعني المدخل والمسلك من درج اذا مشي يقال هو على طريق كذا اذا كان مستعدا له فهو استعارة وقيل المدرجة المنخفضة التي يمشي فيها وتسيل منها السيول اي في موضع الرذايل المشبهة بالسيل المهلكة من تتصف بها كالسيل المغرق لما يمر به وفيه تكلف لا يخفي ودرك ليلها بسكون الرا ويجوز فتحها بمعني ادرك الليل مقابل النهار فشبه ما يعرض له من الصفات الذميمة بظلمة الليل التي تغشاه والمراد ما لا بد منه من اثار تلك الصفات كما قال النابغة

• فانك كالليل الذي هو مدركي • وان خلت ان المنتاي عنك واسع •

الا من عصمه الله اي حفظه عن الاتصاف بها فالتحفظ اي الاحتراز منها اي من هذه الصفات اولي لنفسه والبق فلذا عاتبه على ترك الاولي وليقتدي به في التحفظ والسلامة منها ولهذا اي لكون التحفظ اولي ولمن يقتدي به قال عليه الصلاة والسلام تحفظا من مثل هذا العجب انا سيد ولد ادم اشرفهم واعلاهم رتبة وتحفظ عن العجب في مقاله بقوله ولا فخر اي لم اقل هذا افتخارا او عجبا وانما هو تحدث بما انعم الله به علينا وانا لا افتخر بها فان الله انعم علي بما هو اجل منه وفي رواية الصحيحين انا سيد ولد ادم يوم القيمة ولا فخر والسيد يطلق عليه وعلي غيره وعلي الله كما تقدم وهو من يفوق غيره كرما وحلما ويطلق علي المالك والشريف والكريم والحليم وهذا الحديث المروي في قصة موسي والخضر الذي تقدم احدي حجج القايلين بنبوة الخضر عليه الصلاة والسلام وهو احد الاقوال فيه لقوله فيه اي في هذا الحديث انه اعلم من موسي كما تقدم ولا يكون الولي اعلم من النبي ولا مساويا له في علمه واما الانبيا فيتفاضلون بالمعارف اي يكون بعضهم افضل من بعض ولا يخلو ورفيه واستدل علي نبوته ايضا بقوله اي الخضر عليه الصلاة والسلام فيما حكاه الله عنه في قصته وما فعلته عن امري اي بما امرته نفسي فليس برايي واجتهادي فدل ما ذكر انه بوحي من الله تع والوحي لا يكون لغير الانبيا وفيه انه يجوز ان يكون بالهام والالهام وان لم يفد العلم للغير عند اهل السنة حتي لا يجوز الاستدلال به لكنه قد يقوي في نفسه ويعمل به الملهم دون غيره كما حقق في علم الاصول وفصلوه في محله ومن قال انه ليس بنبي بل ولي من اوليا الله قال مجيبا عما ذكر من الدليل الثاني يحتمل ان يكون فعله بامر نبي اخر اوحي اليه به في زمانه وهذا الجواب بضعفه اي يحكم بضعفه لانه اي الامر والشان ما علمنا انه كان في زمن موسي عليه الصلاة والسلام نبي غيره الا اخاه هارون ولم ينقل ملاقاة هارون للخضر عليه الصلاة والسلام لانه قيل ان يوشع كان نبيا نبي قبل موت موسي وسياتي عن الفتح ما يؤيده فتدبر وما نقل احد من اهل الاخبار

المعتمد على نقلهم في ذلك اي وجود نبي غير موسي واخيه عليهما الصلاة والسلام ما يعول عليه لصحة نقله واذ وفي نسخة واذا جعلنا قول الله لموسي ان لي عبدا اعلم منك علي العموم وانما هو علي الخصوص لتخصيصه بما ليس من الشرايع والمعاقل وفي قضايا معينة كما تقدم بيانه لم يحتج الي اثبات نبوة خضر لان علمه كان بامور معينة غير الشرايع والعقايد وهذا يقتضي انه يجوز الوحي به لغير الانبيا وانه اذا اطلق عليه نبي بالمعني اللغوي لانبا فيه كما في قصة خالد بن سنان كما اشار اليه بعض العارفين ولهذا اي لكونه علما مخصوصا لانبا في غيره قال بعض الشيوخ كان موسي اعلم من الخضر فيما اخذ عن الله من الشرايع والاحكام وما في حكمها والخضر اعلم من موسي فيما رفع اليه بالبنا للمفعول بفا مهملة او بدال مهملة وفاء وعين مهملة اي فيما جعله الله منوطا به منتهيا اليه علمه مما غيب علمه عن غيره وقيل انما الجا موسي عليه الصلاة والسلام اي اضطره الله والزمه ان يذهب الي الخضر للتاديب اي ليؤدبه الله حتي لا ينسب لنفسه الاعلمية وان كان صادقا في مقاله ومناسبا لمقامه لا للتعليم لما لم يعلمه مما يلزمه علمه فانه اكمل اهل زمانه ولذا قيل ان هذه القصة تقتضي ان الخضر نبي رسول لئلا يكون العالي اعلم من الاعلي وفي الكشاف ان القصة لا تقتضي ان موسي هذا ابن ميشا كما قاله اهل الكتاب لانه لا غضاضة في اخذ النبي العلم من نبي مثله اذ يمتنع اخذه ممن هو دونه وفي فتح الباري ان في كلامه نظرا لان المتكلمين اشترطوا في النبي ان يكون اهل زمانه علي العموم ولو لم يكن هذا لزم ان لا يجمع الله بين نبيين في عصر واحد وقد كان مع موسي هارون وشعيب ثم يوشع والحق ان اللازم كونه اعلم من ارسل اليه وانه اعلم بالعلم المخصوص به ولذا قال الخضر عليه الصلاة والسلام اني علي علم علمنيه الله لا تعلمه انت ولم يكن موسي مرسلا الي الخضر فلا ضير في كونه اعلم منه بعلم لدني خصه الله تع به وقال الامام القرطبي ولننبه هنا علي مغلطتين الاولي ان بعضهم قال الخضر اعلم من موسي بهذه القصة وهذا انما يصدر من قصر نظره علي هذه القصة ولم ينظر ما خص الله به موسي من توراته التي فيها علم كل شي وكلامه ودخول انبيا بني اسرائيل تحت نبوته ودعوته كما قال تع اني اصطفيتك علي الناس برسالاتي وبكلامي والخضر وان كان نبيا ليس برسول بالاتفاق والرسول افضل من النبي الذي ليس برسول فان قلنا انه ولي فلا اشكال الثانية ان بعض الزنادقة قال ولا يلزم الشريعة وهو ان قصة الخضر تدل علي ان احكام الشرع تختص بالعامة وان خواص الانبيا انما يراد منهم ما يقع في خواطرهم وقلوبهم لصفاء قلوبهم عن الاكدار والاغيار فتنجلي لهم علوم الغيبة يقفون بها علي اسرار الكائنات وعلم الجزئيات فيستغنون عن احكام الشريعة كما في حديث استفت قلبك وهذا كله زندقة وكفر وانكار لما علم من الدين بالضرورة من ان الاحكام انما تؤخذ عن الله بواسطة رسله وسفرائه بينه وبين خلقه فمن ادعي خلافه كفر فيقتل ولا يستتاب وكل هذا كفر صريح والامتحان لموسي اذ اراه الخضر ان قتل الغلام كقتله للقبطي واقامته الجدار كالقايه التابوت في اليم واقامته الجدار بغير اجرة كسقيه لبنات شعيب قبل استيجاره له وهذا لا يقتضي الانكار علي بعض الاوليا في الامور الكشفية ولا يسا الظن بهم فيما صدر عنهم من بعض المقالات وهمنا بحث مهم وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم معناه لغة المخبر او المخبر مطلقا وهو في العرف العام المخبر عن الله بوحي مطلقا وفي عرف الشرع المخبر عن الله بشريعة خاصة به او امر بتبليغها فيه

فعلى هذا لا يكون الخضر نبيا لانه انما اوحي اليه ببعض الامور الغيبية اذا علمت هذا فما الدين سنان اذا كان بين نبينا صلى الله عليه وسلم وبين عيسى عليه الصلاة والسلام كما ورد في الحديث لا ينافي الحديث الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم لا نبي بيني وبين عيسى كما قاله ابن حجر وقال ان الاول لا ينافي حديث البخاري فهو مردود لان خالد انما اوحي اليه بامور البرزخ تاييد الخبر غيره من الانبيا وتعيين المزايا التي بعده بما سيخبر به نبينا صلى الله عليه وسلم فانه لم يوح اليه بشرع ولا بامر يجب العلم بتفصيله فليس نبيا بحسب عرف الشرع فتسميته نبيا انما هو باعتبار المعنى العرفي واللغوي فلا منافاة بينه وبين الحديث مع انه لم يكشف ما ارسل به كما في الحديث انه اضاعه قومه وهو تحقيق حقيق بالقبول والايثار في الفصوص والله الموفق للصواب

بكشف امور

فصل واما ما يتعلق بالجوارح

جمع جارحة وهي الاعضا التي يكتسب منها الانسان ويعمل ما يريد يقال جرح واجترح بمعنى عمل واكتسب قال تعالى ويعلم ما جرحتم بالنهار اي ما يتعلق بعصمتهم في افعالهم من الاعمال بيان لما اي الاعمال الصادرة بواسطتها فلا يخرج من جملتها القول باللسان لانه من الاعضا فيما عدا الاخبار اي الاخبار بما سبيله البلاغ وغيره الذي وقع الكلام فيه قبل هذا ولا يخرج من جملتها ايضا الاعتقاد بالقلب لانه من جملة الاعتقاد ولذا افعال تصدر عنه وهذا بحسب العرف واللغة واما كون العلم من مقولة الكيف او الانفعال لا في الفعل والعمل فما يحققه الحكما ولا نظر له علما الشريعة فيما عدا التوحيد والايمان وما يتعلق بالوحي كما تقدم وما قدمناه من معارفه المختص به من اطلاعه على الملكوت ما لا ينكشف لغيره كما تقدم جواب اما فاجمع المسلمون على عصمة الانبيا جميعا فيه من الفواحش اي المعاصي والكبائر القبيحة والفاحش كل امر استقبح من الاقوال والافعال وقد تخص الفاحشة بالزنا وقال ابن عرفة هي كل ما نهى الله عنه هم والكبائر هي معروفة من الموبقات اي المهلكات يقال وبقه اذا اهلكه واهلكها بايقاعه في العذاب في الدنيا بالقتل وفي الاخرة بالعذاب الاليم وحاصله عصمتهم في اقوالهم وافعالهم واعتقاداتهم قبل النبوة وبعدها من الكبائر المتوعد عليها ومستندهم اي دليلهم الذي اعتمدوا عليه في ذلك وفي عصمتهم عن الكبائر الاجماع الذي ذكرناه عن المسلمين فالدليل شرعي وهو الاجماع وهو مذهب القاضي ابي بكر الباقلاني الاصولي المالكي ومنعه اي الكبائر غيره من الائمة بدليل العقل فدليل منعها للكبائر الصادرة عنهم وقيل انه راجع لعصمتهم اي منع عصمتهم من الكبائر لعدم استحالتها عقلا وهو وهم لانه يا باه قوله مع الاجماع لان الاجماع لم يتم على عدم عصمتهم من الكبائر مع ان كلامه نفسه بعده ينافيه وهو قول الكافة اي جميع العلما وقد تقدم ان بعضهم قال ان كافة يلزم التنكير والنصب على الحالية وقد بينا في شرح الدرة انه غير صحيح واختاره ابو اسحق الاسفرايني الشافعي لعلو مقامهم عن ضعف ومثله منهم فذهب الجمهور ان عصمتهم عن الكبائر بدليل سمعي وذهبت طائفة الى انه بدليل سمعي وعقلي والمشهور عن الاشاعرة ان العصمة فيما وراء التبليغ غير واجبة عقلا لدلالة المعجزة عليه واما ما طريقه التبليغ

ودعوى الرسالة فالمعجزة دالة على عصمتهم فيه وذهب المعتزلة الى وجوب عصمتهم عن الكبائر عقلا بناء على قاعدتهم في الحسن والقبح العقليين ووجوب رعاية الاصلح والدليل العقلي من وجوه فصلت في كتب الاصول منها انا امرنا باتباعهم فلو صدر عنهم ذلك وجب اتباعهم فيما فعلوه فيلزم اجتماع الحرمة والوجوب وايضا لو صدر عنهم ذلك كانوا اشد العذاب لان علمهم ووزرهم ووزر من اقتدى بهم وكانت شهادتهم غير مقبولة وقد جعلهم شهدا على غيرهم الى غير ذلك مما فصلوه وكذلك اي كما انهم معصومون مما مر لا خلاف في انهم معصومون عن كتم الرسالة اي معصومون عن اخفاء رسالتهم عمن ارسلوا اليه لانهم مامورون بالتبليغ وفي الكتم النسخ كتمان الرسالة لقوله يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك لمخالفة الامر معصية كبيرة و معصومون عن التقصير في التبليغ بترك شي منه لان كل ذلك المذكور من العصمة عن الكتمان والتقصير فيه تقتضي العصمة منه تقول تقتضي المعجزة فاعل اي تدل المعجزة على لزومه مع قيام الاجماع على ذلك اي على ان الله عصمهم عنه من الكافة اي جميع الناس واعلم ان الحريري قال في الدرة ان كافة يلزمها التنكير والنصب على الحالية الا انه غير مسلم فانه سمع كافة شاذا وفي توقف مثله على السماع نظر وقد ذكرناه مفصلا في شرح الدرة والجمهور اي اكثر الناس ومعظمهم متفقون على انهم لا يكتمون شيا من الوحي الذي امروا بتبليغه وهذا ورد في حديث رواه مسلم عن عائشة قالت من حدثكم ان محمدا كتم شيا من الوحي فقد كذب والله يقول يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته ولو كان كاتما شيا من الوحي لكتم قوله واذ تقول للذي انعم الله عليه الاية وقايل منهم اي منهم من قال بانهم معصومون من ذلك الكتمان والتقصير من قبل الله اي خلق في جبلتهم العصمة فهم معتصمون اي متمسكون باختيارهم في تركه وكسبهم لا انهم مضطرون لعدم قدرتهم على خلافه الا حسين النجار بفتح النون والجيم المشددة والف وراء مهملة وهو حسين بن محمد النجار الذي تنسب اليه الطائفة النجارية وهم فرق من المبتدعة الضالة وافقوا اهل السنة في بعض اصولهم ووافقوا القدرية في نفي الرؤية ووافقوا المعتزلة في بعض المسائل ولهم مقالات كفروا بها والمشهور منهم ثلاث فرق البرغوثية والزعفرانية والمستدركة فانه اي النجار قال لا قدرة لهم على المعاصي اصلا كالعنين الذي لا يزني فانه قال ان الله يوجد الافعال كلها من غير اختيار وكتشبيهه بالعجاب الطبع واما الصغاير فجوزها على الانبيا عليهم الصلاة والسلام جماعة من السلف المتقدمين وغيرهم من المتاخرين على الانبيا وهو مذهب ابي جعفر الطبري محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري البغدادي صاحب التصانيف الجليلة المشهورة ولد سنة اربع وعشرين ومايتين وتوفي سنة عشر وثلثمايه عن ست وثمانين وغيره من الفقها والمحدثين والمتكلمين وسنورد اي نذكر بعد هذا ما احتجوا به من ادلتهم وما يتعلق بها وذهب طائفة منهم الى الوقف اي التوقف وعدم الجزم وقالوا لعدم جزمهم بجوازها وامتناعها عليهم لان العقل اذا خلي ونفسه لا يحيل وقوعها منهم اي بعدم محاله ولم يات في الشرع قاطع اي نص صريح ودليل قطعي باحد الوجهين من الجواز وعدمه في صدور الصغاير منهم وذهبت طائفة اخرى من المحققين من الفقها والمتكلمين في اصول الدين الى عصمتهم من الصغاير كعصمتهم من الكباير وقالوا اي قال الذاهبون لعصمتهم

بين

دهم

من جميع المعاصي صغائرها وكبائرها اذ ذلك **لاختلاف الناس في تعريفها** بما يميز احداها عن الاخرى **وتقسيمها** هو كالتمييز وزنا ومعنى **من الكبائر** هل هي معدودة او هي ما توعد عليه بحد ونحوه او هي امر نسبي يتميز بما فوقه وتحته **واشكال ذلك** عليهم حتى يتميز احدها عن الاخر **وقول ابن عباس وغيره** من السلف **ان كل ما عصي به فهو كبيرة** نظرا لجلال الله وعظمته فان من يخالف امر السلطان ليس كمن يخالف امر احاد من رعيته **وانه** اي الذنب **انما سمي منها بالصغير** اي اطلق عليه صغيرة باضافة اي بنسبته وقياسه **الى ما هو اكبر منه** لا بالنظر له في نفسه ولا بالنظر لمن عصاه **ومخالفة الباري** عز وجل **في اي امر كان** صغيرا او كبيرا **يجب كونه كبيرة** في نفسه وهذا نظر من لم يشاهد شيئا الا شاهد الله معه او قبله ولذا تفاوتت الذنوب بتفاوت اصحابها فتدبر **وقال القاضي ابو محمد عبد الوهاب** المالكي البغدادي الاديب العلامة وهو من شعراء اليتيمة وقصيدته الميمية التي منها ۞

ولو ان اهل العلم صانوه صانهم • ولو عظموه في النفوس لعظما

وله تصانيف في مذهبه جليلة كالتلقين والمعونة وارتحل الى مصر فتوفي بها ودفن بالقرافة قريبا من الشافعي في سنة اثنين واربعمائة رابع عشر صفر **انه لا يمكن ان يقال في معاصي الله انها صغيرة الا على انها تغفر باجتناب الكبائر ولا يكون لها حكم** اي لا يعتد بها ولا يؤاخذ فاعلها بعقابه عليها كما هو حكم الكبيرة الذي حكم الله به **بخلاف الكبائر اذا لم يتب فاعلها منها** بالبناء للمجهول او المفعول والتوبة معناها معروف **فلا يحبطها شيء** اي يمحوها ويذهب حكمها مما يحبط غيرها من اعمال العمل الصالحة **والامر في العفو عنها** موكول **الى فضل الله** وسعة رحمته كما قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء **وهو قول القاضي ابي بكر** بن الطيب الباقلاني **وجماعة من ائمة الاشعرية وكثير من ائمة الفقه** لان الحديث والنص دل عليه دلالة كقوله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس مكفرة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر اي ما دام اجتنابه لها وقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء والحديث مبين للاية فلا يرد عليهم ان الوعيد شامل فلا تغفر بمجرد اجتناب الكبائر وهو الحق فان الحق خلافه لقوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم **قال القاضي ابو الفضل** عياض مصنف هذا الكتاب رحمه الله **قال بعض ائمتنا** يعني المالكية **ولا يجب على القول** في العصمة من الصغائر وعدمها وكان الظاهر ان يقول لا يجوز لان احدا لم يقل بوجوب الاختلاف ففي عبارته تسمح **ان يختلف** في **انهم معصومون عن تكرار الصغائر وكثرتها اذ يلحقها ذلك** المذكور من الكثرة والتكرار **بالكبائر** لما فيه من عدم المبالاة بالمعاصي وفي الاحيا الصغيرة تصير بالاصرار كبيرة كما ان المباح يصير بذلك صغيرة قال السبكي اما الاول فظاهر واما الثاني فلا نعرفه وفيه نظر سياتي وقيل ان المختار المفتى به ان من اكثر من فعل الصغائر سواء كانت من نوع او انواع لا يكون فاسقا ولا مرتكبا لكبيرة ان غلبت طاعاته على معاصيه الا ان يراد بالاكثار الاكثرية بحيث يغلب على الطاعات وفيه انه ماذكره في حق غير الانبيا فلا نسلم مساواتهم لغيرهم فيه وهم المقتدى بهم فتدبر **ولا** ينبغي ان يختلف **في صغيرة ادت الى ازالة الحشمة** اي الحيا

من الناس لانه مما يسترذل وتنقبض النفوس منه وقد ورد بهذا المعنى في الحديث كقوله هم   وفي قول عنترة ۞

نادى جمارا ولا تحتشم • فاري مغانم لو اشا حويتها • فيصدني عنها كثير تحشم

وقد ورد هذا قوله في ادب الكاتب ان العامة الناس يضعون الحشمة موضع الاستحيا وليس كذلك انما هي الغضب ومنه انه يحشمني وليس كما قال وقد قال حسان رضي الله عنه

ارسلت نفسي على سجيتها • وقلت ما شئت غير محتشم

لانه قولهم للمهيب محتشم وقد صرح به السهيلي والبطليوسي **واسقطت المروة** اي كمال الرجولية وفسرها المصنف رحمه الله بقوله **واوجبت الازدرا** اي النقص **والخساسة** اي الدناءة وكونه مزدرا خسيسا في اعين الناس يقال ازدراه اذا تهاونه وعابه لحقارته عنده كسرقة لقمة وسى نافه **فهذا ايضا** كغيره **مما يعصم منه الانبيا اجماعا** لعلو قدرهم وشرف انفسهم وهممهم العلية **لان ارتكاب** مثل **هذا يحط منصب** اي مقام **المتسم به** الموصوف به اي يجعله سافلا **ويزري بصاحبه** اي يحقره وينقصه **وينفر القلوب عنه** فينافي مقام الدعوة واتباع الخلق له **والانبيا منزهون** اي مبرؤن **عن ذلك** كله لانه لا يليق بعلي مقامهم بل يلحق بهذا المذكور من الصغائر التي عصمهم الله منها **ما كان من قبيل المباح فادى الى مثله** ضمير مثله يحتمل ان يعود الى ما ينزهون عنه فيكون من قبيل سد الذرائع الذي ذهب اليه مالك فان عنده ما ادى الى منهي عنه منهي عنه وان كان مباحا في نفسه ويحتمل ان يعود الى الازدرا والخساسة كالاكل في السوق لمن ليس من اهله من غير ضرورة والصنائع الرذيلة كالحجامة وليس منه رعاية الغنم الذي فعله الانبيا عليهم الصلاة والسلام فانه ليس بعيب في الزمن القديم وكلبس ما لا يليق به من الملبوس كما قلت ۞

نصيحة لطيفة قالتها الاكياس • كل ما اشتهيت والبس ما اشتهته الناس

وكادامة اللعب بالشطرنج **فخرج بما ادى اليه عن اسم المباح الى الحظر** اي المنع منه يعني الحرمة وهذا صريح في الاشارة الى الذريعة وهذه المسئلة مما نقل على الاطلاق عن الامام مالك لكنها مشكلة وقد قال القرافي كما تقدم انها ليست على اطلاقها وللعلماء المالكية فيها كلام طويل لم يحضرني الان تفصيله وفي الشرح الجديد ان مراده ان يؤدي الى الازدراء بمرتكبه والازدرا بالانبيا كفر ففعله يؤدي الى ان يزدري بهم فيحرم عليهم لاحتمال ان من يجهل مقامهم فيزدري بهم فيقع في الشقا الابدي فتامله وفي الكبيرة والصغيرة وتعريفهما كلام في الاصلين لا حاجة للاطالة بذكره **وقد ذهب بعضهم الى عصمتهم** اي الانبيا **من مواقعة المكروه** اي الوقوع فيه بان يفعله **قصدا** اما سهوا فلا باس به والمكروه يكون كراهة تحريم وهو نوع من الحرام لكن الفقها يطلقون عليه مكروها اذا لم يكن فيه نص اجتنابا من القطع بالحكم به وكراهة تنزيه كترك بعض المندوبات والمراد هنا الثاني لان الاول داخل فيما تقدم مما جزموا بامتناعه عليهم والاول شامل لخلاف الاولى وهو مما نهي عنه في الجملة لانه مامور بامتناعه فلو فعل مكروها انتم فيه الا ان يكون لبيان الجواز والتشريع فانه يكون في حقه افضل كغسله اعضا الوضوء مرة او مرتين فترك التثليث لبيان الجواز **وقد استدل لبعض الائمة على عصمتهم من الصغائر بالمصير**

الى امتثال افعالهم اي فعل مثلها اقتدا بهم فلو صدر ذلك منهم اوجار فعله للناس وظنوه مشروعا فلذا ممنوع منهم وان كان صغيرة لان ذنب العظيم عظيم وان قل **واتباع اثارهم وسيرهم مطلقا** اي سواء كانت ضرورة وجبلة كالقيام والقعود والاكل والشرب فانا نتاسى بهم فيه وان كان مباحا لان الاصل في افعالهم انها حسنة شرعية فينبغي اتباعهم في كل ما صدر منهم لان الاصل ارجح من الظاهر وقد اختلف الشافعية في اتباعه فيما علمنا انه ليس تشريعا هل يستحب ام لا كنومه واضطجاعه بين سنة الفجر وفرضه **وجمهور الفقها على ذلك** اي استحباب اتباع اثارهم مطلقا ان لم نعلم انه خصوصية له **من اصحاب مالك والشافعي وابي حنيفة** واصحابه كبار اهل مذهبه **من غير التزام** قيام **قرينة** تدل على انه فعله للتشريع والاقتدا به فيه **بل** نقتدي بفعله **مطلقا** من غير التزام قرينة المشروعية **عند بعضهم وان اختلفوا** بعد القول باتباعه **في حكم ذلك** فذهب الغزالي الى انه يستحب اتباعه في الامور الجبلية كغيرها وذهب اليه كثير من الفقها والمحدثين وقال غيرهم انه مباح احسن من غيره وفي قول ضعيف انه واجب **وحكى ابن خويز منداد** ابو عبد الله محمد بن احمد بن عبد الله وقيل ابو بكر تلميذ الابهري من ايمة المالكية والاصول وله تصانيف في مذهبه وعلم الخلاف والان اقوال موجودة عندهم كقوله ان العبيد لا يدخلون في الخطاب وان خبر الواحد يوجب العلم وخويز منداد بضم الخاء المعجمة وفتح الواو المخففة وسكون اليا المثناة التحتية وزاي معجمة ساكنة او مكسورة وميم مفتوحة او مكسورة وروي بياء موحدة بدل الخا ثم نون ساكنة فدال بينهما الف وقيل الاولى مهملة توفي في حدود الاربعمايه وهو من اهل البصرة كما في التمهيد لابن عبد البر **وابو الفرج** عمر بن محمد بن عمر الليثي المالكي صاحب كتاب الحاوي في فقه مالك توفي في سنة ثلاثين او احدي وثلاثين وثلثماية **عن الامام مالك التزام ذلك** اي اتباع افعاله واثاره **وجوبا** اي قال انه يجب اتباعه في كل ما يفعله اذا لم يكن امرا جبليا كالاكل والشرب ولم يعلم انه من خصوصياته اذا لم يعلم حاله من وجوب او ندب او اباحة لان افعاله منحصرة فيها لانه لا يصدر عنه محرم ومكروه كما تقدم **وهو قول الابهري** بفتح الهمزة وسكون الموحدة وفتح الهاء وراء مهملة وياء نسبة نسبة لبلدة بين قزوين وزنجان وهي اخرى باصفهان وهو معرب ابهر بمعنى ما ارحى والابهري من علماء المالكية اثنان ابو بكر محمد بن عبد الله بن صالح والاخر ابو سعيد عبد الرحمن بن يزيد بن عبد السلام وليس ابن عبد السلام هذا هو الشافعي وهذا ايضا مشهور عندهم فمحمد الابهري من علماء المالكية من اهل طيطلة ويلقب بابي تمام وهو المراد هنا **وابن القصار** الامام في فقه مالك **واكثر اصحابنا** من المالكية **وقول اكثر اهل العراق** من فقهاء المذاهب **وابن سريج** بضم السين وفتح الرا المهملتين ومثناة تحتية ساكنة وجيم وهو ابو العباس احمد بن عمر بن سريج البغدادي الشافعي حامل لواء المذهب صاحب التصانيف الجليلة كانوا يفضلونه على جميع اصحاب الشافعي ويلقب بالباز الاشهب تولى قضاء شيراز وتوفي في جمادى الاولى سنة ست وثلثماية **والاصطخري** بكسر الهمزة وفتحها وصاد مهملة تليها تاء نسبة نسبة لاصطخر بلدة عظيمة وهو ابو سعيد الحسن بن احمد بن يزيد بن عيسى الامام المشهور عند الشافعية وكذا تصانيفه توفي في سنة اربع وثمانين وثلثماية على احد الاقوال وترجمته مفصلة

في الطبقات

في الطبقات والميزان وغيرهما **وابن خيران من الشافعية** علم بمعنى خير وهو ابو الحسن بن صالح بن خيران البغدادي الامام الزاهد الجليل قدره صاحب التصانيف المفيدة في فقه الشافعي طلبه الوزير ابن الفرات ليوليه القضا فلم يجبه فختم بابه عليه اياما كثيرة فلم يجب فافرج عنه ثم قال انما فعلت ذلك ليعلم ان ما في بلدنا مثله توفي رحمه الله تعالى سنة عشرين وثلثماية لعشر بقين من ذي الحجة **واكثر الشافعية على ان ذلك** اي الاتباع فيما لم يعلم حاله **ندب** اي مستحب لا واجب ولا مباح كما مر وهو المشهور وبالغ ابو شامة رحمه الله تعالى في نصرته **وذهبت طائفة** من العلما **الى الاباحة** اي انه مباح وطائفة الى الوقف **وقيد بعضهم الاتباع** اي اتباعه صلى الله عليه وسلم في افعاله وجوبا او ندبا **بما كان من الامور الدينية** ليخرج الامور الجبلية كالاكل والنوم **وعلم به مقصد القربة** بصيغة بمعنى القصد اي التقرب الى الله بالعبادة وهذا مختار الامدي وابن الحاجب وابي شامة **ومن قال بان الاصل** فيما لم يعلم من افعاله صلى الله عليه وسلم **الاباحة لم يقيد** بما قيد به من قال بالندب او الوجوب بقيد الدينية وقصد القربة لان التقييد به ينافي الاباحة اذ كل ما قصد به القربة من الديانة طاعة فهو لا يخلو من الوجوب او الندب قيل هذا حكم فعله في نفسه وبالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم واما بالنسبة لامته فحكمهم مرتب على حكمه الا فيما استثني فتدبر **قال** المستدل على عصمتهم من الصغاير بما مر **فلو جوزنا عليهم** فعل **الصغاير لم يكن الاقتداء بهم** في افعالهم مطلقا كما امرنا به **اذ ليس كل فعل من افعاله** كغيره منهم **يتميز مقصده به** اي ما قصده **من القربة** بان يكون واجبا او مندوبا **او من الاباحة** مما لا يترتب عليه ثواب ولا عقاب ولا مدح او ذم **او من الحظر** المسالة اي المنع شرعا لكونه محرما او مكروها او خلاف الاولى **او المعصية** الظاهر عطف بالواو وعطف تفسير وعلى هذه النسخة ينبغي ان يفسر الحظر بخلاف الاولى والمكروه وهذا بالحرام **ولا يصح** على تقدير جواز الصغاير عليهم **ان يؤمر المرء بامتثال امر** فعله النبي صلى الله عليه وسلم وصدر عنه **فعله معصية** وقد امرنا باتباعه لقوله تعالى فاتبعوني يحببكم الله ونحوه فيلزم ان نتبعه في معصية صدرت منه وهو باطل ولما ورد عليه ان الملازمة غير مسلمة لجواز ان تصدر عنه معصية صغيرة ولا يتبع فيها لانه قال لنا انها محرمة علينا الا انه يبقى ما لم يصرح بتحريمه ملتبسا علينا او يقال هذا انما يتم لو قلنا القول يقدم على الفعل وليس بمسلم كما اشار اليه بقوله **لا سيما** تقدم الكلام عليها وعلى قولها لا سيما ... افادتها اولوية ما بعدها بالحكم وسي بمعنى مثل وما موصولة او زايدة كما بينه النحاة وقد قدمناه **على قول من يرى تقديم الفعل على القول اذا تعارضا** وجهل المتاخر منهما لدلالته على الجواز المستمر مع كونه اقوى في البيان من حيث انه يبين به قوله **من الاصوليين** اي علماء اصول الفقه وهو بيان لمن بان يفعل فعلا قال انه حرام ولم يعلم المتاخر منهما حتى يكون ناسخا له وقد اختلف فيه فمنهم من قدم الفعل لانه لا احتمال فيه وقيل يعمل بالقول لقوته بالصيغة وانه حجة في نفسه وهو قول الجمهور وقيل لا يرجح احدهما على الاخر الا بدليل وعلى الاول نقتدي بافعالهم مطلقا والمعارضة بمعنى المخالفة ومنافاة احدهما للاخر وعلى هذا تكون الحجة اقوى **ونزيد** هذا الدليل الذي استدل به على عصمتهم من الصغاير وعدم جوازها عليهم **ونزيد** بنون المضارعة **حجة** اي نوع دليل هنا

الدليل بما يزيل الشبهة في حجيته وقوة برهانه **بان نقول مرجون على الانبيا وقوع**
الصغاير ومن نفاها اي قال بعدم جوازها **عن نبينا** صلى الله عليه وسلم **محجوجون**
ومتفقون في حقه لغيره من الانبيا **على انه** اي النبي صلى الله عليه وسلم **لا يقر** بكسر
القاف والبنا للفاعل وفاعله ضمير النبي صلى الله عليه وسلم اي لا يقر غيره اذا راه **على امر**
منكر من قول او فعل لان تقريراته صلى الله عليه وسلم بمنزلة قوله لما فعله جايز كما قيل
ان السفيه اذا لم ينه مامور **وانه صلى الله عليه وسلم متى راى شيئا** منهيا عنه
يفعل او يقال **فسكت** صلى الله عليه وسلم **عنه دل على جوازه** والسكوت رضى وتقرير لوجب
الثنا عليه **فكيف** تعجب وانكار شديد **يكون هذا حاله في حق غيره** ممن راه او سمعه **لم**
يجوز وقوعه منه في نفسه بان يرضى لنفسه مع شرفه وعصمته ما لا يرضاه لغيره من اتباعه
ولذا عدوا تقريراته من الحديث كقوله وفعله ومثل ما راه وسمعه ما علمه في عصره ولم ينكره
فانه يدل على جوازه اي اباحته كما قرره الاصوليون الا انهم شرطوا فيه شروطا منها ان
لا يكون بين منعه قبل ذلك كما لو راى ذميا من اهل الجزية في كنيسته على ما يفعله اهل ملته
وان يقدر على ازالة ذلك المنكر وفيه نظر لانه مامور بالكفر وان خاف مكروها
وقالوا وان يعلم ان انكاره يفيد كما قاله بعض المعتزلة وهذا كما كان يقر بعض المنافقين
على نفاقهم احيانا **وعلى هذا الماخذ** الدال على انهم لا يقرون غيرهم على المعاصي فضلا
عن انفسهم **تجب عصمتهم عن مواقعة المكروه كما قيل** وقد تقدم قريبا لانه مما نهى
الرسول عنه غيره فكيف يتنزل لان يتصف به كما قيل

• لا تنه عن خلق وتاتي مثله • عار عليك اذا فعلت عظيم •

ثم اردفه بدليل على عدم فعله المكروه بقوله **واذ الحظر** بظاء مشالة بمعنى المنع عن ما
وكرهها واذ للزمان الماضي اريد به التعليل هنا وهو معطوف على قوله وعلى هذا الماخذ
وفي نسخة الحض بحاء مهملة وضاد معجمة وقال البرهان انه تحريف وفيه نظر **او الندب**
اي الطلب غير الايجابي وضمنه معنى الحث **على الاقتدا بفعله** كما امر الله باتباعه في ايات
كثيرة معلومة **ينافي الزجر** اي زجر غيره اذا راه ارتكب ما لا يرضاه **والنهي** للغير **عن**
فعل الامر المكروه وفي كلامه هنا حزازة وتوضيحه بما يشفي الغليل انه يجب عصمته صلى
الله عليه وسلم عن المكروه لما مر من انه لا يرضاه لغيره فكيف لا يتصف به هو من غير تنقيص
وهذا معنى قوله وعلى هذا الماخذ الخ • ثم بين وجهه بوجه آخر اشار اليه بقوله واذ الحظر
او الحض كما في بعض النسخ وهي صحيحة ايضا اي اذا رايناه صلى الله عليه وسلم فعل فعلا
لم ندر حكمه فقيل يمتنع مخالفته وقيل يندب اتباعه والى الاول اشار بالحظر والى الثاني
بالندب وعلى كل منهما لا يفعل مكروها فاعله مزجور فتدبر **وايضا** اي مما يدل على عصمته
صلى الله عليه وسلم عن موافقة المكروه **فقد علم من دين الصحابة** اي من عادتهم
لان الدين يكون بمعنى العادة ولو خلي عن ظاهره صح وقوله **قطعا** اي علما لا شك
فيه **الاقتدا بافعال النبي صلى الله عليه وسلم كيف توجهت** اي في اي جهة من
جهات الافعال المختلفة **وفي كل فن** اي في اي نوع كانت من امور معاشه وحركاته وسكناته
وغير ذلك **كالاقتدا باقواله** في اوامره ونواهيه فلا يفرقون بين قوله وفعله في
الاتباع فلو فعل مكروها لزم اتباعه وهو لا يصح ثم ذكر امورا تدل على ان فعله كقوله فقال

نقد نبذوا

فقد نبذوا بمعجمة اي رموا وطرحوا والضمير للصحابة الذين كانوا تختموا وهو اشارة
لحديث رواه الشيخان عن ابن عمر **خواتيمهم** جمع خاتم على لغة فان بعضهم يشبع الكسرة
كما ورد الاعمال بخواتيمها جمع خاتمة بمعنى آخرها وهو مطرد عند الكوفيين وعند غيرهم سماعي
او جمع خاتام وهي لغة فيه من عشر لغات وهذا اشارة الى حديث هو انه صلى الله عليه وسلم
كتب الى الملوك يدعوهم للاسلام فقيل انهم لا يقرؤون كتابا غير مختوم فاتخذ له خاتما من
ذهب للختم نقشه محمد رسول الله ثم اوحي اليه بتحريم خواتم الذهب للرجال دون النسا فطرحه
وهو على المنبر واتخذ آخر من فضة **حين نبذ خاتمه** فضلا منهم اقتدا بفعله صلى الله عليه
وسلم كما ذكره وقيل ان خاتم الذهب اهداه له النجاشي ومنه علم تحريم التختم بالذهب
وحله بالفضة خلافا لابن حزم في حلهما وما روي من ان الخاتم الذي نبذه كان فضة طعن
في روايته كما فصل في شروح الصحيحين وفي شرح مسلم للقرطبي انه صلى الله عليه
وسلم نهى ان ينقش احد خاتمه كنقش خاتمه وان ينقش احد على خاتمه اسم محمد وان يتختم من غير
بالفضة ورده النووي **و**من اقتدائهم بافعاله صلى الله عليه وسلم **نعله** انهم **خلعوا** اي
الصحابة **نعالهم في الصلاة حين خلع** صلى الله عليه وسلم **نعله** وهو يصلي رواه احمد
وابو داود والحاكم عن ابي سعيد الخدري قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصلي باصحابه اذ خلع نعليه ووضعهما عن يساره فلما راوه القوا نعالهم فلما قضى صلاته
قال ما حملكم على هذا قالوا رايناك فعلته فقال ان جبريل اخبرني ان بها قذرا ومنه علم
ان الصلاة بالنعل اذا علم طهارتها لا تكره واما حديث خالفوا اليهود فانهم لا يصلون في نعالهم
وخفافهم فلا يدل على استحبابه الا اذا قصد مخالفة اليهود فتامل **و**مما يدل على استحباب
الاقتدا بافعاله صلى الله عليه وسلم **احتجاجهم** اي استدلال الصحابة الوارد في حديث
رواه الشيخان عن ابن عمر استدلوا به على انه يجوز استقبال القبلة واستدبارها بالبول
والغايط واشار اليه بقوله برؤية ابن عمر اياه صلى الله عليه وسلم **جالسا لقضاء حاجته**
اي للبراز وهو يكنى عنه بقضاء الحاجة تادبا **مستقبلا بيت المقدس** وهو قبلة قال
رقيت يوما على بيت حفصة فرايته صلى الله عليه وسلم الخ واستدل بفعله هذا على جوازه ثم
ويلزمه لمن كان بالمدينة استدبار الكعبة ايضا وهذا مناف لحديث ابي ايوب اذا اتيتم
الخلا فلا تستقبلوا القبلة ببول ولا غايط ولكن شرقوا او غربوا وقيل انه منسوخ وجمع
بينهما بانه يكره في الخلا بلا ساتر دون العمران ولا يكره في البيوت المعدة لذلك واختلفوا
في علته فقيل تعظيمها وقيل لان الصحرا لا تخلو من مصل فيراه والصحيح الاول **واحتج**
غير واحد منهم اي ناس كثيرون من الصحابة **في غير شيء** اي في اشياء كثيرة **مما بابه** اي نوعه
العبادة اي ما يتعبد به **او العادة** اي ما اعتادوا فعله **بقوله رايت رسول الله صلى**
الله عليه وسلم يفعله ومثله كثير كما قيل لابن عمر رايناك تلبس النعال السبتية وتصبغ
بالصفرة فقال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله وقال صلى الله عليه وسلم **هلا**
اخبرتيها اني اقبل وانا صايم اشارة الى حديث في الموطا عن عطا ابن يسار ان رجلا قبل
امراته وهو صايم في رمضان فخاف وارسل امراته تسال امهات المومنين فقالت ام سلمة
فقالت ان رسول الله يفعله فقال لسنا كرسول الله فاتته واخبرته بما قال له زوجها فوجدت
عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما لهذه المراة فاخبرته ام سلمة فقال لها

صح

لهم

عنه

رسول الله الا اخبرتيه اني افعل ذلك فقالت ام سلمة قد اخبرته فذهبت الى زوجها
فاخبرته فزاده ذلك شرا الخ فقال اني لاتقاكم لله واعلمكم بحدوده وقالت عائشة
لما سئلت عن تقبيل الصائم وجه محتجة لجوازه وعدم افساده الصوم كنت افعله
اي تقبيل الصائم انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم وغضب رسول الله صلى الله عليه
وسلم على الرجل الصحابي الذي اخبر بمثل هذا عنه اي اخبرته زوجته بما افتته به بعض
امهات المؤمنين كما تقدم في حديث الموطا فقال الصحابي المخبر بذلك يحل لرسول الله ما
يشا فيجوز ان يكون هذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم فلا يقاس امر غيره عليه وانما غضب
لعلمه بانه اجيب عن هذا ولو كان هذا من خواصه لم يرض به وقال والله اني لاخشاكم لله
اي اعظم منكم خوفا لله واعلمكم بحدوده اي بما حده الله ومنعه من امور الدين المحرمة
عليه صلى الله عليه وسلم وعلى امته كما قال تلك حدود الله فلا تعتدوها وقبلة الصائم
لا تبطل صومه وفيه خلاف فقيل مكروهة وقيل مباحة وقيل يفرق بين الشاب الذي
لا يملك شهوته والشيخ الذي يملكها كما فصله الفقهاء وهذا كله يدل على اقتدائهم بافعاله
فكيف يفعل مكروها كما تقدم والاثار المروية في هذا اي في اقتداء الصحابة رضي الله
عنهم بافعاله اعظم اي اكثر من ان نحيط بها اي اكثر من ان تعد وتحصى لكنه مع كثرتها وتواترها
يعلم من مجموعها على القطع اتباعهم افعاله واقتداءهم بها اي بافعاله ولو جوزوا
عليه المخالفة لما هو مشروع واجبا او مستحبا في شيء منها اي في بعض منها بموافقة امر
مكروه ونحوه لما اتسق اي انتظم واطرد هذا اي اتباعهم افعاله كلها لجواز كون بعضها
منهيا عنه لا يقتدى به ولما بفتح اللام والميم المخففة اي لو قلنا بجواز مخالفة امر الله
في شيء من افعاله ما اعتاد الصحابة اتباعه فيه ولنقل عنهم اي نقل عن الصحابة مخالفة
افعاله احيانا وظهر عنهم عن ذلك اي فتشوا افعاله ليقتدوا ببعضها ويتركوا بعضها
منها احيانا ولما بالتخفيف انكر صلى الله عليه وسلم على الاخر قوله يحل الله لرسوله ما يشا
كما تقدم وان رسول الله صلى الله عليه وسلم غضب لقوله وقال انا اخشاكم لله واعلمكم
بحدوده واعتذر بما ذكرناه فهذا كله يدل على انه لا يفعل مكروها واما ما صدر من المباح
من الانبيا عليهم الصلاة والسلام والمباح ما يجوز فعله وتركه من غير ترجيح لجانب لتوسعهم
فيه ما خوذ من باحة الدار اي عرصتها وهو حكم شرعي على الاصح فجائز وقوعه منهم اي
من الانبيا اذ ليس فيه قدح اي نقص وذم حتى يمتنع عليهم بل هي ماذون فيها لهم اذ لا
ضير فيها وايديهم كايدي غيرهم مسلطة عليها اي هم كغيرهم من المكلفين لهم فعلها والاتصاف
بها من غير حرج عليهم في فعلها والتصرف فيها فاليد مجاز عن الكسب والتصرف لانها آلة الفعل
غالبا لقوله بيده الملك اي له وبقبضته التصرف فيه الا انهم بما خصوا به من رفيع المنزلة
وبما شرحت بالبنا للمفعول اي بسبب ان الله شرح له صدورهم من انوار المعرفة وفي نسخة
انواع واصطفوا به اي من اختيار الله وتقريبه من تعلق بالهم بالله اي هممهم وعزمهم
الصادق تعلقه بالله وبامور الدار الاخرة اي بما هو وسيلة لها لا ياخذون اي لا يتناولون
من المباحات الا الضرورات اي ما يضطرون اليه من ضرورة البشرية كلما به قوام البدن
من الاكل والشرب مما يتقوون به على سلوك طريقتهم من تبليغ امانة ربهم وما ينفع في
المعاش والمعاد وصلاح دينهم مما يعين على العبادة ويصلح امورها كلباس الصلاة الساترة له

وضرورة

وضرورة دنياهم مما لا بد منه وما اخذ على هذه السبيل من كل امر ضروري وما فوق صولة
مبتدا خبره التحق طاعة منصوب بنزع الخافض وصار قربة اي امرا يتقرب به الى الله اي
الامور المباحة كالماكل والمشرب والملبس اذا اخذ منه مقدار الكفاية وما لا بد منه للتقوي
على السلوك للاخرة صار عبادة يثاب عليها وهو ظاهر فالمباح بالنظر لذاته من حيث هو
لا ثواب فيه ولا عقاب اما بالنظر لما يقارنه فانه يصير عبادة والاعمال بالنيات وقد يجعل
المباح ترك محرم فيصير واجبا وما نقل عن بعض المعتزلة من ان كل مباح واجب لانه ترك
محرم رده الامام وهو ظاهر البطلان كما بينا منه اي من المباح الذي يصير قربة اول
الكتاب طرفا اي مقدارا قليلا في خصال نبينا صلى الله عليه وسلم كما تقدم فبان
بما ذكرنا انهم انما ياتون من المباح بمقدار الضرورة وانه بالنسبة لقصدهم يصير عبادة ب
فله عظيم فضل الله على نبينا وعلى ساير الانبيا عليهم السلام وانعامه عليهم بما وهبهم
من الصفات الحميدة كالطاعة في امور الدنيا وعدم الشره والتنزل لتعاطيها من غير
حاجة ثم توفيقهم لان يكون التقوي على عبادة الله فجميع امورهم عبادة وطاعة ثم
بين وجه ذلك بقوله بان جعل افعالهم كلها قربات وطاعات اذ قصد بها التقوي
على العبادة كما بيناه بعيد بسبب ما ذكره عن وجه المخالفة وجه بمعنى الجهة والجانب
اي بعدت بما ذكر عن مخالفة الطاعة او مخالفة امر الله بموافقة مكروه ورسم المعصية بالراء
المهملة اي علاماتها واثرها او بالواو بمعنى السمة والعلامة ايضا والكل ظاهر وما
تقدم الى هنا مطلق من غير تقييد او مقيد بما بعد النبوة لقوله

فصل وقد اختلف في عصمتهم عن المعاصي قبل النبوة

المجي الوحي لهم عليهم الصلاة فمنعها قوم وجوزها اخرون والصحيح ان شاء الله انه
بعد النبوة تنزيههم من كل عيب وعصمتهم عن كل ما يوجب الريب هو في الاصل
الشك والتهمة وهو غير مناسب هنا فكانه اريد ما يحط بمقدارهم لان شان النبوة الشرف
والعلو فاذا ظهر خلافه ارتاب من عرفهم في نبوتهم وحصلت له شبهة فيهم فكيف
انكار وتعجب اي ينافي ما ذكر والمسئلة اي وقوع الذنوب منهم قبل النبوة بتصورها
كالممتنع فان المعاصي والنواهي انما تكون بعد تقرر الشرع يعني ان الانبيا قبل
النبوة معصومون اذا قلنا انهم غير مكلفين بشرع من قبلهم وقلنا ان العقل لا حكم له في
تحسين امر ولا تقبيحه كما هو الحق عند الاشاعرة واهل السنة خلافا للمعتزلة القايلين
بانه يجب الايمان به قبل الشرع ولبعض الماتريدية القايلين بان الايمان بالله وتوحيده
واجب عقلا دون غيره لئلا يلزم الدور كما تقرر في اصول الدين وما قاله المصنف جار على
المذهبين لان مراده بالمعاصي غير الكفر ولما كان الله لم يرسل الى خلقه الا من هو اعقل اهل
زمانه واقوامهم فطرة واحسنهم خلقا وخلقا كانوا معصومين قبل النبوة وبعدها ولم يقع ذلك
منهم اصلا وان اختلف في جوازه عقلا فعلى منعه لا يبقى شيء وعند من جوزه قبل البعثة كما لباقي
وان لم يقل بوقوعه كذلك فالكل متفقون على ان الله لم يبعث فاسقا ومعروفا بالظلم والفجور
وعدم الانصاف ولم يبعث الا متيازا كيا محبوبا للقلوب مهيبا في عيونهم له وقع عند كل
احد وهذا بالنسبة للمعاصي التي حدثت بعد نبوتهم وتشريعهم معلوم ضرورة وانما الكلام

فيما نعرو قبل ذلك وقد اختلف الناس في حال نبينا قبل ان يوحى اليه هل كان متبعا
لشرع قبل ام لا قيل صوابه اولا لان ام لا تعادل هل وفيه نظر فقال جماعة لم يكن متبعا
لشيء من الشرائع وهو قول الجمهور فالمعاصي على هذا القول القائل بانه لم يتبع شرع من قبله
غير موجودة فلم تصدر منه بل لم تجوز عليه ولا معتبرة في حقه اي لم يكلف بها ولم يؤاخذ
بها حينئذ اذا قلنا انه لم يتبعها ولم يكلف بها اذ الاحكام الشرعية انما تتعلق بالاوامر
تقدم الكلام عليها مرارا وانها جمع امر او امور او آمرة والنواهي من حيث الوجوب
والحرمة والكراهة والندب ونحو ذلك وتقرر الشريعة اي تحققها وظهورها ولم يكن لعدم
وجوده قبل بعثته شريعة مقررة في زمن الفترة حتى يتبعها ثم اختلفت حجج القائلين
بهذه المقالة الذين ارتضوها مذهبا لهم عليها متعلق بحجج باعتبار ما فيه من معنى
الاستدلال فذهب سيف السنة اي عالمها الذي يقيم الادلة لنصرة طريقتها استعار له
السيف لانه يقطع الجدال كما يقطع السيف الابطال والسنة ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم
ومقتدى فرق الامة تعريفها للعهد اي امة محمد صلى الله عليه وسلم وفي نسخة الائمة
القاضي ابو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم الباقلاني صاحب التآليف الجليلة
وحامل لواء اهل السنة الثقة الذي يضرب المثل بسعة علمه وشدة ذكائه وانتهى له النظر
في الاصلين على اصل الاشعري وارسل الى ملك الروم وناظر احبارهم في قصة غريبة له
وتوفي في ذي القعدة سنة ثلاث واربعمائة وكانت له جنازة لم ير مثلها وانما مدحه وان
كان حقيقا بذلك اشارة الى ترجيح هذا المذهب وانه لا ينبغي العدول عنه وهو ايضا على
مذهبه لانه مالكي لا شافعي كما قد يتوهم من اشعريته الى ان طريق العلم بذلك اي اتباعه
صلى الله عليه وسلم الشرع نبي قبل نبوته النقل لانه لا يعلم بالعقل وموارد الخبر من طريق
السمع اي يعلم من خبر يرد ونقل يصل من طريق السمع وحجته ان لو كان ذلك لنقل الينا [illegible]
به ولما امكن كتمه وستره في العادة التي جرت بين الناس في مثله من ان من تعبد بشرع
يظهره وينقله من اطلع عليه نقلا مستفيضا لا يخفى اذ كان نقله وعدم كتمانه من مهم
امره اي تعبده بشرع غيره مهم عظيم عند اهل ذلك الدين واولى اي احق ما اهتبل به
بهاء وتاء مثناة فوقية وموحدة مبني للمجهول من الاهتبال وهو شدة الاعتناء فهو عندهم
من سيرته صلى الله عليه وسلم وصفاته المأثورة ولافتخر به اهل تلك الشريعة لان مثل هذا
النبي العظيم كان من اهل ملتهم وفيه شرف لهم ولاحتجوا به عليه اي استدل اهل تلك الشريعة
بكونه عليه الصلاة والسلام كان على شريعتهم اذ كان قبل نبوته تابعا لشرعهم ودينهم فيقولون
اذ دعاهم لاتباعه اما كنت على ديننا فلم تنهانا عنه الآن وتامرنا بترك ما كنت توافقنا
فيه ولم يؤثر اي لم ينقل شيء من ذلك اي احتجاجهم عليه ولا نقل احد انه صلى الله عليه وسلم
كان متعبدا بشرع احد ممن كان قبله جملة اي بالكلية اصلا وكثيرا ما يستعملها بمعنى كافة و
وكما اختلفوا في انه صلى الله عليه وسلم قبل البعثة هل كان على شريعة من قبله ام لا اختلفوا
اختلفوا بعد البعثة هل كان على شريعة يتبع شرع من قبله فيما لم يوح اليه فيه شيء ولم ينسخ
وقد قيل ان هذا معلوم بالطريق الاولى كما فصل في كتب الاصول وذهبت طائفة الى
امتناع ذلك اي تعبده بشرع من قبله عقلا اي بدليل عقلي لا دخل للنقل فيه قالوا اي
المدعون للامتناع العقلي لانه يبعد ان يكون متبوعا مقتدى به فيما شرعه الله له وامره

بدعوة الناس

بدعوة الناس له من كان قبل صحبته ورتبته متبوعا [illegible] للغير من عرف تابعا لشرع غيره
متعبدا به قبل بعثته على هذا القول وهذا القول بامتناعه عقلا مبني على التحسين
والتقبيح وفي نسخة وبنوا هذا الخ اي على القول بان حسن الشيء وقبحه يعرف ويثبت به
وهو قول المعتزلة فالتحسين والتقبيح العقليان عبارة عن تعلق المدح والذم عاجلا
وهو محل النزاع في هذه المسألة المشهورة في الاصلين واهل السنة يقولون لا يعرف حسن
امر او قبحه الا من جهة الشرع ولا دخل للعقل فيه وهي طريقة اي مذهب غير سديدة
اي غير صحيحة واستناد ذلك اي الاستدلال عليه الى النقل عن الاثار وعن اهل الشرع
المتقدم للقاضي ابي بكر الباقلاني فيما اولى واظهر وهو القول الصحيح المعول عليه
وقالت طائفة اخرى بالوقف اي بالتوقيف من غير تعيين لطرف في امره عليه الصلاة والسلام
فقالوا لا نعلم حاله قبل البعث هل كان على شريعة من الشرائع السالفة ام لا وترك قطع
الحكم عليه بشيء في ذلك الحال المتعلق بعبادته وما كان عليه قبل بعثته اذ لم يحل
احد الوجهين منهما العقل اي لم يعده محالا لتساويهما عنده في الامكان ولا استبان
وظهر واتضح في احدهما اي احد الوجهين طريق النقل بان ينقل ما يعينه عمن يوثق به
وهو مذهب ابي المعالي عبد الملك الجويني المعروف بامام الحرمين شيخ الامام الغزالي
وعليه عمدة مذهب الشافعي وهو ظاهر من ان يخفى وقالت فرقة ثالثة انه صلى الله عليه
وسلم كان عاملا في اموره وعباداته بشرع من قبله من الانبياء ثم اختلفوا بعد القول
بانه على شريعة من هل يتعين ذلك الشرع بتعيين صاحبه واحكامه ام لا فيقال كان
على شرع لم يعلمه فوقف بعضهم عن تعيينه واحجم بحاء مهملة وجيم بمعنى تاخر ونكص فهمه
ولم يجسر عليه لعدم دليل قام عنده على تعيينه وتجاسر بعضهم اي تجرأ واقدم على التعيين
وصمم اي جزم واقدم بلا تردد فيه ثم اختلفت هذه الفرقة المعينة فيمن كان يتبع
شريعته من الرسل عليهم الصلاة والسلام الذين تقدموه فقيل هو نوح لانه اول الرسل اصحاب
الدعوة العامة في الجملة كما في البخاري وقيل ابراهيم لانه افضل الرسل غيره بالاتفاق
وابو الانبيا عليهم الصلاة والسلام وقيل موسى لان كتابه اجل الكتب قبل القرآن
وقيل عيسى لانه اقرب الرسل زمانا اليه عليه الصلاة والسلام فهذه جملة المذاهب المنقولة
في هذه المسألة والاظهر الاقوى دليلا ما ذهب اليه القاضي ابو بكر الباقلاني وهو
القول الاول لما تقدم وابعدها مذاهب المعينين كما تقدم لانه لم ينقل ومثله لا يخفى
اذ لو كان شيء من ذلك اي اتباعه لشرع معين لنقل كما قدمناه لكنه لم ينقل فدل على عدمه
ولم يخف حكمه اي على احد من جميع الناس ولا حجة لهم في ان عيسى عليه الصلاة والسلام
آخر الانبياء فهو اقرب اليه ولا نبي بينهما فهو اول الرسل به كما ذهب اليه بعضهم فلزمت
شريعته من جاء بعدها لان المتبادر بحسب بادي الرأي قبل التامل فيه فاذا تامل عرف
ان شريعته لا يلزم من جاء بعده لانه انما يلزم من ذلك لو عمت دعوته غير بني اسرائيل من العرب
اذ لم يثبت عموم دعوة عيسى صلى الله عليه وسلم بل الصحيح انه لم يكن لنبي من الانبياء
دعوة عامة لجميع بني آدم الا لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانها عمت جميع بني آدم
بل جميع المخلوقات من الجن والانس كما تقدم ومن قبله اخذ عليهم الميثاق ان من ادركه
يؤمن به وقوله بل الصحيح اشارة الى انه قيل بعموم بعض من قبله كآدم ونوح عليهما الصلاة والسلام

لقوله لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا اذ لو لم يرسل لهم ما استحقوا الهلاك بمخالفة
وهذا ان سلم فهو عموم نسبي لا حقيقي كما لنبينا صلى الله عليه وسلم **وله حجة ايضا** كالا
حجة لما قبله **للآخرين** القائلين باتباعه لشريعة ابراهيم عليه الصلاة والسلام **في قوله**
تعالى ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا اي مستقيما والملة الشريعة والدين وكانت العرب
تقول لمن اتبع ابراهيم انه حنيفي وانما لم يكن فيه حجة لان هذا الامر بعد ما اوحي اليه صلى الله عليه
وسلم والكلام فيما قبل البعثة وانما امر باتباعه في التوحيد واقامة الحجة بالرفق على من خالفه
لا في شريعته المتعلقة بالعبادة وهذا لا يدل على مدعاه ولا على تفضيل ابراهيم لان الافضل
قد يتبع الفاضل فيما عرف من هديه وخلقه **وله حجة للآخرين** القائلين بانه صلى الله عليه
وسلم كان على شريعة نوح **في قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا** الآية فلا حجة فيها
لانه فسره بقوله ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه فهذا امر مخصوص باقامة امر دينهم باتفاق
كلمتهم لا بتفاصيل شرع على ما اشار لوجه آخر بقوله **فحمل** بصيغة المصدر وفي بعض النسخ
فحملهم وفي اخرى فيحمل مضارع **هذه الآية** التي احتجوا بها انما هو **على اتباعهم في التوحيد**
اي الايمان بالله وحده وما يتعلق بالعقائد الحقة مما يشترك فيه جميع الانبيا وليس الكلام في
هذا انما الكلام فيما يتعبد به من الاعمال الصالحة وليس المراد بالاتباع التقليد فيما ذكر
وهو محل الخلاف الذي نحن فيه **كقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده** فالمراد
بهداهم ما اتفقوا عليه من التوحيد دون فروع الشرائع فانه لا يضاف للكل وقد قال لكل
جعلنا منكم شرعة ومنهاجا فلا دليل فيما ذكر يثبت مدعاهم **وقد سمى الله فيهم** اي ذكر
الله في جملة الانبيا المذكورين في هذه الآية في سورة الانعام المشار اليهم بقوله اولئك الذين
الخ **من لم يبعث** اي نبيا لم يرسل بشريعة مخصوصة وامر بدعوة الناس لها **ولم يكن له شريعة**
جديدة **تخصه كيوسف بن يعقوب على قول من يقول انه نبي ليس برسول** له شريعة
امر بتبليغها ودعوة الخلق اليها فاتفق العلما على ان يوسف نبي والجمهور ايضا على انه رسول
لقوله لقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وانه يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الكريم
ابن الكريم ابن الكريم قال ابن جريج بعثه الله رسولا الى القبط وقيل انه لم يكن رسولا له شرع وانما
كان على شريعة ابيه يعقوب او على ملة ابراهيم ويوسف المذكور في الآية هو يوسف بن
ابراهيم ابن يعقوب وهو نبي آخر ارسل لبني اسرائيل فاقام فيهم اثني عشر سنة يدعوهم
وفرعون يوسف قيل انه فرعون موسى اطال الله عمره حتى ملك في زمن موسى عليه الصلاة و
وقد سمى الله جماعة منهم اي من الانبيا **في هذه الآية** لسرد اسمائهم على التوالي ثم امره
صلى الله عليه وسلم باتباعهم بقوله اقتده **وشرائعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها** حتى
يؤمر باتباعهم جميعا في فروع الشرائع العملية التعبدية فلا يصح الاستدلال بها على ذلك
فدل اختلاف احكام تلك الشرائع المامور بالاقتداء بها **على ان المراد ما اجتمعوا عليه**
من التوحيد وعبادة الله تعالى القلبية التي لم يقع فيها اختلاف ونحوه من اصول الدين
وبعد هذا القول بان المراد ما اتفقوا عليه من العقائد **فهل يلزم من قال بمنع الاتباع**
اي اتباع نبينا صلى الله عليه وسلم لشرع من شرائع من قبله **هذا القول** اي ان يقول
بهذا القول اي منع اتباع شريعة من الشرائع السالفة **في سائر الانبيا غير نبينا** صلى
الله عليه وسلم فيقول يمتنع اتباعهم لشرع غيرهم كما امتنع ذلك في حق نبينا صلى الله عليه وسلم

او يخالف بينهم اي بين نبينا صلى الله عليه وسلم وبين غيره من الانبيا فيقول
ان نبينا الشريف قدره لا يتبع في عبادته شريعة غيره وغيره يتبع من قبله **اما من منع**
الاتباع عقلا اي قال انه امر اقتضاه الدليل العقلي **فيطرد اصله** اي دليله الذي منعه
الذي فرعه ودليله يطرد **في كل رسول** لان الاحالة التي اقتضاها العقل من حيث هو
لا تختلف في رسول دون غيره **بلا مرية** بكسر الميم وضمها بمعنى شك وشبهة لان الامر العقلي
لا يختلف باعتبار الاديان والاعصار ومرية براء مهملة وفي نسخة مزية بزاي معجمة اي
تفاضل بينهم والمآل واحد **واما من مال الى** الاستدلال والقول **بالنقل** اي انه لم ينقل
لنا انه صلى الله عليه وسلم تعبد بشرع من قبله ولو نقل صح لانه امر سمعي لا عقلي كما
ذهب اليه الباقلاني رحمه الله **فأينما** بمثناة فوقية بعد التحتية ولو قرئ بالنون
صح ايضا **تصور له وتقرر** بالبنا للفاعل او للمفعول اي حيث انه لا مقتضي للعقل ولا دخل
له فيه فاي شي نقل من منع او جواز **اتبعه** ولم يخالفه ولا ادعى الخلاف فيه **ومن قال بالو**
بغير جزم بتعيين احد الطرفين **فعلى اصله** اي على مذهبه في عدم التعيين في غيرهما
لتساويهما فيما ذكر اذ لا فارق **ومن قال بوجوب الاتباع** لغيره لانه امر ديني لا دخل للراي
فيه **لمن قبله** من الرسل عليهم الصلاة والسلام **يلتزمه** اي القول بالوجوب على غيره لازم
له ايضا **بمساق حجته** اي بسبب ما اقتضاه مساق حجته ودليله واجرائه **في كل شي** لاطراده
وصدقه عليه قيل وهذا في غير النبي الذي بعث تحت دعوة كهارون مع موسى عليهما الصلاة
والسلام فتدبر وقد وقع لبعضهم هنا كلام تركه خير منه والله سبحانه وتعالى اعلم

فصل هذا

اي ما تقدم من العصمة قبل **حكم ما تكون المخالفة فيه من الاعمال عن قصد** اي تعمد والمراد
مخالفة الشرع **وهو** اي العمل الذي خولف به عن قصد **ما يسمى** عرفا وشرعا **معصية**
لانه عصي الله به **ويدخل تحت التكليف** اي ما خولف فيه الشارع فضلا هو من جنس ما
كلف الله به عباده بحكم والحكم هو خطاب الله المتعلق بافعال المكلفين من الاحكام الخمسة
وفي عبارته تسمح لان المندرج تحت التكليف ليس هو المعصية بل تركها **واما ما يكون**
من الاعمال المخالفة لامر الشارع **بغير قصد وتعمد كالسهو** وهو الذهول وغيبة ما علمه
عن القوة الحافظة بحيث يتنبه بادنى تنبيه لبقائه في المدركة **والنسيان** وهو
ذهول عما لم يبق صورته في القوة المدركة والحافظة ويحتاج في حصوله لسبب جديد
وهذا هو الفرق بين السهو والنسيان على ما قيل وقد تقدم طرف منه في الوظايف الشرعية
الوظايف جمع وظيفة وهي ما وظف وعين من الاعمال الموقتة كالصلاة والصوم والحج
ونحوه من العبادات بخلاف السهو والنسيان **مما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به**
وفسر عدم تعلق الخطاب به بقوله **وترك المؤاخذة عليه** المؤاخذة بالهمز وبالواو
مفاعلة من الاخذ والمراد به العقاب او العتاب وغير المكلف انواع وهو المجنون والمغمى
عليه والنائم والساهي والناسي ومن لم يبلغه الخطاب من الجهلة والمخطي وقد تقدم الكلام
على السهو والنسيان والغفلة قريبة من السهو وقد يرد السهو والنسيان بمعنى ومنه السكران
وان جرى عليه حكم العمد تغليظا عليه كما قاله النووي وكذا المكره والملجا وفي الحديث

رفع عن امتي الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه فاحوال الانبيا في ترك المواخذة
به وكونه ليس بمعصية لهم مع اممهم سواء اي هم واممهم مستوون في عدم المواخذة به
لانهم لم يكلفوا به لا قبل الشرع ولا بعده ثم ذلك الذي لم يواخذ به من السهو والنسيان على نوعين
احدهما ما طريقه البلاغ اي نوع منهما وقع فيما امر بتبليغه لمن ارسل اليه وتقرير الشرع اي
ما يقرره الشارع ليعمل به وتعلق الاحكام بسببه امرا او نهيا وتعليم الامة بالفعل اي ما
علمته الرسل عليهم الصلاة والسلام لاممهم من الافعال الشرعية واخذهم اي تكليفهم ومواخذتهم
باتباعهم فيه اي بسبب الاتباع وعدمه وما هو خارج عن هذا اي ما خرج عن طريقة البلاغ
لعدم صدقه عليه وان اندراجه تحت كلمته مما يختص بنفسه دون امته مما يجب او يمتنع ونحوه
مما يختص بالرسل انفسهم اما النوع الاول وهو ما طريقه البلاغ ونحوه فحكمه عند جماعة من
العلما حكم السهو في القول في هذا الباب اي باب العصمة وحكمها وقد ذكرنا قبل هذا
الاتفاق على امتناع ذلك اي امتناع المخالفة في القول في حق النبي صلى الله عليه وسلم وعصمته
عنه من جوازه عليه فضلا عن وقوعه منه قصدا او سهوا ونسيانا وبين له لعلمه بالطريق
الاولى فكذلك اي كما قالوا في الاقوال البلاغية قالوا في الافعال في هذا الباب المذكور
لا يجوز طرو بتشديد الواو واو وبالهمزة بعد واو ساكنة كحدوث لفظا ووزنا ومعنى وفي نسخة
طرد بالمهملة بزنة ضرب اي اطراد المخالفة فيها لا عمدا ولا سهوا لانها اي الافعال
بمعنى القول من جهة التبليغ والاداء وطرو ضبطه كالذي قبله هذه العوارض عليها
اي على افعاله صلى الله عليه وسلم يوجب التشكيك اي يستلزم وقوع الشك في بقية
افعاله هل فعلها بوحي من الله او مخالفة للوحي او سهو ويوجب ايضا تسبب المطاعن الطعن
القدح بما يورث نقصا في افعاله صلى الله عليه وسلم مما ثبت في احاديث صحيحة لا يمكن انكارها
فكيف يسوي بينها في الانتفا اشار الى الجواب عنه بقوله واعتذروا عن احاديث السهو
الثابت في صلاته صلى الله عليه وسلم بتوجيهات نذكرها بعد هذا كما سياتي عن قريب والى
هذا المذهب في امتناع المخالفة ووقوعها عمدا او سهوا مال الامام ابو اسحاق الاسفرايني
اي رجحه على خلافه وذهب الى اعتقاده وذهب الاكثرون من الفقهاء والمتكلمين الى
ان المخالفة في الافعال البلاغية التي امروا بتبليغها لاممهم والاحكام الشرعية علمية
وعملية سهوا وعن غير قصد منه اي من النبي صلى الله عليه وسلم نسيانا او غلطا فهو من عطف
العام على الخاص وسهوا تمييز او حال جائز عليه اي على النبي لانه امر معفو عنه غير مواخذ
به كما تقرر في احاديث السهو في الصلاة الثابت في الصحيحين وغيرهما كما مر انفا
وفرقوا بالتشديد والتخفيف اي ذكروا فرقا بين جواز وقوع ذلك في الافعال وبين
الاقوال البلاغية اذ منعوا المخالفة فيها عمدا او سهوا لقيام المعجزة اي لدلالة معجزة
كل نبي من الانبيا التي تحدى بها على الصدق اي صدقه في القول اي فيما يقوله ويبلغه عن
ربه ومخالفة ذلك اي مخالفة الصدق في القول سهوا ومن غير قصد يناقضها اي يناقض
معجزته وينافيها فلا تجتمع المعجزة وعدم صدقه فيما يبلغه عن ربه لامته لان اجرا الله المعجزة
على يده في قوة قوله انه صادق فيما يبلغكم عني ودلالتها على ذلك دلالة التزامية في قوة
المطابقة كما تقرر في علم الكلام فالفرق مثل الصبح ظاهر واما السهو في الافعال
فغير مناقض لها اي للمعجزة ولا قادح في النبوة اي لا يضرها بوجه من الوجوه لعدم

منافاته لها

منافاته لها بل غلطات الفعل اي وقوع الغلط في الافعال وغفلات القلب عما
يفعله حتى يصدر عنه ما لم يرده من سمات البشر اي من صفاتهم اللازمة لهم حتى لا يخلو
عنه انسان كما قيل

وانما سمي انسانا لنسيانه • واول ناس لنسيانه

كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن ابن مسعود انما انا بشر
انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني جملة انسى مستانفة او خبر بعد خبر لان انا
او صفة لبشر وضمير المتكلم يربطه واما كونه يتنبح كما في قوله انا الذي سمتني امي حيدره عند
الزمخ فلانه ليس محل الالتفات لا لانه لا يكون رابطا فلو صح هذا لم يجز كونه خبرا ايضا
وظاهر الحديث يدل على انه صلى الله عليه وسلم يجوز عليه النسيان والسهو مطلقا وقد
منعه بعضهم وجوزه آخرون بشرط ان لا يقر عليه وينبه عليه من بابي واختلف هل يجوز
تاخير تنبيهه ام لا وضعفوا جواز السهو عليه فيما هو فعل من الامور البلاغية واجابوا
عما ورد من مثله وصححوا الاول وهو الجواز لانه لا ينافي النبوة بل فيه فضيلة البيان وتقرير
الاحكام واختلفوا فيما ليس طريقه البلاغ من افعاله فجوزه الجمهور واما في الاقوال البلاغية
فمجمع على منعه كما اجمعوا على منع تعمده واما السهو في الاقوال المتعلقة بامور الدنيا
مما ليس طريقه البلاغ ولا من الاحكام واخبار المعاد وما لا يضاف لوحي فجوزه بعضهم اذ لا
مفسدة فيه وصحح [illegible] منعه على الانبيا في كل خبر عمدا او سهوا لا في صحة ولا في مرض ولا رضى
او غضب ولم يزل الناس يتداولون اخباره صلى الله عليه وسلم عصرا بعد عصر من غير
استدراك احد لغلط فيها او وهم في شيء منها ولو كان لنقل كما نقل في الصلاة ونومه عنها واستدراك
رايه في تلقيح النخل وسهوه في امور الدنيا غير ممتنع وهذا الحديث رواه الشيخان في باب
السهو في الصلاة وانه قال وقد صلى الظهر خمسا ثم سجد سجدتين واقبل بوجهه على الصحابة
وقال لو حدث شيء في الصلاة انبأتكم به ولكن انما انا بشر الخ نعم العرب كثيرا ما تزيد
نعم في كلامهم اذا لا معنى لها وكانه جواب سؤال مقدر كقول جميل
نعم وارى الهلال كما ترى بل في حالة السهو والنسيان هنا اي في حالة البلاغية
في حقه صلى الله عليه وسلم سبب افادة علم لتستفيد منه امته وتقرير شرع اي تمهيده
وتثبيته كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه في الموطا اني لا انسى او انسى
بالهمزة المضمومة والتشديد مبني للمجهول للعلم بفاعله اي ينسيني الله ويوجد النسيان
في لاسن اي لاحدث لكم امرا شرعيا كتعليم سجود السهو ونحوه بل قد روي هذا الحديث
بوجه آخر لست انسى ولكن انسى لاسن الاول بفعل المتكلم المعلوم المخفف والثاني
مجهول مشدد وبين انه لا تنافي بين نسبة النسيان له صلى الله عليه وسلم في الرواية
الاولى ونفيه عنه في الحديث الاخر لان نسبته اليه باعتبار حقيقة اللغة ونفيه عنه
باعتبار انه ليس موجدا له حقيقة والموجد الحقيقي هو الله كما يقال مات زيد وامات الله
وفرق بين الفاعل الحقيقي بحسب عرف اللغة والفاعل الحقيقي في نفس الامر كما قرره الاصوليون
وتحقيقه في شرح العضد للابهري فحيث اثبت له النسيان اراد قيام صفة النسيان
به ونفيه باعتبار انه ليس بايجاده ومن مقتضى طبعه والموجد له هو الله وقوله في حديث
آخر لا يقولن احدكم نسيت آية كذا بل نسي فكره نسبة النسيان لغير الموجد الحقيقي المقدر

لكل شي اولان اصل النسيان الترك فكره ان يقال ترك القران لاشعاره بالتهاون
اختيارا وقوله نعم الخ استدراك عما قد يسال عنه بان نسيانه صلى الله عليه وسلم ليس
كنسيان غيره لما يترتب عليه من الفوائد الجليلة ولتسويته بهم في الحديث باعتبار ظاهر
الحال والابتدا اشار بقوله **وهذه الحالة** اي ما يعرض له صلى الله عليه وسلم من النسيان ليس
به **زيادة له** مخصوصة به صلى الله عليه وسلم **في التبليغ** لما يحصل لهم من تعلم ما يفعله
الساهي في العبادة من امته **وتمام عليه في النعمة** بتتميم نعمة الرسالة والبلاغ ببيان
حال الساهي فيما بلغه لهم من العبادة وهي **بعيدة عن سمات النقص** لان النسيان نقص في
الجملة ولذا عده الاطبا من الامراض الدماغية وهي في حقه باعتبار ما فيه من عبادة الارشاد
للعباد ولذا قال البعض مشايخنا من الحنفية ان هذه السجدة سجدة سهو للامة وسجدة شكر له
صلى الله عليه وسلم ومدح في حقه وان لم يمدح بها سواه لكونه اميا ونبيا يتيما كما قال
الابوصيري رح كفاك بالعلم في الامي معجزة • وبالنزاهة والتاديب في اليتم •
واعتراض الطعن اي لا يعترض ولا يطعن فيه بما يعرض له من النسيان وعلله بقوله
فان القايلين بتجويز ذلك اي السهو والنسيان على الانبيا عليهم الصلاة والسلام
في الافعال البلاغية **يشترطون** في جوازه عليهم **ان الرسل لا تقر على السهو والغلط**
بل ينبهون عليه اذا عرض لهم **ويعرفون** بالتشديد والبنا للمجهول فيه وفي ينبهون
حكمه كان الظاهر يعرفونه لانه اخصر واظهر فكانه اتجه اشارة الى انه كما يعرف بصدوره
عنه يعرف بحكمه كالسجود فالمعرف هو الله **بالفور** اي ملتبسا بالفور وهو عدم التراخي
والبطو **على قول بعضهم وهو الصحيح** عند ايمة الاصول **وقبل انقراضهم** اي يمهلون
مدة الحياة فانما يلزم التنبيه قبل الموت وهو معنى الانقراض **على قول الاخرين** الذين لا
يشترطون الفورية **واما ما ليس طريقه البلاغ** لامته **ولا بيان الاحكام الشرعية**
من افعاله صلى الله عليه وسلم وهو بيان لما **وما يختص به من امور دينه واذكار قلبه**
كتسبيحه وتحميده لربه وتفكره في معرفته **مما لم يفعله ليتبع فيه** مبني للمجهول ومشدد
التا **فالاكثر من طبقات علما الامة** الطبقة علما كل عصر فهم طبقة بعد طبقة **على**
جواز السهو والغلط عليه فيه اذ لا يلحقه صلى الله عليه وسلم به شي اصلا **ولحوق**
الفترات اي عروضها جمع فترة وهي كما قال الراغب سكون بعد حدة ولين بعد شدة
وضعف بعد قوة انتهى **والغفلات بقلبه** بان يغفل عما هو فيه كما هو مقتضى البشرية
وذلك الفترة والغفلة لا ضير فيها **بما طلعه من معاناة الخلق** بنظره صلى الله عليه
وسلم في احوالهم وتدبير امورهم **وسياسات الامة** بتدبير امورهم والنظر في عواقبهم
ومعاناة الاهل من العناية او العنا بهم ومعناه الاشتغال بهم **وملاحظة الاعدا**
بغزوهم والحذر منهم والتجسس على اخبارهم ثم استدرك فقال **لكن ليس نسيانه**
صلى الله عليه وسلم وسهوه **على سبيل التكرار** بكثرة وقوعه منه **والاتصال** باستمرار
ذلك لان مثله غير محمود عند الطباع السليمة **بل** وقوعه منه **على سبيل الندور** وقلة الوقوع
والنادر لا حكم له وقل ما يخلو منه احد **كما قال** صلى الله عليه وسلم في حديث تقدم **انه ليغان**
على قلبي فاستغفر الله تقدم طرف من الكلام على هذا الحديث وان الغين بمعجمة غيم رقيق
وان المراد به ما يعرض له من الخواطر التي تشغله عما يهمه من امر الاخرة وهو عبادة ايضا لانه

يتفكر

يتفكر في امور امته وتدبير احوالهم وانما سماه لانه شغله عن الاهم عنده فهو بالنسبة
لعظيم مقامه كانه ذنب لانه اشتغال بالعالي عن الاعلى فهو حالة كمال لا نقص **وليس**
في هذا السهو الصادر منه صلى الله عليه وسلم **شي يحط** اي ينزل قدره العلي **من رتبته**
وعظمة مقامه ونبا فضل معجزته الدالة على صدقه **وقد ذهبت طايفة** من العلماء هذا مذهب
لهم وليس هذا من الذهاب عند الرجوع وان كان اصل معناه المنقول منه **الى منع** صدور
السهو والنسيان والغفلات والفترات في حقه صلى الله عليه وسلم جملة اي كلها
لا يستثنى منها شي اصلا **وهو مذهب جماعة المتصوفة** اي اهل التصوف **واصحاب علم**
القلوب هو عطف تفسير له وهم الذين صفوا قلوبهم بالمجاهدة لا المتكلفوا طريقة التصوف
لان هذه الصيغة قد يراد بها المبالغة كالمتوحد في صفات الله تعالى **والمقامات** اي الحالات
التي يعرفها مشايخهم ويتعاطونها في سيرهم الى الله وتقدم الكلام عليها مبسوطا **ولهم**
اي للعلماء **في هذه الاحاديث** المروية في السهو والنسيان منه **مذاهب** اي اقوال يعتقد
نذكرها ان شا الله تعالى

فصل في الكلام على الاحاديث المذكور فيها السهو

الواقع منه عليه الصلاة والسلام في افعاله **وقد قدمنا في الفصول** السابقة **قبل هذا**
الفصل ما يجوز عليه فيه السهو وما يمتنع واحلناه اي جعلناه محالا فيما طريقه البلاغ
في الاخبار وما هو من قبيل الاقوال **جملة** من غير استثنا شي منها **وفي الاقوال الدينية**
اي التي ذكر فيها الاحكام الشرعية **قطعا** من غير تردد **واجزنا وقوعه في الافعال البدنية**
على الوجه الذي رتبناه متصلا قبل هذا من انه غير مناقض للمعجزة وعدم قدحه في النبوة
مع ندرته وما يترتب عليه من افادة علم وتقرير حكم **واشرنا الى ما ورد في ذلك ونحن**
نبسط القول فيه في هذا الفصل **والصحيح من الاحاديث الواردة في سهوه صلى**
الله عليه وسلم **في الصلاة ثلاثة احاديث** فيها وهو **اولها حديث ذي اليدين والسلام**
فيها قطعا للصلاة من اثنتين اي ركعتين من الظهر او العصر وما قاله ذو اليدين كما تقدم
وقال المصنف في الاكمال احاديث السهو كثيرة الصحيح منها خمسة الخ وقد قدمنا الكلام على حديث
ذي اليدين **الثاني حديث ابن بحينة في القيام من اثنتين** بحينة بباء موحدة مضمومة
وحاء مهملة وبعدها مثناة تحتية ونون بصيغة التصغير وهو عبد الله بن بحينة وبحينة
امه وهي بحينة زوجة مالك والد عبد الله الازدي وعبد الله هذا حليف بني عبد المطلب
اسلم هو وابوه ولهما صحبة وانكر الحافظ الدمياطي صحبة مالك والد عبد الله وان يكون له
رواية واسلاما وانما ذلك لعبد الله وفي تجريد الذهبي مالك بن بحينة ابو عبد الله روي
عنه حديث وصوابه عبد الله الازدي وامه بحينة قرشية وبحينة ام عبد الله زوج مالك
لا ام مالك وفي اطراف المزي من مسند مالك بن بحينة حديثا يصلي الصبح اربعا وحديث
السهو في الصلاة في مسند مالك بن بحينة الصحابي له في السهو وروى عنه ابن حبان
وقد قال النسائي هذا خطا صوابه عبد الله بن مالك **الثالث حديث ابن مسعود** الذي
رواه الشيخان عنه مسندا وهو **ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا** فقيل له
ازيد في الصلاة فقال وما ذاك قالوا صليت خمسا فسجد بعد ما سلم وليس قوله بعد ما سلم

في رواية البخاري واخرج مسلم من حديث الاعمش ومنصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد
الله بن مسعود رضي الله عنه قال صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابراهيم زاد او نقص
الشك مني فلما سلم قيل له يا رسول الله احدث في الصلاة شي قالوا صليت خمسا كذا وكذا فثنى
رجله واستقبل القبلة فسجد سجدتين ثم سلم واقبل علينا بوجهه فقال انه لو حدث في الصلاة
شي انباتكم ولكن انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني واذا شك احدكم فليتحر
الصواب وليتم ثم ليسجد سجدتين وفي الحديث دليل على تداخل سجود السهو واما كونه بعد السلام
او قبله فعل فعله وقع فيه اختلاف بين الفقهاء كما اختلفت الرواية فيه وقيل سجود النقص قبل
السلام وسجود الزيادة بعده وهو معنى ما قبل القاف بالقاف والدال بالدال **وهذه**
الاحاديث التي ذكرها المصنف **مبنية على السهو في الفعل** اي ان ما طرا فيها وقع في فعله
لا في قوله **الذي قررناه** فيما مر قريبا **وحكمة الله فيه** اي وجه الله فيه ولو شا صانه وانما
اوجده **ليسن** اي ليبين لامته حكمه شرعا اي ليبين فعله فالسنة هنا بمعنى الطريقة ثم اشار
الى جواب سؤال مقدر تقديره ان هذه الحكمة تحصل ببيانه بالقول باذ يقول من سهى في صلاته
فليفعل كذا من غير وقوع سهو في فعله فقال **اذ البلاغ بالفعل اجلى** بالجيم افعل تفضيل
اي اظهر **منه بالقول** واظهر بيته لمشاهدة فعله وكيفيته في زمن قليل ولو قرره بكلامه احتاج
لتفصيل ولا وجه لما قيل ان فيه خللا في صلاته بزيادة او نقص بخلاف وجوده بالقول
اذا عصمه الله عنه فالحكمة انما هي لبيان ان هذا السهو انما هو من صفات البشر فاذا وقع من مثله
نعمة اقبل له كما قال لا يضل ربي ولا ينسى وقولهم سبحان من لم ينسى ولا يغفل وهذا مما استاثر
به الله **وارفع للاحتمال** لانه لو قال من سهى في صلاته فليسجد سجدتين احتمل ان يكون اراد
من سها في امر من اموره سواء كان سهوا في نفس الصلاة او في غيرها **وشرطه** اي شرط جواز
السهو على الانبيا عليهم الصلاة والسلام في افعالهم البلاغية **ان لا يقر** بالبنا للمفعول **على**
هذا السهو اي لا يجعله الله قارا عليه من غير اعلامه بما صدر منه من زيادة او نقص **بل يشعر به**
مجهول اي يعلمه الله بواسطة المنبه له **ليرتفع الالتباس** اي التباس لمن يراه هل هو سهو
او نسخ لما كان **وتظهر فائدة الحكمة فيه** ببيان ما يلزم من سها **كما قدمناه** قريبا **فان السهو**
والنسيان في الفعل في حقه اي بالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم اذا صدر وتحقق منه
غير مضاد اي ليس ضدا ومنافيا **للمعجزة** المثبتة لنبوته واما السهو في القول البلاغي فمنافيها
لانها في قوة قول الله انه صادق في كل ما يخبركم به عن ربه فينافيه اخباره بما يخالف الواقع
ودلالة المعجزة على صدقه في مقاله دون افعاله وفي اثبات ذلك كلام في علم الكلام وشبه
لمنكري النبوات اجيب عنها بما لا يسعه هذا المقام **ولا قادح في التصديق** اي
تصديق من امن به من امته والاول بالنظر للنبي صلى الله عليه وسلم في نفسه وهذا بالنظر
لمن بلغه النبوة **وعنه قال صلى الله عليه وسلم** في الحديث الذي تقدم بيانه **انما انا بشر**
انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني اي نبهوني على سهوي ونسياني وقد تقدم بيانه
مفصلا فتذكره **وقد قال صلى الله عليه وسلم** في حديث رواه الشيخان عن عايشة رضي
الله عنها **رحم الله فلانا** هو كناية عن علم لم يرد التصريح به وهذا الرجل هو عباد بن بشر
الصحابي وقيل هو عبد الله بن يزيد الانصاري قالت عايشة سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
صوت قاري يقرا فقال من هذا قالوا عبد الله بن يزيد فقال رحمه الله **لقد اذكرني كذا وكذا**

آخر صح

اية كنت اسقطتهن اي تركت تلاوتهن سهوا مني **ويروى انسيتهن** وهذا تفسير للرواية
الاولى وكذا ذكرها المصنف ولم يعين احدى الايات التي نسيها ولا عددها ولا سورتها لان
كذا وكذا فيه خلاف للفقهاء في باب الاقرار لو قال له علي كذا وكذا درهما منطوقا فقيل يلزمه احد
وعشرون وقيل درهمان وليس هذا محله **وقال صلى الله عليه وسلم** في الحديث الذي رواه في
الموطا كما تقدم **اني لا انسى** بزنة القى مخفف معلوم **او انسى** بالتشديد وبنا المجهول
اي ينسيني الله **لاسن** وتقدم بيانه **قيل هذا اللفظ** المذكور هنا منطوقا بالواو الفاصلة
شك من الراوي لا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير الشك من معاني او غير مراد هنا
وقد روي للحديث **اني لا انسى** بلا النافية بعد لام التاكيد **ولكن انسى** بصيغة المشدد
المجهول **لاسن** قيل نسبة النسيان له صلى الله عليه وسلم فيما كان بسبب منه ونسبته الى الله
بالادخال فيه وهذا لا ينافي كون النسيان غفلة لا فعل من افعاله كما توهم **وذهب ابن نافع**
بنون وفا بعد الالف وعين مهملة وهو عبد الله بن الصايغ المالكي وليس هو قانع بقاف ونون
بل تحريف من الناسخ ظنه بعضهم رواية وهو مع اشهب يقال لهما القرينان كما يقال لمطرف
وابن الماجشون الاخوان كما قاله ابن مرزوق **وعيسى ابن دينار** الفقيه الزاهد العابد
الطليطلي الذي تفقه به اهل الاندلس واخذ الفقه عن ابن القاسم وتوفي بطليطلة
سنة اثني عشرة ومائة **الى انه ليس بشك من الراوي وان معناه التقسيم اي انسى**
انا او ينسيني الله ليس معناه انه بحسب الظاهر منسوب له وفي الحقيقة فعل الله بل المراد
انه قد يكون بسبب تعاطاه او بدونه لحكمة ارادها الله كما تقدم **وقال القاضي ابو الوليد**
الباجي بموحدة وجيم كما تقدم **يحتمل** لفظ الحديث **ما قالاه** اي ابن نافع وابن دينار **و** احتمال
آخر وهو **ان يريد اني انسى في اليقظة** بفتحتين وتسكينه لحن في غير الضرورة كما مر
ضد النوم وهذا معنى النسيان المنسوب اليه بصيغة المضارع المخفف المبني للمعلوم **وانسى**
بصيغة المجهول المشدد **في النوم** الذي هو حالة تمنع الحس والعقل الاختياري فاطلق على عدم
الادراك في النوم نسيانا لاشتراكهما في عدم الادراك ولا يخفى بعده وركاكته واما كونه
اذا نام لا ينام قلبه وان نومه ويقظته سوا فلا يا باه كما توهم بعضهم **او** المراد بقوله **انسى** بالمجهول
بالمعلوم ما هو **على سبيل عادة البشر** المجبول عليها طبايعهم **من الذهول عن الشي** اذا غفل
عنه **والسهو** عما هو بصدده لعروض ما يشغل باله عنه **او انسى** بالمجهول المشدد ومعناه
ذهوله عنه **مع اقباله عليه** بمشاهدته او تلبسه به **وتفرغه له** باعراضه عن غيره لكن ينسيه
الله بما هو يتخيله الشاغل عن من سواه ثم وضحه وفصله بقوله **فاضاف احد النسيانين**
بقوله انسى المعلوم **الى نفسه** لان تقديره انسى انا **اذا كان له بعض التسبب فيه** بما شرع
ما هو كالسبب المفضي اليه **ونفى الاخر عن نفسه** اذ لم يتسبب له **اذ هو فيه** اي في حال التلبس
به **كالمضطر** الملجا لفعل ما ولما كانت النسبة تسنا جعلهما نسيانين وقيل انه تغليب ولا
حاجة له مع وجود المعنى الحقيقي وذهبت طائفة من اصحاب المعاني الذين تقيدوا ابيات
معاني الحديث وشرحه كالبغوي والخطابي فقوله **والكلام على الحديث** عطف تفسير لما قبله
الى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو في الصلاة ولا ينسى بناء على الفرق بين
السهو والنسيان فان فيهم من قال انهما بمعنى ومنهم من فرق بينهما كما قاله الحافظ العلائي كما مر
وقال السهو جائز في الصلاة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام بخلاف النسيان لان النسيان

غفلة وآفة والسهو انما هو شغل بال فكان صلى الله عليه وسلم يسهو في الصلاة ولا يغفل عنها
فكان يشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة ويأتي بيانه قال وهو ضعيف من جهة المعنى
واللغة فالاول ما ثبت في الصحيحين من قوله انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون والثاني تسوية
ائمة اللغة بينهما اذ فسروها بالغفلة وذهاب القلب عنها كما في التهذيب والصحاح والمحكم
وقال الراغب السهو خطأ عن غفلة وهو على ضربين ما لا يكون الانسان فيه مسببا لمقتضيه
ان لم يتعاطا ما يولده والثاني ما يتعاطا ما يولده كما لو سكر وفعل منكرا على قصد وهذا هو المذموم
وفي النهاية السهو في الشيء تركه عن غير علم والسهو عنه تركه مع العلم وهو فرق حسن يرجع لما قاله
الراغب وبه يظهر الفرق بين السهو في الصلاة الذي وقع منه صلى الله عليه وسلم غير مرة
والسهو عنها الذي ذم بقوله الذين هم عن صلاتهم ساهون انتهى وقد تبعه بعض الشراح
وانا اقول اما الفرق بينهما فلا شبهة فيه فان السهو غفلة يسيرة عما هو في القوة الحافظة
يتنبه له بادنى تنبيه والنسيان زواله عنها بالكلية ولذا عده الاطباء من الامراض دونه الا
انهم يستعملونهما بمعنى تسمحا منهم واهل اللغة لا يدققون النظر في التعاريف اللفظية والا
لون النسيان كما تقدم **ذهول** اي عدم علم وادراك **وغفلة** اي يذهب عن فكره وادراكه
بالكلية **وآفة** اي مرض يصيب القوى المدركة بنقص فيها وفي صحاح **قال** الفارق بينهما
وانه يسهو ولا ينسى وفي نسخة قالوا **والنبي** صلى الله عليه وسلم **منزه عنها** لانها نقص كله
الله والانبياء منزهون عنه **والسهو شغل** بامر يمنعه عن ملاحظة ما هو فاعله وهو غير
مذموم بل قد يمدح كاشتغال المصلي بتجليات ربانية **فكان** صلى الله عليه وسلم **يسهو في
صلاته** ولا ينساها ولا يذهل عنها لاشتغاله بغيرها من امور الدنيا **وانما يشغله عن حركات
الصلاة** لا عنها **ما في الصلاة** مما فيه قرة عينه **شغلا بها** اي بسبب ما فيها من تجليات نور الله
لا غفلة عنها بالكلية ولذا الحق حركات اولا **واحتج** من منع النسيان عليه صلى الله عليه وسلم
بقوله صلى الله عليه وسلم **في الرواية الاخرى** لهذا الحديث **اني لا انسى** ولكن انسى
لنفيه النسيان عنه وقد سهى ومن سوى بينهما يقول انما نفى النسيان ايماء الى ان الفاعل له
هو الله والمراد لا انسى كما تنسون كما تقدمت الاشارة اليه **وذهبت طائفة** هم مشايخ الصوفية
اصحاب المقامات كما صرح به في آخر الفصل الذي قبل هذا **الى منع هذا كله** اي السهو والنسيان
عنه اي عن النبي صلى الله عليه وسلم لتنزهه عنه **وقالوا ان سهوه** صلى الله عليه وسلم **كان**
صدوره منه **عمدا وقصدا** لا غفلة وسهوا ونسيانا وانما قصده **ليسن** كما تقدم **وهذا القول**
بانه قصد دون غفلة **قول مرغوب عنه** لا فيه لانه **متناقض المقاصد** لانه لو فعل في صلاته
ما فعل عمدا ابطلت وفسدت صلاته فكيف يسن بما لا يجوز وقيل لمناقضة السهو العمد ومستحيل
كونه عمدا **لا يحلى منه بطائل** اي ليس فيه فائدة وكبير امر حتى يرتكب مورد المخالفة
المناقضة له ويحلى بفتح المثناة التحتية وسكون الحاء المهملة ولام مفتوحة والف
وقول البرهان انه بضم اوله وبالحاء المهملة ثانية وهم منه لانه في كتب اللغة كالاساس
وافعال السرقسطي وغيره انه يقال ما حليت وما حلوت منه بطائل اي ظفرت فعله ثلاثي
ورد ماضيه بعلم وضرب وكذا هو في شروح التسهيل في الخطبة والطائل بمعنى الفائدة
يقال لا طائل تحته اي لا فائدة يعتد بها وهذا الفعل اعني حلا قيل انه يختص بالنفي وهو
المشهور وصرح ابن السيد بخلافه ثم بين تناقضه بقوله **لانه كيف يكون** صلى الله عليه وسلم

سهوا ساهيا

سهوا ساهيا في حال واحدة لان بينهما من التضاد ما يمنع اجتماعهما **ولا حجة لهم في قوله** انه
صلى الله عليه وسلم **امر** اي امره الله **بتعمد صورة النسيان** وليس بناس **ليسن** لهم ما يترتب
عليه **لقوله** صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي تقدم قريبا **اني لا انسى او انسى لاسن فقد**
وفي نسخة وقد بالواو والحالية **اثبت** في هذا الحديث له صلى الله عليه وسلم **احد الوصفين**
يعني النسيان والسهو الذي نفاه هؤلاء القائلون وقيل المراد بالوصفين النسيان من قبل
نفسه ومن قبل ربه ونفى مناقضته باضافته الى الضمير **التعمد والقصد** مفعول نفى ونفيه
بهم من اثبات ضده الذي لا يجتمع معه **وقال انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون** فاذا نسيت
فذكروني ويجوز ان يكون النفي بهم من الحصر بانما قيل ما ذكره المصنف من ابطال هذا القول
في غاية الظهور وانه لا يتخيل الا ومعذور وكيف يتعمد ما صورته تخل بعبادته مع امكان البيان
بالقول انتهى اقول هو كما قال لكن ما تقدم عن السادة الصوفية يمكن توجيهه **وقد مال
الى هذا** اي القول بانه صلى الله عليه وسلم امر بتعمد النسيان **عظيم** اي كبير فان العظيم يكون
بمعنى الزيادة في القدر والكم كالكبير والمراد الاول **من ايمتنا** اي الاشعرية لا الفقهاء المالكية
كما قيل فان هذا العظيم الذي ذكره **وهو ابو المظفر الاسفرايني** شافعي كذا في الشرح
الجديد بناء على ان ابا المظفر هو ابو اسحاق ابراهيم وان المصنف كناه بذلك بغير كنيته
المشهورة والذي يظهر ان الاول هو الصواب وهذه مجاز قد من قال لها **ولم يرتضه غيره منهم**
اي لم يقل بهذا القول احد غير ابي المظفر لانه كيف يؤمر بتعمد ما يبطل الصلاة من غير ضرورة
ولا ارتضيه لانه بعيد عن الصواب بمراحل **ولا حجة لهاتين الطائفتين** القائلين بانه
صلى الله عليه وسلم يسهو ولا ينسى وبان سهوه عمد وقصد **في قوله** في الحديث **اني لا انسى**
بالنفي في احدى الروايتين كما تقدم تفصيله **ولكن انسى** بالتشديد كما بيناه **اذ ليس فيه**
اي في الحديث على هذه الرواية **نفي حكم النسيان بالجملة** اي جميعه بان لا يصدر منه صلى
الله عليه وسلم نسيان اصلا وكانه اراد بحكمه معناه بقرينة قوله **وانما فيه نفي لفظه** باطلاق
اسناده له وما قيل المراد النسيان الذي هو حكم بمعنى مدلول اللفظ والرضا فيه بيانية تعسف
وكراهة لقبه هو بمعنى اسمه ولفظه المستعمل فيه وليس المراد به احد اقسام العلم وهذا
على مصطلح الاصوليين **كقوله** صلى الله عليه وسلم في حديث مشهور **بئس ما لاحدكم**
وبئس من افعال الذم فاعله ضمير مستتر مفسر بما وقوله **ان يقول نسيت آية كذا**
هو المخصوص بالذم ونسيت مخفف مسند لضمير المتكلم **ولكنه نسي** مجهول مشدد ورواه مسلم
نسي مخففا مع ضم النون وكذا روي من طرق فقد روي بتشديد السين وتخفيفها مع البناء
للمفعول فيهما فعلى التثقيل انه تم خلق فيه النسيان وعلى التخفيف معناه ان ناسي القرآن
لنبي اي نسيه الله تركه او لم يلتفت له لقوله وكذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم
تنسى فاشار الى انه لا ينبغي ان ينسب فعله لنفسه وينسبه لخالقه تادبا وان جاز لانه كسبه
فالذم لهذا فهو عام في كل فعل وهو لما فيه من عدم الاعتناء بالقرآن لان نسيانه لتركه
تعهده تلاوته فهو مخصوص بالقرآن واختاره القرطبي وقيل النسيان المذموم هنا بمعنى
الترك وقيل فاعل نسيت النبي صلى الله عليه وسلم اي لا يقل احد عني اني نسيت آية كذا فان
الله هو الذي انساني ما نسخه وليس بصنيعي وقال الخطابي انه مخصوص بعصر النبوة
فانهم انما ينسيهم الله ما قد نسخه **او نفي** مصدر معطوف على نفي لفظه اي انما فيه نفي

الغفلة وقلة الاهتمام عطف على الغفلة وقلة الاهتمام **بامر الصلاة** فارتكبه نفي لازمه **عن قلبه** متعلق بنفي قوله انسى بمعنى لا اغفل ولا يغفل قلبي عن عبادة ربي وتوجهي اليه **لكن شغله** اي بالصلاة وما فيها من التجليات **عنها** اي عن بعض اعمالها وعدد ركعاتها **ونسي بعضها** من اركانها الظاهرة **ببعضها** بما يشاهده فيها وتدبر ما يتلوه فيها وما قيل ان هذه مرتبة لا تليق بارباب التمكين الذين لا تعوقهم امورهم الباطنة عن ادب الظاهر كان عليه ان يتادب بتركه ومثله من زخرف الاصطلاحات لا يجري في مقامات النبوة هو **كما ترك الصلاة** في حديث الصحيحين **يوم الخندق حتى خرج وقتها** اي وقت الصلاة المعين لها في كتب الفقه وهذا نظير لما هو فيه لا مثال له كما بينه بقوله الاتي فشغل بطاعة عن طاعة وهذه تسمى غزوة الخندق وغزوة الاحزاب لانه صنع فيها خندق برأي سلمان الفارسي وتجمع فيها طوايف كثيرة كما هو مشهور في السير والخندق معرب كنده بمعنى حفر وكانت سنة اربع وقيل سنة خمس على ما بينوه واختلفوا في سبب الاختلاف فيه على اقوال منها انهم لما ارخوا من الهجرة وجعلوا راس السنة المحرم جعله بعضهم محرم سنة الهجرة وبعضهم المحرم الذي بعده فتفاوت ذلك لسنة **وشغل بالتحرز من العدو عنها** اي عن الصلاة التي دخل وقتها حتى خرج لانه يخشى من هجوم العدو عليهم وهم في الصلاة غير مستعدين للحرب ولم تكن صلاة الخوف شرعت لهم حينئذ **فشغل بطاعة** وهي حفظ المدينة وارواح المومنين من بغتة العدو **عن طاعة** وهي اداء الصلاة في الوقت وتلك اهم باعتبار حقوق العباد اذ لو فاتت لم يمكن تداركها بخلاف هذه وهذا نظير لشغل عبادة عن عبادة وان لم تكن منها لا للسهو والمنهي عنه اشتغاله عن العبادة حتى ينساها فلا يرد عليه انه يلزمه وقوع سهوه في افعال العباد وهذه واقعة حال قدم فيها الاهم ولم يكن ناسيا وانما بدا بدرء المفسدة الذي هو اهم من جلب المصلحة وكان هذا عذرا في تاخير الصلاة قبل صلاة الخوف على انه قيل انه سهو ايضا فعلى هذا لا يتجه عليه شي **وقيل** القايل له ابن مسعود كما رواه الترمذي والنساي **ان الذي ترك** بالبنا للفاعل او المفعول اي تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم **يوم الخندق اربع صلوات** خبر ان **الظهر والعصر والمغرب والعشا** بدل منه وما قيل من انه يجوز نصب اربع لترك على مذهب سيبويه لا وجه له هنا والصحيح ما في الصحيحين من انها صلاة العصر وفي الموطا انه فاتته صلاتان الظهر والعصر وقال النووي يجمع بين الروايات بان الخندق كانت في ايام وتعدد تركه للصلاة فيها وقيل ان تاخيرها كان نسيانا واستدل بما رواه احمد انه صلى المغرب يوم الاحزاب فلما سلم قال هل علم رجل منكم اني صليت العصر قالوا لا فصلاه ثم صلى المغرب الا انه ضعف روايته وهذا كان قبل نزول صلاة الخوف كما مر والحديث عن علي رضي الله عنه لما كان يوم الاحزاب قال صلى الله عليه وسلم ملا الله بيوتهم وقبورهم نارا كما حبسونا وشغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس وبه استدل على ان الصلاة الوسطى صلاة العصر وفيه اختلاف وقد افرد الحافظ بتاليف نفيس اوصل الاقوال فيه الى نحو عشرة **وبه** اي بتركه صلى الله عليه وسلم هذه الصلوات **احتج من ذهب الى جواز تاخير الصلاة في الخوف اذا لم يتمكن من ادايها في وقتها الى وقت الامن** من خوف العدو **وهو مذهب الشاميين** اي بعض علماء الشام وفقهايها المجتهدين والمحدثين منهم الذين يرون ان صلاة الخوف

كانت

كانت مشروعة قبل ذلك **والصحيح ان حكم صلاة الخوف** اي فرضيتها **كانت بعد هذا** اي بعد غزوة الخندق **فهو ناسخ له** اي لجواز تاخير الصلاة عند الخوف وهو مذهب ابي حنيفة والجمهور وصلاة الخوف على طرقها التي ذكرها الفقها مختلف فيها هل كانت مخصوصة بعصره صلى الله عليه وسلم او نسخت في حياته فلا تجوز الان او حكمها باق الى الان وهل تختص بالجماعة اولا والكلام عليه وعلى ادلته مفصل في كتاب الاثار وشروحه للعيني وليس مما يهمنا تفصيله هنا • ثم استطرد لما يناسب ما هو فيه من تاخير الصلاة عن وقتها لعذر شرعي واورد عليه سوالا فقال **فان قلت فما تقول في نومه** صلى الله عليه وسلم حتى خرج وقتها **عن الصلاة يوم الوادي** كما رواه البخاري وغيره والصلاة هي صلاة الصبح والوادي بطريق مكة وقيل بطن تبوك وكان صلى الله عليه وسلم عرس فيه ووكل بلالا بان يقوم عنده ليوقظه اذا طلع الفجر فاسند ظهره لراحلته فغلبه النوم ولم يوقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥ حتى طلعت الشمس وكان اول من استيقظ ابو بكر ثم عمر رضي الله عنهما فكبر حتى استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولفظ البخاري عن ابي قتادة قال سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقال بعض القوم لو عرست بنا يا رسول الله فقال اخاف ان تناموا عن الصلاة فقال بلال انا اوقظكم فاضطجعوا واسند بلال ظهره لراحلته فغلبته عيناه فاستيقظ النبي صلى الله عليه وسلم وقد طلع حاجب الشمس فقال يا بلال اين ما قلت قال ما القيت علي نومة مثلها قط فقال ان الله قبض ارواحكم حين شاء وردها حين شاء يا بلال قم فاذن الناس بالصلاة فتوضا فلما ارتفعت الشمس وابياضت قام فصلى ومثله في مسلم وتقدم ايضا لفظ البخاري في رواية عمران بن حصين **و**استشكل الحديث بانه كيف يتاتى هذا والنبي صلى الله عليه وسلم **قد قال** في حديث اخر **ان عيني تناما ولا ينام قلبي** فكيف نام عن هذه الصلاة حتى فاتها وهذا الحديث في الصحيحين بطوله وفيه ان عايشة رضي الله عنها قالت تنام يا رسول الله قبل ان توتر فقال تنام عيناي ولا ينام قلبي وكذا ساير الانبيا عليهم الصلاة والسلام ٥ كما ورد ايضا ولذا ذهب كثير من ايمة الشافعية ان نومه صلى الله عليه وسلم لا ينقض وضوءه وسياتي الكلام فيه وقيل انه من خصايصه ونقل عن النووي واجاب عن تعارضهما بقوله **فاعلم ان للعلما عن ذلك** التعارض **اجوبة منها ان المراد بان هذا** اي تيقظ قلبه في نحو **حكم قلبه** اي حاله وصفته **عند نومه وعينيه** عن الادراك في الجملة **في غالب الاوقات** اي في اكثر اوقات نومه وعينيه بقرينة مجيء ضد الحضور وقال البرهان وبينته ثم ظهوره لئلا يتصحف بعينيه تثنية عين باصرة ورد بانه معنى صحيح لا تحريف فيه فانه حينئذ معطوف على قلبه اي هذا حكم قلبه وحكم عينيه غالبا وهو تمحل **وقد يندر** اي يقل والندر اخص من القلة لانها القلة المفرطة جدا **منه غير ذلك** بان ينام عينه وقلبه كنوم ساير الناس **كما يندر منه غيره** اي يقل من غير النبي صلى الله عليه وسلم **خلاف عادته** يحتمل ان يريد خلاف ما يعتاده من اموره مطلقا ويحتمل خلاف عادته مطلقا في نومه بيقظة قلبه كالانبيا لكنه لا حكم له لندرته وعدم انضباطه **ويصحح هذا التاويل** اي يجعله متعينا لغالب امره وما اعتاده **قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث** المذكور اولا في قصة الوادي لا حديث ان عيني تناماان كما توهم كما تقدم في الحديث اذ نقلناه ٥ **نفسه** اكده به لئلا يتوهم ارادة جنس الحديث **ان الله قبض ارواحنا** قبض الارواح

ها

مه

ت

رة

غيبوبتها عن الحس لان الروح تفارق البدن كما في الموت ولذا كان النوم اخا الموت
وقول بلال فيه اي في الحديث المذكور كما مر من انه صلى الله عليه وسلم امره ان يوقظه
فغلبه نومه ولم يوقظه فلما قال له اين ما قلت يا بلال قال ما القيت علي نومة
مثلها قط اي لم ينم نوما ثقيلا مثل نومته هذه فهذا كله يدل على انه استغرق في نومه
على خلاف معتاده لان قبض الروح يدل على عدم يقظة القلب وما وقع لبلال ايضا مخالف
لمعتاده والشاهد فيما قبله او فيه ايضا فتامل والحاصل انه صلى الله عليه وسلم كان لنومه
حالتان والاغلب الاول ثم بين وجه حاله المخالف لعادته بقوله ولكن مثل هذا المخالف
لمعتاده انما يكون منه اي يقع له بايجاد الله وخلقه لامر يريده الله مما يرضاه ويقدره
من اثبات حكم شرعي يتبينه لمن طرا عليه وهو قضا الصلاة ووجوبه فورا او بدل منه و[illegible]
سنة اي طريق من طرق الشرع يقتدي بها ويستمر سلوكها واظهار شرع وفي بعض النسخ
شرح وهو تصحيف كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر الوارد في النوم عن الصلاة
لو شا الله عز وجل لايقظنا من منامنا قبل خروج الوقت ولكن اراد الله بعدم ايقاظنا
ان تكون بتاء التانيث والضمير للسنة المفهومة من السياق اي تكون سنة لمن بعدكم
من هذه الامة يقتدون بها فيقضون ما فاتهم من الصلاة وهذه حكمة ان الله قوى النوم عليه
صلى الله عليه وسلم ونام قلبه على خلاف عادته لتظهر هذه السنة البديعة الثاني من
الاجوبة عن هذا السؤال ان معنى قوله لا ينام قلبي ان قلبه صلى الله عليه وسلم لا يستغرقه
النوم اي لا يستولي عليه ولا يغطيه عن الادراك بحيث يغيب بالكلية عن احساسه والا
في كل شي بلوغ نهايته حتى يكون منه اي من صاحب القلب الحدث فيه الضمير للنوم
اي يقع منه لشدة نومه حدث لا يشعر به من خروج شي من احد السبيلين ينقض وضوءه
لما روي انه صلى الله عليه وسلم كان محروسا اي محفوظا في نومه من ان يصدر عنه مثله
وانه صلى الله عليه وسلم كان ينام حتى ينفخ اي النفخ بخاء معجمة خروج النفس بشدة
لها صوت يسمع وحتى يسمع غطيطه بالبنا للمجهول والغطيط بغين معجمة كالخطيط
بخاء معجمة ترديد النايم صوتا من النايم نفسه وهو معروف ثم يصلي ولا يتوضا اي يقوم
من شدة نومه الذي يسمع له خطيط وغطيط ولا يجدد وضوءه فهذا دليل على انه صلى الله عليه
وسلم محروس في نومه عن الحدث الناقض للوضوء اقامة لمظنته فيه مقام المئنة ولولا ذلك
لزمه الوضوء كغيره من الناس فعدم نوم قلبه عبارة عن عدم استغراقه في نومه حتى لا يشعر
بالحدث فليس بيقظة حقيقية كما في الجواب الاول فلا ينافي انه لا يشعر بخروج الوقت
لافراط نومه وحديث ابن عباس المروي في الصحيحين المذكور فيه وضوءه صلى الله عليه
وسلم عند قيامه من النوم لانه مروي فيه نومه مع اهله اي احدى زوجاته وهي
في هذا الحديث ام المومنين ميمونة بنت الحارث خالة ابن عباس رضي الله عنهم واهل اصل
معناه الاقارب والاتباع ثم اطلق على الزوجة اطلاقا صار به حقيقة عرفية فلا يمكن
الاحتجاج به اي بحديث ابن عباس المذكور على وضوئه بمجرد النوم اي بسبب النوم
وحده لكونه مع اهله اذ لعل ذلك الوضوء لنقض وضوئه الاول لملامسة الاهل اي مسهم
من غير حائل ام لحدث آخر مما هو عند الشافعي من نواقض الوضوء فكيف يظن ان حديث ابن
عباس هذا يناقض ما تقدم من ان وضوءه لا ينقض بمجرد نومه ليقظة قلبه وفي آخر هذا

الحديث نفسه الذي رواه ابن عباس ثم نام حتى سمعت غطيطه تقدم بيانه وانه
يقال خطيطه بمعناه ثم اقيمت الصلاة فصلى ولم يتوضا وهو صريح في عدم نقض
النوم للوضوء وحده قيل ولا حاجة لهذا ايضا فان هذا الحديث انه قام من نومه لقضا حاجة
فتوضا لانتقاضه بقضا الحاجة لا لمجرد النوم فالسؤال ساقط من وجوه عدة وقيل
في الجواب ايضا ان معناه لا ينام قلبه من اجل ان يوحى اليه في النوم فانه وساير
الانبيا عليهم الصلاة والسلام رؤياهم وحي بلا شبهة فمعنى قوله لا ينام قلبي انه
لا ينقطع عنه الوحي بنومه وامر النبوة وهذا لا ينافي استغراقه في نومه وخروجه عن
ذلك العالم ثم اشار لجواب آخر فقال وليس في قصة الوادي ونومه فيه عن صلاته
الا نوم عينيه بانطباق جفنيه عن رؤية الشمس وذلك انما يدرك بحاسة البصر
وهي نائمة محجوبة عن الحس الظاهر وليس هذا اي رؤية الشمس من فعل القلب لانه انما
يدرك المعقولات دون المحسوسات فلا منافاة بينهما كما مر ولا حاجة الى ان يقال لعله
كان تحت خيمة تمنعه الرؤية وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله قبض ارواحنا في
منامها كما تقدم ولو شا لردها الينا بايقاظنا من نومنا الذي كان قبل في حين غير
هذا اي في وقت لم يوح اليه فيه شي ولم ير رؤياه التي هي وحي وقوله في حين الخ متعلق
بقال لا من مقول القول كما توهم وقد تقدم ان الروح تقبض في المنام والممات لكنها ترد
في الاول كما قال تعالى فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى قال علي كرم
الله وجهه فما رأته نفس النايم وهي في السما هي الرؤيا الصادقة دون غيرها وفي الحديث
سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اينام اهل الجنة فقال لا النوم اخو الموت فان قيل
فلولا انه كان عادته استغراق النوم باستيلائه على حواسه وقلبه كغيره لما قال
بلال كما ذكرناه في الحديث الذي في نومه بالوادي اكلا بهمزة وصل في اوله وهمزة
ساكنة في آخره امر من الكلاءة وهي المراقبة والحفظ لنا اي لاجلنا منهم الصبح اي
وقت طلوعه لتوقظنا للصلاة فلا تفوتنا كما مر قبل هذا فهذا ينافي ما قاله من انه لا يستغرق
في نومه بحيث لا يشعر بما يحدث منه فيه من نواقض الوضوء فقيل في الجواب عن هذا السؤال
انه كان من شانه اي عادته صلى الله عليه وسلم بالتغليس بالصبح اي التبكير به
فيصليه بغلس وهو ظلمة تخالط اول ضوء الفجر في آخر الليل ومراعاته اي مراقبته للتبكير
له في اول الفجر قبل انتشار الضوء بقرب الشمس من الافق المرئي لا تصح ولا تتيسر ممن
نامت عيناه سواء استغرق ام لا ولو كان قلبه لا ينام اذ هو امر ظاهر يدرك بالجوارح
الظاهرة ولا دخل للقلب والحواس الباطنة فيه فوكل صلى الله عليه وسلم بلالا رضي
الله عنه اي امره بانه لا ينام ويشتغل بمراعاة اوله اي مراقبته والنظر اليه ليعلمه
بذلك اي بطلوع الفجر كما لو شغل بشغل غير النوم في يقظته عن مراعاته اي مراعاة
الفجر وقد قيل ان هذا كله مبني على انه صلى الله عليه وسلم كان لا ينام نوم غيبة اصلا وهذا
مما لا ينبغي وفي هذا المقام اجوبة كثيرة عن تعارض الحديث في شروح الصحيحين تركناها
خوف الاطالة المورثة للملالة فان قيل فما معنى نهيه صلى الله عليه وسلم عن القول
نسيت في حديث لا يقولن احدكم نسيت آية كذا وتقدم هذا الحديث بتمامه والكلام في
معناه وقد قال صلى الله عليه وسلم وهي جملة حالية مبينة للسؤال في تعارض نهيه

عن قول نسيت ثم قوله انى انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني وقال في حديث
آخر قد تقدم وفيه رحم الله فلانا لقد اذكرني آية كنت انسيتها بضم الهمزة مبني للمجهول
من الافعال اي انسانيها الله وقد تقدم الكلام على هذا الحديث مفصلا فاعلم اكرمك
الله انه لا تعارض في هذه الالفاظ الواردة في النهي عن ذلك وغيره اما نهيه عن
ان يقال نسيت آية كذا فليس على ظاهره اذ هو كلام صادق لا مانع منه شرعا فهو محمول
على ما نسخ حفظه اي لفظه وتلاوته من القران وفي نسخة نقله بنون وقاف بدل حفظ
والمعنى واحد وعلى هذا فمعنى قوله لا يقل احدكم نسيت تقديره اني نسيت والمسند اليه ضميره
صلى الله عليه وسلم اي اذا سمعتموني تركت في القراءة شيئا لا تقولوا ان النبي نسي آية كذا
اي ان الغفلة في هذا لم تكن اي توجد فكانت نامة منه صلى الله عليه وسلم ولم يقع
ذلك اختيارا ولكن الله اضطره اليها اي الله عز وجل الجاه للغفلة ليمحو ما يشا اي
ينسخ ما اراد نسخه فينسيه له ويثبت ما لم يرد نسخه فلا ينساه فعلى هذا هو مخصوص
بالرسول صلى الله عليه وسلم وببعض ايات نسخها الله باذهابها لا بكلما نسيه ولذا قال
وما كان تركه من سهو او غفلة من قبله بكسر القاف وفتح البا الموحدة ولام اي من جانب
نفسه صلى الله عليه وسلم بمقتضى الجبلة البشرية من غير الجاء من الله له فذكرها صفة
غفلة اي خطرت بباله بعد نسيانها صلح اي جاز ان يقال فيه انسي بضم الهمزة مجهول
مخفف فانما يمتنع نسبة النسيان له فيما اذا كان من القسم الاول فليس النهي على اطلاقه حتى
يعارض الحديث الآخر وهذا النهي خاص بزمنه صلى الله عليه وسلم حيث كان يقع النسخ فلو
قيل فيه ذلك ربما يتوهم انه اهمل من القران شيئا حتى ضاع وصلح بفتح اللام وضمها والاول
افصح وقيل في الجواب عما تعارض هنا ان هذا يعني نهيه صلى الله عليه وسلم عن ان يقول
نسيت منه صلى الله عليه وسلم على طريق الاستحباب اي تعليما وارشادا لما هو مستحب
فالنهي ليس نهي تحريم بل للكراهة ان يضيف الفعل الى خالقه عز وجل ولا يضيفه لنفسه
فانه الفاعل الحقيقي وغيره آلة وهذا على مذهب اهل السنة والآخر اي الحديث الآخر
الذي اضيف فيه النسيان للعبد وقوله نسيت كذا ورد على طريق الجواز وخلاف الاولى
من غير النبي صلى الله عليه وسلم ومنه للتشريع فهو غير مكروه منه وجواز اضافته له لاكتساب
العبد فيه ضمنه معنى دخل اي ادخل العبد فيه باكتساب فهو كالآلة له والموجد الحقيقي
هو الله عند الاشعري واهل السنة خلافا للمعتزلة وبهذا جزم ابن بطال فقال انه بالنهي
اراد ان يجري على السنة العباد لنسبة الافعال الى خالقها لما فيه من الاقرار بالعبودية
والاستسلام للقدرة وهو اولى من نسبتها للمكتسب ثم انه جائز ايضا واسقاطه صلى الله
عليه وسلم لما اسقط من هذه الآيات التي قال فيها انسيت آية كذا وكذا جائز عليه سهوا
بعد بلاغ ما امر ببلاغه وبوصله الى عباده اما في حال تبليغه الاول فلا يجوز سهوه
فيه وبعده يجوز ثم يستذكرها صلى الله عليه وسلم من امته او من قبل نفسه لانه لا يقر
على نسيانه الا ما قضى الله نسخه ومحوه من القلوب فينسيه الله له ولا ينبهه عليه فيعلم
بذلك انه نسخ لفظه وتلاوته سواء نسخ معناه ام لا وترك استذكاره بصيغة المصدر
او الفعل الماضي المجهول ولما فيه من البعد قال وقد يجوز ان ينسى النبي صلى الله عليه
وسلم ما هذا سبيله من القران مما يراد نسخه كرة اي حينا ما ويجوز ايضا ان ينسيه منه

اي الله ينسيه من القرآن قبل البلاغ لانه يجوز النسخ قبل البلاغ كفرض الصلاة
خمسين في ليلة المعراج وهذا منه ما لا يغير نظما نظم القران ترتيب كلماته متناسقة
على مقتضاها ولا يخلط حكما باخر كحل بحرمة مما لا يدخل بيان لقوله ما لا خللا في الخبر
حتى لا يدري ما يراد به ثم يذكره اياه اي يذكر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ما انساه
ما لا يغير ولا يخلط ويستحيل دوام نسيانه له لمنافاته للغرض المقصود منه لحفظ
الله تعالى كتابه لقوله تع انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون كما تقدم وتكليفه بلاغه
مجرور معطوف على حفظ الله اي كلف الله رسوله صلى الله عليه وسلم ان يبلغ كتابه من ارسل
اليهم ودوام نسيانه ينافيه اشد المنافاة والله تعالى اعلم فصل

فصل في الرد على من جوز عليهم الصغائر

اي على الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين والكلام بالجر عطفا على الرد على
ما احتجوا به في ذلك اي جواز الصغاير عليهم والصغيرة ما عدا الكبيرة والكبيرة
منهم من عينها بالعد ومنهم من عينها بالحد فقيل هي ما ورد فيه وعيد بنحو غضب الله
ولعنه ودخول النار بكتاب او سنة صحيحة وقيل ما فيه حد او عقوبة معينة والصغا
كالكبائر في توقف العفو عنها على مشيئة الله وكون اجتناب الكبائر مكفرا لها لا ينافي
التوقف عليه وجوازها عليهم مطلقا او سهوا مشروط بان لا تكون مشعرة بخسة ورذالة
منفردة للطباع اعلم ان المجوزين للصغائر على الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم
اجمعين من الفقها والمحدثين ومن شايعهم اي تابعهم ووافقهم على اعتقاد ذلك
من المتكلمين اي علما الكلام وهو العلم الباحث عن العقايد الدينية وسمي علم الكلام اما
ان مسئلة كلام الله من اجل مباحثه او لكثرة دوران الكلام بين السلف والشايعة من
الشيعة وهي فرقة من الناس تتبع غيرها وشيعة الرجل اتباعه وانصاره ولو واحدا وغلب
في العرف بالمفضلين لعلي رضي الله عنه وكرم وجهه وهذه المسئلة من علم الكلام وذكرها
في كتب الفقه والحديث استطرادي وقيل انها من مسايل هذه الفنون بحيثيات متغايرة
فالفقيه يبحث عنها من حيث انه يجوز اعتقادها او يحرم او يكره والمحدث من حيث انه
هل صح رواية ما ورد منها ام لا والمتكلم من حيث اقامة الدليل على عصمتهم وامتناعها
وعدمه وليس في قوله شايعهم ما يخالف ذلك وانما عبر به لانه ليس من كتابه المسايل
الكلامية احتجوا على ذلك اي تجويزها عليهم بظواهر كثيرة من القران والحديث
انهم لفظ ظواهر اشارة الى انها ليست بحجة في الباطن ان التزموا ظواهرها اي ان
قالوا بلزوم اعتقاد الظاهر منها افضت بهم اي اوصلتهم الى تجويز الكباير عليهم
واصل معنى الافضا الادخال في فضاء واسع ثم شاع فيما ذكر وخرق الاجماع اي مخالفة
ما اجمع الناس عليه وهو من قولهم خرق المفازة اذا قطعها فاريد به لازمه وهو المجاوزة
وما لا يقول به مسلم اي افضت به الى راي لم يقله احد من المسلمين وهو تجويز الكباير
عليهم عمدا فانه لم يقله الا الحشوية واما سهوا فجوزه بعضهم واختلفوا في امتناعه
هل هو سمعي او عقلي كما تقدم فكيف استبقاء تجويز الكباير عليهم وكلما احتجوا به
من الظواهر مما اختلف المفسرون في معناه هل يحمل على ظاهره او يأول وتقابلت

بر

لفة

او تحمالون اي تخالفت وتعارضت الوجوه المحتملة في مقتضاه اي مقتضى ما
احتجوا به من تجويز وقوع ما خرج به عن صلاحية الاحتجاج وجات اقاويل اي نقل
وورد وجوه قالوها على خلاف ما التزموه واحتجوا به واقاويل جمع اقوال جمع قول فهو
جمع الجمع فيه للسلف بخلاف ما التزموه من ذلك الذي استدلوا به فاذا لم يكن
من هبهم في تجويزها عليهم اجماعا اي مجمعا عليه لكثرة من خالفهم فيه وكان الخلاف
فيما احتجوا به قديما لا حادثا بعد انعقاد الاجماع حتى يكون خلافا لا يعتد به وقامت
الدلايل على خطا قولهم اي تجويزها عليهم وصح غيره في عدم الجواز وجب تركه
جواب اذا والمصير الى ما صح من عدم التجويز وها نحن ناخذ اي نشرع لانه من افعال
المقاربة وها حرف تنبيه زايد على المبتدا اذا كان الخبر اسم اشارة فاذا لم يكن كذلك جاء
نادرا كما هنا في النظر فيها اي في ادلتهم التي احتجوا بظاهرها على تجويزها عليهم
ان شا الله تعالى فمن ذلك الذي احتجوا به على تجويزها عليهم قوله تعالى لنبينا
محمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وجه تمسك
من جوز عليهم الصغاير بهذه الاية لنسبة ذنب اليه مغفور لم يسمه فالظاهر انه صغيرة
واللام للتعليل والمعلل الفتح اي فتح مكة في قوله انا فتحنا لك فتحا اي يسرنا لك فتح مكة
ونصرناك على عدوك ليجمع لك عز الدارين في العاجل والآجل وتحقيقه في التفاسير
قال ابن عبد السلام رحمه الله لم يخبر الله احدا من الانبيا عليهم الصلاة والسلام بالمغفرة
ولذا قالوا في الموقف نفسي نفسي اذهبوا الى محمد فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر
وهذا من خصايصه صلى الله عليه وسلم قلت ـــــ وفيه نكتة اذ سوى المتقدم بالمتاخر
ايماء الى انه مثله في عدم الوقوع وانما هو خلاف الاولى ما عده بالنسبة اليه ذنبا وسياتي
تفصيله وقوله واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات اعاد الجار اشارة للتغاير
لان الاول ليس بذنب حقيقي كما قيل ولم يقل ولذنب المومنين اشارة لكثرة ذنوبهم حتى
كان دابهم عدم الذنب ووجه الاستدلال ما مر ومما استدلوا به قوله ووضعنا عنك
وزرك الذي انقض ظهرك الوضع الحط وهو بالعفو والوزر الحمل والثقل فاستعير
للذنب استعارة مرشحة والنقض بمعنى الاثقال جعله نقضا وهو ما اتعبه العمل حتى نقض لحمه
وقال الازهري هو من نقيض الرحل وهو صوته لما وضع عليه والكلام عليه كالذي قبله
وقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم خطاب به في غزوة تبوك سنة تسع وقد استاذنه
من تخلف عنه فاذن لهم لبعد المشقة وشدة الزمان ولذا صرح صلى الله عليه وسلم بمقصده
ولم يور كما مر فاذن لقوم منافقين اعتذروا له باعذار سمجة وهو على خلاف الاولى لا ذنب
حقيقي بل قوله عفا الله عنك ملاطفة له ورعاية لخاطره وقدمه على ما صدر منه حتى
لا يبدأه بما يوهم مواخذة ما ولذا خطوا على الزمخشري فيما فسره به من قوله اخطات
وبيس ما صنعت لما فيه مع تفسيره بغير المراد منه من سوء الادب وخطابه بما لم يخاطبه به
رب العزة وجعله كناية عن الجناية والجاني هو ومما استدلوا به لولا كتاب من الله سبق
لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم وهذه نزلت في غزوة بدر وقد اسر صلى الله عليه وسلم
من قريش سبعين رجلا منهم العباس عمه صلى الله عليه وسلم وعقيل فاستشارهم في ذلك
فقال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله هولاء قومك لعل الله يهديهم خذ منهم فدية نتقوى

وقال عمر رضي الله عنه اضرب رقابهم واحمد نارهم فرضي صلى الله عليه وسلم
ما قال ابو بكر فنزل عليه قوله تعالى ما كان لنبي ان تكون له اسرى الاية فجلس صلى الله
عليه وسلم يبكي هو وابو بكر وقال عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة والكتاب السابق
ناتي بيانه ومنه ما قيل هو احلال الغنايم لهم دون الامم السابقة او انه لا يعذبهم ورسول
الله فيهم او ما وعدهم به من مغفرة ذنوبهم وانه لا يعاقب المخطي في اجتهاده وقوله
عبس وتولى الاية عبس اي قطب وجهه وتولى اعرض والاعمى هو ابن ام مكتوم رضي
الله عنه موذنه واسمه عبد الله او عمرو على ما ياتي واسم ابيه زايدة على ما قاله بعضهم
وهو ابن خال خديجة ام المومنين رضي الله عنها . وسبب نزولها انه اتاه صلى الله عليه
وسلم وعنده صناديد قريش الوليد بن المغيرة وعتبة وامية بن خلف وابو جهل لعنهم الله وقال
له ارشدني وهو صلى الله عليه وسلم يحادثهم استمالة لهم فاعرض عنه صلى الله عليه وسلم
ولم يجبه لاشتغاله به رجاء استمالتهم للاسلام واستمالة من وراءهم قيل وهو باطل من قايله
وجهل لان امية والوليد كانا بمكة وماتا كافرين وابن ام مكتوم كان بالمدينة ولم يحضر معهم
والاولى ان لا يذكر هولاء ويقتصر على ابن ام مكتوم وقوم من كبار الكفرة وتبعه بعض الشراح
وارتضاه وقد رده خاتمة المحدثين محمد الشامي في سيرته وقال انه كلام صدر من غير روية
وتدبر فان ابن ام مكتوم ابن خال خديجة كما ذكروا اسلامه قديم وهو من المهاجرين الاولين
هاجر قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل بعده وصحح الاول وسورة عبس مكية بلا
خلاف وقد نقل ما ذكر عن جماعة من الصحابة والتابعين فاتى ما نع منه والعجب من صاحب
الزهر اذ لم ينا قش القرطبي ومن تبعه في هذا وكان صلى الله عليه وسلم اذا اتاه يبسط
له رداءه ويقول له مرحبا بمن عاتبني الله فيه ولذا كان استخلفه على المدينة مرارا لقدم
هجرته ولاظهار توقيره وما قيل من ان ضمير عبس وتولى للكافر في غاية الضعف كما ياتي
وهذا ما استدلوا به على مدعاهم في حق نبينا صلى الله عليه وسلم واما في حق غيره
ما قص في القران من قصص غيره من الانبيا كقوله تعالى في حق آدم صلى الله
عليه وسلم وعصى آدم ربه فغوى فجعل مخالفة ما حذره عنه من اكل الشجرة ضلالا
وغواية فهي ذنب صدر عنه ففيه دليل لهم ظاهر والقصة مع جوابها مشهورة في التفاسير
وقوله تعالى في حق آدم مع حوى فلما آتاهما صالحا جعلا له شركا فيما آتاهما
الاية ضمير آتاهما لادم عليه الصلاة والسلام وحوا المتقدم في قوله الذي خلقكم من نفس
واحدة وجعل منها زوجها اي آتاهما ولدا صالحا سويا اشركا فيما آتاهما غير الله فسموه عبد العزى
وعبد مناف وحكى الزجاج رحمه الله ان ابليس لعنه الله جاء لحوا فقال اتدرين ما في
بطنك قالت لا قال لعله بهيمة فاذ دعوت الله ان يجعله انسانا اتسميته عبد الحارث
وابليس اسمه الحارث وقيل كان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحارث فسمته به فعاش
وهذا من القاء الشيطان وقال ان الضمير لال قصي من قريش وان القصة في حقهم
لا في حق آدم والكلام في التفاسير مشهور وقوله ربنا ظلمنا انفسنا الاية اي من الادلة
التي استدل بها من جوز الصغاير على الانبيا عليهم الصلاة والسلام ما حكاه في الاية
عن آدم عليه الصلاة والسلام وحوا من اعترافهما بصدور الذنب منهما واتصافهما بما كان
سببا لخروجهما من الجنة وفيه دليل على انه تجوز المعاقبة على الصغاير اذ لم تغفر خلافا للمعتزلة

ومما استدلوا به ايضا قوله تعالى في قصة يونس عليه الصلاة والسلام سبحانك
اني كنت من الظالمين لما ذهب مغاضبا لقومه اذ لم يطيعوه فاعترف بانه ارتكب ظلما ومعصية
وما قصه الله من قصته في قوله وذا النون اذ ذهب مغاضبا وكان قد ضاق صدره في حمل
اعباء النبوة والمغاضبة لقومه اذ لم يصبر ولم ينتظر توبتهم فخرج من حينه واظلهم العذاب
الذي اخبرهم به فتضرعوا وتابوا فرفعه الله عنهم ويونس عليه الصلاة والسلام لم يعلم
برفعه عنهم وكان حقه ان لا يذهب الا باذن مجرد وهذا مما ذكره من قصته وما ذكر من قصة داود
عليه الصلاة والسلام وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب الآية
وذلك انه راى ما قصه الله من فضايل الانبيا قبله فسال ربه ذلك فقال انهم ابتلوا
فصبروا فقال ان ابتليت صبرت فتمثل الشيطان له في صورة حمامة من ذهب عجيبة وكان
صلى الله عليه وسلم في محرابه مختليا بصلاته فاراد اخذها فطارت فذهب خلفها وتبعها
حتى اشرف على دار فيها امراة تغتسل لم ير مثلها فافتتن بها وسال عنها فاذا هي امراة اوريا
وكان ارسله مع عسكر له فارسل يقول لرئيسهم ان يقدمه في الحرب وكان سيفا من سيوف الله
فاستشهد وتزوج داود عليه الصلاة والسلام امراته فارسل الله له ملكين في صورة
خصمين كما قصه الله في كتابه وعاتبه عليها وهذا مما عده هؤلاء ذنبا نظرا لظاهر الحال
فتاب منه ولم يزل يبكي على ما صدر منه ومن ادلتهم قوله تعالى في حق يوسف عليه
الصلاة والسلام ولقد همت به وهم بها وما قص بانبائه المعلوم والمجهول من قصته
اي يوسف مع اخوته وهم انبيا على اختلاف سياتي بيانه وقصته معروفة والشاهد
في قوله هم بها بناء على ما اشتهر من انه جلس منها مجلس الخاتن واراد ما يريده اهل الاهواء
وفيه مبالغات وامور يذكرها عنه القصاص وهو بريء منها وانما يتوهم ما توهم ان لم يجعل
هم بها جوابا اولا بحسب المعنى فان دليل الجواب جواب معنى فيقتضي انه لم يحصل منه
هم فضلا عما هو اعظم منه مع ان هم النفس له مراتب منها ما هو مقتضى الجبلة البشرية ومثله
معفو مغفور ومن ادلتهم ايضا قوله تعالى حكاية عن موسى صلى الله عليه وسلم فوكزه
موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان ضميره وكزه للقبطي الذي وجده موسى
عليه الصلاة والسلام يخاصم رجلا من بني اسرائيل وكان دخل منف وسط النهار فوجد
قبطيا من جند فرعون يسخر بعض بني اسرائيل لحمل حطب ونحوه وكان موسى عليه الصلاة والسلام
جسيما ذا قوة شديدة فدفعه عنه وضربه فقتله فقال يا رب اني ظلمت نفسي فهذا اعتراف
بصدور ذنب منه وهو المراد هنا ومعنى وكزه ضربه بجمع كفه وقيل ضربه في صدره وقيل
دفعه وقوله من عمل الشيطان اي هو شر من جملة اعماله ثم ذكر بعض ما استدلوا به من الحديث
وقول النبي صلى الله عليه وسلم في دعايه الماثور عنه اغفر لي ما قدمت وما اخرت
وما اسررت وما اعلنت وهو من دعا طويل رواه الشيخان كان يقوله صلى الله عليه وسلم
اذا قام يتهجد وطلب المغفرة من الذنوب المذكورة يدل على صدورها منه في الجملة وهو مما عا
ونحوه من ادعيته صلى الله عليه وسلم الماثورة وقد افردت بالتاليف كالحصن الحصين
وغيره ومما استدلوا به ايضا ذكر الانبيا في الموقف يوم القيمة ذنوبهم في حديث
طلب الناس منهم الشفاعة واستغاثتهم بهم من هوله وطوله وحديث الشفاعة مشهور
طويل رواه مسلم عن ابي هريرة فلا نطول به ومحل الشاهد فيه ان الناس اذا اشتد عليهم هول

لا يذهب صح

الموقف

الموقف قالوا نذهب للرسل فيشفعون لنا في الخلاص فيذهبون اليهم فردا فردا
وكل يقول لست لها اني ذنب عظيم اخاف منه ودلالته على ما ادعوه غنية عن البيان ومما
استدلوا به قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي تقدم مع شرحه انه ليغان
على قلبي فاستغفر الله وفي حديث ابي هريرة اني لاستغفر الله واتوب اليه في
اليوم اكثر من سبعين مرة وروي مائة مرة فالسبعين ليس على ظاهرها والمراد به التكثير
وهي فيه كثيرة حتى قال بعضهم سبع للاجراي كثيرة فهذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم
كان يصدر منه بعض الذنوب والا لم يكن لاستغفاره وجه وقوله تعالى حكاية عن نوح
عليه الصلاة والسلام والا تغفر لي وترحمني الآية فطلبه المغفرة يقتضي سبق
ذنب منه فهو حجة لمن جوز عليهم الصغاير وذلك ان الله نهاه عن ان يشفع في احد من اهله
غير من اذن له في دخول السفينة معه فقال ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون
اي قضى الله بذلك عليهم فيشفع في ابنه كنعان وهو ممن قضى بهلاكه لظنه انه داخل
في اهله فلما قيل له انه ليس من اهلك ندم على عدم استقصائه واستغفر لتركه الاولى لا
لذنب ارتكبه واليه اشار بقوله وقد كان قال الله ولا تخاطبني اي لا تنازع ولا تتكلم
في الذين ظلموا اي كفروا ان الشرك لظلم عظيم انهم مغرقون اي لانهم قضى عليهم وحكم
بهلاكهم لكفرهم الذي قطع رحمهم وقرابتهم ومن ادلتهم انه ثم قال حاكيا عن ابراهيم
والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين يعني في القيمة يوم الجزا فهذا يقتضي
صدور ذنب منه وهو ما تقدم من قوله فعله كبيرهم وما معه مما تقدم هو والجواب عنه
وقوله تعالى حكاية عن موسى اني تبت اليك قاله بعد ما طلب الروية من الله عيانا
لما تجلى له ربه وخر صعقا ثم افاق قال سبحانك تبت اليك وليس هذا بذنب ولكنه
ساله بعد ما قال له لن تراني ولو ترك ذلك كان اولى والكلام على الروية وجوازها مفصل
في علم الكلام وكذا هذه الآية ومما استدلوا به ايضا على جواز الصغاير عليهم قوله تعالى
ولقد فتنا سليمان الى قوله ثم اناب اي تاب فانه يقتضي صدور ذنب منه وكان الله
فتنه وابتلاه بامر اختلفوا فيه فقيل انه احتجب عن الناس فعاتبه الله على ذلك وقيل انه
سبا بنت ملك في غاية الجمال تسمى جرادة فاحبها وكان عندها صنم تعبده خفية فاطلع
عليه واحرقه وقد ذكروا في قصته امورا لا تليق بمقام الانبيا عليهم الصلاة والسلام
الى ما اشبه هذه الظواهر اي ما ذكرته من الامور التي يدل ظاهرها على ما قالوه
له اشباه ونظاير كثيرة تركت ثم شرع في الجواب عما سرده من ادلة المجوزين للصغاير
عليهم فقال قال القاضي عياض المصنف رحمه الله في الجواب عما قالوه وتمسكوا بظاهره
قبل تحقيق النظر فيه فاما احتجاجهم لتجويزهم الصغاير بقوله ليغفر لك الله ما
تقدم الخ فهذا قد اختلف المفسرون فيه وفي تاويله فقيل المراد بما تقدم ما كان
قبل النبوة وبما تاخر ما بعدها اي بعد النبوة وهو عبارة كنى بها عن انه لم يصدر منه ذنب
لانه لا تكليف قبل النبوة والعقل لا يستقل بذلك وقوله ما بعدها ذكر للتعميم كقولك
اعط من تره ومن لم تره وقيل معنى ما تقدم ما وقع لك من ذنب ومعنى ما تاخر ما لم يقع
اعلمه بما حاصله انه مغفور له غير مواخذ به لو وقع منه لكنه لم يقع منه ذنب كغيره وانما
يصدر عنه نادرا خلاف الاولى وقيل معنى ما تقدم ما كان قبل النبوة مما لا يواخذ به لانه

لا شريعة يلتزم احكامها والمراد بالمتاخر عصمتك بعدها فمغفرته تجوز بها عن
العصمة ووجه الشبه بينهما عدم اعتبار الذنب فيهما فمن قال ليس هذا من مقتضيات
اللفظ مع انه معلوم قبل النبوة لم يفهم مراده حكاه اي هذا الوجه احمد بن نصر الخزاعي
الزاهد الشهيد قتله الواثق في محنة خلق القرآن سنة احدى وثلاثين ومائتين وقيل
المراد بذلك المذكور من المغفرة امته اي يغفر الله لامتك ما صدر ويصدر منهم فالمراد
بخطابه خطاب امته فاضافة الذنب له صلى الله عليه وسلم لادنى ملابسة لانه يسوءه
ما يسوءهم وهو الشفيع لهم والمراد ان رحمة الله لهذه الامة اكثر فلا يرد عليه ان مغفرة ما تاخر
له شروط كان لا يكون حق عبد ونحوه وقيل المراد بما تقدم ما وقع منه صلى الله عليه وسلم
عن سهو وغفلة والمراد بما تاخر ما كان صادرا عن تاويل اي بيان لمعنى يحتمله النص
فيحمل عليه باجتهاد منه ثم تبين له انه الصواب او الاولى غيره لان التاويل بيان ما يؤول
اليه فيناسب ما تاخر فلا يرد عليه شي والمراد انه لم يتم الوشية لا بالاوية حكاه الطبري
محمد بن جرير كما تقدم واختاره القشيري عبد الكريم شيخ الصوفية وغيره كما تقدم في
ترجمته وقيل المراد بما تقدم ما تقدم لابيك آدم والمراد بما تاخر من ذنوب امتك
فاللام للتعليل اي غفر لاجلك ذنوب ابيك لما توسل بك الى الله ويغفر لامتك لانك رحمة
لهم حكاه السمرقندي وقد قدمنا ترجمته والسلمي بضم السين المهملة وفتح اللام وهو
الامام ابو عبد الرحمن الصوفي كما تقدم عن ابن عطا شيخ الطريقة كما تقدم وهذا مما لا ينقال
بالراي وقد نقله مثل هؤلاء وان كان بخلاف الظاهر وبمثله اي بمثل هذا التاويل والذي
قبله يتاول قوله ثم خطابا لنبينا صلى الله عليه وسلم واستغفر لذنبك وللمؤمنين
والمؤمنات فيقال المراد استغفر لذنب ابيك آدم ولذنوب امتك او استغفر عما صدر
منك سهوا او غفلة او بتاويل منك وهذا لقوله لذنبك فقط لا لقوله وللمؤمنين والمؤمنات
قال مكي تقدمت ترجمته مخاطبة النبي اي خطاب الله للنبي صلى الله عليه وسلم هاهنا
اي في قوله ليغفر لك الله وكثير مما حمل عليه مما لا يناسبه فيقال انه لامته وانما وجه له
صلى الله عليه وسلم لنكتة كونه بالطريق الاحرى وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما امر ان يقول ما كنت بدعا من الرسل وما ادري ما يفعل بي ولا بكم وهو متعبد بهن
قبل فلذا قال امر سر بذلك الكفار اي فرحوا وقالوا واللات والعزى ما امرنا
وامر محمد عند الله الا واحد وما له علينا مزية ولولا انه ابتدع ما يقوله من ذات نفسه
لاخبره الذي بعثه بما يفعل به فانزل الله ثم ردا عليهم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تاخر الاية فقال الصحابة هنيئا لك يا رسول الله قد علمنا ما يفعل الله بك فما يفعل بنا
فانزل الله ثم واخبر بما للمؤمنين اي بما يؤول اليه امرهم في الاخرة في الاية الاخرى بعدها
اي ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات الاية وانزل الله وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا
كبيرا فبين ما يفعل به صلى الله عليه وسلم وبهم وهذا قول قتادة والحسن وغيرهما وعزاه
المصنف لابن عباس بقوله قال ابن عباس رضي الله عنهما وانما قاله صلى الله عليه وسلم اولا قبل ان
يعلمه الله بعصمته وعموم مغفرته وهو في عام الحديبية ثم بين تحصل جوابه عن رتبته
بقوله فمقصد الاية اي محصل ما قصد بها انك غير مؤاخذ بفتح الهمزة او الواو المبدلة
منها وفتح الخاء المعجمة اسم مفعول بذنب ان لو كان اي وجد فهي تامة وان بفتح فسكون زائدة

ومثله كثير

ومثله كثير فهو امر جاء على طريق الفرض تطمينا له صلى الله عليه وسلم فلا يقوم
بها حجة لتجويز الذنوب عليهم وقريب منه ما قال بعضهم اراد بما ذكر من المغفرة هاهنا
اي في اية ليغفر لك الله ونحوه تبرئته من العيوب بموحدة بعد التاء وراء مهملة قبل
الهمزة ولو قرئ بنون وزاي معجمة وياء ساكنة قبلها جاز والمعنى والرسم متقارب يعني
لا دليل فيها لهم لانه قد قيل ان المراد منها تنزيه الله له وتبعيده من العيوب التي هي ذنوب
او ما يؤدي لها فالمغفرة كناية او مجاز عما ذكر واما الجواب عما تقدم من اشتمال الاية
المتقدمة وهي قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك كما بيناه
اولا فقيل معناه ما سلف وتقدم من ذنبك قبل النبوة اي ما هو في صورة ذنب وشيء
وان لم يكن ذنبا لانه لم يكن قبل النبوة شرع تخالفه معصية وقد عصمه الله ثم مما كانت
عليه الجاهلية من العقائد ونحوها من الديانات وهو قول ابن زيد هو عبد الرحمن بن
زيد بن اسلم المفسر الزاهد المتقي المتقن توفي في سنة اثنين وثمانين ومائة والحسن البصري
التابعي وقد تقدمت ترجمته وهو ايضا معنى قول قتادة اي معنى ما نقله عنه المفسرون
في تفسير هذه الاية من انه صدر منه بعض امور قبل النبوة وان لم يكن ذنبا حقيقة وقيل
معناه اي معنى وضع وزره عنه انه حفظ قبل نبوته منها وعصم اي حفظ عن الاثم
به راسا ولم يرتكبها وهو وجه حسن يحتمله اللفظ بلا تكلف ولولا ذلك اي رفعها عنه
لا ثقلت ظهرك وفي نسخة ظهره والظاهر انه حقيقة ويجوز ان يكون استعارة كما
قررناه وفيه على هذا تقدير اي لولا انا حفظناك عنها اثقلت ظهرك وهدت قواك
حكى معناه السمرقندي في تفسيره وقيل في تفسيرها بما لا يبقى فيها حجة لهؤلاء المراد
بذلك المذكور من وضع الوزر الذي ما اثقل ظهره اي اتعبه واعياه من اعباء الرسالة
جمع عبء كحمل لفظا ومعنى كما تقدم حتى بلغها فانه لثقل المتحمل حتى يبلغه ويؤدي امانته
فانه ما عليه الا البلاغ حكاه ابو الحسن الماوردي الشافعي وتقدم بيانه والسلمي
وقيل معناه حططنا عنك ثقل ايام الجاهلية حكاه مكي لان ايام الجاهلية كانت
خالية من الدين والامن ايام هرج ومرج فلما بعثه الله بالدين القويم سلم هو ومن اتبعه
وشرح الله صدورهم بالاسلام وحماهم من الاثام فخفت ظهورهم وسددت امورهم وقيل
معناه شغل سرك اي قلبه او خواطر قلبه وحيرتك اي تحيرك في ابتداء امرك
وطلب شريعتك اي طلبك من الله شريعة تعمل بها حتى شرعنا ذلك لك بما اوحاه فاطمان
قلبه وذهبت حيرته حكى معناه القشيري في تفسيره وقيل معناه اي معنى ووضعنا
عنك وزرك الذي انقض ظهرك خففنا عنك ما حملت اي كلفت حمل اثقاله من دعوة الخلق
وتبليغ امانة الرسالة التي لم تطق حملها الجبال بحفظنا لما استحفظت يقال استحفظه
اذا استرعاه واعطاه امانة اي نحن حفظنا ما امرناك بحفظه عليك فما عسر عليك القيام
به وجعلنا لك جلدا وصبرا اصبحت اثقاله خفيفة عليك ولما ورد حينئذ انه اذا خففها عنه
لم يكن انقض ظهره اشار لدفعه بقوله ومعنى انقض ظهره على هذا اي كاد اي قرب
من انه ينقضه اي يعييه ويثقله ولم ينقضه بالفعل ويجوز على هذا ابقاؤه على ظاهره
وان انقاضه بالفعل لكنه خفف عنه اي خففنا عنك ما كان انقض وهو راجح لما قاله
المصنف لا وجه اخر كما قيل ثم بين وجه دفع ما ذكر لما تمسكوا به تفصيلا فقال

فيكون المعنى اي مقتضى وضعنا عنك الخ على قول من جعل ذلك الوضع مصروفا
لما قبل النبوة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم وهو خبر يكون بامور فعلها قبل نبوته
اي اعتناؤه ببيان الله لحكمها حتى لا يكون عنده هم وغم ولكنها حرمت عليه بعد النبوة
ولم يكن مكلفا بها قبلها فعدّها اوزارا بعد ما حرمت عليه وخشي المؤاخذة بها قبل ذلك
فاطلاق الوزر عليها باعتبار ما بعد النبوة والتشريع وثقلت عليه واشفق اي خاف
منها ومن المؤاخذة بها لشدة مراقبته لله وخشيته له فنفى وضعها على هذا بيان انه غير
مؤاخذ بها وانها لم تكن وزرا عليه يخافه او يكون معنى الوضع للوزر عصمة الله تعالى له
وحفظ خلقته بطهارة فطرته وكفايته بتطهير عنصره عن التحرز من ذنب لو كانت
اي لو وجدت وصدرت عنه لانقضت ظهره فهو امر على سبيل الفرض والتقدير لا التحقق
والتقرير ولا يبعده قوله انقض مع هذا كما قيل والوزر مجاز بمعنى الذنب وعلى ما قبله بمعنى
الثقل كما في قوله او يكون من ثقل امور الرسالة عليه وما في تبليغها من المشقة بجعل
المعقول كالمحسوس او بمعنى الوزر ما ثقل عليه وشق وشغل قلبه من امور الجاهلية كما نقله
آنفا عن مكي رحمه الله واعلام الله تعالى له بحفظ ما استحفظه من وحيه واسترعاه
عليه من امانته كما تقدم ثم اخذ في دفع شبهة اخرى تمسك بها المجوزون فقال واما
قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم في التخلف عنه فالعفو كالمغفرة يقتضي ثبوت ذنب
كما قالوه وليس كذلك فانما ذكر امر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم فيه نهي من الله
فيعده اي يجعله ويعتقده معصية منه بمخالفة ما نهي عنه ولا عده وصيره الله عليه
معصية يستحق اللوم عليها بل لم يعده اهل العلم اي احد منهم معاتبة بفعل خلاف
الاولى مما ليس بمعصية وغلطوا من ذهب الى ذلك اي عدوا قول من قال من المفسرين
غلطا وهو قول منقول عن قتادة وعتب الله على نبيه صلى الله عليه وسلم في بعض ما لا يليق
وازجان كما في قصة ابن ام مكتوم وقوله له مرحبا بمن عاتبني الله فيه ليس مرادا هنا وان كان
لا يخلو عن بعد فلا اعتراض على المصنف كما قيل قال نفطويه تقدم الكلام عليه وعلى ضبط
اسمه ومعناه وقد حاشاه الله تعالى اي برأه الله ونزهه واصل معناه جعله في حشا اي جانب
من ذلك اي من فعل ما يستحق عليه العتاب فضلا عن ان يجازيه بمعصية ارتكبها بل كان مخيرا
اي خيره الله في امرين وهما ان شاء اذن لهم في التخلف وان شاء لم ياذن فقط قالوا اي العلما
من السلف وقد كان له صلى الله عليه وسلم كما علم من تتبع احواله ان يفعل ما شاء مما يرى
انه مناسب لانه اذن له في الاجتهاد كما تقرر في الاصول فيما لم ينزل عليه فيه شيء من وحي
يبين حكمه فكيف انكار لانه معاتب وان لم يخير في امور شتى منها ما نحن فيه ولا يمكن انكاره
وقد قال الله تعالى له في هذه القصة فاذن لمن شئت منهم وهذا الامر وتعلقه بالمشيئة
صريح في انه صلى الله عليه وسلم مخير فلما اذن لهم كما امره الله اعلمه الله بما لم يطلع عليه
من سرهم اي ما خفي عليه من امرهم او بما اسروه واستتر من ضمائرهم وهو انه لو لم ياذن لهم
في القعود والتخلف عنه لقعدوا لجزمهم بالقعود ولو امروا بخلافه فاعلمه بما اوحاه اليه
في هذه الاية من انه لا حرج لا وزر ولا اثم عليه فيما فعل من الاذن لهم كما توهم من ظاهر قوله
عفا لانها اشتهرت بمعنى غفر الذنب واشار الى ذلك بقوله وليس عفا هاهنا في هذه
الاية بمعنى غفر اي ستر وترك المؤاخذة والمعاتبة كما هو معناه المشهور بل لها معان اخر

منها ما ورد

منها ما ورد في الحديث كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابو داود والترمذي
والنسائي عن علي كرم الله وجهه ورضي عنه انه صلى الله عليه وسلم قال عفا الله لكم عن صدقة
الخيل والرقيق فهذا لفظ هذا الحديث الآن الذي رواه هؤلاء قد عفوت عنكم زكاة
الخيل والرقيق والصحيح رواه بلفظ آخر وقف عليه وسلم لا يعترض له العصا فانه فهم قول من
قال لم اقف على هذه الرواية ولم تجب عليهم قط لان زكاة الخيل والرقيق لم تجب على مسلم قط
حتى يكون العفو معناه اسقاط الوجوب كما انه ترك عقوبة لازمة هنا اي فالمعنى انه لم يلزمكم
ذلك اي زكاة الخيل والرقيق ونحوه معروف للقشيري رحمه الله قال اي القشيري وانما
يقول العفو لا يكون الا عن ذنب كما هو متعارف مشهور من لم يعرف كلام العرب فيقف
على معانيه الواردة في كلامهم كعدم اللزوم الذي سمعته في الحديث الوارد في كلام افصح العرب
واصل معنى العفو الترك وعليه تدور معانيه فليستقيم في كل مقام ما يناسبه فعفو الذنب
ترك العقاب عليه وعدم الزام الزكاة ترك لها قال ومعنى عفا الله عنك في هذه الاية
لم يلزمك ذنبا فيما فعلته من الاذن قال الداودي رحمه الله من ائمة الحديث وتقدمت ترجمته
روي انها اي قوله عفا الله عنك كانت تكرمة من الله في خطاب نبيه عليه الصلاة والسلام
اي تعظيما وتكريما بدأ به الكلام ونحوه ما قال مكي هو استفتاح كلام لو قعونه في اول
خطابهم مثل اصلحك الله واعزك هي جملة دعائية يبدأ بها الكلام اكراما لمن يخاطبونه
وهو عادة اهل الترسل في مكاتباتهم وهو قريب مما قبله بل معناهما واحد وهو ملاطفة في التحاور
تدعو لاستماعه حتى كانه باستماعه مستحق للدعاء له والقرآن جاء على اساليب كلام العرب
في جملة دعائية قصد بها اكرام المخاطب وحكى السمرقندي ان معناها عافاك الله
قيل اخره لضعفه لبعد احدهما عن الآخر لفظا ومعنى فكانه غلط في المادة ومن سوء الفهم
لان الراغب قال عفوت عنك قصد به ازالة ذنب وصرفه عنه ومفعوله متروك لانه
متعد في الاصل يقال عفاه واعتفاه وقولهم في الدعاء اسالك العفو والعافية اي ترك
العقوبة والسلامة وعفا النبت والشعر زاد ونمى فضمن الجملة اذا قصد بها الدعاء اكراما
كان معناها قواك الله حتى لا تبالي بمن تخلف عنك من عفا النبت والشعر اذا قوي
وعافاك الله ثم في الدعاء بمعنى قواك الله لان القوي لا يكون مريضا وقال الجوهري
عافاه الله وعفاه بمعنى وهو دفاع الله عن العبد ما يكره فسقط ما قيل انه لا يساعده اللغة
وكيف يعترض على هذا ولا يعترض على تفسيره باصلحك الله واعزك فتدبر واما قوله
اي قول الله تعالى الذي استدل به من جوز الصغائر عليهم في اسارى بدر اي في حقهم
واسارى جمع اسير وهو معروف وبدر اسم محل وقعت فيه تلك الغزوة المشهورة سميت
ببدر بن قريش الذي احتفرها ببئر سمي به مكانها وكان صلى الله عليه وسلم اسر من كبار
قريش نحو سبعين رجلا كالعباس وعقيل كما فصل في السير فاستشار رسول الله فيهم
الصحابة فاشار عمر رضي الله عنه بقتلهم كما مر فانه قلما يطفى بقتلهم فتضعف شوكة المشركين
وقال ابو بكر رضي الله عنه ناخذ منهم فدية نتقوى بها وعن باطلاقهم لعل الله يهديهم بعد ذلك
فاعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم رايه وعمل به فانزل الله فيهم ما كان لنبي ان يكون
له اسرى الآيتين والاسير فعيل بمعنى مفعول من الاسر واصله شد بما يشد به الاسير وهو
يقال اخذه باسره اذا اخذه جملة ومعنى يثخن في الارض يكثر القتل وقيل معناه يتمكن في الارض

وما كان من نفي الكون وجا بمعنى لا يليق وينبغي وبه فسر المستدل بهذه الاية على ان
اخذ الفدية قبل قتل كثير من اعدائه ذنب عاتبه الله عليه وهذه القصة مشهورة في السير
والتفاسير فلا حاجة للتطويل بايرادها **فليس فيه** اي فيما ذكر في الايتين **الزام ذنب
له** صلى الله عليه وسلم ومعصية صدرت منه باختيار الفدية التي لم تجز له كما فهمه المستدل
بل ما ذكر فيه بيان ما خص به اي جعله الله من خصائصه تكرما له **وفضل به من بين
سائر الانبيا** بقيتهم **فكانه** عز وجل **قال** لنبيه صلى الله عليه وسلم **ما كان لنبي غيرك**
اي لم يقع هذا الذي خصصت به من اجل اخذ الفدية ممن اسرته لنبي من الانبيا السالفة
غيرك فانه احل لك وخيرك الله فيه بين الفدا والقتل **و**نظيره من خصائصه التي لم تكن
لنبي قبله ما بينه بقوله **كما قال صلى الله عليه وسلم** في الحديث الصحيح **احلت لي الغنائم**
وروي المغانم **ولم تحل لنبي قبلي** والمستدل به يقول معناه ما كان لنبي اصلا لا انت ولا غيرك
اخذ الفدا قبل كثرة قتل اعداء دينه ففيه مخالفة لما شرعه الله والمصنف رحمه قال ليس
معناه هذا حتى يتم الدليل وقال الخطابي ما كان قبله صلى الله عليه وسلم من الانبيا على
ضربين منهم من لم ياذن له في الجهاد فلم يكن له غنائم ومنهم من اذن له فيه ولم يحل له الاكل من
الغنائم فكانت تنزل عليه من السما نار تحرقه وكان له صلى الله عليه وسلم التصرفات فيها
وفي الصدقات كيف شا الا انه قيل ليس في الاية ما يدل على ما قاله المصنف بخلاف الحديث
وهو مروي في الصحيحين عن جابر رضي الله عنه ولك ان تقول ان الفدا في معنى الغنائم
لانه مال ماخوذ من الكفرة فذكره للحديث اشارة الى انه من اهل التاويل وفي المسايل
الاربعين للرازي العتاب وقع هنا على ترك الاولى لان الافضل في ذلك الوقت الاثخان
وترك الفدا قطعا للاطماع ولولا انه من باب الاولى ما فوضه صلى الله عليه وسلم لاصحابه
وقال العراقي في حاشيته عليه المسماة بالتقييد انه وقع في الحديث ان عمر رضي الله عنه
دخل عليه وهو وابو بكر يبكيان فقال ما يبكيكما فقال صلى الله عليه وسلم عرض علي عذاب
قومك ادنى من هذه الشجرة والاولى لا عذاب في تركه ولتفويضه للصحابة لان الاجتهاد كما يقع
في الاولى يقع في الواجب بل لو استدل البعض على انه اعلى مراتب الوجوب لم يبعد لانه لم يكلف
فيه باجتهاد لنفسه فالصواب انه فرض له الاجتهاد في امر الاساري ففوضه لاصحابه
فافتى عمر رضي الله عنه بالقتل وكان هو المصلحة وهو من احدى موافقاته واجتهد الصحابة
بما لم يرد المصلحة فخلص عمر ولم يواخذ النبي صلى الله عليه وسلم لبذل جهده في اجتهاده فله
اجر ولذا قال فيما مس عذاب قومك دون عذابي لخروجه من موجب العقاب ببذل جهده والى
هذا ذهب فحول العلما وجمع بين ظاهر الاية وما يجب لمقامه صلى الله عليه وسلم من العصمة
انتهى وهو حسن جدا واحسن مما اختاره المصنف **فان قيل فما معنى قوله تريدون عرض
الحياة الدنيا الاية** سؤال وارد على ما اختاره من انه امر اختص به بانه لو كان كذلك ما عوتب
عليه بما ذكر من انهم رجحوا اخذ الفدا وهو مال غاد ورايح وعرض فان لا ينبغي النظر اليه
قيل في الجواب عنه **المعني** بكسر النون وتشديد اليا اي المقصود **بالخطاب** في قوله
تريدون **من اراد ذلك** اي عرض الدنيا **منهم** اي من الصحابة الحاضرين الوقعة **وتجرد**
اي خلص ومحض **غرضه** بمعجمتين اي قصده **لعرض الدنيا** بمهملتين وبينه وبين الغرض جناس
وحده اي منفردا عن قصد ثواب الاخرة وهو متوكل لما قبله **والاستكثار منها** باخذ ما يناله

وليس المراد

وليس المراد بهذا الخطاب النبي صلى الله عليه وسلم لشرف نفسه عن النظر لها **ولا علية**
بكسر العين ولام ساكنة بعدها يا مخففة جمع على كفتية جمع فتى وصبي وصبية وقيل انه
اسم جمع **اصحابه** اي كبار الصحابة كابي بكر وعمر وغيرهم ممن حضر وقد علمت ما قررته من
انه صلى الله عليه وسلم ليس معاتبا ولا مخاطبا هنا اصلا وانه هو التحقيق ثم ان كون الخطاب
ليس لهؤلا بما روي في سبب نزولها فقال **بل** اضراب انتقالي **قد روي عن الضحاك
انها** اي اية تريدون الخ **نزلت** في امر اخر غير الفدا فلا يرد السؤال راسا وذلك **حين
انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس** اي بعض منهم **بالسلب** بسين مهملة ولام
مفتوحتين ما يسلب اي يوخذ من القتيل من لباسه وما معه وقد بينه الفقها واختلفوا
فيمن يستحقه ممن له حق في الغنيمة او القاتل مطلقا او ان شرطه الامام له كما فصلوه ثم
والسلب ايضا شجر يتخذ منه حبال ولذا سمت العامة الحبال سلبا كما في بعض كتب اللغة
وجمع الغنائم عن القتال متعلق باشتغل **حتى خشي عمر** رضي الله عنه اي خاف على
المسلمين **ان يعطف** اي يرجع كارا **عليهم** اي على المشغولين بما ذكر **العدو** الذين انهزموا ثم
والعدو يقع على الواحد وغيره وكثيرا ما يقع في العساكر ضرر عظيم بمثل هذا وعمر رضي الله عنه
ادرى بذلك **ثم قال تعالى** في هذه الاية والقصة **لولا كتاب من الله سبق** تقدم على هذه
القضية وتقدم بيان المراد بالكتاب هنا وسياتي ايضا **واختلف المفسرون في معنى
هذه الاية** والمراد منها **فقيل معناها** كما نقله الطبري ما قاله محمد بن علي بن الحسين بن
علي بن ابي طالب **لولا انه سبق مني** اي من الله فيما اوحاه لنبيه صلى الله عليه وسلم **اني لا
اعذب احدا الا بعد النهي** وتحريم اخذ **لعذبتكم** على ما فعلتم من اخذ الفدية لانه لو كان
منهيا عنه محرما استحق مخالفه العذاب فالمراد بالكتاب حكم الله الذي كتبه وقدره **فهو**
التفسير **يعني** ويمنع **ان يكون امر الاسرى** اي فديتهم **معصية** لانه لم ينه عنه ولم يحرم
فلا دليل في الاية لما مر على هذا التفسير بكون هذه الاية مخصصة لنحو اقتلوا المشركين فلا
وجه للاعتراض به على ما ذكره المصنف **وقيل المعنى** المراد من هذه الاية **لولا ايمانكم بالقران
وهو المراد بالكتاب السابق** في قوله لولا كتاب من الله سبق وقدر الايمان في النظم
لان ذات الكتاب لا تمنع الا بالايمان بما تضمنه من هذه الاحكام **فاستوجبتم** اي استحقيتم
به الصفح اي العفو وعدم المواخذة **لعوقبتم** على اخذكم **الغنائم** وما هو في حكمها من
الفدية وهذا حكاه ابن عطية في تفسيره وليس فيه تحصيل الحاصل كما توهم لما سياتي **ويزاد**
بزاي معجمة فعل مجهول من الزيادة **هذا القول تفسيرا** وبيانا وايضاحا **بان يقال**
في تقرير المعنى **لولا ما كنتم مومنين بالقران** بحقيقته وحقية ما فيه من الاحكام
وما مصدرية وقوله **وكنتم ممن احلت لهم الغنائم** معطوف على ما قبله **لعوقبتم كما عوقب
من تعدا** بفتح التا الفوقية والعين والدال المهملتين المشددة دالها قبل الالف فعل ماض
والكتاب على هذا بمعنى القران وسبقه لتقدمه في الازل او لتقدم ما نزل او حكم الله الذي
كتبه وقدره وحاصله انه لولا ان الله انزل القران وما فيه من الاحكام واحل لكم فيه الغنائم
لمسكم العذاب واحل بكم العقاب كما عوقب من قبلكم من الامم لما تجاوزوا الحدود وتعدوا ما
نهاهم الله عنه وهو اما تشريع وامتنان عليهم بما احله لهم ولم يضيق عليهم كما ضيق على الامم
السابقة وهو ردع لمن اشتغل بالغنائم والسلب فقد روى ابو داود عن ابي هريرة ه

انه لما كان يوم بدر وتعجل الناس الى الغنائم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغنيمة
لا تحل لاحد سود الوجوه غيركم وكان النبي واصحابه اذا غنموا الغنيمة جمعوها فنزلت نار
من السما فاكلتها فانزل الله تعالى لولا كتاب من الله سبق الايتين واخرجه الترمذي وقال صحيح
حسن ووقع في الشرح للحديث هنا مؤاخذة على ما في الكشاف هنا مع ما فيه الاساس لها بالمقام
ناشية عن عدم التدبر **وقيل** معناه **لولا امر سبق في** الازل **في اللوح المحفوظ** الذي كتب
فيه كل ما هو كائن الى يوم القيمة **انها** اي الغنائم **حلال لكم** لانتفاع بها والتصرف فيها **لعوقبتم**
على اخذها **فضل** المذكور في التفاسير كله **ينفي الذنب والمعصية** فيما فعله باسرى بدر
لان من فعل ما احل له لم يعص على ما وجد به ولم يعص الله ولم يعد ما صدر منه معصية
حتى يستدل بما ذكر فيه على تجويز الصغاير عليهم وما هو صريح في حله ما اشار اليه بقوله
قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فكلوا يعني انتفعوا به وليس المراد خصوص
الاكل وذكره لكثرته وغلبته على غيره من الانتفاع واستدل بهذا على ان الامر الوارد بعد
الحظر للاباحة وعليه الاكثر والقايل بان الاصل فيه الوجوب يجيب عنه كما فصل في الاصول
وفي الكشاف وتبعه القاضي في قوله لولا كتاب من الله سبق الخ قيل لولا ما شا الله ان
يحل لكم الفدية واعترض عليه بانه يقتضي انه صلى الله عليه وسلم لم يعلم بحل الغنائم
له حين ذهب لبدر والظاهر انه انما اقدم على ذلك ورغب فيه بعد علمه بحله له ولم يخرج
لبدر الا طالبا للغنيمة ولولا ذلك لم ياخذ عير قريش وهو وهم منه فانه لا يلزم من علمه
بحل الغنيمة علمه بحل الفدية وان كانت في حكمها وقد اورده على قوله لولا كتاب لولا سبق في
اللوح المحفوظ الخ وهو غير وارد لان المعنى لو لم تحل لكم الغنيمة وهو يقتضي حل الفدية فتام
وقيل ما كان صلى الله عليه وسلم **قد خير في ذلك** اي في اخذ الفدية من الاسرى وفي
قتلهم فلما اخذها قيل له كان الاولى خلافه لكن بكا وما هو السابق وروية صلى الله عليه وسلم
دنو العذاب منهم باباه كما تقدم **و**يدل على انه مخير في ذلك انه **قد روي عن علي** رضي الله
عنه انه **قال جا جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير اصحابك في**
الاسارى ببدر **ان شاوا القتل وان شاوا الفدا** اي اخذ الفدية والمال منهم **على ان**
يقتل منهم في العام المقبل والسنة التي تلي هذه السنة اي ان الله قدر عليهم ان اخذوا
الفدية يقتل من الصحابة **مثلهم** اي بعددهم **فقالوا نختار الفدا ويقتل منا** مثلهم رغبة
في الشهادة **وهذا** المذكور كله **دليل على صحة ما قلنا من انهم لم يعملوا** في وقعة بدر
من اخذ الفدية **الا ما اذن لهم فيه** اي جوزه لهم فلا ذنب ولا معصية **لكن بعضهم** اي بعض
الصحابة الذين استشارهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك **مال الى اضعف**
الوجهين من الفدية دون القتل باجتهاد منه والاجتهاد يكون من الصحابة بحضرته صلى الله
عليه وسلم كما صححه اهل الاصول **مما كان الاصلح** للاسلام والمسلمين **غيره** وهو القتل وبينه
بقوله **من الاثخان والقتل** الذي هو اعز الوجهين واختاروا الادنى لما خيروا **فعوتبوا**
على ذلك من اختيار غير الاصلح **وبين لهم ضعف اختيارهم** الفدية **وصوب اختيار**
غيرهم وهو ما اختاره الفاروق **وكلهم غير عصاة ولا مذنبين** لان كلا منهم قال ما ادى
اليه اجتهاده ظانا ان الخير فيه **والى هذا اشار الطبري** رحمه الله ولما وبخوا وخوفوا
وقوع العذاب بهم لان المخوف منهم من تجرد نظره للمال في العاجل لا مثل الصديق رضي الله عنه

من قتله شفقة على قومه ورجاء ان الله يهديهم للاسلام ويعز بهم الدين في الاجل
وقد حقق الله رجاه فلا اعتراض على هذا بانه لو كان كذلك ما وقع توبيخ شديد ومن طالع
السير وما وقع في هذه الغزاة علم هذا وتحققه **وقوله** صلى الله عليه وسلم **في هذه القصة**
لو نزل من السما عذاب ما نجا منه الا عمر جواب عن سؤال ورد على ما قرره من انهم غير عصاة
ولا مذنبين وهو انه **اشارة الى هذا** المذكور **من تصويب رايه** اي راي عمر رضي الله عنه
وراي من اخذ بما اخذه اي وافقه فيما قاله **في اعزاز الدين** وغيظ الكفرة بايقاع القتل
بروسهم وارهاب قلوبهم في اول واقعة وقعت بينهم **واظهار كلمته** بان تكون كلمة الله ورسوله
هي العليا وتكون ظاهرة شايعة **وابادة عدوه** اي اهلاكه وافناوه لان الاسرى عظماء
ايمة الكفر فلو قتلوا لم يكن لهم عمود بعده **وان هذه القضية** اي قضية اسرى بدر واخذ
الفدية منهم واطلاقهم **لو استوجبت عذابا** اي اقتضت وقوع العذاب بمن فعلها المخالفتها
لامر الله **نجا منه** اي من العذاب الذي اقتضته **عمر** لانه رضي الله تعالى عنه لم يرض به ولم يره
رايا صحيحا **ومثله** اي ونجا منه مثله ممن كان على رايه وهو سعد بن معاذ رضي الله عنه
كما ورد في الحديث **وعين عمر** اي خصه بالذكر مع ان جماعة منهم كانوا على رايه **لانه**
اول من اشار بقتلهم لقول النبي صلى الله عليه وسلم له كما في صحيح مسلم ما ترى يا ابن
الخطاب فقال ما ارى راي ابي بكر ولكن ارى ان نختار ضرب اعناقهم الحديث **ولكن الله**
لم يقدر عليهم في ذلك اي في مقابلة رايهم بالفدية **لحله لهم** اي لان الله احله لهم وخير[هم]
فيما سبق هذه الواقعة وقال الداودي تقدمت ترجمته والخبر بهذا لم يثبت المنع من اخذ
الفدية لا الحديث الذي فيه ما راه عمر وغيره **ولو ثبت لما جاز ان يظن ان النبي صلى**
الله عليه وسلم يحكم بما لا نص فيه بوحي نازل عليه **ولا دليل** يدل على ما حكم به مستنبط
من نص سبق باجتهاده **ولا جعل الامر فيه** من الله مفوض **اليه** فانه وقع التفويض اليه
صلى الله عليه وسلم في امور اذن له بالحكم فيها بها كما صرحوا به **وقد نزهه الله عن ذلك**
بقوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى والاجتهاد والتفويض بوحي وحي **وقال**
القاضي بكر بن العلا امام مذهب مالك كما تقدم **اخبر الله نبيه** صلى الله عليه وسلم **في**
هذه الاية النازلة في اسرى بدر **ان تاويله** الذي قبله من ابي بكر رضي الله عنه في
اختيار عدم القتل **وافق ما كتب له** اي حكم به وجوزه بقوله لولا كتاب من الله سبق في علمه
وحكمه **من احلال الغنايم** لهم **و**احلاله لهم اخذ **الفدا** وكيف لا تكون الفدية حلت لهم قبل
هذا **وقد كان** النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه **قبل هذا** اي قبل غزوة بدر **فادوا** اي
اخذوا الفدا من المشركين **في سرية عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي** ۞
لما مرت عير لقريش بتجارة من الطايف ومع العير عمرو بن عبد الله بن الحضرمي والحكم بن
كيسان وعثمان بن عبد الله ونوفل بن عبد الله والسرية فصيلة من السري وهم ناس يسلو[ن]
للعدو من خمسة الى ثلثمائة او اربعمائة ولم يعين ابو حنيفة عددا لاقلها وقال ابو يوسف
سبعة فصاعدا وقال الماوردي يطلق على الواحد سرية والظاهر انه مجاز فلا بد من
عدد له منعة وعبد الله بن جحش هو ابن رياب بن يعمر الاسدي وامه اميمة بنت عبد المطلب
عمته صلى الله عليه وسلم اسلم قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الارقم وهو من المهاجر[ين]
الاولين واستشهد باحد ودفن عند حمزة رضي الله عنه وسريته كانت في رجب في السنة الثانية

او في جمادى الاخرة ومعه ثمانية من المهاجرين او اثنا عشر هو اميرهم ومن ثم سمي امير المومنين
ويعرف بالمجدع في الله لجدع انفه واذنيه باحد وكان دعا الله بذلك وكانت السرية قبل بدر
بشهرين واكثر كما سياتي وبعث يترصد عير قريش فساروا حتى نزلوا ببطن نخلة بين مكة
والطائف فرمى واقد بن عبد الله الصحابي عمرو الحضرمي فقتله فكان اول قتيل من المشركين
واستاسروا الحكم وعثمان وكان اول اسير في الاسلام وافلت نوفل فقدموا المدينة بالعير
والاسيرين فاسلم الحكم وافتدا صاحبه عثمان بن عبد الله ورجع لمكة فمات بها كافرا وقد فدى
نفسه **فالحكم بن كيسان وصاحبه** عثمان بن عبد الله والبا متعلقة بقوله فادوا الانفس
قيل لكن المذكور هنا ان الحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة المخزومي اسر في هذه السرية
اسره المقداد بعد قتل ابن الحضرمي فاراد عبد الله بن جحش ضرب عنقه فقال له المقداد
دعه يقدم به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدم به اسلم وحسن اسلامه وقتل ببير
معونة وسياتي تفصيله **فما عتب الله عليهم** اي على النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة
في اخذ الفدية فلو كانت ممتنعة ونبههم الله على ذلك والمراد بالعتب التوبيخ والانكار مجازا
عن لازم معناه اذ معناه لا يليق به تع لانه تستعمل فيما بين الاقران وانما عبر به ليشمل خلاف
الاولى **فذلك** اي ما وقع من القتل في تلك السرية **كان قبل بدر** اي قبل وقعتها **بازيد من عام**
كذا في النسخ وهو سهو لان بدر الاولى وقعت في ربيع الاول بعد ثلاثة عشر شهرا من الهجرة
فتكون هذه الوقعة في سنة اثنين من الهجرة ثم في رجب بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذه السرية ثم في رمضان من هذه السنة وقعت غزوة بدر الكبرى فبين هذه السرية
وغزوة بدر نحو ثلاثة اشهر فكان المصنف توهم ان هذه السنة سنة ثانية وليس كذلك
وحاصل قصة هذه السرية انه صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش ومعه ثمانية
رهط من المهاجرين وكتب له كتابا وامره ان لا يقراه حتى يسير يومين وان لا يستكره من
اصحابه احدا فلما سار يومين فاذا فيه اذا نظرت كتابي فامض حتى تنزل نخلة بين مكة
والطائف فترصد بها قريشا وتعلم خبرهم فلما قراه قال سمعا وطاعة واعلمهم بما في كتابه فلم
يتخلف القوم وسلكوا الى الحجاز فلما كان بنجران اضل سعد بن ابي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا
لهما فتخلفا في طلبه فمضى ابن جحش واصحابه حتى نزلوا بنخلة فمر بهم عير لقريش فيها عمرو بن
الحضرمي وعثمان بن المغيرة واخوه نوفل والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة فلما راهم
القوم هابوهم ونزلوا قريبا منهم فاشرف عليهم عكاشة بن محصن وقد حلق راسه وقالوا عمار
لا باس عليكم منهم وذلك في آخر يوم من رجب ثم تشاوروا فقالوا ان تركتموهم الليلة دخلوا
الحرم فامتنعوا به وان قتلتموهم قتلتموهم في الشهر الحرام ثم اجتمعوا على قتل من قدروا عليه
واخذ ما معهم فرمى واقد بن عبد الله التميمي ابن الحضرمي بسهم فقتله واستاسر عثمان بن عبد الله
والحكم بن كيسان واعجزهم نوفل بن عبد الله واقبل ابن جحش واصحابه بالعير والاسيرين على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ان ابن جحش قال لاصحابه ان لرسول الله مما غنمنا الخمس
وذلك قبل ان يفرض الله الخمس فقسم ذلك بين الصحابة وقال ابن اسحاق انهم لما قدموا عليه
صلى الله عليه وسلم قال ما امرتكم في الشهر الحرام ووقف امر العير والاسيرين ولم ياخذ
من ذلك شيئا فسقط في ايدي المسلمين وظنوا ان قد هلكوا ولاموهم على ما فعلوا وقالت قريش استحل محمد واصحابه الشهر الحرام
وسفكوا فيه الدم واخذوا الاموال واسروا فقال المسلمون بمكة انما وقع ذلك في شعبان فلما كثر

القيل والقال انزل الله تع يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه الاية ففرح المسلمون
بذلك وقبض صلى الله عليه وسلم العير والاسيرين وبعثت قريش في فدا عثمان بن عبد الله
والحكم بن كيسان فقال صلى الله عليه وسلم لا نفديكهما حتى يقدم صاحبانا يعني ابن ابي وقاص
وعتبة بن غزوان نخشيه ان يقتلا بمن قتل منهم فلما قدما فداهما فاما الحكم بن كيسان فاسلم
وحسن اسلامه حتى استشهد ببير معونة واما عثمان فلحق بمكة ومات كافرا **وهذا المذكور**
يدل على ان فعل النبي صلى الله عليه وسلم في شان الاسرا من القتل وما وقع معه **كان**
على تاويل باجتهاد منه صلى الله عليه وسلم ومن الصحابة **وبصيرة** بالنظر الصحيح في انه
فيه اعانة ورجا لان الله يهديهم في الاجل الى الاسلام وكان كذلك **و** هو جار **على ما قد**
تقدم قبل اي قبل بدر **مثله** من وقوع الفدية في سرية ابن جحش ولم ينبهوا عليه **فلم ينكره**
الله تعالى عليهم كما بيناه آنفا **لكن الله تعالى اراد** بقوله تع ما كان لنبي ان تكون له اسرى
لعظم امر بدر وانه مما كسر شوكة المشركين وارعب قلوبهم فلو زادوا ذلك بقتل من اسروه
كان اتم **وكثرة اسراها** الواقعة فيه بما اداه اجتهادهم اليه **اظهار نعمته** مفعول اراد اي
على المسلمين وانهم لو تركوا الفدية اغناهم الله عنها **وتاكيد منته** اي نعمته عليهم **بتعريفهم**
ما كتبه وقدره **في اللوح المحفوظ** بقوله لولا كتاب من الله سبق على احد الوجوه المتقدمة
واللوح المحفوظ مبين في كتب الحديث والتفسير **من حل ذلك لهم** اي كونه حلالا لهم اما ذوننا
نبههم **لا على وجه عتاب** اي لم يذكره للومهم بل لبيان شكره ونعمته **وانكار** عليهم في
اختيار الفدية **او تذنيب** اي نسبتهم لذنب ارتكبوه بما فعلوه **هذا معنى كلامه** ثم
اي كلام القاضي بكر بن العلا وهو الذي اختاره المصنف خلافا لمن قال ان الحق انه عتاب من
الله وارتضاه بعض الشراح هنا وقال ابن تعلو ان ما ذكر تكلف لا ينبغي ارتكابه **واما**
قوله تعالى عبس وتولى اعرض عنه بوجهه **الاية** اي ما يشعر به ظاهرها من انه صدر عنه
صلى الله عليه وسلم ما استحق عليه العتاب واستدلال بعضهم بهذه الاية والقصة على تجويز
الصغائر عليهم كما تقدم اجماله **فليس فيه اثبات ذنب له** صلى الله عليه وسلم ولا تجويزه
عليه كما توهم من استدل به على ذلك **بل اعلام له صلى الله عليه وسلم ان ذلك المتصدى**
بصيغة اسم المفعول نايب فاعله قوله **له** اي اقبل عليه وتوجه له واصله مقابلة الشي
كا يقابله الصدى وهو الصوت الراجع اليه من جبل ونحوه كما قاله الراغب وفي التعبير
به نكتة ومجان كلام هولا لا عبرة به كما قال المتنبي ۞ انا الطاير المحكي وغيري هو الصدى
ممن لا يتزكى اي لا يسلم فيطهره الله من دنس الشرك **فان الصواب والاولى** والاليق
به صلى الله عليه وسلم **ما لو كشف لك حال الرجلين** اي ابن ام مكتوم ومن كان عنده من
المشركين واقتصر على الاقل فالكفرة كانوا جماعة كما نسمعه **الاقبال على الاعمى** دون غيره
والاعمى هو عبد الله بن شريح ويقال عمرو بن ام مكتوم واسم ام مكتوم عاتكة بنت عامر بن
مخزوم وعمرو هذا هو ابن قيس بن زيد بن الاصم والذي تصدى له جماعة من كبار المشركين
بمكة اختلفوا فيهم فقال مجاهد كانوا ثلاثة عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابي بن خلف وزاد بعضهم
ابا جهل والعباس وامية بن خلف والوليد بن المغيرة وكان صلى الله عليه وسلم يرجو اسلامهم
واسلام غيرهم وقد قدمنا عن القرطبي ان هذا باطل وجهل ممن قاله لان امية ابن خلف والوليد
كانا بمكة وابن ام مكتوم بالمدينة لم يحضر معهم وماتا كافرين احدهما مات بمكة والاخر ببدر

ولم يأتيا المدينة وتقدم انه شنع على القرطبي فيما قاله فان سورة عبس مكية وابن
ام مكتوم اسلم قديما بمكة قبل الهجرة وكان مع النبي بمكة والمدينة وهاجر قبل النبي صلى الله
عليه وسلم مع مصعب بن عمير رضي الله عنه فكيف يجهل من نقل هذه القصة من كبار المفسرين
ثم أشار الى ما فعله صلى الله عليه وسلم ليس ذنبا بل فعله حسنا لانه تبليغ للرسالة ولطف
في الدعوة بالاقبال على من كان من اهل العناد والكبر فاعلمه بحال الفريقين فقال وفعل
النبي صلى الله عليه وسلم لما فعل من التصدي وما معه الذي اشار اليه بقوله وتصديه
لذلك الكافر تقدم وجه افراده كان طاعة لله وتبليغا عنه لما فعله صلى الله عليه
وسلم كان امرا لا اثم له واستئلافا له اي استمالة للكافر وتأليفا له رجاء لاسلامه كما شرعه
الله وفرضه عليه بامره بالتبليغ ولين الجانب لمن يدعوه لا معصية كما زعمه من تقدم (ه)
ومخالفة له اي لما شرعه الله وما قصه الله عليه في هذه السورة اعلام بحال الرجلين
المذكورين وتوهين امر الكافر عنده اي تضعيفه وبيان لحاله لانه لا يستعد له يعتنى
به والاشارة الى الاعراض عنه بقوله وما عليك الا يزكى لان معناه لا بأس عليك من
امره فلا تلتفت اليه والضمير في قوله وما يدريك لعله يزكى لابن ام مكتوم وقيل ضمير
لعله للكافر يعني انك اذا طمعت في ان يتزكى بالاسلام او يذكر فتقربه الذكرى الى قبول
الحق وما يدريك اي ما اطمعك في ان يتزكى بالاسلام كاين والاول هو الاولى لان ما في
القران من يدريك فهو مما اعلمه الله به وما فيه من ادراك لم يعلمه به وايضا فالكافر
لم يسبق له ذكر صريحا ولا ضمنا وقوله وما عليك ان لا يزكى يريد انه لا بأس عليك لعدم
اسلامه فحرصك على اسلامه الحامل لك على الاعراض عن غيره تطييبا لخاطره الاولى تركه
لان ما عليك الا البلاغ وقد فعلت وقد تقدم تتمة لهذا فتذكره وقيل المراد بقوله
عبس وتولى الكافر الذي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المجلس قال اي
هذا القول ابو تمام الشاعر صاحب كتاب الحماسة على ما يأتي وهو قول في غاية الضعف
بعيد من السياق والذي عليه المفسرون انه النبي صلى الله عليه وسلم وفي التفات الكلام ليس
بدون الخطاب اكرام له صلى الله عليه وسلم عن ان يواجه بالعتب لا مبالغة في العتب لان فيه
بعد اعراضه قاله ابن عطية واما قصة ادم عليه الصلاة والسلام والاستدلال بها
على تجويز الصغائر على الانبيا عليهم الصلاة والسلام وقوله تعالى فاكلا منها اي من الشجرة
بعد قوله له ولزوجته حوا ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين المخالفين لامر
الله ونهيه وقوله تعالى الم انهكما عن تلكما الشجرة شجرة الكرم او التين او غيرهما كما بينه
المفسرون ونصه بعد تعالى بالحاء المهملة وضمنه معنى النزل فعداه بعلى في قوله
عليه بالمعصية بقوله وعصى ادم ربه فغوى اي ضل عما بينه له وقيل معناه جهل وقيل
اخطا فان الله تعالى قد اخبر بعذره جواب اما وهو جواب عما اشتهر لوابه لانه ارتكب معصية
وذنبا بقوله ولقد عهدنا الى ادم من قبل اي اخذنا عليه وبينا له ما يلزمه فتركه من قبل
اي قبل اكله من الشجرة فنسي العهد المتقدم ولم نجد له عزما ثابتا على ما عهد اليه لان العزم
توطين النفس على فعل او ترك وقريب منه تفسيره بالصبر وعلى هذا فالذي نسيه هو نهي
الله عن الاكل من الشجرة وفعله ناسيا لا يكون ذنبا لعدم المواخذة به وفيه انه لو كان كذلك
ما جازاه الله باخراجه من الجنة ونزع لباسه وقيل انه ذكر تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم

عن عصيان

عن عصيان قومه لان مثل آدم اذا عصى ربه فما بالك بغيره وقال ابن عطية انه ضعيف
لان جعل ادم مثلا للكفار لا ينبغي والذي اراه انه ابتدا قصص وانه لما عهد له صلى الله عليه
وسلم ان لا يعجل بالقران نسي سلاه بان سبق مثله لادم فعفي عنه فلا لوم عليه ثم ذكر
وجها اخر فقال قال ابن زيد هو عبد الرحمن بن زيد بن اسلم كما تقدم بترجمته نسي عداوة
ابليس له لحسده على جعله تعالى خليفته قبل وكان النسيان لا يواخذ به المكلف ثم عفا الله عنه
ولهذا علم الجواب عما تقدم ونسي ما عهد الله اليه من ذلك اي من كون ابليس عدوا له ولزوجته [هامش: جنه]
وولده بقوله ان هذا عدو لك ولزوجك الاية وحذره منه كما قصه في قصته وبينه
المفسرون قيل نسي ذلك المذكور من عداوته بما اظهره لهما اي لادم وزوجه من المخادعة
لدلاهما بغرور وقال ابن عباس رضي الله عنهما انما سمي الانسان انسانا لانه عهد
اليه فنسي واصله انسيان ووزنه افعلان قلبت ياؤه الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها
وحذفت الهمزة لالتقا الساكنين فالهمزة زايدة ولامه محذوفة وقيل انه من الانس ووزنه
فعلان وانما ذكر هذا توجيها للقولين المذكورين فلا وجه لما قيل انه لم يقع موقعه لعدم منا [هامش: سبعة]
لما قبله ويدل لقول ابن عباس ان تصغيره انيسيان ولذا قيل كما تقدم (ه)

• وان اول ناس اول الناس • وقلت ـــــ
• ومن لم يكن ينس الضغاين والذي • تقدم من حقد فليس بناسي •

وقيل في توجيه ما صدر من آدم عليه الصلاة والسلام لم يقصد المخالفة لما نهاه
عنه استحلالا لها اي لعدها حلالا حتى لا يكون ذلك معصية ولكنهما اي آدم وزوجته
اغترا بحلف ابليس لهما اي قسمه وقوله والله اني لكما لمن الناصحين في تحسين الاكل
لهما من الشجرة وتوهما ان احدا لا يحلف بالله حانثا مخالفا للواقع وقد روي عذر
ادم اي اعتذاره عما صدر منه بمثل هذا المذكور من ظنه صدقه لاقسامه لهما في بعض
الاثار المروية عن السلف والاحاديث وذلك انهما راها في الجنة ونعيمها فبكى فقالا له
ما يبكيك قال رحمة لكما لزوال هذا النعيم عنكما فقالا له فما يكون ما نقا عن زواله فوقفهما
بتاويله النهي وقسمه على ما قاله قالوا وهو اول من وقع منه الحسد والكذب في اليمين وقال
ابن جبير حلف بالله لهما حتى غرهما وخدعهما بان الاكل ليس فيه مخالفة لما نهى الله عنه
والمومن يخدع مبني للمفعول اي من شانه ان ينخدع بتصديق من غره لسلامة صدره وظنه
ان احدا لا ينافق ولا يكذب وليس هذا لقلة ادعانه بل لانه لكونه لا يفعل ذلك يعتقد ان غيره
مثله ولذا قيل (ه) ان الكريم اذا خادعته انخدعا (ه)
وقد قيل في توجيه ذلك ايضا انه نسي ولم ينو المخالفة للعهد الذي عهده الله ثم انه
والنسيان معفو وفي تفسير القشيري ان النسيان كان يواخذ به لانه ناشئ عن اسباب اختيارية
ثم نسخ ذلك فلذلك قال الله تعالى ولم نجد له اي لادم عليه الصلاة والسلام عزما اي
قصدا للمخالفة لله فيما نهاه فان العزم التصميم على فعل او ترك وهو مستلزم ما ذكر وتقدم
فيه تفسير اخر واكثر المفسرين على ان العزم معناه المراد منه هنا الحزم وهو الاخذ
بما فيه سداد بعد النظر التام فيه والصبر حتى يتيسر له مراده من غير قلق واضطراب وقيل
كان عند اكله سكران فلم يخالف قصدا والسكر لم يكن حراما اذ ذاك والجنة ليست دار تكليف
ايضا الا انه ورد ان خمر الجنة ليس له سكر ولا خبال كخمور الدنيا وان هذا الوجه في غاية الضعف

فالاولى تركه الا انه قول سعيد بن المسيب كما نقله البغوي وان ما ذكر غير مسلم لانا
ان قلنا ان الجنة ليست هي دار الخلد كما هو احد اقوال المفسرين فيها ولذا قال المصنف وهذا
القول ضعيف لانه تعالى وصف خمر الجنة بانها لا تسكر فينا في هذا الجواب وهو اشارة
الى قوله تع لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون فان فسر بانها لا تذهب عقولهم من نزف اذا ذهب
والكلام عليه مفصل في التفاسير فاذا كان ما فعله ادم معصية عليه الصلاة والسلام
ناسيا على احد الوجوه السابقة لم يكن ما فعله آدم معصية فلا يصح الاستدلال بالاية
وكذلك اذا كان ملبسا عليه يعني تلبيس ابليس الذي غره به وقسمه له بانه ناصح له وانه
يريد خلوده في الجنة وعدم زوال نعمته عنه وان نهي الله له ليس بتحريمي مؤاخذ به لما يؤخذ
مما ياتي غالطا اي وقع من ادم عليه الصلاة والسلام الغلط بقوله تلبيسه وتغريره له بانه
لا اثم عليه في اكله اذ الاتفاق من ائمة الدين على خروج الناسي والساهي من حكم التكليف
يعني انه ليس مكلفا بنص القرآن والحديث فلا يكتب عليه ذنب وايضا انه كان في جنة الخلد
وليست دار تكليف الا انه قيل ان السهو والنسيان كان مؤاخذا به ثم عاد ثم نسخ كما تقدم عن
الثعلبي وايضا قيل ان الجنة انما تصير دار اباحة دون تكليف بعد الحشر واما قبله فلا على ان
فيه بحث اذ المراد به انه ليس فيها تكاليف الدنيا كالصلوات الخمس والزكاة ونحوه مما علم
من الاحكام الشرعية اما اذا قال الله تع لاهل الجنة امرتكم بكذا او نهيتكم عنه فانه لا يجوز
مخالفته بلا شبهة وهذا ما لا ينبغي الغفلة عنه وقال الشيخ ابو بكر بن فورك وهو ابو
محمد بن الحسين الاصفهاني امام اهل السنة والكلام وكان في عصره اجل من تصدر للوعظ
والتدريس والتاليف وله مصنفات كثيرة جليلة ومناظرات عجيبة وله رحلة للهند وغيرها
ولما رجع الى نيسابور مات في الطريق سنة ست واربعمايه فنقل لنيسابور ودفن بها
وقبره يزار ويستجاب عنده الدعا كما ذكره المؤرخون كابن خلكان وفورك بضم الفا وسكون
الواو وفتح الرا والكاف وتقدم التردد في انه مصروف او ممنوع من الصرف وغيره من العلما
انه يمكن ان يكون ذلك قبل النبوة وفي عصمتهم من الصغاير قبلها خلاف وقد جوزه كثير
ودليل ذلك قوله تع وعصى ادم ربه فغوى ثم اجتباه ربه اي اختاره لنبوته فتاب
عليه مما صدر منه قبل النبوة وهدى اي هداه الى علمه فذكر ان الاجتبا والهدى مصدر
بمعنى الهداية وليس على هذا الوزن مصدر الا الهدى والسرى والتقى على كلام فيه في شرح
سيبويه كانا بعد العصيان لعطفه بثم كما لا يخفى فالمعنى ان الله تع ارتضاه لنبوته
وانه لم يصدر عنه ذنب بعد ما نبي والاجتبا الاختيار من جبيت الما في الحوض اذا جمعته
فالاجتبا جمعه للمعارف والعلوم الدينية وقد قيل عليه انه في غاية البعد لان ظاهر الحال
من سجود الملايكة لآدم واظهار فضله عليهم ومخاطبته في حضرته يمنع هذا الاحتمال
اذ لا معنى للنبوة غير هذا فالاستدلال به على نبوته اولى مما استدل به المصنف رحمه الله
وقيل في الجواب عما استدل به على تجويز الصغاير على الانبيا عليهم الصلاة والسلام بل
اكلها متاولا لحل اكله وانه لا يصدر عنه معصية واشار لتاويله بقوله وهو لا يعلم
انها الشجرة التي نهي عنها بالبنا للمفعول اي التي نهاه الله عنها في الاية لانه تاول
نهي الله تع له بقوله لا تقربا هذه الشجرة اي لا تاكلا من هذه الشجرة الاية بانه انما نهي عن
شجرة مخصوصة لقوله من هذه الشجرة لان اسم الاشارة موضوع لفرد معين مشاهد

او على الجنس

او على الجنس اي انه نهي عن جنس هذه الشجرة الشامل لجميع افرادها وبعضهم قال
ان اسم الاشارة قد يشار به الى الجنس مجازا وبه صرح النحاة كما في اول شرح الكتاب
والمراد بالجنس الكلي مطلقا فيشمل الجنس والنوع وغيره ولبعض الشراح هنا كلام لا محصل
له ولذا اي لاجل انه تاول بما ذكر قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ قال الراغب
التحفظ قلة الغفلة وحقيقته تكلف الحفظ لضعف القوة الحافظة انتهى والمراد ترك
التيقظ والتنبه وقيل في الجواب وبيان تاويله انه تاول ان الله تعالى لم ينهه عنها نهي
تحريم وانما هو نهي تنزيه عن خلاف الاولى وكونه لا يناسب قوله فتكونا من الظالمين كما
قيل سياتي ما يدفعه في كلام المصنف فان قيل فعلى كل حال مما ذكرته في توجيه ما صدر
من ادم كيف يكون لا معصية فيه وهو مشكل فقد قال الله تعالى في هذه القصة وعصى
آدم ربه فاثبت له المعصية بفعله وان قررت خلافه وقال فتاب عليه وهدى
والتوبة انما تكون عن ذنب وقوله اي قول ادم المحكي عنه في حديث الشفاعة في
المحشر للخلق كما تقدم ويذكر ذنبه لما طلب الخلق منه ان يشفع لهم في الخلاص من هول الموقف
فقال لهم اذهبوا لغيري من الانبيا فيذكر ذنبه وانه يستحيي من ربه وقال اني نهيت
عن اكل الشجرة اي عن الاكل من شيء منها فعصيت بفعلي ما نهى الله عنه فهذا كله يقتضي
انه صدر منه ذنب ومعصية فينافي ما وجهتم به فثاني الجواب عنه وعن اشباهه
مما يقتضي ارتكاب الذنوب مجملا مختصرا في آخر هذا الفصل ان شا الله تعالى واما
قصة يونس بن متى فقد سبق اي مضى الكلام على بعض منها آنفا اي قريبا من قرب
استانفت الشيء اذا ابتدأته ولا نف اسم فاعل منه صار بمعنى قريب وليس في قصة
يونس المذكورة نص على ذنب صدر منه حتى يتمسك بها من جوزه عليهم وانما ذكر فيها
اي في قصته انه ابق اي فر وهرب وقد يفرق بين الاباق والهرب بعد تخصيصه بالعبد
بخصوص ما كان بلا خوف كما في القاموس وغيره ولذا عبر به لما فيه من المزايا هنا وكان كما تقدم
دعا قومه فلم يطيعوه فوعدهم العذاب فلما تاخر عن موعده خرج من بينهم وذهب مغاضبا
اي غضبان فمغاضب هنا كمسافر ليست كغيرها من المفاعلة وغضبه على قومه لا على ربه
وان قيل به واول وقيل انه خشي القتل وقد تقدم تفصيله كما اشار اليه بقوله وقد تكلمنا
عليه اي تقدم منا الكلام في يونس وقصته وقيل انما نقم الله عليه اي عاب فعله ولامه عليه
وكرهه ونقم بكسر القاف وقد تفتح خروجه عن قومه فارا من نزول العذاب بهم وهو بين
اظهرهم فكان ينبغي له الثبات اعتمادا على ان الله ينجيه كما نجى نوحا وغيره من انبيايه حتى
يوحي اليه ما يريد وقيل بل لما وعدهم اي قوم يونس العذاب استعمل الوعد مع العذاب مع
انه يختص بالخير تهكما كقوله فبشرهم بعذاب اليم فلا وجه لما قيل انه عام بحسب الوضع الاصلي
ثم عفى الله عنهم لانه لما وعدهم العذاب لثلاث وراوا مقدماته ضجوا الى الله تع ولبسوا المسوح
وفرقوا بين الامهات والاولاد وتابوا وقالوا آمنا بيونس فعفى الله عنهم وهو صلى الله عليه
وسلم لا يعلم بذلك قال والله لا القاهم بوجه كذاب ابدا لعدم علمه بما غاب عنه وخصهم الله
تع لقبول توبة الياس كما قال تع الا قوم يونس الاية وقيل بل كانوا اي كان من عادتهم انهم
يقتلون من كذب فخاف ذلك اي القتل لتخلف ما وعدهم به وقيل قايله وهب ضعف
عن حمل اعبا الرسالة اعبا بالمد جمع عب كحمل وهو الحمل الثقيل كما تقدم وكان كما قال وهب

قف

لهم

ح

في خلقه ضيق ولذا اخرجه الله عن اولي العزم بقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل
ولا تكن كصاحب الحوت **وقد تقدم الكلام انه لم يكذبهم** فان ما وعدهم به من العذاب
نزل بهم حتى راوا غمامة فيها دخان اظلتهم لكنهم لما تضرعوا الى الله كشفه عنهم **وهذا** المذكور
في قصته **كله ليس فيه نص على معصية** صدرت منه حتى يشتدل به على ما ادعوه كما
تقدم الا **على قول من غوب عنه** اي متروك لضعفه وهو انه خرج من غير اذن من الله في
الخروج وترك القيام حتى ياذن الله **وقوله تعالى اذ ابق الى الفلك المشحون قال
المفسرون اي تباعد** والفلك يكون مفردا وجمعا ومعناه السفينة والمشحون بمعنى
المملوء وتفسير ابق بتباعد مذهب المبرد فاشار به الى ان تفسيره بهذا يقتضي انه لم يعص الله
ولم يخرج بغير اذنه كالعبد الآبق من سيده ولذا ذكره المصنف رحمه الله تعالى تاييدا لما قبله
ومن لم يقف على مراده قال ليس في ذكره هنا كبير فايدة فان كل ابق متباعد من سيده وانما
محل الاستدلال قوله فظن ان لن نقدر عليه وقد تقدم الكلام عليه **واما قوله** عز وجل
اني كنت من الظالمين فانه يقتضي انه صدر منه ذنب كما اشار اليه بقوله **فالظلم**
حقيقة معناه **وضع الشيء في غير موضعه مطلقا** فيشمل الذنب وغيره ومنه ظلم
السقا اذا شرب به قبل ان يروبه **فهذا** اي جعله من الظالمين **اعتراف منه عند بعضهم
بذنبه** لتبادره من الظلم عرفا وشرعا لا لغة كما تقدم **فاما ان يكون** ذنبه **بخروجه
عن قومه بغير اذن ربه** في الخروج من بينهم على عادة الانبيا اذا ارادوا الهجرة كما وقع
لنبينا صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة وهو مفصل في الصحيحين **او** ذنبه **ضعفه
عما حمله من اعباء الرسالة** لضيق صدره كما تقدم **او لدعائه بالعذاب على قومه** وهذا
توجيه ضعيف لان الدعا على الغير اذا راى منه ما يسوء لا يعد ذنبا والى هذا اشار بقوله
وقد دعا نوح على قومه بالهلاك فلم يواخذ اي لم يعتبه الله ويعاتبه عليه وذلك
قوله لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فدل هذا على ان عده ذنبا ليس بجيد **نزه ربه تعالى
عن الظلم** بقوله سبحانك اني كنت من الظالمين ولم يقل سبحانك على شانك عن صدور
ذنب منك **واضاف** اي نسب **الظلم الى نفسه اعترافا** ببراءة الله من مثله او للقصور
البشرية حتى يجوز ذلك عليه ولا يبرئ نفسه **واستحقاقا** لذلك وان لم يقع بالفعل
فالحاصل انه ذكره هضما لنفسه وبيانا لاستعداد البشر لمثله وانما يحفظهم الله بلطفه
ومثل هذا في تنزيه الله وبيان قصور نفسه **قول آدم وحوا ربنا ظلمنا انفسنا**
مع ما تقدم من بيان العذر فيما صدر منهما وانما اضافا الظلم اليهما **اذ كانا** اي آدم وحوا
السبب في وضعهما عن الموضع الذي انزلا فيه اي انزلهما الله فيه قبل الاكل من
الشجرة في الجنة **واخراجهما من الجنة** اي جنة الخلد التي وعدها المومنون وقيل انها
جنة وبستان آخر في الدنيا على خلاف مشهور فيه للمفسرين **وانزالهما** من الجنة التي هي
فوق السما **الى الارض** للدنيا وقوله وضعهما الخ اشارة الى ان الظلم فيه بمعناه اللغوي
وهو وضع الشي في غير موضعه مطلقا كما تقدم انفا فان قلت ـــــ اذا كان دعا نوح
ليس بذنب فلم قال اذا طلب اهل الحشر منه الشفاعة اني دعوت على قومي فحيي ان لا تقبل
شفاعتي عنده قلت ـــــ قد اجابوا عنه بانه ليس لانه ذنب بل لان لكل نبي دعوة عظيمة منحها
فنوح قدمها في الدنيا لما دعا عليهم لا لانه ذنب وقيل غير ذلك وعاتب الله يونس دون نوح

عليهما الصلاة

عليهما الصلاة والسلام لان يونس لم يصبر وعجل الدعا ونوح دعاهم الف سنة حتى مل
دعوتهم وييئس منهم **واما قصة داود صلى الله عليه وسلم فلا يجب** كان الظاهر لا يجوز
او لا يصح **ان نلتفت الى ما سطره فيها** اي كتبه في كتبهم **الاخباريون** اي اصحاب
القصص ونسب الى الجمع على خلاف القياس لانه اراد به قوما معينين كالنصاري فاشبه العلم
كالانصاري وعلم ان الالتفات كناية عن عدم الاعتبار بذكر ذلك واعتقاده فانه لا يليق
ببعض الصالحين فضلا عن الانبيا لكنه اراد بعدم الوجوب الامتناع وعدل عن الظاهر
لنكتة وقوله **عن** فجار **اهل الكتاب** متعلق بسطر لتضمنه معنى نقل **الذين بدلوا** اي
حرفوا كتبهم **وغيروا** ما فيها بادخالهم ما لا اصل له وهو علة لعدم جواز النقل لما رووه
ونقله بعض المفسرين في تفاسيرهم وكان ينبغي لهم ان لا ينقلوه وذلك قولهم ان داود
صلى الله عليه وسلم كتب الى ايوب قائد جيشه اذا بعث اوريا زوج المراة الحسنا
التي راها وهو يصلي في محرابه فتعلق قلبه بها كما مر الى وجه العدو وقبل التابوت وكان
من يتقدم مع التابوت لا يجوز ان يرجع حتى يفتح على يديه او يستشهد فتقدم ففتح على
يديه فكتب له ثانيا ابعثه لموضع كذا مرة بعد مرة حتى قتل فتزوج امراته **ولم ينص الله
تعالى** في قصته في القران **على شي من ذلك** الذي ذكروه في قصصهم **ولا ورد** عن النبي
صلى الله عليه وسلم **في حديث صحيح** يعتمد على روايته والمراد بالصحيح هنا ما يشمل
الحسن فانه كثيرا ما يستعمله الفقها بهذا المعنى **والذي نص الله عليه** في القران **قوله
وظن داود انما فتناه الى قوله وحسن ماب** فهذا هو الصحيح بنصه تم الله لما ورد عليه
ان في هذا النص ما يقتضي ايضا صدور ذنب وفتنة تاب منها فالمراد بها وما الجواب
عنها قال **وقوله فيه** اي في هذا النص **اواب** اي كثير الرجوع عما صدر منه الى الله بالتوبة
هو مثل تواب في ايهام صدور ذنب منه **ومعنى فتناه** في هذه الاية **اختبرناه** اي جربناه
وامتحناه والمراد فعلنا به فعل الممتحن ليظهر حاله للناس من فتنت الذهب اذا صفيته
من غشه وهذا حقيقته فليست الفتنة هنا بايقاعه فيما يضره من الاثام كما هو المعنى
المتداول في عرف اللغة **ومعنى اواب** هنا كما **قال قتادة** في تفسيره **مطيع** لكثرة رجوعه
لامره **وهذا التفسير اولى** من تفسيره بتواب من الذنوب وهذا نقله البغوي عن ابن عباس
ايضا **وقال ابن عباس وابن مسعود** في تفسيره لفتنته **ما زاد داود على ان قال
للرجل** يعني اوريا زوج المراة الحسنا التي راها **انزل لي عن امراتك** اي افرغ عنها وطلقها
لاتزوجها لانه ارسله لما يعرفه حتى قتل **واكفلنيها** اي ضمها الي بالدخول تحت نكاحي
ومنه الكفالة لانها ضم ذمة الى ذمة كما قصه الله تعالى في مرافعة الملكين له وقوله ان هذا
اخي الى قوله اكفلنيها وعزني في الخطاب مما ضربه الله مثلا لما صدر منه **فعاتبه الله
على ذلك** الفعل الذي صدر منه **ونبهه عليه** على ما فيه من خلاف الاولى اللايق بمقامه
عنده **وانكر عليه شغله بالدنيا** وما فيها من النكاح ونحوه **و**هذا الذي قاله ابن عباس
وابن مسعود **هو الذي ينبغي ان يعول عليه** اي يعتمد عليه فيروى ويعتقد من امره
وامر امثاله من رسل الله عليهم الصلاة والسلام لا ما نقل عن اهل الكتاب **وقد قيل** انه انما
خطبها اي طلب تزوجها **على خطبته** بكسر الخاء وهي طلب الزوجة وهو من الخطابة بالضم
وكان صلى الله عليه وسلم لم يعلم بخطبته فلا ذنب اصلا **وقيل بل** الذي عتب الله عليه انه

احب قلبه ان يستشهد ليتزوج بامراته لا انه صرح به او باشر اسبابه كما مر وهو ميل قلبي
لا يواخذ به لانه خطر بقلبه انه لو استشهد تزوجها لانها اعجبته وعلى هذه الوجوه ثم
لا معصية فيه واما طلب النزول عن زوجته فكان جايزا عندهم كما كان في اول الهجرة بين
الانصار والمهاجرين واما الخطبة على الخطبة وان كانت حراما عندنا بغير رضا وفراغ فلعله
جايز عندهم او لم يعلم بما اعلمه الله به فلا حرج عليه واما خطرات القلوب فلا يواخذ بها وما
عداه لا يجوز نسبته لهم ولا التحدث به ولذا قال علي رضي الله عنه من حدث بقصة داود عليه
السلام جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الانبيا عليهم الصلاة والسلام وهذه
القصة نظير قصة نبينا صلى الله عليه وسلم مع زيد رضي الله تع عنه في زوجته ام المومنين
زينب بنت جحش كما ياتي ذلك لما رآها الا انه صلى الله عليه وسلم لم يطلب من زوجها فراقها
بل قال له امسك عليك زوجك حتى زوجها ايضا له وفيه منقبة عظيمة له وقد ابتلى الله
بالنسا ثلاثة من الانبيا نبينا وداود ويوسف عليهم الصلاة والسلام ابتلا لحكم
خفية منه وبقية الكلام على هذه القصص مفصل في التفاسير وكتب الحديث فلا حاجة
للتطويل بها هنا وكثرة القيل والقال كما فعل في الشرح الجليل وحكي السمرقندي في
تفسيره وقد قدمنا ترجمته وانه ابو الليث الامام المشهور ان ذنبه الذي استغفر منه
اي طلب من الله مغفرته والعفو عنه لم يكن ذنبا كما توهموه وانما هو قوله لاحد الخصمين
اي الملكين اللذين اتياه في صورة رجلين متخاصمين له لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه
وظلمه بتشديد اللام اي نسبه للظلم بقول خصمه اي بمجرد قول الخصم من غير كشف لحال
خصمه وتثبت في امره وهو خلاف الاولى وقد قال ابن العربي انه لا يجوز في ملة من الملل
ما قاله السمرقندي لا يجدي هنا واجيب عنه بانه انما قاله لانه راى خصمه سلم له مقالته
ولم ينكر عليه فظنه رضي بما قاله وكلام الله مبني على غاية الايجاز فكانه قال ثم سال وعلم بسكوته
رضاه او هو بتقدير ان كان كما تقول فقد ظلمك وقال الحليمي انه سمع قول المتظلم فاستعجل ولم
يسال المدعى عليه ولذا عاتبه ولم يرض فعله والاحسن ما قدمناه والى نفي ما اضيف في الاخبار
اي ما نسب في الاخبار السابقة الى داود من ذلك الذي رووه ذهب احمد بن نصر وقد
تقدمت ترجمته وابو تمام قال البرهان هو حبيب بن اوس الطاي ونسبه معروف وانه هو
الشاعر المشهور صاحب الديوان وترجمته معروفة وبلاغته ورتبته معروفة في معرفته باللغة
والعربية وهو في الطبقة العليا من المولدين متقدم العصر والرتبة على المتنبي لكن لم ار من عده
من علما الحديث والتفسير فهو غلط من اشتراك الاسم وقد نقل المصنف في هذا الكتاب كثيرا عن محمد
الابهري من علما المالكية من اهل طليطلة وهو يلقب بابي تمام وهو المراد هنا وما قاله الشراح هنا
واصحاب الحواشي من انه ابو تمام الشاعر المشهور خطا فانا لم نسمع من نقل عن الشاعر شيا مما يتعلق
بالامور الشرعية وانما غرهم الاشتراك اللفظي وهذا مما لا شبهة فيه ويويده قوله وغيرهم من
المحققين فان عد ابي تمام محققا مما لا يعرف فهو مويد للوهم فيه وقال الداودي تقدم الكلام
عليه وترجمته ليس في قصة داود صلى الله عليه وسلم واوريا خبر رواه المحدثون في
كتبهم المعتمدة ثبت بفتح المثلثة وسكون الموحدة وتا مثناة فوقية اي ملتبسا بثبوت النقل
فيه واوريا هو ابن حنان زوج المراة التي تزوجها داود بعده كما تقدم وهي ام سليمان نبي الله
عليه الصلاة والسلام واوريا قال الانطاكي في حواشيه انه بضم الهمزة وسكون الواو وكسر

الراء المهملة ومثناة تحتية وحذف الهمزة وضبطه غيره بفتح الهمزة الاولى وقال
البرهان لا اعلم فيه نقلا فلا يظن بنبي محبة قتل مسلم كما قالوه ولا ينافيه ما قدمه من قوله
انه صلى الله عليه وسلم احب بقلبه ان يستشهد كما قيل فان المصنف لم يرتضه بل مرضه بقوله
وقيل الخ كما مر وما قيل من ان كلام الداودي طعن في الروايات من غير دليل ليس بشي فان ما
رووه فيه ما لا يليق بالانبيا والاقدام عليه من غير رواية صحيحة لا يليق والنافي لا يطلب
منه دليل وقيل ان احد الخصمين اللذين اختصما اليه بان ادعى احدهما على الاخر
رجلان حقيقة لا ملكين في صورة رجلين وهما جبرايل وميكاييل في نعاج جمع نعجة
وفي نسخة نتاج غنم على ظاهر الاية من غير تاويل بانهما ملكان اتياه في صورة رجلين
ينبهاه على ما صدر منه من خلاف الاولى لا كما قاله اصحاب القصص وهذا وقع في بعض النسخ
وليس في الام والحاصل ان ما اشتهر بين القصاص واهل الكتاب واغتر به الحشوية لم يثبت
والذي قصه الله عنه ليس فيه ما يا باه مقام النبوة واما قصة يوسف عليه الصلاة والسلام
وما نقله اهل القصص فيها مما يقتضي صدور ذنب منه كما تمسك به من جوز مثله على انبيا
الله مما لا اصل له في نص من القران ولا من الاحاديث الصحيحة واخوته ابناء يعقوب اثني عشر
من زوجتين له راحيل ام يوسف عليه الصلاة والسلام وبنيامين تزوجها بعد اختها ليا
واسما اخوته مذكورة في التفاسير والتواريخ مع اختلاف في ضبط اسمايهم واكبرهم اسمه
روبيل فليس على يوسف فيها اي في تلك القصة تعقب اي اعتراض مما يدل على طعن
فيه او نقص ينسب اليه مما لا يناسب مقامه عليه الصلاة والسلام وهو الكريم بن الكريم
بن الكريم بن الكريم واصل التعقب ان يمشي على اثر كانه يطا عقبه ثم استعمله المصنفون بمعنى الاعتراض
يقال يعقب كلامه اذا اورد عليه ايرادا دائما اي فلا اعتراض على يوسف نفسه فيما حكاه
عنه كما بينه المفسرون واما اخوته فالاعتراض على ما صدر منهم من القاء يوسف في
الجب وكذبهم على ابيهم عليه الصلاة والسلام وعقوقهم له فلم تثبت نبوتهم حتى ينافي
ما فعلوه لانهم غير معصومين وقال السيوطي في رسالة سماها دفع التعسف عن اخوة
يوسف لم ينقل عن احد من الصحابة والتابعين نبوتهم ونقل عن ابن زيد انه قال بنبوتهم
وانكره اخرون والمفسرون منهم من قال انهم انبيا ومنهم من رده كالقرطبي والرازي
وابن كثير ومنهم من حكى القولين بلا ترجيح كابن الجوزي ومنهم من لم يتعرض له وفسر الاسباط
باولاد يعقوب فحسبوه قال بنبوتهم وسياتي بيانه فيلزم بالنصب في جواب النفي الكلام
بما عليه على افعالهم وتوجيهها وذكر الاسباط وعدهم في القران عند ذكر الانبيا
يوهم انهم انبيا وانما اراد بالاية يعقوب لا اولاد صلبه وهم من ولدهم بغير واسطة لحصوله
من ما يخرج من صلبه ظهره كما اشار اليه المصنف بقوله قال المفسرون يريد من نبئ ببناء
المجهول اي صار نبيا من ابناء الاسباط لا اولاده لصلبه كما تقدم وقال ابن كثير لم يقم
دليل على نبوتهم وظاهر القران خلافه ومنهم من زعم انهم اوحي اليهم بعد ذلك لقوله تعالى
والاسباط ولا دليل فيه لان بطون بني اسرائيل يقال لهم اسباط كالقبايل في العرب والشعوب
في العجم فلا يدل على انه اوحي اليهم باعيانهم بل على ذرية يعقوب انبيا ولا وجه لتفسير
الاسباط باولاد يعقوب لصلبه كما قاله ابن تيمية واصل السبط الشجرة الملتفة الاغصان
ثم اطلق على اولاد يعقوب لكثرتهم والسبط الحافد ايضا كما قيل للحسن والحسين سبطا رسول الله

صلى الله عليه وسلم وقوله اثني عشر اسباطا انه صريح في ان الاسباط الجماعات الكثيرة مطلقا فتخصيصه باولاد الصلب خطا ولم يكن فيهم نبي قبل موسى غير يوسف وفي الحديث اكرم الناس يوسف بن يعقوب ابن اسحاق بن ابراهيم نبي بن نبي ابن نبي ابن نبي فلو كان اخوته انبياء شاركوه في ذلك وما في قصتهم من العقوق والكذب صريح في عدم نبوتهم وانما نشا الغلط من لفظ الاسباط كما قاله ابن تيمية في رسالة له في ذلك **وقيل** هو احد الاقوال الثلاثة كما فصلناه **انهم كانوا حين فعلوا بيوسف** ما حكاه الله عنهم في سورة يوسف **صغار الاسنان** جمع سن وهو زمان العمر اي اطفالا غير مكلفين **ولهذا لم يميزوا يوسف حين اجتمعوا به** بمصر بعد بعد العهد به اي لم يعرفوه لانهم فارقوه وهم غير مميزين وفي عبارته لطيفة هنا **ولهذا** اي لكونهم حين صدر عنهم ما صدر **قالوا** لابيهم **ارسله معنا غدا نرتع** اي نتجارى ونتسابق **ونلعب** واللعب لا يليق بالرجال **وان ثبتت لهم نبوة فبعد هذا الفعل** على اصل الاقوال المتقدمة **والله اعلم** بحقيقة حالهم وهذه الدلالة بحسب الظاهر المتبادر فان الكبار قد يلعبون ويتسابقون وهو على قراءة نرتع ونلعب بالنون وعلى القراءة الاخرى يرتع ويلعب بالياء المثناة التحتية هو بضمير الغيبة ليوسف دونهم فلا دليل فيه وكذا عدم معرفتهم له انما يدل على صغرهم وبعد عهدهم به لان مدة مفارقتهم اربعون سنة او ثمانون بحسب الظاهر اذ لا يجوز اذ لا يعرفوه لتغيير زيه وكونه بهيئة الملوك ذوي الهيبة ولعدم قربهم من مجلسه ومثله من الامارات الظنية يكتفى فيه بهذا القدر **واما** ما استدلوا به على وقوع الذنب والمعصية منهم وهو **قول الله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه** ضمير همت لامراة العزيز وضمير هم ليوسف عليه الصلاة والسلام والهم يكون بمعنى العزم المصمم على امر وبمعنى ميل طبيعي غير اختياري وهمها بالمعنى الاول وهو ارادتها الفاحشة وهمه بالمعنى الثاني وهو غير مذموم اذا كف عنه بل ممدوح يوجر عليه لو سلم فان قلنا بعدم وقوعه لانه في المعنى جواب لولا الذي يتقدم عليها او قام مقامه اي لولا رؤيته البرهان لهم فيدل على انه لم يهم بها وما وقع في القصص من حل السراويل وما بعده كذب لا اصل له وبرهان ربه قيل انه راى يعقوب عليه الصلاة والسلام عاضا على اصبعيه وهو يقول اتفعل فعل السفهاء وانت مكتوب من الانبياء بان تصورت له صورة او رآه حقيقة وفرج له السقف وقيل ضرب صدره بيده فنزعت منه شهوته وقيل نودي بصوت من وراء الحجاب فقام هاربا ومضت خلفه وقيل انما تمثل له جبريل فصده **فعلى طريق من الفقهاء والمحققين ان هم النفس لا يؤاخذ به** مطلقا لانه امر اضطراري وفسره بقوله **وليس سيئة** اي خطيئة ومعصية **لقوله** صلى الله عليه وسلم نقلا **عن ربه** يعني في الحديث القدسي الذي رواه مسلم في صحيحه وهو حديث طويل **اذا هم عبدي بسيئة** اي عزم عليها او قصدها **فلم يعملها** بان تركها خوفا من ربه **كتبت له حسنة** لمجاهدته نفسه فصرفها عما تريد **واما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين** كابي بكر الباقلاني الذي رأوا تعارض النصوص فدققوا النظر في التوفيق بينها فانهم فصلوا في ذلك تفصيلا **فان الهم** الذي يخطر بالبال **اذا وطنت عليه النفس** عازمة على الفعل اي صممت وجزمت عليه واصل معناه اتخذه وطنا ثم نقل لما ذكر بعد ما كان مجازا لعلاقة ظاهرة يقال وطنت نفسي واوطنتها اذا حملتها على امر فاستمرت **سيئة** تكتب عليه فهو مرفوع خبر ان ونصبه خبر كان

مترددة بعد **واما ما لم توطن** بالبناء للمفعول **عليه النفس من همومها** جمع هم بمعنى نية وعزم **وخواطرها** عطف تفسير **فهو المعفو عنه** لا ما قبله **وهذا هو الحق فيكون ان شاء الله تعالى هم يوسف من هذا القبيل** المعفو عنه فلا يتم الاستدلال بهذه القصة على تجويز الصغائر والحاصل انه ذهب كثير من العلماء الى ان هم المرء وخاطر نفسه لا يؤاخذ به فلا معصية في ذلك على هذا وذهب بعض الفقهاء والمحدثين الى انه اذا لم توطن عليه النفس معفو عنه واذا اوطنت عليه صممت كتبت سيئة والنصوص متخالفة فما تقدم في حديث مسلم واحاديث اخر في معناه يدل على انه لا يؤاخذ به وقوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وقوله يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم ونحوه يدل على خلافه والتوفيق بينهما ما قاله الغزالي من ان اول ما يرد على القلب كرؤية امراة على الطريق مثلا الهم ويسمى حديث النفس وخاطرا والثاني ما يتولد منه من الرغبة واعادة النظر وهو الميل الطبيعي والثالث حكم القلب بانه ينبغي ان يفعل ويبتغي اعادة النظر والرابع التصميم على ذلك وترك الصوارف عنه كالحياء فالاول لا يؤاخذ به لانه لا يدخل تحت الاختيار وكذا هيجان النفس والميل والشهوة لانها ليست اختيارية وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم عفي عن امتي ما حدثت به نفوسها وهو الخواطر التي لا يتبعها هم وعزم واما الاعتقاد وحكم النفس بانه ينبغي ان يفعل فيكون اضطراريا ولا يؤاخذ به واختياريا فيؤاخذ به والرابع يؤاخذ به فان لم يفعل نظر فيه فان تركه خوفا من الله وندما على همه كتب له حسنة لمجاهدته لنفسه وان تركه لعائق وعذر غير خوف الله كتب عليه وفي الحديث ما يدل على هذا التفصيل وهو كلام حسن وهم يوسف عليه الصلاة والسلام كان عزما وتصميما منعه منه خوف ربه فهو حسنة لا معصية ثم اشار الى الجواب عن سؤال مقدر بقوله **ويكون** على تقدير انه معفو عنه **قوله وما ابرئ نفسي الاية** معناه وتفسيره الذي بينه بقوله **اي ما ابرئها من هذا الهم** يعني ما انزهها عنه لانه امر جبلي لا محذور فيه **او يكون ذلك** اي قوله ما ابرئ نفسي صادرا **منه على طريق التواضع** باظهار انه غير منزه عما يشين لان الكمال لله لا انه صدر منه مثله حتى يتمسك به **والاعتراف بمخالفة النفس** اي ما ابرئها من الهم بالمعاصي وقد فعلت ولكني خالفتها وصرفتها عن همها وهو امر حسن منه **لما** بكسر اللام وتخفيف الميم **زكي قبل وبرئ** منه في الايات السابقة وهذا بناء على ان قوله وما ابرئ نفسي من كلام يوسف عليه الصلاة والسلام وقد قيل انه من كلام امراة العزيز متصل بقولها ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب والوجهان مذكوران في التفاسير وعلى هذا لا يرد السؤال اصلا فكيف يستدل لما هو بصدده بل انه لا اعتراف بصدور ذنب منه في كلامه **وقد حكى ابو حاتم** قيل ولعله ابن ابي حاتم الرازي الامام الحافظ الجليل محمد بن ادريس بن المنذر الحنظلي احد الاعلام في التفسير والحديث ولد سنة خمس وتسعين ومائة وتوفي في شعبان سنة سبع وسبعين ومائتين **ان يوسف** عليه الصلاة والسلام **لم يهم** اي لم يقع منه هم بفعل معصية **وان الكلام** اي النظم القرآني الذي نحن فيه **فيه تقديم وتاخير** اي وبيانه **لقد همت** امراة العزيز **به** بيوسف وتكليفه بارادته **ولولا ان راى برهان ربه لهم بها** قال الشريف المرتضى في كتابه الدرر والغرر انه على هذا يجري مجرى قولهم قد كنت هلكت لولا اني تداركتك اي لولا تداركي هلكت وانك لم يقع هلاك واستشهد له بقوله تعالى ولولا فضل الله عليك ورحمته

همت طايفة منهم ان يضلوك والهم لم يقع واستبعد قوم تقديم جواب لولا عليها وهو اولى
من خلافه وذكروا شواهد استشهدوا بها على جواز تقديمه ردوا بها على من قال انه لا يجوز انتهى
فما قيل ان جواب لولا محذوف لعدم جواز تقديمه غير مرضي وهذا مذهب الزمخشري والزجاج
لكن المرتضى عند من الايمة في العربية وغيرها انه اختير قوله وتقديره بلفظ ما قبله و
لواقع المعصية وامراة العزيز اسمها راعيل وقيل زليخا كازيخا بفتح اوله وضمه خطا
وقد قال تعالى حكاية عن المراة المذكورة آنفا لقد راودته عن نفسه فاستعصم
واسم زوجها العزيز قطفير والمراودة الطلب من راد يرود اذا جاء وذهب اي طلبت
منه ان يضاجعها ومعنى استعصم امتنع لعصمة الله له وفيه دليل على انه لم يقع منه هم
بالمعنى الذي قالوه ومما يؤيده انه قد قال تعالى في حقه كذلك اي عصمناه لنصرف عنه
السوء والفحشا اي لئلا تميل نفسه لما اريد منه من معصية الله والجار والمجرور في
محل نصب او رفع اي بيناه تبيينا كذلك او امره كذلك والسوء الزنا او الذكر القبيح او
عقوبة الملك والفحشا موافقة المراة ونحوها مما يقبح وقال تعالى في هذه القصة
وغلقت الابواب معطوف على قوله راودته وغلق الابواب قفلها والتفعيل للتكثير
وقفلها للتخلو به لما ارادته وقالت هيت لك هيت اسم فعل مبني على الفتح واللام
للتبيين كما في سقيا لك وقال الراغب هيت قريب من هلم وقرئ هيت لك اي تهيات
لك ويقال هيت به اذا قلت له هيت لك انتهى قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي
الاية اي قال حين راودته معاذ الله اي اعوذ بالله منك ومما اردت التجاء الى الله في
دفع ما همت به وهو منصوب على المصدرية والمثوى بمعنى المقام من ثوى بالمقام اذا
اقام به وفي معنى ربي هنا انه الله تعالى وقيل الملك بكسر اللام وهو زوج زليخا قيل
وضمير انه للشان خبر ربي احسن مثواي فالرب يطلق على الله وعلى غيره ومعناه المالك
والسيد والمربي والمنعم وفي اطلاقه على غير الله تفصيل في التفاسير مشهور والنهي عن
اطلاقه على غير الله تنزيهي ومعنى احسن مثواي انه احسن القيام وتعهدني باكرامه لي
وانعامه وقيل معنى هم بها انه هم بزجرها ليمنعها عن مراودته ووعظها بتخويفها من
الله ولحوق العار بها وقد قال المفسرون كابن عطية انه وجه ضعيف لمخالفته للظاهر
وقيل معنى هم بها غمها امتناعه عنها اي عن معاملتها بما ارادته فهو من الهم بمعنى الغم
والبا للتعدية بمعنى اهمها اذا اوقعها في هم وحزن وهو بعيد وان كان فيه مشاكلة مع
وتجنيس للمعنى المنوي فيه وقيل انه بعيد من اللغة لانه بهذا المعنى متعد بنفسه
يقال همه الامر اذا احزنه وقيل معنى هم بها نظر اليها وهو في غاية البعد وقيل معناه
هم بضربها ودفعها حين امسكته وهذا كله بتقدير مضاف والحاصل معناه والحامل
على هذه التاويلات صرفه عما لا يليق بمقام النبوة وقيل هذا كله كان قبل نبوته
بناء على عدم العصمة قبلها وقد تقدم بيانه وقد ذكر بعضهم انه ما زال النسا يملن الى
يوسف عليه الصلاة والسلام ميل شهوة لما جبلت عليه طباعهن حتى نباه الله
تعالى اي جعله نبيا فالقى عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من يراه عن او تمتعه
بالنظر الى حسنه وجماله وهيبة الانبيا امر معلوم كما نشاهده في بعض العباد فضلا
عن الانبيا عليهم الصلاة والسلام واما خبر موسى صلى الله عليه وسلم الذي استدل به

على جواز صدور الذنب من الانبيا وما جرى له مع قتيله الذي وكزه وهو رجل كافر
كان طباخ فرعون لعنه الله ثم وكان يسخر الناس لحمل الحطب لمطبخ فرعون فتسخر رجلا
من بني اسرائيل فاستغاث منه بموسى عليه الصلاة والسلام وكان بنو اسرائيل صارت
لهم عزة ومنعة بموسى عليه الصلاة والسلام لما كبر وكان موسى قويا في جسمه فنهاه
عن تسخيره فلم ينته فضربه بيده لدفع ظلمه فمات والوكز واللكز بمعنى وهو الدفع ومنهم
من فرق بينهما بان الاول في الصدر والثاني في الظهر وقيل باطراف الاصابع وقيل غير
ذلك وهو امر سهل فقد نص الله تعالى في القرآن على انه من عدوه اي كان كافرا من كفرة
القبط وموسى موحد من بني اسرائيل اي من قوم بينهم وبين بني اسرائيل عداوة ومحاربة
فلا يمتنع عليه قتله لدفع ضرره مع انه لم يقصد بضربه قتله وانما قصد دفعه ودفع
ظلمه ومثله لا يحرم وقيل كان من القبط على دين فرعون اي كان كافرا على ملته آمرا
به من عبادته او غير ذلك والقبط نبط مصر وقوم فرعون وهم جيل من الناس معروفون
ودليل السورة اي السورة تدل بمنطوقها ان هذا كله اي فيما قصه الله من هذه القصة
الله قبل نبوة موسى فانه لما قتله فر خايفا فكان ما كان له مع شعيب عليه الصلاة والسلام
اي جرى له معه ما جرى وتزوج ابنته ثم نبا لما فارقه كما قصه الله وقبل النبوة لم يكن
معصوما من الخطا فيصدر عنه مثل هذا وان لم يكن معصية لانه لم يضر بالة جارحة
فهو خطا شبه عمد ولم يكن ثمه شرع ولذا قال وقال قتادة وكزه بالعصا وليست
جارحة بل مثقل ولم يتعمد بضربه ويقصد قتله فعلى هذا لا معصية في ذلك اي
فيما فعله موسى في هذه القصة حتى يستدل بها على ما ادعوه وقوله اي قول موسى
المحكي عنه مما يقتضي انه ما صدر عنه معصية هذا من عمل الشيطان اي هذا الذنب مما
القاه الشيطان وقوله ظلمت نفسي بعمل ما قالوه انه معصية ولذا قال فاغفر لي
ما صدر مني فلولا انه ذنب لم يطلب مغفرة الله له قال ابن جريج بصيغة المصغر وهو
عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ابو الوليد او ابو خالد القرشي مولاهم احد الاعلام
الفقها قال موسى صلى الله عليه وسلم ذلك المذكور من نسبة عمله للشيطان وطلب مغفرته
من اجل انه لا ينبغي اي لا يصح ويليق لنبي ان يقتل احدا حتى يؤمر بالبنا للمفعول اي
يامره الله او من له الامر ولذا كان صلى الله عليه وسلم في اول امره لم يؤذن له في القتال
ثم اذن له في ذلك بعدما هاجر المسلمون الهجرتين لموسى صلى الله عليه وسلم اذ لم يؤذن
له في ذلك فهو جائز وقال النقاش في تفسيره لم يقتله موسى عن عمد حال كونه مريدا
للقتل والمقصود بالنفي الحال وانما وكزه وكزة مفعول مطلق لتوكيد يريد بها دفع
ظلمه للناس وعدم تسخيرهم وقد قيل ان هذا كان قبل النبوة اذ لم يكن مامورا بشرع
وهو مقتضى التلاوة اي ما يدل عليه نص القرآن المتلو وقوله تعالى في قصته
اي قصة موسى التي قصها الله في القرآن وفتناك فتونا قال الراغب اصل الفتن ادخال
الذهب النار لتظهر جودته من رداءته ويستعمل في ادخال الانسان النار قال تعالى
ذوقوا فتنتكم اي عذابكم وتارة يستعمل فيما يحصل منه العذاب كقوله الا في الفتنة سقطوا
وتارة في الاختبار نحو فتناك فتونا وجعلت الفتنة كالبلا في انهما يستعملان فيما يدفع اليه
الانسان من شدة ورخا وهو في الشدة اظهر واكثر استعمالا انتهى واليه اشار بقوله هم

اي ابتلاك ابتلا بعد ابتلا اشارة الى ان الابتلا هو الفتنة والفتنة هنا بمعنى الابتلا
اي الاختبار وانه يكون بالخير وبالشر والشدة وان الفتون جمع فتن او فتنة على تقدير
عدم التاوالاعتداد بها ويدل على التكرار فلذا قال ابتلا بعد ابتلا ويجوز ان يكون مصدرا
كالقعود فالتكرار غير مراد او توخذ ذلك من السياق قبل ذلك الابتلا في هذه القصة
يعني قتله القبطي وماجرى اي وقع واتفق له اي لموسى مع فرعون وذلك ان فرعون
راى رؤيا اهالته فعبرها المعبرون والكهان بمولود من بني اسرائيل يكون على يديه
زوال ملكه ودينه فامر القوابل بان كل ذكر ولد منهم ياتون به ويذبحونه ففعلوا ذلك
حتى وقع في بني اسرائيل موتان عظيم فقال له القبط نخشى فنا بني اسرائيل فلا يبقى
لنا خادم فنحتاج الى استخدامنا فامر ان يقتل الذكور منهم سنة ويتركون سنة فولد هارون
في سنة العفو وولد موسى في سنة الذبح فخافت عليه امه فاوحى لها وحي الهام وقيل
وحيا جاها فيه جبريل وان لم تكن نبية لان الملك كان يراه غير الانبيا كمريم ثم ارتفع ذلك
بعد مجي النبي صلى الله عليه وسلم فالقته امه في صندوق والقته في النيل فدخل بيت
فرعون واستوهبته امراته آسية وكان له معه ما اشتهر من ذلك وهو المراد بالفتون
اي ما وقع له فيه من الشدائد حتى نباه الله واتخذه كليما وصفيا وسمته آسية حين اتخذته
ولدا موسى ومعناه ما وشجر بالقبطية لانه وجد في صندوق ملقى في الما وقيل معنى
الفتون على هذا القاه في التابوت اي الصندوق الذي اتخذته له امه من خشب
والذي اتخذه لها حزقيل وهو من ال فرعون واليم وهو البحر والمراد به النيل وغير
ذلك ما جرى له معه كما تقدم وقيل معناه اي معنى الفتون في هذه الاية اخلصناه
اخلاصا اي ابتليناه بامور شاهد بها قدرة الله ولطفه حتى صار صفوة له خالصا من
كل امر لا يليق برسله عليهم الصلاة والسلام فقربه واصطفاه لان الفتنة اصل معناها
ان يذاب الذهب حتى يصفى ويخرج به عما ذكر كما قال ابن جبير ومجاهد في تفسير هذه
الاية وعلى هذا فهو استعارة من قولهم فتنت الفضة في النار اذا اذبتها وخلصتها
من الغش فاستعير لخلاصه من الكدورات البشرية والاخلاق الردية حتى اجتباه واصل
الفتنة اي حقيقتها التي وضعت لها الاختبار اي امتحان الاشيا وتجربتها بما يعلم به
حالها واظهار ما بطن اي خفي عن العيان في المحسوسات كالذهب والفضة الا انه
يستعمل في عرف الشرع وهو ما عرف في تخاطب اهله ومعاملتهم في اختبار يوري
اي يوصل ويفضي ويثمر الى ما يكره المخبر بزنة المفعول وان كان عاما في اصله خص بما
ذكر كما فصله الراغب وقد سمعته انفا وعلم مما ذكر ان الفتنة هنا ليس فيها ما يقتضي
ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام يجوز عليهم المعاصي لما عرفته من التاويل وكذلك
مثل ما ذكر في تمسك بعضهم بما لا يسلم تمسكهم به ما روي في الخبر الصحيح الذي رواه
الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه كما قاله السبكي والسيوطي رحمه الله من ان ملك الموت
الموكل بقبض الارواح واسمه عزرائيل كما ورد في بعض الاحاديث جاه اي موسى عليه هم
الصلاة والسلام كما ياتي غيره اذا امر به فلطم عينه اي ضرب وجهه بيده فوقعت
ضربته على عينه ففقاها اي اخرج حدقته التي بها يبصر وهو مهموز وقول العامة مفقوع
العين خطا في العين الحديث بالنصب اي اقرا الحديث الخ لانه اقتصر على محل الشاهد

منه الدال

منه الدال على انه لم يطع الملك الذي ارسله الله اليه ومثله بحسب الظاهر معصية
واجاب عنه المصنف بقوله ليس فيه اي في الحديث المذكور كما قالوه ما يحكم على موسى
عليه الصلاة والسلام بالتعدي على الملك ومخالفته فيما امره الله به وفعل ما لا يجب
له بالرفع والجر عطفا على ما او على التعدي وكان الظاهر ما لا يجوز له وعبر به لنكتة كامر
مثله ثم بين علة ما ذكره بقوله اذ هو ظاهر الامر اي لا خفا فيه بين الوجه اي نو
واضح جائز الفعل اي فعله جائز من مثله لان موسى عليه الصلاة والسلام دافع اسم
فاعل مرفوع او فعل ماض من الدفع فمنه عن نفسه من اتاه لاتلافها فهو من قبيل دفع الصائل المتعدي
عليه ومثله جائز شرعا وقد تصور الملك وظهر له في صورة آدمي لان الملائكة لطيفة
مجردة تتصور في اي صورة ارادت لاقدار الله لها على ذلك كما قال تعالى فتمثل لها بشرا سو[يا]
وكما كان جبريل ياتي رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي رضي الله عنه
وفي تطور الملائكة والجن في صور مختلفة كلام لاهل الاصول والحكما وتعرض له المحدثون
فان صورهم الاصلية عظيمة جدا فاذا ابرزوا بصورة اقل منها فهي صورهم تضامت وتصا[غرت]
كالقطن المنفوش اذا انضام وتصاغرت من غير ذهاب شي منه وهو الظاهر وللامام السهيلي
فيه تحقيق في بعض كتبه اذا افضت اليه النوبة اتينا به مفصلا ولا يمكن انه اي موسى
عليه الصلاة والسلام علم حينئذ اي في وقت ضربه له انه ملك الموت لظنه انه
آدمي نظرا لظاهر حاله وعبر بعدم الامكان مبالغة في نفي العلم بملكيته ومراده انه
لم يعلم بذلك فلا يرد عليه ما قيل انه قريب من عدم الامكان غايته انه ظاهر فيه مع احتما[ل]
غيره كما كانوا يتصورون للانبيا عليهم الصلاة والسلام فدافع عن نفسه من ادت
ادت الى ذهاب تلك الصورة التي تصور له اي لموسى عليه الصلاة والسلام فيها
الملك امتحانا من الله له مفعول لاجله تعليل لتصوره بغير صورته اي اختبارا له
لموسى حتى يصدر عنه ما يقتضي امورا فيها حكم خفية فلما جاءه بعد اي بعد ما جاءه
اولا ولطمه واعلمه الله اي اعلم الله موسى عليه الصلاة والسلام حين جاءه ثانيا
انه اي ملك الموت رسوله اي رسول الله من ملائكته ارسله الله اليه لا لامر يريده به
استسلم جواب لما اي انقاد له وسلم له فيما اراده بعد ما كان دفعه عنه اشد دفع
وهو استفعال من اسلم والقى قياده لغيره كالاستسلام قال تعالى يحكم بها النبيون الذين
اسلموا اي انقادوا للحق وللمتقدمين والمتاخرين على هذا الحديث اجوبة هذا
الجواب الذي قرر من انه عليه الصلاة والسلام لم يعلم انه ملك الموت امتحانا من الله
له اسدها عندي افعل تفضيل من السداد وهو القوة فيما اريد به كما قال الشاعر

اعلمه الرماية كل يوم • فلما استد ساعده رماني •

على رواية استد بسين مهملة اي قوي ورواية اشتد غير مقبولة عندهم كما بيناه
في شرح الدرة وهو تاويل شيخنا الامام ابي عبد الله المازري وهو الامام
الرحلة الفقيه المحدث البارع في سائر العلوم وهو مالكي المذهب واسمه ابو عبد الله
محمد بن عمر التميمي شارح المحصول وله شرح مسلم الذي بنى عليه المصنف شرحه المسمى
بالاكمال وله تاليف كثيرة مفيدة جليلة وهو منسوب الى مازر بفتح الزاي المعجمة
وكسرها وهي بلدة بجزيرة صقلية توفي في ثامن ربيع الاول من سنة ست وثلاثين وخمسمائة

جنبه

عن نفسه

يا

عزت في

لـ

وعمره ثلاث وثمانون سنة رحمه الله وقد تأولوا اي حمله قديما اي قبل شيخه المذكور ابن
عايشة وغيره وهو مما ارتضاه علما السلف على صكه ولطمه بالحجة وفقى عين حجته
اصل الصك واللطم الضرب بالراحة او بشي عريض وجا بمعنى مطلق الضرب لكنه كما
قال النووي في غاية البعد وان ساعده اللغة وابن عايشة هو عبيد الله محمد بن حفص
بن عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر القرشي التيمي البصري المعروف بالعيشي نسبة لعيشة
وهي لغة في عايشة او من تغييرات النسب لانه من ولد عايشة بنت طلحة بن عبيد الله هم
وهو احد العلما الاشراف المحدثين المحتشمين وهو ثقة روى عنه البغوي وخلق كثير
توفي سنة مايتين وثمان وعشرين فهو متقدم على المازري بزمان كثير فلذا قال المص
قديما وهو كلام استعمل في هذا الباب المراد به الزام الخصم الحجة بعد ابطال حجة
الخصم وما ارتضاه من الحجج في اللغة اي لغة العرب معروف في كلامهم مشهور يقولون
لطمه وصكه اذا غلبه في المحاجة وفقا عينه وعوّرها اذا افضحه بحجته والزمه
الزاما لا يمكنه الجواب عنه بوجه من الوجوه لكن صريح الحديث يأباه فان فيه ما يقتضي
انه على ظاهره فان البخاري روى عن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال ارسل الله
ملك الموت الى موسى عليه الصلاة والسلام فلما جاءه صكه ففقأ عينه فرجع الى ربه
وقال يا رب ارسلتني الى عبد لا يريد الموت فرد الله عينه وقال له ارجع وقل له يضع يده
على متن ثور وله بكل ما غطت يده من الشعر بكل شعرة سنة فقال موسى ثم ماذا قال
الموت فقال الآن وسأل ربه ان يدنيه من الارض المقدسة مقدار رمية حجر فقال صلى الله
عليه وسلم لو كنت ثمة لاريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر ونحوه في مسلم
وهو نيا في هذا التاويل وكون العين متخيلة لا حقيقة يقتضي ان ما يراه الانبيا عليهم
الصلاة والسلام من صور الملايكة لا حقيقة له وهو مذهب السالمية كما قاله القرطبي
مع انه لا يجدي نفعا وارتضى القرطبي الجواب بان الله تعالى كان اخبره بان لا يموت حتى يخيره
الله بين الموت والحياة فلما اتاه الملك بغتة ودخل عليه من غير استيذان شق عليه ذلك
وكان صلى الله عليه وسلم سريع الغضب ولذا لما رجع اليه وخيره بين الحياة والموت انقاد
له واستسلم قال وهو اصح الوجوه واما قصة سليمان عليه الصلاة والسلام وما
حكى فيه اهل التفسير من ذنبه اي مما تمسك به القايلون بتجويز صدور الذنوب من الانبيا
عليهم الصلاة والسلام وقوله عز وجل ولقد فتنا فليس من الفتنة المنهي عنها انما هي
بمعناها اللغوي كما تقدم فمعناه ابتليناه اي عاملناه معاملة من يختبر حتى يظهر
ما خفي امره على الناس وابتلاؤه المراد منه ما حكي عن النبي يعني به سليمان صلى الله
عليه وسلم انه اي سليمان قال لاطوفن الليلة على ماية امراة او تسع وتسعين
امراة كلهن في نكاحه وكان ذلك جايزا في شريعته وقال التلمساني يقال طوفن واطيفن
ثلاثيا ورباعيا من الطواف حول شي انتهى وهو كناية عن مجامعتهن بدليل قوله كلهن يأتين
اي تاتي كل واحدة منهن بحمل تحمله ثم تضعه بفارس اي راكب فرس يجاهد في سبيل
الله اي في طريقه التي يسلكها لقتال اعدا دينه وهو حديث صحيح روي في الصحيحين
وغيرهما من كتب الحديث وقوله الليلة منصوب على الظرفية ووقع اختلاف في عدد
النسا ففي البخاري ما ذكره المص من انهن ماية او تسع وتسعون على الشك وفي رواية

غيره سبعين بالموحدة وفي رواية تسعين فقط بالمثناة الفوقية وفي رواية للبخاري
ستون وفي رواية لوهب بن منبه كان لسليمان عليه الصلاة والسلام الف امراة
ثلثماية مهورة وغيرهن سراري وجمع بين الروايات بانه عد في بعضها المهورات والتي
السراريات وفي بعضها عد الكل على القول بانه لا مفهوم للعدد لا ينافي الاقل الاكثر
وان ضعف هذا القول فقال له صاحبه اي ملك كان معه او قرينه او رجل كان يصحبه
وقيل هو خاطره وهو بعيد وقيل هو آصف بن برخيا بفتح الموحدة وسكون الرا المهملة وكسر
الخا المعجمة ومثناة تحتية تليها الف قل ان شا الله فلا تجزم بما قلته وفوضه الى مشيئة
الله تبركا وتيمنا حتى يتم فلم يقل ذلك لما وقع في رواية انه نسي او لم يقله بلسانه اكتفاء
بما في قلبه او جزم به لانه تمنى قوة رجايه واعتماده على كرم ربه فنبه على انه ينبغي تفويض
التمني كغيره الى الله تعالى فليس في ترك المشيئة ذنب يعول عليه كما توهم لا سيما وهو لم يسمع بخبر
فلم تحمل منهن اي ممن طاف بهن الا امراة واحدة دون باقيهن والتي حملت منهن جات
بشق رجل اي بولد غير كامل كما سيأتي والشق بمعنى النصف او البعض قال النبي صلى الله
عليه وسلم عند ما ذكر هذا والذي نفسي اي روحي وحياتي بيده اي بقبضة قدرته
وتصرفه ان شا احياها واوجدها وان شاء اماتها واعدمها وهو قسم كان صلى الله عليه وسلم
كثيرا ما يقسم به لو قال سليمان عليه الصلاة والسلام ان شا الله جاوا فرسانا جاهدوا
في سبيل الله كما طلب وفي رواية فرسانا اجمعون وقول ان شا الله لا يستلزم الوقوع فقد
لا يتم ما قرن به كقول موسى للخضر عليهما الصلاة والسلام ستجدني ان شا الله صابرا
وهو مستحب ويتحلل به من اليمين وفي الحديث ما يدل على قوة الانبيا عليهم الصلاة والسلام
وقدرتهم على الجماع لكمال بنيتهم ورجوليتهم كما كان لنبينا صلى الله عليه وسلم فكان
يطوف على جميع نسايه في الليلة الواحدة كما تقدم قال اصحاب المعاني المراد بهم الذين
يفسرون الاحاديث ويتكلمون على معانيها المرادة بها الشق هو الجسد الذي القي على
كرسيه الذي كان يجلس عليه لاجرا احكام الملك فيه حين عرض عليه اي عرضته القا
عليه ثم القته على كرسيه وهي اي هذه القصة المذكورة عقوبته ومحنته بنون بعد
الحا المهملة المعبر عنها بالفتنة وقيل بل مات ولده فالقي على كرسيه ميتا وهو
الشق المذكور وقيل ولد له ولد تام فاجتمعت الشياطين وقالوا اذا عاش له ولد لم ينفك
من البلا والسخرة فقالوا نقتل ولده او نخبله فعلم بذلك سليمان فامر الريح ان تحمله على
السحاب خوفا من الشياطين فعاقبه الله بان القاه على كرسيه ميتا لخوفه من غير الله وهو
معنى قوله تعالى والقينا على كرسيه جسدا وقيل ذنبه حرصه على ذلك وتمنيه اي على
ان يرزقه الله ماية ولد يجاهدون في سبيل الله وليس مثله ذنبا حقيقيا كما توهموه
وقيل عد تمنيه ذنبا لانه لم يستثن اي لم يقل ان شا الله في كلامه ومثله يسمى استثناء
في اللغة لان حقيقته كما قال الراغب ايراد لفظ يقتضي رفع ما يوجبه عموم لفظ متقدم
او رفع حكمه لانه من الثني وهو الرجوع ومما يقتضي رفع ما يوجبه اللفظ قولك لا افعل
كذا ان شا الله انتهى فليس هذا مجازا ولا يختص بما قاله النحاة فانه اصطلاح حادث خلافا
لما يوهمه كلام بعض شراح الكتاب لما استغرق في الحرص هو استفعال من الغرق
وهو الرسوب في الما وشاع في الشمول وعموم الاوقات وغلب عليه من التمني للاولاد المجاهدين

هو ترك

وهو اشارة الى الاعتذار عن فعله وبيان لانه ليس ذنبا حقيقيا كما قيل وانما هو ترك
الاولى وقيل عقوبته ان سلب ملكه لانه صلى الله عليه وسلم غزا جزيرة واخذ بنتا لملكها
كانت في غاية الجمال فاحبها ورآها حزينة فسألها عن سبب حزنها فاخبرته بانه لمفارقة
ابيها فسألته ان يصوره لها الشياطين فصوروا لها صورته فالبسته لباسه وعممته
فكانت تذهب لها مع جواريها تسجد له فاخبره آصف بذلك فكسر صورته وندم على ما جوزه
لها فافترش رمادا يسجد عليه ويتضرع الى الله وكان له امرأة من نسائه يضع خاتم ملكه عندها
اذا دخل الخلاء او اراد الغسل من جنابته حتى يلبسه على طهارة كاملة وكان ملكه في خاتمه
فتمثل لها شيطان يسمى صخرا بصورته واخذ الخاتم منها وجلس بصنيعه على الكرسي اربعين
يوما عدد ما عبد الصنم في بيته وتغيرت هيأته حتى انكره الناس ثم وقع الخاتم في البحر
فابتلعته سمكة فاصطادها سليمان عليه الصلاة والسلام فوجد الخاتم فيها فتختم به
وعاد له ملكه وحبس صخرا والقاه في البحر فهو محبوس فيه الى الآن في صندوق من حديد
وذنبه انه احب ان يكون الحق لاختانه على خصمهم جمع ختن بزنة جبل وهو الصهر
او كل من يكون من قبل المرأة كالاب والاخ وذلك كما قيل انه كانت له امرأة يقال لها جرادة
وكان معرضا بحبها فقالت له ان فلانا من اهلي له حق عند آخر وانا احب ان تحكم له
اذا جاءك فاجابها صلى الله عليه وسلم لذلك ولكنه لم يفعل فعاقبه الله على مجرد الميل فكان
ما كان من وضع خاتمه عندها واخذ الشيطان له كما سمعته آنفا وقيل اوخذ بذنب
قارفه بعض نسائه هو ما تقدم من تصويرها صورة ابيها واتخاذها له تعبده في داره
وهو صلى الله عليه وسلم لا يعلم حتى اخبره به آصف كما تقدم فليس ذنبا له في الحقيقة
واصل معنى الاخذ حوز الشيء فيتجوز به عن المجازاة وهو المراد هنا قال تع ولو يؤاخذ الله
الناس بظلمهم يقال اخذه وآخذه وواخذه لغة غير فصيحة ولذا اوخذ في بعض النسخ
اخذ واوخذ وأخذ وقارفه بمعنى اكتسبه وفعله واصل القرف والاقتراف قشر
اللحاء عن الشجرة والجلدة عن الجرح فاستعير لما ذكر ولا يصح بحسب الرواية ما قال
الاخباريون اي اصحاب القصص والتواريخ وتقدم ان النسبة للجمع على خلاف القياس
او هو كالانصاري كما تقدم لاختصاصه ببعض انواعه من تشبه الشيطان به اي تمثله
بصورته حتى اخذ خاتم ملكه من امرأته وجلس على كرسي ملكه يحكم وانكروا سليمان لتغير
هيئته وفي بعض النسخ من خرافاتهم على فعله من تشبه الخ وهو بضم الخاء المعجمة وفتح الراء
المخففة وفي كشف الكشاف عن الزمخشري انه سمع فيه خرافات بالتشديد وجمع على خرائف
ولم يسمعه من غيره فالعهدة عليه وتسلطه على ملكه وسلطنته بالتصرف في امته
بالجور في حكمه وظلمهم قال السيوطي ما قال المص انه من خرافات الاخباريين اخرجه
ابن ابي حاتم بسند صحيح عن ابن عباس موقوفا لكنه ماخوذ من الاسرائيليات كما بينته في
التفسير انتهى وفيه نظر لان كلامه ينافي آخره وخرافات جمع خرافة وهي الكذب كما في
القاموس واصله اسم رجل من عذرة خطفته الجن فلما تخلص منهم كان يحدث عنهم بعجائب
رآها منهم ثم قيل لكل مستملح وامر غريب خرافة وضرب به ابن الزبعرى مثلا للبعث فقال

حياة ثم موت ثم نشر * حديث خرافة يا ام عمرو *

وقوله لان الشياطين لا يسلطون على هذا اي لا يقدرهم الله عليه لعصمته تعالى

لانبيائه

لانبيائه منهم كما قال فقد عصم الانبياء صونا لهم عن مثله ولانه مناف لامر الرسالة فان
سئل اي سأل احد من الناس لاشكاله عليه فقال لم لم يقل سليمان عليه الصلاة والسلام
في القصة المذكورة حين تمنى الاولاد المجاهدين ان شاء الله فمنه للعلماء اجوبة جمع
جواب كغراب واغربة وفي المصباح يقال في جمع الجواب اجوبة وجوابات الا ان ابن
الجوزي نقل في غلط العوام عن العسكري ان العامة تقول في جمع الجواب جوابات
واجوبة وهو خطأ مثل الذهاب مصدر وقال سيبويه قولهم جوابات واجوبة مولد انتهى
فليحرر فان صاحب المصباح ثقة فلعله سمع نادرا ولم يقف عليه سيبويه وفي نسخ جوا
احدها الخ وهو الصواب لانه لم يذكر غير جوابين كما اشار لذلك بقوله اشدها ما روي
في الحديث الصحيح انه نسي ان يقولها وذلك لحكمة اراده الله وانه نسي لينفذ
امر الله تعالى وفي نسخة مراد الله في ارادته لعدم وقوع ما تمناه امتحانا له لينتبه على
الاولى به صلى الله عليه وسلم والجواب الثاني انه لم يسمع صاحبه الذي قال له قل ان
شاء الله تع وشغل عنه بامر شغله او لسرعة توجهه الى الله وقوة رجائه فيه الا انه قيل عليه
ان ترك المشيئة ليست معصية حتى يحتاج لمثل هذا فكان المص ذهب الى ان النهي في
ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله نهي تحريم انتهى ولم نر من ذهب لهذا
حتى يتبعه المص ولا حاجة له فانه خلاف الظاهر لا سيما للانبياء الذين تقتضي مقاماتهم
تفويض جميع امورهم لله تع ولذا تاخر الوحي عن النبي صلى الله عليه وسلم اذ لم يقله وقوله
اي سليمان عليه الصلاة والسلام وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي قيل انه جواب
سؤال تقديره انك قلت ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من سائر الذنوب
ومنهم سليمان عليه الصلاة والسلام فكيف هذا مع ما سأله من الله ان يؤتيه ملكا لا يكون
لغيره وهذا يقتضي حبه للدنيا لتفرده بملك عظيم لا يتيسر لغيره وفيه حرص وحسد لا
يليق بزهد الانبياء في الدنيا وعدم رغبتهم فيها فاجاب عنه بانه لم يفعل سليمان هذا
اي طلبه لما ذكر غيرة بفتح الغين وتكسر في الغيبة والغيرة محبة امر يأبى ان يكون لغيره
على الدنيا اي على امور الدنيا كالمال والملك ولا نفاسة بها اي عدها نفيسة عظيمة
يضن بها عن الغير هذا مراده وقال الراغب المنافسة مجاهدة النفس للتشبه بالافاضل
واللحوق بهم من غير ادخال ضرر على غيره قال تع وفي ذلك فليتنافس المتنافسون انتهى وهو
هنا من نفس بكذا اذا رغب فيه وبخل به على غيره لا ما ذكره الراغب ولكن مقصده في ذلك
اي في سؤاله ما ذكر على ما ذكره المفسرون في معنى هذه الآية ان لا يسلط عليه بالبناء للمجهول
وقوله احد نائب الفاعل اي ان لا يسلط الله عليه وتسليطه عليه بان يمكنه من غلبته عليه ح
كما سلط عليه الشيطان وهو صخر كما بيناه الذي سلبه اياه اي ملكه وعاد عليه لتقدم ذكره
مدة امتحانه اي في مدة ابتلاء الله له بتسليط الشيطان لما اخذ خاتمه عليه الصلاة والسلام
من زوجته وظهر بصورته وتصرف في ملكه حتى انكر الناس سليمان عليه الصلاة والسلام
الى ان وجد خاتمه في بطن سمكة اصطادها كما مر لان الله لم يسلطه على زوجاته صلى الله عليه
وسلم كما حكوه تطهيرا لحرمه على قول من قال ذلك من اهل القصص والسير وقد علمت انهم
اخذوه من الاسرائيليات المنقولة عن اهل الكتاب وفي صحتها كلام للمحدثين وقيل في توجيه
ما طلب سليمان بل اراد بقوله هب لي ملكا الخ ان يكون له من الله فضيلة يفضل بها اهل زمانه

بان

ب

وخاصة يختص بها من دون سائر رسل الله وانبيائه ويؤيده ما روي عن نبينا صلى الله عليه وسلم من انه جاءه شيطان وهو يصلي اراد ان يقطع صلاته فاراد صلى الله عليه وسلم ان يمسكه ويربطه بسارية من سواري المسجد حتى يصبح ويراه الناس ثم تركه وقال ذكرت قول اخي سليمان هب لي ملكا الخ فهذا يقتضي انه خاصية له خصه الله بها ولذا قال بعض الشراح هنا لا ينبغي لمصنف ان يمرض هذا ويحكيه بقيل كاختصاص غيره من انبياء الله ورسله بخواص منه اي من الله خصه بها دون غيره وهذا لا ينافي الافضلية لانه قد يكون في المفضول ما ليس في الفاضل وقيل انما طلب هذا ليكون دليلا وحجة على نبوته لا رغبة في الدنيا ومنافسة فيها كالانة الحديد لابيه اي جعله لينا كالعجين يصنع منه الزرد ليستعين به على الجهاد واحياء الموتى لعيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام واختصاص محمد صلى الله عليه وسلم بالشفاعة يوم القيمة كما تقدم ونحو هذا من خصائص انبياء الله ورسله التي اكرمهم الله بها وجعلها معجزة دالة على نبوتهم وقد تقرر انه لم يكن لنبي من الانبياء معجزة وخاصة الا ولنبينا صلى الله عليه وسلم مثلها واعظم منها كما فصل في الخصائص وقد افردت بالتدوين واجل ما الف فيها خصائص الامام الخيضري وفي شرح المواقف طلب سليمان لملك لا ينبغي لغيره لم يكن حسدا منه وضنة بالملك بل لان كل نبي كان له ما يفتخر به اهل زمانه وكانوا جبابرة يفتخرون بالملك وكثرة الجند والمال وقوة الاعوان فاراد صلى الله عليه وسلم ان يكون له مثل ذلك ما لا يقدر عليه غيره فملكه الله ملكا عظيما ولم يجعله شاغلا له عن زهده وعبادته ليعلم الناس ان زخارف الدنيا لا تلهي خلص عباده عن خدمته ولذا قدم الاستغفار على طلبه فقال رب اغفر لي وهب لي ملكا الخ وليكون ادعى للاجابة واما قصة نوح عليه الصلاة والسلام وما فيها ما يقتضي انه شك في وعد الله بقوله انا منجوك الخ بحسب الظاهر معصية ولم يذكر قصص الانبياء مرتبة بحسب زمان الوقوع لا راعى فيها ما هو اظهر حجة لمن جوز على انبياء الله وقوع الذنوب منهم فلا يرد عليه انه كان الاحسن ان يذكرها مرتبة فيثني بقصة آدم ثم نوح ثم وثم الى آخر القصص وظاهره اي ظاهر كلامه وما حكاه الله عنه وذكر الضمير لتاويله بما ذكر العذر اي الاعتذار عن سؤال ما ليس له به علم لا الشك في وعد من لا يخلف الميعاد كما ياتي وانه اخذ اي تمسك فيها اي في قصته بالتاويل اي تاويل ما وعد به بان ينجي الله باهله ما يشمل ابنه وظاهر اللفظ بالجر عطفا على التاويل اي اخذ بظاهر لفظه بقوله انا منجوك واهلك متعلق باللفظ الا انه قيل عليه انه سهو لان ما ذكروه في قصة لوط في سورة العنكبوت والذي في قصة نوح قوله قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الآية وكونه حكاية بالمعنى يأباه انه متمسك بلفظه وان ساواه في لفظ الاهل ولذا رايته ضرب عليه في بعض النسخ فطلب مقتضى هذا اللفظ اي لفظ الاهل من غير نظر لحقيقته فقال ان ابني من اهلي وان وعدك الحق واراد بطلبه ذلك علم ما طوي عنه اي اخفي عن علمه فهو استعارة من الشيء المطوي عليه لفائدة تخفيه قبل ان يظهر ما في داخلها من ذلك الامر اي امر ابنه ومخالفته في ركوب السفينة لا ينافيه كما توهم لا انه اي نوح عليه الصلاة والسلام شك في وعد الله له بنجاة اهله فبين الله تعالى عليه بين لا يتعدى بعلى فكانه ضمنه معنى نبه او بني

أو هو تحريف

او هو تحريف من الناسخ انه ليس من اهله الذين وعده الله بنجاتهم فيه ما تقدم فتذكره لكفره وعمله الذي هو غير صالح فانه مثله قاطع للقرابة العربية ولذا امتنع الارث بالكفر واختلاف الملل وقيل سلمان اهل البيت وقد اعلمه الله انه يغرق الذين ظلموا بقوله ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون والظلم اطلق على الكفر في القرآن كما قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم ونهاه عن مخاطبته فيهم اي شفاعته لهم وتكلمه في شانهم بالآية المذكورة وهو اشارة الى ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا يسالون من الله شيئا بغير اذن لهم في الكلام فاخذ وابطل التاويل اي جازاهم الله واخذهم بتاويلهم الا اهل الموعود بنجاتهم كما قال تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم وعتب عليه اي عاتبه الله على مخاطبته له بقوله تعالى اني اعظك ان تكون من الجاهلين فنسبة الجهل زجر له وشأن الله ان يخاطب خلص عباده بما اراد لانه حين وعده بنجاة اهله استثنى من سبق عليه القول من الناجين لا سيما وابنه كان بمعزل منه ففي دلالة الحال ما يغني عن السؤال بسواله من ربه ما لم يؤذن له في السؤال فيه حيث لا يتكلم الا من اذن له ثم بين عذره بقوله وكان نوح عليه الصلاة والسلام في ما حكاه النقاش في تفسيره وهو محمد بن الحسن الموصلي كما تقدم في ترجمته لا يعلم بكفر ابنه ولو علم ذلك لم يرج من الله نجاته وقطع رحمه منه وقيل في الآية غير هذا التوجيه مما يقتضي تبرئة مقام النبوة مما لا يليق بها وقيل انه لم يكن ابنه وانما كان ابن امرأته وقد قرئ في الشواذ ونادى نوح ابنها والقول بانه ولد على فراشه ولم يكن ابنه وكان لغير رشدة مردود بان فراش الانبياء منزه عن مثله واما قوله فخانتاهما فالمراد به خيانة الدين والميل لاعدائه والا فلا يجوز ان تمس زوجات الانبياء بشيء من ذلك بالاتفاق وكل هذا المذكور في قصة نوح عليه الصلاة والسلام والآية المتلوة فيها لا يقضي اي لا يحكم ويلزم الحكم على نوح عليه الصلاة والسلام بمعصية صدرت منه سوى ما ذكرناه من تأويله لما وعد به واقدامه بالسؤال فيما لم يؤذن له في السؤال فيه ولا نهي عنه صريحا لانه لم يتحقق دخوله في الذين ظلموا اذ لو كان كذلك كان معصية وما روي في الصحيح كما رواه الشيخان عن ابي هريرة ان نبيا قرصته نملة اي عضته نملة وفي رواية للبخاري لدغته نملة بدال مهملة وغين معجمة والقرص مخصوص ببعض صغار الحشرات كالنمل والبرغوث ولذا قالوا قولهم الكلوب في البراغيث مجاز ولذا عبر عنه بضمير العقلاء وهذا النبي قال الطبري والحكيم الترمذي انه موسى عليه الصلاة والسلام وقال المنذري انه عزير وقال البرهان ان في ابي داود مرفوعا لا ادري اعزير نبي ام لا وصححه الحاكم في مستدركه عن ابي هريرة ولكن ثبت انه نبي فكان الله اطلعه بعد ذلك على نبوته فحرق قرية النمل القرية محل يجتمع فيه بيوت الناس ولا يطلق على مقر غيره من الدواب وغيرها قرية الا مجمع النمل لان اصله محل الاجتماع مطلقا من قرى الماء في الحوض اذا جمعه فهو حقيقة لغوية او مجاز مشهور وفي كتب اللغة تفرقة بين المساكن فقالوا يقال المقر للانسان وطن وبلد ومقر الابل عطن وللاسد عرين وغابة وللظبا كناس وللذئب والضبع وجار وللطاير والزنبور عش ووكر وللبربوع والنمل قرية فهو على هذا حقيقة فاوحى الله اليه احرقت امة من الامم الامة طائفة وجماعة من جنس واحد من المخلوقات ففيه اشارة الى ان هذا النبي صدرت منه معصية

ص

ين

طبته

ته

هم

فعنه دليل لمن جوز على الانبيا صدور المعاصي منهم لمعاتبة الله له في ذلك وقوله تسبح
باذ لسبب النهي عما فعله لانه ما من شي الا يسبح بحمده وفي قتله قطع لعبادته وايضا فانه
لا يجوز الاحراق للحيوان لما ورد من انه لا يعذب بالنار الا خالقها وقيل انما عاتبه لانه
اهلك من اذاه وغيره لما في بعض الروايات هلا نملة واحدة وسبب هذه القصة ان
موسى عليه الصلاة والسلام مر على قرية اهلك الله اهلها بذنب لهم فقال يا رب اهلكتهم
وفيهم صبيان ودواب لم تذنب وفيهم الطايع فاراد الله تع ان ينبهه على ما خطر بباله فاشتد
عليه الحر ونزل تحت شجرة نام في ظلها فسلط الله عليه نملة كبيرة من النمل الذي يقال له نمل
سليماني وغيره يسمى ذرا ففعل بها ما فعل فاوحى الله اليه بما ظاهره العتاب ارشادا له صلى
الله عليه وسلم وقد قالوا انه كان جايزا في شرعه وقد قالوا يجوز قتل كل موذ من ذوي الروح
اما بالنار فلا يجوز الا قصاصا لمن احرق بها انسانا فليس فيما فعله معصية ولذا قال المصنف
فليس في هذا الحديث ما يقتضي ويدل **على انه اتى معصية** وفي نسخة على ان هذا
الذي اتى به معصية ومعصية خبر ان وعايد الذي محذوف اي اتاه معصية **بل فعل ما**
راه اي علمه واعتقده **صوابا بقتل من يوذي جنسه** اي بني آدم وقد قال الفقها
ان قتل النمل جايز لاذيته وعبر بمن لصدور فعل منه يشبه فعل العقلا كقوله والشمس
والقمر رايتهم لي ساجدين **ويمنع المنفعة** اي الانتفاع **بما اباح الله تعالى** كالاستظلال
بهذه الشجرة وافساد ما ادخر من الاطعمة واوضحه بقوله **الا ترى** اي تعلم او تحقق
ما هو كالمرئي المشاهد **ان هذا النبي** المتقدم وصح القرطبي انه موسى كما تقدم **كان نازلا**
تحت الشجرة لينتفع بظلها والنوم فيه **فلما اذته النملة** بقرصها والتا للوحدة فيشمل
المذكر والمونث **تحول برحله** من تحت تلك الشجرة **عنها** اي عن الشجرة ورحل الرجل متاعه
الذي ياوي اليه وما يوضع على ظهر الدابة ليحمل عليه **مخافة تكرار الاذى عليه** من جنسها
وليس فيما اوحى الله اليه ما يوجب اي يقتضي ويستلزم **عليه معصية** صدرت منه
بل ندبه الى احتمال الصبر على ما يوذيه اي حثه وحرضه من قولهم ندبه الى كذا اذا
دعاه اليه **وترك التشفي** تفعل من الشفا وهو الانتقام مما يشفي غيظه ويبرد صدره
كما قال الله تعالى في مدح الصبر وانه مما يحث عليه **ولئن صبرتم لهو خير للصابرين** نزلت
في غزوة احد وقتل حمزة رضي الله تع عنه وقد مثل به وحزن لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما فصل في السير **اذ ظاهر فعله** اي هذا النبي **انما كان لاجل انها** اي النملة **اذته هو في**
خاصته دون غيره ممن نزل معه **فكان** فعله هذا **انتقاما لنفسه** دون غيره **وقطع**
مضرة يتوقعها في المستقبل **من بقية النمل هناك** بان لو وجد احراق جميع النمل غير الموذية
له **ولم يات** اي لم يفعل ذلك النبي **في كل هذا امرا** مفعوله ولو وقع جان **نهي عنه** بل جايز
كما مر وقوله **فيعصي به** بالنصب في جواب النفي **ولا نص فيما اوحى الله اليه بذلك**
اي بانه اتى بمعصية **ولا بالتوبة** من ذنب اتاه **والاستغفار منه** اي طلب مغفرته
لذنب اتاه قيل انما قال اذ ظاهر فعله لانه في الحقيقة انما وقع له ذلك لوما على ما قاله
في القرية التي اهلكها الله اقول هذا على تقدير تسليمه لا ينافي المقصود من انه لا معصية
في هذه القصة وما حكاه ايضا لا ذنب فيه لانه انما سال الله عن ذلك ليبين له حكمة ما فعله
فان قيل فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم في حديث **ما من احد الا الم بذنب او كاد**

الا يحيى بن زكريا الخ وهذا الحديث رواه الامام احمد عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا
بلفظ ما من احد الا وقد اخطا او هم بخطيئة وسنده ضعيف واخرجه البزار عن ابن
عمر مرفوعا كما قاله السيوطي في مناهل الصفا اقول ومتابعته تقويه في الجملة فلا
عبرة بمن انكره وروى الثعالبي ايضا عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول كل بني آدم يلقى الله عز وجل بذنب فيعذبه او يرحمه الا يحيى بن زكريا
فانه كان سيدا وحصورا ونبيا من الصالحين ثم اهوى صلى الله عليه وسلم الى قذاة من الارض
اخذها بيده وقال كان ذكره مثل هذه وقال قتادة وغيره ان الله احيا قلبه بالطاعة
والنبوة حتى لم يعص ولم يهم بمعصية وهو غير مناف لما رواه الثعالبي وحاصل ما هنا ان
هذا الحديث يخالف ما مر من عصمة الانبيا ولا يلايم ما استدل به المخالفون في ذلك ومعنى
الم انه وقع منه ذلك قليلا وكاد بمعنى قرب منه فهو بمعنى اهم في الرواية الاخرى وقوله
او كما قال صلى الله عليه وسلم اشارة الى انه وقع فيه روايات مختلفة كما اشرنا اليه **فالجواب**
عنه اي عما وقع في هذا الحديث انه **كما تقدم من ذنوب الانبيا التي وقعت من غير قصد**
منهم وعن سهو وعن غفلة منهم ومثله لا يواخذ به ولا يلزم منه تفضيله على من عداه
من الانبيا عليهم الصلاة والسلام وانما وقع هذا في بعض النسخ وسقط من بعضها

فصل

معقود لدفع شبه نشات مما قدمه **فاذا نفيت عنهم** اي عن الانبيا صلوات الله وسلامه
عليهم اجمعين **الذنوب والمعاصي** عطف تفسير او هو من عطف السبب على مسببه
لان الذنب الاثم المترتب على المعصية بمخالفة امر الله **بما ذكرته** في الفصل الذي قبل هذا
من اختلاف المفسرين في توجيه ما صدر عنهم **وتاويل المحققين** لما هو معصية بحسب
الظاهر **فما معنى قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى** وضل بحسب معصيته **وما معنى**
ما تكرر في قصص الانبيا الواردة **في القران والحديث من اعتراف الانبيا بذنوبهم** كما
تقدم من نحو قولهم ربنا ظلمنا انفسنا **وتوبتهم واستغفارهم** كقول موسى رب اني ظلمت نفسي
فاغفر لي **وبكايهم على ما سلف منهم** كما روي عن داود عليه الصلاة والسلام انه بكى حتى
بلت دموعه الارض **واشفاقهم** اي خوفهم من الله **وهل يشفق** ويخاف **ويتاب** بالبنا للمجهول
ويستغفر من لا شي اي من غير شي صدر يخشى منه حتى يفعل ما ذكر **فاعلم** ايها السايل
وفقنا الله واياك جملة دعايية معترضة **ان درجة الانبيا** عليهم الصلاة والسلام
والدرجة في الاصل ما يصعد به لمكان عال ويراد به المنزلة الرفيعة لنفسها وهو المراد
به هنا **في الرفعة** اي علو مقامها حسا ومعنى **والعلو** عطف تفسير **والمعرفة بالله**
فانهم اعرف به من غيرهم **وسنته في عباده** مجرور معطوف على ما قبله اي معرفتهم بعادة
الله في معاملة عباده **وعظم سلطانه وقوة بطشه** اي اخذه القوي الشديد اذا اخذ كل جبار عنيد
بما يحملهم اي يلجيهم بما يقتضيه اقتضاء تاما **على الخوف منه** فان من كان اعرف بالله كان
اشد خوفا منه **جل جلاله** هذا في موقعه مناسب غاية المناسبة اي عظمت عظمته وهو
مبالغة في وصفه بالعظمة في ذاته وصفاته والجليل من اسمايه تع ابلغ من الكبير والعظيم
لانه كمال الذات والصفات واسناده مجازي كجد جده وفيه مبالغة قررت في المعاني
والاشفاق اي الخوف **من المواخذة بما لا يواخذ به غيرهم** فانهم لعلو مقامهم عند الله تع

في سخطه ورضاه
وعظيم سلطانه
اي علو شانه وانه
القاهر فوق عباده
صح

ورفعة شانهم لانبيا مجهم عما يسامح به غيرهم لانهم اجل من ان يتهم ويوا في شي من الاشيا ولهذا
فيه فخوفهم من الله اقوي من خوف غيرهم لانه خوف اجلال **وانهم في تقصيرهم** بافعالهم
الصادرة منهم **بامور لم ينهوا عنها ولا امروا بها** لانها امور مباحة جايزة **وعوتبوا بسببها**
او حذروا اي خوفوا **من المواخذة بها** اي ان يجازيهم الله عليها كاخذه صلي الله عليه وسلم
الفدية من اسري بدر واذنه لمن تخلف عن الغزو كما تقدم وهو امر جايز لكنه ترك فيه الاولي
نظرا لما فيه من الفايدة العايدة للمسلمين والتيسير على الامة **او اتوها** اي فعلوها **علي**
وجه التاويل لما ورد فيه من نص قبل حمل علي محمل غير ما اريد به او علي اقتضاه ومثله يوجر فيه
ولا يعد ذنبا **او السهو** اي او فعلوها علي وجه وقع منهم كسهو منهم ومثله معفو عنه غير مواخذ
به غيرهم كما تقدم بيانه **او تزيد من امور الدنيا المباحة** لهم ولغيرهم كطلب سليمان
عليه الصلاة والسلام ان يحمل جميع نسائه بفرسان يجاهد في سبيل الله كما تقدم فهو
طلب زيادة مباحة ولا ضرر فيه **خائفون وجلون** هو خبر ان في قوله انهم في تقصيرهم
وما بينهما اعتراض والوجل الخوف والاحسن تفسيره هنا بمضطربين ليكون افيد **وهي** اي
الامور المباحة المذكورة **ذنوب بالاضافة الي علي منصبهم** اي بالنسبة لهم وان
كانت مباحة في اصلها فالمراد بالمنصب مقامهم العلي وليس المنصب هنا بمعناه المتعارف
وقد تقدم بيانه **ومعاص بالنسبة الي كمال طاعتهم** لربهم ومراقبتهم له **لا انها** ذنوب
حقيقة **كذنوب غيرهم** من امتهم ثم بين مناسبة لاطلاقها بحسب الاشتقاق فقال
فان الذنب في اصله ووضع مادته **ماخوذ من الشي الدني** اي الخسيس **الرذل** اي
الردي المحتقر والاخذ الاشتقاق البعيد وهو معنى قولهم دايرة الاخذ اوسع من دايرة
الاشتقاق **ومنه ذنب كل شي آخره** الذنب بفتحتين معروف **واذناب الناس رذالهم**
بضم الراء وهو جمع علي فعال جاء في كلمات معدودة اي اراذلهم ومنه ارذل العمر لآخره
فكان هذه ادني افعالهم اي احقرها واخسها وكان للتشبيه وفي نسخة وكانت هذه
اي الامور التي تصدر منهم **واسوا ما يجري** ويقع **من احوالهم** لجلالة قدرهم ونزاهة
خلقهم وعصمتهم عن سفساف الامور وان حماهم الله عن كل سوء في ذاتهم وصفاتهم **لتطهيرهم**
وتنزيههم عما لا يليق بهم **وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح** في السر والعلانية
والكلم الطيب الذي شغل به السنتهم وجميع اقوالهم من التكلم بالخير والتسبيح والتهليل
وحمد الله **والذكر الظاهر** اي ذكر الله جهرا **او الخفي** بذكر سرا وجعله دايما مراقبا ملاحظا
في قلوبهم **والخشية** هي الخوف مع الاجلال والتعظيم **لله تعالى واعظامه** حق تعظيمه
وقدره حق قدره **في السر والعلانية** بالتخفيف مصدر كصلاحيه وهي مقابل السر
بمعني الخفي من الاعلان لمن كان هذا حاله اذا اشتغل بما لا يعنيه من المباحات كان سيئة
بالنسبة لمقامه وما طبع عليه **واما غيرهم** من غير الخواص فهو انما **يتلوث** اي يتدنس
يقال تلوث بالدم اذا تلطخ به ويقال به لوثة من جنون قال

وابعد علي ما في من عن تعنيتني • ولوثة اعرابي لا ديب •

من الكباير اي كباير الذنوب وقد تقدم بيانها **والقبايح** اي ما يقبح شرعا من الذنوب
كبايرها وصغايرها **والفواحش** وهو ما ازداد قبحه وقد يراد بالفاحشة الزنا ونحوه
وهو اطناب هنا لانه بمعني الكباير **ما يكون بالاضافة** اي بالنسبة والقياس **اليه**

صوابه تعنيتني

وفي نسخة

وفي نسخة الي **هذه** الامور التي صدرت من الانبيا وما هذه موصولة وقعت بدلا من مجرور
من اي غير الانبيا يتلوث من امور هي بالاضافة لما عد ذنبا منهم كالحسنة لغيرهم كما قال
المتنبي • انا في زمن ترك القبيح به • من اكثر الناس احسان واجمال •
فلا وجه لما قيل ان حقه ان يقول بما يكون بالباء الجارة كما وقع في بعض النسخ او يقول يلوث
باسقاط التاء حتى يتعدي بنفسه **الهنات** جمع هنة وهي خصلة السوء **في حقه** اي اذا ق
بها غير النبي وقيلت في حقه **كالحسنات** بالنسبة لقبايحه وقال كالحسنات لان منها ما هو
مباح ومكروه كراهة تنزيه وجعلها حسنة لا خفاء فيه وما قيل انه لم يعهد ان يكون شي واحد
ذنبا في حق شخص وغير ذنب في حق آخر في شريعتنا ليس بشي بل مثله كثير فكم من شي وجب على
الانبيا وعلى الخلفاء والحكام وهو لا يجب علي غيرهم واجاد في التعبير بالهنات لانها بفتح الهاء
والنون وآلف وتا والهنة في الاصل مطلق الخصلة ثم خصت بخصلة السوء قال في الاساس
بيننا هناة وهنوات وهنيات خصال سوء قال لبيد •

اكرمت عرضي ان ينال بنجوة • ان البري من الهنات سعيد •

وما في بعض النسخ من الهيات جمع هيئة بيا ساكنة وهمزة تحريف من الناسخ **كما قيل حسنات**
الابرار هم اتقياء الامة **سيات المقربين** الي الله وهم الانبيا عليهم الصلاة والسلام وخلص
الاوليا وليس هذا بحديث وانما هو من كلام ابي سعيد الخراز من كبار مشايخ الصوفية **اي يرون**
ويعتقدونها **بالاضافة الي علي احوالهم كالسيات** وان لم تكن سيئة حقيقة فجعلها
سيات وحسنات مبالغة ومجاز **وكذلك** اي مثل ما ذكر في معني الذنب وكونه يكون بالنسبة
لمن اتصف به **العصيان** الذي اتصف به بعض المقربين كما في قوله وعصى آدم ربه
لغوي معناه في اللغة **الترك والمخالفة** لامره سواء كان واجبا ام لا **فعلي مقتضي هذه**
اللفظة بحسب معناها التي وضعت له **كيف ما كانت** اي حالة وقعت **من سهو او تاويل**
لامر الذي امر به **فهي تسمى مخالفة وترك** وان لم تكن معصية شرعية مذمومة عقلا وشرعا
لانها مغفورة معفوة غير مواخذ بها كل احد فليس كل عاص آثم وترك الطاعة اعم من فعل المعصية
وهو سوال مقدر ان قلتم بعصمة الانبيا وقد وصف الله بعضهم بانه عصاه وجوابه ظاهر
وقيل هذا مبني علي ان فعل الساهي حرام ومعصية لكنها مغفورة وهو مذهب لبعضهم وقيل
فعله لا يوصف بشي من الاحكام كفعل المكره والكلام عليه مفصل في كتب الاصول وقوله
ثم في حق آدم عليه الصلاة والسلام فغوي والغي الضلال والمعصية فاطلاقه يقتضي
خلاف ما قررتم من عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام **اي جهل ان تلك الشجرة هي**
التي نهي عنها والغي معناه في اللغة **الجهل** وهذا معناه حقيقة ولغة ولو قال لم يعرف
كان احسن واليق بالادب **وقيل** معناه **اخطا ما طلب من الخلود** بدوام البقا كما ذكر في الاية
اذ اكلها وخابت امنيته بضم الهمزة وتشديد اليا اذ لم يصل لما اراده وهي ما يتمناه
وجمعها اماني بالتشديد والتخفيف وفسره اهل اللغة بالضلال والجهل والخطا بمعني
آخر وهو تفسير بلازم معناه وقال ابن الاعرابي معني غوي فسد عليه عيشه بتغير حاله وقد
قيل عليه ان ترتيبه بالفاء بقوله عصى آدم ربه فغوي ينافي تفسيره بالخطا والجهل
الا ان يكون كان في شريعته غير معفو عنه ثم نسخ وفيه نظر لانه اذا فسر بمعناه اللغوي
كما قرره المصنف لا يرد عليه ما ذكر علي انه قصد به التهديد والتشديد باعتبار السابقة

الناشي عنها ثم استشهد لما قاله بقصة يوسف عليه الصلاة والسلام فقال
وهذا يوسف جملة كانه مشاهد لاشتهار قصته قد اوخذ اي عوتب وجوزي بقوله
لصاحب السجن اي لصاحبه في السجن الذي ظن انه ناج فاضافته لادنى ملابسة
وفي نسخة لاحد صاحبي السجن اذكرني عند ربك اي صف لي وصفي واخبره بحالي
فيخلصني من هذه الورطة والمراد بربه الملك والقضية غنية عن البيان فانساه الشيطان
ذكر ربه المصدر مضاف لمفعوله الثاني اي انساه ذكر يوسف لسيده فلبث في السجن
بضع سنين البضع ما فوق الثلاث الى السبع او التسع او العشرة وقيل معناه ان الشيطان
انسى يوسف عليه الصلاة والسلام ان يذكر الله فابتغى الفرج من غيره ثم غفلة منه واشار
الى ذلك بقوله قيل انسي يوسف ذكر الله تعالى فالمراد بربه الله والضمير ليوسف
عليه الصلاة والسلام وقيل انسي صاحبه الذي كان معه في السجن وقال له اذكرني
عند ربك ان يذكره لسيده وهو الملك اي انسى الشيطان الساقي ان يذكر يوسف
للملك قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابن جرير والطبراني عن ابن عباس
وابن مردويه عن ابي هريرة وابو الشيخ عن ابي الحسن مرسلا وكذا عن عكرمة وهو حديث ضعيف
لولا كلمة يوسف اي قوله لصاحبه في السجن اذكرني عند ربك وطلبه من غير الله للفرج
ما لبث اي مكث وما نافية في السجن ما لبث اي مدة لبثه فما مصدرية زمانية وقال
مالك بن دينار ابو يحيى البصري احد الاعلام الزهاد الثقة اخرج له الاربعة والبخاري
تعليقا وتوفي سنة مائة واثنين وثلاثين واسمه محمد بن ابراهيم وله ترجمة في الميزان وهذا
رواه الامام البغوي عنه في تفسيره واخرجه ابن ابي حاتم عن انس مرفوعا لما قال ذلك
يوسف اي قوله اذكرني عند ربك قيل له اي قال الله ثم له بوحيه كما يأتي اتخذت من دوني
اي غيري من عبيدي وكيلا اي من تكل اليه امرك وتعتمد عليه في خلاصك لاطيلن
حبسك اي مدة مكثك في الحبس فقال يا رب انسى قلبي كثرة البلوى والمصايب
من حين القيت في الجب الى ان دخلت السجن فهذا ذنب عد عليه وعوقب به مع انه ليس بمعصية
شرعية لكن على مقامه يقتضي ان لا يذكر في الشدة غير الله ولا يعول على مخلوق وقد
قال الخليل عليه الصلاة والسلام لجبريل حين القي في النار وقال له الك حاجة فقال
اما اليك فلا ● حسبي من سؤالي علمه بحالي ● وقد رووا ان جبريل عليه الصلاة والسلام
اتاه في الحبس وبلغه ذلك في حديث طويل نقلوه وقال بعضهم يؤاخذ الانبياء لو مثاقيل
بمثاقيل الذر جمع مثقال وهو وزن كل شي ومقداره والذر جمع ذرة وهي اصغر النمل
ويقال للهباء الذي يرى في شعاع الشمس ولا زنة له اصلا فهو مبالغة في الخفة والمثقال
في العرف الدينار وليس بمراد هنا لمكانتهم اي لقربهم ورفعتهم عند ربهم ومن يحب
احدا ويعتني به لا يسامحه في ادنى شي يتعلق به ولذا قيل ضرب الحبيب زبيب وجمع ويتجاوز
عن ساير الخلق اي غيرهم وباقيهم لقلة مبالاته بهم قال ابن فارس استشهد على
استقاق لا ابالي حتى رايت قول ليلى الاخيلية ●
● تبالي رواياهم هبالة بعد ما ● وردن وحول الماء بالجم يرتمي ●
وقد قال والفيه التبالي المبادرة للاستقاء عند قلة الماء فيستقي احدهم وينتظره غيره
فمعنى ذلك لا ابادر له ولا انتظره لعدم اعتدادي به في اضعاف ما اتوا به في اتيانهم

بما يرد على ما اتى به المقربون بمثله وامثاله وضعف النسبي ما يرد عليه بمثله اوبا
كان فضله في الكشاف تابعا للازهري في تهذيبه من سوء الادب في حق خالقهم
للتفضيل عليهم بالنعم الجليلة التي حقها ان تقابل بطاعته وشكره فعصوه وارتكبوا
ما لا ينبغي من المعاصي وقد قال المحتج اي الذي اقام الحجة والدليل للفرقة الاولى
القايلة بان الانبياء معصومون من جميع الذنوب وان السهو والنسيان لا يؤاخذون به
لغيرهم ما شيا في حالهم على سياق ما قلناه اي ما قررناه في بيان امرهم فاشكل عليهم ما
تلك انفا من انهم يؤاخذون بما لا يؤاخذ به غيرهم لعدم المبالاة بهم اذا كان الانبياء
يؤاخذون بهذا المذكور من مثاقيل الذر ومما لا يؤاخذ به فلا يعاقب به ولا يعاتب غيرهم
اي غير الانبياء من اممهم من السهو والنسيان ونحوه من ما ذكرته من الامور المباحة لهم
وحالهم اي حال الانبياء المؤاخذين بما ذكر ارفع عند ربهم وهذه جملة حالية وما في بعض
النسخ فحالهم بالفاء من تحريف الكتبة وحالهم اي حال الانبياء اذن اي اذا وجد وانها
اتى من غيرهم عند الله لكثرة ما اخذهم به وتشديده عليهم فيما لم يشدد به على غيرهم مع
انهم ليسوا كذلك وهذا من سوء الفهم لتوهم قائله ان الاعظم عند ربه لا يؤاخذ بترك الاولى
وليس كذلك فان ذلك لحكمة والى جواب هذه الشبهة وبيان الحكمة فيها اشار بقوله
فاعلم ايها السائل اكرمك الله بفضل ايبك لوجه ما ذكر انا لا نثبت لك المؤاخذة اي
مؤاخذة الانبياء في هذا الذي آخذهم به دون غيرهم مؤاخذة اي على مقدار غيرهم اي مؤاخذة
غير الانبياء بما ارتكبوه من الذنوب بمعاقبتهم عليه في الدنيا والاخرة بل نقول في الفرق
بين مؤاخذتهم ومؤاخذة غيرهم وهو اضطراب انتقالي في نفي مؤاخذتهم كغيرهم انهم
اي الانبياء والمقربين في رتبة يؤاخذون بذلك المذكور من مثاقيل الذر في الدنيا بما
يبتليهم به فيها ليكون ذلك المؤاخذ به زيادة في درجاتهم اي في علو مقاماتهم
العلية وجعله عين الزيادة وهو سببها مبالغة ويبتلون بذلك اي بالمؤاخذة به في
الدنيا على قدر مراتبهم عنده كما ورد اشد الناس بلاء الامثل فالامثل ليكون استشعارهم
الاستشعار طلب الشعور والمراد به مقاساته او هو من الشعار وهو اللباس الملاصق
للبدن سببا للمنماة مصدر ميمي بمعنى النمو وهو الزيادة اي لزيادة رتبتهم اي علو
مقاماتهم عند الله ثم استدل لما ذكره بقوله ثم قال كما قال عز وجل ثم اجتباه ربه اي
اصطفاه وقربه باعلاء رتبته عنده من حين من عني اذا جمع فانه جمع فيه من الصفات الحميدة
ما كان سببا لاصطفائه وقربه فتاب عليه وهدى اي قبل توبته وارشده الى الاعتذار
عما صدر منه والاستغفار فقال ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين
فالاجتباء زيادة الرفعة بعد النبوة وعطفه بثم اشارة لمزيد وزيادة ترقيته حتى كانه
متراخ عنه وقال الله ثم لداود عليه الصلاة والسلام فغفرنا له ذلك اي ما صدر
منه في خطبة امراة اوريا كما تقدم فاذكر الايتين الى اخرهما من قوله وان له عندنا لزلفى وحسن
مآب وهي صريحة فيما ذكر وقال عز وجل بعد قول موسى سبحانك تبت اليك من
سؤال رؤيتك في الدنيا وانا اول المؤمنين بعظمتك وجلالك فقال يا موسى اني
اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي اي اخترتك وقدمتك على اهل زمانك برسالاتي
وبكلامي لك بغير واسطة وكيفية بكلام تسمعه من ساير الجهات وقال الله تعالى

يعد ذكر فتنة سليمان في القاء الجسد على كرسيه كما تقدم وانابته اي رجوعه الى الله تعالى
وتوبته فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء الاية الى قوله وحسن ماب فترتيبه على ذلك
ما عدده من النعم يقتضي ان الفتنة التي اناب منها ليست معصية لانها لو كانت كذلك لم
يترتب عليها ذلك وكونه له زلفى اي قرب من الله وحسن ماب مرجعه للجنة وهذا كله زيادة في
درجاته ونماء لرتبته عند ربه كما لا يخفى وقال بعض المتكلمين ما يؤيد ما قررته وان تضاة
زلات الانبيا جمع زلة من زل اذا سقط وتجوز به عن الذنب اي ما عد زلة وذنبا لهم وان لم
يكن كذلك في الظاهر اي في ظاهر ما تدل عليه العبارة زلات وهي في الحقيقة اي في
نفس الامر وعند التحقيق انما هي كرامات اكرمهم الله بها لانه ابتلاهم بها ليثيبهم عليها واشاره
الى نحو ما قدمناه مما يترتب على ابتلائهم بها من انعام الله عليهم بنعم لا تحصى وهذا بخصوصه
لا يابى كونه ما خصهم الله به لان مثل هذه النعم الجليلة لا تكون فلا يرد عليه ان المؤمنين
مثابون بمصائب الدنيا اذا صبروا عليها ورضوا او نقول انه اشارة لعدم اختصاصهم بذلك
بقوله وايضا اي مثل ما ذكر من انه في الظاهر زلة وهو في الحقيقة نعمة وكرامة فليتنبه
غيرهم من البشر اي يتيقظ ويعلمه منهم اي الانبيا المذكورين او ممن ليس في درجتهم من
الاتقيا الذين ليسوا بانبيا بمؤاخذتهم بذلك الباء سببية متعلقة بيتنبه او هي بمعنى على
لان تنبه يتعدى بعلى او ضمن معنى يشعر ويعلم وذلك اشارة لما امتحنوا به مما عد ذنبا
من خلاف الاولى وليس بذنب فليستشعروا الحذر اي يستشعرون بالحذر وهو الخوف
من الشعور والاستشعار كما مر انفا وليس من قولهم ليت شعري فانه تكلف لا داعي له ويعتقدوا
المحاسبة على ذلك لان مؤاخذة غير الانبيا تقتضي مؤاخذتهم بالطريق الاولى وان كان
ما ارتكبوه مباحا لكنه خلاف الاولى وليلتزموا الشكر على النعم المرتبة على ما ابتلوا
به كما تقدم او على كونهم لم يمتحنوا بذلك مع امتحان من هو اعظم منهم ويعدوا بضم اليا التحتية
وكسر العين وتشديد الدال اي يحضروا ويهيئوا الصبر ليستعينوا به على المحن جمع
محنة وهي البلية التي يمتحن الله بها صبرهم ورضاه كما قيل

لله در الحادثات فانها • صدا اللئام وصيقل الاحرار

ويتذكروا ما في الصبر من الثواب لقوله انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب والمحنة لغة
تصفية المعادن من غشها فنقلت لما ذكر وصارت فيه حقيقة وبملاحظة ما وقع من
قبل ما وقع وفي نسخة بملاحظة باهل هذا النصاب اي المقام الرفيع من الانبيا والنصاب
بمعنى الاصل والحسب يقال فلان كريم المنصب والنصاب كما في الاساس ومنه نصاب السكين
المعصوم المحفوظ من الذنوب فكيف بمن سواهم اي غير الانبيا فاذا وقع اللوم فيه فغيرهم
بالطريق الاولى لكنه من خلص عباد الله الذين يقتدى بهم كما تقدم ولهذا اي لما ذكر من الحكمة
في مؤاخذة الانبيا عليهم الصلاة والسلام بما لم يؤاخذ به غيرهم قال صالح بن بشير وهو علم
منقول من البشر مقابل الكذب ابو الواعظ الزاهد توفي في سنة اثنين وسبعين ومايه كما قاله ابن
ماكولا المري بضم الميم وتشديد الراء المهملة نسبة الى مرة قبيلة ذكر داود نبي الله صلى
الله عليه وسلم وقد كان مصدرا او مبتدا فقوله بسطة للتوابين خبره اي توسعة
لمن يتوب ويكثر التوبة والاستغفار لينبهوا على فضلها وان كان فعلا مبنيا للمعلوم او المجهول
اي ذكره الله فقوله بسطة منصوب مفعول له وقال ابن عطا ابو العباس بن محمد بن سهل

بن عطا الادمي شيخ الصوفية وله في فهم القران لسان اختص به توفي في سنة تسع او
احدى عشرة وتسع مايه لم يكن ما نص الله تعالى عليه في القران من قصة صاحب الحوت
يونس بن متى نبي الله صلى الله عليه وسلم نقصا له اي تنقيصا له بكونه ولى مغاضبا ولم
يصبر حتى ياذن الله تعالى له فيما اراد ولكن ذكره وقصته استزادة من نبينا صلى الله عليه
وسلم اي طلب منه ان يزيد صبره على قومه وقيل المراد انه زيادة في علمه بما جرى للانبيا طلبها
من ربه والصحيح الاول لانه المناسب لقوله ولا تكن كصاحب الحوت اي في ضجره وفراق قومه
حتى كان ما ذكره الله في قصته وايضا فيقال لهم في الجواب عما ادعوه من تجويز الصغاير
على الانبيا لا الزاما لمن سال عن معنى قوله تعالى وعصى ادم ربه ونحوه كما قيل انكم من وافقكم
على هذا القول تقولون بغفران الصغاير اي بسبب تركها كما ذهب اليه كثير من اهل السنة
تمسكا بظاهر قوله تعالى ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وذهب كثيرون الى انها
مقيدة بالمشية كغيرها لقوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشا والكلام فيه مشهور في كتب الاصول
ولا خلاف بين من يعتد به في عصمة الانبيا عن الكباير فاجوزتم من وقوع الصغاير
عليهم متعلق بجوزتم هي مغفورة على هذا القول والجملة خبر قوله ما وهو بمعنى الوقوع لانه
بينه به على مذهب الفرا في الاكتفا بضمير ما يلابس المبتدا عن ضميره كما قرروه في قوله والذين
يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن الاية او يحمل ما بمعنى الصغاير فما معنى المؤاخذة
انبيا الله عليهم الصلاة والسلام بها اي بالصغاير اذ ذاك اي مع اجتناب الكباير عندكم ايها
القايلون بهذا الراي وما معنى خوف الانبيا وتوبتهم منها اي من الصغاير وهي مغفورة
بدون توبة منها لو كانت اي وجدت منهم فما اجابوا به عن هذا فهو جوابنا عن المؤاخذة
بافعال السهو اي بما فعلوه سهوا ونسيانا والتاويل اي ما فعلوه لتاويل ثم الاوامر والنواهي
الواردة فيه كما تقدم وهو جواب الرازي والقول بانتقاصهم عن هذا تقدم بعدم القول بذلك
في حق الانبيا عليهم الصلاة والسلام لانه في حق غيرهم وانه عليه لا يصح النقل عنهم بالتزامه
في حق الانبيا يا باه انه يعلم في حقهم بالطريق الاولى لانه جواب جدلي فتامله وقد تقدم
ان التوبة لا يلزم ان تكون عن ذنب فتذكره واشار اليه المصنف هنا بقوله وقد قيل ان كثرة
استغفار النبي صلى الله عليه وسلم حيث استغفر الله سبعين مرة كما مر وتوبته اي
قوله استغفر الله واتوب اليه وغيره من الانبيا عليهم الصلاة والسلام وان كانوا معصومين
من ساير الذنوب فذلك انما هو على وجه اي على طريق ولاجل ملازمة الخشوع اي التذلل
باظهار انه مذنب والعبودية والاعتراف بالتقصير في ادا حق مولاه شكرا لله
على نعمه جمع نعمة ونعم الله لا تحصى كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لمن عرف نعم
الله عليه واظهر العجز عن شكرها فقد شكره تعالى شكرا عظيما فان الشكر كما يكون باللسان يكون
بالاركان كما تقرر عندهم وقد ورد انه صلى الله عليه وسلم كان يقول في كل مجلس استغفر الله
واتوب اليه اكثر من مايه مرة مع ما هو عليه من العصمة والعبادة فلا معنى لما قيل انه لا يصح
ايراد ما ذكرها على وجه الدليل في محل النزاع كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث
المشهور المتقدم الذي فيه انه اكثر من قيام الليل حتى تورمت قدماه فقيل له اتفعل هذا
يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون عبدا شكورا
وقد ذكر شاهدا لاظهاره العبودية شكرا لله وقد امن بضم الهمزة وكسر الميم المشددة مبني

لما لم يسم فاعله قال البرهان في الصحاح امنت فلانا فانا آمن وامنت غيري من الامن
والامان فعلى هذا ينبغي ان يقول او من انتهى يعني ان آمن بالتشديد لا يصح ان يكون من
الامن والامان وانما هو بمعنى قال آمين وليس كما قال فانه يقال آمنه بهذا المعنى ايضا وهذه
الجملة حالية والمؤمن له هو الله او الصحابة الذين قالوا له ان الله غفر لك ما تقدم من ذنبك
وما تاخر **من المواخذة بما تقدم وما تاخر مما صدر** منه من ترك خلاف الاولى ونحوه مما
الذي هو كالذنب بالنسبة لمقامه او لو وقع وان لم يقع فقال صلى الله عليه وسلم افلا اكون
عبدا شكورا اي كثير الشكر بما لنافلة لعظم نعمه وكثرتها علي والاستفهام لانكار من ظن ان
كثرة عبادته خوفا من الذنوب وطلبا للمغفرة فقال وان كان الله عمني برحمته ومغفرته
فان اللائق بي شكر الله على ما اولاني والحديث المذكور في الصحيحين عن المغيرة بن شعبة
وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البخاري كما تقدم **اني لاخشاكم لله** اي اعظمكم
له خشية والخشية الخوف مع المهابة للعظمة **واعلمكم بما اتقي** وروي اني لاتقاكم لله واخشاكم
له ومن علم ما يتقي وجزاؤه وعظمة من يخشاه كان ابعد منه واحذر **وقال الحارث بن اسد**
هو العالم الرباني الذي فاق اهل عصره في علم الظاهر والباطن وهو المشهور بالمحاسبي
لكثرة ما كان يحاسب نفسه ولزهده لما مات ابوه وخلف له مالا عظيما لم ياخذ منه شيئا مع
احتياجه لان اباه كان قدريا وقال لا يتوارث اهل ملتين وترجمته مفصلة في الميزان
توفي سنة ثلاث واربعين ومايتين **خوف الملائكة** من الله **والانبيا** عليهم الصلاة والسلام
خوف اعظام اي اجلال وتعظيم لله **وتعبد لله** اي يقصدون به العبادة **لانهم آمنون**
من الله لاخباره لهم برضاه عنهم وانه يعطيهم في الدنيا والآخرة من نعمه ما لا عين رات ولا اذن
سمعت **وقد فعلوا ذلك** اي الاستغفار والتوبة **ليقتدي بهم** بالبنا للفاعل على لسانه
في الفاعل وهو مبني للمجهول **ويستن بهم اممهم** اي يتخذه سنة وعادة وقد قدم المصنف
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان شديد الخوف من ربه لانه اعلم به وهو مناسب لما هنا وهو
لما قاله امام اهل السنة ابو الحسن الاشعري رحمه الله في كتاب الايجاز من انه صلى الله عليه وسلم
كان يخاف الله بلا خلاف لانه عند اهل الحق كان قبل ما آمنه الله من عقابه وبعده من عقابه
ولو منه في الدنيا كما في قصة ابن ام مكتوم وبعد تامينه لا يجوز ان يخاف عقابه مع اخباره
بتامينه خلافا للرافضة والقدرية حيث زعموا انه هو وساير الانبيا ما داموا مكلفين في
الدنيا لا بد ان يخافوا عقابه سواء امنهم ام لا لنا انه لا يجوز ان يخاف من شي لا بعد بجوازه
ووقوعه ومع القطع بعدمه لا يجوز ذلك من عاقل لانه يودي الى الشك في خبره هل هو صادق
ام لا وهو باطل بالاتفاق انتهى اقول في فتاوي شيخ مشايخنا ابن حجر الهيتمي
ما ينافيه كما مر فانه سيل عن الانبيا والملايكة والعشرة المبشرة بالجنة هل كانوا يخافون
مكر الله وعقابه بعد اخبار الله لهم بخلافه فاجاب بان نفي خوف العقاب عن هولاء
مطلقا باطل مضاد للنصوص لوجوه منها ان حقيقة الخوف كما في الاحيا الم القلب لتوقع
مكروه وهو اما خوف ضعف القوة عن الوفا بحقوق الله على ما ينبغي وهذا محقق في جميع الانبيا
عليهم الصلاة والسلام ويلزمه عدم الامن من مكر الله ولا يامن من هذا احد والماموت منه
الانسلاخ من النبوة والملكية والايمان في العشرة وان جوز وقوعه والرجا والخوف
متلازمان فان قلت يلزمه الشك فيما ذكر قلت حقيقة الخوف ما مر والكمال

علي يقين من خبره ثم لكنهم لشعورهم بقدرة الله ثم واستغنائهم عن خلقه وانه لا يسيل
عما يفعل ولا يجب عليه شي وخبره سبحانه وتعالى يجوز ان يكون مشروطا بما انطوى عنا
علمه وهذا مما يوجب الخوف وقد سال زيد بن اسلم الشافعي اتدخل الملايكة في انهم لا يامنوا
مكر الله فقال نعم لما رواه ابن حاتم انه ثم قال للملايكة ما هذا الخوف الذي بلغ بكم هذا وقد
انزلتكم منزلة لم ينزلها غيركم قالوا ربنا لا يامن مكرك الا القوم الخاسرون وقد ذكر ذلك
في الملايكة والانبيا وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم وجبريل بكيا فقال الله لهما
لم تبكيا وقد امنتكما فقال نخشى ان يكون تامينك مكرا بنا وهذا هو الذي قطع قلوب
العارفين ويدل لهذا قوله ما ادري ما يفعل بي ولا بكم وقوله صلى الله عليه وسلم في دعايه
اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك وفي ادعية مثله كثيرا ولو كان
تشريعا قال قولوا اللهم اني والمراد بتامينه الذي في الحديث الذي مر ان فيه افلا اكون عبدا
شكورا خوفه من امور الدنيا واستيصال امته واما من الله فلا انتهى ملخصا اقول
هذا ما يشكل على ما قاله المصنف ومشايخ الصوفية فيما نقله وعلى الاشعري لكنه موافق لما
قاله ايمتنا الحنفية والشافعية كما نقل في كتب الاصول والفروع من ان الامن من مكر
الله والياس من رحمته كبيرة او كفر على ما تقرر عندهم فانا لو قلنا بما نقل عن الاشعري من ان
الملايكة والانبيا والعشرة المبشرة آمنون من المكر والمراد به العقاب كان ما قرره الفقها
غير صحيح على الاطلاق لكون الامن من المكر امرا محققا بل واجبا في حق هولاء ولو ادعى بعض
خلص المتقين الزاهدين انه اشبه هولا في امنه لم يكن به باس فضلا عن ان يكون كبيرة او كفرا
الا انه يقتضي على كل حال ان القول بانه كفر غير صحيح وايضا استدلالهم بقوله عز وجل لا يامن
مكر الله الخ ولا يياس من روح الله الخ غير صحيح لان معناه انه من صفات الكفار والخاسرين
لان من اتصف به كافر ومثله يعرفه من يفهم كلام العرب وفي كلام ابن حجر قصور يدركه من
له ذوق وفكر سليم وهذا بحث نفيس لم ار من حرره ومن لم يحم حول الحماهنا فالاهم ما قال
ما لا يحصل له فعض بالنواجذ على ما سمعته **كما قال** صلى الله عليه وسلم **لو تعلمون ما اعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا** لان من علم ان الموت مورده والقيامة موعده والوقوف بين يدي
الله مشهده فحقه ان يطول حزنه ويبكي على نفسه وهذا من حديث اخرجه البخاري ومسلم
وقد تقدم وفيه من انواع البديع الطباق والموازنة **وايضا** اي مثل ما تقدم في توجيه
استغفار الانبيا عليهم الصلاة والسلام وتوبتهم مع عصمتهم **فان للتوبة والاستغفار**
الصادرين من الانبيا وممن اقتدى بهم من خلص عباده **معنى آخر لطيفا** في غاية الحسن
اشار اليه بعض العلما وهو استدعا محبة العلما اي طلب ان يرتضي الله رضاه عنهم ومحبته
لهم لما ورد في الحديث ان الله يفرح بتوبة عبده المومن والفرح في حقه بمعنى الرضا عنه وانما
عليه وتوبة الانبيا عليهم الصلاة والسلام مما صدر منهم من ترك الاولى ولما يخطر بقلوبهم
من انهم لم يودوا عبادته ثم حقه فاذا فعلوا ذلك مع ما هم عليه من المجاهدة زادت نعمه ثم عليهم
فلا يتوهم انه كيف يتوب من لا ذنب له وكيف يشبههم الله على ما ابدوه من خلاف الواقع وقول
بعضهم انه كلام في محل النزاع من غير دليل كلام ركيك تركه خير منه **قال الله تعالى ان الله يحب
التوابين** اي المكثرين من قول اتوب اليك وان لم يكن له ذنب هضما للذنب ولنفسه لتوهم
قصوره **ويحب المتطهرين** هو اما على ظاهره او المراد به المحترز من دنس المعاصي وسافها

المصنف رحمه الله ليكون دليلا على ما قاله قبله **واحوال الرسل والانبيا** اي تجديد ايجاد **الاستغفار والتوبة والانابة والاوبة** اي ارجاع امورهم الى الله وهي الفاظ مترادفة ذكرها للتاكيد وللاشارة الى انه وقعت منهم كثيرا بعبارة مختلفة تفننا **في كل حين** اي في غالب اوقاتهم واكثرها كما تقدم **استدعا** اي طلبا واصل معناه طلب الدعوة او الدعا فاستعمل مجازا مرسلا في مطلق الدعوة ويجوز ان يكون استعارة **لمحبة الله** لهم **والاستغفار فيه معنى التوبة** لانه طلب المغفرة وهي من الغفر وهو من الستر اي ستر ذنوبهم بالعفو عنها وبينهما عموم من وجه لمن اقلع من الذنب نادما عازما على عدم العود اليه من غير دعا بالمغفرة وتضرع تايب غير مستغفر ومن استغفر ربه من ذنبه مع عدم الاقلاع عنه مستغفر غير تايب ومن جمع بينهما مستغفر تايب **وقد قال الله** في القرآن **لنبيه صلى الله عليه وسلم بعد ان غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر** تقدم تفسيره وتاويله **لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الاية** وكررها فقال ثم تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم لان التوبة اولى عن اذنه لمن تخلف من المنافقين في غزوة تبوك والثانية عن ازاغة قلوبهم كادت تزيغ لما قاسوه في غزوة العسرة او ذكر الاولى تفضلا منه والثانية عن الذنب المذكور **وقال عز وجل** ايضا **فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا** فامره بالاستغفار والتسبيح بحمده وقيل ذكر انه كان عظيم التوبة عليه والكلام على هذا وانه نعي له نفسه معلوم في كتب التفسير والحديث وكان صلى الله عليه وسلم يجتهد في العبادة بعد نزول هذه السورة ويقول كثيرا في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي ويقول بهذا امرت ۞

فصل قد استبان لك

اي تبين فيما قيل هذا والسين هنا للتاكيد وليست للطلب هنا لان ما يطلب من شانه ان يتأتى فيه وقيل انها للاطالة كما قيل لحمار لو تنفست اي اطلت لان من تنفس تشتا بعد القول وسهل عليه الاطالة وفيه ما لا يخفى **ايها الناظر ما قررناه** ما في محل نصب مفعول ناظر وفي نسخة بما قررناه بالباء السببية فاذا تاملته بان لك **ما هو الحق** وما هذه فاعل استبان بمعنى تبين لك وظهر الحق والامر المتحقق المعتبر مما فصله **من عصمته صلى الله عليه وسلم** وحفظه وخلقه مبرءا من النقائص لاسيما **من الجهل** بمعرفة ذات **الله وصفاته** كسائر الانبيا عليهم الصلاة والسلام فان فطرتهم على التوحيد والعلم به وبصفاته والاقرار بذلك **او** تبين لك عصمته **من كونه** اي وجوده وخلقه كسائر الانبيا **على حالة تنافي العلم بشيء من ذلك** اي من ذاته وصفاته **كله جملة** فهو لا يجهل شيئا من ذلك اصلا لاسيما **بعد النبوة** ونزول الوحي عليه لقضائه بمجاوزته جميع الشرف والكمال لانه تم لا يصطفي الا من هو كذلك **اجماعا** من كل المسلمين **وعقلا** لاقتضا العقل السليم له **وقبلها** اي النبوة **سمعا ونقلا** لوروده في الاحاديث الصحيحة ولاتفاق ايمة الدين على عصمتهم من ذلك قبلها ولو قال من عصمتهم كان احسن لعدم احتياجه للتقدير والمنصوبات تمييز وسمعا توكيد لقوله نقلا لحديث البخاري كل مولود يولد على الفطرة وابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وهو معنى قوله تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها كما تقرر في التفاسير وشروح الحديث وفي المواقف عصمة الانبيا لاسيما نبينا عليه وعليهم الصلاة والسلام من الجهل

بالله وصفاته قبل النبوة وبعدها عقلا واجماعا وما وقع لابراهيم عليه الصلاة والسلام لالزام الحجة وليطمين قلبه لا لشك منه كما تقدم وكذا كل ما يضاهيه من قصص الانبيا **ولا بشيء** معطوف على قوله بشيء قبله اي ولا لكونه على حالة تنافي العلم بشيء **مما قررنا من امور الشرع** الذي اوحي اليه بتبليغه **واداه** اي اوصله وبلغه **من جهة الوحي** المامور بتبليغه لامته **قطعا** اي مقطوعا به متيقن بلا خلاف **عقلا وشرعا** لانه منا لا رسالة به وامره بتبليغه فكيف يجوز عليه جهل شيء منه لان الانبيا معصومون عن ذلك لدلالة المعجزة على علمهم وصدقهم فيما يلموه عن الله لانه لو لم يكن كذلك كان افتراء على الله وهو باطل عقلا وشرعا وظاهره انه لا يقع منهم ذلك سهوا ونسيانا ايضا وهو مذهب ابي اسحاق الاسفرايني وجوزه القاضي ابو بكر لعدم منافاته للمعجزة فانهم لا يبقون عليه وكلام المصنف على خلافه **وعصمته من الكذب** معطوف على عصمته في اول الفصل **لما علمته** من منافاة المعجزة له **وخلف القول** اي معصوم عما يخالف الواقع من قوله لئلا يتهم في تبليغه **منذ نباه الله وارسله** فلم يصدر عنه شيء منه وهو مستحيل منه **قصدا وغير قصد واستحالة ذلك** اي الكذب والخلف **عليه شرعا واجماعا** من ايمة الدين **ونظرا وبرهانا** اي استحالته شرعا واجماعا مما دل عليه النظر والدليل العقلي فهو متحقق عقلا ونقلا وسقطت الواو العاطفة في بعض النسخ قبل قوله نظرا وهو احسن من ثبوتها في بعضها **وتنزيهه** اي تبرئته **عنه** اي عن الكذب **قبل النبوة قطعا** للتواتر فكان صلى الله عليه وسلم عندهم يسمى الامين لانه مامون في اقواله وافعاله **وتنزيهه عن الكباير اجماعا** لرفعة قدره عنها ولا ينافيه تجويز الحشوية له كما قيل لعدم الاعتداد بخلافهم وقوله اجماعا اشارة لرد قول المعتزلة انه عقلا لابتنائه على الحسن والقبح العقليين **وعن الصغاير تحقيقا** اي امرا محققا ولتجويز بعضهم لها لم يقل اجماعا ويجوز ان يريد بقوله تحقيقا قصدا بقرينة قوله **وعن استدامة السهو والغفلة** عطف تفسير للسهو لبعد ساحة التبليغ عنها فان وقع منه عليه لسرعة كما مر وقد قيل

• يا سائلي عن رسول الله كيف سها • والسهو من كل قلب غافل لاهي •
• قد غاب عن كل شيء سره فسها • عما سوى الله في التعظيم لله •

وتقدم كلامهم فيه وما فيه **وعن استمرار الغلط والنسيان عليه** حفظا له صلى الله عليه وسلم بايقاظ قلبه وتنبهه **فيما شرعه للامة** لان استمراره مناف للتشريع له **وعصمته في كل حالاته من رضى وغضب وجد** بكسر الجيم ضد الهزل **ومزح** بالجر ويجوز رفعه لانه صلى الله عليه وسلم كما ورد كان يمزح ولا يقول الا حقا كقوله صلى الله عليه وسلم لامراة لا تدخل الجنة عجوز لانهن يعدن لسن الشبوبية فيجب عليك ايها الناظر لانه خطاب له له بعضه ان تتلقاه اي تاخذه وتقابله باليمين اي بالقبول واليمن والبركة لانهم ياخذون بها ما يعتنون به فانها جهة بسبيل الفعل بها عادة والعرب تقول لما تمدح به اخذ بيمينه ولذا قال الشماخ ۞

• اذا ما راية رفعت لمجد • تلقاها عرابة باليمين •

وتشتد عليه اي على ما ذكر من تنزيهه صلى الله عليه وسلم عما ذكر **يد الضنين** بضاد معجمة ونونين كالبخيل وزنا من الضنة وهي شدة البخل وهو استعارة تمثيلية بليغة كقول المتنبي

وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه

اي تحرص على حفظ ما ذكر من تنزيهه

قدره عما ذكر كحرص البخيل على ما في يده لشدة بخله به وخوفه من ذهابه منه وفيه مع اليمين مراعاة النظير وقد فسر اليمين بالقوة وهو غير مناسب هنا لما عرفته **وتعدد** بسكون القاف وكسر الدال من القدر وهو المنزلة الرفيعة كما في قوله وما قدروا الله حق قدره **هذه الفصول** المعقودة لبيان ما يجب اعتقاده في حقه صلى الله عليه وسلم **حق قدرها** اي تعظمها حق تعظيمها اللايق بها **وتعلم عظيم فايدتها** لانها ما يجب اعتقاده وينال به عند الله مثوبة عظمى **وخطرها** اي شرفها ومرتبتها واصله ما يعطى عند الرهان لمن سبق فاستعير لما ذكر **فان من يجهل ما يجب** اعتقاده **للنبي صلى الله عليه وسلم او يجوز له** مما يصح في حقه **او يستحيل عليه** اي يمتنع في حقه شرعا وعقلا وعادة **ولا يعرف صور احكامه** اي الحكم المتصور في حقه من الوجوب والجواز والحرمة **لا يامن ان يعتقد في بعضها** اي بعض الصور والاحكام **خلاف ما هي عليه** فيعتقد في حقه ما لا يجوز عنه اعتقاده **ولا ينزهه عما لا يجوز** في حقه وفي بعض النسخ عما لا يجب اي لا يجوز كذا فسره به بعضهم وفيه نظر **ان يضاف اليه** اي ينسب اليه و يوصف به **فيهلك** اي يقع في امر يكون سببا لهلاكه في الدنيا والاخرة **من حيث لا يدري** لعدم علمه بحقه وما يجب له ويجوز عليه **ويسقط في هوة** بضم الهاء وتشديد الواو وهو العميق كالبئر **الدرك** بفتحتين وقد تسكن الراء وهو ما ينزل به الى **الاسفل** من دركات المنازل **من النار** المعروف في النار للعهد والمراد نار جهنم التي في الاخرة وهي هنا مجاز عن محلها وهي تستعمل كثيرا بهذا المعنى وهو عبارة عن عقابه اشد العقاب في الاخرة بسبب ما ذكر ولذا علله بقوله **اذ ظن** هو مصدر منتدا مضاف لقوله **الباطل به** صلى الله عليه وسلم اي ظن ما ليس صحيحا في حقه **واعتقاده** على طريق الجزم به **ما لا يجوز** شرعا وعقلا **عليه** صلى الله عليه وسلم **يحل** بضم الياء وكسر الحاء المهملة وتشديد اللام وفاعله ضمير ما ذكر من الظن والاعتقاد اي يحل **صاحبه** اي صاحب ذلك الاعتقاد حالا **في دار البوار** يعني جهنم والبوار بفتح الموحدة هو الهلاك وهو من اسمائها وضبط البرهان يحل بفتح الياء وضم الحاء وصاحبه فاعله على هذا وهو جائز ايضا ولا يتعين الا بروايته كذلك **ولهذا** المذكور كله من عظيم قدره وخطره ووجوب اعتقاد تنزيه النبي عما ذكر وان اعتقاد خلافه يهلك صاحبه ويخلده في الدرك الاسفل لما يؤدي اليه من الكفر ان اراد تنقيصه بما ذكر **احتاط** عليه الصلاة والسلام وفي بعض النسخ ما احتاط وما زايدة كقوله فبما نقضهم ميثاقهم والاحتياط افتعال من حاطه اذا اتخذ عليه حائطا ثم استعمل للمبالغة في الصيانة والحفظ وفي الاساس احتاط واستحاط في امره بالغ في الاحتياط ونقيضه بالتحري في طلب الخير **خشية** على من ذكر غير لايق هنا **على الرجلين اللذين رآياه ليلا** اي في ظلمة الليل اي رأياه حالة كونه مع صفية في بعض ازقة المدينة وقد جاءته تزوره **وهو معتكف في المسجد** يعني مسجده بالمدينة **مع صفية** ام المؤمنين وكانت جالسة تحدث معه صلى الله عليه وسلم ثم قامت فقام معها ليشيعها لبيتها لقرب ابه ولما ابصراه فاسرعا وقوله في المسجد قيل انه متعلق برآياه لا بمعتكف ومع صفية حال من فاعل رأى لا فاعل معتكف كما قيل والحديث في الصحيحين عن صفية بنت حيي بن اخطب بن سعية بسين مهملة مفتوحة وعين مهملة ساكنة بعدها مثناة تحتية وهاء او نون وكانت عند ابي الحقيق اليهودي فلما قتله صلى الله عليه وسلم تزوجها وقصتها

في السيرة **فقال صلى الله عليه وسلم لهما انها** اي التي رأيتماها تحدث معي **صفية** زوجتي لا اجنبية وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال لهما لما اسرعا على رسلكما اي تمهلا انها صفية فقالا سبحان الله تعجبا من قوله صلى الله عليه وسلم ما ذكر لظنه انهما ظنا به ما لا يليق بمقامه وقد قال الحفاظ انهما لم يعرفا ولم يسميا في شيء من كتب الحديث الا ان ابن العطار تلميذ النووي قال في شرح العمدة زعم بعضهم انهما اسيد بن حضير وعباد بن بشر ووقع في رواية سفيان للبخاري فابصره رجل من الانصار بالافراد وفي اخرى وهما من الانصار فيحتمل تعدد القصة وقال ابن حجر الاصل عدم التعدد فهو محمول على ان احدهما كان تابعا للاخر فاختص احدهما بخطاب المشافهة **ثم قال صلى الله عليه وسلم لهما** بعد ما قال لا **ان الشيطان يجري من ابن آدم** بوسوسته له في باطنه **مجرى الدم** وهو داخل عروقه وفي رواية اني خفت ان تظنا في ظنا ان الشيطان الخ والمراد من ابن آدم الجنس فيشمل الناس وجريانه مجرى الدم قيل انه على ظاهره وان الله قدره على الدخول في عروق الناس ويتصل بقلوبهم وقيل انه تمثيل لشدة اتصاله به ولزومه له **واني خشيت** عليكما **ان يقذف** اي يلقي ويوقع الشيطان **في قلوبكما شيئا** من الظن السيء **فتهلكا** فتقعا في اثم يهلككما الله بما يحل بكما من العقوبة عليه لان الذنب فخشي صلى الله عليه وسلم ان يغويهما الشيطان فيلقي في قلوبهما سوء الظن به وانه يتكلم مع اجنبية فيؤديهما ذلك الى تنقيصه وهو كفر يستحقان به دخول النار فيهلكا فبادر لاعلامهما بما ينقذهما من الهلاك والحديث في البخاري وغيره كما مر وفيه جواز خروج المعتكف من المسجد لحاجة والارشاد للاحتراز من محل التهم وانه ينبغي للعالم ان يرشد غيره لما فيه خير له الى غير ذلك من الفوائد التي لا تحصى **قال القاضي** عياض رحمه الله **هذه** اي معرفة ما يجب اعتقاده فيه صلى الله عليه وسلم من عصمته من سائر الذنوب لئلا يهلك اذا اعتقد خلافه **اكرمك الله** اي جعلك الله مكرما بما هداك له مما يجب عليك معرفته **احدى فوايد ما تكلمنا عليه** هو خبر هذه المبتدا وما بينهما من الجملة الدعائية اعتراض **في هذه الفصول** بصاد مهملة جمع فصل اي السابقة في بيان عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وما يجب لهم علينا **ولعل جاهلا لا يعلم بجهله** لانه هو الذي يخشى عليه من هذا التوهم ولعل هنا للاشفاق عليه وخوفه من هلاكه **اذا سمع شيئا منها** اي من الفصول المعقودة لتنزيه الانبياء عليهم الصلاة والسلام عن النقايص **يرى** ويعتقد **ان الكلام فيها جملة** اي جميعا فهو منصوب على الحال **من فضول العلم** خبر ان جمع فضل غلب على الامر الذي يعد عبثا ومنه الفضولي ولذا نسب للجمع فيه وهو ايضا مجمع بمعنى زيادة **وان السكوت اولى** من ذكرها وهو جهل عظيم منه لانها من اهم الامور **وقد بان لك** مما قررناه **انه امر متعين** واجب ذكره واعتقاده **للفايدة التي ذكرناها** وهي ان فيها النجاة من الهلاك كما يرشد اليه حديث صفية الذي ذكره **وفيه فايدة ثانية** غير الذي قدمه **يضطر** بالبناء للمفعول اي يحتاج **اليها** احتياجا شديدا لانها من ضرورة الدين **في اصول الفقه** اي في القواعد الفقهية او في علم اصول الفقه **ويبنى عليها** اي يترتب ويتفرع مسايل **لا تعد** اي مسايل الدين الشرعية وفروعه اي لا تعد لكثرتها الا ان الانفعال من العد قليل في الاستعمال الا انه كما قيل لغة رديئة لا تكاد تعد **من الفقه** ... **ويتخلص بها** اي يخرج من عهدتها ويسلم **من تشغيب** تفعيل من الشغب

بفتح الغين المعجمة وسكونها وهو تهييج الشر والصياح في الخصومة **مختلفي الفقها** اي اقوال الفقها المختلفة **في عدة منها** اي في عدة مسايل تتعلق بالاعتقاد فيما يجوز على الانبيا عليهم الصلاة والسلام ويجب لهم **وهي** اي الفايدة المضطر اليها **الحكم في اقوال النبي صلى الله عليه وسلم وافعاله** التي هي معظم سننه الواردة في حديثه لانها صفاته واقواله وافعاله وتقريراته في جميع احواله من الغضب والرضي والصحة والمرض وغير ذلك كما قاله المصنف ولابي شامة رحمه الله كتاب مستقل في افعاله صلى الله عليه وسلم وما يجب الاقتدا به ويستحب فان منها ما هو تعبد وضرورة وامور عادية وجبلية اختلفوا في لزوم الاقتدا به فيها واستحبابه فيما لم يعلم انه قصد به التشريع فذهب الباقلاني والغزالي الى ندب التاسي به في الامور الجبلية ولابي اسحاق فيها وجهان ففيها اقوال ثلاثة بالندب والاباحة والامتناع ككونها سببه للعيد من طريق ورجوعه من اخرى وهذا كله فيما لم يعلم حكمه بنص منه او من الصحابة رضي الله عنهم ولم يعلم انه من خصوصياته صلى الله عليه وسلم **وهو باب عظيم** شانه **واصل كبير من اصول الفقه** وقواعده المهمة لابتناء كثير من احكام الشرع عليه **ولا بد من بنايه** اي جعله مبنيا على اساس وقاعدة يرجع اليها وهي انه متفرع **على صدقه صلى الله عليه في اخباره وبلاغه** اي ما يبلغه لامته ومن بعث لهدايته وارشاده **وانه لا يجوز عليه السهو فيه** اي فيما بلغه عن ربه لعصمة الله له منها فانه لكونه صلى الله عليه وسلم ارسل مشرعا مبينا لامور دينه **وعلى عصمته من المخالفة في افعاله** الصادرة عنه **عمدا** فلا يتوهم جوازه عليه ولا اعتقاده **وبحسب** بسكون السين **اختلافهم** على مقدار **في وقوع الصغاير** من الانبيا كلهم عليهم الصلاة والسلام لا سيما منه صلى الله عليه وسلم **وقع خلاف** بين الفقها وفي نسخة اختلاف **في امتثال الفعل** اي اتباعه بمجرد صدوره منه وعليه اكثر فقها المذهب **وقد بسط** اي فصل وبين وذكر بيانه **في كتب ذلك العلم** يعني الفقه والاصول **فلا نطول به** الكلام في هذا الكتاب **ذلك العلم** يعني لانهم جزاهم الله خيرا كفونا مؤنته فلا حاجة لاعادته هنا **وفايدة ثالثة يحتاج اليها الحاكم** اي القاضي وغيره **والمفتي** اي المجيب للسايل عن الامور الشرعية من علما الشرع واحكامه **فيمن اضاف** بنسبته ووصفه للنبي صلى الله عليه وسلم شيا من هذه الامور التي تكون او تجب او تمتنع عليه **ووصفه بها** صريحا او ضمنا كلا او بعضا **فمن لم يعرف ما يجوز ويمتنع عليه** من الاوصاف ولم يعرف **ما وقع الاجماع فيه** نفيا واثباتا ولم يعرف ما وقع **الخلاف فيه** جوازا او نفيا **كيف يصمم** اي يجزم او يعزم عليه **في الفتيا في ذلك** اي امر الانبيا عليهم الصلاة والسلام منعا وجوازا وفي نسخة الفتوى وفي القاموس فتى في الامر ابانه والفتيا والفتوى وتفتح ما افتى به الفقيه انتهى وفيه تفصيل في المصباح لغيره **ومن اين يدري** ويعلم بالعقل والنقل **هل ما قاله** الانبيا في فتواه او حكمه **فيه نقص لهم او مدح لهم** حتى يقدم عليه حكما وافتا **فاما ان يجتري** بكسر الهمزة وهمزها مقرر في كتب العربية والاجترا افتعال من الجراة وهي الاقدام على الشي من غير مبالاة بما فيه من الضرر وبين ذلك وبين الشجاعة عموم وخصوص كما بين في كتب الاخلاق **على سفك دم مسلم حرام** بان يحكم او يفتي بكفره وقتله وهو غير مستحق لذلك والسفح والسفك بمعنى الاراقة والصب قال في العقايد والعضدية لا نكفر احدا من اهل القبلة الا

بما فيه نفي الصانع المختار او بما فيه شرك او انكار النبوة او انكار ما علم من الدين بالضرورة او انكار مجمع عليه قطعا او استحلال لمحرم واما غير ذلك فالقايل به مبتدع وليس بكافر انتهى واعلم ان ابن حجر الهيتمي قال في شرح المنهاج نقلا عن الزركشي ما وقع في كتب الحنفية وفتاواهم من التكفير بالفاظ كثيرة كان المتورعون من متاخريهم ينكرون اكثرها لمخالفتها لاصول الحجج وعقايدهم وليسوا من اهل الاجتهاد فليحذرها من يراها منا ومنهم لانه يخاف على قايلها ان يدخل في قوله صلى الله عليه وسلم من كفر مسلما بغير حق فقد كفر انتهى وفي الفتاوى البزازية حكى عن بعض السلف انه قال ما في الفتاوى من التكفير بكذا وكذا فذلك للتخويف والتهويل وهو كلام باطل وحاشا ان يلعب امناء الله على الاحكام من الحلال والحرام ويكفر اهل الاسلام بل لا يقولون الا الحق الثابت عن سيد المرسلين وما ادى اليه اجتهاد الامام اخذا من بعض كلام الملك العلام وحديث سيد الرسل العظام انتهى وهذا يحتمل ان يكون تاييدا لما قاله اعتنا بانهم لا يقولون الا ما نص عليه امام مذهبهم مستندا الى دليل القران او الحديث الصحيح او هو اعتراض على الجواب بان المقصود به التخويف والتهويل بانه لا يصح مثله من التاويل الا في الحديث والتنزيل اما في كتب الفقه الموضوعة لبيان الحلال والحرام وتعليم الناس حتى العوام فلا يصح فيها مثله لما فيه من التلبيس **او يسقط حقا** من حقوق النبي صلى الله عليه وسلم بما يوهم نقصا فيه **او يضع حرمة للنبي صلى الله عليه وسلم** اي امرا محترما مراعى له صلى الله عليه وسلم كتجويز المعاصي عليه ونحوه مما لا يليق به فلا يجوز لمسلم ان ينسب لنبينا وغيره من الانبيا عليهم الصلاة والسلام امرا منافيا في عصمتهم عمدا وسهوا قبل النبوة وبعدها وهو الذي ارتضاه كثير من ايمة الدين واهل الاصول ثم ان المصنف شرع في بيان عصمة الملايكة عليهم الصلاة والسلام كما وردت به النصوص فقال **وبسبيل هذا الباب** بمعنى في اي ما جرى في طريق هذا وفي نسخة وسبيل هذا بدون با وهذا اشارة لما ذكر من عصمة الانبيا **ما قد اختلف ارباب** اي اصحاب **الاصول** اي علما اصول الدين في العقايد **وايمة العلما** اي كبار علما الشرع المقتدى بهم **والمحققين** اي اهل التحقيق من اعلامهم **في عصمة الملايكة** عليهم الصلاة والسلام لانهم لا يعصون الله ولا يفعلون الا ما يومرون فهم مثلهم في جريان الخلاف فيما هو لازم لهم والصحيح والصواب فيه والله الموفق

فصل في تحرير القول في عصمة الملايكة

جمع ملك والتا لتانيث الجمع وفي اشتقاق الملك خلاف لاهل اللغة المشهور انه من الالوكة وهي الرسالة لانهم رسل الله برسالتهم الى من يريد واصله مالك ثم قلب بدليل جمعه على ملايكة واختلفوا في حقيقتهم والصحيح انهم اجسام لطيفة قادرة على التشكل وفي تشكلهم كلام ليس هذا محله وليس الجن منهم على الصحيح خلافا لمن ذهب الى انهم جنس واحد وقد بيناه في حواشي التفسير وتقدم الكلام في معنى العصمة قال الجلال الدواني العصمة عندنا ان لا يخلق الله فيهم ذنبا وعند الفلاسفة ملكة تمنع الفجور انتهى **اتفق المسلمون** وفي نسخة اجمع المسلمون **على ان الملايكة مومنون** بالله ورسله وشرايعه كما وصفهم الله في القران **فضلا** اي ذو فضل معظم مبجل **واتفق ايمة المسلمين** من علماء الملة الاسلامية

على ان حكم المرسلين منهم حكم النبيين من البشر فهم **سواء** اي مساوون لهم **في
العصمة** وتنزيههم عما نزهوا عنه لشرف قدرهم **بما ذكرنا عصمتهم منه** من الكبائر
والصغائر كما تقدم تفصيله والجار والمجرور متعلق بالعصمة قال الله تع الله يصطفي
من الملائكة رسلا قال الواحدي الملائكة منهم رسل كجبرائيل واسرافيل وميكائيل وعزرائيل
ومنهم غير رسل وقال بعضهم كلهم رسل ارسل بعضهم لبعض منهم وبعضهم الى الناس كجبريل والحفظة
والمصنف تبع فيما قاله الواحدي وهو المشهور وفي كلامه اشارة الى ان من انكر الملائكة ليس
بمسلم كالفلاسفة فانهم ذهبوا الى انها ارواح الفلكيات وعقولها لقولهم انها حية فعالة لا
عقول روحانية كما فصل في كتب الحكمة ومطولات الكلام والنصوص القرآنية شاهدة بخلافه
وانهم اي رسل الملائكة **في حقوق الانبيا** من حيث الوساطة بين الله وبينهم **والتبليغ
اليهم** فيما امرهم الله ان يبلغوه اليهم من الوحي فحالهم معهم **كالانبيا عليهم الصلاة
والسلام مع الامم** في تبليغ الاحكام اليهم وبيان المصالح لهم حسبما امرهم الله به
والمراد بعصمتهم انهم لا يخالفون امره بهم فلا ينافي ان الله لم يخلق لهم شهوة ودواعي
كما في الطباع البشرية وهو ظاهر غني عن البيان خلافا لمن تصدى للجواب عنه **واختلفوا
في غير المرسلين منهم** اي من الملائكة هل هم مساوون لهم في العصمة مما تقدم وعدمها
وفي نسخة احتجت **فذهبت طائفة** من ائمة الدين **الى عصمة جميعهم** من الرسل وغيرهم
من المعاصي جميعها لان الله تع لم يخلق فيهم شهوة ولا داعية لها **واحتجوا** العصمة
من جميعها وفي نسخة احتجت اي الفرقة والاولى الاولى **بايات** منها **قوله لا يعصون
الله ما امرهم** منصوب على نزع الخافض اي فيما امرهم او بدل اشتمال من اسم الله اي امره
ويفعلون ما يؤمرون به اي يبادرون بفعله من غير تنقيص ولا تاخير فعلى هذا هو
تاسيس وان حمل على ظاهره فهو تاكيد والعطف بما له او بعده وقيل ولا دليل في هذه
الاية لما دعاه من العموم لانه عايد على خزنة النار قبله في قوله عليها ملائكة غلاظ شداد
وهم التسعة عشر وبه فسر في الكشاف فكانه لاحظ عدم الفرق بينهم وبين غيرهم
ولا يخفى ما فيه **وبقوله وما منا الا له مقام معلوم** لا يتعداه لغيره حسبما امروا به
وفيه حذف الموصوف اي ما احد منا او منا فريق **وانا لنحن الصافون** اي
الواقفون صفوفا كصفوف الملائكة والصلاة في المقام المعين لنا ولما امرنا به
وتفسيره بالصافين اقدامنا في الصلاة لا وجه له هنا كما قيل **وانا لنحن المسبحون**
اي الملازمون لتقديس الله وتنزيهه عما لا يليق بشانه وقيل معناه المصلون العابدون
كما ورد في الحديث ان لهم صفوفا كصفوفنا **وبقوله ومن عنده** اي الملائكة المقربون
مكانة لا مكانا لتنزه الله عنه **لا يستكبرون عن عبادته** اي لا يتعبون ويملون
من العبادة التي امروا بها **وبقوله ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته
الاية** لتلذذهم بعبادته **وبقوله كرام بررة** صفة سفرة جمع سافر وهو الكاتب
وهم الكرام الكاتبون من الملائكة والبررة جمع بار وهو المطيع المتقي ربه واما البر فجمع
ابرار **وبقوله لا يمسه الا المطهرون** هذا على ان المراد به لا يمس القرآن في اللوح المحفوظ
او في غيره الا الملائكة المطهرون من الكدورات الجسمانية والعلائق البشرية وقد
فسر بانه لا يجوز ان يمسه من الناس الا من تطهر من الحدث ولا يمسه الكفرة لنجاسة

ولا يستحسرون

كفرهم

كفرهم فهو نفي بمعنى النهي ولا شاهد فيه على هذا كما انه لا شاهد في قوله وما منا الا له
مقام معلوم اذ فسر بانه ما من احد من المسلمين الا له مقام في الاخرة او يوم القيامة وقد
قيل ايضا انه لا شاهد فيه على رسل الملائكة اذ لا تخصيص فيه وقد اشار الى عمومه في الكشاف
ونحوه ما هو بمعناه **من السمعيات** اي النصوص القرآنية الواردة في حق الملائكة
كقوله تع لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون او ما هو مسموع من الشارع من كتاب او
سنة **وذهبت طائفة** من العلما **الى ان هذا** اي ما ذكر من امر العصمة **خصوص** اي مخصوص
كما وقع في بعض النسخ **للمرسلين والمقربين منهم** اي من الملائكة دون غيرهم والمقربون
هم الكروبيون بتشديد الراء وتخفيفها والتشديد ابو علي
كروبية منهم ركوع وسجد وكافه مبدلة من القاف واصله من كرب
بمعنى دنى يقال هو كرب الخلق اي قوته سموا به لقوتهم او لصبرهم على العبادة او هو من
الكرب لشدة خوفهم من الله **واحتجوا باشيا ذكرها اهل التفاسير نحن نذكرها
ان شا الله تعالى** وفي نسخة بعد بالبنا على الضم **ونبين الوجه فيها** اي القول الموجه
المرضي مستعار من الوجه المعروف **والصواب عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم**
اي كمال مقامهم **الرفيع** العالي منزلته عند الله تع **عن جميع ما يحط** اي ينقص وينزل من حط
الحمل اذا انزله من مكان عال الى اسفل منه **من رتبتهم ومنزلتهم** هو مقامهم **عن جليل مقدارهم**
اي قدرهم الجليل فهم معصومون عن جميع الذنوب كبيرها وصغيرها ولا يجوز ذلك
عليهم ولا يقدرون عليه **ورايت بعض شيوخنا اشار** اي قال والاشارة تطلق بهذا
المعنى كثيرا **الى ان** بفتح الهمزة مخففة من الثقيلة اي انه **لا حاجة بالعقبة** فيقال الباء
بمعنى اللام اي لا حاجة **له الى الكلام في عصمتهم** فيكتفى بما ورد واشتهر في حقهم
ومدحهم من النصوص في القرآن والحديث وقيل الله كقولهم غير مرتبين لنا ولم نؤمر بالاقتدا
بهم بخلاف الانبيا عليهم الصلاة والسلام فانا متبعون لاقوالهم وافعالهم مقتدون بهم
فلا بد من معرفة عصمتهم واعتقادها للوثوق بهم حتى يجب امتثال اوامرهم ونواهيهم
للامم وقيل انما اراد انه يجب الكف عن الكلام في جميعهم لانه امر مشكل لا يتكلم فيه الا بدليل
قطعي لانه لا فائدة فيه **وانا اقول ان الكلام في ذلك** اي في عصمة الملائكة لازم
كالكلام في عصمة الانبيا وفي نسخة ان الكلام في ذلك ما الكلام **في عصمة
الانبيا من الفوايد الثلاثة التي ذكرناها** فانهم وسايط بين الله ورسله ونسبتهم الى الرسل
كنسبة الرسل لاممهم فلو لم يكونوا معصومين لم يحصل الوثوق للرسل بما بلغوه ويسري ذلك
لنا فلا فرق اذن **سوى فايدة الكلام في الاقوال والافعال** اي الفايدة التي ذكرناها
في اقوال الرسل وافعالهم **فهي ساقطة هنا** اي في حق الملائكة لعدم اطلاعنا على اقوالهم
وافعالهم ولسنا مكلفين باتباعهم فيه كالانبيا عليهم الصلاة والسلام فلا داعي لعصمتهم
فيها عمدا ولا سهوا لعدم طرو ما لا يليق **فمما احتج به من لم يثبت عصمة جميعهم** وقال
بوجوب عصمة الرسل منهم فقط **قصة هاروت وماروت** هما علمان لملكين ببابل ممنوعان
من الصرف للعلمية والعجمة ولو كانا عربيين من الهرت والمرت صرفا **وما ذكر فيها** اي
القصة **اهل الاخبار** وعلما التاريخ **ونقلة** جمع ناقل مثل كاتب وكتبة مضاف لقوله
المفسرين اي من اعتمد على النقل من الصحف دون تحقيق وفي نسخة ونقله المفسرون

بفعل ماض وفاعل وما روي عن علي وابن عباس في خبرهما وابتلائهما بمحبة المراة
وعقابهما على ما فعلاه كما ستسمعه قريبا مع ما فيه ردا وقبولا وما وقع من السحر فيه
للناس وان السحر من اعتقده وعمل به فقد كفر كما ياتي واما من تعلمه ليتوقاه ويتبرا منه
فلا كما قيل عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه • ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه •
وللفقها فيه وفي قتل الساحر كلام طويل ليس هذا محل تفصيله فاعلم خطاب عام لكل واقف
على هذا الكلام طالب للعلم به اكرمك الله بصرايتك للحق ان هذه الاخبار المذكورة في
قصة هاروت وماروت لم يرو منها شي عمن يعتد به من المحدثين لا سقيم اي ضعيف
ولا صحيح ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هو اي ما تضمنه قصتهما
شي يؤخذ اي يستنبط بقياس وفي نسخة بالقياس اي ليس مما يجري فيه القياس على غير
ما ورد من الايات والاحاديث الصحيحة فلا ينبغي الخوض فيه نفيا واثباتا وهذا الذي ذكره
من انه لم يرد فيه حديث ضعيف ولا صحيح ردوه كما نقله السيوطي في مناهل الصفا في
تخريج احاديث الشفا بانه ورد من طرق كثيرة منها ما في مسند احمد عن ابن عمر رضي الله عنهما
مرفوعا ورواه ابن حبان والبيهقي وابن جرير وابن حميد في مسنده وابن ابي الدنيا وغيرهم
من طرق عديدة وقال ابن حجر في شرح البخاري ان له طرقا تفيد العلم بصحته وكذا في حواشي
البرهان الحلبي وذكره مسندا عن ابن عمر رضي الله عنهما انه سمعه صلى الله عليه وسلم يقول
لما اهبط الله آدم الى الارض قالت الملايكة اتجعل فيها من يفسد فيها الاية قالوا ربنا نحن
اطوع لك من بني آدم فقال الله هلما ملكين يهبطان للارض قالوا ربنا هاروت وماروت
فاهبطا فتمثلت لهما الزهرة امراة حسنا من البشر فراوداها عن نفسها فقالت لا والله
حتى تتكلما بهذه الكلمة من الشرك فابيا فذهبت واتت بابن جار لها تحمله فراوداها فقالت
لا حتى تقتلا هذا الصبي فقالا لا ثم راوداها مرة اخرى فاتت بقدح خمر فقالت لا حتى
تشرباه فشرباه وسكرا فتكلما بكلمة الكفر وقتلا الصبي فخيرهما الله بين عذاب الدنيا
وعذاب الاخرة فاختارا عذاب الدنيا فعلقا بين السماء والارض والزهرة بضم الزاي
وفتح الهاء وتسكينها لحن والامام نم منه تخفيفا ويقال لها بالفارسية اناهيد وتخفف فيقال
ناهيد وفي رواية ابن عباس ان الله انزلهما يحكمان بين الناس وان الزهرة قالت لهما اخبراني
بما تصعدان به الى السما قالا باسم الله الاعظم وعلماها اياه فطارت الى السماء فمسخت كوكبا
وقد جمع الجلال طرق هذا الحديث في تاليف مستقل فبلغت نيفا وعشرين طريقا و قوله
و الذي منه اي من ذكر هذه القصة في القرآن جواب سوال تقديره انك قلت ان هذه
لم تثبت عنه صلى الله عليه وسلم فما تقول في ذكرها في القرآن في قوله تعالى واتبعوا ما تتلو
الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر
وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة
الاية فاجاب بقوله اختلف المفسرون في معناه اي معنى ما ذكر في هذه الاية
فانكر ما قال بعضهم فيه اي في معناه كثير من السلف كما سنذكره فلا حاجة لذكره
هنا وهذه الاخبار التي ذكرها بعض المفسرين من كونه منقولة من كتب اليهود في الاسرائيليات
وافترايهم اي كذبهم على انبيا الله وملايكته عليهم الصلاة والسلام كما قصه الله اي
حكاه في اول الايات من افترايهم بذلك على سليمان وتكفيرهم اياه اي نسبته الى الكفر

قف على قصة هاروت وماروت مع الزهرة

الذي رده الله تعالى بقوله وما كفر سليمان الخ وقد انطوت اي اشتملت واحتوت هذه القصة
على شنع عظيمة بضم الشين المعجمة وفتح النون وعين مهملة جمع شنعة اي قبيحة شايعة
من شنع عليه اذا اشاع قبايحه وذلك كما ياتي بيانه انهم كتبوا سحرا ونيرنجيات على لسان
آصف بن برخيا وزير سليمان عليه الصلاة والسلام ودفنوها تحت مصلى سليمان فنزع ملكه
ثم لما مات استخرجوها وقالوا انما ملككم بهذه فانكرها صلحاوهم واقبل عليها السفلة ورفضوا
كتب انبيايهم ونسبوا سليمان عليه الصلاة والسلام للكفر والسحر وبراه الله منه وها نحن
نخبر اي نخبر بتخبير احسنا من حبره بمهملتين بينهما موحدة اذا احسنه وزينه وفيه تورية
لانه تعالى حبره اذا كتبه بالحبر ففيه ايهام لمعنى نكتته لنبيينه في ذلك المذكور في قصة
هاروت وماروت ما يكشف غطا هذه الاشكالات اي ما يزيل الشبه واشكاله ببيان
الحق فيه وفيه استعارة مكنية وتخييلية او مصرحة باستعارة الكشف للازالة والغطا
للستر ان شا الله اي ان اراده بيمنه وبركته فاختلف اولا في هاروت وماروت
اي في حقيقتهما وجنسهما لان بيان الحقيقة ينبغي تقديمه على بيان احوالهما وهل هما
ملكان بفتح اللام في جواب هذا السوال وهو تفسير للاختلاف وجهته او انسيان
نسبة الى الانس خلاف الجن اي من بني آدم وهل هما المراد بالملكين في قوله وما انزل
على الملكين في الاية بان يكونا بدلا منه ام لا وهل القراة ملكين بفتح اللام وهي قراة
السبعة او ملكين بكسرها وهي قراة شاذة منقولة عن الحسن البصري وغيره كما ياتي
وهل ما في قوله وما انزل على الملكين وفي قوله ما يعلمان من احد نافية او موجبة
اي غير نافية من الايجاب ضد النفي فهي على هذا موصولة او موصوفة وهو ظاهر وكونهما
ملكين بالفتح مذهب الجمهور وقراته متواترة وعلى قراة الكسر يلزم كونهما انسيين تصورا
بصورتهما الاصلية لانه المتبادر وكونهما من الملايكة امرهما الله بالهبوط للارض والحكم
بين الناس كما تقدم في الحديث فتصورا بصورة البشر لقدرتهما على التشكل بعيد من دلالة
اللفظ والاحتمال البعيد لا يعول عليه فايراده هنا غير متجه والقايل بانهما ملكين بالكسر
استدل بظاهر حديث روته عايشة رضي الله عنها ان امراة قالت لها انها رأتهما رجلين
معلقين بارجلهما وفيه الاحتمال السابق ايضا فالاحتجاج به غير تام فان كانت في وما انزل
نافية كان معطوفا على ما كفر سليمان اي لم يكفر ولم ينزل على الملكين شي من السحر وهاروت
وماروت بدل من الشياطين بدل بعض وما بينهما اعتراض وهو رد على اليهود لعنهم الله فيما
افتروه على الانبيا والملايكة والا فهي موصولة او موصوفة وقوله من احد يابى كونها
غير نافية ولذا قال بعض الشراح انه لم ير كونه احد من المفسرين وان المعنى عليه غير ظاهر
والكلام في ذلك مفصل في التفاسير فاكثر المفسرين ان الله امتحن الناس بالملكين
اي ابتلاهم وعاملهم معاملة المحنة لامرهم حتى يظهر حالهم والملكين تثنية ملك بفتح اللام
فانزلهما لتعليم السحر لهما وتبيينه وان علمه كفر وفي نسخة عمله وجعله كفرا لعنه لانه
سببه فهو مجاز كرعينا الغيث والمطر فمن تعلمه وعمل به معتقدا حله كفر لاعتقاده ما
هو حرام اجماعا حلالا ومن تركه آمن اي دام وهو مومن على ايمانه اذ الكافر بمجرد تركه
السحر لا يصير مومنا وهذا مذهب مالك وعزاه المصنف في شرح مسلم الى ابن حنبل فهو عندهما
كافر يقتل ولا يستتاب كالزنديق وهو عند الشافعي كبيرة اذ لم يكن فيه ما يقتضي الكفر فلا يقتل

وتقبل توبته فان قتل بسحره قتل قصاصا عنده وقيل تلزمه الدية والكفارة وعند غير
الشافعية فيه خلاف ودليل مالك ما قال الله عز وجل انما نحن فتنة فلا تكفر فان قولهما
له على طريق النصح حتى روي انه تكرره سبع مرات يقتضي انه كفر وما قيل من انه لا دليل فيه
لاحتمال ان الله يعاقبه بسلب الايمان منه اي لا تفعله فانه سبب لسوء الخاتمة خلاف الظاهر
ويعلمهما الناس يعلمان من آر مبتدأ وخبره والناس مفعول المصدر الاول وهو جواب
عما استدل به اي انما علموه لهم ليعرفوه ويحذروا منه فهو انذار وتخويف لهم من وباله ونصح
بقوله اي يقولان يعني الملكين لمن جاء يطلب تعلمه منهما لا تفعل اي لا تتعلمه وفي نسخة
لا تعلموا فانه يفرق بين المرء وزوجه اي هو سبب لذلك بما يلقيه في قلبهما من البغض
الموجب لمفارقة احدهما الآخر وما هم بضارين به من احد الا باذن الله اي بتقديره وارادته
والسحر له تأثيرات غير ذلك وانما خصه لكثرته والجمهور على ان السحر له حقيقة يحدث
عند نطقه ببعض الكلمات او فعل بعض الاشياء بخاصية اوجدها الله عنده وقيل انه تخيل
باطل وانه لا اثر له غير تفريق الزوجين والاول هو الصحيح كما قاله المازري ولا تحيلوا
بكذا تفعل من الحيلة بالحاء المهملة اي لا تباشروا احيل السحرة التي يفعلونها من التمويه
والنفث في العقد ونحوه وروي لا تخيلوا بخاء معجمة من التخيل وهو ظن الشيء على خلاف
ما هو عليه واكثرهم على الاول ويؤيده تعديه بالباء وهي سببية فانه سحر امر غير محمود
ولا جائز فلا تكفر بفعل هذا لانه كفر او مؤد اليه كما بيناه فعلى هذا اي ان نهيهما
لانذار الناس من الوقوع فيه فعل الملكين في السحر بعد نهيهما عنه وبيان ضرره
وكفر فاعله طاعة لما فيه من النهي عن المنكر وتصرفهما فيما امرا به اي امرهما الله
باظهاره وبيان حاله ليس بمعصية يستدل بها على عدم عصمة بعض الملائكة وهو جواب
عن سؤال تقديره انما فعلاه ما هو غير جائز في نفسه بانه في حقهما جائز كالمفتي والواعظ
الذي يتكلم بكلمات الكفر ليجتنب وهو مامور بذلك فهو في حقه غير ممنوع وهي لغيرهما
فتنة بلية تهلكه بعذاب الله له وروى ابن وهب الامام عبد الله بن وهب المصري وقد
تقدمت ترجمته عن خالد بن ابي عمران التجيبي التونسي قاضي افريقية ومحدثها توفي
سنة مائة وتسعة وثلاثين واخرج له اصحاب السنن ووثقوه وكان مستجاب الدعوة
وله تفسير انه ذكر عنده هاروت وماروت وذكر انهما يعلمان السحر من طلب تعلمه
منهما فقال نحن ننزههما عن هذا اي تعليم السحر وقرأ بعضهم ردا لما قاله بانه مخالف
لظاهر قول الله وما انزل على الملكين الآية احتج بها بناء على الظاهر من ان ما موصولة وعلى قراءة
الجمهور بفتح اللام فقال خالد مجيبا له لم ينزل عليهما بالبناء للفاعل او المفعول وهو انكار لما
قاله وانه ليس ما فهمه مراد الله وان لها معنى غير ما يظهر منها لتأويلها وسيأتي ان شاء الله تع
فضل خالد على حالة اي عظم قدره وجعله لشهرته كانه حاضر مشاهد عنده وعلمه بالتفسير
والحديث نزههما اي الملكين عن تعليم السحر الذي قد ذكر غيره انه مأذون لهما في تعليمه
لان الله امرهما بتعليمه انذارا للناس وليس معصية في حقهما كما سمعته آنفا بشريطة بمعنى
شرط كما وقع في بعض النسخ ايضا ان يبينا انه كفر فيعلماه بما فيه من المحذور وانه امتحان
من الله وابتلاء عطف تفسير فغير خالد جعل ما موصولة ايجابية مثبتة لانزال السحر عليهما
وهي عنده نافية ولكنه امر بتعليمه لانذارهم وتحذيرهم من مضاره وبيان انه ابتلاء من الله

فكيف لا ينزههما هو مضارع مسند الى خالد ولذا مثناة تحتية وقيل انه مصدر وبالنون
مسند للمتكلم وغيره اي كيف لا ننزه نحن الملكين عن الكبائر والصغائر كشرب الخمر وقتل
النفس والزنا والكفر بالتكلم بكلمة الكفر ونحوه المذكورة في تلك الاخبار التي رووها
كما سمعته آنفا وفصلنا قريبا فتنزيههما عن هذا يعلم من تنزيه خالد لهما عن السحر وتعليمه بشيء
المذكور بالطريق الاولى وقول خالد الذي نقله المصنف عنه لم ينزل عليهما بالتشديد والتخفيف
مبنيا للمجهول الذي دل عليه قوله وما انزل على الملكين الخ يريد بقوله ذلك ان ما في هذه الآية
نافية وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وبه اقتدى خالد وهو يقول كما في بعض الشروح
ان المراد بالملكين جبريل وميكائيل وهاروت وماروت بدل من الشياطين وغيره لم تذهب
لهذا كما تقدم وهذا القول لم يقل به جمهور المفسرين والمحدثين كما عرفته قال مكي في تفسيره
وتقدمت ترجمته وتقدير الكلام عند ابن عباس وخالد اذا كانت ما نافية وانه معطوف
على قوله وما كفر سليمان نبي الله صلى الله عليه وسلم يريد بالسحر الذي افتعلته
الشياطين عليه اي افترته وكذبت في نسبته اليه قال في الاساس مفتعل مختلق
مصنوع يعني لا اصل له قال ذو الرمة

غرائب قد عرفن بكل افق • من الآفاق تفتعل افتعالا

واتبعهم في ذلك اليهود كما قيل ان الشياطين دفنت كتب السحر تحت كرسيه فلما
مات وذهب علماء ملته قالوا ان تحت كرسيه كنزا فحفروا ما تحته فوجدوا الكتب فقالوا
ان سليمان كان ساحرا فلما نزل القرآن بذكره قال اليهود انه ساحر فنزلت الآية بتكذيبهم
اي تكذيبا لهم كما رواه الطبري عن ابن جبير بسند صحيح لكن فيه ان الشياطين هي التي كتبت
كتب السحر ودفنتها فلما مات استخرجتها وقالوا هذا هو العلم الذي كتمه عن الناس وزاد
ابن اسحاق انهم نقشوا خاتما كخاتم سليمان وختموا به الكتاب وعنونه هذا ما كتبه آصف
بن برخيا الصديق للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم الذي انزل الله على سليمان
فاخفاه عنا ثم قرأوا كتب السحر والكفر على الناس وقوله وما انزل على الملكين اي شيء
من السحر وهذا بيان لانها نافية وهو قول ضعيف قال مكي هما اي الملكان جبريل وميكائيل
كما تقدم ادعى اليهود عليهما المجيء به اي انهما نزلا بالسحر وتعليمه افتراء عليهما كما ادعوا
على سليمان عليه الصلاة والسلام انه ساحرا اعتقد السحر وعمل به افتراء عليه فاكذبهم
الله اي بين كذبهم في ذلك كله بما نسبوه لجبريل وميكائيل وسليمان بقوله ولكن اضراب
ابطالي الشياطين كفروا بكذبهم على الله وملائكته ورسله وعملهم السحر وتدوينه وهم الذين
يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت وبابل علم ارض ممنوع من الصرف للعلمية
والتأنيث سميت به لتبلبل الالسنة واللغات بها بعد الطوفان وهي بالعراق وما قيل
انها بالمغرب فهو قول ضعيف جدا وقبلها اي هاروت وماروت رجلان لا ملكان تعلماه
اي تعلما السحر وهو قول مردود وبابل ايضا فلها على هذا وقال الحسن هو الحسن البصري
وقد تقدم بيانه هاروت وماروت علجان تثنية علج وهو الغليظ من كفار العجم اي ما
عند العرب ويطلق على كل شديد من الكفار مطلقا من قولهم هو مستعلج الوجه اي غليظه
واعتلجوا اي اضطربوا وقرأ الحسن وما انزل على الملكين بكسر اللام كما تقدم بيانه
ويكون ما ايجابا اي موصولة لا نافية على هذا القول والقراءة والمعنى الذي انزل

على هذين الرجلين وكذلك اي كما قرا الحسن قرا عبد الرحمن بن ابزى بكسر اللام وبه قرا في الشواذ ابن عباس والضحاك وعبد الرحمن هذا صحابي كما جزم به النووي والذهبي واختلف في ابيه فقيل انه صحابي ادرك النبي صلى الله عليه وسلم وصلى خلفه وقيل انه تابعي لم ير ركه وابزى بفتح الهمزة وسكون الموحدة وزاي معجمة والف مقصورة يقال ابزى اذا اوسع خطوه وقد اخرج له الستة وغيرهم كاحمد في مسنده وهو خزاعي ولكنه قال الملكان هنا اي في هذه الاية المراد بهما داود وسليمان صلى الله عليهما وسلم وتكون ما نفيا على ما تقدم ولا شك انهما معصومان فلا تكون ما موصولة وقيل كانا ملكين على انه بكسر اللام في هذه القراءة من بني اسرايل هو لقب يعقوب ومعناه صفوة الله واليه ينسب بنو ابراهيم فنسخها الله بما وقع منهما حكاه السمرقندي قيل انه بسكون الراء والنون وتقدم بيانه والقراءة بكسر اللام شاذة كما مر والشاذ ما فوق العشرة على الصحيح وقيل ما فوق السبعة والكلام عليه في الاصول وعلم القراءات مشهور فمحمل بفتح الميم الاولى وكسر الثانية اي ما تحمل عليه وتفسر به الاية يعني قوله وما انزل على الملكين الخ على تقدير ملكين بجعل ما نافية معطوف على ما كفر سليمان حسن على القول بانهما لم يومرا بتعليمه ابتلاء وامتحانا كما تقدم وحسنه لانه ينزه الملايكة عن المعاصي ويذهب الرجس اي الاثم وجزاءه عنهم ويطهرهم تطهيرا اي يبريهم عن المعاصي والاوساخ وهو اقتباس استعير فيه الرجس للمعاصي والتطهير للعصمة منها وتحقيقه في الكشاف وشروحه وقد وصفهم الله اي وصف الملايكة في القرآن بانهم مطهرون من الادناس والعيوب كالمعاصي وهذا بناء على احد التفاسير فيها كما تقدم ولا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون وقد تقدم بيانه واعلم ان ما ذكره المصنف في قصة هاروت وماروت من انه لا اصل لها بحسب الرواية ولا من جهة الدراية على ما هو الاصح من ملكيتهم لانهم معصومون والملك المعصوم لا يليق ان ينسب اليه ما ذكر من المعاصي ونحوها مما هو مردود اما الاول فلما عرفته من انه ورد في حديث من طرق كثيرة باسانيد صحيحة كما قاله الحافظ ابن حجر والسيوطي قال وجمعت طرقه في جزء مستقل فالتردد فيه لا ينبغي واما ما انكره من انه نسب للملايكة ما لا يليق بهم ولا يصح نسبته لهم فتحقيق الوجه فيه ان الله تعالى لما جعل آدم عليه الصلاة والسلام خليفة والخلافة في اولاده وقالت الملايكة سوال استفسار اتجعل فيها من يفسدون في الارض فقال لو جعلت فيكم ما فيهم من الشهوة كنتم مثلهم فتعجبوا من ذلك فامرهم باختيار من يحكم في الارض فاختاروا هذين الملكين فاودع فيهما جبلة شهوة بشرية وتمثلا بصورتهم فلما اهبطهما ورايا الزهرة فتناهما وكان ما كان مما قصصناه عليك فاذا عرفت هذا سقط هذا الاعتراض لانهما اخرجا عن الملايكة واودع فيهما شهوة البشر لا ينكر مثله فيهما لان المعصوم الملك ما دام على اصل ملكيته فاذا خرج عنه التحق بالبشر فلا ينكر ان يصدر منهما ما يصدر منهم وهذا هو الحق الحقيق ومما يذكرونه في الاستدلال على ما ادعوه من ان الملايكة غير معصومين والمعصوم منهم الرسل فقط قصة ابليس لما عصى الله وابى السجود لادم عليه الصلاة والسلام على القول بانه كان من الملايكة وفيه خلاف مشهور وانه كان من الملايكة رييسا فيهم ومن خزان الجنة الى آخر ما حكوه من احواله وخزان بضم ففتح وتشديد جمع خازن كخزنة من الخزن وهو حفظ الخزائن والمراد به حفظها وحراستها وانه استثناه الله

من الملايكة بقوله فسجدوا الا ابليس والاصل في الاستثنا الاتصال المقتضي لانه منهم ولو لم يكن منهم داخلا في امرهم بالسجود لم يكن مستحقا للطرد وغيره وهذا ايضا لم يتفق عليه مبني للمجهول اي لم يتفق عليه العلما حتى يتم الاستدلال به مع معارضته لقوله في آية اخرى كان من الجن وان اول له الذاهبون الى الاول وهو منقول عن ابن عباس والكلام فيه مشهور غني عن البيان بل الاكثر منهم ينفون ذلك ويقولون انه ابو الجن وهو المسمى بالجان ايضا ومنهم من قال انه ابو الشياطين وان الجن جنس غيرهم والجان ابوهم وان الشياطين لا يسلمون ولا يموتون الا معه والجن منهم مسلم وكافر ويموتون كالبشر ويحشرون ويدخلون النار والجنة كما ان آدم ابو الانس وهو اي هذا القول قول الحسن وقتادة وابن زيد وهو عبد الرحمن بن زيد بن اسلم وتقدمت تراجم هولا كلهم وقال شهر بن حوشب شهر بمعجمة بزنة ضرب وحوشب بفتح الحاء المهملة وسكون الواو وفتح الشين المعجمة وموحدة وهو ممن رووا عنه ووثقوه وضعفه بعضهم وتوفي سنة احدى عشرة ومائة وقيل في تاريخ موته غير ذلك وله ترجمة في الميزان كان من الجن الذين طردتهم الملايكة في الارض حين افسدوا فيها والاستثنا من غير الجنس وهو الاستثنا المنقطع شايع من شاع الخبر اذا اشتهر بين الناس في كلام العرب سايغ بسين مهملة وغين معجمة آخره ومعناه جائز من ساغ الشراب اذا سهل شربه وطاب استعير لما ذكر يعني انه مسموع من اهل اللسان غير ممتنع بحسب العقل والفهم ثم استدل بقوله تعالى ما لهم به اي الذين اختلفوا في قتل عيسى من علم الا اتباع الظن والظن ليس من العلم وكذا اتباعه وقد اخرج منه وليس من جنسه اي لكنهم اتبعوا الظن فيما زعموه وتاويله بما تسكن النفس اليه بصحته ولا يجعله متصلا كما قيل وانما كون ابليس ملكا او جنيا وان الجن والملك نوع واحد من عنصر واحد والجن من نار مخالط لدخانه والملك من صافي نوره كما قرره البيضاوي والكلام على هذه الاقوال الثلاثة وعلى حقيقة الجن والملك لا يسعه هذا المقام ومما رووه من الاخبار كما رواه ابن جرير عن ابن عباس وابن ابي حاتم عن يحيى بن كثير ان خلقا اي طايفة من الملايكة عصوا الله فيما امرهم به وهذا بناء على عدم عصمة جميعهم فحرقوا ضبطه بعضهم بالفاء من التحريف اي طردوا وصرفوا عن مقامهم وفي بعض الشروح انه بالقاف من تحريق النار والراء المهملة مشددة فيهما مع بناء المجهول لكن قوله وامروا ان يسجدوا لآدم فابوا السجود له يا باه لانه بعد تحريقهم وفنائهم كيف يومروا بالسجود له الا ان يقدروا وآخرون امروا بالسجود فحرفوا هو كالذي قبله ولو ضبط الاول بالفاء والثاني بالقاف جاز على انه قصد التجنيس فليحرر وآخرون كذلك اي امروا بالسجود لادم فابوا فحرقوا حين سجد له من ذكر الله في قوله تعالى فسجد الملايكة كلهم اجمعون الا ابليس في اخبار اي ما ذكره الله في القرآن مع اخبار اخر في معنى الاية لا اصل لها اي لا يعتمد عليها يقال لكل ما لا يصح هذا لا اصل له فيكفي بنفي الاصل عن نفيها ردها صحيح الاخبار المنافية لها الدالة على عصمة الملايكة كما في الايات المتقدمة فلا يشتغل بها والله الموفق للصواب

الباب الثاني فيما يخصهم من الامور الدنيوية

التي تختص بالانبيا من الصفات والسمات التي تكون لهم في الدنيا سواء كانت واجبة او مندوبة

او مباحة اولا وفيما يطرا اي يحدث ويوجد وهو مهموز الآخر وقد تبدل همزته بحرف
علة يقال طرا عليه كذا اذا عرض له فلذا فسره وبينه بقوله من العوارض جمع عارض
واصل معناه ما يبدو واعترضه ثم استعمل فيما يعرض ويحدث من سقم وغيره وقوله البشرية
تخصيص له لان العوارض تعرض للبشر من بني آدم وغيرهم لما ذكر في الفصول التي قبل هذا
مما يتعلق بالانبيا من عصمتهم من الكبائر والصغائر والحكمة ببيان عصمة الملائكة وهو مما
يتعلق بالامور الاخروية شرع فيما يتعلق بهم من الامور الدنيوية لما بينهما من التقابل فقال
قد قدمنا في هذا الكتاب انه اي نبينا صلى الله عليه وسلم وسائر الانبيا والرسل
اي بقيتهم صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين من البشر اي افراد كاملة من هذا النوع يجري
عليهم ما يجري على غيرهم من لوازم البشرية وان جسمه وظاهره الضمير للنبي صلى الله
عليه وسلم او للجسم والاول اولى خالص للبشر يعني بدنه صلى الله عليه وسلم فيما
يتعلق ببنيته متمحض للبشرية لا يخالف غيره في شي منها فلذا قال يجوز عليه اي يجوز
ان يطرا عليه من الآفات جمع آفة كعاهة وزنا ومعنى وهو ما يفسد ما اصابه ويضره
قال السرقسطي في افعاله آف القوم اوفا اذا دخلت عليهم مشقة وقد مر والتغيير
اي الانتقال من حال الى حال كالمرض والصحة والآلام بالمد جمع الم وهو كما قال الراغب
الوجع الشديد ومنه عذاب اليم اي مولم والاسقام جمع سقم بفتحتين وسقم بضم فسكون
وهو المرض المختص بالبدن لان منها ما هو نفساني ومشترك ومجرع كاس الحمام التجرع
الشرب تدريجا جرعة بعد جرعة وكاس بهمزة تبدل الفا قدح الشراب ما دام فيه والا
فهو زجاجة وقدح والحمام بكسر الحا المهملة الموت من حم الامر اذا قضى وقدر لانه بقضائه
وقدره وفيه استعارة مكنية مرشحة شبه بالمسكر كما في الحديث ان للموت لسكرات
لازالته العقل فاثبت له الكاس تخييلا واثبت التجرع ترشيحا وكون اضافة الكاس كاضافة
لجين الما ركيك وتاخيره عن الاسقام والآلام واقع موقعه ما يجوز على غيره من البشر
لان المساواة في الجسمية تقتضي المساواة في قبول العوارض كما تقرر في الحكمة وعلم الكلام
وما موصولة فاعل ليجوز الاول وهذا كله اي ما جوز عليه وعلى سائر الانبيا من جواز
ان يطرا عليهم كغيرهم العوارض البشرية من الآلام وغيرها ليس بنقيصة فيه لانه
امور طبيعية غير كسبية لا يعد مثله نقصا الا عند بعض العقول القاصرة كما قالوا
ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق لان الشي انما يسمى ناقصا بالاضافة
اي بالنسبة الى ما هو اتم منه واكمل من نوعه كما يتفاوت بعض افراد الناس ويفوق بعضهم
بعضا بالفضائل والاخلاق الحميدة وقد كتب الله اي قضى وقدر في الازل قضاء مبرما
على اهل هذه الدار يعني دار الدنيا انهم فيها يحيون وفيها يموتون ومنها يخرجون الى
البرزخ ثم الى منازلهم في الآخرة وهذا وقع في القرآن خطابا لآدم وحوى والمراد عمومه
لهم ولغيرهم ومنه اقتبس المصنف وخلق جميع البشر بمدرجة الغير مدرجة بفتح الميم اسم
مكان بمعنى الطريق قال الراغب يقال لقارعة الطريق مدرجة وفلان يتدرج اي
يتصعد درجة درجة ودرج مشى فهي محال المشي والغير بكسر الغين المعجمة وفتح المثناة
التحتية وراء مهملة يقال غير الدهر حوادثه المتغيرة من حال الى حال وهو مفرد بزنة عنب
او جمع غيرة وهي الاثر المنغص وباؤه بمدرجة بمعنى في او للملابسة وهذه فقرة بليغة لانه

جملة دراهم

جملة دراهم الدنيا على طريق يمر عليها حوادث الدهر والمراد انهم مستهدفون لها لا
محالة وفيه اشارة الى ان الدنيا دار ممر لا مقر وفيه استعارة مكنية شبه حوادث
الدهر بقوم سالكون في طريق هولا سالكوه فهو في غاية الحسن فقد مرض رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهذا يحتمل انه اشارة الى ما كان يطرا عليه من الامراض مطلقا كما روا
البخاري انه صلى الله عليه وسلم كان يتوعك وعكا شديدا وذلك ليزداد اجره ويحتمل
انه اشارة الى ما وقع له صلى الله عليه وسلم في مرض موته والكلام عليه مفصل في كتب
الحديث والسير فلا حاجة للتطويل بذكره كما فعله بعضهم هنا وقوله واشتكى بمعنى مرض
ايضا قيل وانما ذكره اشارة الى انه ورد في الحديث تارة التعبير بانه مرض وتارة بانه اشتكى
وليس المراد به معناه المشهور لما يوذن من ضجره والرضى بما يفعله الله وروي ان جبريل كان
يرقيه صلى الله عليه وسلم في مرضه فيقول باسم الله ارقيك من كل شي يوذيك من شر
كل نفس وعين حاسد الله يشفيك فاصابه الحر والقر والحر بفتح الحاء المهملة وتشديد
الرا المهملة وهو شدة سخونة الهوا في الصيف والقر بضم القاف وكسرها وتشديد الرا وهو شدة
البرد ويجوز فتح قافه للازدواج وادركه الجوع والعطش وهو من الله ليزداد اجره
بصبره ومجاهدته تعليما للامة ولو اراد خلافه ملا الله له الدنيا رزقا ونعما وفي ذلك
ايضا رياضة يتصفى بها الذهن ويخف الروح لكنه يظهره في صورة العجز تادبا مع الله تع
ومخالفة لاهل الملل في ذلك لانه صلى الله عليه وسلم قال لا رهبانية في الدين وهذا
في بعض الاحيان وان كان يواصل الصوم ويقول اني لست كاحدكم اني ابيت عند ربي
يطعمني ويسقيني فان لكل مقام حال يخصه قد حققه المحققون وابن سينا في مقامات
العارفين في آخر الاشارات ولحقه فعل ماض بلام وحا مهملة وقاف الغضب وهو ثوران
النفس لارادة الانتقام وكان غضبه صلى الله عليه وسلم لله اذا وقع ما لا يرضاه والضجر
بضاد معجمة وجيم ورا بمعنى القلق وقيل انه الملال والسآمة من الحاح بعض الناس من
الاعراب والمولفة قلوبهم وهذا كله ورد في الاحاديث الصحيحة وناله اي حصل له صلى
الله عليه وسلم الاعيا والتعب هو عطف تفسير للاعيا فانهما بمعنى واحد فكان هذا يعرض
له كله كما يعرض لغيره من البشر ومسه الضعف في بدنه في آخر عمره والكبر المراد به
هرم الشيخوخة وهذه كلها امور جبلية تحدث لنوع الانسان لا يسلم منها احد لا نبي ولا غيره
ولا يعد نقصا فكان صلى الله عليه وسلم يصلي قاعدا في تهجده كما رواه مسلم ولو قصد السجع
لجعلها فقرات رائية قدم الضعف والكبر وسقط اي وقع صلى الله عليه وسلم من فوق فرسه
فجحش بضم الجيم وكسر الحاء المهملة وشين معجمة مبني لما لم يسم فاعله اي خدش والخدش
والجحش جرح في الجلد وقال الخليل هو كالخدش او اكثر شقه بكسر الشين المعجمة وتشديد
القاف اي جانبه الايمن وهو في حديث من احاديث الصحيحين وكان ذلك في ذي الحجة
سنة خمس وفي البخاري عن انس انه صلى الله عليه وسلم سقط عن فرسه فجحشت ساقه او
كتفه وشجه الكفار في وجهه فادموه والشج في الاصل ان يضرب الراس فيشق ثم استعمل
في غيره من الاعضاء والذي شجه ابن قمية فاسند ما وقع من البعض للكل كقولهم بنو فلان
قتلوا قتيلا كما تقدم وكسروا رباعيته بتخفيف اليا بزنة ثمانية وهي السن التي بين
الثنية والناب وتجمع على رباعيات وفي التعبير بالكسر اشارة الى انه ذهبت منه فلقة

ولم يسقط من اصلها وكان هذا في وقعة احد فشج وجهه الشريف وكسرت رباعيته السفلى وجحشت ركبته وسال الدم على وجهه وهشمت الخوذة التي على راسه الشريف كما فصل في السير وهو لا ينافي كون الله عصمه من الناس ان قلنا ان اية العصمة نزلت قبل والا فالعصمة انما هي عن القتل كما فصله الخيضري في خصايصه **وسقي** بالبنا للمجهول **السم** لسين مثلثة وذلك انه صلى الله عليه وسلم بعد خيبر اهدت له زينب بنت الحارث اليهودية شاة مسمومة وكانت سالت اي اعضاء الشاة احب اليه فقالوا الذراع فاكثرت من السم فيه فلما مضغه صلى الله عليه وسلم لم يسغه واكل منه البرا فمات بعد ذلك فلما مضغه صلى الله عليه وسلم لاصحابه امسكوا فانها مسمومة وقال لها ما حملك على هذا قالت ان كنت نبيا سلمت منه فاعلم بك والا ارحت الله الناس منك فاحتجم صلى الله عليه وسلم على كاهله كما ياتي وروي انه صلى الله عليه وسلم لم يعاقبها وفي رواية انه قتلها قال الواقدي رحمه الله وهو الثبت وجمع بينهما بانه تركها اولا ثم لما مات بشر بن البرا قتلها وقيل انها اخت مرحب ولذا ترك قتلها اولا ثم وتفصيله في السير **وسحر** بالبنا للمجهول والساحر له لبيد بن الاعصم كما مر ترك ذكره لشهرته او لخسته ولعدم تعلق الغرض به وهو يهودي من بني زريق وقيل انه منافق اسلم ظاهرا وارتضاه ابن الجوزي وكان ذلك في مرجعه من الحديبية في ذي الحجة ودخل المحرم سنة سبع وقيل انه كان حليفا في بني زريق يحسن السحر فجعل له اليهود جعلا على ان يسحره صلى الله عليه وسلم فاثر فيه السحر اربعين ليلة وقيل ستة اشهر وقيل انه مكث سنة وياتي في رواية يعمر ما يويد هذا الاخير وان السهيلي قال انه المعتمد **وتداوي** صلى الله عليه وسلم كما يتداوى غيره فهو من جملة ما لحقه من العوارض البشرية فتداوى من لدغة عقرب بماء وملح لما لدغته في اصبعه وهو يصلي كما في مسند ابن ابي شيبة عن ابن مسعود فاتي بماء وملح جعل في اصبعه الشريف **واحتجم** على كتفه لما مضغ من الشاة المسمومة كما تقدم وبالحجامة يخرج السم مع الدم او يضعف الدم فلا يوصل السم على القلب الا انه لم يزل به صلى الله عليه وسلم اثره حتى رزقه الله الشهادة وفضلها كما روي في كتب الحديث **وانتشر** افتعال من النشر بنون وشين معجمة وراء مهملة وفي نسخة نشر والنشر بمعنى الرقية والتعوذ والتحقيق ان النشرة بالضم او الفتح ما يقرا عليه ادعية وتمائم ثم يغتسل بها من مرض ونحوه سميت نشرة لنشر الماء فيها **وتعوذ** بذال معجمة من العوذة وهي الرقية باعوذ بالله ونحوه ثم عمت ورقيته صلى الله عليه وسلم لنفسه ورقية جبريل له مروية له من طرق كقوله اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة وغيره ثم بعد هذا كله **قضى نحبه** كغيره وقضا النحب كناية عن الموت واصل معنى النحب النذر الواجب فيقال ذلك كانه لحتمه كان نذرا في ذمته بقضيه بموته كما يقال قضى اجله واستوفاه وقيل النحب الموت من النحيب وهو البكا والتحقيق ما قدمناه **فتوفي صلى الله عليه وسلم** اي توفاه الله تعالى **ولحق بالرفيق الاعلى** وهم الانبيا والملائكة عليهم الصلاة والسلام والرفيق بمعنى المرافق يقع على الواحد وغيره وقال تعالى وحسن اولئك رفيقا وقيل الرفيق المراد به الله لرفقه بعباده اولانه معهم اينما كانوا وعن عايشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم قال عند موته بل الرفيق الاعلى وذلك انه خير بين بقايه في الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عنده **وتخلص** بوفاته **من** الدنيا التي هي دار **المحن** وفي نسخة دار الامتحان **والبلوى** لما كان يقاسيه

من اعلى الدين

يحيى بن

من اعلى الدين وتبليغ امانة الله **وهذه** الامور المذكورة التي كانت تصيبه صلى الله عليه وسلم **من سمات البشر** اي من صفاتهم وعلاماتهم المختصة بهم من السمة وهي الوسم والعلامة **التي لا محيص عنها** اي لا يتخلص منها احد من الخلق نبيا كان او غيره قال الراغب يقال ما عنه محيص وما له منه محيص من حيص بيص او من حاص بمعنى حاد عما فيه شدة فهو مكروه **واصاب غيره من الانبيا ما هو اعظم منه** اي من الامور التي اصابت النبي صلى الله عليه وسلم **فقتلوا قتلا** بغير حق كما وقع ليحيى بن زكريا والقتل وقع لبعض الانبيا كما قال تعالى يقتلون النبيين بغير حق ولبعض رسل الله الا ان الله عصمهم من القتل حين الدعوى وفي مقاتلة الكفار المامورين بها كما ذكره علما التفسير والاخبار ولقتل يحيى وانتقام الله من قتله بان سلط عليهم بخت نصر فقتل منهم سبعين الفا كما فصله المورخون وفي نسخة قتلوا تقتيلا والمصدر محقق لتاكيد القتل **ورموا في النار** كابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم رماه فيها بمنجنيق من بناه عال نمرود فصارت النار عليه بردا وسلاما وكذا جرجيس كما في قصص الانبيا للثعالبي **ونشروا بالمناشير** جمع منشار ويقال ميشار بياء بدل النون ويهمز وهي آلة من حديد معروفة يشق به الخشب وهو مشتق من النشر لتفريق المنشور قطعا وفي المنشار لغات يقال نشره ووشره وفي جمعه مياشير ومواشير فنصح ضبط ما هنا بالنون وقول ابن قتيبة انه اي مناشير عامية لا نقل عنه لا ادري وجهه والذي نشر زكريا عليه الصلاة والسلام لما قتل الملك يحيى فوقع به ما وقع من قتل نبيه اذ سلط الله عليه عدوا فهرب زكريا من الملك فارسل خلفه من يطلبه وادركه الطلب فانشقت له شجرة فدخل فيها فامسك الشيطان هدب ازاره خارجا من الشجرة فدلهم الشيطان عليه ونشروا الشجرة وزكريا وقيل سبب هربه انهم اتهموه بمريم **ومنهم** اي الانبيا **من وقاه الله** اي صانه **ذلك** اي القتل والحرق والنشر ووقى بمعنى حفظ وستر يتعدى لمفعولين وفي الحديث يقي بالصدقة وجهه النار **في بعض الاوقات** كما وقع في يوسف عليه الصلاة والسلام من احراق النار **ومنهم من عصمه** وحفظه من القتل وان وقع له بعض ما يوذيه **كما عصم بعد** مبني على الضم اي بعد ما تسلط عليه الاعدا **نبينا صلى الله عليه وسلم من الناس** كما قال تعالى والله يعصمك من الناس كما تقدم **فلين لم يكف** من كفه يكفه بالكسر ثم ويكون تخفيفه بجزمه بحذف آخره كيرمي وهو الظاهر على النسخة الاولى **نبينا** صلى الله عليه وسلم وهو مفعول مقدم **وربه** فاعل موخر وفي نسخة عن نبينا **ابن قمية** مفعول ثان وقمية بالهمز بزنة فعيلة من قمي بمعنى صغر وذل وهو عبد الله بن قمية الذي جرح وجهه الشريف صلى الله عليه وسلم لما رماه وقال له خذها وانا ابن قمية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قماك الله اي اذلك فرماه الله من شاهق جبل لما انصرف فتقطع قطعا وقصته في السير **يوم احد** اليوم بمعناه الحقيقي او المراد به غزوتها كقولهم ايام العرب لوقايعهم وهو تجوز المعنى مشهور ومنه وذكرهم بايام الله **ولا حجبه عن عيون عداه** بكسر العين مقصور جمع عدو وفيه كلام في كتب اللغة والنحو **عند دعوته** للاسلام **اهل الطايف** هي بلاد ثقيف بقرب مكة سميت بها لانها طافت على الماء في الطوفان او لان جبريل عليه الصلاة والسلام اقتطعها من الشام وطاف بها البيت وقيل لانه بني عليها طوف اي حايط وهذا كان سنة عشر من النبوة بعد موت ابي طالب وقد نالت منه صلى الله عليه وسلم قريش منالها فخرج الى الطايف وحده

لما نجاه الله من السجن وابراهيم عليه الصلاة والسلام

او منعه زيد بن حارثة يلتمس نصرة ثقيف له فقام على ناس من اشرافهم ودعاهم للاسلام
فابوا واغروا به سفهاءهم فاطالوا عليه وحصبوه حتى ادموا ساقيه وهو ذاهب ثم كفهم الله
عنه وحجبهم عنه فجلس عند حايط كرم وكان ما فصل في السير في عرضه نفسه على قبايل العرب
فلقد اخذ الله عز وجل اي غطى وحجب **على عيون قريش** يقال اخذ على عينه وعلى يده اذا كفه
ومنعه فالعيون جمع عين بمعنى الباصرة او بمعنى الرقيب والجاسوس وكان ذلك **عند خروجه**
من مكة **الى** غار بجبل **ثور** هذا هو الصحيح وفي نسخة الى ثور وهي غلط لانه انما يعرف بثور وهو
جبل معروف على يمين مكة لما تشاوروا في امره صلى الله عليه وسلم بدار الندوة ثم اجمعوا على قتله
فامر عليا كرم الله وجهه بالنوم على فراشه فخرج صلى الله عليه وسلم وهم عند داره وقد اخذ الله
على عيونهم ونثر على رؤسهم ترابا وسمي ثور لنزول ثور بن عبد مناف عنده وثور اسم جبل ايضا
بالمدينة قال في القاموس وغيره واهل المدينة لا تعرفه فلا عبرة بمن انكره كابن عبد السلام **وامسك**
الله عنه سيف غورث بن الحارث الاعرابي كما في البخاري وغورث بغين معجمة على الصحيح
وقيل مهملة وواو وراء مهملة وثاء مثلثة وروي مصغرا وهو بزنة جعفر وهو عند الخطيب
بكاف بدل المثلثة وقيل اسمه دعثور بن الحارث والظاهر انه غيره في قصة اخرى وكان في بعض
غزواته ادركتهم القايلة فنزلوا بواد كثير العضاه فنزل صلى الله عليه وسلم بظل سمرة علق
بها سيفه وتفرقوا عنه وناموا فبعد حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتوه فاذا اعرابي
جالس عنده فقال ان هذا اتاني وانا نايم فاخترط سيفي فاستيقظت وهو في يده مصلتا
فقال من يمنعك مني قلت الله وها هو جالس ولم يعاقبه وهو من المشركين والغزوة ذات الرقاع
وهو من غطفان ومحارب وكان قال لقومه انا اقتل لكم محمدا وروي ان جبريل دفع صدره
فسقط السيف من يده واسلم وذهب لقومه فدعاهم للاسلام وفي هذه القصة نزل قوله
تعالى يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم الخ كما تقدم ذلك كله **ومن حجر ابي جهل**
بن هشام لعنه الله اذ اراد ان يرميه صلى الله عليه وسلم به وكان قال لقريش لارضخنه غدا
بحجر احمله لا اكاد اطيق حمله فامنعوني من بني عبد مناف فارتقبه غداة يومه حتى اتى المسجد
يصلي فاخذ الحجر ومضى له فلما اراد رميه عليه الصلاة والسلام يبست يده عليه ثم عاد متغير
اللون فسالوه فقال عرض دونه فحل لم ار مثله عظما هم ان ياكلني فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذلك جبريل لو دنى لاخذه **وامسك عنه فرس سراقة** هو سراقة بن مالك بن جعشم
الكناني كان جعل له قريش دية من اخذ من ابي بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج مستخفيا
للهجرة وهو من مدلج القافة وقصته في ذهابه خلفهما فلما ادركهما ساخت قوايم فرسه في الارض
وكادت تبتلعه فطلب الامان فامنه ونجا وعاد الى آخر القصة المشهورة وهو صحابي شاعر
مجيد اسلم وحسن اسلامه ومات سنة اربع وعشرين في خلافة عثمان قلت ولما كف
يده عنهما شرفه الله بالاسلام والباسه سواري كسرى **ولئن لم يقه من سحر ابن الاعصم**
لبيد اليهودي كما تقدم **فلقد وقاه ما هو اعظم** خطرا من سحره **من سم اليهودية** في قصتها
التي تقدمت قريبا وسياتي الكلام على سحره وهذا جواب عن سؤال تقديره انك قررت ان الله
منزه عن سائر انبيائه بوقايته وجعله في حصن صيانته فلم يعصمه من ابن الاعصم فاجاب
بانه ابتلاه به تكثيرا لثوابه ونعمه ما صرف عنه من مصائبه وقد وقاه ما هو اعظم منه وهو
السم القاتل فلا وجه لما قيل من انه لا فايدة فيه وسياتي بيان فايدته مع انه توطية لقوله

وهكذا

وهكذا عادة الله مع **سائر انبيائه** اي بقية انبياء الله **منهم مبتلى** بالمصائب تكثيرا
لاجورهم **ومنهم معافى** تكرما لهم وحفظا **وذلك** اي ابتلاؤهم او كون احوالهم مختلفة **من تمام**
حكمته الجارية في مخلوقاته **ليظهر** بابتلائهم مع صبرهم ورضاهم في السراء والضراء **شرفهم**
في هذه المقامات اي احوالهم المتفاوتة **ويتبين امرهم** بصبرهم على ما لا يطيقه غيرهم
ويتم كلمته فيهم يعني امره لهم بالصبر على الاذى حتى تكون لهم العاقبة الحسنى **ولتحقق**
بامتحانهم بما ابتلاهم به **بشريتهم** اي انهم من جنس البشر الذين في دار المصائب **ويرتفع**
الالتباس وفي نسخة يرفع اي يزيل الالتباس في امور الدنيا **عن اهل الضعف** اي من
ضعف عقله من العوام **فيهم** اي في انبياء الله لتوهمهم لضعف عقولهم انهم ليسوا كغيرهم ممن
يمسه البلا ويعرض له الموت والفنا ولذا ارتد بعض جهلة الاعراب لما توفي رسول الله
صلى الله عليه وسلم فابتلاهم ليعرف الناس انهم كغيرهم في العوارض البشرية **لئلا يضلوا**
بفساد اعتقادهم فيه **بما يظهر من العجايب** اي خوارق العادات وبدايع المعجزات التي
تظهر **على ايديهم** وتصدر منهم بامر الله تعالى كانشقاق القمر واحياء الموتى ونحوه فيقولون
من يقدر على هذا كيف يمرض او يسحر ويعرض له ما يعرض لضعفاء الخلق ضلالا **كضلال**
النصارى بعيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام لما راوا معجزاته جعلوه الها وقالوا ما
قالوا لجهلهم وعدم تدبرهم ونظرهم والنصارى على فرق يطول الكلام في بيان اعتقاداتهم الباطلة
وتزييف ما قالوه وقد الف في ذلك عدة كتب اجلها كتاب ابن تيمية والقرطبي ومقامنا
يضيق عن الكلام عليها اذ المراد شرح ما قاله المصنف حتى يسهل فهمه على المبتدئين **وليكون**
في محنتهم مما ابتلاهم به الله **تسلية لاممهم** فيقتدوا بهم اذا نزلت بهم المصايب
ويصبروا كما صبروا **ووفور اجورهم** الوفور الكثرة والزيادة **عند ربهم** اذا رجعوا اليه وجازاهم
بما صبروا عليه وليعرفوا نعمة السلامة والعافية **تماما** اي يتم ذلك بانعامه **على الذي احسن**
اليهم اولا بنعمة الوجود والصحة وغيرها من النعم الدنيوية فيزيدها باعظم منها من النعم الاخروية
التي لا نفاد لها شيء مجازاة لصبرهم وشكرهم **وقال بعض المحققين هذه الطوارئ**
جمع طارئ بالهمز وتبدل ياء وهي ما يطرا اي يحدث ويتجدد **والتغيرات** اي تغير احوالهم
من صحة لسقم وسعة لضيق ونحوه **المذكورة انما تختص باجسامهم البشرية** دون
ارواحهم ونفوسهم القدسية **المقصود بها** الفائدة في ايجادها لهم في اجسادهم **مقاومة**
البشر اي ان يكونوا بطباعهم مساوين لاممهم فيها حتى يقدروا على القيام بامورهم
ومعاناة بني آدم بمباشرتهم ومخالطتهم **لمشاكلة الجنس** اي مشابهتهم لهم في الخلق
والخلق ولذا كانت الرسل من البشر دون الملائكة ولو جعل خلقهم ملكيا لم يطيقوا شيئا مما
ذكر كما ترى بعض الناس لا يقدر على عشرة العوام وينفر منهم لمنافرة الطباع **واما بواطنهم**
اي امورهم التي لا تحس من عقولهم وقواهم الروحانية وقلوبهم وحواسهم الباطنة وهو جمع
باطن خلاف الظاهر **فمنزهة** اي سالمة مبراة **عن ذلك غالبا** وقد يعرض لها شيء منه
مخفف عنه لكنها في غالب احوالها **معصومة منه** مطهرة عما يشينها كتغير العقل وقد يعرض
لها احيانا ما لا يضر كالاغما الذي وقع له صلى الله عليه وسلم في مرض موته فبواطنهم **متعلقة**
بالملا الاعلى وفي نسخة بالرفيق الاعلى وقد تقدم ان الرفيق فعيل بمعنى فاعل يستوي فيه
الواحد وغيره وهم ارواح الانبيا الساكنين في عليين والملائكة وهو عطف تفسير على هذا

لاخذها اي لاخذ البواطن وتلقيها وارجاع ضمير اخذها لاخبار السما وغيرها بعيد عنهم
اي الملائكة وتلقيه الوحي النازل عليهم لتبليغه ما ارسل به منهم اي من الملائكة هم
وما قيل عليه من ان حذف قوله غالبا احسن بل واجب لا وجه له لما بيناه من بيان مراده
به قال القايل بعض المحققين المحكي عنه ما ذكره الى هنا وهو دليل لما قاله وقد قال
صلى الله عليه وسلم في حديث قد تقدم بسنده ان عيني بتشديد اليا مثنى عين مضاف
ليا المتكلم تناما اي يعرض لها النوم حتى لا يحسان احساسا ظاهرا مستمرا ولا ينام
قلبي اي لا ينقطع شعوره وادراكه بالكلية وهذا باعتبار الغالب من احواله صلى الله عليه
وسلم اذ قد ينام نوما ينقطع به شعور عينيه وقلبه كما تقدم في حديث الوادي الذي نام
فيه حتى فاتته الصلاة وبهذا علمت ان قوله غالبا في محله كما مر وفيه دليل على ان ظاهره
كغيره وقال صلى الله عليه وسلم اني لست كهيئتكم اي ليس حالي كحالكم وتقدم المراد
بالهيئة هنا اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني بضم يا يطعمني وفتح يا يسقيني
ويجوز ضمها يقال سقاه واسقاه بمعنى وهو في صومه صوم الوصال على حقيقته
او مأول بما تقوى به روحه من المعارف الالهية التي تقوم مقام الطعام والشراب في
تقوية الروح التي تسري للبدن وفيه كلام مشهور تقدم طرف منه وقال صلى الله عليه وسلم
في حديث اخر لست انسى ولكن انسى لاسن بي تقدم فيه ما يغني عن الاعادة
فاخبر صلى الله عليه وسلم في هذه الاحاديث ان سره اي ما خفي من امره وباطنه عطف
تفسير لسره وروحه التي بها الحياة وقيام البدن وهذا حقيقتها ولها معان اخر بخلاف
جسمه وظاهره اي مخالفة لها فيما يعتريها من التغيرات والالام كغيره من ساير البشر
كما قدمه في اول هذا الفصل وان الافات جمع آفة وتقدم بيانها التي تحل ظاهره
اي ما يشاهد من جسده الشريف فقط وبينه بقوله من ضعف بانحطاط القوى لمرض
او كبر وجوع لفقد الغذا او ما به قوام البدن من بدل ما يتحلل منه وسهر بفقد النوم
الذي به راحة البدن واستراحة الحواس ونوم يستريح به بدنه وقواه وقال المعري

وفضيلة النوم الخروج باهله • عن عالم هو بالاذى مجبول •

لا يحل بضم الحا المهملة من الحلول منها اي من هذه المذكورات منها من التغيرات باطنه
اي حاسة الباطنة بخلاف غيره من البشر فانه يعرض له تغيرات في الظاهر والباطن
ما يعد بعضه نقصا فيه في حكم الباطن اشارة الى محال المخالفة لتساويهما في الظاهر كما
تقدم ثم وضحه بقوله لان غيره من البشر بل ساير الانبيا ولم يصرح به لعلمه مما قدمه اذا نام
استغرق النوم بالرفع فاعل استغرق جسمه وقلبه مفعوله اي شغلهما واثر فيهما
تاثيرا تاما بتعطل حواسه الظاهرة والباطنة بخلاف الانبيا فانه يشغل ظاهرهم دون
باطنهم فالاول كالميت كما قال ابن عربي رحمه الله تعالى

• فيا نايم الليل هبته • فقبل الممات سكنت القبورا •

ولذا قيل النوم اخو الموت وهو صلى الله عليه وسلم في نومه حاضر القلب لعدم استغراقه
في نومه وحضور القلب مجاز عن ادراكه وشعوره وعنده كان قلبه فارقا واريد به لازمه
فهو استعارة او مجاز مرسل ومثله كثير في استعمالهم فحاله صلى الله عليه وسلم في نومه
وهو في يقظته بفتح القاف وقد تسكن في الشعر وهي ضد النوم اي حاضر الحواس

والمشاعر

والمشاعر فيهما كما ذكرناه سابقا وتقدم انه باعتبار غالب احواله حتى جاء اي روي
في بعض الاثار اي الاحاديث والاثر ورد بهذا المعنى وقد يخص بغيره من الاخبار انه
صلى الله عليه وسلم كان محروسا اي مصونا محفوظا واصل الحرس ملازمة من يحفظه
من الناس فيتجوز به عما ذكر من الحدث هو ما ينقض الوضوء وطهارته كما هو معروف في الاستعمال
في حالة نومه لانه انما يحدث لعدم الشعور به كما قال صلى الله عليه وسلم العينان وكا السه
لكن قلبه يقظانا كما ذكرناه والحدث انما يعرض لعدم شعور القلب والحواس الباطنة
وقد ذهب الفقها الى ان نومه صلى الله عليه وسلم كان لا ينقض وضوءه وعدوه من خصا يصه
واما نوم غيره فينقض وضوءه ما لم يكن جالسا متمكنا بشرطه على الصحيح ومن قال خلافه
فليس معتمدا عليه كما بينه الفقها في كتبهم وقد روى المحدثون باسانيد صحيحة كما تقدم
انه صلى الله عليه وسلم كان ينام حتى يسمع غطيطه ثم يقوم فيصلي من غير تجديد لوضوئه
وما قيل من ان فيه بحثا لانه اذا كان حاضر القلب فهو يقظان وهو حينئذ ليس مظنة الحدث
ونقض الوضوء حتى يجعل غاية لكونه محروسا ويستحسن اله بالاثار ليس بشي لانه اذا نامت
حواسه الظاهرة يقتضي ذلك لان الاحكام منوطة بالظاهر دون الباطن وكذلك اي
كما ان نومه غيره ليس كنومه لكونه غير محروس من الحدث غيره اي غير النبي صلى الله عليه وسلم
اذا جاع بترك غذايه اكثر من معتاده ضعف لذلك اي لجوعه تضعف بنيته وجسمه
وخارت قوته بخا معجمة ورا مهملة اي رخت وضعفت من الخور وهو اللين والضعف
وقيل معنى خارت ذهبت او انكسرت فتعطلت بالكلية جملته اي جميعه ظاهره وباطنه
بخلاف الانبيا الذين تتعطل ظواهرهم دون باطنهم وهو صلى الله عليه وسلم قد اخبر
انه لا يعتريه اي يعرض له ذلك اي تعطل جملته لقوله صلى الله عليه وسلم ولا ينام قلبي
وانه اي حاله بخلافهم اي يخالف حال غيره من البشر لقوله صلى الله عليه وسلم في حديث
رواه البخاري في وصاله الصوم ونهى غيره عنه وقولهم له انك تواصل صومك فقال
لهم اني لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني تقدم بيانه قال المصنف
وكذلك اي كما قال بعض المحققين ان التغيرات الطارية على البشر تختص بظواهر الانبيا
دون بواطنهم اقول انه صلى الله عليه وسلم في هذه الاحوال البشرية كلها من وصب
بيان للاحوال والوصب الالم الدايم وقد جا بمعنى التعب وهو اولى هنا لئلا يتكرر مع قوله
ومرض وان صح جعله عطف تفسير او موكدا او ضجر هو قلق واضطراب من بعض الامور وغضب
تقدم بيانه وانه صلى الله عليه وسلم لا يغضب لنفسه بل لله اذا خولف امره لم يجر بالجيم
مضارع بمعنى وقع وحدث على باطنه ما يخل اي يوقع خللا ونشوبا به صلى الله عليه وسلم
او الضمير لباطنه اي لم ينزله من ظاهره ما يخل به ولا فاض منه بفا وضاد معجمة اي ظهر
من فاض الانا بالما اذا امتلا منه حتى تدفق من جوانبه على لسانه وجوارحه اي اعضايه
الظاهرة جمع جارحة بمعنى عضو كما يقع لبعض الناس في المه وغضبه ان يتكلم ويتحرك
بحركات مختلفة لانه لا يملك نفسه في بعض احواله ما لا يليق به اي لا يناسب علو مقامه
كهذيان بعض المرضى وخرافاتهم وشتم من غضب عليه كما يعتري اي يعرض لغيره من البشر
اذا ابتلي بشي من ذلك مما ناخذ اي نشرع بعد بالبنا على الضم في بيانه اي ما عن
فيه والله تعالى اعلم •

فصل فإن قلت جاءت الأخبار الصحيحة

كما في حديث رواه البخاري انه صلى الله عليه وسلم سحر وهذا مما طعن به بعض الملحدين في عصمته من الناس كما حدثنا به الشيخ ابو محمد العتابي بقراءتي عليه نسبة لعتاب قبيلة باليمن وهو في الاصل اسم ماء نزلوا عليه فسموا به قال حدثنا حاتم بن محمد بن عبد الرحمن بن حاتم كما تقدم قال حدثنا ابو الحسن علي بن خلف هو علي بن محمد بن خلف المعافري القروي وهو الحافظ القابسي كما تقدم قال حدثنا محمد بن احمد ابو زيد المروزي كما تقدم قال حدثنا محمد بن يوسف هو الفربري كما تقدم قال حدثنا البخاري صاحب الصحيح المشهور وهو غني عن البيان قال حدثنا عبيد الله بن اسمعيل الهباري توفي سنة مائتين وخمسين قال حدثنا ابو اسامة حماد بن اسامة الكوفي توفي سنة احدى ومائتين وعمره ثمانون واخرج له الستة وترجمته في الميزان عن هشام بن عروة عن ابيه تقدم الكلام عليهما عن عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها قالت سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبنا للمجهول ونقدم ان الذي سحره لبيد بن الاعصم وهو يهودي او منافق كان حليفا لليهود وجمع بينهما بانه يخفي اليهودية ويظهر النفاق وكان في سنة سبع واختلف في مدة سحره فقيل اربعين يوما وقيل ستة اشهر وقيل سنة كما تقدم واعتمده السهيلي وجمع بينهما بان ذلك باعتبار ظهوره وشدة تاثيره حتى انه صلى الله عليه وسلم ليخيل اليه اي يقع في خياله ويتوهم ما لا اصل له وليس بمعنى يظن لانه لا يتعدى بالى انه فعل الشيء وما فعله لما وقع به من الم السحر وفي رواية اخرى لهذا الحديث حتى كان يخيل له انه ياتي النساء وما ياتيهن اي يتوهم انه جامعهن ولم يجامعهن وهو المراد بالشيء في تلك الرواية لكنه لم يصرح به تادبا لا سيما وراويه عائشة فاستحيت من ذكره الحديث اي اقرا الحديث واذكره بتمامه وتمامه كما هو في الصحيحين عن عائشة كان صلى الله عليه وسلم ذات يوم او ذات ليلة وهو عندي دعا ثم قال استشعرت ان الله افتاني فيما استفتيته فيه اتاني رجلان فقعد احدهما عند راسي والاخر عند رجلي فقال احدهما لصاحبه ما وجعه قال مطبوب اي مسحور قال من طبه قال لبيد بن الاعصم في مشط ومشاطه وجف طلع نخلة ذكر في بير ذروان فاتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس من اصحابه ثم دفنت ولم يستخرجه والكلام عليه مشهور تقدم بعضه واذا كان هذا الامر المذكور من التباس الامر على المسحور بتخيل فعل ما لم يفعله فكيف حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الالتباس وعلى اي حال وقع له وكيف جاز عليه ذلك الامر الذي جاز على غيره من تاثير السحر فيه وهو معصوم جملة حالية هي محل انكار السائل الذي توهم ان مثله ينافي عصمته فالاستفهام هنا انكاري لاعتقاده عدم طرو التغيرات الباطنة عليه وهذا مناف له فاجاب عنه بقوله فاعلم ايها السائل عن تحريه الوقوف على الحق وتحقيقه وهي جملة دعائية اعتراضية اشارة الى ان فصله في كتابه هذا ارشادا لطالبي الحق له ان هذا الحديث صحيح متفق عليه اي مما اتفق على صحته اهل الحديث او اتفق على روايته الشيخان وقد طعنت فيه الملحدة الطعن الضرب برمح ونحوه استعير لاسناد ما لا يليق من النقايص والملحدة الطايفة من اصحاب العقايد الفاسدة من الحد بمعنى حاد عن الطريق وفي للسببية اي طعنوا بسببه في مقام النبوة وتذرعت به بذال معجمة

وراء مشددة وعين مهملتين من الذريعة كالوسيلة وزنا ومعنى واصلها شرك الصايد استعير لما ذكر ووجه الشبه ظاهر والبا سببية وقال البرهان في المقتفى انه بدال مهملة اي لبست درعا اي تقوت به وظننته دليلا ينفعهم لسخف عقولها بضم السين المهملة بمعنى رقتها وضعفها وتلبيسها على امثالها ممن ضعف عقله فرجع عليهم الى التشكيك في الشرع اي يوقع بعضهم بعضا في الشك من احكام الشريعة بتوهم انه يخيل عليه فيها والى متعلقة بتذرع وهو تبيين انه بذال معجمة وقد نزه الله الشرع طهره عما يشينه والنبي عما يدخل بضم اوله في امره اي دينه وما يتعلق به لبسا اي شيئا يصير امره ملتبسا بغيره مما لا يليق به وانما السحر مرض من الامراض جعله مرضا مبالغة لانه سبب لتغير المزاج وانفعاله فينشا عنه امور غير طبيعية كالنسيان وهو فعل ورد من الامراض والامور الروحانية تسري للبدن نفعا وضرا والاطبا يعترفون بذلك وعارض من العلل جمع علة والعارض هنا بمعنى العرض وهو عند الاطباء ما ابن والبس عنه من الامراض وهو عند المتكلمين والحكما ما لا يقوم بنفسه يجوز عليه تخصيص له لاخراج ما لا يجوز عليه صلى الله عليه وسلم منها كالجنون كانواع الامراض التي تجوز وهما عليه مما لا ينكر عروضه له صلى الله عليه وسلم وعلى ساير الانبيا والمرسلين ولا يقدح اي لا يعد نقصا وعيبا قادحا في نبوته صلى الله عليه وسلم من الامراض كالجذام والبرص وغيره مما صان الله عنه انبياءه لخلقه لهم على اكمل خلق واتمه ومزاجه صلى الله عليه وسلم اعدل الامزجة وهذا مبني على ان السحر له حقيقة مؤثرة ينشا عنه تغيرات وامراض وهو مذهب الجمهور ويشهد له القرآن والسنة خلافا لمن قال انه تخيل لا حقيقة له واليه ذهب ابن حزم وغيره والسحر عند الجمهور على انواع منه ما لا حقيقة له وهو شعبذة ومنه ما له حقيقة بمعاونة الشياطين وخواص بعض الامور كما تقدم ويأتي ايضا عن الراغب واما ما ورد في الحديث السابق انه كان يخيل اليه انه فعل الشيء وهو لا يفعله كما تقدم بيانه فليس في هذا ما اي امر يدخل بضم اوله مضارع ادخل عليه صلى الله عليه وسلم داخلة اي نقيصة وعيبا وفسادا كما يقال امر مدخول اي معيب في شيء من تبليغه او شريعته قال الراغب الدخول نقيض الخروج والدخل كناية عن الفساد والعداوة كالدغل ودعوة النسب بفتح الخاء قال تعالى ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم او يقدح اي يعيب في صدقه فيما بلغه وشرعه كما توهمه الطاعنون به لانه يسري الى ان يقال ان جبريل والملايكة التي كان صلى الله عليه وسلم يراها امورا متخيلة وحاشاه من ذلك لقيام الدليل المؤيد بمعجزاته والاجماع من المسلمين وايمة الدين على عصمته صلى الله عليه وسلم من هذا اي مما يدخل عليه داخلة في شرعه وتبليغه عن ربه وهذا برمته من كلام المازري في المعلم قال انكر بعض المبتدعة هذا الحديث وزعم انه يحط من منصب النبوة وقالوا كلما ادى الى ذلك فهو باطل وتجويزه يعدم الثقة بما شرعوه من الشرايع اذ يحتمل على هذا انه صلى الله عليه وسلم يرى جبريل وليس هو وانه يوحى اليه شيء ولم يوح اليه وهو مردود لان الدليل قام على صدقه صلى الله عليه وسلم فيما يبلغه عن الله وعلى عصمته في التبليغ والمعجزات شاهدة بصدقه فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل انتهى وانما هذا اي انه يخيل اليه فعل شيء لم يفعله ليس عاما بل في امور مخصوصة هي فيما يجوز طروه بالهمز وتركه اي عروضه في امور دنياه التي لم يبعث بسببها من التوحيد والاحكام المشروعة وفي نسخة امر مفردا وفي اخرى من امور لا مما يتعلق بشريعته وتبليغه ولا فضل يبشر المعجمة وبناه للمجهول من اجلها اي من اجل امور

الدينية وانما هو برفعه وزيادة اجره وهو صلى الله عليه وسلم فيها اي في امور الدنيا
عرضة بضم فسكون اي بمعرض يحدث له فيه مستعد للآفات اي التغيرات التي تلحقه كسائر
البشر يعرض له ما يعرض لهم لحكمة تقدمت فغير بعيد اي اذا عرضته لها فلا يبعد ان يخيل
اليه صلى الله عليه وسلم من امورها اي امور الدنيا التي لا تتعلق بالتشريع فالفا فصيحة
في جواب شرط مقدر ما لا حقيقة له مما يتوهم انه فعله ولم يفعله ثم ينجلي عنه اي يزول
وينكشف فشبه بغمام او صداء فيه مكنية وتخييلية او هو حقيقة عرفية فيه كما كان متعلق
بينجلي اي حاله لما كان عليه قبل ما عرض له او المراد كما حاله وهو مسحور وايضا اي كما وقع
ما توهموه بما ذكر تبين بوجه آخر فقد فسر هذا الفصل يعني قوله يخيل اليه الشي الحديث
الآخر فاعل فسر اي بين المراد به رواية الثانية من قوله بيان لمفسره وهو حتى يخيل
الله يأتي اهله يعني زوجاته والاهل ورد بمعنى الزوجة كثيرا او الحال انه لا يأتيهن
يعني يتوهم انه جامعهن وهو لم يجامعهن كقوله فانوا حرثكم اني شئتم وهو تصريح بانه من امور
الدنيوية لا الشرعية فلا ضير فيه وقد قال سفيان اي ابن عيينة كما صرح به في سنده
في البخاري وهذا التخيل اشد ما يكون من السحر اي غاية ما يؤثر تخييل انه فعل ما لم
يفعله ولذا قالت عائشة رضي الله عنها حتى كان يخيل الخ فان حتى للغاية فلا يبلغ اكثر من
ذلك كتقلب الاعيان ونحوه من تغيير الماهيات وهذا مبني على ان السحر تخيلات لا حقيقة لها
كالسمعنة والمحققون على خلافه كما مر وقد قال الراغب انه على انواع منها هذا وهو المشار اليه بقوله
تم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى وقوله سحروا اعين الناس والثاني استجلاب امور بمعاونة
الشياطين واليه يشير قوله ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر والثالث فعل يقوته
تغيير الصور والطبائع فيجعل الانسان حمارا ولا حقيقة له عند المحققين انتهى وقد تقدم ان
الاول من جنس الامراض ولذا قال صلى الله عليه وسلم شفاني الله منه فانه المشار من الشفاء ولبعضهم
هنا كلام لا طائل فيه ولم يأت عن احد من المحققين في خبر منها اي من الاخبار المروية عنه صلى
الله عليه وسلم انه صلى الله عليه وسلم نقل عنه في ذلك اي في قصة سحره قوله بخلاف ما
كان اخبر به من انه قال انه فعله ولم يفعله اي لم ينقل عنه في حال سحره قول صدر عنه غير هذا
الذي فسره في الحديث وانما كانت الامور المنقولة عنه خواطر وتخيلات من قبيل الوسوسة
التي تعرض للعقلاء كثيرا من غير تأثير في عقولهم وعلمهم بمهمات امورهم فلا اعتراض عليه في شي
كما توهم وقد قيل في الجواب عما استشكلوه ان المراد بالحديث المذكور في سحره انه كان
يتخيل له ويقع في خاطره الشي انه فعله وما فعله بمجرد خطوره بباله لكنه تخيل لا يعتقد
صحته لتيقظه قلبه وسلامة ذهنه التي لا تؤثر فيها مثل هذه التخيلات وهي سحابة صيف
عن قريب تنقشع فيكون اعتقاده كله على السداد بفتح السين بمعنى الاستقامة وامور
كلها مستقيمة كاملة وادركه كذلك لمعرفته صلى الله عليه وسلم بان ما عرض له تخيل لا يعتد
به واما بكسر السين فهو ما يسد به اسم آلة كحزام ونحوه وفيه بيان في شرحنا لدرة الغواص
واقواله كلها جارية على الصحة فهي كلها صحيحة صادقة اذ لم يقع الخلف في شي من اقواله وقول
عائشة السابق يخيل له فعل ما لم يفعله لا ينافي ما قرره لان التخيل بمعنى التوهم وكون الخيال قوة
باطنة مدركة مما اصطلح عليه الحكماء ونحوه مما يبنى عليه لا وجه لارادته هنا كما توهم هذا
المذكور في جواب ما وقع في هذا الحديث ما وقفت عليه لائمتنا المحدثين والاشعرية او

النفرة المالكية في هذا الحديث الذي روته عائشة عنه صلى الله عليه وسلم وفي نسخة
عن هذا وفي اخرى على هذا وهو ظاهر مع ما او ضمناه من معنى كلامهم مع تفسيره وزدنا
بيانا زاده هنا متعد لمفعولين من تلويحاتهم من اشاراتهم له من غير تصريح به وكل وجه
منها اي من الوجوه التي ذكرها الائمة مقنع اسم فاعل بوزن مكرم اي كاف ومغن عن غيره
لمن كان له قناعة تغنيه عن الوجوه الضعيفة والاقوال الواهية والتكلفات الباردة ويجوز
فتح ميمه ونونه مصدر ميمي يقال هو مقنع في الامر بزنة جعفر والاول هو الصواب من غير تكلف
لكنه الضمير للشان والامر قد ظهر لي في هذا الحديث المتقدم في السحر تاويل وتفسير له
اجلى اي اظهر من غيره من التاويلات التي ذكروها وتقدم بعض منها وابعد من مطاعن ذوي
الاضاليل اي اكثر بعدا من المنزلة عقلا سالما عما طعن به اهل الضلال مما تقدم بيانه فالاضاليل
جمع لا واحد له كالمذاكير او جمع لمفرد مقدر او موجود فقيل جمع ضليل بكسرتين مشدد اللام
صيغة مبالغة كسكيت وبه قيل لامرئ القيس الملك الضليل وقيل جمع اضلولة بالضم
وهو ما يضل به مرتكبه ولو قيل انه جمع اضلال على خلاف القياس لم يبعد يستفاد ويؤخذ
ذلك التاويل الاجلى من نفس الحديث اي حديث السحر وهو ان عبد الرزاق ابن همام الصنعاني
قد روى هذا الحديث اي رواه في مصنفه عن الزهري عن ابن المسيب واسمه سعيد
كما تقدم وعن عروة بن الزبير تقدم ايضا وقال فيه اي في الحديث الذي رواه عنهما
اي عن سعيد وعروة سحر يهود بني زريق بالاضافة وبنو زريق بتقديم الزاي المعجمة
والتصغير طائفة منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مفعول سحر وفاعله يهود وهو بلا ياء
علم لهم وقد يذكر وتدخله اللام فجعلوه اي السحر في بئر اي بئر ذروان كما تقدم حتى كاد
رسول الله صلى الله عليه وسلم اي قرب من ان ينكر بصره اي ما ابصره او ينكر نفس
رؤيته لتاثير السحر فيه ثم دله الله على ما صنعوه باخبار الملك به وبالمحل الذي وضع فيه
فاستخرجه من البئر على رواية وقيل انه صلى الله عليه وسلم امر به فنبه ولم يخرجه من البئر
كانوا امروا غلاما من اليهود كان يدخل بيته صلى الله عليه وسلم فاخذ شعرات من شعر راسه
وشيئا من اسنان مشطه فعقدوا فيه عقدا ودفنوه في تلك البئر فلما نزل عليه المعوذتان
واستخرج السحر وحلت عقده شفاه الله والكلام عليه طويل مفصل في شروح الصحيحين فلا
نطيل بذكره وذكر عن عطا الخراساني عن يحيى بن يعمر كما رواه عبد الرزاق آنفا ويعمر بفتح اليا
التحتية والميم المفتوحة وتضم وهو ممنوع من الصرف للعلمية ووزن الفعل ويحيى هو قاضي
مرو وهو اول من نقط المصحف وتوفي سنة تسعين قال فيه اي في مصنف عبد الرزاق
حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء المجهول اي منع عن عائشة اي عن مجامعتها
سنة هي مدة السحر كما تقدم عن السهيلي فبينا هو نائم حقيقة او مضطجع بين النوم
واليقظة كما في رواية وبينا للمفاجاة كبينما وتضاف وتحتاج لجواب كما بينه النحاة اتاه
ملكان هما جبريل وميكائيل فقعد احدهما عند راسه والآخر عند رجليه الحديث
اي اذكره الى آخره كما تقدم وقال عبد الرزاق حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم اي منع
من الجماع عن عائشة خاصة سنة على احد الاقوال السابقة وخص منعه عنها دون غيرها
لانها كانت احب ازواجه صلى الله عليه وسلم حتى انكر بصره تغيرت قوته الباصرة عما كانت
عليه قبل ان يسحر لا انه فقده بالكلية لما في بعض روايات الحديث السابق حتى كاد ينكر بصره

ليل

ويؤخذ من ... الصنعاني

اي قارب فقده بالكلية من قولهم نكرته فتنكر اذا غيرته فتغير كما في الاساس ولم يعين
مجازا وروى البيهقي صاحب السنن بسند ضعيف عن محمد ابن سعد هو كاتب
الواقدي وصاحب الطبقات كما تقدم عن ابن عباس رضي الله عنهما مرض رسول الله
صلى الله عليه وسلم وحبس اي منع عن النسا اذ اريد به الجنس لم يخالف الرواية التي
قبله والا خالفها والطعام والشراب فكان لا يشتهي ولا يتناول شيئا منهما لتغير
مزاجه كسائر المرضى فهبط اي نزل من السما ملكان هما ميكائيل وجبرائيل وذكر القصة
بتمامها وتقدم ان القصة انه صلى الله عليه وسلم قال لعائشة ان الله اخبرني بدائي ثم بعث
عليا والزبير وعمار بن ياسر فنزحوا ماء البير فاذا هو مثل نقاعة الحناء رفعوا الراعوفة
وهي صخرة في قعر البير فاخرجوا مشطا ومشاطة وهو شعر راسه واسنان مشط ووتر
معقود فيه احدى عشر عقدة وتمثال صورته من شمع غرز فيه ابر فنزل جبريل عليه الصلاة
والسلام بالمعوذتين فكان كلما قرا اية منهما انحلت عقدة وكلما نزع ابرة وجد لها الما ثم تعقبه
راحة فاعترف لبيد بانه وضعه فعفا عنه فقد استبان لك اي تبين وظهر من مضمون
هذه الروايات اي ما تضمنته واشتملت عليه ان السحر الذي سحر به رسول الله صلى
الله عليه وسلم انما تسلط من السلاطة وهي التمكن ممن يريد قهره والمراد تاثر على ظاهره
اي ظاهر بدنه الشريف وجوارحه واعضائه دون باطنه لا على قلبه واعتقاده
وعقله اذ لم يوثر فيه نقصا اصلا وانه اي السحر انما اثر في بصره بتغير ما حتى ينكره كما تقدم
وحبسه عن وطي نسائه وعن طعامه فاضعف جسمه فامرضه فهو كسائر الامراض
لا ينكر عروضه للانبيا عليهم الصلاة والسلام ويكون معنى قوله يخيل اليه انه ياتي
اهله ولا ياتيهن اي يظهر له من نشاطه هذا جواب سوال تقديره اذا قلت انه لم يوثر
الا في ظاهر بدنه يرد عليك انه يخيل اليه ما لم يقع وانما يقتضي خللا في الذهن والادراك
فهو مناف لما قلته وقوله معنى اسم كان وخبره مقدر بل على ما تعلق به اذ لا يصح اقتران الخبر
باي المفسرة ومثله كثير في كلام المصنفين وفي الاساس رجل نشيط طيب النفس للعمل ومتقدم
عادته اي ما اعتاده صلى الله عليه وسلم قبل السحر القدرة على النسا فاما يظهر
اي قدرته وقوته على جماعهن فاذا دنا منهن اي قرب ليجامعهن اصابته اخذة بضم الهمزة
وسكون الخاء وذال معجمة وهي امر يتخذه الساحر يحبس المرء عن اله الجماع وتسميه العامة رباطا
وهو نوع من السحر ويقال به اخذة من الجن ايضا كانها اخذت قوته فلم يقدر على اتيانهن كما
يعتري اي يعرض ويغشى من اخذ قيل هو بضم الهمزة وتشديد الخاء المعجمة وذال معجمة من
التاخذ وفي نسخة وخذ بالواو اي منع من الجماع كما قيل والظاهر عليهما ان يفسر من صنع
له اخذة السحر السابقة واعترض بينا المجهول اي عرض له عارض من مرض ونحوه والظاهر
انه من العارض المعروف بين السحرة الذين يدعون الجن وهو المناسب للاخذة ولعله الضمير
للشان وفي نسخة حذفه لمثل هذا اشار سفيان بن عيينة فيما نقله عنه سابقا بقوله
وهذا اشد ما يكون من السحر اي اعظم انواعه اي يخيل اليه فعل ما لم يفعله وقد تقدم ما
فيه ويكون قول عائشة في الرواية الاخرى من احدى الروايتين في الحديث على
توهمها انه يخيل له انه فعل الشي وهو ما فعله والشي مبهم في روايتها دون الاخرى
فيحتمل انه من باب ما اختل من بصره اي قوة نظره لا نفس عينيه وهو ما انكره كما ذكر

في الحديث

في الحديث من انه كان يخيل اليه الخ وبينه بقوله فيظن انه راى شخصا من بعض زوا
او شاهد فعلا من غيره انه فعله وصدر منه على وجه مخصوص ولم يكن صدر منه على ما يخيل
اليه وذلك لما اصابه في بصره وضعف نظره من الم السحر لا لشي طرا عليه في ميزه
بفتح الميم وسكون اليا التحتية بمعنى تمييزه والمراد به قوة عقله المميزة يقال ماز يميزه ميزا
كباع يبيع بيعا بمعنى ميز وبين واذا كان هذا اي ما ذكر من حاله صلى الله عليه وسلم
على ما قررناه لم يكن فيما ذكر من اصابة السحر له في هذه المرتبة من غض زيادة فيه وتاثيره فيه
بمجرد ضعف بصره غض قادح ما يدخل لبسا عليه بان يوثر في عقله وتمييزه او يسري لباطنه
ولا يجد به الملحد الزايغ عن الحق بطعنه في الانبيا عليهم الصلاة والسلام المعترض
به على انه يلزم من تاثير السحر فيه بتخيل ما لا حقيقة له يورث شكا فيما يراه من الملائكة
كما تقدم انسا اي امرا يستانس به او هاما للفاسدة او يحدث عنده علما ينقص به مقام
النبوة من قولهم انست منه كذا اذا علمته او ابصرته

فصل هذه

الامور المذكورة في الفصل المتقدم حاله صلى الله عليه وسلم في جسمه الشريف ظاهرا
وباطنا واما احواله في امور الدنيا اي الامور المتعلقة بها فنحن نسبرها بفتح النون
وضمها وسكون السين المهملة وضم البا الموحدة او كسرها والضمير راجع لامور الدنيا يقال
سبره واسبره اذا اختبره كما في الصحاح واصل معناه اذ يدس في الجرح مرود ليعلم عمقه ثم شاع
فيما ذكر وهو عند اهل الاصول استقصاء امر كلي واقسامه والمراد هنا تبينها على اسلوبنا
اي نوردها على طريقتنا المتقدم في هذا الكتاب والاسلوب بضم الهمزة الفن والطريقة يقال
اساليب الكلام لفنونه بالعقد اي الاعتقاد متعلق بنسبرها والقول والفعل اي نستوفي
اقسامها النظرية واللفظية والعملية اما العقد منها اي ما يتعلق من احواله صلى الله عليه
وسلم في امور الدنيا في العلم بها والاعتقاد فقد يعتقد صلى الله عليه وسلم الشي من امور
الدنيا على وجه اي وقوعه على وجه من الوجوه في بادي الراي ويظهر له انه على خلافه
اي يظهر خلافه في الواقع ونفس الامر او يكون منه اي من الشي الذي هو من امور الدنيا على
شك فيه او يكون منه على ظن بان يترجح عنده احد طرفي الوقوع وعدمه بخلاف امور
الشرع فانه صلى الله عليه وسلم لا يتردد فيها لانه معصوم عن الخطا وان قلنا بجواز اجتهاده
فيها لانه مستند للوحي ايضا ثم اورد شاهدا لانه يعتقد شيئا من امور الدنيا على خلاف ما هو
عليه وهو حديث رواه مسلم تقدمت الاشارة اليه مرارا فقال كما حدثناه ابو بحر سفيان
ابن العاصي تقدم بيانه وغير واحد قراءة وسماعا اشارة الى انه رواه من طرق قالوا
حدثنا ابو العباس احمد بن عمر قال حدثنا ابو العباس الرازي قال حدثنا ابو احمد بن
عمرويه الكلام فيه كالكلام في سيبويه في بنائه على الكسر واعرابه اعراب ما لا ينصرف
وان المحدثين يضمون ما قبل الواو ويفتحونها كما اشتهر عنهم قال حدثنا ابو سفيان ابراهيم
محمد بن سفيان راوي صحيح مسلم عنه قال حدثنا مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح المشهور
قال حدثنا عبد الله بن الرومي ابن محمد او ابن عمر نزيل بغداد ثقة حافظ توفي سنة مايتين
وست وثلاثين ولم يخرج له من الستة غير مسلم وعباس العنبري ابن عبد الله بن اسماعيل
ابن ثوبة ابو الفضل العنبري البصري الحافظ توفي سنة مايتين وستة واربعين واحمد المعقري

هو احمد بن جعفر والمعقري بفتح الميم وسكون العين المهملة وكسر القاف وراء مهملة
وياء نسبة وقيل بكسر الميم وسكون العين وفتح القاف وقيل بضم الميم وفتح العين وكسر
القاف المشددة نسبة لمعقر ناحية من اليمن قال حدثنا النضر بن محمد الجرشي اليمامي
وله ترجمة في الميزان قال حدثني عكرمة بن عمار وقد تقدم قال حدثنا ابو النجاشي عطا
ابن صهيب الثقة قال حدثنا رافع بن خديج بفتح الخاء المعجمة وكسر الدال المهملة ومثناة
تحتية ساكنة وجيم توفي سنة اربع وسبعين واخرج له الستة وهو انصاري صحابي شهد احدا
قال قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة لما هاجر من مكة وهم يأبرون النخل بضم
الباء الموحدة بعد الهمزة الساكنة والجملة حالية وتابيرها ان يوخذ من طلع النخلة الذكر ما
يوضع في طلع غيرها حين ينشق فتلقح يقال ابرتها وابّرتها بالتشديد ويروى هنا يأبّرون
مشددة او التلقيح ان تخرج ثمرتها صالحة لا شيصا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد راهم على رؤوس النخل وهم يوبرون كما في مسلم ما تصنعون استفهام تقريري قالوا شيء
كنا نصنعه وهو التابير ليثمر ثمرا حسنا فقال لهم لو لم تفعلوا كان خيرا اي لو تركتم
التابير كان خيرا من تابيرها وروي ما اظن ذلك يغني شيئا فاخبروا بذلك فتركوه اي التابير
فنفضت بنون وقاف وصحفه بعضهم بنون وفا قاله ابن قرقول اي ثمرتها اي تغيرت فصارت
شيصا غير مستوية فذكروا ذلك اي نقصها له صلى الله عليه وسلم فقال انما انا بشر
اصيب واخطي في امور الدنيا التي لم يوح الي فيها شي ولكن اذا امرتكم بشيء من دينكم فخذوا
به اي تمسكوا به ولا تغلوا فيه واذا امرتكم بشيء من رأيي اي يكون رأيا في امور الدنيا
الصرفة فانما انا بشر مثلكم قد ارى رأيا والامر بخلافه في امور الدنيا فلا يجب اتباعه
وفي رواية لمسلم انتم اعلم بامر دنياكم اي بجميع احوالها واضاف الدنيا لهم لانه صلى الله
عليه وسلم لا يريد منها شيئا ولا يلتفت اليه وفي حديث آخر رواه مسلم عن طلحة في هذه القصة
انما ظننت ظنا مبني انه لا يلزم ما فعلتموه فلا تؤاخذوني بالظن اي لا تجدوا
علي في انفسكم كدرا فيما ظننته خيرا فتبين خلافه قال ابن رشد في كتاب التحصيل والبيان
هذا الحديث روي بالفاظ مختلفة متقاربة معنى كقوله صلى الله عليه وسلم ما انا بزارع ولا
صاحب نخل وكل حكى ما سمع وانما نفى الظن بانه لا يلزم لاختصاصه بالحيوان ولم يكن ذلك
عن وحي كما قاله الطحاوي وقال ابو الوليد انه صلى الله عليه وسلم بين ان لا تاثير في الصلاح
والافساد لغير الله الا ان الله قد يجري العادة باسباب لذلك تعلم بالتجربة كالتابير وهو صلى
الله عليه وسلم لم يسبق له تجربة فيه وقيل عليه ان علمه به يقين فالاولى ان يقال انه
صلى الله عليه وسلم نبههم على توكل الخواص بترك الاسباب الذي هو من مقامات الانبياء دون
غيرهم وقوله لا تؤاخذوني الخ المراد انه ظنهم من اهل هذا المقام فلما اخبروه بحالهم ردهم
لها وقال لهم انتم اعلم بحالكم واستدل بعضهم على ان الاجماع في امور الدنيا لا يعتد به لرجوعه
لقولهم كما رجع لهم في منزل بدر ويأتي في كلامه قريبا كما في التلويح وقال ابن ابي شريف
انه ممنوع وقول الرسول صلى الله عليه وسلم حجة في الامور الدنيوية وغيرها لانه اما بوحي او
باجتهاد لا يقر على الخطا فيه ومراجعته كانت قبل استقرار اجتهاده والتلقيح من ربط المسبب
بالسبب ولو شاء الله صلحت الثمرة بدونه وهو اعتقادنا وقوله انتم اعلم لا ينافيه وفيه بحث
فتدبر وفي حديث ابن عباس الذي رواه البزار بسند حسن في قصة الخرص بفتح الخا

وسكون الراء وصاد مهملتين وهو الحزر والتخمين لما على النخل والكرم من الرطب والعنب
وتقدم كما قاله الترمذي ان الثمار اذا ادركت في الرطب والعنب ووجبت الزكاة وبعث
السلطان من يخرصها وقال يخرج منها كذا وكذا فيبين قدره ومقدار عشره فيثبته عليهم
فاذا جا وقت الجذاذ اخذ وفائدته التوسعة على ارباب الثمار فيتصرفون منه ما ارادوا وهذا
كان على عهده صلى الله عليه وسلم وعلى عهد الخلفاء ولذا جوزه بعضهم وسفهه بعضهم لانه
تخمين وفيه غرر واما الخرص بكسر الراء فاسم للمخروص فقال صلى الله عليه وسلم انما انا بشر
اي انا مقصور على صفة البشرية التي يجوز عليها الاصابة وعدمها وقيل هو قصر قلب خلافا
لمن يعتقد او يظن ان الخطا في الامور الدنيوية لا يجوز عليه فعكس اعتقادهم فيما لا تعلق له
له بالشرع والوحي فما حدثتكم عن الله فهو حق لا يجوز الخلف فيه وما قلت فيه من امور
الدنيا من قبل نفسي برأيي لا من خطر على نفسي فانما انا بشر اخطي تارة واصيب باخرى
قيل هذا مما يستدل به على جواز خطائه في اجتهاده وقيل لا دليل فيه لانه لم يقله باجتهاد وانما
هو ظن سنح له وقد تقدم ما فيه قريبا وهذا على ما قررناه من انه صلى الله عليه وسلم
قد يرى شيئا في امور الدنيا على وجه يظهر خلافه كما اشار اليه بقوله فيما قاله من قبل نفسه
في امور الدنيا وظنه من احوالها لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده في شرع
شرعه بالتشديد والتخفيف اي اظهره وبينه وسنة سنها وهذا كله مبني على انه صلى الله
عليه وسلم كان يجتهد في بعض الاحيان وهو الصحيح كما تقرر في الاصول واذا اجتهد لا يخطي
او لا يقر على خطا وقد وقع له ذلك ولا حجة لمن منعه في قوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي
يوحى ونحوه لانه اذا اذن له فيه كان وحيا مع انه الهام والهام الانبيا قسم من الوحي والمراد
بالسنة الطريقة المحمدية من اقواله وافعاله وسنها بمعنى جعلها امرا متبعا وطريقا مقتفا
لانا يقابل العرض منه بالمعنى اللغوي وقوله فيما قاله من قبل نفسه تخصيص مفروغ عنه
مقرر في بحث الاجتهاد من كتب اصول الفقه لمن قال انه تخصيص من غير مخصص مع ما طال
فيه من الزوائد وضرب في حديث بارد غني عن الرد وكما حكى محمد بن اسحاق رحمه الله في
كتاب المغازي مما يشابه ما قبله من امور الدنيا انه صلى الله عليه وسلم لما نزل في غزوة
بدر وبدر اسم لذلك المكان وبئر فيه سميت باسم صاحبها كما مر بادنى مياه بدر اي ابعدها
واقلها ماء وليس محل نزول ونزلت قريش بالعدوة الوسطى القصوى من الوادي والمسلمون
بكثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام وسبقهم المشركون الى الماء واحرزوه وحفروا لهم قليبا
واصبح المسلمون وبعضهم على غير طهارة يحتاج لماء واصابهم الظما ولم يصلوا لماء ووسوس
الشيطان لبعضهم في ذلك والعزل عنه فارسل الله عليهم مطرا سال منه الوادي فشربوا منه
وتطهروا وثبتت الاقدام وزالت وساوس الشيطان كما قال تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم
به الاية وكان صلى الله عليه وسلم لما نزل بادنى مياه هناك قال له الحباب بضم الحاء المهملة
وموحدتين على مفعول من اسم الحباب ابن المنذر رضي الله عنه بن جموح بن زيد بن حرام
بن حرام بن غنم بن كعب بن سلمة الخزرجي الانصاري الصحابي الذي يقال له ذو الرأي
توفي كهلا في خلافة عمر رضي الله عنه اهذا المحل الذي انزلتنا فيه يا رسول الله منزل
انزلكه الله عز وجل اي امرك بالنزول فيه ليس لنا ان نتقدمه ونتنزل فيما هو اولى
منه لانا لا نخالف امر الله بوحيه ام هو الرأي اي رأي منك بلا امر من الله يجب اتباعه

وَلبس تعريفه للاستغراق العرفي اي انه هو الرأي الكامل كما قيل لانه لايناسب هنا
وَالحرب اي ام هو محل مناسب للمحاربة للاعداء والنصرة فهو مجاز بذكر المسبب وارادة
السبب والمكيدة اي الكيد والمكر لان الحرب خدعة والمكيدة مصدر ميمي بمعنى الكيد
وهو الحيلة لايقاع ما يريد من السوء ويسمي الحرب كيدا لقوله في الحرب لم يلق كيدا اي حربا
فقال صلى الله عليه وسلم مجيبا له رضي الله عنه لا اي لم يامرني الله بنزوله بل هو الرأي
وَالحرب والمكيدة اي نزلته برأيي لما ذكر فقال له الحباب ليس هذا المحل بمنزل مناسب
لما ذكر لبعده عن الماء وكثرة رمله انهض اي قم من هنا وانتقل حتى تاتي ادنى اي اقرب
ماء من القوم وهم قريش فننزله اي ننزل فيه ثم نغور ما وراءه اي نسده ونطمه حتى نذهب
ماؤه الذي ينتفع به الاعداء وقوله ما وراءه ما موصولة بالظرف مقصورة وروي ما بالمد
ما بعده صفة من القلب بضم القاف واللام وقد تسكن وهو جمع قليب وهو البئر الذي لم
تطو اي لم يبن اطرافها بالحجارة ونغور بضم النون وتشديد الواو وبينهما غين معجمة او مهملة
كما في المقتفي وقال السهيلي انه بضم العين المهملة وسكون الواو وفي حواشي السيرة لابي ذر الخشني
من رواه بغين معجمة معناه نذهبه وندفنه ومن رواه بمهملة معناه نفسده انتهى وفي اهاله
مناسبة للعين لا تخفى فنشرب اي المسلمون منه ولا يشربون اي الكفار فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم للحباب اشرت بالرأي اي بالرأي الصواب الحسن وفعل
صلى الله عليه وسلم ما قاله الحباب بن المنذر له فنزل على الماء وبنى حوضا يشربون منه
الى اخر ما ذكره ابن اسحاق في سيرته وروى ابن سعد ان جبريل نزل عليه صلى الله عليه وسلم
وقال له الرأي ما اشار به الحباب ثم ذكر ما دعاه للمشاورة فقال وقد قال الله له صلى
الله عليه وسلم وشاورهم في الامر الامر للندب لا للوجوب وانما امره بذلك تطييبا
لخاطرهم وقلوبهم ورفعا لمقدارهم لان كبراء العرب كانوا اذا لم يشاوروا اشق ذلك على نفوسهم
فامره بذلك رعاية لهم وتشريعا لمن بعدهم وان كان صلى الله عليه وسلم اكمل الناس عقلا واسدهم
رأيا واختلف في ذلك فقيل كان فيما لم ينزل فيه وحي ليجتهد فيه ويجتهدوا معه فان الاجتهاد
بحضرته جائز ايضا كما تقرر في الاصول وقيل انه مخصوص بامور الدنيا ومصالح الحرب
فانهم جربوها وقاسوا شدائدها وكلام المصنف يومي لهذا ولذا قال واراد اي النبي صلى الله
عليه وسلم مصالحة بعض عدوه على ثلث ثمر المدينة الحاصل من نخلها وكان ذلك في غزوة
الخندق لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عيينة بن حصن والى الحارث بن عوف
المري وهما قائدا غطفان بان يعطيهما ما ذكر فاستشار الانصار رضي الله عنهم اي
شاورهم ليرى رأيهم والمستشار منهم سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فلما اخبروه برأيهم
في ذلك وهو ما قال له سعد بن معاذ يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك وعبادة
الاوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون ان ياكلوا منها تمرة الا قرى او بيعا فحين
اكرمنا الله بالاسلام وهدانا له واعزنا بك وبه نعطيهم اموالنا ما لنا بهذا من حاجة والله
لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم رجع عنه اي عن رأيه في اعطائهم وقال
لسعد انت وذاك كما ذكره ابن اسحاق في مغازيه وساق القصة بتمامها وذلك لما اشتد الامر
على المسلمين وظهر من المنافقين ما ظهر بعث صلى الله عليه وسلم اليهما بذلك واراد ان يكتب
به صحيفة فلما استشار فيه السعدين قال له ابن معاذ امرك الله بهذا قال لا ولكن اردت

دفعهم فقال له صلى الله عليه وسلم ما ذكرناه آنفا وتناول الصحيفة ومحاها وجرى
ما جرى حتى هزم الله الاحزاب وحده واعز جنده فمثل هذا المذكور من قصة الحباب والانصار
وغيره واشباهه مما يضاهيه من امور الدنيا التي لا اعتناء له صلى الله عليه وسلم بها
ولا مدخل فيها لعلم ديانة اي امورا متعلقة بالشرع والدين واحكامه ولا اعتقادها
ولا تعليمها بالجر عطف على قوله علم ديانة اي ليس مما امر صلى الله عليه وسلم باعتقاده وتبليغه
لامته وتعليمه لهم يجوز عليه فيه ما ذكرنا من ان يعتقده على وجه فيظهر له خلافه لانه ليس
من مهمات الدين والجملة خبر لقوله هذا اذ ليس في هذا كله نقيصة له صلى الله عليه وسلم
لانه ليس مهتما عنده ولا محطة بحاء وطاء مهملتين من الحط وهو التنزل لاسفل اي لا يحط
على مقامه ولا يشينه وانما هي امور اعتيادية اي جارية على عادة الناس فيها لا من
العلم والاحكام يعرفها من جربها واعتنى بها وهو صلى الله عليه وسلم لا يعتني بها ولا يخالطها
فضلا عن تجربتها وجعلها همه اي امرا يهتم به وهو صلى الله عليه وسلم لا يلتفت لها
وشغل نفسه بها اي بامور الدنيا وعاناها وزاولها والنبي صلى الله عليه وسلم مشحون
القلب اي قلبه مملوء بمعرفة الربوبية وما يتعلق بها من اجلال وتكريم وتنزيه وتعظيم
لم يبق فيه محل فارغ لغيرها حتى يخطر بباله كما قيل

ملك حبك كل قلبي • فان ترد الزيادة هات قلبا

الا تعدم ومشحون بمعنى مملوء غير خال منها يقال شحن السفينة اذا ملأها ملء الجوانح
جمع جانحة وهي الضلوع التي تلي الصدر وجعل معرفة الله وصفاته ملء قلبه اشارة الى انها
اول ما علمه وانها اعتقادات حقة وهي اول ما يجب كما قيل

اتاني هواها قبل ان اعرف الهوى • فصادف قلبا خاليا فتمكنا

وجعل ما علمه بعده مما يتعلق بعلوم الشريعة ملء صدره لوروده عليه بعدها وهو في غاية
الحسن والاتقان وقيل كنى بالجوانح عن نفسه مجازا مرسلا من اطلاق الجزء على الكل ولا يخفى
ما فيه مقيد البال بمصالح الامة الدنيوية والاخروية والبال هنا بمعنى الخاطر
الذي يخطر على النفس لا بمعنى القلب وان ورد بهذا المعنى لانه اراد ان افكاره صلى الله عليه
وسلم وخواطره بعد معرفة الله تعالى وتلقي ما اوحي اليه لا يشتغل الا بمصالح الامة المذكورة
والمراد امورهم التي بها صلاح دينهم بتعليمهم ما يجب لهم وعليهم من الطاعات والاعتقادات
والمراد بالدنيوية ما يتعلق بدنياهم في معاملاتهم ونحوها من الامور الشرعية وسده دره
فيما اتى به مرتب اتم الترتيب في العبارة حيث ذكر ما يتعلق به صلى الله عليه وسلم اولا
من معرفة ربه ملء قلبه ثم ما يتعلق به من تلقي الوحي ملء صدره ثم جعل ما يتعلق بامته وتبليغهم
وتعليمهم خواطره وافكاره فاعرفه ولكن هذا اي ما يعتقده ويظهر خلافه انما يكون
اي يقع له صلى الله عليه وسلم ويتعلق ويتفق في بعض الامور الدنيوية العادية التي
تعرف بالتجربة وكثرة المزاولة ومع انه ايضا انما يجوز صدوره منه بخلاف ما هو عليه
في النادر ايضا والا فسلامة عقله صلى الله عليه وسلم وشدة حذقه يقتضي انه اعلم الناس
بامور دنياهم ايضا لانه اوفر الناس عقلا وقد اطلعه الله على اسرار الوجود من مذموم ومحمود
وقوله صلى الله عليه وسلم انتم اعلم بامر دنياكم انما اراد به تطييب قلوبهم كما مر وان لا يزكي
نفسه تواضعا منه وما ندر وقوعه منه كان في ما سبيله اي طريق العلم به التوفيق

نخ

يه

اي تدقيق النظر فيه بصرفه وتكريره **في حراسة الدنيا** اي حفظ امور الدنيا وصونها
واستثمارها اي طلب زيادتها ونمو ثمرتها وهو امر ناش عن محبتها والحرص على تحصيلها
وهو صلى الله عليه وسلم لا يبالي بحرث الدنيا ولا يشغل بها خاطره ومع ذلك ما وقع منه عدم
العلم بها الا نادرا **او في الكثير من امورها المؤذن** الذي يعلم كثرته من اطلع على سيره
بسبب البله والغفلة البله والبلاهة نقص في العقل وهو صلى الله عليه وسلم اكمل
الناس وارجحهم عقلا والغفلة دون البله وهي كونه لعدم حضوره قد يغفل عن بعض الامور
وما ورد في الحديث من ان اكثر اهل الجنة البله فالمراد بهم كما في النهاية الغافلون عن الشر
لانهم مطبوعون على الخير وحسن الظن بالناس لان نقص العقل لا يمدح به ولبعضهم في
بعض الحمقى وقد بنى له دارا حسنة هم

دارك يا هذا غرت جنة • وان اكثر اهل الجنة البله •

وقد تواتر بالنقل تواترا معنويا كتواتر كرم حاتم وشجاعة علي رضي الله عنه وكرم وجهه
عمن لا يمكن تواطيهم على الكذب في الجميع لا في مادة بخصوصها **عنه صلى الله عليه وسلم**
متعلق بتواتر **من المعرفة بامور الدنيا** واحوالها تفصيلا من غير الامور المشروعة **ومعرفة
دقايق** اي الامور الدقيقة التي تخفى على كثير منهم **مصالحها** اي حاجاتهم التي بها صلاح
العالم في المعايش **وسياسة فرق اهلها** عربا وعجما على اختلاف عقولهم وطباعهم
وعاداتهم والسنتهم والسياسة حكم الناس وضبط امورهم الجارية بينهم حتى لا يتعدى
بعضهم على بعض يقال ساسه يسوسه اذا حكم عليه بما يجعله منقادا **ما هو** ما موصولة
او موصوفة فاعل تواتر **معجز في البشر** اي امور تعجز البشر عن مثلها والبشر بنو آدم سموا به
لظهور بشرتهم اي ظاهر جلدهم من غير استتار بشعر ووبر كالحيوانات **كما قد نبهنا
عليه في باب معجزاته من هذا الكتاب** كما تقدم تفصيله فلا حاجة لاعادته هنا
لانه صلى الله عليه وسلم لما فوض له الامامة العظمى على جميع الخلق والحكم بينهم ودعوتهم
لطاعته لزمه ان يعلم جميع احوال الناس دنيوية ودينية ليتم امره ويتاتى له ما امر به فلا
يخفى عليه الا امور قليلة لا يضره عدم العلم ولذا كان صلى الله عليه وسلم يحكم بالسلطنة
والقضا والفتوى كما فصلوه وسبق الفرق بين احكامه فيها

فصل

قال المصنف **واما ما يعتقده** صلى الله عليه وسلم **في امور احكام البشر** اي ما
يحكم به عليهم في امورهم التي ترفع اليه من الامور **الجارية على يديه** اي الواقعة عنده
فاستعار للجري على يديه لهن **وقضاياهم** اي امورهم التي ترفع اليه ليقضي فيها بما اراه
الله **ومعرفة المحق من المبطل** ضمن المعرفة معنى التمييز فعداه بمن والمحق والمبطل
اسما فاعل بمعنى من هو على الحق او الباطل وكونه اسم مفعول كما قيل ركيك من غير داع له
وعلم المصلح من المفسد اي اهل الصلاح والفساد **فبهذه السبيل** الباطن فيه اي حاله
في هذه الطريقة السابقة في امور الدنيا التي قد يظهر له منها ما الامر بخلافه احيانا
ولا يضره لما سيأتي وهو وان كان لا يخفى الله عنه علمه اصلا كما قال بعض العارفين
يظهره الله منه لئلا تضل به بعض امته لتوهمه انه يعلم الغيب فيقعون فيما وقع فيه النصارى
فلذا كان يستره كما قال الابوصيري رحمه الله •

لم يمتحنا بما تعيى العقول به • حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم •

لقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان مسندا وابو داود وعنه رواه
المصنف لعلو سنده فيه كما مر وتقدمت الاشارة اليه مرارا **انما انا بشر** لا اعلم الغيب
وانكم تختصمون الي في امور عندي وتردون حكمها الي **ولعل بعضكم ان يكون الحن
بحجته من بعض** اي اعرف باقامة الحجة وافصح في بيانها مما يخاصمه واصل معنى اللحن الميل
عن الاستقامة ومنه اللحن في الاعراب لميله عن الصواب واللحن الطرب ومنه الحان الغنا
وفي الاساس لحن بحجته فطن لها فبصرها لما بينا وفلان الحن بحجته من صاحبه اي
افصح منه واقدر على اقامة الحجة **فاقضي له** واحكم **على نحو** بالتنوين اي على نوع وضرب
مما يسمع من كلامه بحسب الظاهر منه **فمن قضيت له في حق اخيه بشي** ولو قليلا اي حكمت
له بشي **ليس له حق فيه** وانما هو حق لخصمه ويعبر بالاخ عن الخصم كقوله تعالى ان هذا اخي له
تسع وتسعون نعجة للاستعطاف والحث على عدم الحيف **فلا ياخذ منه شيا** ليس حقه **فانما
اقطع له** بما اعطيه من حق غيره **قطعة من النار** فجعل ما ياخذه بغير حق قطعة من نار جهنم
مبالغة في حرمته عليه واستحقاقه للعذاب بنزوله منزلة عذاب به حقيقة كما في قوله تعالى ان
الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وحاصله ان حكم الحاكم بحسب
الظاهر صحيح نافذ ولكنه ان خالف الواقع لا يحل حراما ولا يحرم حلالا لانا نحكم بالظاهر
وعند الله علم السرائر وهذا في الاموال والدما وغيرها فالحكم ينفذ بحسب الظاهر
ويبقى الباطن في الاخرة وقد وقع الخلاف بين الفقها في بعض احكام الفروج كما لو شهد
شاهدا زور على رجل انه طلق امراته وحكم الحاكم بالفرقة بينهما وهو لم يقع منه طلاق في نفس
الامر فهل يجوز له ان ينكحها بعد الحكم المذكور ام لا فيه قولان كما في كتب الفروع **حدثنا الفقيه
ابو الوليد** رحمه الله تقدم بيانه **قال حدثنا الحسين بن محمد** هو الحافظ ابو علي الغساني
وقد تقدم **قال حدثنا ابو عمر** هو ابن عبد البر وقد تقدم **قال حدثنا ابو محمد** عبد الله بن
محمد بن عبد المومن القرطبي كان ممن لقي ابن داسة واخذ عنه وترجمه الذهبي **قال
حدثنا ابو بكر** هو ابن داسة راوي سنن ابي داود كما تقدم **قال حدثنا ابو داود** الامام
المشهور صاحب السنن وقد تقدم **قال حدثنا محمد بن كثير** بكاف ومثلثة وهو ابن كثير
العبدي البصري الامام المشهور اخرج له الستة توفي سنة مايتين وثلاث وعشرين
وعمره تسعون سنة وترجمته في الميزان **قال حدثنا** وفي نسخة اخبرنا **سفيان** اي الثوري
لا ابن عيينة لانه الذي يروي عن ابن كثير وبه صرح عبد الغني فيحمل المطلق عليه **عن هشام
بن عروة عن ابيه** عروة وتقدم الكلام عليهما **عن زينب بنت ام سلمة** ام المومنين رضي
الله عنها وزينب هذه بنت ابي سلمة ربيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي صحابية
تزوجها عبد الله بن زمعة توفيت سنة ثلاث وسبعين **عن ام سلمة** ام المومنين المذكورة
واسمها هند وقيل رملة كما تقدم **قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث**
المذكور يعني انما انا بشر الى آخره وقدم المتن على السند هنا وهو جائز لانه مبين لما عقد له
الفصل كالترجمة له وعدل فيه عن رواية الصحيحين لعلو سنده في سنن ابي داود ولانه
ضمه لما هو مشهور معلوم تقوية له **وفي رواية الزهري** بن شهاب الامام المشهور **عن عروة**
تقدمت ترجمته **فلعل بعضكم** وقع في هذه الرواية بالفا التفريعية وفيه **ابلغ من بعض**

مكان الحسن فهو من المبالغة ليوافق معنى الرواية الاخرى وما قيل من انه من البلوغ وهو
الوصول اي اشرع وصولا للحجة مع انه غير مناسب مخالف للظاهر فلا حاجة لتكلفه وقيل
انه من المبالغة والزيادة في اجتهاده بترويج حجته فاحسب انه صادق فيما ادعاه بحسب
الظاهر وان وما بعده ساد مسد مفعولي احسب فاقضي له اي احكم له بما اظنه حقه وهو
صلى الله عليه وسلم تجري بمثناة فوقية واحكامه مرفوع ناب مناب فاعله او بتحتية مضمومة
ويجري على موجب بضم الميم وفتح الجيم اي ما يقتضيه غلبات الظن اي ما يغلب تحققه
في ظنه بحسب ظاهر الحال وجمع غلبات باعتبار تعدد الخصومات ثم بين سبب غلبة ظنه
بما قضى به فقال بشهادة الشاهدين اي بسبب ذلك ويمين الحالف اذا احلف فانه يغلب
على الظن صدقه والمراد اليمين الذي يقتضيه الشرع في محله ولذا قال الحالف من غير تعيين
فلا وجه لصرفه للعادة من غير ما يشعر به في العبارة وظن بعضهم ان يمين الحالف المراد بها
اليمين مع شاهد واحد الذي حكم به بعض الائمة ولا حاجة لي عوله ومراعاة الاشبه اي ما
هو اكثر شبها بالحق بما فيه من القرائن وظن بعضهم ان الاشبه المراد به شبه الولد في الملاعنة
ومما حكم فيه بالظاهر اللقطة وما فيها من معرفة العفاص وهو بكسر العين المهملة وفا
مخففة قبل الالف وصاد مهملة وهو وعاء من جلد ونحوه يوجد فيه ما التقط والوكاء بكسر
الواو وما يربط به فاذا عرفها وجاء طالبها يسأل عن امارتها فاذا بينها ترفع له لغلبة الظن
بانه صاحبها وهو اشارة لما ورد في الحديث الصحيح وعرفها سنة ثم احفظ عفاصها ووكاها
فان جاك احد يخبرك بها والا فانفقها مع مقتضى حكمة الله تعالى في ذلك اي اقتضت حكمة
الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام ان يحكم بالظاهر ليقتدي به من بعده من حكام امته
ولو اراد ان يطلعه الله في كل قضية على حقيقتها فعل ولكنه لا يتيسر لمن بعده اتباعه في
احكامه وهذه الاحكام وان خالفت الواقع لا خطا فيها لانه مامور بالحكم به وليس من قبيل
اجتهاده حتى يقال انه لا يخطئ فيه ولا يقر على الخطا فيما في ما تقدم وهو ظاهر حاصل
فانه صلى الله عليه وسلم لو شاء اطلعه الله على اسرار عباده اي ما خفي منها فاراد الله
ان لا يطلعه وانه اذا اطلعه لا يظهر لهذه الحكمة وبخبايا ضمائر امته ما اضمروه واخفوه
في انفسهم مما لا يطلع عليه الا الله عالم الغيب وهي جمع مخبات اسم مفعول مشدد الباء اي
مكنونة غير ظاهرة وخبايا الارض في الحديث الزرع لاستتاره اذا بذر وفي الحديث ابتغوا
الرزق في خبايا الارض وقال الشاعر

تتبع خبايا الارض وادع مليكها • لعلك يوما ان تجاب وترزقا •

فتولى الحكم بمجرد يقينه وعلمه يعني لو اطلعه الله على السرائر ليحكم بها كان يحكم بعلمه فيها
دون حاجته له في حكمه الى اعتراف اي اقرار من الخصم او بينة تشهد عليه او يمين تتوجه على
المنكر او شبهة اي مشابهة في الامر للحق كما تقدم والامر بخلافه لكن لما امر ايمته في
اتباعه في احكامه التي شرعها لهم والاقتداء به في افعاله المشروعة واحواله وقضاياه
اي احكامه صلى الله عليه وسلم التي تقضي بها لامته وسيره المأثورة عنه صلى الله عليه وسلم
في غزواته وغيرها فكان هذا الامر الذي امروا باتباعه فيه لو كان مما يختص صلى الله عليه
وسلم بعلمه الذي اعلمه الله به مما خفي على غيره ويؤثره الله تعالى به اي يخصه صلى الله عليه
وسلم به دون امته لانه وحي منه والهام له لم يكن للامة سبيل اي طريق لهم للاقتدا به

في شيء من ذلك

في شيء من ذلك لعدم علمهم به لانه مما اثره الله به ولا قامت بعده صلى الله عليه وسلم
بقضية من قضاياه في امر من الامور الدينية احد من حكام امته وخلفائه في شريعته
واحكامه لانا لا نعلم ما اطلع عليه باطلاع الله له على ما خفي منه هو في تلك القضية
بعينه هو اذا في ذلك بالمكنون اي الخفي من اعلام الله بما اطلعه عليه من سرائرهم
التي اخفاها عن غيره من الامة وهذا مما لا تعلمه الامة لانه تعالى لا يظهر على غيبه احدا الا من
ارتضى من رسول فاجرى الله احكامه الشرعية على ظواهرهم التي يستوي فيها هو
صلى الله عليه وسلم وغيره من البشر من امته في زمنه وبعده وهذا باعتبار اكثر احواله
والا فمن خصائصه صلى الله عليه وسلم انه يجوز له ان يحكم بعلمه وقد اطلعه الله تعالى على كثير
من السرائر والمضمرات لكنه لم يؤمر بالحكم بها للحكمة المذكورة وقد امر بعض الانبيا بالحكم
بالامور الباطنة كالخضر على القول بنبوته وهو الاصح كما مر لكنه لم يكن له امة تقتدي به
ولذا انكر عليه موسى عليه الصلاة والسلام قبل اطلاعه على انه اذن له فيه فلما علمه سلم له
وللسيوطي رسالة في ان نبينا صلى الله عليه وسلم كان له الحكم بالباطن ايضا اذا لم يخش منه التهم
وساق فيها قضايا لا نطيل بها هنا وحكمه على الظاهر كان تارة بالقضا وتارة بالسياسة
والسلطنة اي الامامة العظمى وتارة بالفتوى كما فصله ابن السبكي في قواعده مع الفرق بينهما
فارجع اليه ان اردته ليتم اقتدا امته في تعيين قضاياه التي وقعت في احكامه بين
الناس ويتم بضم التحتية وفاعله ضمير يعود على الله عز وجل واقتدا امته بالنصب مفعوله
ويجوز فتحها ورفع اقتدا على الفاعلية وتنزيل احكامه على قواعد شرعه واجرائها في
في جزئياتها ويأتوا بما اتوا بقصر الهمزة اي يفعلوا ما فعلوا من ذلك من قضاياه وتنزيل
احكامه على علم ويقين من سنته اي طريقته في شريعته التي بينها لامته اذ البيان
بالفعل الذي فعله في احكامه اوقع في النفوس واثبت طمانينة منه اي من البيان بالقول
وارفع لاحتمال اللفظ للتأويل والتجوز وتاويل المتاول بخلاف الفعل فانه لا يجري
فيه مثله مع موافقته للظاهر فلا خفاء فيه فكان حمله اي الفعل لا النبي صلى الله عليه
وسلم كما قيل على الظاهر اجلى بالجيم افعل تفضيل اي اظهر واوضح عطف تفسير في البيان
لكل احد مشاهد له في وجوه الاحكام جمع وجه وهو ما يتوجه فيه ويحمل كما يقال في هذا
وجه اي توجيه او وجعله من قبيل الجنس الما او الاستعارة المكنية والتخييلية كما قيل
صرف له عن الظاهر من غير داع له واكثر فائدة لموجبات بفتح الجيم اي ما يقتضيه التشاجر
وهو بضم الجيم مصدر بمعنى الخصام الواقع في المنازعات والدعاوى من شجر بينهم كذا اذا
وقع وجرى وفي الحديث اياكم وما شجر بين اصحابي اي وقع بينهم من امور القضا والاجتهاد
وانما كان الفعل اظهر لانه مشاهد محسوس وفي الحديث ليس الخبر كالمعاينة فان الله تعالى
اخبر موسى عليه الصلاة والسلام بما فعل قومه بعده فلم يلق الالواح فلما عاين ذلك
القاها رواه الطبراني وغيره وهو حديث صحيح وزعم بعضهم ان القول اقوى لان الفعل قد
يطول فيتاخر البيان ورد بان القول قد يطول ايضا وليقتدي بذلك الفعل الصادر
عنه حكام امته بعده ويستوثق اي يتمسك بما يؤثر عنه اي بما روي او ينتظم وينضبط
على القواعد الشرعية وفيه روايتان احدهما انه مبني للمعلوم بسينين مهملتين بمعنى انتظم
وهو استفعال من الاتساق قال ثم والمراد الاتساق وروي بمثلثة بعد الواو مبني للمجهول

اي يتمسك بما يؤثر عنه اي ينقل عنه نقلا صحيحا شايعا وفي بعض الحواشي انه تصحيف وليس كما قال لان المستعمل من الاول الاتساق دون الاستعمال فكلاهما صحيح خلافا لمن رده الثاني **ويضبط كانون شريعته** وهي القضايا الكلية المنطبقة على جزئياتها فيعرف منها احكام الحلال والحرام وغيرها ثم اجاب عن سوال مقدر فقال **وطي ذلك عنه** اي اخفاؤه مستعار من طوي المتاع في صوان له وفيه اشارة لجلالته ونفاسته وانما اخفاه لانه **من علم الغيب** المغيب عن غيره **الذي استاثر** اي تفرد واختص **به عالم الغيب** عز وجل **فلا يظهر على غيبه احدا** من خلقه **الا من ارتضى** لعلمه **من رسول** بيان لمرتضى **فيعلمه منه** اي يطلعه على بعضه **بما شا** بوحي او الهام او فراسة ليكون معجزة له او كرامة اكرمه الله تعالى بها **ويستاثر** اي يختص **بما شا** ما طوى علمه عن غيره فانه لا يعلم جميع المغيبات الا الله والرسول في الاية من البشر او رسل الملايكة وفيه كلام ذكرناه في حواشي القاضي وقد اطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على كثير من المغيبات وحديث حذيفة بن اليمان في الفتن التي تحدث الى اخر الزمان حديث طويل مشهور وخطبة رسول الله التي ذكر فيها ما سيقع لامته مذكورة في بعض كتب الحديث وقد فصله ابن كثير في كتاب الفتن **ولا يقدح هذا** اي عدم اطلاعه على بعض المغيبات **في نبوته** صلى الله عليه وسلم وكونه مرتضى الرسالة **ولا يفصم** بالفا والصاد المهملة قالوا هو الكسر من غير ابانة وفسر بالكسر والحل والثاني انسب بقوله **عروة من عصمته** والعروة ما يدخل فيه الزر وما يعقد به شبه عصمته وحفظه بلباس ساتر له له عرى وازرار تمسكه بطريق الاستعارة المكنية المخيلة لان للعصمة جهات يتمسك بها وهو دفع لشبهة وردت وهو انه صلى الله عليه وسلم اذا حكم بظاهر يخالف الواقع نتوهم انه مخالف للعصمة وليس كذلك لانه ما مور به لحكمة تقدمت والله الموفق

فصل واما احواله صلى الله عليه وسلم الدنيوية

احواله التي لها تعلق به متعلقة بامور الدنيا التي لا تعلق لها بالشرع **من اخباره عن احواله** التي لها تعلق به صلى الله عليه وسلم في نفسه وساير اموره **واخباره عن احوال غيره** الدنيوية **وما يفعله** هو في المستقبل **او فعله** فيما مضى مما صدر منه صلى الله عليه وسلم **فقدمنا ان الخلف** هو اعم من الكذب لانه يكون في الامور التي يعبر عنها بجملة انشائية **فيها ممتنع عليه** صلى الله عليه فلا يصدر عليه امر يخالف نفس الامر لانه معصوم في اقواله وافعاله **في كل حال** من احواله البشرية **وعلى اي وجه** من وجوه احواله التي يقع عليها وبينه بقوله **من عمد او سهو وصحة او مرض ورضى او غضب فانه صلى الله عليه وسلم معصوم منه** اي محفوظ من الله عن ان يصدر عنه خلف في شي من اخباره هذا الامر الذي عصم فيه من اقواله **فيما طريقه** التي ورد فيها قوله وخبره اذا كان من **الخبر المحض** اي الصريح الذي ليس من قبيل المعاريض التي يراد بها التورية **فيما يدخله الصدق والكذب** في حد ذاته بقطع النظر عن عوارضه **فاما المعاريض** جمع معراض من التعريض خلاف الصريح وهو النص الذي لا يحتمل التاويل من القول بقال عرفته في معراض كلامه ومعرضه بغير الف وفي الحديث ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب **الموهم ظاهرها** وهو صريح لفظها الموضوع له **خلاف باطنها** اي ما خفي منها بما يؤول به لقصد التورية **فجائز ورودها** بالتلفظ بها

ويقصد غير ظاهرها **منه** صلى الله عليه وسلم **في الامور الدنيوية** دون الامور الشرعية **لا سيما** تقدم الكلام عليها وانها استثناء عند النحاة لكون ما بعدها اولى بالحكم **لقصد المصلحة** اي اذا كان في اخفاء المعاريض مصلحة ومنفعة **كتوريته صلى الله عليه وسلم عن وجه مغازيه** اي جهته صلى الله عليه وسلم التي يتوجه اليها في غزواته فان فيها مصلحة والتورية عندهم ان يكون اللفظ له معنيان قريب وبعيد فيقصد البعيد وهي تفعلة من الورا كانه وراءه الستر المراد منه بايهام غيره **لئلا ياخذ** اي يتاهب **العدو** الذي قصد غزوه **حذره** بكسر الحا المهملة وسكون الذال المعجمة قبل را مهملة اي يتيقظ لما يحذره ويجا فلا يفرط فيه وفي البخاري لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورى بغيرها وفي قوله ياخذ حذره دون يحذر كلام في الكشاف وشروحه **وكما** اي مثل توريته ومعاد في غزواته ما **روي عنه** صلى الله عليه وسلم **من ممازحته** المزاح معروف ويسمى احماضا **ودعابته** بضم الدال وبالعين المهملة وبوحدة وهي بمعنى الممازحة وذكرها لوردها في حديث كان فيه صلى الله عليه وسلم دعابة وقيل في علي ايضا لولا دعابة فيه وانما كان يفعله احيانا **لبسط امته** اي ليسرهم ويشرح صدورهم وقد ورد البسط بهذا المعنى في اللغة على طريق التجوز لان المبتسر ينبسط اسارير وجهه وعند الفرح يبسطها فيتسع وفي امثال العامة البسط صدف وهو البشاشة وطلاقة الوجه **وتطييب قلوب المومنين من اصحابه** وفي نسخة من صحابته من بيانية او تبعيضية اي جعلها طيبة مسرورة **وتاكيدا في محبتهم** وفي نسخة تحبيبهم لان المرء انما يمازح من يحبه ويطرح التكلف بينه وبينه **ومسرة نفوسهم كقوله** صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابو داود والترمذي عن انس وصححاه **لاحملنك على ابن الناقة** وروي عن ابي هريرة ايضا وهو انه صلى الله عليه وسلم قال له رجل كان فيه بله يا رسول الله احملني فباسطه صلى الله عليه وسلم بما عساه ان يكون قال له انا احملك على ابن الناقة فسبق لخاطره من لفظ البنوة استصغاره فقال يا رسول الله ما يغني عني ابن الناقة فقال له صلى الله عليه وسلم ويلك وهل يلد الجمل الا الناقة وانما كان صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك اذهابا لوحشتهم ولما يعلمه صلى الله عليه وسلم من مهابته في نفوسهم فيؤانسهم بذلك وليعلم الناس حسن الخلق في المعاشرة وما ورد من النهي عن المزاح انما هو عن كثرته المفرطة واستعماله مع كل احد في غير محله وكان صلى الله عليه وسلم يلاعب الاطفال ويمج الماء في وجوههم وافواههم والاخبار في هذا الباب مبسوطة في كتب الحديث واموره صلى الله عليه وسلم مع البدوي الذي كان يسمى زاهرا مشهورة **وقوله** صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابن ابي حاتم وغيره **للمراة التي سالته عن زوجها** كما اخرجه ابن ابي الدنيا عن زيد بن اسلم ان امراة يقال لها ام ايمن جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت له ان زوجي يدعوك فقال لها من هو **اهو الذي بعينه بياض** فقالت لا والله ما بعينه بياض فقال لها صلى الله عليه وسلم ما من احد الا بعينه بياض يعني به البياض المحيط بالحدقة وهي توهمته غشاوة على حدقته تضر بالبصر واللفظ يحتملهما والاستفهام تقريري **وهذا** الذي قاله صلى الله عليه وسلم مداعبة **كله صدق لان كل جمل ابن ناقة** لصدق الابن على الصغير والكبير وان تبادر منه صغير عرفا **وكل انسان بعينه بياض** يحيط بحدقته **وقد قال** صلى الله عليه وسلم

في حديث رواه احمد والترمذي والطبراني عن ابن عمر وابي هريرة بسند حسن اني
لامزح ولا اقول الا حقا ولفظ الحديث انهم قالوا له يا رسول الله انك تداعبنا فقال
اني اذا داعبتكم لا اقول الا حقا فالنهي عنه في قوله لا تمار اخاك ولا تمازحه وفي قول
عمر رضي الله عنه من مزح استخف به وقول ابن العاص يا بني لا تمازح الشريف فيحقد
عليك ولا الدني فيجترئ عليك محمول على الكثرة منه في غير محله وعلى غيره سنته صلى الله
عليه وسلم فعله من موم منهي عنه هذا كله اي ما صدر من ممازحته على وجه الحقيقة وغيره
فيما بابه اي نوعه الوارد فيه الخبر اي الاخبار عما له نسبة خارجية تحتمل فاما ما بابه
غير الخبر من الانشاآت مما صورته صورة الامر والنهي المعروفين عند اهل العربية
في الامور الدنيوية فلا يصح منه ايضا القول بصدوره منه لعصمته ولا يجوز عليه
صلى الله عليه وسلم ان يامر احدا بشيء او ينهى احدا عن شيء وهو صلى الله عليه وسلم
يبطن خلافه جملة حالية لبراءته من الامر والنهي بخلاف ما عنده وقد قال صلى الله عليه وسلم
ما كان لنبي ان تكون له خائنة الاعين فكيف ان تكون له خائنة قلب اي ان يكون
فاعل فعل اي ينبغي ان يكون الخ هذا هو الظاهر وكونه متعديا تكلف لا داعي له وخائنة
مصدر بمعنى خيانة كالعافية وخائنة الاعين ان يضمر في نفسه غير ما يظهر فاذا اراد
اظهاره اومأ بعينه ولظهوره من العين نسب لها قال ثم يعلم خائنة الاعين اي ما يخون
فيه بمسارقة النظر والغمز وخائنة القلب خيانته فاذا لم يجز له ان يشير بطرفه بخلاف ما
في قلبه فكيف بغيره قالوا وهذا من خصائص الانبياء انهم لا يجوز لهم هذا لما فيه من ارتكاب
ما لا يليق بهم وهذا من حديث رواه الحاكم والنسائي وابو داود وهو انه صلى الله عليه وسلم
لما فتح مكة امرهم ان لا يقاتلوا الا من قاتلهم الا نفرا سماهم وامر بقتلهم وان وجدوا تحت
استار الكعبة منهم عبد الله بن سعد بن ابي سرح العامري وكان ممن اسلم وهاجر وصار كاتب
الوحي ثم ارتد وذهب لقريش وطالما بلغه صلى الله عليه وسلم انه كان يكتب في الوحي
بعض كلام له كاتبه وكان اخا لعثمان من الرضاع فغيبه ثم اتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعدما اطمأن الناس فاستأمنه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فسكت طويلا ثم قال نعم
فلما انصرف قال صلى الله عليه وسلم ما سكت الا ليقوم احد ليضرب عنقه فقال رجل من الانصار
هلا اومأت لنا يا رسول الله فقال ما كان لنبي الخ ثم حسن اسلامه وهو احد النجباء الكرماء
العقلاء فان قلت فما معنى قوله تعالى في قصة زيد بن حارثة بن شرحبيل الكلبي
كانت خديجة رضي الله عنها اشترته ووهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل النبوة بمكة
وهو اسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر او عشرين سنة فتبناه صلى الله عليه وسلم
حتى كان يقال له ابن محمد حتى نزل عليه قوله تعالى ادعوهم لآبائهم وكان قدم ابوه وعمه لفدائه
فقالوا لرسول الله يا ابن عبد المطلب انتم اهل حرم الله وجيرانه وقد جئناك في ابن لنا عندك
قال من هو قالوا زيد قال فهلا غير ذلك قالوا ما هو قال ادعوه فخيروه فان اختاركم فهو لكم وان
اختارني فوالله فدعاه وخيره فاختار رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انت مكان
الاب والعم فقالوا ويحك تختار العبودية على الحرية والحوبة قال نعم قد رأيت منه ما لا
اختار عليه احدا غيره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حضره اشهدوا انه ابني يرثني
وارثه الى اخر ما ذكر في السير واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه الاية وهذا

السؤال

السؤال وارد على قوله انه لا يامر بخلاف ما في نفسه ولم يضمر منه خائنة قلب لان قوله
امسك عليك زوجك وتخفي ما في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه
مناف له بحسب الظاهر وانعام الله عليه بهدايته للاسلام وما وسع عليه في الدارين وانعام
الرسول عليه باعتاقه وتقريبه ومحبته وكان زوجه زينب بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب
وكانت من اجمل النساء واشرفهن فاتى صلى الله عليه وسلم زيدا لحاجة فلم يجده فوقع نظره عليها
فاعجبه حسنها ووقعت في قلبه اعظم موقع فقال سبحان مقلب القلوب وانصرف فلما جاءها
زيد اخبرته بذلك ففطن زيد لوقوعها في قلبه والقى الله في نفسه كراهيتها فقال يا رسول
الله اني اريد مفارقة زوجتي فقال له ما رابك منها قال ما رابني منها شيء وما رأيت منها الا خيرا
ولكنها تتعظم علي وتؤذيني بلسانها فقال له صلى الله عليه وسلم امسك عليك زوجك واتق
الله في امرها فابى وطلقها فاجاب عنه بقوله فاعلم ايها السائل عن هذه القصة اكرمك الله
عز وجل كما اكرمت مقام النبوة ونزهته عما لا يليق به وان لا تسترب اي تقع في ريب وشك
في شيء من اموره صلى الله عليه وسلم واصل الريب قلق النفس واضطرابها ثم نقل للشك وفي
الحديث الشك ريبة والصدق طمانينة ولا في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا
الظاهر من الاية من انه صلى الله عليه وسلم اخفى في نفسه امرا خشية طعن الناس فيه هو
حبها وارادة طلاقها وامره بامساكها وهو يريد خلافه كما قال وانه امر زيدا بامساكها
في عقد نكاحه ولا يفارقها وهو صلى الله عليه وسلم يحب تطليقه اياها ليتزوجها كما
ذكره جماعة من المفسرين بانه اظهر خلاف ما في نفسه وامره بما لم يرده وانه خشي قالة
الناس فيه كما نقل بعضهم عن قتادة وابن عباس وهو غير لائق بمقامه واصح ما قيل في
هذا الامر المذكور في الاية ما حكاه بعض اهل التفسير وفي نسخة رواة التفسير عن
زين العابدين علي بن حسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم وقيل المراد بعلي بن الحسين
ابن ابي طلحة بن ابي طالب احد السبعة ان الله كان قبل وقوع هذه القصة اعلم نبيه صلى
الله عليه وسلم ان زينب بنت جحش ستكون من ازواجه امهات المؤمنين بعد ما تزوجها
زيد وهي تحت نكاحه فلما شكاها اليه زيد بانها تتعظم عليه لشرفها وهو من الموالي
قال له امسك عليك زوجك لانه فهم من شكايته انه يستاذن في طلاقها واتق الله
فلا تؤذها بوصفها بالتكبر وطلاقها بلا سبب واخفى منه اي من زيد في نفسه لم يصرح به
حياء منه ان يطلع الناس على انه سيتزوجها وان لم يكن فيه امر مستقبح وانما كتم سره وما اعلم
الله به من انه سيتزوجها وفي نسخة من انه سيزوجها الله له ما الله مبديه ومظهره بابرازه
في الخارج بتمام التزويج وطلاق زيد لها كما قال ثم لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج
ادعيائهم الاية قال ابن العربي فان قلت فلم قال امسك عليك بعد ما اخبره الله بانه سيزوجها
له قلت ليعلمه ما لم يعلمه من كراهة زيد لها ورغبته في طلاقها حتى لا يبقى في نفسه شيء
منها وعلى هذا التفسير لم يبق اشكال في القصة اصلا وروي نحوه عن عمرو بن فائد بفاء والف
وهمزة ودال مهملة وفي الاكمال انه بالقاف والفاء وذكره الذهبي فقال عمرو بن فائد الاسواري
وقال الدارقطني وغيره انه ضعيف متروك الحديث معتزلي قدري لا يقيم الحديث وهو بصري
يكنى ابا علي قال في البرهان وهو في النسخ التي وقفت عليها بالقاف وفيه نظر عن الزهري
بن شهاب كما تقدم قال نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه مضارع من الاعلام ان الله

بن وجد زينب بنت جحش وقيدها بنت جحش ليخرج غيرها فان من امهات المومنين زينب
اخري هي بنت خزيمة ام المساكين فذلك هو الامر الذي اخفي في نفسه لاستحيائه من اظهاره
ويصحح هذا الذي رواه الزهري قول المفسرين في قوله تعالي بعد هذا في آخر الاية وكان
امر الله مفعولا لافادته انه امر اراده قبل ذلك ونفي عنه الحرج في تزوج منكوحة من تبناه
لانه ليس كالولد الحقيقي اي لابد لك ان تتزوجها لانه قدره ازلا وانما تزوجها لحكمة رتب عليها
احكاما شرعية ويوضح هذا الامر الذي قرره المفسرون ان الله لم يبد اي لم يظهر من امره اي
من شانه صلي الله عليه وسلم في هذه القصة معها اي مع زينب رضي الله عنها غير زواجه لها
اي تزويجه اياها فدل ما ابداه الله من امره علي انه اي تزويجها له بامر الله هو الذي اخفاه صلي
الله عليه وسلم في نفسه لا انه اخفي في نفسه غير ما امره الله به وانما الذي اخفاه النبي
مما اعلمه الله به لا غيره مما توهموه فانه تعالي لم يبد شيئا غير زواجها فدل علي انه هو الذي اخفاه
كما تقرر ولو كان امرا اخر لابداه وما في الكشاف من قوله فان قلت فماذا اراد الله منه ان يقوله
حين قال له زيد اريد ان افارقها وكان من الهجنة ان يقول له افعل فاني اريد نكاحها قلت
الذي اراده تعالي منه ان يصمت او يقول له انت اعلم بشانك انتهي نزغة اعتزالية في تخلف
الارادة فاحذرها وقوله تعالي في القصة اي في قصة زينب المذكورة ما كان علي النبي
من حرج الاية فيما فرض الله له سنة الله والحرج في الاصل الضيق واريد به الاثم اي لا اثم
عليك فيما قدر لك ووسع عليك في امر النكاح وسنة الله منصوب علي الاغراء او هو مصدر
لفعل علم من السياق اي سن ذلك سنة وطريقة شرعية كانت لمن قبلك من الانبيا في تزوج
من تزوج او في تعدد المنكوحات وكثرتهن كما وقع لداود وسليمان وغيرهما من الرسل وفرض بمعني
قضي وقدر لا من الفرض مقابل السنة ففي ذكره مع السنة تورية وطباق بليغ فيه من اللطف
ما لا يخفي حسنه فدل ما ذكر من قوله ما كان علي النبي من حرج علي انه لم يكن عليه صلي الله عليه وسلم
حرج اي تضييق ولا اثم يقتضي العتاب عليه في الامر الذي فعله وقدره الله له واعلمه به
وقال الطبري محمد بن جرير وقد تقدمت ترجمته ما كان الله اي ما فعل وقدر ان يوثم نبيه
صلي الله عليه وسلم اي يوقعه في اثم وذنب فيما احل مثل فعله اي احل مثله لمن قبله من
الرسل يعني ان الاية دالة علي ان ما فعله لا اثم فيه لانه قال تعالي سنة الله في الذين خلوا
من قبل اي مضوا وتقدموا اي من قبلك من النبيين فيما احل لهم فلما قال ان ما فعلته من سنن
الانبيا الذين قبلك دل علي انه امر مشروع لا اثم فيه فدلت الاية علي بطلان غير ما قيل لدلالة
الاية عليه نصا صريحا ظاهرا ولو كان الامر علي خلاف ما ذكر وتفسير ما اخفاه بما ذهب اليه غيره
علي ما روي في حديث عبد بن حميد عن قتادة وقوله فيما نقل عنه من وقوعها اي زينب
رضي الله عنها من قلب النبي صلي الله عليه وسلم اي انه لما رآها وقعت في قلبه موقعا عظيما
لشغفه عندما اعجبته بحسنها الذي راعه ومن محبته طلاق زيد لها ليتزوجها لتعلق قلبه
بمحبتها لكان فيه اعظم الحرج اي الاثم غير اللايق به والتضييق علي زيد بارادته مفارقة
منكوحته وحاشاه من مثله ولكان ايضا فيه ما لا يليق به اي لا يحسن صدوره منه ولا ينبغي
له من مد عينيه لما نهي عنه اي عن طلبه وتمنيه ومد العين اطالة النظر حتي لا يرده
لاستحسانه له فهو بتقدير مضاف او تجوز في العين وهو كناية عن تطلب الامر وارادته ارادة
قوية وبين المنهي عنه بقوله من زهرة الحياة الدنيا اي زينتها وزخرفها وبهجتها وهذا اشارة

الي ما وقع في القران العظيم تمثل به لانه نزل لما وردت سبع قوافل من بصري فيها طيب
وامتعة نفيسة فقال المسلمون لو كان لنا هذا تقوينا به وانفقناه في سبيل الله فانزل الله
عليه ولقد آتيناك سبعا من المثاني الاية اي هذه خير لكم من القوافل السبع فلا تمدوا اعينكم
نحوها وكل هذا لا يليق بمقامه وزهده في الدنيا لما قيل من ان مجرد وقوعها في قلبه صلي الله عليه
وسلم من غير ان يبدو عنه شي لا اثم فيه وكذا محبته وميله لطلاقها من غير تعلق به لا اثم فيه
فكيف يكون اعظم الحرج فيه نظر ولكان هذا اي لو كان ما اخفاه صلي الله عليه وسلم في نفسه
بعدما اعجبته وارادة ان يطلقها اي لو صح هذا كان من الحسد المذموم لان الزوجة الحسنا نعمة
من الله عليه فهو بذلك يريد زوالها عنه وقيد بالمذموم لان الغبطة حسد غير مذموم لان معناه
ان يتمني ان يكون له نعمة كنعمة غيره من غير تمني زوالها وهذا في امور الدنيا لا في الدين وافحش
الحسد تمني زوال النعمة لغيره لا تحصل له الذي لا يرضاه صفة الحسد ولا يتسم به اي لا
يتصف به من الوسم وهو العلامة واصلها ان تكون بكي ونحوه الاتقيا تنازعه يرضي ويتسم
فكيف بسيد الانبيا الذي هو اعظمهم واشرفهم نفسا صلي الله عليه وسلم والاستفهام تعجبي
انكاري والمراد به استبعاد صدور الحسد منه ومنهم صلي الله عليه وعليهم وسلم قال القشيري
عبد الكريم بن هوازن صاحب الرسالة الامام المفسر الزاهد شيخ الصوفية ورأس الشافعية
المشهور وهذا المنقول عن قتادة من انه صلي الله عليه وسلم رآها فاعجبته واراد طلاقها اقدام
من قايله او لا دون حاكيه عظيم اي جراة علي مقام النبوة وقلة معرفة بل عدم معرفة بحق
النبي صلي الله عليه وسلم الذي يجب ان يعتقد فيه وبفضله اي زيادته علي غيره في الشرف
وعلو المرتبة عن امور الدنيا وكيف يقال انه صلي الله عليه وسلم رآها فاعجبته مما يقتضي
انه لم يرها قبل ولا يعرفها وهي بنت عمته لانها بنت اميمة بنت عبد المطلب ولم يزل يراها منذ
ولدت الي ان بلغت فهو صلي الله عليه وسلم يعرفها ويعرف جمالها وكيف لا يعرفها ولو كان
النسا ولو اجنبيات يحتجبن منه صلي الله عليه وسلم لمعرفتهن بعفته وعصمته وهو
الذي زوجها لزيد مولاه رضي الله عنه وانما جعل الله طلاق زيد لها اي لزينب وتزوج
النبي اياها بما قدره وامر به كما تقدم لحكمة ولهذا لم يتزوجها قبل زيد ليعلمهم حكما شرعيا
وهو قوله لا زالة حرمة التبني اي اتخاذ ابن غيره ابنا له لئلا يظن الناس انه يحرم تزوج
حليلة من تبناه كما يحرم بين الاب وابنه الحقيقي حليلة كل علي الاخر وابطال سنته اي
الطريقة الحادثة بين الناس في جعل المتبني ابنا حقيقة يحرم منه ما يحرم منه كما كان في
الجاهلية وما قيل من ان القول الذي رده المصنف ثابت بالنقول الصحيحة ثم فسره بما ارتضاه
المصنف تخليط لا حاجة للاطالة به الا ان ايمة الشافعية قالوا انه من خصايصه صلي الله عليه
وسلم انه يجوز له النكاح بغير الرضي وانه اذا رغب في نكاح امراة لزم اجابته وحرم علي غيره
خطبتها فان كانت تحت زوج وجب عليه طلاقها لانه يجب علي كل احد ان يكون رسول الله
صلي الله عليه وسلم احب اليه من نفسه واهله وولده كما قاله العراقي وقال ابن حجر في شرح
البخاري الذي صح بالادلة القوية ان من خصايصه صلي الله عليه وسلم جواز الخلوة بالاجنبية
والنظر اليها كما كان يدخل علي ام حرام وينام عندها وتغسل راسه وهي اجنبية منه وكان صلي
الله عليه وسلم زوج زيدا زينب وساق مهرها من عنده وكانت هي واخوها يابيان ذلك
لشرف النسب وقرابة الرسول صلي الله عليه وسلم وكان لها رضي الله عنها جلالة وشهامة كما قال تعالي

في بيان هذه القصة وما فيها من الحكم ما كان محمد ابا احد من رجالكم اي ليس ابا حقيقيا
لاحد منهم فانه صلى الله عليه وسلم لم يعش له ولد ذكر وابنه ابراهيم مات صغيرا لم يبلغ سن الرجولية
ومن جوز ان يقال له ابو المومنين كما يقال لنسائه امهات المومنين فانما هي ابوة شفقة وتعظيم
وكان زيد رضي الله عنه يقال له ابن محمد فلما نزلت الاية لم يقل له ذلك فهو ضد الله بذكر اسمه
في القران المتلو في المحاريب ولم يقع هذا لغيره من الامة واما الحسن والحسين رضي الله عنهما
فلبست بنوتهما حقيقية كما لا يخفى فلا يثبت لاحد حكم البنوة الحقيقية منه صلى الله عليه وسلم
ولذا قال عز وجل في هذه الاية لكيلا يكون على المومنين حرج اي تضييق في امر النكاح
وهو تعليل لقوله زوجناكها اي شرعنا لك ذلك توسيعا على الامة لا خاصية لك في ازواج
ادعيائهم جمع دعي بمعنى مدعو وهو من يلصق نسبه بنسب غيره وليس بينهما بنوة حقيقية
وقوله اذا قضوا منهن وطرا بالتزوج والنكاح ونحوه اي مثل ما ذكر ومعناه معزو لابن فورك
تقدمت ترجمته وقال ابو الليث السمرقندي تقدم بيانه ايضا فان قيل اذا كان الله قدر
له صلى الله عليه وسلم تزوجها ورضي ذلك له فما فائدة امر النبي صلى الله عليه وسلم زيدا
بامساكها بقوله امسك عليك زوجك فهو ان الله اعلم نبيه صلى الله عليه وسلم انها
زوجته صلى الله عليه وسلم فنهاه اي نهى النبي صلى الله عليه وسلم زيدا عن طلاقها واخراجها
من زوجيته اذ لم يكن بينهما اي بين زينب وزيد وهو تعليل لنهيه الفة اي محبة لانها
لم ترض نكاحه لشرفها وكانت تطيل لسانها عليه فالقى الله في قلبه كراهتها حتى احب فراقها
ليقضي الله امرا كان مفعولا واخفى في نفسه ما اعلمه الله به من انه قدر لها نكاحها له
وامره به فلما طلقها زيد خشي صلى الله عليه وسلم قول الناس باعتبار ما اعتادوه في
الجاهلية انه يتزوج امراة ابنه لتوهمهم ان التبني كالبنوة الحقيقية وانما خشيه وهو لا اثم
فيه كراهة القيل لمن لا يعرف حقيقة الحال كما هو حقيقة الاشراف فامره بزواجها ان الله لما
يخشاه ليباح ذلك لامته اقتداء به صلى الله عليه وسلم توسعة عليهم كما قال لكيلا يكون
على المومنين حرج في ازواج ادعيائهم فنفى عنهم الحرج لينتفيه عنه بالطريق الاولى
تطييبا لنفسه صلى الله عليه وسلم وازالة لطعن الجهلة وحاصله تاويل ما وقع في هذه القصة
مما يخالف ظاهره ما يقتضيه بقائه لامره بما يريد خلافه ومحبته لها وهي تحت نكاح غيره
فاشار الى الجواب عما ذكر وقد قيل كان امره صلى الله عليه وسلم لزيد بامساكها قمعا للشهوة
اي منعا لها وزجرا لها يقال قمعه فانقمع اذا كفه ورده والشهوة ميل النفس لما تستلذه
وردا للنفس عن هواها اي عما تهواه من الصور الجميلة وحكاه بقيل اشارة الى انه غير مرضي
عنده فلا وجه لاستحسانه لانه صلى الله عليه وسلم لم يكن في نفسه هوى وحاشاه من مثله
لاسيما وهذا اذا جوزنا عليه صلى الله عليه وسلم انه راها فجاة واستحسنها وقد
مر انه صلى الله عليه وسلم كان راها قبل وكان يعرفها ويعرف جمالها الا انه ليس بمنكر ولذا قال
ومثل هذا القيل على ما فيه لا نكرة فيه اي لا تنكر صحته في الجملة والنكرة ضد المعرفة في
اصطلاح النحاة واصلها كل من لا يعرف فنقل وخص لما طبع عليه ابن ادم من استحسانه
الحسن من الصور وغيرها مما يشاهده وغيره ونظرة الفجاة اي النظر الذي وقع بغتة من غير
قصد والفجاة بضم الفاء والمد ويجوز قصره بضم فسكون والفجاة بالفتح المرة منه معفو
عنها اي لا حرج فيها ولا اثم لانها لم تقصد وهو جواب عن سوال تقديره كيف نظر صلى الله عليه وسلم

لغير محرم

لغير محرم تشتهى ثم قمع نفسه عنها بصيغة الماضي ويجوز ان يكون مصدرا وكذا
في قوله وامر زيدا بامساكها في نكاحه وتقوى الله فيها بعدم ذكر ما يعيبها وانما تنكر
تلك الزيادات التي ذكرها بعض المفسرين في القصة من انه تعلق قلبه صلى الله عليه
وسلم بها واراد ان يطلقها واخفى ذلك في نفسه ونحو مما لا يليق بنزاهته والتعويل اي
المعول عليه المعتمد في هذه القصة على ما ذكرناه وهو القول الذي ارتضاه والقول بانه لابا
فيما قالوه لا وجه له وهو الاولى وان جاز غيره لكنه لا يناسب مقامه وان كان جائزا فتنبه
ما ذكرناه عن علي بن الحسين وهو الامام زين العابدين كما تقدم وحكاه السمرقندي
في تفسيره كما تقدم وهو قول ابن عطا رحمه الله وتقدمت ترجمته وصححه اي جزم بانه
القول الصحيح واستحسنه القاضي القشيري لما فيه من صيانة مقام النبوة عما لا يليق
واعتمده وعليه عول ابو بكر بن فورك تقدم ضبطه في ترجمته مع ما فيه وقال انه اي هذا
القول الذي اعتمده معنى ذلك اي المذكور في هذه الاية والقصة عند المحققين من اهل
التفسير قال اي ابن فورك رحمه الله والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عن استعمال النفاق
في ذلك اي عن ان يظهر امرا في نفسه خلافه وان كان امرا جائزا له والنفاق في الاصل
معناه الاخفاء ماخوذ من نافقاء اليربوع وهو مخرجه الذي يخفيه ثم نقل في الشرع لاخفاء
الكفر واظهار الاسلام واستعمل بعد ذلك استعمالا شايعا للاخفاء كل امر لا يرتضى ومنه الحديث
ثلاث من كن فيه فهو منافق وعد منها الكذب وغيره كما صرحوا به فلذا قال واظهار خلاف
ما في نفسه فهو عطف تفسير موضح لما اراده فلا وجه لما قيل انها عبارة مستبشعة الى
اخر ما اطال فيه من غير طائل نعم لو تركها كان احسن لكنه حكاها عن غيره فلا عهدة عليه فيها
ومراد ابن فورك التغليظ على قائل هذه المقالة وتغليظه بان من يجوز عليه صلى الله عليه وسلم
مثل هذا مثل من يجوز عليه الكفر والنفاق والمعترض لم يقف على مراده وقد نزهه الله عز وجل
عن ذلك الذي قاله بعض المفسرين بقوله تعالى ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له
اي قضى وقدر من تزوجه صلى الله عليه وسلم زينب فهذا صريح في رد ما قاله بعض المفسرين
وصرح فيما ارتضاه قال ابن فورك ومن ظن ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم اي انه وقع
في قلبه محبتها واراد ان زيدا يفارقها واخفى ذلك في نفسه فقد اخطا خطا فاحشا
ولذا جعل نسبته له كنسبة النفاق له صلى الله عليه وسلم فالتعبير به للتشنيع على قائله ونبعه
تنزيهه عنه كيف يعترض عليه كما قيل • وما افة الاخبار الا رواتها •
قال ابن فورك وليس معنى الخشية هنا يعني في قوله وتخشى الناس والله احق ان تخشاه
الخوف بل معناه المقصود هنا وفي نسخة معناها اي الخشية وعلى الاولى الضمير للفظ
المذكور الاستحيا اي يستحي منهم اي من الناس ان يقولوا تزوج زوجة ابنه اي من تبناه
وهو زيد وهذا اعني قوله وعليه عول ابن فورك الى هنا سقط من بعض النسخ واستحياؤه لشرفه
المقتضي ان لا يسمع مقالة احد وان لم يضره شرعا ولم يشن عرضه وان خشيته اي استحياءه
صلى الله عليه وسلم انما كان من ارجاف المنافقين واليهود اي اشاعة ما هو مكروه بينهم
واصل الرجف الاضطراب وايقاعه اما بالفعل واما بالقول ويقال الاراجيف ملاقيح الفتن
كما قلت •
الناس ان اذا ما انطلقت • فهو بريد للبلايا والمحن •
فاحذر الالسن مهما انطلقت • فالاراجيف ملاقيح الفتن •

وتشغيبهم من الشغب بغين معجمة ساكنة ومفتوحة وهو ما يؤدي الى الشر من الاكاذيب
على المسلمين بذكرهم ما ينتقص نبيهم صلى الله عليه وسلم فان ما يسوءه يسوءهم تزوج زوجة ابنه
لزعمهم انه غير جائز كالابن الصلبي جهلا منهم وتعصبا بعد نهيه اي تحريما عن نكاح حلائل
الابناء جمع حليلة وهي الزوجة المنكوحة تلبيسا منهم بجعل المتبنى كالابن الحقيقي وقد قال
ثم وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم كما كان اي وقع من اراجيفهم وتشغيبهم فعتبه الله على
هذا عتب محبة وتسلية لعدم قبحه ونزهه عن الالتفات اليهم والاعتداد بمقالتهم فيما
احله له وقدره من هذا النكاح من غير حرج فيه وهذا العتاب كما عتبه على مراعات رضى ازواجه
النازل ذلك العتب في سورة التحريم بقوله تعالى يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك الآية
تبتغي مرضات ازواجك والله غفور رحيم كذلك قوله هنا وتخشى الناس والله احق ان
تخشاه فيما اخفيته مما الله مبديه ويجوزه لك بلا حرج اي الله منزل في انه عتب ملاطفة
وتسلية على ما استحيى منه لشرف مقامه صلى الله عليه وسلم عن ان يصل اليه غبار الاوهام
وقد روي عن الحسن البصري رضي الله عنه اي رواه الترمذي وصححه وقدمه على قوله
وعايشة رضي الله عنها لانه هو الذي رواه عنهما فقدمه على عادة الاسانيد فلا يقال
كان ينبغي تقديمها عليه لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا مما اوحي اليه بحما نبتته
لكتم هذه الاية اي اية التحريم لاية زيد وزينب كما قيل لما فيها علة لكتمكم من عتبه صريحا
وابداء اي اظهار ما اخفاه مما جرى بينه وبين ازواجه فيها وهذا الحديث فيه انه صلى الله
عليه وسلم كان يحب العسل او الحلوى فدخل على حفصة رضي الله عنها ومكث عندها
اكثر من عادته فسال عنه فقيل اهدي لها عكة عسل فسقته منه فاتفقن على ان يقلن
له نجد منك رايحة المغافير وهو شيء كريه الرايحة اذا رعته النحل اثر في عسلها فقال
لا اعود بعد هذا والقصة مفصلة في كتب التفسير والحديث

فصل

فيما وقع له صلى الله عليه وسلم في مرض موته مما يخالف ما قدمه فان قلت
سائلا عما يخالف ما قررته قد تقررت عصمته صلى الله عليه وسلم في اقواله في جميع احواله
واوقاته وانه لا يقع منه فيها اي في اقواله خلف اي مخالف للواقع ولا اضطراب
اي اختلاف وتناف وان حالاتها متساوية لا تختلف في عمد وقصد ولا سهو ونسيان ولا صحة
في بدنه ولا مرض بتغير مزاجه الشريف ولا جد هو ضد الهزل ولا مزح كما تقدم ولا رضى
على غيره ولا غضب لوقوع ما لا يرضاه الله فما معنى الحديث الذي روي عنه صلى الله
عليه وسلم في الصحيحين في وصيته لاصحابه في مرض موته الذي حدثنا به الشهيد
ابو علي بن سكرة كما تقدم قال حدثنا القاضي ابو الوليد الباجي وتقدمت ترجمته ايضا
قال حدثنا ابو ذر الهروي وقد تقدم ايضا قال حدثنا ابو محمد ابن حمويه السرخسي وابو الهيثم
الكشميهني كما تقدم ايضا وابو اسحاق المستملي وقد تقدم قالوا حدثنا محمد بن يوسف
هو الفربري وقد تقدم قال حدثنا محمد بن اسمعيل هو الامام البخاري قال حدثنا علي بن
عبد الله ابو الحسن علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح المديني الحافظ الامام العظيم روى
عنه اصحاب السنن وغيرهم وتوفي سنة اربع وثلاثين ومائتين وعمره ثلاث وستون
والمديني بالياء نسبة لمدينة الرسول عليه الصلاة والسلام قال ابن الاثير وهو في الاكثر

يقال مدني

يقال مدني والنسبة لمداين اخرى غيرها وفي الصحاح المدني نسبة لمدينة الرسول
والمديني نسبة للمدينة التي بناها المنصور وقال ابن الصلاح في المسلسل المديني نسبة الى مدينة
اصبهان المسماة بجي انتهى وقد تقدم الكلام فيه ايضا والمديني هذا له ترجمة في الميزان كما قاله
البرهان قال حدثنا عبد الرزاق بن همام الحافظ وقد تقدم عن معمر ابن راشد بفتح الميمين
كما تقدم وهذا هو الصواب وما في بعض النسخ من قوله عبد الرزاق عن همام خطا لان عبد الرزاق
لا يروي عن همام واسم ابيه همام ويروي عن معمر عن الزهري بن شهاب كما تقدم عن عبيد الله
بن عبد الله بحر العلم بن عتبة الاعمى احد الفقهاء السبعة مشهور توفي سنة ثمان ومائة عن
ابن عباس رضي الله عنهما قال لما احتضر رسول الله صلى الله عليه وسلم احتضر بالبناء للمفعول
بمعنى حضره الموت وظهور علاماته وهو محتضر اسم مفعول بمعنى دنى موته وهو المراد ويقال
لمن به مس من الجن وكان هذا يوم الخميس قبل وفاته صلى الله عليه وسلم بايام والحديث صحيح
رواه البخاري وغيره واحتضر يكون متعديا ولازما فيقال احتضره بمعنى حضره وفي نسخة
حضر والصحيح الاول وفي البيت يعني بيته صلى الله عليه وسلم رجال من كبار الصحابة
وقرابته رضي الله عنهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم هلموا اي اقبلوا علي واصل معناه
تعالوا وهذا على من يلحق به الضماير من تميم واهل الحجاز يستعملونه مفردا مبنيا على الفتح
للواحد المذكر وغيره قال تعالى والقائلين لاخوانهم هلم الينا اكتب لكم كتابا لبيان ما يهمكم
في دينكم ودنياكم حتى لا يقع بينهم اختلاف بعده والمراد امر بكتابه وجوز بعضهم حمله على ظاهره
وانه صلى الله عليه وسلم يكتب بيده وذلك معجزة له وتقدم ما فيه مرارا لئلا تضلوا اي لا
يقع منكم امر تضلون به بعده اي بحفظ كتابته والعلم بما فيه والعمل به فقال بعضهم هو عمر
رضي الله عنه كما سياتي ان رسول الله قد غلبه اي اشتد وقوي عليه الوجع اي الم مرضه
وهذا هو محل الشبهة والسؤال لانه يقتضي انه صلى الله عليه وسلم في حال مرضه وصحته
ويتباين احواله الحديث وفي رواية اخرى لهذا الحديث ايتوني اي احضروا ما يكتب فيه
اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده ابدا وهذه اكد من الاولى لقوله فيها لن وابدا فتنازعوا
اي وقع بينهم نزاع واختلاف في مجلسه صلى الله عليه وسلم هل يكتبون ام لا فقالوا كما في
البخاري ما له اهجر من الهجر بالضم وسياتي بيانه قبل ان ظهر لعمر رضي الله عنه ان ما اراد كتابته
ما فيه ارشادهم للاصلح وما لم يجب لانه صلى الله عليه وسلم لم يترك مما يجب تبليغه شيئا
وقد قال تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء وقيل انه اراد كتابة امور شرعية على وجه يرفع الخلاف
بينهم وقال سفيان اراد ان يبين امر الخلافة بعده حتى لا يختلفوا فيها ويأتي في كلام المصنف
حكايته عن مسنوب ويؤيده ما رواه مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال في اول مرضه لعايشة
ادعي لي اباك واخاك اكتب كتابا فاني اخاف ان يتمنى متمن ويقول قايل ويابى الله عز وجل
والمومنون الا ابا بكر وابدا لاول بقول عمر رضي الله عنه حسبنا كتاب الله وهو شاهد لهذا
ايضا وقال الخطابي انما ذهب الى انه لو نص عمر على شيء او اشيا بطلت اقوال العلما والاجتهاد
ورده ابن الجوزي بانه لا يلزم ما ذكر لان الحوادث لا تنحصر وقال انما اراد عمر ان ما يكتبه في المرض
ربما يجد المنافقون سبيلا للكلام فيه وما قيل من انه صلى الله عليه وسلم اوتي جوامع الكلم
فيجوز ان يكتب ما يحتمل جميع الاحكام ويستخرج منه بسهولة حتى لا يحتاج لاجتهاد مجتهد
وتخريج عالم وهو معصوم من ان يقول في مرضه ما يطعن فيه طاعن لاستقامة ذهنه في سائر احواله

لا وجه له ولفظ الحديث كما في البخاري احتضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت
رجال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلموا اكتب لكم كتابا لا تضلون بعده فقال بعضهم
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه المرض وعندنا القرآن حسبنا كتاب الله فاختلف
اهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده ومنهم من يقول غير ذلك
فلما اكثروا اللغو والاختلاف قال قوموا وكان ابن عباس يقول ان الرزية كل الرزية ما حال بين
رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ان يكتب لاختلافهم ولغطهم وقال الشهرستاني في انه
اول اختلاف وقع في الاسلام **استفهموه** اي قولهم اهجر بهمزة الاستفهام الانكاري والهجر
بضم الهاء استفهموا من توقف في امتثال امره بالكتابة اي ايصدر عنه هجر وهو الهذيان
وما يقبح من القول وهو صلى الله عليه وسلم معصوم منزه عن مثله في سائر احواله وقال
الراغب يقال هجر واهجر اذا تكلم من غير قصد وقيل المراد استخبروه عما اراده اتركه ام لا
فقال صلى الله عليه وسلم **دعوني** اي اتركوا النزاع عندي واللغط فانه لا ينبغي ان يقع
مثله عند نبي من امته **فان الذي انا فيه** من موافقة الله والتاهب للقائه وانتظار
رسله الداعين الى الرفيق الاعلى **خير** من الاشتغال بامركم واستماع كلامكم ولغطكم **وفي
بعض طرقه** اي طرق هذا الحديث المروية عنه فقال عمر **ان النبي** صلى الله عليه وسلم يهجر
بفتح اوله وضم ثالثه اي ياتي بهجر من القول فهو على تقدير الاستفهام الانكاري وليس من
الهجر بمعنى ترك الكتابة والاعراض عنها كما قيل وهذه رواية الاسماعيلي من طريق ابن خلاد
عن سفيان **وفي رواية** كما في البخاري **هجر** ماض بدون استفهام **ويروى اهجر** بالاستفهام
والمصدر المرفوع **ويروى اهجرا** بالاستفهام ونصب المصدر اي ايهجر هجرا بضم الهاء
وفيه اي في هذا الحديث **فقال عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قد اشتد به الوجع
وعندنا كتاب الله حسبنا** بالبناء على الضم اي كافينا عن غيره مصدر بمعنى اسم فاعل
اي محسب وكاف لنا وفي نسخة حسبنا اي هو كافينا **وكثر اللغط** وهو ارتفاع الاصوات
واختلاطها حتى لا تكاد تفهم **فقال** رسول الله صلى الله عليه وسلم **قوموا** وابعدوا عني
اراد ذهابهم من مجلسه حتى لا يشتغل بهم عما هو فيه **وفي رواية** في الصحيح ايضا **واختلف
اهل البيت** اي من كان في بيته صلى الله عليه وسلم من الصحابة اذ ذاك واقرباؤه منهم
كابن عباس رضي الله عنهما **واختصموا** اي نازع بعضهم بعضا **فمنهم من يقول قربوا** الكاتب
او الكتاب **يكتب لكم** بالرفع والجزم **رسول الله** صلى الله عليه وسلم **كتابا** تتمسكوا به
فتهتدوا اي يامر بكتابته **ومنهم من يقول ما قال عمر** من قوله حسبنا كتاب الله شفقة وحكمة
علمها ولذا لم ينكر عليه قوله كما سياتي والروايات كلها تدل على انه استفهام ملفوظ او مقدر
لكنهم اختلفوا في هائه اي مضمومة او مفتوحة والاول هو المشهور ولابن قرقول فيه كلام
وقد افرد بعضهم هذا الحديث بتاليف مستقل له وفي بعض الحواشي ما يدل على انه يجوز في هاء
الهجر الضم والفتح وليس ببعيد اذا ساعدته الرواية وفي كلام المصنف ما يوافقه **قال
ائمتنا** المالكية او الاشعرية او ائمة الحديث بقرينة المقام **في هذا الحديث** المروي عن
ابن عباس **النبي** صلى الله عليه وسلم **غير معصوم من الامراض** التي تطرا عليه في ظاهر جسمه
دون باطنه اذ لم تكن منفرة **وما يكون من عوارضها** اي ما يعرض معها من الآلام والتغيرات
من شدة وجع يولمه **وغشي** اي اغماء خفيف **ونحوه مما يطرأ على جسمه وهو معصوم**

عن ان يكون

عن ان يكون اي يوجد **منه من القول اثناء ذلك** اي في خلاله وتخلله منه وهو جمع ثني
كما تقدم **ما يطعن في معجزته** اي يقدح فيها من مخالفتها للواقع **ويؤدي الى فساد في
شريعته** لتطرقه للشك في اخباره واحكامه **من هذيان** اي كلام غير مفيد **او اختلال
في كلام** كلسان قصد ومخالفته الواقع والعقل لنزاهته صلى الله عليه وسلم وعصمته وكما له
في جميع حالاته كما شوهد منه في مرضه الى ان سلم روحه الشريفة لمالكها **وعلى هذا** الامر
الذي قررناه من عصمته في اقواله ونزاهته **لا يصح رواية من روى هجر بدون استفهام**
من الهجر بالضم والفتح **اذ معناه هذى** اي تكلم بكلام كثير لا فائدة فيه ولا انتظام فقائله
ممن لا يعرف قدره عليه الصلاة والسلام لخلل في دينه او عقله او لقرب عهده بالاسلام
فتوهم انه يعرض له صلى الله عليه وسلم من المرض ما يعرض لغيره من غلطه في كلامه لخلل
في عقله وحاشاه من مثله **ويقال هجر يهجر** كنصر ينصر **هجرا** بفتح اوله وسكون ثانيه كما في
بعض الشروح وسياتي ما فيه **اذا هذا** بالذال المعجمة من الهذيان **واهجر** مزيد كاكرم **هجرا**
بضم اوله بوزن قفل وهو اسم مصدر ومصدره الاهجار **اذا افحش** اي تكلم بكلام قبيح
عن قصد والاول بغير قصد **واهجر** بفتح الهمزة مزيد هجر كاكرم وما في بعض الشروح انه بضم
اوله وسكون ثانيه سهو من الناسخ وصوابه بفتح اوله **تعدية هجر** اي ثلاثيه يتعدى بالهمزة
وقد قيل عليه ان هجر واهجر لازمان وصوابه هجر واهجر بمعنى سواء الا ان يريد بتعديه تعديه
عن الحد فيه وتجاوزه وهو بعيد انتهى وما ذكره هو الذي يقتضيه كلام اهل اللغة **وانما الاولى**
اشارة الى رد ما قبله وقد قيل عليه انه غير مسلم لانه ان اراد رده بحسب الرواية فهو غير صحيح
لانه ثابت في صحيح البخاري وان اراد بحسب المعنى فكذلك لانه يقدر فيه همزة الاستفهام
وحذفها كثير في كلامهم كقوله وتلك نعمة تمنها علي اي اوتلك نعمة تلك الخ وقول الشاعر

فوالله ما ادري وان كنت داريا • بسبع رمين الجمر ام بثمان •

ولك ان تجيب عنه بان مراده انه غير صحيح ان لم يقدر الهمزة وقوله **والاولى** اي ان قدرت
لان الاصل خلافه ولولا هذا لم يصادف قوله الاصح والاولى محزه **اهجر** يعني بهمزة الاستفهام
الانكاري حتى لا ينسب له ما لا يليق بمقامه وقائله قاله **على طريق الانكار على من قال
لا تكتب** ما امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابته لانه لا تجوز مخالفته كما تقدم في
كلام ابن عباس ردا على من اباه وعلله بشدة وجعه وهو معصوم في مرضه وصحته والقائل
لا يكتب عمر رضي الله عنه والراد عليه بقوله اهجر بعض الصحابة ووجه ما قاله عمر ما تقدم
وسياتي تتمته **وهكذا روايتنا في صحيح البخاري** اي ثبت عنده روايته بهمزة الاستفهام
ملفوظة عن مشايخه ثابتة **من جميع الرواة في حديث الزهري المتقدم** ذكره قبل **وفي
حديث محمد بن سلام** هو الامام الحافظ الذي روى عنه البخاري وغيره وتوفي سنة خمس
وعشرين وثلاث مائة وسلام بتخفيف اللام عند الاكثر كما قاله الذهبي والمزي وغيرهما
وجوز بعضهم تشديدها ايضا وعند بعضهم انهما اثنان فالكبير منهما بالتخفيف والصغير
بالتشديد وهو محمد بن سلام بن السكن البيكندي وعلى كل حال فالاصح في هذا عندهم التخفيف
عن ابن عيينة يعني به سفيان لان اولاد عيينة عشرة منهم خمسة اشتهروا بالعلم والحديث
وخمسة لم يشتهروا بذلك ولذا قال ابن الصلاح انهم خمسة واكبرهم واشهرهم سفيان
وكذا ضبطه الاصيلي بهمزة وفتحات **بخطه في كتابه** يعني به صحيح البخاري الذي رواه

وضبطه بقلمه كما ذكره والاصيلي تقدم بيانه واصيل بلد بالاندلس وكذا ضبطه بخط غيره
اي غير الاصيلي ممن روى البخاري وكتبه ممن يعتمد عليه من هذه الطرق اي طريق الزهري وغيره
وكذا رويناه عن مسلم كما رواه البخاري في حديث سفيان بن عيينة يعني في روايته وروينا ه
ايضا عن غيره اي غير مسلم فصح عنده من طرق بثبوت الهمزة فيه ردا وانكارا على من ابى الكتابة
اي تحمله كهذيان ممن يصدر عنه وهو صلى الله عليه وسلم منزه عنه وقول عمر رضي الله عنه انما هو
رد على من نازعه لا ردا على النبي صلى الله عليه وسلم كما يعلم مما ياتي وقد يحمل عليه اي على هذه بحمله
بمعناه رواية من رواه هجر بدون همزة فيحمل على حذف الف الاستفهام بمعنى الهمزة لانه يطلق
عليها الف كما في المغني وغيره والتقدير على هذا اهجر وحذفها وتقديرها جايز كما تقدم والقرينة
على حذفها عقلية للعلم بعدم اتصافه صلى الله عليه وسلم بمعناه او ان يحمل ويوجه قول
القايل هجر بغير همزة استفهام او اهجر بالهمزة والاستفهام عما لا يتوهم فيه اذا ثبتت هذه الروايات
فانما صدرت منه دهشة اي حيرة تذهل من امر عظيم بغتة من قايل ذلك اي قوله هجر
ونحوه حيرة تشغله عما يقوله لعظم ما شاهد من حال الرسول صلى الله عليه وسلم مما يشق
عليه فيذهله عما يقوله وشدة وجعه والمه المؤثر في قلوب محبيه وهول المقام الذي
فيه عليه اي شق عليه مخالفتهم له فيما امر به وهول الامر الذي هم صلى الله عليه وسلم
بالكتابة فيه اي هم بان يكتب في شانه فانه انما يهتم في حال المه بكتابة امر الا وهو امر
عظيم لم يظهر الى الان فربما شق عليهم او خشي منه ومن عواقبه كامر الخلافة مثلا حتى
ان القايل لشدة دهشته لم يضبط لفظه بالتحري ومراعاة حسن وفي نسخة حتى
لم يضبط هذا القايل لفظه واجرى الخ بدل قوله او يحمل قوله على انه اجرى الهجر بضم الهاء
مجرى بضم الميم ويجوز فتحها ولا يتعين الاول كما توهم شدة الوجع اي استعمله مجازا في
لازم معناه ولم يرد حقيقته لانه صلى الله عليه وسلم كما ورد في الحديث كان يوعك كما
يوعك الرجلان وزيادة المه للطف بنيته وكثرة ثوابه او انه اي القايل اعتقد انه يجوز
عليه الهجر بالضم اي الهذيان كما حملهم اي دعاهم وحركهم الشفقة اي الخوف عليه صلى
الله عليه وسلم لشفقتهم ومحبتهم له على حراسته حذرا عليه من ان يصيبه مكروه او عدو
والله يقول جملة حالية والله يعصمك من الناس فمع هذا لا حاجة لحراستهم له لكن شدة
المحبة دعتهم لذلك كما قيل ان المحب بسوء ظن مولع (ه) ونحو هذا مما فعلوه احتراسا
من غير حاجة له واما على رواية اهجرا بهمزة الاستفهام وضم الهاء منصوبا منونا ويجوز
فتحها وقيل انه الصواب وفيه نظر وهي رواية ابي اسحاق المستملي في الصحيح اي صحيح
البخاري لانه احد رواته وفي نسخة المستملي ولم يبينوه والمعروف انما هو الاول والظاهر
انه تحريف من النساخ في حديث ابن جبير عن ابن عباس من رواية قتيبة فقد يكون
هذا اي الوصف بالهجر راجعا الى المختلفين عنده صلى الله عليه وسلم ومخاطبته لهم
من بعضهم فيكون بعض الصحابة قاله لبعض منهم لما وقع بينهم نزاع بعد طلبه صلى الله عليه
وسلم من يكتب فهو على هذا مفعول فعل مقدر وتقديره اي جيتم باختلافكم اي بسبب الاختلاف
واللغط على رسول الله صلى الله عليه وسلم متعلق باختلاف وبين يديه اي في حضوره هجرا
بضم فسكون ومنكرا من القول عطف تفسير وضحه بقوله والهجر بالضم الفحش في المنطق
اي التكلم بما يقبح ولا يليق بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم وقد اختلف العلماء في هذا الكتاب

اي في معناه المراد به وكيف اختلفوا بعد امره صلى الله عليه وسلم لهم ان ياتوه بالكتاب
ليكتب فيه ما لا يضلون بعده فقال بعضهم اي بعض المختلفين في بيانه وتاويله اوامر
النبي صلى الله عليه وسلم وتقدم انه جمع امر واوامر ونوع جمع الجمع وما فيه يفهم ايجابها
اي ما اريد به الايجاب منها من ندبها اي منه وبها من اباحتها اي مباحاتها والعاطف فيه
محذوف بقراين قوية اي بالقراين اللايحة من سياقه وان كان اصله الايجاب وليس هذا مبني
على ان الامر مشترك بين هذه المعاني الثلاثة ولا يتعين لاحدها بدون قرينة كما هو قول
لبعض اهل الاصول مع ما فيه وما عليه فلا نطول به فلعله قد ظهر من قراين قوله صلى الله
عليه وسلم لبعضهم حين سمعه منه ما فهموا من ظاهره وهو فاعل ظهر انه اي امره صلى
الله عليه وسلم بقوله هلموا لم يكن ذلك الامر منه عزمة اي امرا عزم عليه عزما مصمما
فيجب امتثاله بل هو امر رده الى اختيارهم فهو مشاورة مخيرا فيه ولذا اختلفوا فيه وراجعه
وبعضهم اي بعض الصحابة لم يفهم ذلك فظنه واجبا لا يجوز مخالفته فانكر على من خا لف
لفه فقال استفهموه اي استخبروه صلى الله عليه وسلم عما اراد مما امره فلما اختلفوا
فيما بينهم كف عنه صلى الله عليه وسلم فقال قوموا عني او كف القايل عن طلب الاستفهام
منه اذ لم يكن بالياء والتاء اي توجد او هي يعني قصة عزمة واجبة الامتثال بالرفع والنصب
ولما راى صلى الله عليه وسلم او الكاف ولما بكسر اللام وتخفيف الميم ولا يجوز الفتح والتشديد
وفي نسخة ولما راوه من صواب راي عمر في تركه لما عرفوه من شدة رايه وموافقاته رضي
الله عنه ثم هؤلاء القايلون بهذا الوجه قالوا وعلى هذا يكون امتناع عمر من كتابة ذلك
الكتاب اشفاقا وحذرا على النبي صلى الله عليه وسلم من تكليفه في تلك الحال اي حال
وجعه والمه املاء الكتاب او اشفاقه من ان يدخل عليه مشقة من ذلك الاملا كما يشهد
له انه قال ان النبي صلى الله عليه وسلم اشتد به الوجع فهذا صريح في شفقته عليه من التعب
وتالمه مع علمه بانه صلى الله عليه وسلم لم يدع شيا الا اعلمهم به بكتاب الله وسنته ولم يكن
صلى الله عليه وسلم ليؤخر بيان امر من مهمات الدين وقد قال الله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم
وقيل اشفق عمر وخاف ان يكتب امورا يعجزون عنها ولا يوفونها حقها فيحصلون اي
يقعون في الحرج اي ما يضيق عليهم من الاثام بالمخالفة لما امرهم به وراى عمر رضي الله عنه
برايه هذا ايضا انه الارفق بالامة اي الاسهل والاكثر رفقا بهم في تلك الامور التي
اراد كتابتها لهم سعة الاجتهاد اي ما يتوسعون فيه باجتهادهم واستنباطهم من النصوص
المتالفة وحكم النظر اي نظر من يجتهد في المقدمات التي يريد الاستنباط منها نظرا صحيحا
مقرونا بشرايطه وطلب الصواب بالنظر في الادلة والنصوص ومقتضياتها وموانعها
فيكون المجتهد المصيب والمجتهد المخطي في الحكم الشرعي ماجورا مثابا اما الاول فله اجران
اجر اجتهاده واصابته الحق والثاني له اجر اجتهاده فقط لبذله جهده في طلب الصواب والحق
وهذا بناء على ان المصيب واحد منهما والقول بان كل مجتهد مصيب ليس مرضيا كما بين في كتب
الاصول واجر المخطي انما هو على سعيه وطلبه للحق لا على خطايه لكنه لا اثم عليه في اجتها ده
اذا كان من اهله على الصحيح وتفصيله في كتب الاصول وقد علم عمر رضي الله عنه تقرر
الشريعة اي انه صلى الله عليه وسلم قررها لهم وبينها قبل مرضه ولم يترك شيا مما يحتا جون
اليه وتاسيس الملة اي احكام قواعدها وما يبنى عليه احكامها المحكمة التي لم يهمل

منه شيء وعلم ان الله تعالى قال في اخر ما انزله اليوم المراد به الوقت الحاضر في آخر
عمره صلى الله عليه وسلم اكملت لكم دينكم فلم يترك شيئا مما يحتاجون اليه لم يبينه لهم
صريحا او ضمنا ولم يرشدهم لطرق استنباطه فلذا ترك ما اريد كتابته لحكمة هداه الله
لها وهذه الاية نزلت يوم جمعة او ليلتها بعرفة في الحج الاكبر فلما قراها بكى عمر رضي الله عنه
لان التمام يدل على انقضاء امر الوحي وعلم عمر ايضا قوله صلى الله عليه وسلم اوصيكم
بكتاب الله بامتثال اوامره ونواهيه والتادب بادابه وما فيه من مكارم الاخلاق وعترتي
بكسر العين ومثناتين وهم اهل بيته صلى الله عليه وسلم الذين حرم عليهم الزكاة من بني
هاشم وبني المطلب وهذا حديث صحيح رواه مسلم في خطبة خطبها صلى الله عليه وسلم وتمامها
فيه ثقلين كما يأتي تعظيما لشأنهما فقال اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله واهل بيتي لن
يفترقا حتى يردا علي الحوض وفي النهاية عترة الرجل اخص اقاربه وعترته صلى الله عليه وسلم
بنو عبد المطلب وقيل اهل بيته الاقربون وهم اولاد علي رضي الله عنه وقيل اهل عترته
الاقربون والابعدون من قريش والمشهور انهم اهل بيته الذين تحرم عليهم الزكاة انتهى
وما قيل من ان هذا يقتضي ان ما امر به صلى الله عليه وسلم لا فائدة فيه وهو بعيد وغير لائق
ليس بشيء لما علمته فتنبه وقول عمر حسبنا كتاب الله ثم لكفايته عما عداه رد على من نازعه
اي نازع النبي صلى الله عليه وسلم او عمر في امر الكتاب لا رد من عمر رضي الله عنه على امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يا تواهن يكتب لهم كتابا وقد استبعد هذا من السياق جدا
فالحق ما سياتي وليس فيه شين لعمر وشبهة تحتاج للدفع بهذا وقد قيل في الجواب
عن قول عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم على تقدير تسليمه انما خشي عمر رضي الله عنه من
تطرق المنافقين اي وصولهم من طريق نفاقهم ومن وصول من في قلبه مرض لحقده على
الاسلام واهله كاليهود لما كتب في ذلك اي بسبب الكتاب في الخلوة وان يتقولوا في
ذلك الاقاويل اي ان يكذبوا باسنادهم ما ليس فيه له واصل معنى التقول تكلف القول
وفيه ما ذكر فوقه ثم ولو تقول علينا بعض الاقاويل وجمع الاقاويل تحقير لما يقولونه اوانه
حتى ان يتاولوا ما يكتب فيه بتاويلات باطلة كما وقع من بعض الزنادقة كادعاء الرافضة
الوصية اي ان النبي صلى الله عليه وسلم اوصى لعلي كرم الله وجهه وتسميتهم له الوصي
لذلك وان بعض الصحابة كتب ذلك وغير ذلك مما افتراه الرافضة على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقد ادعوا ان الكتاب الذي اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابته كان فيه الوصية
بخلافة علي فلذا منع منه عمر وهو كذب منهم وسموا رافضة من الرفض وهو الترك لرفضهم زيد
بن علي لامور فصلوها وقيل لغير ذلك وهم فرق يطول ذكرهم وقيل في توجيهه انه اي امره
كان من النبي صلى الله عليه وسلم على طريق المشورة والتخيير تطييبا لقلوبهم لا امر
ايجاب لا يجوز مخالفته والمشورة بفتح الميم وضم الشين وسكون الواو وبزنة مثوبة في الافصح
ويجوز سكون الشين وفتح الواو وقول الحريري في الدرة انه خطا خطاء كما فصلناه في شرحها
وهي اي المشاورة من شرت العسل اذا اجتنيته والاختيار اي التخيير لا الايجاب وكينظر
هل يختلفون على ذلك الامر اي الذي اراد ان يكتب ام يتفقون عليه فلما اختلفوا
فيه وتنازعوا تركه وكف عنهم لانهم عصوا وفرطوا في امر لا بد منه وقالت طائفة اخرى
في معنى الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مجيبا لما طلب منه اي كانوا سالوه في

ان يعهد اليهم

ان يعهد اليهم بما يكتبوه عنه فاجابهم بقوله هلموا الخ لا انه ابتدا بالامر به حتى يقال
لا ينبغي مخالفته فيه بل اقتضاه اي طلبه منه بعض اصحابه ممن كان عنده فاجاب
رغبتهم اي ما رغبوه منه وكره ذلك غيرهم اي غير من طلب كعمر لثقله عليه صلى الله عليه وسلم
في مرضه شفقة منه للعلل التي ذكرناها سابقا واستدل بالبناء للمجهول اي على صحة هذا
التاويل في مثل هذه القصة اي قصة الكتاب المذكور بقول العباس في حديث رواه
البخاري لعلي بن ابي طالب انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم نساله عن الخلافة
بعده فان كان الامر اي امر الخلافة بعده صلى الله عليه وسلم فينا اهل البيت علمناه فلا
ينازع فيه احد وان كان لغيرنا لم نطلبه ولم نرجه وكراهة علي رضي الله عنه هذا اي ما قاله
العباس رضي الله عنه له وقوله لعمه العباس والله لا افعل اي لا انطلق ولا اساله الحديث
رواه البخاري مسندا وفيه ان عليا خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي
توفي فيه فقال له العباس كيف اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اصبح بحمد الله بارئا
فاخذ بيده وقال له انت بعد ثلاث عبد العصا واني والله اراه متوفى في مرضه هذا واني
لاعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت اذهب بنا اليه نساله فيمن هذا الامر بعده
فان كان فينا علمنا ذلك وان كان في غيرنا اوصاه بنا فقال انا والله لا اساله ولو كان فينا
اعطيناه للناس بعده واستدل ايضا لما ذكر من انه كان مجيبا لا آمرا فخالفوا امره
بقوله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث دعوني فان الذي انا فيه خير من ان يكتب
الكتاب فانه لو كان امرا فيه بواجب لم يقل ان تركه خير منه اي الذي انا فيه خير من
ارسال الامر اي اهماله وتركه وخير من تركهم اي تركي لكم او تركهم كتاب الوصية ومن
بيان لما هو فيه وكتاب الله بالنصب مفعول معه مصاحبين لكتاب الله والتمسك
به فانه حسبكم فاياكم ان تختلفوا فيه فتهلكوا كمن قبلكم من الامم وتقتتلوا ان تنازعتم فيه
وقد قيل انه كان مراد كتابة هذا شفقة عليهم وان تدعوني ان شرطية والجملة معطوفة
على جملة دعوني مما طلبتم اي من كتابة الكتاب الذي طلبتموه فاجبتكم والجواب مقدر
اي فهو خير لكم ويجوز فتحها وذكر مبنيا للمجهول ان الذي طلب كتابته لهم امر الخلافة بعده
وتعيين ذلك اي تعيين من يكون خليفة بعده واعلم ان هذا هو الصواب كما قاله ابن تيمية
في كتاب الرد على الروافض وانه ورد مفسرا به في الحديث المروي في الصحيحين كما مر
في قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة ادعي لي اباك واخاك ولا يجوز غيره لانه لا يخلو من
ان يكون امرا واجبا اوحي اليه به قبل مرضه او اوحي اليه في مرضه والاول لا يصح لان فيه
تاخير البيان عن وقت الحاجة وهو غير جائز والثاني لو كان بلغه من غير طلب كتابته ونحوه
وحينئذ فانما قال عمر رضي الله عنه ما قاله لانه علمه وعلمه غيره كعائشة وغيرها من كبار الصحابة
ولو ذكره لذكر بعده عمر لما اشمازت منه بعض النفوس القاصرة وقد علم ان الله منجزه وان
اخفاءه فيه حيا به اولى وما سوى هذا القول لا وجه له فلذا ختم به هذا الفصل وكرر ذكره
فيه والقول بانه بعيد لا وجه له ايضا والله تعالى اعلم

فصل

في ذكر شبهة اخرى فيما قرره من عصمته صلى الله عليه وسلم في رضاه وغضبه
فان قيل فما وجه حديثه الذي رواه مسلم اي توجيهه بما يوافق ما قرره ورواه المصنف

من طريقه مسندا ايضا اي المماثل للحديث الذي قدمه الذي حدثناه الفقيه ابو محمد الخشني بقراتي عليه قال حدثنا ابو علي الطبري قال حدثنا عبد الغافر الفارسي قال حدثنا ابو احمد الجلودي قال حدثنا ابراهيم بن سفيان تقدم بيان رجال هذا السند كلهم قال حدثنا مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح المشهور قال حدثنا قتيبة بن سعيد كما تقدم قال حدثنا ليث عن سعيد هو المقبري وقد تقدم بن ابي سعيد اسمه كيسان كما تقدم عن سالم مولى النصريين بنون وصاد مهملة وهو ابن عبد الله النصري روى له اصحاب الكتب الاربعة نسبة لجماعة بني النصر كما بين في اسماء الرجال قال سمعت ابا هريرة رضي الله عنه يقول تقدم الكلام على ابي هريرة وعلى هذا التركيب من جهة العربية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انما محمد بشر الحصر فيه اضافي اذ معناه اي ليست احوالي الا من جنس احوال البشر الذي يطرا عليهم ما يطرا عليهم من العوارض البشرية وليست بري منها وهو يغضب احيانا لله لا لنفسه كما يغضب البشر وعدل عن التكلم الى الغيبة بذكر اسمه تواضعا منه لربه ففيه التفات على راي واني اتخذت افتعال من الاخذ فتاؤه مبدلة لا اصلية كما بين في العربية عندك عهدا يعني انه صلى الله عليه وسلم عاهد الله عهدا بينه وبينه لن تخلفنيه يعني وانك وعدتني بانجاز عهدي وانت لا تخلف الميعاد وفي قوله اتخذت التفات من الغيبة للتكلم لبيان انه متلذذ بمناجاته معترف لاجابته ثم فسر العهد الذي عهده بقوله فايما مؤمن اذيته اي فعلت معه شيئا يؤذيه وهو مستحق له كحد ونحوه من اقتضاه فانه صلى الله عليه وسلم على خلق عظيم لا يؤذي احدا لا يستحق الاذية كما لا يخفى او سببته او جلدته هذا من جملة الاذية فينبغي تخصيصه بغير ما ذكر لان الخاص لا يعطف على العام باو فاجعلها انثه باعتبار المذكورات والفا في جواب ايما لتضمنها معنى الشرط كفارة له اي مكفرة لذنوبه وفيه اشارة الى ان ما فعله في مقابلة ذنب صدر منه لا لحظ نفسه وهي صيغة مبالغة ملحقة باسماء الاجناس وقربة اي فعلة مقربة له تقربه بها اليك تعطيه بها ثوابا ترفع به منزلته عندك لانه تعالى منزه عن الجهة والقرب المكاني لانه من صفة الاجسام يوم القيمة حين تعرض الاعمال ويحاسب العباد وفي رواية اخرى لهذا الحديث فايما احد بالجر وما مزيدة ويجوز رفعه دعوت عليه دعوة في حال الغضب عليه قال في المقتفي فيه نظر لان هذا ليس من حديث ابي هريرة وانما هو حديث آخر عن انس رضي الله عنه لمقتضى الظاهر اذ يقول وفي رواية انس ونحوه يعني انه سياقه يقتضي انه من رواية ابي هريرة التي مرت وليس كذلك قلت الامر فيه سهل وذكر الرواية وتنكيرها يقتضي مخالفتها لما قبلها سندا ومتنا وهو ظاهر فلا وجه لما قاله وفي رواية اخرى ليس المدعو عليه او المذكور لها باهل اي مستحق لها اي لهذه الفعلة وهذا هو المشكل لانه صلى الله عليه وسلم لا يفعل فعلا باحد الا وهو يستحقه وسياتي توجيهه وفي رواية اخرى ايما رجل من المسلمين سببته وشتمته او لعنته اي دعوت عليه باللعنة واصل معناها الطرد والابعاد مطلقا او جلدته فاجعلها اي المذكورات له زكاة اي طهارة من ذنوبه او زيادة في حسناته لان الزكاة تكون بمعنى الطهارة والنما فاستعيرت لما ذكر وصلاة ورحمة عطف تفسير او تفسر الصلاة هنا بالعطف والرافة فيتغايرا وهو مفصل في تفسير قوله تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم

ورحمة ثم بين وجه الشبهة والسؤال بقوله وكيف يصح ويجوز والاستفهام انكاري ان يلعن النبي صلى الله عليه وسلم من لا يستحق اللعن فعلى اي حال يصح صدور مثله عنه ويسب من لا يستحق السب لقوله في رواية ليس لها باهل ويجلد من لا يستحق الجلد وقوله او بسكون الواو وفتحها وهمزة الاستفهام يفعل مثل ذلك الامر المذكور عند الغضب اي في حال غضبه وهو صلى الله عليه وسلم معصوم في جميع احواله كما تقدم والجملة حالية من هذا كله في جميع احواله فاعلم شرح الله صدرك اي فتح فيه ووسعه لقبول الحق فيما نحن فيه ونوره بمعرفته والجملة دعائية معترضة لتعرف الحق في هذا ان قوله صلى الله عليه وسلم في بعض الروايات اولا فيما تقدم ليس لها باهل اي ليس مستحقا لما فعله به اي عندك يا رب اي في علمك مما هو باطن امره اي حقيقته التي تخفى على غيره وعند الله في القرآن ان تكون تارة بمعنى علمه وتارة بمعنى حكمه والمراد هنا الاول كما بيناه في حواشي القاضي البيضاوي فان حكمه صلى الله عليه وسلم بين امته كما تقدم على الظاهر من الحال غالبا كما قال صلى الله عليه وسلم من انه انما يحكم بالظاهر كما تقدم وللحكمة التي ذكرناها من انه لتقتدي به امته ولو اوحي اليه ما في نفس الامر وحكم به لم يمكن امته الاقتداء به في احكامه بعده كما مر فحكم صلى الله عليه وسلم بمقتضى الظاهر بجلده او ادبه بسبه او لعنه اي دعا عليه باللعنة او طرده بما اقتضاه عنده اي في حضوره او في علمه حال ظاهره الذي ظهر له ولغيره والدعا باللعن شرعا انما يجوز على من كان غير معين كافرا كان او غيره كلعنة الله على الظالمين او على معين مات على كفره واما على معين كافر او لا فلا يجوز لجواز ان يسلم فلا يكون ملعونا اي مطرودا عن رحمة الله الا انه قيل انه كان جائزا للنبي صلى الله عليه وسلم ولو على غير الكافرين فهو اما من خصائصه او منسوخ ثم دعا صلى الله عليه وسلم لمن دعا عليه بقوله اللهم اجعله كفارة له لشفقته على امته ورحمته للمؤمنين الى وصفه الله بها بقوله بالمؤمنين رؤوف رحيم وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ونحوه وحذاره بالجر عطف على شفقته اي خوفه ان يتقبل الله تعالى فيمن دعا عليه دعوته بقوله اللهم اجعل الخ ان يجعل الله هو مفعول دعا دعاه عليه ولعنه له رحمة لمن دعا عليه فهو معنى قوله ليس لها اي المدعو عليه ليس في علم الله اهلا اي مستحقا لما دعا به عليه لا انه صلى الله عليه وسلم يحمله الغضب لله بمقتضى البشرية اي يدعوه ويبعثه ويستفزه الضجر اي القلق وضيق الصدر ممن عصا الله اي يحركه بسرعة او ان يفعل مثل هذا الدعا من السب واخوته بمن لا يستحقه في الباطن وان استحقه بحسب الظاهر من مسلم صدر منه ذلك وهذا معنى فسر به الحديث وهو صحيح مستقيم مقبول لا يمنعه شي ولا يفهم من قوله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث اغضب كما يغضب البشر ان الغضب حمله وبعثه على ما لا يجب فعله اذ هو صلى الله عليه وسلم منزه عن مثله بل يجوز ان يكون المراد بقوله هذا ان الغضب لله هو الذي حمله على معاقبته بلعنه او سبه كما ورد في الحديث انه صلى الله عليه وسلم ما انتقم لنفسه قط الا ان تنتهك حرمة الله تعالى فينتقم لله او يجاب بجواب آخر هو انه اي الذنب الذي عاقبه عليه وفي نسخ وانه بالواو كان مما يحتمل ويجوز عطف تفسير لتحتمل عفوه صلى الله عليه وسلم عنه وترك المعاقبة عليه بالسب ونحوه او كان ذلك الذنب مما خير بالبنا للمجهول اي خيره الله

بين المعاقبة والعفو عنه وفي نسخة او العفو والصواب عطفه بالواو لاقتضاء التخيير لشيئين ولا حاجة لجعل او بمعنى الواو وهذا الجواب قريب مما قبله **وقد يحمل** الدعاء الوارد في هذا الحديث على **انه خرج مخرج الاشفاق** والخوف منه صلى الله عليه وسلم على امته **وتعليم امته الخوف** من الله ومعاصيه من الصغاير **والحذر من تعدي** وتجاوز **حدود الله** اي ما حده الله مما لا يجوز الخروج عنه **وقد يحمل ما ورد من دعايه هنا و**ما ورد **من دعواته على غير واحد** اي على كثير **من الناس في غير موطن** اي في مواطن ومحال كثيرة صدر فيها الدعاء عليهم **على ما صدر من غير العقد** اي العزم وتصميم القلب في محاوراتهم يدعون على مخاطبهم نحو قاتله الله وويل امه ولا اب له لمن قصد مدحه وتحسين فعله وهو مشهور في غير لسان العرب ايضا **وليس المراد بها** اي بهذه الدعوات **الاجابة** اي دعا عليه يطلبون م استجابته فيهم بوقوع ما دعوا به **كقوله** صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان ۞ **تربت يمينك** قال في النهاية ترب الرجل اذا افتقر كانه التصق بالتراب واترب اذا استغنى اما على همزة السلب او على معنى صار ماله كالتراب كثرة وقد ورد كل منهما بمعنى الآخر وروي يداك ويداك وليست للنفي لانها الكثب وليس المراد به الدعاء عليه وقد صدر هذا منه صلى الله عليه وسلم مرارا فمرة لام المؤمنين ام سلمة رضي الله عنها كما في البخاري انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يستحيي من الحق هل على المراة من غسل اذا هي احتلمت فقال نعم اذا رات الماء فغطت وجهها وقالت او تحتلم قال نعم تربت يمينك فبم يشبهها ولدها **و**وقع في احاديث اخر ايضا كقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم عن ابن عباس **لا اشبع الله بطنك** قاله لمعاوية ولكن الذي رواه مسلم بطنه قال البيهقي فما شبع بطنه ابدا وكان رضي الله عنه مشهورا بالبطنة حتى قالوا الاكول كان في امصابه معاوية والحديث عن ابن عباس قال كنت مع الصبيان فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواريت منه خلف الباب فقال اذهب فادع لي معاوية قال فجئته وقلت هو ياكل فامرني فجئته وقلت هو ياكل فقال لا اشبع الله بطنه فجنبته اذ ذنبا قاله المصنف لان الله استجاب دعاءه فيه فليس هذا من الباب الذي جرت به العادة من غير قصد **و**قوله صلى الله عليه وسلم لصفية في حديث رواه مسلم عن عايشة **عقرى حلقى** وهذا قاله صلى الله عليه وسلم لصفية بنت حيي ام المومنين رضي الله عنها في حجة الوداع وهو في البخاري بسنده عن عايشة قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم للحج فلما كانت ليلة النفر حاضت صفية فقال صلى الله عليه وسلم ما اراها الا حابستكم الحديث وهذا يقال للتعجب بدون قصد الدعاء واصله صفة للمراة المودية المشومة واختلف في لفظه ومعناه فقيل معنى حلقى اصابها وجع في حلقها وقيل معناه تحلقهم اي تستاصلهم كما يستاصل الحالق الشعر وعقرى من العقر وهو عرقبة الدواب او من العقرة وهي رفع الصوت ويجوز تنوينهما وعدمه على ان الفه للتانيث كسكرى وعلى جعلها اليست للتانيث فكل منهما صواب ومحلهما رفع او نصب على المصدرية والمحدثون يروونه غير منون والمعروف عند اللغويين تنوينه **وغيرها** اي غير الدعوات المذكورة **من** المروي من **دعواته** صلى الله عليه وسلم ۞ التي لم يرد بها الدعاء على من خاطبه وانما يراد المدح او التعجب على عادة العرب في مخاطباتهم ووجهه كما قالوه في نحو قاتله الله انه يقصد به دفع العين عنه بجعله كالمذموم المدعو عليه فهو من قبيل الذم الذي يراد به المدح **وقد ورد في صفته** صلى الله عليه وسلم **في غير حديث**

اي في احاديث

اي في احاديث كثيرة منها ما رواه وهو في صحيح البخاري وغيره **انه لم يكن** صلى الله عليه وسلم **فحاشا** صفة مبالغة من الفحش وهو القبيح والوقاحة في كلامه ومخاطباته وقد كان صلى الله عليه وسلم يكني عن كل ما يستحيى منه **وقال انس** فيما رواه عنه البخاري **لم يكن** صلى الله عليه وسلم **سبابا** اي لا يقول ما هو سب وشتم **ولا فاحشا** اي لا يتكلم بما يقبح التصريح به **ولا لعانا** اي لا يقول اللعنة لاحد **كان** صلى الله عليه وسلم **يقول لاحدنا عند المعتبة** مصدر ميمي من العتاب وهو بالتاء المثناة من فوق مفتوحة ومكسورة من عتب عليه عند الغضب ذا لامه **ماله** اي اي شيء اقتضى ما فعله **ترب جبينه** الجبين احد الجبينين وهما جانبا الجبهة وفي نسخة تربت يمينه بالتانيث لانه عضو مثنى او المراد به الجبهة لانه ورد بمعناها في قول زهير ۞

يقيني بالجبين ومنكبيه ۞ وانصره بمطرد الكعوب

كما في شرح ديوانه فلا وجه لتخطئة المتنبي في استعماله بهذا المعنى وترب دعاء في الاصل بمعنى كبه الله على وجهه ولم يرد به الدعاء كقولهم تربت يداه **فيكون حمل الحديث** برفع حمل والمراد بالحديث ما ذكره اولا او هذا **على هذا المعنى** اي انه جاء على عادة العرب في ملاطفاتهم وقيل معنى ترب جبينه كثر سجوده فلا يكون دعاء عليه وهذا يقتضي ان المراد به الجبهة **ثم اشفق** اي خاف صلى الله عليه وسلم **من موافقة امثالها** اي الدعوات الصادرة **اجابته** اي ان يستجاب دعاؤه عليه بحسب ظاهره كما قال لبعضهم ترب نحرك فقتل شهيدا فخاف من مثله **فعاهد ربه كما قال في الحديث** السابق ذكره اللهم من دعوت عليه **ان يجعل ذلك المقول له** مما مر من سب ونحوه فهو بمعنى القول او الشخص **زكاة ورحمة وقربة** كما تقدم بيانه مفصلا وقد يكون ذلك المذكور من دعايه لمن سبه **اشفاقا على المدعو** اي شفقة ورحمة بجعل دعايه عليه رحمة له **وتانيسا له** اي تاليفا له ليطمين قلبه **لئلا يلحقه** بما يقع في قلبه **من استشعار الخوف** اي الشعور بادراكه **والحذر** اي الوقوع فيما يحذر **من لعن النبي صلى الله عليه وسلم له ومن تقبل دعايه** اي يخاف قبول دعايه عليه بلعنه وابعاده من رحمة الله تع **ما يحمله على الياس والقنوط** من رحمة الله وهما بمعنى جمع بينهما تاكيدا وقيل انه كفر وفيه كلام في الاصول كما فصلناه في رسايلنا وتقدمت الاشارة الى شيء منه وهذا تاويل رابع في غاية الحسن **وقد يكون ذلك** منه صلى الله عليه وسلم **سؤالا لربه** عز وجل اي في قوله اللهم اجعله رحمة الخ **لمن جلده او سبه** متعلق بسؤال **على حق وبوجه صحيح** لانه صلى الله عليه وسلم لا يفعل شيا بغير وجه شرعي **ان يجعل ذلك** اي دعاءه عليه **له كفارة لما اصابه** اي فعله من الذنوب التي استحق بها السب **وتمحية** مصدر محي بالتشديد بمعنى محاه اذا ازاله **لما اجترمه** اي فعله واكتسبه **وان يكون عقوبته له في الدنيا** خبر يكون قوله **سبب العفو والغفران** لانه نعمة نزله بالقول الذي يسوء **كما جاء في الحديث الآخر** الذي رواه الشيخان عن عبادة بن الصامت انه قال صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة للانصار بايعوني على ان لا تشركوا بالله شيا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تاتوا ببهتان تفترونه بين ايديكم وارجلكم ولا تعصوني في معروف فمن وفى بذلك فاجره على الله **ومن اصاب من ذلك شيا فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له** ومن اصاب من ذلك شيا فستره الله فهو الى الله ان شاء عاقبه وان شاء عفا عنه وذلك في الحديث اشارة

الى ما سبق في الحديث من الذنوب التي بايعهم على تركها ما بعد الشرك او هو عام مخصوص
وهذا الحديث يدل على ان الحدود كفارة فهو يعتضد قوله في حديث آخر لا ادري الحدود كفارة
لاهلها او لا فهذا كان قبل ان يعلمه الله بانها مكفرة وفيه كلام في شروح الصحيحين ولا يلزم
ان يكون قوله في الدعا هنا بان يجعلها كفارة تحصيلا للحاصل ايضا كما توهم ثم اورد شبهة
اخرى ما قررها ودفعها فقال **فان قلت فما معنى حديث الزبير** ابن العوام الصحابي
المشهور وحديثه هذا رواه البخاري **وقول النبي صلى الله عليه وسلم له حين تخاصم** وتنازع
مع الانصاري الآتي ذكره وحين مضاف لمصدر تخاصم وتخاصمه كان مع بعض الانصار الذين
شهدوا بدرا كما في بعض كتب الحديث فقال ابن بشكوال انه حاطب بن بلتعة وقيل ثابت ابن
قيس بن شماس الانصاري الا انه لا شاهد عليه وقال النووي هو حاطب وقيل ثعلبة بن حاطب
وقيل حميد والقول بانه حاطب بن بلتعة لا يصح لانه ليس انصاريا وقد ثبت في البخاري انه
انصاري بدري وكذا ثابت لانه ليس بدريا وقال الزجاج الخصم من قبيلة الانصاري منافق
ليس من المومنين منهم وفيه نظر لانه بدري وقد شهد صلى الله عليه وسلم لاهل بدر بالجنة
وثعلبة بن حاطب ليس بمعروف في الصحابة وقوله في شراج الحرة هو المتخاصم فيه والشراج
بكسر الشين المعجمة وراء مهملة والف بعدها جيم مسيل صغير في السهل او الى السهل كما في النهاية
سماه كالقناة جمع شرجة او شرج والحرة بفتح الحاء وتشديد الراء المهملتين ارض صلبة تعلوها
حجارة سود وهي مكان معروف بطيبة كان فيها وقعة مشهورة **اسق يا زبير** اي
بستانك من هذا الماء وقول المص هنا **حتى يبلغ الكعبين** الماء السائل سهو منه كما قيل لانه صلى
الله عليه وسلم لم يقله ابتداء وانما قاله له بعد غضبه من كلام الانصاري وكان قال له اولا لما
ترافعا اليه اسق يا زبير فقط فامره بفعل ارض السقي من غير استيفا الحقه بتمامه كما صرح به البخاري
وقال فامره بالمعروف وكان اراد الانصاري ان يرسل الماء لارضه من غير حبس له اصلا مع انه
يمر على ارضه اولا وله فيه شرب تام فابى الانصاري فامره صلى الله عليه وسلم بمجرد السقي
وقال اسق فقط اي افعل السقي من غير استيفاء لحقك ثم ارسل الماء لجارك وامره بالمعروف
بمعنى رعاية الجميل من الاحسان او العادة المعروفة ورعاية الجار او المراد به الوسط المعتدل
فقال له اي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم **الانصاري** الذي ذكرناه لما قال اسق الخ
ان كان ابن عمتك يا رسول الله بفتح الهمزة اي حكمت له لانه ابن عمتك لانه ابن صفية
بنت عبد المطلب لان ان المخففة يطرد معها تقدير حرف الجر لو في صدر الكلام كما يطرد مع
المشددة كقوله تعـ ان كان ذا مال وبنين وحكى الكرماني فيه كسر الهمزة على انها شرطية مقدرة
الجواب وفي فتح الباري انه غير معروف في الرواية لكنه يوجهه ما في رواية ابن اسحاق وان كان
ابن عمتك وهمزة الاستفهام على هذا مقدرة وتمد الهمزة ان ذكرت كما ذكره المص والقرطبي
آن كان ابن عمتك نحو قوله تعـ آلله اذن لكم وهي رواية عندها من غير هذه الطريق وفي رواية
ابن معمر انه ابن عمتك فقال ابن مالك في توضيحه يجوز في هذه الرواية فتح همزة انه وكسرها
فاذا فتحت قدرت لام قبلها جارة واذا كسرت قدرت قبلها الف استفهام لانها وقعت بعد كلام
معلل بمضمون ما بعدها كقوله لا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وقد روي بهما **فتلون وجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم** اي عرض له لون غير لونه الذي كان له من حمرة الغضب
لقول الانصاري المذكور وعلم انه ساءه وقيل انه كناية عن الغضب وانما سامحه صلى الله عليه وسلم

في مقاله

في مقاله هذا ولو صدر من غيره الآن وجب قتله لانه كان من المنافقين المولفة قلوبهم
وكان له صلى الله عليه وسلم ان يعفو عن مثله كما قال لئلا يتحدث الناس ان محمدا يقتل
اصحابه وهو خاص به وبعده يقتل قايله كما قاله النووي **ثم قال** صلى الله عليه وسلم بعدما
غضب من قوله وكونه لم يرض بما هو اكثر من حقه وقد حكم بالعدل والحق فلم يرض بحكمه طمعا
وبغيا منه **اسق يا زبير** حديقة نخلك **ثم احبس الماء** بسد مجراه **حتى يبلغ** الماء الذي
حبسته **الجدر الحديث** اي الى اخره المروي في البخاري والموطا وغيرهما وهذه رواية وفي الرواية
الاخرى هنا حتى يبلغ الكعبين وهما بمعنى وتقدم المص ليس في محله كما تقدم وفي رواية
الموطا حتى يرفع الى الجدر وهو بفتح الجيم وسكون الدال وبالراء المهملتين بمعنى الجدار وروي
بضم الجيم جمع جدار وروي بفتح الجيم وكسرها وذال معجمة من جذر الحساب وجذر كل شيء اصله
والمراد به الحايط ولما كان ذلك مختلفا قدره بما يبلغ الكعبين وبه قضى رسول الله صلى الله
عليه وسلم في غير هذه القصة وقيل المراد به ما يجعل من التراب حول الزرع وهو الظاهر والمعنى
واحد وحاصل السوال انه صلى الله عليه وسلم حكم بحكم ثم رجع عنه وهو ينافي العصمة في اقواله
الذي قدمناه ولذا قيل انه يدل على ان الحاكم يجوز له نقض حكمه ولا دليل فيه لما سياتي
فالجواب عما ذكر **انه** صلى الله عليه وسلم **منزه** اي مبعد ومبرأ من **ان يقع بنفس مسلم**
اي في فكره وذهنه **منه** صلى الله عليه وسلم **في هذه القضية** التي قضى فيها وحكمها على غيره
امر يريب اي يوقع سامعه في ريب وشك في اقواله ويظن انه صلى الله عليه وسلم يصدر
منه قول من غير تامل وتثبت ثم يرجع عنه **ولكنه** صلى الله عليه وسلم **ندب الزبير** اي دعاه
وطلب منه **اولا** حين قال له اسق **على الاقتصار على بعض حقه على طريق التوسط** اي
الاعتدال من غير افراط ولا تفريط **و على وجه الصلح** بينه وبين الانصاري لانه كان مستحقا
لغير ذلك **فلما لم يرض بذلك** اي بما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم واعطاه فوق حقه
الآخر اي الرجل الآخر المخاصم وهو الانصاري **ولج** اي ابدى اللجاج عنادا منه في خصومته
للزبير رضي الله عنه **وقال ما لا يجب** اذ كان هذا بضم المثناة التحتية وكسر الحاء المهملة
وتشديد الباء من المحبة فهو ظاهر وان كان بفتحها وكسر الجيم فالحق ان يقول ما لا يجوز لكن
مثله كثير في عباراتهم وقد سبق مثله فالمراد به ما لا يجوز ايضا لان غير الواجب يصدق على
الحرام والمباح بل والمندوب فاريد به بعض افراده ايماء الى انه يقتصر في حقه على الواجب
له فابالك بحرام يقتضي الردة وما قيل من ان الوجوب بمعناه اللغوي وهو السقوط كقوله
تعـ وجبت جنوبها اي ما لا يسقط عن قائله حرمته حتى يجلد اشلا منه ويتوب عنه تكلف
لانه يوديه العبارة بلا قرينة **استوفى** اي وفى وكمل صلى الله عليه وسلم **للزبير حقه**
من الشرب من غير مسامحة **وقد ترجم البخاري على هذا الحديث** المذكور في هذه القصة
والترجمة في الاصل كما تقدم تفسير لغة باخرى فيكون بمعنى ايصال الكلام لمن لم يسمعه
كما في قوله : قد احوجت سمعي الى ترجمان • وفي عرف المصنفين عنوان الكلام
بذكره اجمالا ثم لفظ الباب ونحوه وهو المراد هنا بقوله

باب

• **اذا اشار الامام بالصلح** بين خصمين **فابى** اي امتنع احدهما مما اشار به
بالشوين **حكم الحاكم عليه** اي على من ابى الحكم **بالحكم** الحق الذي ابا ما هو اكمل من حقه فالالف واللام

في الحكم للعهد وهو الحكم البيّن فلا يقال انه سقط منه لفظ البيّن المروي فيه كما قيل **وذكر** البخاري **في اخر هذا الحديث** المذكور **فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حقه** اي استكمله واصل معناه جعله في الوعاء فتجوز به عن لازم معناه والضمير للحكم او للرسول لانه في ملابسة اولانصاري على زعمه تمكابه ولو رجع للزبير في عبارته لزم عوده على متاخر وروي انهما لما خرجا من عنده صلى الله عليه وسلم مرا على المقداد فقال لمن كان القضا قال الانصاري لابن عمته ولوى شدقيه ففطن له يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في حياة موسى عليه الصلاة والسلام فدعانا الى التوبة فقال اقتلوا انفسكم فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس ان الله يعلم مني الصدق ولو امرني محمد ان اقتل نفسي لفعلت **وقد جعل المسلمون** المراد بهم العلما الفقها وعبر بهذا لان المسلمين في العصر الاول اكثرهم علما مجتهدون **هذا الحديث اصلا** اي قضية كلية وقاعدة مضبوطة **في قضيته** اي قضية الزبير في منازعته مع الانصاري والمراد بالاصل الماخوذ من هذه القضية انه يسقي حائطه حتى يبلغ الماء فيه الكعبين من القايم ثم يرسله كله لمن يليه او يرسل ما زاد على حاجته له كما في التمهيد لابن عبد البر وقيل المراد انه اذا تحاكم خصمان فللحاكم ان يصالحهما على ما فيه رفق وتوسعة فان امتنعا او احدهما امضى حكم الله عليهما **وفيه** اي في هذا الحديث ما يوخذ منه ويستنبط **الاقتدا به صلى الله عليه وسلم في كل ما فعله** ما لم يعلم انه من خصايصه **في حال غضبه ورضاه** اما الرضا فظاهر واما الغضب فلعصمته صلى الله عليه وسلم ولانه لم يكن يغضب لنفسه وانما يغضب لانتهاك حرمات الله كما في هذه القضية **وانه** صلى الله عليه وسلم **وان نهى** في حديث رواه الشيخان **ان يقضي القاضي وهو غضبان** لانه غير معصوم فربما حمله الغضب على امر لا يرضي والجملة حالية بخلاف النبي صلى الله عليه وسلم والنهي فيه محمول على الكراهية كما صرحوا به **فانه في حكمه في حال الغضب والرضا سوا لكونه فيهما** اي في الغضب والرضا **معصوما** حفظه الله من ان يصدر منه فيهما ما يخالف امر ربه **وغضب النبي صلى الله عليه وسلم في هذا** الامر الذي صدر من الانصاري **انما كان لله تعالى** لنسبة رسول الله صلى الله عليه وسلم للهوى الذي حماه الله منه مما يقتضي الردة والقتل ولكنه عفا عنه لما مر **لا لنفسه** فانه لا ينتقم لها **كما جا في الحديث الصحيح** الذي قدمنا ذكره من انه انما كان يغضب لله وانتهاك حرماته ومثل الغضب في كراهة حكم الحاكم فيه كل ما يشوش الفكر من جوع ومرض وذهب بعضهم الى ان من غضب لله لا يمتنع من الحكم ايضا لانه متق فلا يرتكب ما يخالف امر ربه قياسا عليه صلى الله عليه وسلم وظاهر الحديث يقتضيه والمفتي قيل انه مثل القاضي ايضا وقد يفرق بينهما **وكذلك** اي مثل ما ذكر ما رواه ابو نعيم في الحلية وهو **الحديث في اقادته عكاشة** الاقادة افعال من القود للدابة مقابل السوق ثم استعمل في الاقتصاص بالنفس وغيرها لان الجاني يقاد ليستوفي منه غالبا فاريد به لازم معناه وصار حقيقة فيه والمصدر مضاف لفاعله وعكاشة معروف من الصحابة وعينه مضمومة وكافه مخففة ومشددة وهو علم منقول واصله العنكبوت وفي كتاب ليس لابن خالويه عكاشة صاحب النبي صلى الله عليه وسلم واهل الحديث يخففونه

وانما هو مشدد وعكاش اسم موضع انتهى **من نفسه** الشريفة في قصة وقعت قبيل وفاته صلى الله عليه وسلم لما نزل عليه اذا جاء نصر الله الخ قال لجبريل قد نعيت فقال له الاخرة خير لك من الاولى ولسوف يعطيك ربك فترضى فامر بلالا ان ينادي الصلاة جامعة فاجتمع الصحابة في مسجده صلى الله عليه وسلم فصلى بالناس وصعد المنبر وخطب خطبة وجلت منها القلوب فقال ايها الناس اي نبي كنت لكم فقالوا جزاك الله عنا خيرا فلقد كنت لنا كالاب الرحيم والاخ الشفيق اديت رسالة الله وبلغت وحيه فجزاك الله عنا افضل ما جزى نبيا فقال معاشر المسلمين انشدكم بالله عز وجل من كانت له علي مظلمة فليقم فليقتص مني وكرره فقام شيخ يقال له عكاشة فتخطى المسلمين حتى وقف بين يديه فقال لولا انك ما كنت لاقدم على شي لما انصرفنا من الفتح حاذت ناقتي ناقتك فرفعت القضيب فضربني خاصرتي ولا ادري اعمدا كان ذلك ام لا فطلب صلى الله عليه وسلم قضيبه ودفعه لعكاشة وقال له اضرب ان كنت ضاربا فقال ضربتني وانا حاسر على بطني فكشف له رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه فقبله وقال فداك ابي وامي من يطيق ان يقتص منك فقال له اما ان تضرب او تعفو فقال عفوت رجاء ان يعفو الله عني في القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى رفيقي في الجنة فلينظر هذا فجعلوا يقبلون بين عينيه ويهنونه بذلك وهو حديث طويل ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وقال السيوطي انه اخرجه ابو نعيم في الحلية ولم يقل انه موضوع ونوقش له وعلى هذا اعتمد المصنف **لم يكن** ما صدر منه من ضرب عكاشة **لتعمد** اي عن عمد منه **حمله الغضب عليه** اي على فعله بغير حق **بل وقع في هذا الحديث نفسه** لا في حديث اخر **ان عكاشة قال له** صلى الله عليه وسلم حين اراد القود منه وكان قد تعلق بزمام ناقته فنهاه ثلاث مرات **وضربتني بالقضيب** وهو عصا كان في يده الشريفة **فلا ادري** اضربك هذا كان **عمدا** تعمدا منك لضربي **ام** اصابته لي خطاء وقد اراد ته غيره وهو انك **ضربت الناقة** فاصابني ذلك **فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اعيذك بالله** اي اجعلك في حفظه **يا عكاشة ان يتعمدك رسول الله صلى الله عليه وسلم** بضرب لم تستحقه وفيه التفات من التكلم الى الغيبة واصله ان اتعمدك فاتى باسمه الظاهر اشارة لعصمته صلى الله عليه وسلم مما قاله عكاشة لان من هو رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصدر منه مثله وعكاشة هذا هو ابن محصن صحابي بدري وهو الذي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر سبعين الفا يدخلون الجنة بغير حساب ادع الله ان يجعلني منهم فقال انت منهم فقال اخر مثله فقال له سبقك بها عكاشة فضرب مثلا كما في الاصابة **وكذلك** اي مثل ما وقع لعكاشة ما وقع **في خبره** صلى الله عليه وسلم **الاخر مع الاعرابي** وهذا الحديث لا يعرف من رواه ويحتمل انه حديث عكاشة بعينه **حين طلب الاقتصاص منه** صلى الله عليه وسلم لضربه له فلما قال له اقتص مني ومكنه من نفسه **فقال الاعرابي قد عفوت عنك** اي تركت ذلك برضى مني **وكان** صلى الله عليه وسلم قد ضربه **بالسوط لتعلقه بزمام ناقته مرة بعد اخرى** ففيه ترك ادب يستحق به الضرب تعزيرا فلم يكن ذلك الا بحق فلا يستحق به الاقتصاص ولكنه صلى الله عليه وسلم فعله كرما منه وتطييبا لقلبه من غير حق له تعين بل كان تاديبا وتشريفا مستحقا للحمل لا للعفو **والنبي صلى الله عليه وسلم قد نهاه** عن تعلقه

بزمام الناقة وسوء ادبه وعبر بالمضارع حكاية للحال السابقة استحضارا للصورتها
كما في قوله **ويقول له** اي للاعرابي **ترد كي حاجتك** اي اقضيها لك ويصل اليه فرع الزمام
وهو يابى ارسال زمام ناقته الحاحا منه **فضربه بعد نهيه ثلاث مرات** حلما منه وتحملا
لابرامه عليه ثم بين الوجه في هذا وانه غير مناف لما قرره من عصمته في غضبه ورضاه فقال
وهذا الذي وقع **منه** صلى الله عليه وسلم **لمن لم يقف عند نهيه** لعدم امتثاله محمل امتثاله
كالوقوف ففيه استعارة وكذا في قوله عند نهيه ففي مكنية تخييلية **صواب** لا جور وخطا
ليستحق به القود **وموضع ادب** في المحضور عنده يستحق من لم يتأدب فيه التاديب والحكم
فيه مفوض له صلى الله عليه وسلم **لكنه** صلى الله عليه وسلم **اشفق** اي رحم من ترك الادب
عنده بعد ضربه بحق **اذ كان حق نفسه** علة لاشفاقه مع استحقاقه للتاديب **من الامر**
اي من الحال الذي وقعت فيه هذه القصة **حتى عفا عنه** صلى الله عليه وسلم وان كان ما فعل
من ضربه تاديبا له وزجرا عما فعله من سوء الادب بعد تكرار نهيه له كما تقدم فلم يقع منه لغضبه
امر يخالف عصمته ومراد المصنف بقوله حق نفسه انه امر يتعلق به صلى الله عليه وسلم وبذاته
لعدم امتثاله نهيه اللازم له شرعا وليس المراد انه فعله انتقاما لحظ نفسه وهو ظاهر واعلم
ان العلامة بن القيم قال في كتاب المعالم ان الشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة قالوا ان
الضربة واللطمة لا قصاص فيهما شرعا وانما فيهما التعزير وادعى بعضهم فيه الاجماع الا ان
لبعضهم فيه خلافا جرى فيه على خلاف القياس لا انه مقتضى النصوص وعليه عمل الصحابة
لقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ولا ريب ان لطمه بلطمه وضربه بضربه
اقرب الى المماثلة من التعزير بغير جنس اعتدائه وهو هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء
الراشدين حتى عقد له المحدثون بابا ترجموه بباب القصاص في الضربة واللطمة رووا
فيه آثارا انتهى **اقول** الظاهر ما عليه الفقهاء وهو مقتضى القياس لانه لا يمكن
ضبطه وقد يوجد فيه تفاوت فاحش كمن ضرب شخصا على عينه ولم يضر بصره فربما تخرج
عينه بضربة القصاص وانما فعله الصحابة لوثوقهم بعدم تجاوز افعالهم فلا نقيس انفسنا عليهم
فلا وجه لما قاله ابن القيم **واما حديث سواد بن عمرو** عن عطية الانصاري الذي رواه ابو
القاسم في معجم الصحابة وابن سعد وعبد الرزاق في جامعه عن الحسن وسواد بن عمرو وهذا
انصاري صحابي وليس هو سواد بن غزية الا انه وقع نقل هذه القصة عنه وانه صلى الله
عليه وسلم طعنه بالعصا في خاصرته لكن لا على هذا الوجه كما يأتي وما وقع في بعض النسخ
عمرو بن سواد غلط من الناسخ وقال ابن الملقن في شرح البخاري بعدما نقل ما في الشفا
هذا لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم فانه صاحب ابن وهب فان ثبت هذا فلعله صحابي آخر وافق
اسمه واسم ابيه لكن القصة معروفة لسواد بن عمرو والظاهر انه انقلب عليه انتهى وذكر ابن
عبد البر انه سوادة بزيادة الهاء قال سواد **اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وانا متخلق**
جملة حالية اي متضمخ بالخلوق وهو نوع من الطيب يخلط بالزعفران ولونه بين الحمرة والصفرة
وقد ورد في بعض الاحاديث النهي عنه وفي بعضها اباحته والنهي قيل انه متاخر ناسخ لاباحته
لانه معتاد في النسا والتشبه بهن غير جائز ولذا ذهب ابن حجر الهيتمي الى حرمة الحنا على الرجال
لغير التداوي يعني في غير اللحية **فقال ورس ورس حط حط** الورس نبت اصفر باليمن
يصبغ به ويتطيب منه كالخلوق والحنا وحكمه حكمه وهو حرام للنهي في الحديث وذكر

وكره الانكار

وكرر للانكار عليه وورس بوزن ضرب وحط امر له كررنا كثيرا ايضا وتقديره [illegible]
ورس فيجوز رفعه على انه مبتدا او خبر مبتدا مقدر وسكون السين للوقف وتقديره
وطا حط ساكنة او مفتوحة كما يجوز في كل امر مشدد الآخر كرد واصله اردد واحطط ويجوز
ان لا يقدر فيه شي ويقصد به مامر ايضا فتدبر وهو من طيب النسا ايضا **وغشيني** بمعنى
ضربني وهو استعارة معروفة كما يقال جلله وتغشاه بالسوط ومثله قوله تعالى فصب عليهم
ربك سوط عذاب **بقضيب** اي عصا كان عادته صلى الله عليه وسلم حمله **في يده في بطني**
اي عليه وجعله لتمكنه منه كانه فيه **فاوجعني** ضربه او هو بضربه **فقلت القصاص يا رسول**
الله اي اسالك او اطلب منك **فكشف لي عن بطنه** لاضربه اقتصاصا كما فعل **وانما ضربه**
صلى الله عليه وسلم لمنكر رآه عليه وهو تطيبه بما فيه تشبه بالنسا ويستحق التعزير عليه
وقيل انه كان محرما فيمتنع عليه الطيب فما فعل صلى الله عليه وسلم امر مشروع له زجرا له
بالفعل بعد القول ولكنه اجابه للقود تواضعا ولطفا ورحمة منه كما تقدم وقد كان المضروب
يعلم انه منهي عنه **ولعله** صلى الله عليه وسلم **لم يرد بضربه الا تنبيهه** على ما رآه مما لا
يليق فاراد الاشارة اليه بقضيب في يده لينزعه ولم يرد ضربه ولا مسه ببشرة ولم يقصد
ضربه **فلما كان** اي وجد **منه ايجاع** مولم له **وهو لم يقصده** بضربه اياه **طلب التحلل منه**
بالقود حتى لا يبقى له عليه حق فدفع الشبهتين بوجهين احدهما انه تعزير مشروع له لكنه
يكرم باجابته لما علم انه لم يقصد قوده وانما قصد تقبيل جسده الشريف والثاني انه خطا
معفو عنه وفعله صلى الله عليه وسلم تعليما لامته وهذا جار **على ما قدمناه** في قصة
عكاشة وذكر ابن اسحاق انه صلى الله عليه وسلم عدل صفوف اصحابه يوم بدر وفي يده
قدح يعدل به فمر بسواد بن غزية متنصلا عن الصف فطعنه في بطنه بالقدح وقال له
استو يا سواد فقال له اوجعتني وقد بعثك الله بالعدل فاقدني فكشف له عن بطنه
وقال استقد فقبل بطنه واعتنقه فقال ما حملك على هذا قال حضر ما ترى فاردت ان يكون
آخر العهد بك مس جلدك فدعا له صلى الله عليه وسلم والله تعالى اعلم

فصل قال القاضي رحمه الله واما افعاله صلى الله عليه وسلم الدنيوية

اي المتعلقة باموره دنياه لا بالعبادة والعقائد **فحكمه فيها من توقي المعاصي**
اي اجتناب المحرمات **والمكروهات** كراهة تنزيه بقرينة مقابلة المعاصي **ما قدمناه**
خبر قوله حكمه المبتدا اي انه صلى الله عليه وسلم معصوم عنها فان وقع منه مكروه
لبيان الجواز كشربه قائما فهو لتعليم امته فلا يكون مكروها في حقه وما قيل هنا من انه غير
منهي عنه فلا حاجة لذكره لغو من الكلام لا حاجة للاطالة بمثله **ومن جواز السهو او**
الغلط في بعضها ما ذكرناه فانه جوزه في العبادات فيعلم جوازه في هذا بالطريق
الاولى **وكله** اي كل ما ذكر من السهو وما بعده **غير قادح** وضار **في النبوة** بل حسن منه
لما فيه من التشريع **بل ان هذا** مع انه غير معصوم صدوره **فيها** اي في افعاله **على الندور**
اي قليل جدا والنادر ما قل وجوده ووقوعه ولا حكم له **اذ عامة افعاله** اي اكثرها
واقع **على السداد** بفتح السين اي الاعتدال والقصد ويجوز ان يريد بالعامة الكل بجعل
غيرها كالعدم **والصواب** وعدم الخطا **بل اكثرها** اي افعاله صلى الله عليه وسلم

او كلها جارية بمجرى العبادات والقرب بضم ففتح جمع قربة وهي العمل الصالح الذي
يتقرب به الى الله على ما بينا فيما تقدم اما ان اكثرها كذلك فلان منها مباحات كالاكل والشرب
ونحوه واما كون كلها عبادة فلانه محتو على تعليم الاباحة وتقوية الجسد للطاعة ونحوه
مما يجعل العادة عبادة اذ كان صلى الله عليه وسلم لا ياخذ منها اي من الدنيا او افعالها
الا الضرورية اي مقدار ما يضطر اليه ويحتاج له وما يقيم رمق جسمه اي ما به قوام حياته
اي بقيته وقوته والرمق معناه بقية الروح والحياة والقليل من العيش الذي يسد الرمق
وفيه مصلحة ذاته اي ما يصلحها كما يدفع الحر والبرد ويدخل فيه طعامه ودوابه وخدمه
ونساؤه ومؤنتهم التي بها يعبد ربه ويقيم شرعه ويسوس امته اي يضبطهم ويحكم
عليهم لانه معنى السياسة لغة قال ● وكنا نسوس الناس والامر امرنا ●
وهذا بيان لحصر العبادة المقصودة بما قبله يقال ساس الرعية اذا حفظها واقام امرها
واما ما كان بينه وبين الناس من ذلك اي امور الدنيوية الجارية منه في معاملة
وصحبتهم فبين معروف اي امر جميل حسن لان المعروف يراد به هذا وبين هنا للتقسيم كما
يقال امري بين كذا وكذا بصنعه اي بوصله وبفعله لهم من احسانه وتكرمه عليهم وبر اي
مبرة وعطا يوسعه عليهم باعطا ما يغنيهم او كلام حسن يقوله لهم مما يلطف به ويلين قلوبهم
ويعظهم ونحوه او يسمعه بفتح اوله وثالثه اي يسمعه من غيره ويصغي له او بضم اوله وكسر
ثالثه كما قيل وما قبله اولى لانه حينئذ لا فرق بينه وبين ما قبله الا بتكلف او تالف شارد
اي نافر عن طاعة الله ورسوله كجفاة الاعراب المولفة قلوبهم بالعطا وجهات البر واللطف
حتى يزينه الله حلاوة الايمان ويبصره الله له او قهر معاند فيردعه ويزجره حتى يرجع
قهرا عليه لما يريد ومداراة حاسد بملاطفته وتحمل اذاه والاغضا عن قبايحه كما
كان يفعله صلى الله عليه وسلم مع المنافقين واهل الكتاب وقال صلى الله عليه وسلم راس
العقل بعد الايمان مداراة الناس وكل هذا الامر الذي كان بينه للناس لاحق بمصالح اعماله
اي ملحق بعباداته ومعدود منها ومثاب عليه لما فيه من المنافع والمزايا الدينية منتظم في
زاكي وظايف عباداته اي معدود من عباداته الموظفة اللازمة كالصلاة فهذا الشرع خير
ساقه كانه من نفايسها المعدودة منها وفي مسلكها ففيه استعارة مخيلة وزاكي بمعنى نامي
وقد كان يخالف افعاله الدنيوية اي يخالف غيره فيما يخصه منها بحسب اختلاف
الاحوال التي تعرض له فتقتضي لمخالفة لحال اخرله ويعد بضم اوله وكسر ثانيه وتشديد
داله اي يهيئ ويقدم بتداركه منه للامور التي تستقبل اشباهها اي ما يناسبها ويناسبه
فيركب في تصرفه اي حركته من مكان لآخر لما قرب اي لمكان قريب حال اقامته الحمار
لسهولة ركوبه مع ما فيه من عدم التكبر وكان له صلى الله عليه وسلم حمار يسمى يعفور مذكور
في السير وفي اسفاره البعيدة الراحلة وهو من الابل ما يقوى على الحمل ذكرا كان او انثى
فتاوه للمبالغة لتحمله للرحيل فركوبه في السفر مناسب لتلك الحال لقوته وصبره وله
عدة ابل مذكورة في السير وقد يركب صلى الله عليه وسلم احيانا قليلة البغلة في معارك
الحرب اي في مواضع او اوقات وقع فيها المعاركة والمقاتلة في حروبه وذلك لقوة
قلبه صلى الله عليه وسلم وشدة باسه وعدم خوفه من عدوه وكان ذلك بحنين وقد اشتد
الباس وبغلته التي ركبها هي دلدل وكانت شهباء كرا اهداها له المقوقس وله بغلة اخرى

والكلام عليه في السير دليلا على الثبات وانه لا يمكنه ان يفر ولا يريد اذ لو اراد
ركب الخيل ونصب دليلا على انه مفعول له او حال ولا يرد على الاول شي لاتحاد فاعل
العلة والمعلل لانه الراكب والدال وكان صلى الله عليه وسلم اشجع الناس قال علي كنا
اذا اشتد الباس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فيوم حنين لما راى شدة العدو
وان منهم من اصحابه من يفر ركب بغلته قصدا منه حتى لا يقال فر وليشجع غيره لان البغل
لا يصلح للكر والفر فانظر هذا ففيه معجزات له تعلم مما في السير وكان صلى الله عليه وسلم
يركب الخيل ايضا ويعدها اي يهيئها ويحضرها ليوم الفزع اصل معنى الفزع الخوف
ثم كني به عن خروج الناس بسرعة لدفع عدو ونحوه اذا جاءهم بغتة وصار حقيقة فيه كما
في كامل المبرد فليس هو استعارة كما قيل واغاثة الصارخ هو المصوت للاعلام بامر
يطلب من يغيثه فهو معطوف على يوم او الفزع وفيه اشارة لما وقع له صلى الله عليه وسلم
بالمدينة من سماعه صراخا ظنه عدوا هجم على المدينة فركب فرسا لابي طلحة كان قطوفا اي غير
سريع المشي وذهب وحده فلم ير عدوا ورجع فلقيه من خرج خلفه راجعا فقال لهم لن تراعوا
اي لا تخافوا فقيل له كيف وجدت الفرس فقال وجدته بحرا اي واسع الخطو فلم يسبقه فرس
بعد قوله ويقال للفرس الواسع الخطو بحر لان اصل معنى البحر السعة وكذلك اي كما ان
ما بينه وبين الناس كان على احسن نظام كان حاله في لباسه اي ملبوسه وسائر احواله
وافعاله كلها متناسبة من غير تكلف فيها وتصنع فكان يضع كل شي في محله وهو معنى قوله
يعد للامور اشباهها كما قيل

● فاقسم لكل محل ما يليق به ● فان للرجل حليا ليس للعنق ●

بحسب اعتبار مصالحه الخاصة به في نفسه ومصالح امته وكذلك كان يفعل الفعل
من امور الدنيا وان لم يكن له فيه رغبة مساعدة اي معاونة لامته وهو منصوب مفعول
له وسياسة اي قد يفعله لاجل سياستهم اي حفظهم وكراهية لخلافها بتخفيف اليا
مصدر والضمير للامة اي يفعل ما لم يرده احيانا جبرا لقلوبهم وتانيسا بعدم مخالفتهم فيما
يجوز وان كان قد يرى غيره كثيرا كذا او فعل امر بخلافه خيرا منه لانه احب اليه كما يترك
الفعل لهذا وقد يرى فعله خيرا منه وقد يفعل هذا اي ما يرى تركه خيرا من فعله في
الامور الدينية كما تقدم في امور الدنيا بما كان له الخيرة بكسر الخا وفتح المثناة التحتية
كما في المقتفي وقال غيره انه بكسر الخا وسكون المثناة اسم من خار الله في كذا وما قيل انه بفتحها
ليس بوجيه اقول لا وجه لهذا فان فعله بكسر ففتح ما ثبت في المصادر كخيرة وطيرة وفي
الاسماء كجيرة كما صرح به النحاة في احد وجهيه دون الآخر اي مما خيره الله في فعله وتركه
ولولا ذلك لم يجز مثله في الامور الدينية ثم مثل له بقوله كخروجه صلى الله عليه وسلم باصحابه
لاحد اسم جبل معروف كانت عنده الوقعة المذكورة في السير فخرج لمحاربة ابي سفيان وقد
كان اذ ذاك مذهبه اي رايه صلى الله عليه وسلم المختار عنده والمذهب يطلق على هذا
المعنى كما قال ابو نواس ●

● ومن مذهبي حب الديار لاهلها ● وللناس فيما يعشقون مذاهب ●

التحصن بها اي عدم الخروج منها وذلك لان بعض الصحابة رضي الله عنهم الذين لم يحضروا
غزاة بدر احبوا خروجه صلى الله عليه وسلم للقتال وكان صلى الله عليه وسلم راى رؤيا

نزل على قتل بعض اصحابه وامور اخر فقصتها عليهم واولها الصوم كما في السير واراد ترك
الخروج فزعموه فيه فدخل ليلبس درعه فندموا على مخالفته وقالوا له لما خرج الراي فقال
ما كان لنبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه ومضى فكان ما كان
من جراحته وقتل حمزة وغيره فهذه قصة دينية ترك فيها ما احبه لما رآه اصحابه وكلاهما امر
جائز ومن ذلك **تركه قتل المنافقين** وهم المظهرون للاسلام مع اخفاء الكفر وهو لفظ اسلامي
لا تعرفه العرب ماخوذ من نافقاء اليربوع وهو مخرج يستره في جحره ليخرج منه اذا احس بصائده
ويطلق على كل من خالف ظاهره باطنه **وهو** صلى الله عليه وسلم **على يقين من امرهم** باخبار
الله له ولما يظهر من احوالهم من ايذائه وما يبلغه عنهم مما لو ظهر الان اقتضى كفرهم وزندقتهم
وقتلهم ولكنه صلى الله عليه وسلم حكم بظاهر حالهم **مؤالفة لغيرهم** ممن يرجى اسلامه
او خلوص ايمانه من قرب عهده بالاسلام **ورعاية للمؤمنين من قرابتهم** اسم جمع بمعنى الاقرباء
كالصحابة كما قاله ابن مالك فلا يحتاج لتاويل وتقدير كما توهم وبذلك يسرون وتطمين
قلوبهم وهما مفعولان له **وكراهة ان يقول الناس** من اعدائه فيرجف على زعمهم **ان
محمدا يقتل اصحابه** يصدون به من يريد الاسلام **كما جاء في الحديث** الذي رواه البخاري
في عبد الله بن ابي بن سلول لما قال في غزوة بني قينقاع ليخرجن الاعز منها الاذل وبلغه
ذلك فقال بعض الصحابة نقتله لنفاقه فقال النبي صلى الله عليه وسلم فكيف اذا تحدث
الناس ان محمدا يقتل اصحابه والحديث مشهور **و**مما كان يرتكب فيه احد الجائزين تطييبا
للخواطر **تركه بناء الكعبة على قواعد ابراهيم** حين بناها مع اسماعيل وكان مقدار ذراع
من الحجر ستة او سبعة او خمسة داخل فيها ولها بابان ملصقان بالارض فلما بنتها قريش قبل
البعثة لم تف نفقتهم ببنائها كذلك فاخرجوا بعض الحجر منها وجعلوا لها بابا واحدا مرتفعا
والكلام على ذلك ولم بنيت وامتناعه وجوازه مفصل في محله وللسيد السمهودي فيه تاليف
مستقل نفيس **مراعاة لقلوب قريش** مفعول لاجله فانها لا ترضى وتعده تغييرا لما اثرهم
للتفرد بمجده عنهم **وتعظيمهم لتغييرها** كما بنته اباؤهم ولخوفهم من هدمها **وحذرا من
نفار قلوبهم** عنه صلى الله عليه وسلم لمن لم يقو ايمانه ومن به بقية من الجاهلية **و**تركه
حذرا **من تحريك متقدم عداوتهم للدين** اي دين الاسلام **واهله فقال** صلى الله عليه
وسلم **لعائشة في الحديث الصحيح** الذي رواه الشيخان وغيرهما **لولا حدثان قومك**
بكسر فسكون مصدر بمعنى الحدوث ضد القدم اي تجدده وعدم رسوخه والمراد به هنا
القرب اي لولا قرب عهدهم **بالكفر** والشرك **لاتممت البيت** اي بنيته على تمامه وكماله
على قواعد ابراهيم التي كان بناه عليها وعلى هيئته الاولى بادخال بعض الحجر الخارج منه
فيه والصاق بابيه بالارض وجعل ارتفاعه على ما كان عليه **و**من تركه احد الجائزين لما يقاربه
وينسبه انه صلى الله عليه وسلم **كان يفعل الفعل** الذي صدر منه **ثم يتركه لكون غيره
خيرا منه** وان كانا جائزين له **كانتقاله من ادنى** اقرب **مياه بدر** وهي ارض معروفة اي
قيامه برحله من منزله عنده وقد اشار عليه الحباب بن المنذر به كما تقدم **الى اقربها للعدو
و**ذلك العدو **من كفار قريش** الذي وقعت معهم غزوتها وتغويرهم ما استغنى عنه من المياه
تضييقا عليهم لعطشهم وكفرهم وكان نزل اولا على غير الماء فقال له الحباب ابن المنذر ابوحي
هذا ام راي قال راي فاشار عليه بما ذكر فنزل عليه جبريل وقال الراي ما اشار به الحباب

كما تقدم

كما تقدم **وكقوله** صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع كما رواه الشيخان **لو استقبلت من
امري ما استدبرت ما سقت الهدي** الى اخر الحديث والهدي بفتح فسكون وبياء مخففة
ويجوز كسر ثانيه وتشديد الياء وبهما قرئ وهو ما يساق من الابل لينحر في الحرم ويتصدق
بلحمه وهو انه صلى الله عليه وسلم احرم بالحج مفردا وساق معه هديا فلم يحل له ان يلبس
ويحل من احرامه حتى يبلغ الهدي محله يوم النحر وكان اصحابه رضي الله عنهم تمتعوا بالعمرة وتحللوا
احرامهم فلما علموا انه صلى الله عليه وسلم لم يتمتع كرهوا تمتعهم بلباسهم ونسائهم خلاف
رسول الله فقال لهم صلى الله عليه وسلم لو استقبلت الحديث وددت اني مثلكم اتمتع لولم يمنعني سوق
الهدي وعقد النية وهذان امران جائزان فعل احدهما والاخر احب اليه بيانا للجواز واختلف
ايهما افضل كما ذكر في كتب الفقه وقوله استقبلت من امري المراد من امر احرامه ومعناه لو لم
يصدر مني ما صدر مما يمنع موافقتكم وهو سوق الهدي واستقباله كناية عن عدم وقوعه
وتقدمه واستدباره كناية عن وقوعه لان ما وقع ومضى كانه خلفك وما لم تفعل قدامك
موجود ولو للتمني اي وددت ان ما صدر مني من سوق الهدي كانه لم يكن حتى اوافقكم
والشاهد فيه لما ذكره ظاهر **و**كان **يبسط وجهه للكافر والعدو** ممن هو من اعدائه **رجاء
استئلافه** اي ان يؤلف بينه وبين المسلمين بهدايته للاسلام وعدم نفرته لما يراه من
لطف الله به واظهاره له ما يحبه وتقدم ان بسط الوجه عبارة عن البشاشة واظهار
المسرة لان غيره يقطب وجهه ويجعد اسارير جبهته **ويصبر للجاهل** المراد به هنا
غير متعارف فانه في كلامهم بمعنى ذو الحمق والغلظة والتكبر الحامل على تجاوزه كقوله

فنجهل فوق جهل الجاهلينا •
ويقول صلى الله عليه وسلم اذا اي يصيبني

برا من مثله ما لا يريده وسال عنه كما ورد في حديث رواه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها
ان من شر الناس شر مخفف اشر اسم تفضيل اي اخبثهم واكثرهم شرا **من اتقاه النا** س
اي لم يقربوا منه وسالموه وراعوه نحوه خوفا منه **لشره** اي من اجله فان مثله يخشى منه **ويبذل**
بوجهه وذاك معجمة اي يعطي **له الرغائب** جمع رغيبة وهي ما يرغب فيه كالعطايا الكثيرة
ونحوها **ليحبب اليه شريعته** فان الجاهل ميله للدنيا فاذا اراها منه احبه واطاعه
فيما يامره به من الشرع **ودين ربه** من دانه اذا ساسه وقهره والفرق بين الدين والشر
مشهور **ويتولى** اي يباشر ويفعل بنفسه **في منزله** اي في داخل بيته مع اهله **ما يتولاه**
ويفعله **الخادم** تواضعا منه صلى الله عليه وسلم **من مهنته** الضمير للمنزل او له
وهي بفتح الميم وسكون الهاء وبالنون قبل تاء التانيث والضمير وهي بمعنى الخدمة واصلها
الابتذال والمسموع فيها الفتح والكسر خطا وان كان هو القياس كالخدمة والجلسة
كما نقله الزمخشري عن الاصمعي وفي القاموس المهنة بالكسر والفتح وككلمة الخدمة والعمل
وعن عائشة كان صلى الله عليه وسلم يخصف النعل ويخيط ثوبه ويعمل في بيته كما يعمل احدكم
في بيته ويحلب شاته وياكل مع الخادم ويعجن ويحمل حاجته من السوق كله للتواضع وتعليما
للامة وهو من سنن الانبيا **ويتسمت** بفتح تاء المضارعة تفعل من السمت وهو التلبس
بالهيئة الحسنة والمنظر الحسن في نفسه ولباسه وفي القاموس السمت الطريق وهيئة
اهل الخير والسير على الطريق والقصد انتهى واهل المعقول يستعملونه بمعنى المقابل للشي
والحصة وهو قريب منه **في ملاه** في بعض النسخ بفتح الميم واللام وكسر الهمزة قبل الضمير

وعليه اقتصر الشارح الجرشي وهو النسب بما يقابله من منزله اي كان صلى الله عليه وسلم
في منزله على نهج الخادم في خدمته وغيرها فاذا برز للملاء من اصحابه وجلسايه من الاشراف
برز على هيبة حسنة مستترا بازاره لشرف حيايه وادابه وقال البرهان وغيره انه في
ملاثيه بضم الميم والمد جمع ملاة وهي الملحفة وفي المطالع لابن قرقول انه مقصور مهموز
ونقله النووي عن المشارق للمص قال وهو غلط من الناسخ بلا شك والملاجاعة ملون
العين مهابة وجلالة والاول انسب ايضا بقوله وحتى الخ وقال التلمساني انهما روايتان
ملاه وملاءة حتى كان يبدو اي لا يظهر منه شيء بكشفه من اطرافه اي اطراف بدنه كساقه
واقدامه كما هو عادة الاشراف المحتشمين في الخلوة والنادي وحتى كان على رؤوس جلسائه
الطير اي لمهابته ونهاية ذلك لا يرفع احد عنده راسه ولا يطيل نظره اليه توقيرا له وتكرمة
لرزانة عقولهم لان الطير لا يقع الا على ساكن من جذع وحائط ونحوه فشبهوا بذلك ووجه
الشبه كما قلت في مقصورتي في مدحه صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم

كانما الطير على رؤوسهم • من كل غصن في ربا المجد نما

ويتحدث مع جلسائه بحديث اولهم اي بما كان لمن قبله من اوائلهم بحكاية ما كان قبل الاسلام
من حروبهم كيوم بعاث ونحوها كحلف الفضول وقيل المراد انه يتكلم بحديث اول متكلم منهم
اي بما يناسبه لانه يعيده لهم ويتعجب مما يتعجبون منه لخفاء سببه ولا يعارضهم
ولا ينكر عليهم تانيسا لهم وجبرا لخواطرهم لكمال خلقه ولطفه ويضحك معهم مما يضحكون
منه مما يقتضيه حديثهم فلا يعبس كالجبابرة الا ان ضحكه صلى الله عليه وسلم على عادة
التبسم بلا قهقهة وابداء داخل الفم فلا ينافي قول عايشة ما رايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم مستجمعا ضاحكا اي ضاحكا بجميع فمه حتى تبدو لهواته قد وسع الناس
اي عم جميع من عنده بشره اي طلاقة وجهه وبشاشته في وجوههم وسعهم عدله
وتسويته بين جلسائه اذ لا يحيف ويجور على احد عنده او على احد من الخلق اصلا لا يستفزه
اي لا يقلقه الغضب اي اذا صدر من احد ما يغضبه لوقاره وشدة صبره على الاذى من
بعض المنافقين وجفاة الاعراب الواردين عليه قال تنح واستفزز من استطعت اي
ازعج وهو من الفز بمعنى الخفة ومع حلمه لا يقصر عن الحق فيوفيه حقه ولا يترك منه
شيا ولا يبطن اي لا يخفي في باطن امره على جلسائه ممن هو عنده شيا مما يريده ويقول
لو علم منهم بانه لا يخفي عليهم امرا ما كان اي لا ينبغي ولا يليق ولا يصح وما كان جاء
لهذه المعاني لنبي ان تكون له خاينة الاعين اي ليس له ان يغمز بطرف عينيه
لاحد ان يفعل شيا اخفاه ولم يتكلم به وقد تقدم في حديث الفتح وارادته صلى الله عليه وسلم
قتل ابن ابي سرح لما توقف عن مبايعته فيقوم له من يضرب عنقه لانه صلى الله عليه وسلم
كان اهدر دمه فلما بايعه ومضى قال هلا قام اليه من يضرب عنقه فقيل له هلا اومات
الينا يا رسول الله فقال ما كان لنبي الخ وحرمته عليه عد من خصايص الانبيا وفي النهاية
خاينة الاعين ان يضمر في نفسه ما لا يظهره بلسانه فيومي له بعينه وهو خيانه والخاينة
مصدر بمعنى الخيانة او اصله الاعين الخاينة وقد تقدم فان قلت فما معنى قوله
صلى الله عليه وسلم لعايشة في حديث رواه الشيخان وغيرهما عنها في الداخل عليها
وهو عيينة بن حصن الفزاري وقيل هو مخرمة بن نوفل القرشي وقيل انهما واقعتان تعددتا

بيس ابن

بيس ابن العشيرة هو والعشيرة بنو الاب الادنون او القبيلة فلما دخل الان له القول
اي تلطف به وما قاله له في حقه وضحك معه لما له الدال على حمقه فلما سالته صلى
الله عليه وسلم عايشة عن ذلك الذي فعله معه بعد ما قاله قال ان من شر الناس من
اتقاه الناس لشره تقدم تفسيره قريبا وكيف جاز منه صلى الله عليه وسلم ان يظهر له
خلاف ما يبطن اي يخفيه عنه او مطلقا ويقول في ظهره اي في غيبته بعد ما ذهب
ولم يظهره ما قال في حقه من قوله بيس ابن العشيرة بعد الانة القول له وضحكه في وجهه
وذو مرو عيينة هذا من المولفة قلوبهم وكان قبل اسلامه دخل بغير اذن على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعنده عايشة فقال له بلا اذن فقال ما استاذنت على احد من مضر اي لانه كان
رئيسا في قومه ويقال له الاحمق المطاع ثم قال له ما هذه الحميرا فقال ام المومنين فقال
الا انزل لك عن اجمل منها فقالت يا رسول الله من هذا قال هو الاحمق المطاع وهو على ما ترى
سيد قومه ثم اسلم وله ترجمة فيها بعض اموره قيل وفي الحديث دليل على جواز غيبة الكافر
والفاسق المجاهر ويأتي ما فيه وما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم مداراة لا مداهنة والفرق
بينهما مشهور ويأتي عن قرب وقد قيل لو ذكر المص هذا في الفصل الذي قبله كان اولى
والجواب عما ذكر ان فعله صلى الله عليه وسلم لما ذكر كان استيلافا لمثله
من اجلاف العرب واشرارهم رجاء لاسلامهم ودفعهم بالتي هي احسن حتى يلين قلبه ويحسن
اسلامه وقد وقع وكان معه من قومه اكثر من عشرة الالف والمراد بمثله من هو سيد مطاع كثير
الاتباع وهو انسب بما قبله وبعده وقول القرطبي ان هذا الحديث يدل على ان عيينة كان له
سو الخاتمة لجعله في الحديث شر الناس لا وجه له لان الحديث عام غير مخصوص بالمذكور حتى
يدل على ما قاله فهو شامل لكل متصف بهذه الصفة وتطييبا لنفسه حتى يبعد عن الاسلام
فيهديه الله له حين يشاهد معجزاته صلى الله عليه وسلم ويشرق عليه من نوره ما ينشرح به
صدره ليتمكن ايمانه اي يقر به ويثبت في قلبه بحيث لا يقبل الزوال ويدخل بسببه لانه
كان رئيسا كثير الاتباع لانقيادهم له وكونه معهم كظل لا يفارقه ويراه اذا اسلم واطاع
مثله من سادات العرب والجبابرة منهم فينجذب اي ينقاد من هنا الى الاسلام لما يراه من
من اتباع غيره من الروسا ومثل هذا في قوله لاحد من الناس في وجهه شيا وذكره خلافه بعد
ذهابه على هذا الوجه يخرج فيقال انه في حق من نقل غيبته وانه لتاليف القلوب الداعي
لدخول الناس في الاسلام من غير ضرر وتعب فهو من جملة مصالح الدين ومهماته وقد كان
النبي صلى الله عليه وسلم يستالفهم اي يطلب تالف قلوبهم للاسلام ببذل اموال الله من الغنايم
العريضة اي الكثيرة جدا والعرض مقابل الطول يستعار لما ذكر كثيرا فيقال له مال وغنى عريض
ووجه الشبه ظاهر واختياره على الطول ادخل في المبالغة لانه اذا عظم عرضه علم عظمة طوله
التزاما كما لا يخفى وهذا نحو ما وقع له صلى الله عليه وسلم انه اعطى بعضهم واديا مملوا بالغنم
فاسلم واسلم قومه لما قال لهم يا قوم انه يعطي عطا من لا يخاف الفقر فكيف لا يتالفهم مع تالفهم
بالاموال العريضة بالكلمة الطيبة اللينة فانه يعلم بالطريق الاولى ويبعد عدمه جدا والاستفهام
انكاري يفيد الاستبعاد كقوله كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم وعطاياه صلى الله
عليه وسلم وكثرتها للمولفة قلوبهم لا تحصى وهو مداراة حسنة وقربة عظيمة والفرق بينها
وبين المداهنة ان المداهنة ما فيه رضي بامر غير مشروع لغرض فاسد والمداراة ما فيه لطف

بامر مشروع محمود لمصلحة محمودة **قال صفوان** بن امية بن وهب الجمحي الصحابي احد الاشراف
الفصحا الاجواد اسلم بعد حنين وتوفي سنة اثنين واربعين واخرج له اصحاب السنن وفي
الصحابة من اسمه صفوان غيره ستة عشر **لقد اعطاني** صلى الله عليه وسلم **وهو ابغض**
الخلق الي لما في قلبه من عداوته له صلى الله عليه وسلم **فما زال يعطيني** من مواهبه الجزيلة
من غير سوال **حتى صار احب الخلق الي** لما رآه من مواهبه الجزيلة واحسانه من غير امتنان
وعطف على ما كان منه في الكفر والعدوان ثم اشار الى جواب سوال تقديره انه قلت ان
قوله بئس ابن العشيرة لم يقله في وجهه والذي خالفه قاله ليولفه وهذا غيبة محرمة شرعا
فكيف صدر منه صلى الله عليه وسلم ما حرمه الله تع بقوله **وقوله** صلى الله عليه وسلم **فيه** اي في
حق عيينة بن حصن الداخل عليه بغير اذن كامر **بئس ابن العشيرة** هو في حقه **غير غيبة**
منهي عنها **بل تعريف ما علم منه** من خصاله القبيحة المذمومة **لمن لم يعلم حاله** فعرف ذلك
ليحذر حاله ويحترز منه باجتنابه ليسلم من شره **ولا يوثق بجانبه** اي بما يكون من جهته من
قول وفعل **كل الثقة** اي وثوقا كليا لما علم حمقه وجاهليته **لا سيما وقد كان مطاعا** اي
يطاع امره **متبوعا** اي له اتباع كثيرة من العرب اذا امرهم اطاعوه فيخشى من شره **ومثل هذا**
الذي صدر منه صلى الله عليه وسلم من ذمه له مع لين قوله له **اذا كان لضرورة** اقتضاها
الحال من دفع شره بلا ضرر عاجل منه للمسلمين ليتوقى دفعه **ودفع مضرة** اي ازالة ضرره
لم يكن ذلك **بغيبة** منهي عنها شرعا حتى يعترض ويقال كيف يصدر مثله منه صلى الله عليه
وسلم وهو معصوم ثم انتقل الى طريق الترقي في تبرئته مقام النبوة فقال **بل كان جائزا**
منه لتعريف حاله من غير قصد ذمه **بل واجبا** عليه صلى الله عليه وسلم ان يبين بعض
عيوب امته اذا خشي من لا يعرفهم **في بعض الاحيان** جمع حين والمراد زمان توقع
الضرر فلا يجوز تاخير بيانه عن وقت الحاجة اليه **كعادة المحدثين** اي علما الحديث
النبوي **في تجريح** الرواة بذكر عيوبهم لئلا يعمل بما رووه ككذاب او غير ثقة
او اختل عقله او دينه والجرح معروف استعير لذكر العيوب كقوله هم

ولا يلتام ما جرح اللسان •

وصار حقيقة فيه **وكعادة المزكين** بجرحهم **الشهود**
اذا سالهم الحاكم عنهم ليقبل شهادتهم ولا يجب عليهم ذكر ما يعلمون من حالهم خيرا وشرا
وسمي مزكيا واصله من تطهر برفع المعايب وتنبيه اشارة الى انه حق الانسان ان يتصف
بالخير وشاع في المعنى العام وكان هذا واجبا لما فيه من دفع الفساد عن الاحكام الشرعية
وصيانة حقوق الناس وقد استثنوا من الغيبة ما ذكروا امورا اخر في صور ستة جمعها
بعضهم في قوله هم

القدح ليس بغيبة في ستة • متظلم ومعرف ومحذر •
ولمظهر فسقا ومستفت ومن • طلب الاعانة في ازالة منكر •

فقول المص انها ليست بغيبة يجوز بقاوه على ظاهره ان قلنا هذه لا تعد غيبة شرعا
لجوازها او وجوبها فان قلنا انها ذكر المرء بما يكره في غيبته مطلقا نقيده بتقدير مضاف
اي ليست بغيبة ياثم قايلها ويمنع عليه شرعا فلا يرد عليه شي **فان قيل فما معنى**
المعضل اسم فاعل من اعضل الامر اذا اشكل واعيا وكان هذا مشكلا لما ياتي وليس المراد
بالمعضل هنا مصطلح الحديث واصل الاعضال عسر الولادة فاريد به ما ذكر ووقع في نسخة
المفصل بفاء وصاد مهملة **الوارد في حديث بريرة رضي الله عنها** الذي رواه الشيخان

وبريرة فعيلة

وبريرة فعيلة بمعنى فاعلة او مفعولة وكانت مملوكة لبعض الانصار او بني هلال
او لهما وقيل كانت لعتبة بن ابي جهل وقيل لبعض بني كاهله وكانت تخدم عايشة رضي الله
عنها قبل عتقها وتوفيت في زمن معاوية رضي الله عنه واختلف في جنس بريرة فقيل كانت
قبطية وقيل سودا او قيل حبشية سودا **من قوله صلى الله عليه وسلم** بيان للحديث المعضل
لعايشة وقد اخبرته ان موالي بريرة اي المالكين لها **ابوا بيعها** اي امتنعوا من بيعها
واختلف في المخبر له صلى الله عليه وسلم هل هو عايشة او بريرة كما وقع في روايات الحديث
الا ان يكون لهم الولا اي ولا العتاقة وهو معروف في كتب الفقه فانهم كانوا كاتبوها
فعجزت واستعانت بعايشة رضي الله عنها فقالت لها ان اراد اهلك دفعت لهم ثمنك
واعتقتك ويكون ولاوك لي فابوا ذلك وكانوا كاتبوها على تسعة اواق في كل سنة اوقية
اختلف في صحة بيع المكاتب مطلقا او اذا عجز كما بينوه **فقال صلى الله عليه وسلم لها**
اي لعايشة لما اخبرته بقولهم **اشتريها** منهم **واشترطي لهم الولا** كما ارادوا **ففعلت** اي
اشترتها بشرط ان الولا لهم اذا اعتقتها والولا عصوبة شرعية معروفة لحديث الولا لحمة
النسب **ثم قام** صلى الله عليه وسلم على منبره **خطيبا** على عادته فيما اذا اراد بيان امر
للناس **فقال** صلى الله عليه وسلم في خطبته **ما بال اقوام** اي ما شانهم وحالهم وكان عادته
صلى الله عليه وسلم انه من صدر عنه ما لا يرضاه فلم يقل ما بال فلان والاستفهام انكاري
يشترطون شروطا ليست في كتاب الله ولم يشرعها لهم من امور الجاهلية **كل شرط ليس في**
كتاب الله كشرط الولا هنا ولا في حديث نبيه صلى الله عليه وسلم الذي هو حكمه **فهو باطل** كشرط
الولا هنا لهم والشرط على اقسام جايز وممتنع ولغو وباطل وتفصيله في كتب الفقه لا حاجة لنا لتطويل
به هنا ثم بين وجه الاشكال في الحديث بقوله **والنبي صلى الله عليه وسلم قد امرها** اي
عايشة رضي الله عنها بشرايها **بالشرط لهم** اي بشرط الولا لهم اذا اعتقتها **وعليه باعوها**
اي على هذا الشرط وقع بيعهم لها **ولولاه** اي شرط الولا بضمير متصل وهو جايز والافصح انفصاله
نحو لولا انتم وبيانه في كتب النحو **ما باعوها لعايشة** لانهم ابوا البيع بدونه كما تقدم **كما**
انهم لم يبيعوها من قبل مبني على الضم اي قبل شرط الولا لهم **حتى شرطوا ذلك** اي كون
الولا لهم **ثم ابطله** صلى الله عليه وسلم **وهو** اي والحال انه صلى الله عليه وسلم **حرم الغش**
اي التلبيس واخفا ما يضر مقابل النصح **والخديعة** فقال من غشنا فليس منا ولا خلابة
اي لا خداع في المعاملة فكيف امر عايشة بقبول ما لا يجوز ولولاه ما باعوها ففيه غش
وخديعة فدفعه بقوله **فاعلم اكرمك الله** كما اكرمت مقام النبوة بتنزيهه عما لا يليق به
والجملة دعايية معترضة لدفع الاعتراض **ان النبي صلى الله عليه وسلم منزه** اي مبرا ومبعد
عما يقع في بال الجاهل بالحديث ومقام النبوة اي في فكره او قلبه وخاطره لا في لسانه وحاله
من هذا الامر الذي يتوهم انه غش وخديعة **ولاجل تبرية النبي** صلى الله عليه وسلم **عن ذلك**
الذي يتوهمه جاهل بما ذكر **ما قد انكر قوم هذه الزيادة قوله** صلى الله عليه وسلم وهو بدل
من الزيادة **اشترطي لهم الولا** اي وانكروها **اذ ليست في طرق الحديث** هذا ما ذهب اليه
الخطابي وقيل ان الشافعي ذكره في الام وانه وقع في طريق لم يتابع عليها وهو مردود وقد علمت ان
الواقع في النسخ تبرية بصيغة المصدر فانه وهو ظاهر ورواه بعضهم بتنزهه مضارع
فاعرب فاعلا له والظاهر انه من تحريف الناسخ وعدم تثبت المقابل **ومع ثباتها** وصحة روايتها

والله اعلم حلة معترضة تنبعض عليه لله تعالى نادبا هو

له

وهو الذي عليه الاكثرون ورواه الثقات من طرق متعددة صحيحة فلا وجه لانكارها لكنه اختلف في توجيهه بوجوه تاتي وحينئذ فلا اعتراض على هذا التقدير لا في ثبوت هذه الرواية هو الذي ذكره الجمهور وقالوا انه ورد من طرق صحت وما قيل انها لم ترد الا من طريق واحد لم يتابع عليه مردود كما في شروح الصحيحين والحامل عليه ما ذكر من الاشكال وهو مدفوع بوجوه منها ما اشار اليه بقوله اذ يقع لفظ لهم بمعنى عليهم على ان اللام بمعنى على في كلام العرب كثير والشاهد عليه ما قال الله تعالى اولئك لهم اللعنة اي عليهم وقال تعالى وان اساتم فلها اي عليها كقوله ولهم سوء الدار فعلى هذا التاويل بحمل اللام بمعنى على كما في الايتين يكون معنى الحديث فاشترطي عليهم الولاء لك يا عائشة فان الولاء لمن اعتق لا لمن باع ويكون على هذا التقدير قيام النبي صلى الله عليه وسلم على منبره ووعظه بقوله ما بال اقوام الخ انكارا وزجرا لما سلف منهم اي لما تقدم من مواليها من شرط الولاء على بريرة بنت صفوان قبل ذلك اي قبل وعظه تاديبا لهم وارشادا لمن خالف كتاب الله وسنته وهذا التوجيه منقول عن المزني واسنده البيهقي الى الشافعي رضي الله عنه وجزم به الخطابي وصححه وانكره غيره وقال النووي انه ضعيف لانه صلى الله عليه وسلم انكر اشتراطهم ولو كانت اللام بمعنى على لم ينكره وكون انكاره لارادتهم لا لاشتراطهم او لاباه سياق الحديث وقال ابن دقيق العيد رحمه الله اللام تدل على اختصاص امر ما ضارا كان او نافعا كما نقول العقاب للمذنبين ولا حاجة لحملها بمعنى على حيث لا لبس وعلى كل حال فضعف هذا الجواب ظاهر ووجه ثان عما استشكلوه في هذا الحديث بعد ثبوت روايته هكذا ان قوله صلى الله عليه وسلم في هذه الرواية لعائشة اشترطي لهم الولاء ليس صادرا منه صلى الله عليه وسلم على معنى الامر فان صيغة الامر ترد لمعان كثيرة نحو قوله كن فيكون كما بين في الاصول وان كان حقيقته المتبادرة منه الامر الطلبي ثم استدرك ببيان المراد به على هذا فقال لكن انما ورد منه امر اشترطي على معنى التسوية اي لتسوية الاشتراط وعدمه واصله اشترطي ولا تشترطي كما ياتي وهذا المعنى يرجع الى الاباحة والتسوية من معاني الامر وقد يضاف للامر ايضا وجمع بينهما بانه يفهم من قرينة السياق فتصح نسبته لكل منهما ويؤيد هذا وان قيل انه ضعيف جدا انه ورد في بعض طرقه اشترطي او لا تشترطي فانما الولاء لمن اعتق ولما كان هذا يتوقف على ان الموالي كانوا يعلمون ان هذا الشرط شرعا غير معتبر اشار الى ذلك بقوله والاعلام بالجر عطف على التسوية بان شرطهم اي شرط الولاء للموالي المذكورين لا ينفعهم ولا يفيدهم شيئا منه لعدم ورود ما يجوزه بعد بيان النبي صلى الله عليه وسلم قبل مبني على الضم اي قبل وقوع هذه القصة ان الولاء انما هو لمن اعتق فكانه صلى الله عليه وسلم على هذا التقدير قال لها اي لعائشة اشترطي او لا تشترطي فالاشتراط وعدمه سواء ويؤيده انه روي هكذا كما مر وانما استوى هو وعدمه فانه شرط غير نافع لانه لغو لا يفيدهم انتقال الولاء لهم والى هذا التوجيه ذهب الداودي وهو الامام ابو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر داود المعروف بالداودي كما تقدم في ترجمته وغيره من العلماء وتوبيخ النبي صلى الله عليه وسلم لهم اي تعييرهم بتقبيح فعلهم على منبره وتقريعهم بلومهم بين الناس على ذلك اي على امتناعهم بدون اشتراط الولاء لهم يدل على علمهم به اي بعدم نفع اشتراطهم قبل هذا اي قبل ما قاله صلى الله عليه وسلم لهم لانهم يكونون قبل ورود نهيه لهم غير مستحقين للتقريع والتوبيخ فسقط ما قيل انه مخالف للظاهر متوقف على ثبوت علمهم

بهذا الحكم قبل خطبته صلى الله عليه وسلم الوجه الثالث في الجواب عن هذا الاشكال ان معنى قوله اشترطي لهم الولاء خبر ان مقدر تقديره صحيح ونحوه اذ لا يصح اقتران الخبر بالفاء في قوله اي اظهري لهم حكمه من انه لمن اعتق لا يتخطاه لغيره وان شرطه له وبيني عندهم سنته اي طريقته وما شرعه فيه والمعنى اللغوي لا تقابل الفرض ان الولاء انما هو لمن اعتق بفتح الهمزة والتشديد بدل من قوله سنته ثم بعد هذا الذي ذكره من علمهم فايدة الشرط قام هو صلى الله عليه وسلم في خطبته مبينا ذلك الحكم وموبخا لهم على مخالفة ما تقدم منه صلى الله عليه وسلم من ان هذا الشرط لا يجدي نفعا وفيه اشارة لما قدمه من ان لهم علما بهذا الحكم قبل خطبته فيه اي في الولاء او في امر بريرة ولا يخفى ما في هذا الوجه من الاغلاق فان اراد ان اشترطي ليس على ظاهره وانما هو مجاز عن معنى اظهري لهم حكم الاشتراط وبيني لهم حكم الله فيه وطريق النبي صلى الله عليه وسلم وشريعته في انه انما هو لمن اعتق فوجه المجاز فيه وعلاقته غير بينة وقد قيل في بيانه ان هذا الامر للتهديد لهم كقوله اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله لانه سبق بيانه وكان امرا معلوما لهم ولغيرهم فطلبهم له بعد ذلك امر منكر مستحق للتوبيخ وقال الشافعي في الام انهم لما عصوا الله باشتراط ما قضى بخلافه امرها ان تشترطه لهم بحسب الظاهر حتى يزجرهم ويردعهم لان توبيخ من ارتكب المعصية بعد ارتكابه اقوى من زجره قبله واعظم في النهي عنه فقال لها اشترطيه ليتاتى ردعه وقال بعضهم هذا الامر للترك المخالفة والنزاع فالامر مجاز عن التخلية بينهم وبين ما ارادوا واظهار العدم امتثالهم للنهي السابق وهو ابلغ زجرا لا اباحة وهذا ما قرره المفسرون في قوله تعالى وما هم بضارين به من احد الا باذن الله فعبر عن التخلية بينهم وبين الاضرار مجازا وقال النووي انه حكم خاص بعائشة رضي الله عنها وفيه نظر لانه استطرد بعض ما وقع لغيره صلى الله عليه وسلم من الانبيا مخالفا لما قرر من براءتهم عما تقدم فقال فان قيل فما معنى فعل يوسف بن يعقوب نبي الله عليه الصلاة والسلام باخيه شقيقه بنيامين اذ جعل السقاية هي اناء من فضة او ذهب مرصع او زبرجد وفيه اقوال اخر كان يشرب بها ولانه ثم جعل صاعا يكال به ولها قيمة عظيمة فدسها يوسف او امر باخفائها بين امتعة اخيه لياخذه وكان من شرعهم اخذ من سرق والرحل رحل البعير وامتعة المسافر التي تحمل واخذه اي اخذ اخاه باسم سرقته اي بسبب نسبته لسرقة الصاع وفي اسم اشارة الى انها تهمة لا اصل لها كما يقولون ما لفلان من الامر الا اسمه وما جرى على اخوته في ذلك اي ما كان بينهم في تلك القصة كما بينه المفسرون والمورخون وقوله اي يوسف صلى الله عليه وسلم انكم لسارقون ولم يسرقوا فكيف يقول ما لا اصل له وهو نبي معصوم فعنه اشكال يشبه ما في قصة بريرة فاعلم علما يزيل عنك الشبه اكرمك الله بما من به الله عليك من العلم ان الاية التي في قصة يوسف تدل بظاهر النظم على ان فعل يوسف مع اخوته كان عن امر الله تعالى له بوحي يقول فيه قل لهم كذا وافعل معهم كذا فلا يرد عليه اعتراض لانه بامر الله وحكمه لقوله تعالى كذلك كدنا ليوسف ما كان لياخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله الاية فاذا كان كذلك اي ما فعله بامر الله وتعليمه واذنه له فيه فلا اعتراض به عليه فيما قاله وفعله به وبما وقع من تكلمه بخلاف الواقع لانه يجب عليه امتثال ما امر به ولو كان ما امر به مخالفا لشريعته فانه لا يسال عما يفعل وقد يامر بعض انبيائه ان يحكم بالباطن لحكمة كما في قصة الخضر عليه الصلاة والسلام وبه استدل من ذهب

من الايمة الي جواز الحيل كابي حنيفة واصحابه خلافا للشافعي فان لهم فيها خلافا والمعنى
كدنا ليوسف علمناه ما يكيد به اخوته حتى يأخذ اخاه منهم والكيد قريب من المكر وهو اظهار
ما يخالف الباطن للتحيل على امر يريده وفي دين الملك يعني طاعته بابقائه بمصر او ما كان
من دينه ان ياخذ من سرق وقوله الا ان يشاء الله يدل على ان فعله باراداته ورضاه ولهذا سقطت
الشبهة المذكورة وان كان فيه ما فيه اي وان وقع فيه ما ذكر مما يخالف ظاهره الواقع ويقتضي
الخديعة بما يليق بمقام النبوة وايضا مما يجاب به عن هذه الشبهة فان يوسف كان اعلم
اخاه بنيامين حين اخذه من اخوته بكيده وتدبيره فقال له سرا وهم لا يعلمون اني انا
اخوك فلا تبتئس اي لا تحزن فيكون عندك يوسف وشدة حين اسند لك السرقة واخذك
عندي وامره ان لا يعلمهم بما قال له فرضي وقال اذن لا افارقك بما كانوا يعملون مما يقولون
ويخافون وكان ما جرى عليه اي على اخي يوسف بعد هذا اي بعد اعلامه بما ذكر من وفقه
بها وفاقا اي من اتفاق جرى بينهما سرا ورغبته في الاقامة معه وانه لا عقوق فيه لابيه
وعلى يقين من عقبي الخير له به اي لتيقنه ان هذه القصة يعقبها خير لهم ولابيهم باجتماع
شملهم ويعفو عما سلف منهم عاجلا وازاحة اي ازالة السوء والمضرة عنهم اي عن اخيه بذلك
اي بما علمه مما سيكون بعد رغبته في اقامته عنده وان لم يعلم اخوته به واما قوله عز وجل
في حكاية القصة ايتها العير اي اصحاب هذه الدواب والابل الحاملة لكم من عمار يعني ذهب
وجاء انكم لسارقون للصاع وهم لم يسرقوا حقيقة فهو افتراء غير لايق فليس من قول يوسف
عليه الصلاة والسلام وانما قاله غيره ممن لم يقف على حقيقة الحال فيلزم هو مرتب على النفي
فهو منفي ايضا اي فلا يلزمه عليه جواب لحل شبهة ترد عليه لانه كذب حقيقة وقوله لحل
بلام جارة وفي نسخة بالباء وفي اخرى مضارع والكل صحيح متقارب معنى الا انه قد يقال عليه
انه محتاج للجواب عن اقرار يوسف قايله على امر قبيح والاقرار على القبيح قبيح كفعله فان لم
يسمعه لم يصح ايضا ولعل قايله غير يوسف ان يحسن ببنا المجهول من التحسين له التاويل
اي تاويل اسناد السرقة لهم كاينا من كان غير يوسف لعدم عصمته ونزاهته ظن على صورة
الحال ذلك اي رأى ظاهر حالهم كحال السارق لوجود ما التمس لهم بين امتعتهم فظن سرقتهم
له وان جاز ان يكون غفلة وسهوا او وضعه فيه غيرهم وقد قيل في الجواب ان كان القايل
يوسف فهو قال ذلك نظرا لفعلهم قبل هذه الحال الواقعة بيوسف وبيعهم له من السيارة
فانه في معنى السرقة وهذا بنا على انهم باعوه بانفسهم لا من اخرجه من البير ولانهم لم يسرقوه
وانما ذهبوا به باذن ابيهم ولم يبيعوه وانما القوه في الجب لكنهم في فعلهم هذا وما كان سببا له
كمن سرق حرا وباعه فلا يرد عليه اعتراض بما ذكر ولا يلزم لنا ان نقول بضم النون المتكلم
مع غيره وفتح القاف وتشديد الواو المكسورة وفاعله غير مستتر ومفعوله الانبيا ما اي
يسند لهم قوله لم يات اي لم يرو وهو غير لايق بمقامهم انهم قالوه ثم انه يجوز ان يكون القايل
غيرهم كما ذكره آنفا حتى يطلب الخلاص منه بتاويله وصرفه عن ظاهره ولا يلزم احدا من
العلما الاعتذار عن زلات غيرهم اي عن الانبيا عليهم الصلاة والسلام لعدم عصمتهم
وجواز صدور مثله منهم والله تعالى اعلم

فصل

في بيان حكمة ابتلاء بعض الانبيا بالامراض ذكره بعدما قرر عصمتهم ونزاهة ذواتهم وصفاتهم

وافق لهم وانفع لهم من كل نقص لانه ربما يتوهم جاهل ان الابتلا بمثله غير لايق بهم ايضا فقال
فان قيل مقوله مقدر تقديره هم معصومون عن النقايص فما الحكمة جواب الشرط في اجرا
الله الامراض والاسقام المولمة لابدانهم اللطيفة وشدتها عليه صلى الله عليه وسلم
وعلى غيره من الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وكانت امراضه اشد من غيره وسيل
عنه فقال انا كذلك يشدد علينا ويضاعف لنا الاجر وهو حديث صحيح رواه ابن ماجة ويأتي
عن عايشة رضي الله عنها ما رايت احدا كان اشد عليه الوجع من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وايضا بدنه الشريف الطف من غيره واللطيف يتاثر اكثر من تاثر الكثيف وما الوجه فيما ابتلا هم
الله اي الانبيا به من البلا بيان للضمير والوجه يكون بمعنى السبب الذي يوجه به يقال
ما وجهه اي ما حكمته وسببه وامتحانهم بما امتحنوا به اي معاملتهم معاملة المختبر ليظهر
صبرهم ورضاهم والمراد بالمحن غير الامراض من المصايب كما سيأتي كايوب اذ ابتلاه بمرض شديد
ويعقوب في حزنه وشدة بكايه حتى ضعف بصره ويحيى هذا مثال المحن لقتله وزكريا
ابتلي بالقتل ايضا وعيسى ابتلاه باليهود وكيدهم وابراهيم ابتلي بالقاء نمرود له بالنار
ويوسف ابتلي بفراق ابيه والقايه في السجن والجب ودانيال ويقال دانال ايضا وهو
اسم اعجمي غير مصروف بدال مهملة وما في بعض من انه يجوز اعجامها لا اصل له وقيل معناه
الحكم لله وهو نبي غير مرسل كان في زمن بخت نصر وكان من اعز الناس عنده فوشوا به
له فالقاه واصحابه في الاخدود وهذا ما ابتلي به وقصصهم مفصلة يطول ذكرها وغيرهم
من الانبيا كنوح وغيره ممن ذكره الله في القرآن وبينه المفسرون وهم خيرته من خلقه حال
مبينة لوجه ورود السوال والخيرة المختار المجتبى بسكون اليا وقد تحرك والاول اسم والثاني
مصدر وقيل الوجهان فيهما وقيل بالعكس والاول هو المعروف واحباؤه واصفياؤه اي
الذين يحبهم ويحبونه وهم الذين اصطفاهم الله واختارهم لرسالته وقربه هم فاعلم
وفقنا الله واياك للوقوف على الحكمة في افعاله ان افعال الله تعالى كلها عدل فلا يظلم
احدا من خلقه وان كان لا يجب عليه شي وله ان يعذب كل من اراد لانه ملكه يتصرف فيه كما يشا
كما فصل في علم الكلام وكلماته اي اخباره ووعده صدق اي صادقة كلها لا مبدل لكلماته
اي لا يمكن احدا ان يغير شيا مما اخبر به وهذا اقتباس من قوله تعالى وتمت كلمات ربك صدقا
وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم فله ان يبتلي عباده كما قال عز وجل لهم ثم جعلناكم
خلايف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون اي ليظهر للناس عملكم فيعلموا استحقاقكم
لما انعم به عليكم ويجازيكم عليه اعظم جزاء وقال لهم ايضا الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم
ايكم احسن عملا اي اودع فيكم اذ احياكم العقل والاحساس الذي صح به تكليف الاحكام
وان يعاملكم معاملة المختبر فيجازيكم بما تستحقونه ولتضمن نبلو بمعنى نختبر العلم
علق عن جملة ايكم الخ او فيه تقدير يعلم كما فصله المفسرون وفيه كلام مشهور في المغني
وحواشي الكشاف وقال لهم ايضا ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا
منكم بنفي العلم والمراد نفي المعلوم الذي هو الجهاد ولما نافية جازمة بمعنى لم مع زيادة
توقع المنفي في الماضي فيما يستقبل ويعلم الصابرين منصوب بان مقدرة وقرئ بالرفع
وقال لهم ايضا ولنبلونكم بالجهاد والتكاليف حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين
على هذه المشاق ونبلو اخباركم اي ما يخبر به من اعمالكم واحوالكم ساق المصنف هذه الايات

لبيان حكمة الابتلاء وقوله لنعلم ولننظر وما في معناه مع تقدم علمه القديم وافعاله
تع لا تعلل بالاغراض عند بعضهم لبيان ما تعلق به علمه وانه يحكم بترتب عليه كالاغراض
الباعثة على الافعال والايات دالة على انه تع يبتلي بعض عباده ليظهر صبره فيجازيهم
اعظم جزاء ففيه تسلية لهم وحث على الرضى بما قدره لهم فامتحانه عز وجل لهم اي لانبيائه
عليهم الصلاة والسلام المذكور في هذه الايات لضروب وانواع من المحن والمصائب
التي ابتلاهم بها زيادة بالنصب مفعول لاجله في مكانتهم اي منزلتهم العالية بالشرف وعنده
وكذا قوله ورفعة في درجاتهم اي مراتبهم العالية حسا ومعنى ولاجل ان يكون اسبابا
لاستخراج اي لاظهار حالات الصبر المذكورة في طباعهم من القوة الى الفعل حتى يعلمه الناس
وفي نسخة رفع اسباب وما عطف عليه على انه خبر مبتدا مقدر اي وهي اسباب الخ والرضا
في السراء والضراء بما قدره الله والشكر على كل حال لما يترتب عليه من الثواب الجزيل
والتسليم بقبول كل ما فعل والتوكل على الله تع بالتفويض بجعل امرهم مفوضا اليه والدعا
والتضرع منهم اي اظهار التذلل والخضوع لله في كل حال وتاكيدا بالنصب والرفع وفي
نسخة توكيدا وهي لغة فيه لبصايرهم جمع بصيرة وهي القوة المدركة للمعاني كالباصرة
في المحسوسات فهم على بصيرة فيما ذكر ولكن الابتلاء لهم بما ذكر مقو وموكد ومبين لبصايرهم
في رحمة الممتحنين اسم مفعول وهم من حلت بهم المحن والبلايا عنهم والشفقة على المبتلين
بكسر اللام جمع مبتلى اسم مفعول وهو من حلت به مثل بليتهم فانه لا يعرف الخطب الا من يقاسيه
وتذكرة لغيرهم وموعظة لسواهم اذ السعيد من بغيره اتعظ فانهم مع جلالة قدرهم
اذا لم يسلموا منه فكيف غيرهم ممن هو دونهم ليتاسوا اي يقتدوا بهم ويكون لهم اسوة في
البلاء الذي نزل بهم ويتسلوا اي يكون لهم سلوة تذهب حزنهم في المحن والمصايب
بما جرى عليهم ووقع بهم ويقتدوا بهم في الصبر على ما اصابهم فيقولون اذا كان
انبياء الله واحباؤه ابتلوا بمثل هذا فما بالنا نحن ومن جملة الحكم في ابتلائهم محو الهنات
وهي الهفوة اليسيرة ويكنى بها عن القبايح كهن وبابي ما في هذه اللفظة والمعنى انها كفارة
للصغاير وما يصدر عنهم سهوا او مما يعد سيئات بالنسبة لهم اذا فرطت منهم اي وقعت
لسبب تفريط يسير منهم تطهيرا لهم ورفعا لهم عن مثلها واذا كانت جائزة او غفلات
بفتحات جمع غفلة وغفلتهم لاشتغال قلوبهم بامور امتهم سلفت لهم وتقدمت منهم
وقد تغيرت ليلقوا الله بعد ابتلائهم وجعل مصايبهم مكفرة لما صدر عنهم طيبين مبرين
من خبايث الذنوب ودنسها مهذبين اي مخلصين مما يشينهم من التهذيب واصله
تنقية الاشجار بقطع الاطراف التي تزيد بها نموا وليكون اجرهم اعظم عند الله واكمل فان
ما يصيب المومن حتى الشوكة يوجر عليه وثوابهم اوفر اي اكثر واجزل اي اعظم قدرا
كما وكيفا والاجر والثواب بمعنى وقد يفرق بينهما بان الاجر ما كان في مقابلة العمل كالاجرة
والثواب ما كان تفضلا واحسانا من الله ويستعمل كل منهما بمعنى الاخر ثم ان المص رحمه الله
استشهد على كونه صلى الله عليه وسلم اشد الناس بلاء بحديث رواه الترمذي والنساي
وابن ماجه والحاكم فقال حدثنا القاضي ابو علي الحافظ هو شيخه ابن سكرة كما تقدم
قال حدثنا وفي نسخة اخبرنا ابو الحسين مصغرا وما في بعض النسخ مكبرا غير صواب
الصيرفي وقد تقدمت ترجمته وابو الفضل بن خيرون تقدم ايضا قالا حدثنا ابو

يبتلي البغدادي

يعلى البغدادي المعروف بزوج الحرة كما تقدم قال حدثنا ابو علي السنجي تقدم مع
بيان نسبته قال حدثنا محمد بن محبوب راوي سنن الترمذي كما تقدم قال حدثنا
ابو عيسى الترمذي صاحب السنن المشهورة قال حدثنا قتيبة بن سعيد كما تقدم قال
حدثنا حماد بن زيد تقدم وفي بعض نسخ الترمذي شريك بدل حماد عن عاصم بن بهدلة
هو عاصم بن ابي النجود بن بهدلة مولى بني اسد احد القراء السبعة قال الذهبي هو ثقة في
الحديث والقراءات توفي سنة ثمان وعشرين ومائة وله ترجمة في الميزان وبهدلة اسم
امه فيرسم بالف ومعناه الخفة واسراع المشي وعوام مصر يستعملونه بمعنى الاهانة فكانه
مجاز للزومه للخفة قيل وكل عاصم في المحدثين ردي الحفظ هذا استقراء من الذهبي عن
ابن القطان عن مصعب بن سعد عن ابيه هو سعد بن ابي وقاص مالك بن اهيب احد
العشرة المبشرة وهو ثقة نزل الكوفة وتوفي سنة ثلاث عشرة ومائة واخرج له الستة قال
سعد قلت يا رسول الله اي الناس اشد بلاء بالامراض وغيرها قال الانبياء عليهم
الصلاة والسلام اشد الناس بلاء ثم يليهم في شدة البلاء الامثل فالامثل الفاء للترتيب
في الشدة والامثلية بمعنى الافضلية يقال هو امثل بني فلان واماثل القوم رؤساؤهم
من المثالة وهي الفضيلة قال العباس

ابلغ لعيد بني شهاب كلهم • وذوي المثالة من بني عتاب

وقال الراغب الامثل يعبر به عن الاشبه بالافاضل والاقرب الى الخير واماثل القوم
خيارهم قال تع اذ يقول امثلهم طريقة وطريقة مثل حسنة يبتلى الرجل على حسب دينه
الدين هنا بمعنى الطاعة اي بقدر طاعته وتقواه قوة وضعفا تكون بليته فالاتقى اشد
واكثر بلاء فما يبرح البلاء اي لا يزال نازلا بالعبد المومن حتى يتركه يمشي على الارض
هو كناية عن وجوده او صحته اي تصيره كذلك فان ترك يكون بمعناه كتركه جزر السباع
وهو حقيقة او مجاز من تركه بمعنى ابقاه كذلك وما عليه خطيئة ظاهره ان تغيير
الامراض والمصايب تكفر السيئات وانها تكفر الصغاير والكباير لاطلاق هذا الحديث
وما جا في معناه وقيل انما تكفر الصغاير ونفسها لا تكفر وانما يكفر الصبر عليها واحتسابها
واليه ذهب ابن عبد السلام وسياتي بيانه وكما قال الله تعالى مما يدل على ما دل عليه
الحديث وكاين من نبي قتل معه ربيون كثير الايات يعني فما وهنوا لما اصابهم في
سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم الا ان قالوا
ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين
فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة والله يحب المحسنين وفي هذه الايات ما يدل
على ابتلاء الانبياء وصبرهم وكثرة ثوابهم عليه وكاين بمعنى كم كما بينه النحاة ومن نبي
تمييز والربيون جمع ربي منسوب الى الرب وفيه تغيير كتغييرات النسب وواحده ربي
بكسر الراء وقيل انه نسب للربة بمعنى الجماعة الكثيرة ويجوز اسناد قتل النبي وقال الحسن
البصري وابن جبير لم يقتل نبي في حرب اصلا ووهنوا بمعنى فتروا واستكانوا بمعنى ضعفوا
واصله استكنوا او استكونوا من الكون وهذا تعريض لما اصابهم من الارجاف بقتل النبي
صلى الله عليه وسلم باحد وانه لو كان مثل ما وقع لغيرهم وانهم مع شدة جهادهم وصبرهم
يدعون بمغفرة ربهم وان لم يصدر منهم ذنب تواضعا وخشية وعن ابي هريرة رضي الله عنه

في حديث رواه الترمذي وصححه ما يزال البلاء واقعا بالمؤمن في نفسه وولده وماله
حتى يلقى الله اذا مات وما عليه خطيئة لان ما اصابه يكفر سيئاته كبيرة كانت او صغيرة
كما تقدم وعن انس عنه صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي ايضا وحسنه م
واسناد هذا للنبي صلى الله عليه وسلم يشعر بان ما قبله موقوف الا ان له حكم الرفع لان
مثله لا يقال بالرأي اذا اراد الله بعبده الخير في آخرته عجل له العقوبة في الدنيا
بما يبتليه به فيها مما يمحو به عنه الذنوب واذا اراد بعبده الشر في عقباه امسك عنه
مصائب الدنيا استدراجا له فلا يعاقبه ويبتليه بل يتركه بذنبه والبا للملابسة ومتعلق
امسك فقد رأى البلا بان يرفعه عنه حتى يوافي ربه ويلقاه به اي بذنبه يوم القيمة
فيجازيه عليه ان لم يرد العفو عنه ويوافي بفاء مكسورة مبني للفاعل ومن فتحها وبناه للمجهول
فقد تعسف وفي حديث آخر رواه الديلمي عن ابي هريرة اذا احب الله عبدا ابتلاه ليسمع
تضرعه اي دعاه متذللا له لمحبته لكلامه ومراجعته والتضرع بمعنى الدعا وورد كثيرا وبه
فسر لانه لازم فمن فسره بالتذلل والخضوع وفسر يسمع بمعنى يعلم لانه غير مسموع لم يصب
وحكى السمرقندي ان كل ما كان اكرم على الله واحب اليه كان بلاؤه في الدنيا اشد
واقوى من بلاء غيره فيها كي يتبين فضله في الاخرة او في الدنيا لمن لم يصبره ويستوجب
الثواب اي يستحقه تفضلا من الله لوعده به كما روي عن لقمان انه قال لابنه اذ وصاه
يا بني الذهب والفضة يختبران ببناء المجهول اي يعلم خلوصهما وعدمه اذا اذيبا بالنار
علم هل فيهما خبث ام لا والمؤمن يختبر ايمانه وقوته بالبلا اي باصابته وصبره عليه
وتضجره منه وقد حكى ان ابتلا يعقوب بمفارقة يوسف وحزنه عليه كان سببه
التفاته اليه اي الى يوسف في صلاته ويوسف نائم عنده والتفاته محبة له
منصوب اي لاجل محبته له فلما قطع التوجه لله قطعه الله عنه بعقوبته وهذا رواه القرطبي
في تفسيره غير مسند وقيل بل سببه ان يعقوب اجتمع يوما هو وابنه يوسف على اكل
حمل بفتح الحا المهملة والميم وهو الصغير من الضان لسنة او اقل مشوي وهما يضحكان
جملة حالية وكان لهم جار صغير يتيم فشم ريحه اي رائحة الحمل المشوي واشتهاه
اي احب الاكل منه وبكى على عادة الاطفال اذا ارادوا ما ليس عندهم وبكت جدة له عجوز
رحمة لبكائه وبينهما اي بين يعقوب واليتيم جدار حائل بينهما ولا علم عند يعقوب
وابنه يوسف عليهما الصلاة والسلام للحائل المانع عنه فعوقب يعقوب بسبب بكا
اليتيم والعجوز بالبكاء اسفا تاسفا وحزنا على يوسف لفقده الى ان سالت وخرجت
حدقتاه والحدقة سواد العين وبياضه وابيضت عيناه من الحزن فلما علم يعقوب
ببكا اليتيم وجدته كان بقية حياته منصوب على الظرفية اي عمره كله بعد ذلك
يامر مناديا ينادي باعلى صوته على سطحه والسطح اعلى المكان المرتفع يصل الى بعيد
منه ويقول في ندائه الا من كان من الناس كلهم مفطرا غير صائم فليتغد بدال مهملة
مشددة من الغدا وروي بمعجمة ايضا عند آل يعقوب اي اهل بيته وآل مقحم اي
عنده وفي هذا الخبر ومن كان صائما فليفطر عندهم وعوقب يوسف بالمحنة اي البلية
التي قص الله علينا في القرآن من السجن وغيره وحكى هذا عن المصنف الدميري رحمه الله في
حياة الحيوان وقال لا ينبغي ان ذكره فانه لا صحة له وان رواه الطبراني عن انس عن شيخه

ابن جهم

ابن جهم الباهلي وهو ضعيف الرواية جدا ورواه البيهقي في الشعب ومما يدل على
عدم صحته ان قوله سالت حدقتاه لا اصل له وانه مع قوله لا علم لهما كيف يصح ان يعاقبا
على ما لم يعلما كما ان قوله ابيضت عيناه بعد قوله سالت حدقتاه كلام متناقض وجعله تفسيرا
للسائل تعسف بارد والصحيح انه لم يعم فان العمى لا يجوز على الانبيا وفي الشرح الجديد
هنا كلام طويل بغير طايل وروي عن الليث بن سعد الامام المتقدم ان سبب بلاء ايوب عليه
الصلاة والسلام انه دخل مع اهل قريته على ملكهم فكلموه في ظلمه اي بسببه واغلظوا
عليه لشدة لومهم له موعظة الا ايوب عليه الصلاة والسلام فانه لم يغلظ عليه كانه رفق
به اي كلمه برفق ولين رجاء ان يتم كلامه لتنجيزه كما قال ثم لموسى عليه الصلاة والسلام فقولا
له قولا لينا الخ مخافة على زرعه الذي في مملكته فعاقبه الله ببلائه الذي ابتلاه به من الا مراض
وهذا لا ينبغي ان يقال في حق الانبيا عليهم الصلاة والسلام فالبت المصنف تركه ومحنة سليمان
عليه الصلاة والسلام لما ذكرناه فيما مر والمحنة كالمصيبة كما تقدم من نيته من كون
الحق في جنبة اصهاره بفتح الجيم والنون وبسكونها ايضا وموحدة بمعنى الجانب والناحية
وفي نسخة جهة وفي اخرى جند بنقطة فوق وهو تحريف من الناسخ كما في المقتفى قال
الراغب الصهر الختن واهل بيت المراة يقال لهم اصهار قال الخليل ومن العرب من يجعلهم اختانا كا
لعمل بالمعصية في داره ولا علم عنده بما صدر منهم من المعاصي بما افترته اليهود من انه
عليه الصلاة والسلام قتل ملكا له بنت جميلة تسمى جرادة فكانت عنده واسلمت ثم كانت
تبكي على ابيها فامر الشياطين ان يمثلوا لها صورة ابيها ففعلوا فكسته واعدت له بيتا فكانت
تذهب اليه وتسجد لصورته وهو لا يعلم واستمر ذلك مدة اربعين يوما فسلبه الله ملكه وابتلاه
بما ابتلاه به وهو ما اشار اليه بالجواب الثاني وقوله من كون الحق الخ جواب آخر وهو ان جرادة
بنت صيدون الملك التي تزوجها سليمان واحبها تخاصم عنده ناس مع آخرين من اقارب امراته
فحكم بالحق لغيرهم وتمنى ان يكون الحق لهم وهو وان لم يكن حراما في شرعنا وغيره لكنه بالنسبة
لمقامه يعد ذنبا وفي كتب القصص اسباب اخر لا ينبغي ذكرها وهذه الامور المذكورة التي
ابتليت بها الانبيا عليهم الصلاة والسلام ليزداد ثوابهم وغيره تمامه فائدة شدة الوجع
والمرض النازل بالنبي صلى الله عليه وسلم فكان يوعك كما يوعك الرجلان كما قالت عائشة
في حديث رواه الشيخان عنها ما رايت الوجع في الامراض على احد من الناس اشد منه على
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تقدم من حكمته وعن عبد الله اي ابن مسعود رضي الله عنه
لا ابن عمر رضي الله عنهما كما قيل رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي كان يعرض
له الى الموت كما في نسخة وهو اي والحال انه يوعك بضم اوله وفتح عينه المهملة المخففة
وعكا بفتح العين وسكونها شديدا اي اشد مما من غيره اذا اصابه مثله فقلت له يا رسول الله
انك لتوعك وعكا شديدا قال اجل بمعنى نعم فهو جواب له اني اوعك كما يوعك
اي احم كما يحم رجلان منكم ايها المسلمون او الصحابة او الناس قال عبد الله ابن مسعود
قلت ذلك اي شدة وجعك وكونه كوجع رجلين ان بفتح فتشديد اي لان لك اجرك وفي
نسخة الاجر مرتين اي ليضاعف لك الثواب قال اجل نعم ذلك كذلك اي هو كما قلت امر محقق
وحمده وحكمته كما مر واصل معنى الوعك الحر الشديد ويراد به الحمى والمها وحرارتها وقد يراد
به المرض الخفيف والمراد الاول هنا وما ذكرناه في ما مر من نزول الملكين انه صلى الله عليه وسلم

لو وزن باهل الارض رجح عليهم كما توهم لان ذلك في الفضل والكمال وهذا في العلة والمرض
فخروج زيادة الله عن الحد غير مناسب فلا حاجة لما ارتكبه في الجواب عنه من التعسف الذي لا داعي
له **وفي حديث** رواه ابن ماجة والحاكم **عن ابي سعيد** بن مالك بن سنان الخدري وقد تقدم **ان
رجلا وضع يده على جسد النبي صلى الله عليه وسلم** كما يفعله العواد ليعلموا حرارة جسده اشديدة
هي ام لا **فقال والله ما اطيق** اي ما اقدر ولا استطيع مبالغة في شدة حرارته **اضع يدي
عليك** وامس جسدك **من شدة حماك** اي حرارتها ويقال حمى وحمة والافصح الاول **فقال
له صلى الله عليه وسلم انا معشر الانبيا** بنصب معشر على الاختصاص والمدح كما بينه النحاة في
بابه **يضاعف لنا البلا** اي يزاد وضعف الشي مثله او مثلاه على كلام فيه في كتب اللغة
إن كان النبي من الانبيا المتقدمين بكسر الهمزة من ان المخففة من الثقيلة بشهادة اللام في خبرها
في قوله **ليبتلى** واسمها ضمير شان مقدر **بالقمل** بفتح فسكون او بضم فتشديد وهو معروف
حتى يقتله اي يموت من شدة المه به وفي سنن ابن ماجة ان الرجل الذي وضع يده على جسد رسول
الله صلى الله عليه وسلم هو ابو سعيد ايضا والمصنف رحمه الله رواه من طريق آخر لم يصرح فيها
بانه فلا وجه للقول بانه سبق قلم الناسخ **وان كان النبي ليبتلى بالفقر** الشديد وهو بحسب
حالهم وانما تركهم الدنيا زهدا منهم **وان كانوا** اي الانبيا وان هذه كالتي قبلها اي عادتهم وحالتهم
ليفرحون بالبلا اي يسرون بمصايب الدنيا لا يعلمون من انها رفعة لقدرهم وزيادة لاجرهم
كما تقدم فالبلا بمعنى ما ابتلوا به في الدنيا من الامراض وغيرها **كما يفرحون** بالتحتية او بتاء
الخطاب **بالرخا** وهو سعة المعيشة وحسن الحال والمراد به مقابل البلا وذلك لشدة يقينهم
بربهم وعلمهم بما ادخر لهم في مقابلة ما نزل بهم وهذا بعده ووقوعه فلا ينافي الدعا بالعفو والعافية
المعينة لهم على الطاعة والقيام بما امروا به ولكل مقام مقال فلا تعارض بينهما فان الامور بمقاصدها
ولا ينافيه ايضا ما مر من انه صلى الله عليه وسلم كان متواصل الاحزان كما تقدم بيانه **وعن انس**
في حديث رواه الترمذي وحسنه **ان عظم الجزا** اي الثواب **مع عظم البلا** اي لا ينفك عنه هو
مضاعفته كما مر وعظم بضم العين المهملة وسكون الظا المعجمة او بكسر ففتح اي من كان بلاؤه اعظم
كان جزاؤه اعظم عند ربه **فمن رضي** بما ابتلاه به الله **فله الرضى** من الله عنه بجزيل ثوابه **ومن
سخط** اي كره قضا الله ولم يرض به **فله السخط** اي غضب الله عليه وعقابه له فاذا صبر ولم يجزع
مما اصابه رضا بقضايه كان ذلك له مثوبة واجرا فلا يتوهم انه ليس امرا اختياريا له فان ما ذكر
من الصبر وعدم الشكوى امر اختياري اما حزنه من غير جزع ولا ضجر فلا يضر كما في الحديث ان
القلب ليحزن وان العين لتدمع **وقد قال المفسرون في قوله تعالى من يعمل سوا يجز به** بما لا
وذلك **ان المسلم يجزى بمصايب الدنيا فتكون كفارة له** اي لذنوبه ان كانت وزيادة في ثوابه
غير المذنب وهذا التفسير مروي عن ابي بكر **و** قال المصنف انه **روي مثل هذا عن عايشة** وهو
الذي رواه الحاكم **وابي ومجاهد** ايضا **وقال ابو هريرة رضي الله عنه** في حديث رواه البخاري
عنه صلى الله عليه وسلم **من يرد الله به خيرا يصب منه** روي ببنا الفاعل والمفعول اي
ينزل به مكروها ومصيبة في الدنيا يثاب عليها واختلف في اي الروايتين ارجح فقال ابن
الجوزي الثاني وقال ابن حجر الاول ولكل وجهة لان الاول فيه ادب لعدم اسناد المصايب لله
والثاني فيه تسليم بجعل كل شي منه واليه وما ذكر في الاية هو احد وجهين فيها فتكون في حق
المؤمنين وثوابهم على مصايبهم كما ورد في الحديث وقيل انها في الكفار ومعناها كمعنى وهل يجازى

الا الكفور وهو مروي عن الحسن وبوتيره قوله بعدها ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا
وتتمته في كتب التفسير وشروح البخاري **وقال** صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان **في
رواية عايشة** فيه **ما من مصيبة تصيب المسلم** اي مصيبة كانت قليلة او كثيرة وفيه
التجانس المغاير اذ احدى كلمتي المادة اسم والاخرى فعل ومثله ازفة الازفة **الا يكفر الله
بها عنه** اي من ذنوبه او يزيدها في حسناته **حتى الشوكة يشاكها** في بدنه فانها مع قلتها
يكفر بها عنه تفضلا منه والمصيبة واحدة المصايب كلما يصيب الانسان من خير او شر وخصها العرف
بالثاني وقيل الاول من صوب المطر والثاني من اصابة السهم واجمعت العرب على همزة المصايب
واصله الواو وكانهم شبهوا الاصلي بالزايد ويجمع على مصاوب وهو الاصل وقوله حتى الشوكة
يجوز جرها بحتى بمعنى الى ورفعها على انها ابتدايية وجوز نصبها بمقدر اي حتى يجد الشوكة
وهو بعيد ويشاكها بضم اوله اي تدخل في جلده بنفسها او بادخال الغير اي بشوكه غيره بها
ففيه وصل الفعل لان الاصل يشاك بها وجوز بعضهم فتح يا يشاك التحتية ونسب للجوهري
ولا وجه له لانه مضارع شاك الرجل اذا كان له شوكة وقوة وهو معنى آخر والشوكة معروفة
وهي في غاية القلة وكونها بمعنى ذات الجنب وهو غاية في شدة التعسف وروي الا حط الله
بها عنه خطيئة او كتب له بها حسنة او رفع له بها درجة • واعلم ان العز بن عبد السلام قال
ظن بعض الجهلة ان المرء يوجر على نفس المصايب وليس كذلك فان الثواب انما يكون على ما يفعله
باختياره ولا دخل له في ذلك فثوابه انما هو على صبره ورضاه بما قدره الله وعدم شكايته ورد
السخاوي بانه مخالف للنصوص من غير بيان لوجهه وقال القرافي لا يجوز ان يقال للمصاب
جعل الله ذلك كفارة لك لان الشارع جعله كفارة فطلبه تحصيل الحاصل وسوء ادب **وانا اقول**
ما قاله العز لا وجه له ولا يليق صدور مثله منه فانه نعم لا ان يثيبه ابتداء وان يجعل ما اتفق
له بغير فعله سببا لذلك ومثله من خطاب الوضع الا ترى ان من قتل قتيلا واستحق وارثه الدية
حصل له نفع دنيوي بغير فعله فضلا ايضا ما جعله الله سببا لثواب عبده المؤمن رحمة له وتحننا
عليه كما نرى بعض كرام الناس اذا آذى احدا ينعم عليه جبرا للخاطر فكيف ينكر مثله من الله
عز وجل ويزيد في ثوابه اذا صبر ورضي وفي كلام شيخ والدي ابن حجر نص الشافعي في الام
بما يصرح بان نفس المصيبة يثاب عليها لتصريحه بان كلا من المجنون والمريض المغلوب على عقله
ماجور مثاب يكفر عنه بالمرض فحكم بالاجر مع انتفاء العقل المستلزم لانتفاء الصبر وحمل
النص على مريض صبر عند ابتداء مرضه ثم استمر صبره الى زوال عقله يرده انه سوى بين المريض
والمجنون في الثواب ومثل ذلك لا يتصور في المجنون فالحمل المذكور غلط منشؤه الغفلة
عما ذكر في المجنون والحاصل ان من اصيب وصبر حصل له ثوابان التكفير لنفس المصيبة والصبر
عليها ومثله كتابة مثل ما كان يعمله من الخير وغير ذلك مما ورد في السنة وان من انتفى صبره فان
كان لعذر كجنون فهو كذلك او لنحو جزع لم يحصل له من ذينك الثوابين شي انتهى ملخصا وما
قاله القرافي ليس بشي ايضا فانه قد يقصد الدعا بما هو حاصل لزيادته او تنبيه سامعه ق
ولو قيل بمثله لم يجز الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والدعا له بالوسيلة والدرجات العالية
الرفيعة وهي محققة له وقد امرنا بالدعا بها **وقال** صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان
من رواية ابي سعيد الخدري **ما يصيب المؤمن من نصب** بفتحتين اي تعب يناله من سعيه
في بعض اموره الجارية له **ولا وصب** اي وجع او لزومه او فتور في بدنه وقد فسر بهذه في اللغة

وَلاهَمٍّ بفتح الهاء وتشديد الميم هو قريب من الغم معنى ويفرق بينهما بان الهم يكون لما لم يقع والغم على ما وقع لما مر ولا حزن بفتحتين وضم فسكون وهما من امراض الباطن ولذلك ساغ عطفهما على الوصب ولا اذى يلحقه من تعدي الغير عليه ولا غم واصله ما يمنع خروج النفس فاريد به ما ذكر حتى الشوكة يشاكها تقدم بيانه الا كفر الله به من خطاياه من زايدة او تبعيضية لان بعضها لا يكفر به كحقوق العباد وفي حديث ابن مسعود الذي رواه الشيخان ما من مسلم يصيبه اذى اي امر يوذيه في بدنه او نفسه الا حات الله عنه خطاياه اصله حاتت فادغم وحات وحت بمعنى ازال يقال حت بالحاء المهملة المفتوحة بعدها الف ففوقية مشددة المني من الثوب اذا فركه ليزيله والورق تحات تناثر وتساقط منه كما تحات وفي نسخة كما تحت ورق الشجر هو كناية عن اذهاب الخطايا فشبه سقوط ذنوبه بغفرها فشبهها بتناثر اوراق الشجر منها تحته وحكمة اخرى في ابتلاء الانبيا وكونهم الامم والمصايب اودعها الله اي جعلها لهم كالوديعة في الامراض المصيبة لاجسامهم دون بواطنهم وحواسهم وتعاقب الاوجاع عليها اي على اجسامهم بتكررها ومجي بعضها عقيب بعض وشدتها عليهم كما مر عند مماتهم اي يبتليهم بذلك اذا قرب موتهم لتضعف قوى نفوسهم الروحانية بكثرة اعراضهم وشدتها واذا وقع هذا فيسهل خروجها اي خروج ارواحهم ومفارقتها لابدانهم عند قبضهم اي قبض ارواحهم ووفاتهم فان ضعف البدن وقواه يعجز عن امساكها فيسهل ذلك عليهم ويخف عليهم مونة النزع اي اخراج الروح من البدن ومونة بميم مفتوحة وهمزة مضمومة قبل واو ونون وشدة السكرات يعني سكرات الموت وغمرات شدايده وما يلحق الميت من الغشي الشبيه بالسكر في غيبة الحس بتقدم المرض على الموت والاحتضار وضعف الجسم والنفس بذلك اي بسبب المذكور ولو فوجئت بشي عليه وصعب فكان اشد عليه بخلاف موت الفجاة بضم الفاء والمد وبفتحها والقصر وهو الموت بغتة من غير مرض يقال فجاه الامر يفجوه اذا اتاه على غفلة منه واخذه له دفعة من غير انتظار لاجل فهو اشد عليه لشدة قواه المانعة من تسليم الروح بسهولة ولذا كرهه بعض العلما وقال انه مذموم وفي الحديث موت الفجاة اخذة اسف اي غضب وقهر من الله كما ياتي وروي آسف بالمد اسم فاعل لكنهم قالوا انما يكره لعدم التاهب له بالوصية ونحوها فمن لم يحتج لذلك يكون في حقه رحمة وهو الصحيح لحديث موت الفجاة راحة للمومن واسف على الفاجر وبه جمع بينهما كما يشاهد من اختلاف احوال الموتى في الشدة واللين والصعوبة والسهولة عطف تفسير لما قبله فبعضهم يعسر عليه ويشتد عليه وبعضهم يسهل عليه حالة النزع فان قلت اذا كان توالي الامراض لتخفيف الموت وسكراته فكيف قال صلى الله عليه وسلم ان للموت سكرات حتى ذكروا له حكمة وكيف يكون موت الفجاة لبعض الكفرة والعصاة قلت تالمه صلى الله عليه وسلم بسكرات موته لا ينافي انها اخف من سكرات غيره وموت الفجاة وان لم يكن فيه سكرات اشد من غيره لكونه ككبة شجرة قوية كما تقرر مع ما فيه من تقدم الموت على الغضب وقد قال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن كعب بن مالك وجابر مثل المومن اي حاله وصفته العجيبة مثل خامة الزرع الخامة بخاء معجمة العود اللين الذي ليس بغليظ والقصبة الطرية وقال الخليل هي اول ما ينبت على ساق واحد والفها منقلبة عن واو ونقل عن الفراء انها بحاء مهملة وفاء وفسرها بطاقة الزرع وعند احمد

مثل المومن

مثل المومن مثل السنبلة يستقيم مرة ويخر اخرى وروي يحمر مرة ويصفر اخرى تفيئها الريح بضم التاء الفوقية وكسر الفاء تليها مثناة تحتية ساكنة ثم همزة والمشهور تشديد الياء التحتية وروي بياء تحتية في اوله اي تميلها هكذا وهكذا اي لِلينها تميل يمينا وشمالا ولا تنكسر كما قال ابن خفاجة رحمه الله

اني وان كنت هضبة جلدا • اهتز للحسن قامة غصنا
كانني غصن بانة خضل • تعطفه الريح هاهنا وهنا

وفي صحيح مسلم من رواية ابي هريرة من حيث اي من اي جانب اتتها الريح تكفؤها بفتح اوله وثالثه وسكون ثانيه وهمزة اي تصلها والمراد تميلها ايضا فاذا سكنت الريح ولم تهب تعدلت اي انتصبت لانها لم تنكسر للينها وعدم غلظها وفي نسخة اعتدلت وكذلك المومن يكفوه بضم فسكون وفتح وهمزة اي ينقلب من صحته لمرضه كثيرا ثم يبرأ فلا الامراض لا تفنيه ويهلك بالبلا من حيث اتاه ووجه الشبه ظاهر وفيه من البلاغة واللطف ما لا يخفى ومثل الكافر والفاجر العتل الغليظ كمثل الارزة لا تزال قايمة حتى تنقعر اي تنقصف من اصلها والارزة بفتح الهمزة وسكون الراء المهملة وزاي معجمة وروي بفتحها وهو شجر الارزن المعروف وقيل هو الصنوبر وقيل انه آرزة بالمد بزنة فاعلة وانكره ابو عبيدة صما اي صعبة شديدة اليبس والقوة معتدلة اي قايمة منتصبة لا تميل لغلظها ويبسها حتى يقصمها الله بقاف وصاد مهملة قبل الميم اي ياخذه بغتة من غير تقدم بلا فالقصم الكسر مع الابانة والفصم بفا بدونها وفي العقد لابن عبد ربه قالت الحكما من تعرض للسلطان ارداه ومن تطامن له تخطاه وشبهوه في ذلك بالريح العاصفة التي لا تضر ما لان من الشجر ومال معها من الحشيش وما استهدف لها من الدوح العظيم قصفته ولابي تمام

ان الرياح اذا ما اعصفت قصفت • عيدان نجد ولم يعبان بالرتم
بنات نعش ونعش لا كسوف لها • والشمس والبدر منه الدهر في الرقم

وفي كليلة ودمنة الريح لا تقلع عودا نابتا • وتقلع الدوح العظيم الثابتا

ومعناه اي هذا الحديث ان المومن مرزء بالتشديد والهمزة اي لا يزال تصيبه الرزايا وهو من رزاه الشي اذا نقصه مصاب بالبلا بالمد اي تنزل به المصايب والامراض راض بتصريفه اي بتغيير احواله وقيل بتصريف الله فيه وله وتقلبه بين اقدار الله التي قدرها عليه من صحة ومرض وغيره منطاع لذلك اي منقاد منه عن مطيع مسلم واتى بصيغة الانفعال بالنون للدلالة على انه مطاوع لين الجانب برضاه اي لين جانبه يقبل كل ما يرضاه الله كالشي اللين الذي ينطبع بكل ما يختم به كما قيل • ان المحب لمن يحب مطيع
ووقع هنا في بعض الشروح برضاه بميم بعد الراء من رمضا النار وحرارتها اي ما يصيبه من الالام بزيده لينا لكن قوله بعده يقتضي الاول وياباه واظنه من تحريف الناسخ كطاعة خافة الزرع وانقيادها للرياح عطف تفسير وتمايلها من غير ان تنكسر لهبوبها وترنحها براء وحاء مهملتين بينهما نون من ترنح السكران اذا تمايل وفيه كلام في شرح مقامات الزمخشري من حيث ما اتتها اي من اي جهة جنوبا وشمالا لالينها فاذا ازاح الله عز وجل بزاي معجمة اي ازال عن المومن رياح البلايا استعارة تفسيره لما في الحديث كانه لما شبهه بالخامة شبه ما يطرا عليه بالرياح المتواترة عليه بمثله

هنا وهنا فاعتدل اي برا من مرض ونحوه شبه صحته باعتدال الخافقة اذا سكنت الريح واليه اشار بقوله صحيحا وهو حال او تمييز كما اعتدلت خافقة الزرع عند سكون رياح الجو بفتح الجيم وتشديد الواو وهو ما بين السماء والارض من مهب الرياح واصل معناه الداخل من كل شيء ومنه الجواني مقابل البراني رجع اي المومن الى شكر ربه على ما انعم به عليه من السلامة ومعرفة نعمته اذا انعم عليه بالخلاص مما يكره ويخشى برفع بلائه عنه وغاياته عنه منتظرا رحمته له راجيا احسانه وثوابه عليه اي على ما ابتلاه ووفقه لشكره وصبره لقوله تعالى وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اوليك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واوليك هم المهتدون فاذا كان المومن بهذه السبيل اي على هذه الحالة من اصابته بالبلاء والامراض لم يصعب ويشق عليه مرض الموت اي المرض الذي كان سبب موته منه لايتلافه بالامراض المتوالية عليه ولا نزوله اي حلول الموت به ولا اشتدت عليه سكراته ونزعه اي نزع الروح منه عند الموت لضعف قوة نفسه الدافعة له وهذا لاينافي ما تقدم في حق الانبيا من انهم اشد الناس بلاء لانه في حالة اخرى وهي نزول المصايب بهم قبل حضور الموت لعادته اي اعتياده بما تقدم من الالام ومقاساتها ومعرفته ماله فيها اي المصايب التي تصيبه قبل موته من الاجر والثواب فانه لعلمه بذلك تهون عليه وتوطينه نفسه على المصايب اذا اصابته اي اطمينان نفسه لها لعلمه بانها لابد له منها فيرضى ولا ينزعج ويقلق والتوطين اتخاذ الوطن ثم تجوز به عن عدم القلق والضجر قال

ولا خير فيمن لا يوطن نفسه • على نائبات الدهر حين تنوب •

وعلى رقتها وضعفها الضمير للنفس والرقة براء مهملة وقاف مشددة المراد بها الضعف فهو عطف تفسير ويجوز عود الضمير للمصايب ايضا بتوالي المرض اي دوامه او تكراره او شدته فهذا حال المومن في حياته والكافر حاله بخلاف هذا الحال الذي اعتاده المومن فهو معافى من الامراض والبلايا في غالب حاله اي في حاله الغالب عليه واكثر اوقاته ممتع اي منتفع ومنعم بصحة جسمه لعدم ابتلائه بالامراض استدراجا له حتى يغفل عن اخرته كالارزة الصما اي العظيمة التي هي غير مجوفة فلا يزال كذلك حتى اذا اراد الله هلاكه بحضور اجله وانقراض عمره قصمه اي كسره لحينه اي لوقته الذي يحضره فيه اجله على غرة بكسر اوله وهو الغين المعجمة وراء مهملة مشددة وتاء تانيث اي على غفلة وفي الاساس لم يزل يطلب غرته حتى اصابها اي يترقب غفلته ليهجم عليه ويتمكن منه واخذه بغتة وفجاة من غير لطف ولا رفق به بل بشدة وعنف تضربه الملايكة فكان موته اشد عليه حسرة تمييز لعدم تأهبه له ومقاساة نزعه اي نزع روحه منه وقبضها مع قوة نفسه وصحة جسمه لعدم ما يعتريه من الاسقام والالام اشد الما وعذابا له في الدنيا ولعذاب الاخرة اشد عليه مما قاساه في الدنيا في حال نزعه كانجعاف الارزة هو انفعال من الجعف بجيم وعين مهملة وفا وهو القلع بشدة وفي نسخة بتقديم العين على الجيم وكما قال الله تعالى في حق الكفار فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون اي غافلون لاشتغالهم بامور دنياهم وعدم ما ينبههم على عاقبتهم وكذلك عادة الله في اعدايه من الكفرة

جارية

جارية على اخذهم بغتة كما قال الله عز وجل فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا اي انزلنا عليه حاصبا وهم قوم لوط والحاصب ريح تاتي بالحصبا وهي حجارة صغار كما قال تعالى وامطرنا عليهم حجارة من سجيل وخسف ارضهم كما بينه المفسرون ومنهم من اخذته الصيحة وهم قوم صالح وشعيب اتتهم صيحة واصوات هايلة وصولة فاهلكتهم الاية ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا فيجا جميعهم ماض بمعنى اتاهم فجاة بالموت على حال عتو بضم العين المهملة ومثناة وواو مشددة اي تكبر وتمرد وتجبر منهم وغفلة عما حل بهم وصبحهم اي اتاهم في الصباح به اي بالهلاك على غير استعداد اي تهيو لما سيحل بهم لاستدراجهم بغتة ولهذا الامر الذي ياتي غفلة وكونه من شان الكفرة ذكر عن السلف من العلما والصالحين انهم كانوا يكرهون موت الفجاة بحيث يموت على غير استعداد له بوصية ونحوها من المرض المكفر للذنوب وفي نسخة ولهذا ما كره السلف موته اي الفجاة ومما يويد صحة الاولى قوله ومنه اي ومما ذكر عن السلف ما روي في حديث ابراهيم هو النخعي كما في النهاية وقد تقدمت ترجمته كانوا يكرهون اخذة كاخذة الاسف اي الغضب لان من غضب على احد ياخذه بغتة بعنف وموت الفجاة يشبهه يريد باخذة الاسف موت الفجاة كما تقدم وتقدم انه ليس على اطلاقه وقد يكون راحة للمومن وحكمة ثالثة في مصايب الانبيا عليهم الصلاة والسلام والصالحين ان الامراض نذير الموت بنون وذال معجمة اي منذرة به ومنبهة لمن يحل به وفي نسخة نذير الممات وفي اخرى بريد بموحدة وراء ودال مهملتين اي رسول يجي من الموت يخبر بانه سيقدم وهو استعارة حسنة والبريد فارسي معرب بريده دم اي بغل مقطوع الذنب كان يعد في المنازل لرسل الملوك وما قيل لو قال بشير بالموت كان احسن ليس بشي وبقدر شدتها اي شدة الامراض شدة الخوف من نزول الموت لانذارها بما هو اشد منها فيستعد من اصابته الامراض اي يتهيا بالاعمال الصالحة وزهده في الدنيا الفانية وعلم بتعاهدها له اي مجيها له مرة بعد اخرى يقال صديقي من يتعاهدني بسواله عني وبره لي كانه من كونه حصنا يحميه وفيه استعارة لطيفة كما قال بعض العرب

• اذا الرجال كبرت اولادها • وجعلت امراضها تعتادها •
• فتلك زروع قد دنا حصادها •

للقاء ربه عز وجل ولقاء الله كناية عن الانتقال للدار الاخرة والموت ويعرض عن دار الدنيا بترك امورها الكثيرة الانكاد جمع نكد وهو ما يهم المرء ويسوءه وهو من شانها ولا راحة لمومن فيها وفي القاموس النكد الضيق والشدة ويكون قلبه اي فكره معلقا اي مشغولا مهتما بالمعاد اي الاخرة وما بعد الموت وتعلق القلب عبارة عن الشغل والتقيد فيتنصل بنون وصاد مهملة اي يخرج عن كل ما يخشى ويخاف تباعته بكسر التاء العوقبة والذي في الصحاح فتحها وهو التبعة وما يترتب على الانسان وبعقبه من المواخذات والضرر من قبل الله اي حقوقه التي هي من جانبه وقبل العباد اي حقوقهم فيخرج من عهدتها باداها لئلا يعاقب عليها ويودي الحقوق التي في ذمته الى اهلها اي اصحابها بايصالها لهم وايتاء كل ذي حق حقه وينظر اي يتفكر ويتدبر فيما يحتاج اليه من وصية فيمن خلفه فعل ماض او ظرف بسكون اللام اي ما يبقى بعده

من مال وولد ونحوه وفي نسخة فيمن يخلفه **او ينظر في امر يهمه** اي يعترف فيوصي به كالدين او بما هو وروثته عليه وهذا قلما يخلو منه احد وما قيل من انه انما يليق باهل الدنيا الغافلين واما الانبيا فهم غير محتاجين لمثله ليس بشي ولو سلم فهو بالنسبة لبعض المومنين ويويد الاول قوله **وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تاخر** اشارة لما في اول سورة الفتح اي لو كان منك ذنب سابق او يكون فهو مغفور لا تواخذ به او ما بعد ذنبا من مثلك مغفور لك وفي الاية كلام في كتب التفسير مشهور ومرانها نزلت عليه صلى الله عليه وسلم في مرجعه من الحديبية بعد بيعة الشجرة وما وقع فيها **قد طلب التنصل** اي التخلص والخروج من عهدة ما في ذمته **في مرضه** اي مرض موته وعده في مرضه لقربه ثم لانه كما تقدم وقع في خطبة خطبها قبل مرضه بايام قليلة **ممن كان له عليه مال او حق في بدن** كضرب وقع منه صلى الله عليه وسلم لبعض اصحابه نحو عكاشة والاعرابي وتقدمت قصتهما **واقاد من نفسه وماله** اي مكن من له حق في بدنه من القود منه بفعل مثل ما فعل **وامكن من القصاص منه** وان لم يكن عليه حق في نفس الامر كما بيناه **على ما ورد في حديث** مروي عن **الفضل** بن العباس عمه صلى الله عليه وسلم من انه ضرب اعرابيا بقضيبه فلما خطب الناس وقال من كان له حق فليطلبه فقام الاعرابي وقال يا رسول الله القصاص فلما كشف له عن بطنه الشريفة التزمه وقبله وقال انما اردت هذا وكما ورد في السير **في حديث الوفاة** اي وفاته صلى الله عليه وسلم فانهم رووا فيه انه صلى الله عليه وسلم قبيله استحل الناس فيما لهم عليه من الحقوق كما مر وما قيل من ان هذا ليس في موقعه لان التنصل من الحقوق مطلوب من ادني المومنين فكيف باعلاهم عند وفاته ناش من عدم الفهم لانه صلى الله عليه وسلم لم يكن لامته عليه ما يجب عليه التنصل منه ولو كان فهو مغفور ومع ذلك تنصل منه رعاية لظاهر الحال ورعاية للمومنين وهذه اعلى المراتب **واوصى** صلى الله عليه وسلم في مرض موته **بالثقلين بعده** وقوله **كتاب الله وعترته** بدل من الثقلين او عطف بيان لمرادهما والثقلين تثنية ثقل وهو ما يثقل من الثقل ضد الخفة وهما الانس والجن ولرجحان قدرهما لان الرجحان في الميزان اذ يثقل ما فيه او لانه يثقل رعاية حقوقهما والعترة بمثناة فوقية الاقارب الادنون واهل البيت واختلف في المراد بهم فقيل من تحرم عليه الزكاة وقيل بنو عبد المطلب وقيل غير ذلك وحديث الوصية رواه مسلم وفيه انه صلى الله عليه وسلم خطبهم وقال يا ايها الناس انما انا بشر مثلكم يوشك ان ياتيني رسول ربي فاجيبه وانا تارك فيكم الثقلين اولها كتاب الله فيه الهدى والنور فتمسكوا به وحث على ذلك ثم قال واهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي ثلاثا والكلام عليه مستوفي في شروحه **واوصى بالانصار عيبته** والعيبة بعين مهملة مفتوحة وياء ساكنة وموحدة ما يجعل المرء فيه نفيس متاعه وفي حديث البخاري الانصار كرشي وعيبتي ولما كان الكرش مقر الغذاء من الحيوان كالمعدة للانسان تجوز به عن موضع اسراره التي يخفي وعبر بالعيبة عن مقرما يظهر من مهماته وهو ابلغ كلام واوجزه الذي لم يسبق اليه كما قاله ابن دريد وقد تقدم الكلام عليه مبسوطا وهذا ايضا مما قاله صلى الله عليه وسلم في خطبته التي لم يخطب بعدها وبقيته وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم فاقبلوا

من محسنهم

من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم **ودعا** اي طلب صلى الله عليه وسلم من الصحابة في مرض موته **الى كتب كتاب لئلا تضل امته بعده** كما تقدم بيانه وما فيه وانه **اما في النص على الخلافة** لمن هي بعده وهو الاصح كما مر **او ما الله اعلم بمراده** الذي اراد ان يكتبه **ثم راى** صلى الله عليه وسلم رايا جزم به وهو ان **الامساك عنه** وتركه افضل **وخيرا** من كتابته لا انهم خالفوه وامتنعوا مما اراده كما تقدم تفصيله **وهكذا** اي مثل ما وقع له صلى الله عليه وسلم في آخر عمره من التنصل والوصية **سيرة عباد الله المومنين واوليائه المتقين** اي دابهم وطريقتهم ان يتنصلوا من الحقوق ويوصوا عند الموت تاسيا به صلى الله عليه وسلم **وهذا** المذكور **كله** مما يفعل عند حلول الاجل **يحرمه غالبا الكفار** وقد ينفع لبعضهم ولا ينفعه شيا وانما حرموا هذا **لاملاء الله** اي امهاله **لهم** حين تصرم اعمارهم وانما املي لهم **ليزدادوا اثما** بكفرهم ومعاصيهم وغفلتهم عن حقوق الله وحقوق عباده **واستدراجهم** اي نقربهم من الهلاك درجة بعد درجة **من حيث لا يعلمون** لغفلتهم بما هم مشغولون به من امور الدنيا منهمكين في غيهم متقلبين في نعم الله الدنيوية التي توهموا استحقاقها وانما هي لتقطع معاذيرهم ومزيد عذابهم بالكفر وكفران النعم حتى ياخذهم بغتة على غرة كما **قال الله تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة الاية** تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون والمراد بالصيحة نفخة الصور الاولى والاخذ الاهلاك بغتة ويخصمون يعني يختصمون في معاملاتهم وقد ورد ان الساعة تقوم على الناس وهم في الاسواق وهم يتعاملون ويخصمون بفتح الخاء المعجمة وفيه كلام طويل في كتب القراءات والعربية **ولذلك** اي لكون عادة الاتقيا التنصل من الحقوق والوصية عند الموت **قال صلى الله عليه وسلم** في حديث تقدم روي عن انس **في رجل مات فجاة سبحان الله** المقصود به التعجب كما تقدم بيانه والتعجب من موته فجاة **كانه مات على غضب** من الله ثم اشار الى ان المراد بالغضب عليه انه محروم من الثواب ولطف العزيز الوهاب فقال **المحروم من حرم وصيته** فانها مستحبة وذهب بعضهم الى وجوبها وقيل انها كانت واجبة لقوله تعالى كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية الخ ثم نسخت **وقال** صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح رواه احمد عن عايشة **موت الفجاة راحة للمومن** الذي ليس عليه شي يحتاج للوصية به لراحته من سكرات الموت **واخذة اسف** بغير مد بمعنى غضب وبه بمعنى غضبان فلما اسفونا انتقمنا منهم **للكافر او الفاجر** اي المنهمك في المعاصي واو للشك من الراوي وجوز بعضهم كونها من الحديث والمراد بالفاجر المنافق فتامل **وذلك** اي كون موت الفجاة كذلك **لان الموت ياتي المومن وهو غالبا** اي في اكثر احواله واوقاته او غالب المومنين ياتيه الموت حالة كونه **مستعد له** اي متهيئا له باعماله الصالحة ووصيته وتنصله **منتظرا لحلوله** به غير غافل عنه وفي نسخة برفعهما **فهان امره** اي الموت **عليه كيف ما جاءه** في اي حال حل به وافضى اي اوصل ولو ترك واو وافضى كان اوضح **الى راحة من نصب** وتعب **الدنيا واذاها** من انكادها واكدارها كما قيل

خلقت على كدر وانت تريدها ... صفوا من الاقذاء والاكدار

كما قال عليه الصلاة والسلام في حديث رواه الشيخان عن ابي قتادة في جنازة مرت به

يه

ده

نه

جر

فقال تقسيما للموتى عند موتهم اذ منهم مستريح من اذى الدنيا وتعبها اذ لا راحة للمؤمن
دون لقاء ربه ومنهم من هو مستراح منه اي يستريح من ظلمه واذاه البلاد والعباد و
والدواب وقد ورد تفسير النبي صلى الله عليه وسلم له بهذا وبشامته قد يمنع القطر ويحل البلا
وتاتي الكافر والفاجر منيته على غير استعداد لها والمنية الموت من منى بمعنى قدر
لانها مقدرة في وقت مخصوص ولا اهبة بضم الهمزة بمعنى التاهب والاستعداد ولا
مقدمات بفتح الدال وكسرها من قدم بمعنى تقدم او من المتعدي وهو قدمه اي ما تقدمه
من امراض ونحوها منذرة من الانذار وهو الاعلام بما يخاف منه مزعجة اي محركة له على
تدارك ما يلزمه بل تاتيهم بغتة وفجاة فتبهتهم اي تدهشهم وتذهب عقولهم لحيرتهم
فلا يستطيعون ردها بل فجاة ولا هم ينظرون اي لا يمهلون بعد مجيئها فلا يؤخرون تا
بعدامها لهم الاول وهو اقتباس من الاية فكان الموت اشد شي عليه لذلك وفراق الدنيا
افظع بظا معجمة وعين مهملة اي اشق واكره واشنع امر صدمه اي اصابه بشدة وهو
غافل عنه واكره شي له كما ورد ايضا ان المومن اذا مات كان كالغايب يقدم على اهله يسرهم
قدومه وغيره كالعبد الابق يرد على سيده والى هذا المعنى المذكور اشار صلى الله عليه وسلم
بقوله في حديث رواه الشيخان عن عبادة بن الصامت من احب لقاء الله بعد موته عند بره
احب الله لقاءه باكرامه له في جواره للملاء الاعلى ومن كره لقاء الله بسخطه وعدم رضاه
بقبض روحه كره الله لقاءه لانه كفر نعمه وعصاه ومن فيه شرطية او موصولة ويؤيده
روايته اذا احب الله الخ واحتمال الظرفية خلاف الظاهر وعلى الشرطية قال الكرماني
يحتاج للتاويل لان الشرط ليس سببا للجزا فالمعنى اخبر واعلم بمحبة لقايه ان محبة الله قديمة
سابقة فالمراد ظهورها لنا وهو كلام حسن لا يرد عليه ما قاله ابن حجر واقام الظاهر
مقام الضمير تنويها بشانه وتشاكلة واعلم ان العز بن عبد السلام قال في كتاب فوايد
المصايب ان لها فوايد تختلف باختلاف الناس كمعرفة الربوبية وقهرها ومعرفة العبودية
وذلها واليه الاشارة بقوله الذين اذا اصابتهم مصيبة الخ اي اعترفوا بانهم عبيده وملكه
ومرجعهم لحكمه وقضايه لا محيد لهم عنه ومنها الاخلاص لله اذ لا يكشفها الا هو كما قال
وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو والتضرع والدعا قال تعالى واذا مس الانسان ضر
دعانا وتبين الصبر والحلم والعفو عمن جناها والفرح بها لاعتداد الثواب والشكر على
العافية ومحو السيئات بها ورحمة المصاب بها غيره ومعرفة قدر النعمة الزايلة عنه وتوقف
منافع خفية بها كما قيل كم نعمة مطوية كدفين اثنا المصايب ومنها من التكبر
والخيلا والرضا بما قدره الله فلهذا كان اشد الناس بلاء الامثل فالامثل الى اخر ما فصل رحمه الله

القسم الرابع من هذا الكتاب في تصريف وجوه الاحكام

وفي نسخة تصرف والمراد بيان وجوهها وسبب الاختلاف فيها الذي اوجب تغيرها
من قول الى اخر فيمن تنقصه صلى الله عليه وسلم بذكر ما فيه تحقير له وغض من علي مقامه
وسبه اي بذكر ما فيه سب وشتم له صلى الله عليه وسلم قال القاضي ابو الفضل
عياض المصنف رحمه الله تعالى قد تقدم في هذا الكتاب من الكتاب والسنة واجماع الامة

ما يجب من الحقوق للنبي صلى الله عليه وسلم اي التي يستحقها لذاته وما يتعين له
على امته بل الناس كافة من بره اي احسان قول وفعل يتعلق به صلى الله عليه وسلم وتوقير
اي تعظيم وتبجيل وتعظيم واكرام لاحترام مقامه وبحسب هذا بفتح السين اي بمقدار
اعتبار ما يجب ويتعين له حرم الله اذاه في كتابه كما سياتي بيانه وهذه قرينتها واجمعت
الامة على قتل متنقصه وسابه صلى الله عليه وسلم من المسلمين وقيده بالمسلمين لاختلاف
في الفاعل لذلك من الكفار هل يقتل وينتقض عهده ويبلغ مامنه وياتي ذلك مبسوطا في
فصل معقود له وقد قيل ان في دعواه الاجماع في المسلم نظرا لان مذهب الشافعي ان من
نقصه بغير قذف من المسلمين وكذلك سائر الانبيا يستتاب فان تاب لم يقتل ومن قذفه
فلا وايضا فقيل يقتل لان حد قاذف الانبيا القتل فلا يستتاب وقيل ان تاب فورا اسلم
بعد الردة فيجد حد القذف ولا يقتل كما حكي عن كثير منهم فلا يتيسر دعوى الاجماع فيه الا ان
يريد اجماع اهل مذهبه من المالكية او عدم الاعتداد بالمخالف فيه واقول ان مراده
الاجماع على وجود موجب القتل فيه لكفره وردته فان تاب وقبلت توبته خرج عما استوجبه
الاجماع ولو صرح به كان اظهر لان هذه العبارة عبر بها السلف كلهم كما نقله السبكي
في كتابه السيف المسلول على من سب الرسول واشار الى ان الاجماع على كفره وردته الموجبة
لقتله اجماعا وان عرض ما يمنعه بعد وقال انه لم يخالف فيه احد الا ابن حزم القايل بعدم
كفر من استخف به صلى الله عليه وسلم ولم يتبعه احد عليه ولا عبرة به والمعترض لم يقف
على مراد القاضي ولم يفرق بين الوجوب والوقوع وسياتي ان شا الله تعالى بيانه ثم ذكر
ما يؤيد ما قاله من الايات فقال قال تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم
الله في الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا مهينا فيه استيناس لما ذكره لان من لعن في
الدنيا والاخرة واعد له العذاب لا يكون الا كافرا وقرن اذيته صلى الله عليه وسلم باذيته
تعالى للدلالة على ان من اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اذى الله فما قيل من انه لا يدل على ما
من الاجماع كلام ناش من عدم العلم بمراده وقال تعالى والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب
اليم يعني في الدنيا بالقتل وفي الاخرة بخلود العذاب وقال تعالى وما كان لكم ان
تؤذوا رسول الله اي لا يجوز ولا يصح ان تؤذوا رسول الله بكل ما يكرهه قولا وفعلا ولا ان
تنكحوا ازواجه من بعده اي بعد موته ابدا فتحريمهن عليهم مؤبد لانهن امهات
المومنين ان ذلكم المذكور من الاذية والنكاح كان عند الله عظيما لقبحه وشنعه شرعا
واستحقاق فاعله الخزي في الدنيا والاخرة وقال تعالى في تحريم التعريض له صلى الله
عليه وسلم بما يؤذيه من غير تصريح به يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا
واسمعوا الاية وذكر ما يدل على المنع عن التعريض بعد ما يكون صريحا ترتيب حسن
فالنهي عن اذيته صلى الله عليه وسلم صريحا وتعريضا فيه دلالة على ما ادعاه بالطريق
الاولى والاقوى فالاعتراض بانه غير دال على ما ادعاه لا وجه له غير قلة التدبر وارادة
المصنف بالتعريض الايهام والتورية بما يوهم ذلك وذلك ان المومنين كانوا يقولون لرسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا كلمهم بما لا يدرونه راعنا اي ارع جانبنا وتمهل علينا حتى نفهم
ما تقول فلما سمعهم اليهود يقولون ذلك انتهزوا الفرصة في تنقيص مقام النبوة فكانوا يقولون
له صلى الله عليه وسلم ذلك بقصد سبه اما لانها كلمة سب بلغتهم بالعبرانية او بقصدون

بها وصفه بالرعونة وهو الحمق فتفطن لذلك بعض الصحابة فقال لئن لم تنتهوا عن مخاطبة
بضل لاخبرنه بما قصدتم فقالوا الستم تقولونها فانزل الله هذه الاية نهيا للمومنين ان
يقولوا ما يتوصل به اليهود لسب النبي صلى الله عليه وسلم كما اشار اليه المصنف بقوله
وذلك المذكور من التعريض وجهه ان اليهود لعنهم الله ثم كانوا يقولون لرسول الله
صلى الله عليه وسلم راعنا يا محمد اي ارعنا بسمعك اي ارع جانبنا بتوجيهك الينا وايلا
سمعك نحونا واسمع منا ما نتكلم به عندك ويعرضون بالكلمة يقصدون معنى غير ظاهر
يريدون بها اسم فاعل من الرعونة وهي خفة العقل فينصبونه بمقدر نحو كن او صرت راعنا
اي ذا رعونة فنهى الله المومنين في هذه الاية عن التشبه بهم بقول مثل مقالتهم له صلى الله عليه
وسلم والمراد بالتشبيه فعل ما يشبهه من غير قصد وامروا ان يقولوا ما يودي معناها
من غير ايهام وهو انظرنا واسمع منا اي انظر فهمنا وقطع الذريعة بنهي المومنين عنها
اي عن هذه الكلمة الموهمة والضمير للذريعة وقطع مصدرا وفعل ماض اي قطع الله الذريعة
وسد بابها بفضل النهي والذريعة هي الوسيلة الموصلة لامر غير محمود وسد باب الذريعة
قاعدة عند الامام مالك مشهورة تقدم الكلام عليها ليلا يتوصل بها الكافر والمنافق الى
سبه صلى الله عليه وسلم والاستهزا به فانهم كانوا يقولونها ويتغامزون وقيل بل
نهي المومنين عنها لما فيها من مشاركة اللفظ اي كونه مشتركا بين معنيين لانها اي هذه
الكلمة عند اليهود في لغتهم بمعنى اسمع لا سمعت دعا عليه قال الراغب كان ذلك قولا
يقولونه للنبي صلى الله عليه وسلم على سبيل التهكم يقصدون به وصفه بالرعونة ويوهمون
انهم يقولون راعنا اي احفظنا انتهى ومعناها الدعا عليه كاسمع غير مسمع وهي عبرانية
كانوا يتسابون بها واصلها راعين وانظرنا بمعنى انظر الينا بالحذف والايصال وانتظرنا
وتان حتى نفهم ما نقول وقيل بل نهوا عنها لما فيها من قلة الادب وعدم توقير النبي صلى
الله عليه وسلم وتعظيمه لانها في لغة الانصار بمعنى ارعنا نرعك اي ان راعيتنا
راعيناك لانها صيغة مفاعلة من الجانبين وسو الادب فيها ظاهر فنهوا عن ذلك
لما فيه من ترك الادب معه صلى الله عليه وسلم اذ مضمونها اي مدلولها عندهم انهم
اي القائلين لا يرعونه ويحفظون حقه الا برعايته صلى الله عليه وسلم لهم وهذا
النهي مخصوص بزمان النبوة كما قاله الواحدي في الوسيط وهو صلى الله عليه وسلم واجب
الرعاية على كل احد بكل حال اي في كل حال سوا راعى غيره ام لا والجواب الثاني قريب
من الاول الا انه قيل ان الثالث فيه نسبة ما لا يليق بالصحابة رضي الله عنهم اجمعين فانهم
اعرف بمقام النبوة واجل من وقوع تقصير منهم في التادب معه وهو صلى الله عليه وسلم
قد نهى الناس في الحديث المشهور عن التكني بكنيته الشريفة وهي ابو القاسم كني باسم
بعض اولاده والقاسم اكبر اولاده ولذا كني به واختلف فيه هل مات قبل البعثة او بعدها
والكنية ما صدرت باب او ام واللقب ما اشعر بمدح او ذم والعلم اعم منهما واختلفوا انها
هل تترادف ام لا فقال تسموا باسمي اراد به محمد لانه اشهر اسمايه صلى الله عليه وسلم
واسرفها والتسمية به مستحبة متيمنة وورد فيها احاديث كثيرة مشهورة وبركتها معروفة
ولا تكنوا بكنيتي بفتح التا الفوقية والكاف وتشديد النون واصله تتكنوا فحذف
احدى التاين تخفيفا قياسا وقيل اصله تكانوا حذفت الفه لالتقا الساكنين وهو تكلف

من غير داع له وقيل انه روي تكنوا مخففا مسكن الكاف والاول اشهر واظهر وروي
لا تكتنوا ايضا صيانة لنفسه عن ان يشاركه غيره في كنيته المنوهة برفعة قدره
وهو وما بعده مفعول له منصوب وحماية اي حفظا عن اذاه اي ان يوذيه غيره ثم بين علة
المنع وتاذيه بذلك بما وقع في الحديث الذي رواه الشيخان ومسلم بقوله اذ كان صلى الله
عليه وسلم استجاب اي اجاب والتفت لرجل نادى يا ابا القاسم من خلفه وهو في السوق
فقال له الرجل الذي نادى لم اعنك اي اقصدك بندائي هذا انما دعوت هذا يشير لرجل
ثمة وابو القاسم المذكور قيل انه رجل من الانصار فنهى صلى الله عليه وسلم حينئذ اي حين
وقعت هذه القصة عن التكني بكنيته بضم الكاف وقد تكسر من كنوته وكنيته واصل الكنا
الستر ليلا ينادي باجابة دعوة غيره الصادرة ممن لم يدعه اذ ظنه دعاه والتفت نحوه
ويجد بذلك المنافقون والمستهزون من الكفرة ذريعة اي وسيلة وطريقا الى اذاه
بندا غيره ابهاما انه المنادى له واسماعا له والازرابه اي الاستخفاف تحقيرا به فينادونه بكنيته
فاذا التفت صلى الله عليه وسلم لمن ينادي قالوا له حين اجابهم انما اردنا هذا مشيرين
لغيره قصدا لسواه ممن تكنى بكنيته تعنيتا له اي ايقاعا له في العنت وهو الامر الشاق
بعين مهملة ونون ومثناة فوقية واستخفافا بحقه اي تهاونا وتحقيرا بالعدول
عن توقيره على عادة المجان بضم الميم وتشديد الجيم قبل الف ونون جمع ماجن من المجون
وهو الهزل والسخرية فحمى صلى الله عليه وسلم حمى اذاه اي منع منه منعا تاما فان من
حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه بكل وجه يفضي اليه فلذا منع من المشاركة في تكنيته
فيعلم منه المنع مما يوهم معنى قبيحا بالطريق الاولى كقولهم راعنا ونحوه ثم شرع في بيان
حكم التكني بكنيته شرعا فقال فحمله محققو العلما نهيه اي جعلوا حكمه في المنع ونهيه
عن هذا المذكور من التكني بكنيته على مدة حياته لان علة تاذيه بسماعه انما تتصور في
حياته واجازوه بعد وفاته لارتفاع العلة المذكورة بموته صلى الله عليه وسلم
والشي قد يرتفع بارتفاع ما علل به وينتهي بانتهايه فلا يقال ان عموم لفظه ياباه وللناس
من العلما في هذا الحديث يعني حديث تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي مذاهب ليس هذا
موضعها الذي تذكر فيه مفصلة لطولها وما ذكرناه من تخصيصه بحياته لما تقدم
وهو مذهب الجمهور اي اكثر الفقها والمحدثين وهو الصواب ان شا الله تعالى من الاقوال
وهي كثيرة احدها المنع مطلقا سوا كان اسمه محمد ام لا وروي عن الشافعي الثاني الجواز
مطلقا الثالث لا يجوز لمن اسمه محمد ويجوز لغيره وعليه عمل السلف وصححه الرافعي وبالغ
بعضهم فقال لا يجوز ان يسمى احد اسمه القاسم ليلا يكنى بابي القاسم والرابع منع التسمية
بمحمد مطلقا والتكني بابي القاسم مطلقا واستدل بما يانى قريبا ان عمر رضي الله عنه
غير اسما جماعة تسموا بمحمد من اولاد الصحابة ونهى ايضا عن التسمية باسما الانبيا اعظاما
لهم عن ان يسبوا فيسري لسبهم لكنه صح كما يانى انه رجع عن هذا لما بلغه ان النبي صلى
الله عليه وسلم سمى به بعض من ولد في حياته والخامس المنع مطلقا في حياته والتفصيل
بعده بين من اسمه محمد او احمد فيمتنع ويجوز في غيره والسادس انه يجوز في حياته لمن سماه
النبي وكناه لما يانى من انه روي عن علي كرم الله وجهه انه قال له يا رسول الله ان ولد لي
ولد اسميه باسمك واكنيه بكنيتك قال نعم وهو محمد الحنفية المكنى بابي القاسم ولذا قيل

الأصح ان النهي مخصوص بحياته صلى الله عليه وسلم الا من اذن له النبي صلى الله عليه
وسلم فيه والظاهر ما قاله المصنف لدلالة الحديث عليه دلالة ظاهرة ولبعضهم في ذلك

في كنية بقاسم خلف وقع • فالشافعي مطلقا لها منع
ومالك جوز والنهي حمل • على الحياة والنووي جمل
هذا هو الاقرب اما الرافعي • يمنع من سمى محمدا فعي

وان ذلك المنع انما كان في حياته بكنيته فقط لانه كان لا ينادي باسمه تادبا على طريق توقيره وتعظيمه في عدم المشاركة في كنيته لسائر الانبيا ولان معنى القاسم من يقسم ارزاق الناس ونحو ذلك مما لا يليق بغيره وانه ايضا انما منع على سبيل الندب والاستحباب الندب اكد من الاستحباب لانه الاولى لا على التحريم لانه لا يلزمه التاذي به حتى يقال كيف لا يحرم ما فيه اذيته له صلى الله عليه وسلم وكذلك اي كونه ندبا لا وجوبا لم ينه عن التسمية باسمه مع وجود العلة فيه لكنه دفع ذلك المحذور بقوله لانه قد كان الله منع عن ندائه به وهذا لما فيه من ترك الادب بقوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا اي كما ينادي احدكم غيره باسمه وانما كان المسلمون يدعونه اي ينادونه ويخاطبونه بقولهم يا رسول الله ويا نبي الله ولا يقولون يا محمد وكذا يقولون يا ابا القاسم لما في الكنية من التعظيم وتوقف فيه صاحب الامتاع وليس محل توقف ولذا قال المصنف وقد يدعوه بياء الغيبة لاسناده للظاهر وفي نسخة يدعونه والظاهر بدل منه بكنيته يعني ابا القاسم لما فيها من الادب وشعار التعظيم بعضهم فانما او بدل البعض كما مر في بعض الاحوال وهو لا ينافي النهي عن التكني كما توهم بل بيانه ثم مناسبة الا انه نقل عن الشافعي انه حرم نداءه صلى الله عليه وسلم بكنيته كما حرم نداءه باسمه فسوى بينهما لدخولها تحت قوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا لانهم كانوا يتداعون بينهم بالكنى وقد يفرق بينهما فكان هذا هو الداعي لتوقف صاحب الامتاع وفي الشرح لم اقف على ان اصل ندائه صلى الله عليه وسلم بكنيته بعد هذا النهي الا ان يكون حديث عهد بالاسلام وقد روي في حديث رواه الحاكم والبزار وابو يعلى وحسنوه عن انس رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم ما يدل على كراهة التسمي باسمه العلم وهو محمد انما يشمله وغيره وتنزيهه اي تبعيد اسمه عن ذلك اي عن تسمية غيره به لكن بما له والكراهة كراهة تنزيه لا تحريم اذا لم يوقر اسمه او المسمى به اي يعظم فقال تسمون اولادكم محمدا ثم تلعنونهم واصله اتسمون بالاستفهام الانكاري الدال على كراهته لمن اعتاد سب اولاده باسمائهم وقال ابن حجر انه حديث ضعيف ولا دليل فيه للكراهة مطلقا وروي عن عمر رضي الله عنه انه كتب الى اهل الكوفة لا يسمي بالبناء للمفعول او الفاعل احد باسم النبي صلى الله عليه وسلم توقيرا له وخوفا ان يسب بما يوهم سب مسماه مطلقا حكاه عنه ابو جعفر محمد بن جرير الطبري الا انه رجع عنه لما روي له ما يأتي انه صلى الله عليه وسلم سمى ابن ابي طلحة محمدا وغيره فقال فلا سبيل الكم يعني في المنع وروي سعيد بن المسيب احب الاسماء الى الله عز وجل اسماء الانبيا قال وانما كرهه عمر رضي الله عنه لئلا يسب المسمى به فيسري لذلك وحكي عن محمد بن سعد الواقدي الامام المشهور وقد تقدمت ترجمته انه اي عمر رضي الله عنه نظر الي رجل هو

انه

ابن اخيه ابو عبد الحميد بن زيد بن الخطاب اسمه محمد ورجل يسبه ويشتمه بقوله فعل الله بك يا محمد وصنع هو كناية عما شتمه به كما يقال فلان الفاعل الصانع فقال عمر لما سمع شتمه باسمه لابن اخيه محمد بن زيد بن الخطاب الاري محمدا يسب بك اي يسب بسببك اسمك لما فيه من الايهام والا كلمة تنبيه مركبة من همزة الاستفهام الا وازالة النفي وحقق ما بعدها ولذا تتلقى بما يتلقى به القسم كان والله لا تدعى اي لا تسمى انت محمدا ما دمت حيا اي في مدة حياتي توقيرا له صلى الله عليه وسلم وتعظيما لاسمه ان يقترن بسب اسمعه فغير اسمه محمدا وسماه اي سمى عمر رضي الله عنه ابن اخيه الذي هو محمد عبد الرحمن فهو عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوي وامه بنت ابي لبابة ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وسمي محمدا فغير اسمه واراد عمر رضي الله عنه في زمن خلافته ان يمنع الناس ان يسمي احد باسما الانبيا صلى الله وسلم عليهم اجمعين اكراما لهم اي للانبيا بذلك اي بمنع التسمية باسمائهم لئلا يسبوا بما يوهم ذلك وغير اسما جماعة تسموا باسماء الانبياء ثم امسك اي كف ورجع عن منع التسمية لما مر ويأتي والصواب جواز هذا كله اي التسمية باسمه مع الكنية وبدونها وكذا التسمية باسماء الانبيا والملائكة لما مر لما مر خلافا لمن منعه او كرهه بعده اي بعد حياته صلى الله عليه وسلم لان وجه التاذي بندائه وهو غير متصور بعده بدليل اطباق الصحابة رضي الله عنهم على ذلك اي على التسمية بما ذكر وجوازه وقد سمى جماعة منهم اي من الصحابة ابنه محمدا وكناه بابي القاسم فجمع بين الاسم والكنية ولم ينكره احد مع كثرة الصحابة اذ ذاك فهذا كله يدل على انه غير ممتنع شرعا والاطباق بمعنى الاجماع هنا من المطابقة وهي الموافقة مستعار من الاطباق بمعنى جعل شي فوق شي بقدره ومنه طابقت النعل ثم شاع وصار حقيقة عرفية وانما جاز هذا لقصد التبرك المستلزم للتعظيم ولما ورد في حديث رواه ابن وهب تسموا باسماء الانبيا واحب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن وسمى النبي صلى الله عليه وسلم ابنه ابراهيم وروي في حديث رواه ابن وهب ابو داود والترمذي عن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم اذن لعلي بن ابي طالب في ذلك اي في الجمع بين الاسم والكنية وذلك انه قال له يا رسول الله ان ولد لي ولد بعدك اسميه باسمك واكنيه بكنيتك فقال له نعم فصار دليل على ان المنع مخصوص بزمانه وهذا الحديث رواه اصحاب السنن وصححوه كما قاله البيهقي الا انه قال حفظت عن مشايخي انه روي انه عليه الصلاة والسلام قال لعلي سيولد لك ولد بعدي وقد غلبته اسمي وكنيتي ولا يحل لاحد من امتي بعده انتهى فعلى هذا لا شاهد فيه الا ان كبار الصحابة كابي بكر وابن عوف فعلوا ذلك وناهيك به حجة وهو كما مر محمد بن الحنفية بن علي بن ابي طالب المشهور وقد اخبر صلى الله عليه وسلم في حديث رو عنه ان ذلك اي محمد وابو القاسم اسم المهدي وكنيته الذي يظهر في اخر الزمان بعد ما ظهر الفساد والجور فيملا الارض عدلا وهذا في حديث رواه ابو سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يصيب هذه الامة بلاء حتى لا يجد الرجل ملجا يلجا اليه من الظلم فيبعث الله رجلا من عترتي وفي رواية من اهل بيتي يوافق اسمه اسمي واسم ابيه اسم ابي وكنيته كنيتي فيملا الارض عدلا وقسطا ويكثر المطر والنبات ويعيش

سبع سنين او ثمان او تسع وفيه احاديث كثيرة افردت بالتاليف ليس هذا محلها وقيل انه من ولد العباس رضي الله عنه وقيل غيره لك والشاهد فيما ذكر انه لو لم يكن جايزا بعده لما اخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم وتسمى به من هو اصلح الناس واعلمهم واعدلهم في عصره وما يدل على جواز التسمية باسمه انه قد سمي النبي صلى الله عليه وسلم جماعة منهم محمد بن طلحة التيمي جي له به صلى الله عليه وسلم فمسح راسه وسماه باسمه وكناه بكنيته وهو المعروف بالسجاد قتل في وقعة الجمل ومحمد بن عمرو بن حزم بن زيد بن لوذان الانصاري ولد سنة عشر وقتل في وقعة الحرة سنة ثلاث وستين وهو من الفقها وروى عنه احاديث في السنن ومحمد بن ثابت بن قيس بن شماس الخزرجي اتي به ابوه النبي صلى الله عليه وسلم فحنكه وسماه محمدا وهو ممن قتل بالحرة ايضا وروي عنه احاديث في السنن وغير واحد اي كثيرون سماهم النبي صلى الله عليه وسلم باسمه من اولاد الصحابة وكانوا اذا ولدلهم ولد ياتون به النبي صلى الله عليه وسلم يتبركا به فيمسح راسه ويسميه وقد يحنكه بتمر وقد ذكر منهم جماعة الحافظ الذهبي وتلميذه البرهان وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه ما ضر احدكم ان يكون في بيته من اولاده الذكور محمد ومحمدان اثنان و في نسخة و ثلاثة واراد بنفي الضرر النفع ولكنه لم يصرح به احترازا من التمدح ومثل هذه العبارة يكنى بها عن كثرة النفع كثيرا وقد فصلنا الكلام في هذا القسم الرابع كما قدمناه في بيان التراجم اول الكتاب ؎

الباب الاول

في بيان ما هو اذا قيل حقه عليه الصلاة والسلام اي بالنسبة اليه سب وشتم ونقص مما يليق به وان لم يكن سبا من تعرض بطريق الكناية والايما او نص اي صريح لا يحتمل التاويل قال القاضي ابو الفضل رحمه الله اعلم وفقنا الله واياك لمعرفة حق النبوة وما يجب له صلى الله عليه وسلم ان من سب النبي صلى الله عليه وسلم بشتمه او عابه هو اعم من السب فانه من قال فلان اعلم منه صلى الله عليه وسلم فقد عابه ونقصه ولم يسبه او الحق به نقصا في نفسه وذاما يتعلق بخلقه وخلقته او نسبه كان يفضل احدا على قومه واصوله وكان يقول انه صلى الله عليه وسلم لم يكن قرشيا فانه كفر كما صرح به الفقها وياتي ايضا في محله وليس من تنقيص النسب ما وقع من الاختلاف في اسلام ابويه او دينه اي نقص شريعته او نسبه لقصوره فيما يجب منها او خصلة من خصاله وصفة من صفاته كسخاوته وكرمه او عرض به اي قال في حقه صلى الله عليه وسلم ما لا يليق به تعريضا لا تصريحا وشبهه بشي عن حسن على طريق السب له بتنقيصه كما سياتي او الازرا عليه اي التنقيص له وان لم يكن قصد السب او التصغير لشانه اي تحقيره كتصغير اسمه او صفة من صفاته او الغض بمعنى اقل تنقيص وهو بغين وضاد معجمتين واصل الغض نقص في الصوت او الطرف كما قاله الراغب فاريد به مطلق النقص القليل او العيب له فهو ساب اي كالساب معنى وفي نسخة والعيب بالواو والحكم فيه حكم الساب الا بي من غير فرق بينهما من انه يقتل كما نبينه ولا نستثني بنون المضارعة اي نخرج منه فصلا اي قسما وصورة كما يقال المسئلة على فصول لفصل بعضها من بعض من فصول هذا الباب بجميع اقسامها ولا نمتري بنون ايضا

اي لا نشك ولا نتردد صريحا كان السب او تلويحا اي كناية وتعريضا وكذلك من لعنه والعياذ بالله او دعا عليه او تمنى مضرة له او نسب اليه ما لا يليق بمنصبه اي باصله وحسبه وهذا هو حقيقة المنصب كما قدمناه لا ما اشتهر بين العوام على طريق الذم له حاشاه منه او عبث اي قال له على طريق الهزل والمجون في جهته العزيزة اي بشي له تعلق بجانبه الشريف بسخف من الكلام اي امر سخيف رذل وهجر بضم الها وفتحها وهو الفحش والقبيح وبمنكر من القول وزور بالكذب عليه بما لا اليس لا يقابحنا به الشريف او عيره بعين مهملة وبا مشددة اي نسب له صلى الله عليه وسلم ما فيه عار عليه ما جرى من المحنة والبلاء عليه كذكر ما اتفق له صلى الله عليه وسلم مع العرب في ابتداء دعوتهم كما فصل في السير او غمصه بغين معجمة وميم وصاد مهملة اي نقص من قدره ببعض العوارض البشرية الجايزة عليه كالامراض ونحوها ما تقدم والمعهودة لديه اي المعتادة بينه وبين سائر الانبيا وهذا كله غير جايز موجب للعقاب في الدارين اجماع من العلما وايمة الفتوى من فقها المذاهب معروف متواتر بينهم من لدن عصر الصحابة رضوان الله عليهم الى هلم جرا اي الى اخر الزمان وانقضاء الدوران عصرا بعد عصر وقرنا بعد قرن بلا خلاف فيه وقد نقل بيان الاجماع فيه وان من اعترض عليه لم يفهم مراده وهذه العبارة منقولة عن الايمة كلهم كما في السيف المسلول على من سب الرسول للسبكي وفي نسخة من الصحابة واصحابه وهو سهو من الناسخ حمل بعض المحشين على التكلف في توجيهها وقوله هجر بمعنى هذيان وتخليط لا يرد عليه ما مر من قول عمر رضي الله عنه في مرض موته صلى الله عليه وسلم هجر فانه استفهام انكاري على الاصح فهو لم يصفه صلى الله عليه وسلم بذلك حتى يقال كيف يعد كفرا وقد صدر من مثله ولا حاجة الى الجواب بانه لم يقصد تنقيصه به ومثله ممنوع حتى قال الزركشي والسبكي انه لا يجوز ان يقال له صلى الله عليه وسلم فقير او مسكين وهو اغنى الناس بالله لا سيما بعد قوله تعالى ووجدك عايلا فاغنى • وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم احيني مسكينا اراد به المسكنة القلبية بالخشوع والفقر فخري باطل لا اصل له كما قاله ابن حجر العسقلاني وقوله وزور المراد به الكذب عليه صلى الله عليه وسلم بتهمه ووصفه بما لا يليق به واما الكذب عليه بنقل ما لم يقله فليس داخلا فيه لانه معصية لا كفر • وقول الجويني من الشافعية ان تعمد الكذب عليه مطلقا كفر لانه قد يودي الى استحلال الحرام وهو كفر قول شاذ مردود وما علل به واه جدا • وقوله الى هلم جرا هلم كلمة مركبة من ها التنبيه ولم فعل ماض ثم جعلت بمعنى اقبل وفيه لغتان احداها يكون اسم فعل يستوي فيه الواحد وغيره والثانية ان يستعمل استعمال الافعال باتصال الضماير وقد تتعدى باللام وجرا منصوب على الحالية او التمييز او المصدرية اي وجر جرا واصلها بان يرسل الابل للرعي وهي سايرة ثم جعل كالمثل فصار بمعنى استمرار الامر واتصاله فيقال كان كذا في عام كذا وهلم جرا الى اليوم واصل معناه سيروا على هينتكم من غير استعجال وحث • لكن في كلامه شي لم ينبهوا عليه وهو ادخال الى على هلم مقابلة لمن الابتدايية الداخلة على لدن وهو غير مسموع بل غير صحيح لانها فعل في الحال والاصل على اللغتين فكانه حذف مجرورها واصله الى وقتنا هذا وهلم جرا وهو ايضا غير جاد في وفق كلامهم وقال ابو بكر بن المنذر تقدمت ترجمته وانه محمد بن ابراهيم النيسابوري اجمع عوام اهل العلم هو جمع عامة بمعنى

جماعة كثيرة والمتقدمون كالشافعي رضي الله عنه يعبرون بهذه العبارة للعموم وليس المراد
العامي فانه غير صحيح اذ لا عبرة بهم وباجماعهم واهل العلم مناد عليه لان العامي لا يكون اهل
علم على ان من سب النبي صلى الله عليه وسلم يقتل مطلقا وممن قال ذلك اي حكم بقتله
مطلقا مالك بن انس والليث بن سعد المصري الامام المجتهد المشهور واحمد بن حنبل
واسحاق بن ابراهيم بن راهويه المشهور وهو مذهب الشافعي المنقول عنه في الاشهر
قال القاضي ابو الفضل المصنف رحمه الله ورضي عنه وهو مقتضى قول ابي بكر الصديق
رضي الله عنه ولم يقل وهو قول الصديق مع انه اظهر واخصر تلذذا بذكره وعبر بالمقتضى
لانه نقل عنه ما يدل عليه في عهد خلافته وسياتي ما يوضحه ولا تقبل توبته عند هولاء
القايلين بوجوب قتله مطلقا صونا لمقام النبوة كما قال المتنبي

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى • حتى يراق على جوانبه الدم

وبمثله اي بمثل قول هولا بوجوب القتل وعدم قبول التوبة قال ابو حنيفة واصحابه
محمد وابو يوسف وزفر واهل مذهبه والثوري سفيان بن سعيد الكوفي الفقيه شيخ
اهل عصره وامير المومنين في الحديث والتقوى لم ير احفظ منه ولا اجل ولم ير هو ايضا
مثل نفسه وهو منسوب لثور وهي قبيلة توفي سنة احدى وستين ومائة واهل الكوفة
من عطف العام على الخاص لان الثوري وابا حنيفة كوفيان والاوزاعي عبد الرحمن بن عمرو
الامام الجليل في الحديث والفقه والترسل والزهد والعبادة حبر هذه الامة مات في
جمادى سنة سبع وخمسين ومائة ونسبته للاوزاع لقب بطن من حمدان في المسلم خاصة
دون الكافر وفي نسخة المسلمين لكنهم قالوا هي ردة اي يرتد صاحبها ويكفر بسببه والى
الضمير لتانيث الخبر على القاعدة وعلى هذا يستتاب كالمرتد وقيل انه يمهل ثلاثة ايام ونقل
هذا عن عمر رضي الله عنه واذا قتل يضرب عنقه وقال الماوردي يضرب بالخشب ولا يصلى
ولا يدفن في مقابر المسلمين ولا المشركين وروى مثله الوليد بن مسلم ابو العباس الدمشقي
مولى بني امية عالم اهل الشام كما تقدم وانه ولد سنة عشر ومائة وتوفي سنة خمس واربع
وتسعين ومائة في المحرم ويقال له كما في نسخ ابن ابي مسلم والاول اصح عن مالك في احدى
الروايتين عنه وحكى الطبري محمد بن جرير وقد تقدم مثله عن ابي حنيفة واصحابه
فيمن تنقصه اي نسب له صلى الله عليه وسلم نقصا دون السب او برئ منه او كذبه فهو
مرتد يجري فيه ما تقدم من حكم المرتد وقبول توبته وقال سحنون هذا ممنوع من الصرف
للعلمية وشبه العجمة كما قاله المصري في كتاب ذكري حبيب وقال ابن حجر في لسان الميزان
هو عبد السلام بن عبد السلام بن سعيد بن حبيب ابن حسان بن هلال بن بكار بن ربيعة
التنوخي ابو سعيد الفقيه المالكي غلب عليه لقبه وسمع من ابن وهب وابن القاسم واشهب
وغيرهم وقول ابي يعلى لم يرض اهل الحديث حفظه خالفوه فيه فقالوا انه انتشرت امامته
وسلم له اهل عصره واجمعوا على فضله وتقدمه وانه اجتمع فيه خلال لم تجتمع في غيره من
الفقه والورع والزهد والسماحة ولد في رمضان سنة ستين او احدى وستين ومائة
وتوفي سنة اربعين ومائتين لتسع خلون من رجب وهو ابن ثمانين سنة انتهى فيمن سبه ذلك
اي سب ردة له حكمها كالزندقة مصدر تزندق وهو ماخوذ من الزنديق وهو لفظ معرب
في اصله اختلاف وهو يطلق على معان فيقال على الثنوي القايل بالنور والظلمة كالمانوية

وعلى من لا يؤمن بالاخرة والربوبية وهو اشهر معانيه وعلى من يبطن الكفر ويظهر
الايمان والفرق بينه وبين المنافق مشكل وعلى من لا ينتحل دينا وهو مشهور ايضا والفرق
بين هذا القول وبين القول بانه ردة عند ابي حنيفة رحمه الله يوخذ منه الجزية لانه تقبل توبته
قبل الاخذ كما قاله قاضي خان لانهم باطنية يخفون خلاف ما يظهرون وعند الشافعي فيه
قولان فقيل تقبل توبته وقيل لا تقبل وتفصيله مع ادلته في كتب الفروع وليس هذا محل
تفصيله وبنا على هذا المذكور من قول سحنون وغيره وقع الخلاف في استتابته هل هي
لازمة اولا وتكفيره اي في الحكم بكفره يقال كفره واكفره على الصحيح خلافا لمن جعل الاول
من الكفارة وهو غلط مشهور ووقع الخلاف ايضا في قتله هل قتله حد لانه لمن قذف
الانبيا وسبهم جزا عليه كساير الحدود ام هو كفر لانه كقتل المرتد بردته كما سنبينه
في الباب الثاني من القسم الرابع ونحن ان شا الله نبين ما فيه تفصيلا ثم الفرق بينهما
وما فيه ولا نستلقي الركبان هنا ولا نعلم خلافا بين علماء الاسلام في استباحة دمه
اي انه هدر لاستحقاقه القتل بسبه صلى الله عليه وسلم بين علما الامصار اي البلاد
العظيمة كمكة والمدينة وبغداد وعلماوها اعظم واعلم من غيرهم وسلف الامة المتقدمين
من الصحابة والتابعين ومن تبعهم باحسان وقد ذكر غير واحد هو كناية عن الكثرة عندهم
الاجماع على قتله وتكفيره اي عده كافرا مستحقا للقتل واشار بعض الظاهرية
وهم قوم على مذهب داود الظاهري الذي كان يرى وجوب الاخذ بظاهر الاحاديث
والنصوص من غير تاويل وهو اي هذا البعض ابو محمد علي بن احمد الفارسي هو الامام
العلامة المتبحر الحافظ المعروف بابن حزم بن غالب ويتصل نسبه بابي سفيان بن
حرب فهو فارسي اموي الاصل قرطبي ظاهري كتابه في مذهب داود المسمى بالمحلى كبير
وقفت عليه في مجلدات ضخمة ولد بقرطبة سنة اربع وثمانين وثلثمائة وترجمته وتصانيفه
مفصلة في التلويح • وقيل لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقان الى الخلاف في
تكفير المستخف به صلى الله عليه وسلم بتصغير شانه او بشي يتعلق به من غير سب صريح
وهو قول مردود والمعروف ما قدمناه من تكفيره وفيه اشارة الى عدم الاعتداد باقوال
الظاهرية النافين للقياس وفيه خلاف هل يجوز العمل بقولهم ام لا والصحيح عدم الجواز
وما ذهب اليه ابن حزم دليله انه وقع ذلك في عصره صلى الله عليه وسلم لكثير من الاعراب
ومن غيرهم كما لحكم ولم يقتلهم صلى الله عليه وسلم وجوابه ظاهر ولا يقاس حالنا اليوم
عليه لانه في بدو الاسلام كان يتالف القلوب ويسامح اما اليوم فلا وقال محمد بن الامام
سحنون الذي سبق بيانه قريبا وامه هذا ايضا من اجلة المالكية والمحدثين وله مصنفات
علم وتفقه على ابيه وكان مفتي القيروان بعده وهو عظيم القدر قوي المناظرة اجمع العلما
على ان شاتم النبي صلى الله عليه وسلم المتنقص له لو عظمه كان احسن كما في مرتد بسببه
والوعيد الذي مر في الايات جار عليه لشموله له بعذاب الله له لقوله لهم عذاب اليم
في الاية وحكمه عند الامة اي امة الاجابة القتل ومن شك في كفره وعذابه كفر
لان الرضى بالكفر كفر ولتكذيبه للقران في قوله والذين يوذون رسول الله لهم عذاب
اليم قال ابن حجر وما صرح به من كفر الشاك والشاك في كفره هو ما عليه ايمتنا وغيرهم
لكنه عندنا كالمرتد فيستتاب وجوبا فورا فان اصر قتل ولو امراة فان اسلم صح اسلامه هم

وترك اي وباقي ذلك في محله قيل وفي جزمه بكفره بعد نقل الخلاف فيه نظر وكيف يصح
قوله من شك في كفره وعذابه كفر مع ذكر الخلاف فيه اولا فليتامل واحتج ابراهيم بن حسين
ابن خالد الفقيه في مثل هذا وفي نسخة على مثل هذا بقتل خالد بن الوليد مالك بن نويرة
على من تصغيره لقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم صاحبكم يعني به النبي صلى الله عليه وسلم
وفيه تنقيص له بتعبيره عنه بصاحبكم دون رسول الله ونحوه واضافته لهم دونه المشعر
ذلك بالتبري من صحبته واتباعه واستنكافه وهو في غاية الظهور ومالك بن نويرة هذا
كان له وفادة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شجاعا شاعرا سيدا مطاعا في قومه
بني تميم فولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم وكان اخذ زكاتهم فمنعوها بعده صلى الله
عليه وسلم فارسل ابو بكر خالد بن الوليد لطلبها فقال له مالك انا آتي الصلاة دون الزكاة
فقال له لا تقبل احدهما بدون الاخرى فقال قد كان صاحبكم يقول ذلك فقال خالد اما
تراه صاحبا لك لقد هممت بضرب عنقك فقال مالك ابذلك امرك صاحبك فقال له
اهذه بعد تلك ينكر عليه خالد تكرر قوله صاحبكم بعد ما وعده عليه ثم امر ضرار بن الازور
فضرب عنقه لانكاره قوله صاحبكم مرتين استصغارا له صلى الله عليه وسلم وهو الذي
رثاه اخوه متمم بالقصيدة المثبتة التي منها

فلما تفرقنا كاني ومالكا • لطول اجتماع لم نبت ليلة معا •

وهي قصيدة بليغة مشهورة وفيما ذكره المصنف اشارة الى رد ما قيل ان مالكا لما قدم للقتل
قال لزوجته ما قتلني الا هذه يعني ان خالدا اعجبه حسنها فقتله ليتزوجها ولما قتله جعل
راسه اثفية قدره وبعد ذلك تزوجها فقال ابو حبة النميري فيه شعرا منه

قضى خالد بغيا عليه لعرسه • وكان له فيها هوى قبل ذلك •

ولما انكروا عليه ذلك عند ابي بكر رضي الله عنه وقالوا له اعزله قال انه تاول في ذلك
وما كنت لاغمد سيفا سله الله عليهم اي فهو مذهب صحابي وممن شدد النكير عليه عمر رضي
الله عنه وودى القتيل من بيت المال ورأى ان قتله غير صواب لكن خالد رضي الله عنه لما
رأى جاهليته وانكاره فرض الزكاة وقد قال له لا تقل هذا فانك ان قلته قتلتك فلم ينته
واعاد مقالته حكم بقتله وابو بكر رضي الله عنه اقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم فيما
فعله لانه وقع له مثله في قصة جذيمة لما قتلهم خالد مع اسلامهم كما هو مذكور في السير
فسقط ما قيل انه لا دليل في هذه القصة لما نحن بصدده لانها امر منكر محتاج للتاويل
وقال ابو سليمان الخطابي هو حمد بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب وله نسب وقيل انه من
نسل زيد بن الخطاب اخو عمر رضي الله عنه وهو بستي ومات في سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة
وهو امام جليل له تصانيف جليلة كمعالم السنن وغيره لا اعلم احدا من المسلمين اختلف
في وجوب قتله اذا كان مسلما واما الخلاف في الكافر كما تقدم وقد قيل انه مقيد بعدم
التوبة فانه محل الاجماع وانه لا يخلو من نظر وقد قدمنا لك ما يعلم منه الجواب عنه وقال
ابن القاسم الامام عبد الرحمن المصري صاحب الامام مالك رحمه الله عن مالك في كتاب
محمد بن سحنون الذي تقدم قريبا والمبسوط والعتبية تقدم انهما من اجل الكتب وبيانها
وحكاه عبد الله بن مطرف وهو ابن اخت الامام مالك كما قدمنا في ترجمته في كتاب
ابن حبيب الذي تقدم بيانه ايضا من سب النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل حدا

ولم يستتب ولا تقبل توبته وقال ابن القاسم في العتبية تقدم انها اسم كتاب منسوب
لمحمد بن احمد بن عبد العزيز بن عتبة الاموي القرطبي الفقيه احد اعلام ائمة الاندلس
من سبه او شتمه معطوف على سبه والمراد بالسب ذكر ما فيه تحقير له من الامور الذميمة
وشتمه بنسبة ما لا يليق به صلى الله عليه وسلم في ذاته مما لا يحقره ككونه جبارا فهما ان
لان المترادفين لا يعطف احدهما على الاخر وهي للتقسيم هنا او عابه او تنقصه اي نسب له
نقصا وان لم يكن شتما كقوله غيره اعلم منه او اعقل فانه يقتل حدا وحكمه عند الامة اي في اعتقاد
جميع المسلمين القتل وجوبا بلا تردد كالزنديق اي كما يقتل الزنديق كما تقدم وقد فرض الله
على كل احد توقيره اي تعظيمه صلى الله عليه وسلم وبره برعاية حقه الواجب على امته فمن جحد
ما فرض الله عليه مما علم من الدين بالضرورة كان زنديقا يجب قتله ولا تقبل توبته وفي
المبسوطة وفي نسخة المبسطة عن عثمان بن كنانة بكسر الكاف ونونين بينهما الف وهاء
تانيث وهو ابو عمرو اسم رجل من ائمة المالكية له كتاب اسمه المبسوطة لم يشتهر توفي سنة ست
وثمانين ومائة بعد مالك بستين سنة وقيل بثلاث وستين وهو احد الرواة عن مالك من شتم
النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل او صلب حيا على جذع الى ان يموت تشهيرا له
ولم يستتب اي لم تقبل توبته والامام مخير في صلبه حيا او قتله بضرب عنقه وفي رواية
ابي المصعب عن مالك ومصعب بزنة اسم المفعول وهو احمد بن ابي بكر ابو مصعب الزهري
العوفي قاضي المدينة وعالمها الثقة المحدث روى عن مالك وغيره وتوفي في سنة اثنين واربعين
ومائتين وله ترجمة في الميزان وابن ابي اويس اسمه عبد الله بن عبد الله بن ابي اويس بن اخت مالك
كما تقدم سمعنا مالكا يقول من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم باي نوع كان او شتمه
او عابه او تنقصه بنسبة نقص ما له حماه الله منه قتل مسلما كان القائل او كافرا ولا يستتاب
لانه حد لا يسقط بالتوبة عنده قيل قوله ولا يستتاب قيد للمسلم اما الكافر اذا تاب وتوبته
اسلامه فتقبل توبته ولا يقتل لان الاسلام يجب ما قبله وقال تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا
يغفر لهم ما قد سلف وسياتي ما فيه وفي كتاب محمد بن ابراهيم المعروف بابن المواز من ائمة
المالكية المشهورين اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب النبي صلى الله عليه وسلم او غيره
من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وقال اصبغ بن الفرج الطائي الاندلسي
المالكي مفتي قرطبة الامام المعروف توفي سنة سبع وتسعين وثلاثمائة كما تقدم يقتل على كل
حال كما بينه بقوله اسر ذلك اي اخفاه عن بعض الناس او اظهره وجهر به ولا يستتاب
لان توبته لا تعرف هل هي كائنة باخلاص او هي تقية لخوف القتل وقال عبد الله بن عبد
الحكم بفتحتين بن اعين الفقيه المصري ثقة يروي عن مالك والليث وغيرهما توفي سنة
اربع عشرة ومائتين من سب النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم او كافر قتل ولم يستتب
وحكى الطبري الامام المشهور محمد بن جرير مثله عن اشهب عن مالك رحمه الله واشهب هذا
هو ابن عبد العزيز بن داود بن ابراهيم ابو عمرو العبسي العامري المصري الفقيه قيل اسمه
مسكين واشهب لقبه روى عن مالك والليث وغيرهما وهو ثقة توفي سنة اربع ومائتين
وعمره اربع وستون سنة وروى ابن وهب عن مالك رحمه الله وابن وهب هو ابو محمد
بن وهب بن مسلم الفهري المصري احد الاعلام روى عن مالك والليث والسفيانين وغيرهم
كثيرين وطلب للقضاء فاختفى وانقطع في بيته وكان من الزهد والعبادة وكثرة حفظ الحديث بمرتبة

لم يبلغه غيره حتى بلغ حديثه ثمانين الف حديث وله تصانيف كبيرة جليلة توفي في سنة سبع
وتسعين ومائة في شعبان وولد سنة خمس وعشرين ومائة **من قال ان رداء النبي صلى الله**
عليه وسلم ويروي زر النبي صلى الله عليه وسلم **وسخ** الوسخ والدرن معروفان **واراد**
به عيبه اي تنقيصه والازراء به **قتل** فان لم يقصد ذلك لم يقتل كما قال بعضهم رايت عطا بن
صلى الله عليه وسلم وسخة اي مسودة من دنس العرق لانه يرى بين ذلك عدم مبالاته صلى الله
عليه وسلم بملابسه وزينته والمراد يعلم من سياق الكلام كما قيل

اذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه • فكل رداء يرتديه جميل •

الا انه لا ينبغي ذكر مثله وروايته عند العوام ولذا افتى بعض علماء العصر فيمن قال انه كان
صلى الله عليه وسلم يرتهن حتى كان ثيابه ثياب رثات مع انه مروي في الشمائل وكذا كل
اذية لا تكون كفرا الا اذا قصدها الاذية له صلى الله عليه وسلم ولذا لم يكفر الخايضون
في الافك مع انه اذية له صلى الله عليه وسلم بنص القرآن كما صرح به السبكي في السيف المسلول
وسيأتي تفصيله قال ابن حجر الهيتمي بعد كلام المص ويؤخذ منه انه لو اطلق ذلك او قصد
الاخبار عن تواضعه لا يكفر وهو ظاهر في ارادة التواضع ومحتمل عند الاطلاق لانه ليس صريحا
في النقص واذا قلنا بعدم الكفر فظاهر انه يعزر المعزر البليغ لذكره ما يوهم نقصا واختلفوا
فيما لو قال كان النبي صلى الله عليه وسلم طويل الظفر والذي يظهر انه لو قال ذلك احتقارا
له صلى الله عليه وسلم او استهزاء به او على جهة نسبة النقص اليه كفر والا فلا بل يعزر التعزير
الشديد انتهى ملخصا **وقال بعض علمائنا** يعني المالكية **اجمع العلما** تقدم الكلام في الاجماع
في هذه المسئلة **على ان من دعا على نبي من الانبيا بالويل** فقال ويلا له وهي كلمة يدعى
بها ومعناها الهلاك او البلاء والمصيبة والمشقة **او دعا عليه بشي من المكروه** مما يكرهه
الناس ويشق عليهم **انه يقتل بلا استتابة** اي لا تطلب توبته ولا تقبل وقال ابن حجر
الهيتمي في فتاويه ملخصا يصح صلى الله عليه وسلم انه من زنا بحضرته كفر لكفر ونظر فيه في
الروضة واجيب بانه ظاهر في الاستخفاف فكان كفرا فيؤخذ منه ان غيره من الانبيا كذلك
وافتى القابسي ابو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري القيرواني شيخ الحديث وفقه
مالك الضرير الزاهد العابد صاحب التصانيف الجليلة في الفقه والاصول عديم النظير
توفي سنة ثلاث واربعمائة **فيمن قال في النبي صلى الله عليه وسلم الحمال** بفتح الحاء المهملة
وتشديد الميم قبل الف ولام وذلك لانه صلى الله عليه وسلم كان اذا اشترى شيئا من السوق
حمله بنفسه فاذا لقيه من اراد يحمله قال رب المتاع اولى بحمله كما روي في كتب الحديث **يتيم**
ابي طالب لانه رباه بعد موت ابيه وجده عبد المطلب **بالقتل** لما فيه من الاستخفاف
والتحقير وقصد قايله ذلك لقيام قرينة عليه كما سيأتي قال ابن حجر والظاهر ان من هنا
لا يأتي ذلك لما في عبارته من الدلالة على الازراء فان ذكر يتيم ابي طالب فقط لم يكن صريحا
في ذلك فيما يظهر نعم ان كان السياق يدل على الازراء كان كما لو جمع بين اللفظين **وافتى ابو**
محمد بن ابي زيد عبد الله القيرواني المالكي الذي انتهت اليه رياسة مذهب مالك بالمغرب
ورحل اليه من الاقطار وكثر الآخذون عنه وقال المص في حقه انه حاز رياسة الدين والدنيا
حتى سمي مالك الاصغر توفي في نصف شعبان سنة تسع وثمانين وثلثمائة **بقتل رجل سمع قوما**
يتذاكرون اي يتحدثون ويذكر بعضهم لبعض **صفة النبي صلى الله عليه وسلم** يعني حليته

الشريفة

الشريفة **اذ مر عليهم** في حال تحدثهم **رجل قبيح الوجه واللحية** على غير هيئة مستحسنة
فقال لهم اي لهؤلاء الجماعة الذين تحدثوا بذلك **تريدون تعرفون صفته** صلى الله عليه وسلم
وخلقته تمثالا والمراد نعم فقال **هي في** مثل **صفة هذا المار في خلقه** بفتح فسكون **وهيئته**
لحيته وكانت هيئة ذلك المار مستقبحة كما تقرر **قال ولا تقبل توبته** لكفره وعظم جرمه
قال ابن حجر ومن هنا قاض بذلك **وقد كذب** هذا الرجل في مقالته هذه **لعنه الله** واخزاه
وقبح وجهه **وليس يخرج** ما قاله هذا الملعون **من قلب سليم الايمان بل عديم العقل والايمان**
وقال احمد بن ابي سليمان هو من علما المالكية المعروفين عندهم **وصاحب سحنون من قال**
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لون وجهه وظاهر بدنه **اسود يقتل** لانه صلى الله عليه
وسلم كان من الحسن وبياض الوجه بصفة لا تخفى كما مر فهذا القايل قد كذب ووصفه صلى الله
عليه وسلم بما فيه اشعار بالتحقير لعنه الله وسود وجهه يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وهذا
ما صرح به الفقها وعللوه بانه قصد الكذب استخفافا كما لو قال لم يكن قرشيا **وقال** اي ابن
ابي سليمان ايضا **في رجل قيل له** وقد تكلم بشي لم يقبلوه **لا** رد لما قاله **وحق رسول الله**
اي عظمته وجلالة قدره عند الله وهو قسم موكد لما قبله ومثل هذا اليمين الموكد به والاستعطا
ليس يمينا شرعيا وانما جاء على عرف التخاطب فالبحث عنه هنا لا وجه له **فقال** الرجل المخاطب
بعد ما ذكر **فعل الله برسول الله كذا وكذا** كناية عن كلام قبيح وصف به رسول الله صلى الله عليه
وسلم تركه لاستهجانه **وذكر كلاما قبيحا** لا يليق ذكره **فقيل له** انكارا لمقالته **ما تقول**
يا عدو الله جعله عدو الله لتحقيره رسول الله صلى الله عليه وسلم **فقال له** اي لمن انكر كلامه
كلاما في قبحه **اشد من كلامه الاول** الذي سبق منه **ثم قال** يوجه كلامه القبيح ويأوله
انما اردت بقولي برسول الله العقرب الذي وصفته بصفات انكرتموها لان الله هو
الذي ارسلها وسلطها كما في قوله تعالى ويرسل الصواعق وهذا حقيقة معنى الارسال وهذا مما
لا شك ان في معناه وانكاره مكابرة لكنه لا يقبل من قايله وادعايه انه مراده لان رسول
الله صار في كلامهم لا يراد به الا الانبيا عليهم الصلاة والسلام ولا يخطر غيره بالبال اصل
فلذا لم يقبل تأويله قال ابن حجر ومن هنا لا يأتي ذلك **فقال ابن ابي سليمان للذي سأله**
مستفتيا عنه **اشهد عليه** امر له بان يشهد به عند حاكم يجري عليه ما يستحقه **وانا شريكك**
معطوف على مقدر تقديره فاذا قتل فلك اجر عظيم **يريد في قتله وثواب ذلك** هو وما وقع فيه
الشركة **قال حبيب بن الربيع** هو يحيى بن حبيب وقد تقدم موجها لقول ابن ابي سليمان
وفتواه بقتله **لان ادعاء التاويل** بصرف اللفظ عن ظاهره لا يقبل كما لو قال طالق
وقال اردت محلولة غير مربوطة لا يلتفت لمثله ويعد هذيانا **لانه امتهان** اي ابتذال
وتحقير من المهنة وهي الذلة اي فيه تحقير لرسول الله صلى الله عليه وسلم بحسب صريحه
ومدلوله المعروف **وهو** اي قايله **ليس بمعزر لرسول الله صلى الله عليه وسلم** بزاء معجمة
في آخره او مهملة اي غير معظم **ولا موقر له** لعدم مبالاته به **فوجب** بسبب هذا **اباحة دمه** بجعله
هدرا لوجوب قتله وتاويله لا يسمع منه **وافتى ابو عبد الله بن عتاب** من فقها المالكية **في**
عشار بالتشديد وهو من ياخذ العشر وهو المكاس **قال لرجل** طلب منه المكس فامتنع
وقال انه ظلم لا يرضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له **اد** بفتح الهمزة وتشديد الدال
المهملة امر بمعنى اعط ما طلب منك **واشك الى النبي صلى الله عليه وسلم** مني ومن ظلمي لك

وَمثله تحقير للنبي صلى الله عليه وسلم والشريعة كانه لا قدرة له على دفعه لو كان حيا موجودا
الآن فلذا افتي بوجوب القتل واشك امر من الشكاية وكان المتضرر باخذ المكس قال له
اشكوك للنبي صلى الله عليه وسلم وقال اي العشار لذلك الرجل ويحتمل ان القايل ابن عتاب
فهي فتوى اخرى فصلا مع ما قبله كلام واحد وكلاهما كما اشرنا اليه فيمن قال ان سيلت بضم
التا او جهلت انا امرا اسال عنه فقد جهل بعض امور لان علم جميع الامور انما هو لله وسال
عالم يعلمه النبي صلى الله عليه وسلم فافتي في هذا ايضا بالقتل لما فيه من الاستخفاف برسول
الله صلى الله عليه وسلم للتسوية بينه وبينه واسناد السوال والجهل له قال ابن حجر ومذهبنا
قاض بذلك ايضا بل الذي يظهر ان مجرد قوله ا د واشك الى النبي بقصد عدم المبالاة كفر
ايضا وافتي فقها الاندلس بفتح الهمزة والدال المهملة وضم اللام علم ارض بالمغرب كان بها
من كبار العلما ما لا يحصى وهي الآن بيد النصارى وفي دخول الـ عليه كلام وهي معربة
بقتل ابن حاتم المتفقه اي كان يدعي علمه بالفقه والتبحر فيه وهو رجل من اهل الاندلس لم اقف
له على ترجمة الطليطلي بضم الطا المهملة وفتح لام قبل مثناة تحتية ساكنة وطاء مهملة
مكسورة ولام ويا نسبة نسبة لطليطلة وهي مدينة مشهورة بالاندلس وصلبه على جذع مرتفع
الى ان يموت او ينزل فيقتل تشهيرا له تخويفا للعامة من الجراة على مثله بما شهد مبناه للمجهول
عليه من استخفافه بحق النبي اي بتكلمه بكلام ينذر بتحقيره اي برفعه قدره الذي هو حق
ثابت له على كل احد من امته وتسميته اياه اي لتسمية ذلك الملعون اثنا مناظرته النبي
صلى الله عليه وسلم باليتيم اي قوله انه يتيم او يتيم ابي طالب كما كان يقوله الكفرة تنقيصا
به وازدرا ومثل هذا اذا سيق مشعرا بتحقير كان كفرا فان لم يشعر به جاز كما قدمناه في غيره
كما قال الابوصيري رحمه الله في البردة ه

كفاك بالعلم في الامي معجزة • في الجاهلية والتاديب في اليتم

واليتيم ولد صغير لا اب له ومن الحيوان ما لا ام له ومن الطير ما لا ام له ولا اب وقيل لبعضهم
لم كان صلى الله عليه وسلم يتيما فقال لئلا يكون لمخلوق عليه منة وحكمة اخرى ظهرت في
هذا البيت لان اليتيم من شانه عدم الادب وغنى النفس وقد تربى صلى الله عليه وسلم يتيما مع ما
فيه من الاداب وعزة النفس التي لا يصل اليها احد من البشر ولذا قال ادبني ربي فاحسن تاديبي
كما رواه السمعاني ومن انه مات ابوه وهو حمل على الاصح وقيل ابن شهرين وقيل ابن سبعة وقيل
ثمانيه وقيل ثمانية وعشرين شهرا فكان في كفالة عمه ابي طالب بعد جده وهو في البيت مدح
كما في قوله عز وجل الم يجدك يتيما فاوى فما قيل انه كان على الناظم ان يجتنبه لا وجه له ويأوله
بانه منفرد كالدرة اليتيمة مع عدم الحاجة اليه لا يتاتى في البيت وليس بمراد له وختن حيدره
اي قال الطليطلي انه ختن حيدرة اي ابو زوجته يعني فاطمة الزهرا فعبر به عنه صلى
الله عليه وسلم استخفافا به فحكموا بقتله وقتل وهو من اهل الاندلس ايضا والختن كل قريب
لامراة رجل كاب واخ والعامة تطلقه على زوج البنت كما في الصحاح وحيدرة معناه الاسد
وهو هنا اسم رجل اندلسي وهو لقب علي رضي الله عنه لشدة خلقه وكانت امه سمته اسدا لما
ولد باسم ابيها لانها فاطمة بنت اسد فلما قدم ابوه سماه عليا ولذا قال

انا الذي سمتني امي حيدره وزعمه بتثليث الزاي المعجمة بمعنى الظن وغلب استعماله في الباطل
كما هنا ولذا قيل بئس مطية الكذب زعم والضمير للطليطلي ان زهده صلى الله تعالى عليه وسلم

بترك الدنيا لم يكن قصدا منه واختيارا بل عجزا واضطرارا وقال لو قدر على الطيبات
اكلها ونحو ما قاله من الهذيان الى اشباه هذا اي كلمات اخر تشبهها في السخافة والقبح الذي
كفر به وهذا جهل منه بالله وقدرته وبالنبي صلى الله عليه وسلم وعزته ولو اراد ان تكون
جبال مكة ذهبا كانت وقد عرض عليه ذلك فاباه قال الابوصيري ك

وكيف تدعو الى الدنيا ضرورة من • لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

وهو غني عن البيان قال ابن حجر ومذهبنا لا ينافي ذلك بل زعمه ما ذكر في الزهد ينبغي ان
يكون كافيا في كفره وهو ظاهر لنسبة النقص اليه صلى الله عليه وسلم وافتى فقهاء
القيروان كابن ابي زيد صاحب الرسالة والقيروان مدينة بالاندلس عظيمة وهو لفظ معرب
كاربا بمعنى القافلة لا الجيش كما توهم وراوها تضم وتفتح وينسب اليها قيرواني وقروي على خلاف
القياس واصحاب سحنون بقتل ابراهيم الفزاري نسبة لفزارة قبيلة مشهورة وكان شاعرا
جيد الشعر فصيح متفننا اي ذو فنون من العلوم الفلسفية وغيرها ولكن من يضلل الله فلا
هادي له فعلومه راس مال الجهلة بما يجب العلم به وكان ممن يحضر مجلس القاضي ابي العباس
بن طالب للمناظرة اي للمباحثة في العلوم وهي مفاعلة من النظر بمعنى الفكر في اقامة
الادلة فرفعت اي نقلت عنه كما يقال حديث مرفوع وضمنه معنى شنع فعداه بعلى بقوله
عليه امور منكرة ينكرها عليه علماء الشريعة واهل الدين من هذا الباب اي من نوع الكفر
القبيح في الاستهزا بالله تعالى وانبيايه ونبينا عليه وعليهم الصلاة والسلام
اجمعين فاحضر له لمجلس الحاكم القاضي يحيى بن عمر وهو قاضي القيروان وعالمها وغيره
من الفقها المالكية في عصره وامر بقتله بعدما حكم بكفره بما ثبت عليه في ملا من الناس
وصلب وطعن بالسكين ليقتل وصلب منكسا رجلاه اعلا وراسه اسفل تحقيرا له وتشهيرا
ثم انزل عن جذعه المصلوب عليه واحرق بالنار بعد موته وهذا مما اجازه العلما كما ذكره
السبكي في كتابه السيف المسلول على من سب الرسول وحكى بعض المؤرخين اي العلما بعلم
التاريخ واخبار من سلف انه اي ابراهيم الفزاري المصلوب لما رفعت خشبته التي
صلب عليها وزالت عنها الايدي التي رفعتها وذكره ليعلم ان ذلك الامر ليس لفعلهم وانما هو
امر الهي استدارت لجانب اخر غير ما كان موجها له وحولت عن القبلة بعدما كان موجها
لها وكان ذلك اي تحوله عن القبلة اية اي علامة وعبرة للجميع اي جميع من حضر او جميع
من كان على نهجه في الزندقة وكبر الناس اي صاحوا الله اكبر تعجبا مما شاهدوه وجاء
كلب فولغ في دمه الذي جرى منه حين طعن بالسكين يقال ولغ الكلب والسبع يلغ
اذا الحق ما يغفا بلسانه ولا يقال ولغ لغيره ذلك فقال يحيى بن عمر القاضي حين راى
ولوغ الكلب من دمه صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ما صدقه بان ذكر
حديثا عنه صلى الله عليه وسلم ثبت عنده انه صلى الله عليه وسلم قال لا يلغ بفتح اللام
وكسرها والثاني هو القياس الكلب في دم مسلم تكريما له لا انه قيل انه لا يعرفه الحفاظ
فالظاهر انه لا اصل له لانه لم ينقله الثقات ونقل عن ابن حجر ايضا انه قال لا اصل له ونقل المص
له عن القاضي المذكور لعدم وقوفه عليه في كلام غيره وقال القاضي ابو عبد الله بن المرابط
هو من يقيم بالثغور الاسلامية لحراستها وله فضايل عظيمة مذكورة في باب الجهاد وابن المرابط
هو ابو مصعب ويقال المصعب بن محمد بن خلف بن سعيد بن وهب توفي بعد ثمانين

وَاربع مائة وهو من اجل ايمة المالكية بالمغرب **من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم هزم**
يستتاب اي يطلب منه ان يتوب مما قاله ويرجع عنه وهزم بزاي معجمة مبني للمجهول من
الهزيمة وهي الفرار من الزحف وهو كبيرة الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فية كما في الاية وبيانه
في التفسير وكتب الفقه فمن قال انه صلى الله عليه وسلم فر من عدو خوفا وجبنا في وقعة
هوازن بحنين فقد كذب ونسب اليه ما فيه نقص وعار قال ابن حجر وقضية مذهبنا انه لا
يكفر بذلك الا ان قاله على قصد التنقيص لانه ليس صريحا فيه لان الهزيمة قد تكون من الجبلات
البشرية فان لم يقصد ذلك لم يكفر بل يعزر التعزير الشديد انتهى ولو قيل ان الفرار مما لا يلق
من سنن الانبيا كما فر موسى حين هم القبط به لم يبعد **فان تاب قبلت توبته والا** اي وان
لم يتب **قتل لانه تنقيص له** صلى الله عليه وسلم واستهانة به وهو كفر وهذا مخالف لما
قدمه من ان منتقصه صلى الله عليه وسلم يقتل ولا يستتاب فاما ان يكون ابن المرابط خالف
من قبله في ذلك او يقول انه مما ظنه كثير من الناس فاذا تاب انزوى عنه الحد لما فيه من الشبهة
وانه لا تنقيص فيه مع كثرة العدو وقوته وقوله **اذ لا يجوز ذلك** اي هزيمته صلى الله
عليه وسلم **عليه في خاصته** اي فالهزيمة منه ممتنعة لا بر خصه الله به وجبله عليه
لالقاء الرعب منه في قلوب اعدائه وتثبيت الله له بقوة قلبه **اذ هو** صلى الله عليه وسلم
طبعه الله على بصيرة يعرف بها ان احدا لا يقدر على اصابته بسوء **ويقين من عصمته**
اي عصمة الله له بحفظه لقوله والله يعصمك من الناس فلو انهزم كان شاكا فيما اخبره الله
به ومر انه كان صلى الله عليه وسلم في حرب هوازن وقد حمي الوطيس على بغلته البيضا
وابو سفيان بن الحارث اخذ بزمامها وهو يقول

انا النبي لا كذب • انا ابن عبد المطلب

كما في البخاري فركب البغلة وهي لا تصلح للكر والفر ونادى باسمه اعلاما لاعدائه بمكانه
ليقصد فاي ثبات وشجاعة اقوى من هذا وقد فر كثير من الصحابة لما نضحوهم بالسهام **وقال
حبيب بن ربيع** من ايمة مذهب مالك **كما تقدم القروي** منسوب لقرية او للقيروان
على خلاف القياس كما تقدم **مذهب مالك واصحابه ان من قال فيه** اي في حقه صلى الله
عليه وسلم **ما فيه نقص** لمقامه المعظم **قتل دون استتابة** هذا تعقب على ما قاله ابن المرابط
لمخالفته لمذهبه وقد عرفت ما فيه **وقال ابن عتاب** من المالكية ايضا **نص الكتاب والسنة**
من الاحاديث الصحيحة وطريقة السلف **موجبان ان من قصد النبي صلى الله عليه وسلم
باذى** اي بما يؤذيه ويسوءه **او نقص** اي ما فيه تنقيص له وتحقير سوا كان **معرضا او مصرحا
وان قل** فقليله وكثيره سوا والتعريض الاتيان بما يوهم ذلك والتصريح بخلافه **فقتله واجب**
على كل حاكم رفع اليه امره لان من آذاه صلى الله عليه وسلم فقد آذى الله وقد ورد وعيده
في ايات عديدة مشهورة **فهذا كله** اي كل ما ذكر في هذا الباب مما فيه اذية او تنقيص له
صلى الله عليه وسلم **مما عده العلماء سبا وتنقيصا يجب قتل قايله لم يختلف في ذلك
متقدمهم ولا متاخرهم وان اختلفوا في حكم قتله على ما اشرنا اليه فيما تقدم** من هذا
الكتاب **ونبينه** تفصيلا **بعد** اي بعد هذا فهو مبني على الضم **وكذلك** اي مثل ما تقدم عن
ايمة الدين **اقول حكم من غمصه** بغين معجمة وميم وصاد مهملة اي حقره وعابه بما لا يليق به
او عيره بتشديد اليا التحتية اي نسبه صلى الله عليه وسلم لما فيه عار وهو يتعدى بنفسه

في الفصيح وقد يتعدى بالبا وانكار الحريري له في درة الغواص لا وجه له لما فصلناه
في شرحها مع شواهده ومنه قوله **برعاية** قال السيوطي في كتابه تنزيه الانبيا
عن تسفيه الاغبيا وهو كتاب جليل ينبغي الوقوف عليه ان رجلا سب آخر بانه راعي
فقال له ما من نبي الا رعى الغنم بجمع من العامة فقال قاضي القضاة المالكي لو رفع لي
هذا ضربته بالسياط فلما سئلت عنه اجبت بانه يعزر ابلغ تعزير لانه لا ينبغي ضرب
آحاد الناس مثلا لنفسه بالانبيا والمستدل بمثله قد يكون في مقام التدريس والا
والتصنيف وبيان العلم لاهله لا ينكر عليه اما في مقام الخصام والتبري عن معرة نقص
نسب له او لغيره فهو محل الانكار والتاديب مقال يناسبه وسئل ابن حجر عما يقع في
الموالد من الوعاظ بين العوام من ذكر الانبيا بما يخل بالتعظيم حتى يحصل لسامعه رقة
وحزن كقولهم ان المراضع لم تاخذه صلى الله عليه وسلم لعدم ما له حتى اخذته حليمة شفقة
عليه ويقولون انه كان يرعى غنما وينشدون في ذلك

• باغنامه سار الحبيب لكي يرعى • فيا حبذا راع فوادي له يرعى •

فاجاب بانه ينبغي ان يحذف من الخبر ما يوهم نقصا وان لم يضره بل يجب ذلك انتهى **او وصفه
بالسهو او النسيان او السحر** اما الاخير فلا شبهة في امتناعه واستحقاق قايله ما مر
واما الاولان فمما صدر عنه صلى الله عليه وسلم نادرا كما تقدم لكنه لا يجوز وصفه به في
سياق يوهم تنقيصا لمقامه لانه تصدر منه نادرا للتشريع **او** اي ولا يجوز ايضا ذكر **ما
اصابه من جرح** بالحا والرا المهملتين المفتوحتين والجيم موخرة اي ضيق وشدة من اعدا
احيانا كما وقع له صلى الله عليه وسلم باحد من كسر رباعيته وجرحه وفي بعض النسخ او جرح
بالجيم المضمومة مقدمة او هزيمة لبعض جيوشه فلا يجوز ذكره وان لم يكن في ذاته كما تقدم
لان اهانة اصحابه اهانة له وذكرها يوذيه **او اذى من عدوه** له او لجنده **او شدة في زمنه**
تصيبه او تصيب اصحابه كقلة المعيشة وضيق الحال وخوف العدو **او وصفه بالميل الى
نسائه** فلا يجوز وان كان جايزا عليه لما فيه من النقص بالنسبة لجليل قدره **فحكم هذا المذ
كله** وان كان فيه ما هو جايز عليه كالسهو لمن **قصد به نقصه القتل** فان لم يقصده لم يمتنع
كما تقدم في كلام السيوطي وغيره قال ابن حجر وما ذكره المصنف ظاهر لقصد النقص وهو كفر
كما مر **وقد مضى في هذا الكتاب** **من مذاهب العلما في ذلك ويأتي ما يدل عليه** ويبينه
وما موصولة او موصوفة تنازعها مضى ويأتي قال السبكي رحمه الله بعدما ذكر ما هنا في
هذا الفصل ان كان هذا عن سوء عقيدة فلا اشكال فيه اما اذا صدر عن مومن وقلنا
الايمان هو التصديق فقط والكفر الجحود كيف يكون هذا كافرا واجاب فقال عن امام
الحرمين ان المسلمين اجمعوا على تكفيره فكانه لانه تم قضي بانه لا يصدر مثله الا ممن قضى الله
بانتزاع معرفة الله من قلبه والعمل وان لم يكن ركن الايمان فالاقرار والانقياد والاذعان
بترك الاستكبار عن امتثال الاوامر لا بد منه ولذا كفر ابليس بالاستكبار والحاصل ان الايمان
يعني التصديق لا بد ان يقترن به امر آخر هو طمانينة القلب لقبول الاوامر والنواهي
والانقياد لها بقلبه وهو معنى الطمانينة فمن استخف واستهان به ضاد ذلك فانتفى
تصديقه الموجود صورة بانتفاء اثره فصار كالعدم فالكفر كفران كفر جهل وجحود ككفر
النصارى وكفر مع التصديق والمعرفة لوجود ما يعارضه ويصيره كالعدم ككفر ابليس

واليهود فاذا انتفى عنه التصديق فهو نفي للمعتد به وكفر الساب والمنتقص من هذا القبيل فهو كافر حصل استحلال ام لا ممن توقف في التكفير من الفقهاء لمن لم يستحل خفي عليه ما خفي انتهى وهو نفيس جدا ينبغي التنبه له في تكفير الفقهاء لبعض الناس فتدبر

فصل في الحجة

اي في بيان الدليل في ايجاب قتل من سبه او عابه صلى الله عليه وسلم بذكر ما فيه تنقيص له فمن ايات القرآن لعنة الله تعالى لموذيه في الدنيا والآخرة كما مر ولا يطرد في الدارين عن رحمته تع الا الكافر المستحق للقتل وقرانه تعالى اذاه باذاه بجعل ما يوذي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوذيه و وجه الدلالة انه لا خلاف في قتل من سب الله تعالى فانه كفر بالاتفاق كما ياتي و لا خلاف في ان اللعن اي الطرد من رحمة الله في الدارين انما يستوجبه اي يستحقه وجوبا من هو كافر وهذه مقدمة من برهان منطقي على الحكم بقتله والمقدمة الاخرى حكم الكافر القتل لانه غير معصوم الدم بالذات وان عرض له ما يمنع قتله ومن كفر بسبه اشد من الكافر الاصلي كما سمعته آنفا وقال تعالى ان الذين يوذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة واذية الله لا تمكن لانه تعالى ايضا لا يكره له وهو لا يتصور في حقه فذكره تهويلا لاذية الرسول صلى الله عليه وسلم فان من يوذيه كمن يوذي الله واللعن الطرد من رحمة الله وهو انما يكون في الدارين للكافر وقال الله في القرآن في قاتل المومن عمدا بغير حق مثل ذلك اي مثل ما قال في حق من يوذي النبي صلى الله عليه وسلم توصف باللعنة فمن لعنته في الدارين القتل اي لعنة القاتل في الدنيا بقتله قصاصا والذي يدل على ان لعنة الدنيا القتل ما قال الله تع لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا نصب ملعونين على الشتم او الحال اي لا يجاورونك في المدينة الا ملعونين وثقفوا بمعنى وجدوا وقد ظفرتم بهم اخذوا وقتلوا تقتيلا والاية تدل على ان معنى لعنة الدنيا هي القتل فيدل على قتل من آذاه لان الله لعنه في الدنيا والآخرة وقال الله عز وجل في المحاربين اي الذين حاربوا الله ورسوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا اذ المراد بهم قطاع الطريق جعل محاربتهم متضمنين محاربة لله ولرسوله لخروجهم عن امرهما وحكمهم مذكور في كتب الفقه وانما ذكر المصنف هذا دليلا على ان اللعنة جاءت بمعنى القتل وقوله وذكر عقوبتهم يعني في الدنيا بقوله ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض والجملة حالية او معترضة ومقول قال ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم وذلك اشارة للقتل وما بعده والخزي الذل والفضيحة وهذا استدلال معنوي لان الخزي في الدنيا بمعنى اللعنة فما قيل من انه قليل الجدوى هنا ناش من عدم التدبر وقد ذكر هنا كلام طويل بغير طائل وقد يقع في القرآن القتل بمعنى اللعن عكس ما تقدم فوقوع كل منهما في موقع الآخر يدل على ان المراد بهما معنى واحد وقال تعالى قتل الخراصون اي الكذابون الذين يقولون ما لا يصح تخمينا وتقديرا من انفسهم فالقتل بمعنى الاهلاك جرى مجرى اللعن والقبح في الدعاء وغيره وقاتلهم الله في الدعاء كلعنهم الله وقد يرد هذا للتعجب من فعل فعلا غريبا ولو في مقام المدح وقد يرد على ظاهره كقوله تعالى

قاتلهم الله

قاتلهم الله انى يوفكون اي يصرفون عن الحق اي لعنهم الله فوقع موقعه في الدعاء والمعنى المجازي كالحقيقي وانه لا فرق بين اذاهما اي اذية الله تع واذية رسوله صلى الله عليه وسلم واذية المومنين لان اذاهم يسوء رسول الله صلى الله عليه وسلم ويوذيه في امته واذيته اذية لله كما تقدم وعدم الفرق في مطلق الاذى وان كان بين اذا واذى المومنين فرق بحسب الجزاء واليه اشار بقوله وفي اذى المومنين ما دون القتل اي اقل منه من الضرب جلدا وتعزيرا والنكال اي العقوبة بغير قتل كقطع يد ونحوه قال تع والذين يوذون المومنين والمومنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا فكان حكم موذي الله تعالى ونبيه صلى الله عليه وسلم اشد من ذلك اي من جزاء اذية المومنين التي تكون بضرب ونحوه وقوله وهو القتل راجع لحكم الاشد وحاصله الاستدلال على ان من سبه صلى الله عليه وسلم يقتل والدليل عليه ايضا انه قال فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم اي وقع بينهم من الاختلاف والمخاصمة وحتى غاية متعلقة بقوله لا يومنون اي ينتفي عنهم الايمان الى هذه الغاية وهي تحكيمك وعدم وجدانهم الجزع وتسليمهم لامرك الاية يعني قوله تع ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما وتقدم ان سبب نزول هذه الاية كما في البخاري ان الزبير بن العوام رضي الله عنه خاصم رجلا من الانصار بدريا في امر الماء الذي يسرح الحرة بفتح الشين المعجمة وكسر الراء اخره جيم مسيل الماء يكون في الجبل وينزل الى السهل وتقدم في وانه في شراج بالشين المعجمة المكسورة وفي اخره جيم والحرة بفتح الحاء وتشديد الراء المهملتين خارج المدينة فاغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم فنزلت هذه الاية ولا من زائدة لتاكيد النفي في جواب القسم الظاهر لا في قوله لا يومنون لانها تزاد ايضا في الاثبات كقوله تع لا اقسم بهذا البلد وقيل ان لا النافية زائدة والقسم معترض بين حرف النفي والمنفي وان التقدير فلا لا يومنون وربك فنفى الايمان عمن لم يرض حكمه لما فيه من الاذية له صلى الله عليه وسلم كما اشار اليه بقوله فسلب الله تعالى ونفى اسم الايمان عمن وجد في صدره اي قلبه الذي فيه ونفسه واسم على ظاهره اي لا تسميه مومنا او هو مقحم مزيد للمبالغة في نفيه عنه حرجا اي ضيقا عن قبول حكمه او قلقا اشارة لقوله تع لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت اي من قضائه وحكمه ولم يسلم له اي لم ينقاد ولم يذعن لحكمه صلى الله عليه وسلم اشارة لقوله ويسلموا تسليما واورد هنا بعض الشراح كلاما طويلا وزعم ان المفسرين لم يعثروا به وحاصله انها ان كانت في اليهود والمنافقين ممن ليس بمومن فلا يحمل سلب ايمانهم غاية لعدم الرضا بحكمه صلى الله عليه وسلم وان كانت في الزبير رضي الله عنه فهو فوق مثل الحكم وبعده فان كانت عامة فالحرج كاف فلا حاجة لقوله يحكموك الخ وهي تقتضي ان مجرد الرضا بحكمه يكفي في ثبوت الايمان ولا قائل به الى آخر ما ذكره مما يدل على ضيق العطن بل قلة الفطن لان المراد ان من لم يرض بحكمه صلى الله عليه وسلم ولم ينقد لنهيه وامره شاك في دينه غير متحل بيقينه ومثله موذ له مغضب له صلى الله عليه وسلم كما مر في سبب النزول واذيته كفر حقيقة او موذية اليه فنبه حث على اجتناب ما يكره والخوف من عاقبته فاي حاجة لان ننتبه بما لا محصل له ولولا خوف الاطالة اوردناه وبينا ما فيه ومن تنقصه اي صدر عنه ما فيه نقص له صلى الله عليه وسلم فقد ناقض هذا المذكور في هذه الاية من الحرج وعدم

ها
صه
كيد
ين
بن

التسليم مما يجر الى نفي الايمان **وقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق**
صوت النبي الى قوله تحبط اعمالكم ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض فنهى الله المؤمنين
عن رفع الصوت في مخاطبته وان يبادروا بمعه صلى الله عليه وسلم بخفض اصواتهم
تعظيما له وتادبا وحبوط الاعمال سقوطها حتى لا يثاب عليها من حبطت الدابة اذا اكثرت
الكلها حتى انتفخت وماتت **ولا تحبط الاعمال** بسقوطها عن ان يعتد بها ورفع ثوابها **الا الكفر**
لان الاعمال انما تتقبل من المؤمن لان العمل المقبول ثمرة الايمان وهذا مذهب اهل السنة من
ان المحبط كفر اصلي او طارئ بردة والمعتزلة يقولون يحبط بالكبائر والخلاف مشهور في الاصول
والكافر يقتل اي يستحق القتل شرعا بما اوجبه والمراد النهي عن المؤذي ورفع الصوت
فوق صوته صلى الله عليه وسلم فيه اذية له وهذا مخصوص بمن قصد اهانته وتحقيره صلى
الله عليه وسلم وان لم يقصده كان خلاف الاولى فالقول بان اطلاقها لا يوافق مدعاه غير ظاهر
لعدوله عن الظاهر وكان الصحابة بعد نزول هذه الاية لا يكلمونه صلى الله عليه وسلم
الا كاخي السرار وقال ابن العربي رحمه الله هذا كما هو في حياته صلى الله عليه وسلم متحتم
بعد مماته حتى لا ينبغي رفع الصوت عند قبره ولا عند قراءة حديثه ولا عند احد من العلماء الذين
ورثوا مقامه صلى الله عليه وسلم فهذا مكروه اشد كراهة ومع قصد الاهانة حرام **وقال الله تعالى**
واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله يعني اليهود والمنافقين لما كانوا يقولون
له السام عليك يعنون الدعاء بالموت ويحرفون تحية الله التي هي السلام ويقولون في انفسهم
لولا يعذبنا الله بما نقول **ثم قال** عز وجل بعد قولهم هذا **حسبهم جهنم يصلونها فبيس المصير**
اي يكفي في جزائهم ما اعد الله لهم من عذاب الاخرة الذي يصيرهم وقد علمت ان ضمير جاؤك
لليهود والمنافقين الذين كانوا يتناجون ويتغامزون حتى شكاهم الانصار لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فنهاهم فلم ينتهوا فنزلت فيهم هذه الاية ● **وقيل** نزلت في اليهود لما
كانوا اذا جاؤه قالوا السام عليك ثم يقولون لو كان نبيا ما امهلنا الله مع استخفافنا فاذا
نهوا عن هذا وجاء وعيدهم به فالسب يلحق بالطريق الاولى **وقال تعالى ومنهم الذين**
يؤذون النبي ويقولون هو اذن اي يسمع كل ما يقال له ويقبل من كل احد فجعل ذاته كلها
اذنا تسمية للكل باسم جزئه كما سمي الربيئة عينا فهو مجاز مرسل والقائلون هم المنافقون قالوا
نقول له ما نريد ثم ناتيه فننكر ونحلف فيصدقنا ظنوه غفلة منه وانما هو حلم منه صلى الله عليه
وسلم عليهم فرد الله عليهم مقالتهم بقوله **قل اذن خير لكم** اي نعم هو اذن ولكنه اذن خير
وصلاح لعفوه وصفحه وهو مع ذلك **يؤمن بالله** بتصديقه لما جاءه منه **ويؤمن للمؤمنين**
يصدقهم ويجعلهم في امان بقبوله من محسنهم وتجاوزه عن مسيئهم وعداه باللام لتضمنه
معنى يسمع قولهم مصدقا له وفيه تعريض لهم بانه لا يقبل قولهم وانما يستر كذبهم بحلمه عليهم
كما قال **ورحمة للذين امنوا منكم** اي اظهروا الايمان ولذا عبر بالفعل وسمى غيرهم بالمؤمنين
وقد قال وفي نسخة ثم قال **والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم** اي مؤلم وفيه مجاز
عقلي **وقال الله تعالى ولئن سالتهم** اي المنافقين الذين قالوا وهو صلى الله عليه وسلم ذاهب
لتبوك انظروا لهذا الرجل يريد فتح حصون الشام هيهات هيهات فاعلمه الله بذلك فلما اخبرهم
بما قالوه قالوا كما اخبر به رسوله **ليقولن انما كنا نخوض** اي نتحدث لنقطع السفر بالتلهي
بالحديث **ونلعب** نلهيا منا **قل ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزؤن** استفهام تقريع

لتنزيلهم

لتنزيلهم منزلة المعترفين توبيخا وتفضيحا لهم **لا تعتذروا قد كفرتم** باستهزائكم
بعد ايمانكم بحسب الظاهر اي لا تعتذروا بعذر غير مقبول لكذبكم والقائل وديعة بن ثابت
لا ابن سلول كما قاله النقاش لانه لم يشهد تبوك فهو خطا وقوله ان يعف عن طايفة منكم نعذب
طايفة كانوا ثلاثة تكلم اثنان وضحك الثالث وهو المعفو عنه واختلف هل هو مخشي
او ابن مخشي او خاسر بن حمير وهو مسلم وقيل منافق لكنه تاب وحسن اسلامه وسال الله
الشهادة فقتل باليمامة وطلبه الشهادة لندامته على ضحكه رحمه الله ورضي عنه **وقال اهل**
التفسير في تفسير هذه الاية معنى **كفرتم بقولكم في رسول الله** صلى الله عليه وسلم
هو اذن فهو دليل على ان اذيته صلى الله عليه وسلم كفر وهذا قول المفسرين في كفره **واما**
الاجماع على كفره **فقد ذكرناه** فيما تقدم وقد بيناه اتم تبيين **واما الاثار** اي الاحاديث
المسندة المروية فيه فمنها ما ذكره المصنف ورواه الطبراني والدارقطني رضي الله عنه وقدم
الاجماع لانه اقوى في الدلالة على ما اراده لاحتمال الاحاديث التاويل والتهويل بقوله **حدثنا**
الشيخ ابو عبد الله احمد بن محمد بن غلبون الخولاني القرطبي الاشبيلي الزاهد العلامة في
جميع الفنون الثقة العابد توفي سنة ثمان وخمس مائة وله تسعون سنة **عن الشيخ ابي ذر**
الهروي وهو عبد بن محمد بن عبد الله الانصاري الهروي الحافظ الفقيه المالكي نزيل
مكة وله معجم كبير وعاش سبعا واربعين سنة وهو ثقة عابد حافظ عارف بالفقه واخذ
الاصول عن الباقلاني وتوفي سنة اربع وثلاثين واربع مائة **اجازة** تقدم معناها والاجا
لغة فيها كلام في ابن الصلاح وحواشيه **قال حدثنا ابو الحسن الدارقطني** علي ابن عمر
ابن احمد البغدادي الحافظ المشهور صاحب التصانيف الجليلة روى عن البغوي وطبقته
كما قاله الحاكم وكان اوحد عصره في الحفظ والفهم والورع وانتهت معرفة الحديث والعلل له
وكذا اسماء الرجال مع الصدق وصحة الاعتقاد والاطلاع على علوم كثيرة غير الحديث كالقراات
والفقه والادب والشعر وهو لم ير مثل نفسه وقيل انه كان امير المؤمنين في الحديث توفي
سنة خمس وثمانين وثلثمائة وسنه ثمانون وهو منسوب لدار القطن محلة ببغداد وهو امام
ثقة وابو عمر بن حيوة الامام الحجة محمد بن العباس بن محمد بن زكريا البغدادي وهو امام ثقة
ايضا توفي سنة اثنين وثلثمائة عن سبع وثمانين وحيوة بفتح الحاء المهملة وسكون الياء
المثناة التحتية وفتح الواو وبعدها ياء مشددة للنسبة ليحيوة وهو علم على خلاف القياس
لان مقتضاه قلب الواو ياء وادغامها لكن الاعلام ارتكبوا فيها خلاف القياس احيانا لما ذكره
النحاة **قال احدثنا محمد بن نوح قال حدثنا عبد العزيز بن محمد بن الحسن بن زبالة** بفتح
الزاي المعجمة وتخفيف الموحدة ولام قبلها وهو من ائمة الحديث المشهورين وله فيه كتاب
متداول الان فيه امورا يتوقف فيها المحدثون **قال حدثنا عبد الله بن موسى بن جعفر**
هو عبد الله بن موسى الهاشمي وفيه كلام فقيل ضعيف وقيل ثقة توفي سنة اربع وسبعين
وثلثمائة **عن علي بن موسى** المعروف بالرضى العلوي وهو في الاكثر يروي **عن ابيه** موسى
الكاظم بن جعفر الصادق توفي بطوس سنة ثلاث ومائتين وله خمسون سنة قال وينسب
له امور لا اصل لها كما يروي عن جعفر الصادق ولا يثبتها وانما الكلام فيمن نقل عنهما **عن جده**
جعفر الصادق **عن محمد بن علي بن الحسين عن ابيه** وهو ابو جعفر الباقر وابوه زين العابدين
عن الحسين بن علي بن ابي طالب **عن ابيه** علي بن ابي طالب **ان رسول الله صلى الله عليه وسلم**

قال من سب نبيا فاقتلوه ومن سب اصحابي فاضربوه اي حد القذف وهذا الحديث
تقدم من رواه لكنهم قالوا ان سنده ضعيف ولم يروه اصحاب الكتب لكنه اعتضد بالاجماع
وقول ابن الصلاح انه حديث لا يعرف مردود عليه بروايته مسندا وفي الحديث الصحيح
الذي رواه البخاري وغيره مسندا امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الاشرف
وهو يهودي من يهود خيبر مشهور وقوله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث من لكعب
ابن الاشرف جملة اسمية معطوفة على جملة امر الفعلية اي قوله هذا ثابت ومن استفهامية
اي من يقوم له ليقتله وهو حث وحض على الانتصار بالانتقام كما تقول من لي بفلان في
الاستغاثة وطلب الاعانة ثم علل الطلب بقوله فانه يعني كعبا لعنه الله آذى الله ورسوله
وروي يؤذي الخ لانه اعلن سب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهجاه ورثى قتلى المشركين
ببدر وذهب لمكة ليحرض اهلها على حربه واخذ الثار فلما رجع وبلغ رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما فعله قال من لي بابن الاشرف الخ وروى ابن حجر عن ابن اسحاق بسند ضعيف
ان كعبا صنع وليمة جمع فيها اليهود ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اذا حضر اقتلوه
فلما اتاه لدعوته نزل عليه جبريل عليهما الصلاة والسلام فستره بجناحه وخرج وهم لا
يرونه فلما فقدوه تفرقوا وكعب هذا كان من بني نبهان بطن من طي وكان شاعرا فصيحا
وكان ابوه اصاب دما في الجاهلية فاتى بني النضير وتزوج منهم عقيلة بنت الحقيق فولدت
له كعبا وكان زوجه سمينا فرأس فيهم ثم اشتد اذاه وهجوه على المسلمين ورسول الله صلى
الله عليه وسلم يامرهم بالصبر فاشار سعد بن معاذ بقتله فقتل في السنة الثالثة في
ربيع الاول كما فصلت قصته في السير وذلك انه صلى الله عليه وسلم وجه اليه اي الى
كعب اي ارسل له واصله الارسال الجهة من قتله غيلة بكسر الغين المعجمة وسكون الياء
التحتية ولام وهاء اي خفية من غير شعور احد من الاغتيال وهو الخداع والاختفاء للقتل
دون دعوة للاسلام والرجوع عن الكفر بخلاف غيره من المشركين فانه انما يقتل بعد
الدعوة والانذار وعلل صلى الله عليه وسلم قتله اي بين علة قتله باذاه له كما مر بقوله في
الحديث فانه يؤذي الله ورسوله فدل التعليل على ان قتله اياه انما كان لغير الاشراك
اي مطلق الكفر لانه من اهل الكتاب والاشراك ورد بهذا المعنى ايضا بل كان قتله
للاذى لله ولرسوله فدلت هذه القصة على ان من سب النبي صلى الله عليه وسلم وآذاه من الكفار
يقتل واعلم ان محصل قصة كعب كما مر انه لما آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهجاه
وحث اعداءه عليه وقال له سعد بن معاذ الراي فيه ان يقتل فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من يقوم لقتله فقام من الانصار لذلك خمسة رجال فيهم محمد بن مسلمة رضي الله عنه
فقال انا لك به يا رسول الله فسكت ثم قال له افعل وشاور سعد بن معاذ فشاوره فاشار
عليه براي سديد فقال ابن مسلمة اني ساقول له شيئا فيك يا رسول الله فقال قل ما تريد يريد
انه يقول في صورة الذم ما يخدعه به فتوجه اليه وكان بينهما صداقة وشكى اليه الحاجة
وطلب منه ان يقرضه وسقا او وسقين من الطعام لعياله ومعه ابو نائلة وكان اخوه من
الرضاع وشكيا له من النبي صلى الله عليه وسلم وقالا له انه عنانا باخذ الصدقة منا وصار
بلاء علينا فقال فما ترى فيه فقال انا نريد ان نخذله ولكنا نتربص حتى نرى ما يؤول اليه
امره فقال قد سرني بهذا البيان لكم ان تعرفوا ما انتم عليه من الباطل ثم طلب رهنا فقال

ما ترهن

ما ترهن قال نساءكم قال انك رجل جميل الوجه تشرب الشراب يخشى من فتنته النساء
بك قال اولادكم قال يخشى العار فيهم بان يقال هذا رهن وسق او وسقين ولكنا نرهنك
السلاح واللامة يعني الدروع وواعدها فقال الان اني ليلا سرا حتى لا يدري احد وكانوا
رأوا ليلا بيرنا باذا رآهم مسلحين فلما خرجوا اليه شيعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
لبقيع الغرقد وقال انطلقوا على اسم الله اللهم اعنهم عليه فلما اتوه نادوه وهو مع امراته في
حصنه فقالت له لا تخرج في مثل هذه الساعة اني لاسمع صوتا يقطر منه الدم وهي قريبة
عهد به فقال انما هما صديقي واخي والكريم اذا دعي ولو الى الطعن ليلا اجاب وهو بلا
موكل بمنطقه ثم نزل فوجدهما في نفر من الاوس وهو يفوح منه الطيب فقال لهم ابن مسلمة
اني اشم طيب راسه فاذا رايتموني امسكت راسه فاضربوه فلما اتاهم متوشحا قال
له ابن مسلمة ما رايت كاليوم طيبا فقال عندي اطيب العرب واجملهم فقال اتاذن
لي ان اشم فقال نعم فشم هو واصحابه ثم قال له ايذن في الشم فقال نعم فامسك
راسه ثم قال اضربوه فضربوه وقتل لعنه الله تعالى واصاب طرف سيف الحارث بن اوس
فجرح فلما جاءوا الى النبي صلى الله عليه وسلم تفل على جرحه والصقه فالتحم لوقته ولما
ضرب اللعين صاح فذهب لهم اليهود في طريق اخر فلم يجدوهم فاتوا النبي صلى الله عليه
وسلم وهو يصلي فكبر وافقال لهم افلحت الوجوه فقالوا ووجهك يا رسول الله ورموا راسه
بين يديه صلى الله عليه وسلم فلما اصبح اليهود اتوه وقالوا قتلت سيدنا غيلة فقال
اما علمتم صنيعه واذيته للمسلمين فلم ينطقوا بحرف خوفا منه صلى الله عليه وسلم فدل
هذا على جواز قتل الكافر المعاهد اذا سب الرسول صلى الله عليه وسلم خلافا لابي حنيفة
ولذا قال السبكي ان هذه القصة تشكل على مذهب ابي حنيفة الا ان السخاوي توجه لهذه
القصة بقتل اهل الحرب فكانه يشير الى ان اعلانه به وتحريك الفتنة نقض العهد بصيره به
في حكم المحارب فلا اشكال وفي هذه القصة اشكالان احدهما هذا والثاني وهو مما اورده
ابن المنير رحمه الله من ان الطعن في النبي صلى الله عليه وسلم بلا اكراه كفر فكيف رخص لهم
فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينقده عنهم وهو اشكال قوي وقد اجاب
عنه ابن المنير بانه لما اشتد اذاه وتحريضه على قتالهم المؤدي للقتل وفي قتله خلاص
منه كان الاكراه والالجاء على النطق بما ذكر للظفر به وهو غير قوي الا ان ابن السبكي ارتضاه
في قواعده وقال لبس زي الكفار والتكلم بالكفر من غير اكراه كفر الا لمصلحة مهمة فاذا
اشتدت الحاجة له صار كالاكراه وقد اتفق للسلطان صلاح الدين رحمه الله انه لما اشتد
عليه امر ملك صيدا امر اثنين من المسلمين ان يلبسا لبس الرهبان ويتكلما بكلامهم
ليغتراه ففعلا ولم ينكر العلماء عليه والذي ارتضاه الامام محمد في كتاب السير وتبعه كثيرون
جواز ذلك وقال السرخسي في شرحه يعني ان كلامهم انما كان تعريضا وتورية ومثله
لا يعد كفرا اذا قصد غير ظاهره قال ولما قال ابن مسلمة انا لك به مكث اياما لا ياكل ولا
يشرب فدعاه صلى الله عليه وسلم وقال له لم تركت الطعام والشراب فقال لقول قلته
لا ادري اافي به ام لا فقال انما عليك الجهد وهكذا ينبغي لمن عزم على شيء ثم قال يا رسول
الله نحن نقتله فاذن لنا ان نقول فيك ما لا نبتغيه اي لنخدعه بالمعاريض باظهار التخلي
منك فخرج اليه ابو نائلة فتحدث معه وتناشدوا الاشعار ثم قال كان قدوم هذا الرجل

يعني النبي صلى الله عليه وسلم علينا من البلا واراد به المحنة فانه ما يبتلى به من نعمة
او نقمة قال تعالى وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم اي النجاة من آل فرعون ثم قال حاربتنا العرب
ورمتنا عن قوس واحدة وتقطعت السبل عنا حتى جهدت الابدان وضاعت العيال
واخذنا بالصدقة ونحن لا نجد ما ناكله فقال كعب قد كنت احدثك بهذا وان الامر سيصير
له فقال معي رجال من اصحابي على رأيي سآتيك بهم لتبتاع لهم طعاما او تمرا ثم ذكر نحو ما
تقدم بمعناه وقيل انه حقه صلى الله عليه وسلم قبله ان يرخص فيه **وكذلك** اي مثل قصة
كعب وقتله غيلة ما رواه البخاري من انه صلى الله عليه وسلم **قتل ابا رافع** وفي نسخة
بالاضافة لابي **قال البراء وكان** ابو رافع من يهود المدينة **يؤذي رسول الله صلى الله
عليه وسلم** بسبه **ويعين عليه** اعداه بتحريضهم على قتاله وابو رافع اسمه عبد الله ثم
او سلام بن ابي الحقيق وكان الخزرج والاوس يتناظران في الفخر فلما قتل الاوس كعبا قالوا
نقتل رجلا ممن يعادي رسول الله لئلا تفضلنا الاوس فذكروا ابن ابي الحقيق بخيبر وكان في
سنة ست في رمضان وقيل في ذي الحجة سنة خمس او اربع او في رجب سنة ثلاث بعث له
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخزرج عبد الله بن عتيك وعبد الله بن عتبة ومسعود
ابن سنان وعبد الله بن سنان وعبد الله بن انيس وابو قتادة وابن الاسود وكان ابو رافع
يعين بالمال مشركي العرب وكان له حصن فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس
بسرحهم قال ابن عتيك لاصحابه امكثوا لانطلق فاتلطف بالبواب فاتى الباب وتقنع
بثوبه كانه يقضي حاجة والناس داخلون فقال البواب له يا عبد الله ان كنت داخلا فادخل
فاني اغلق الباب فدخلت واغلقت المغاليق فقمت واخذت المفاتيح وكان يسمر في علالي
له فلما ذهب عنه سماره صعدت وجعلت كلما فتحت بابا اغلقته علي من به حتى لا يلحقني احد
منهم بعد قتله فانتهيت اليه وهو في بيت مظلم مع اهله لا ادري من هو واين هو فقلت
ابا رافع فقال من هذا فاهويت نحو الصوت وانا دهش وضربته فما اصبت شيئا فخرجت
ثم عدت وقلت ما هذا الصوت يا ابا رافع فقال لامك الويل ان رجلا ضربني بسيف فاهويت
نحوه فضربته حتى اثخنته ولم اقتله ثم اتيت اليه فوضعت السيف في بطنه حتى نفذ في
ظهره فقتلته ثم فتحت الابواب بابا بابا ونزلت حتى انتهيت الى درجة ظننتها الارض فاذا هي
ليست كذلك فوقعت وانكسر ساقي فوقفت عند الباب لاتحقق انه مات فلما صاح الديك
قام ناع على السور ينادي انعى ابا رافع تاجر الحجاز فانطلقت لاصحابي وقلت النجاة النجاة
وقتل الله ابا رافع ثم انتهيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثته الحديث فقال امدد
رجلك فمددتها فمسحها بيده الشريفة فكاني لم اشتكها قط **وكذلك** اي مثل امره صلى الله
عليه وسلم بقتل من ذكر من الكفرة **امره** بقتل بعضهم **يوم الفتح** اي يوم فتح مكة كامره
بقتل ابن خطل لانه صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة امن الناس الا اربعة رجال وامرأتين
امر بقتلهم ولو وجدوا تحت استار الكعبة مستجيرين بها لانهم كانوا اظهروا عداوته واكثروا
من ذمه وهجوه صلى الله عليه وسلم وكان لابن خطل قينتان تغنيان بهجوه كما في الشرح والصحيحين
باسانيد وابن خطل بفتح الخاء المعجمة والطاء المهملة واختلفوا في اسمه وقاتله فقيل اسمه عبد
الله وقيل هلال وقيل غالب وخطل بن عبد مناف بن اسعد بن جابر بن كثير بن تيم بن غالب قاله
ابن الكلبي وقتله سعيد بن حريث المخزومي وقيل ابن حريث وابو برزة الاسلمي وقيل ابن الزبير

وفي مناسك الطبري انه عبد العزى بن زبير فيحتمل انهم اشتركوا في قتله والاقوال
في قاتله خمسة **و**امر صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ايضا بقتل **جاريتيه** اي جاريتي
ابن خطل وهما المرأتان اللتان امر بقتلهما **اللتين كانتا بمكة تغنيان بسبه** وهجوه
صلى الله عليه وسلم واسمهما فرتنا وقريبة قال ابن سيد الناس فقتلت احداهما وقال
السهيلي اسمها سارة وفرتنا واسلمت الاخرى فامنت فعاشت الى زمن عمر حتى وطئها فرس
فماتت وفرتنا بفاء مفتوحة وراء مهملة ساكنة ومثناة فوقية ونون والف وقريبة بضم القاف
كمصغر قربة بالموحدة وقيل بفتح القاف بزنة فعيلة وكان ابن خطل اسلم اولا فبعثه رسول
الله صلى الله عليه وسلم مصدقا ومعه رجل من الانصار ومولى مسلما يخدمه فنزلوا منزلا
فامر الخادم ان يذبح له ويصنع طعاما فنام ولم يصنع شيئا فقتله ثم ارتد مشركا فكانت قينتا
تغنيان له بهجو النبي صلى الله عليه وسلم **وفي حديث اخر** لا يعرف من رواه **ان رجلا
كان يسبه** صلى الله عليه وسلم **فقال** صلى الله عليه وسلم **من يكفيني في قتل عدوي**
الذي اظهر عداوته بسبه له اي من يكون كافيا في قتله **فقال خالد** ابن الوليد رضي الله عنه
انا اكفيك ما اهمك من قتله **فبعثه** صلى الله عليه وسلم له **فقتله** باعانة الله له عليه
وكذلك اي مثل ما ذكر في قتل من سبه صلى الله عليه وسلم **لم يقل** من الاقالة وهي الترك
يقال قال عثرته اذا اعفا عنه فهو بضم اوله وكسر ثانيه او فتحه ان بني للمفعول وفاعله ضمير
النبي **وجماعة** مفعول له او مرفوع نائب الفاعل **ممن كان يؤذيه من الكفار ويسبه** فدل
هذا على انه لا فرق بين المسلم والكافر في وجوب قتله بالسب خلافا لما روي عن ابي ح
وغيره من عدم قتله لان كفره اشد منه كما يأتي **كالنضر بن الحارث** بفتح النون وسكون
الضاد المعجمة وراء مهملة وهو النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة القرشي من بني عبد الدار
وقد كان شديد العداوة والاذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقتله صلى الله عليه وسلم
ببدر وهو الذي قالت فيه اخته للنبي صلى الله عليه وسلم بعد قتله له ابياتا منها

ما كان ضرك لو مننت وربما ❊ من الفتى وهو المغيظ المحنق

وذكر بعض المحدثين كابن منده وابي نعيم عن ابن اسحاق ان النضر هذا له صحبة وشهد حنينا
وكان من المؤلفة قلوبهم وهو غلط فاحش باتفاق الحفاظ والذي له صحبة انما هو علقمة بن
كلدة كما ذكره الزبير وابن الكلبي وغيرهما فغلطا لاشتراك كل منهما في انه ابن كلدة والظاهر
انه قال النضير بالتصغير وهو اخو النضر بن الحارث المذكور وهو ممن اسلم وهاجر وقيل
انه من مسلمة الفتح فالغلط في نسبه وهو سهل **وعقبة بن ابي معيط** بعين وطاء مهملتين
بصيغة التصغير وكان اسر ببدر فقتله النبي صلى الله عليه وسلم منصرفه من بدر بمحل
يقال له عرق الظبية فقال يا عاصم اضرب عنقه فضرب عنقه ولما قدم للقتل الآتي
في كلام المصنف قال لم تقتلني يا محمد فقال بعداوتك لله ولرسوله فقال من للصبية قال
النار فلما ضرب عنقه قال الحمد لله الذي قتلك واقر عيني منك لانه كان اشد الناس عداوة
واذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم **وعهده** صلى الله عليه وسلم اي وصيته الصحابة عند
تقدمه للفتح **بقتل جماعة منهم** اي من الكفار الذين كانوا يؤذونه صلى الله عليه وسلم
ويحضون على مقاتلته **قبل الفتح** اي قبل فتح مكة وهو قادم له **وبعده** حين قدم لشدة عداوتهم
له وعلمه بانهم لا ينتهون ولا يرجى خيرهم واسلامهم **فقتلوا** واراح الله منهم المسلمين

إلا من بادر اي اسرع وتقدم **باسلامه قبل القدرة عليه** باخذه واسره كابن ابي
سرح وكعب بن زهير **وقد روى البزار** من ايمة الحديث كما تقدم لكن رواه بسند فيه ضعف
عن ابن عباس ان عقبة بن ابي معيط لما قدم ليقتل **نادى** رافعا صوته **يا معشر**
وفي نسخة يا معاشر جمع معشر وهم الجماعة الذين لهم عشرة واختلاط **قريش** وهم القبيلة
المعروفة من ولد النضر بن كنانة وانما ذكرها بيانا لحجته في عدم الفرق بينه وبين غيره
اوليعطف عليه المسلمون منهم **ما لي اقتل من بينكم** استفهام انكاري اي دون غيري منكم
ومثله يستعمل للاختصاص كما يقال اعطاه من بين اهله **صبرا** الصبر اصل معناه الحبس
ويقال لمن قتل في غير حرب ودون غفلة بان يقدم ليقتل قتل فلان صبرا **فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم** نقتل كسرا **بكفرك وافترايك** اي تعمدك الكذب **على رسول الله**
صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فدعا عليهم فالقوا بالعنة الله في قليب بدر كما هو مشهور
في السير وهو من بني امية بن عبد شمس **وذكر عبد الرزاق** بن همام الحافظ ابو بكر الصنعاني
صاحب التصانيف الجليلة في جامعه وقد تقدمت ترجمته **ان النبي صلى الله عليه وسلم
سبه رجل** من اجلاف العرب **فقال من يكفيني عدوي** الذي اظهر عداوته بسبه
فقال الزبير بن العوام **انا** اكفيك قتله **فبارز فقتله الزبير** والمبارزة ان يخرج
رجل من طايفتين وينادي من يبرز لي من الصف لا قاتله فيعلم ايتنا اقوى واشجع واثبت
القاتل والمقتول وهذا انما يفعله من زادت قوة قلبه وشجاعته **وروى** عبد الرزاق في
جامعه عن عكرمة **ايضا** كما روى ما قبله **ان امراة** مشركة **كانت تسبه عليه الصلاة
والسلام فقال من يكفيني عدوي** بقتلها **فخرج اليها خالد بن الوليد فقتلها**
ووقع بتونس ان رجلا قال لآخر انا عدوك وعدو نبيك فعقد له مجلس فافتى بعض ايمة المالكية
بانه مرتد يستتاب واخذ كفره من قوله تعالى من كان عدوا لله الآية وافتى بعضهم بان كفره كفر
تنقيص فلا يستتاب واخذ ذلك من كلام المصنف هنا في هذه المراة السابقة ومن افتاء ابن عتاب
السابق واعترضه بعض ايمتهم ممن مال الى الاول بانه نص في ان كل ساب عدو ولا شك فيه
وانما الكلام في عكس هذه القضية وهي لا تنعكس كنفسها بل قوله انا عدوك وعدو نبيك
ربما اشعر بترفيع المقول له ذلك لانا نجد الوضعا يجعلون لانفسهم منزلة بذلك يقول
الواحد منهم انا عدو الامير والامير عدولي وقصده به رفع نفسه لانه في نسبة من يعادي
الامير ولان قتل خالد مذهب صحابي وافتاء ابن عتاب انما هو لان ما ذكر في قصته صريح في
التنقيص فالتحقيق ان قايل ما مر مرتد لا منتقص هذا كله على قواعدهم من التفرقة بينهما اما على
قواعدنا فالذي يظهر انه ردة قاله ابن حجر في الاعلام ملخصا **ويروى** رواه عبد الرزاق
في جامعه ايضا عن سعيد بن جبير **ان رجلا كذب على النبي** صلى الله عليه وسلم والمراد
انه اسند اقاويل فيها تنقيص له والا فمجرد الكذب عليه لا يوجب القتل كمن روى حديثا وضعه
فبعث عليا والزبير اليه ليقتلاه لم يقل فقتلاه لانه اشارة لما رواه البيهقي عن ابن
جبير ان رجلا اتى قرية من قرى الانصار فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسلني
وامرني ان تزوجني فلانة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فارسل عليا والزبير فقال
اذهبا فان ادركتماه فاقتلاه ولا اراكما تدركانه فذهبا فوجداه قد لدغته حية فقتلته
وقد رواه متصلا من وجه آخر وسمي الرجل الذي كذب جندح الجندعي فان كان المصنف اراد هذا

وهو الذي القى سلا الجزور على النبي صلى الله عليه وسلم صح

فهو مشكل

فهو مشكل لان مجرد الكذب عليه ليس موجبا للقتل والكفر وانما هو اذا نسب اليه
افترا فيه نقص له ككونه ساحرا ونحوه وشذ الجويني كما مر فذهب الى ان كل كذب عليه
كفر ولم يقله غيره ولعله كان علم منه امرا آخر فتركه كما علم قتل المجذر له او لعله مخصوص
به لما فيه من جنايته من افساد امر الدين واما قول الكرامية انه يجوز وضع الحديث عليه
لمصلحة دينية فهو قول باطل نعم رد الخطابي بعد ما اطال بذكر ادلتهم لكونه كذبا له لا عليه
وهو غني عن الرد لظهور فساده **وروى ابن قانع** هو الامام الحافظ عبد الباقي بن قانع
بن مرزوق بن واثق ابو الحسين الاموي كما تقدم وقانع منقول من اسم فاعل القنع بقاف ونون
ان رجلا من الصحابة **جا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني سمعت
ابي يقول فيك قولا قبيحا** لما فيه من ذمه والطعن فيه **فقتلته فلم يشق ذلك على
النبي صلى الله عليه وسلم** اي لم يصعب عليه كراهته له ولو لم يكن قتله مشروعا كان اكبر
كبيرة بعد الكفر لما فيه من القتل والعقوق قيل وهذا الرجل هو ابو عبيدة بن الجراح ولست
على ثقة منه فان الحافظ الحلبي قال لا اعرفه كالمراة التي تقدم ان ابن الوليد قتلها وسيا
ما يشبه قصتها **و**في اثر رواه ابن سعد وابن عساكر فيه انه **بلغ المهاجر بن ابي امية**
المهاجر بزنة اسم الفاعل اسمه حذيفة على الصحيح وقيل سهيل وقيل هشام بن المغيرة بن
عبد الله بن عمرو بن مخزوم وكان اسمه الوليد فكرهه النبي صلى الله عليه وسلم وسماه المهاجر
فالتسمية به مكروهة لانه اسم فرعون مصر وهو اخو ام المومنين ام سلمة رضي الله عنها ارسله
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن الى الحارث ابن عبد كلال الحميري واستعمله على
الصدقات ثم بعثه ابو بكر رضي الله عنه في خلافته الى قتال المرتدين باليمن ففتح
الفتوح وله آثار جميلة باليمن فكان رضي الله عنه اميرا **اليمن** منصوبا **لابي بكر** اقرارا
له على ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم **ان امراة هنالك** اي باليمن **في الردة**
اي في زمن ردة بعض اهل اليمن في خلافة الصديق **غنت بسب النبي صلى الله عليه وسلم**
وهجوه اي بشعر فيه ذلك **فقطع** مهاجر **يدها ونزع ثنيتها** هي السن المتقدمة **فبلغ
ابا بكر ذلك** اي قطعه يدها ونزع ثنيتها **فقال** ابو بكر رضي الله عنه **لولا ما فعلت**
بالمراة **لامرتك بقتلها لان حد قذف الانبيا ليس يشبه الحدود** وهذا مبني على
انه لا يجب قتل الساب من الكفرة وانما هو مفوض الى الامام فله ان يغلظه ويزيد فيه بتنكيل
او قتل فلما سبق من مهاجر تنكيله بها لم ير ابو بكر رضي الله عنه ان يجمع فيه بين حدين
وهذا مذهب نقله ابن تيمية في السيف المسلول الا ان ابا بكر كره ما فعله لما فيه من زيادة
التعذيب لانه ليس اشد من القتل قال ابن تيمية هذا هو الذي يسميه الفقها سياسة
وهو الحد الذي رخص للامام في تغليظه اذا اقتضاه الحال ومن لم يقف على هذا قال انه
مشكل لان المثلة منهي عنها وهي اما ان تكون تابت وقلنا بقبول توبة الساب اولا فاما
ان تترك او تقتل وما قاله ابو بكر يقتضي الاجتهاد في الحد ودو قوله لان حد الانبيا الخ
لا يلتئم معه واطال فيه من غير طايل **وعن ابن عباس** انه **قال هجت امراة من خطمة**
بكسر الخا المعجمة وفتح الطا المهملة وميم وها اسم قبيلة وفي القاموس في خطمة وخطمة
بحصينة ابنا سعد بن ثعلبة وخطمة من الانصار بنو عبد الله بن مالك بن اوس **النبي
صلى الله عليه وسلم فقال** صلى الله عليه وسلم **من لي بها** اي من يقوم لاجلي حتى عليه

بقتلها فقال رجل من قومها اي من قبيلتها انا اقتلها يا رسول الله فنهض اي قام
بسرعة بعد مقالته فاتاها فقتلها فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك اي بقتلها
فقال لا ينتطح فيها عنزان اي ذهب دمها هدرا من غير مبالاة احد به وهو مثل ضربه
النبي صلى الله عليه وسلم للامر الذي يقع من غير خلف فيه ولا نزاع لان العنزين لا ينتطحان
وانما يتشاما ويفترقا والنطاح انما يكون بين التيوس والكباش واول من تكلم به
النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم وهذه المراة عصما بنت مروان من بني امية بن زيد زوجة
يزيد بن حصن الخطمي وكانت شاعرة تؤذي المسلمين وتهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتحرض عليه والذي قتلها عمير بن عدي بن خراشة ابن امية الخطمي فلما سمع قولها وهو ببدر
معه صلى الله عليه وسلم نذر ان رجع الى المدينة ليقتلها وقال ابن عبد البر رحمه الله
انها اخته وقيل امه وكان اعمى وهو امام قومه وقاريهم فدخل عليها في جوف الليل وهي ترضع
ولدها فنحاه عنها ووضع سيفه في بطنها حتى نفذ من ظهرها ثم خرج وصلى الصبح خلف
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر له وقال اقتلت بنت مروان قال نعم ثم خشي ان
يكون عليه شي فقال يا رسول الله اعلي شي فقال له لا ينتطح الخ ثم قال صلى الله عليه وسلم
ان اردتم النظر لرجل نصر الله ورسوله فانظروا الى عمير وسماه البصير والقصة بطولها في
السير ومن فقهها انه يستحب ان يقال للضرير بصيرا وهذه المراة قيل انها كانت يهودية
وهو الظاهر من سبها فعصما عن معصومة الدم لكفرها واظهار سبها ولبعضهم هنا كلام
لا فايدة فيه مع كثرة خبطه فيه وعن ابن عباس رضي الله عنهما فيما رواه ابو داود والحاكم
والبيهقي وصححه ان شخصا اعمى كانت له ام ولد لم تسلم وكانت تسب النبي صلى
الله عليه وسلم فيزجرها اي يمنعها وينهاها بزجر منه فلا تنزجر ولا ترجع عما هي فيه لانها
وكان له منها ابنان مثل اللؤلؤتين فلما كان ذات ليلة يجوز رفع ذات ونصبه على
الظرفية وكذا ضبط اي ساعة من ليلة كذات يوم وهو مبين في النحو وقيل معناه ليلة
من الليالي جعلت اي شرعت واستمرت تقع في النبي صلى الله عليه وسلم وتسبه
وفي نسخة تشتمه وهو عطف تفسير لتقع لانه يقال وقع فيه اذا ذمه وهو مجاز مشهور
فقتلها سيدها وفي رواية فاخذ المعول فوضعه في بطنها ثم اتكا عليها
حتى انفذه واعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك اي بقتلها وفي رواية عن ابن
عباس فلما اصبح قيل ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقام الاعمى فقال يا رسول الله انا صاحبها
كانت تشتمك وتقع فيك فانهاها فلا تنتهي وازجرها فلا تنزجر ولي منها ابنان مثل
اللؤلؤتين وكانت رفيقة بي فلما كانت البارحة جعلت تشتمك وتقع فيك فقتلتها
فاهدر صلى الله عليه وسلم دمها اي قال له انه هدر لا اثم فيه ولا عقوبة ولا شي عليه
منه وفي الرواية السابقة فقال صلى الله عليه وسلم الا اشهدوا ان دمها هدر وقوله
ام ولد صريح في انها جارية مملوكة له لا منكوحة حتى يقال انها مشركة وكيف حلت له
وهو مسلم ونحوه مما لا حاجة في ذكره من غير داع له وفي حديث ابي برزة الاسلمي
نسبة لاسلم قبيلة وهو نضلة بن عبيد بن الحارث اسلم قديما وشهد مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم المشاهد وتوفي بالبصرة سنة اربع وستين وهذا الاثر رواه ابو داود
والحاكم والبيهقي وصححوه قال كنت يوما جالسا عند ابي بكر الصديق في زمن

خلافته فغضب ابو بكر رضي الله عنه على رجل من المسلمين صدر عنه ما اغضبه ثم بين هذا
بقوله حكى القاضي اسماعيل بن اسحاق بن اسماعيل بن حماد بن زيد البغدادي المالكي الحافظ
وقد تقدمت ترجمته وغير واحد هو كناية عن الكثرة من الايمة في هذا الحديث المراد بالحديث
اثر الصحابي لان له حكم المرفوع هنا انه سب ابا بكر رضي الله عنه سبا فاحشا ورواه
ايضا النسائي ابو عبد الرحمن شعيب الحافظ احد الايمة الستة كما تقدم ولفظه عن ابي
برزة قال اتيت ابا بكر وقد اغلظ لرجل اي شدد نكيره عليه لغضبه منه فرد عليه كلامه
بغلظة منه قال ابو برزة فقلت يا خليفة رسول الله دعني اي اتركني لا تمنعني من ان
اضرب عنقه لسوء ادبه على اعظم الخلفا بسبه اياك وقام لضرب عنقه فقال له اجلس
ولا تفعل فليس ذلك اي قتل من سب احدا لاحد الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي الا
من سبه كما تقدم قال القاضي ابو محمد بن نصر هو القاضي عبد الوهاب المالكي البغدادي
الاديب وهو من شعرا اليتيمة له الاشعار الفايقة والفضايل الباهرة وقد ذكره الثعالبي
واثنى عليه وذكر من اشعاره جملة ولم يخالف عليه احد اي ان ابا بكر لما ذكر هذا بحضور من
الصحابة لم يخالفه فيه احد منهم فدل على ان قتل من سب النبي صلى الله عليه وسلم اتفقت
عليه الصحابة كما تقدم فاستدل الايمة بهذا الحديث الذي قاله ابو بكر ولم ينكره احد من
الصحابة الحاضرين عنده على قتل من اغضب النبي صلى الله عليه وسلم بكل ما اغضبه
من قول وفعل قل او كثر او اذاه او سبه بما فيه تنقيص لقدره وتشنيع على ما صدر منه كما تقدم
اطلاقا ومن ذلك القتل والمعنى الذي افاده كلام ابي بكر رضي الله عنه كتاب عمر بن عبد
العزيز بن مروان الخليفة العادل الى عامله بالكوفة وهو عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد
بن الخطاب وقد استشاره ليهديه للحكم في قتل رجل سب عمر بن الخطاب رضي الله عنه
فكتب عمر بن عبد العزيز لعامله انه لا يحل قتل امرء مسلم بسب احد من الناس من حيث
هو سب له فان اقتضى كفرا فلا من آخره الا رجلا سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن سبه
صلى الله عليه وسلم فقد حل دمه اي حل اراقة دمه وهو كناية عن قتله وكذا حكم ساير الانبيا
عليهم الصلاة والسلام كما ياتي وسال هارون الرشيد الخليفة العباسي المشهور مالكا
امام دار الهجرة وكان الرشيد اخذ عنه الحديث واجله بما هو حقه في رجل شتم النبي صلى
الله عليه وسلم وذكر له اي الرشيد لمالك حين سواله عما ذكر ان فقها العراق استفتاهم
فافتوه بجلده حد القذف فغضب مالك على من نقل عنه ذلك حمية وصيانة لمقام النبوة
وقال يا امير المومنين ما بقا الامة بعد شتم نبيها اي ان شتم نبيها مهلك لها ومهلك فلا يحل
لاحد سمعه الا قتل قايله وبذل روحه في جهاده ثم بين مالك له الحكم فيه فقال من شتم
الانبيا قتل لان ذلك حد شاتمهم ومن شتم اصحاب النبي جلد حد القذف وهذا من مذهبه
من غير فرق بين كافر ومسلم وبين التايب وغيره وقال القاضي ابو الفضل المصنف رحمه الله
كذا وقع في هذه الحكاية الواقعة بين الرشيد والامام مالك رواها غير واحد ممن ذكر
مناقب مالك وفي نسخة من اصحاب مناقب مالك اي ممن اعتنوا بما فيه ودونوها ومولفي
اخباره وغيرهم من اصحاب التواريخ ولا ادري من هولا الفقها بالعراق الذين
افتوا الرشيد بما ذكر من جلده وحده لحد غيره مما لم يذهب اليه احد من اصحاب المذاهب لا سيما
اذا حمل على ظاهر اطلاقه وقد ذكرنا فيما تقدم مذهب العراقيين وقولهم بقتله ولعلهم

ممن لم يشتهر بعلم للاحكام الشرعية والجي بالعمل لبعد استفتاء الخليفة من مثله او ممن
لا يوثق بفتواه ممن لا علم عنده او يميل به هواه الباطل ممن هو من اصحاب البدع والزندقة
والهوا ما يجي من غير تحقيق ونظر للحق قال تع وما ينطق عن الهوى وضبطه بعضهم بهواه بيم
في اوله وقال هو مفعل من الهوى وهو الغي والضلال وقالوا اذا كان في المسئلة قولان لا يجوز
للمفتي ان يفتي العامة بالتشديد وللخاصة بالتخفيف فانه خيانة للشريعة او يكون ما قاله
مفتي العراقيين يحمل على غير السب الموجب للقتل بل كان مترحما من غير عمد فيخ حقه او يمكن حمله على
وجه سديد فيكون الخلاف الواقع فيه بين المفتيين محصله وما له هل هو سب لتنقيصه
له ام غير سب لعدم تنقيصه له او يكون المستفتي فيه رجع وتاب عن سبه وهولاء يقولون
توبة مثله مقبولة في مذهبهم فيصح كلامهم في الجملة فلم ينقله اي لم ينقل الرشيد لمالك
حين ساله عنه على اصله اي على الوجه الذي ورد ووقع عليه واستفتي فيه فاجيب بما قالوه
والا اي وان لم يكون شي من هذه الاحتمالات لا يصح ما نقله الرشيد فالاجماع منعقد على
قتل من سبه كما قدمناه مفصلا في اول هذا البحث فكيف يفتي بخلاف ما اجمع عليه ولو انه
رجع وتاب بناء على ان من تاب لا يقتل فلا ينافي ما تقدم وما قدمه يدل على قول السلف والاجماع
على قتله ويدل ايضا على قتله من جهة النظر اي التفكر فيما يدل عليه عقلا والاعتبار
اي التامل في موجبات القتل شرعا ليعلم من تتبعها ان النظر والعقل السليم يدل عليه والمراد
به هنا القياس اردف به ما تقدم من الايات والاحاديث واجماع الامة ليفيد انه ثابت بجميع
الادلة والقياس يسمى اعتبارا في القرآن في قوله تع فاعتبروا يا اولي الابصار فان الاصوليين
احتجوا بهذه الآية والمراد نظر المصنف من طرف خفي ان من سبه وتنقصه صلى الله عليه وسلم
عمدا وكذا سائر الانبيا كما مر فقد ظهرت علامة مرض قلبه اي سوء عقيدته وكفره المضمر
لان المؤمن يحبه ويجله صلى الله عليه وسلم بخلاف ذلك بل يدل على عدمه كما عرفته فيما نقلناه عن
السبكي وظهر من تنقيصه ايضا برهان ودليل محقق على سوء طويته اي ما اخفاه في
نفسه واضمره في قلبه والطوية يعبر بها عما خفي كانه طوي ولف عليه ما يستره فهو استعارة
شاعت وصارت حقيقة فما ذكره فيه نوع من العلامة وهي ظنية الى البرهان القطعي
فلا يرد عليه ان حقيقة الايمان التصديق القلبي عند الجمهور وهذا لا ينافيه كما قيل وكفره
لانه ردة عندهم ولهذا المذكور من دلالته على ما اسره في نفسه ما حكم له اي على الساب
والمنتقص وما زايدة واللام بمعنى على او موصوفة واللام تعليلية اي امر حكم لاجله كثير من العلما
بالردة وهي الخروج من الاسلام بقول او فعل او اعتقاد قام عليه دليل مسلما لا كافرا اصليا
كما لا يخفى وهي رواية الشاميين اي علما الشام الآخذين عن مالك فان لمذهبه طرقا
متعددة وهي ايضا رواية الشاميين عن الاوزاعي عبد الرحمن ابو عمرو وهو صاحب مذهب
كما تقدم في ترجمته وبه اي بهذا القول في ردته وقتله قال الثوري سفيان بن سعيد
كما تقدم وابو حنيفة فانه ذهب اليه في المسلم فقط والكوفيون من عطف العام على
الخاص والقول الآخر في رواية هولاء انه اي السب والتنقيص دليل على الكفر
المضمر فليس نفسه كفرا يرتد به وانما هو علامة عليه فيقتل على هذا حدا لان حد من قذف
الانبيا كما ورد في الحديث الذي تقدم وان لم يحكم له اي عليه بالكفر حقيقة الا ان يكون
الساب متماديا اي مستمرا في تماديه ومدة طويلة على قوله الذي سب به غير منكر

لما قاله

لما قاله ولا مقلع اي راجع عنه فهذا كفر محقق منه مستوجب لقتله كفرا فان زجر
واعلم بانه كفر ولم ينزجر كان راضيا به ومقرا بكفره وهو كفر بلا شبهة وهذا مستثنى
من قوله لم يحكم له بالكفر فمعناه انه حينئذ يحكم بكفره ثم فسر قوله مطلقا فقال وقوله الصادر
منه المطلق اما صريح كفر كالتكذيب له صلى الله عليه وسلم بانكار نبوته او انكار ما
جاء به لا الافترا عليه ونحوه مما هو في معنى التكذيب الصريح او من كلمات الاستهزاء
به تحقيرا له او الذم بسب او هجو له فاعترافه بها اي بكلمات الاستهزاء وترك توبته
برجوعه عنها دليل استحلاله اي عده حلالا لذلك الاستهزاء والذم وهو اي الاستحلال
من حيث هو استحلال لما لا يحل كفر ايضا كما ان ما قاله كفر فهذا القائل المستحل معنى كافر
بلا خلاف بين المسلمين وايمة الدين في كفره وهذا بناء على انه فرق بين قتل المرتد وقتل الحد
المذكور وقال السبكي في السيف المسلول على من سب الرسول المرتد يقتل بالنص والاجماع
وتوبته مقبولة عند الاكثر اذا لم يكن زنديقا وليس قتله كقتل الكافر الاصلي كما فصله فعلم
من هذا ان علة قتله ليس مطلق الكفر بل خصوص مطلق الردة ولذا جعلها الغزالي من الجنايات
الموجبة للعقوبة كالبغي والسرقة وحكوه عن غيره وقالوا قتل المرتد حد يسقط باسلامه
وهو التحقيق ومن ظن ان من سماه حدا فهو عنده لا يسقط بالاسلام فهو مخطي والحد هو العقوبة
المقدرة من جهة الشارع وهل المعاقب عليه في الردة خصوص الكفر بعد الاسلام او قطع الاسلام
بالكفر وهو معنى غير الاول فالساب المسلم مرتد فقتله حد وكذا الكافر فالخلاف في قتله هل
هو حد او كفر لفظي لم يظهر له فايدة انتهى ما قاله ملخصا قال الله تعالى في مثله اي مثل
المعترف بالاستهزاء والذم يحلفون اي المنافقون بالله ما قالوا الاستهزاء الذي قالوه
في غزوة تبوك من ان من يزعم انه سيفتح قصور الشام وحصونه شر من الحمير هيهات هيهات
ولقد قالوا كلمة الكفر وهي هذه المذكورة وكفروا اي اظهروا كفرهم بعد اسلامهم الذي
اظهروه ولبعض من هذا اشار بقوله قال اهل التفسير في هذه الآية ان كان ما يقول محمد
من فتح حصون الشام حقا محقق الوقوع لنحن شر من الحمير اي اخس منها لحمقنا وبلادتنا
فان الحمير توصف بذلك وكان القايل ذلك الجلاس بن سويد ووديعة بن ثابت فقال له عامر
بن قيس الانصاري اجل والله ان محمدا الصادق وجاء الجلاس فحلف بالله عند منبر النبي صلى
الله عليه وسلم ما قال وان عامرا لكاذب وحلف عامر لقد قال وقال اللهم انزل على نبيك
الصادق شيا يصدقني فنزلت الآية فتاب الجلاس وحسنت توبته وفي الذي سمعه اقوال
اخر فقيل حذيفة وقيل عاصم بن عدي وقيل ولد امراته عمير بن سعد وانه هم بقتله كما فصل
في التفسير والسير وهذا تمثيل لما هو فيه لان من ذكر ليس معترفا مصرا فلا يرد عليه ما قيل
انه ليس مناسبا هنا وقيل نزلت انما هذه الآية في قول بعضهم وهو رئيس المنافقين عبد الله
بن ابي بن سلول ما مثلنا اي حالنا وصفتنا ومثل محمد اي حاله وصفته الا كما قال
من وقع فيه قول القايل في مثل قديم يضرب لمن يحسن لاحد فيسي اليه سمن كلبك
ياكلك لان الكلب اذا اشبع واستغنى عن صاحبه قد يجترا عليه كالاسد الضاري
ولين رجعنا من سفرنا هذا ليخرجن الاعز منها اي من المدينة الاذل
يعني اذله الله المومنين وكان هذا في بعض غزواته تبوك او بنو المصطلق واختلف فيمن
بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه المقالة ان رجلا من المهاجرين ورجلا من الانصار جرى

بينهما امر فصاح الانصاري يا للانصار والمهاجري يا للمهاجرين فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم دعوها فانها جاهلية مستقذرة فقال ابن ابي او فعلوها ثم قال لقومه
ماذا فعلتم بانفسكم انزلتموهم بلادكم وقاسمتموهم اموالكم واطعمتموهم اما والله لو امسكتم
عنهم لم يركبوا رقابكم ولوشكوا ان يتحولوا عن محمد فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا عنه الى آخر
ما حكاه الله فلما بلغ زيد رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاله انكر وحلف لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فصدقه وحزن زيد حتى نزل القران بتصديقه فقال عمر رضي الله عنه
دعني اضرب عنقه فابى رسول الله وتكرم بكفه عنه لاجل ولده فلما اراد دخول المدينة منعه
ابنه رضي الله عنه وقال لا تدخلها حتى تقول انك الاذل ويأذن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
والا ضربت عنقك فقال ويحك أفاعل انت قال نعم فلما رأى الجد منه قال اشهد ان العزة لله
ولرسوله وللمؤمنين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين
خيرا **وقد قيل ان قائل مثل هذا** الذي قاله ابن ابي وغيره **ان كان مستترا به** عن المسلمين بحيث
لم يظهره لهم ويسمعوه منه وفي رواية مستترا استفعال من الستر اي مختفيا حين مقالته
عن المسلمين والستر خلاف العلانية **ان حكمه حكم الزنديق** وهو انه **يقتل** لان مثله في اخفائه
الكفر واظهاره الايمان بفيه فيقتل بذلك **ولانه قد غير دينه** بما قاله فصار كالمرتد **وقد
قال** صلى الله عليه وسلم **من غير دينه** باطنا ربما يخالفه **فاضربوا عنقه** اذ لم نثق وقيل نقبل
توبته برجوعه لدينه واستدل بهذا الحديث على قتل الزنديق من غير استتابة وقال الشافعي تقبل
توبته مطلقا كالمرتد وعن ابي حنيفة فيه روايتان وقتل كمالك واستدل القائل بقبول توبة من لم
كفرهم بحديث بن عمر في الصحيح الآتي في كلام المصنف مع الكلام عليه انه صلى الله عليه وسلم
قال امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة
فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله يعني فيما يسرونه
به ففيه دليل على ان من ظاهر حاله الاسلام لا يتعرض له وتقبل توبته قالوا وعليه اكثر العلماء الا
مالك واحمد بن حنبل فانهما لم يقبلا توبته وهذا هو الزنديق على القول بانه من يظهر الاسلام
ويبطن الكفر لان من لا ينتحل دينا وقد اختلفوا فيه كما مر على اقوال منها ما ذكر ونقله قاضي خان
والكلام عليه مفصل في الفقه **ولان لحكم النبي صلى الله عليه وسلم في الحرمة** اي احترامه
وتوقيره وصيانة جانبه **مزية** بفتح الميم وكسر الزاي المعجمة وتشديد الياء وهي زيادة الفضيلة
وقال العلامة لا يبنى منه فعل لكن تقدم عن الاساس تميز عليه زاد **على امته** فلا يسوى بينه وبينهم
فيما يخصه فيزاد في جزاء من سبه على حد غيره لرفعة محله **وساب الحر** لا العبد **من امته يحد** حد
قذفه بشروطه ان استحقه وان يعزر واطلقه لظهوره او تسمح فادخل التعزير في الحد وفي
نسخة يجد بجيم ولا ادري ما معناه والظاهر انه تحريف من الناسخ **فكانت العقوبة لمن سبه
صلى الله عليه وسلم** او سب غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام **القتل** رعاية **لعظيم قدره**
فبعظمه يعظم الذنب فيه **وشفوف منزلته على غيره** بشين معجمة وفائين اي زيادة يقال
شف عليه اذا زاد قاله ابن القطاع وهو يعني النقص ايضا من الاضداد والقرينة مانعة منه هنا
اي لزيادة مرتبته العالية بشرفه صلى الله عليه وسلم تسليما وزاده تشريفا وتعظيما وهذا
اعظم الجزاء لاعظم الخلائق واحتمال ان يزاد بدون القتل
لا يرد عليه كما قيل والله اعلم

فصل

في دفع الشبه الواردة على ما قدمه في هذا الفصل **فان قلت** اذا كان سبه
صلى الله عليه وسلم وتنقيصه مقتضيا **فلم لم يقبل النبي صلى الله عليه وسلم اليهودي
الذي قال له السام عليكم وهذا دعاء عليه** واذية له ولم يعاقب قائله فيرد على ما قدم
اولا والسام بمعنى الموت فيوهمون انهم قالوا السلام وانما ارادوا الدعاء عليه بموته ومثله
ما يؤذيه وهذا رواه البخاري وغيره وقالوا ان عائشة رضي الله عنها تفطنت له فلما قالوا
قالوا السلام عليك يا ابا القاسم قالت عليكم السام والذام واللعنة ولذا قال صلى الله
عليه وسلم اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم رد المقالتهم عليهم الا ان الخطابي قال
انه روي بالواو ورواه ابن عيينة بدونها وهو الصواب لان الواو التي لمطلق الجمع
بالاشتراك بينهما قلت لا محذور فيه لانه صلى الله عليه وسلم فصل الاشتراك في معنى
غير الذي قصدوه اي الموت مقدر علينا وعليكم كما يأتي بيانه فيكون من القول بالموجب البديعي
كقوله ● وقالت انت عندي مثل عيني ● قلت نعم ولكن في السقام ●
ولذا ذهب كثير الى جواز اثبات الواو وحذفها وان الخطابي رجع عما قاله والسام مثل بمعنى
الموت ويجوز ان يكون مهموزا من السآمة والذام بمعنى الذم والعيب ويجوز انها من الدوام
والقائل جماعة من اليهود وقيل واحد منهم اسمه ثعلبة بن الحارث وجمع بين الروايتين بتعدد
القصة او بان الداخل جماعة والقائل منهم واحد **ولا قتل الرجل الآخر** وهو ذو الخويصرة الذي
سبق ذكره ويأتي انه **الذي قال له** صلى الله عليه وسلم في قسمة قسمها من مال الغنائم
ان هذه القسمة التي قسمها بين الغزاة **ما اريد بها وجه الله** اي خالصة لله جارية على
العدل كما فرضه الله وهذا في حديث رواه البخاري ايضا فلم يقتله صلى الله عليه وسلم **و** الحال
انه صلى الله عليه وسلم **قد تأذى من ذلك** اي من قوله الذي قاله ونسبه فيه الى الجور وهو
اذية مسلم له وافتراء عليه فيقتضي قتله فلم يأمر بقتله وقال الحافظ الذهبي هذا الآخر
لا اعرفه وفي الصحيح انه من الانصار وقال انه معتب بن قشير والذي قال له اعدل
ذو الخويصرة التميمي الخارجي الذي قتل يوم النهروان ويقال له حرقوص وكانت هذه القسمة
يوم حنين زاد فيها بعضهم لمصلحة وهو تأليفهم ومع ذلك فلم يقتلهم صلى الله عليه وسلم حين
آذوه بل **قد قال اوذي موسى** من قومه **باكثر من هذا** الذي اوذيته **فصبر** على اذيتهم ولم
يقتل احدا ممن آذوه فلي اسوة به واذية موسى انهم رموه بالبرص والادرة واتهموه بقتل اخيه
هارون وخالفوه في امور كثيرة قصها الله في القران عنهم **ولا قتل المنافقين الذين كانوا
يؤذونه في اكثر الاحيان** وروي في كل الاحيان والاول اظهر واشهر واذية المنافقين
له تقدم بعضها فيما قصصنا كله يدل على ان مؤذيه ومن ذمه او ذم غيره من الانبياء عليه وعليهم
الصلاة والسلام لا يستحق القتل فكيف هذا مع ما تقدم من الادلة والاجماع الذي حكاه
ثم شرع المصنف في الجواب عن هذا الاشكال بقوله **فاعلم** ايها السائل عما اشكل عليك **وفقنا
الله تعالى واياك لعلم ما لم نعلم** وهي جملة دعائية معترضة **ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان اول الاسلام** اول منصوب على الظرفية اي في ابتدائه **يتألف عليه الناس**
اي يطلب الفهم وتأنيسهم لقرب عهدهم بالاسلام وفيهم الاعراب الجفاة حتى يثبتهم على الاسلام
فيداوي امراض قلوبهم بعفوه وكرمه ولم يقل اول الحرم لان هذا كان بالمدينة بعد هجرته
لان ابتداء التأليف ببعض القواعد كان قبلها واستمر ذلك الى الهجرة كما يوحي اليه قوله كان الدالة

على الاستمرار فلا غبار فيه كما قيل لو قال اول الهجرة كان اولى ويميل قلوبهم اليه
اي الى الاسلام وخلوص الايمان بمحبته والاذعان له وياؤه الثانية مخففة مضارع امال
ويجوز تشديدها والاول اولى ويحبب اليهم الايمان ليتمكن في نفوسهم ويزينه في
قلوبهم اي يحسنه بترغيبهم فيه ويلاطفهم بملاطفته لهم ورفقه بهم ويقول لاصحابه
اي خلصهم الذين سبق ايمانهم وعلم اخلاصهم انما بعثتم فيه تغليب اي انما بعثت معكم او
هو مجاز عن امرتم وعلمتم او هو بمعناه اللغوي اي جئتم لدار الهجرة وارسلتم لها لتكونوا ۞
ميسرين بسين وراء مهملتين اي مسهلين مسامحين لا معسرين مشددين على من قرب
عهده بالاسلام ولم تبعثوا وترسلوا منفرين للناس عن الاسلام اي تشدد وغلظة تحمل
الناس على نفورهم عنكم بمفارقتهم وتشتتهم عنكم وكان الظاهر اذ يقول معسرين ليطابق
قوله ميسرين لكنه عدل للمطابقة الحقيقية لانه ابلغ لان التيسير يقتضي تالفهم وعدم
نفورهم عنهم فاتى بلازم المقابل لانه ابلغ واكثر كما في قول المتنبي ۞

كانت مستقيم في محاسنه • اذا لم يقل في اعوجاج وليس هذا لاجل القافية

كما قيل ونحوه لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا وكان صلى الله عليه وسلم يقول بشروا
الناس بكل خير ولا تنفروا اي لا تشددوا وتغلظوا عليهم وسكنوا اي اقروا الناس على
ما هم عليه ولا تكلفوهم بما لم يالفوه ولا تنفروا الناس عنكم فينفروا وينفروا اي لا تثقلوا عليهم
وتلجوا فيملوا منكم وهذا فيما لم يجب عليهم والا فمثله لا يسامح فيه وكان صلى الله عليه وسلم
يقول لاصحابه كما مر في قصة ابي بن سلول والمنافقين لما بلغه ما قالوه فقالوا له دعنا
نضرب عنقه فابى لا يتحدث الناس فيما بينهم فيقولوا ان محمدا يقتل اصحابه وهذا اذا لم
يمنع بعض الكفرة من الدخول في الاسلام وجعله المشركون واعداء الدين وسيلة للطعن
فيهم ومثله مما ينبغي الاحتراز عنه لما فيه من الفوايد وهذا قاله صلى الله عليه وسلم لعمر
لما قال في قصة ابن سلول دعني اضرب عنقه كما تقدم مفصلا وكان صلى الله عليه وسلم
يداري الكفار والمنافقين بتلطفه بهم واحسانه وعفوه عنهم والفرق بين المداراة
والمداهنة مشهور تقدم ايضا فالمداراة اللطف ولين القول لدفع الضرر وجلب النفع
له او لمن داراه كامر بنصح ورفق وبيان ما في حاله من محذور وسوء عاقبته والمداهنة تحسين
القبيح وقوله ما هو باطل وكذب مما يضره ويحمله على ارتكاب الفواحش والاول محمود شرعا
والثاني مذموم عند جابر ويجمل صحبتهم بضم المثناة التحتية وسكون الجيم وكسر الميم
[illegible] لام من الجميل الحسن قولا وفعلا وقيل يجمل بمعنى يجمع بعد تفرقه وهو بعيد ركيك
ويغض عنهم الاغضا العفو والتجاوز والسكوت وغض البصر عما لا يليق وحمله على غض
البصر او ارعى ما فيه من العفو فغض اراه يغض وهو متعد بعلى وفي المصباح اغضى الرجل
قارب بين جفنيه ثم استعمل في الحلم ويحتمل من اذاهم اي يتحمله ويعفو عنه قال في
المصباح حمل الشيء واحتمله بمعنى عفا عنه وهو في اصطلاح الفقه يستعمل بمعنى الوهم
والجواز فيكون لازما وبمعنى الاغضا والتمني فيتعدى ومن زايدة او تبعيضية وسياتي
ما فيه ويصبر على جفايهم اي غلظة طباعهم المقتضية لعدم الادب في الاقوال والافعال
ويقال لاهل البادية اهل الجفا ما لا يجوز لنا اليوم الصبر عليه ما موصولة مفعول
يحتمل من بيانية مقدمة على المبين وقد جوزه النحاة والمراد باليوم ما بعد عصره صلى الله

ويحمل

عليه وسلم وابتدا الاسلام وفي قوله الاسلام لم تكن على ما هي عليه الان من القوة
التي لا يتسامح فيها لاحد مما كان يتسامح الرسول صلى الله عليه وسلم لمصلحة تمنعه
بن هاب اسبابها فما فعله صلى الله عليه وسلم من عدم قتل البعض لا يجوز لنا الان
المسامحة فيه اصلا كما ياتي في قوله فلما استقر الخ وهذا هو الجواب عن السؤال
مع انه حق له صلى الله عليه وسلم يجوز له العفو عنه لانه يمتنع علينا الاغضا عن اهانته
صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم يرفقهم اي يصلحهم وينفعهم بالعطا
تكرما عليهم والاحسان اليهم بكرمه ولين قوله ليولف قلوبهم ويحببهم لان النفوس جبلت
على حب من احسن اليها فيرفق بزنة ينفعه مضارع رفق او بوزن يكرم مضارع ارفق وفي
الصحاح الرفق ضد العنف وقد رفق به يرفق وحكى ابو زيد رفقت به وارتفقت بمعنى
ترفقت به ويقال ارفقته بمعنى نفعته وقال ابن القطاع رفقته رفقا وارفقته نفعته
ومن الرفق كذلك فهو ثلاثي ورباعي وبذلك المذكور من مداراتهم وعطاياهم ورفقه بهم
امره الله تعالى فقال ولا تزال تطلع على خاينة منهم اي على طايفة خاينة منهم
او خيانة تصدر منهم في حقك كما صدر من اسلافهم مع رسلهم فلا يحزنك اساءتهم لك او
المراد فعلة خاينة او نفس خاينة ويقال في المبالغة رجل خاينة كراوية وقرى على خيانة
الا قليلا منهم لم يخن فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين الذين يجزون السيئة
بالحسنة ويتجاوزون عما سلف وهذه الاية نزلت في اليهود الذين كانوا في زمن نبينا
صلى الله عليه وسلم بيانا لانهم من شانهم الخيانة وانه موروث اباهم وامره بالعفو عنهم
بشرط المعاهدة او نحوها او هذه الاية منسوخة والقليل المستثنى من امن به صلى الله عليه
وسلم منهم كابن سلام وقال الله تعالى امرا نبيه صلى الله عليه وسلم بما مر ادفع ما تراه من
السيات بالتي هي احسن وهي الاحسان لمن اسا واللطف به فاذا الذي بينك وبينه
عداوة من الكفار كانه ولي حميم اي لا تزال احسانك اليه حتى يصير كالصديق الذي
بينك وبينه مصافاة وموالاة والولي من يوالي ويتابع والحميم الصديق المصافي ۞
نزلت فيمن كان يعادي رسول الله صلى الله عليه وسلم كابي سفيان وقيل المراد بالتي هي احسن
المصافحة وهي مستحبة وقيل ان هذه نسخت باية السيف وذلك اي ما ذكر من مداراته صلى
الله عليه وسلم كان منه لحاجة الناس للتاليف لقلوبهم وجلبها له في اول الاسلام
ومبادي الهجرة والحاجة في اول الامر الى جمع الكلمة باتفاق ارايهم معه صلى الله عليه
وسلم وعدم مخالفتهم له فانه يحصل بالملاطفة والملايمة ما لا يحصل بغيرها فلما استقر
فيه ضمير مستتر للاسلام اي لما قوي وثبت واظهره اي اظهر الله دين الاسلام اي علاه
ورفعه على الدين كله اي على كل دين وملة بحيث غلب اهله وقهرهم والدين في الاصل
مصدر يستوي فيه الواحد وغيره قتل من قدر عليه ممن اظهر عداوته وطعن فيه وفي
دينه اذ لم يبق حاجة للمداراة التي كانت لمصلحة اتمها الله واشهر امره كفعله صلى الله
عليه وسلم بابن خطل يوم الفتح حين امر بقتله يوم فتح مكة ولو وجد متعلقا باستار الكعبة
وقيل ايضا بامره بذلك من عهد اي اوصى من المسلمين بقتله يوم الفتح اي يوم فتح مكة
كما تقدم مفصلا وقيل ايضا من امكنه قتله غيلة بكسر الغين وهو القتل خفية ومخادعة
كابن الاشرف وابن ابي الحقيق من يهود هو اسم للطايفة المعلومة وغيرهم اي غير اليهود

من الكفرة **أو غيلة** أي وقتل أيضا من أمكنه قتله من غير اخفاء أي بطريق الغلبة
والقهر كأبي عزة الجمحي كان **ممن لم ينظمه قبل** أي لم يدخل قبل قتله **سلك صحبته** صلى الله
عليه وسلم باسلامه ومتابعته له صلى الله عليه وسلم والسلك خيط ينظم فيه لؤلؤ ونحوه
والنظم ادخاله فيه فاستعير للجمع وجعل محل الجمع أو ما يتضمنه بمنزلة السلك وسلك
صحبته كلجين الماء أو هو استعارة أيضا **والانخراط في جملة مظهري الايمان به** من الصحابة
رضي الله عنهم أجمعين وقد فسر الانخراط بالدخول يقال انخرط في السلك اذا انتظم وقد وقع
في كلام الفصحاء الثقات كالسكاكي والزمخشري وفسر بما ذكر الا أني لم أجده في كلام العرب
نثرا ولا في كتب اللغة بهذا المعنى بل الموجود خلافه كخرط القتاد واخترط السيف سله
ونحن عنه فلم اظفر به وغاية ما يمكن في توجيهه انه من اخترطه اذا جعله في الخريطة وهي
الكيس فتجوز به عن جعله في العقد قال ابن عباد في محيط اللغة الخريطة مثل الكيس تشرج
من أدم أو خرق ويقال اخرطت الخريطة اخراطا انتهى وقوله **ممن كان يؤذيه** من الكفرة
بيان لمن الذي تقدم **كابن الأشرف وابي رافع** تقدم بيانهما مفصلا **والنضر** بن الحارث
الذي تقدم بيانه **وعقبة** بن أبي معيط وتقدم أيضا وهذا تمثيل لمن قتله صلى الله عليه وسلم
مطلقا غيلة وغلبة فلا وجه لما قيل ان في ذكر ابن الأشرف مع من قتله غلبة نظرا لقتله
غيلة **وكذلك** أي مثل قصة من ذكر من قتله **نذر دم جماعة** من الكفار **سواهم** أي سوى
من ذكر من كعب وأضرابه ونذر بنون وذال معجمة وراء مهملة أي أوجب قتله على من عنده
من أصحابه قال في الأساس نذر رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا أوجبه على نفسه وهو
من كلام أهل الحجاز انتهى فقول بعض الشراح انه بالمهملة بمعنى اسقط وأهدر ليس بشيء **ككعب
بن زهير** بن أبي سلمى بضم السين وسكون اللام ربيعة بن رياح بكسر الراء وبالمثناة التحتية
بن قرط المزني وهو وأخوه شاعران مجيدان غير مكثرين وأخوه أسلم قبله وكان كعب قال
بعد اسلام أخيه شعرا يعرض فيه بالنبي صلى الله عليه وسلم فكتب اليه أخوه كتابا يقول
فيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدر دماء قوم كهبيرة بن أبي وهب وابن الزبعرى
فان كان لك حاجة في نفسك فطر اليه فانه صلى الله عليه وسلم يقبل من أتاه تائبا فضاقت
الأرض عليه وأرجف الناس بأنه مقتول فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي
الصبح فلما فرغ جلس بين يديه ووضع يده في يده وقال يا رسول الله ان كعبا جاء تائبا
مسلما أتقبله قال نعم وهو لا يعرفه فقال أنا كعب فوثب عليه رجل من الأنصار وقال
يا رسول الله دعني أضرب عنقه فقال دعه فانه جاء تائبا فغضب كعب على الأنصار لأنه
لم يقل فيه أحد من المهاجرين الأخيار وأنشد صلى الله عليه وسلم قصيدته المشهورة
وألبسه بردته التي يتوارثها الخلفاء بعده وكان معاوية رضي الله عنه طلبها منه فقال ما
كنت لأوثر أحدا بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما مات أخذها من أولاده بعشرين
أو ثلاثين ألف درهم وفقه هذه القصة ان من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم العفو
عمن سبه من الكفرة وان اجازة الشعراء مسنونة من مكارم الأخلاق كما قال الغزي ⊙

• محمود نفضيلة الشعراء أو غنى • وتحسين المديح من الرشاد •
• مدحت بانت سعاد ذنوب كعب • واعلت كعبه في كل ناد •
• وما احتاج النبي الى مديح • ولتشبيب بشيء من سعاد •

ولكن

• ولكن سيدا ماهرا الامادي • وكان الى المكارم خير هادي •

وابن الزبعرى هو عبد الله بن الزبعرى بن سعيد بن سهم القرشي وهو بكسر الزاي
المعجمة أو فتحها وكسر الباء الموحدة وسكون العين المهملة مقصور علم منقول من سيئ الخلق
أو كثيف الشعر وكان شاعرا مجيدا شجاعا من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بطول لسانه وسفهه ولا عقب له أسلم بعد الفتح وحسن اسلامه وكان فر هو وزوجته
أم هانئ بنت أبي طالب الى نجران فقالوا له ما وراءك فقال ان محمدا قتل قريشا وفتح مكة
وأراه سائر الكم فاصبح بالحارث وكعب منهم ما رأت من حصنهم وجمعوا ما شئتم فأرسل له
حسان رضي الله عنه شعرا يقول فيه ⊙ •

• غضب الاله على الزبعرى وابنه • وعذاب سوء في الحياة مقيم •

فلما بلغه قال ما لي وبني الحارث وترك داري وقومي ثم أتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم في أصحابه فلما رآه قال هذا ابن الزبعرى في وجهه نور الاسلام فوقف عنده ⊙
وقال السلام عليكم اني أشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبد الله ورسوله والحمد لله
الذي هداني للاسلام وقد أجلبت على عداوتك حتى هربت الى نجران وأنا أريد ان لا أقر بالاسلام أبدا ثم أراد الله بي خيرا فألقاه في قلبي وحببه الي وكرهت ما كنت فيه من الضلال
واتباع ما لا ينفع ولا يعقل من حجر يعبد ويذبح له فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحمد لله الذي هداك للاسلام ان الاسلام يجب ما قبله ⊙ وقلت في ذلك ⊙

• رأيت اسلام قوم يجب ما قبله • وكم حصر أراه بالكفر في شر ملة •

وغيرهما أي غير كعب وابن الزبعرى ممن آذاه صلى الله عليه وسلم وسبه نثرا ونظما
وهجاه ثم تاب باسلامه فقبلت توبته وعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في البر
حتى القوا بايديهم أي انقادوا له وسلموا وهو مجاز عما ذكر وأصله وضع يده في يد غيره
ممن يمسكها لانقياده ثم انقياده وقبض يد غيره عنده **ولقوه مسلمين** فعفا عنهم
وأمنهم وأحسن اليهم **وأما من فقد فبواطن المنافقين** وما فيها من الكفر **مستورة**
غير معلومة لغيرهم **وحكمه صلى الله عليه وسلم انما كان على الظاهر** وهو الاسلام
المانع من قتلهم وهذا لأجل التشريع لأمته بعده وان اطلعه الله على سرائرهم **ومع ذلك
اكثر الكلمات** التي قصد المنافقون بها تنقيصه صلى الله عليه وسلم وذمه **انما كان
يقولها القائل منهم** أي من المنافقين **خفية مع أمثاله** من المنافقين ولا يقف
عليها النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون وخفية بضم أوله وكسره **ويحلفون عليها**
أي يحلفون أنهم ما قالوا ما نسب اليهم وهذا مما يعلم مما سيأتي وقد مر هذا في قصة ابن
أبي وابن سويد من المنافقين **اذا نميت** اليهم أي نقلت وبلغت لرسول الله صلى الله عليه
وسلم عنهم من نمى الحديث بالتخفيف والتشديد والمشهور ما قاله أبو عبيدة بالتخفيف
ما نقل على وجه الاصلاح وبالتشديد ما كان على وجه الافساد وهو النميمة وكذا
قاله ابن قتيبة وغيره لكن رواية أكثر المحدثين بالتخفيف هنا تدل على خلافه **وينكرو**[ن]
أي هذه المقالة **ويحلفون بالله ما قالوا** ما نقل عنهم **ولقد قالوا كلمة الكفر**
أي الكلمة التي يكفر بها قائلها أو التي انما تصدر عن الكفرة وأعداء الدين مما نقلناه سابقا
وكان صلى الله عليه وسلم مع هذا أي مع ما قالوه من كلمة الكفر **يطمع في فيئتهم**

من انه صح

نا

بكسر الفاء وفتح الهمزة قبل التاء وروي فَيْئَتهم بفتح الفاء قبل يا ساكنة قبل الهمزة من
فاء اليه اذا رجع ومنه الفيء للظل بعد الزوال ورجوعهم الى الاسلام عطف تفسير اي
دخولهم فيه فهو مجاز مرسل من اطلاق المقيد على المطلق كقوله وان عدتم عدنا وتوبتهم
من نفاقهم وكفرهم الخفي فيصبر صلى الله عليه وسلم على اذيتهم ونفاقهم وذمهم الذي علمه
منهم وبلغه على هناتهم بفتح الهاء والنون الخفيفة وفي المصباح الهن خفيفة النون كناية
عن كل اسم جنس والانثى هنة بالتخفيف ولامها محذوفة ففي لغة هي هاء فتصغر هنيهة
ومنه مكث هنيهة اي ساعة لطيفة وفي لغة هي واو فتصغر في المؤنث على هنية بتشديد
الياء والهمز خطأ اذ لا وجه له وجمعها هنوات وربما جمعت على هنات مثل حماة والمذكر هن وبه سمي
وكني به عن الفرج انتهى وهو احد الاسماء اخوات اب واخ وكني به هنا ايضا عن قبائحهم وكان
صلى الله عليه وسلم يصبر ايضا جفوتهم اي ما يصدر عنهم من الاقوال والافعال القبيحة
لغلظة طباعهم وسوء ادبهم كما صبر اولوا العزم من الرسل وهم الذين كانوا ذوي عزيمة
قوية وثبات في دعوة الناس الى الدين ومر انه قد اختلف فيهم فمنهم من قال هم خمسة
نوح وابراهيم وعيسى وموسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وقيل هم المذكورون على
التوالي في الشعراء والاعراف وهم نوح وهود وصالح وسليمان ولوط وموسى لصبرهم على
اذى قومهم وما ابتلوا به ومنهم من عد منهم اسماعيل ويعقوب وايوب وقيل كل من امر بالجهاد
والقتال وقيل ثمانية عشر ذكروا في الانعام وعمهم الله بقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم
اقتده وقيل كل الرسل وقيل الا يونس لقوله ولا تكن كصاحب الحوت فهؤلاء صبروا على اذى
الناس ومواجهتهم بما يكرهون وقد امر صلى الله عليه وسلم بالاقتداء به في الصبر على الاذى
والعفو فلم يزل يفعله في ابتداء الهجرة حتى فاء كثير منهم باطنا اي رجع عن نفاقه فخلص
ايمانه في قلبه كما فاء ظاهرا اي كما كان ظاهره في الرجوع الى الايمان بعد الكفر واخلص ايمانه
سرا بالله ورسوله فيما اسره واخفاه في قلبه وبينه وبين قومه كما اخلص جهرا اي فيما جاهر
به من مقاله فتواطأ باطنه وظاهره وسره وجهره ونفع الله بعد بكثير منهم اي نفع بهم
بعد اخلاصهم وهداية الله لهم وقام منهم اي من هؤلاء الذين نالهم وعفا عنهم للدين واهله
وزراء واعوان عطف تفسير لان الوزير من الوزر وهو المعاونة والنصرة فيقوى ويتناصر
بهم اهل الاسلام وحماة وانصار فهم حامون للدين وناصرون لاهله كما جاءت به الاخبار
الثابتة فكم من منافق وكافر حبب الله له الايمان واعز الله به وهو مذكور في كتب الحديث
عن البيان وبهذا الجواب المذكور اجاب بعض ائمتنا المالكية رحمهم الله عن هذا السؤال
السابق عن قول اليهود السام عليكم وعنه اجوبة اربعة ذكرها في السيف المسلول بعد ما
ذكر في حقهم واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما
نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير فاخبر الله عنهم بانهم كانوا يحيونه بتحية منكرة ويقولون
لو كان نبيا عذبنا الله بقولنا له السام عليكم واشار الى انه لا حاجة لعذابهم لانه يكفي من لم يتب
منهم عذابه في الاخرة فاجيب عن السؤال المتقدم الذي تقدم من انه لم يقتلهم ونهى عائشة
رضي الله عنها عن قولها بل عليكم السام والذام واللعنة فقال لها مهلا فان الله يحب الرفق ۞
في الامر كله وحاصله انه كان لحكمة وهو انه وقت والاسلام لم يقو القوة البالغة فصبر لعل
الله يهديهم ويقوي بهم الدين وقد وقع ذلك لكثير منهم وكان الصبر عليهم والعفو عنهم جائز

لمصلحة

له صلى الله عليه وسلم والجواب الثاني عنه انهم كانوا يخفونه ويتكلمون به بعجلة من غير
صوت ولا يطلع الناس عليه والعقاب على الكفر انما يكون على الظاهر دون الخفي وقال
بعض الائمة المجيب بهذا وفي نسخة وقيل لعله اي قولهم السام للدعاء عليه لم يثبت عنده صلى
الله عليه وسلم من افواههم اي اليهود ما رفع بالبناء للمجهول من رفع الكلام بمعنى اوصله وانما
نقله له صلى الله عليه وسلم الواحد الذي لم يتم به نصاب الشهادة ومن لم يصل اي لم يبلغ
رتبة قبول الشهادة في هذا الباب اي النوع المقتضي القتل من صبي صغير لا تسمع
شهادته شرعا وعبد مملوك وامرأة شهادتها غير مسموعة في مثله مما يندرئ ويدفع بالشبهة
وهو الحدود والدماء لا تستباح الا بعدل الثبوت بعدلين ذكرين حرين واعلام الله بعد
حكمه بالظاهر ونفوذ حكمه لا يخالفه فما قيل من انه عجيب من المصنف مع تكذيب الله لهؤلاء
واعلامه بحالهم في القرآن ليس بشيء لا سيما وهو ناقل ثقة وما على الرسول الا البلاغ وعلى
هذا الذي ذكره بعضهم في الجواب يحمل امر اليهود وفي نسخة اليهود في السلام وفي نسخة
السام وهما بمعنى لان المراد بالسلام سلام اليهود وهو قولهم السام وانهم لووا بواو ونون ۞
مخففين والتشديد واذ صح غير مثناة هنا لانه للمبالغة ولم تقصد هنا والتي قبل الالسنة
ولفظها بسرعة حتى يخفى ويظن انهم قالوا السلام السنتهم جمع لسان وهو الجارحة المعروفة
ولم يبينوه اي سلامهم وهو تفسير فالمراد بلي الالسنة الا ترى ما يحقق ما قيل ويوضحه
كيف نبهت عليه اي على قولهم هذا عائشة رضي الله عنها حين ردت عليهم بقولها السام
عليكم والذام واللعنة ونهاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وامرها بالرفق وقال اني
ارد عليهم فيستجاب لي ولا يستجاب لهم لكن قال ابن تيمية ان قوله صلى الله عليه وسلم
اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم اي ردوا الذي يقولونه لكم عليهم وتعريب الصحابة به
له يدل على عدم اختصاصه باول الامر وبدء الاسلام وانه لم يخف عليه فتامل ۞
ولو كان اليهودي الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم السام عليك صرح بذلك من غير
اخفاء ولي السنة لم تنفرد بتا فوقية اي عائشة رضي الله عنها بعلمه دونه صلى الله عليه
وسلم ولهذا اي لكونهم لم يصرحوا بما يعلمه كل احد او لكون اليهودي لم يصرح بالسام بل تمم
خفيا ولامه نبه النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه على فعلهم اي فعل اليهود القبيح الذي
ازدروا به بقولهم السام عليك وقلة صدقهم في كلامهم وجعل قولهم السام موهمين انهم قالوا
السلام كذبا لجعلهم ما ليس بتحية تحية فهو باعتبار خبر تضمنه كذب مخالف للواقع وجرأتهم
في ذلك لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ليا بالسنتهم بتحريف مقالهم وكذبهم وعدولهم
عن سنن الصواب وطعنا في الدين اي دين الاسلام واهله وفيه اشارة الاية اعني قوله
عز وجل الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب الاية نزلت في حق اليهود وقولهم راعنا واسمع ۞
لكن لما كانا من قبيل واحد في التحريف والعدول عن الظاهر اقتصر المصنف هنا وانما كان هذا
طعنا في الدين لانهم قالوا لو كان نبيا علم بمقالتنا وعذبنا الله عليها كما مر فلا يتوهم انه كيف
يكون هذا طعنا في الدين بمجرد ذكر السام بمعنى السلام فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه منبها
لهم ان اليهود اذا سلم احدهم فانما يقول السام عليكم فقولوا في رد سلامهم عليكم
وفي رواية وعليكم بالواو وقد تقدم الكلام عليه مفصلا وقد قال الفقهاء لا يبدأ بالسلام
الكفرة وانما يرد سلامهم بقول وعليكم وفي رواية عن الشافعي جوازه وكذلك قال بعض

اصحابنا البغداديين كالقاضي عبد الوهاب المالكي البغدادي وقد تقدم بيانه ان
النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل المنافقين بعلمه فيهم وبما في نفوسهم مع انه عالم
بهم واطلعه الله على سرائر نفاقهم وان كان له صلى الله عليه وسلم ان يقضي بعلمه
بل اختلف الفقهاء في القاضي هل له ان يقضي بعلمه في زمان قضائه او في مجلس حكمه
وانما المانع عنده انه امر بالعمل بالظاهر في اكثر احواله تشريعا للامة وكان ذلك في ابتداء
الاسلام تاليفا للقلوب حتى يصل بهم الله ولا ينفر قلوب من يريد الدخول في الدين
ويكف السنة الطاعنين بقولهم انه صلى الله عليه وسلم يقتل اصحابه والحكم تتقاضى
والمصالح لا تتزاحم فلا تعارض بين الاحاديث كما توهم ولم يات اي لم ينقل في الاحاديث
انه قامت بينة عنده صلى الله عليه وسلم على نفاقهم فلهذا اي لكونه لم تقم عنده بينة
على نفاقهم وهو مامور في اكثر الاحكام ان يحكم بالظاهر وبالصبر كما صبر اخوانه اولو العزم
تركهم من غير ان يقتلهم ولم يحكم بعلمه وان اعلمه الله به في سورة المنافقين وسورة براءة
اجمالا من غير ذكرهم باعيانهم فمن قال كفى ما فيهما من تفضيحهم بينة لم يصب وهذا مبني
على ان الحاكم لا يجوز له ان يحكم بعلمه مطلقا او في الحدود او في حقوق الله وفيه كلام
للفقهاء ليس هذا محله واقامة البينة على النفاق تتصور بان يشهد على اقراره والا فما في
قلبه لا يمكن الاطلاع عليه لغير علام الغيوب وايضا مما يقتضي عدم قتلهم فان الامر
اي نفاقهم كان سرا وباطنا يخفى على الناس فكيف تقوم عليهم بينة وظاهرهم
الاسلام والايمان هما بمعنى وقد يفرق بينهما بحسب المفهوم وان اتحدا فيما صدقا عليه
والامر فيه معلوم وان كان المذكور الذي لم يحكم بقتله من اهل الذمة بكسر الذال
المعجمة هي العهد والامان هنا قال في المصباح الذمة تفسر بالعهد والامان وسمي
المعاهد ذميا نسبة الى الذمة بمعنى العهد وقولهم في ذمتي كذا معناه في ضماني انتهى كما
اشار اليه بقوله بالعهد وهو الميثاق بان لا يغدر به والجوار بكسر الجيم وتضم وهو
الامان من جاره يجيره اذا امنه كعهد بينهما والامان يكون لمعين وغيره كاهل بلدة واقليم
فان كان بغاية معينة فهي الهدنة وان لم يكن فهو الجزية وهم اهل ذمة اي امان وهذان
يختصان بالامام بخلاف مطلق الامان لمن قريب فلا يختص به لحديث المسلمون يسعى بذمتهم
ادناهم والناس قريب عهدهم بالاسلام اي دخولهم في الاسلام كان قريبا في ابتداء
الاسلام والهجرة لم يتميز بعد بالضم اي بعد قرب عهدهم الخبيث من الطيب منهم اي لم
يعلم من خلص اسلامه فطابت سريرته او لم يخلص ايمانه ففيه بقية من خبث الكفر لم تطهر
لغيرهم وقد شاع اي سمع واشتهر بين الناس عن المذكورين اي من كان منافقا يظهر الاسلام
في العرب المجاورين لهم المشاهدين لهم كون من يتهم بالنفاق اي يتهمه خلص المومنين
المهاجرين الذين نور الله بصائرهم من جملة المومنين بالنظر لظاهر حالهم ومن متعلقة
بشاع وصحابته بفتح الصاد اسم جمع لصاحب وهو في الاصل مصدر كالقرابة سمي المراد به
لكونهم معه تابعين له وشاع ايضا انهم من جملة انصار الدين الذين نصروا رسوله على
اعدائه ظاهرا وهذا انما هو بحكم ظاهرهم اي ما يظهر من حالهم لانا لا نطلع على سرائرهم
فلو جاء هذا لم يقتلهم صلى الله عليه وسلم وقال لعمر وغيره ممن قال في بعضهم دعني اضرب
عنقه لئلا يتحدث الناس بان محمدا يقتل اصحابه فهم وامن اصحابه نظرا لحالهم فلو قتلهم

لظاهر حالهم

النبي صلى الله عليه وسلم لما علمه من حالهم ولنفاقهم الذي اطلعه الله عليه دون
غيره وما يبدر منهم بفتح التحتية وسكون الباء الموحدة وضم الدال والراء المهملتين بمعنى
يسرع ويخرج منهم بعجلة وفي نسخة يبدو وفي نسخة يندر بالنون وهي صحيحة ايضا وان
خالفت رواية الشراح قال في المصباح ندر من قومه اذا خرج ومنه النادر لخروجه عن امثاله
لنسبته نادرا لمخالفته ظاهر حالهم وهو الاكثر منهم فلا يعد فيه وعلمه معطوف على نفاقهم
اي علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اسروا اي اخفوا من الكفر في نفوسهم من النفاق
المنفر جواب لو اي لو وجد الذي يقتضي تنفير الناس وصدهم عن الدخول في الاسلام من
المشركين واعداء الدين ما يقول اي امرا يقوله لمن يريد الدخول في الاسلام بان يقول
لا تسلم فانه سفاك يقتل اصحابه اذا خالفوه والمرء لا يخلو من زلة ولارتياب الشارد اي وقع في
ريبة لخوفه من القتل من كان شاردا عن الدين ضالا من الجاهلية والاعراب اباة الضيم
من شرد البعير اذا نفر وذهب في الارض وفي الحديث لتدخلن الجنة الا من شرد على الله اي
خرج عن طاعته وفارق الجماعة وهو في الاصل استعارة وارجف المعاند اي اتى بالاقوال
الكاذبة التي يقصد بها التشنيع على الاسلام من كفر عنادا كبعض المشركين الذين كانوا يجيئون
باشاعة مثله وارتاع اي خاف من سمع الاراجيف وعلم بالقتل من الروع وهو الخوف
من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم وارتاع ايضا من الدخول في الاسلام خوفا من
ان يقتل كمن قتله غير واحد اي كثير ممن يريد الاسلام ممن ضعف قلبه ولم ينظر ببصيرة صافية
من اضله الله ولزعم الزاعم اي وجد وصلة لكذبه من اراد الافتراء على الله ورسوله وظن
العدو للاسلام واهله الظالم لنفسه وغيره من صده عن سبيل الله وسعادة الدارين
وهذا بناء على انه بعين مهملة من العداوة وقال البرهان انه في الاصل لغة بناء وذال معجمة
مشددة بمعنى المنفرد والاول اصح في الهامش انتهى والمعنى ان هذا انما هو من دم من الناس او
ظالم ان القتل الذي اوقعه رسول الله صلى الله عليه وسلم باهل النفاق والشقاق المتحقق
بالاستحقاق انما كان للعداوة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن قتله وطلب اخذ
الترة اي اخذ ثار له عند من قتله من العرب وهو بكسر المثناة الفوقية وفتح الراء المهملة
والهاء كالعدة والهاء عوض عن الفاء المحذوفة من الوتر وهي تبعة وامر من كان اولا انتقم منه
والوتر قتل من له عنده دم فهو قتل القاتل واما الثار بمثلثة وهمزة تخفف بهمزة الفا فهو
بمعناه ايضا وان كان من مادة اخرى وقولهم بالثارات فلان حثا على طلب الدم ممن هو عنده
فهو بمثلثة ومثناة ايضا والمعنى واحد فلا معارضة بين ما في القاموس والنهاية الاثيرية
كما توهم وكم من لفظ من مادتين بمعنى مثله فلا حاجة للتطويل بمثله وقد رايت معنى ما حرره
اي هذا بسبه من ان النبي صلى الله عليه وسلم ترك قتل المنافقين الذين علم نفاقهم لحكمه
بالظاهر تشريعا للامة ولهذه المصالح من تاليف القلوب ودفع طعن الطاعنين ليدخل
الناس في دين الله افواجا افواجا منسوبا الى مالك بن انس امام دار الهجرة رحمه الله
ولهذا المعنى الذي ذكره وحرره قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي تقدم لمن قال
دعني اضرب عنقه كما مر لا لا يتحدث الناس في مجالسهم ويشيعون ان محمدا صلى
الله عليه وسلم وذكره باسمه حكاية لما يقولونه يقتل اصحابه لغرض اخر من ترة وامر
سابق لا لنفاقهم ليقصدون بذلك افساد الناس وصدهم عنه كما كان عادة المشركين

له

ق لوجد

دقة

لين

ته

وقال صلى الله عليه وسلم في حديث آخر لم يخرجوا اولئك المنافقون الذين لم اقتلهم
مع العلم بنفاقهم نهى الله عن قتلهم لحكمة علمها وفايدة عظيمة من مصالح الدين والحديث
الذي قبل هذا في الصحيحين وهذا المذكور من عدم القتل بالنفاق المضمر بخلاف اجراء
الاحكام الظاهرة عليهم اي المنافقين او الناس من بايبنة لما بعدها حدود الزنا
جمعها لتعدد من زنا او تعددها برجم وجلد والزنا يمد ويقصر بمعنى وهما لغتان وقيل الممدود
بفعل اثنين والمقصور من واحد وقيل انه حقيقة في الرجل لانه فاعل ومنه دون المراة
قاله المصري والقصر افصح والقتل قصاصا ونحوه وشبهه كحد القذف وشرب الخمر
والسرقة لظهورها بالشهادة الشرعية واستواء الناس في علمها لانها من الامور الباطنة
وقال محمد بن المواز بتشديد الواو والف وزاي معجمة وهو مشهور من ايمة المالكية كما تقدم
لو اظهر المنافقون نفاقهم لقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم هذا توضيح لما قبله فلا
يرد عليه ما قيل انهم اذا اظهروه يكون كفرا وردة لا نفاقا وفيه نظر وقال ايضا القاضي
ابو الحسن بن القصار المالكي الذي تقدمت ترجمته وقال قتادة في تفسير قوله عز وجل
لئن لم ينته المنافقون من النفاق المعروف وهو لفظ حدث في الاسلام من نافقا الضب
وهو جحر يخفيه اذا ارتيد صيده خرج منه وفر وقيل انه ماخوذ من النفق وهو السرب
والذين في قلوبهم مرض اي فساد حقيقة سماه مرضا استعارة والمرجفون في
المدينة من الارجاف وهو اشاعة الافترا والكذب للافترا واغراء الاعدا لنغرينك
بهم اي نامرك بقتلهم ونكالهم من الاغرا وهو الحث والتحريض على سبيل الاستعمال ثم لا
يجاورونك فيها اي لا يبقى لهم الاقامة بها لقتلهم او طردهم وهو عطف على لنغرينك الجواب
للقسم الا قليلا اي زمانا قليلا لوقوع ما اغريناك بهم من القتل والاجلا ملعونين نصب
على الشتم او الحال اي مطرودين ومبعدين عن رحمة الله في الدنيا اينما ثقفوا اخذوا
وقتلوا تقتيلا سنة الله في موضع مصدر موكد اي سن الله في الذين خلوا من قبل
ممن كان قبلكم من الانبيا ان يقتلوا اينما وجدوا وظفر بهم ولن تجد لسنة الله تبديلا
بل هي جارية على سنن واحد في جميع الامم قال اي قتادة معناه اي معنى ما ذكر من الاية
اذا اظهروا النفاق لانه صلى الله عليه وسلم امر بجهاد المنافقين وهو انما يكون اذا اظهروه
لانهم قبل اظهاره مسلمين دماؤهم معصومة ومعنى ثقفوا اخذوا وتمكن منهم اذا وجدوا والذين
في قلوبهم مرض هم المنافقون والمرض ما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال ويوجب اختلال
افعاله فتجوز به عن الاغراض النفسانية المانعة لكماله كالجهل وسوء العقيدة والمرجفون
هم المنافقون لانهم كانوا يشيعون اخبارا تسوء المومنين كقوة عدوهم واصابة بعض سراياهم
وقال ابن عباس اشاعة الكذب التماسا للفتن وهو من الرجفان وهو الاضطراب بزلزلة
ونحوها فاستعير لما ذكر وقيل ما قاله قتادة مخالف للظاهر وانما المراد نفيهم عن اذية
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين يعني ان جهادهم لا يظهر لما مر ولذا قال الثعلبي
في تفسيره ان ابن مسعود قال جهاد المنافقين الانكار عليهم والتعبيس في وجوههم
وترك الرفق بهم وقيل انها نسخت العفو عنهم ولذا قال وحكى محمد بن مسلمة تقدم ترجمته
ان معنى قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين نسخ ما كان قبلها
اي قبل نزولها من العفو والصفح عن اذيتهم له صلى الله عليه وسلم الذي كان قبل في قوله

فاعرض عنهم

فاعرض عنهم وتوكل على الله فانه نهي اولا عن قتال المنافقين فنسخ بهذه الاية كما قاله
الواحدي في سورة النسا ومجاهدة المنافقين عند الحسن وقتادة اقامة الحدود عليهم
وعن مجاهد بالوعيد وافشاء اسرارهم ومن ذكر هذا وقال لا نسلم انها منسوخة لم يصب
لانه منع للنقل وهو خطا ويؤيد تاويل الجهاد في الاية قوله واغلظ عليهم اي شدد وعيدهم
وانهم اجمعوا على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقتل احدا من المنافقين الى ان توفاه الله
ثم وقال بعض مشايخنا من الفقهاء المالكية وقيل من متكلمي الاشعرية لعل القايل لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد قسم بعض الغنايم هذه قسمة ما اريد بها وجه الله لم تقم على
وجه العدل بين الغزاة يعني انها قسمة جايرة ولعل اعدل اي سو بين المسلمين في القسمة قال
البرهان الحلبي ظاهره ان قايلهما واحد وليس كذلك فكان ينبغي ان يقول وقول الاخر والاول
هو ذو الخويصرة كما في مسلم ويقال له حرقوص كما تقدم وهو ذو الثدية راس الخوارج وقيل
ذو الخويصرة وهو البايل في المسجد وبالثاني لم يفهم النبي صلى الله عليه وسلم منه من قوله هذا
الطعن عليه في قسمته اي لم يقصد به ذمه وتنقيصه ولا التهمة له فيها اي لم يظن به
سوءا قال في المصباح التهمة بسكون الهاء وفتحها الشك والريبة واصلها الواو لانها من الوهم
انتهى وانما راها اي فهم من كلمته هذه انها صدرت من وجه الغلظة اي صدرت لغلظة طبعه
وعدم ادبه كما هو عادة الاعراب وفي نسخة الغلط في الراي الذي يراه جفاة العرب
اهو اي امثالهم في امور الدنيا لحرصهم عليها والاجتهاد في مصالح اهلها الذين يرون
ان تغليظ المقال يحصلها كما يقال الابرام يحصل المرام ويعدون الوقاحة سلاحا لهم فلم ير ذلك
الكلام الذي واجهه به سبا وتنقيصا له فهو بسين مهملة وباء موحدة مشددة وروي بشين
معجمة ومثناة تحتية مشددة او خفيفة بعدها همزة قال البرهان والاول صواب وعلى الثاني
لم ير شيا يعتد به او ينقصه قيل ويبعد هذا انه تغير وجهه الشريف وقال يرحم الله اخي موسى
لقد اوذي باكثر من هذا فصبر كما تقدم فلذلك لم يعاقبه صلى الله عليه وسلم وفي نسخ ذكر
هذا بعد قوله الاتي والصبر عليه وقيل انه انما لم يعاقبه لئلا يقول الناس انه يقتل اصحابه
كما صرح به الحديث المار ولما قيل انه حقه صلى الله عليه وسلم له العفو عنه واليه اشار بقوله
وراى انه من الاذى هو الشر القليل كما فسره به السبكي فيما ياتي الذي له العفو عنه ثم
لئلا او لانه حقه وهو لا ينتقم لنفسه والصبر عليه تاليفا لقلوب الناس وقد عد ابن تيمية
هذا جوابا آخر في كتابه السيف المسلول وكذلك اي كما قيل في الجواب عما ذكر يقال في اليهود
اذ قالوا له في الحديث السابق السام عليكم للدعا عليه صلى الله عليه وسلم وعلى اصحابه
ليس فيه صريح سب يوجب عقابهم عليه ولا دعا عليه بما لا يصح من احد بشيء من الاشياء الا
بما اي بامر لا بد منه اي لا يسلم منه احد من الموت الذي كتبه الله على العباد وقدره فلا
بد من لحاقه جميع البشر لان كل نفس ذايقة الموت والسام على هذا معناه الموت فهو محتمل
المعنى وقيل بل المراد والمعنى الذي قصدوه انكم تسامون دينكم اي تضجرون من مشاقه
فتملونه وتتركونه فهو اما دعاء بهذا او دخل وطعن في الدين لا اعتذار اعنهم كما توهم ثم بين
وجهه بحسب اللغة بقوله والسام بفتح السين والهمزة والسامة بالهمزة بزنة القباحة
الملال وهي الضجر والقلق المؤدي للترك فهو على هذا مهموز العين ابدلت همزته الفا لانه
من سيم مهموزا فما قيل الرواية بلا همز لاختلاف صيغتهما واو او همزا ليس بشيء وهذا على هذا النقل

ني

دعا على سامة الدين سامة بالمد مصدرا وبل ونه جمع سايم نحو كتبة جمع كاتب ولعل هذا
السب بقوله ليس فيه صريح سب له صلى الله عليه وسلم فلذا لم يعاقب قايله ولهذا اي
لاجل كونه ليس بسب صريح ترجم البخاري في صحيحه على هذا الحديث بقوله باب بالتنوين
وتركه اذا عرض اي ذكر بطريق التعريض دون التصريح فهو مشدد الراء الذمي او غيره من
المسلمين او المستامنين من اهل الحرب بسب النبي صلى الله عليه وسلم والترجمة الباب والعنوان
في اصطلاح المصنفين واصله ذكر لفظ بلغة بلغة اخرى او ابلاغ كلام الغير لمن لم يسمعه كما في
قوله م ان الثمانين وبلغتها ۞ قد احوجت سمعي الى ترجمان
فتجوز به عما ذكر لانه اجمال يعقبه ما بعده كما تقدم وقد قيل ان السام غير عربي وهو على هذا تعريض
بالنقص لا بالسب وقد تقدم ان التعريض له حكم التصريح ولذا عقبه بقوله وقال بعض علمائنا
المالكية وليس هذا اي الذي قاله اليهود بتعريض بالسب لانه الذم بصفات النقص
التي لا تليق وانما هو تعريض بالاذى اي بما يوذي ويولم وقال السبكي الاذى الشر الخفيف
فان زاد فهو ضرر كما قاله الخطابي وغيره انتهى لان الموت والملال من لوازم البشرية لا تنقص
لكن ذكره مما لا يقصد به حقيقته يوذي ويولم قال القاضي ابو الفضل عياض المصنف
رحمه الله قد قدمنا في هذا الباب ان الاذى والسب في حقه ووصفه صلى الله عليه
وسلم بشيء منهما سواء في الحكم من قتل ونحوه وقد قال القاضي ابو محمد بن نصر الذي
قدمنا ترجمته مجيبا عن هذا الحديث في قصة سلام اليهودي عليه ببعض ما تقدم من
الاجوبة ثم قال ابن نصر ولم يذكر في الحديث المذكور هل كان هذا اليهودي الذي
صدر عنه ما ذكر من اهل العهد اي ممن وقع بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم امان وهو
الهدنة كما تقدم والذمة هي امان كما تقدم او الحرب اي من المحاربين واعداء الدين
الذين لا عهد ولا ذمة لهم فينتقض عهده او يهدر دمه ولا يترك موجب الادلة الدالة
على تحتم قتل من سب مطلقا للامر الذي علم من قصة هولاء اليهود المحتمل الذي لم يعلم
منه انهم معاهدون او محاربون والامر الذي فيه احتمال لا يتم به الاستدلال ويعارض الادلة
اليقينية والاولى في الجواب عن تركه قتل من سبه واذاه مع انه لازم في ذلك كله اي
توجيه ما ورد مما يخالفه كله والاظهر من هذه الوجوه التي وجه بها ما ذكر مما اشكل على الائمة
انه لاجل مقصد اي قصد الاستيلاف اي قصد تانيسهم وتاليف قلوبهم على الدين والمداراة
لعلهم اي باستمالتهم بالعفو عنهم يرجو انهم يومنون به صلى الله عليه وسلم ويدخلون
في دينه ولذلك اي لبيان ذلك وانه انما فعل ذلك للمداراة لا لانه غير جائز ترجم البخاري
اي جعل الامام البخاري في صحيحه عنوان الباب الذي ذكر فيه هذا تنبيها على حديث
القسمة اي الحديث الذي ذكر فيه قسمة الغنايم وقد قال له صلى الله عليه وسلم بعض المنافقين
اعدل ما هذه قسمة اريد بها وجه الله كما تقدم والحديث الذي فيه ذكر الخوارج كذي الخويصرة
واصحابه فجعل ترجمته باب من ترك قتال الخوارج للتالف اي لاجل ان يولفهم
ليثبتوا على الاسلام ولئلا ينفر الناس عنه اذا راوه يقتل من اذاه وترك قتلهم ايضا لما
بكسر اللام وتخفيف الميم ذكرنا معناه عن مالك من انه تركه لئلا يرجف الناس ويرتاعوا
ولئلا يجد الطاعن في الدين طريقا للطعن فيه وقد ذكرناه قبل هذا كما سمعته انفا وقبل
مبني على الضم والخوارج جمع خارج على خلاف القياس او خارجة بمعنى طايفة خارجة سموا بذلك

لانهم خرجوا

لانهم خرجوا من احكام الدين او لانهم خرجوا على علي كرم الله وجهه وقصتهم معه بعد
وقعة الجمل مشهورة وليس المراد بهم الذين خرجوا على عثمان رضي الله عنه حتى قتل كما ذكره
الرازي في شرح الوجيز ولم يكن خروجهم في حياته صلى الله عليه وسلم لكن المذكورون
في حديث القسمة ذو الثدية كان رئيسهم واشار صلى الله عليه وسلم لقصته في هذا فهو
من معجزاته في اخباره بالمغيبات وقصة الخوارج مفصلة في التواريخ ولهم عقايد باطلة
وكان المعترض على قسمة رسول الله صلى الله عليه وسلم هو ذو الثدية ولما قال ما قاله قال
عمر رضي الله عنه دعني اضرب عنقه فقال دعه فان له اصحابا يحقر احدكم صلاته مع صلا
وصيامه مع صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية وفيه نزل قوله ومنهم من
يلمزك في الصدقات الاية وقد صبر صلى الله عليه وسلم على اعظم من السب والاذى فصبر
لهم على سحره الذي فعله اليهود كما مر وسمه اي سم المراة اليهودية له صلى الله عليه وسلم
في ذراع الشاة اكل منه وقصة السحر والسم تقدمت وهي لشهرتها غنية عن البيان وهو اي ما
صبر عليه مما ذكر اعظم في الاذية له من سبه اي سب اليهود له تعريضا كما مر حتى نصره الله
عليهم واذن الله له صلى الله عليه وسلم بعدما امره بالعفو والصفح عنهم في قتل من
عينه منهم اي ممن سبه واذاه من المنافقين واليهود وعينه بفتح العين المهملة وتشديد
اليا المثناة التحتية ونون وهاء الضمير اي بين عينه وشخصه مثل كعب بن الاشرف وفي
نسخة حينه بحاء مهملة مكان العين اي قتله واهلكه من الحين بفتح الحاء وهو الهلاك وفي
اخرى خيبه بخاء معجمة وباء موحدة مكان النون اي اظهر انه خايب خاسر بافتضاحه ونكاله
في الدارين وانزلهم من صياصيهم اي اخرجهم من حصونهم وقلاعهم ومساكنهم العالية بها
وكل ما يتحصن به من الاعداء يسمى صيصة بصادين مهملتين مكسورتين ومثناة تحتية بين
اولاها ساكنة والثانية مفتوحة خفيفة ويقال لقرن البقر وشوكة الديك كما قاله الراغب
والذين انزلهم من حصونهم بنو قريظة كانوا عاهدوه صلى الله عليه وسلم ان لا يقاتلوه ولا يعينوا
عليه عدوا فلما تجمعت الاحزاب نقضوا العهد وكان ابن اخطب من بني النضير اتى كعب بن اسد
القرظي رئيس قريظة الذي عاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اتاه ابن اخطب قفل باب
حصنه فناداه افتح فقال اذهب فانك مشوم وقد عاهدت محمدا عهدا لا انقضه وانه يفي بعهده
فلم يزل يحتال عليه حتى ادخله حصنه ولم يزل يفتل في الذروة والغارب حتى نقض عهده
فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث السعدين مع جماعة لينظروا هل نقضوا عهدهم
ام لا فلما اتوهم وقالوا لهم تنذرتم عهد رسول الله قالوا من رسول الله وشاتموهم فاخبروه بخبرهم
وانهم ظاهروا ابا سفيان فاتاه جبريل عليهما الصلاة والسلام وقال له انهض لبني قريظة
فاني تركتهم في زلزال وبلبال فاتاهم ونازلهم وناداهم يا اخوة القردة والخنازير [illegible]
فقالوا يا ابا القاسم ما كنت فحاشا ثم نزلوا على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه لحلف كان بينه
وبينهم فظنوه يتلطف بهم فحكم فيهم بقتل المقاتلة منهم وسبي الذرية وانهم يعطى عقارهم
المهاجرين دون الانصار لانهم لا عقار لهم اذ ذاك فقال صلى الله عليه وسلم قضى فيهم بحكم الله
فاتى بهم سوق المدينة وضرب اعناقهم وقريب من تسعماية وقذف في قلوبهم الرعب
اي القى في قلوبهم الخوف من رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه مما نصره الله به فقال نصرت
بالرعب وكتب اي قدر الله على من شاء منهم الجلاء بفتح الجيم ممدودا اي خروجهم من بلادهم

واصله بمعنى الكشف الظاهر يقال جليت القوم من منازلهم فجلوا اي ابرزتهم ونفيتهم فقوله
واخرجهم من ديارهم عطف تفسير والذين اجلاهم بنو النضير لما نقضوا العهد بهمهم ان يلقوا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرا فاخبره جبريل بذلك فقام من عندهم كما مر ثم رجع لهم
وحاصرهم اياما ثم القى الله في قلوبهم الرعب فسالوه صلى الله عليه وسلم ان يجليهم ويبيح
لهم مقدارا يحملونه معهم فاجابهم وفيه نزلت سورة الحشر فكان احدهم يخرب بيته بيده كما قال تعالى
وخرب بيوتهم التي سكنوها بايديهم وايدي المومنين بهدمها وقطع اشجارها وهدم حصونهم
حتى لم يبق منهم باطراف المدينة دار ولا ديار وهذا كله من الايات النازلة في حق يهود خيبر ومن
قرب منهم وكاشفهم اي واجههم بالسب اي بسب صريح تذليلا لهم وكنى بالكلام الوارد في القران
والحديث تذليلا لهم فقال لهم يا اخوة القردة والخنازير اي المشابهين لها في الخسة وقبح
المنظر وان منهم من مسخ قردا وخنزيرا كما قال تعالى وجعل منهم القردة والخنازير وحكم فيهم
بالتشديد مجازا بمعنى سلط عليهم سيوف المسلمين اي سلط المسلمين بسيوفهم على من قتل
من بني قريظة واجلاهم اي اخرجهم والجلا اخراج جماعة مع اهلهم من جوارهم لان ارضهم
كانت مجاورة للمدينة الشريفة واورثهم اي المسلمين ارضهم من مزارعهم وحدايقهم اي
ملكها لهم كما مر وديارهم اي مساكنهم واوطانهم واموالهم اي امتعتهم ودوابهم وكل متمول
معهم لتكون كلمة الله اي دينه وامره فيما تصرف فيه هي العليا اي نافذة وكلمة الذين
كفروا السفلى اي ملغاة مهملة فكانها مرمية على الارض فان قلت كيف يقتل رسول
الله صلى الله عليه وسلم من آذاه فقد جا في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره
عن عايشة ام المومنين رضي الله عنها انها قالت فيه انه عليه الصلاة والسلام ما انتقم
من احد لنفسه اي لاجل حق له صلى الله عليه وسلم في نفسه في شي يوتى اليه مبني للمجهول
اي ياتي اليه احد ويفعله ويواجهه به فلم يعاقب احدا على مكروه فعله قط الا ان يكون
ما فعلوه واتوه امرا تنتهك حرمة الله هي ما يحترم ويراعى من حدوده واحكامه اي تهان ويفعل
بها ما لا يجوز وفي المصباح نهك الشي نهكا اي بالغ فيه ونهكه السلطان عقوبة اي بالغ فيه
وانهكه لغة فيه وانتهاك الحرمة تناولها بما لا يحل انتهى فاذا وقع من احد تعدي حدود الله فينتقم
منه رسول الله صلى الله عليه وسلم لله اي لاجل الله تعالى لا لنفسه فهذا الحديث يقتضي انه صلى الله
عليه وسلم لا ينتقم ممن آذاه او سبه وهو مناف لما تقدم فاعلم ايها السايل ان هذا المذكور في
الحديث من انه لا ينتقم لنفسه لا يقتضي اي لا يدل دلالة لازمة انه لا ينتقم ممن سبه او آذاه
او كذبه اي نسبه للكذب وقد قدمنا بيانه مفصلا وما المراد بالكذب فيه فان هذه الامور المذكورة
من سبه صلى الله عليه وسلم واذيته وتكذيبه من حرمات الله لان اذية رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذية لله بمعنى انه لا يحبها كما ان طاعته طاعة لله ومحبته محبة لله بالنص فهو حق مشترك
بين الله ورسوله وانتقام رسول الله تارة رعاية لحق الله وعفوه رعاية لحق نفسه وهكذا الحقوق
الشرعية منها ما هو حق العبد ومنها ما هو حق الله ومنها ما هو مشترك وهو على قسمين ما الارجح
فيه حق العبد وما الارجح فيه حق الله وربما يتساويا ولكل احكام ليس هذا محل تفصيلها فالمراد
بقوله انه من حرمات الله انه مما راعى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حق الله دون حق نفسه
فلا يرد عليه انه مشترك كما قيل ولا يرد عليه النصوص الناهية عن اذيته صلى الله عليه وسلم
كما اشار اليه بقوله التي انتقم لها ممن صدرت منه لانه راى رعاية حق الله فيها ارجح عنده كما في قصة

كعب بن الاشرف ونحوه وانما يكون ما اي الامر الذي لا ينتقم له فيما تعلق بسو ادبه او
سو معاملة معه لانه حقه فله العفو عنه وبينه بقوله من القول الذي يخاطب به او
الفعل الذي يفعلونه مما يتعلق به ويكون في النفس اي في نفسه وذاته الشريفة والمال
الذي يعطيه لهم من الغنايم كما تقدم في القسمة مما لا يتصف فاعله وقايله به صلى الله عليه
وسلم او بالفعل اذاه وادخل القول في الفعل اختصارا لانه فعل اللسان لكن صدوره عنه
لجهل منه وغلظة طبع مما جبلت وطبعت عليه الاعراب سكان البوادي الذين لا ادب لهم
من الجفا اي غلظة الطباع والجهل بحقوق الله وحقوق رسوله صلى الله عليه وسلم وعدم معرفتهم
باداب الصحبة او جبل عليه البشر كلهم من الغفلة عما يجب عليهم فان الناس قلما تخلو عنها وفي
نسخة من السفه كجبذ الاعرابي بردايه صلى الله عليه وسلم وفي نسخة بازاره والمعنى
والمعنى واحد وجبذ وجذب بمعنى وقيل جبذ مقلوب من جذب وقيل الصواب رواية ردايه
وهو ما يكون على العاتق والظهر والازار ما يكون تحته في وسطه الاسفل وجذبه يفضي
لكشف العورة وصحة هذه الرواية تقتضي انه مجاز مرسل بمعنى الردا ومطلق اللباس فالتخطية
فيه خطا من قايله وقوله حتى اثر جذبه في عنقه قرينة ظاهرة عليه وقد ورد ايضا بهذا
المعنى في كتب اللغة وكان بردا نجرانيا غليظا وروي انه انشق من شدة جذبه وكرفع صوت
الاعرابي الاخر عنده حين ناداه او حين كان يكلمه وهو ثابت بن قيس بن شماس كان جهير
الصوت كما تقدم فلما نزل قوله تعالى لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي فتفقده صلى الله عليه
وسلم فقال سعد بن معاذ انا اعلم علمه وهو خوف من الله لذلك وقيل انما هي وفد بني تميم
لما ناداه من وراء حجرته صلى الله عليه وسلم وقيل هو الاقرع بن حابس وقيل غير ذلك وكجحد
الاعرابي اي انكاره شراه صلى الله عليه وسلم منه اي من الاعرابي فرسه التي شهد فيها
له انه اشتراها خزيمة والاعرابي هو سواد بن قيس المحاربي كما قاله الذهبي وقال الخطيب
انه سواد بن الحارث وفي السيرة انه ملك الفرس فرسه صلى الله عليه وسلم البيضا واسمها
المرتجز او الظرف او النجيبة فامضى رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادة خزيمة وحده وجعل
شهادتين كما مر وليس هذا قضاء بعلمه لعصمته صلى الله عليه وسلم لان قوله في الحديث من
شهد له خزيمة فهو حسبه يبطله وهو من خصايصه وخزيمة هو ابن ثابت الانصاري بن عمارة
وهذا الحديث رواه البخاري وغيره وفيه انه تبعه ليقضيه حقه وجعل الناس يساومونه
فقال ان كنت مبتاعا فاشتر والا بعته فقال له صلى الله عليه وسلم اوليس قد ابتعته منك
فقال هلم شاهدا فقال خزيمة انا اشهد فقال بم تشهد فقال بتصديقك يا رسول الله فجعل
شهادته بشهادة رجلين وتمسك به بعض المبتدعة في قبول شهادة من عرف صدقه مطلقا
كما بينه الخطابي ورده وهولاء هم الخطابية فرقة من الرافضة وكما كان من تظاهر زوجتيه
عليه صلى الله عليه وسلم وهما عايشة وحفصة او غيرهما كما تقدم والتظاهر الاتفاق على
تعاون كل منهما الاخرى بتصديقها فيما تقوله من الظهر لاستناد كل منهما للاخرى وكان مكثه
صلى الله عليه وسلم عند زينب بنت جحش فسقته عسلا فاتفقتا على انه اذا جاء قالت له اجد
منك ريح مغافير وهو بقل او صمغ كريه الرايحة وكان صلى الله عليه وسلم لا يحب الرايحة الكريهة
للعايد الملك فلما سمعه صلى الله عليه وسلم قال لا اعود كما فصل في التفسير والسير واشباه
هذا المذكور مما يحسن الصفح عنه اي العفو واصله ان يميل صفحة وجهه لجانب آخر فكنى به

معاونة

عما ذكر لانه امر معفو عنه ولم ينسا عن نهوض وقصد تنقيص له وانما كان لامر آخر وقد قال
بعض علمائنا ان اذى النبي صلى الله عليه وسلم حرام لا يجوز بفعل مباح ولا غيره اما
غيره فيجوز بفعل مباح وان تاذى به غيره واحتج بعموم قوله تعالى ان الذين يوذون
الله ورسوله لعنوا في الدنيا والآخرة استدل باطلاق ما يوذي ولعنة فاعله في الدارين
على انه كبيرة ومثل للمباح بقول بعض زوجاته له صلى الله عليه وسلم وقد كان الناس يتحرون بهدايا
يوم عايشة من هم بالاهدا في غيرتها فقال صلى الله عليه وسلم لا توذوني في عايشة فان الوحي
ما نزل علي في لحاف امراة غيرها فلما علم تاذيه ترك ذلك فهو متقيد بمن لم يعلم تاذيه بالمباح
فان علم فهو حرام كغيره وهو ظاهر ثم ذكر المصنف هنا في بعض النسخ حديث البخاري لما اراد علي رضي الله عنه
ان يتزوج بنت ابي جهل على فاطمة الزهرا رضي الله عنها فصعد صلى الله عليه وسلم المنبر وذكر ما ياتي
بقوله وبقوله صلى الله عليه وسلم في حديث فاطمة انها بضعة مني بكسر البا اي قطعة لحم
مني اي كقطعة من بدني يوذيني ما يوذيها هذا مرشح للاستعارة لان البدن كله يتالم بما
يولم بعضه الا اني لا احرم ما احل الله ولكن لا تجتمع ابنة رسول الله وابنة عدو الله وهي
بنت ابي جهل واسمها جويرية وقيل غير ذلك عند رجل ابدا فلا ينبغي نكاحها على بنت حبيب الله
والحديث يدل على ان اذيته بغيره اذا آذته تحرم ايضا كاذية فاطمة وكذا اذية اولادها والكلام عليه
مفصل في شروح البخاري وفضائل اهل البيت رضي الله عنهم او يكون هذا المذكور وان قصد به
الاذى مما اذاه به كافر رجا صلى الله عليه وسلم بصيغة الماضي او مصدر منصوب وفي نسخة
وجا وسياتي ما فيها بعد ذلك الذي صدر منه من الاذية اسلامه فيعفو عنه استمالة له حتى
يدخل في دين الاسلام فاذا علم ذلك جاز له صلى الله عليه وسلم العفو عنه كعفوه عن اليهودي الذي
سحره في قصته التي تقدم تفصيلها وانه لبيد بن الاعصم فكان يرجو اسلامه وعن الاعرابي
الذي اراد قتله صلى الله عليه وسلم وهو نازل تحت شجرة في بعض اسفاره كما تقدم وتقدم انه
اسلم وكعفوه عن اليهودية التي سمته الا انه اختلف في قتلها وقد قيل انه قتلها ببشر بن البرا
الذي مات من سمها ومثل هذا المذكور مما اوذي به مما بلغه وفي نسخة يبلغه من اذية اهل
الكتاب من اليهود والمنافقين الذين جاوروه بالمدينة كابن سلول فصفح عنهم وعفا
تكرما منه رجا استيلافهم باشتمالهم للاسلام واستيلاف غيرهم اي بسبب ما يبلغه من
كرمه صلى الله عليه وسلم وعفوه كما قررناه قبل هذا فيما سبق في هذا الكتاب وبالله التوفيق
هذا اما دعا لنفسه فيختم كلامه كما هو عادة المصنفين او هو تتمة لما قبله اي وما توفيق
هولا للايمان واستيلافهم الا بقدرة الله ولطفه او هما مرادان معا واعلم انه وقع في بعض
النسخ بدل قوله رجا اسلامه وجا بواو عاطفة بعدها جا فعل ماض من المجي فقال البرهان
وتبعه بعض الشراح ان ظاهر عبارته يقتضي ان هولاء الثلاثة اسلموا اما الذي سحره صلى
الله عليه وسلم وهو لبيد بن الاعصم فلا استحضر خلافا في انه لم يسلم ولم يعلم من قاله الا ما هنا
والاعرابي الذي اراد قتله صلى الله عليه وسلم غورث بن الحارث ولم يذكره احد في الصحابة
وقد قيل انه دعثور وتقدم ما فيه واما اليهودية التي سمته صلى الله عليه وسلم فهي زينب
بنت الحارث ولم يذكرها احد في الصحابة وذكر شيخي ابو جعفر الانصاري ان معمر بن راشد
قال في جامعه عن الزهري انه قال انها اسلمت فتركها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
معمر كذا قال الزهري والناس يقولون قتلها ولم تسلم لكن نهايته في بعض النسخ ورجا بعد ذلك

اسلامه بالرا وهو الصواب والتي تقدمت تصحيف انتهى

فصل قال القاضي ابو الفضل

المصنف رحمه الله تعالى تقدم الكلام في قتل القاصد لسبه اي في حكمه واذيته فلا يحتاج
لاعادته والازرا به بتنقيصه وغمصه بغين معجمة وسكون الميم وصاد مهملة بتثليث ميمه
صلى الله عليه وسلم والازرا افتعال من ازري به اذا احتقره وعابه فابدلت تاؤه دالا
لمجاورتها الزاي المعجمة كما بين في علم التصريف وقيل الازرا العيب القليل واكثر اهل اللغة
فسروه بالعيب مطلقا باي وجه كان وباي طريق وقع في حقه من ممكن وجوده او مما
ممتنع عادة او عقلا وشرعا والاول كبعض العوارض البشرية والثاني كنسبة الكذب ونحوه
مما يمتنع بدلالة المعجزة على صدقه صلى الله عليه وسلم فهذا المذكور وجه بين مما قدمه ولا
اشكال فيه ولا في حكمه من قتل متعاطيه الوجه الثاني في امور تتعلق بما هو فيه لاحق
به اي بما في الوجه الاول لكونه قريبا منه لمشابهته له في البيان اي الظهور والجلا بكسر
الجيم وفتحها اي الوضوح وهو ان يكون القايل لما قال ما فيه نقص ما في جهته عليه الصلاة
والسلام اراد في حقه وعبر بالجهة اشارة لنزاهته عن الاتصال به فلله دره غير قاصد
بما قاله للسب والازرا الانتقاص والاستخفاف ولا معتقد له واصحته ولكنه تكلم
في جهته صلى الله عليه وسلم بكلمة الكفر التي يكفر بها من لعنه او سبه او تكذيبه في
شي مما جاء به او اضافة ما لا يجوز عليه من نحو ما ذكر او نفي ما يجب له على امته من حقوقه
وذلك كله ما هو في حقه صلى الله عليه وسلم نقيصة مثل ان ينسب اليه اتيان كبيرة
وقد عصمه الله عنها وعن ساير النقايص او مداهنة اي مداراة للكفرة في تبليغ الرسالة
او مداهنة للناس وهو في حكم بين الناس او بغض بغين وضاد مشددة معجمتين اي بنقص
نقصا قليلا من مرتبته اي شريف مقامه صلى الله عليه وسلم او بغض ويطعن في شي من
شرف نسبه وهو كما قيل

نسب كان عليه من شمس الضحى ● نورا ومن فلق الصباح عمودا

او بعض من وفور علمه اي كثرته وزيادته او من زهده في الدنيا وامورها او يكذب
بما اشتهر من امور اخبر بها صلى الله عليه وسلم وتواتر الخبر بها عنه بحيث يحصل اليقين
بها فيتكلم بخلافها عن قصد لرد خبره صلى الله عليه وسلم المتواتر قال ابن حجر وقوله
وتواتر الخبر بها عنه اي لفظا وهو موجود خلافا لمن زعم نفيه او معنى ولا نظر في ذلك
خلافا لمن زعم نفيه او ياتي بسفه اي خفة عقل وسو ادب من القول او قبيح من الكلام
ونوع من السب في جهته اي في حقه صلى الله عليه وسلم وان ظهر لمن سمعه بدليل
ظاهر حاله انه لم يتعمد اي لم يقصد ذمه بما قاله ولم يقصد سبه ولما كان مخالفة
الظاهر غير ظاهر قال اما لجهالة اي لسبب جهل قايله حملته جهالته لما صدر منه ما لا
يعرفه لقرب عهده بالاسلام ونحوه او لضجر اي قلق وضيق صدر حمله على مقالته او سكر
وغيبة عقل فلا يعرف هذيانه او قلة مراقبته لله لكونه من اهل الخلاعة والمجون المعتاد
لهذا اللسان وعدم ضبط للسانه اذا تكلم فيجري على عادته به وسبقه لسانه لما
قاله وعجرفة اي مجازفة وتكلم من غير تامل كما نشاهده من كثير من الجهلة وتهور في كلامه

التهور الخروج عن الاعتدال بحدة الغضب ونحوه وكل شيء له مراتب ثلاثة اوسطها
التهور الاعتدال وما نقص منه تفريط وما زاد تهور واصله هدم البناء حتى ينهار ويقع
فحكم هذا الوجه الذي يلزم شرعا حكم الوجه الاول وحكمه كما تقدم القتل دون اي
من غير تلعثم بمثناة في اوله ولام وعين مهملة ومثلثة وميم اي توقف وتردد في وجوب
قتله شرعا يقال تلعثم في الامر اذا امكث وتراخى وقد يقال تلعذم بذال معجمة بدلا او
اصلا اي تبادر له بلا تامل فيه اذ لا يعذر احد في الكفر بالجهالة فانه يجب عليه
علم امور دينه وتعلمها ولا يعذر ايضا بدعوى زلل اللسان وخطئه في مقاله
ولا يعذر بشيء مما ذكره من الضجر والتهور والسكر ونحوه مما سمعته آنفا اذا كان
عقله في فطرته اي ابتداء خلقته وجبلته التي ولد عليها سليما من الآفات وعنده من
العلم ما يمنعه من الوقوع في الكفر فلذا لم يعذر الا من اكره على الكفر فنطق به وقلبه
مطمئن بالايمان اي قار عليه من غير منقاد مصدق يقينا من غير ريبة فيه وتردد
والاكراه حمل الغير على ما لا يريد وهي ملجئ وغير ملجئ والكلام عليه مفصل في كتب الفقه
والاصول فاذا تكلم بكلمة كفر مكرها لم يكفر وهذه رخصة من الله منّ بها على عباده المومنين
وقوله اذ لا يعذر بالجهالة مقيد بمن نشا مسلما في دار الاسلام فلو كان قريب عهد به
او نشا بباديته لم يخالط غيره عذر لانه يخفى عليه علم ذلك ولذا قال ابن حجر بعد سياق
كلام المصنف وما ذكره ظاهر موافق لقواعد مذهبنا اذ المدار في الحكم بالكفر على الظواهر
ولا نظر للمقصود والنيات ولا نظر لقراين حاله يعذر مدعي الجهل ان عذر لقرب عهده
بالاسلام او بعده عن العلماء كما يعلم من كلام الروضة انتهى وافهم لفظ دعوى في قوله
دعوى زلل اللسان لان مراده انه اذا تكلم بذلك وشهد ظاهر حاله على قصده ثم قال
انما قلته زللا لا يقبل منه قوله فلا يرد عليه انه رفع عن هذه الامة الخطا والنسيان وما
استكرهوا عليه كما في الآية والحديث الصحيح وكذا يقيد انكار ما تواتر بان يكون مما يعلم
ضرورة من الدين كانكار وجوب الصلاة بخلاف ما لو جحد احدى زوجاته صلى الله عليه وسلم
ونحوه وبهذا افتى من العلماء المالكية الاندلسيون نسبة الى الاندلس بفتح الهمزة
والدال وضمها اقليم معروف تقدم بيانه على ابن حاتم مفعول افتى وتقدم بيان حاله
في تنقيصه الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فافتوا بقتل قايله الذي قدمناه
في هذا الباب وقال محمد بن سحنون تقدم بيانه وبيان ابيه ايضا في الماسور الذي
اسره الكفار بدار الحرب بسبه النبي صلى الله عليه وسلم في حال اسره في ايدي
العدو اي في دارهم وتحت قهرهم يقتل هذا مقول ابن سحنون ولا يعذر بكونه اسيرا الا ان
يعلم تنصره بنون وصاد مهملة اي انه ارتد ودخل في دين النصارى او اكراهه اي يعلم
انهم اكرهوه على السب فقوله يقتل اي من غير ان يستتاب فاذا ارتد ثم سب لا يقتل البتة
بل يستتاب فان تاب ترك والا قتل وكذلك لو علم اكراهه لم يقتل ايضا فان لم يعلم ذلك
وقال كنت مكرها ففيه خلاف • تنبيه قال البرهان رحمه الله في قوله الا ان يعلم
تنصره الخ هذا كلام ينبغي ان يسال عنه المالكية وينص عليه ليسال وهو مما لا خفاء فيه
وسببه انه وقع عندي تنصره بالباء الموحدة فظن ان معناه يعرف بالبصارة فلا يحوم
حول الحمى المنيع بامر شنيع وانما هو بالنون فانه عند المالكية ان الاسير اذا ارتد وسب

وقذف ثم رجع للاسلام فهو في حكم المرتد كما بيناه ولو قيل انما مراده ان تفصيل هذه
المسئلة لم يحضره وحسن الظن به كان اليق الآن يقال انه له رواية فيه وهو بعيد وعن
ابي محمد بن ابي زيد صاحب الرسالة الامام المالكي المشهور لا يعذر احد بدعوى زلل
اللسان بكفر نطق به كما تقدم بيانه آنفا في مثل هذا اي قذف النبي صلى الله عليه وسلم
وقد يعذر في غيره وقال ابن حجر بعد ما مر عنه ويعذر ايضا فيما يظهر بدعوى سبق اللسان
بالنسبة لدرء القتل عنه وان لم يعذر فيه بالنسبة لوقوع طلاقه وعتقه والفرق ان
ذلك حق الله تعالى وهو مبني على المسامحة بخلاف هذين وافتى ابو الحسن القابسي تقدم
بيانه فيمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم في سكره وغيبة عقله بانه يقتل لانه يظن به
انه يعتقد هذا ويفعله في حال صحوه الصحو عبارة عن حضور العقل وعدم غيبته بسكر او
غيره وصحو السماء خلوها من الغيم المانع لظهور الشمس والكواكب وهذا مثله لستر السكر بالابخرة
المتصاعدة للراس باثارة الحرارة لها عقله والمرء اذا سكر غاب فلا يستر ما يضمره ويخفيه
من غيره من خير او شر كما قيل

الراح كالريح ان مرت على عطر • طابت وتخبث ان مرت على الجيف •

والى هذا اشار المصنف بقوله وايضا فانه حد لا يسقطه السكر لانه متعمد بسببه فلا يعذر
به كالقتل والقذف وسائر الحدود لا تسقط بالسكر كما هو مقرر في الفروع لانه ادخله
على نفسه اي هو الذي شرب باختياره فسكر سكرا اوجبه فلا يعذر كمن اغمي عليه او جن
فهذا لانه لم يصبه ذلك باختياره فيواخذ به لان من شرب الخمر على علم اي متيقن ذلك
حتى كانه مستقل عليه ففيه استعارة تبعية كقوله تعالى على هدى من زوال عقله بسبب سكره
بها اي بالخمر فانها مؤنثة سماعا واتيان ما ينكر منه من الافعال القبيحة فهو كالعامد القاصد
لفعله بعد سكره لتعمده الشرب الذي يعلم انه سببه وتعمد السبب كتعمد مسببه لما يكون
بسببه من كل جناية وامر منكر فلذا يواخذ به شرعا وعلى هذا اي ولاجل هذا المذكور او على
هذا القول الزمناه الطلاق فيقع طلاق السكران والعتاق اي عتقه في سكره والقصاص
اذا قتل في سكره والزمناه سائر الحدود كحد القذف والزنا والسرقة قيل عليه ان ظاهره ان
غير الحدود ساقط عنه وليس كذلك فانه مواخذ بجميع اقواله وافعاله وليس كما قال فان بعض
تصرفاته غير صحيحة ولا يلزم من مواخذته ان يكون مكلفا وان نقل عن الشافعي فيه خلاف فان
الصحيح كما قرره ابن الحاجب في اصوله انه غير مكلف ولا يرد على قوله تعالى لا تقربوا الصلاة وانتم
سكارى انه مكلف بالصلاة ومنهي عنها فان نهيه انما هو عن سكره وهو امر بازالة ما يمنعه منها
كما يومر من عليه نجاسة او حدث لاستلزامه ازالة ما قام به فهو كقوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون
وهذا ليس خطاب تكليف وانما هو خطاب وضع كما قاله ابن الحاجب فلا اشكال فيه اصلا ولا حاجة
لما قيل عليه ولا يعترض على هذا المذكور من ان السكران يواخذ بما صدر عنه حال سكره لتعديه
بتعاطي سببه بما رواه البخاري ومسلم وغيرهما بحديث حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله
عليه وسلم سيد الشهداء وقوله اي حمزة رضي الله عنه وهو سكران للنبي صلى الله عليه
وسلم وقد جلس يشرب وعنده داره ناقتين لعلي يريد ان يحمل عليهما اذخرا لحاجة له وعنده قينة
تغنيه • الا يا حمز بالشرف النواء • فخرج ونحرها وجب سنامهما ليأكلوا على
شرابهم فاخبر علي رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فجاءه فلما رآه حمزة رضي الله عنه صعد

نظرة اليه وقال له هل انتم معاشر قريش الا عبيد لابي فكل ما لكم يحل لي وهذا فيه
ما ينكر في حق النبي صلى الله عليه وسلم قال فعرف النبي صلى الله عليه وسلم انه اي حمزة
ثمل بفتح الثا المثلثة وميم مكسورة قبل لام اي سكران زايل العقل ولذا فعل ما فعل وقال
ما قال فانصرف صلى الله عليه وسلم عنه ولم يؤاخذه بما قاله في سكره وهذا لاينافي ما
قدمه لان الخمر كانت حينئذ اي حين اذ شربها حمزة غير محرمة على المسلمين حتى نزلت
الاية فيها فلم يكن في جناياته اي فيما يجنيه شاربها اثم لعدم تعديه بتعاطيها اي
بتعاطي سبب محرم وكان حكم ما يحدث عنها اي عن شربها والسكر منها معفوا عنه لحل سببه
كما يحدث من بعض الجنايات الحادثة من النوم اي بسبب النوم وشرب الدوا المزيل للعقل
وما يحدث من الجنايات المامون اي الذي يامن شاربه من ضرره وازالة عقله اذا زال
عقله من غير علم بانه يزيله فانه اذا ازاله فوقع منه امر من الامور لم يترتب عليه لم يكلف بالنهي
عنه بخطاب الوضع فلا فرق بينه وبين النايم في انه غير مكلف بضمان وجناية اصلا وقيده
بالمامون لان ما يعلم ضرره لا يجوز تناوله فان غاب به عقله فحكمه حكم السكران وقد قيل
عليه ان كلامه يقتضي ان علة عدم المواخذة كونه غير محرم دون غيبوبة العقل الذي هو
مناط التكليف وكونه من خطاب الوضع لابد له من دليل وهو كلام لا طايل تحته كما يعرفه من له
ادنى تامل وما قيل من ان الخمر وان لم تحرم حينئذ فالمسكر حرام فمنقول انه لم يصح نقله وان اشتهر
وكون حمزة رضي الله عنه ضمن لعلي ثمن ناقتيه او لم يضمن لا يهمنا هنا والقصة مفصلة في
الشروح والله اعلم

فصل الوجه الثالث

فيما وقع من سبه صلى الله عليه وسلم او اذيته وتنقيصه ان يقصد احد من الناس الى تكذيبه
صلى الله عليه وسلم اي يتعمد نسبته الى الكذب فيما قاله وقصد يتعدى بنفسه وباللام
والى كما في القاموس او يقصد تكذيبه فيما اتى به اي فيما اوحى اليه وامر بتبليغه للناس
او ينفي نبوته اي يقول انه صلى الله عليه وسلم ليس بنبي او ينفي رسالته بان يقول ليس
برسول من الله او وجوده في زمن من الازمنة او يكفر به سواء انتقل بقوله ذلك
الذي كفر به الى دين آخر بان تهود او تنصر غير ملته ام لا اي لم ينتقل لملة اخرى
فهذا كافر باجماع من المسلمين واصحاب المذاهب يجب قتله من غير خلاف وانما الكلام في توبته
فلذا قال ثم ينظر في حاله او مقاله فان كان مصرحا بذلك الامر الذي كفر به
كان حكمه الجاري عليه شرعا اشبه بحكم المرتد وانما جعله اشبه بالمرتد لانه لم يتعين
امره وقوي الخلاف في استتابته اي في انه هل يستتاب وتقبل توبته ام لا كما تقدم
وعلى القول الآخر القايل بانه يستتاب لا يسقط القتل عنه توبته لانه حد لا يسقط
بالتوبة كالقذف والسرقة لكنه يثبت له حكم المسلمين في ميراثه ودفنه في مقابر المسلمين
لحق النبي صلى الله عليه وسلم لان حق العبد لا يسقط بالتوبة وانما يسقط حق الله ان
كان ذكره بنقيصة اي بنسبة لامر فيه نقص له صلى الله عليه وسلم وهو اكمل الخلق
واعظمهم فيما قاله هذا المذكور من كذب او غيره بما نسبه له وان كان مستترا بذلك
اي بما قاله من تنقيصه اي مخفيا لما قاله فهو افتعال من الستر وفي نسخة مستسرا افتعال
من السر والاسرار المقابل للاعلان كما هو مقابل هنا للتصريح في كلامه ومن فسره بالسرور

اي ذا سرور فقد حرف واخطا فحكمه حكم الزنديق الذي يظهر الاسلام ويبطن
الكفر بخلاف المرتد لا يسقط قتله التوبة عندنا اي في مذهب مالك رحمه الله كما سنبينه
ولم نوضحه تفصيلا لاحكامه وهذا مذهب مالك وفيه خلاف لغيره مفصل في كتب الفقه
وقال ابو حنيفة واصحابه كالامام محمد وابي يوسف وغيرهما من بري بزنة علم مهموز
من التبري اي من تبرا من محمد صلى الله عليه وسلم بان قال انا بري منه اي تارك له ولدينه
غير معترف ولا متبع ولا يمتثل لامره ونهيه او كذبه اي قال انه كاذب فيما ادعاه وفي نسخ
او كذب به فهو مرتد عن دينه بمقالته هذه حلال الدم اي دمه هدر حلال اراقته وهو
عبارة عن لزوم قتله شرعا الا ان يرجع عما قاله فيتوب ويعترف بخلاف ما كان قاله اولا
فهو عنده حكمه حكم المرتد فتقبل توبته لقوله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والحديث اذا
قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها واحكام المرتد عندنا مفصلة في كتب الفقه
غنية عن البيان وقال ابن القاسم عبد الرحمن المصري الامام المشهور صاحب مالك في المسلم
اي في حق الرجل المسلم اذا قال ان محمدا صلى الله عليه وسلم ليس بنبي او لم يرسل من الله
للناس كافة او لم ينزل عليه قرآن ووحي من الله وانما هو شي يقوله اي شي وامر افتراه
على الله وهو صلى الله عليه وسلم حماه الله ما ينطق عن الهوى وقد اتى بملته البيضا النقية
من قال مثل هذا يستحق ان يقتل ويلعن في الدارين قال ابن القاسم ومن كفر برسول الله
بانكار نبوته ورسالته صلى الله عليه وسلم كما يأتي وقيد به لقوله فهو في احكامه بمنزلة
المرتد يقتل ان لم يتب وكذلك الحكم فيمن اعلن بتكذيبه اي اظهره جهرا فهو كالمرتد
يستتاب اي تقبل توبته فان لم يتب قتل وكذلك قال ابن القاسم فيمن تنبا وزعم انه
نبي يوحى اليه اي يقتل ان لم يتب ومحل ذلك اذا زعم انه يوحى اليه بنزول الملك عليه
والا فالذي ينبغي انه لا يكفر كما قاله ابن حجر وقاله سحنون اي ذهب الى مثله نزاية الما
سحنون تقدم بيانه وان المشهور فيه ضم اوله وقد قيل انه بفتح وبكسر فهو مثلث فعلون
او فعلول من السحنة وهي بشرة الوجه ولونه وهيئته وانه ممنوع من الصرف للعلمية وشبه
العجمة كما قاله ابو العلا المعري في شرح ديوان البحتري وقال ابن القاسم فيمن تنبا انه
كالمرتد سرا كان دعا الى ذلك اي الى متابعة نبوته سرا كان او جهرا كمسيلمة لعنه الله
وقال اصبغ ابن الفرج هو اي من زعم انه نبي يوحى اليه كالمرتد في احكامه لانه قد كفر
بكتاب الله لانه كذبه صلى الله عليه وسلم في قوله انه خاتم النبيين ولا نبي بعده مع الفرية
على الله بكسر الفا اي الكذب عليه بقوله ان الله اوحى الي وارسلني وقال اشهب في حق
يهودي تنبا اي زعم انه نبي وزعم انه ارسل من الله الى الناس ليبلغهم عن الله او قال
وزعم ان بعد نبيكم نبي ياتي من الله بشريعة فقال انه يستتاب كالمرتد ان كان معلنا
بذلك اي مظهرا له لا اذا اخفاه فان تاب ورجع عما قاله والا قتل ان لم يتب وذلك اي قتله
لانه مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله الذي نقله عنه الثقات لا نبي بعدي
اي لا ينبا احد بعد نبوتي ومفتر متعمد للكذب فيما زعمه على الله في دعواه الرسالة والنبوة
لانه يقول ان الله اوحى اليه دخل في ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا وهذا الحديث رواه البخاري
وقد قال صلى الله عليه وسلم لعلي لما استخلفه في غزوة تبوك وقال له اتتركني في النساء
والصبيان فقال له اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي واما على

في قول الغزالي صح

بن مريم عليه الصلاة والسلام فلم يتنبا بعده وانما يجيء تابعا له موتبعا لدينه حاكما بشرعه في آخر الزمان اربعين سنة فان قلت ما تقول في كتاب الانتصار ان بعضهم اول قوله خاتم النبيين بان معناه خاتم اولي العزم منهم ويكفي نقل القرطبي له قلت قالوا في الجواب عنه ان كتابه هذا عمده لبيان اقوال الملحدين فذكر هذا لينبه على فساده وانه مما لا يلتفت له ثم تركه ٢ اولى من ذكره فان تعبيره بالنبيين دون المرسلين مناف له **وقال محمد بن سحنون** تقدم بيانه **من شك في حرف مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم عن الله** اي في شيء مما اوحي به اليه وعبر بالحرف مبالغة **فهو كافر جاحد** لشكه في الوحي المتواتر والجحد الانكار لما يعلمه عناه او عتوا ولا يرد على هذا من انكر البسملة في اول السورة فانه لا ينكر قرآنيتها والمراد انكار ما لم يختلف فيه واما ما ينقل عن ابن مسعود رضي الله عنه من ان المعوذتين ليستا من القرآن فهو غير صحيح بالاتفاق وانما غلطوا فيه لعدم كتابتهما في مصحفه اعتمادا على شهرتهما فان قلت فهل هناك جواب على تقدير الصحة قلت الجواب عنه انه لم يستقر الاجماع على انكاره على كونهما قرآنا واما الآن فقد استقر وصارت قرآنيتهما معلومة من الدين بالضرورة فكفرنا فيهما عاميا كان او من الطالبين وسيأتي آخر الكتاب عن محمد بن سحنون هذا فيمن قال المعوذتان ليستا من كتاب الله يضرب عنقه الا ان يتوب مع الكلام عليه بابسط مما هنا **وقال ابن سحنون من كذب النبي صلى الله عليه وسلم** اي نسبه للكذب ٢ وانكر شيئا مما جاء به **كان حكمه عنده القتل وقال احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون** الذي تقدمت ترجمته **من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان** لونه **اسود قتل** لكذبه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولون السواد يزري ففيه تحقير واهانة له ايضا **اذ لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم اسود** وانما كان ازهر اللون موردا كما تقدم في حديث الحلية الطويل وقال بعض المتاخرين كلامهم يوهم ان مجرد الكذب عليه في صفة من صفاته كفر يوجب القتل وليس كذلك بل لا بد من ضميمة ما يشعر بنقص في ذلك كما في مسئلتنا هذه لان الاسود لون مفضول انتهى • وقد علمت انه لا فرق لان اثبات صفة له صلى الله عليه وسلم غير صفته لا تكون الا مشعرة بنقص لان صفاته لا يتصور اكمل منها بل كل ما اثبت له غيرها كان نقصا بالنسبة لها فالاعتراض حينئذ ليس في محله **وقال غيره** اي مثل هذا **ابو عثمان الحداد** كان مالكيا ثم صار شافعيا وهذا لقبه واسمه سعيد **قال لو قال** احد **انه** صلى الله عليه وسلم **مات قبل ان يلتحي** صغيرا **او انه كان** مقره وسكنه **بتاهرت** الباجارة بهاء هاء مثناة فوقية مفتوحة والف وهاء مضمومة او مفتوحة وراء مهملة ساكنة وتاء مثناة فوقية اخرى وهو اسم قلاة او مدينة بنواحي تلمسان من بكر بن حماد التاهرتي وهي بالمغرب قوم من العرب نزلوها كما ذكره المسعودي في اخبار الزمان وقيل انها بتربة المعمور من المغرب **وقال انه صلى الله عليه وسلم لم يكن بتهامة** بكسر التاء اسم لكل ما نزل عن نجد من بلاد الحجاز وقال ابن فارس قولا انها ماخوذة من التهم وهو الحرور وركود الريح او بمعنى التغير من تهم الدهن اذا تغير ريحه **قتل** من قال انه مات قبل ان يلتحي او لم يكن بتهامة من الحجاز **لان هذا** المذكور وان لم يتضمن انه سب لكن هو **نفي** لوجود النبي صلى الله عليه وسلم بنفيه صفته المعروفة **وقال حبيب بن ربيع** من ائمة المالكية **تبديل صفته** المشهورة كوصفه بلون غير لونه **ومواضعه** التي كان مقره بها كتهامة ومكة والمدينة **كفر** قال ابن حجر وهذا يشمل انكار الهجرة وكونه كان اولا بمكة وآخرا بالمدينة وغير ذلك مما يشا كله وهو متجه **والمظهر له كافر** لعله اذا قصده من لم يعذر في جهله به **وفيه**

اي في الكفر بما ذكر **الاستتابة** اي تقبل توبته والمستتر له الذي لا يظهره لغيره **زنديق** اي حكمه كالزنديق **يقتل دون استتابة** لانه باخفائه يدل على قصده نفي وجوده بنفي صفاته المعلومة تواترا لكل احد ك

نه

فصل

•

تعقود لذكر بعض انواع ما نحن بصدده **الوجه الرابع** من اقسام هذه المسئلة **ان ياتي به من الكلام بمجمل** اسم مفعول من الاجمال وهو في اللغة مقابل للتفصيل ومنه جملة العدد وفي اصطلاح اهل الاصول ما لم تتضح دلالته على مراد من تكلم به وهو المراد هنا والمناسب للوله وان ياتي **بلفظ من القول مشكل** وفي نسخة ويلفظ من القول بمشكل والمشكل في الاصل ما له اشكال اي اشباه ونظائر وهو ايضا ما لا يظهر معناه قال الراغب المشاكلة في الهيئة والصورة والند في الجنسية والشبه في الكيفية والشيء اذا كان له اشكال يلتبس فالمراد ما فيه التباس بغيره **يمكن حمله** بما يفهم منه **على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى غيره** ممن يمكن حمله عليه **ويتردد** اي يشك **في المراد به** اي ما قصده المتكلم به **من سلامته من المكروه او من شره** الذي لا يليق به صلى الله عليه وسلم وهو معطوف على سلامته **فهاهنا** اي في المقام الذي يورد فيه ما يحتمل قصده ~~حكمه~~ وعدمه **متردد** فيه **من حيرة العبر** بزنة عنب بعين مهملة وموحدة جمع عبرة وهو ما يعتبر ليستدل به على غيره **ومظنة** بكسر الظاء المشالة اي محل الظن الذي يظن فيه امرا يقتضي **اختلاف المجتهدين** في حكمه لاحتمال انه في حقه فيجري عليه حكم من ينقصه او في حق غيره فلا يكون مقتضيا لقتل قائله فهو محل تامل ونظر **ووقفه** معطوف على متردد **استبراء** بالمد اي طلب براءة **المقلدين** لهؤلاء المجتهدين يعني ان المجتهدين يعملون النظر في استخراج حكمه ويتحيرون فيه لاشكاله عليهم والمقلد لهم يقف حتى يعلم حال من قلده فيتبعه ويبرأ من عهدته **ليهلك من هلك عن بينة** اي ليكون من حكم بكفره بمقالته قتله بدليل واضح لان اراقة الدماء لا يجازف فيها **ويحيى من حي** اصله حيي فادغم **عن بينة** اي تكون حياة من لم يقتل بدليل ظاهر لانه لا ينبغي المسامحة فيما يتعلق بمقام النبوة وحمايته من طعن الطاعنين وهذا اقتباس لبيان علة التردد والتوقف في الامور المشكلة **فمنهم** اي من المجتهدين في مثل هذا **من غلب حرمة النبي صلى الله عليه وسلم** اي احترامه وصيانته **وحمى حمى عرضه** اي صان عرضه وحمي الاول ماض كرضي والثاني بكسر الحاء اسم وهو ما يجب حمايته ورعايته والعرض كل ما يلزم رعايته من الصفات ويذم ضده ويكون بمعنى الجانب والذات ايضا وفيه كلام لاهل اللغة طويل لا حاجة لنا به هنا اي منع ان يهجم احد على مقام النبوة ولو بالاحتمال فان من حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه **فجسر** اي اقدم من غير مبالاة **على القتل** اي الحكم بقتله وان احتمل كلامه **ومنهم من عظم حرمة الدم** فلم يجسر على القتل **ودراء** بدال وراء مهملتين مفتوحتين وهمزة كدفع وزنا ومعنى **الحد** وهو هنا القتل **بالشبهة** فيما قاله لاحتمال عدم قصده لما يوجبه وهو اشارة لقوله صلى الله عليه وسلم ادرؤا الحدود بالشبهات وهو حديث ورد بمعناه كحديث ابن ماجة ادفعوا الحدود ما استطعتم وكذا هو في الترمذي وغيره واما هذا اللفظ بعينه ففيه كلام في مخرج احاديث الهداية لابن حجر وبين الشبهة بقوله **لاحتمال القول** الصادر منه لامرين

صل

احدهما بتقضيه والاخر بمنعه فعمل بالثاني احتياطا والشبهة على انواع ذكرت في كتب الفقه
والاصول وفي بعض النسخ **وقتل الرجل المومن من الموبقات** اي المهلكات للقاتل في الدنيا
والاخرة لما ورد في الحديث الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قال لزوال الدنيا اهون على الله من
قتل مومن بغير حق **وقد اختلف ايمتنا** يعني الفقهاء المالكية **في رجل اغضب غريمه** يعني من
له عليه حق طالبه به **فقال له** غريمه في حال غضبه ومخاصمته له **صل** امر له بالصلاة
على محمد يريد به دفع غضبه بذكره صلى الله عليه وسلم **فقال له** اي لغريمه الذي امره بالصلاة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم **الطالب** من غريمه حقه الذي خاصمه لاجله **لا صلى الله على
من صلى عليه** لتهوره وعدم تدبره **فقيل لسحنون** اي استفتي في هذا القايل **هل هو كمن شتم
النبي صلى الله عليه وسلم** صريحا في غير حال الغضب لنفيه رحمة الله وصلاته عمن صلى عليه
او شتم الملايكة الذين يصلون عليه لدخولهم في قوله من صلى عليه **قال** سحنون لمن ساله **لا**
اي ليس هو كمن شتم هولاء **اذا كان** هذا القايل كا يلحا **على ما وصفت** اي ما ذكرته وحكيته
عنه وتا وصفت مفتوحة ضمير المخاطب **من الغضب** الذي اغضبه به غريمه لان الحدة تحمل
المرء على ان يصدر منه ما لا يرضاه **لانه لم يكن مضمرا** اي ناويا ومريدا **للشتم** لاحد بما ذكر وانما
سبق لسانه له من غير فكر وقد جرت عادة الناس انهم يقولون عند الغضب صل على النبي ونحوه
وقال ابو اسحاق البرقي ابراهيم بن عبد الرحمن بن عمرو بن ابي الغياض وتوفي في سنة خمس
واربعين وماية **واصبغ بن الفرج** تقدم بيانه **لا يقتل** هذا القايل **لانه انما شتم الناس**
لا النبي به ولا الملايكة لان من واذ عم يحضر باعتبار متعارف الناس في قصد جنسهم دون
غيرهم ممن لا يخطر ببال في عرف التخاطب وليس ثم قرينة تصرف الشتم له صلى الله عليه وسلم
ولا الى الملايكة الذين يصلون عليه كما يا تي وقد يقال ان المتبادر من قوله من صلى عليه الامر له
او نفسه ان صلى عليه لتسكين غضبه فكانه قال ان صليت انا او انت لدفع الغضب فلا صلى
الله عليك او علي وهو في غاية الظهور **وهذا** الذي اجاب به البرقي واصبغ **نحو قول
سحنون** الذي ذكره يعني مودّاهما واحد **لانه** اي سحنون في قوله اذا كان كذا **لم يعذره
بالغضب** اي بسببه **في شتم النبي صلى الله عليه وسلم** فانه لا عذر فيه لاحد **ولكنه لما
احتمل الكلام** المذكور **عنده** اي عند سحنون في اعتقاده لشتم الناس وما يوهمه من خلافه
ولم يكن معه قرينة فيما قاله وفي حاله **تدل على ان مراده الناس** الذي خاصمه وكلا
معهم كما تقول العامة ابن الملايكة والحدادين **غير هولاء** اي الملايكة ونحوهم **لاجل
قول الاخر** وامره **له صل على النبي** فرد عليه بما يفيد ان مقصده بقوله لا صلى الله على
من صلى عليه اي عليك او علي او على من عندي ممن يها رضني ويريد دفع غضبي من غير
استيفا حقي منه **فحمل قوله وسبه لمن يصلي عليه الان لاجل امر الاخر له بهذا عند
غضبه** فمن اين يخطر بالبال عند الغضب النبي والملايكة وهو في غاية الظهور في عرف الناس
هذا التاويل معنى قول سحنون الذي تقدم **وهو موافق** بحسب المعنى **لقول صاحبيه**
البرقي واصبغ **وذهب الحارث بن مسكين القاضي** هو ابو عمرو المصري مولى مروان
الثقة الحجة المحدث المالكي اخرج له اصحاب السنن وحمل لبغداد في محنة خلق القران فحبس
الى ان تولى المتوكل فاطلقه وولاه قضا مصر فلم يزل قاضيا الى ان توفي في سنة مايتين
وخمسين وعمره يزيد على تسعين سنه **وكذا ذهب غيره في مثل هذا** القايل لا صلى الله الخ

الى القتل

الى القتل لشموله من ذكر من النبي والملايكة وقال ابن حجر واللايق بقواعدنا الاول لان اللفظ
ليس صريحا في شتم الملايكة ولا الذات المقدسة وانما هو ظاهر في شتم لنفسه ان صلى او
غيره من الناس ومع عدم التكفير يعزر التعزير البليغ **وتوقف ابو الحسن القابسي في قتل
رجل قال كل صاحب فندق** بضم الفاء وتفتح وهو لفظ معرب معناه الخان الذي ينزل به ابنا السبيل
والتجار والغربا والنون زايدة او اصلية وفي عباب الصاغاني فندق حمل شجر كالبندق وهو
ايضا بلغة اهل الشام خان من هذه الخانات التي ينزلها الناس ويبنيه اصحاب الدول
من اهل الخيرات **قرنان** بفتح اوله وزنه فعلان او فعاله وهو ذم بمعنى الديوث وهو الذي يجمع
الرجال الاجانب مع زوجته او بعض محارمه كاخته وبنته ونحوهن وقال الزبيدي هو الذي يدخل
الرجال على امراته وقال الجوهري هو الذي لا غيرة له وهي متقاربة والقواد من يجمع بين الرجال
والنسا مطلقا جمعا حراما وكذا من يجمع بينهم وبين المرد والقرطبان ويقال قلتبان
الذي يعرف من يجتمع بزوجته ويسكت وفي معناها محارمه ونحوهن وصاحب الفندق اي الخان
كل من يجمع المال سوا كان له خان ام لا **ولو كان نبيا مرسلا فامر بشده في القيود والتضييق
عليه** ليمسك ويحبس **حتى** ينظر امره و**يستفهم البينة** اي يسالهم عما قاله **عن جملة الفاظه**
اي بجميعها ليفهم منه مراده **وما يدل على مقصده** وما اراده **هل اراد اصحاب الفنادق
الان** اي الموجودين في زمنه **فمعلوم انه ليس فيهم نبي مرسل** الان **فيكون امره اخف**
من ان يقصد عمومه للموجودين وغيرهم ممن تقدمه **قال القاضي ولكن** ارادة الموجودين الان
بعيد لان **ظاهر لفظه العموم** لان لفظة كل تقتضيه فهو عام **لكل صاحب فندق من المتقدمين
والمتاخرين** من الموجودين ومن بعدهم ونوره بقوله **وقد كان فيمن تقدم من الناس من الانبيا
والرسل** صلى الله وسلم عليهم اجمعين **من اكتسب المال** وقد علمت ان صاحب الفندق كناية
عن له ما لكثير اكتسبه لانه لا يقتنيه ويملكه الا من هو كذلك فهو كقولهم طويل النجاد بمعنى طو
القامة **قال القابسي ودم المسلم لا يقدم عليه الا بامر بين** فكيف بالانبيا عليهم الصلاة
والسلام وكيف يتجرا على الحكم بالقتل **وما ترد اليه التاويلات** اي تاويل ما خالف الظاهر
لا بد من انعام النظر فيه وفي نسخة امعان وهما بمعنى والمراد تدقيق النظر واطالة التدبر
والتفكر يقال امعن النظر ابعده واصله من امعن في الطريق اذا ابعد وسار سيرا طويلا **هذا
معنى كلامه** في هذه المسالة رواه بمعناه دون لفظه وكانه يريد بهذا انه غير ظاهر لانه احال
علمه على ارادته وهو امر لا يطلع عليه وتفصيله بين ارادة العموم وارادة اهل زمانه فيه ما لا
يخفى ولذا قال ابن حجر بعده والظاهر ان لفظه ليس صريحا في ذم الانبيا ولا سبهم فلا يكفر
بمجرد هذا اللفظ بل يعزر التعزير الشديد **وحكي عن ابي محمد بن ابي زيد** القيرواني وقد
تقدم مرارا **فيمن قال لعن الله العرب ولعن الله بني اسرايل ولعن الله بني ادم** من غير تفصيل
لاحد منهم واسرايل لقب يعقوب معناه عبد الله او صفوة الله **وذكر انه لم يرد الانبيا** منهم وقال
لما انكر ذلك عليه **انما اردت الظالمين منهم** دون الصالحين والانبيا والرسل منهم فقال ابن
ابي زيد انه يحكم **بان عليه الادب** اي التعزير والزجر لما في كلامه من الايهام **بقدر اجتهاد
السلطان** اي بقدر ما يودي اليه اجتهاده من ضرب واثر غيره دون القتل وهذا مبني على قاعدة
هي ان العام اذا ذكر من غير قرينة على الخصوص هل يصدق في قوله اردت الخصوص فيقبل اذا غلب
على الظن انه لم يرده وفيه كلام في الاصول ليس هذا محله **وكذلك افتى** ابن ابي زيد ايضا كما افتى في

المسألة السابقة افتى ايضا فيمن قال لعن الله من حرم المسكر وهذا بظاهره يقتضي الكفر
والقتل لان الذي حرمه هو الشارع وهو النبي صلى الله عليه وسلم وقال لم اعلم من حرمه وسياتي
حكمه مع ما بعده وهو قوله وافتى ابن ابي زيد فيمن لعن حديث لا يبع نهي حاضر معناه المقيم
وهو يكون مفردا او اسم جمع كالسامر لباد وهو من ياتي من البادية كالبدوي ولعن الحديث
لا معنى له الا لعن قايله او راويه ولعن من جاء به اي بالنهي عن بيعه والذي جاء به قايله
اولا او راويه وهذا مما اختلف فيه فقيل انه حرام لتعزز من صاحبه فانه ياخذه بثمن قليل ثم
يبيعه تدريجا باكثر وقيل انه نسخ وقيل الكراهة تنزيهية ومن ذهب الى حرمته كبعض الشافعية
شرط فيه شروطا من علمه بالنهي وكون المتاع مما تعم الحاجة اليه وان لم يكن ماكولا والمعنى في التحريم
التضييق على الناس والحديث في الصحيحين وغيرهما مع اختلاف في بعض الفاظه ففي رواية لا يبع
حاضر لباد وان كان اخاه او اباه دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض ان كان يعذر بالجهل
لقرب عهده بالاسلام وقد علمت انه شرط عند القايل بحرمته وعدم معرفة السنن جمع سنة
اي الاحاديث الماثورة عنه صلى الله عليه وسلم فعليه الادب الوجيع الادب بمعنى التاديب
وهو التعزير والوجيع بمعنى الموجع واسناده مجاز عقلي وذلك ان هذا لم يقصد بظاهر
حاله اي بسبب ظاهر حاله وما يظهر من كلامه ونحواه سب الله لانه هو الذي حكم به واوحاه
ولا سب رسوله صلى الله عليه وسلم لانه الذي جاء به وانما لعن من حرمه من الناس اي
العلماء المجتهدين الذين افتوا بحرمته لما صح عندهم من الحديث فهو على نحو فتوى سحنون
واصحابه من المالكية في المسألة المتقدمة في قول القايل لا صلى الله على من صلى
عليه كما مر آنفا قال ابن حجر بعد كلام المصنف وهو ظاهر ولا بد من تقييده لاعن محرم المسكر
بان يكون ممن يجهل ذلك ايضا ويعذر بالجهل به بان يكون قريب الاسلام ولم يكن مخالطا
للمسلمين والا فتحريمه معلوم من الدين بالضرورة ولو كان لعنه من جاء بالحديث المذكور
بعد قول اصله هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك كان ذلك كفرا ولا يقبل قوله
ما اردته لان لفظه ظاهر في تكذيبه فليتب والا فليقتل ومثل هذا المذكور في حكم
هذه المسألة ما يجري اي يصدر ويقع في كلام سفهاء الناس ممن لا تثبت عنده في اموره
من قول بعضهم في مخاطبته لبعض فيما يقع في مخاصماتهم يا ابن الف خنزير واراد
بالخنزير من تقدم من ابائه واجداده بطريق الاستعارة وابن مائة كلب اي رجل خسيس
دنيء كالكلب وشبهه مما يصدر عن سفهاء العوام من هجر القول معناه الفحش في المنطق
والقبيح كما تقدم ومراده بالالف والمائة التكثير دون العدد فلا شك انه يدخل في مثل
هذين العددين اي الالف والمائة وفي نسخة العدد ومن ابائه واجداده جماعة من
الانبياء كنوح وابراهيم واسماعيل ويعقوب عليهم الصلاة والسلام ولعل بعض هذا العدد
المذكور وهو الالف والمائة منقطع الى ادم الظاهر ان معنى منقطع منتهى قال في المصباح
منقطع الشيء بصيغة البناء للمفعول حيث ينتهي اليه طرفه نحو منقطع الوادي والرمل
والطريق والمنقطع بالكسر الشيء نفسه فهو اسم عين والمفتوح اسم معنى انتهى فقول بعضهم انه بمعنى
منفصل من انقطع اليه ولم يركن الى غيره ومن ثم عداه بالى وليس بمعنى منفصل اذ لو كان
بمعناه عداه بعن انتهى تكلف لا تساعده اللغة والحامل له عليه ما رآه من عدم صحة معناه بحسب
الظاهر والصواب ما سمعته اولا فينبغي لما ذكر من احتمال دخول بعض الانبياء فيه وان الحامل

على

على كرم سفاهة قايله الزجر عنه وهو المنع بعنف ولوم وتبيين ما جهله قايله
منه ليزول عذره فيقال له انه يدخل في كلامك بعض الانبياء فتب عنه ولا تعد لمثله
وشدة الادب فيه اي تاديب قايله بلومه وتقريعه او تعزيره ولو علم بالبناء للمفعول
اي علم الحاكم انه اي القايل قصد سب من في ابايه في سلسلة نسبه من الانبياء على علم
اي علم قايله بان فيهم انبياء فقصد دخولهم في عموم كلامه يقتل لردته او حدا كما هو حكم ساب
الانبياء واللام في جواب لو وحاصل ما ذكره انه لا يكفر بهذا اللفظ وان شمل جماعة من الانبياء
ما لم يعلم انه قصد سبهم وما ذكره فيه ظاهر لان ظاهر هذا اللفظ المبالغة في سب المخاطب
دون غيره لكن يعزر ويبالغ في تعزيره كما مر وقد يضيق القول في نحو هذا اي يزاد في
التشديد على قايله فيما لو قال احد من الناس لرجل هاشمي اي من بني هاشم بن عبد مناف
بن قصي جد النبي صلى الله عليه وسلم لقب به واسمه عمرو وهشمه رجلا او لانه كان يهشم الثريد
لاطعام قومه كما فصل في السير لعن الله بني هاشم ضيق فيه لدخول النبي صلى الله عليه
وسلم واهل بيته فيه دخولا متبادرا صريحا فليس كالذي قبله ولذا شدد على قايله وقال
اردت الظالمين منهم والكفرة كابي لهب وابي جهل ولا قرينة منه على تخصيصه بعد الاطلاق
ولا قرينة تشهد له في دعوى الخصوص فلو ظهرت القرينة ككون المخاطب من ظلمتهم درئ
عنه الحد بالشبهة فلا يقال انه مناف لما تقدم او قال لرجل من ذرية النبي صلى
الله عليه وسلم او من نسله اي من ولده من فاطمة او ولده من السادة الاشراف وينبغي
تخصيص الولد بمن قرب نسبه منه صلى الله عليه وسلم كالحسن والحسين والنسل بمن بعدهم
فان عطف المترادف باو غير صحيح خلافا لابن مالك في نحو من كحقه ومن يكسب خطيئة
او اثما ووقع في بعض النسخ وولده بالواو ولا اشكال فيه على علم منه اي وهو يعلم ويتحقق
انه من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن قرينة قايمة في المسألتين اي مسألة بني
هاشم ومسألة الذرية تقتضي تخصيص بعض ابايه بما ذكره من السب واخراج النبي صلى
الله عليه وسلم ممن سبه منهم بلفظ يخصه او نحوه من توجيه خطابه قال ابن حجر وظاهر
كلامه انه لا يقبل تخصيصه بارادة غير النبي صلى الله عليه وسلم من غير قرينة وهو محتمل العموم
لفظه لكن الاقرب الى قواعدنا قبوله مطلقا لان اللفظ بوضعه لا ينافي تلك الارادة لكن
يبالغ في تعزيره وقد رايت لابي موسى عيسى بن مناس بفتح الميم والنون المخففة والف
وسين مهملة وما في بعض النسخ من كسر ميمه لم يثبت وهو من اصحاب سحنون ومن اهل قيروان
ويقال مياس بمثناة تحتية فيمن قال لرجل يخاصمه ويشاتمه لعنك الله واباك الى آدم
انه اذنبت عليه ذلك القول فقتل لدخول بعض الانبياء فيه كنوح عليه الصلاة والسلام
قيل الظاهر انه يؤدب ولا يقتل لاحتمال ان يريد ان اللعنة تستمر عليه الى ان يلقى آدم لا سيما
ودخول الغاية غير متعين فتدبر وقال ابن حجر بعد كلام المصنف وقضية قواعدنا خلافه لما
تقدم من ان لفظه ليس صريحا في سب نبي لاحتمال الى ان يلقى آدم في القيامة بل لو قال لعن
الله اباه الى آدم كان عدم التكفير اقرب ايضا اذ ادعى ارادة غير الانبياء منهم لاحتمال
ما ادعاه وعدم صريح يدل على خلافه ولا يقال كلامه يتناول آدم للخلاف المشهور في دخول
الغاية انتهى قال القاضي ابو الفضل عياض رحمه الله وقد كان اختلف شيوخنا من علماء
المذهب المالكية فيمن قال لشاهد شهد عليه بشيء من الحقوق ادعي به عليه ثم قال ذلك

الشاهد له اي للمدعي عليه وقد اتهمه في شهادته تتهمني بحذف همزة الاستفهام اي
اتتهمني اي تنسب لي سوءا وامرا يقتضي عدم قبول شهادتي والتهمة سوء ظن كما تقدم فقال
له الاخر المشهود عليه بحق الانبيا يتهمون ببناء المجهول اي ينسب لهم التهمات وهذا
مقول القول فكيف انت اي انت اولي بان تتهم لبعد مقامك عنهم وكيف استفهام انكاري
استبعادي نحو كيف تكفرون بالله فكان شيخنا ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر تقدمت
ترجمته يرى قتله اي يعتقد وجوبه لبشاعة ظاهر اللفظ اي قباحته بحسب الظاهر
المقتضي لانهم وقع منهم ما يقتضي سوء الظن بهم وبشاعة بموحدة وشين معجمة وروي شناعة
بمعجمة ونون وهما متقاربان وبتعبيره بالمضارع في يتهمون الدال على الاستمرار التجددي هو
المستبشع ولو عبر بالماضي لم يكن فيه كبير استبشاع لانه قد وقع اتهامهم من جهلة الكفرة
الفجرة وان احتمل انه لحكاية الحال الماضية من اتهامهم بالكذب والسحر وغيره وكان
القاضي ابو محمد بن منصور اسمه عبد الله بن محمد بن منصور ومنصور جده عبد الله بن
محمد بن منصور بن ابراهيم بن قاسم بن منصور اللخمي ولد سنة ثمان وخمسين واربع مايه
وتوفي في شعبان سنة ثلاث عشر وخمس مايه وهو امام محدث مالكي المذهب يتوقف
اي يتردد عن القتل فلا يقدم على الحكم به لاحتمال اللفظ المذكور عنده ان يكون
خبرا عمن اتهمهم من الكفار الذين اتهموهم بما لا يليق بهم كمن كذبوهم وهذا مما وقع وقايله
لا يعتقد ما قالوه قال ابن حجر وهذا الثاني هو الاوجه وافتى فيها اي في هذه المسئلة
المتقدمة قاضي قرطبة ابو عبد الله بن الحاج بنحو هذا الذي افتى به ابن منصور
من التوقف فيه وهو محمد بن احمد بن خلف بن ابراهيم التجيبي المالكي العلامة المحدث
الشهيد ولد سنة ثمان وخمسين واربع مايه وقتل وهو ساجد بجامع قرطبة قتله رجل
مجنون يقال ضربه بسكين في خاصرته فقتله ودفنه في الموضع الذي قتله فيه الغاية
سادس عشرين من شهر رمضان ودفن بعد العصر في مشهد عظيم وليس ابن الحاج هذا
صاحب المدخل وشدد القاضي ابو محمد بن منصور المذكور آنفا تصفيده اي جعله في
صفد وهو القيد يقال صفدته وصفدته بالتشديد اذا قيدته واصفدته اذا اعطيته
ففرق بين المعنيين وقيل الصفد ماخوذ من العقد كما قيل

• ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا • وفيه كلام فصلناه في حواشي البيضاوي

واطال سجنه بفتح السين مصدر ويجوز كسرها بتقدير مدة سجنه ثم استحلفه بعد بالضم
اي بعد تصفيده وسجنه حلفه يمينا على تكذيب ما شهد به عليه اي امره ان يحلف
على انه ما قال ما نسب اليه اذ دخل في شهادة بعض من شهد عليه بصدور هذا
القول منه وهن اي ضعف فحلفه وهذا احتياط في حق النبوة والا فكونه اخبارا عما وقع
من الكفرة من غير اعتقاد لما قالوه وهو امر واقع يكفي في عدم استحقاقه للقتل ثم اطلقه
لحكمه ببراءته مما نسب اليه وشاهدت شيخنا اي عاينت وانا حاضر عنده ابا عبد الله
محمد بن عيسى بن حسن التميمي ولد سنة تسع وعشرين واربعماية وتوفي سنة خمسين
وخمسماية صبيحة يوم السبت لعشر بقين من جمادي الاخرة كما تقدم ايام قضائه اتي
برجل ادعي عليه عنده هاتر وفي نسخة تهاتر والمهاترة السفاهة في القول يقال تهاتر
الفتيان اذا انفا خشا في القول من الهتر بفتح الها وكسرها وهو الباطل والسقط من الكلام

وهاتر

وهاتر وهتر اذا لم يبال ما صنع وما قال وقيل هو بالفتح تمزيق العرض وبالكسر السقط
من الكلام والهتر بالضم نوع من الحمق والجهل وهو ايضا العجب والدواهي رجلا اسمه محمد والمراد
انه خاصمه ثم قصد اي توجه الي كلب كان قريبا منه فضربه برجله وقال له قم يا محمد
وقصد بذلك تحقير خصمه المسمي بهذا الاسم لكن لمشاركته له صلى الله عليه وسلم في
الاسم لا ينبغي ذكره لا بهامه ما لا يليق فانكر ان يكون قال ذلك الذي نقل عنه وشهد
عليه باثبات ما انكره لفيف من الناس اي جماعة اجتمعوا للشهود وعليه بما وقع قال تم
وجئنا بكم لفيفا اي منضما بعضهم الي بعض من لفه اذا طواه فامر القاضي ابن عيسى به
الي السجن ليحبس فيه وتقصى بفتح التا الفوقية والقاف والصاد المهملة المشددة قبل
الف اي سال عن حاله في دينه والتقصي هو البحث والتفتيش الشديد كانه بلغ اقصاه
قال ابو تمام

يا صاحبي تقصيا نظريكما • وانه هل يصحب احدا ممن
يستراب بدينه اي من الناس ريبة وشك في دينه ممن يتهم بالالحاد فان المرء على دين
خليله فان كان كذلك يعلم انه قصد بكلامه حقيقته فاكثر السوال عنه وعمن يخالطه فلما
لم يجد ما يقوي الريبة من حاله وحال اصحابه ممن يتهم باعتقاده ضربه بالسوط تعزيرا
له وزجرا عن العود لمثله واطلقه قال ابن حجر ما دل عليه كلامه من عدم كفره بذلك هو
الصواب

• فصل الوجه الخامس •

ان لا يقصد ما نحن بصدده اذ لا يقصد بكلامه الذي اتي به نقصا اي ما يدل على امر
ينقصه ولا يذكر عيبا اي امرا معيبا قبيحا ولا سبا اي ما يسب به ولكنه ينزع اي
يميل ويلجي من قولهم نزع الي وطنه يقال نازعته نفسه الي كذا اي مالت له ميلا شديدا
كما قاله الراغب وغيره بذكر بعض اوصافه صلى الله عليه وسلم او يستشهد ببعض احواله
التي كانت له صلى الله عليه وسلم اي ان ياتي بها شاهدا اي نظيرا لامر وقع له الجايزة
عليه في الدنيا قيده به لان ما لا يجوز عليه نفصله له على طريق ضرب المثل بحاله وتمثيله
به ليقاس عليه غيره او الحجة لنفسه او لغيره ليتاسى به لقوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله
اسوة حسنة او على طريق التشبه به صلى الله عليه وسلم • ان التشبه بالكرام فلاح
او عند هضيمة وفي نسخة عظيمة اي واقعة عظيمة والهضيمة من الهضم واصله كما قال
الراغب شدخ ما فيه رخاوة ثم استعير للظلم والجور قال تعالى لا تخاف ظلما ولا هضما اي مظلمة
نالته اي اصابته او غضاضة لحقته اي تنقيص يقال غض منه اذا نقصه ليس على سبيل
طريق التاسي اي الاقتداء به في مثله ولا على طريق التحقيق لانصاف النبي صلى الله عليه
وسلم به على مقصد الترفيع اي التعظيم لنفسه ان كان ذلك وقع له او لغيره ممن وقع له
او يذكره على سبيل التمثيل به وجعله مثله فيما اتفق له وعدم التوقير لنبيه صلى الله عليه
وسلم للتشبيه لنفسه به • واين الثريا وابن الثرى • او على قصد الهزل واللعب سفها
منه والتندير بدال وراء مهملتين اي الاتيان بامر نادر شاذ وقوعه فيذكره على سبيل
الندور لا التشهير والترفيع وقيل معناه الاسقاط اي اسقاط حرمة مقامه وقيل انه بمعجمة
بمعنى التكلم بما فيه تعييب وتشهير وفيه نظر والظاهر انه بباء موحدة وذال معجمة تجوز به
عن السفاهة واللغط بما لا يليق به لقوله كقول القايل ان قيل في السوء فقد قيل في النبي

شرح

هنه

له

د

صلى الله عليه وسلم وفيه سوء ادب لا يخفى **او ان كذبت** اي نسب الي الكذب **فقد كذب الانبيا** وهذا فيه تسوية لنفسه بهم **واذا اذنبت** اي وقع مني ذنب وخطيئة **فقد اذنبوا** وهذا سوء ادب منه فانهم عليهم الصلاة والسلام معصومون ولو قيل بتجويزه على غير الصحيح فذنوبهم حسنات بالنسبة لغيرهم فهذا جهل من قايله **او انا اسلم من السنة الناس** اي من طعن السنتهم وغيبتهم **ولم تسلم منهم انبيا الله ورسله** فكيف بغيرهم **او قد صبرت** على ما ابتليت به **كما صبر اولوا العزم من الرسل** تقدم بيانهم فرتبنا فانا حقيق بالصبر **او اني صبرت كصبر ايوب** عليه الصلاة والسلام وتقدم بيان ما صبر عليه **او قد صبر نبي الله على عداه** بكسر العين جمع عدو **وحلم** بزنة علم من الحلم اي عاملهم مع ما وقع منهم بالحلم والعفو عنهم **على اكثر مما صبرت** انا عليه ففي كل هذا من ترك الادب ما لا يخفى قال ابن حجر قيل كلامه بل صريحه عدم الكفر في هذه المسايل وهل يحرم ذلك الذي يظهر انه ان قصد به الترفع وانه شاركهم في اصل هذه الفضايل كان حراما شديد التحريم وان قصد هضم نفسه على طريق المبالغة بمعنى انه لا نسبة لي باتباعهم وقد وقع لهم ذلك فوقوعه لي اولى لم يكن حراما وعلى هذا يحمل ما وقع لبعض الاكابر من استشهادهم على ما حصل لهم بنحو هذه الكلمات في خطب كتبهم وغيرها ثم قوله اذا اذنبت فقد اذنبوا شديد التحريم لا يجوز الاستشهاد به بحال وقال بعض المالكية من قال ان كان قيل في حقي او حق فلان او ان جرى له كذا فقد قيل في حق الانبيا او جرى لهم حرم عليه اطلاق ذلك لان ما انتقص به يضيف للانبيا فيؤدب وفهم بعضهم من كلام المصنف هنا انه يكفر بذلك وليس كما فهم وليس في من هنا ما يوافق القول بالتكفير لا تصريحا ولا تلويحا وليس لمن قال به دليل وتعليله بان القصد التشبيه والانتقاص فاسد اذ لا يقصد ذلك من في قلبه اسلام بل المراد كيف لا يتكلم في حقير مثلي وقد تكلم في الاكابر وقال بعض المتاخرين بل اطلاق التحريم في ذلك بحسب من هنا منظور فيه انتهى والوجه عدم التحريم حيث كان المراد ما ذكروا اطلق انتهى ثم استطرد بما وقع من هذا القبيل لبعض الشعرا فقال **وكقول المتنبي** ابو الطيب احمد بن الحسين الشاعر المشهور وشهرته تغني عن ذكره وترجمته مستوفاة في التواريخ ۞

• **انا في امة تداركها الله ۞ غريب كصالح في ثمود** •

الامة اقوام في زمان نبي بعث اليهم وتكون بمعنى الجماعة مطلقا ومعنى تداركها الله اذركها بلطفه او بهلاكه وثمود عاقبهم او علتهم وصالح نبي الله وثمود امته والغربة الخروج عن الاهل والوطن فاستعارها لعدم المناسبة والالفة كما يقال الكريم غريب بين اهله وهو على طريقة الشعرا في الادعا قال ابن حجر وكلامه محتمل لتشبيه حاله في الغربة بحال صالح فيكون من قصد الترفع وتشبيه حال من هو فيهم بحال ثمود من المشاقة وعدم الطاعة له فيكون مستلزما للترفع وصريحا في سبهم وعلى كل حال فهو غير كافر والبيت من قصيدة له وقيل انه لقب بالمتنبي لهذا البيت وفيه اقوال اخر **ونحوه** اي نحو قول المتنبي هذا وما في معناه ما وقع **في اشعار المتعجرفين في القول** الذي يقولونه والعجرفة تجاوز الحد والخروج عنه والعجرفة ايضا ارتكاب ما لا يليق من غير مبالاة به وروي في النوك بضم النون ثم واو وكاف اي الحماقة **المتساهلين في الكلام** يقال تساهل وتسامح اذا لم يتدبر ويتامل ما فيه ضرر لدينه او عرضه كانه يعد الصعب سهلا **كقول** ابي العلا

المعري نسبة لمعرة النعمان البلدة المشهورة وهو احمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي الشاعر المشهور وهو عفا الله عنه كان اعمى من بيت علم وعراقة ومرتبة في الذكا وسعة العلم بالعربية وغيرها وفصاحته في النظم والنثر اشهر من قفا نبك الا انه ممن اضله الله على علم كان متهما بالزندقة وكلامه في ديوانه لزوم ما لا يلزم شاهد عليه لا يتردد فيه فكما اعمى الله بصره اعمى بصيرته ولولا خوف الاطالة اوردت لك من كلامه دررا وغررا ۞

• كنت موسى وافته بنت شعيب • غير ان ليس فيكما من فقير •

وهو من قصيدة له في سقط الزند اولها

• ابق في نعمة بقاء الدهور • نافذ الامر في جميع الامور •

يشير لقوله تعالى رب اني لما انزلت الي من خير فقير وتوفي سنة تسع واربعمائة ومما ينسب له يسلي نفسه عن العمى ۞

• لو ابصرت عيناك هذا الورى • لم ير انسانك انسانا •

والانبيا عليهم الصلاة والسلام لا يوصفون بالفقر ولا يجوز ان يقال لنبينا فقير وقولهم عند الفقر فخري لا اصل له كما تقدم **على ان آخر هذا البيت شديد** في جراءته **وداخل في باب الازرا والتحقير** لانه لم يرض لممدوحه ان يكون مثل نبي الله اذ مراده لولا هذا اشبهتك به **وتفضيل حال عديم عليه** كما يعرفه من له المام بالادب قال ابن حجر ولا يشكر قوله هذا الدال على الازرا والتحقير بالنبي صلى الله وسلم على نبينا وعليه فانه كان زنديقا كافرا وقد اتى في كثير من شعره بصرايح الكفر وقد غالى في زيادة القبح والتصريح بالكفر في شعره ابن هانئ الاندلسي كما ياتي وكذلك قوله اي المعري الذي ليس صريحا في الكفر في قصيدة اخرى ۞

• **لولا انقطاع الوحي بعد محمد** • **قلنا محمد من ابيه بديل** •

وهو من قصيدة له في سقط الزند مدح بها علويا اسمه محمد اولها ۞

• ليس التحمل من دراك حلول • والسير عن حلب لدي رحيل •

ومنع صرف محمد الثاني للضرورة وقال الصدر الافاضل انه على مذهب الكوفيين في تجويز منع الصرف بالعلمية وحدها كقوله ۞

• يفوقان مرداس في مجمع •

• **هو مثله في الفضل الا انه** • **لم ياته برسالة جبريل** •

وفيه من ترك الادب ما لا يخفى **فصدر البيت الثاني** وهو بعضه الاول **من هذا الفصل لتشبيه غير النبي في فضله بالنبي صلى الله عليه وسلم** وحاشاه من ان يؤدي به منزلة او ذوق فانه كفر بغير لذة **والعجز محتمل الوجهين احدهما ان هذه الفضيلة** اي اتيان جبريل له بالوحي **نقصت الممدوح** عن درجة المشبه به فكانه قال لولا هذا قلت له انه مثله **والوجه الاخر استغناؤه عنها** اي ان قصد انه مثله وان كان كذبا فان قصد هذا فهو اشد في كفره ومجزم فيه وما كان اغناه عن مثل هذا الهذيان قال ابن حجر وانما لم يكن كفرا لان ظاهر قوله الا انه الخ ان الممدوح نقص لفقد ذلك فان اراد انه استغنى عن ذلك فلا يحتاج اليه في المماثلة كان اقرب الى الكفر بل كفرا **ونحو منه** اي مثل ما ذكر **قول الاخر** في الكفر ۞

• **واذا ما رفعت راياته** • **خفقت بين جناحي جبرين** •

هو من قصيدة للاديب زيد بن عبد الرحمن بن محمد الاسيوفي المغربي من شعرا الذخيرة قال ابن بسام هو من شعراء غربنا المشاهير ينبي عن ادب غزير تصرف فيه تصرف المطبوعين المحسنين في عنفوان

وابتدا حاله ثم تراجع طبعه عند كماله وهو من قصيدة له في ابن حمودة تداولها الفحول لعذوبة الفاظها وسلاستها اولها هـ

البرق لايح من اندرين • ذرفت عيناك بالدمع المعين
ولصوت الرعد زجر وحنين • ولقلبي زفرات وانين
ملك ذو هيبة لكنه • خاشع لله رب العالمين
واذا ما رفعت راياته • خفقت بين جناحي جبرين
واذا اشكل خطب معضل • صدع الشك بمفتاح اليقين

والنون فيه ساكنة لانه يلزم اختلاف حركات الروي لو وقع بعضها مرفوعا ومنصوبا ومجرورا ولولا ذلك لجاز تحريكها لانه احد ضروبه وقوله خفقت اي تحركت واضطربت وهكذا رواه ابن بسام وفي نسخة مصححة صفقت فهو رواية اخرى حسنة وفيه انه ليس فيه ذكره صلى الله عليه وسلم وما قيل من انه فيه اجتراء على ملك معظم فيه ايضا انه ان قصد انه رايات رفعت للجهاد ونصرة الدين فصحبة جبرائيل لها ليس فيه تحقير له وجبرين لغة في جبريل وفيه لغات منها هذه ومن العجب ما قيل انه ان اراد تثنية جبريل ففيه ما لا يخفى وان اراد افراده فهو غالب النسخ بيائين انتهى وهو خلط وخبط تعجب منه وقول الاخر من شعراء اهل العصر هـ

فر من الخلد واستجار بنا • فصبر الله قلب رضوان

فيه مجوفة لجعله رضوان وهو من الملايكة المقربين كانه يهوى هذا الحوري بحيث لا يقدر على فراقه ومثله قول ابن النبيه هـ

ساق تهار ضوان عن حفظه • ففر من جملة حور الجنان

وقوله

في حسن يوسف الا انه ملك • فلا يباع ببخس النقد معدود

والمراد المبالغة في وصفهم بالحسن لانه يقال لمن وصف بالحسن انه حوري وملك ومنه قوله تعالى ان هذا الا ملك كريم **وكقول عبد الله المصيصي** بصادين مخففتين مهملتين نسبة لبلدة بالاندلس وقيل يجوز فتح الميم وكسرها وتشديد الصاد وتخفيفها وانها مصيصي ثغر من الثغور الشامية قال ابن بسام في الذخيرة هو الوزير الكاتب ابو الوليد حسان بن المصيصي رفيق الوزير ابن عمار من عظماء الدولة العبادية وله اشعار بديعة اكثر قصايده في مدايح النعمة وله تصانيف جليلة ومعان رايقة كقوله هـ

اذا المرء لم يزهد وقد صبغت له • بعصفرها الدنيا فليس بزاهد

من شعراء الاندلس تقدم انه اقليم وضبط لفظه **في محمد بن عباد المعروف بالمعتمد على الله** على عادة الخلفا في الالقاب وهو تولى الخلافة بعد ان كان قاضيا قال في الذخيرة القاضي ابن عباد هو القاسم بن محمد بن ذي الوزارتين ابن الوليد بن اسماعيل بن محمد بن اسماعيل ابن عمرو بن عطاف بن نعيم وعطاف هو الداخل الى الاندلس وكان من اهل حمص وكان عباد يلقب بالمعتضد وابنه يلقب بالمعتمد وجده ثم تغلب وتولى بعد ذلك وله وقايع وامور غريبة وابن زيدون ذو الوزارتين الشاعر البليغ وكان مع ابن عمار فرسي رهان **وفي وزيره ابي بكر بن زيدون**

كان ابا بكر ابو بكر الرضا • وحسان حسان وانت محمد

اي كان وزيرك ابا بكر الممدوح ابو بكر بن زيدون ابو بكر الصديق وكان شاعرك حسان المصيصي حسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا من جملة ما ادعاه بمقام النبوة ومجازفته

وان كان

وان كان المشبه دون المشبه به كما قيل

ظلمناك في تشبيه صدغيك بالمسك • فمن عادة التشبيه نقصان ما يحكى

لكن لا وجه للتشبيه بمن ليس له شبيه وللشراح هنا كلام تركه خير من ذكره فلذا اضربنا عنه صفحا **الى امثال هذا** المذكور من الكلام **وانما اكثرنا** اي اتينا بكثير منها **بشاهدها** المراد به ما يستشهد لما ادعاه من ان الناس يتساهلون في امثالها بما لا ينبغي واما كون الشاهد ما يذكر لاثبات حكم والمثال ما يذكر لايضاحه فكان عليه ان يقول بمثالها فامر اصطلاحي اهل العربية عليه وليس مرادا هنا فليس ما ذكره شيا **مع استثقالنا حكايتها** اي عده ثقيلا لما فيه من ذكر الانبيا عليهم الصلاة والسلام **بما لا يليق بهم** اي روايتها وذكرها **لنعرف الناس امثلتها** اي امثالها مما يقع من امثالهم **ولتساهل كثير من الناس** في التكلم بمثله فذكرها رحمه الله ليحذر الناس من مثلها كما قيل

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه • ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

في ولوج اي دخول **هذا الباب الضنك** اي الضيق الذي لا ينبغي دخوله لمن له دين **واستخفافهم فادح هذا العبث** اي عدهم له ثقيلا والفادح بفاء ودال وحاء مهملتين هو الثقيل والعبث بوزن الحمل ومعناه مهموز الاخر **وقلة علمهم بعظيم ما فيه من الوزر** اي الاثم والخطيئة والمراد بالقلة العدم **وكلامهم** بالجر معطوف على تساهل اي تكلمهم **فيه** اي في هذا الباب **فيما ليس لهم به علم** من حقوق الرسل والملايكة عليهم الصلاة والسلام **وتحسبونه هينا** سهلا عند الله **وهو عند الله عظيم** لانه من الكباير وهو اقتباس من قصة الافك وقد اكثر الناس منه **لا سيما الشعرا** فانهم ظنوه مبالغة في مدايحهم وتغزلا وهو قبيح جدا **واشدهم فيه تصريحا** اي الاتيان به صريحا لرقة دينه **وللسانه تسريحا** اي اطلاقا وارسالا قال نعم او تسريح باحسان اي طلقوهن ومنه تسريح الشعر بالمشط ولذا قال ابن نباتة فيمن يسرح لحيته هـ

فليس يمسك امساكا بمعروفة • ولا يسرح تسريحا باحسان

وفي التصريح والتسريح تجنيس **ابن هاني الاندلسي** بزنة فاعل وصف به لان ابا نواس يقال له ابن هاني ايضا وهو ابو الحسن او ابو القاسم محمد بن هاني الاندلسي الاشبيلي ولد بمدينة اشبيلية ونشا بها واشتغل بعلوم الادب والعربية ففاق فيها اهل عصره الا انه كان يميل لمذهب الفلاسفة ومن هنا وقع له ما وقع حتى طعن فيه وديوانه مشهور في غاية البلاغة لكنه لا يخلو من تكلف كالمعري وقد كتب عليه التيفاشي كتابا سماه الديباج الخسرواني في شعر ابن هاني وارتحل لمصر ثم عاد منها فلما نزل برقة وجد مسالم يعرف من قتله وكان ذلك في يوم الاربعا لسبع بقين من رجب سنة اثنين وستين وثلثماية وسنه اثنين واربعين او ست وثلاثين وهاني جده من اهل افريقية من نسل ابي صفرة الازدي **وابو العلا بن سليمان المعري** الذي تقدم قريبا بيانه وسليمان جده وهم ينسبون الى الجد اذا اشتهر كقوله صلى الله عليه وسلم انا ابن عبد المطلب **بل قد خرج كثير من كلامهما الى حد الاستخفاف والنقص** اي تنقيص من هو كامل والاستخفاف يتجوز به عن التحقير **وصريح الكفر** لخوضهم في حق الانبيا ونحوهم **وقد اجبنا عنه** كما بينه فيما تقدم **وغرضنا** اي قصدنا **الكلام في هذا الفصل** فيما وقع للشعرا ونحوهم **الذي سقنا امثلته** قريبا ببعض شي منه **فان هذه** الامثلة **كلها وان لم**

تتضمن سبا ولا اضافت الى الملائكة والانبيا نقصا اي ما ينقص مقامهم ولست
اعني بكلامي هذا عجزي بيتي المعري فقط بل جميع ما ذكر من الامثلة ولا قصدت
ماض معطوف على قوله اضافت قايلها ازدرا اي ازدراء ولا غضا اي نقصا لانه انما
ضرب به المثل لامور ذكرها قبل هذا فما وفى بالقاف اي عظم النبوة ولا اعظم الرسالة
اي مقدارها ومقامهما ووصف النبوة بالتوقير والرسالة بالتعظيم تفننا واشارة الى ان
مقام الرسالة لظهوره لهم اليق بالتعظيم ولا غض حرمة الاصطفا غض بمعجمتين بمعنى
كسر وقوى وحرمتها احترامها والاصطفا اختيار الله لهم لرسالته واداء امانته ولا عزز
حظوة الكرامة اي جعلها عزيزة محترمة والحظوة بضم الحا المهملة وكسرها وسكون الظاء
المعجمة بمعنى القرب اي قربهم من الله بسبب كونهم مكرمين عنده بالرسالة حتى شبه من
شبه اي شبه احد الشعراء من شبهه من الممدوحين له في كرامة اي بسبب كرامة نالها
اي امر وصل اليه مما يكرمه عند مادحه او شبهه بسبب معرة اي امر يشق عليه ويكرهه قصد
الانتفا منها صفة معرة اي اراد التخلص والتبري منها او شبه ممدوحه بما لا يليق به
بضرب مثل ببعض الانبيا او الملايكة لتطييب مجلسه اي لتطييب المجلس او المجالسة
والمحاورة معه او يقصد بما شبه اغلاء اي غلو ومبالغة في وصف لممدوحه او لغيره
ويريد بغلوه انه وسيلة لتحسين كلامه بمن عظم الله خطره بفتح الخا المعجمة وطا وراء
مهملتين وهو القدر والمنزلة وشرف قدره كانبيايه وملايكته وهو عطف تفسير والزم
اي اوجب توقيره اي تعظيمه والتادب معه وبره اي صلته بزيارة قبره والدعا له ورعاية
من ينسب له ونحوه ونهى من راه عن جهر القول له بقوله لا تجهروا له بالقول كجهر
بعضكم لبعض ورفع الصوت عنده اي علوه لما فيه من قلة الادب وعدم المهابة
فحق هذا القايل من غير فصل لسب وتنقيص لقدره بل الامر مما ذكر ان درئ بضم الدال
وكسر الراء المهملتين قبل همزة مبني للمفعول اي دفع عنه القتل فلم يقتل الادب
اي التاديب بضرب او لوم وزجر والسجن اي الحبس مدة بفتح السين وكسرها وقوة تعزيره
بحسب بفتح السين اي بمقدار مشنعة مقاله اي قباحته ومقتضى قبح ما نطق به اي
بقدر قباحة لفظه الذي قاله فيقدر براي الحاكم فيه وما لوف عادته لمثله اي الفه

بقدره صح

واعتياده بتكرر صدوره منه كابي العلا المعري او ندوره اي وقوعه نادرا قليلا فكثرته
تدل على سوء اعتقاده وعدم مبالاته به وقلته تدل على انه خطا وغفلة من غير اعتقاد له
او قرينة كلامه القايمة على قصده لاستخفاف ونحوه اولا او ندمه الذي يظهر على ما
سبق منه في كلامه من غير قصد لتحقير واستخفاف ولم يزل المتقدمون من السلف
وكبار الامة ينكرون مثل هذا الكلام ممن جا به وقاله عندهم فليحذر الشاعر وغيره من ارتكاب
هذه القبايح الشديدة الوزر العظيمة الاثم فانها ربما جرت الى الكفر نعوذ بالله من ذلك
وقد انكر الرشيد هارون بن المهدي محمد بن منصور بن عبد الله بن عباس الخليفة
المشهور على ابي نواس الحسن بن هانئ بن عبد الاول بن الصباح الحكمي الشاعر المشهور
بالفصاحة والخلاعة ولد بالبصرة ونشا بها ثم ارتحل لبغداد واتصل بالخلفا ومدحهم
وتوفي بعد التسعين ومايه سنة خمس وقيل سنة ست وثمان ووقايعه واحواله اعرف
من ان توصف ونواس بضم النون وفتح المهملة الواو ولا يهمز لانه سمي به لانه كانت له ذوابتان

تنوسان على راسه اي تتحرك في قوله في قصيدة مدح الرشيد بها ومنها

• فان يك باقي سحر فرعون فيكم • فان عصا موسى بكف خصيب •

هذا بيت من قصيدة له في المديح اولها • وخصيب عبد للرشيد ولاه مصر وقيل في سبب
توليته لها انه قرا يوما ما حكاه الله عن فرعون اليس لي ملك مصر الاية فقال ما افتخر به
فرعون لاعطينه عبدا من عبيدي فولاه مصر وكان لابي نواس فيه مدايح كقصيدته هذه
وقصايد اخر منها قصيدة اولها • انت الخصيب وهذه مصر • فتدفقا فكلاكما بحر •
وفي هذا البيت حكاية لولاية ذكرها في قلايد العقيان والخصيب بخاء معجمة وصاد مهملة
من الخصب ضد الجدب لقب له وهو معروف مشهور ومعنى البيت انه خاطب اهل مصر لما تولى
عليهم فقال يا اهل مصر ان كان عندكم بقية من سحر فرعون فقد ولي عليكم امير المومنين من يبطله
فاستعار سحر فرعون لكبرهم وتجبرهم على حكامهم وعصا موسى لسياسة حاكمهم وقمع ظلمتهم
ففيه استعارة وتشبيه تمثيل بديع لكن فيه سوء ادب لما فيه من جعل العصا التي هي معجزة
لرسول بكف عبد من عبيد الخلفا وجعل ذلك العبد كرسول من اولي العزم ومما يتعجب منه قول
من لم يعرف معنى البيت ولم يقف على كتب الادبا ودواوينهم ان المراد بخصيب رجل كثير الخير
وانه هنا عبارة عن الرشيد نفسه وقال معناه اذا عرا امير المومنين الكفرة الذين عندهم
بقية قليلة من سحر فرعون سحروا ثم حبس امير المومنين الجواد الكثير خيره سيتلقف جنوده ما
صنعوا ويلقوا اكثرهم في نحورهم ثم اطال بذكر عصا موسى وما كان فيها من معجزاته فخبط خبطا
هشيما بما لا وجه لها وزاد في الطنبور نغمة من قال كف منون وخصيب صفة وترك تنوينه
لكثرة الاستعمال وتشبيه المنون بحرف العلة وانه روى خضيب بمعجمتين واعجب منه قول
القايل انه بخاء وضاد معجمتين والكف الخضيب اسم نجم وكذا عصا موسى وهذا كله مما يقضى منه
منه العجب ومثله في كلام البرهان ايضا ولولا ان من السكوت ما هو ابلغ لذكرنا كلامهم وكررنا
عليه بالابطال لكنا خشينا من السامة والملال وقال له اي الرشيد لابي نواس لما انشده البيت
يا ابن اللخنا هذا مما تشتم به العرب واللخنا هنا امة من اللخن وهو النتن فاستعير للفاحشة
او للمراة التي لم تختتن اي يا دني الاصل ولئيم الام استهزي بعصا موسى بجعلها في كف
عبد من العبيد وهي معجزة نبي عظيم وامر باخراجه وطرده من عسكره من ليلته التي انشد
فيها قصيدته اي امر بالمبادرة لطرده من عزامه له الى الصباح صونا لمقام النبوة ولكن ابو
نواس لم يذكر بما ذكره سبا وتنقيصا واتبع الناس في قولهم لكل فرعون موسى قال القتيبي
يعني عبد الله بن مسلم بن قتيبة وقيل قدامة بن جعفر اذ مما اخذ اي ذكر وعد عليه اي على
ابي نواس وكفر فيه اي نسب فيه الى الكفر او قارب اي قرب من الكفر وان لم يكن كفرا لشدة
قبحه قوله في قصيدة في مدح محمد الامين اي هارون الرشيد الذي استخلف بعد موت
ابيه سنة ثلاث وتسعين ومايه وقصته مفصلة في التواريخ وكذا قصة خلعه وتشبيهه
اي تشبيه ابي نواس للامين بالنبي صلى الله عليه وسلم في قوله في قصيدة طويلة مدحه
بها وفيها •

• تنازع الاحمدان الشبه فاشتبها • خلقا وخلقا كما قد الشراكان •

شبه تشابههما في الخلقة والاخلاق ببرد او متاع تنازعاه اي جذبه كل واحد منهما او طلبه
وهو عبارة عن شدة الشبه بينهما والاحمدان مثنى احمد بمعنى كثير الحمد وهما ابن محمد الناس رسول الله

صلى الله عليه وسلم والامين واراد ان يقول المحمدين فلم يساعده النظم وقيل انه تغليب
ولا وجه له ثم اكد شدة تشابههما بقوله كما قد الشراكان فجعلهما شراكين اي سيرين قطعا
من جلد اديم واحد بمقدار واحد لا يتميز احدهما عن الاخر وهذا كقولهم كركبتي البعير وكالحلقة المفرغة
وفيه من سوء الادب ما لا يخفى لتشبيهه رجلا فاسقا سخيف العقل باكمل الخلق واجلهم عليه الصلاة
والسلام وفي جعلهما كالشراكين وهما يوضعان في النعال كمز على كعن وشبه بكسر فسكون
بمعنى شبه بفتحتين قال ابن حجر وهو وان كان في غاية القبح الا انه لا يكون كفرا على قضية
مذهبنا الا ان قصد المشابهة المطلقة وقد انكروا عليه ايضا اي على ابي نواس كما انكروا ما قبله
قوله في قصيدة اخرى هي من غرر قصايده اولها

الها المنتاب عن عفره • لست من ليلى ولا سمره •

ومنها

كيف لا يدنيك من امل • من رسول الله من نفره •

خاطب نفسه على طريق التجريد اي كيف لا يقربك مما ترجيه وتومله كريم منسوب الى اكرم
الخلق وهو معنى حسن الا انه اساء في العبارة لان حق الرسول اي رسول الله صلى الله عليه
وسلم على من يذكره من امته وموجب تعظيمه بالفتح ويجوز كسرها اي ما يوجب الترغيب
في تعظيمه وانافة منزلته اي رفعها على غيرها ان يضاف غيره اليه فيقال هو من نفر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يضاف هو لغيره كما فعل ابو نواس قال ابن عبد ربه في
العقد قالوا من حق رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يضاف اليه ولا يضاف هو لغيره ولو اتسع
متسع لكان له مجاز حسن وذلك لانه كقول القايل من بني هاشم لغيره من افنا قريش منا رسول
الله يريد انه من القبيلة التي نحن منها كقول حسان رضي الله عنه

وما زال في الاسلام من آل هاشم • دعايم عز لا ترام ومفخر •
بها ليل منهم جعفر وابن امه • علي ومنهم احمد المتخير •

فقال من اهل هاشم كما قال هذا من نفره انتهى اقول يعني ان اللوم انما جاءه من قوله
من نفره لنفرة السمع عنه لكن من عرف نهج ابي نواس في الباس كلامه ديباج كلام غيره من القدما
عرف انه لا فرق بينه وبين قول حسان وانما نفروا من نفره لانه بمعنى التابع والخادم وهو في
كلام العدما من يفتخر به من المنافرة وهي المفاخرة والعرب تفتخر بالآبا والقبايل وافتخارهم
باحدهم امدح عندهم فهو لم يقصد ما عزوه لكنه كما قيل اسا سمعا فاسا اجابة وقال
ابن هلال في كتاب الصناعتين انه تبع قول حسان

اكرم بقوم رسول الله شيعتهم • اذا تفرقت الاهواء والشيع •

تنبيه قال السهيلي في الروض الانف في رسالة المهلهل بن المزدع قال علي بن الاصغر
وكان من رواة ابي نواس لما عمل ابو نواس هذه القصيدة واتى بهذا البيت وقع لي انه كلام مستهجن
ان حق رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يضاف اليه ولا يضاف الى احد فقلت له اعرفت هذا البيت
فقال ما يعيبه الا جاهل بكلام العرب انما اردت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم من القبيل
الذي هذا الممدوح منه اما سمعت قول حسان اكرم الخ وليس هذا بعيب لانه اضافة تشريف لا تعريف
بخلاف قول ابي نواس لانه ذكر واحدا واضاف اليه انتهى وقد عرفت ما فيه وقيل انه اراد بنفره
مفرده ونفره وروي ذو نفره والاولى ترك مثله فالحكم في مثل هذا اي في قايله وفي
نسخة في امثال هذا ما بسطناه اي بيناه مفصلا مبسوطا في طريق الفتيا اي نفتي فيه

بما يستحقه على قدر بشاعة قوله قال في المصباح الفتوى بالواو وبفتح الفا وبالياء
فتضم اسم من افتى العالم اذا بين الحكم واستفتيته سالته بيانه وهو من الفتى وهو الشاب القوي
وجمعه فتاوي بكسر الواو وعلى الاصل ويجوز فتحها للتخفيف وعلى هذا المنهج اي المسلك
الذي سلكه جاءت فتيا امام مذهبنا مالك بن انس واصحابه هو مجاز عمن اقتدى
به في مذهبه ففي النوادر اسم كتاب في فقه مالك من رواية ابن ابي مريم هو ابو بكر سعيد
بن الحكم ابن ابي مريم الجمحي المصري الحافظ الثقة روى عنه البخاري والستة توفي في سنة اربع
وعشرين ومايتين عنه اي رواية عن مالك في رجل عير اي عاب ونسب للعار رجلا بالفقر
فقال الرجل تعيرني بالفقر بحذف الهمزة اي اتعيرني بهذا وقد رعى النبي صلى الله عليه
وسلم الغنم باجرة لاحتياجه فقال مالك رحمه الله مجيبا لمن ساله قد عرض اي نقص
تعريضا بذكر النبي صلى الله عليه وسلم في غير موضعه لتمثيله له بحال غيره بها ارى
ان يؤدب اي يعزر لينزجر غيره عن مثله قال مالك ولا ينبغي لاهل الذنوب اي من صدر
منهم ذنب اذا عوقبوا على ذنوبهم بمقدارها ان يقولوا اعتذارا عما صدر منهم قد اخطات
الانبيا قبلنا فتشبه نفسه بالانبيا ونسب للانبيا الصدور الذنوب منهم وكلاهما مما لا يليق
التكلم به وقد يودي الى القتل لانه ردة وهم معصومون من الذنوب كبايرها وصغايرها كما مر
وما نسب اليهم حسنات لغيرهم ولو سلم فهو مغفور فكيف يجعل ذنوب غيرهم كذنوبهم فمثله لا
يصدر ممن يعرف مقامهم وقال عمر بن عبد العزيز الخليفة الاموي العادل الذي تقدمت ترجمته
لرجل انظر لي كاتبا يكون ابوه عربيا انظر هنا بمعنى ابتغ به وعلى هذا جرى الاستعمال
فهو مجاز او كناية ومراده كاتبا يكتب في الدواوين وشرط ان يكون عربيا ليكتب كتابة صحيحة
ويعرف احوال الناس فقال له كاتب له قد كان ابو النبي صلى الله عليه وسلم كافرا
انما اجابه بهذا ولم يقل له مسلما لان الكتبة في العصر الاول كانوا من الروم والعجم نصارى وصابية
لمعرفتهم بالحساب لانهم اهل كتاب فقال عمر له اي للكاتب الذي اجابه بهذا جعلت هذا الذي
قلته مثلا اي جعلت كفر ابي النبي صلى الله عليه وسلم مثلا وشاهد الك على انه لا يشترط في
الكاتب العربية والاسلام وحقر ابي النبي صلى الله عليه وسلم ولو سلم كفره فما فيه تعريض
باذية النبي صلى الله عليه وسلم فسقط ما قيل انه حماقة وجهالة اذ لا مناسبة بين عربية الكاتب
وكفر ابي النبي صلى الله عليه وسلم فعزله من كتابته وقال له لا تكتب لي ابدا وهذا تاديب
له وتعزير حتى ينزجر امثاله عن امثال هذه المقالة وفي ذلك اشارة الى اسلام ابويه صلى الله
عليه وسلم قال ابن حجر وهذا هو الحق بل في حديث صححه غير واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا الى من
طعن فيه ان الله احياهما له فامنا به خصوصية لهما وكرامة له صلى الله عليه وسلم فقول ابن
دحية يرده الاجماع والقرآن ليس في محله لان ذلك ممكن شرعا وعقلا على جهة الكرامة والخصوصية
فلا يرده قرآن ولا اجماع وكون الايمان به لا ينفع بعد الموت محله في غير الخصوصية والكرامة
وما احسن قول المتوقفين في هذه المسئلة الحذر الحذر من ذكرهما بنقص فان ذلك قد يوذيه
صلى الله عليه وسلم لحديث الطبراني لا تؤذوا الاحيا بسبب الاموات انتهى وحديث مسلم
قال رجل يا رسول الله اين ابي قال في النار فلما قفا دعاه فقال ان ابي واباك في النار سبق
تاويله واظهر تاويليه عندي انه اراد بابيه عمه ابا طالب لان العرب تسمي العم ابا فانه عمه الذي
كفله بعد موت جده عبد المطلب وانه صلى الله عليه وسلم انما قصد بذلك ان يطيب خاطره لان الرجل

صوابه والاجماع ليس في محله

خشية ان يرتد لوقوع سمعه او لان اباه في النار بدليل انه انما قال له ذلك بعد
ان ولي او كان ذلك قبل ان ينزل عليه قوله تع وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا كما وقع
له صلى الله عليه وسلم انه سئل عن اطفال المشركين فقال هم مع آبائهم ثم سئل عنهم فذكر
انهم في الجنة انتهى ملخصا وقد ذكره سحنون تقدم انه فقيه مذهب مالك الامام عبد
السلام التنوخي الامام الزاهد المحدث تلميذ ابن وهب واشهب وانه توفي لتسع خلون
من رجب سنة اربعين ومايتين وهو ابن ثمانين وثمانين سنة ان يصلي على النبي صلى
الله عليه وسلم عند التعجب من امر مستحسن يتعجب منه كما هو عادة العوام الا على طريق
ان يقصد بصلاته عليه الثواب والاحتساب اي اذ يقوله امتثالا لامر الله بقوله تع
صلوا عليه فيفعله توقيرا له صلى الله عليه وسلم وتعظيما كما امرنا الله تعالى لا بقصد
التعجب ولا الدفع العين عما يتعجب منه فانه ليس محلا لذلك وقد تقدم الكلام عليه وان فيه
كلاما للفقها وسيل القابسي تقدم بيانه عن رجل قال لرجل قبيح الوجه كانه اي كان
وجهه وجه نكير اي نكير ومنكر الملكان المعروفان اللذان يسالان الميت في قبره حين يرفن
عن اعتقاده وسيل عن رجل قال لرجل عبوس تقدم ان العبوس قد يقطب الرجل وجهه
ولا يبدي بشاشته كانه اي كان وجهه وجه مالك الغضبان مالك اسم ملك
خازن النار ووصف بالغضب لانه موكل بمن غضب الله عليه فيتلقاهم بصورة الغضب
فقال القابسي في جوابه اي شي اراد القايل بهذا الكلام الذي قاله ونكير اسم
احد فتاني القبر وهما ملكان خلقهما الله تع للسوال الفتانان هما ملكا السوال
سميا فتانين في الحديث من الفتنة واصل معناها الامتحان والاختبار لانهما يختبران
ما في قلب الميت من عقيدته وايمانه فما الذي اراد القايل بكلامه اروع اي خوف
وفزع دخل عليه اي وقع في قلبه حين راه لشدة قبحه من وجهه متعلق بدخل او بروع
اي بروية وجهه ام عاف بعين مهملة وفا اي كرهه واستقذر منظره فكره النظر
اليه لدمامة بدال مهملة وميمين بينهما الف بوزن قباحة ومعناها وهو المراد والذمامة
بالمعجمة من الذم وذكر المعايب وهو جاير هنا ايضا يقال رجل دميم وذميم بمعنى قبيح ومنه
خلقه بفتح فسكون اي خلقته فان كان هذا المذكور من انه عافه وكرهه فهو شديد
في القبح ما قبله لانه جرى مجرى التحقير والتهوير بمثناة فوقية وها وواو ومثناة تحتية
وراء مهملة الوقوع في امر بغير مبالاة به وفي نسخة بنون بدل الرا وهي غير مناسبة لانه حينئذ
يكون من الاهانة لكن في ورود التهوين لهذا المعنى نظر فهو مجاز وفي نسخة التوهين بتقدم
الواو على الها ومعناه التضعيف من الوهن وهو على كل حال فيه ركاكة لا تخفى فهو اشد عقوبة
من اراد انه حصل له فزع منه لما فيه من تحقير ملك من الملايكة وليس فيه تصريح بالسب
للملك وانما شبه به في انه كرهه ولا شك ان كل احد يكره الموت وما معه بالطبع في اكثر
العوام وليس في مثل هذه الكراهة تحقير واذا لسب واقع على الرجل المخاطب بهذا الكلام
لا على الملك وليس في قوله كان وجهه مواجهة للخطاب فاما ان يكون قال له كان وجهك
فحكى القابسي معناه او المصنف تجوز به عن الكلام الملقى في حق غيره مطلقا ممن يصلح
للخطاب وفي الادب اي التاديب بمعنى التعزير بالسوط اي الضرب به والسجن بفتح
السين وكسرها اي الحبس نكال للسفها فهو على انواع مفوضة للحاكم والنكال العقوبة

والسفها جمع سفيه من السفه وهو الخفة من عقله بخفيف قال القابسي واما
ذاكر مالك خازن النار بما تقدم وذاكر اسم فاعل من الذكر بمعنى قايل ما تقدم من تشبيه
المعبس وجهه به فقد جفا اي غلظ طبعه وقل ادبه او هو من جفاء القرب اذا رمته
زبدها ونحيتها اي رمى الملك الذي ذكر بما قاله من ان وجهه كوجه مالك الغضبان
عند ما انكر من عبوس الرجل الاخر المقول له ما مر الا ان يكون الرجل المعبس له يد
اي قدرة وتسلط بالقهر كالسلطان فيرهب بينا الفاعل او المفعول بعبسته وفي نسخة
بعبوسه اي يخاف منه اذا عبس فيشبهه القايل كانه وجهه وفي نسخة فشبهه على طريق
الذم لهذا الذي له يد او لهذا الامر لان شر الناس من يخاف الناس شره في فعله ولزومه
في ظلمه وفي نسخة في صفته والظاهر انها هي الصواب لان الظلم لا يناسب قوله انه اثنى
عليه صفة مالك الملك خازن النار المطيع لربه في فعله لان الملايكة كلهم لا يعصون
الله ولا يفعلون الا ما يومرون فيقول اذا عصاه احد كانه لله يغضب غضب مالك
اي كغضب مالك فانه لا يغضب الا على من غضب الله عليه واراد عقابه فيكون اذا قصد
هذا ما قاله اخف واقل وزرا من غيره ولما استشعر انه اذا اراد ان يغضب لله لا قبح فيه
اصلا اجاب بقوله وما كان ينبغي له التعرض لمثل هذا وفي نسخة التعريض بمثل هذا
والذي ينبغي ترك التشبيه بالملايكة لاحاد الناس ولو كان هذا القايل اثنى على
العبوس بفتح العين صفة مبالغة لمجهول بعبسته واحتج بصفة مالك وهي عبوس
كان قوله هذا اشد مما قبله ويعاقب عليه المعاقبة الشديدة لجرمه الشديد وليس
في هذا الكلام مطلقا او فيما اثنى به احتجاجا بصفة الملك ذم للملك وقصده ذم
من خاطبه لا غير ولو قصد ذمه اي ذم الملك لقتل هذا مذهب مالك وعند غيره يؤدب
ويستتاب فان تاب والا قتل ولا يخفى ما في كلام المصنف هنا وانه كلام مشوش يحتاج للتنقيح
والتهذيب بان يقول وعن القابسي فيمن قال القبيح كانه وجه نكير وللعبوس كانه وجه مالك
الغضبان انه لا يكفر اي لا تصريح فيه بسب الملك وانما السب فيه للمخاطب بل يعاقب العقاب
الشديد فان قصد ذم الملك قتل وما ذكره ظاهر ويوخذ من كلامه هنا ان ذم بعض الملايكة
وتنقيصه كذم الانبيا وتنقيصهم وهو ظاهر وصرح به آخر الكتاب وقال ابو الحسن
القابسي ايضا كما قال في المسيلة المذكورة في شاب معروف بالخير اي الصلاح
والدين وصفه بهذا بيانا للواقع وانه لم يقصد تحقير النبي صلى الله عليه وسلم بقوله الاتي
قال لرجل شيا يتعلق بالعلم والدين فقال له الرجل اسكت زجرا له عن قوله فيما لا يعلمه
الا العلما فانك امي بضم الهمزة وقد تكسر وتقدم انه هو الذي لا يكتب ولا يقرا الخط نسبة
الى امة العرب لاشتهارهم بذلك او الى الام لانه كانه خرج من بطن امه فقال الشاب اليس
كان النبي صلى الله عليه وسلم اميا وهو اعلم الناس والاستفهام فيه تقريري فشنع
بنا المعلوم وفاعله ضمير الرجل او الناس على الشاب او المجهول اي قبح وذم مقاله انه امي
وكفره الناس بمقاله هذا جهلا منهم بما اطلقوه واشفق الشاب اي خاف على نفسه وندم
لانه كان صالحا دينا مما قاله واظهر الندم عليه اي على صدور هذا المقال منه خوفا مما
يترتب عليه في الدنيا والاخرة فقال ابو الحسن القابسي لما سيل عنه اما اطلاق الكفر
بالكفر عليه فخطا لان الله وصفه صلى الله عليه وسلم به في قوله الذين يتبعون الرسول

النبي الامي الاية وهو لم يعص بذلك ذما ولا تنقيصا لكنه مخطي في استشهاده
اي اتيانه بشاهد اي نظير لحاله بصفة النبي صلى الله عليه وسلم وهي كونه اميا
مثله في صفته وبينهما من الفرق ما بين السموات والارض فلذا قال وكون النبي صلى
الله عليه وسلم اميا اية له اي معجزة باهرة وفضيلة ظاهرة وكون هذا الشاب المذكور
اميا نقيصة فيه اي صفة نقيصة بجهله وجهالته لعدم علمه وقراته وباقي بيانه مسبوقا
ولو كان كاملا فاضلا قرا وكتب فكيف شبه صفته الناقصة بصفة النبي صلى الله عليه وسلم
الكاملة ومن جهالته الظاهرة استشهاده وتمثيله واحتجاجه على حسن اميته وعدم
منافاتها للخوض في العلوم بصفة النبي صلى الله عليه وسلم وكيف تستوي اميته بامية
غيره وقد اتى بعلوم لا تحصى واخبر عما سلف من احوال الامم وعما هو آت وهو في امة امية
ولم يخرج من بينهم ولا تعلم من احد ولذا كان ذلك من اعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم كما قال
الابوصيري • كفاك بالعلم في الامي معجزة • في الجاهلية والتاديب في اليتم •
فاستشهاده بجهله فهو معذور ولا يكفر بقوله هذا لكنه اذا استغفر الله لعلمه بانه مذنب
وتاب بندمه وعزمه على ان لا يعود لمثله واعترف بذنبه وانه مخطي ولجا اي استند ورجع
الى الله هاربا وفارا للحق يترك ولا يواخذ ولا يعاقب ويزجر لان قوله هذا ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان اميا من غير قصد تنقيص لا ينتهي ويصل الى حد المعقوبة بالقتل وما طريقه
الادب اي ما يستحق فاعله التاديب دون القتل فطوع اي يتطوع فاعله بالندم عليه مبادرا
معترفا بخطائه والتوبة والندامة يوجب الكف عنه وتركه من غير معاقبة له ونزلت
اي وقعت والنوازل الحوادث التي تطرا ايضا كهذه مسيلة استفتى فيها بعض قضاة
الاندلس شيخنا القاضي ابا محمد بن منصور الذي تقدمت ترجمته في رجل تنقصه آخر
بشيء اي عابه وذمه به فقال له انما تريد تنقصي بذلك الذي قلته وانا بشر وجميع
البشر يلحقهم النقص حتى النبي صلى الله عليه وسلم فانه لبشريته يلحقه ما يلحقهم والكامل
المنزه عن النقص انما هو الله عز وجل فافتاه اي افتى في هذا القايل باطالة حبسه في
سجنه زجرا له ولامثاله وايجاع ادبه اضافة الايجاع وهو الايلام بضربه تعزيرا له
الى ادبه بمعنى تاديبه من اضافة المصدر لفاعله او هو من اضافة الخاص للعام اذ لم
يقصد بما قاله السب لكنه اخطا في استشهاده كما مر وكان بعض فقهاء الاندلس افتى
بقتله فخالفه ورد فتواه هـ

فصل الوجه السادس

• من وجوه ذكر ما فيه تنقيص له صلى الله عليه وسلم ان يقول القايل ذلك حاكيا له عن
غيره واثرا بمد الهمزة وسكون المثلثة وراء مهملة اي ناقلا له عن سواه من قولهم اثرت الحديث اذا
رويته ونقلته فهذا الحاكي الناقل ينظر في صورة حكايته الظاهرة من سياقه وقرينة
مقالته الدالة على قصده عند نقله ويختلف الحكم الذي يحكم به باختلاف ذلك باختلاف
الصور والقراين على اربعة وجوه من الاحكام الوجوب والندب والكراهة والتحريم
وهو بدل مما قبله بدل بعض او كل ويجوز رفعه ونصبه وهذا اجمال فصله بقوله فان كان
هذا الناقل اخبر به على وجه الشهادة اثباتا او نفيا والتعريف بحال قايله وصفته
والانكار عليه فيما قاله والاعلام بقوله ليحكم عليه بما يقتضيه والتنفير منه حتى يجتنب

ويطرد والتجريح

ويطرد صح

والتجريح له بالطعن فيه وبيان عيوبه وروي التحريج بتقديم الحاء المهملة على الجيم اي
التضييق والتاثيم فهذا اي النقل على هذه الوجوه المذكورة مما ينبغي امتثاله اي الانقياد
له وقبول نقله ويحمد فاعله اي يعد ممدوحا محمودا في فعله وكذلك حكمه ان حكاه
في كتاب الفه او ارسله لغيره او حكاه في مجلس بحضور الناس على جهة الرد له ببيان
انه مخطي قايل لما لا ينبغي والنقض على قايله بضاد معجمة اي الابطال لمقاله بالحجج او ذكره
للفتيا بما يلزمه بيانه شرعا وهذا المذكور للرد والنقض والافتاء بما يلزمه بيانه منه
ما يجب ذكره وبيان حكمه ومنه ما يستحب بيانه بحسب بفتح السين اي على قدر حالات
الحاكي لذلك فيما يحكيه والمحكي عنه بحسب ما يعلم من حاله وقراين مقاله وهذا الى هنا
اجمال الحالات الاربعة وهي معلومة منه وما قيل من انه لا يعلم منه الوجوب صريحا وقوله
حكاه في كتاب او مجلس لا يساعده كلام واه غني عن الرد ثم فصله بقوله فان كان القايل
لما حكاه او حكي عنه وفسره بعضهم بالحاكي وآخر بالمحكي عنه والاولى تعميمه لما كما يقتضيه
ما بعده لذلك القول المذكور ممن تصدى اي انتصب وتقيد لان يوخذ عنه العلم لانه من
اهله الذي يتلقى عنهم لكونه شيخا او مفتيا او رواية الحديث عنه لاخذه له عن اهله او يقطع
بحكمه لانه حاكم تفوض اليه الحكومة او شهادته لشهرة عدالته او فتياه في الحقوق لفقاهته
وتصديه للافتاء بحق وجب على سامعه اذا سمع مقاله حكما او افتاء الاشادة بما سمع منه
برفع ذكره والاشادة بكسر الهمزة وشين معجمة ودال مهملة اي الاشهار بذكره وتشييعه بين الناس
واصله رفع البناء استعير لرفع الصوت وتوسع فيه فاريد به الشهرة مطلقا فسقط ما قيل
من انه ينبغي ان يقول الاعلام الذي هو اعم من الاشادة وتنفير الناس عنه تحذيرا منه والشهادة
عليه بما قاله ليجتنب او يجري عليه احكامه ووجب على من بلغه ذلك الذي سمعه منه
من ايمة المسلمين انكاره وبيان كفره بسبب مقاله وفساد قوله لبطلان قوله ونقل
هذا وشياع لقطع ضرره عن المسلمين بزجره وغيره مما يستحقه وقياما بحق سيد المرسلين
للانتصار له والانتقام ممن قصر في حقه وكذلك يجب ما ذكر ان كان قايله ومبلغه
ممن يعظ العامة ويذكرهم بنصحه لهم او يودب الصبيان بتعليمهم القرآن ونحوه فان
من هذه الخصلة التي تنقص بها سريرته اي ما يضمره في نفسه فيترشح بها كلماته هـ •
وكل اناء بالذي فيه يترشح • لا يومن على القاء ذلك في قلوبهم اي قلوب من
ذكر من العامة او الصبيان الذين يقبلون ما يلقى اليهم لعدم معرفتهم وقلة بصيرتهم
فاذا كان من صدر عنه هذا حاله فيتاكد الايجاب اي ايجاب انكاره واشاعة فساده لحق
النبي صلى الله عليه وسلم على كل احد لا سيما الحكام ولحق شريعته التي يجب الذب عنها
وحمايتها ما امكن وان لم يكن بهذا السبيل اي لم يكن ممن يوخذ عنه العلم والحديث والفتوى
فالقيام بحق النبي صلى الله عليه وسلم واجب اذ باعز مقام النبوة وعظيم منزلته وحماية
عرضه الشريف متعين لانه لا يتم ايمان مسلم ونصرته ضمنه معنى حمايته فقال عن الاذى
اي ما يوذيه حيا وميتا اي في حال موته وحياته مستحق بصيغة المفعول اي واجب
على كل مومن فهو فرض على من بلغه خلافه لكن اذا قام بهذا المذكور من الحماية والذب عنه
من ظهر به الحق بقدرته على اجراء حكمه فيه وفصلت به القضية اي وقع حكم له فاصل
بين الحق والباطل بعقوبته وبان به الامر اي ظهر ما يستحقه واقيم عليه ما يستوجبه سقط

عن الباقي اي عن بقية الناس الفرض الذي وجب عليهم لانه فرض كفاية لا فرض
عين وبقي الاستحباب في تكثير الشهادة عليه على من ضل رهينه مثله مما لا يليق وعضد
بسكون الضاد المعجمة من عضده اذا قواه ونصره التحذير منه اي من قايله وقوله
وهذا احد الاقوال في فرض الكفاية اذا قام به البعض سقط عن غيره وسقط عنه الوجوب
هل يبقي استحبابه وندبه او اباحته وجوازه وهذا مبني على انه هل يجب على الجميع ابتدا او
على غير معين والكلام فيه مقرر في كتب اصول الفقه وليس هذا محل تفصيله وقد
اجمع السلف المتقدمين من علما المحدثين على بيان حال المتهم بالكذب في الحديث
النبوي من رواته فكيف بمثل هذا المتهم بالغض من مقام النبوة وتنقيصه فان الاعتنا بذاته
الشريفة صلى الله عليه وسلم الزم منه بحديثه وقد سئل ابو محمد بن ابي زيد تقدمت
ترجمته عن الشاهد اي من تقبل شهادته يسمع مثل هذا الكلام الذي يستحق قايله ما مر
في حق الله تعالى ايسعه اي ايحل له ويجوز وهو مجاز بتشبيه قوله ان لا يودي شهادة
بمحل ذا سعة اي ان لا يقيم الشهادة عليه عند حاكم يقضي عليه بما يستحقه قال ابن ابي زيد
ان رجا اي ظن ظنا راجحا او علم نفاذ الحكم اي امضى الحاكم بشهادته عليه فليشهد
اي يلزمه الشهادة بما سمعه وكذلك يلزمه الشهادة ان علم ان الحاكم الذي تقام عنده
الشهادة لا يرى القتل بما شهد به اي مذهبه ان القايل لا يستحق القتل عنده ويرى
انه انما يستحق الاستتابة اي طلب التوبة منه والادب اي التعزير دون القتل وقوله
فليشهد ويلزمه ذلك تاكيد لما فهم من قوله وكذلك وهذا مذهب الامام مالك ومذهب
غيره انه يلزمه الشهادة في حقوق الله وما ورد من الذم في حق من شهد ولم يستشهد محمول
على حقوق العباد واما الاباحة لحكاية قوله الذي فيه سب وتحقير للانبيا عليهم
الصلاة والسلام اي جوازها وحلها لغير هذين القصدين من الانكار والتنفير عنه والتشنيع
والنقص والافتا كما تقدم فلا ادري واعتقد لها مدخلا في الباب الذي يجب به صيانة
مقام النبوة فليس التفكه اي التحدث على طريق التلهي به واجرا المصاحبة مستفاد
من تناول الفاكهة ولا يابا ه وروده بمعنى التعجب والتندم والاسلم عدم ثبوته بهذا المعنى
فلا وجه لما قيل انه ينبغي ان يقول الفكاهة بالضم لا بالفتح كما في المصباح بعرض النبي
صلى الله عليه وسلم والعرض ما ينبغي صيانته من كل احد والتمضمض اي اجراوه على فمه
ولسانه مستعار من تمضمض بالماء اذا غسل به داخل فمه فشبه الكلام بالما وادارته في
فمه بالمضمضة وهو احسن من قول العرب تمضمضت عينه بالنعاس كما في الاساس بسوء
ذكره اي بما فيه سوء لاحد متعلق بمقدر اي جايز لاحد لانه يجب تعظيمه واحترام مقامه
حماه الله عن كل سوء لا ذاكرا له بلفظه ولا اثرا اي ناقلا وراويا له عن غيره لغير غرض
شرعي كالرد والتنفير ونحوه مما تقدم بمباح وجايز وهو متعلق بذاكر والخبر لاحد او هو خبر
والبا زايدة لتاكيد النفي وهذا اولى واما ذكره للاغراض المتقدمة من الشهادة عليه
عند الحاكم والانكار ونحوه مما تقدم بيانه فمتردد اي داير ومنقسم بين امرين الايجاب
اي كونه واجبا عليه والاستحباب اي كونه مستحبا لعدم قصد قايله او قيام غيره مقام
به ودخل فيه الكراهة لانها تعلم من الاباحة بالطريق الاولى فلا يتوهم انه لم يستوف الاقسام
الاربعة التي ذكرها ثم استدل على ما ذكره فقال وقد حكى الله تعالى مقالات المفترين

الذين كذبوا

الذين كذبوا عليه وعلى رسله في كتابه الكريم في مواطن كثيرة على وجه الانكار
لقولهم الذين اختلقوه وعلى هذا التحذير من كفرهم منه ومن مثاله وعلى وجه الوعيد عليه
بعقابهم في الدارين وعلى وجه الرد عليهم بابطاله ونقضه بما تلاه اي ذكره سبحانه
تنزيهه ولا يخفى موقعه هنا علينا في محكم كتابه اي كتابه المحكم الذي لا يقبل التغيير
والتحريف وذكره هنا لانه لا يقبل النسخ كالقصص وكذلك اي كما وقع في القران وقع
من امثاله وفي نسخة في امثاله في احاديث النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة اسنادا
ومتنا على الوجوه المتقدمة من الانكار والتحذير ونحوه او الوجوب واحزانه واجمع
السلف والخلف من ايمة الهدى الذين هدوا واهتدوا على حكاياتهم في كتبهم اي كتب
الايمة التي صنفوها وفي مجالسهم اي مجالس وعظهم ومحادثتهم ليبينوها حتى يعلموا
ما فيها من الفساد فيجتنبوها وينقضوا اي يبطلوا شبهها جمع شبهة ويردوها عليهم
وان كان ورد اي نقل ما خالفه للامام احمد بن حنبل ايضا كما نقل عن غيره انكار
لبعض هذا اي انكار حكاية هذا المذكور عن الكفرة وامثالهم مطلقا مما اجازه غيره على الحارث
ابن اسد وهو المعروف بالمحاسبي صاحب التاليف المشهورة وقد قدمنا ترجمته فقد
صنع احمد مثله اي ذكر مثل ما صنع المحاسبي من ذكر مقالات هولاء في كتاب الرعاية
له في رده اي الامام احمد على الجهمية وهو جهم بن صفوان واصحابه من المبتدعة واصحاب
المذاهب الباطلة والعقايد الفاسدة وجهم هذا هلك في اخر عصر التابعين قال الذهبي
في الميزان ما علمته روى شيا لكنه زرع شرا عظيما وجهم يلقب بابي محرز وهو سمرقندي
وكان جبريا يرى ان الانسان لا يقدر على شي ولا استطاعة له ولا اختيار وافعاله
يخلقها فيه وتنسب اليه مجازا ويقول ان الجنة والنار يفنيان وعلى القايلين بالمخلوق
وفي نسخة بان القران مخلوق من المعتزلة وفي كثير من النسخ وبالمخلوق وذكر فيه التلمساني
احتمالات منها مخلوقية القرآن ومنها ان يراد ان المخلوق قديم وهو قول الفلاسفة والظاهر
ان المراد خلق افعال العباد من غير كسب وهو الجبر وما ذكره المحاسبي في هذه الوجوه
السايغة بسين مهملة وغين معجمة اي الجايزة الحكاية عنها هو مرفوع فاعل السايغة
كمقالات الكفرة ولا وجه لانكار هذه الحكاية فاما ذكرها اي الاقوال السايغة على غير
هذا الوجه من الرد والابطال ونحوه مما مر من حكاية سبه صلى الله عليه وسلم ممن وقع
منه والازرا اي الاحتقار بمنصبه العلي ومقامه الرفيع على وجه الحكايات
اي القصص التي يقصها عوام الناس والاسمار اي التلهي بها جمع سمر وهو الحديث ليلا
بمنادمة والمحاورة واصله ظل القمر لانهم كانوا يتحدثون فيه وجوز بعضهم كسر همزته
مصدرا لانه يقال سمر واسمر بمعنى والطرف بطا وراء مهملتين وفا بوزن غرف جمع طرفه
وهي الامر المستطرف اي المستحسن المستجاد وهو حقيقة في الكلام مجاز في غيره كالمال
المستفاد مما لم يسبق مثله وقيل انه بفتحتين بمعنى طلاقة اللسان وهو تحريف واحاديث
الناس جمع احدوثة وهو ما يتحدث على طريق ويكون جمع حديث على خلاف القياس المناسب
هنا الاول ومقالاتهم في الغث والسمين اي في المعتد وغيره واصل الغث بفتح
الغين المعجمة وتشديد المثلثة معناه المهزول ضد السمين فاستعير لما ذكر وفي كلام
ابن عباس رضي الله عنهما غثك خير من سمين غيرك قاله لابنه حين قال له اذهب لابن عمك

عبد الملك وهو الكلام الجامع لاختلاف الدلالات حشوا وقبحا اذا لغت الهزل كما مر
ومضاحك المجان جمع ماجن وهو الذي يعتاد الهزل والسخرية من غير مبالاة واصل المجون
غلظ الوجه ومضاحك جمع مضحكة وهو ما يضحك منه ونوادر السخفا جمع نادرة
او نادر وهو الامر المستغرب لقلة وقوعه والسخفا بخا معجمة وفا جمع سخيف وهو الرقيق
العقل والدين والخوض في قيل وقال فسره بقوله وما لا يعني بفتح اوله اي ما لا يهم
ولا يعتني به ومن حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه قال في النهاية في الحديث نهى عن قيل
وقال اي عما يتحدث به فيقال كان كذا وقيل كذا منقولان من فعلين ماضيين فيحكى
على انه فعل مع الضمير ويعرب فيدخل عليه الالف واللام ومعناه كثرة الحديث بما لا يعني
وقيل قال الابتدا وقيل الجواب والمعنى ما لا يعلم ولا حقيقة له يقال قال قولا وقيلا يعني
فهما اسمان وفيه كلام في المطالع فيجوز فتحهما وجرهما منونين والخوض اصله دخول الما
فاستعمل بمعنى مطلق الدخول فكل هذا المحكي من الست وما بعده ممنوع غير جايز شرعا
وبعضه اشد في المنع والعقوبة من بعض باعتبار شدة قباحته بتفاوت مقاماته
فما كان من قايله الحاكي له عن غيره على غير قصد به للسبا او غير معرفة بما حكاه في
قباحته شدته واشديته او لم تكن عادته حكايته وانما وقع منه نادرا او لم يكن الكلام
الذي حكاه من البشاعة بالموحدة اي القبح حيث هو حيث هنا مضافة لجملة خبر محذوف
اي هو كريه ومستقبح وحيث ظرف مكان ولا يضاف الى الجملة من ظروف المكان غيره اي يكون
في مقام لا يقتضي بشاعته العلم بانه لم يقصد به ازرا وان كان ظاهره كذلك ولم يظهر
على حاكيه استحسانه وانما ذكر لانكاره والتنفير عنه واستصوابه اي عده صوابا
يعتمده فاذا كان كذلك زجر ووبخ حاكيه عن ذلك اي حكايته له ونهي عن العود اليه
وان لا يتلفظ به مرة اخرى صونا لمقام النبوة وان قوم مشددة الواو مبني للمجهول
اي ارشد للاستقامة فيما حكيه ببعض الادب اي بتعزير خفيف يليق به غير الزجر
فهو مستوجب اي مستحق له اي للتاديب لتكلمه بما لا يليق بمنصب النبوة وان كان حاكيا
عن غيره وان كان لفظه من البشاعة حيث هو كان الادب اشد وقد حكي ان رجلا
سال مالكا رحمه الله عمن يقول القرآن مخلوق وهو بمعنى الالفاظ المتلوة عند الاشعري
كذلك لكنه يوهم انه من الاختلاف بمعنى الافترا فقال الامام مالك قايله كافر فاقتلوه
وقد نهى عن هذا السلف لان ظاهره انه ليس كلام الله ففيه تعريض بتكذيب النبي صلى الله
عليه وسلم والكلام في هذه المسيلة لشهرته غني عن البيان ويأتي الكلام عليه ايضا في الباب
الثالث عند ذكر المصنف لكلام مالك جازما به فقال ذلك القايل انما حكيته عن غيري
وحاكي الكفر ليس بكافر فقال مالك انما سمعناه منك فانت متلبس بالحكاية لما لا ينبغي
يحتمل انك تظهر به سريرتك وهذا المذكور من مالك رحمه الله على طريق الزجر والتغليظ
اي التشديد في الانكار عليه بدليل انه لم ينفذ بالمعجمة قتله اي لم يحكم به حكما قطعيا
فان المذهب انه لا يقتل مثله وانما يقتل من انكر امرا معلوما من الدين بالضرورة وما روي
من حديث من قال القرآن مخلوق فهو كافر لم يثبت مع انه لو ثبت فهو مأول عندهم وان اتهم
هذا الحاكي فيما حكاه انه اختلقه اي اخترعه ولم يقله غيره فيحكي عنه وهو يعتقده
ونسبه الى غيره بحكايته عنه خوفا من المواخذة به او كانت تلك عادة له بان يكثر

من ذكره ويزعم انه حاك له او ظهر حال نقله استحسانه لذلك وانه لا يحذور فيه
او كان مولعا بمثله بفتح اللام اسم مفعول الولع بالشي الاكثار منه مع اظهار الميل له وانه
يعجبه والاستخفاف له اي عده هينا عنده لا محذور فيه او التحفظ اي حفظه كثيرا لمثله
ما هو قبيح كريه او طلبه ممن يعرفه حرصا عليه وكثرة رواية اشعار هجو صلى الله عليه
وسلم الذي هجاه به المشركون ما ذكره اهل السير وسبه المنقول عن المشركين فحكم هذا
الحاكي حكم الساب من غير حكاية له نفسه لا حكم الحاكي وحكمه انه يواخذ بقوله مما يتهم
الساب ولا تنفعه نسبته لقوله ما حكاه فيبادر بقتله كالساب وما ذكره من المبادرة
بقتله اي انه لم يستتب ويعجل الى الهاوية اي يعجله دخوله النار والهاوية من اسماء جهنم
ويقال هوت امه في الدعا بالهلاك وقوله امه فيه اقوال فقيل معناه ماواه لانها كالام
التي ياوي اليها او راسه لانها ام دماغه وهمزته مضمومة ومكسورة وهو نايب الفاعل مرفوع
او مجرور بدل من الهاوية وقد قال ابو عبيد القاسم بن سلام بتشديد اللام وقد نقل
ترجمته من حفظ شطر بيت اي نصفه مما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم فهو كفر
اي هجوه كفر فالضمير راجع لما علم من هجي او كفر بمعنى كافر مبالغة وما ذكره من الكفر ظاهر
عند الرضي بذلك او استحسانه لا انه قصد به غير ذلك قاله ابن حجر وقد ذكر بعض من
الف في الاجماع اي الف مولفا جمع فيه ما وقع عليه الاجماع من المجتهدين وايمة الدين
اجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم وكتابته وقراته
وحده او مع غيره وتركه متى وجد معطوف على رواية اي يحرم ان لا يمحى فيترك دون
محو اي ازالته مما كتب بمحو ونحوه كاحراقه وما ذكر من الاجماع محله في روايته لغير غرض
مسوغ لذلك ورحم الله اسلافنا المتقين المتحرزين اي الذين يحذرون مثله خوفا
منه فهم صاينون لدينهم اي يحفظونه فقد اسقطوا من احاديث المغازي والسير ما كان
هذا سبيله اي الاشعار التي وردت على هذا الطريق كانت متضمنة لهجوه في سيرته
صلى الله عليه وسلم في سيرة ابن اسحاق وغيره من المتقدمين وتركوا روايته صونا للالسنتهم
من النطق بمثله وكتابته الا اشيا ذكروها يسيرة اي قليلة وغير مستبشعة اي لا قبح
فيها ولا سب ولا هضما للمقام كما في سيرة ابن هشام وفي نسخة مستشنعة بنون على نحو
الوجوه الاول اي ذكرت حتى ينفر ويحذر من قايلها كما تقدم ليروا نعمة الله تعالى بضم اليا
النعمة والرآ اي ليظهروا بما ذكروه انتقام الله من قايلها كاصحاب القليب وغيرهم واخذه
اي اخذ الله بهلاك المفتري عليه بما في هجايه بن نبه وهو هجوه وذكره بما لا يليق وهذا
ابو عبيد القاسم بن سلام جعله كالحاضر لشهرة كتبه فاشار اليه قد تحرى بالحاء المهملة
اي تثبت فيما اضطر الى الاستشهاد به اي التجا اليه للضرورة المقتضية لذكره لتوقف
امر عليه فيما يقصده من اهاجي جمع اهجية وهي ما هجي به من القصايد اشعار العرب في
كتبه التي الفها والمراد عن هجو النبي صلى الله عليه وسلم فكنى عن اسم المهجو ليس المراد
بالكناية هنا مصطلح اهل المعاني ولا التورية عنه كما توهم بل عادتهم كما في شعر المتنبي
وغيره انه يعبر عن عتبة مثلا بفعله الذي هو من انه التصريح وهو كثير في الشعر يعرفه من له
المام بالادب فالكناية بمعناها اللغوي وقد ذكره الرضي في باب الضماير فلهذا قال بوزن اسمه

كقول المتنبي ۞ كان فعله لم تملا مواكبه ۞ ديار بكر ولم تخلع ولم تهب ۞

اراد بفعله خولة استبرا لدينه اي طلبا لان يكون دينه بريا من تنقيص احد والخوض
في عرضه بالتعيين وتحفظا اي حفظا وصيانة لنفسه من المشاركة في ذم احد ممن
هجي بروايته لما هجي به او نشره اي اشاعة ذكره وهذا في حق آحاد الناس فكيف بما
يتطرق الى عرض سيد البشر المبرا من دنس النقايص صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم
وهذا كما يقال سبك من بلغك والحاكي احد الشاتمين

فصل الوجه السابع ان يذكر ما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم

بما ليس فيه نقص له او يختلف في جوازه عليه من بعض العوارض البشرية كما قال وهو ما يطرو
اي يحدث عروضه له من الامور البشرية به ويمكن اضافته اي وصفه ونسبته اليه
على وجه يليق به وفي نسخة اضافتها او يذكر ما امتحن به اي ابتلي به من امور الدنيا زيادة
لاجره وصبر في ذات الله اي لاجل الله ابتغا لرضاه لا عجزا منه ولا لغرض آخر هذا معنى هذا
اللفظ والمراد به هنا وتحقيقه ان ذات في الاصل وضعه مونث ذو بمعنى صاحب ثم توسع فصحا
العرب فيه قديما فاستعملوه بمعنى الجهة والجانب الذي يقصد ويتوجه اليه كانه صاحب القصد
لتعلقه به ثم شاع في كل ما يتعلق بشي ما ومنه حديث ابراهيم الخليل لم يكذب ابراهيم الا
ثلاث كذبات في ذات الله اي فيما يتعلق بالرب جل وعلا ولاجله فجاها من هنا معنى التعليل
ومنه قول خبيب رضي الله عنه الذي رواه البخاري في صحيحه وغيره هم

ولست ابالي حين اقتل مسلما • على اي شق كان لله مصرعي •
وذلك في ذات الله وان يشا • يبارك على اوصال شلو ممزع •

كذا حققه ابن السيد وغيره من ايمة اللغة وهو المعول عليه واما استعماله في النفس والحقيقة
فلم يصح عن العرب ولذا قيل انه غير صحيح واطلاقه على الله مع انه مونث غير جايز وقولهم في النسبة
اليه ذاتي لحن كقولهم صفاتي وهو من اصطلاح المتكلمين وغلطهم وقول ثعلب في قوله
تعالى ذات بينكم معناه عند الكوفيين حالة بينكم وقال الزجاج حقيقة وصلكم لا دليل فيه لما
استعمله المتكلمون فلا يصلح للرد على من خطاهم فيه كما توهم وتعبيره به هنا غير مستقيم ومن
فسره بطاعة الله وانقياده لما يريده لم يبعد عن الصواب على شدته من مقاسات اعدايه
اي صبر على شدايد قاسية من اعدا الدين واذاهم له اي شدة اذيتهم له صلى الله عليه وسلم
ومعرفة ابتدا حاله حين بعث ودعا الناس الى الله وسيرته وما لقيه من بوس زمانه
اي شدايده ومر عليه من معاناته اي عناه وتعبه في معيشته او معاناته بمعنى ملابسته
ومباشرته والمعيشة ما يعاش به يعني تحمله وصبره على لاوايها وضيقها كل ذلك اي فيذكر
هذا على طريق الرواية ومذاكرة العلم ليقتدي به ويعلم شرف نفسه ومعرفة ما امر
صحت منه العصمة للانبيا لحفظ الله لهم عن كل سوء وتبريتهم من كل نقص والعصمة تقدم انها
خلق ما يمنعه عن المعصية باختياره لا بالجابية ولذا قال الماتريدي لا تزيل المحنة اي الابتلا
فانها مجرد لطف من الله كما فصل في علم الكلام وما يجوز عليهم فيذكر لمعرفته لا للازرابه
عليهم فهذا المذكور هنا خارج عن هذه الفنون الستة التي ذكرت قبله والغمض بمعنى النقص
اذ ليس فيه غمض ولا نقص تفسير للغمض بغين معجمة وميم ساكنة وصاد مهملة اي شين وعيب
ولا ازرا ولا استخفاف اي اهانة وتحقير له في ظاهر اللفظ الذي قاله ولا في مقصد

الا وفظ به على الوجه الذي بينه لكن يجب ان يكون الكلام فيه اي في ذكر ما قاساه
صلى الله عليه وسلم من الشدة والبوس في ابتدا امره مع اهل العلم الراسخين فيه بحيث
لا تتزلزلهم الشبه وفهما بزنة علما جمع فهم او فهيم اي الشديد الفهم الذي يعرف حكمه ذلك
وانه لا ضير عليهم لعلمهم بمقاصد الدين القويم ممن يفهم مقاصده ما قصد منه من الحكم ويحقق
فوايده اي يتحققها لانه على بصيرة في مقامات الانبيا وجلالة قدرهم ويجنب بنا المفعول
اي يبعد وتقصيه عن ذكر ذلك الذي ذكر من احوال الانبيا عليهم الصلاة والسلام من
عساه لا يفهمه افهم عسى لاستبعاد فهمه ومن موصولة او يخشى به اي بذكره له فتنته
بوقوعه فيما لا يرضي في حق رسل الله عليهم الصلاة والسلام قال ابن حجر وما اقتضاه كلامه
من حرمة ذكر ما مر للعوام ظاهر ان ظن بقرينة حالهم نقص لرفقته لهم منه او استخفاف او نحوهما
والا فالذي ينبغي الكراهة ثم وضحه بقوله فقد كره بعض السلف تعليم النسا سورة
يوسف لما انطوت اي اشتملت عليه من تلك القصص جمع قصة اي ما فيها من ذكر شغف
النسا بالصور الجميلة ومراودتهن والتحيل منهن للمواصلة لمن غب لضعف معرفتهن بالامور
وما يترتب عليها ونقص عقولهن وادراكهن اي وصولهن للمدركات وقد ورد في الحديث
انهن ناقصات عقل ودين ثم بين جواز ذكره لغير العوام فقال فقد قال صلى الله عليه وسلم
في حديث صحيح سيأتي مخبرا عن نفسه حال من فاعل قال باستيجاره اي اجارة نفسه لغير
في صغره لرعاية الغنم اي اخذها لتسرح في المرعى في ابتدا حاله اي صغر سنه وقال
صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان ما من نبي الا وقد رعى الغنم فذكر هذا لاصحابه
العارفين بنور الايمان الحكم فيما ذكر وعلمهم بمقدار تشرفه دليل لما قدمه وبقية الحديث فقال
له اصحابه وانت يا رسول الله فقال نعم كنت ارعاها على قراريط لاهل مكة وقراريط جمع قيراط
جزو من الدراهم وقيل اسم مكان وتقدم ما في ذلك وتفصيله في شروح الصحيحين واخبر
الله في القرآن بذلك اي رعي الانبيا عليهم الصلاة والسلام للغنم عن موسى عليه الصلاة
والسلام في رعيه لشعيب عليه الصلاة والسلام في قوله اني اريد ان انكحك احدى ابنتي
هاتين الاية وقصته مفصلة في كتب التفسير وهذا لا غضاضة فيه اي فيما ذكر من الرعاية
للغنم وهي بمعجمات بمعنى النقص وهو مستعار من غض البصر وكف طرفا فكنى به عما ذكر لانه
انما يكون مما يستحي منه صاحبه جملة واحدة اي ليس في شي فيه اصلا غضاضة لمن ذكره على
وجهه من مذاكرة اهل العلم الماهر بخلاف من قصد به الغضاضة والتحقير هو عطف تفسير
بل كانت رعاية الغنم عادة جميع العرب حتى اولاد اشرافهم وفعلنا صلى الله عليه وسلم
بينهم غير مخالف لاحوالهم المباحة تواضعا منه وتأسيا باخلاقهم فيما لا يضرهم استشعر سؤالا
مقدرا كانه قيل ما حكمة وقوع ذلك وتقدير الله له فاجاب بقوله نعم في ذلك للانبيا حكمة بالغة
عظيمة قوية ظاهرة فنعم جواب لسوال المقدر وكثيرا ما تجيء العرب لتاكيد الكلام في ابتدايه
كقول جحدر

وايانا وذاك بنا تداني • اليس الله يجمع ام عمرو •
ويعلوها النهار كما علاني • نعم وارى الهلال كما تراه •

والبلوغ الوصول الى اقصى الامر ومنتهاه وقوله تعالى ام لكم ايمان علينا بالغة اي في غاية التوكيد
قال الراغب فكانها بلغت نهايته الصواب ومنتهاه وتدريج الله تعالى لهم الى كرامته
اي اكرامهم بالنبوة والرسالة وهو وما بعده تفصيل للحكمة ولذا عطفه كانه يغايرها وتدريب

بمهملتين اي تعويد له فيكون دربة وخبرة برعايته السياسة امتهم اي ضبط امورهم وحفظها من خليقته فيسوس الغنم كما يسوس الامم بما سبق لهم اي للانبيا عليهم الصلاة والسلام من الكرامة باصطفائهم للرسالة في الازل وتقدم العلم اي علم الله تعالى فانه اعلم بمن يجتبيه كما في الاية الله اعلم حيث يجعل رسالاته قال ابن حجر في شرح البخاري حصل لهم عليهم الصلاة والسلام التمرن برعيها على ما يكلف من القيام بامر الامة والشفقة عليهم كما يصبر الراعي على سوق غنمه وجمعها اذا تفرقت وحفظها عن سبع وذيب وسارق وسوقها لما فيه نفعها في مرعاه وتفرده باموره منقطعا عن الناس من غير مشارك في امره ولا مساوي فيقيس امور الناس بعد الرسالة على هذا المنوال ولذا قال كلكم راع ومسول عن رعيته مع ما فيه من تواضعه وكشفه فهذا مثل فعلي ضربه له كما ذكر الله عز وجل يتمه اي كونه تربى بغير ابوين صغيرا وموت حكمته وعيلته اي كونه في القيام على اهله وعايلته في قلة معيشته قال تعالى الم يجدك يتيما فاوى الآية على طريق المنة عليه اي تعداد النعمة عليه لا تحقيرا له صلى الله عليه وسلم والتعريف للناس بكرامته له اي باكرامه وتشريفه واليتم في اصله بمعنى الانفراد وهو في الادمي من لا اب له وفي الحيوان من لا ام له وفي الطير من لا اب له ولا ام كما مر ووجهه ظاهر ومر ان ابا النبي صلى الله عليه وسلم مات وهو جنين او في المهد وان امه ماتت وهو ابن ثمان وقيل اليتيم بمعنى منفرد لا نظير له كالدرة اليتيمة والعايل الذي لا مال له يقال عال يعيل عيلة اذا افتقر قال احيحة هـ

• فما يدري الفقير متى غناه • وما يدري الغني متى يعيل •

اي يفتقر والعيلة الفقر فذكر المذكورها اي لما مر من احوال نبينا وكذلك الانبيا عليهم الصلاة والسلام الجايزة عليهم على وجه وطريق تعريف حاله في ابتداء حاله وامره والخبر عن مبتداته بالمذاكرة به للعلما والتعجب من منح الله تعالى جمع منحة وهي العطية قبله بكسر وفتح اي عليه وفي جانبه وعظيم منته عنده بما افاضه عليه بعد ما كان عليه ليس فيه على هذا الوجه غضاضة نقص من مقامه وتنقيص له واهانة لعدم قصده لذلك بل فيه دلالة على نبوته وصحة دعوته لما اكرمه الله به بعد عدمه وكشفه له اذ اظهره الله تعالى فقواه ونشر ذكره بعد هذا الذي كان عليه في ابتداء امره على صناديد العرب جمع صنديد وهو السيد الشريف في قومه الجامع بين الشجاعة والحماسة والجود الغالب لمن عاداه وعارضه ومن ناواه اي عاداه واصله الهمزة من النوء وهو النهوض من اشرافهم شيا فشيا اي بطريق التدريج حتى اظفره الله بهم وذللهم وابادهم من اصر على عداوته وفتح ديارهم ومن عليهم كما وقع له صلى الله عليه وسلم في فتح مكة وهو متعلق بقوله اظهره الله ونمى اي زاد واشتهر امره اي شان نبوته حتى قهرهم واذلهم فانقادوا خاضعين له وتمكن اي وصل من ملك مقاليدهم جمع مقلد بكسر الميم وهو المفتاح وملكها كناية عن حيازة ما لكهم والتصرف فيه كما يريد واستباحة ممالك كثير من الامم غيرهم اي غير العرب كالروم والعجم جمع مملكة وهي الاقاليم المملوكة اي جعلها مباحة مفوضا له صلى الله عليه وسلم ولاصحابه جميع ما فيها باظهار الله تعالى له واعلاء كلمته ودينه وتقويته بنصره وتاييده وما النصر الا من عند الله هـ وبالمومنين الذين اتبعوه وجاهدوا في سبيله والف بين قلوبهم بمحبة بعضهم لبعض

وزوال

وزوال ما كان بينهم في الجاهلية من التباغض والعصبية ولا يقدر على تاليف القلوب غير الله كما قال تعالى واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم وامداده اي ارساله المدد اي يوم بدر وغيره بالملايكة المسومين اي الذين لهم سمة وعلامة تميز هم عن غيرهم وذلك كان بعمايم صفر مرخية بين اكتافهم وفي نواصي خيلهم واذنابها صوفا ابيض وهو بكسر الواو وفتحها لان لهم سمة وقد سوموا خيولهم بما مر وغيره ولو كان صلى الله عليه وسلم ابن ملك بكسر اللام اي سلطان او ذا اشياع اي صاحب جنود واتباع جمع شيعة وهي الفرقة العظيمة من الناس متقدمين على زمن ظهوره بان كانوا اتباعه من ابيه وجده لحسب اي ظن كثير من الجهال ومن لا بصيرة لهم ان ذلك اي ملك ابيه واشياعه سبب ظهوره على غيره ومقتضى اسم فاعل اي موجب علوه في شانه وقدره كغيره ولهذا اي لاجل ما ذكر من انه لو كان كذلك ظن الجهلة فيه ما تقدم قال هرقل ملك الروم لما سال عنه لما بلغه خبره وهو بكسر اوله وفتح ثانيه وكسر ثالثه كخندرق والاول هو المشهور والثاني حكاه الجوهري وغيره ولقبه قيصر وهو اول من ضرب الدنانير وملك الروم احدى وثلاثين سنة وفي ملكه توفي النبي صلى الله عليه وسلم حين سال ابا سفيان مر انه بتثليث السين يكنى ابا حنظلة وان اسمه صخر بالمهملة ثم المعجمة بن حرب بالمهملة والراء ثم الموحدة بن امية ولد قبل الفيل بعشر سنين واسلم ليلة الفتح وشهد الطايف وحنينا وفقيت عينه في الاولى والاخرى يوم اليرموك وتوفي بالمدينة سنة احدى او اربع وثلاثين وهو ابن ثمان وثمانين سنة وصلى عليه عثمان رضي الله عنهما عنه بايليا وقال له هل كان في ابايه من ملك بكسر الجارة لملك بكسر اللام صفة مشبهة في الاصل او من موصولة وملك ماض بفتحها صلتها ثم قال هرقل بعد جوابه ولو كان في ابايه ملك قلنا رجل يطلب بظهوره وعلوه ملك ابيه كعادة ابناء الملوك وقال ابيه دون ابايه ليكون اعذر في طلب الملك او المراد بالاب ما هو اعم من حقيقته ومجازه والحديث في الصحيحين وهو مشهور واذ اليتم بضم اوله وسكون ثانيه وتقدم تفسيره من صفته صلى الله عليه وسلم في الكتب المتقدمة كالتورية والانجيل واخبار الامم السالفة المتقدمة التي تلقوها عن انبيايهم كما في قصة تبع وكذا وصفه باليتم وقع ذكره بهذه الصفة في كتاب ارميا بن حلقيا نبي الله وكان له صحف الهمنة وهو من بني اسرايل ذكره مفصل في التواريخ وهو بفتح الهمزة وجوز كسر وسكون الراء المهملة ومثناة تحتية والف مقصورة كذا في الحواشي وفي مرآة الزمان ان ارميا بضم الهمزة كما قراته على شيخي ابي منصور اللغوي يعني الجواليقي وقال ان ارميا كان من ابناء الملوك وانه اوحي اليه فلما انذر قومه حبسوه فسلط الله عليهم بخت نصر وساق قصة طويلة له وبهذا اي اليتم وصفه ابن ذي يزن ملك اليمن ويزن ممنوع من الصرف وفيه كلام للصاغاني في الذيل والصلة لعبد المطلب جده حين وفد اليه مع اشراف قريش ليهنوه باخذ ملكه من الحبشة فاخلى به وبشره بنبوته وبنى عظيم وانه لا اب له وانما يكفله جده وعمه وقد تقدم طرف من قصته فيه للشاه كما تقدم وفي كلامه يموت ابوه وامه ويكفله جده وعمه وبحيرا بفتح الموحدة وكسر الحاء المهملة وبمد وبقصر ويقال بحير بلا الف وفي خبره ان الراهب سال عنه لما راى السحاب تظله

فقال له انه نبي فقال انه لا ينبغي ان يكون له اب كما نجده في كتبنا فاخبره بموت
ابيه فصدقه وكذلك اي كوصفه باليتم وصفه اذا وصف بانه امي لا يقرا ولا
يكتب كما وصفه الله تعالى به في قوله فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الآية فهو مدحة
له وفضيلة ثانية فيه لما سيأتي وقاعدة معجزته اي مثبتة ومقوية كالاساس
للبنيان اذ معجزته العظمى الفائقة لسائر المعجزات من القرآن العظيم واعجازه
انما هي متعلقة بطريق المعارف والعلوم التي وصلت اليه مما لم يتفق ولا يمكن لغيره
مع ما منح اي اعطي صلى الله عليه وسلم وفضل به على سائر الخلق من ذلك اي من
علومه ومعارفه التي لا تصل اليها عقول البشر كما قدمناه في القسم الاول ووجود مثل
ذلك من رجل لم يقرا الخط ولم يكتب في عمره حرفا ولم يدارس اي يقارن احدا بل درس
عنده ما يتعلمه من الافواه ولا لقن اي لم يلق اليه احد شيئا منه مقتضى العجب اي موجب
له ومنتهى العبر اي غاية ما فيه عبرة لمن يقف عليه ومعجزة البشر التي اعجزتهم عن
مثله واذا كان كذلك اي كونه اميا فليس في ذلك نقيصة له صلى الله عليه وسلم
بل فيه من الشرف والفخر ما يعجز عنه الوصف والمطلوب المقصود من تعلم الكتابة
والقراءة المعرفة بما يحتاج اليه من العلوم والمعارف فليست مقصودة لذاتها وانما
هي اي القراءة والكتابة آلة لها وواسطة موصلة اليها غير مرادة في نفسها اذ لا
فائدة لها في نفسها فاذا حصلت الثمرة والمطلوب بالذات والثمرة فالحمد للاشجار
تغني بها عن كل فائدة مترتبة على امر من الامور استغني عن الواسطة والسبب
الذي يراد لاجلها فهي فيه كمال وفضيلة والامية في غيره ممن لم يصل الى العلوم نقيصة
معيبة فيه لانها حينئذ سبب الجهالة بالعلوم والمعارف وعنوان اي دليل ظاهر
على الغباوة بغين معجمة وموحدة وهي عدم الفطنة والذكا كالبلادة والحماقة والعنوان
ما يكتب على ظهر الكتاب ليعلم من هو وما هو فاريد به كل ما يدل على فعل خفي وعينه تضم
وتكسر لانه يعلم من امتيه انه لبلادته لم يقدر على التعلم وقد علم مما قبله انه مخصوص
بمن لم يظهر علمه فلا حاجة الى ان يقول الامن خصه الله بعلم دونها كما قيل وفي العنوان
لغات يقال عنوان وعلوان وفيه كلام في شرح الفصيح فسبحان من باين امره صلى
الله عليه وسلم اي فضله وميزه وبعده من امر غيره من الناس فجعله في اعلا مراتب
من الكمال لا يحتاج لوسائط وآلات وجعله ما به يمدح في غيره يعاب وينقص وهذا
امر عجيب فلذا قال سبحان وهي تنزيه لله يستعمل للتعجب كثيرا كان هذا الامر العجيب
لا يقدر عليه سواه وجعل شرفه اي علو مقامه وقدره فيما فيه محطة سواه الخط
تنزيل شيء من علو لسفل ومحط مصدر ميمي والمراد ان بعض ما زاد به شرفه صلى الله عليه
وسلم فيه نقص وتنزيل لغيره وهو اشارة لما قدمه من يتمه الذي بين به ان ربه ادبه
فاحسن تاديبه ورباه من غير منة لمخلوق عليه فكان صلى الله عليه وسلم بعضا مباينا لغيره
من تربى يتيما وجعله عائلا ليعلم انه غني بالله وانه لم يتبعه من تبعه لامر دنيوي
وجعله اميا ليعلم ان علمه لدني وهذا غاية الشرف وهو في غيره نقص وشين وجعل حياته
فيما فيه هلاك من عداه هذا اقوى مما قبله لانه قد يتيسر لبعض الخواص واما هذا وهو
شق قلبه فان الحكما متفقون على ان القلب به قوام الحياة والادراك وهو رئيس

الاعضا

الاعضا ولا يحتمل جراحة ولا اخراجا من محله فكيف يعيش من يخرج قلبه ويشق
وقد وقع له صلى الله عليه وسلم مرارا اولها وهو صغير عند مرضعته كما تقدم بيانه
واخراج حشوته بضم الحا المهملة وكسرها وسكون الشين المعجمة والمراد ما في داخله
من العلقة السودا كما تقدم وبيان حكمته واصل الحشوة الامعا والكرش والمراد به
هنا ما ذكرناه تجوزا فكان ما فيه هلاك غيره تمام حياته لانه اخرج منه ما يتعلق به
وسوسة الشيطان وملئ علما وحكمة ففيه تمام الخلقة الحقيقية بازالة مفسد الحسية
او المعنوية بالعلم الذي له بمنزلة الروح وغاية قوة نفسه لان قلبه نظف واودع ما
قواه على تلقي الوحي ورؤية الملائكة وسرعة الاذعان والفطنة وثبات روعه بضم الرا
المهملة قبل واو وعين مهملة وهو القلب والادراك فاريد بسعده ان يحمل فيه ما يثبته
على تلقي الوحي وملاقات الملائكة كما ورد في الحديث ان روح القدس نفث في روعي
اي قلبي وخلدي وبه فسر وهو اي شق القلب اذا وقع فيمن سواه من الناس كان منتهى
اي غاية قصوى ومن اقوى اسباب هلاكه باخراج روحه شرعيا وحتم بفتح الحا المهملة
وسكون المثناة الفوقية وميم اي وجوبه بحسب اللغة بمعنى تعينه قطعا موته
اي ذهاب حياته وفنائه بذهاب روحه وما يتبعه وحديث الشق وتعدده رواه الشيخان
وغيرهما وتفصيله في شروحها وهلم جرا تقدم الكلام عليه مبسوطا اي وغير ذلك
ما خالف فيه غيره مما يضاف الى سائر ما روي من اخباره وسيره في كتب الحديث
مما يباين حال غيره وتقلله من امور الدنيا في جميع احواله كما تقدم ومن الملبس والمطعم
والمركب تفصيل لامور الدنيا التي تضمن فيها وتواضعه للمخلوق مع علو قدره وشرفه
ومهنته بفتح الميم وكسرها وذهب الزمخشري تبعا للاصمعي انها لا تكسر كما مر وهو
مصدر بمعنى الابتذال والخدمة وقوله نفسه مفعول في اموره الدنيا كخصف نعله
وخدمة بيته بنفسه وانما كان ذلك منه زهدا في امور الدنيا بتركها ورغبة عن الدنيا
لانها وتسويته بين حقيرها وخطيرها اي عظيمها عند غيره لشرف نفسه عنها لسرعة
فنا امورها وعدم بقائها وتقلب احوالها من حال الى حال بحيث لا تدوم على حال ابدا وكل
هذا المذكور من فضائله التي فضله الله بها على غيره ومآثره جمع مأثرة بالضم وهي ما استا
به اي اختص به من الشرف والمكارم مما يؤثر عنه وشرفه كما ذكرناه فيما تقدم من هذا الكتاب
فمن اورد اي ذكر شيئا منها مورده اي في محله الذي ينبغي واصله من ورد الماء اذا ذهب
ليستقي منه فاستعير لما ذكر وقصد بها مقصده الذي يليق بقدره وشرفه كان حسنا
يمدح به ويثاب عليه عند الله ومن اورد ذلك على غير وجهه اللائق به لا بهامه تحقيرا وتنقيصا
له وعلم منه بذلك الايراد له على غير وجهه سوء قصده بتنقيص وشين لحق بالفصول
الستة المتقدمة جمع فصل بصاد مهملة التي قدمناها في هذا الباب وكذلك اي مثل هذا
مما ورد على غير وجهه ما ورد من اخباره صلى الله عليه وسلم واخبار سائر الانبيا صلاة
الله وسلامه عليهم اجمعين في الاحاديث التي يروونها القصاص مما ظاهره اشكال اي
مشكل لمخالفته لما تقرر من احوال عصمتهم منها مما يقتضي امورا منقصة لهم ولا تليق بهم
بحال من الاحوال ويحتاج الى تاويل لها بصرفها عن ظاهرها وتردد احتمال اي تردد سا
لاحتمالها لوجوه اخر فلا يجب اي لا يجوز كما مر ان يتحدث منها بنقلها وروايتها الا بالصحيح

رواية عن الثقات ولا يروى منها الا المعلوم معناه الثابت نقله عن الائمة ورحم
الله عز وجل مالكا امام دار الهجرة فقد كره التحدث بمثل ذلك الذي فيه اشكال
يحوج لتاويله من الاحاديث الموهمة اي الموقعة في وهم سامعها ووهمه للتشبيه اي
تشبيه الله بغيره وهي ما يذكره المجسمة كحديث ان الله خلق آدم عليه الصلاة والسلام على
صورته والمشكلة المعنى كحديث ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا في الثلث الاخير
ونحوه مما ذكره الامام ابن فورك في كتاب المشكل له الاتي بيانه وهو كتاب جليل وقال الامام
مالك ما يدعو الناس اي ما يقتضي نقل مثله والى التحدث بمثل هذا الموهم المشكل معناه
فقيل له ان ابن عجلان يحدث بها ويرويها للناس وهو الامام الثقة المحدث ابو عبد الله
محمد بن عجلان الفقيه المدني اخرج له مسلم وغيره روى عن ابيه وعن انس وغيرهما واخرج
مسلم له انما هو في الشواهد وتوفي سنة ثمان واربعين ومائة وقيل ان امه حملت به ثلاثة
اعوام فشق بطنها واخرج وقد نبتت اسنانه وله ترجمة في الميزان وكان مالك لا يرى التكلم
في المتشابهات وهذا محمول على نقلها عند العوام الذين لا يعرفون مثلها فلا وجه للاشكال
بانه كيف يجوز ان يكتم ما صح عنه صلى الله عليه وسلم من غير نهي عن نقله ولو كان مما يجب تركه
لم يحدث به اصحابه الى اخر ما اطال فيه بغير طائل فقال مالك لم يكن ابن عجلان من الفقهاء
الذين يعرفون ما في الحديث من الاحكام والدقائق وكان يحدث الناس بحديث ان الله خلق آدم
على صورته وهو من المتشابه المشكل وفيه تاويلات فقيل ان الضمير لمضروب على وجهه لانه
وقيل ان الصورة لها معان كالحقيقة والصفة كما يقال صورة المسئلة كذا وفيه كلام لهم مشهور
ولم يتابعه الناس وافقوه اي وافقوا الامام مالكا على ترك الحديث اي ترك التحدث بها
اي بالمتشابهات المشكلة وساعدوه المساعدة المعاونة والمراد بها هنا الموافقة على طرحها
اي على رايه في تركها وعدم ذكرها راسا فاكثرها اي الاحاديث المتشابهة المشكلة ليس تحتها
عمل اي ليس مدلولها جملة تحت الالفاظ لخفائها كما يقال ليس تحت هذا الامر فائدة لانها
ليس فيها احكام شرعية وقد علمت ان هذا مذهب لمالك في كراهة الكلام على متشابه الحديث
كما ذهب اليه بعضهم في متشابه القرآن وقد قيل انه لم يوافقه عليه احد فانه لو كان كذلك لم
يحدث به النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه ولم يقل لمعنى وانما هو ابتلاء للراسخين في العلم
ليتعبوا افكارهم ويعملوا انظارهم فيها حتى يطبقوها على المحكم وقد فعلوا جزاهم الله كل خير
وقد حكي عن جماعة من السلف المتقدمين من الصحابة والتابعين بل حكي عنهم اي السلف
على الجملة اي جميعهم انهم كانوا يكرهون كراهة تنزيه الكلام على ما ليس تحته عمل
مما لا يشتمل على الاحكام الشرعية ثم اشار الى جواب سؤال مقدر فقال والنبي صلى الله عليه
وسلم اوردها اي حدث بها موردا لها على قوم من الصحابة فهو جواب عما اشرنا اليه من انها
لو كانت كذلك ما حدث بها عرب بوزن قفل وجمع اي من صميم العرب واهل اللسان فهم
يفهمون كلام العرب يعني ومن جملة ذلك كلامه صلى الله عليه وسلم على وجهه الذي اريد
به من غير التباس وتصرفاتهم بالجر والنصب في حقيقته وما وضع له ومجازه الذي تجوز
به عنه مجازا لغويا او عقليا واستعارته من عطف الخاص على العام لانه مجاز علاقته المشابهة
وبليغه اي ما يورد من فصيحه على مقتضى الحال والمقام وايجازه اي ايراد معانيه
الكثيرة بالفاظ قليلة فلم تكن تلك الاحاديث في حقهم مشكلة لانها لا يخفى عليهم مقاصد

ثم جاء بعدهم من هذه الامة من غلبت عليه العجمة لمخالطته العجم ودخول غير لسان
العرب فقلما تجد عربيا فصيحا بين اظهرهم والعجمة عدم الفصاحة وداخلته الامية
اي الجهل بلسان العرب فليس المراد الامي بالمعنى المشهور فلا يكاد يفهم من مقاصد العرب
في كلامهم العربي الا نصها وتعني بها صريحها دون دقائق رموزها فهو عطف تفسير لها
ولا يتحقق اشاراتها اي لا يفهم دقائقها وتلويحاتها الى غرض الايجاز المقصود منه وهو
عدم بسطه ووحيها بحاء مهملة واصل معناه الرمز قال وحي الملاحظ خيفة الرقباء
وغرض تبليغها للسامع بلا تصريح وتلويحها التلويح هو التعريض والاشارة فتفرقوا
في تاويلها اي صاروا فرقا مختلفة لما ذكر في خفاء المراد منها فذهبت طائفة الى بيان
وتاويلها بما يتضح به معناها او حملها على ظاهرها من غير تاويل لها شذر مذر اسمان
ركبا وبنيا على الفتح كخمسة عشر بشينين وذالين معجمتين وراءين مهملتين مع فتح اولهما
وكسرهما وابدال الميم باء وقيل هو في الاصل من التبذير وهو التفريق ومعناه مبددة متفرقة
اي ذهبوا في المتشابه الى مذاهب وجهات فمن قائل تاوله ومن قائل نبقيه على ظاهره
ومن قائل نؤمن به من غير تعرض لمعناه وكشف قناع وجهه فمنهم اي ممن تفرق شذر مذر من آمن
به اي صدق به وبانه حق ونزهه عن ان يراد به ظاهره ويفوض معناه الى الله ثم فيقف
على قوله الا الله وهم كثير من السلف وهو اسلم ومنهم من اوله بما يليق به وهو اعلم كحديث ينزل
ربنا الى السماء الدنيا والقلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن ومنهم من كفر بسببه للخوض
فيه بما لا يصح ابتغاء للفتنة واضلال الناس وفيه لف ونشر لمن آمن راجع للتاويل ومن كفر
للحمل على الظاهر ونفي مذهب الوقف وهو معلوم مما تقدم • واعلم ان الكلام على المتشابه
من الكتاب والسنة وقع هنا استطرادي اذ ليس مما نحن فيه لانه بصدد وصف النبي صلى
الله عليه وسلم بما يجوز او لا يجوز وليس من المتشابه في شيء لكنه لشبهه في تاويل
بعضه ومنع الخوض فيه لبعضهم فاما ما لا يصح لعدم صحة سنده من هذه الاحاديث
المشكلة فواجب ان لا يذكر منها شيء لعدم صحتها وعدم صحة معانيها سواء كانت في حقه
او في حق انبيائه كما قال في حق الله تعالى ولا في حق انبيائه ولا يتحدث بها رواية
ونقلا لانها اما كذب فيحرم نقله الا لبيان انه كذب وموضوع ولا يتكلف بعد نقلها الكلام
على معانيها بتفسيرها وتوجيه تاويلها والصواب طرحها اي تركها وترك الشغل بها
اي الاشتغال بذكرها وتاويلها والشغل بفتح الشين وضمها وسكون غينه وضمها اتباعا
الا ان يذكر على وجه التعريف والتبيين لمن لا يعرفها فانها ضعيفة المقاد بفتح
الميم والقاف والف ودال مهملة من قدت الدابة في سيرها وهو اسم مكان منه استعير
لطريق روايته وفي نسخة المقالة واهية الاسناد اي اسنادها سهل الضعف
ساقط عن درجة الاعتبار من وهى بمعنى وهن وقيل انه من وهى الثوب اذا تخرق وقد
انكر الاشياخ جمع شيخ بمعنى العالم المقتدى على ابي بكر بن فورك وهو الامام محمد بن
الحسن بن فورك الشافعي المحدث الاصولي وفورك بضم الفاء وراء مهملة واختلف في صرفه
وعدمه كما تقدم توفي سنة ست واربعمائة ودفن بنيسابور تكلفه مفعول انكر
في مشكله اي في كتابه الذي سماه مشكل الحديث في المتشابه الكلام مفعول تكلف اي
التكلم على احاديث ضعيفة موضوعة الظاهر او موضوعة لا اصل لها اي لا نقل لها

ولا سند صحيح يقال كلام لا اصل له اي كذب او منقولة عن اهل الكتاب اي اليهود
والنصارى كبعض قصص الانبيا الذين يلبسون بتخفيف الموحدة اي يخلطون
الحق بالباطل الذي اختلقوه وافتروه كان ينبغيه طرحها اي ترك ذكرها وينبغيه
عن الكلام عليها بتاويلها وتوجيهها التنبيه على ضعفها وان رواتها لم تنقل عمن يعتمد
به اذ المقصود بالكلام على مشكل ما فيها مما يخالف ظاهره الصواب ازالة اللبس
بها اي التباسها على من لا علم عنده واجتثاثها اي قلعها وقطعها بجيم ومثناه وثاءين
مثلثتين واصلها قطع اصول الشجر فاستعير لما ذكر وقوله من اصلها ترشيح فيه تورية
وطرحها اي تركها راسا اكشف اي اظهر وابين للبس من ذكرها وتاويلها واشفي للنفس
اي اكثر شفا من تاويلها وهذا غافل منه فانه بعد شيوعها لا بد من بيانها حتى لا يغتر بها
وفي كتاب بن فورك فوايد جليلة ومعاذ بن ربيعة يعرفها من وقف عليه مع ان في كتابه احاديث
منها ما هو صحيح كحديث نزول الرحمن ومنها ما هو ضعيف نبه على ضعفه كما ذكره في كتابه ه

فصل وما يجب على ما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم وما

لا يجوز عليه كما تقدم بيانه والذاكر من حالاته ما قدمناه في الفصل الذي ذكره
قبل هذا على طريق المذاكرة مع اقرانه والتعليم لمن هو دونه من طلبة العلم ان يلتزم
فاعل يجب اي يلازم من غير ترك في كلامه عند ذكره صلى الله عليه وسلم وذكر تلك
الاحوال التي وقعت له الواجب من توقيره وتعظيمه بما يليق له ويراقب المتكلم في كلامه
الصادر منه حال لسانه بتعبيره بعبارة حسنة ولا يهمله اي لا يترك توقيره ه
ويظهر بتحتية مضمومة او فوقية مفتوحة علامات الادب يجوز نصب علامات ورفعها
عند ذكره حالا ومقالا فاذا ذكر ما قاساه من الشدايد كما وقع له صلى الله عليه وسلم
في ابتداء دعوته واذاية المشركين له ظهر عليه الاشفاق عليه صلى الله عليه وسلم
باظهار شفقته عليه مما اصابه والارتماض اي احتراقه ولوعته وهو بالضاد المعجمة يقال
ارتمض الرجل من كذا اذا اشتد عليه واقلقه والغيظ على عدوه باظهار غضبه وعداوته
لعدوه وظهر عليه مودة اي تمني الفدا للنبي صلى الله عليه وسلم لو قدر عليه اي على
ان يكون فداية له بنفسه واهله وماله من جميع المكاره اي ان يسلم ويحل به ما حل به عوضا
عنه والفدا اذا كسر مد وقصر وقد ينون اذا جاورته اللام نحو فدا لك كما في الصحاح ه
فان فتح قصر وينصب ويرفع وهو دعا له ومن الله تعظيم وتوقير لتنزهه عن معناه والنصرة
له صلى الله عليه وسلم لو امكنه نصره وكان معه واذا اخذ اي شرع في التكلم في ابواب
العصمة اي انواع ما عصمه الله منه وصانه وتكلم على مجاري اي ما جرى له من اعماله
الصادرة عنه واقواله الماثورة عنه صلى الله عليه وسلم تحرى بمهملتين اي قصد
احسن اللفظ وادب بهمزة ممدودة قبل دال مهملة وموحدة افعل تفضيل العبارة
التي يعبر بها اي اكثرها ادبا وتوقيرا ما امكنه اي بقدر امكانه في بذل جهده وقدرته
واجتنب اي ترك في جانبه بشيع ذلك بباء موحدة وشين معجمة اي ما فيه بشاعة وقباحة
يمجها السمع وهجر اي ترك من العبارة ما يقبح كلفظة الجهل والكذب والمعصية
فلا يتكلم بمثلها ولو حكاية صونا لمقامه المصون ثم وضح هذا وبينه بقوله فاذا تكلم في الاقوال

اي فيما يتعلق

اي فيما يتعلق باقواله صلى الله عليه وسلم قال هل يجوز عليه صلى الله عليه وسلم
الخلف في القول والاخبار بكسر الهمزة مصدر اخبر على خلاف ما وقع سهوا او غلطا
سبق به لسانه ونحوه من العبارات من غير تعمد وقصد لانه لا يؤاخذ به والخلف المخالفة لغة
في الوعد قال ما اخلفنا موعدك بملكنا والمراد به تخلف القول مطلقا ولا يقول هل
يجوز عليه الكذب بل يجتنب لفظ الكذب جملة واحدة اي بجميع الفاظه من مصدر وفعل
واسم فاعل ومرادفه كمين واذا تكلم على العلم وما يتعلق به في وصفه به نفيا واثباتا
قال في حقه صلى الله عليه وسلم يجوز عليه ان لا يعلم الا ما علم بالتشديد والبناء للمجهول
اي ما علمه الله عز وجل وهل يمكن ان لا يكون عنده اي في نفسه وعلمه كقوله اولئك
عند الله هم الكاذبون علم بعض الاشيا التي يمكن علمها حتى يوحى اليه ولا يقول
في التعبير عن هذا يجهل وان كان الجهل عدم العلم لقبح هذا اللفظ ونبو السمع عنه ه
اي اشنعه بجانبه في السمع قاله الباقلاني يجوز عقلا كون النبي غير عالم ببعض شرايع
من قبله وبعض المسايل التي يفرعها الفقها والمتكلمون اذا لم تخل بمعرفة التوحيد وكونه
غير عالم بلغات غير قومه وبعض امور الدنيا كالحرف والصنايع وقيده ابن الهمام بما لم يخطر
بباله فان خطرت بباله فلا بد من علمه بها ولو اجتهادا بناء على ان له الاجتهاد والصحيح لا
يقرون على خطا فيه فتامل واذا تكلم في امر الافعال اي افعاله صلى الله عليه وسلم
قال هل يجوز منه في بعض الاوامر التي امره الله بها والنواهي التي نهاه الله عنها
مواقعة اي وقوع بعض الصغاير منه فهو اولى وآدب اي اكثر ادبا من قوله
هل يجوز ان يعصي او يذنب او يفعل كذا وكذا كناية تادبا عما يكون من انواع
المعاصي فهذا اي ترك الالفاظ القبيحة والتعبير بغيرها من توقيره صلى الله عليه وسلم
وتعظيمه وما يجب له من تعزير بزاي معجمة وراء مهملة اي تعظيم في نفسه واعظام
عند غيره زاده الله شرفا وتعظيما وفي قوله من توقيره اشارة الى ان كل تعظيمه لا يمكن ان
يحيط به العبارة قيل وليته اتى به في تسمية كتابه فقال الشفا في بعض حقوق المصطفى
وفيه نظر وقد رايت بعض العلما لم يتحفظ من هذا اي لم يتركه فقبح بالتشديد ويجوز
تخفيفه ولم استصوب عبارته فيه مما يتحفظ منه اي لم اعده صوابا ورايت بعض
الجايرين اي المايلين عن الانصاف وجوز بعضهم اهماله من الحيرة قوله بتشديد الواو
من التقول وهو تكلف القول والافترا عليه لاجل ترك التحفظ في العبارة باتيانه
بعبارة قبيحة ما لم يقله مصدر لقوله قوله من معناه اي قولا لم يقله وشنع ذلك البعض
عليه اي على ما لم يتحفظ بما ياباه اي يعيبه في حقه صلى الله عليه وسلم ويكفر قايله
اي ينسبه للكفر جورا منه عليه واذا كان مثل هذا من رعاية الادب جاريا بين الناس
في محاوراتهم ومصاحباتهم مستعملا في ادابهم في مخاطباتهم ومكاتباتهم وحسن
معاشرتهم اي اختلاط بعضهم ببعض كالعشاير وخطابهم الجاري بينهم فاستعماله
في حقه صلى الله عليه وسلم اوجب اي احق واولى وحمله بعضهم على ظاهره فقال انه
فرض ثم ذكر هنا الخلاف بين الشافعية والحنفية في الفرق بين الفرض والواجب والقول
بترادفهما وليس هذا محله وما ذكرناه في ظاهر كلام المصنف في عدة من الاداب والتزامه
اكد بالمد افعل تفضيل من التوكيد او التاكيد بابدال همزته الفا فجودة العبارة

بفتح الجيم مصدر جاد الشيء فهو جيد كانه لم ير شيئا من حسنه الا ابداه تقبيح الشيء
اي عمل القبح فيجعله بحسن العبارة او تحسينه اي بجعله حسنا وان اخر معناهما وهذا
ما ذكره اهل المعاني والبلاغة كما قيل في العسل

تقول هذا مجاج النحل تمدحه • وان تعبه تقل قيء الزنابير •

وتسميه اهل المنطق المعاني الشعرية والشعر عندهم الامر المبني على التخييل نحو الخمر جوهرة
مذابة كما بينه ابن هلال في كتاب الصناعتين وتحريرها اي جعل العبارة محررة منقحة
وتهذيبها اي تخليصها مما لا يحسن قوله يعظم الامر اي يصيره عظيما وان كان هينا
او يهونه اي يجعله هينا وان كان عظيما في نفسه كمدح الموت او القتل الواقع في كلام
شعراء العرب فكم حمل على الالقاء في التهلكة ومدح المال المحسن للشح به وللثعالبي والجاحظ
كتاب في مدح كل شيء وذمه وهو معروف بين اهل الادب وهذا اي لاجل ان جودة العبارة
تحسن القبيح وتقبح الحسن قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ان من البيان لسحرا
البيان بمعنى الفصاحة واللسن ممن له ذكاء وفطنة وقيل هو الكلام المنقح المعرب الى الافهام
المبين له احسن تبيين واقربه والسحر كما قال الراغب يطلق على معان احدها اخداع وتخييلات
لا حقيقة لها كالشعوذة قال تعالى يخيل اليه من سحرهم انها تسعى ومنه ما يكون بمعاونة الشيطان
وما قيل انه يغير الصور والطبايع لا اصل له وقيل انه ثابت واما في الحديث فهو استعارة
اي كالسحر في الرقة وصرف العقول والاسماع ولذا قيل فيه انه هنا يحتمل المدح والذم فقال
ابن قرقول انه اورده مورد الذم لشبهه بعمل السحر في قلب القلوب وجلب الافئدة وتحسين
القبيح وتقبيح الحسن واصله في كلام العرب الصرف يقال سحره اذا صرفه وصيره كمن
عن له ويشهد له قوله في الحديث لعل بعضكم يكون الحن بحجته من بعض فيكسب به من الاثم ما
يكسبه الساحر بعمله فهو ذم وقيل انه ورد مورد المدح اي يميل به القلوب ويرضى به الساخط
ويستنزل به الصعب ولذا قيل له السحر الحلال ويشهد له قوله ان من الشعر لحكمة وقد ادخل مالك
الحديث في باب ما يكره من الكلام والظاهر انه في الحديث محتمل للامرين وبه يحسن سياق المص
ويقع في محزه   واعلم ان ما ذكره المص باب عظيم من ابواب البلاغة وهو ان الكلام المتحد المعنى
يختلف باختلاف العبارة كما حكي عن الرشيد انه راى في منامه ان اسنانه كلها وقعت ولعبره
ذهاب الاعوان والانصار فطلب معبرا يعبر رؤياه فاتي له برجل فعابر فقال يموت اولادك
واحبابك وترى مصيبتهم فامر بقتله ثم اتي باخر فقال عمرك اطول من عمر اهلك
وحواشيك واحبابك فامر ان يحشى فوه درا وله نظاير كثيرة في كتب البلاغة ولكل لفظ موقع
لا يقع فيه مراد فه كما بينه الثعالبي في كتاب فقه اللغة فاما ما اورده اي المتكلم في حقه
صلى الله عليه وسلم مما لا يجوز عليه على جهة النفي عنه اي ان يكون منفيا عنه والتنزيه
له بنفيه عنه فلا حرج اي لا ضرر ولا تضييق فيه مع نفيه في تسريح العبارة اي
اطلاقها من غير احتراز وتصريحها فيه كقوله لا يجوز عليه الكذب جملة اي في جميع اقواله
واحواله فذكر الكذب مع النفي لا منع فيه ولا اتيان الكباير بوجه من وجوهها فذكر الكباير
مع النفي لا ينافي الادب ولا يصدر عنه الجور في الحكم على حال من الاحوال كالرضى والغضب
ولكن مع هذا اي تجويز مثله في النفي يجب ظهور توقيره وتعظيمه وتعزيره عند ذكر
مثل هذا الكلام في النفي وقد وجب توقيره مع ذكره مجردا من صفات لا تليق به فكيف بهذا

فيعلم بالطريق الاولى وقد كان السلف يظهر منهم حالة تشديدة عند مجرد ذكره
صلى الله عليه وسلم من بكا ورعدة لمهابته وتغير لون وتواجد كما قدمناه في القسم
الثاني وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك التوقير والتعظيم عند تلاوة آي بالمد جمع آية
من القران حكى الله فيها مقال عداه الضمير لله تعالى فهو تنظير لا تمثيل ويحتمل عوده للنبي
صلى الله عليه وسلم اي ما ذكر فيه اعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقايعه فهو تمثيل
لما عن بصدده وذكر من كفر باياته اي آيات الله عز وجل او معجزات رسله فالضمير له ايضا
وافترى عليه الكذب اي اخترعه واختلقه فكان يخفض بها صوته في الايات التي حكي فيها
ذلك كانه خالف من اظهاره اعظاما لربه واجلالا له بتوقيره واشفاقا اي خوفا على
نفسه وحذرا من التشبه بمن كفر به في اجراء ما ذكر على لسانه وتلبسه بما تلبسوا به وفي
نسخة سبحانه لا اله الا هو العلي العظيم المتعالي عما يقوله الجاحدون علوا كبيرا وخفض
الصوت المذكور محكي عن ابراهيم النخعي رحمه الله كما في التبيان وما قيل من ان سلب المحبة
يقتضي قابليته وانه من شانه مما لا ينبغي ذكره كما لا يخفى

الباب الثاني

من هذا القسم الرابع في حكم شانئه شرعا وشانيه اي مبغضه والمراد من يبغضه لبغضه
وعداوته له ومنتقصه اي ذكر ما فيه نقص له صلى الله عليه وسلم ومؤذيه وفي ذكر
عقوبته التي يستحقها وذكر استتابته اي هل تقبل توبته ام لا ووراثته اي هل تورث
امواله ام لا قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه قد قدمنا في هذا الكتاب ما هو سبب
واذى في حقه صلى الله عليه وسلم وذكرنا فيما تقدم ايضا اجماع العلما على قتل فاعل ذلك
المذكور من السب والاذية وتقدم ايضا الكلام على هذا الاجماع وقايله اي من يقوله ويتكلم
به وتخيير الامام في قتله بالسيف او صلبه تشهيرا له بين الناس على منوال ما ذكرنا
متصلا وقررنا اي ذكرنا الحجج اي الادلة من الكتاب والسنة القايمة عليه وبعد مبني على الضم
اي بعد ما ذكرناه فاعلم انه المخاطب بما ذكرناه من كل من يقف ان المشهور من مذهب
الامام مالك واصحابه من اهل مذهبه وقول السلف من الصحابة والتابعين وجمهور
العلما اي اكثرهم قتله حدا وهي وما بعدها شادة مسد مفعولي علم حدا لا انه حد قذف
مخصوص بالانبيا كما تقدم لا كفرا اي لا يقتل بسبب كفره لانه ردة ان اظهر التوبة منه
اي مما قاله لانه ان اصر عليه يكون كافرا ولهذا اي لكون قتله حدا لا تقبل توبته عندهم
لان الحدود لا تسقط بالتوبة وانما تنفعه توبته في الاخرة ان اخلص فيها ولم تكن تقية
ولا تنفعه استقالته اي طلبه الاقالة من ذنبه وما قاله وهي في معنى التوبة ولا فيئته
بالفاء والهمزة المفتوحتين بينهما يا ساكنة وتاء التانيث اي رجوعه عما صدر منه كما قدمنا
قبل اي قبل هذا وحكمه شرعا حكم الزنديق وهو مظهر الاسلام ومسر الكفر اي مبطنه ومخفيه
في سره وباطنه في هذا القول الذي قاله من السب وقيل المراد به القول المشهور عن مالك
واصحابه ومن وافقهم عليه وغيرهم يقول تقبل توبته ولا يقتل وسوا كانت توبته على هذا
القول المشهور عن مالك بقتله حدا بعد القدرة عليه باخذه من جانب الحاكم والشهادة عنده
على ثبوت قوله الذي استحق به القتل او جاء تايبا من قبل نفسه بدون اخذ له وقيل بكسر القاف

وفتح الباء بمعنى جهة لانه حد وجب عليه شرعا بسبب قذفه والحد لا يسقطه التوبة
كسائر الحدود مثل حد الزنا والسرقة وكون الحدود لا تسقط بالتوبة ليس على اطلاقه
متفق عليه وانما هو فيما اذا كان محض حق الادمي اما ما هو حق لله ففيه خلاف وسياتي تفصيل
هذا الحكم ان شاء الله تعالى وقال الشيخ ابو الحسن القابسي الذي قدمنا ترجمته اذا اقر
بالسب له صلى الله عليه وسلم او لغيره من الانبيا عليهم الصلاة والسلام وتاب منه
برجوعه عنه وندمه وقبلت منه واظهر التوبة قتل بالسب اي بسببه صلى الله عليه
وسلم او لغيره من الانبيا عليهم الصلاة والسلام لانه هو حده اي حد هذا السب المخصوص
بالانبيا وقال ابو محمد بن ابي زيد رحمه الله القيرواني المالكي شيخ المذهب كما تقدم في ترجمته
مثله اي مثل قول القابسي واما ما بينه وبين الله تعالى في الاخرة اذا اخلص في توبته
فتوبته تنفعه عند الله تفضلا منه فانه يقبل التوبة من عباده وقال ابن سحنون تقدم
بيانه ايضا من شتم النبي صلى الله عليه وسلم بذكر ما فيه نقص لمقامه الشريف من الموحدين
المراد بهم المسلمين فيخرج اهل الكتاب ثم تاب عن ذلك ورجع عنه لم تزل بضم اوله مضارع
ازال التوبة عنه اي عن فاعله القتل لانه حد كما تقدم وكذلك اي كما اختلف فيمن سب قد
اختلف في الزنديق اذا جا تائبا من نفسه قبل الاخذ فحكى القاضي ابو الحسن بن القصار
تقدمت ترجمته في ذلك الذي جاء تائبا قولين في مذهب مالك قال ابن القصار من
شيوخنا وفي نسخة منهم اي من اصحاب مالك من قال اقتله وجوبا باقراره بسببه او بانه
زنديق لانه قبل اقراره يقدر على ستر نفسه باخفاء حاله ومقاله فلما اعترف خفنا انه
خشي الظهور عليه بالاطلاع على حاله فبادر اي اسرع قبل اخذه لذلك الاعتراف تقية
لا رجوعا وندما على ما صدر منه ومنهم اي من مشايخنا من ائمة المالكية من قال اقبل توبته
لاني استدل حكاية للفظ هؤلاء على صحتها اي توبته بمجيئه بنفسه من غير طلب فكانا
وقفنا بظاهر حاله على باطنه وما اسره في قلبه بخلاف من اسرته البينة اي
شهدت عليه والزمته حتى كانه اسير في وثاق قال القاضي ابو الفضل عياض رحمه الله
وهذا القول الثاني قول اصبغ من المالكية ومسئلة ساب النبي صلى الله عليه وسلم
اقوى في حكم القتل من مسئلة الزنديق لانه حق الله وهذا ترجيح منه للقول الثاني لسعة
الاول بينهما لا يتصور فيه الخلاف الذي في الزنديق على الاصل والقاعدة الفقهية
من المسامحة في حقوق الادمي المتقدم بيانه لانه اي سب النبي صلى الله عليه وسلم حق
متعلق للنبي صلى الله عليه وسلم وحق لامته بسببه لانهم كورثته في ارث حقوقه
لا تسقطه التوبة كسائر حقوق الادميين التي لا تسقط الا برضى الخصم والزنديق
حكمه اذا تاب بعد القدرة عليه باخذه بعد العلم بانه زنديق فعند مالك والليث
ابن سعد واسحاق بن راهويه واحمد بن حنبل لا تقبل توبته ولا يسقط بها قتله
وعند الشافعي تقبل وما نقله المصنف عن الشافعي هو الصحيح من اقوال خمسة مفصلة في
كتب الفقه واختلف اي اختلف النقل فيه عن ابي حنيفة وابي يوسف من اصحابه وتوجيهه
مشهورة لا حاجة للتطويل بها وحكى ابو بكر بن المنذر الامام الحافظ المشهور كما تقدم
عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه انه اي الزنديق يستتاب اي تقبل توبته ان تاب
بعد القدرة والا قتل وقال محمد بن سحنون ولم يزل بفتح اوله وضم ثانيه مبنيا للفاعل

مضارع من الزوال اي لم يذهب ويسقط القتل عن المسلم الذي سب النبي صلى الله
عليه وسلم بالتوبة والرجوع عن سبه بعد صدوره منه لانه لم ينتقل من دين هو حق
الى غيره هو دين باطل فليس مرتدا وانما هو على دين الاسلام لكنه صدر عنه ما يوجب
الحد عليه وانما فعل شيئا وهو السب الموجب للحد وحده عندنا القتل والحدود لا تسقط
بالتوبة كما تقدم لا عفو فيه لاحد لان حدود الله لا يسامح فيها فهو من هذا الوجه كالزنديق
المظهر للاسلام لانه اي الزنديق لم ينتقل من ظاهر في الحقيقة الى ظاهر في الباطلية
غيره لبقاء ظاهر اسلامه على حاله قيل في تعليله هذا نظر لانه ان اراد انه لم ينتقل لدين
نبي آخر كموسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام يرد عليه انه لو صار مشركا تقبل توبته وظاهره
ان من لم ينتقل لدين لا تقبل توبته وفيه نظر وحكم الزنديق مفصل في الفروع والمصنف لم
يفصل في السب بين القذف وغيره والشافعية لهم فيه تفصيل وفرق بينهما الا ان المصنف
نقل ما في مذهبه وهو ثقة فيه لا يعترض عليه بمذهب غيره وسنفصله في آخر هذا الباب
بما يشفي الصدور وقال القاضي ابو محمد بن نصر تقدم بيانه محتجا لسقوط اعتبار
توبته اي توبة من سب النبي صلى الله عليه وسلم والفرق بينه وبين من سب الله تعالى
فانه تقبل توبته وكان الظاهر خلافه لانه اشد والله تعالى اجل واعظم وقد ذهب الاكثر الى قبول
توبة من سبه على مشهور القول باستتابته وقبول توبته والفرق على هذا ان النبي
صلى الله عليه وسلم بشر والبشر جنس من شانه في الجملة انهم يلحقهم المعرة وهي النقيصة
التي يلحق صاحبها عار قال في المصباح المعرة المساءة والاثم من قولهم عره بالشر يعره
من باب قتل كطعنه او هو من العر بمعنى الجرب فاستعير لما ذكر فهذا يجوز ان يلحق بعض البشر
الا من اكرمه الله بنبوته فانه وان كان من البشر لكن الله عصمه وحفظه عن ان تلحقه
معرة ونقص كغيره من البشر والباري بمعنى الخالق وهو الله تعالى منزه ومبرأ عن
جميع المعايب قطعا اي بدليل عقلي لا يتردد فيه عاقل وليس من جنس اي ليس له جنس
يكون منه لانه واحد احد في ذاته وصفاته ليس كمثله شيء ولا ماهية له ولا حد فلا يكون
من جنس تلحق المعرة جنسه بلحوق بعض افراده المعرة فيتوهم نسبة نقص له فلكونه متعلق
الانتقام ينظر اليه وجاز قبول توبة من سبه بخلاف البشر وليس هذا لان سب الله اهون
من سب غيره وهو مناف لقوله في نسبة الولد له تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض
كما توهم بل لانه لظهور تقدسه وتنزهه لا يلحقه بكلام من لا عقل له نقص ولو عند العقول
القاصرة فلا يبالي بجهله وهو ضرب من الهذيان وهذا مكابرة فيما قرره الفقها ناشئ من عدم
الاذعان وهو حق الله اكرم الاكرمين وحقوق الله تقبل العفو وليس سبه صلى الله عليه
وسلم كالارتداد المقبول فيه التوبة وسبه لا تقبل فيه التوبة على قول كما تقدم لان
الارتداد بخروجه عن دينه معنى ينفرد به المرتد اي يختص به في نفسه لا حق فيه لغيره
من الادميين يتوقف قبوله على رضاه فقبلت توبته اي المرتد لهذا ومن سب النبي صلى الله
عليه وسلم يتعلق فيه اي بسبب سبه حق لادمي وهو النبي صلى الله عليه وسلم فكان
من سب النبي صلى الله عليه وسلم كالمرتد يقتل بينا للفاعل اي يقتل المرتد رجلا آخر حين
ارتداده وفي نسخة حال ارتداده فحينئذ يتعين قتله لحق الادمي الذي قتله قصاصا او
يقذف حال ردته فلا بد من اقامة الحد عليه لتعلق حق الادمي به حينئذ فان توبته اي توبة

المرتد التي قتل او قذف حال ردته لا تسقط توبته عنه حد القتل والقذف لانه
حق آدمي غيره وهذا هو الاصح في المرتد انه لابد من استتابته والكلام عليه مفصل في الفروع
وفيه خلاف لبعضهم وايضا مما يدل على الفرق بين المرتد والساب فان توبة المرتد اذا قتلت
فاسقطت قتله من حيث هو مرتد لا تسقط توبته ذنوبه من غير الردة من زنا او سرقة
او غيرها من حقوق الآدميين وانما تثبت اسلامه ولم يقبل ساب النبي صلى الله عليه وسلم
لكفره فيكون ردة كما قيل لكن لمعنى يرجع ويعود الى تعظيم حرمته وحفظ مقامه باحترامه
وتوقيره ويرجع الى زوال المعرة وذلك لا تسقطه التوبة لانه متعلق بعرضه فهو حق
له كحقوق الآدميين وهذا هو القول الصحيح عند الجمهور والشافعي وغيره وفي قول انها
تسقط ايضا لقوله في الزنا فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما وفي السرقة فمن تاب من بعد
ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه ولا خلاف في سقوطها فيما بينه وبين الله بعدم مؤاخذته بها
وعليه يحمل ما ذكر وقال النووي في الروضة سقوط الحدود بالتوبة قول ضعيف (ح)
قال القاضي ابو الفضل المصنف رحمه الله تعالى تعقيبا لما تقدم من ان سبه صلى الله عليه وسلم
ليس بكفر يريد والله اعلم لان سبه صلى الله عليه وسلم لم يكن بكلمة تقتضي الكفر كما
بنبوته ونحوه فهذا ليس محل الخلاف وعليه يحمل ما ورد من الحكم بكفره واما قوله صلى الله عليه
وسلم لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه فمعناه لا يكمل اسلامه كغيره من النصوص
فمن توهم منافاته لما ذكره المصنف فقد قصر فالسب له مراتب تختلف احكامه ولكن المراد
بالسب المذكور ما يكون بمعنى الازدراء والاستخفاف اي بذكر فيه تنقيص لمقداره
واذية غير شديدة اولان من صدر عنه ذلك القول بانه كفر بنبوته ورجوعه كما قاله
وانابته اي رجوعه الى الحق ارتفع عنه اسم الكفر كالمرتد اذا اسلم لا يسمى كافرا
ظاهرا ونحن انما نحكم بالظاهر والله تعالى اعلم بسريرته فان الله عز وجل هو العالم
بالسرائر وبقي حكم السب عليه لم يرتفع فيقتل حدا فلو اصر فهو كافر وفي قوله الازدراء او
استخفاف نظر لان الازدراء به صلى الله عليه وسلم والاستخفاف به كفر بل من اعظم الكفر
فاستمر لكنه ليس في محله ثم انه قيل اذا كان حدا كيف يترك والحدود لا يتسامح فيها كما تقدم
وقد ترك النبي صلى الله عليه وسلم قتل بعض من سبه واذاه الا ان يقال انه من خصائصه
جواز تركه اذا كان له فيه حق الا ان هذا يعود على الدليل بالنقض فلا يتم الجواب به ولا يلزمه
ان يكون مقتولا بالكفر الباطن وهو لا يحكم به كما قيل وقال ابو عمران القابسي وفي نسخة
الفاسي وقد تقدم بيانه من سب النبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتد عن الاسلام باظهار
خروجه منه قتل ولم يستتب اي لم تطلب توبته ولم تقبل لان السب من حقوق الآدميين
التي لا تسقط عن المرتد وان تاب لكن توبته اذا اظهرها واخلص فيها نفعته في الآخرة وكلام
شيوخنا المالكية هؤلاء المنقول عنهم آنفا وغيرهم مبني على القول بقتله اي الساب حدا
في قذف الانبياء لا كفرا بردته الا ان مجرد هذا لا يكفي في تحقيق ما قالوه وهو يحتاج الى
تفصيل اكثر مما قالوه وهذا مبني على عدم كفره والفرق بين القتل حدا وكفرا وكلاهما مشكل
وقال السبكي في السيف المسلول ان قتل المرتد عقوبة خاصة رتبها الشرع على خصوص
الردة كالرجم على الزنا فقتل المرتد حد وسقوطه بالتوبة لا ينافيه فان الرجم حد بالاتفاق
مع الاختلاف في سقوطه بالتوبة ومن ظن ان من سماه حدا لا يسقطه بالاسلام فهو غالط

فالساب

فالساب المسلم مرتد والكلام فيه كالكلام في المرتد وان قتله كقتله حدا انتهى ومنه يعلم ما له
ما في كلام المصنف في هذا الفصل وانه فرق بين الحد وقتل الكفر وهو غير مسلم ايضا واما
بانه كيف يكون حدا مع انه صلى الله عليه وسلم ترك بعض قتل الناس ممن سبه والحدود لا
يمكن تركها فغير مسلم على اطلاقه فان ما لا يعفى عنه منها ما هو حق الغير واما حق نفسه
صلى الله عليه وسلم فليس كذلك كما مر واما على رواية الوليد بن مسلم الذي قدمنا نص جملته
عن مالك ومن وافقه على ذلك ضمير وافقه لمالك او للوليد ممن ذكرناه فيما تقدم
وقال به من اهل العلم فقد صرحوا انه اي سب الرسول صلى الله عليه وسلم ردة وكفر
قالوا ويستتاب منها فتقبل توبته كغيره ممن ارتد فان تاب نكل بصيغة المجهول مشددا
اي عوقب بتعزيره وضربه ونحوه وان ابى التوبة فلم يتب قتل فيحكم له بحكم المرتد مطلقا
اي باي وجه كانت الردة فحكمها ما ذكر في هذا الوجه على هذا القول الذي رواه الوليد
عن مالك والوجه الاول من انه يقتل حدا لا كفرا اشهر واظهر لما قدمناه في توجيهه
ونحن نبسط الكلام نفصله ونوضحه فيه اي في سبه صلى الله عليه وسلم فنقول
من لم يره اي من لم يعتقد ويذهب الى انه ردة وكفرا فهو يوجب القتل فيه حدا لا كفرا
وانما يقول ذلك مع فصلين اي في وجهين وصورتين مخصوصتين نفصله ونميزه عن
غيره اما مع انكاره بما شهد به عليه من سبه صلى الله عليه وسلم ولاجل انكاره لم يحكم
بكفره لكن لما قامت البينة العادلة عليه او مع اظهاره الاقلاع افعال من القلع وهو الترك ع
ارتد به الترك بالكلية والرجوع عنه والتوبة عنه هو عطف تفسير فنقتله حدا كما تقدم
لثبات كلمة الكفر عليه لثبوت ده امضاها الحاكم عليه في حق النبي صلى الله عليه وسلم
بسبه له فيجعل حد قاذف الانبياء وهو القتل وتحقيره ما عظم الله من حقه الذي اوجبه
على عباده واجرينا حكمه اي حكم الساب المنكر حكم الزنديق اذا ظهر عليه وانكر وتاب في
ميراثه فورثناه ورثته منه لظاهر اسلامه وغير ذلك من حقوق المسلمين ثم استشعر
سؤالا بانه كيف لا يحكم بكفره بعد ثبوت تكلمه بكلمة التي هي الكفر واجاب عنه بقوله
فان قيل كيف تثبتون كلمة الكفر ويشهد بصيغة المفعول اي يشهد الشهود وفي نسخة ح
ويشهدون عليه بما قاله من تلفظه بكلمة الكفر في سبه النبي صلى الله عليه وسلم
ولا يحكمون عليه بحكمه اي بحكم الكافر المرتد من الاستتابة وتوابعها من ترك قتله اذا
تاب ونحوه قلنا في الجواب عن هذا السؤال نحن وان اثبتنا له حكم الكافر في القتل
اي في قتله كالمرتد فلا نقطع اي نجزم بالحكم عليه بذلك اي بكفره لاقراره بالتوحيد
واتيانه بكلمته واقراره بالنبوة اي بان محمدا نبي الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وانكاره
ما شهد به عليه من السب والتحقير او زعمه بتثليث اوله اي ادعائه ان ذلك الذي
صدر منه كان منه وهلا اي خطأ وذهولا منه وهو بفتحتين وهل الى الشيء يهل بالكسر
كيعد اذا ذهب وهمه اليه او من وهل بالكسر يوهل اذا غلط وسها ومعصية اي زعمه انه
معصية لما سبق اليه وهمه من غير تعمد منه وانه مقلع عن ذلك اي راجع عنه نادم
عليه اي على ما صدر عنه واجاب عن سؤال تقديره فكيف يثبت له احكام الكفر مع اسلامه
بقوله ولا يمتنع شرعا اثبات بعض احكام الكفر كالقتل على بعض الاشخاص وان لم
تثبت له خصائصه اي ما يختص بالكفر في ميراثه وغيره كقتل تارك الصلاة عند

القايل به كالشافعي رضي الله عنه وهذا اذا تركها كسلا وتهاونا لا جحدا لها
فانه كفر بالاتفاق وعلى ما تقرر من مذهب الشافعي قال السبكي في طبقاته للمزني
فيه اشكال صعب فان هذا لا يتصور لانه اما ان يكون على ترك صلاة مضت اولم تات
والاول باطل لان المقضية لا يقتل تاركها والثاني كذلك لان له التاخير ما لم يخرج الوقت
فكيف يقتل وقد اجيب عنه بوجوه الاول انه وارد في التعزير والضرب فالجواب الجواب
وهو حل الثاني انه على الماضية لانه تركها بلا عذر ورد بان القضا لا يجب على الفور
ولان الشافعي لا يقتل بالمقضية مطلقا ومذهب اصحابه انه لا يقتل بالامتناع عن القضا
الثالث انه يقتل بالموداة في آخر وقتها ويلزمه ان المبادرة الى قتل تارك الصلاة
احق منها الى المرتد اذ يستتاب وهذا لا يستتاب ولا يمهل اذ لو امهل صارت مقضية وقد مر
ما فيه انتهى اقول قد يقال مراده من اعتاد ذلك بقطع النظر عن كونها اداء او قضا لما فيه
من تهاونه بما هو عماد الاسلام والمفترض فرضها في صلاة واحدة فتدبر **واما من علم انه سبه**
صلى الله عليه وسلم **معتقدا استحلاله** اي وهو يعتقد ان سبه يحل له مع حرمته اجماعا
فلا يشك في كفره بذلك اي باعتقاده حل ما حرمه الله ومما ذكره من ان سبه انما يكفر
اذا استحله صحح بعضهم خلافه وقال الصحيح انه يكفر مطلقا وهو الظاهر **وكذلك** لا يشك
في كفره اذا **كان سبه كفرا** اي ما سبه به فان انواع السب متفاوتة **كتكذيبه** اي ادعاء
كذبه فيما بلغه عن ربه **وتكفيره** اي قوله انه صلى الله عليه وسلم كفر **ونحوه** فانه متضمن لعدم الايمان
به صلى الله عليه وسلم وهو عين الكفر **فهذا مما لا اشكال فيه** اي في الحكم بكفره لما عرفته
ويقتل انه لم يتب بل **وان تاب منه** لكن قتله مع عدم وصمة لردته به **لانا لا نقبل توبته**
قبولا يرفع عنه القتل **ونقتله بعد التوبة حدا** لا كفرا لرجوعه عنه وانما نقتله **لقوله**
الذي صدر منه **ومتقدم كفره** قبل توبته صيانة لمقام النبوة كما قيل ؎

• لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى • حتى يراق على جوانبه الدم •

وهذا احد المذهبين فيه عند الشافعي والآخر انه اذا قبلت توبته واقلع عنه لا يقتل
وهذا حكمه في الدنيا **وامره بعد** اي بعد قبول توبته في الاخرة مفوض **الى الله المطلع**
على صحة اقلاعه واخلاص طويته في توبته **العالم بسره** وما اضمره في قلبه من عقيدته
وكذلك من سبه ولم يظهر التوبة واعترف بما شهد به عليه وصمم اي بقي ثابتا
ملازما لقوله **عليه فهذا كافر** بلا خلاف في كفره وقتله **بقوله** الصادر عنه **وباستحلاله**
هتك حرمة الله وحرمة نبيه صلى الله عليه وسلم والحرمة ما يجب احترامه وتوقيره وهتكها
بتركها واظهار ما يخالفها **يقتل كافرا بلا خلاف** في كفره وقتله **فعلى هذه التفصيلات**
المذكورة **خذ كلام العلما** اي اعلم واعتمد ما نقل عن علماء الامة من اصحاب المذاهب على الاصح
عندهم ونحوه مما يعدم امر بخاء وذال معجمتين من الاخذ وقيل انه بحاء مضمومة وذال مهملتين
مشددة اي اعتبر حدوده **ونزل** اي احمل **مختلف عباراتهم** المنقولة عنهم في كتبهم **في**
الاحتجاج عليه فعدم القتل ينزل على بعض الصور ووجوبه ينزل على بعض آخر مما فصله
واجر اختلافهم المنقول عنهم **في الموازنة** اي تعيين احكامه وتطبيق بعضه على بعض
كما تعلم المقادير بوزنها **وغيرها** بمخالفة البعض لغيره **على ترتيبها** اي ترتيب التفصيلات
المتقدمة **يتضح لك مقاصدهم** نفيا واثباتا بالتوفيق بينهما **ان شا الله** تعالى ؎ •

نظر
اذا قلت

• فصل اذا قلنا بالاستتابة •

ان سب النبي صلى الله عليه وسلم وساير الانبيا **حيث تصح** اي في محل حكم بصحتها
فيه لنفعها **فالاختلاف فيها** اي الاستتابة **على الاختلاف في توبة المرتد** لاشتراكهما
في الكفر بعد الاسلام **لا فرق بينهما** عند مالك واصحابه ولو قال استتابة المرتد كان
احسن لانه اذا جاء تايبا من نفسه لم يجر فيه هذا الخلاف **وقد اختلف في وجوبها وصفتها**
اي كيفية الاستتابة على اي وجه تكون **ومدتها** التي يمهل فيها **فذهب جمهور العلما** اي
اكثرهم **الى ان المرتد يستتاب** اي يطلب منه التوبة عن ردته **وحكى ابن القصار**
من ايمة المالكية وقد تقدمت ترجمته **انه اجماع من الصحابة** في زمنهم رضي الله عنهم اجمعين
ثم بين الاجماع بانهم اتفقوا **على تصويب قول عمر** رضي الله عنه **في الاستتابة** حين حكم بها
ولم ينكره واحد منهم ولم يخالفه فيه احد **وهو قول عثمان** بن عفان رضي الله عنه **وعلي**
ابن ابي طالب كرم الله وجهه **وابن مسعود** من الصحابة ثم ذكر من تابع الصحابة عليه
من كبار التابعين ولذا غير اسلوبه فقال **وبه قال** اي افتى واعتقد **عطا ابن رباح**
كما تقدم **وابراهيم النخعي** بفتح الخاء المعجمة وسكنها بعضهم تخفيفا **وسفيان الثوري**
ومالك واصحابه والاوزاعي نسبة للاوزاع قبيلة كما تقدم **والشافعي واحمد بن حنبل**
واسحاق بن ابراهيم بن راهويه **واصحاب الراي** قال النووي المراد باصحاب الراي
في عرف اهل خراسان من الشافعية ابو حنيفة واصحابه وهي عبارة غير لايقة ان قصدوا
انهم يتبعون آراهم ولا يتقيدون بنصوص الاحاديث فان اريد شدة ذكايهم في استنباط
الاحكام كما قال المتنبي ؎

• الراي قبل شجاعة الشجعان • هو اول وهي المحل الثاني •

ابن عمير بن قتادة بن سعد الليثي وهو ثقة اخرج له الستة وتوفي سنة اربع وسبعين
والحسن في احدى الروايتين عنه والاخرى موافقة الجمهور فيه **الى انه لا يستتاب**
فيقتل **وقاله عبد العزيز بن ابي سلمة** بفتحتين وهو المعروف بالماجشون كما تقدم وهو
امام معظم مشهور توفي سنة اربع وعشرين ومائة والحسن هو عبد العزيز بن ابي سلمة العمري
وذكره عن معاذ بن جبل الانصاري الصحابي اي رواه عنه **وانكره سحنون عن معاذ**
اي انكر روايته عنه **وحكاه الطحاوي عن ابي يوسف وهو قول اهل الظاهر** اي
من مذهبهم الاخذ بظاهر الادلة وهو مذهب داود بن محمد الظاهري ومن تبعه كابن حزم
قالوا انه لم يستتب **تنفعه توبته عند الله** في الاخرة لانه ليس بكافر **ولكن توبته**
لا تدراه اي تدفع وترفع **عنه القتل** عند الحاكمين بقتله حدا **لقوله صلى الله عليه وسلم**
في حديث رواه الشيخان عن ابن عباس من بدل دينه فاقتلوه وظاهره يقتضي المبادرة
لقتله من غير استتابة والقايل بخلافه يقول انه لم يتب لقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا
يغفر لهم ما قد سلف الى غير ذلك من الادلة **وحكي ايضا عن عطا** بن ابي رباح **ان كان**
المرتد والتايب **ممن ولد في الاسلام** بان ولد مسلما وكان بين اظهر المسلمين **لم يستتب**
لانه غير معذور في مثله **ويستتاب الاسلامي** اي من ولد كافرا ثم طرا عليه الاسلام
لقيام شبهة عنده بما كان في طبعه من الكفر فيعذر وبتالف **وجمهور العلما على ان المرتد**

فلا باس به
وذهب طاوس بن كيسان
اليمني **ومحمد بن الحسن**
وعبيد صح

المرتدة في ذلك اي في القتل بالردة سواء لا فرق بينهما وروي عن علي رضي الله عنه
موقوفا عليه وهو مذهبه لا تقتل المرتدة وتسترق او تحبس لما ورد في الحديث عن قتل
النسا وقاله عطا وقتادة وروي عن ابن عباس لا تقتل النسا في الردة اي بسببها
ولاجلها وبه اي بهذا المذهب قال ابو حنيفة وروي عن مالك ايضا القول به وفي نسخة
وقاله مالك رحمه وقد علمت ان مذهب الحنفية انها لا تقتل بل تحبس ودليله ما ورد في الحديث
من النهي عن قتل النسا وغيرهم حمله على الكافرة الاصلية لان قتل الكافر لدفع ضرره ونكايته
والمراة لا تخشى نكايتها وغيرهم يقول العلة الكفر والحر والعبد والذكر والانثى في ذلك
الحكم سواء فيقتلون جميعا واما مدتها اي مدة الاستتابة عند القائلين بها ففيه مذهب
الجمهور من العلما فيها وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في تقدير المدة انه يستتاب
ثلاثة ايام ويحبس فيها فان تاب اطلق والا قتل وقد اختلف فيه اي في هذا المذهب
المروي عن عمر في المدة المذكورة وهو احد قولي الشافعي والقول الاخر انه يستتاب في الحال
فان تاب والا قتل وهو قول احمد بن حنبل واسحاق بن راهويه ايضا واستحسنه الامام
مالك بن انس وقال مالك في وجه استحسانه لرجحانه عنده لا ياتي الاستظهار اي الاحتياط
بالتاخير والتثبت حتى يظهر الاول الا بخير اي التاني وعدم العجلة خير في مثل هذا وليس
عليه اي على هذا القول بالتاخير والتاني جماعة الناس اي والجمهور على خلاف هذا القول
قال الشيخ ابو محمد بن ابي زيد من المالكية وقد قدمنا ترجمته يريد في الاستيناء اي
التاخير وهو استفعال من التاني والانا واصله من الان وهو الزمان كما قال تعالى الم
يان للذين آمنوا ثلاثا من الايام كما تقدم وقال مالك ايضا الذي اخذ به اي اعمل به
واتخذه مذهبا في حكم المرتد قول عمر رضي الله عنه وهو انه يحبس ثلاثة ايام ويعرض عليه
كل يوم التوبة والرجوع بوعظه ونصيحته فان تاب اطلق والا قتل وقال ابو الحسن بن
القصار من المالكية كما تقدم وفي تاخيره ثلاثا روايتان عن مالك هل ذلك التاخير
واجب على الحاكم فلا تجوز المبادرة لقتله او مستحب فيجوز قتله قبلها واستحسن الاستتابة
والاستيفا بالمدة اي التاخير ثلاثا اهل الراي اي القياس والمراد ابو حنيفة واصحابه كما مر
وروي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه استتاب اي طلب توبة امراة ارتدت واسمها
ام قرفة وهي من بني فزارة فلم تتب فقتلها لانه لا فرق عنده بين الذكر والانثى وقال الشافعي
مرة اي يستتاب مرة اي نستتاب مرة واحدة فقال ان لم يتب قتل مكانه اي في محله الذي
عرض عليه التوبة فيه واستحسنه المزني من ايمة الشافعية وهو القول الاصح من مذهبهم
وقال الامام ابو بكر محمد بن مسلم بن شهاب الزهري يدعى الى الاسلام ثلاث مرات
في وقت واحد او في يوم واحد ويحتمل انه في ثلاث ايام وهو خلاف الظاهر فان ابى
التوبة قتل وروي عن علي انه يستتاب شهرين فان ابى قتل وقال النخعي يستتاب ابدا
المراد زمنا طويلا وبه اخذ سفيان الثوري الا انه قال زيادة ما رجيت توبته فزاد
قيدا فسر به كلام النخعي بان المراد بالابد ما دامت التوبة ترتجى منه وربما يكون كلام ابن وهب
الاتي عن مالك مفسر لهذا وحكى ابن القصار عن ابي حنيفة انه يستتاب ثلاث مرات
في ثلاثة ايام او ثلاث جمع جمع جمعة في كل يوم او في كل جمعة مرة هذا اما تخيير من
ابي حنيفة او شك من ابن القصار او من المصنف وفي كتاب محمد المعروف بابن المواز من المالكية

عن ابن القاسم

عن ابن القاسم واسمه عبد الرحمن كما تقدم يدعى المرتد الى الاسلام ثلاث مرات في ثلاثة
ايام كما هو مذهب مالك فان ابى الرجوع ضربت عنقه بتمرده وعتوه واختلف على هذا
باستتابته وتاخير قتله هل يهدد بزجره ووعيده بالقتل ونحوه او يشدد عليه بتضييق
حبسه ووضعه في الاغلال ونحوه في مدة ايام الاستتابة ليتوب بسبب تهديده
والتشديد عليه ام لا فيكتفي بحبسه فقال مالك ما علمت انه في زمن الاستتابة تجويعا
بعدم ايصال الطعام ولا تعطيشا بترك سقيه الماء ويوتى من الطعام بما لا يضره فلا يوتى
بما هو شديد المرارة او مستقذر ايكرهه وقال اصبغ يخوف ايام الاستتابة بالقتل
ليرجع ويعرض عليه الاسلام فيقال له اسلم تسلم وفي كتاب ابي الحسن الطابثي بفتح الطا
المهملة والف بعدها باء موحدة ثم ثاء مثلثة وياء نسبة نسبة لطابث وهي قرية قريبة من البصرة
وهو من جملة العلما المشهورين وفي نسخة ابي الحسين انه يوعظ في تلك الايام التي امهل بها
ويذكر بالجنة ودخولها اذا تاب ويخوف بالنار ودخوله اذا لم يتب ويرجع عما هو عليه وقال
اصبغ واي المواضع حبس فيها من السجون مع الناس المحبوسين فيها بسبب ما او حبس
وحده في سجن مخصوص به اذا استوثق منه وفي نسخة اذا اوثق اي حفظ حتى لا يفر اذ المقصود
حفظه حتى يتبين حاله فكل سجن في حقه سواء لحصول المراد به ويوقف مع ذلك ماله
اي كل شي يملكه يجعل محفوظا بيد غيره ويجوز جعلها ما الموصولة وله جار ومجرور صلة لها خيفة
بالنصب مفعول له وفي نسخة اذا خيف ان يتلفه على المسلمين اي لئلا يتلفه عليهم وهذه
علة لا يلزم اطرادها فلا وجه للاعتراض بانه يقتضي انه لا يوقف اذا لم يخش اتلافه لانه
وقفه لاجل انه فيء لردته ويطعم منه اي من ماله ويسقى اي ينفق عليه مدة حبسه من ماله
يعني ان ماله موقوف لم يزل ملكه عنه فان اسلم تبين انه باق على ملكه والا كان فيئا لغيره
من اموال الكفرة فيوضع في بيت المال والكلام عليه مفصل في كتب الفقه وكذلك اي مثل
ما تقدم من المدة لتفصيله يستتاب كلما ارتد ورجع لردته ثم تاب اي اذا تكررت ردته
ابدا ثم استدل بقوله وقد استتاب النبي صلى الله عليه وسلم نبهان بفتح النون وسكون
البا الموحدة وبهاء وهو فعلان من نبه وينبه وفي الصحابة من اسمه نبهان ثلاثة احدهم
نبهان التمار وكنيته ابو مقبل وسمي تمارا لان امراة جميلة باعته تمرا فقال في بيتي اجود
منه فذهبت معه فضمها وقبلها فقالت له اتق الله فتركها ثم ندم واخبر بذلك رسول الله صلى
الله عليه وسلم فنزل فيه والذين اذا فعلوا فاحشة وقال البرهان في الصحابة ثلاثة اسم كل
منهم نبهان لا اعلم الذي ارتد منهم اربع مرات او خمسا اهو ابو مقبل التمار الذي روي عنه معا
وغيره او نبهان الذي ذكره ابن شاهين وروى عنه ابنه والثالث نبهان الانصاري قال الذي
ولعله احد هذين وذكر البيهقي من ارتد وان اسمه نبهان ولم يعينه ولم يذكر ابن الجوزي
من اسمه نبهان من الصحابة غير الاول وقال ابن وهب المصري المالكي وقد تقدم عن مالك
يستتاب ابدا كلما رجع الى ردته وتكررت منه وهو قول الشافعي واحمد بن حنبل وقال ابن
القاسم وقال اسحاق بن راهويه يقتل في الردة الرابعة دون استتابة لانه علم عدم
ثباته على الاسلام وقال اصحاب الراي يعني الحنفية ان لم يتب في الردة الرابعة
من نفسه من غير استتابة قتل دون استتابة اي لا تطلب توبته منه ولا تعرض عليه وان
تاب بنفسه في الرابعة ضرب ضربا وجيعا تشديدا مولما زجرا له على تكرر ردته ولم يخرج

تل
هبي

من السجن حتى يظهر عليه خشوع التوبة بانكساره وندمه وتذلله وهذا لا يخالف
قوله تع قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف لانه في حق الكافر الاصلي مع انه
لا ينافي مغفرة الله له اصلا قال ابو بكر محمد بن المنذر الذي تقدمت ترجمته ولا نعلم
احدا ممن يعتد به من العلما اوجب على المرتد في المرة الاولى من ردته المذكورة ادبا
اي تاديبا بضرب وسجن اذا رجع عنها بنفسه الى الاسلام وهو مذهب مالك والشافعي
وابو حنيفة الكوفي نسبة الى الكوفة مدينة معروفة وفي تقييده بالاولى اشارة الى
ان في غيرها خلافا كالثالثة والله اعلم

فصل قال القاضي ابو الفضل

عياض المصنف رحمه الله هذا المذكور كله حكم من ثبت عليه ذلك الذي قدمه من السب
والردة بما يجب ويتحقق ثبوته شرعا من اقرار واعتراف بما صدر منه او عدول اي شهاد
شهود عدول لم يدفع فيهم بيناء المجهول اي لم يطعن بتهمة في عدالتهم فاما من لم تتم
الشهادة عليه اي نصابها اولم تقبل انما شهد عليه الواحد فقط واللفيف اي الجماعة والطائفة
الملتفين من الناس الذين لا تقبل شهادتهم وقيل المراد باللفيف اشخاص مختلفة لهم عليه
حمية وعصبية او اهل التزوير او ثبت قوله الصادر عنه لكن احتمل معنى اخر لا يقتضي
الكفر ولم يكن صريحا في السب والكفر وكذلك اي مثل ما لم يتم من الشهادة اذ تاب ورجع
بنفسه على القول بقبول توبته كما تقدم نقله قبل بدراءه اي يدفع ويمنع عنه القتل
ويتسلط اي يمضي عليه اجتهاد الامام فيفعل ما يقتضيه رايه من زجر وضرب ونحوه بقدر
شهرة حاله قبل ذلك لشهرة ديانته وحفظ لسانه ونحوه مما علم منه وقوة الشهادة
عليه لكونهم غير معروفين بالكذب والغفلة ونحوها وضعفها بكونهم على خلاف ذلك وكثرة
السماع عنه بكثرة ما عزي اليه وصورة حاله اي ظاهره من التهمة في الدين اي كونه
متهما في دينه معروفا بالفسق والتهاون والنبز بفتح النون وسكون الباء الموحدة وزاي
معجمة اي وصفه بين الناس وشهرة ذكره بالسفه اي الخفة في العقل والدين وكثرة تلفظه
بما لا يعني والمجون اي سخريته وهزله وعدم مبالاته بما يتكلم به واصل النبز اللقب
المذموم قال تع ولا تنابزوا بالالقاب يقال نبز ونبزت اذا دعى غيره بسوء فاريد هنا
شهرة اتصافه به حتى كانه صار علما والسفه اصله لغة الخفة كما علم والمجون غلظ الوجه
فاريد به ما مر ولا يرد على هذا انه اذا لم يتم انتفى حكمه فكيف يتسلط عليه حكم الحاكم لانه امر
يرجع لاجتهاد الحاكم صيانة لامر الدين فمن قوي امره بظهور ما نسب اليه مما يقتضي الكفر
لكونه معروفا بقلة دينه وكثرة صدور ما يشتهر به منه اذاقه اي فعل به الحاكم ما تقتضيه
حاله من شديد النكال اي العقوبة الشديدة المانعة له عن فعله والاذاقة في الطعام
استعيرت لمس الالام كما تقرر عندهم من التضييق عليه بحبس في السجن ونحوه وهو بيان
للنكال والشد اي الربط في القيود الى الغاية والنهاية التي هي منتهى طاقته اي
ما يطيقه ولا ينكله بشي مما اي من امور من انواع الشد والتضييق لا يمنعه القيام لضرورته
اي فعل اموره الضرورية التي لا بد له منها في وجوده ولا يقعده عن صلاته اي يعوقه
عنها او عن اداء اركانها على التمام فليس المقعود عنها ضد القيام بل المعوق عنها مجازا وفيه

ايهام وتورية لجواز ارادة ان يصلي قاعدا لكنه غير مراد وهو اي النكال المذكور حكم
كل من وجب عليه القتل بوجه من الوجوه لكن وقف بيناء المجهول اي يوقف الحاكم عن قتله
بعدم المبادرة له لمعنى اي سبب عن وقصد اوجبه اي التوقف في قتله وتربص بيناء المجهول
اي اخروا نظر في امره لاشكال اي لامر اوجب التردد فيه وعايق اي امر عاق عنه اقتضاه
اي اقتضى التربص والتاخير امره اي حاله وشانه وحال التشديد عليه في نكاله وعقابه
تختلف شدة وضعفا بحسب اختلاف حاله في الظهور والشدة والقوة وعدمها وقد روي
الوليد بن مسلم كما تقدم عن مالك والاوزاعي انها اي مقالته غير الصريحة فاذا تاب
ورجع عنها نكل بيناء المجهول والتشديد اي عوقب ولمالك في العتبية اسم كتاب كما تقدم
وكتاب محمد بن المواز كما تقدم من رواية اشهب عن الامام مالك اذا تاب المرتد فلا عقوبة
عليه بقتل وغيره وقاله سحنون رحمه الله تع وافتى ابو عبد الله بن عتاب من المالكية فيمن
سب النبي صلى الله عليه وسلم فشهد عليه شاهدان بانه سب لكن عدل احدهما دون الاخر
بالادب اي افتى بتاديبه فهو متعلق بافتى وما بينهما اعتراض الموجع المولم والتنكيل
بعقوبته والسجن الطويل زمانه حتى يظهر عليه توبته اي علاماتها وقال القابسي مثل
هذا الذي قاله ابن عتاب بعينه ومن كان اقصى اي غاية امره في الحكم عليه القتل فما
عايق عن قتله كما مر اشكل صفة عايق في القتل متعلق بهما على التنازع وقوله لم يتبغ
لم يضبطه احد ممن تكلم عليه هنا الا انه وقع في النسخ بنون بعدها موحدة وغين معجمة وهو
بكسر الغين مجزوم واصله ينبغي ولو قيل انه بسكون الغين صح لكنه بتغيير من نبغ وهو اذا اشتهر
لغير العقلا كان بمعنى ظهر يقال نبغ الامر اذا ظهر فهو ظاهر هنا وان لم يؤلف استعماله ويقال
نبغ فلان اذا قال الشعر وبه سمي النابغة ان يطلق من السجن اي لا يظهر اطلاقه بل يبقى
فيه مدة ولكن يستطال سجنه وفي نسخة ولا يستطال سجنه وينبغي ان يعطف على يطلق ولا
ينبغي ان لا يستطال سجنه ليتفق معناهما ولو كان فيه اي في السجن من المدة الطويلة ما
عسي ان يقيم في السجن اي ولو طال جدا ويحمل عليه من القيد ما يطيق اي غاية ما يطيقه
ولا يكلف فوق طاقته وتحمله وكل هذا يعزونه برأي الحاكم لتهمته وان لم يثبت عليه ذلك
ومثله كثير في الاحكام الشرعية فان وجه لانكاره والقول بانه لا يلزم من عدم ثبوت ما يوجب
القتل ثبوت ما يوجب التعزير لا سيما على مذهب مالك في سد الذرايع لا وجه له فالزندقة
بمثله والاطالة فيه من ضيق العطن وقلة الفطن وقد كرره وحسب سيامنه تفرده به وقال
القابسي في مثله من اشكل امره ولم يظهر حاله يشد في القيود شدا وثيقا ويضيق
عليه في السجن اي يضيق عليه بسجنه او يضيق سجنه حتى ينظر اي يعلم امره فيما يجب
عليه من تنكيل او اطلاق او قتل وقال القابسي في مسئلة اخرى مثلها مشابهة لها
ولا تهراق الدما اي تصب من الاراقة والهاء مزيدة فيه وفيه كلام مفصل في كتب العربية
واللغة ليس هذا محله الا بالامر الواضح الذي لا اشكال فيه لان الدما مصونة شرعا حتى
يظهر ما يقتضيها وفي الادب اي التاديب بالضرب بالسوط والادب بالسجن نكال
للسفهاء رادع لهم عن التكلم بما لا يليق مغن عن اراقة الدماء والجراة على الحدود المندرئة بالشبه
ويعاقب عقوبة شديدة تردعه عما جناه مقاله فاما ان لم يشهد عليه سوى شاهد
لا عصار الشهادة فيهما فاثبت المشهود عليه من عداوتهما اي اثبت ان بينهما وبينه عداوة

ايهام

تقتضي ان لا يقبل قولهما في حقه والمراد بالعداوة العداوة الظاهرة الدنيوية بحيث يسره
ما يسوءه ويتمنى له المكروه ويعلم انه لو قدر على ايصال ضرر له فعل كما بين في كتب الفقه
او جرحتهما اي بيان الجرح ما اسقطهما اي اسقط شهادتهما وعدم قبولها لفسق وزور عرفا
عند الناس فاسقط قبول شهادتهما عنه ولم يسمع ذلك الامر الذي شهدا به من غيرهما
من تقبل شهادتهما فامره اخف في المسامحة في امره وترك قتله لسقوط الحكم عنه بعدم قبول
الشهادة عليه شرعا وكانه لم يشهد عليه شاهد اصلا لان الشاهد اذا سقطت شهادته
كالعدم الا ان يكون المشهود عليه ممن يليق به ذلك الامر الذي نسبه الشهود اليه لانه معروف
بعدم الديانة والاستخفاف بالدين فيكون مظنة لما شهدوا به ويكون الشاهدان عليه
الا ان اثبت عداوتهما وجرحتهما من اهل التبريز من برز اذا فاق اقرانه اي يكونان معروفين
بالعدالة والصدق ولم يعهد لهما اهانة احد من الناس ولو كان عدوا لهما فاسقطهما اي
اسقط شهادتهما بالطعن بعداوة معروفة بينهما قبل فهو اي المشهود عليه او الامر والشان
وان لم ينفذ الحكم عليه بموجب ما شهدا به من سب ونحوه مما يوجب القتل بشهادتهما التي
العداوة المانعة لقبول الشهادة فلا يدفع الظن القوي بصدقهما فيما شهدا عليه لظهور
عدالتهما والجملة الجزائية في قوله فلا يدفع لكونها منفية يجوز دخول الفاء عليها وهي فعلية وقيل
في قوله فلا يدفع انه بتقدير مبتدا اي فهو لا يدفع الخ كقوله ومن عاد فينتقم الله منه وفيه نظر
وللحاكم هنا في هذه المسئلة الجارية على هذا المنوال في تنكيله اي عقوبته بغير القتل
من التعزير لشين موضع اجتهاد فيفعل به ما يقتضيه اجتهاده من غير ابطال للحكم بالكلية
قيل انه شبه تنكيله بمكان رحب فاستعاره له وفيه نظر والتعزير ومراتبه مشهورة
في كتب الفروع فلا حاجة للاطالة بها هنا ولا اعتبار على عبارة المص كما توهم فاعرفه ولما
فرغ من بيان حال من سب النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين شرع في بيان حال غيرهم
فقال رحمه الله تع

فصل قال القاضي ابو الفضل

المص رحمه الله هذا المذكور قبل حكم المسلم اذا سب الانبيا عليهم الصلاة والسلام فاما
الذمي اي الكافر الذي ليس حربيا والذمة هي الاحترام لان دمه وولده وماله محترم لادايه
الجزية اذا صرح بسبه صلى الله عليه وسلم او عرض اي قاله بطريق التعريض والايهام
بلا تصريح به او استخف اي اهان وحقر بقدره الرفيع العلي او وصفه صلى الله عليه
وسلم بغير الوجه الذي كفر به اي الذي كان كافرا بسببه كانكار بعثته او عموم دعوته
بان وصفه بشي مما مر فلا خلاف عندنا اي عند المالكية في قتله ان لم يسلم فاذا اسلم
لا يقتل عند الامام مالك لان الاسلام يجب ما قبله لانا معاشر المسلمين لم نعطه
الذمة مراده بالذمة العقد الذي عقد عليه في دار الاسلام وضرب عليه صونا لدمه
واهله وماله فالذمة اي احترام ما ذكر والعهد الذي عوهد عليه حين عقد له الذمة يشير
الجعا ونحو من عمر رضي الله عنه من الشروط التي شرطها على اهل الذمة وهي مشروطة وستذكر
ان شا الله تع وفي نسخة او العهد باو الفاصلة والاولى اولى ويحتمل ان المراد به المستامن
من المعاهد ان قلنا حكمه حكم الذمي او هي للتقسيم او بمعنى الواو على هذا اي لم نرخص له
حين عاهدناه في سب النبي صلى الله عليه وسلم او الاستخفاف به وهو قول عامة العلما

اي جميعهم او اكثرهم الا ابا حنيفة النعمان بن ثابت والثوري سفيان بن سعيد وهو
صاحب مذهب مجتهد واتباعهما يعني من قلدهما واتبع مذهبهما من اهل الكوفة فانهم
قالوا لا يقتل بسبب ما ذكر لان ما هو عليه من الشرك المراد به مطلق الكفر فانه استعمل
بهذا المعنى ايضا اعظم ما صدر منه من السب وقالوا ولكن يعزر ويؤدب تعزيرا دون الحد
حتى ينزجر ولا يعود لمثل ما صدر منه وما ذكر من مذهب ابي حنيفة هو المشهور وقد خالفه
بعض المتاخرين وقال ابن تيمية في كتابه السيف المسلول على من سب الرسول قال ابو حنيفة
واصحابه لا ينتقض العهد بالسب ولا يقتل الذمي به لكنه يعزر وحكاه الطحاوي عن الثوري
ومن اصولهم ان ما لا قتل فيه عندهم للامام ان يقتل فاعله ويزيد على الحد المقدر اذا راى
المصلحة في ذلك ويحملون ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه من القتل في مثله على
ذلك ويسمون هذا القتل سياسة كتغليظ الحد في الجرائم اذا تكررت وشرعوا القتل
في جنسها وبهذا افتى اكثرهم فقالوا يقتل من اكثر من سب النبي صلى الله عليه وسلم سياسة
وهو متجه على اصولهم انتهى وهو كلام حسن واستدل بعض شيوخنا من ايمة المالكية على
قتله اي الذمي اذا سب بقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم اي نقضوا ما
عاهدناهم عليه وطعنوا في دينكم اي عابوه وذموه فقاتلوا ايمة الكفر اي كبار الكفرة
ورؤسايهم الاية انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون وفي الاستدلال بهذه الاية بحث لانه معلق
بنقض العهد وابو حنيفة على قوله المشهور عنه لا يرى السب نقضا للعهد لاسيما والاية
نزلت في كفار قريش لما نقضوا ما عاهدهم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية
في القصة المشهورة وفي هذه الاية كلام طويل الذيل وتخصيص المقاتلة بايمة الكفر ناظر
لهذا والقول بان غيرهم يعلم بالطريق الاولى محل تامل فليحرر ويستدل ايضا اي كما استدل
بالاية عليه اي على قتل من سب بيستدل بقتل النبي صلى الله عليه وسلم لابن الاشرف
اليهودي وقد تقدمت قصته مفصلة واشباهه من الكفرة المعاهدين الذين قتلهم صلى
الله عليه وسلم بسبهم له وفي الاستدلال بهذه القصة ايضا نظر لان النبي صلى الله عليه وسلم
صالحه وغيره من اليهود فنقض ابن الاشرف عهده ومضى لكفار مكة وحثهم على قتال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهجا النبي صلى الله عليه وسلم واذى المسلمين اشد الاذى فليس قتله لمجرد
سبه ولانا لم نعاهدهم اي اهل الذمة واشباههم ولم نعطهم الذمة اي العقود والعهود
على هذا اي سب الرسول صلى الله عليه وسلم فلم نرخص لهم في مثله ولا يجوز لنا معاشر المسلمين
ان نفعل ذلك اي المذكور من المعاهدة على ترك المؤاخذة بمثله معهم فيما بيننا وبينهم فاذا
اتوا اي فعلوا ما لم يعطوا عليه العهد ولا الذمة بفعل ما ينافيهما فقد نقضوا ذمتهم
وابطلوا عهدهم وصاروا اهل حرب اي مثلهم في انهم يقتلون بكفرهم وايضا فان
ذمتهم وعهدهم وان لم ينتقض لا يسقط حدود الاسلام عنهم اي الحدود الشرعية
وهذا حد قذف للانبيا وهو القتل فلا يسقط كسائر الحدود من القطع في سرقة اموالهم
اي اموال المسلمين وان كان ذلك حلالا عندهم اي في اعتقادهم الباطل باباحة اموال
المسلمين ودمائهم لانا مامورون باجراء احكام شرعنا عليهم فكذلك سبهم النبي صلى الله
عليه وسلم يقتلون به حدا لا كفرا وهذا جواب عن قولهم ما هم عليه من الكفر اعظم فان كونه
اعظم لا ينافي اجراء حكم غيره عليهم ووردت اي نقلت لاصحابنا من المالكية ظواهر

اي امور تدل بحسب الظاهر على ما يقتضي الخلاف في قتل الذمي بسبه صلى الله عليه وسلم
اذا ذكره الذمي بالوجه الذي كفر به من انكار بعثته ونبوته ستقف عليها في هذا
الكتاب فتعرفها من كلام ابن القاسم وابن سحنون بعد هذا فيما سياتي وحكى ابو
المصعب الزهري بن احمد بن ابي بكر القاسم بن الحارث بن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن
بن عوف المدني الفقيه قاضي المدينة كما تقدم الخلاف فيها اي في القتل بما كفر به عن اصحابه
من اهل مذهبه المالكية المدنيين اي فقهاء المدينة واختلفوا في الذمي اذا سبه
صلى الله عليه وسلم ثم اسلم فقيل يسقط بضم اوله اي يمنع اسلامه قتله لان الاسلام
يجب ما وقع قبله اي يقطع ويبطل حكم ما قبله من ساير المعاصي وهذا ورد عنه صلى الله عليه
وسلم في حديث تقدم بخلاف المسلم اذا سبه صلى الله عليه وسلم ثم تاب فان توبته
لا تمنع قتله كاسلام الكافر كما تقدم والخلاف مبني على ان قتله حدا ولنقض العهد وفي سقوط
بعض الحدود بالاسلام كالزنا خلاف لبعض الشافعية وجب الاسلام ما قبله انما هو في
حقوق الله خاصة وانما منع الاسلام قتله لانا نعلم باطنه الكافر الذي في قلبه بكفره
في بغضه وعداوته الدينية له صلى الله عليه وسلم وتنقصه بقلبه لانه شان كل كافر
كما قيل

كل العداوة قد ترجى مودتها • الا عداوة من عاداك في الدين •

لكنا منعناه من اظهاره اي اظهار ما في قلبه لكونه متهودا ممن للامن اظهرنا فلم يزدنا
ما اظهره من كفره بسب ونحوه علما بحاله الا مخالفة للامر اي لامرنا له حقيقة او حكما
بكتم كفره ولم يزدنا علما الا نقضا للعهد الذي عقد عليه عقد الذمة فاذا رجع بالاسلام
عن دينه الاول وهو الكفر وفي نسخة عن دينه بمعجمة ونون وموحدة الى الاسلام سقط
ما قبله من الكفر وحكمه قال الله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف
امره الله تعالى ان يقول لهم هذه المقالة بهذا اللفظ او بغيره فاللفيه لانهم ليسوا مخاطبين
فيما امر به ويجوز الخطاب على حكاية ما يقول لهم لذلك قرا ابن مسعود بالخطاب وما قد
سلف الكفر وما وقع معه من المعاصي والمسلم حاله بخلافه اي بخلاف حال الكافر
اذ كان ظننا بباطنه وما في قلبه امر مطابق حكم ظاهره وهو الاسلام ظاهرا وباطنا
وخلاف ما بدا بالالف اي ظهر او بالهمزة بمعنى حدث وابتدا منه بما صدر عنه مما يقتضي
كفره ومخالفة باطنه لظاهره الان حين ظهر حاله فلم نقبل بعد رجوعه ما ظهر من نوبته
ونعد مضمومة ورجوعه مرفوع نايب الفاعل ويجوز الفتح والاضافة ولا استنمنا بسين
مهملة ساكنة بعد الهمزة ومثناة فوقية قبل نون ساكنة قيل اي اطمانا فهو استفعال
من النوم اي لم نطمين ونانس ونركن الى باطنه فالسين والتا زايدتان او هو من السنا
اي اشرفنا وعلونا عليه لنقف على حاله وروي استامنا اي طلبنا الامن منه لسوء الظن
به اذ قد بدت سرايره بظهور ما اخفاه في قلبه على خلاف ظننا فيه وما ثبت عليه اي
على المسلم من الاحكام اللازمة شرعا باقية انه باعتبار معنى ما عليه لا يسقطها شي
لتعديه بما يخالف اسلامه بانتهاكه حرمة النبوة وحاصله الفرق بين المسلم والكافر
وهو ظاهر وقيل لا يسقط اسلام الذمي الساب له صلى الله عليه وسلم قتله لانه
حق للنبي صلى الله عليه وسلم فهو من حقوق الادميين وهي لا تسقط بالاسلام كما تقدم
كما انه لا يسقط بتوبة المسلم وجب عليه لانه حد من حدود الله لانتهاكه اي الساب حرمته

ومعناه

ومعناه تناوله بالاعراض عاب وقصده الحاق النقيصة قصده بالجر ويجوز رفعه
ورفع الحاق والجملة حالية وفي نسخة الحاقه النقيصة بنصب النقيصة والمعرة به اي
المذمة والعيب به صلى الله عليه وسلم وحاشاه منها فلم يكن رجوعه الى الاسلام بالذي
يسقطه عنه لجراته كما وجب عليه من حقوق المسلمين قبل اسلامه من قتل وقذف
بيان لما وجب فلا يسقط باسلامه القصاص وحد القذف وقوله كالخ خبر مبتدا مقدر اي
وهو كالخ فلا وجه لاستشكاله واذا كنا لا نقبل توبة المسلم اذا سبه صلى الله عليه
وسلم فان لا نقبل توبة الكافر اولى الا ان ما قاله غير متجه لان الاسلام يجب ما قبله
بنص الحديث المار فالفرق بينه وبين توبة المسلم في غاية الظهور غني عن البيان بل قالوا
انه يثاب على كل ما فعله من الحسنات حال كفره اذا اسلم وسبه صلى الله عليه وسلم فيه حق لله
ولادمي فيتغلب الاول اذا اعتضد باسلامه وفي نسخة واذن كنا الخ واذن هذه قيل انها
اذا الشرطية حذفت الجملة المضافة اليها وعوض عنها التنوين وهذه وان لم تشتهر فان
الزركشي نقلها في البرهان وقد رايت غيره صرح بها ايضا قال مالك فيما نقل عنه في كتاب
ابن حبيب وهو احد من روى عنه وكتابه يسمى الواضحة والمبسوط اسم كتاب في الفقه
وقال عبد الرحمن بن القاسم احد اصحاب مالك كما تقدم وابن الماجشون عبد الملك بن
عبد العزيز بن عبد الله بن ابي سلمة الماجشون التيمي الفقيه صاحب مالك توفي سنة
اثني او اربع عشرة ومايتين واخرج له السنة والماجشون معناه الابيض المشرب بحمرة وهو
معرب ماه كون ومعناه لون القمر وله تفصيل في كتب اسماء الرجال واسمه ميمون او يعقوب
وهو مدني وابن عبد الحكم وهو محمد بن عبد الله بن عبد الحكم بن عبد الله بن عثمان او اعين
ابن الليث توفي في ذي القعدة سنة ثمان او تسع وستين ومايتين وهو امام جليل وله
اخوة ثلاثة من العلما واصبغ بن الفرج كما تقدم فيمن شتم نبينا صلى الله عليه وسلم من
اهل الذمة او احدا من الانبيا غيره عليهم الصلاة والسلام قتل الا ان يسلم فلا يقتل
لما من وقاله اي قال قول مالك هذا ابن القاسم في العتبية الكتاب المشهور في فقه
مالك وقال سحنون واصبغ لا يقال له اسلم ولا لا تسلم المراد انه لا يكلف بشي يتعلق
بالاسلام اذ لا يقال له لا تسلم ولكن اذا اسلم من قبل نفسه بلا تكليف له فذلك اي اسلامه
يكون له توبة مقبولة تدرا الحد عنه وقد قيل هنا ان ما وقع من مخالفة اصحاب مالك
له مع انهم مقلدون له بناء على اعتبار المصالح المرسلة عنده على ما تقرر في علم الاصول
فان المصلحة اذا اقتضت امرا يرجع اليه وفيه تفصيل لا حاجة لنا بالاطالة به هنا فان
اردته فارجع الى ما في كتاب ابن الحاجب وشروحه وفي كتاب محمد بن المواز المالكي اخبرنا
اصحاب مالك انه قال من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم او غيره من النبيين
من مسلم او كافر قتل ولم يستتب اي لم تطلب منه توبة ولم يقتل لو تاب هذا مراده فلا
للتردد فيه وقوله من مسلم او كافر اما المسلم فعدم قبول توبته هو الصحيح واما الكافر فالصحيح
قبول توبته باسلامه ويدل له قوله وروي بالبنا للمجهول لنا عن مالك الا ان يسلم
الكافر فلا يقتل على الصحيح وصحح بعضهم ان المسلم تقبل توبته وقد تقدم وقد روى
ابن وهب واسمه عبد الله كما تقدم عن ابن عمر رضي الله عنهما ان راهبا وهو العابد المنقطع
عن الناس من النصارى تناول النبي صلى الله عليه وسلم وتقدم ان التناول معناه الاخذ

بالبيد تجوّزًا به عن الكلام في حقه صلى الله عليه وسلم بما لا يليق فهو استعارة فقال
ابن عمر فهلا حرف معناه التندم على فوت ما يحض عليه قتلتموه ولم يذكر فيه استتابة
وروى عيسى بن ابراهيم الغافقي الامام الفقيه المحدث توفي سنة احدى وستين
ومايتين عن ابن القاسم عبد الرحمن المصري الفقيه كما تقدم في ذمي قال ان محمدا
صلى الله عليه وسلم لم يرسل الينا يعني اهل الكتاب انما ارسل اليكم اراد العرب
فانكر عموم رسالته صلى الله عليه وسلم وانما نبينا الذي يجب علينا اتباعه موسى
او عيسى عليهما الصلاة والسلام ونحو هذا من انكار عموم الرسالة لا شيء عليه من قتل
وغيره وفي نسخة لا شيء عليهم وهو افقه قوله لان الله تعالى اقرهم على مثله من الكفر
بضرب الجزية اذا لم يحاربوا كما هو مذكور في سورة براءة واما ان سبه فقال تفسير
لسبه هذا ليس بنبي او لم يرسل الى احد وهو تكذيب له او لم ينزل عليه قرآن ووحي
وانما هو اي القرآن شيء يقوله من عنده ويخترعه او نحو هذا من عموم الانكار بجحده
لما جاء به صلى الله عليه وسلم لان هذا الملعون كذب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم
وقال ابن القاسم واذا قال النصراني ديننا خير من دينكم وانما دينكم دين الحمير
عنى بذلك قاتله الله ولعنه انه انما يتبعه احمق لا عقل له او نحو هذا من الكلام
القبيح او سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله فقال كذلك يعطيكم الله
اشهد انه بما من الله علينا في ان جعله رسولا لنا صلى الله عليه وسلم يعني انه ما ارسل
لمثلكم ففي هذا الكلام وما يشبهه عند ابن القاسم يستحق قايله الادب اي التاديب
بالضرب الموجع وفي نسخة الوجيع والسجن الطويل مدته زجرا له ولامثاله لانه
ليس صريحا في الشتم قال واما ان شتم ذمي النبي صلى الله عليه وسلم شتما يعرف
انه شتم صريح فانه يقتل الا ان يسلم قاله مالك غير مرة اي مرارا عديدة ولم ينقل
عنه فيه غيره ولم يقل يستتاب بل اطلقه فيحتمل انه ان تاب لم يقتل ولذا قال ابن القاسم
ومحمل قوله اي مالك عندي ان اسلم بنفسه طايعا من غير اكراه له وهو مخالف لما
تقدم في غير هذه الرواية وهذا بناء على انه لا يصح اكراهه على الاسلام وعند الشافعي
يصح اكراه الحربي عليه دون الذمي وفي قول يصح اكراه الذمي هنا لانه بشتمه صلى الله
عليه وسلم نقض العهد فيصير حربيا والكلام عليه مفصل في كتب الفقه وقال ابن
سحنون في جواب سؤالات سليمان بن سالم في اليهودي وفي نسخة حذف في
فهو مبتدا خبره قوله يقول للمؤذن اذا تشهد اي قال في اذانه اشهد ان محمدا رسول
الله كذبت انكارا للرسالة يعاقب العقوبة الوجيعة بالضرب الشديد والسجن
الطويل ولا يقتل لانه لا كفر به وفي النوادر اسم كتاب لابن ابي زيد صاحب الرسالة المالكي
من رواية سحنون عنه اي عن مالك من شتم الانبيا عليهم الصلاة والسلام من اليهود
والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا ضربت عنقه كامر الا ان يسلم فلا يقتل لان
اسلامه توبة مقبولة والاسلام يجب ما قبله قال محمد بن سحنون فان قيل لم قتلته
اي الذمي في سب النبي اي بسبب سبه له صلى الله عليه وسلم ومن دينه اي اعتقاده
وعادته سبه وتكذيبه بانكار بعثته صلى الله عليه وسلم وهذا مما كفر به قيل في جوابه
لانا لم نعطهم العهد على ذلك اذ ضربت عليهم الجزية بشروط منها ان لا يطعنوا في ديننا

فهو نقض عهد منهم ولا اي لم نعطهم العهد على قتلنا اي قتل احد منا ولم نعطهم
العهد على اخذ اموالنا فاذا قتل واحدا منا قتلناه وان كان من دينه استحلاله
اي استحلال قتلنا واخذ اموالنا فكذلك ينتقض عهده باظهاره لسب نبينا صلى الله عليه
وسلم فانا شرطنا عليهم ان لا يطعنوا في الدين وان لا يظهروا كفرهم لما فيه من نكاية اهل
الاسلام وان كان ذلك من اعتقادهم الباطل قال سحنون حال هذا في الحكم كما لو بذل
لنا اهل الحرب اي اعطونا بعد امتناعهم ومحاربتهم لنا الجزية على شرط اقرارهم
على سبه اي على ان نقرهم ولا نمنعهم من سبه صلى الله عليه وسلم لم يجز لنا ذلك
اي اخذ الجزية وتقريرهم على سبه في قول قائل اي لم يقل بحله احد من المسلمين وائمة
الدين وان كانوا يستحلونه لكننا لا نقرهم على اظهاره وهذا مما يوضح انا لم نعطهم العهد
على اظهار مثله كذلك اي كما انه لا يجوز مصالحة الحربي واقراره على السب ينتقض
عهد من سب منهم اي من اهل الذمة ويحل لنا دمه اي قتله لانه لانتقاض عهده صار
حربيا مباح الدم وكما لم يحصن اي يصون ويحفظ الاسلام من سبه من المسلمين
كذلك لا تحصنه الذمة فكيف يقر على مثله الكافر وسمي الحصن حصنا لصيانته لمن
فيه وفي هذه المقدمة امر لا يخفى فان الاسلام يحرم بالسب لانه مخالفة لدينه وكفر
منه واما الذمي الكافر وان خالفه اظهاره السب عقد الذمة وعهدها فهو موافق لاعتقاده
فالقياس مع الفرق الجلي غير ظاهر فكانه امر اقناعي ومقدمة جدلية على طريق التمثيل
وفيه ما فيه وكونه اولى غير مسلم قال القاضي ابو الفضل عياض رحمه الله ثم
ما ذكره ابن سحنون عن نفسه وعن ابيه سحنون من انه يقتل بمثل ما ذكر مما كفر به
واستحله في دينه مخالف لقول ابن القاسم الذي تقدم نقله عنه فيما خفف عقوبتهم
فيه اي افتى فيه بعقوبة خفيفة غير القتل مما به اي بسببه كفروا اي ثبت كفرهم
به عندنا وعلمنا به حين ضربنا عليهم الجزية ودرء عنهم الحد فتامل وجه التامل
الذي امر به على عادة المصنفين في ذكره فيما يمكن توجيهه انا انما اقررناهم على
كفرهم بشرط عدم اظهار ما فيه طعن في الدين وكثير من المسلمين بمواجهتهم باهانة نبينا
سيد المرسلين والمخالفة بينهما ان ابن القاسم فيما نقله المصنف عنه يقول من سب
احدا من الانبيا يقتل الا ان يسلم ولم يفرق بين ما كفر به وغيره وسحنون في جواب سليمان
الزمه العقوبة والسجن الطويل وهو تخفيف في العقوبة وسحنون وابنه قالا في
تكذيب اليهودي للمؤذن انه يعاقب بالعقوبة الموجعة والسجن الطويل وليس بشيء
ويدل على انه اي ما قاله سحنون وابنه وقيل الضمير راجع لقول ابن القاسم والصواب
الاول وهو الذي عليه الشراح خلاف ما روي عن المدنيين اي اصحاب مالك من
اهل المدينة وهم اعرف بمذهبه في ذلك المذكور مما اختلفوا في قتله وعدمه وقيل المراد
بالمدنيين علما المدينة لانها قبة الاسلام ومهبط الوحي ومستقر الدين وفي هذه
المسالة كلام لاهل الاصول ولابن حزم في كتاب الاحكام كلام لا يسعه هذا المقام
فحكى ابو المصعب الزهري ابن احمد بن ابي بكر القاسم بن الحارث بن زرارة بن مصعب
ابن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني الفقيه قاضي المدينة كما تقدم وفي نسخة ما حكى
بدل قوله فحكى وهو الصواب كما نبه عليه التلمساني قال ابو مصعب اتيت بضم الهمزة

وبناء المجهول بنصراني قال والذي اصطفى اي اختار وفضل عيسى على محمد عليهما
الصلاة والسلام فاختلف ببناء المجهول علي فيه اي اختلف كلام الناس فيه او اختلف
رأيي فيه واضطرب ثم ظهر لي امره وحكمه فضربته حتى قتلته بسرعة الضرب من حينه
او عاش يوما وليلة بعد ضربه ومات وامرت من جر اي جره وسحبه برجله من محله الذي
مات فيه وطرح ببناء المجهول على مزبلة اي محل بفناء البلد يطرح فيه الزبل والقاذورات
ومزبلة بفتح الميم لا كسرها كما قيل وباء مثلثة اسم للمكان المذكور فاكلته الكلاب
لانه لم يدفن حتى الجثة كما تاكل سائر الجيف وهذا مما كفر به فهو مخالف لما تقدم وعدم دفن
من قتل من الكفرة مما لا يشرع فكان هذا كله مما ادى اليه اجتهاده وتشدده في دينه وسئل
ابو مصعب السابق ذكره عن نصراني قال عيسى خلق محمدا لزعمه الفاسد في ادعائه
الوهيته فقال مجيبا للسائل انه يقتل لاختلاقه الكذب على الله وجعله عيسى عليه الصلاة
والسلام افضل من نبينا صلى الله عليه وسلم وقصده تنقيصه وليس مما كفر به وقال ابن
القاسم من اصحاب مالك تقدم سالنا مالكا عن نصراني بمصر شهد عليه انه قال
مسكين محمد اراد تحقيره صلى الله عليه وسلم واهانته لا تحننا ورافة عليه وميم مسكين
مكسورة وقد تفتح في غير الفصيح وهل ميمه اصلية او زائدة فيه كلام في التصريف يخبركم
انه في الجنة اي يقول انه سيدخل الجنة وانه يحقق له دخولها ماله لم ينفع نفسه هو
كناية على انه لا يقدر على نفع نفسه في الدنيا اذ كانت الكلاب تاكل ساقيه لو قتلوه
استراح منه الناس هذا بناء على اعتقاده الفاسد قاتله الله اي حصل لهم منه بزعمه
الباطل انه نفعهم بكثرة اعدائه الذين يقتلون المسلمين نقمة لهم ولانه تعب الكفرة بقتاله
لهم وقوله لو قتلوه متعلق بما بعده معنى ويجوز تعلقه بما قبله وما بعده وتسميه اهل
البديع التجاذب وقد اشبعنا الكلام عليه في السوانح قال مالك ارى ان تضرب عنقه
وترمى جيفته حتى تاكله الكلاب جزاء له بما قاله قال مالك ولقد كرهت اي قاربت
ان لا اتكلم فيها اي قويت من ترك الكلام في هذه المسألة التي سئل عنها ثم رايت اي بدا لي
رأي اقتضاه الدليل انه لا يسعني اي يجوز لي ويحل الصمت السكوت عن هذه المسألة
وعدم التكلم فيها بالحق الذي يستحقه هذا الخبيث فشبه الصمت بمكان فيه سعة تضيق على
من صمت فكانه لا يدخله لما وجب عليه من اظهار الحق فسكت عن المسألة به ودل عليه بزوائده
تخييلا ففيه تخييلية ومكنية وانما كان مالك رحمه اراد السكوت عن هذا لانه كذب لا يروج
على احد في حق من عصمه الله وحماه عن ان تصل اليه يد احد ممن يؤذيه وكانه تلميح لما وقع له
صلى الله عليه وسلم حين عرض نفسه على القبائل فرجموه حتى ادموا ساقيه وكان ذلك من
اوليائه عنده بالليل كما فصل في السير ولما وقع له صلى الله عليه وسلم باحد وهو مشهور ايضا
قال ابن كنانة تقدمت ترجمته في المبسوط اسم كتاب كما تقدم من شتم النبي صلى الله عليه وسلم
بسببه صريحا من اليهود والنصارى بيان لمن فاري اي اعتقد وافتى للامام اي السلطان
لانه احق بما شانه وكذا المنصوب من جانبه ممن له تنفيذ الاحكام ان يحرقه بالنار اي يلقيه
فيها وهو حي وهذا مما لم يجزه علماء الشرع لما ورد في الحديث ان الله لا يعذب بالنار الا الله وخالفوها
ولذا قال وان شاء اي الامام قتله بضرب عنقه ثم حرقت بالنار بعد جثته اي
احرق بدنه بتمامه بعد موته وان شاء الامام احرقهم بالنار احياء وهذا مذهب مالك

في جواز

في جواز احراق من استحق القتل وغيره من العلماء يا باه وهو مثله ومذهب الشافعي
انه لا يجوز الا قصاصا للحربي من حرق حرقناه ومن غرق غرقناه واستدل مالك
لما قاله بان عليا كرم الله وجهه فعله وبقوله صلى الله عليه وسلم في حق من ارتد ان وجدتم
فاحرقوه وغيره يقول انه منسوخ كالنسخ المثلة لقوله تعالى فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به وهو
مذهب الجمهور اذ انهم فتوا في سبه اي وقعوا فيه والمراد انهم اكثروا منه علينا واصل
التهافت التسقط شيئا فشيئا ثم استعير لما ذكر وهو لا يستعمل الا في السب القبيح وفيه اشارة
الى انه مثله لسترة ردعهم يقال تهافت في كذا اذا انهمك فيه وبالغ وقال ابن كنانة
ولقد كتب ببناء المجهول الى مالك من مصر يستفتونه وذكر بن كنانة مسيلة ابن القاسم
المتقدمة آنفا التي سئل عنها في نصراني شهد عليه انه قال مسكين محمد الى اخره كما مر
قال ابن القاسم فامرني مالك فكتبت اليه بان يقتل وان تضرب عنقه ضرب العنق كرمي
الراس عبارة عن قتل مخصوص والاولى في التعبير ان يقول فامرني مالك ان اكتب بدليل
قوله فكتبت ما قاله مالك لارسله للسائل ثم قلت له اي لمالك يا ابا عبد الله وهي
كنيته واكتب بعد ما قتله ثم يحرق بعد قتله بالنار فقال مالك انه لحقيق بذلك اي
احراقه بالنار عنوان لخلوده فيها وما اولاه افعل تفضيل بمعنى احق به اي بالاحراق
فكتبته اي الذي قلته ذلك بيدي تاكيد لرفع التجوز به بين يديه اي عنده في مجلسه
وهو كناية عن ذلك فما انكره اي ما قلته من احراقه بعد قتله ولا عابه عليه لانه ارتضاه
ونفذت ببناء المجهول والتشديد والذال المعجمة اي ارسلت الصحيفة وهي الورقة التي
كتبت فيها جواب السائل بذلك الذي قاله مالك فقتل وحرق عملا بما قاله الامام مالك
رضي الله عنه وافتى من ائمة المالكية عبيد الله بالتصغير بن يحيى الليثي بالجر وان الليثي
نعته عمدة في مذهب مالك وهذا هو يحيى بن يحيى الذي روى عنه الموطا كما تقدم
وابن لبابة بضم اللام وبائين موحدتين مخففتين وهو محمد بن يحيى بن عمر بن لبابة
القرطبي ولد سنة خمس وعشرين ومائتين ومات ليلة الاثنين لاربع بقين من شعبان
سنة اربع عشرة وثلثمائة ولهم ايضا ابن لبابة آخر وهو محمد بن يحيى بن لبابة ابو عبد الله
وآخر وهو احمد بن محمد بن عمر بن لبابة ابو محمد القرطبي توفي في نصف صفر سنة
خمس وعشرين والمراد هنا الاول في جماعة سلف اصحابنا يعني المالكية وفي هنا بمعنى
مع استعارة تبعية لتمكنه بينهم الاندلسيين تقدم ضبطه واتفاقهم في المذهب ذو
الزمان فافتى هؤلاء كلهم بقتل امراة نصرانية استهلت اي صرحت رافعة صوتها من
قولهم استهل المولود اذا صرخ والمراد انها اعلنت واظهرت بنفي الربوبية بضم الراء مصدر
كالخصوصية وياء النسبة للتاكيد وبنوة عيسى لله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا
بتقديم الباء الموحدة على النون مصدر ايضا اعلنت بنفي بنوة عيسى اي انه ليس ابنا لله
بل هو الله او هو معطوف على نفي اي نفت الربوبية وقالت ان عيسى ابن الله فالمراد بنفي
الربوبية نفي الوحدة والانفراد بها وحرف بعضهم البنوة بالنبوة بتقديم النون الموحدة
وقال فيه قلاقة لان نفي الربوبية يقتضي نفي فروعها من النبوة والرسالة ثم ان البنوة
والولادة تستلزم نفي الربوبية وهو خبط عجيب منه واوله ينافي آخره وافتى ايضا
بقبول اسلامها اذا اسلمت بعد قولها هذا ودرء القتل عنها به اي بالاسلام لانه يجب ما قبله

نحوه

ره

اسمه

ه

ن

واستهلت ايضا بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم في دعواه النبوة

وبه قال غير واحد من فقهاء المالكية المتأخرين منهم القابسي تقدمت ترجمته وابن الكاتب
ابو القاسم عبد الرحمن بن علي بن محمد الامام المالكي الجليل عرف بابن الكاتب وفي نسخة وبقول
الخ بدل قال غير واحد وقال ابو القاسم بن الجلاب بفتح الجيم وتشديد اللام وباء موحدة بعد
الف وهو امام جليل اشتهر بكنيته وفي اسمه اقوال وهو صاحب القاضي ابي بكر الابهري وله
تآليف جليلة وتوفي في سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة وهو عبد الله او عبد الرحمن ابن الحسين
البصري في كتابه الذي صنفه في فقه مالك رحمه الله من سب الله تعالى او سب رسوله
صلى الله عليه وسلم من مسلم او كافر بيان لمن وتعميم قتل ولا يستتاب اي لا تطلب منه توبة
ولا تقبل وهو على احد الاقوال في الكافر وحكى القاضي ابو محمد المعروف بابن نصر وهو عبد
الوهاب كما تقدم في الذمي يسب ثم يسلم روايتين عن مالك في درء اي دفع القتل عنه
باسلامه اذا اسلم وهو توبته فيقبل اسلامه ولا يقتل وفي اخرى عنه يقتل حدا واليه اشار
بقوله وقال ابن سحنون في وجه قتله انه حد وحد القذف وشبهه من الحدود كحد السرقة والزنا
من حقوق العباد لا يسقط عن الذمي باسلامه وفي نسخة لا يسقطه عن الذمي اسلامه
وانما يسقط عنه باسلامه حدود الله تعالى لانها مبنية على المسامحة لكرم الله وعفوه بعلمه
فاما حد القذف فحق للعباد لا يسقط بالتوبة سواء كان ذلك لنبي او غيره ممن يحترم بصيانة
عرضه فاوجب الله عز وجل او ابن سحنون على الذمي اذا قذف النبي صلى الله عليه وسلم
ثم اسلم بعد قتل فيه حد القذف ولم تسقطه عنه توبته واسلامه وقذف الانبياء حده القتل
كما تقدم ومن غفل عنه قال حد القذف ثابت بالكتاب ولم يجعل الله فيه القتل الى آخر ما قاله
مما لا فائدة فيه وكيف يخفى عليه هذا مع قول المصنف رحمه الله ولكن انظر امر لكل من يتأتى
منه النظر والفكر في المسائل الشرعية ماذا يجب عليه اي على من قذف الانبياء هل حد
القذف في حق النبي صلى الله عليه وسلم خاصة وهو القتل لا الجلد كحد غيره لزيادة
حرمة النبي صلى الله عليه وسلم اي احترامه وتوقيره على غيره من امته لا غيره من الانبياء واليه
ذهب بعض الشافعية فان الحدود قد تتفاوت كما قال تعالى في امهات المؤمنين من يات منكن
بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين ام هل يسقط القتل عنه باسلامه ويحد
ثمانين حد القذف فتامله امر بالتامل لما فيه من الشبهة ووقوع الخلاف فيه فمذهبه كمذهب
الشافعية قال امام الحرمين قذف النبي صلى الله عليه وسلم كفر بالاتفاق وقال ابو بكر الفارسي
لو تاب لا يسقط عنه القتل لانه حد قذف النبي صلى الله عليه وسلم وحد القذف لا يسقط
بالتوبة وحكى فيه الاجماع وخالفه الصيدلاني وغيره وقال يحد ثمانين اذا اسلم وذكر فيه
الامام مباحث طويلة وقال ان ما قاله الفارسي مع بعده حسن وهذا ما جنح اليه المصنف
ومن لم يقف عليه قال ما قال لعدم وقوفه على حقيقة الحال

فصل في حكم ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم

وغيره من الانبياء وغسله والصلاة عليه كغيره اختلف العلماء من ائمة الدين في ميراث
من قتل بسبب سب النبي صلى الله عليه وسلم فذهب سحنون من المالكية الى انه
اي ميراثه فيء حق لجماعة المسلمين يوضع في بيت المال كالفيء من قبل بكسر القاف
وفتح الباء الموحدة تعليل اي من جهة ان شتم النبي صلى الله عليه وسلم كفر يشبه كفر الزندقة

لظاهر

لظاهر اسلامه وخفي كفره الذي دل على شتمه فميراثه كميراث الزنديق عنده
وشبهه بوزن مثل ومعناه وفي نسخة يشبه مضارع وليس بزنديق حقيقة لما
مر من معنى الزنديق وانما هو يشبهه فحكمه حكمه عنده وقال من ائمة المالكية اصبغ
ابن الفرج كما تقدم ميراثه حق لورثته من المسلمين كغيره ان كان مستترا
اي مختفيا من الستر وهو الخفا وفي نسخة مستترا بذلك المقال الذي قاله بان لم يظهر
علنا وان كان مظهرا له اي لسبه وشتمه ومستهلا اي معلنا به لا يكتمه واصل
معنى الاستهلال الصراخ كما مر بيانه فميراثه للمسلمين كالفيء كما تقدم ويقتل على
كل حال اي سواء تاب ام لا ولا يستتاب لا تقبل منه توبة ولا تقبل وليس المراد بالستر
ان يخفيه في قلبه لانه لا يطلع عليه وانما المراد انه يقوله في خلوته لمن لا يفشي
سره لعامة الناس حتى يطلع عليه الحكام وهذا كله في المسلم فمن توهم عمومه
والكفرة فقد غفل وقال ابو الحسن القابسي تقدمت ترجمته ان قتل وهو منكر
للشهادة عليه اي لما شهد به عليه من السب فالحكم في ميراثه شرعا على ما ظهر
من اقراره يعني انه اي ميراثه لورثته المسلمين لان انكاره لما شهدوا به عليه اقرار
بانه مسلم معظم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تلغى الشهادة ولا الاقرار والقتل
انما هو حد اي قذف للانبياء لا لكفره وردته ثبت عليه الحد وحكمه فليس من الميراث
في شيء فلا يمنعه وكذلك اي مثل ما قاله القابسي في هذه المسئلة لو اقر بالسب
اي سبه صلى الله عليه وسلم واظهر التوبة لقتل جواب لو اذ هو اي القتل حده
اي حد سب الانبياء كما تقدم وحكمه اي المقتول حدا لا ردة وكفرا في ميراثه فيعطى لورثته
وانسابه وسائر احكامه من غسله والصلاة عليه حكم الاسلام لانه مسلم كسائر
المسلمين ولو اقر بالسب للنبي صلى الله عليه وسلم وتمادى اي استمر في مدى بعيد
فهو استعارة وبهذا خالف ما قبله وابى التوبة اي امتنع من ان يتوب منه اي من
السب فقتل على ذلك المذكور من السب الذي استمر عليه كان المستمر على سبه كافرا
مرتدا وميراثه كالفيء حق للمسلمين لا لورثته لان الكفر من موانع الارث ولا يغسل
ولا يصلى عليه ولا يكفن كفنا تاما كالمسلمين وانما تستر عورته ويوارى اي يدفن
ويستر جثته بالتراب كما يفعل بالكفار اي بغيره من الكفار الاصليين فلا يدفن
في مقابر المسلمين وجوز الشافعية غسله وتكفينه كما روي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم امر عليا لما مات ابوه ابو طالب ان يغسله ويكفنه ويدفنه وقد ضعفه البيهقي
ولا يصلى عليه اجماعا واما صلاته صلى الله عليه وسلم على ابن سلول فلانه منافق
مع انه نهي عن ذلك بعده بقوله ولا تصل على احد منهم مات ابدا وقول الشيخ ابي الحسن
القابسي في المجاهر اي المعلن المظهر للسب المتمادي اي المستمر على اظهاره من قبله
وكون ميراثه فيئا بين اي ظاهر لا يمكن الخلاف فيه ولا شبهة لانه كافر مرتد
غير تائب ولا مقلع اي غير راجع عن كفره وردته وهو مثل قول اصبغ ابن الفرج في
المظهر المستهل كما تقدم وكذلك اي مثل قول اصبغ هذا وقع في كتاب ابن سحنون الذي
قاله في الزنديق الذي يتمادى ويستمر على قوله الصادر عنه مما كفر به ومثله
اي مثل قول اصبغ وابن سحنون قوله لابن القاسم في العتبية الكتاب المشهور

وكذا هو قول الجماعة من اصحاب مالك يعني من علما المالكية في كتاب عبد الملك بن
حبيب فيمن اعلن اي اظهر مثله اي ما ذكر وقال ابن القاسم في المذكور حكمه حكم
المرتد في انه لا ترثه ورثته من المسلمين لانه كافر ولا ترثه ايضا ورثته من اهل الدين
الذي ارتد عن الاسلام اليه اي الى دين آخر كاليهودية والنصرانية لانه فارقهم
للدين الحق فتعلق به حق اهله فلا يعود اليهم بعوده لانه لا يقر عليه وماله صار
فيا يستحقه المسلمون ولا تجوز وصاياه لان ماله خرج عن ملكه بردته وصار موقوفا
ولا ينفذ عتقه ايضا لما ذكر وكذا ساير تصرفاته كبيع وهبة ووقف وغيره فانه محجور
عليه لما ذكر وهذا كله مذهب الامام مالك واما مذهب غيره فالكلام عليه مفصل في
كتب الفقه وليس هذا محله وقاله اي قال ما قاله ابن القاسم اصبغ بن الفرج من ان حكمه
حكم المرتد لا يورث سواء قتل على ذلك او مات عليه اي على اعلانه الكفر وقال ابو محمد بن
ابي زيد صاحب الرسالة المالكي الامام المشهور وانما يختلف في ميراث الزنديق الذي يبطن
الكفر ويظهر الاسلام وفيه كلام تقدم الذي يستهل بالتوبة اي يظهرها واصل معناه
الصياح كما تقدم فكنى به عما ذكر فلا تقبل منه توبته لان توبته لخوف القتل وهذا مذهب
مالك وذهب غيره الى قبول توبته وانه يجري عليه احكام الاسلام في الميراث فاما
المتمادي اي المستمر على زندقته واعتقاده الفاسد الباطل فلا خلاف في انه لا يورث
عنه وقال ابو محمد هو ابن ابي زيد رحمه الله المذكور آنفا فيمن سب الله تعالى ثم مات ولم
تعدل ببنا المجهول وتشديد الدال المهملة اي لم تتم عليه بينة زكيت وعدلت او لم تقبل
اي او ثبتت عليه بينة ولم تقبل او ثبتت زندقته باقراره لكنه يقتل انه يصلى عليه
ويرثه المسلمون ويدفن في مقابرهم فيجري عليه احكام المسلمين لانه لم يحكم بكفره وروى
اصبغ عن ابن القاسم في كتاب ابن حبيب فيمن كذب برسول الله صلى الله عليه وسلم اي نسبه
الى الكذب في شي مما اوحي اليه وهو من المسلمين اذ الكلام فيهم وفي نسخة فيمن كذب
برسول الله او اعلن اي اظهر دينا اي اعتقادا او نحلة مما يفارق به الاسلام كالكفر به
والذي في نسختنا مما بما الموصولة وفي نسخة الشارح الحلبي ممن يفارق به بمن الموصولة
فقال انه اوقع من على ما لا يعقل من غير تجوز وتعليل ولا يكون اهل العربية غير قطرب
وهو قول ضعيف فكانه تبعه فيه ولك ان تقول ان صحت هذه الرواية فالمعنى ممن رجا اي
متلبسا بدينه ممن يفارق الاسلام ان ميراثه اي ما يورث من ماله وغيره في يوضع في بيت
المال ويصرف للمسلمين وقال بقول مالك اي وافقه في قوله ان ميراث المرتد في
يصرف للمسلمين ولا ترثه ورثته من اهل الاسلام ربيعة بن ابي ربيعة بن ابي عبد الرحمن
ابن فروخ فقيه المدينة ومحدثها الذي روى عنه مالك والليث وغيرهما واخرج له الستة
ووثقه احمد وغيره توفي سنة ست وثلاثين ومائة وقال بقوله ايضا الامام الشافعي وابو
ثور ابراهيم بن خالد الكلبي البغدادي احد المجتهدين الثقة المحدث روى عنه خلق
كثير واخرج له اصحاب السنن وتوفي في صفر سنة اربعين ومائتين وابن ابي ليلى وهو
القاضي ابو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن ابي ليلى الانصاري احد اعلام الدين في الفقه
والحديث واخرج عنه اربعة من اصحاب السنن ووثقوه وقال بعضهم انه سيئ الحفظ
توفي سنة ثمان واربعين ومائة وله ترجمة في الميزان واسمه يسار بمثناة تحتية والمراد انه وافق

اجتهادهم اجتهاده لانهم قلدوه اذ المجتهد لا يقلد غيره وهذا معنى قولهم في امثاله
كالشافعي في الفرائض مع زيد واختلف فيه اي القول به في الرواية عن احمد بن حنبل
فقيل قال به وقيل لم يقل به واما مذهب الصحابة فيه فقال علي بن ابي طالب وابن مسعود
ومذهب غيرهم من اهل العصر الاول مثل سعيد بن المسيب والشعبي والحسن البصري
وعمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الاموي الامام المشهور والحكم بفتحتين ابن عتيبة
مصغر عتبة بمثناة فوقية الكندي فقيه الكوفة الامام العابد الزاهد توفي في سنة خمس
عشرة ومائة واخرج له الستة ويوافقه في اسمه واسم ابيه دون جده الحكم قاضي الكوفة
وليس من رواة الحديث ووهم البخاري في تاريخه فجعلهما واحدا كما ذكره الحلبي والاوزاعي
والليث بن سعد واسحاق بن راهويه وابو حنيفة النعمان ترثه ورثته من المسلمين
لتعلق حقهم به قبل موته وقيل مذهب ابي ح في ذلك الميراث التفصيل فترثه ورثته
منهم فيما كسبه قبل ارتداده لتعلق حقهم به وما يكسبه في الارتداد اي في زمن
ارتداده في للمسلمين لانه مال كافر والكلام عليه وعلى ادلته مفصل في شروح الهداية
وغيرها قال القاضي ابو الفضل عياض المصنف رحمه الله وتفصيل ابي الحسن القابسي
في هذه المسئلة في باب في جوابه كما مر آنفا حسن بين ظاهر واضح وهو قوله ان
قتل وهو منكر للشهادة فالحكم في ميراثه على ما ظهر من اقراره الخ وهو على راي اصبغ
في ان ميراثه للمسلمين ان كان مسرا فاذا اعلن فهو في وخلاف قول سحنون بانه
للمسلمين كالزنديق واختلافهما اي اصبغ وسحنون مبني على قول مالك في ميراث
الزنديق هل ينظر لظاهر حاله او لباطنه لان الله رداه بردا سوته فترثه ورثته
من المسلمين سواء قامت عليه بذلك بينة او اعتراف بذلك
مع البينة او بدونها واظهر التوبة عما صدر منه وقاله اصبغ بن الفرج المصري ومحمد
ابن مسلمة قد قدمنا ترجمته وغير واحد من اصحابه اي كثير من اصحاب الامام
مالك ودليله ما قاله بقوله لانه مظهر للاسلام بانكاره او توبته بعد اعترافه
ونحن انما نحكم بالظاهر وحكمه حكم المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم اي في زمنه او المراد انهم على ما عاهدوه عليه من الاسلام فالعهد على الاول
بمعنى الزمان المعهود المعلوم فانه صلى الله عليه وسلم كان يعامل المنافقين معاملة المسلمين
في ميراثهم وغيره تالفا لقلوبهم وقلوب من قرب عهده بالاسلام لئلا يقول الاعدا انه
يقتل اصحابه حتى اعلمه الله بذلك فكان لا يصلي على بعضهم لان صلاته صلى الله عليه وسلم
شفاعة لهم واسر لحذيفة امرهم فكان عمر رضي الله عنه يصلي على من تاب منهم اذا صلى
عليه حذيفة واجرى احكام الاسلام نظرا لظاهر حالهم وروى ابن نافع عنه في
العتبية الكتاب المشهور وهو عبد الله بن نافع الصايغ المدني المحدث مولى بني مخزوم
وهو ثقة وقيل في حفظه شي ووثقه ابن معين وهو صاحبه الذي كان يلازمه
وروى عنه كثيرا واخرج له اصحاب السنن وترجمته في الميزان توفي سنة ست ومائتين
وكتاب محمد ابن المواز ميراثه في يصرف لجماعة المسلمين لان ماله تبعا لدمه
ودمه هدر فماله غنيمة وفي وقال به اي بهذا القول جماعة من اصحابه اي اصحاب
مالك وقاله من اتباعه ايضا اشهب والمغيرة بضم ميمه وكسرها اتباعا وهو المغيرة

ابن عبد الرحمن بن الحارث بن عياش بمثناة تحتية وشين معجمة توفي يوم الاربعا سنة
ثمان وثمانين ومائة وولد سنة اربع وعشرين **وعبد الملك** بن حبيب او المعروف
بابن الماجشون **ومحمد** بن المواز **وسحنون وذهب ابن القاسم في العتبية الى انه**
اي المرتد او الزنديق **ان اعترف بما شهد به عليه وتاب** ولم تقبل توبته **فقتل فلا يورث**
لانه حكم بكفره وقتل فلا يبقي لتوبته حكم في الدنيا فلا وجه لما قيل انه عجيب كيف لا يورث
وقد تاب ولا وجه لما قيل انه كيف لا يعمل بمقتضي الشهادة **وان لم يقر** وقد شهد عليه **حتى**
قتل او مات حتف انفه **ورث** ورثه المسلمون **وهو** مخفف او مشدد لان الاصل بقاوه
على الاسلام **قال** ابن القاسم **وكذلك** اي مثل من لم يقر حتي قتل او مات **كل من اسر** اي اخفي
كفرا باي وجه يكون ولم يظهره حتي مات **فانهم يتوارثون بوراثة الاسلام** فتجري
عليهم احكام الاسلام نظرا للظاهر حالهم **وسئل ابو القاسم بن الكاتب** تقدم بيانه
عن النصراني يسب النبي صلي الله عليه وسلم فيقتل بذلك **هل يرثه اهل دينه** الذي
ام المسلمون فاجاب بانه اي ميراثه في يتصرف للمسلمين لانه طعن في الدين ونقض
في العهد فماله كمال الحربي عنده **وليس** ما اخذه المسلمون **علي جهة الميراث لانه** لا توارث
بين مسلم وكافر اذ **لا توارث بين ملتين** كما ورد في الحديث الصحيح **ولكن لانه** اي ماله
من فيئهم الذي افاده الله عليهم **لنقضه العهد** بسبه له صلي الله عليه وسلم لانه طعن
في الدين وليس ما كفر به **وهذا معني قوله** اي قول ابن الكاتب **واختصاره** اي ايراده
بعبارة اخصر من عبارته ولذا لم ينقل بعينه وحكمه وحكم تصرفاته مفصل في كتب الفقه والله

الباب الثالث

من هذا القسم **في حكم من سب الله** بذكر ما هو عز وجل منزه عنه **و**حكم من سب **ملايكته**
وانبيائه عليهم الصلاة والسلام **وكتبه** المنزلة علي رسله عليهم الصلاة والسلام **و**
ال النبي صلي الله عليه وسلم وازواجه وصحبه رضي الله عنهم اجمعين اما الملايكة فجمع
ملك واصلها مالك من الالوكة وهي الرسالة فقلب وخفف كما مر وحقيقتهم عند المتكلمين
اجسام لطيفة قادرة علي التشكل باشكال مختلفة والفلاسفة واوايل المعتزلة لا ينكرونها
لكنهم اثبتوا جواهر روحانية غير جسمانية سموها عقولا واهل الشرع سموها ملايكة
واثبتوا لها تصرفا في العالم ومثلها الجن وانكر الفلاسفة وبعض المعتزلة الملايكة والجن
بالمعني الذي فسرهما به المتكلمون من انها اجسام من النور والريح قادرة علي التشكل كما
قاله الامام في المحصل لانها ان كانت لطيفة كالهوا لم تقدر علي الافعال القوية وان كانت
كثيفة لزم ان نشاهدها والا لزم ان يجوز وجود جبال شاهقة عندنا لا نشاهدها
وقالوا الجن الارواح البشرية الشريرة المفارقة لابدانها فهم لا ينكرونها راسا كما يتوهمه
بعض الناس فيقول انه مخالف لنص القران والحديث واجيب عما قالوه كما ذكره الكاتبي
في شرح المحصل بان اللطيف له معنيان ما لا لون له كالبلور وما هو رقيق القوام كالريح
فيجاز ارادة الاول فيقوي علي الاعمال الشاقة ولا يري او الثاني ولا يري لانها شفافة و
لا يري او لان للروية شروطا وموانع او لان الله لم يخلق رويتها لغيرها وقيل الجن والملايكة
جنس واحد والكلام علي هذا مفصل في كتب الحكمة والكلام وقد تقدم الكلام علي الاول

وهم الاقارب

وهم الاقارب والصحب اسم لصاحب وهو معروف **قال القاضي ابو الفضل** عياض رحمه الله
لا خلاف في ان ساب الله تعالي كافر حلال الدم اي مستحق للقتل شرعا فهو كناية
عما ذكر بقرينة ان الحل والحرمة من صفات الافعال دون الذوات والمراد اذا استمر بما لم يكفر
به كاثبات الولد والشريك فانه لا يقتل به اذا اظهره فانه نقض للعهد والظاهر ان
المراد بالسب ما هو سب عندهم فيخرج هذا عنه فلا حاجة للجواب عنه كما قيل **واختلف**
في استتابته اي طلب التوبة منه وقبولها **فقال ابن القاسم في** كتابه الذي سماه
المبسوط وفي كتاب سحنون ومحمد بن المواز **ورواه ابن القاسم عن مالك في كتاب**
اسحاق بن يحيي من سب الله تعالي من المسلمين قتل ولم يستتب اي لا تقبل توبته
لعظم جرمه لا تطلب منه توبة لانه قد يتوب فيتردد في قتله **الا ان يكون سبه افتراء**
علي الله بارتداده الي دين غير دين الاسلام واذ به اي تحزبه دينا طاعة **واظهره**
ولم يخفه **فيستتاب** اي يومر بالتوبة ورجوعه للاسلام **وان** ارتد لدين **لم يظهره لم**
يستتب وقتل لانه زنديق لا يوثق بتوبته والافتراء الكذب عمدا وسمي فعله هذا افتراء
مجازا او لا يستلزم اصله له **وقال في المبسوطة مطرف** مشدد بزنة اسم الفاعل وهو ابن
اخت الامام مالك كما تقدم **وعبد الملك** بن حبيب وابن الماجشون **مثله** بالنصب اي
مثل ما مر بتفصيله **وقال المخزومي ومحمد بن مسلمة** تقدم بيانه **وابن ابي حازم** بحاء
مهملة وزاي معجمة وهو عبد العزيز بن سلمة بن ابي حازم توفي سنة اربع او خمس او ست
وثمانين ومائة وهو ساجد في مسجد رسول الله صلي الله عليه وسلم **لا يقتل المسلم بالسب**
اي سب الله الذي كفر به **حتي يستتاب** فان تاب والا قتل واليه ذهب الشافعي وغيره
وكذلك اليهودي والنصراني اذا سب الله تع واحد منهما لا يقتل حتي يستتاب **فان تابوا**
قبل منهم الاتيان بالتوبة **وان لم يتوبوا قتلوا ولابد من الاستتابة** قبل قتلهم وهذا
حكمهم الان اذا قويت شوكة الاسلام بخلاف زمنه صلي الله عليه وسلم اذ لم يقتل اليهود الذين
قالوا يد الله مغلولة لما نزل اقرضوا الله قرضا حسنا فلم يستتبهم دفعا للفتنة **وذلك**
اي ما تقدم من سب الله كله **كالردة** في حكم الاستتابة **وهو** اي حكمه المذكور **الذي حكاه**
القاضي ابن نصر تقدمت ترجمته **عن المذهب** اي مذهب الامام مالك ولبعض الشراح هنا
كلام طويل بلا طائل وكيف يسوغ له البحث في مسايل الفقه الذي ينقلها مثل المصنف عن مذهبه
وافتي ابو محمد بن ابي زيد امام مذهب مالك المشهور **فيما حكي** بصيغة المجهول **عنه في رجل لعن**
رجلا اي دعا عليه باللعنة **ولعن الله تعالي** عز وجل **فقال** معتذرا عما قاله **انما اردت ان**
العن الشيطان فزل لساني اي سبق خطا ما قلته **فقال** ابن ابي زيد في فتواه **يقتل**
بظاهر كفره بما قاله **ولا يقبل عذره** لمخالفته للظاهر **واما** حاله في الاخرة **فيما بينه**
وبين الله تع فمعذور ان صدق وترك هذا القيد لظهوره فلا اعتراض عليه ولهذا افتي
الشافعية لان مخالفة الظاهر الصحيح لا تعتبر بدون قرينة وهي قاعدة مقررة عند الفقها
هنا وفي كلام ابن حجر بعد قول المصنف ولا يقبل عذره وقضية مذهبنا مقبوله **وافتي فقها**
قرطبة مدينة بالاندلس معروفة بضم القاف والطا المهملة وموحدة **في مسيلة هارون**
ابن حبيب اخي عبد الملك الفقيه الذي تقدمت ترجمته واخوه هارون لا يعد من العلما

بل من الامر او كان ضيق الصدر اي في نفسه ضيق مزق كثير التبرم اي الضجر والقلق
مما يصيبه كما فسر به في الصحاح وكان هارون قد شهد ببناء المجهول عليه بشهادات
في امور تقتضي تكفيره منها انه قال في استقلاله اي في زمن افاقته وقيامه من مرض
اصابه من قولهم استقل اذا ارتفع والمراد انه برئ منه فقال الحابري منه لقيت في
مرضي هذا ما اي امر لو كنت قتلت ابا بكر وعمر رضي الله عنهما ما استوجبت اي
استحققت هذا الذي لقيته كله فافتى ابراهيم بن حسين بن خالد من اجلاء فقهاء المالكية
بقرطبة توفي سنة ثمان وخمسين ومائتين بقتله لان مضمن قوله بالفتح بزنة
اسم المفعول اي ما تضمنه تجوير الله بجيم وراء مهملة اي نسبة للجور والتظلم منه اي
القول بانه ظلمه بما فعله والتعريض فيه اي في نسبة الله تعالى لما لا يليق به كالتصريح اي
كحكمه في التكفير وايجاب القتل ومعنى التعريض ما يقابل التصريح وهو من الكناية وليس
هذا محل بيانه وقول المصنف التعريض كالتصريح هو نقل عن ائمة مذهبه فلا وجه للاعتراض
عليه بان الفقهاء قالوا في كتب الفقه ليس حكمه حكم الصريح ونقله عن الشافعي وافتى
اخوه عبد الملك بن حبيب الذي تقدمت ترجمته وابراهيم بن حسين بن عاصم وصحح
في بعض النسخ بالتصغير بدله وهو الفقيه الجليل القرطبي توفي في رمضان سنة سبع
ومائتين وسعيد بن سليمان القاضي بطرح القتل عنه اي دفعه واصل معنى الطرح
الرمي للجمرات ففي التعبير به ايماء الى ان قتله جائز ولكنه درئ عنه الا ان القاضي
رأى عليه التثقيل بوضع القيود والاغلال في الحبس والشدة اي التشديد في الادب
والنكال لاحتمال كلامه لما ذكر من نسبة الله تعالى للجور والظلم وصرفه الى التشكي
من المرض لتألمه به لا الشكاية من الله ولهذا الاحتمال دفع عنه القتل وذكر النووي القولين
في الروضة من غير ترجيح وقال في شرح الروض الذي رجحه المحب الطبري انه لا يكفر قال
ابن حجر والذي عندي انه يفصل فيقال ان اراد الله بذلك ان الله شدد عليه ذلك لا لذنب
سبقت له او نحو ذلك لم يكفر وان اراد انه لم يفعل معه الاصلح في حقه فان كان مع اعتقاد
ان ما فعله معه جور كفر او انه لا يجب عليه الاصلح او اطلق لم يكفر انتهى وليس ما ذكر
مبني على مسألة وجوب الاصلح على الله وعدم وجوبه على الخلاف المذكور في الاصول
كما توهم واعلم ان ابن مفلح قال في كتاب الاداب الشرعية ان ابن عقيل رحمه الله قال
الرضى بقضاء الله تعالى في الامراض ونحوها من المصائب واجب وقال الشيخ تقي الدين انه ليس
بواجب على الاصح وانما الواجب الصبر وفيه كلام اطال فيه والحاصل ان المصائب والامراض
ليست بذنب سبق من العبد وانما هي ابتلاء من الله يثيب عبده عليه كما ورد في الحديث
وقد تقدم شيء منه فيما يصيب الانبياء وقول هذا القائل يقتضي انه يعتقد انها مصيبة بذنب
سلفت منه وهذا جهل منه فوجه قول من قال في ساب الله بالاستتابة انه يطلب
منه التوبة فان تاب والا قتل انه اي السب كفر وردة محضة اي خالصة ظاهرة لم
يتعلق بها حق لغير الله تعالى من عباده وحق الله لكرمه وغناه مبني على المسامحة فاشبه
الساب قصد الكفر بغير سب الله في ان كلا منهما ردة واشبه اظهار الانتقال عن دين
الاسلام الى دين آخر من الاديان كالنصرانية المخالفة للاسلام سواء اظهره ام لا

الاحاديث

ووجه

ووجه قول من ترك استتابته كما تقدم نقله عن بعض ائمة المالكية انه لما ظهر
منه ذلك السب المقتضي للكفر بعد اظهار الاسلام قبل مبني على الضم اي السب
الذي صدر منه اتهمناه جواب لما اي صار له تهمة في الكفر وظننا انه لم ينطق به
الا وهو معتقد له مصمم عليه بقلبه لفساد عقيدته اذ لا يتساهل اي يعدم تساهلا
هنا يتكلم به من غير تدبر في هذا اي سب الله تعالى شانه احد له عقل ودين فحكم له
بحكم الزنديق لان ظاهره وباطنه مضمر لخلافه بدليل ما صدر منه والزنديق لا يستتاب
فلما اشبهه حكم له بحكمه وهذا لا يقتضي ان سب الرسول صلى الله عليه وسلم ليس ردة
محضة حتى يشكل جريان الخلاف فيه كما قيل لان حق الله له حكم يخصه كما تقرر عند الفقهاء
ولم تقبل توبته لاخفائه الكفر فالظاهر استمراره عليه وان توبته انما هي ليخلص من
القتل وهذا ظاهر في ان معنى الزنديق من يظهر الاسلام ويخفي الكفر كالمنافق وقيل
هو من لا ينتحل دينا كما تقدم واذا انتقل من دين الى دين آخر واظهر السب بمعنى
الارتداد اي بمعنى يقتضي انه صار مرتدا فهذا المنتقل من دين لآخر بسبب ردته قد
علم بفعله هذا انه خلع ربقة الاسلام من عنقه اي خرج من الاسلام خروجا ظاهرا
الى الكفر وهو استعارة لان الربقة عروة في حبل تربط بها البهائم وتشد فاذا خلعتها
اي رمتها من عنقها شردت وذهبت نافرة فجعل احكام الدين وحدوده المانعة بالتزامها
عن المعاصي والكفر كالحبل الذي يربط به وفيه اشارة الى انه ملحق بالحيوانات العجم
ان هم الا كالانعام بل هم اضل وهو مقتبس من الحديث الآتي من فارق الجماعة قيد شبر
فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه والجماعة اهل السنة والربقة بكسر فسكون وجمعه
رباق بخلاف الاول المتمسك به اي بالاسلام فانه بمجرد سبه الله تعالى شانه لم يعلم انه
خلع ربقة الاسلام لتمسكه به ظاهرا فاشبه من قصد الكفر بغير سب وحكم هذا الذي
انتقل من دين آخر واظهر السب حكم المرتد الذي خلع ربقة الاسلام من عنقه يستتاب
فان تاب قبلت توبته والا قتل على مشهور مذاهب اهل العلم من اكثر علماء الحنفية والشا
والحنبلية وهو مذهب مالك واصحابه في كتبهم على ما بيناه قبل في الباب الاول
وذكرنا الخلاف مفصلا في فصوله الآتية بعد والله اعلم

ب

فعية

فصل واما من اضاف الى الله تعالى

اي نسب اليه ما لا يليق به اي لا ينبغي ان يعتقده احد في حقه ليس على طريق السب
اي لم يذكر قائله بقصد السب فجعل ما قصد به امر كمن جلس في طريق يمر به ذلك الامر
فهو مجاز او كناية عما ذكر ولا الردة اي ليس ذكره له على طريق الردة اي على وجه يقتضيها
وقصد الكفر اي قصد ما يعد كفرا ولكن كان ذكره لما لا يليق على طريق التاويل
اي قصد غير ما يظهر منه والاجتهاد اي يقوله اجتهادا برايه فيه والخطأ في اجتهاده
المفضي بفاء وضاد معجمة الى الهوى اي قوله المؤدي الى امر من هوى نفسه من غير
نظر للحق وتحقيق له والبدعة اي اختراع امر لم يسبق ولم يرد في الشرع والمراد
البدعة التي هي ضلالة فان البدعة قد تستحسن لعدم مخالفتها للشرع وقد تكون
واجبة كما فصل في محله ومقصوده بهذا الفصل بيان الحكم من خالف اهل السنة من الفرق

الذين لهم مذاهب مذكورة في الاصول كالمعتزلة ومن ضاهاهم من تشبيه اي
تشبيه الله تع بغيره كاثبات يد له وجسم وهذا بيان لما لا يليق او نعت اي وصف
الله سبحانه وتع بجارحة اي باثبات جارحة له والجارحة العضو من اجترح وجرح
بمعنى اكتسب قال تع ويعلم ما جرحتم كاليد والعين والوجه ونحوه مما ورد في الايات
والقران ولم يقصد ظاهره كالاستوا على العرش مما هو مصروف عن ظاهره كما سياتي
بيانه او نفي صفة كمال كنفي المعتزلة للصفات فرارا من تعدد القدما والمحذور انما
هو في اثبات ذوات قدما لا ذات وصفات واحترز بقوله كمال عن الصفات السلبية
فلا وجه لما قيل انه لم يحترز به عن شي لان صفاته كلها كمال فهذا المضاف اليه تع مع تاويله
مما اختلف السلف المتقدمون والخلف المتاخرون في تكفير قايله ومعتقده اي جملة
كما في مذهب الاشعري الى عدم تكفير اهل الاهوا والمذاهب المردودة وعلى ذلك اكثر الفقها
من الحنفية والشافعية وليس على اطلاقه كما ستراه واختلف قول مالك واصحابه في
ذلك اي في تكفير اهل الاهوا ولم يختلفوا في قتالهم اذا خرجوا فئة اي فارقوا اهل
السنة وانفردوا وامكان مختص لاظهارهم المخالفة وخشية اضلال العامة والخروج اذا
قويت شوكتهم ولم يختلفوا ايضا في انهم يستتابون اي تطلب توبتهم ورجوعهم عما قالوه
واعتقدوه فان تابوا ورجعوا عما هم عليه قبلت توبتهم والا قتلوا دفعا لشرهم
واضلالهم لغيرهم وانما اختلفوا اي مالك واصحابه في المنفرد الذي ليس معه جماعة
يتميز بها عن غيره منهم اي من لست له ما ذكر فاكثر قول مالك واصحابه ترك القول
بتكفيرهم للنهي عن تكفير اهل القبلة وترك قتالهم لتاويلهم ولرجاء توبتهم ورجوعهم
ولعدم ضررهم لغير انفسهم والمبالغة في عقوبتهم اي تشديد عقوبتهم واطالة سجنهم
بفتح السين اي حبسهم مدة طويلة حتى يظهر اقلاعهم اي رجوعهم عما هم فيه من القلع بمعنى
النزع والازالة اريد به ما ذكر وتستبين اي تظهر توبتهم ورجوعهم للحق كما فعل عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه بصبيغ بفتح الصاد المهملة وكسر البا الموحدة وسكون المثناة
التحتية وغين معجمة وهو رجل من بني يربوع اسمه صبيغ بن شريك بن عسل بكسر العين
وسكون السين المهملتين قال ابن ماكولا كان يتتبع مشكل القران ومتشابهه فامر
عمر رضي الله عنه بضربه ومنع الناس من مجالسته وهذا قول محمد بن المواز في الخوارج
وعبد الملك بن الماجشون وهم جماعة كانوا مع علي كرم الله وجهه في صفين ثم
خالفوه وخرجوا عليه لانكارهم التحكيم وقولهم لا حكم الا لله ولهم عقايد مخالفة للسنة
كتكفير مرتكب الكبيرة ووجوب الخروج على الامام اذا خالف السنة ومع ذلك كان لهم من
العبادة والشجاعة والتصلب فيما يعتقدونه امورا عجيبة وقد اخبر النبي صلى الله عليه
وسلم بهم قبل ظهورهم وقصتهم مع علي رضي الله عنه وقتاله لهم مشهورة في التواريخ وهو
ايضا قول سحنون في جميع اهل الاهوا من الفرق الضالة المضلة المفصلة في محلها
تشديد عقوبتهم ولا نقتلهم بل نطيل سجنهم حتى يتوبوا وبه اي بما ذكر فسر قول مالك
في الموطا كتابه المشهور وفسر قول مالك بقوله وما رواه مالك وفي نسخة ما رواه
بدون واو بدل من قول مالك اي فسر بعض اصحابه ما قاله وروايته عن عمر بن عبد العزيز
عن جده مروان بن الحكم وعمه عبد الملك بن مروان من قولهم بيان لما في القدرية يستتابون

فان تابوا

فان تابوا من كفرهم والا قتلوا لكفرهم بما مر وهو لا طايفة قالوا بنفي القدر وان الامر
انف لم يسبق تقديره فنسبتهم للقدر للملابسة السلبية وقد ورد في الحديث انهم
مجوس هذه الامة شبههم بهم لاضافتهم الامر لغير الله من النور والظلمة والكلام عليهم
وعلى عقايدهم مفصل في كتب الاصول وهم اصحاب واصل بن عطا الغزال وهم يقولون
يقع في ملكه ما لا يريده تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا او قال عيسى بن ابراهيم كما تقدم
وقيل هو ابو موسى الغافقي عن ابن القاسم تقدم بيانه في اهل الاهوا اي الاراء الفاسدة
الذين اتبعوا فيها هواهم الفاسد من الاباضية بكسر الهمزة وبالبا الموحدة والضاد
المعجمة جماعة من الخوارج اصحاب عبد الله بن اباض ظهروا في خلافة مروان بن محمد اخر
بني امية زعموا ان من خالفهم كافر غير مشرك تجوز مناكحته والقدرية وشبههم
في عقايدهم الباطلة ممن خالف الجماعة اي اهل السنة فان الجماعة عند الاطلاق
ينصرف لهم لاجتماعهم على الحق من اهل البدع اي الضلالة كالنصيرية والاسماعيلية
وغيرهم ممن فصل في كتاب الملل والنحل والتحريف لكتاب الله تع بتغييره وتاويله
بالتاويلات الباطلة يستتابون اي تطلب توبتهم ورجوعهم عن اعتقادهم الفاسد
ان اظهروا ذلك الاعتقاد حتى اطلعنا عليه واسروه اي اخفوه بحيث لا يطلع
عليه الا من هو منهم فان تابوا قبلت توبتهم وعفي عنهم والا بان لم يتوبوا قتلوا وميراثهم
لورثتهم من المسلمين لانهم يقولون انهم على الاسلام ويتاولون النصوص لما يدل على خلافهم
وانما قتلوا لاصرارهم على البدع المخالفة للحق كما يقتل تارك الصلاة لا للحكم بكفرهم فلا يرد
عليه ما قيل انهم اذا قتلوا لكفرهم كيف يرثهم المسلمون مع ما فيهم من مانع الارث ولا فرق
بينه وبين المرتد والفرق مثل الصبح ظاهر وقال مثله اي مثل قول عيسى ايضا تاكيد
لمثله ابن القاسم في كتاب محمد بن المواز في اهل القدر وغيرهم من اهل البدع المخالفين
في العقايد لاهل السنة قال اي ابن القاسم او محمد واستتابتهم معناها ان يقال
لهم اتركوا ما انتم عليه من العقايد الباطلة فان لم يتركوا قتلوا وورثتهم ورثتهم كما تقدم
ومثله اي مثل قول ابن القاسم في كتاب محمد المنسوب في كتاب المبسوط في حق الاباضية
والقدرية الذين بيناهم وساير اهل البدع من الفرق الضالة يستتابوا والا قتلوا قال
ابن القاسم وهم مسلمون لاظهارهم الاسلام وشعايره وانما قتلوا جواب سوال مقدر تقديره
لم قتلوا مع كونهم مسلمين فقال في جوابه لرايهم اي ما راوه من العقيدة السو بفتح فسكون
اي السيي المخالف لجماعة السنة واهل الحق وبهذا اي بما يوافق ما قاله ابن القاسم عمل الخليفة
الراشد عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم اي عمل به وحكم في زمان خلافته به وقد
استشكل بعض الشراح كلام المصنف فيما نقله عن ابن القاسم بان القدرية اطلقوا تارة على
من ينفي القدر كله ويقول ان الامور انف اي مستانفة ليس فيها لله قدرة ولا علم بها
وهؤلاء كفرة كما في الحديث المار انهم مجوس هذه الامة وهذه الطايفة كانت في اخر الدولة
الاموية وانقرضوا فان فسروا بهم فلا يصح انهم مسلمون وتارة على المعتزلة القايلين
بان الشر ليس بارادة الله وتقديره وهؤلاء لا يحكم بكفرهم قلت اذا حمل على هذا فلا اشكال
فيما قاله ابن القاسم وان كان هو لم يبين مراده لانهم لكونهم انقرضوا كان كلامه منصرفا
اليهم بقرينة خارجية وقال ابن القاسم من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى تكليما

مصدر مؤكد لنفي احتمال التجوز فيه **استتيب** اي تطلب توبته ورجوعه عما اعتقده **فان تاب** ورجع عن انكاره لكلام الله قبلت توبته **والا قتل** لانكاره لما اخبر الله به في كلامه الكريم المتواتر فان اراد ابن القاسم انه يكفر لانكاره القرآن وتكذيبه لما قاله اصدق القايلين من غير تفصيل فيه فله وجه وان اراد ان ما ذهب اليه المعتزلة من ان ما سمعه موسى عليه الصلاة والسلام خلقه الله في الشجرة لا انه صوت وحروف حادثة صدرت منه لان ذاته لا تقوم بها الحوادث والكلام النفسي لا يسمع عندهم فتكفيرهم بهذا غير مسلم والكلام على مسئلة الكلام مفصل في كتب الاصول لا يسع تفصيله هذا المقام وقد افردوه بالتاليف **وابن حبيب وغيره من اصحابنا** المالكية فهي صحبتهم موافقتهم مذهبا لا صحبة حقيقية **يرى** اي يعتقد **تكفيرهم** اي انهم كفروا اعتقادهم هذه **ويرى تكفير امثالهم** من اهل البدع والعقايد الفاسدة **من الخوارج** بيان لامثالهم وقد تقدم بيان الخوارج **والقدرية** الذين تقدم ذكرهم **والمرجئة** مهموز بزنة اسم فاعل من الارجاء وهو التاخير والامهال وهم فرق خمس ذهبوا الى انه لا تضر معصية مع الايمان كما لا تنفع طاعة مع الكفر وتكفيرهم لانكارهم النصوص المتواترة وما علم من الدين بالضرورة قيل كان ينبغي ان يسموا المتركة لدلالته على انه لا عذاب اصلا مع موافقته لقولهم الفعلة التركة وهو كلام في غاية الركاكة واللغة لا اتصال والتاخير مرادبه الترك كثيرا وقد علمت ان المرجئة بالهمزة وبتبديل ياء والقدرية بفتح الدال ويجوز تسكينها **وقد روي ايضا عن سحنون مثله** اي مثل قول ابن حبيب في التكفير **فيمن قال ليس لله كلام انه كافر** لانكاره ما ثبت بالتواتر وما يلزمه من تكذيب الله ورسله فتكفيره بناء على ظاهر كلامه واطلاقه صيانة للشرع لئلا يخرق السياج فلو قال اردت بذلك انه ليس له كلام بحروف واصوات حادثة كالبشر لتنزهه عن قيام الحوادث به عند غير الكرامية وهم من الفرق الضالة فضلا عما ذهب اليه كثير من اهل السنة كالاشعري المثبت للكلام النفسي فلا يكفر قايله وان ذهب الى قدم الالفاظ كثير من السلف كالحنابلة واول الشهرستاني كلام الاشعري في رسالة له لخصها الشريف في شرح المواقف والكلام فيه مشهور بين العلما وفيه تاليف مستقل **واختلفت الرواية عن مالك** في اهل البدع والاهوا **فاطلق** القول بتكفيرهم عن مالك **في رواية الشاميين** اي من اتبع مذهب مالك من اهل الشام **ابي مسهر** بزنة اسم فاعل بسين وراء مهملتين بينهما هاء بدل من الشاميين وهو عبد الله بن مسهر الغساني المالكي **ومروان بن محمد الطاطري** الدمشقي والطاطري بطائين مهملتين مفتوحتين وراء مهملة نسبة الى بياب بيض كان يبيعها وهي تعرف بالطاطرية بمصر والشام وهو امام محدث ثقة اخرج له مسلم وغيره وله ترجمة في الميزان وهو من زهاد العلما توفي سنة ست عشر ومايتين **الكفر عليهم** اي قال بكفرهم مطلقا او سماهم كفرة واطلق اسم الكفر عليهم **وقد شوور** ببناء المجهول اي شاوره كما كان استشاره بعض الناس **في تزويج القدري** اي عقد نكاح له من نساء اهل السنة **فقال لا تزوجه** لانه كافر عنده ومثله لا يحل تزويجه بمسلمة وقد **قال الله تعالى ولعبد مومن خير من مشرك ولو اعجبكم** اي لعبد المومن وان كان فقيرا خير من المشرك وان كان غنيا وفيه ترغيب وترهيب وفي الاية كلام في كتب التفسير **وروي عنه** اي عن مالك

ايضا اي كما روي عنه فيما مر انه قال **اهل الاهوا** اي البدع والعقايد المخالفة لاهل السنة **كلهم كفار** لعقايدهم الباطلة **وقال** مالك ايضا **من وصف شيا من ذات الله** اطلاق الذات بمعنى النفس على الله مشهور وفيه كلام تقدم **واشار** حال وصفه له **الى شيء من اعضاء جسده يد** بدل من جسده بدل بعض من كل **او سمع او بصر او نحوه فطع ذلك** العضو **منه** الذي اشار له حال وصفه واشارته كناية عن ان ما ذكر من الاعضا حقيقي كالمحسوس المشار اليه وانما عوقب بذلك **لانه شبه** بشين معجمة من التشبيه وهو باشارته شبه **الله بنفسه** في اثبات الاعضا والتجسيم له ومسئلة من المتشابه وللسلف فيه خلاف فبعضهم نهى عن الخوض فيه وتاويله لانه مما يستحيل في حقه وذهب بعضهم الى تاويله بما يصح في حقه كتفسير اليد بالقدرة والتصرف ونحوه ومنهم من قال انها صفات له لا يعلم حقايقها وسماها الصفات السمعية وعلى كل حال فالتشبيه غير صحيح ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وقيل انما الكلام قصد بكلامه هذا الزجر الشديد لا القطع حقيقة لانه عقوبة لم ترد في الشرع او اراد الدعا عليه بذلك فانه اجل من ان يقول مثله حقيقة انتهى ولا يخفى ان ما قاله خلاف الظاهر واذا كان عنده هذا كفرا او هو مستحق للقتل فاي مانع من عقوبته بمثل ما ذكر وما وجه استبعاده **وقال مالك فيمن قال القرآن مخلوق هو كافر فاقتلوه** اعلم ان هذه المسئلة مما ابتلي بها السلف حتى اختار بعضهم السجن والضرب ولم يرضوا بان يقولوا ذلك ومن الحزم ما روي في كلامه فقال لفظي القرآن مخلوق وقال بعضهم التوراة والانجيل والزبور والفرقان وعدها باصابعه وقال هذه الاربعة مخلوقة الى غير ذلك والقرآن يطلق على الكلام النفسي والصفة المعنوية القايمة بذاته تعالى وعلى الكلام القايم بذاته عند من قال بقدم الالفاظ كالحنابلة والشهرستاني وعلى ما يقرؤه الناس ويكتبونه والاولان قديمان والثالث محدث مخلوق لكنه منع من قوله تادبا وتنزيلا للصورة منزلة ذيها ولئلا يوهم معنى الاختلاق الذي هو بمعنى الافترا والكذب قال ابن طلحة في كتاب آداب حملة القرآن اول ما قاله الوليد بن المغيرة وقد فسر قوله تعالى قرانا غير ذي عوج بغير مخلوق وورد غريبا في الحديث القرآن كلام الله ليس بمخلوق وعليه انعقد الاجماع قبل ظهور المعتزلة وحكم من قاله انه يودب ثم يستفصل فان قال اردت الحروف والاصوات ترك ولا يقتل وان قال اردت المعنى القايم بالذات قيل مطلقا او ان لم يتب قولان وهل يعذر بالجهالة ام لا فيه خلاف وموسى سمع كلام الله من غير صوت ولا حرف كما نرى الله في الجنة من غير جهة وتجسيم ولا تجوز التورية عنه كما مر الا اضطرارا انتهى وهذه الرواية عن مالك بناء على انه يجوز التعزير بالقتل وهو الذي يسميه بعض الفقهاء سياسة لا ما يفهمه الناس من انه ما امر بفعله الامام على خلاف الشرع وبه صرح ابن تيمية في السيف المسلول كما مر وعليه حمل ما مر من قتل اهل الاهوا فلا اشكال فيه كما قيل **وقال ايضا** الامام مالك **في رواية ابن نافع** عن مالك انه **يجلد ويوجع ضربا ويحبس حتى يتوب** وهذا هو الصحيح وابن نافع تقدمت ترجمته **وفي رواية بشر بن ابي بكر التنيسي** عن مالك وهو بكسر الموحدة وسكون الشين المعجمة وراء مهملة بكسر التاء المثناة الفوقية وتشديد النون المكسورة ومثناة تحتية وسين مهملة وتنيس قرية كانت بقرب دمياط ينسج فيها ثياب مشهورة بغاية الجودة وهي في جزيرة صغيرة تسمى

تونة الكل البحر وتاوها مكسورة على الصحيح وجوز بعضهم فتحها وبشر بن بكر
هذا امام محدث جليل ثقة خرج له اصحاب السنن وتوفي سنة خمس ومايتين وله
ترجمة في الميزان عنه اي عن مالك انه يقتل ولا تقبل توبته والصحيح ما تقدم
وقال القاضي ابو عبد الله البركاني بزنة الزعفراني بباء موحدة ومثناة فوقية وكاف
ونون بعد الالف وياء النسبة الى نوع من الاكسية والقاضي ابو عبد الله التستري
من اصحاب مالك نسبة لتستر بتا بن مثناتين فوقيتين كما تقدم من ائمة المالكية
العراقيين نسبة لعراق العجم اقليم معروف جوابه اي جواب مالك في هذه المسئلة
مختلف روايته عنه في القتل وعدمه بقتل المستبصر هو بسين وصاد وراء مهملات
قبلها مثناة ونون اي من له اعوان ينصرونه وقيل انه بباء موحدة اي من له بصيرة
في اقامة الادلة على مراده كذا في الشروح والاول انسب بقوله الداعية بدال وعين
مهملتين الذي يدعو الناس لمذهبه ويطلب ظهوره والتا فيها للمبالغة لا للتانيث كما
فيها اشد فتنة فلذا رأى مالك قتله دفعا لغايلته بخلاف غيره وبناء على هذا
الخلاف في الرواية عن مالك المبني على انه كان داعية ام لا انه اختلف قوله اي مالك
في اعادة الصلوة اذا صليت خلفه اقتدا بامامهم فتارة قال يعيد وتارة قال
لا يعيد وهو مبني على ان الامام داعية ام لا اي المبني على التكفير وعدمه ومذهب الحنفية
والشافعي صحة الاقتدا باهل البدع والاهوا مطلقا والادلة مفصلة في كتب الفقه
وحكى ابو بكر بن المنذر هو امام جليل ادعى الاجتهاد وعد في اصحاب الشافعي وهو حافظ
ثقة كما تقدم رواية عن الشافعي رضي الله عنه لا يستتاب القدري لكفرهم ونقيم
تعذير الله كما مر واكثر اقوال السلف تكفيرهم اي جاءت بالحكم بتكفيرهم وفيه خلاف
وممن قال به اي اعتقد كفرهم الليث وابن عيينة وابن لهيعة بفتح وكسر وهولاء
كلهم تقدمت تراجمهم وروي عنهم اي عمن ذكر من السلف ذلك اي تكفيرهم كما روي عنهم
فيمن قال بخلق القرآن وقد سمعت ما فيه وقال ابن المبارك اسمه عبد الله كما تقدم
والاودي بفتح الهمزة وسكون الواو وكسر الدال منسوب لاود قبيلة وهو عثمان بن
الحكم ووكيع ابو سفيان بن الجراح الرواسي كما تقدم وحفص بن غياث بكسر الغين المعجمة
وفتح الياء التحتية المخففة والف بعدها مثلثة ابو عمرو النخعي قاضي الكوفة الامام الحافظ
اخرج له الستة وترجمته في الميزان توفي سنة اربع عشرة ومائة وابو اسحاق الفزاري
ابراهيم بن الحارث ابن اسما بن خارجة الفزاري احد العلما الاعلام اخرج له ايضا الستة
وتوفي سنة ست او ثمان وثمانين ومائة وهشيم بن بشر السلمي الواسطي الحافظ الثقة
توفي سنة ثلاث وثمانين ومائة واخرج له الستة وترجمته في الميزان وعلي بن عاصم
ابن صهيب الواسطي احد الائمة الاعلام الذي اخرج له اصحاب السنن كما في ترجمته في الميزان
وتوفي سنة احدى ومائة وعمره سبع وتسعون في آخرين من الائمة الذاهبين لهذا وهو
اي ما قاله هولاء من قول اكثر المحدثين اي ائمة علم الحديث والفقها والمتكلمين فيهم
متعلق بقوله اي في المبتدعة وفي الخوارج والقدرية واهل الاهوا اي المتبعين
لهوى انفسهم في العقايد الفاسدة المضلة بزنة اسم الفاعل ويجوز كونه اسم مفعول ايضا
واصحاب البدع المتاولين للنصوص بتاويلات باطلة وهو قول احمد بن حنبل في هولاء

وكذلك اي مثل هذا القول قالوا اي قال من الائمة الذاهبين للتكفير في الفرقة الوا
وفي نسخة الواقفية بياء النسبة وفي الفرقة الشاكة في هذه الاصول متعلق بالواقفة
والشاكة على التنازع او التجاذب والمراد بالواقفة قوم توقفوا في اتباع البدعة او السنة
لجهلهم او لتعارض الادلة عليهم فلم يقولوا القرآن مخلوق او غير مخلوق وكذا الشاكة فرقة
شكوا في ذلك وقال بعض الشراح ليس المراد بهم كل من توقف او شك بل هم طايفة من الامامية
لهم اعتقادات فاسدة وتوقفوا في كثير من احكام الدين واخرجوها عن اصوله واقوالهم في
الامامة وانها لاولاد علي وقالوا بالرجعة بعد الموت في الدنيا وغيبة الامام في جبل رضوى
ويجوز ارادة كل من شك ولم يتبع الحق ولم ينظر في اصول اهل السنة عنادا منه والحادا
وممن روي بنا المجهول عنهم معنى القول الآخر المخالف لهذا القول بترك تكفيرهم اي تكفير
اهل البدع والاهوا من الفرق المذكورة علي بن ابي طالب وعبد الله بن عمر بن الخطاب والحسن
البصري وهو اي القول بترك تكفيرهم راي جماعة من الفقها كالشافعي لقوله رضي الله عنه
لا اكفر احدا من اهل القبلة الا الخطابية كما حكاه النووي في الروضة والنظار جمع ناظر
لكفار جمع كافر اي اصحاب النظر والمعرفة بالادلة والقادرين على المناظرة والمتكلمين
من علما اصول الدين واحتجوا اي استدلوا على عدم التكفير بتوريث الصحابة والتابعين
اي بحكمهم بتوريث ورثة اهل حروراء من ابايهم واقاربهم وحروراء بفتح الحاء المهملة وراء مهملة
مضمومة قبل واو واخرى مهملة بعدها الف ممدودة وهمزة ويجوز قصره علم قرية على ميلين
من الكوفة اجتمع فيها الخوارج الذين اجتمعوا على علي رضي الله عنه وتعاقدوا على آرايهم الفا
وعلى قتاله فنسبوا لمحلهم وآرايهم واعتقاداتهم مفصلة في المبسوطات وورثوا من
عرف بالقدر وكان من القدرية وورثته ممن تاب منهم اي من الخوارج والقدرية ودفنهم
في مقابر المسلمين لعدم تكفيرهم وجري مصدر مجرور مضاف لقوله احكام المسلمين
عليهم بصيانة دمايهم واموالهم وغير ذلك قال اسماعيل القاضي هو اسماعيل بن اسحاق
الحافظ كما تقدم في ترجمته وانما قال مالك في القدرية وساير اهل البدع جواب عن
مخالفة قول مالك لمذهب هولاء مع قوته وذهاب السلف اليه من الصحابة والتابعين
وعلماء الدين واهل الاصول فقول مالك انهم يستتابون اي تطلب منهم التوبة فان
تابوا قبلت توبتهم والا اي وان لم يتوبوا قتلوا فحكمه بقتلهم ليس لكفرهم بل لانه اي اعتقا
الباطل من الفساد في الارض وهو ما يجب دفعه فان لم يندفع الا بالمقاتلة والقتل قتلوا
لما يلزمه من اضلال الناس وافساد عقايدهم كما قال مالك في المحارب من البغاة الخارج
على السلطان وعقايدهم غير باطلة ان راي الامام قتله مصلحة لدفع فساده
وان لم يقتل ذلك المحارب احدا قتله ليس قتله لكفره بل لدفع فساده وفساد المحارب
انما هو في الاموال التي ياخذها او يفسدها ومصالح الدنيا التي تعود نفعها بتغلبه على
البلاد واهلها لقوله تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا
الخ فالساعي بالفساد يستحق القتل وليس كل قتل للكفر لمذهب مالك يخالفه قول غيره
في قتل اهل البدع لانه يوافقهم في عدم تكفيرهم وفي شرح المواقف اعلم ان عدم تكفير
اهل القبلة موافق لكلام الاشعري والفقها لكن اذا فتشنا عقايدهم وجدنا فيها ما يوجب
الكفر قطعا مما يقدح في الالوهية او النبوة انتهى قيل فعلى هذا لا ينبغي اطلاق القول

بالتكفير وعدمه وفيه بحث وما قيل من ان ما قاله القاضي غير مستقيم لانه ان قيد
بالكفر في حكمه كفر والا فلا حاجة للالحاق مع انه يقتضي استحقاق كل من ظهر فساده للقتل
كلام لا وجه له لمن له ادنى تامل وقول المصنف وان كان فساد الساعي بالفساد قد يدخل ايضا
اي كما يفسد الدنيا معناه انه قد يؤول فساده في الدخول في امر الدين اي قد يؤول فساد
الدنيا الى الافساد في الدين ولذا منعه مالك بنا على قواعده في الذريعة وسدها من سبيل
الحج والجهاد اي بفساده يفسد سبيل الحج والجهاد بما يمنعه فلهذا اجاز قتله لئلا يسري
فساده للدين وفساد اهل البدع معظمه اي اكثره وجود اراجح وعايد على الدين لعقايدهم
الفاسدة التي يضلون بها الناس وقد يدخل في امور الدنيا فحالهم عكس حال المحارب
الذي معظم فساده في الدنيا وقد يدخل في امور الدين فيعلم جواز قتله بالطريق الاولى ه
وبين دخوله في الدنيا بقوله بما يلقون بضم اوله مضارع القى بمعنى رمى وطرح وهو كناية
عن ظهوره بين المسلمين من العداوة الدينية التي تسري لدنياهم بالمقاتلة والمحاربة
ونهب الاموال وتخريب الديار والله الموفق للصواب من اتباع الحق وترك الباطل وكسر
شوكته وهذا بنا على عدم تكفير الخوارج وفيه خلاف مشهور والبغاة امرهم مفصل في كتب
الفقه والله اعلم هـ

فصل

ذيل به ما قبله في تحقيق القول في اكفار المتاولين من اصحاب البدع والاهوا الذين
اولوا عقايدهم الباطلة بما يجعلها صحيحة واولوا بعض النصوص المشكل ظاهرها قد ذكرنا
في الفصل الذي قبل هذا مذاهب السلف من الصحابة والتابعين ومن تبعهم من المتقدمين
في اكفار اصحاب البدع والاهوا من الفرق الضالة المتاولين لمقالاتهم الباطلة حتى
لا يقتلوا ممن قال قولا يؤديه بضم التحتية وفتح الهمزة وتشديد الدال المهملة اي يوصل
ويفضي مساقه مصدر ميمي اي سوقه وسوق الكلام وسياقه ما يدل عليه بواسطة ما ذكر
معه الى كفر متعلق بيؤديه اي يؤدي اليه كقول المعتزلة انه لا يفعل القبيح ولا يريده ه
وانه يؤدي الى ما لا يليق من عدم القدرة ونحوه وهم يأولونه بانه بتمكينه وخلق القدرة ه
ويقولون فعل القبيح قبيح والكلام عليه مفصل في كتب الاصول وهو اي القايل اذا وقف
عليه اي على ما يؤدي اليه كلامه لا يقول اي لا يعتقد جازما بما يؤديه قوله اليه من الكفر
ومعتقدا ما له وقوله وقف كناية عن الاطلاع عليه والعلم به وليس تعديه بعلى لهذا كما قيل
فانه يتعدى بها كما يقال وقف على الارض وبنا على اختلافهم اي السلف اختلف الفقها
والمتكلمون في ذلك اي في تكفيرهم وعدمه بناء على مسئلة اصولية وهي ان لازم المذهب
ليس هو مذهبا ام لا فمنهم اي الفقها والمتكلمين من صوب بتشديد الواو اي عده صوابا
صحيحا والتصويب ضد التخطئة التكفير اي القول بكفرهم الذي قال به الجمهور من السلف
اي اكثرهم نظرا لما يؤدي اليه صونا لحظاير القدس وحماية لجانب الربوبية والتكفار والتكفير
بمعنى ومن قال الاول بما هو من الكفارة فقد اخطا كما في المغرب وغيره من كتب اللغة ومنهم
من اباه اي منع تكفيرهم بمثله ولم ير اخراجهم اي اخراج هؤلاء القايلين بما ذكر من سواد
المسلمين صونا لاهل القبلة للاحاديث الواردة في النهي عنه كالحديث الاتي امرت ان
اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم ونحوه من الاحاديث

الصحيحة والسواد هنا بمعنى الجماعة قال في الاساس سواد المدينة ما حولها والسواد
الاعظم جماعة المسلمين كثرت سواد القوم بسوادي اي جماعتهم بشخصي وقلت
لما تغلب سود الخصيان على ارض مصر في الدولة الابراهيمية النمرودية هـ

سواد وجوه الملك سود عبيدها • بتسويدهم سودون البرية سودها
فقد غلط الدهر الدني بفعله • فظن سواد المسلمين عبيدها

وورد سواد الناس بمعنى عامتهم وليس بمراد هنا وان جاز على بعد وهو قول اكثر الفقها
وقد علمت انه بنا على الظاهر والكثير وليس على اطلاقه لانه لتعلقه بذلك من مسايل الكلام
من وجه ومن مسايل الفقه من وجه وقالوا هم اي اهل البدع فساق كفسار جمع فاسق
وعصاة لارتكابهم كباير من فساد العقايد والاعمال ضلال بضم الضاد المعجمة وتشديد اللام
جمع ضال ونوارثهم مضارع بنون العظمة او الجماعة من المسلمين اقاربهم اي نحكم بارث
المسلمين لهم ومنهم ونحكم لهم باحكامهم فيما لهم وعليهم لعدم تكفيرهم وبهذا القول قال
سحنون ولا اعادة للصلاة على من صلى خلفهم لصحة الاقتدا بهم وصحة صلاتهم وفي بعض
النسخ في وقت واحد ولا في اكثر اي الاوقات وذكره دفعا لتوهم انه قد تسقط الاعادة هـ
في الاوقات الكثيرة دون غيرها للمشقة فيها قال سحنون وهو اي هذا القول او عدم اعادة
الصلاة قول جميع اصحاب مالك كلهم وفي نسخة منهم المغيرة وابن كنانة واشهب وقد
تقدمت تراجمهم قال سحنون لانه اي المبتدع مسلم وذنبه الذي ارتكبه من بدعته لم يخرجه
من الاسلام لتصديقه بالله ورسوله والتزام احكام الدين في ظاهر حاله واضطراب
اي تردد وشك اخرون في ذلك الحكم من تكفيرهم وعدمه ووقفوا عن احد الطرفين
فلم يحكموا باسلامهم ولا بعدمه عن القول بالتكفير وضده وهو الاسلام وقول رابع
وهو التفصيل كما تقدم واختلف قول مالك في ذلك فله قول بتكفيرهم وقول بخلافه
فلذا اضطرب بعضهم وتوقف اخرون فيهم وفي نسخة واختلاف قولي مالك وتوقفه
عن اعادة الصلاة خلفهم منه اي من هذا القبيل الذي اختلف فيه قوله فتارة قال
يعيد وتارة قال لا يعيد والى نحو من هذا التوقف المنقول عن مالك ذهب القاضي
ابو بكر الباقلاني من ايمة اهل الاصول امام اهل التحقيق والحق ومقتداهم في الاصول
والفروع ولا يلزم من توقفهم اثبات منزلة بين المنزلتين كالمعتزلة كما توهم وقيل انه يشكل
لتعطيل كثير من الاحكام وفات امرهم في الاخرة الى الله وقد قيل من قال لا ادري فقد افتى
وكم توقف المجتهدون في مسايل من امور الدين لم تضرهم ولا عيرهم والقاضي ابو بكر
الباقلاني اشتهر انه شافعي وقيل انه مالكي وصححه بعضهم وسيصرح به المصنف وهو الاصح
وقال القاضي ابو بكر المذكور انها اي هذه المسئلة من المسايل المعوصات اي المشكلة
لقوة الاراء المتعارضة فيها وهو بضم الميم وسكون العين المهملة وكسر الواو المخففة وصاد
مهملة وضبطه بعضهم بفتح العين وتشديد الواو وهو من قولهم اعتاص اذا التوى والعوص
ما لا يفهم من الشعر وغيره ويصعب استخراجه اذ القوم ممن ارتكب البدعة لم يصرحوا بالكفر
في شي مما قالوه وانما قالوا ما يؤدي اليه اي ما يلزمه الكفر وظن بعضهم ان القوم هم
علما السلف والمراد انهم لم يطلقوا عليهم اسم الكفر وما بعده يأباه واضطرب قوله
اي قول القاضي في المسئلة فهو مختلف على نحو اضطراب قول امامه مالك بن انس هـ

جه

فه

د

يص

وهذا صريح في انه مالكي المذهب وبه صرح الزناتي في طبقاته فقال ابو بكر محمد بن الطيب
المعروف بابن الباقلاني الاصولي الاشعري المالكي مجدد الدين على راس المائة الرابعة
على الصحيح انتهى الا انه يحتمل ان يريد به ابو بكر بن العربي المالكي الان في العبارة ما
يأباه ظاهرا فتدبر حتى قال القاضي ابو بكر في بعض كلامه انهم على راي من
كفرهم بالتاويل في اقوالهم لا تحل مناكحتهم اي تزوج المسلمات ولا اكل ذبائحهم
كالمشركين ولا الصلاة على ميتهم لانهم كفرة عنده ويختلف في موارثتهم على الخلاف
المتقدم في ميراث المرتد وقال القاضي ايضا نورث بالتشديد والتخفيف ميتهم
اي نعطي ميراث من مات منهم ورثتهم من المسلمين تقديما على بيت المال لعلاقة الاسلام
السابقة ولا نورثهم اي لا نعطيهم ميراث من مات من اقاربهم من المسلمين لانقطاع علاقة
الارث بينهم عند استحقاق الارث واكثر ميله اي القاضي الى ترك التكفير لاهل البدع
بالمآل اي ما يؤول اليه كلامهم لان لازم المذهب ليس بمذهب عندهم وكذلك اي مثل
ما اضطرب قول القاضي اضطرب قول شيخه الاشعري وهو شيخه في الاصول وقدوته
وهو لم يره وانما روي عنه بواسطة كذا قيل واكثر ما نقل عنه قول ترك التكفير لهم
وان التكفير انما يلزم خصلة اي صفة واحدة وهو ذكره لمعنى الوصف الجهل بوجود
الباري تقدس وتعالى لقوله في الحديث حتى يقولوا لا اله الا الله كما تقدم بان لا يعرف
الله ولا يعترف به ولا بوحدانيته وقال الاشعري او القاضي مرة من اعتقد ان الله
تعالى جسم كالمجسمة والنصارى او المسيح بالرفع اي قال ان الله هو المسيح عينه او
حل فيه او قال ان الله بعض من يلقاه في الطرق فليس بعارف به اي جاهل بالله تعالى
لا يعرفه كقوله لمن ليس باله هو الله وهو اعظم جهل به وهو بسبب ما قاله كافر لان
كل من لم يعرف الله كافر كما قدمه ولمثل هذا القول ذهب ابو المعالي عبد الملك بن يوسف
امام الحرمين كما تقدم في اجوبته لابي محمد عبد الحق لما ساله عنه قال الحافظ الحلبي
ليس هو الحافظ عبد الحق الاشبيلي صاحب الاحكام وغيره لانه من اهل المائة الخامسة
وامام الحرمين من اهل الرابعة فليس من اهل عصره وفي بعض النسخ ذهب الوليد سليمان
في اجوبته لابي محمد عبد الحق وهو لا يصح ايضا لاختلاف عصريهما وقال التلمساني هو
عبد الحق بن محمد بن هارون السهمي توفي سنة ست وتسعين واربع مائة ومن العجب
ما قيل ان عبد الحق هو الاشبيلي والسهمي واللام في قوله لابي محمد ليست متعلقة باجوبته
وانه هو السائل بل المراد في اجوبته الكائنة لابي محمد اي الذي جمعها او صنفها كما يقال
اجوبة مالك لابن سحنون والجار والمجرور ليس لغوا وهو تعسف لا معنى له ولا يخطر
ببال وكان ابو محمد عبد الحق سأله عن المسألة المذكورة في اهل البدع فاعتذر له
عن ترك الجواب له بان الغلط فيها اي في هذه المسألة يصعب ويشكل على من خاف
ان يقول في الشرع ما ليس منه لان ادخال الكافر في الملة اي ملة الاسلام وهو
ليس من اهله لكفره واخراج مسلم منها اي من ملة الاسلام امر مشكل عظيم في الدين
لما فيه من خطر الجانبين فلهذا لم يجبه في هذه المسألة تحوفا من الله تعالى واعلم ان الاشعرية
قالوا ان المجسمة منهم من قال انه جسم بلا كيف اي ليس جسما كالاجسام في المادة وهذا
مذهب الحنابلة وبه صرح ابن سمعة وقال معنى قولنا جسم انه ليس بعرض وهذا هو

نظرا صح

البلكفة

البلكفة وهؤلاء ليسوا بكفار عندهم بل مبتدعون ومنهم من اثبت له الجسمية بلوازمها
وهؤلاء كفار كما صرح جوابه وصرح به الرافعي في الشرح وقيل ليسوا بكفار مطلقا
والاصح الاول ومن لقي رجلا في الطريق فقال هو الله هو بعض الحصلة من الحلولية
وليس منهم مشايخ الصوفية كابن عربي وابن الفارض نفعنا الله ببركاتهم وصاننا عما نسب
اليهم فلا تغتر بمن تعصب عليهم من ظاهرية الفقهاء وقال غيرهما اي غير الاشعري وابي
المعالي من المحققين الذي يجب الموصول مبتدا خبره الاحتراز اي الحذر من التكفير في
اهل القبلة من اهل التاويل الذين اولوا مقالاتهم بما يوافق الشرع وان لم يقبل تاويلهم
فان استباحة دماء المسلمين وفي نسخة بدل المسلمين الموحدين خطر اي امر عظيم
يخشى منه غضب الله والخطأ في ترك قتل الف كافر اهون اي اخف واقل عند الله من الخطأ
في سفك اي اراقة محجم بكسر الميم اسم آلة يؤخذ فيها دم الحجامة المعروفة من دم مسلم
واحد بحسب الظاهر لم يحكم بكفره وحاله عند الله وفيه مبالغة لانه عند الله كناية عن
قلة القتل وتوهم ان نفس اراقة دم محجمة واحدة بالحجامة لا القتل اهون من قتل الف
كافر وليس بمراد وقد قال صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح رواه البخاري وغيره امرت
ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا
الزكاة فاذا قالوها يعني صلى الله عليه وسلم كلمة الشهادة بوحدانية الله وبرسالة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة اما لان من قالها
التزم احكام الاسلام فيدل عليه بالالتزام ولذا ادخله بعضهم فيه ولانه لا يقاتل وان
جاز قتله غالبا عصموا اي حفظوا وصانوا مني دماءهم جمع دم اي لم يقتلوا واموالهم
عن اخذها منهم كالفيء والغنيمة الا بحقها استثناء مفرغ اي بكل سبب الا بسبب حق
يقتل قتله او اخذ ماله كقتل او غصب وحسابهم عما عملوا في الآخرة على الله اي حسابهم
مفوض الى الله المطلع على اعمالهم وسرائرهم وما في قلوبهم من كفر ونفاق وغيره واما
النبي صلى الله عليه وسلم فانما امر ان يحكم بالظاهر والله يتولى السرائر فعلى ليست
تدل على الايجاب لانها بمعنى الى خلافا للمعتزلة القائلين بوجوب الاصلح على الله او نقول
هي على ظاهرها على طريق تنزيله منزلة الواجب عليه لعدم تخلف ما سبق في علمه ونقول
او لانه وعد منه وهو لا يخلف الميعاد فصار كالواجب شرعا ولا معنى للايجاب على الله هـ
عند من يتق النظر الا هذا كما ذكره الجلال الدواني في شرح العقائد العضدية وظاهر
الخبر يقتضي ان التلفظ بكلمتي الشهادة لا يتحقق الايمان بدونه كما ذهب اليه بعض اهل
السنة وذهب الاشعري وبعض الماتريدية الى انه انما هو لانه لاجراء احكام الشرع
عليه في الدنيا وكف القتل عنه فمن آمن بقلبه ولم يلفظ بهما فهو مؤمن عندهم بدليل قوله
تعالى اولئك كتب في قلوبهم الايمان ولما يدخل الايمان في قلوبكم ونحوه والخلاف فيمن لم
يأب التلفظ بهما وهو قادر لكن العاجز مؤمن اجماعا والقادر الابي المصر على الترك
كافر اجماعا الدلالة ذلك على سريرته فالعصمة للدماء والاموال مقطوع بها مع الاتيان
بالشهادة بتلفظه بانه لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وهذا عام مخصوص بغير اهل
الذمة والمعاهد والمستامن بما نطق به من الايات والحديث وهل هو ناسخ للعموم او
مقيد خلاف لفظي مذكور في اصول الفقه ولا ترتفع العصمة اي تزول ويستباح

زمنه يلتم لهم يتم هو ن الاحاديث

خلافه من دم او مال الا بدليل قاطع يرفع ما قطع به ولا قاطع في حق المبتدعة من شرع ورد به في كتاب او سنة ولا قياس جلي عليه اي على القاطع الشرعي والفاظ الاحاديث الواردة في هذا الباب الدالة على تكفير اهل البدع والاهوا التي تمسك بها من ذهب لتكفيرهم وهو جواب عن سؤال تقديره كيف لا تقول بتكفيرهم وانه لم يقم عليه دليل ولا قياس وقد ورد ما يدل على خلافه فقال انها معرضة بزنة اسم المفعول مشددة الراء وفي نسخة عرضة اي انها قابلة للتاويل فلا تعارض الادلة القاطعة بخلافه فشبهها بهدف يوضع لاصابة سهام التاويل ففيه استعارة مكنية مخيلة وذلك لعدم صراحتها فما جاء منها اي من الاحاديث الدالة على كفرهم في التصريح بكفر القدرية وانهم مجوس هذه الامة كما تقدم وقوله صلى الله عليه وسلم لا سهم لهم اي للقدرية في الاسلام والسهم انما ما هو من سهام الغنايم لانه انما هو للمسلمين او بمعنى النصيب والمعنى لا اسلام لهم كقول ابن الفارض رحمه الله

على عمره فليبك من ضاع عمره • وليس له منها نصيب ولا سهم •

وتسميته الضمير له صلى الله عليه وسلم الرافضة بالشرك اي اطلاقه عليهم انهم مشركون قيل وهذا لا نعرف روايته وسياتي رده قريبا واطلاق اللعنة اي الطرد والبعد من رحمة الله عليهم اي على الرافضة بقوله انهم ملعونين وانما يلعن الكافر وكذلك ما ورد في حق الخوارج الذين خرجوا على علي رضي الله عنه وغيرهم من اهل الاهوا اي الاراء الفاسدة كالشيعة فقد يحتج بها اي بهذه الاحاديث من يقول بالتكفير لهولاء بناء على ظاهرها وقد يجيب عنها الاخر الذاهب لعدم تكفيرهم قائلا انها قابلة للتاويل بانه متعلق بيجيب والضمير للشان قد ورد في الاحاديث مثل هذه الالفاظ المذكورة فيها الكفر واللعنة في حق غير الكفرة من عصاة المسلمين مع القطع بعدم كفرهم اجماعا على طريق التغليظ اي المبالغة والتشديد في الزجر تخويفا لهم فهو مجاز او كناية بانهم مستحقون لعذاب الكفرة ومتصفون بصفات تليق بالكفرة ومثله كثير في الايات والحديث وكفر دون كفر اي اهون منه واشراك دون اشراك اخف منه واهون لتفاوت مراتبه وبعض الشر اهون من بعض وظلم دون ظلم كما في الاثر يعني انه صلى الله عليه وسلم كما سمى الطاعات ايمانا سمى بعض المعاصي كفرا وشركا وسمى الله الكفر في القران ظلما كقوله ولم يلبسوا ايمانهم بظلم وقال ان الشرك لظلم عظيم وخلص المومنين يريدون التوحيد اذ لا يرى في الوجود غير الله ولا يرى لغير الله شيئا من الامر ويعدون غير هذا شركا خفيا بل ظاهرا كما قال ابن عطا الله

كلك شرك خفي • وكما قال بعضهم مهنيا بعيد •

عندي شهودي وعيدي انت يا عيني • والعيد عندي دوام المحو عن عيني •

اثبات غيرك شرك في عقيدتنا • ترك السوى ديننا يا قرة العين •

وصاحب البرهان يرى الدنيا كلها صغرا وهذا مقام شهود وكشف يعرفه من ذاق حلاوة الايمان وينكره مريض القلب الذي يتوهم العسل مرا لعدم صحة ذوقه

الا صبرنا من الشوق للعاتك • ما علوا به الصبر على مر بلايك •

واعلم ان البيهقي روى في الدلايل عن علي رضي الله عنه وكرم وجهه عنه صلى الله عليه وسلم

انه يكون

انه يكون في امتي قوم آخر الزمان يسمون الرافضة يرفضون الاسلام ورواه من طرق عديدة وقوله في امتي فيه ايماء للتاويل وانه حمل على انه في عداد هم وبينهم او المراد بالامة امة الدعوة واما الاحاديث في الخوارج فصحيحة في مسلم وغيره وفيه معجزة له صلى الله عليه وسلم لاخباره بالغيب وسياتي في كلام المصنف الاشارة لها وسنذكره هناك لكن قال حديث الرافضة لا يعلم من رواه فقد قصر وقد ورد مثله اي مثل الحديث الوارد في تكفير الرافضة وغيرهم من اهل البدع في الريا براء مهملة ويا مثناة ممدود وهو فعل العبادة ونحوها لاجل الناس هكذا ضبطه الحافظ الحلبي والاحاديث في الريا مشهورة وكذا اطلاق الشرك عليه فانه يقال له الشرك الخفي وهو انسب بقوله السابق شرك دون شرك وفي الشرح الجديد انه الربا بالقصر وبا موحدة ويكتب بالف وواو ويا وفي حديث مسلم لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهده وهو فضل احد المتجانسين على الاخر بالمعيار الشرعي من كيل ووزن ونحوه والكلام فيه معروف غني عن البيان وفي نسخة الزنا بزاي معجمة ونون فهو اشارة لقوله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن وعليه بعض الشراح والكل صحيح وعقوق الوالدين الاب والام وان عليا وهو من الكباير والعقوق من عق بمعنى قطع وشق وهو فعل كل ما يوذيهما ويسوهما ويترك صلتهما وضده البر وقد جمعه الله ما بلغ لفظه في قوله ولا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما الخ • وما احسن قول الشراج الوراق في بر والده له

بني اقتدي بالكتاب العزيز • فزدت سرورا وزاد ابتهاجا •

وما قال لي اف في عمره • لكوني ابا ولكوني سراجا •

وفي العقوق احاديث كثيرة تدل على ما قاله المصنف والزوج اي ومخالفة المراة زوجها وفي الحديث من باتت زوجها ساخطا عليها لم ترح رايحة الجنة وهذا من صفة الكفار وفي بعض النسخ والزور اي شهادة الزور اي الكذب وسمي به لميله عن الحق ومنه تزاور عن كهفهم وغير معصية واحدة اي جا في حق معاص كثيرة وصفها في الحديث بانها كفر وشرك مع علم كل احد بان فاعلها لا يكفر فدل هذا على ان المراد تغليظ زجره لا انه كفر حقيقة فما ورد من تكفير المبتدعة واهل الاهوا مثله واذا كان ما ورد في حقهم من الكفر محتملا للامرين اي كونه على ظاهره وكونه مبالغة في زجرهم تخويفا لهم فلا يقطع على احدهما اي احد الامرين الكفر وعدمه الا بدليل قاطع لصعوبة اخراج احد من الاسلام وادخاله في الكفر كما تقدم وعدي يقطع بعلى لتضمينه معنى يقول ويحكم لانه يتعدى بالبا يقال قطع به اذا جزم وقوله صلى الله عليه وسلم هم من شر البرية اي الخلق من برا بمعنى خلق فخفف وشر افعل تفضيل مخفف اشر كما سمع نادرا وبه قري في قراة شاذة لابي قلابة وكذا خير والخوارج جمع خارج او خارجي كما مر وهذه الصفة وهي شر البرية صفة الكفار وصفهم الله تعالى بها في القران في قوله ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين الى قوله اوليك هم شر البرية فوصفهم بصفتهم يقتضي كفرهم بان لم تقل المراد دوام هذه الصفة وانها لا تليق بمسلم وهذه العبارة في حديث في الصحيحين وغيرهما ورواه احمد عن عايشة بلفظ الخوارج شرار امتي يقتلهم خيار امتي وفي مسلم هم

ح

ابغض الخلق ونحوه وقال صلى الله عليه وسلم في الخوارج في الحديث شر قتيل بفتح
القاف وبالموحدة ومثناة تحتية ولام وهم الجماعة والقبيلة جماعة لاب واحد وبعضهم
ضبطه بمثناة فوقية تحت أديم السماء الاديم الجلد والنطع منه وهو تشبيه له على
ممدود اي تحت السما وهو يستعار للارض ايضا وفي الاساس اديم السماء ما تحتها قال
الجوهري يسمى وجه الارض اديما فظاهره انه تحت الارض وما آفة الاخبار الا رواتها
طوبى لمن قتلهم او قتلوه اي طوبى لمن قتلوه لانه شهيد وهي كلمة مدح وقد يقصد
بها التبشير بالجنة والسعادة لانها اسم الجنة او شجرة فيها ويقال طوبى له وطوباه
وهي فعلى من الطيب وفي الحديث طوبى لاهل الشام لان الملائكة باسطة اجنحتها عليها
وفي الحديث بدأ الاسلام غريبا وسيعود كما بدأ وطوبى للغربا وقد قتلهم علي كرم الله
وجهه يوم النهروان وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن ابي سعيد
الخدري اذا وجدتموهم فاقتلوهم قتل عاد وفي رواية ثمود وهم كفرة كما في القرآن
فظاهر هذا الحديث الكفر اي كفر الخوارج ولذا ذهب اليه اكثر العلما كالطبري والسبكي
لا سيما اي انه يدل على الكفر دلالة واضحة مع تشبيههم بعاد اشارة الى ان في
الكلام معنى التشبيه اذ المعنى اقتلوهم قتلا كقتل عاد والمراد تشبيههم بهم في افنائهم
واستيصالهم بحيث لا يبقى لهم اثر ومن هذا الوجه دل على المبالغة فلا يرد عليه ما قيل
ان عادا اهلكوا بريح صرصر لا بسيف ونحوه ففي التشبيه اشكال فانه ناش من قلة
التدبر فيحتج به اي بالحديث او بالتشبيه من يرى تكفيرهم لامره صلى الله عليه وسلم
بقتلهم وتشبيههم بالكفرة فيقول له الآخر الذي لا يرى تكفيرهم مجيبا له انما ذلك
المذكور في الحديث من قتلهم لجورهم على المسلمين وبغيهم عليهم اي جورهم
وتعديهم على المسلمين كالبغاة ومن في قوله من قتلهم قيل انها تعليلية اي من اجل قتلهم
لانهم قتلوا المسلمين لما خرجوا اي من اجل قتلهم على ما في القصة المشهورة ويتمسكوا بدليله
الذي استدلوا به من الحديث نفسه من غير حاجة لدليل آخر كقوله صلى الله عليه وسلم فيه
يقتلون اهل الاسلام فانه يدل على انهم انما قتلوا لقتلهم لا لكفرهم كما قال فقتلهم اي
الخوارج ههنا حد وقصاص دفعا لشرهم لا كفر كما فهمه القائل به ثم استشعر سؤالا بانه
حينئذ لم يشبههم بعاد فقال وذكر وفي نسخة وقال عاد لتشبيه القتل وحله اي القتل
او بمقتول بخصوصه من الخوارج وقوم عاد ثم وضحه بقوله وليس كل من حكم بقتله شرعا
حكم بكفره كالقاتل وتارك الصلاة عند الشافعي وقطاع الطريق وقتل علي كرم الله
وجهه للخوارج ذهب كثير الى انه لانهم بغاة كما ذهب بعضهم الى انه لكفرهم ويعارضه بقول
خالد بن الوليد رضي الله عنه والمعارضة اقامة دليل يدل على خلاف ما قاله الدليل ان يحتج
على ما قاله في الحديث الذي رواه الشيخان عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه في حق
رجل اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بشيء عنه من امر الخوارج دعني اي اتركني وهو
كناية عن الاذن له فيما ذكر اضرب عنقه اي اقتله وهو مجزوم في جواب الامر يا رسول
الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعله يصلي يحتمل الصلاة واظهار شعائر الاسلام
ما نعه من التكفير والقتل بسببه ولعل للتعليل او للترجي وهو في كلام الله ورسوله
للتحقيق ووقع في رواية ان القائل في هذه القصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجمع بينهما

بان القول

بان القول وقع منهما والرجل الذي اريد قتله ذو الخويصرة فان احتجوا اي القايلون
بكفرهم بقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه البخاري في حق الخوارج
وقوله فيه انهم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم اي لا يتعداها ويذهب منها
جمع حنجرة وهي راس الحلق الخارج منه الكلام وهي الحلقوم ومجرى النفس وطرف المري
مما يليه والمراد انه لا يصل لقلوبهم لعدم العمل والعلم بما فيه من الايمان والعقائد وبتفسيره
رواية مسلم لا يجاوز ايمانهم حلاقيمهم فهم يؤمنون باللسان دون القلب ولهذا عقبه
بقوله فاخبر ان الايمان لم يدخل قلوبهم وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم يمرقون
اي يخرجون من الدين فالمروق الخروج بسرعة مروقا مثل مروق السهم من الرمية
قيل هي فعيلة بمعنى مفعولة اي ما يرمى من صيد ونحوه لكن فسروه هنا كلهم والظاهر
ان المراد به القوس او الوتر وما يرمى به لقوله بعده ثم لا يعودون اليه اي الى الدين
حتى يعود السهم الى فوقه بضم الفاء وواو ساكنة وقاف وهو موضع السهم من الوتر فان
الظاهر انه شبه خروجهم بخروج السهم من قوس راميه الذي لا يمكن رجوعه حين يرميه
اليه وهكذا هو في امثال الناس يقولون لما لا يعود سهم رمي ويؤيده تانيثه الا اني لم
اره اللهم الا ان يقال السهم الذي يخرج مما رمي به لا يعود لقوسه ايضا فهو ابلغ في المعنى
المراد وهذا هو المراد كما سياتي والحديث كما في البخاري انه صلى الله عليه وسلم قال يخرج ناس
من قبل المشرق يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية
ثم لا يعودون اليه حتى يعود السهم الى الرمية الخ وفيه ان سيماهم انهم يحلقون رؤوسهم لان
حلق شعر الراس في عصره صلى الله عليه وسلم انما كانوا يفعلونه لنسك او حاجة اما الان
فصار عادة لا تنكر وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم لما فيه من الاخبار عن المغيبات
وكذلك يحتجون بقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان سبق اي السهم بخروجه
سريعا الفرث والدم قال الراغب ما في الكرش ويقال فرث كبده اي فتتها وافرث فلان
اصحابه اوقعهم في بلية جارية مجرى الفرث انتهى يعني انه لا تعلق لهم بالاسلام لسرعة
خروجهم منه كما ان السهم النافذ من حيوان رمي به يخرج قبل ما في باطنه من الفرث والدم
فانه يخرج بعده وهذا المذكور في الحديث يدل على انه اي الخارجي لم يتعلق من الاسلام
بشيء كالسهم السريع النفوذ وقوله اجابه جواب قوله فان احتجوا الخ اي فان عارضوهم
به اجابهم الآخرون القايلون بعدم كفرهم ان معنى قوله في الحديث لا يجاوز حناجرهم
الذي تمسكوا به انهم لا يفهمون معانيه بقلوبهم فلا يمتثلون اوامره ونواهيه فهم
عصاة لا كفار ولا تنشرح له صدورهم كغيرهم من المتقين ولا تعمل به جوارحهم اي
اعضاؤهم الظاهرة فهم لا يتدبرون القرآن وان واظبوا على تلاوته وحسنوا به اصواتهم
وبالغوا في عباداتهم وعارضوهم معطوف على اجابه بقوله صلى الله عليه ويتمادى
اي يتردد السهم في موضعه من الوتر في الفوق بضبطه السابق فهذا التشبيه يقتضي
التشكيك في حاله وانه لا يحكم بكفره وفيه كلام في شرح البخاري وان احتج اي المكفرون
بقول ابي سعيد الخدري رضي الله عنه في هذا الحديث ومقوله قوله سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج اي يظهر في هذه الامة يحتمل انهم فيهم لا منهم ولم
يقل يخرج من هذه الامة فانه يقتضي انهم منهم لا مفارقتهم بمخالفة دينهم ورجحوا هذه الرواية

بقوله وتحرير ابي سعيد اي تصديقه وتنقيحه الرواية واتقانه اللفظ بقوله
في دون من وهو بدل لعلى دقة نظره رضي الله عنه وهذا بحسب الظاهر اذ يجوز ارجاع
كل منهما الى الآخر لان حروف الجر يعود بعضها البعض والامة تحتمل امة الدعوة والاجابة
كما مر واشار الى الجواب بقوله اجابهم الآخرون الذين لا يرون بكفرهم بان العبارة
اي التعبير بفي لا يقتضي ولا يستلزم تصريحا بكونهم من غير الامة لان بعضهم فيهم
وان كان خلاف الظاهر لتخصيص الامة وتاويلها بخلاف لفظة من التي هي للتبعيض
المصرحة بكونهم من الامة ولا يخفى ما فيه مع انه قد روي عن ابي ذر وعلي وابي امامة
وغيرهم ممن رواه في هذا الحديث يخرج من امتي وسيكون من امتي بلفظ من وهو صريح
في انهم منهم وان الروايتين متوافقتين معنى وحروف المعاني كحروف الجر لا المباني
مشتركة اي لها معان متعددة وضعت لها ويجوز نيابة بعضها عن بعض بتضمين ونحوه
واذا كان كذلك فلا تعويل اي لا اعتماد على اخراجهم من الامة بتكفيرهم بفي اي بسبب قوله
في ولا على ادخالهم فيها لاجل تعبيره بمن لاحتمال غيره لكن بالتشديد ابا سعيد الخدري
رضي الله عنه في روايته هذه اجاد ما شا اي جودة عظيمة في التنبيه الذي نبه عليه
باتيانه بفي الدالة على اخراجهم وهذه العبارة معروفة في المبالغة كانه يقدر على الجودة
في كل ما يريد وما مصدرية او موصولة وهذا اي تحرير العبارة وجودتها رعاية للمعاني
المرادة مما يدل على سعة فقه الصحابة رضي الله عنهم اجمعين اي شدة فهمهم لمقاصد
الكلام ودقة نظرهم وتحقيقهم المعاني بما يناسبها من حسن لباسها واستنباطها اي
استخراجها من الالفاظ الدالة عليها وضعا وتحريرهم لها بتهذيبها وتوقيهم اي احترازهم
واجتنابهم في الرواية عما لا يليق ورواية من وفي كلاهما في الصحيحين هذه المذاهب
المعروفة في هذه المسألة لاهل السنة واما ما لغيرهم من الفرق كالمعتزلة والشيعة
فورد عنها فيها مقالات اي اقوال كثيرة مضطربة متعارضة غير محررة سخيفة اي
ركيكة صعبة لا يعول عليها واقربها اي اقرب اقوال غير اهل السنة قول جهم بن صفوان
من المعتزلة ومحمد بن شبيب هو من المعتزلة ايضا وقيل مرجي قدري ان الكفر بالله معناه
الجهل به بان لا يعلم الله ووجوده وسياتي بسط هذا مع رده عن القاضي ابي بكر الباقلاني
ولا يكفر احدا بغير ذلك اي بغير الجهل بالله وهذا قول غير صحيح ان حمل على ظاهره لانه
يقتضي ان من عرف الله وحده وانكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم او انكر شريعته وكتابه
المنزل عليه لا يكفر فان اراد الجهل بالله وما يستلزمه لم يكن مخالفا لغيره وكان مراد القايل
انه يلزمه تكفير سائر الفرق الضالة فان لم يرد هذا فلا وجه له وقال ابو الهذيل بن احمد
ابن العلاف شيخ المعتزلة اخذ عن عثمان بن خالد الطويل عن واصل بن عطا رئيس المعتزلة
وهو القايل بفناء معلومات الله ثم وان الجنة والنار يفنيان لانهما حادثان وما ليس له
آخر فليس عنده كما ان ما ليس له اول قديم ايضا توفي سنة ست وعشرين ومايتين وقد
ارمى على المائة وهو بصري ان كل متاول بتشديد الواو المكسورة اسم فاعل ولا وجه لفتحها
كما صحح في بعض النسخ لانه يأباه ما بعده كان تاويله تشبيها لله بخلقه بان يثبت له
جسما وصورة ووجها ونحوه مما هو من صفات الخلق المحدثة فان اراد هذا فهو صحيح لكن الفرق
لهم خلاف في تكفيرهم وعدم صحة الصلاة خلفهم كما تقدم وما قيل من ان مراده من قال

بتاويل المتشابهات من اهل السنة غير ظاهر من هذه العبارة وان اطال فيه بغير طايل
وتجويره الله تفعيل من الجور بجيم وراء مهملة ضد العدل واصله الميل عن الاستقامة وضميره له
لله اي نسبة الله الى الجور في تاويله وقد قيل مراده ايضا الرد على اهل السنة في قولهم ان الله
يريد الخير والشر والمعاصي لان ارادته المعاصي وعقاب فاعلها جور عندهم تعالى الله سبحانه عنه
ورده والكلام عليه مفصل في محله وعندهم الرضى والارادة بمعنى وتكذيبه لخبره اراد قوله
وما الله يريد ظلما للعباد وقد نسبه للجور كما ذكر آنفا فيلزمه تكذيبه في قوله هذا فهو كافر
بالتشبيه ونسبته للجور وتكذيب خبره وهذا حق ان اريد به باطل فان قرنيته بحسب ظاهره فتا
وقال ابو الهذيل من اثبت شيئا قديما لا يقال له الله فهو كافر وهو رد ايضا على اهل السنة
في قولهم بقدم الصفات فرارا من عدمها وقيام الحوادث بذاته وهم ينفون الصفات هربا من
تعدد القدما وعندنا الممنوع تعدد ذوات قدما لا ذات وصفات كما مر وبين في الاصول
وليس هذا محل تفصيله وقول بعض المتكلمين ان كان المتاول ممن عرف الاصل وبني عليه
اي علم اصول الدين وفرع عليه تاويله الذي يقتضي ما تقدم من التشبيه وما بعده وكان
تاويله فيما هو من اوصاف الله التي لا تليق به فهو كافر لانه قال ما قاله عن علم به وان لم يكن
من هذا الباب اي لم يكن ما اوله من اوصاف الله فهو فاسق غير طايع لله لارتكابه كبيرة باعتقاد
ما ليس بحق الا ان يكون ممن لم يعرف الاصل اي الاصول الدينية وانما قال ما قاله لجهله
فهو مخطي غير كافر اي غير مصيب للحق لذهابه لغير الحق من غير بنائه له على اصل من اصول
الدين وهذا كله من كلام المعتزلة ودسايسهم مما يوهم ظاهره للخير وهو شر محض وذهب
عبيد الله بالتصغير بن الحسن العنبري منسوب لبني العنبر قوم من تميم ويقال لهم في غير
النسب بلعنبر وهو عبيد الله بن الحسن بن الحسين بن مالك بن الخشخاش بمعجمات ومالك والخشخاش
صحابيان وللخشخاش رواية دون مالك وعبيد الله فقيه بصري تولى قضا البصرة بعد
سوار بن عبد الله وكان عالما ثقة روى عنه غير واحد واخرج له مسلم توفي سنة ثمان وستين
ومائة وكان يرى جواز التقليد في العقائد والعقليات وخالف في ذلك العلما وذهب
الى تصويب اقوال المجتهدين اي القول بانهم صواب في اصول الدين مما يتعلق بالاعتقاد
كالاجتهاد في الفروع فيما كان عرضة اي قابلا للتاويل وفي الاساس فرس عرضة للسبا
اي قوية عليه مطيقة له انتهى كانه لقابليته تعرض له وفارق اي خالف العنبري في
ذلك القول الذي قاله في تجويزه الاجتهاد في اصول الدين فرق الامة من علما الشرع
والسنة والمتكلمين فانها امور سمعية لا بد فيها من نقل صحيح اذ اجمعوا اي علما الامة
سواه اي غير العنبري على ان الحق في اصول الدين والعقائد في واحد لا يقبل التعدد
لبراهينه القطعية فليس كالفروع التي هي محل الاجتهاد وذهب بعضهم الى ان كل مجتهد
فيها مصيب وفي نسخة في الواحد والمخطي فيه الذي لم يصادف الحق الواحد آثم عاص
فاسق لعدوله عن الحق برايه وانما الخلاف في تكفيره باجتهاده المخطي فيما ليس محل
الاجتهاد وانما محله الفروع العملية فهو مثاب في اجتهاده سوا قلنا المصيب واحد ام لا
على ما اشتهر في الاصول اما في اصول الدين فالمصيب واحد قطعا فلا وجه للاجتهاد
فيها وان بذل وسعه وجهده وذهب الجاحظ كالباقي والعنبري الى الاجتهاد فيها وانه اذا اخطا
لا ياثم لكنه مقيد بالاسلام على الصحيح قالوا الان فضلهم تعظيم الله وتنزيهه ولذا لم نحكم

الصحابة عن الالفاظ الموهمة للتشبيه وهو كله واه غير سديد **وقد حكى القاضي ابو**
بكر بن ابي الطيب المالكي **الباقلاني مثل قول عبيد** العنبري في جواز الاجتهاد في الاصول
عن داود الاصبهاني اصبهان يقال بالفا والبا اسم بلدة مشهورة وهو فارسي معرب
وداود هذا هو ابن علي بن خلف ابو سليمان الاصبهاني البغدادي وطنا صاحب مذهب
الظاهرية ولد سنة مائتين او اثنتين ومائتين وتوفي سنة سبعين وكان اماما
جليلا زاهدا ورعا قلد الشافعي رضي الله عنه اولا ثم صار صاحب مذهب مستقل وكان
صدرا رحلة في عصره حتى رجح على بعض المجتهدين واختلفوا في انه هل يعتد بخلافه
ام لا على اقوال في الاصول ومن اجل اتباعه ابن حزم **قال وحكى قوم عنهما** اي عن داود
والعنبري **انهما قالا وذلك** اي جواز الاجتهاد في الاصول الدينية **في حق من** اي رجل
علم الله من حاله وما يظهر من امره **استفراغ الوسع** بضم فسكون اي بذل قدر جهده
وطاقته وهو في الاصل استعارة تشبيه قوته ببئر وما يستخرج بفكره بماء ينزح منها
ثم صار حقيقة عرفية فيما ذكر **في طلب الحق** الذي قصده وان اخطا في الواقع **من اهل ملتنا**
المسلمين **او من غيرهم** من الكفرة **وقال نحو هذا القول الجاحظ** عمرو بن بحر بن محبوب ابو
عثمان الكناني الليثي البصري العالم المشهور صاحب التصانيف الجليلة وجامع العلوم العربية
وهو معتزلي صاحب مذهب في اصول الدين ومن اجل تصانيفه كتاب التبيان وكتاب
الحيوان لقب بالجاحظ لجحوظ عينيه ونتوهما واصابه في آخر عمره وقد ناهز التسعين فالج
وحصر بول ومنه توفي سنة خمس وخمسين بالبصرة ومن الغريب ما قيل ان جحا القه وبه عرف
جحا بابي الغصن وقيل انه لا وجود له **وثمامة** بضم المثلثة بوزن كناسة وهو ثمامة بن اشرس
ابن معن النميري كان كما قال الذهبي من كبار المعتزلة ورؤوس الضلالة وله نوادر وملح
واتصل بالرشيد والمامون ومن مذهبه ان المقلدين من اهل الكتاب وعباد الاصنام لا يدخلون
النار وانهم يصيرون ترابا وان الاطفال كذلك يصيرون وهو احد الاقوال المشهورة في اطفال
المشركين **في ان كثيرا من العامة** اي عوام الناس وجهلتهم **والنسا** ذكرهم لان اكثرهم يغلب
عليه الجهل **والبله** بضم فسكون جمع ابله المراد به من قل فهمه وغلب عليه الغفلة وقلة العلم
وما في الحديث من اكثر اهل الجنة البله فالمراد بهم من غلب عليه سلامة الصدر وحسن
الظن بالناس فاغفلوا امور دنياهم واقبلوا على آخرتهم وقريب منه قول الزبرقان
خير اولادنا الابله العقول • اراد انه مع عقله لشدة حيائه كالابله **ومقلدة النصارى
واليهود** الذين كفروا تقليدا من غير معرفة دليل وحجة **وغيرهم** من جهلة الكفرة المقلدين
لرؤسائهم **لا حجة لله عليهم** لانه عندهم لم يؤتهم نظرا في الحجة والادلة مما اذا خالفوه
بعد العلم به عنادا كانوا اهل ضلال كفارا يستحقون العقاب **اذ لم يكن لهم** اي لم يوجد
خلق الله فيهم **طباع** بزنة رجال مفرد بمعنى طبيعة او جمع طبع وهما قولان لاهل اللغة
فهو مؤنث وقيل انه اسم مؤنث على وزن مثال لا جمع طبع وهو مفصل وهو كلام متناقض
والتحقيق ما ذكرناه في شرح ادب الكاتب **يمكن لهم معها** اي مع وجودها فيهم **الاستدلال**
اي اقامة دليل وحجة توصلهم لمطلوبهم فاذن هم معذورون ولا حجة لله عليهم بما قبلهم
اه وهو قول باطل لانهم مكلفون عقلا لا سيما من نشا بدار الاسلام وعلى كل حال فهم
متمكنون من النظر ومعرفة الادلة والتفكر في خلق السموات والارض وقد قرع اسماعهم

ما تواتر من ارسال الله رسله وما ظهر من المعجزات الباهرة الظاهرة ظهور الشمس لمن
له عينان فاي عذر لهم تدحض به حجة الله عليهم **وقد نحا الغزالي** رحمه الله **قريبا من
هذا المنحا** نحا وانتحى بمعنى ذهب وقصد اي قال قولا قريبا بحسب المعنى من هذا القول
وهو الامام العلامة الزاهد العابد ابو حامد محمد بن محمد بن احمد الغزالي الطوسي صاحب
المؤلفات الجليلة الذي على كاهله فقه الشافعي والاصلان ولد بطوس سنة خمس
واربع مائة واشتغل بها ثم جال في البلاد لاخذ العلم ودخل بغداد فصار مدرسا بالنظامية
واقام بدمشق بجامعها بالمنارة الغربية عشر سنين بعدما اخذ العلم عن امام الحرمين
واخذ عن نصر المقدسي بزاويته المعروفة بالغزالية ثم اشتغل بمصر والاسكندرية ثم
رجع لبغداد وعقد بها مجلس وعظ وتوفي يوم الاثنين رابع عشر جمادى الاخرة سنة خمس
وخمس مائة عن خمس وخمسين سنة ودفن بطوس وقيل بقصبة طابران وقال ابن تيمية
بضاعته في الحديث مزجاة ولذا اكثر من ايراد الموضوعات واكثر في كتبه من مقالات
الفلاسفة حتى قال صاحبه ابو بكر بن العربي مع شدة تعظيمه له شيخنا ابو حامد دخل في
بطن الفلسفة ثم اراد ان يخرج منها فما قدر قلت كتاب التهافت والاحياء ينادي على
خلافه وهو بتشديد الزاي المعجمة في المشهور واصله الغزالي بغير نسبة فزاد واليه يا النسبة
تاكيدا كالعصاري على عادة اهل جرجان وخوارزم وقيل نسب لغزالة بنت كعب الاحبار جده
وقيل انه بتخفيف الزاي نسبة لغزالة قرية من قرى طوس كما ذكره النووي في التبيان
وانكر ابن الاثير تخفيفه قال ابن العربي لقيته في الطواف وعليه مرقعة فقلت له
اولى لك من هذا غير هذا • فانت صدر ربك يقتدى • وبنورك الى معالم المعارف يهتدى •
فقال لي هيهات • لما طلع قمر السعادة في فلك الارادة • اشرقت شموس الافول • على مصابيح
الاصول • فتبين الخالق لارباب الالباب والبصاير • اذ كل لما طبع عليه راجع وصاير •
وانشد ؎

تركت هوى ليلى ولبنى بمعزل •	وصرت الى مصحوب اول منزل •
ونادتني الاكوان حتى اجبتها •	الا ايها الساري رويدك فانزل •
فعرشت في دار الهدى بعزيمة •	قلوب ذوي التعريف عنها بمعزل •
غزلت لهم غزلا رقيقا فلم اجد •	لغزلي نساجا فكسرت مغزلي •

واذا سمعت هذا فكيف يظن به اتباع خرافات الفلاسفة وقد راى بعض المشايخ الغزالي
وهو بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو اليه من شخص طعن فيه فامر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بضربه بالسياط فانتبه وبه اثر الضرب والمه **في كتاب التفرقة**
اسم كتاب له في الاصول قال ابن حجر وما نسبه المصنف للغزالي صرح الغزالي في كتابه
الاقتصاد بما يرده وعبارته التي اشار اليها المصنف على تقدير كونها عبارته والا فقد دس
عليه في كتبه عبارات حسدا لا تفيد ما فهمه المصنف ولا تقرب مما ذكره وصنف بلغهم
اسم محمد صلى الله عليه وسلم ولم يبلغهم بعثه ولا صفته بل سمعوا ان كذابا يقال له فلان
ادعى النبوة فهؤلاء عندي من الصنف الاول اي من الذين لم يسمعوا اسمه اصلا فانهم لم يسمعوا
ما يحرك داعية النظر انتهى فانظر كلامه تجده انما عذرهم لعدم بلوغ دعوته صلى الله عليه وسلم
وهذا لا ينفي منعا ما ذكره المصنف وقد قال ابن السبكي وغيره لا يبغض الغزالي الا حاسد او
زنديق انتهى • وفي الشرح الجديد بعد ما ذكر المصنف هذا كلام غير سديد الغزالي بري من مثله

والذي في كتاب التفرقة خلافه فانه قال فيه من لم يبلغه اسم محمد صلعم وكذا
ان سمع ضده اوصافه وفي معناه مدعي النبوة كذبا فاسماع مثله يمنع دواعي النظر والطلب
وكذا من فرح ببعثته ومعجزاته المتواترة وادركه الموت قبل التحقيق فهو معفو وله
تشمله الرحمة الواسعة وقال في المستصفى ذهب الجاحظ الى ان مخالف ملة الاسلام
من اليهود وغيرهم وذريتهم ان كان معاندا فيما يخالف اعتقاده فهو آثم وان نظر فعجز
عن درك الحق معذور وغير آثم وان لم ينظر لانه لم يعرف وجوب النظر معذور وغير آثم وانما
الآثم المعذب المعاند فقط ولا يكلف الله نفسا الا وسعها وهؤلاء عجزوا عن درك الحق
فلازموا عقايدهم خوفا من الله اذ لا ينسد عليهم طرق المعرفة وما ذكره ليس بمحال عقلا
لورود الشرع به فهو جايز لورود التعبد بذلك لكن الواقع خلافه وما ذكره العنبري
باطل بادلة سمعية ضرورية فانا كما نعلم امره صلى الله عليه وسلم بالصلاة ونحوها ضرورة
نعلم امر اليهود وغيرهم بالايمان واتباعه وذمهم وقتالهم وقتلهم وتعذيبهم ونعلم
قطعا ان المعاند تعليمنا الآباء مع الآيات التي لا تحصى الدالة على خلافه وفي القرآن
التصريح به وقول العنبري كلفهم ما لا يطيقون الضرورة قايمة على انه اقدرهم بما
رزقهم من العقل ونصب لهم من الادلة وبعث الرسل المؤيدة بالمعجزات حتى لم يبق لهم
حجة عليه وقوله كل مجتهد في العقليات مصيب كالفروع باطل لان الحرمة والحل
تختلف باختلاف العقايد وقد انكره اصحابه وقالوا انه اقبح من مذهب الجاحظ الى آخر
ما فصله فيه وزيف به مذهب هؤلاء فكيف مع هذا يقول المصنف رحمه الله انه عفا
عنهم وحاشاه منه وانما اوهمه ذلك قوله انه جايز عقلا ولا يلزم من مجرد الجواز العقلي
قبل النظر في الادلة واستماع ما قاله الله ورسوله انه يجوز شرعا فكم من جايز عقلا
ممتنع شرعا ونقلا واي محذور في مثله وانما ذكره بيانا للمعنى غلطهم الذي اضل عقولهم
في بوادي الجهالة وهو كلام حق لا ارتياب فيه عاقل فضلا عن فاضل وقايل هذا كله كافر
بالاجماع على كفر متعلق بالاجماع من لم يكفر احدا من النصارى واليهود كما ذكره الجاحظ
ولم يكفر كل من فارق دين المسلمين كارباب الملل من المجوس وغيرهم ومفارقته مخالفته
لهم قولا وفعلا او وقف في تكفيرهم اي احجم عنه وترك نفيا واثباتا او شك فيه
بجواز وجوده وعدمه وفي نسخة توقف وقيل الوقوف والتوقف كالتردد بحيث لا يرجح
احد الجانبين والشك ان يجوز تجويزا مرجوحا وكلاهما كفر لانه يقتضي التردد في دين
الاسلام وهو كفر بلا شك قال القاضي ابو بكر الباقلاني في بيان كونه كفرا لان
التوقيف كفر والحال ان الاجماع منعقد على كفرهم فيه خبر مقدم تقديره لا يصح
بدليل قوله فمن وقف في ذلك اي في كفر اليهود وامثالهم فقد كذب النص الوارد من
الله ورسوله بكفرهم من الآيات الناطقة به وقيل ان قوله على كفرهم ظرف مستقر خبر ان
لا لغو متعلق بالاجماع والتوقيف او شك فيه والتكذيب لما ذكر والشك فيه لا يقع
الا من كافر لانه امر مشهور معلوم من الدين بالضرورة فلا يرد عليه انه ليس كل توقف
فيما جاء به نص يقتضي الكفر وفي عبارته ركاكة واغلاق يندفع بالتامل

فصل في بيان ما هو من المقالات كفر

جمع مقالة بمعنى قول مصدر ميمي وما يتوقف في كونه كفرا ام لا او يختلف فيه اقوال
العلماء وما ليس بكفر من غير توقف واختلاف اعلم ايها الواقف على ما سيأتي من كل من
يصلح للخطاب ان تحقيق هذا الفصل اي الوقوف على ما هو الحق فيه وكشف اللبس فيه
اي ازالة ما يلتبس على سامعه شبهه بغطا يكشف مورده الشرع اي ما يطلب ويعلم
منه انما هو الشرع والشرع ما شرعه الله لعباده وبينه من الاعتقاد والعمل والورد محل
الورود وهو اخذ الماء للشرب فشبهه بما يشفي الظما وشبهه ما يغني بوضعه استعارة
مكنية مخيلة ولا مجال اي سعة واصله محل الجولان والحركة للعقل فيه اي العقل بانفراده
لا يكفي فيه بل لابد من تلقيه من الشارع والفصل اي الفاصل المميز له عن غيره المبين اي
الظاهر الذي لا اشكال فيه ولا مجال لرده في هذا الامر الذي نحن بصدده ان كل مقالة
اي قول صدر عن احد صرحت بنفي الربوبية اي دلت دلالة ظاهرة على ذلك وان الله
غير موجود او صرحت بنفي الوحدانية هي توحده وانفراده من غير شريك في الوهيته
وصفاته وهي على خلاف القياس وقد اثبتها في الاساس وفي الحديث من شرار امتي الوحداني
اي المفارق للجماعة او صرحت بعبادة غير الله تعالى وحده او صرحت بعبادة احد
كعيسى والكواكب مع الله فهي اي هذه المقالة كفر اي تقتضي كفر من قالها كمقالة
الدهرية بفتح الدال نسبة للدهر وهو الزمان كما اشير اليه قوله

ان دهرا يلم شملي بسعدى • لزمان يهم بالاحسان

ويقال للمسن او الحاذق او للحسن دهري بضم الدال على خلاف القياس وكثيرا ما يقع التغيير
في النسب كما ذكره النحاة والدهرية طايفة من الملحدين المعطلين ينسبون الامور كلها
كالطبايعية وفي العرب منهم كثيرون فلذا تراهم في اشعارهم كثيرا ما يشكون منه ويذمونه
ولذا قال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر فان الدهر هو الله وروي فان الله هو الدهر
اي لا تسبوا الصانع فانه هو الله الجالب للخير والشر وقال الشهرستاني في كتاب
الملل والنحل لست ارى ان صاحب هذه المقالة ينكر الصانع وانما هو يحيل سبب وجود
العالم على الاتفاق احترازا عن التعليل ولذا لم اقم برهانا على بطلان مقالته لان الفطرة
السليمة شاهدة بوجود صانعها وساير فرق اصحاب الاثنين اي القايلين بالصانعين
اثنين كالمانوية القايلين بان الواجب بالذات لا يصدر عنه الا الواحد ونحوهم من الفرق
الضالة والظاهر ان المراد بالاثنين مطلق التعدد كقوله ثم ارجع البصر كرتين والديصانية
بكسر الدال المهملة ومثناة تحتية ساكنة وصاد مهملة بعدها الف ونون وياء نسبة
اسم رجل من المجوس نسب له هذا المذهب من القول بالنور والظلمة وخالق الخير والشر
الا انه يقول ان الظلمة ميت والنور حي والمانوية وهم قوم من اصحاب ماني
الحكيم الذي ظهر في زمان سابور بن اردشير بعد عيسى وقتله بهرام بن هرمز
كان زعم ان موجد العالم اثنان النور خالق الخير والظلمة خالق الشر وانهما ازليان
ونحوه من الخرافات وفي نسخة المانية والصحيح الاول قال المتنبي

وكم لظلام الليل عندي من يد • تخبر ان المانوية تكذب

واشباههم من اصحاب الملل الباطلة من الصابئين وفي نسخة الصابية
وهو من صبا مهموز الآخر والصابي كل من خرج من دين الى آخر ثم خص بطايفة

عبدوا الكواكب وهو المراد هنا وتطلق على فرقة من النصارى وهم اتباع المسيح
ودينهم معروف والكلام على فرقهم واعتقادهم مشهور وقد افرده ابن تيمية بكتاب ضخم
فيه فوايد جليلة وكذا الامام القرطبي له كتاب في بيان فرقهم والرد عليهم فلا حاجة
لنا هنا بايراد ما قيل فيهم والمجوس عبدة النار والقايلين بالهين يزدان واهرمن
اي النور والظلمة الخالقين للخير والشر والذين اشركوا اي اثبتوا لله شريكا بعبادة
الاوثان جمع وثن وهو الصنم وحجارة تعبد وهو من قولهم وثنته اذا اجزلت عطيته
وقيل الفرق بينهما ان الوثن ما له جثة من جنس الارض او من خشب او من حجارة بصورة الادمي
والصنم ومنهم من لم يفرق بينهما واول من اتى بها لمكة عمرو بن لحي فصارت العرب في ذلك
اصنافا او الملايكة جمع ملك وقد تقدم الكلام عليهم وقد عبدها قوم من اوايل العرب
وسموها بنات الله قال تع وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون الاية
او الشياطين وهم مردة الجن جمع شيطان وهم قوم عبدوها حقيقة او عبدوا الاصنام
التي حل بها الشياطين او هم سولوا لهم عبادتها فكانهم عبدوها كما قال الخليل عليه الصلاة والسلام
يا ابت لا تعبد الشيطان فهم وان عبدوا الاصنام ظاهرا عبادتهم انما هي للشياطين
او الشمس او القمر او النجوم عبدها قوم من الاوايل واثبتوا لها عقولا وارواحا
وجعلوا لها هياكل عندهم زعموا انها تقربهم لها كما في الملل والنحل والنار وهم طايفة
من المجوس ببلاد الهند لاعتقادهم ان النور سلطان الله الاعظم وان ذاته نور ليس
كالانوار فكل نار شرارة من نوره وقد بنوا لها كنايس عظيمة بالهند يحجون اليها حتى ان
بعضهم يتمنا احراقه بالنار ليصل لربه وهي عقول اضلها باريها او من اشرك
بعبادة احد اي مخلوق اتخذه معبودا غيرهم من مشركي العرب جمع مشرك سقطت
نونه للاضافة وهو من اضافة الصفة للموصوف وهم عبدة الاصنام منهم واهل
الهند والصين وهما اقليمان مشهوران اكثر اهل الاقاليم وفيهم ملل مختلفة كالبراهمة
وغيرهم والسودان جمع اسود وهم قوم واجناس لا يحصون من اولاد سام بن نوح عليه
عليه الصلاة والسلام يغلب عليهم الكفر والجهل ومنهم من يعبد الشجر ومنهم من يعبد
الما ومنهم قوم مسلمون وغيرهم اي من ذكر من اهل الملل ممن لا يرجع الى كتاب هو كناية
عن الدين الباطل لان من له دين حق لا بد له من شرع وكتاب يعمل به فهو يرجع برايه الى
احكامه وكذلك اي مثل من مقالتهم كفر القرامطة وهم الاسماعيلية المنسوبون لامامهم
اسماعيل بن جعفر الصادق وغرضهم ابطال الشرع لانهم في الاصل يهود او مجوس
لما ظهر الاسلام اشتد عليهم ذلك وضعفوا عن دفعه فذهبوا الى تاويلات روجوها
على ضعفا العقول وارادوا بها هدم قواعد الاسلام وراسهم حمدان بن قرمط من قرية
من قرى واسط فلذا سموا قرامطة فبثوا لهم دعاة يدعون لخرافات زينوها وكان
ظهورهم في سنة سبعين ومايتين بقرية من سواد الكوفة وكان احمر البشرة والعينين
وسمي كرميه بالكاف العجمية ومعناه بالفارسية السفلة فخففوه وحرفوه وقالوا
قرمط وقيل انه عربي من قرمط البعير اذا تقارب خطوه فزعم ان النبي صلى الله عليه وسلم
بشر به واظهر زهدا وصلاحا فاجتمع عليه خلق كثير وقال انه الامام المنتظر فابتدع
مقالات في كتاب فقال انه الكلمة والمهدي وجعل الصلاة ركعتين في الصبح وركعتين

في المغرب والصوم يومان يوم المهرجان والنوروز والقبلة بيت المقدس وبعث
دعاة وخلفا فكان لهم حروب عظيمة مذكورة في التواريخ وظهر منهم سليمان بن الحسن
في البلاد حتى اتى مكة يوم التروية فاخذ كسوة الكعبة وقلع بابها وقتل الحجاج ورماهم
بزمزم وذلك في سنة سبع عشرة وثلثماية في خلافة المقتدر واخذ الحجر الاسود فبقي
عندهم اثنان وعشرون سنة فبذل لهم خمسون الف دينار ليردوه فابوا ثم ردوه مكسورا
توضع في مكانه وتغلبوا على مصر والشام وكانت مدة دولتهم نيفا وثمانين سنة ثم
اباده الله واهلكهم واصحاب الحلول من النصارى والباطنية وبعض جهلة المتصوفة
يقولون ان الله حل في بعض الاجسام وهو امر لا يعقل والتناسخ وهم القايلون بان
الارواح اذا فارقت الابدان تحل في غيرها وهو مذهب بعض الحكما والكلام عليه وعلى بطلانه
مفصل في كتب الحكمة من الباطنية هم قوم من الملاحدة ذهبوا الى ان القران له ظاهر
وباطن هو المراد منه وان للشريعة مقاصد غير ما فهمه الناس والطيارة من الروافض
وفي نسخة الطيارية بيا النسبة وفي بعض النسخ منهم الجناحية وهم قوم من الغلاة
نسبوا لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطيار ذي الجناحين لقب بذلك
لانه لما اخذ الراية بموتة قطعت يداه واستشهد فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان الله ابدله بهما جناحين يطير بهما في الجنة والبيانية نسبة لبيان بن
سمعان اليمني يقولون روح الله حلت في علي كرم الله وجهه ثم في ابنه محمد بن الحنفية
ثم في ابنه هاشم ثم في بيان وكذا الطيارة والجناحية يقولون روح الله حلت في الانبيا
نبيا بعد نبي ولم تزل تنتقل حتى وصلت لعلي واولاده رضي الله عنهم والغرابية قوم
يقولون ان جبريل عليه الصلاة والسلام نزل بالرسالة من عند الله تع فاعطاها لمحمد غلطا
لانه يشبهه كما يشبه الغراب الغراب كما ذكره المصنف فيما ياتي وفي التبصرة لابي المظفر
انهم قوم يقال لهم المفوضة قالوا فوض خلق العالم لمحمد وهم شر النصارى والفرق كثيرة
افردت بالتاليف ولا حاجة لنا بايراد خرافاتهم وكذلك اي مثل هولا الذين حكم بكفرهم
كل من اعترف بالهية الله تعالى ووحدانيته اي قال انه اله متوحد في ذاته وصفاته
ولكنه اعتقد انه عز وجل غير حي الحياة في غير الله الاعتدال المزاجي وقوة توجب
الحس والحركة وفي حقه تع صفة توجب صحة العلم والقدرة وهي ثابتة له بالاجماع عقلا ونقلا
فمن نفاها فقد كفر او غير قديم القديم هو الذي لا اول لوجوده ولا اخر لوجوب وجوده
وسرمديته ووجوده ذاتي لا يقبل العدم اجماعا وخلافه كفر وهذه المقالة لمعمر بن عباد
السلمي نقل عنه انه انكر القول بانه تع قديم لانه بمعنى التقادم وهو يشعر بتقدم زماني
والله منزه عنه كذا قيل وعلى هذا لا كفر فيه لانه انما يتحاشى عن اطلاق هذا اللفظ لايهامه
الحدوث كالعرجون القديم ولذا قال الراغب رحمه ورد في وصف الله تع يا قديم الاحسان
ولم يرد في القران والاثار الصحيحة القديم في وصف الله والمتكلمون يستعملونه
ويصفونه به واكثر ما يستعمل القديم باعتبار الزمان انتهى وانه محدث بصيغة المفعول
تفسير لقوله غير قديم وانما ذكره لانه لو لم يقصد هذا لم يكن كفرا كما بيناه وليس تنبيها على
مذهب الفلاسفة في القدما كما قيل او مصور اسم مفعول اي جسم ذو صورة كما ذهب
اليه الهشامية اصحاب هشام الذين ذهبوا الى انه طولا وعرضا واعضا على صورة انسان

إلا أنه مصمت لا تحول له ولادة تعالى وتقدس سبحانه عما قالوه او ادعى له ولدا او
صاحبة اي زوجة كالنصارى او والدا هذا لم يقل به بشر او انه متولد من شيء او
كائن عنه عطف تفسير لان التولد هنا ليس بمعنى الولادة وانما هو بمعنى التكون
عن شيء آخر كتولد الطبائع الناشئ عنها وهو كفر بلا شك الا ان هذه المقالة لا يعرف
لها قائل ويقرب منه قول بعض النصارى ان عيسى اله انقلبت الكلمة فيه لحما ودما
او ادعى ان معه في الازل شيئا قديما غيره اي غير ذاته وصفاته اشارة الى ما ذهب
اليه الفلاسفة من قدم العالم والعقول والازل القديم وانه لم يزل او ان ثم بفتح
وتشديد اي في الوجود صانعا للعالم سواه كالمشركين وبعض الثنوية القائلين بالنور
والظلمة والفلاسفة الذين يقولون بان الواحد بالذات لا يصدر عنه الا واحد كما هو
مقرر في كتاب التهافت او مدبرا غيره سبحانه وتعالى والتدبير اصلاح الامور مع
العلم بها والمراد به هنا خلق ما يصلحها لا مجرد ايصاله والارشاد له وانه لا مانع
من ثبوته لغيره كالملائكة قال تعالى فالمدبرات امرا فذلك المذكور والمدعي كله
كافر ومعتقده كافر لما مر باجماع المسلمين كقول الالهيين من الفلاسفة ع
الفلسفة لفظة يونانية معناها محبة الحكمة والقائم به هو الفيلسوف والحكمة
عندهم اقسام الهي وطبيعي ورياضي فالالهي ما يبحث فيه عن المجردات وذات
واجب الوجود على ما بين واشتهر عندهم والمنجمين الباحثين عن النجوم واحكامها
القائلين بانها مؤثرة في الكون اما القائلون بانها علامات الهية جعلها الله بحكمته
وبينها لبعض خليقته والمؤثر هو الله فلا محذور فيه عند اهل الشرع كما صرحوا
به وقد قال الغزالي انه علم يوحى من الله لبعض انبيائه عليهم الصلاة والسلام
والطبائعيين القائلين بان الطبيعة هي المؤثرة في الايجاد والتدبير وكذلك
من ادعى مجالسة الله فانه مجسم مجازف وهذا المذهب ليس له اصل او العروج اليه
اي الصعود والذهاب للعلو وفوق ومكالمته في الدنيا مما لا يليق به او ادعى
حلوله في احد الاشخاص كقول بعض المتصوفة والباطنية والنصارى والقرامطة
يعني هؤلاء كلهم ذهبوا الى ان الله حل في غيره اما النصارى والقرامطة فقوم ملحدون
ادعوا الحلول واولوا القرآن بتاويلات فاسدة لا حاجة لذكرها واما المتصوفة
فقد نسب لبعضهم امور وعبارات تقتضي في بادي النظر ذلك وهي مأولة بما
يوافق الحق واجلة مشايخهم يبرؤون مما نسب اليهم فان ما هم عليه من الزهد والعبادة
وما يظهر منهم من الكرامات يقتضي انهم على قدم النبوة فما نقل عنهم اما دسيسة
من بعض الملاحدة او كلام على اصطلاحاتهم يعرفه اهله وهذا هو الذي نعتقده فيهم
نفعنا الله ببركاتهم وكما في قصة الخضر شاهد له فلذا اعرضنا عما في الشروح
هنا وكذلك يقطع بكفر وفي بعض النسخ على كفر بتضمينه معنى يتفق او يجزم
وعموم ما يتعدى بعلى من قال بقدم العالم من الحكما والمراد القدم الزماني بمعنى سبق العدم
لا القدم الذاتي فانه مخصوص بالله او بقائه بمعنى انه باق ابدا لا يقبل الفنا والمراد
بقدم نوعه وبقائه لما يشاهد فيه من تغير بعض اجزائه وعدمها او شك في ذلك
اي البقا والقدم على مذهب بعض الفلاسفة ومنهم من ذهب لغيره وادلتهم مع الجواب

عنها مذكورة في كتب الكلام والحكمة وقد كفرهم اهل الشرع بهذا لما فيه من تكذيب
الله ورسله وكتبه والدهرية الذين اسندوا الحوادث كلها للدهر وقالوا ما يهلكنا
الا الدهر وهم كفرة لانكارهم الحشر والنشر والآخرة او قال بتناسخ الارواح وانتقالها
ابد الآباد في الاشخاص اي تخرج من بدن لآخر من جنسه او غيره لان النسخ معناه
الازالة والنقل قال الراغب الابد مدة الزمان الممتد الذي لا يتجزأ ويقال ابد آبد
وابيد اي دائم وحقه ان لا يثنى ولا يجمع ولكنه جمع هنا لانه اريد به بعض ما يتناوله
وقيل آباد مولد ليس من كلام العرب وزعم هؤلاء المتناسخة ان تعذيبها او تنعيمها
فيها اي في الاشخاص التي تنتقل اليها بحسب اي بمقدار زكاها اي طيبها وطهارتها
وخبثها اي كونها خبيثة غير طيبة مزكاة يعني انها ان كانت طيبة تنتقل لصورة حسنة
محللة منعمة وان كانت خبيثة تنتقل لصورة كريهة معذبة كصورة كلب او حمار او
ثور وحرابة وهذا كله في الدنيا وكذلك يكفر من اعترف بالالهية والوحدانية
فاقر بان له الها منفردا عما سواه في ذاته وصفاته ولكنه جحد النبوة اي نفاها وانكرها
من اصلها اي لم يقل بوجودها عموما فلم يقل بنبوة نبي من الانبيا وقال بها ولكنه انكر
نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خصوصا مع قوله بنبوة غيره كاهل الكتاب او انكر
نبوة واحد من الانبيا اي نبي كان كانكار اليهود نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام ○
الذين نص الله عليهم في كتابه الكريم كما قيل لعن الله من انكر واحدا منهم كان مكذبا بالله
ورسوله بعد علمه بذلك فهو كافر بلا ريب اما اذا لم يعلمه فهو معذور لجهله كالبراهمة
هم قوم من الكفرة ذهبوا الى ابطال وجود النبوات عقلا لعدم عقلهم قالوا ان ما يجيء
به النبي اما ان يقبله العقل اولا والاول العقل يدل عليه فلا حاجة لغيره والثاني مردود
باطل وهو المدعي ورد بانه وان كان يقبله العقل لكنه قد يخفى فيحتاج الى مرسل فان
ظهر تايد به وسلم عما ينافيه وغيرهم من العقلا العقل يدل على انه لا بد منها والبراهمة
نسبة الى رجل يقال له برهام وهو مؤسس فسادهم ومذهبهم لا الى ابراهيم النبي صلى
الله عليه وسلم كما قيل لانكارهم النبوات الا ان يقال ان منهم طائفة تنكر غير نبوة ابراهيم
ثم سموا به مطلقا ومعظم اليهود اي اكثرهم لان منهم من قال بنبوة محمد صلى الله عليه
وسلم لكنه خصه بالعرب والاروسية بفتح الهمزة وراء مهملة مضمومة وواو وسين
مهملة وياء نسبة وهم قوم من النصارى قيل هم رهط هرقل وقيل منسوبون لرجل
اسمه اريس بغير واو اروس ومعناه ملك او عشار او صاحب الزراعة واصله اريوس فعرب
وغير وهو صاحب مذهب في النصرانية لانهم على فرق مختلفة قيل انه زعم ان الله روحا
اكبر من سائر الارواح واسطة بين الاب والابن تؤدي الوحي وان المسيح ابتدا جوهرا لطيفا
روحانيا خالصا غير مركب ولا ممزوج بالطبائع وقوله الغرابية من الروافض تقدم
بيانه واليه اشار بقوله الزاعمين ان عليا كرم الله وجهه كان هو المبعوث اليه جبريل
عليه الصلاة والسلام ارسله الله اليه برسالته فغلط وبلغها محمدا صلى الله عليه وسلم
لتشبهه به على تشبه الغراب بالغراب وكالمعطلة الذين جحدوا الالوهية والرسالة
والاحكام والقرامطة تقدم بيانهم ايضا وانهم سعوا في ابطال الشريعة فحللوا المحرمات
واباحوا الفروج والخمور والاسماعيلية هم قوم من الملاحدة المعطلة وهم باطنية يقولون

المنصوص ويقولون لها معنى غير ظاهرها والعنبرية من الرافضة وهم اتباع عبد الله ابن الحسن العنبري منسوب لبني العنبر قبيلة وفي نسخة العبيدية تصغير عبيد وهم اتباع عبيد الله المعروف من بني عبيد بن بنت القداح الذين ملكوا مصر والكلام في نسبهم معروف في نسب الفاطميين من الشيعة الذين فضلوا عليا وهم بحسب الظاهر شيعة وفي الباطن باطنية وان كان هؤلاء الطوايف المذكورة قد اشركوا وفي نسخة قد اشركوا ابناء المجهول في كفر آخر مع من قبلهم من الطوايف المذكورة وكذلك اي مثل من ذكر في تكفيرهم من دان اي اعتقد واتخذ دينا وقيل من اقر وخضع بالوحدانية اي بالله الواحد الاحد وصحة النبوة اي بوجودها وحقيتها واقر ايضا بصحة نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولكن جوز على الانبيا كلهم الكذب فيما اتوا به اي فيما بلغوه عن الله ادعى في ذلك اي في الكذب الذي صدر عنهم المصلحة بزعمه اي زعم ان كذبهم كان لمصلحة اقتضته ام لم يدعها اذ في ذلك الكذب مصلحة فهو كافر بنسبته الكذب لرسل الله عليهم الصلاة والسلام وهم منزهون عن مثله باجماع من علما الدين المعتد بهم وان قيل فيه مصلحة بزعمه كالمتفلسفين اي اصحاب علم الفلسفة وبعض الباطنية الذين زعموا ان النصوص الشرعية باطنا غير ظاهرها والروافض وهم طايفة رفضوا اهل السنة فسموا رافضة وهم فرق مختلفة مذكورة في المطولات وغلاة المتصوفة اي الذين لهم غلو في اعتقادات لهم واصحاب الاباحة الذين ذهبوا لاباحة المحرمات وان من كمل نفسه ووصل لمرتبة لا تضره المعاصي وبين مرادهم بالكذب الذي جوزه هولا فانه ليس المقصود به ظاهره فقال فان هؤلاء الفرق المذكورة زعموا ان ظواهر الشرع اي ما يدل عليه صريح نصوصهم مما يتعلق بالمعاد وغيره واكثر ما جاءت به الرسل مما اوحي به اليهم من الاخبار عما كان في الامم السابقة والازمان الماضية وما يكون في المستقبل من امور الآخرة المبينة بقوله والحشر اي جمع الناس بعد اخراجهم من القبور والقيامة اي مقام من حشر ليقضي بينهم وبما والجنة والنار اي دار النعيم والعذاب فذكر الحال واراد به المحل ليس منها شي على مقتضى ظاهر من لفظها الذي جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام لاممهم ومفهوم خطابها اي ما يدل عليه من معناها المتبادر منه بحسب الوضع وليس المراد بالمفهوم ما اصطلح عليه اهل الاصول وانما خاطبوا اي خاطب الرسل اممهم بما اتوا به بها اي بالامور التي اتوا بها عن الله الخلق الذين ارسلوا اليهم على جهة المصلحة لهم ليتبعوهم ويكفوا اعمالا لا يليق بهم ما يحمل انفسهم البشرية اذ لم يمكنهم اي رسل الله التصريح بكشف حقيقة الحال لهم لقصور افهامهم اي قصور افهام الخلق عن ادراك حقيقة ما يريدونه وهذا الذي ادعاه هولا الفلاسفة باطل فمضمن بضم الميم الاولى وفتح الضاد المعجمة وفتح الميم الثانية المشددة اسم مفعول اي ما دل عليه مضمون مقالاتهم هذه التي زعموا انهم لم يريدوا بالامر ظاهره الدال عليه صراحة ابطال الشرايع التي جا بها رسل الله عليهم الصلاة والسلام لان ظاهرها غير مرادهم وتعطيل الاوامر والنواهي اي جعل امرهم ونهيهم معطلا غير لازم امتثاله قال القرافي في شرح المحصول عن كلام الاصوليين ان الامر بمعنى القول المخصوص يجمع على اوامر بمعنى الفعل والبيان يجمع على امور ولم يوافقهم عليه من اهل اللغة احد

الا الجوهري

الا الجوهري واما الازهري فقال الامر ضد النهي يجمع على امور وقال ابن سيده في المحكم ولم يذكر النحاة ان فعلا يجمع على فواعل وفي شرح البرهان ان قول الجوهري غير معروف وان الاوامر اما جمع آمر بزنة اسم الفاعل بمعنى الامر مجازا او جمع على فواعل لانه اسم او صفة لما لا يعقل ويأباه قولهم انه جمع امر او جمع آمرة مجازا عن الصيغة لان الآمر الشخص نفسه او مصدر كالعافية او هو جمع الجمع يجمع على افعل كاكلب ثم على فواعل ورد بانه ليس على فاعل بل فواعل وقال الاصبهاني انه لا يتم في النواهي لان كونه جمع ناهية مجازا او مشاكلة تكلف اذ لم يسمع ناهية وقد تقدم هذا مرارا لان ماله تكذيب الرسل اي تكذيب رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم لان ما اتوا به لا يطابق الواقع لانهم لم يريدوا ظاهره وليس بكذب حقيقي لتاوله عندهم والارتياب اي الشك والتردد فيما اتوا به هل المراد به ظاهر ما اتوا به ام لا لتاويله بغير ظاهره وكذلك اي مثل ما ذكر في انه كفر من اضاف اي نسب الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم تعمد الكذب اي قصده وذكره عن قصد منه فيما بلغه صلى الله عليه وسلم عن الله من وحيه واخبر به عن ربه او شك في صدقه للاجماع على انه صلى الله عليه وسلم معصوم عن الكذب فيما طريقه البلاغ وكذا ساير الانبيا او سبه فانه يكفر وذكره هنا وان تقدم لان تكذيبه سب له او قال انه لم يبلغ ما اوحي اليه وكتمه وحذف المفعول اختصارا للعلم به لانه افترا عليه لقوله تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس وقد تقدم ان عايشة رضي الله عنها قالت لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتما شيا مما اوحي اليه لكتم قوله تعالى واذ تقول للذي انعم الله عليه الآية النازلة في قصة زيد او استخف به اي استهزأ به وذكر ما فيه ازدراء تقدره او تنقص احدا من الانبيا غيره صلى الله عليه وسلم عليهم اجمعين او ازرى عليهم الازرا الاحتقار اي ذكر ما فيه تحقير او اهانة او آذاهم اي ذكر ما فيه اذية لهم في حياتهم او مما تضمن كاذية بعض ذريته واقاربه صلى الله عليه وسلم ولاجل عين الف عين تكرم • او قتل نبيا من الانبيا كما وقع لبني اسرائيل او حاربه اي بارزه بحرب ومقاتلة كما وقع لقريش وغيرهم فهو كافر باجماع من المسلمين بل من علما الملل كلهم وليس من هذا ما وقع من بعض الصحابة في بعض معارضتهم له صلى الله عليه وسلم في بعض الامور كما وقع في امارة اسامة وفي قصة الحديبية وكتابة الكتاب الذي ارادوا ان يكتبوه في مرض موته كما مر فانما ذلك لخلوص قلوبهم ومحبتهم لله ورسوله كما قيل •

ما انا صحبتك خبايا الود من بخل • ما لم يرعك بمكروه من العذل •

وكذلك اي مثل ما تقدم في تكفير من ذكر تكفير من ذهب مذهب بعض القدما من الفلاسفة والحكما الخارجين عن ملة الاسلام فيما اعتقدوه وذهبوا اليه من ان في كل جنس من الحيوانات عير بني آدم نذيرا اي رسلا ارسلت اليهم من نوعهم لانذارهم او نبيا ارسله الله اليهم ويوعد امته من القردة والخنازير والدواب جمع دابة وهي كل ذي روح دب اي تحرك باختيارهم ثم خص في العرف اي عرف اللغة بذوات الاربعة والدود وغير ذلك مما يمشي على بطنه ويزحف من دواب البر والبحر ويحتج اي يستدل هذا القايل بان في كل جنس نبي بقوله تعالى وان من امة الا خلا

اي مضى وتقدم فيها نذير اي رسول من جنسها ينذرها والامة الجماعة فحملها على نعم
لسائر الحيوانات كقوله الا امم امثالكم وحملها امة دعوة وقال الراغب الامة كل
جماعة يجمعهم امر واحد اما دين واحد او زمان واحد او مكان واحد سوا كان الامر الجامع
تسخيرا او اختيارا فان كل نوع منها على طريقة قد سخرها عليهم بالطبع فهي بين ناسجة
كالعنكبوت وبانية كالسرفة ومدخرة كالنمل ومعتمدة على قوت وقت كالعصفور
والحمام الى غير ذلك من الطبايع التي يختص بها نوع نوع انتهى وذلك اي القول بان للحيوان
رسل وانبيا يؤدي اي يستلزم واصل معناه يوصل الى ان توصف انبيا هذه الاجناس
من الحيوانات وفي نسخة هذه الاشيا بصفاتهم المذمومة اي القبيحة من الصور
والافعال المستكرهة وهو ظاهر ولم يقل بصفاتها لو صفهم بما حقه ان يوصف به العقلا
كقوله والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين وفيه اي فيما ذكر من صفاتهم القبيحة من الازدرا
اي التحقير والاهانة على هذا المنصب اي المقام المنيف اي العالي الشريف وهو
مقام النبوة والمنصب تقدم بيانه ما فيه اي امر ظاهر فيه من التحقير والاهانة فما
موصوفة او موصولة لنسبة امور غير لايقة بالانبيا لمن زعموا انهم انبيا مع اجماع المسلمين
بل العقلا على خلافه اي خلاف ما ادعوه وتكذيب قايله الذاهب اليه فان كل احد
يعلم انه لا فايدة في تكليف غير العقلا خلافا لاهل التناسخ حيث قالوا ان فرايض الله ع
انما تجب على العقلا جميع الحيوانات فان جميع الحيوانات مكلفون بفرايضه وانه بعث لكل
جنس رسولا منهم وخلافا لمن قال منهم ان جميع ما خلق الله من الاجسام حتى الجماد مكلف
بالفرايض وقد حكى اجماع الصحابة والتابعين وغيرهم قبل ان يظهر المخالف على ان البهايم
والجماد غير مكلفين انتهى ● ومنه نعلم ان هذا المذهب مبني على التناسخ وان ارواح المكلفين
لما انتقلت لغيرهم بقيت على تكليفها ● واعلم ان الشيخ الشعراني قال في كتابه ارشاد
الطالبين ان بعض اهل الكشف ذهب الى ان لجميع الحيوانات تكليفي الهي برسول منهم لا
يشعر به الا بعض الاوليا فانه تم له الحجة على جميع خلقه فلا يعذب احدا الا لجزائه ونظيره
وهذا من الاسرار وقال تع وان من امة الا خلا فيها نذير وكل جنس موجود امة وما من دابة في
الارض ولا طاير يطير بجناحيه الا امم امثالكم وورد في الحديث الكلاب والنمل امة فعمت
الرسالة الالهية جميع الامم ودخلوا تحت الخطاب على لسان نذير بعث لها حتى الدود قلت
الجمهور على خلافه وانه يكفر من زعمه واعلم ان في الملل والنحل لابن حزم ان صاحب هذا
المذهب احمد بن حابط البصري تلميذ النظام واحمد بن مانوس واتباعهم يقال لهم الحابطية
ومذهبه كفر لما فيه من الطعن في النبوة وله آراء فاسدة واهية واستدل بما ذكر من الايتين
السابقتين ولا دليل في ذلك لان الامة القبيلة والجماعة من الناس واما تسبيح الحصا وكلام
الحجارة للنبي صلى الله عليه وسلم فلا دليل فيه لانه من المعجزات الخارقة للعادة كحنين الجذع
وكلام الهدهد والنملة وقوله وان من شي الا يسبح بحمده الاية معناه انها بما فيها من بديع
الصنعة تدل على صانع قدير ولذا قال ولكن لا تفقهون دون تسمعون ومن الغريب
ما ذهب اليه خويز منداد من المالكية ان من الحجارة ما له ادراك وتمييز ● ومما قلته في ابن
حابط هذا واتباعهم
قل لابن حابط الحمار ومن غدا ● اشقى الورى ان صح ما يتقول ●
اتخشى الاله فكم نبي مرسل ● من قبل في نمل حين ينتسل ●

واما الجن فعقلاء مكلفون ولكن اختلف هل بعث لهم منهم رسول ام لا وفي ج الا بجاز لا ولى الجن ... الاشعري مسئلة في ان قوله انما تجب على العقلاء صح

والشبه

والشبه منجذب لما هو شبهه ● فلذاك للحشرات انت تفضل ●
وكذلك اي مثل تكفير من تقدم يكفر من اعترف من الاصول الصحيحة بيان لقوله بما
تقدم اي اعترف بالالوهية والوحدانية واعترف بنبوة نبينا صلى الله عليه وسلم
ولكن قال في وصفه صلى الله عليه وسلم وخلقته انه كان اسود اللون والمتواتر
من حليته انه كان ابيض مشرب بحمرة كما تقدم او مات صغيرا قبل ان يلتحي اي قبل ان تنبت
له لحية او قال ان نبينا صلى الله عليه وسلم ليس الذي كان بمكة اي نشا بها قبل هجرته
الى المدينة وليس الذي كان بالحجاز هو ارض معروفة من الحجز وهو المنع والفصل سمي به
لكونه حاجزا بين نجد وتهامة او قال ليس بقرشي اي ليس من قريش وهم ولد النضر بن
كنانة وفي وجه تسميتهم بذلك وجوه مشهورة تقدمت فكل هذا كفر لان وصفه صلى الله
عليه وسلم بغير صفاته المعلومة سلبا واثباتا نفي له اي لوجوده لا لوصفه وتكذيب
به اي تكذيب لمن اثبته وعلم وجوده وكذلك يكفر من ادعى نبوة احد مع نبينا صلى
الله عليه وسلم اي في زمنه كمسيلمة الكذاب والاسود العنسي او ادعى نبوة احد بعده
فانه خاتم النبيين بنص القرآن والحديث فهذا تكذيب لله ورسوله صلى الله عليه وسلم ●
كالعيسوية وهم طايفة من اليهود نسبوا لعيسى ابن اسحاق بن يعقوب الاصبهاني اليهودي
وقيل في اسمه غير ذلك وكان في زمن بني مروان وادعى النبوة في زمن مروان الحمار وتبعه
كثير من اليهود وكان من مذهبه تجويز حدوث النبوة بعد نبينا صلى الله عليه وسلم ولولا ذلك
ما ادعاها القايلين بتخصيص رسالته اي رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم الى
العرب فهو مع تجويزه نبوة نبينا بعده منكر لعموم رسالته وخالف دين موسى عليه الصلاة
والسلام في امور كثيرة وادعى اتباعه له معجزات ثم انه قتل في اول الدولة العباسية
وقيل مات حتف انفه وكالجرمية اختلفوا في ضبط هذه النسبة فقيل انه بجيم مفتوحة
وراء مهملة وميم وياء نسبة وهم قوم من اهل الكفر القايلين بتواتر الرسل اي تتابعها
وتكررها وانها لا تنقطع وانه يحدث في كل زمان رسول يوحى اليه وهكذا ضبطه بعضهم
البرهان الحلبي وارتضى انهم الخرمية بضم الخا المعجمة وفتح الرا المهملة المشددة وميم
نسبة لراس ضلالهم ومعناه بالفارسية الفرح والسرور وعلى فرق من دكية وبابكية
ومازياريه وكلهم يستحلون المحرمات ويبيحون الفروج وظهروا في دولة بني العباس بنواحي
اذربيجان نحو عشرين سنة في جموع وعساكر كثيرة حتى اسر بابك وصلب بسرمرا في
ايام المعتصم وقيل ان الحرمية بحا مكسورة وراء ساكنة مهملتين وهم قوم من القرامطة
سموا به لانهم اباحوا المحرمات وزعموا ان النبوة تدرك بالرياضة وتصفية الباطن وترك
الشهوات المعبر عنه باكتساب النبوة الاتي وان النور القدسي ينتقل من آدم للانبيا الى ان
وصل لمحمد وعلي واولاده ثم تم النور المحمدي فيهم وانتقلت شريعته لغيره وقال التلمساني
انه يقال لهم الخرمانية بضم الخاء المعجمة وسكون الرا وفتحها مشددة والخرمان الكذب يشدد
ويخفف وكاكثر الرافضة القايلين بمشاركة علي في الرسالة للنبي صلى الله
عليه وسلم وبعده وكذلك يقولون ويعتقدون كل امام اي خليفة قرشي عند هولاء
الفرقة من الرافضة يقوم مقامه في النبوة فتنتقل النبوة بعده لغيره عند هولاء وفي الحجة
على الخلق بتبليغ الاحكام وهولاء من غلاة الرافضة ولهم مقالات في الكفر والضلال ولاحاجة

لذكرها كما في المثل يكفيك من الشر سماعه والحق ابلج وكالبزيغية والبيانية
منهم القايلين بنبوة بزيغ وبيان هولاء طايفتان من غلاة الرافضة يزعمون
ان النبوة بل الالهية تحل في بعض ايمتهم وتنتقل اليهم وهم اكفر من النصارى واشد ضررا
منهم لانهم بحسب الصورة يسلمون ويلتبس امرهم على العوام لكن في ضبط اسمائهم
اختلاف فقال البرهان الحلبي ان بزيغ بموحدة مفتوحة وزاي معجمة مكسورة ومثناة
تحتية وغين معجمة مهملة وقيل فيه غير ذلك وبيان بموحدة مفتوحة وتحتية مثناة والف
ونون وقيل انما هو بنونين وهو بيان بن سمعان النهدي وهو يزعم ان الله حل في علي
واولاده ويقولون بنبوة بعض ايمتهم وقيل ان الثاني غلط والصواب انه بيان بن سمعان
النهدي وقيل غير ذلك واشباه هولاء من اهل الضلال او من ادعى النبوة لنفسه
بعد نبينا صلى الله عليه وسلم كالمختار بن ابي عبيد الثقفي وغيره قال ابن حجر ويظهر كفر
من طلب منه معجزة لانه بطلبه منه مجوز لصدقه مع استحالته المعلومة من الدين
بالضرورة نعم ان اراد بذلك تسفيهه وبيان كذبه فلا كفر به انتهى او جوز اكتسابها
ممن يقول ان النبوة صفة تكتسب بالرياضة والزهد وتصفية الباطن واهل الحق
يقولون انها وهبية لمن اصطفاه الله من عباده كما قال الله اعلم حيث يجعل رسالاته
والبلوغ بصفاء القلب اي تصفيته من الكدورات البشرية بالرياضة الى
مرتبتها كالفلاسفة وقدماء الحكما وغلاة المتصوفة جمع غال وهو المبالغ المتجاوز
للحد لكن لم نر من ذهب الى هذا من الصوفية والذي نقل فيه انما هو عن الفلاسفة وقدماء
الحكما وكذلك من ادعى منهم اي من الفلاسفة والغلاة انه يوحى اليه اي يأتيه الملك
من الله ببعض الاوامر الالهية مما تزينه له الشياطين وان لم يدع النبوة فلا يقول مع
ذلك انا نبي او ادعى انه يصعد الى السما ويدخل الجنة بجسده يقظة وهو حي
وياكل من ثمارها ويعانق الحور العين التي في الجنة معدة للمومنين فيها قال ابن حجر
والظاهر ان زعمه دخول الجنة ماضيا او حالا او مستقبلا قبل موته مرة او اكثر سواء
ضم الى ذلك الاكل والمعانقة المذكورين يكون كفرا وان كان ربما يتوهم من كلام المصنف
خلاف ذلك وفي الانوار ويكفر من قال انه يرى الله عيانا في الدنيا ويكلمه شفاها
او ان الله يحل في الصور الحسان او قال ان الحق يطعمه ويسقيه واسقط عنه التمييز
بين الحلال والحرام وانه ياكل من الغيب وياخذ منه او قال دع الصلاة والزكاة والصوم
والقرآن قال ابن حجر ولا يشترط في كفر من زعم انه يرى الله عيانا في الدنيا ويكلمه شفاها
اجتماع هذين خلافا لما توهمه عبارة الانوار بل يكفر زاعم احدهما ثم رايت الكواشي صرح في
تفسيره بكفر معتقد الروية بالعين وهو صريح فيما ذكرته لكن عندي في اطلاق ذلك
نظر والذي يتجه حمله على روية او كلام متضمن للاحاطة بذلك تعالى لما مر ان الاصح انا
لا نكفر الجهوية ولا المجسمة الا ان صرحوا باعتقادهم للوازم قولهم كالحدوث او ما هو
نص فيه كاللون والتركيب والاحتياج ثم قال ابن حجر وكذا يكفر زاعم اسقاط التمييز عنه
بين الحلال والحرام او ان الله يطعمه ويسقيه او انه ياكل من الغيب وياخذ منه ولا يشترط
اجتماع هذه الثلاثة خلافا لما يوهمه كلام الانوار ايضا وكذا يقال في بقية كلامه
فهولاء المذكورون كلهم كفار محكوم بكفرهم لانهم مكذبون للنبي صلى الله عليه وسلم

لادعائهم

لادعائهم خلاف ما قاله لانه صلى الله عليه وسلم اخبر انه خاتم النبيين كما اعلمه الله به
فيما اوحاه اليه واخبر ايضا انه لا نبي بعده وما روي عنه في ذلك من الاحاديث الصحيحة
ذكر ما يخالفه تكذيب له معنى واما ما روي عنه من انه قال لا نبي بعدي الا ما شاء الله
فقال ابن الجوزي في كشف المشكل ان هذه الزيادة لا اصل لها ورد على ابن عبد البر في
قوله ان المراد بها الرويا الصالحة لانها جزء من النبوة وانكر عليه ذلك كما فصله فلا يعرف
من ذكره لعدم وقوفه عليه ومر انه لا يرد عليه عيسى عليه الصلاة والسلام حين ينزل
لانه لم ينبا بعده ولانه يكون من امته وعلى شريعته ولا الخضر ايضا مع انه اختلف في نبوته
كما تقدم واخبر صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى انه خاتم النبيين واخبر ايضا عن الله
انه ارسل صلى الله عليه وسلم كافة للناس اي الى الناس كلهم بل والى الملايكة كلهم بل والى
الجن وهذا مما خصه الله به ولا يرد عليه آدم ونوح كما تقدم قال تعالى وما ارسلناك الا كافة
للناس اي ارسالة عامة محيطة بهم تكف عن ان يخرج منها احد وقال الزجاج معناه جامعا
للناس في الانذار والابلاغ فجعله حالا من الكاف وتاوه للمبالغة كعلامة لا حالا من المجرور
لامتناع تقدمه عليه وفيه تفصيل في العربية وخص الناس لانهم محل النزاع وقيل ان الناس
يطلق على جميع من ذكر كما ذهب اليه بعضهم في الكلام على المعوذتين وارتضاه السبكي
واجمعت الامة اي امته صلى الله عليه وسلم على ان هذا الكلام المذكور من الاية والحديث
وانه ارسل لجميع الناس على ظاهره من نفي النبوة بعده وعموم الرسالة وان مفهومه اي
مدلوله الذي فهم منه المراد منه صفة مفهومه دون تاويل اي لم يأول بما يصرفه عن ظاهره
ولا تخصيص لبعض افراده فلا شك عند من يعتد به من الامة في كفر هولاء الطوايف
كلها الذاهبين لما يخالف اجماع المسلمين قطعا اي جزما من غير تردد فيه اجماعا اي
الاجماع وسمعا من الله ورسوله وكتابه وسنته فلا عبرة بمن خالفه من الفرق الضالة ولا
بمن نازع في حجية الاجماع كما سياتي وكذلك وقع الاجماع من علما الدين على تكفير كل
من دافع نص الكتاب اي منع ونازع فيما جاء صريحا في القرآن كبعض الباطنية الذين
يدعون لها معاني اخر غير ظاهرها وكبعض جهلة الصوفية واما ما يروى عن بعض كبار المشايخ
فليس بتفسير له وانما هو اشارة لبعض نكت يلوح لها لا انه معناه وضعا كما قاله العز بن عبد
السلام او خص حديثا عاما منطوقه مجمعا على نقله عن ثقات الرواة مقطوعا به
في دلالته على صريحه مجمعا من الفقهاء والعلما على حمله على ظاهره من غير تاويل ولا تخصيص
ولا نسخ فانه تلاعب مود للفساد كتكفير الخوارج تقدم بيانهم بابطال الرجم للزاني
والزانية المحصنين فانه مجمع عليه صار معلوما من الدين بالضرورة ولهذا اي للقول
بكفر من خالف ظاهر النصوص والمجمع عليه نكفر من لم يكفر من دان بغير ملة الاسلام
اي اتخذه دينا من اهل الملل جمع ملة وهي الدين وبينهما فرق بحسب المفهوم او وقف فيهم
اي توقف وتردد في تكفيرهم او شك في كفرهم او صحح مذهبهم اي اعتقد صحته كما تقدم
عن بعضهم ان الايمان انما هو عدم جحد وحدانية الله وقد تقدم بيانه وابطاله والفرق بين
التوقف والشك ان التوقف ان لا يميل الى شيء من الطرفين والشك الميل مع الترجيح للمخالف
وان اظهر الاسلام باعتقاده والتزام احكامه واعتقده بقلبه واعتقد ابطال
كل مذهب سواه اي غير الاسلام بان يقول انه منسوخ باطل في الواقع غير مقبول عند الله

وَلكن يزعم ان من اقر بالالوهية والتوحيد غير كافر كما تقدم من مذهب الجاحظ وقيل
قول المصنف وان اظهر الخ لابد له من تاويل لتضمنه الايلاع عن الصحيح ظاهرا او باطنا
فالمعنى الحكم عليه بالكفر مع اظهاره الصحيح ويكون مع ذلك اظهاره الاسلام واعتقاده
ابطال ما سواه رجوعا والالزم ان لا يكون مقبول الاسلام بعد الكفر وهو قول
من لم يصل الى المنقود فهو اي من لم يكفر وما بعده كافر باظهاره ما اظهر من خلاف
ذلك اي ما يخالف الاسلام لانه طعن في الدين وتكذيب لما ورد عنه من خلافه
وكذلك اي كتكفير نقطع ويجزم بتكفير كل من قال قولا صدر عنه يتوصل به الى
تضليل الامة اي كونهم في ضلال عن الدين والصراط المستقيم و يؤدي الى تكفير
جميع الصحابة كقول الطايفة الكميلية سيأتي بيانهم وانهم قوم من غلاة الرافضة
بتكفير جميع الامة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم لانهم قالوا بالتناسخ والحلول
وان النبوة نور ينتقل من رجل لآخر وانه حق علي كرم الله وجهه والصحابة كفروا لما بايعوا
ابو بكر وعلي كفر لما ترك حقه ولم يقاتل والنبي كذلك لما نص على امامة علي وقد كفر بعده
ومثله من الخرافات ولاشك في كفرهم الا انه قيل ان الصواب ان يقول المصنف الكاملية
لانهم ينسبوا الى ابي كامل رئيسهم المؤسس لكفرهم كما نص عليه الامام الرازي ووفق بينهما
بانهم صغروا كاملا على كميل ونسب اليه على خلاف القياس تصغير تحقير فهو بضم اوله
وقيل انه بفتحها نسبة لكميل بزنة قبيل بمعنى كامل وهو بعيد ثم بين مقالتهم وسبب كفرهم
وتكفيرهم للصحابة بقوله اذ لم تقدم بتاء فوقية اي الامة وفي نسخة اذ لم يقدموا عليا
اي يجعلوه خليفة وكفرت هذه الطايفة عليا ايضا اذ لم يتقدم بنفسه على ابي بكر
رضي الله عنهما ويطلب حقه من الامة في التقديم على ابي بكر فهولاء الطايفة الكميلية
قد كفروا من وجوه لانهم بما قالوه ابطلوا الشريعة اي شريعة الاسلام باسرها.
اي جميع احكامها اذ لزم من قولهم بكفر الصحابة انه قد انقطع نقلها لانه لم ينقلها الا الصحابة
رضي الله عنهم وهم عندهم بزعمهم كفرة والكافر لا يقبل نقله ونقل القرآن لانه لم ينقله
الا الصحابة اذ ناقلوه وهم الصحابة كفرة على زعمهم الفاسد والزعم مثلث الزاي
القول الباطل والكافر لا يقبل قوله والى هذا القول بتكفير هولاء وامثالهم والله اعلم
بما اراد اشار مالك في احد قوليه المرويين عنه بقتل من كفر الصحابة اي كلهم
او واحدا منهم لان من كفر مسلما بغير حق فقد كفر فما بالك بالصحابة وهم رضي الله عنهم
اساس الاسلام وعماده ثم كفروا اي هولاء اصحاب هذه المقالة من وجه آخر غير المتقدم
بالزوم مقالتهم هذه بسبهم النبي صلى الله عليه وسلم على مقتضى قولهم وزعمهم
اي ما يستلزمه قولهم هذا انه عهد الى علي رضي الله عنه اي اوصى له بالخلافة بعده على زعمهم
وهو يعلم انه يكفر بعده بترك طلب حقه والكافر لا يكون خليفة فيكون ما عهد كذبا
وهذا سب يكفر من قاله على قولهم بالعهد وكفره وهو مقالة متناقضة باطلة وكفر من
وجوه لعنة الله عليهم اجمعين وصلى الله وسلم على رسوله وعلى آله وصحبه وشرفهم
وكرمهم عما يقول الكافرون وكذلك اي كما كفرنا هولاء نكفر بنون الجماعة وبناء المعلوم
او بالتحتية وبناء المجهول بكل فعل فعله شخص مسلم اجمع المسلمون على انه اي ذلك
الفعل لا يصدر الا من كافر حقيقة لانه من جنس افعالهم وان كان صاحبه اي من صدر

منه

منه مصرحا بالاسلام حقيقة او حكما لشهادة ظاهر حاله مع فعله ذلك الفعل الذي
هو من افعال الكفرة كالسجود للصنم وهو الوثن وهو ما يتخذ لما يعبد والصنم المجسم
والوثن الصورة وكالسجود للشمس والقمر باتخاذهما كالمعبود حقيقة والصليب وامثاله
الخشبة الذي يصلب عليها ثم نقل الى ما يعمله النصارى على صورة الخشبة والمصلوب كعود
معترض على آخر بزعمهم انه هيئة ما صلب عيسى عليه عليه الصلاة والسلام فيعظمونه بالسجود
له وكالسجود للنار التي يسجد لها المجوس سواء كان في دار الحرب ام دار الاسلام بشرط ان
تقوم قرينة على عدم استهزائه او عذره ومما في الحلية عن القاضي عن النص ان المسلم لو سجد
للصنم في دار الحرب لم يحكم بردته ضعيف وواضح ان الكلام في المختار واستشكل الفرق
بين السجود للصنم وبين ما لو سجد الولد لوالده على جهة التعظيم حيث لا يكفر مع انه كما يقصد
به التقرب الى الله قد يقصد بالسجود للصنم ولا يمكن ان يقال ان الله شرع ذلك للعلماء والآباء
دون الاصنام واجيب بان الوالد وردت الشريعة بتعظيمه بل ورد شرع غيرنا بالسجود له
فصار الجنس ثبت له السجود ولو في زمن من الازمان وشريعة من الشرائع فكان شبهة دارئة
لكفر فاعله بخلاف السجود لنحو الصنم او الشمس فانه لم يرد هو ولا ما يشابهه في التعظيم في
شريعة من الشرائع فلم يكن لفاعل ذلك شبهة لا ضعيفة ولا قوية فكان كافرا ولا نظر
لقصد التقرب فيما لم ترد الشريعة بتعظيمه وكالسعي اي الذهاب الى الكنائس جمع كنيسة
والبيع بكسر الموحدة وفتح المثناة التحتية قبل عين مهملة جمع بيعة بكسر فسكون مع اهلها
متعلق بالسعي اي يسعى معهم لمعابدهم وهو يقتضي موافقتهم في كفرهم وهو كالتصريح
بالكفر فهو كفر وقيده بقوله مع اهلها لان المراد انه يذهب معهم في وقت ذهابهم للعبادة
فيها كما يسعى المسلمون للصلاة في المساجد اذ انه يؤدي للصلاة على هيئة تدل على موافقته
لهم ولا مجرد الذهاب للكنيسة والدخول لها ليس بكفر وانما هو مكروه ان كان لغير غرض
صحيح وقيل لا يجوز اذا كان ثم صور ونحوه مما لا يقرون على اظهاره والكنيسة والبيعة
يقالان لمعبد اليهود والنصارى وقيل الاول لليهود والثاني للنصارى وقيل الاول عام
والثاني مخصوص بالنصارى وهو المشهور وهما معربان وقيل الثاني عربي قال الراغب
فان كان عربيا في الاصل فهو كقوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم اي كانهم يبيعون
انفسهم لمعبودهم والتزيي بزيهم وفي نسخة والزي بزيهم وهو بكسر الزاي المعجمة وياء
مثناة تحتية مشددة اي التحلي عليهم والتلبس بها وهو من زوى بمعنى جمع في الاصل وفي الا ساس
انه يأتي والزي الهيئة الظاهرة باللباس ونحوه وفي نسخة بصيغتهم وبينه بقوله من شد اي
ربط الزنانير جمع زنار او زنارة بضم اوله وهو حزام للنصارى يشدونه في اوساطهم وقيل
انه بكسر اوله والمعروف الاول وهو كالغيار كما ذكره الفقهاء وهو امر مختص بهم ويشترط عليهم
ليتميزوا به عن المسلمين وقد كان ذلك معروفا في الصدر الاول فيجب لبس زي الكفار
سواء دخل دار الحرب اولا بنية الرضا بدينهم والميل اليه او تهاونا بالاسلام كفر والا فلا
واختلفوا فيمن وضع المجوس على راسه والصحيح انه يكفر ولو شد على وسطه حبلا فسئل عنه
فقال هذا زنار مثلا فالاكثرون على انه يكفر ولو شد على وسطه زنارا او دخل دار الحرب للتجارة
كفر وان دخل لتخليص الاسرى لم يكفر قال الاذرعي واعلم ان العامة يسمون ما يشد
به الانسان وسطه من حبل ونحوه زنارا ولا يتخيل في اطلاق هذا منهم كفر انتهى
وتخصر وسيم

بفتح الفاء وحاء مهملة ساكنة قبل صاد مهملة من فحص الارض اذا كشفها اي حلق اوساطها
وتركها كمفاحص القطا هيئتها وهو من شعار رهبانهم المعروفة في ذلك الزمان وفي الخبر ستلقون
اقواما في روسهم مفاحص فالقوها بالسيوف اي طيروها وهو عبارة عن ذلك وفيه مبالغة
وبلاغة عظيمة وتلميح لقول العرب فرخ الشيطان وعشش في قلبه وهو زي عبادهم
فالتشبه بهم قصد الكفر وهي رهبانية ابتدعوها كما حكاه الله عنهم **فقد اجمع المسلمون**
على ان هذا الفعل وهو التلبس بهيئة مخصوصة بالكفرة **لا يوجد** ويصدر فعله **الا من**
كافر حقيقة او حكما **وان هذه الافعال علامة على الكفر** المضمر في قلوبهم **وان صرح**
فاعلها بالاسلام لانه متلاعب بالدين لكنه ان كان مخلصا بقلبه نفعه ذلك فيما بينه وبين
الله **وكذلك** اي كالحكم بكفر هولاء **قد اجمع المسلمون على تكفير كل من استحل القتل** اي
قال انه حلال له او لغيره لمسلم ظلما **او استحل شرب الخمر والزنا** بزاي معجمة ونون ونحوه
مما حرم الله ولا بد ان يكون استحلاله له **بعد علمه بتحريمه** اي بان الله حرمه شرعا **كاصحاب**
الاباحة من القرامطة الذين تقدم بيانهم من الاباحية الذين يعتقدون حل ما حرمه الله هم
وبعض غلاة المتصوفة الذين يزعمون ان الواصل الى الله يرفع عنه التكليف ولم يواخذ بما
يرتكبه من المحرمات ثم ما ذكر في استحلال الخمر استبعده امام الحرمين بانا لا نكفر من رد اصل
الاجماع ثم اول ما ذكروه بما اذا صدق المجمعين على ان التحريم ثابت في الشرع ثم حلله فانه يكون
رد الشرع قال الرافعي وهذا ان صح فليجر مثله في سائر ما حصل الاجماع على افتراضه او تحريمه
فنفاه واجاب عنه ابو القاسم الزنجاني بان ملحظ التكفير ليس مخالفة الاجماع بل استباحة ما
علم تحريمه من الدين ضرورة وسياتي لهذا تتمة عند ذكره له **وكذلك يقطع** جزما بلا تردد
بتكفير كل من كذب بايات الله او سنة رسوله المعلومة **او انكر قاعدة من قواعد الشريعة**
وفي نسخة الشرع والمراد بالقواعد ما بني عليه الاسلام كاقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم
رمضان والحج فليس المراد بالقاعدة مصطلح اصحاب المعقول فلذا فسره بقوله **وما عرف يقينا**
بالنقل المتواتر الذي يمتنع كذب قائله **من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم** او كان
مشهورا عنه كحل البيع مثلا قيل ان المصنف اطلق هذا وهو مقيد بان يكون مجمعا عليه معلوما
من الدين بالضرورة لانه يصير كانه جاحد مكذب للرسول صلى الله عليه وسلم ومعنى علمه بالضرورة
استواء العامة والخاصة في معرفته حتى يصير كالضروري والمشهور في حكمه على الصحيح
عندهم فلو كان لا يعلمه كل احد ككون بنت الابن سهمها كذا فيعذر منكره واحترز بقوله يقينا
عن حكم الاجماع الظني وقد يقال ان قوله **ووقع الاجماع** الى اخره متعين له فلا حاجة لما ذكر
وقوله **المتصل** اي الذي لم يتخلله عدم اجماع يقطعه وقوله **عليه** متعلق بالاجماع **كمن انكر**
وجوب الصلوات الخمس من حيث هي **او انكر عدد ركعاتها وسجداتها** فيكفر بانكار ما اجمعوا
عليه يقينا **ويقول** في وجه انكاره **انما اوجب الله في كتابه** القران **الصلاة على الجملة**
اي اجمالا من غير بيان عدد وقوله ذلك حكاية لصورة الحال الماضية لاستغرابها **وكونها**
خمسا وعلى هذه الصفات والشروط لا اعلمه وعلل قوله المذكور بقوله **اذ لم يرد به**
في القران نص جلي اي مفصل في غاية الظهور والجلاء وانما ورد مجملا كقوله اقم الصلاة
وغيرها من الايات واراد بالنص الجلي ضد الخفي وهو المتواتر ولما كان هذا مبينا بالسنة اشار
لدفعه بقوله **والخبر** اي الحديث الوارد **عن الرسول** اي رسول الله **صلى الله عليه وسلم به**

اي ببيان

اي ببيان اجماله باظهاره وجلائه **خبر واحد** لا متواتر فلا يفيد القطع واليقين وقد
اجيب عنه بانه متواتر معنى وقد اوجب علينا العمل به اجماعا لقوله وما اتاكم الرسول فخذوه
وقوله فليحذر الذين يخالفون عن امره الاية وفي الانوار انه لو انكر السنن الراتبة او
صلاة العيدين كفر قال ابن حجر والذي يتجه كفر من انكر سنة راتبة مجمعا عليها معلومة من
الدين بالضرورة كما يدل له قوله او صلاة العيدين لكن انكار احدهما كذلك خلافا لما يوهمه
قوله السنن الراتبة وقوله العيدين بل يكفي في الكفر انكار سنة واحدة بالشروط المذكورة
وكذلك اجمع اي اجمع المسلمون **على كفر من قال من الخوارج ان الصلاة** الواجبة **طرفي**
النهار فقط والمراد بطرفي النهار اوله واخره فكانوا يجمعون الصلاة في وقتين من غير عذر
وهذا لا يجوز عند احد من فقهاء المذاهب الاربعة وفي صحيح مسلم وسنن ابي داود عن ابن
عباس رضي الله عنهما انه قال جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الظهر والعصر وبين
المغرب والعشا بغير عذر ولا مطر بالمدينة في غير خوف وقال ابن عباس اراد ان لا يحرج
امته وحمله بعضهم على المرض واخذه من نفي الحرج وعلى كل حال ففيه نظر قال بعضهم
ومن قال الكفر خير مما يفعل ان اراد به ان في الكفر خيرا ولو بوجه ما كان كافرا والا فلا ومن
قال اطيب الحلال ان لا اصلي الظاهر انه يكفر به لانه جعل ترك الصلاة من حيث هي من الحلال
بل اطيبه وهذا كفر بلا نزاع لان فيه انكار وجوب الصلاة الشاملة للخمس وذلك كفر **و**اجمع
ايضا **على تكفير الباطنية** وهم الاسماعيلية والقرامطة القائلون بان للنصوص باطنا
غير ظاهرها الذي يفهمه الناس وهو معنى قوله **في قولهم ان الفرائض** كالصلاة وغيرها مما
جاءت به النصوص القطعية **اسماء رجال امروا بولايتهم** بكسر الواو وفتحها مصدر كالدلالة
والدلالة اي نصرتهم واتباعهم فيقولون الصلاة الرسول والوضوء موالاة الامام ونحوه
من الخرافات التي فصلها النويري في تاريخه **وفسروا الخبائث والمحارم** جمع محرمة
ومحرمة وهي الحرمة والمراد بها المحرمات **اسماء رجال امروا بالبراءة منهم** اي بالتبري منهم
والبعد عنهم بعدل وتهم ومخالفتهم **وقول بعض الملاحدة من المتصوفة** الذين يظهرون
الزهد والصلاح **ان العبادة** كالصوم والصلاة **وطول المجاهدة** اي مخالفة النفس
وملازمة الطاعة فانه الجهاد الاكبر [illegible] **اذا صفت نفوسهم** اي نفوس
اصحابها اي خلصت من الكدورات الشهوانية **افضت بهم** اي اوصلت نفوسهم واصله
الادخال في فضاء واسع **الى اسقاطها** اي اسقاط الفرائض والتكاليف عنهم **واباحة**
كل شيء من المحرمات **لهم ورفع عهدة الشرائع عنهم** اي ما عهده الله من التكاليف وانما
ذهب الى هذا بعض الزنادقة وقال انه روي اذا احب الله عبدا لم يضره الذنب وهذا لم
يقله احد ولو صح فمؤول بان يحفظه عن ارتكاب الذنوب فمعنى لا يضره الذنب انه لا
يفعل ذنبا حتى يضره كما ان معنى قول بعضهم رفع عنه التكاليف انه يلتذ بها حتى لا يعدها
تكليفا او انه يغلب عليه محبة الله حتى يخرج عن العقل فيصير مجنونا غير مكلف فهو من
عقلاء المجانين كما يشاهد في بعض المجاذيب فان ادعى رفع التكليف عمن لم يخرج من دائرة
العقل فهو كافر بالاتفاق **وكذلك** نحكم بكفره **ان انكر مكة او البيت** وهو الكعبة
والبنية المعروفة **او المسجد الحرام** وهو مسجد مكة **او** انكر **صفة الحج** التي ذكرها الفقهاء
من واجباته واركانه ونحوها **او قال الحج واجب في القران** بقوله تع ولله على الناس

حج البيت من استطاع اليه سبيلا ونحوه واستقبال القبلة كذلك اي واجب
في القرآن بقوله فول وجهك شطر المسجد الحرام الآية ولكن كونه اي المذكور من
الحج والاستقبال على هذه الهيئة المتعارفة شرعا عند ساير الناس وان البقعة
المعروفة هي مكة والبيت والمسجد الحرام لا ادري هل هي تلك او بقعة وارض
غيرها وقال ايضا لعل الناقلين ان النبي صلى الله عليه وسلم فسرها وبينها لنا
بهذه التفاسير المعلومة غلطوا في نقلها ووهموا اي وقع في اوهامهم ما ليس كذلك
فمثل القايل ما ذكر ومثله ممن يشك في معاني النصوص المتواترة لا مرية بكسر الميم
وقد تضم اي لا شك في تكفيره اي الحكم بكفره لانكاره ما علم من الدين بالضرورة وابطاله
الشرع وتكذيبه لله ورسوله ان كان ممن يظن به علم ذلك وذكر الظن لان العلم يعلم
بالطريق الاولى وكان ممن خالط المسلمين في دار الاسلام وامتدت صحبته لهم اي
للمسلمين بين اظهرهم في ديارهم الا ان يكون ذلك القائل حديث عهد اي قريب
جديد تلبسه باسلام بان اسلم بعد كفره في غير دار الاسلام فهو معذور لجهله بما ذكر
كمن نشا في بادية او جزيرة ولم يسمع احكام الاسلام فيقال نعلمه له ارشاده سبيلك
اي طريقك الذي يجب عليك سلوكه ان تسال من الناس عن هذا الذي لم تعلمه مما
ذكرته بعد ظرف مبني على الضم اي بعد ما كنت الى الآن كافة المسلمين مفعول تسال
اي جميعهم فلا تجد بينهم خلافا اي لا تجد منهم من يخالف في تحقيق ما ذكر لعلمه له بمشاهدة
او تواتر كافة عن كافة اي يرويه جميع اهل عصر بالعلوم عن جميع اهل عصر قبلهم بحيث لا يخفى
ذلك على احد منهم وفي دخول الجار على كافة مع قول النحاة انها تلزم النصب على الحالية تفصيل
بيناه في شرح الدرة وعن بمعنى بعد كما يقال كابرا عن كابر اي جميع القرون قرنا بعد قرن
حتى ينتهي الى معاصري الرسول صلى الله عليه وسلم اي من كان في عصره وزمنه ان
هذه الامور التي سالت عنها كما قيل لك اي على هذه الهيئة التي ذكروها لك وعلموها
لك وهو ان تلك البقعة المعينة يسمونها هي مكة بلد الله الامين والبيت الذي هو
مبني فيها هو الكعبة سميت بها لعلوها وارتفاعها او لكونها مكعبة اي مربعة والقبلة
التي يستقبلها الناس بوجوههم

كانما هو منها طيش انفسنا • فحيثما كان دارت نحوه الصور

التي صلى اليها النبي صلى الله عليه وسلم وصلى اليها المسلمون كلهم بعد ما حولت
القبلة عن بيت المقدس من ساير نواحي الارض وحجوا اليها اي قصدوها من كل فج عميق
وطافوا بها تعبدا كما امرهم الله وان الافعال التي تفعلها الحجاج من الاحرام والطواف
والسعي والحلق ورمي الجمار وغيره هي صفات عبادة الحج المامور بها وانها هي ايضا
المراد به في النصوص المنقولة لنا وهي اي تلك الافعال المذكورة التي فعلها النبي
صلى الله عليه وسلم وفعلها المسلمون بعده قرنا بعد قرن وان صفات الصلاة
المذكورة المشهورة المنصوص عليها في القرآن هي التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم
وشرح مراد الله بذلك اي بين المراد منها بفعله ليقتدى به وابان حدودها
اي عرفنا حقيقتها واوقاتها الموقتة لادائها ولا ترتاب بذلك اي لا يقع لك فيها
شك وتردد بعد بالبنا على الضم اي بعد ما علمت بسوالك منهم وهذا حال من يجهله

فيقع لك بسوالك عما
لم تعلمه العلم بما ذكر
وصفته كما وقع لهم
العلم بذلك صح

والمرتاب

والمرتاب في ذلك المعلوم من الدين بالضرورة والمنكر لذلك بعد البحث عنه
ومعرفته بالسوال عنه وصحبة المسلمين كافر بالاتفاق ولا يعذر بقوله لا ادري
المراد بذلك ولا يصدق فيه اي في قوله لا ادري بل ظاهره التستر باظهار جهله
عن التكذيب لله ورسوله صلى الله عليه وسلم فيما نقل عنه اذ لا يمكن انه لا يدري
ذلك مع تواتره وثبوت صفاته وقد قيل عليه ان ظاهره متناقض لانه قال اولا ان القائل
مما ذكر كافر الا ان يكون قريب عهد باسلام وقال هنا انه لا يعذر وليس بشيء لانه
لا يكفر اذا كان حديث عهد قبل تعلمه وهنا انه يكفر بعد التعليم كما يكفر غيره وايضا
فانه اي المنكر اذا جوز على جميع الامة الوهم والغلط فيما نقلوه عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من ذلك المذكور من امور الحج والصلاة واجمعوا على ان قول الرسول
صلى الله عليه وسلم المروي عنه برواية صحيحة وفعله الذي فعله ليقتدى به وتفسيره
صلى الله عليه وسلم لما جاء عن الله اي واجمعوا ايضا على ان فعله لهذا تفسير وبيان
مراد الله تعالى به اي بما دل عليه ما اجمعوا على انه قول الرسول الذي بلغه عن ربه من
الصلاة والحج فبين بفعله صفة ادائه ووجوبه وغير ذلك كما مر فقوله هذا مع علمه او بعد
تعلمه ادخل الاسترابة استفعال من الريبة وهي الشك وهي جواب اذا اي اوقعها
في جميع احكام الشريعة لانها انما تعلم بنقل الامة فاذا طعن فيهم في بعضها سرى ذلك
لجميعها اذ هم الناقلون لها وللقرآن بروايتها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا وقعت
ريبة في نقلهم انحلت عرى الدين جمع عروة وهي ما يتمسك به من الحبل وقد استعير الحبل
للدين والقرآن فانه يتوصل به الى الله فعروته الادلة التي فيه فانحلالها سقوط الاستدلال
بها فهو استعارة اخرى تصريحية او تخييلية والعروة في الاصل ما له اصل ثابت من الكلا
والدواب ترعاه اذا لم تجد غيره فاستعمل لكل ما يعتصم به وقوله كرة هي في الاصل مصدر
من الكر وهو العطف على الشي بالذات او بالفعل ويقال للحبل المفتول كر كما قال الراغب
اي دفعة واحدة وجملة ومن موصولة مبتدا صلته قال هذا اي انكار ما اجمعوا عليه كافر
بانكاره المجمع عليه وكذلك اي كما كفرنا هذا نكفر من انكر القرآن كله او انكر حرفا منه
او كلمة او غير شيا منه بابدال او زيادة او نقص فيه او زاد فيه كلاما ليس منه والمراد
ان ما زاد او نقص ولم يكن برواية صحيحة ونقل معتمد فلا تدخل القراآت كقراءة تجري تحتها
الانهار مع قراءة وكالبسملة في الفاتحة عند الشافعي وغيره ولظهوره لم يقيد المصنف
كلامه هنا فلا معنى للاعتراض به فانه سياقه صريح فيه لمن عنده ادنى بصيرة كقول
الباطنية والاسماعيلية هم فرقة واحدة سموا تارة باطنية لزعمهم ان للنصوص
ظاهرا هو تكليف ومشقة وباطنا بخلافه فهو رحمة والاول قشر للانعام والثاني لب
لخواص الانام وفسروا به قوله تعالى فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره
من قبله العذاب وسموا اسماعيلية لانتسابهم لاسماعيل بن جعفر بن محمد الباقر وقالوا
هو الامام المعصوم المنصوص على امامته بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهم خرافات
ومجازفات قصدهم بها ابطال الشريعة لالحادهم لا حاجة لنا بها فان بطلانها غير محتاج
لدليل ومنهم القرامطة كما مر او زعم انه اي القرآن ليس بحجة اي لا يحتج به لما فيه من
الاحكام لانه ظاهره غير مراد منه فلا حجة فيه للنبي صلى الله عليه وسلم او زعم انه ليس

بل

فى

فيه جحد ولا هو ايضا معجزة دالة على نبوته صلى الله عليه وسلم لانه ينكر اعجاز
القران ويزعم ان البشر لهم قدرة على مثله واليه ذهب بعض غلاة الرافضة كالمردارية
وهو مكابرة تتكفل الحس بابطالها وقال ابن حجر بعد كلام المصنف يحتمل ان يريد به ما يشمل
ما ليس بمعجز بذاته لمن قال ليس بمعجز بذاته وانما هو لكون الله صرف القوى عن معارضته كفر
والتصريح بكفره مبني عليه الحنابلة وكلام المصنف هذا الذي اقر عليه النووي قد يوهم والذي
يظهر لي عدم كفره لان هذا لا يترتب عليه طعن في الدين ولا تكذيب لضروري من ضروريات خلاف
منكر الاعجاز من اصله ثم رايت بعض المتكلمين على الشفا حكى ذلك قولا في معنى الاعجاز حينئذ
فتكفير قايل ذلك بعيد وجزم ابن عقيل بان من امتهن القران او غمصه او طلب ان يناقضه
ادعى انه مختلف فيه او مختلق او مقدور على مثله ولكن الله منع قدرتهم كفر بل هو معجز بنفسه
والعجز شمل الخلق انتهى كقول هشام الفوطي قال في التبصرة هشام بن عمرو الفوطي من القدرية
وزاد في مذهبهم امورا باطلة وقال لجهله انه لا يسمى الله الوكيل ولم يعرف انه بمعنى الكافي والحفيظ
وانكر المعجزات وهو بضم الفاء وقيل البا الموحدة وسكون الواو وطاء مهملة قبل ياء النسبة ومعمر
بميمين مفتوحتين بينهما عين مهملة ساكنة وهو من المعتزلة الصيمري بفتح الصاد المهملة
ومثناة تحتية وفتح الميم وراء مهملة منسوب لصيمر موضع او بلدة وفي نسخة الضمري بفتح
الضاد المعجمة منسوب لضمرة قبيلة كما قاله التلمساني وفي التبصرة معمر بن عباد تنتسب له
المعمرية ونسبت له خرافات يملها السمع انه اي القران لا يدل على الله وانما كفر بذلك لانه
انكر الكلام واثباته لله وقال بعدم اعجاز القران ولا يدل على ثواب ولا عقاب ولا حلال
ولا حرام لانه يقول انه ليس لله كلام ولا امر ولا نهي كما في التبصرة ولا حكم فيه لله ولا محالة
في كفرهما اي لا بد من تكفيرهما بذلك القول الذي قالاه كما سمعته انفا وكذلك نكفرهما
بانكارهما ان يكون في سائر معجزاته صلى الله عليه وسلم حجة له اي معجزة تصدقه في دعواه
او بانكارهما ان يكون في خلق السموات والارض دليل على الله لدلالة مصنوعاته سبحانه
وتعالى عليه من غير شك ه وفي كل شي له اية ٭ تدل على انه واحد ٭ لانه كما في التبصرة
قال ان الله لم يخلق شيئا من الاعراض وان الاجسام تفعلها بطبايعها الى غير ذلك مما ينبغي
تطهير الالسنة عن مثله لمخالفتهم الاجماع والنقل المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم
باحتجاجه متعلق بالمتواتر والضمير له صلى الله عليه وسلم بهذا كله اي القران والمعجزات
وخلق السموات والارض دليل على وجود صانعها وعلى رسالته فانها حجج قاطعة وتصريح القران
به اي بكون ما ذكر حجة ومعجزة كقوله فاتوا بسورة وكقوله اقتربت الساعة وانشق القمر ولئن
سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وانما الله اله واحد ونحوه وكذلك نحكم بكفر
من انكر شيئا مما نص القران عليه كالقيامة بعد علمه انه من القران حتى لا يعذر بجهله الذي
في ايدي الناس ومصاحف المسلمين يقرؤ في كل زمان ولم يكن جاهلا به تاكيد لما قبله
ولا قريب عهد بالاسلام حتى يجهل ذلك واحتج لانكاره شيئا من القران اما ان يحتج
بانه لا يصح النقل اي نقل القران الينا عنده اي في اعتقاده ولا بلغه اي وصل اليه
العلم به او اما لتجويز الوهم اي الخطا على ناقليه فيكفر بالتخفيف وبناء الفاعل او
بالتشديد وبناء المجهول اي نحكم بكفر هذا القايل لما ذكر بالطريقين المتقدمين
اي مخالفة الاجماع والنقل الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم لانه مكذب للقران بانكاره

او انكار

او انكار ما نص عليه فيه بتكذيبه للنبي صلى الله عليه وسلم بانكار معجزته التي جا بها
لكنه تستر بدعواه التي لا يعذر بها وكذلك نكفر من انكر الجنة والنار نفسهما او محلهما
وهو جهنم اي انكر ايجادهما يوم القيامة واما من انكر وجودهما الان كبعض المعتزلة فانه خطا
ايضا لكنه قيل انه لا يكفر به لاقراره بهما وان كانت النصوص دالة على بطلان ما قال كما بين
في كتب الاصول والبعث اي وكذلك نكفر من انكر البعث اي احيا الله الموتى وبعثهم
اي اخراجهم من قبورهم او انكر الحساب اي كون الله يحاسب عباده ويسالهم عن اعمالهم يوم
القيامة لاقامة الحجة عليهم واظهار حالهم وان كان الله عالما بذلك او انكر القيامة اي
قيامهم في الحشر بين يديه سبحانه وتعالى بعد احيائهم واخراجهم من القبور فهو كافر باجماع
للنص عليه في القران كقوله تعالى ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون ويوم
نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا ونضع الموازين القسط ليوم
القيمة يوم يقوم الحساب وغيره من النصوص وحديث الشفاعة العظمى شاهد له واجماع
الامة اي امة الاجابة المسلمين على صحة نقله اي النص به متواترا بحيث لا يمكن النزاع
فيه وكذلك نكفر من اعترف بذلك اي الجنة والنار والبعث والحساب والقيامة ولكنه
قال ان المراد بالجنة والنار والحشر اي جمع الناس في الموقف والنشر اي خروجهم
من القبور منتشرين والمراد بالثواب والعقاب المذكور في القران والنصوص معنى غير
ظاهرها المتبادر منها وانها اي الامور المذكورة كلها لذات وآلام فقط اكتفا روحانية
بضم الراء وفتحها نسبة الى الروح وهو ما به الحياة وبزاد الالف والنون فيه سماعا على خلاف
القياس وتطلق الروحانيون على الملايكة والمراد هنا امر يتعلق بالروح من اللذة والالم
والروحاني يكون بمعنى الطيب ومعاني تدرك بالعقل دون الحس باطنة غير محسوسة
كقول النصارى والفلاسفة والباطنية وبعض المتصوفة الذاهبين الى ان الحشر
غير جسماني بل روحاني وزعمهم الفاسد في تاويلهم النصوص فقالوا ان معنى القيامة
الموت الذي هو ضد الحياة او فنا محض اي عدم محض خالص وانتقاض بضاد معجمة اي
تغيير هيئة الافلاك التي هي عليها الان وتحليل العالم بمثناة فوقية وحا مهملة اي حل
تركيبه وابانة بعضه من بعض كقول بعض الفلاسفة المنكرين للقيامة والبعث
وما ذكره المصنف عن المتصوفة مراده بهم الزنادقة الملحدون المتسمون بسمتهم واما مشايخ
الصوفية فحاشاهم من مثله ولا ينبغي تسميتهم متصوفة بل هم صوفية حقيقة وكذلك
كما كفرنا هولاء نقطع بتكفير غلاة الرافضة جمع غال وهو المتجاوز حده في الغلو والمبالغة
في امره في قولهم ان الايمة هم عندهم علي واولاده رضي الله عنهم الذين يقولون بان الامامة
حقهم افضل من الانبيا كما قدمناه في هذا الباب وهولاء الطايفة تسمى نصيرية بالغو
في ايمتهم بزعمهم الباطل حتى ادعى بعضهم انهم الهة وهولا اشد كفرا من النصارى فاما
من انكر من هولاء ما عرف بالتواتر من الاخبار المنقولة عن الصحابة جمع خبر والسير
بزنة عنب جمع سيرة وهو ما يتعلق بغزواتهم واسفارهم وانكار البلاد البعيدة كخراسان
والعراق التي يرجع انكارها الى ابطال الشريعة مما شرعه الله لعباده ولا يفضي اي
يوصل الى انكار قاعدة من قواعد الدين لعدم تعلقه به كانكار غزوة تبوك او مؤتة
اما تبوك فاسم عين ماء وسمي به موضعها وهو من ارض الشام بقرب مدين وهي ماخوذة من

تاك الحمار الاناث اذا نزي عليها او من باكت الناقة اذا سمنت وسميت به لانه صلى الله عليه وسلم غزاها في رجب سنة تسع فصالح اهلها على الجزية من غير قتال فاشبهت الناقة السمينة في خيرها وقيل لان رجلين سبقا لها وبا وها بسيف لقلته فجعلا بين خلاف فيها سهما ليكونا او هافقال لهما صلى الله عليه وسلم ما زلتما تسوكانها منذ اليوم ومؤتة بضم الميم وهمزة ساكنة وتبدل واوا وتا مثناة فوق قرية من ارض البلقا بطرف الشام قريبة من الكرك على مرحلتين من القدس كان بها تلك الغزوة لانهم قتلوا رسولا ارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم فجهز اليهم جيشا في سنة ثمان وقيل سبع فقتل بها جماعة من المسلمين ثم فتحها خالد بن الوليد وقصتها مفصلة في السير وتقدم ما فيه الكفاية وانما لم يكفر منكرهما لانه لا يترتب على انكاره امر ديني **او** كلا يكفر من انكر **وجود ابي بكر** الصديق رضي الله عنه **او** وجود **عمر** بن الخطاب **او** انكر قتل عثمان في قصة الدار المتواترة **او** انكر **خلافة علي** بن ابي طالب ونحوه **مما علم** وجوده **بالنقل ضرورة** لان التواتر يحصل به علم ضروري يقيني لا يشك فيه **وليس في انكاره** لذلك **جحد شريعة** اي لا امر شرعي متعلق بالدين **فلا سبيل الى تكفيره** اي المنكر لما ذكر **بجحد ذلك** ونفي وجوده **وانكاره وقوع العلم به** اي ان يكون عنده علم به **اذ ليس في ذلك** الانكار والجحد امر يقبح **اكثر من المباهتة** هي مفاعلة من البهتان وهو الافترا والكذب ومثله لا يعد كفرا وهي المفاجأة بالتكذيب حتى يبهته ويحيره قال فبهت الذي كفر اي سكت لحيرته وهذا كله ظاهر فما قيل من انه يلزمه تكذيب نقلة الحديث في الغزوات لا وجه له لانه لا يعد كفرا وكذا ما قيل من ان انكار وجود ابي بكر فيه تكذيب للقران في قوله تعالى ثاني اثنين اذ هما في الغار الاية لان انكاره انه ليس يكفر من حيث هو فان عرفه وانكر صحبته التي في القران فهو كفر واما انكار صحبة غيره فصريح كلامهم انه لا يكون كفرا لكن اختار بعضهم ان انكار صحبة غيره المجمع عليها المعلومة من الدين بالضرورة كفر ويجاب بان شرط انكار المجمع عليه الضروري ان يرجع الى تكذيب امر يتعلق بالشرع بخلاف انكار صحبته لان فيها تكذيب القران فتدبر **كانكار هشام** الفوطي الذي تقدم انه من غلاة الرافضة **وعباد** الصيمري الذي تقدم ايضا **وقعة الجمل** التي كانت بالبصرة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما فخرجت عايشة ام المومنين رضي الله عنها على جمل لها لتصلح بين الفئتين فكان ما كان من ذلك الحرب العظيم ولذا سميت وقعة الجمل ونسبة انكار هذه الوقعة لابن حزم كما قاله مغلطاي غلط وكانت الوقعة سنة ست وثلاثين ووقعة صفين سنة تسع وثلاثين فكانت عايشة على جمل يسمى عسكر وفيها قتل جماعة من الصحابة والقصة مشهورة في التواريخ **وانكار محاربة علي** رضي الله عنه **من خالفه** من الخوارج الذين كانوا بايعوه اولا ثم لما جرى امر التحكيم انكروه وقالوا لا حكم الا لله وهي كلمة حق اريد بها باطل ونفروا وافترقوا ولهم اعتقادات مخالفة لاهل السنة فكانت بينهم حروب عظيمة قد اشتهرت حتى افردت بالتاليف وفرقهم واعتقاداتهم مفصلة في كتاب التبصرة لا يهمنا ذكرها هاهنا **فاما ان ضعف** المنكر لما ذكر من تواتره وضعف مشدد مبني للفاعل او للمفعول **ذلك** المنقول من اجل الاخبار التي لا تعود لامر شرعي **من اجل تهمة الناقلين** اي لاجل اتهامه بالكذب **ووهم** ماض مشدد معطوف على ضعف او مصدر بزنة ضرب معطوف على تهمة **المسلمين اجمع**

اي قال ان جميع المسلمين مخطئون في نقلهم **فنكفره بذلك** الذي اخطاه خطا جميع المسلمين واتفاقهم على الكذب **لسريانه** اي افضائه وتعديه **الى ابطال الشريعة** المحمدية لانها انما يعلم بنقل المسلمين فاذا جوز اتفاقهم على الكذب لم يوثق بنقلهم في شي اصلا وتكفيره لانكاره اجماع المسلمين وهو كفر **فاما من انكر الاجماع** اي اجماع المسلمين المجرد وفسر المجرد بقوله **الذي ليس طريقه** اي ما يستند اليه **النقل المتواتر عن الشارع** المراد بالمتواتر ما من شانه التواتر وقيل المراد بالمجرد ما تجرد من القراين التي تجعله قطعيا **فاكثر المتكلمين** المراد بهم هنا العلما ولذا بينهم بقوله **من الفقها والنظار** جمع ناظر **في هذا الباب** اي في هذه المسايل المتعلقة بالتكفير **قالوا** اي اعتقدوا وجزموا **بتكفير كل من خالف الاجماع الصحيح** اي المستجمع لشروطه المذكورة في كتب الاصول كما بينه بقوله **الجامع لشروط الاجماع المتفق عليه عموما** في كل اجماع واعلم ان حقيقة الاجماع العزم قال تعالى فاجمعوا امركم ثم شاع في الاتفاق وهو من الجمع وهو حقيقة في الاجتماع مجاز مشهور في المعاني ومعناه اتفاق مجتهدي هذه الامة وقال البغوي هو نوعان عام كاجتماع الامة على الصلاة وعدد ركعاتها مما يعرفه الخاصة والعامة وانكاره كفر الا ان يكون منكره حديث عهد باسلام وخاص وهو ما يعرفه الخاصة كبطلان نكاح المتعة ولا يكفر جاحده وانما يحكم بخطايه وكذا كل اجماع لا يعرفه الا العلما كحرمة نكاح المراة على عمتها والاجماع واقع ويمكن الاطلاع عليه على الصحيح وحجة واختلفوا في حجيته هل هي قطعية او ظنية عقلية او سمعية او مركبة منهما ولم يخالف في حجيته الا من لا يعتد به كالنظام وبعض الشيعة كما ياتي **وحجتهم** التي استدلوا بها قول الله تعالى **ومن يشاقق الرسول** اي يخالفه ويعاديه فيكون في شق والرسول في شق اخر **من بعد ما تبين له الهدى الاية** وتمامها ويتبع غير سبيل المومنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا وسبيل المومنين طريقهم التي اتفقوا عليها فتوعده عليه يقتضي انه دخل طريقا غير طريق المسلمين وهو الكفر وحجتهم من السنة **قوله** صلى الله عليه وسلم كما رواه ابو داود في سننه وصححه **من فارق الجماعة** اي المسلمين واهل الحق وروي من فارق الجماعة بترك السنة واداء الحقوق واتباع البدعة والبغاة والمحاربين **قيد شبر** بكسر القاف وسكون المثناة التحتية ودال مهملة والقيد والقاد بمعنى القدر والشبر بكسر الشين المعجمة وسكون الموحدة وراء مهملة ما بين طرف الخنصر والابهام مفرجا اذا قيس به وهو كناية عن القلة **فقد خلع ربقة** بكسر الراء المهملة وسكون الموحدة وقاف وهو حبل يقاد به وقد تقدم اي نزع عقد **الاسلام من عنقه** فهو كناية عن مفارقة الاسلام وتركه بالكلية تشبيها له بحيوان يقاد بحبل فترك الحبل وهرب من قايده وفيه اشارة الى انه كالانعام بل اضل والربقة في الاصل عروة تجعل في يد البهيمة او عنقها تمسكها فشبه الاسلام بمنع المجاوزة لما لا ينبغي لها واضافها اليه على طريق التشبيه المؤكد اي خلع الاسلام المانع له كالعروة المانعة لها من الضياع او شبه ما يلزمه من احكام حدوده واوامره ونواهيه المانعة له بالربقة المانعة لها على طريق الاستعارة التخييلية واثبات لها الخلع ترشيحا **وحكوا** اي الفقها والنظار في ذلك **الاجماع على تكفير من خالف الاجماع** كما في الاية المذكورة من الوعيد لمن لم يتبع سبيل المومنين وهو الاجماع ومثله يكون للكفرة وحكاية المصنف في تكفير من جحد الاجماع مناف لما ذكره بعده من التوقف فيه بقوله

وذهب آخرون من اهل الاصول الى الوقوف اي التوقف عن القطع اي الجزم
بتكفير من خالف الاجماع الذي يختص بنقله العلما فلم يقطعوا بتكفيره ولا عدمه وقيل
بضلاله لخروج الاجماع فيما يتعلق بالصنايع لكنه يدخل فيه اجماع اهل العربية وفيه كلام في
شرح المغني ظاهره انه غير معتد به ومسئله في خصايص ابن جني ولنا فيه بحث ذكرناه في
السوابغ وذهب قوم آخرون من العلما الى التوقف اي عدم الجزم في تكفير من خالف
الاجماع الكاين عن نظر كالقياس الحاصل باجتهاد لا بد له من مستند كتكفير النظام
بفتح النون كالقياس وتشديد الظا المعجمة وهو ابراهيم بن سيار او ابن شيبان بمعجمة
وموحدة بعد اليا المثناة التحتية والف ونون ابو اسحاق مولى بني الحارث بن قيس بن ثعلبة
احد فرسان المتكلمين من المعتزلة وله احاطة بالفنون العقلية وله شعر رقيق كان في
دولة المعتصم بانكاره الاجماع كما انكر القياس وحجيتهما الا من يقول هذا مخالف
اجماع السلف على احتجاجهم به اي بالاجماع خارق للاجماع اي مخالف للاجماع منهم
ومن غيرهم والخرق كما قال الراغب القطع على سبيل الفساد من غير تدبر وهو ضد الخلق
الذي هو فعل بتقدير ورفق وباعتبار القطع قيل خرق الثوب وخرق المفازة ومنه الخرق
والخرقة كما فصله في مفرداته فعبر في الاجماع بالخرق له قطع له من غير تدبر وحكم بخلافه
قال تعالى وخرقوا له بنين وبنات بغير علم **تنبيه** قال الشيخ والدي رحمه الله ابن حجر
الهيتمي في الفتاوى والاعلام قال ابن دقيق العيد مسايل الاجماع ان صحبها التواتر
كالصلاة كفر منكرها لمخالفة المتواتر لا لمخالفة الاجماع وان لم يصحبها التواتر فلا
يكفر نافيها وفرق الزركشي بين تكفير منكر المجمع عليه وعدم تكفير منكر اصل الاجماع
بان منكر الحكم يوافق على كون الاجماع حجة ثم انكر الحكم المترتب عليه فكفرناه بخلاف
منكر الاصل فانه لم يوافق على شي البتة وفي فرقه نظر لاقتضائه ان منكر الحكم لا بد
ان لا يسبق منه اعتراف بحجية الاجماع وهو مخالف لاطلاقهم فالذي يتجه ان ملحظ
التكفير انكار الضروري سواء سبق اعترافه بحجية الاجماع ام لا فان قلت هل بقي فرق
بين انكار اصل الاجماع حيث لم يكن كفرا وانكار الحكم المجمع عليه الضروري حيث كان كفرا
قلت نعم وتقدم قبله مقدمة وهي ان النظام وغيره انما انكروا كون الاجماع حجة زعما منهم
انه لا يستحيل الخطا على اهل الاجماع وانه لا دليل على عصمتهم قطعا اذ ما استدل به على ذلك
يحتمل التاويل فالاجماع الذي انكروه هو تطابق العلما مع تفرقهم وكثرتهم على راي نظري
وهذا ليس كانكار الضروري به والقطع فيه يسري الى ابطال الشريعة من اصلها فتطابق العلما
على راي واحد نظري لا يوجب العلم القطعي الا من جهة الشرع فلم يكن انكار كونه من اصله حجة
ولا انكار افادته القطع مع الاعتراف بحجيته مكفرا على الاصح بخلاف انكار الضروري فانه
يجر الى انكار الشريعة بل الشرايع كلها فمن ثم كان كفرا كما تقرر فاتضح الفرق بين انكار
اصل الاجماع او كونه حجة قطعية وبين انكار الضروري وبما قررته يعلم رد تنظير الغزالي
في كفر جاحد المجمع عليه بان النظام انكر كون الاجماع حجة فيصير مختلفا فيه ووجه رده ان
النظام لا ينكر الحكم كالامر المتواتر فهو بهذا الانكار مبتدع ضال فلا نظر لانكاره ولا
لخلافه فان قلت نا في حكم الاجماع اخف حالا من المجمع عليه لان الاول ليس معه
اعتقاد مخالف بخلاف الثاني فان الجحد يقتضي سبق الاعتراف والاعتقاد قلت

اذا تاملت

اذا تاملت ما سبق من التقرير علمت ان الملحظ في التكفير انما هو انكار الضروري المستلزم
لانكار الاجماع بخلاف انكار الاجماع من اصله او حجيته او المجمع عليه الغير الضروري فانه لا يكون
كفرا خلافا لما يوهمه كلام المصنف بعض المتاخرين فاذا تدبرت هذا الذي قررته واستحضرت قواعد
ظهر لك انه احق بالاعتماد والتصويب مما ذكره بعض المتاخرين هنا انتهى ملخصا وقال القاضي ابو
بكر الباقلاني القول المعتمد عندي ان الكفر بالله تعالى حقيقة معناه شرعا الجهل بوجوده
عز وجل وان الايمان الذي هو ضد الكفر بالله تعالى معناه العلم بوجوده وانه اي
الشان لا يكفر احد بقول يقوله ولا راي يعتقده الا ان يكون المذكور من قوله ورايه
هو الجهل بالله تعالى فنكفره بعدم العلم به وانكار وجوده وهذا القول نقله عنه في سراج
العقول وتقدم ايضا وذلك اما حقيقة الجهل او ما يستلزمه كما اشار اليه بقوله فان عصى
الله ورسوله بقول او فعل نص الله تعالى ورسوله اي ذكره صريحا في كتاب او سنة او اجمع
المسلمون على انه لا يوجد بالجيم اي لا يصدر ولا يقع الا من كافر كانكار الشرع او رسالة
محمد صلى الله عليه وسلم او يقوم دليل على ذلك اي على انه لا يوجد الا من كافر فقد كفر ليس
كفره والحكم به لاجل قوله او فعله اي لا يصدر الا من كافر لكن يكفر لما علم مما يقارنه
باستلزامه له من الكفر بالجهل بالله ثم فصله بقوله فالكفر بالله تعالى لا يكون اي يوجد
ويتحقق الا بثلاثة امور احدها اي الامور الثلاثة الجهل بالله تعالى ووجوده الثاني
ان ياتي ويفعل فعلا يصدر عنه او يقول قولا يخبر الله ويخبر رسوله صلى الله عليه وسلم
اي اخبر او عبر بالمضارع لحكاية الحال الماضية او يجمع المسلمون على ان ذلك لا يكون
الا من كافر وقد تنازع في قوله ذلك يخبر ويجمع كالسجود للصنم والمشي الى الكنايس
اي معابد النصارى واليهود كما تقدم فالمشي الذهاب معهم على هياتهم بالتزام الزنار
وهو ما يشد بالوسط على هيئة مخصوصة بالكفرة مع اصحابها اي اصحاب الكنايس والذ
في اعيادهم المعروفة بينهم وهاحالان مترادفان او يكون ذلك القول الذي قاله
او الفعل الذي فعله لا يمكن معه اي مع ذلك القول او الفعل العلم بالله تعالى قال
ابو بكر الباقلاني فهذان الضربان اي الجهل بالله واتيان بفعل او قول لا يكون الا من كافر
وان لم يكونا جهلا بالله تعالى اي ان لم يقتضي قوله وفعله المذكوران جهلا بالله تعالى
فهما علم بفتحتين اي علامة وامارة على ان فاعلهما كافر منسلخ خارج من الايمان لان
الايمان عند الاشاعرة تصديق النبي صلى الله عليه وسلم فيما علم مجيئه به ضرورة وما جا به
الاقرار بالله ورسوله وكتبه فالكفر حينئذ جحد ذلك وقد جعل الشرع بعض الامور علامة
على ذلك واما سجود الملايكة لآدم وسجود اخوة يوسف له فليس على طريق العبادة لانه
كان تحية جايزة عندهم ثم نسخ ذلك وابدل بالسلام فانه تحية الاسلام وقال ابن الهمام
الايمان نقل شرعا من معناه اللغوي وهو التصديق الى مجموع امور اعتبرت في وضعه شرعا
والتصديق جزء منها وهو عند الباقلاني ثلاثة ثم فصلها كما فصل المصنف ثم قال فاما من
نفى صفة من صفات الله تعالى الذاتية العلمية الثبوتية بان قال انه لا يتصف بها او جحدها
اي انكرها مع العلم بها والنفي المراد به ان يعتقد عدم ثبوتها له فهو مغاير للجحود ولذا عطفه
باو مستبصرا اي على بصيرة في ذلك دون سهو او سبق لسان فهو قيد للنفي والجحود لا لهما
فقط وتفسيره حينئذ بمتيقنا غير متوجه وكذا تفسير الجحد بمطلق الانكار لا وجه له

مع عطفه باو كما قيل كقوله ليس بعالم ولا قادر ولا متكلم وشبه ذلك نحو ليس سميعا
ولا بصيرا او نحوه من صفات الكمال الواجبة له عز وجل فقد نص ايمتنا اي صرح به علماء
المالكية على الاجماع اي اتفاق المالكية على كفر من نفي عنه تعالى الوصف بها واعراه
اي جعل ذاته عارية عنه غير متصفة به عنها اي عن الصفات الذاتية وهذا مذهب
بعض الفلاسفة ولا يدخل في هذا المعتزلة الذين قالوا لا صفات له زائدة على ذاته وانما
هو عين ذاته ولا يدخل فيه ايضا بعض الصفات التي فيها الخلاف بين الاشاعرة والماتريدية
وعلى هذا القول المذكور حمل قول سحنون من قال ليس لله تعالى كلام فهو كافر لانكاره
صفة ثابتة بالنص كقوله تعالى حتى يسمع كلام الله ونحوه وهو اي سحنون لا يكفر المتاولين
اي الذين يتاولون النصوص ومن جملتهم المعتزلة النافون للكلام فانهم يقولون معنى
كلم الله موسى انه خلق كلاما في الشجرة اسمعه موسى لان الكلام اصوات وحروف حادثة
لا تقوم بذاته فخالف كلامه هنا قاعدته كما قدمناه في عدم تكفيره لمن ياول فاما من
جهل صفة من هذه الصفات الذاتية كالعلم والقدرة ولم ينفها مستبصرا اي مستندا
لدليل ولا جحدها عنادا فاختلف العلماء هاهنا اي في تكفيره وعدمه لعذره بجهله فكفره
بعضهم ولم يجعل الجهل عذرا له لوجوب النظر عليه وحكي ذلك اي تكفيره عن ابي جعفر
محمد بن جرير الطبري العلامة المفسر كما تقدم في ترجمته وغيره من العلماء وقال به اي
ذهب الى مثل رايه في التكفير ابو الحسن الاشعري امام اهل السنة وقوله مرة اشارة الى
انه احد قولين له في هذه المسالة وذهبت طايفة من اهل السنة الى ان هذا اي جهله بصفة
من صفات الله تعالى الذاتية لا يخرجه عن اسم الايمان يعني انه مومن غير كافر فيطلق عليه اسم
ماخوذ من الايمان او اسم مقحم هنا كقوله الى الحول ثم اسم السلام عليكما واليه اي الى هذا القول
بعدم تكفيره رجع الاشعري عن قوله الاول لتحقيقه عنده وقيام الدليل عليه قال
الاشعري انما لم نكفره لانه اي النافي لصفة جهلها لم يعتقد ذلك اي انتفا تلك الصفة
الذاتية اعتقادا يقطع بصوابه لقيام دليل عنده كالفلاسفة وانما قال الجهله فهو معذور
ويراه دينا وشرعا اي يعتقد برايه كذلك وانما قاله توهما وجهلا وانما يكفر من اعتقد
ان مقاله وفي نسخة ما قاله اي قوله حق صواب موافق للبرهان ومطابق للواقع واحتج
هولاء الذاهبون لعدم تكفيره بحديث المراة والجارية السودا الذي رواه ابو داود في
سننه وهو ان رجلا ظاهر من زوجته ولزمه عتق رقبة فاتى بجارية نوبية وقال
يا رسول الله اعتق هذه فقال لا تجزيك الا ان تكون مومنة فقال سلها يا رسول الله
فقال لها اين الله فاشارت الى السما وقال لها من انا فقالت رسول الله فقال له اعتقها
فانها مومنة وكون هذا العتق كفارة ظهار قاله التلمساني والذي في سنن ابي داود ان
معاوية بن الحكم السلمي قال يا رسول الله لي جارية صككتها فعظم ذلك على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقلت له افلا اعتقها قال ايتيني بها فجيت بها فقال لها اين الله
فعتقها انما هو كفارة محضة واما كون الكفارة لا يجزي فيها الا رقبة مومنة فمختلف فيه
فعند الشافعي ومالك والاوزاعي اشتراط الايمان فيها وعند ابي حنيفة رحمه الله يجزيه غير المومنة
الا في كفارة القتل قيل وفيه اشكال لقوله اين الله واقرار الرسول لقولها في السما او
اشارتها وليس كقوله تعالى وهو الذي في السماء اله ولم يجب عنه وقد اجاب عنه ابن فورك

في كتاب

في كتاب كشف المشكل فقال اين موضوعة للسوال عن المكان وقد يتوسعوا فيها فقالوا
اين فلان بن فلان لبعد الرتبة المعنوية فقولها اين الله استعلام عن منزلته في قلبها
فاشارت الى السماء اي هو رفيع الشان عظيم المقدار كما يقال هو في السماء لعلي الرتبة
وكانت خرسا فلذا اكتفي باشارتها ومن اصحابنا من قال ان قول القايل الله في السماء
يريد به انه فوق السما من طريق الصفة لا من طريق الجهة على حد قوله أامنتم من في السما
بنكر عليه ذلك واما قوله انها مومنة فيحتمل انه صلى الله عليه وسلم علمه بوحي وجعل
اشارتها علامة ايمانها او سماها مومنة نظرا لظاهر حالها لانه يكفي في المطلوب
وقال ابن اللبان في كتاب المتشابه ذاته تعالى باسمايه وصفاته محيطة بدوابر
السموات والارض وفي تصرفها وسايط سفلية وعلوية هي مظاهر تجلياته فتقرير
الجارية انه في السما ووصفها بالايمان لم يعتبر فيه ظاهر لفظها فانه لا يفيد التوحيد
مع القول بالجهة وعدمه اما الثاني فظاهر واما الاول فلانهم موافقون على عبادة
الملايكة والكواكب وليس في اللفظ ما يخرجها فيقتضي الايمان فالاقرب ان للجارية اثر
عليها نور التوحيد في الافاق السماوية لقوله سنريهم اياتنا في الافاق فقولها في
السماء اي ظهر نور توحيده فيه فقال انها مومنة دون مثلها لان الايمان من القلب انتهى
وقال الشيخ الاكبر في الفتوحات ثبت في لسان الشارع اطلاق على الله ولا نتعدى
ما ورد منها ولا نقاس عليه كما في حديث السودا في قبول اشارتها وقوله انها مومنة واعتقها
والسايل بالاينية اعلم الناس وتاويل ذلك وقبوله منها بانه يكون الالهة المعبودة
في الارض وهو تاويل جاهل فان من العرب من عبد الشعرى انتهى وان النبي صلى الله
عليه وسلم انما طلب منها اي من السودا النوبية التوحيد فاكتفى باشارتها الدالة
على معرفة ذات الله ولم يكلفها بشي من الصفات فدل على ان الجهل بالصفات لا ينافي
الايمان لعذرها بالخرس والجهل وكونها خرسا وقع في بعض الروايات ما يخالفه وقوله
لا غير مبني على الضم لحذف المضاف وتقديره وقال ابن هشام تبعا للسيرافي غير تلزم
الاضافة وتقطع عنه وتبنى اذا تقدمت عليها كلمة ليس وقولهم لا غير لحن ورد بانه سمع
من كلام العرب في قوله

جوابا به تنجو اعتمد فوربنا • لعن عمل اسلفت لا غير تسال •

وقد استعمله المصنف في مواضع عديدة وفيه كلام في شروح الكتاب وحديث القايل
الذي رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه وهذا القايل كان نباشا الا انه لم
يذكر اسمه وكان اوصى لبنيه فقال احرقوني وانظروا يوما شديد الريح فذروني فيه
لين قدر الله تعالى علي بتخفيف الدال من القدرة وتشديدها بمعنى ضيق علي في
الحساب والعقاب على ما يابى وفي رواية رواها ابن ابي حاتم عن الشعبي في تفسيره
لعلي اضل الله مضارع بفتح اوله وكسر ثانيه من قولهم ضلني فلان فلم اقدر عليه
اي لم اجده وخفي علي لذهابه عني وفي النهاية لعلي اضل الله اي افوته ويخفى عليه مكاني
وقيل معناه لعلي اغيب عن عذابه يقال اضللت الشي وضللته اذا لم تدر في اي مكان
هو واضللته اذا ضيعته وضل الناسي للشي اذا غاب عنه حفظه ويقال اضللته
اذا وجدته ضالا كاحمدته اذا وجدته محمودا انتهى وفيه كلام لابن فورك وهذا موذن

بنفي القدرة عليه وهو محل الشاهد لانه صفة من صفات الله والحديث عن حذيفة
ابن اليمان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان رجلا حضره الموت
فلما يئس من الحياة اوصى اهله اذا انا مت فاجمعوا لي حطبا كثيرا واوقدوا فيه نارا حتى
اذا اكلت لحمي وخلصت الى عظمي فامتحشت فخذوها فاطحنوها ثم انظروا يوما راحا
فاذروه في اليم ففعلوا فجمعه الله عز وجل فقال له لم فعلت ذلك فقال من خشيتك
ثم قال فغفر الله عز وجل له وروي من طرق اخر فيها اختلاف وهذا انما قاله على سبيل
الجزع وشدة الخوف والا فالله لا يخفى عليه شيء وهذا ان كان القايل مسلما وفيه ما لا يخفى
وفي الشرح الحديثي قال ابن عقيل الحنبلي هذا اخبار عما سيقع له يوم القيمة لانه
خاطب روحه لانه لا يناسب قوله في الحديث فجمعه الله بعد ما تفرق فانه انما هو في
الجسد والرجل المذكور غلب على طبعه الامور العادية بمقتضى طبعه وصار شعارا له مع
انه مومن بان الله قادر على كل شيء فظن انه يعجز الله عنه وما ذكره ابن عقيل من انه اخبار
عما سيقع له يوم القيامة عدول عن الظاهر من غير مانع عنه في الدنيا فانظره فانه كلام
يحتاج الى التنقيح واي الرجال المهذب قالوا اي ايمة الدين ولو بوحث مجهول باحث
بموحدة وحاء مهملة ومثلثة اي نبش عما يعلمون ويعتقد اكثر الناس المسلمين عن معرفتهم
الصفات اي صفات الله وكوشفوا عنها اي طلب كشف ما في قلوبهم باظهاره فانه قبل
اظهاره كالشيء المستور فان القلوب صناديق مقفلة لما وجد جواب لو من يعلمها الا
القليل وفي نسخة الاول وهم الخواص وغيرهم من الجهلة المقلدين غافلون عنها وقد
اجاب الفريق الاخر الذاهب الى تكفير من نفى صفة من صفات الله ولو جاهلا عن هذا الحديث
اي حديث القايل لئن قدر الله علي الخ بوجوه منها ان قدر بالتخفيف في رواية بمعنى
قدر بالتشديد من تقدير الله لا من القدرة ولا يكون شكه في القدرة على احيايه
لمجازيته على عمله اي على هذا التقدير لا يشك في قدرة الله بل في نفس البعث اي احيا
الموتى وحشرهم الذي لا يعلم كغيره من امور الاخرة التي لا تعلم الا بشرع بوحيه الله
لرسله ولعله اي البعث لم يرد في زمن الرجل القايل لذلك ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اخبر به عن احوال الامم السالفة بوحي من الله فلم يكن ورد عندهم به شرع
يقطع به عليه اي يقتضي علما يقينيا قطعيا فيكون الشك فيه اي في البعث حينئذ
اي قبل ورود الشرع لصوبه كفرا اي يقتضي كفر الشاك فيه فاما ما لم يرد به شرع وهو
اي البعث من مجوزات بضم الميم وفتح الجيم والواو المشددة اي ما هو جاير عقلا من
غير سماع له من صاحب شريعة يجب اتباعه بل هو مما تجوزه العقول جمع عقل وهو القوة
المدركة وهذا بنا على انه من اهل الفترة او هو من قوم لم تبلغهم دعوة النبي بنا على ما
عليه المحققون من انهم غير مكلفين لقوله عز وجل وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
والكلام عليه مفصل في محله من التفاسير والاصلين او يكون قدر مخففا بمعنى ضيق
كقوله تعالى ومن قدر عليه رزقه ويكون ما فعله هذا الرجل بنفسه من توصية بنيه
باحراقه وامرهم بتذرية في الهوا اذا صار رمادا ازراء عليها اي تنقيصا وتحقيرا
واهانة لها وغضبا على نفسه العاصية لله لعصيانها بكثرة الفسق والمعاصي لا شكا
في قدرة الله على اعادة ما تفرق من اجزايه فلا يحكم بكفره لذلك وقيل في الجواب

ايضا انه انما قال ما قاله مما وصى به بنيه وهو غير عاقل لكلامه اي وقد اختل
عقله فهو غير مكلف ولا ضابط للفظه اي لا يعرف ما يلفظ به لانه هذيان منه
ككلام النايم والساهي مما استولى اي غلب عليه من الجزع من الموت على هذه الحالة والخشية
اي شدة الخوف من الله وعقابه التي اذهلت لبه اي عقله فلم يؤاخذ به لانه غير مكلف
وقيل كان هذا الصادر عنه هذا القول في زمن الفترة اي انقطاع الوحي وطول
الزمان الذي اندرست فيه الشرايع وحيث ينفع في الاخرة بنجاة صاحبه من النار
مجرد التوحيد اي معرفة ذات الله دون غيرها من امور الشرايع فانهم معذورون بجهلهم
وهذا يقتضي ان الجواب الذي سبق بتقدير انهم ليسوا من اهل الفترة فيشكل حينيذ فتدبر
وهذا يقتضي ان اهل الفترة كانوا مكلفين بالتوحيد وهي مسلة اصولية قال الامام
الرازي في المحصل وجوب النظر سمعي خلافا للمعتزلة وبعض الفقها من الشافعية والحنفية
لنا قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا الاية ولان فايدة الوجوب الثواب والعقاب
ولم يقبح منه تعالى شيء من افعاله فلا يمكن القطع بالثواب والعقاب من جهة العقل والقايلون
بالوجوب احتجوا بانه لو لم يثبت الوجوب الذي لا يعلم صحته الا بالنظر فللمخاطب ان يقول
لا انظر حتى اعرف كون السمع صدقا وذلك يقتضي افحام الانبيا الجواب هذا لازم ايضا
لان وجوب النظر وان كان عندكم عقليا لكنه غير معلوم بضرورة العقل لما ان العلم بوجوب
النظر عند المعتزلة يتوقف على العلم بوجوب معرفة الله تعالى والنظر طريق اليها لا طريق لها
سواه وما لا يتم الواجب الا به واجب وكل هذه المقدمات نظرية والوقوف على النظري نظري
فكان العلم بالوجوب عندهم نظري فللمخاطب ان يقول لا انظر حتى اعرف وجوب النظر
ثم الجواب لا يتوقف على العلم بالوجوب والا لزم الدور بل يكفي الامكان وهو حاصل في الجملة
انتهى والكلام عليه مفصل في شروحه وانما اوردناه ليعلم ان توقف بعض الشراح هنا في
كلام المصنف لا وجه له وقيل ليست هذه الاجوبة بمرضية بل هذا اي قوله لئن قدر الله علي
من مجاز كلام العرب المراد بالمجاز هنا ليس معناه الاصطلاحي بل المراد انه من طرقهم
في الكلام التي يتوسعون فيها ويكون ارادة حقيقته عند اهل المعاني ويناسبه ظاهر قوله
الذي صورته الشك هو عبارة عما يظهر من فحواه ومعناه التحقيق اي امر اخر محقق
عنده وهو اي هذا النوع من الكلام يسمى عند اهل المعاني تجاهل العارف وهو نوع من
البديع يساق فيه المعلوم مساق المجهول لنكتة كقوله

ايا شجر الخابور ما لك مورقا • كانك لم تجزع على ابن طريف

وكره بعضهم تسميته بهذا وسماه سياق المعلوم مساق غيره لانه وقع في كلام الله عز وجل
ولا يليق ان يقال في حقه التجاهل والمصنف جرى على متعارفهم فيه وتسميته به انما هو
في كلام الناس واليه اشار بعضهم بقوله وقد يسمى فان قد سور الجزئية وله امثلة في
كلامهم فاذا وقع في كلام الله كقوله عز وجل لعله يتذكر او يخشى وقوله وانا او اياكم
لعلى هدى او في ضلال مبين وتعريفه بانه ان يسال عارف عما يعلمه فيه قصور
لعدم صدقه على الايتين فالصواب ان يعرف بما قدمناه وله في كل مقام نكتة يدركها من
ذاق حلاوة المعاني فالنكتة في البيت اظهار شدة الحزن بالمصاب الذي ينبغي ان يجزع
منه كل شيء حتى الجماد وفي الاية ان قلنا ان لعل للترجي من الله لا للتعليل ولا للترجي

من موسى وهارون مع علم الله بان فرعون لا يتذكر ولا يخشى ولكنه اراد الفامه حجر
الملامة بعدم معذرته وعلى الوجهين الاخرين ليس مما نحن فيه نحن مشى عليه لم يات
بشي وقوله انا وايا كم الخ ابهم فيه الفريق المهتدي مع انه علم من سياق الاية ان
المومنين هم المهتدون فان قوله قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال
ذرة في السموات ولا في الارض ما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ثم قال قل من
يرزقكم من السموات والارض يعلم منه ان خالق المخلوقات العظيمة الرازق لمن فيهما هو الحقيق
بالعبادة والوحدانية وان من يعبده هو المهتدي فابهمه انما هو لاقامة الحجة عليهم وهو كقول
حسان رضي الله تعالى عنه

اتهجوه ولست له بكفوء • فشركما لخيركما الفداء •

فليس في كلامه تهاون بالادب كما توهم **فاما من اثبت الوصف** اي وصف الله تعالى
بصفاته الذاتية **ونفى الصفة** القايمة بذاته وهم المعتزلة وبعض الفلاسفة القايلين
بان صفاته عين ذاته لئلا يلزم تعدد القدما او قيام الحادث بذاته واهل السنة
اثبتوها وقالوا لا محذور في ذلك لانه انما يمتنع تعدد ذوات قدما لا ذوات وصفات
كما تقدم والكلام عليه مفروغ منه في علم الكلام واشهر من قفا نبك والفرق بين
الوصف والصفة ان الوصف معنى مصدري قايم بالواصف والصفة معنى قايم
بالموصوف كالكسر والانكسار وهما في الاصل بمعنى واحد وقد يستعمل كل منهما استعمال
الاخر **فقال اقول** ان الله عز وجل **عالم** بكل شي من الكليات والجزييات **ولكن لا علم له**
زايد على ذاته كعلم البشر فعلمه عين ذاته لما تقدم **ومتكلم** بكلام نفسي او بكلام حقيقي
ولكن لا كلام له خارج عن ذاته **وهكذا** يقول المعتزلي ومن وافقه على هذا القول
في ساير الصفات فيقول مريد بلا ارادة وقادر بلا قدرة زايدة على ذاته فهو عنده
عين ذاته **على مذهب المعتزلة** في نفيهم الصفات دون الوصف ولذا لم يكفروا
لانهم مثبتون لها في الجملة وهذا اذا نظرنا لظاهر كلامهم **فمن قال** من اهل السنة **بالمال**
اي بما يوول ويرجع اليه كلام المعتزلة والمراد لازم مذهبهم وكلامهم الذي قالوه
لما يوديه اليه قوله انه عالم بغير علم وقادر بغير قدرة ومتكلم بغير كلام **ويسوقه**
اليه مذهبه من انه يلزم من نفي الصفة نفي الوصف بطريق برهاني قطعي عنده **وكفره**
اي كفر القايل بهذا المقال لما يلزمه وهذا مبني على ان لازم المذهب مذهب وفيه خلاف
في كتب اصول الفقه **لانه اذا انتفى العلم** اي صفة العلم الزايد على الذات
انتفى بحسب الظاهر **وصف عالم** لان معنى عالم من قام به صفة العلم وهم ينفونها
اذ لا يوصف بلفظ **عالم الا من ثبت له علم** اي صفة غير ذاته هي العلم للزوم نفي الوصف
المسبوق بانتفا المشتق منه اذ لا معنى له حقيقة غير ثبوته له **فكانهم** اي المعتزلة
النافين للصفة المستلزمة لنفي الوصف بعالم ونحوه **صرحوا به عنده** اي عند المكفر
لهم **بما ادى** اي اوصل اللزوم له بادي **اليه قولهم وهكذا عنده** هذا المكفر لان
لازم المذهب عنده مذهب فيكفر **ساير فرق اهل التاويل من المشبهة** المثبتين
لله صفات تشبه صفات عباده كما تقدم **والقدرية** بالمعنى الذي بيناه **وغيرهم**
من الفرق الضالة المبتدعة **ومن لم يري** اي يعتقد **اخذهم** اي مواخذتهم **بمال قولهم**

ولازم مذهبهم وفي نسخة ومن لم يواخذهم الخ **ولا الزمهم موجب** اي الدال عليه
نحو ما ذهبوا اليه مما لا يليق برب العزة **لم ير اكفارهم** ولم يحكم بكفرهم لشمول
معنى الايمان لهم بحسب الظاهر **وقال لانهم** اي اصحاب هذا المقال **اذا وقفوا**
على هذا اي اطلعوا على ما الزم فوقفوا مبني للمعلوم مخفف او مبني للمجهول مشدد
اي اطلعهم من كفرهم على ما كفرهم به وفي نسخة اذا وقفوا ابوا وين **قالوا** مجيبين
له نحن **لا نقول** لله انه **ليس بعالم** نريد به ما فهموه من السلب المعطل لله عن العلم بل
هو عالم بعلم هو غير ذاته وهكذا ساير الصفات عند ابي الهذيل العلاف **ونحن** معاشر
المعتزلة **وانتم** اهل السنة **ننتفي** انتفا من النفي ضمن معنى نتبرا ولذا اسنده للعقلا
والانتفا صفة المنتفي **من القول بالمال الذي الزمتموه لنا** معاشر المعتزلة
والفلاسفة **ونعتقد نحن وانتم انه كفر** ان حمل على ظاهره وما يفهم من فحواه من نفي
العلم عنه عز وجل **بل القول** فلا اسلم من هذا **ان قولنا** الذي اشتهر عنا التناهي هذه
لا يوول اليه اي الى ما قلتم ان كلامنا يودي اليه **على ما اصلناه** بتشديد الصاد
المهملة اي اتخذناه اصلا وقاعدة بنينا عليه النفي فانه لا محذور فيه اذ المحذور في
القول بانه لا علم له ونحن لا نقول به بل نقول يعلم بعلم هو عين ذاته وهكذا ساير الصفات
والمشبهة عندنا هم المجسمة الذين ياخذون بظواهر النصوص المتشابهة وغيرهم
من اهل السنة يقولون نومن بظاهرها ونفوض علم باطنها الى الله اذ لم نكلف بمعرفتها
والمعتزلة يقولون لاهل السنة مشبهة هم كما قال الزمخشري عفا الله عنه هم

• وجماعة سموا هواهم سنة • فهم لعمري كالحمير الموكفة •
• قد شبهوه بخلقه وتخوفوا • شنع الورى فتستروا •

وهم فرقتان كما تقدم **فعلى هذين الماخذين** من النظر لمال كلامهم والنظر لما اصلوه
من تاويلهم **اختلف الناس** من علما الملة واهل السنة **في اكفار اهل التاويل** بلازم
مذهبهم وعدمه بالنظر لمرادهم **واذا فهمته** اي فهمت المذكور من منشا الخلاف في تكفيرهم
وعدمه **اتضح** وظهر **لك الموجب** اسم فاعل بمعنى المقتضي **لاختلاف الناس في ذلك**
التكفير وعدمه **والصواب** عند المحققين من الفقها واهل الكلام **ترك اكفارهم**
اي ترك الحكم بكفرهم **والاعراض عن الحتم** بحا مهملة ومثناة فوقية بمعنى القطع
والجزم **بالخسران** اي بانهم خسروا بسبب كفرهم فانه هو الخسران العظيم **واجرا**
حكم الاسلام عليهم في الدنيا لاعتقادنا انهم مسلمون لهم ما لنا وعليهم ما علينا
في قصاصهم اي القصاص لهم ومنهم كساير المسلمين **ووراثاتهم ومناكحاتهم**
ودياتهم والصلاة عليهم ودفنهم في مقابر المسلمين وساير معاملاتهم
من المناكحة واكل ذبايحهم وغير ذلك التي بينها بقوله ووراثتهم وما بعده من غير فرق
بيننا وبينهم لصدق اسم الايمان والاسلام عليهم **لكنهم يغلظ عليهم** بزجرهم
وتعزيرهم **بوجيع الادب** من القيد والضرب والحبس **وشديد الزجر** بنهيهم وقهرهم
والهجر اي ترك مجالستهم ومعاشرتهم ونحوه مما يشق عليهم من انواع الاهانة **حتى**
يرجعوا ويتركوا اتباع اهل **بدعتهم** المخالفة لاهل السنة ويتفاوت ذلك ضعفا
وقوة نظرا لحالهم مما هم عليه وهذا ليس على اطلاقه كما يعلم مما تقدم فان فيهم من حكموا

بكفره وليس الكلام فيه **وهذه** الامور المذكورة كانت **سيرة** اي الطريقة التي كان
عليها **الصدر الاول** المراد بهم اهل العصر الاول من الصحابة والتابعين ومن قرب
منهم وهو مستعار من صدر الشيء بمعنى اعلاه واوله **فيهم** اي في معاملتهم والحكم
عليهم بما ذكر **فقد كان نشا** اي وجد وظهر **على زمان الصحابة وبعدهم في التابعين**
على بمعنى في **من قال بهذه الاقوال** المذكورة **من القدر** اي الاعتزال كواصل بن عطا
وعمرو بن عبيد ومعبد الجهني واضرابهم **ورأي الخوارج** الذين خرجوا على علي وجرى
بينه وبينهم ما جرى وهم فرق مختلفة لهم اعتقادات باطلة واحوالهم ومذاهبهم
مفصلة في المطولات **واصحاب الاعتزال** ومذاهبهم مذكورة في كتب الكلام **فما ازالوا**
بزاي معجمة وحاء مهملة اي ازالوا **لهم قبرا** في الصدر الاول **ولا قطعوا** اي منعوا **لاحد
منهم ميراثا** يرثونه من غيرهم او يرثه غيرهم منهم كسائر مواريث المسلمين **لكنهم هجروهم**
بترك مخالطتهم **وادبوهم بالضرب والنفي** تعزيرا لهم باخراجهم من ديارهم
والقتل هذا على رأي من يجوز التعزير بالقتل برأي الامام لا قتل من استحق القتل منهم
بسبب آخر كما قيل فانه لا يناسب قوله **على قدر احوالهم** الموجبة لتاديبهم **لانهم** بسبب
بدعهم **فساق** كغيرهم من الفسقة غير الكفرة **ضلال** اهل ضلال وبدع **عصاة اصحاب
كبائر** عطف بيان مفسر لما قبله **عند المحققين** الذين لا يكفرون احدا من اهل القبلة
واهل السنة عطف تفسير **من لم يقل بكفرهم منهم** اي لم يحكم بكفر اصحاب الآراء
الباطلة لتاويلهم **خلافا لمن رأى غير ذلك** من تكفيرهم ولم يكتف بتاديبهم بما تقدم
وبما ذكرناه علم ان من قال المراد بالقتل التاديب لا ازهاق الروح لم يصب وكذا قول
من قال انه يدخل في كلامه القرامطة ونحوهم ممن حكم بكفره فالاحسن ان يعبر باهل
القبلة وفي كلام المصنف لف ونشر فان مذهب القدرية والخوارج كان في زمن الصحابة
والاعتزال انما فشى في زمن التابعين وذكر من التاديب انواعا منها الهجر وقد
ورد في الحديث النهي عن هجر المسلم فوق ثلاث الا انه محمول على غير المبتدع والمتجاهر
بالظلم والفسق او لحظ دنيوي لا لعذر به شرعا وعليه يحمل ما رواه ابن الصلاح من ان سعد
ابن ابي وقاص رضي الله عنه هجر عمار بن ياسر حتى مات وكذا عائشة هجرت حفصة
وعثمان رضي الله عنه هجر عبد الرحمن بن عوف وكذا وقع لغيرهم واما الضرب فهو مفصل
في باب التعزير من كتب الفقه والنفي تعزير عندنا ويكون حدا عند الشافعي في الزنا
على كلام وهو يكون دون الحول وهو مفوض لرأي الامام فيه واما القتل فيكون
تعزيرا عند مالك دون غيره وقال ابن تيمية انه ذهب له غيره ايضا ويسمونه سياسة
قيل وفي بعض النسخ القتل بقاف ومثناة فوقية فتامله **والله الموفق للصواب**
ضد الخطا **قال القاضي ابو بكر** الباقلاني **واما مسائل الوعد والوعيد**
وانه لا يجوز تخلفه عند المعتزلة لقولهم بانه يجب على الله تعذيب العاصي واثابة
الطائع على ما قرروه في قواعدهم ومن فسر الوعد والوعيد بسؤال القبر وعذابه
لم يصب **والرؤية** اي انكار المعتزلة لرؤية الله في الآخرة **والمخلوق** اي قول
المعتزلة ان القرآن مخلوق لا قول المفوضة ان الله فوض خلق الناس لمحمد صلى
الله عليه وسلم كما قيل فانه كفر ليس موافقا لما بعده **وخلق الافعال** اي قول

المعتزلة ان افعال العباد مخلوقة لهم كما ذهب اليه الجبائي واتباعه فهو كالتفسير
لما قبله **وبقاء الاعراض** وهي جمع عرض بفتحتين وهو ما لا يقوم بنفسه كالالوان
وهذا على مذهب الاشعري من ان الاعراض لا تبقى وهو مما ذهب الى خلافه كثير من اهل
السنة حتى قال السعد في شرح المقاصد انه مكابرة في المحسوس واغرب منه ما
قاله الشيخ الاكبر في الفصوص من ان الاجسام لا تبقى زمانين ايضا وفسر به قوله
تعالى بل هم في لبس من خلق جديد وهو مما خفي على كثير من المحققين وقد افردت بيانه بتعليقة
وتحقيقه انا نقول ان ما سوى الله وصفاته فان حالا عند ارباب الكشف وهو معنى
قوله كل شيء هالك الا وجهه كما اشار اليه البيضاوي في تفسيره لانه من ابتداء خلقه الى
ظهور فنائه في تبدل وتغير الا انه لتقضيه نقصا في غاية لا يدركه الحس الا اذا ربتم
منه مقدار ما يدرك الا ترى الشمعة التي تذهب اجزاؤها لا يحس نقصها في كل آن
حتى يفنى مقدار منها له قدر كثير وهو امر محسوس الا انه كان على المصنف ان لا يذكره
لخفائه **والتوليد** الذي ذهب اليه المعتزلة والحكماء كتولد العلم من الدليل وحصوله
عقبه كحركة المفتاح بحركة اليد وهذا ايضا مما ينبغي تركه هنا **وشبههم من الدقايق**
الفلسفية التي ادخلها المعتزلة في الكلام **فالمنع في اكفار المتاولين فيها اوضح** من
القول باكفارهم لانه لا يترتب عليه امر ديني **اذ ليس في الجهل بشيء منها جهل بالله**
حتى يكفر الذاهب اليه **ولا اجمع المسلمون على اكفار من جهل شيئا منها** كما تقدم في
تفسير الكفر عنده **وقد قدمنا في الفصل** الذي ذكر قبله **من الكلام وصورة الخلاف**
ومعناه الذي قدره **في هذا** النوع **ما اغنى عن اعادته** لظهوره وقرب العهد به
بعون الله تعالى وحاجته عن مخالفة الحق فيه وفي غيره وبقية اعتقادات المعتزلة
مذكورة في الكلام فلا حاجة لتكثير السواد بها هنا كما في بعض الشروح والله الموفق

فصل هذا

اشارة لما ذكرنا بعد **حكم المسلم الساب لله تعالى** وما يعد سبا وغيره مما فصله
قبل هذا وسمي ما قدمه من الفاظ الكفر سبا اما لانه مثله في ذكر ما لا يليق بجلال
الله او لانه تستلزم تكذيبه وهو سب وتسمية الساب مسلما باعتبار ظاهر حاله
وما كان عليه فلا اشكال فيه **واما الذمي** الكافر الذي له ذمة وامان **فروي عن عبد
الله بن عمر** رضي الله عنهما ولم يذكر احد هنا من رواه عنه **في ذمي تناول من حرمة الله
تعالى** اي تكلم في حق الله بما لا يجوز واصل التناول الاخذ باليد فتجوز به عما ذكر والحرمة
ما يجب احترامه وترك الخوض فيه **غير ما هو عليه** اي ما استقر عليه مما كفر **من دينه**
اي ما اعتاده او اعتقد انه دين له فانه يسمى دينا كما قال تعالى لكم دينكم ولي دين **وحاج
فيه** وجادل فيه وخاصم واقام ما هو حجة بزعمه **فخرج ابن عمر** رضي الله عنهما من
داخل بيته **عليه بالسيف** يريد قتله فكانه سمعه يتكلم خارج بيته **فطلبه** اي قصده
ليضربه بسيفه **فهرب** منه لخوفه **وقال مالك** فيما روي عنه **في كتاب ابن حبيب**
اسمه عبد الملك كما تقدم **وفي المبسوطة** اسم كتاب **وابن القاسم في المبسوط** كتاب ايضا
وكتاب محمد بن سحنون في فقه مذهب مالك **من شتم الله تعالى** عز وجل **من اليهود**

والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا كادعائهم الولد والشريك قتل ولم يستتب
اي لم يكلف التوبة ولم تطلب منه وقال ابن القاسم انه يقتل من غير استتابة الا
ان يسلم قال في المبسوطة طوعا باختياره من غير اكراه فان اسلام المكره غير مقبول
وفي صحته خلاف للفقهاء ومن فرق بعض الشافعية بين الحربي والذمي فيصح من الاول
دون الثاني قال اصبغ تقدم انه ابن الفرج لان الوجه اي الامر من قول او فعل الذي
به اي بسببه كفروا هو دينهم اي عادتهم ومعتقدهم ونقله منهم ومشاهدته منهم وجه
وعوهدوا عليه اي اخذت عليهم العهود مع استقرارهم عليه لا انهم اخذ عليهم العهد
به في نفسه فانا لا نرضاه او هو متضمن معنى الاقرار فاندفع ما قيل من انه كان ينبغي
له ان يقول تركوا عليه لقوله صلى الله عليه وسلم اتركوهم وما يدينون لان العهد
يكون على ما شرط عليهم وقوله اكره ان اقول اقررناهم وانما اقول تركناهم غير مسلم
من دعوى الصاحبة والشريك والولد بيان لما كفروا به واما غير هذا من الفرية
اي الكذب والاختلاق على الله في غير ما كفروا به والشتم كما قال تعالى فيسبوا الله
عدوا بغير علم فلم يعاهدوا عليه اي لا يقروا عليه فهو نقض للعهد الذي عاهد
الامام عليه اهل الذمة ومن انتقض عهده منهم يخير فيه الامام بين القتل والرق ه
والمن عليه وعند بعضهم يتعين القتل قال ابن القاسم في كتاب محمد بن سحنون
وقيل هو محمد بن ابراهيم بن المواز قيل انه نسبة للموز وهو ولد في رجب سنة ثمانين
ومائة ومات سنة احدى وثمانين ومايتين وقيل سنة سبع ومايتين بدمشق
واختلف في لقايه لابن القاسم والصحيح انه روى عنه بواسطة ومن شتم الله
تعالى من غير اهل الاديان اي غير المسلمين بدليل قوله بعده بغير الوجه الذي
ذكر في كتابه فانه صريح في انه من اهل الكتاب ولا بد ان يراد بقوله في كتابه كتابه
الذي حرف فان الكتب الالهية ليس فيها كفر فهو على زعمهم او المراد كتب احكامهم
التي وضعوها باتفاقهم كما وقع لهم في زمن قسطنطين من اجتماعهم على آراء دونوها
كما فصل في الملل والنحل وهذا بناء على ان الكفر ليس ملة واحدة ولذا جمع الاديان
او المراد بالكتاب ما كتبوه من عند انفسهم او اتفقوا عليه لتسميحا فعلم الجواب عما قيل
ان في عبارته تناقضا وان قوله من غير اهل الاديان يقتضي انه لا كتاب وقوله في
كتابه يخالفه وان الكفر كله ملة واحدة قتل الا ان يسلم فلا يقتل فان الاسلام ه
يجب ما قبله وهذا كله مذهب مالك رحمه الله ومذهب الشافعي والحنفية فيه ما يخالفه
وقال المخزومي في المبسوطة ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم لا يقتل من سب الله
حتى يستتاب اي تعرض عليه التوبة مسلما كان الذي سب او كافرا فان تاب
اي رجع عما صدر منه والا قتل لنقض عهده وقال مطرف بن عبد الله كما تقدم وعبد
الملك هو ابن الماجشون مثل قول مالك وقال ابو محمد بن ابي زيد صاحب الرسالة
وقد تقدم ولا يخفى ان هذا خلاف ما تقدم عنه فهو قول اخر من سب الله تعالى بغير
الوجه الذي به كفر قتل الا ان يسلم وقد ذكرنا قول ابن الجلاب قبل هذا وقد تقدم
ان ابن الجلاب هو البصري الضرير وانه بفتح الجيم واللام المشددة واخره موحدة
وذكرنا قول عبيد الله بن يحيى وابن لبابة بضم اللام كما تقدم وشيوخ الاندلسيين

من علماء المالكية في المرأة النصرانية وفتياهم بقتلها بسبها بالوجه الذي كفرت
به لتصريحها بما لا تقر على مثله لله متعلق بسبها الا ان تسلم وقد نبه عليه اشارة
الى ان في المسألة غير الذي ذكره وفتياهم بقتل الساب للنبي صلى الله عليه وسلم
واجماعهم اي فقهاء الاندلس على ذلك اي قتل من سب بما كفر به وهو اي هذا القول
الذي اجمعوا عليه نحو القول الآخر في هذه المسألة فيمن سب منهم اي من اهل الذمة
النبي صلى الله عليه وسلم بالوجه الذي كفر به كانكار نبوته فيقتل الا ان يسلم
طوعا ولا فرق في ذلك اي قتله بما كفر به بين سب الله سبحانه وتعالى وسب نبيه
صلى الله عليه وسلم لانا عاهدناهم حين عقدت لهم الذمة على ان لا يظهروا لنا شيئا
من كفرهم ونتركهم على ما هم عليه فيما بينهم وان لا يسمعونا شيئا من ذلك الكفر
الذي كفروا به باي طريق كان فمتى فعلوا شيئا منه من ذلك فهو نقض منهم للعهد
لمخالفته لعهدهم وهذا كله اشارة الى ما في العهود العمرية التي وقعت حين فتح المسلمين
لبلادهم فكل ما شرط الامام فمخالفته نقض عهده موجب القتل واختلف العلماء من
السلف في الذمي اذا تزندق بظهور علامات تدل على انه مبطن لما يخالف دينه ويخالف
دين الاسلام فلا يبقى على دين اصلا فقال مالك ومطرف وابن عبد الحكم واصبغ
لا يقتل لانه خرج من كفر الى كفر يعني الزندقة وقال عبد الملك بن الماجشون
يقتل لانه دين لا يقر عليه احد يعني من المسلمين فاذا قتل به المسلم فغيره بالطريق
الاولى وتسميته دينا تسامح فانه لا دين له ولا يؤخذ عليه جزية كمن انتقل من اليهودية
للنصرانية مثلا وقد شذ في قوله هذا كما قال ابن حبيب ولا اعلم من قاله غيره اذ لم
يقله احد من المالكية ودليله في غاية الضعف وعند الشافعي انه لا يقر عليه والصحيح
عنده انه لا يقبل منه الا الاسلام وقيل يقبل منه كل دين يساوي دينه واذا انتقل
الذمي لدين آخر فيه خلاف عنده مبني على ان الكفر ملة واحدة او ملل متعددة ه

فصل هذا

المذكور في الفصل الذي قبله حكم من صرح بسبه عز وجل واضافه اي نسبته
اليه ما لا يليق بجلاله اي عظمته والهيته اي كونه الها والاضافة ضم شيء الى شيء
فاما مفتري الكذب عليه تبارك وتعالى والافتراء تعمد الكذب فهو اخص منه بادعاء الالهية
اي انه اله كفرعون لعنه الله والرسالة كمسيلمة الكذاب او النافي ان يكون الله
خالقه او نفى ان يكون الله ربه بل رب غيره او قال ليس لي رب بانكاره انه خلقه
وهو في معنى ما تقدم لكنه اراد تعديد الفاظ الكفر او المتكلم بما لا يعقل بالبنا
للمجهول من ذلك من ادعاء الالوهية او الرسالة او نفي الخالقية او الربوبية في حال سكره
وغيبة عقله او غمرة جنونه اي شدة اذهبت عقله وهي بفتح الغين المعجمة وسكون
الميم قبل راء مهملة من غمره الماء اذا اغطاه ثم استعير لكل شدة فيقال غمرة الموت وغمرة
الفتنة فلا خلاف في كفر قائل ذلك اي شيء منه ومدعيه اي بقوله ويدعي حقيقته
مع سلامة عقله لافترائه الكذب على الله قال تعالى انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون
بآيات الله ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وسيأتي حكم من زال عقله ه

كما قدمناه اي القول بكفره كما قدمنا وبيان وجهه لكنه تقبل توبته على القول المشهور وتنفعه انابته اي رجوعه الى الله وهي عبارة عن التوبة وعبرة بها تفننا وتنجيه من النجاة مضارع بضم اوله اي تخلصه من القتل فيئته بفتح فاء قبل يا مثناة ساكنة وهمزة مفتوحة وتاء وهي مصدر فاء بمعنى رجع وكله تفنن وذكر هذه الفقرات اشارة الى انه بعد انابته لا يبقى عليه عهدة في الدنيا ولا في الاخرة لا لوم عتابه ولذا قال لكنه لا يسلم في الدنيا من عظيم النكال اي العقوبة من النكل وهو القيد ولا يرفه اي ينفس عنه ويخفف وهو بضم اوله وتشديد فائه عن شديد العقاب ليكون ذلك النكال والعقاب زجرا اي ردعا ما نعا لمثله ممن يتوقع منه قول مثل قوله من قوله اي مثل قول ذلك المفتري على الله وزجرا له اي لذلك القايل اولا عن العودة لما تاب عنه لكفره بما قاله افترا على الله مع علمه بما فيه من المحذور او جهله بسفاهة منه لتوهمه انه امر واقع الا من تكرر اي وقع ذلك الافترا منه مرارا وعرف استهانته اي عده هينا واهانته لعدم مبالاته به بما اتى به بما كفر به فهو دليل على سوء طويته اي ما اخفاه من سوء الاعتقاد وسمي المضمر طوية تشبيها بما طوي في داخل غطا لغطيه ودليل على كذب توبته وانه انما تاب خوفا من العقوبة وصار بما ذكر كالزنديق الذي يظهر الاسلام ويخفي الكفر الذي لا نامن مع ما ذكر باطنه مما اخفاه من كفره فقد يضمر فيه شيا من ذلك ولا يقبل رجوعه لما علم من سوء عقيدته وما اخفاه مما اذا وجد فرصة عاد اليه وحكم السكران في عقوبته وتكفيره حكم الصاحي في مؤاخذته بما صدر منه لتعديه بسكره فيغلظ عليه والسكر غيبة العقل بما تعاطاه من الخمر وللفقها فيه حدود كلها ترجع للعرف والعادة وهو بديهي غير محتاج لتعريف وللسكر حالات فاوله نشاة وفرح واوسطه فوق ذلك وهو تراخ في الاعضا واخره زوال العقل وسقوط الحركة ولذا اختلفوا فيه هل هو مكلف ام لا على اقوال ثلاثة ثالثها ان تعدى بسكره تجري عليه احكام التكليف من طلاقه وضمانه وكفره واسلامه فان لم يتعد كان اكره او شرب لتداو او اضطر لاساغة لقمة او شدة عطش لم يكلف وينزل عليه قول المصنف حكمه حكم الصاحي واما المجنون وهو الذي زال عقله بالكلية وهو معلوم والمعتوه من العته وهو اختلال في العقل دون الجنون بحيث يكثر ذهوله ونسيانه ويختلط كلامه احيانا حتى يشبه المجنون لكن يتنبه بتنبيه غيره له وتختل افعال معاشه فما علم انه قاله من ذلك السب ونحوه في حال غمرته بغين معجمة مفتوحة وميم ساكنة اي ذهاب عقله بالكلية وقد سمعت تحقيق معنى الغمرة قريبا وذهاب ميزه بفتح الميم وسكون المثناة التحتية وزاي معجمة اي تمييزه وادراكه بالكلية بحيث لا يعقل اصلا ولا يفهم شيا فلا ينظر فيه اي لا يتعرض له ولا يحكم عليه بكفر ولا غيره لانه غير مكلف فلا يؤاخذ بما يصدر عنه وما فعله من ذلك السب ونحوه في حال ميزه اي تمييزه لما يصدر عنه وهو من جنونه منقطع غير مطبق في قوله وان لم يكن معه عقله اما ان يريد به لم يكن عقله مستمرا لانقطاع جنونه او يريد عقله الكامل بان يدرك امرا دون امر والاحتمال الاول وهو ما قاله لانه من لا عقل له لا ميز له وسقط تكليفه لجنونه وان كان له تمييز ما ادب مبني للمجهول اي بضرب ونحوه على ذلك القول

وزجر عنه اي منع بنهره وتخويفه كما ترى بعض المجانين يخاف من الضرب والزجر وفي نسخة لينزجر عنه كما يؤدب على قبائح الافعال عن ذلك اذا صدر عنه ووالى مبني للمجهول اي يكرر ادبه مرارا لان التكرار له شدة تاثير حتى في البهايم وغيرها كما قال

اما ترى الحبل بتكراره ۞ في الصخرة الصماء قد اثرا ۞

كما تؤدب البهيمة التي لا تعقل كالفرس والحمار على سوء الخلق كجراف ورفس وغيره حتى ترتاض اي تنقاد وتستقيم افعالها من الرياضة في الامور وقد حرق علي بن ابي طالب رضي الله عنه من ادعى له الالهية بان قال له انت الله اي احرقه بالنار لكفره وهو كما في تاريخ الصفدي نصير مولى علي رضي الله تعالى عنه لما قال له انت الله فحرقه بالنار فقال وهو يحترق لو لم تكن الها لم تعذب بالنار واليه تنسب الفرقة النصيرية وهم فرق منهم ادعوا في علي جزءا اولاده جزءا من الالهية وقالوا ظهور الروحاني بالجسماني امر معقول كظهور جبريل في صورة البشر الى اخر ما حكاه عنهم وقول الحلبي هو عبد الله بن سبا واتباعه قالوا له انت اله حقا فنفاه الى المداين كلام متناقض الا ان يريد نفي اتباعه ولا قرينة تدل على هذا فهو سبق قلم ثم ان التحريق بالنار لا يجوز لحديث ابن عباس رضي الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم انه لا يعذب بالنار الا خالقها وكان امر بتحريق ناس ثم نهى عنه فهو منسوخ فان كان قتلهم ثم احرقهم تمثيلا بهم فهو مذهب له لان الصحابة مجتهدون ومن احرق رجلا ففي القصاص بمثل فعله عن مالك روايتان وما روي عن بعض الصحابة من التحريق فيه كلام ليس هذا محله فالصحيح المنع منه وقد قتل عبد الملك ابن مروان هو احد الملوك من بني مروان وترجمته معروفة مشهورة في التواريخ الحارث المتنبي وصلبه اي الذي ادعى النبوة وهو الحارث بن سعيد الكذاب وله ترجمة في الميزان وتاريخ الذهبي وعبد الملك ليس ممن يستدل باقواله وافعاله فلعله استانس به لانه في عصر السلف ولم ينكروا عليه ذلك كما يشير اليه قوله وفعل ذلك غير واحد من الخلفاء والملوك باشباههم ممن قال مثل قولهم واجمع علماء وقتهم على صواب فعلهم اي تصويبه اوهو من اضافة الصفة للموصوف وذلك لكذبهم على الله بانه نباهم وتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم في انه خاتم الرسل وانه لا نبي بعده واجمعوا ايضا على ان المخالف في ذلك اي تكفيرهم بما ادعوه من كفرهم هو مفعول المخالف اي من خالف مكفرهم في تكفيرهم فقال لا يكفرون كافر لانه رضي كفرهم وتكذيبهم لله ورسوله واجمع فقهاء بغداد ايام المقتدر بالله ابو الفضل جعفر بن المعتضد بالله ابي العباس احمد بن طلحة الموفق بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد الخليفة العباسي من المالكية وقاضي قضاتها ابو عمر المالكي محمد بن يوسف بن يعقوب بن اسمعيل ابن حماد بن زيد على قتل الحلاج الحسين بن منصور المشهور وتاتي ترجمته وصلبه اي صلب الحلاج بعد قتله لينزجر امثاله واتباعه لدعواه الالهية اي قوله انا الله كما هو مشهور عنه ودعواه الحلول اي ان الله يحل في بعض الناس ويظهر بصورته كما ظهر جبريل عليه الصلاة والسلام بصورة دحية رضي الله عنه او يسري فيه سريان الماء في العود الاخضر كما قاله بعض المحدثين وهو امر باطل زينه لهم الشيطان وليس هذا وحدة الوجود التي ذهب اليها الصوفية كما بينه السيد الشريف في شرح التجريد وقوله

اي الحلاج **انا الحق** يريد انا الله لان الحق من اسمائه تع **مع تمسكه في الظاهر**
من احواله واموره **بالشريعة ولم يقبلوا توبته** لتكرر ذلك منه واعلم ان الحارث
المتقدم قيل انه ابن عبد الرحمن مولى ابي الجلاس العبدري نزل دمشق واظهر الزهد
والعبادة ثم حل به وزين له الشيطان اعمالا لا اضل الناس بها فكان ياتي المسجد وينقر
رخامة به فتسبح ابلغ تسبيح حتى يصيح الحاضرون فياخذ عليهم العهود وان يكتم امره
ويطعم اصحابه في الشتا ويري الناس اشباحا على خيول ويقول هم الملائكة وادعى النبوة
وكثر اتباعه وشاع امره فطلبه عبد الملك فاختفى وذهب الى القدس فركب اليه الخليفة
واتى برجل ممن يجتمع به فاعلمه اين هو فارسل معه طايفة من الجند وكتب لنايبه بالقدس
ان يطع امره فاخذ معه جماعة معهم شموع وقال اذا امرتكم اوقدوها في الطرق ثم اتى
داره له وقال لبوابه استاذن لي على نبي الله فقال ليس لهذا وقت اذن فصاح على من
معه حتى اوقدوا شموعهم وصار الليل كالنهار فهجم عليه فنزل سردابا اعده واختفى ثم
فقال اصحابه انه رفع للسما فهيهات ان تصلوا اليه فدخل سردابه واخرجه وسلمه
للجند فاخذوه وقيدوه وشدوه في سلاسل فكانت تسقط وهو يقول اتقتلون رجلا
ان يقول ربي الله فلما اتوا به عبد الملك صلبه ومثل هذه القصة قصة المقنع وغيره
مما ظهر في صدر الاسلام واما المقتدر فهو كما علمت ابو الفضل جعفر بن المعتضد العباسي
توفي مقتولا في شوال سنة عشرين وثلاثمائة واما ابو عمر قاضي القضاة في زمن المقتدر ه
فهو محمد بن يوسف بن يعقوب بن اسماعيل كامرا الازدي البغدادي كان من خيار القضاة
جلالة وعلما وعقلا وذكا وصلاحا وروى عنه وهو من الثقات توفي في سنة عشرين
وثلاثمائة في رمضان واما الحلاج فهو الحسين بن منصور قيل كان ابوه من مجوس فارس
والحلاج في اول امره صحب الجنيد والسري والمشايخ مع الزهد ولزوم العبادة التامة
ببغداد واختلف في امره فقيل انه ذهب في سياحته للهند وخراسان وتعلم السحر
واظهره في صورة الكرامات واضل به الناس وسكن بغداد وبنى بها دارا واتخذ بها املاكا
كثيرة وصار يدعو الناس حتى شاع امره فوقع بينه وبين الشبلي وداود الظاهري
والوزير علي ابن عيسى لما شاع عنه وذاع من الاخبار بالمغيبات واظهار الامور
الخارقة فقيل انه ساحر وشعبذة ومخرقة وله معرفة بالطب والكيميا وغير ذلك من
علوم الحكما فقيل انه ادعى الالوهية واظهر الزندقة وكتب عليه محضر بذلك فقتل واحرق
جثته في يوم الثلاثا لست بقين من ذي القعدة سنة سبع وثلاثمائة بامر المقتدر بالله
وذهب كثير من المشايخ الى انه من اولياء الله منهم الغزالي واعتذر عما صدر منه في كتاب
مشكاة الانوار وافرد ابن الجوزي ترجمته بتاليف مستقل وصح عن الشبلي انه قال
كنت انا والحلاج شيا واحدا الا انه اظهر وكتمت وقد شهد بولايته كثير من كبار المشايخ
وقالوا انه عالم رباني منهم الشيخ عبد القادر الجيلاني وقالوا ان قوله انا الحق انما قاله
لما غلب عليه شوقه وسكر من كاس محبته حتى غاب عن قدرته في كل شي فكل شي راه ظنه
قدحا وكل شخص راه ظنه الساقي وهو مقام الجمع عندهم لكن اهل الشرع حفظوا حمى
الشريعة ولذا سكت عن حاله بعضهم وقال تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم
والاعتقاد خير من الانتقاد والكف اسلم **وكذلك** اي كما حكموا في الحلاج **حكموا في ابن**

ابي الغرافيد

ابي الغرافيد هو في بعض النسخ بغين معجمة وراء مهملة والف بعدها قاف وياء مثناة
تحتية ودال مهملة وروي بزاي بدل الراء وبياء مثناة وبدونها وقيل انه اصوب
وقال البرهان انه قيل ان صوابه ابن ابي العواقب والصواب الاول وانه جمع غرقد
او غرقدة ومنه بقيع الغرقد وهي مقبرة المدينة والغرقد شجر معروف والمذكور هو محمد
ابن علي ابن ابي الغرافيد وكان شاع امره ببغداد وادعى الالوهية وانه يحيي الموتى وادعى
التناسخ والحلول فشاع وكثر اتباعه وضل به ناس كثير فطلبه الراضي فهرب وغاب
سنين ثم عاد فهجم عليه ابن مقلة فاثبت كفره وكتب عليه القضاة وافتوا بقتله فقتل
واحرقت جثته في سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة وتبعه على حاله المذكور ابن ابي عون
صاحب كتاب التشبيه فقتل معه **وكان ابن ابي الغرافيد على مذهب الحلاج** فيما
ادعاه مما نسب اليه وقد علمت ما فيه **بعد هذا** اي قتل الحلاج وصلبه **ايام الراضي**
بالله ابن المقتدر بالله وله ترجمة تقدم بعض منها قريبا **وقاضي قضاة بغداد اذ ذا** ك
يومئذ **ابي الحسين بن ابي عمر المالكي** بن يوسف بن يعقوب الازدي الذي تقدم ذكره
قريبا **وقال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم في المبسوط من تنبا** بهمزة تبدل الفا في
الاكثر اي ادعى النبوة **قتل** لما تقدم كما تقدم **وقال ابو حنيفة واصحابه من جحد**
اي نفى الكذب ونفى **ان الله خالقه او ربه او قال ليس لي رب خلقني فهو مرتد**
فله حكم المرتد المشهور في كتب الفقه **وقال ابن القاسم في كتاب ابن حبيب**
المعروف عند المالكية **وفي كتاب محمد وفي العتبية** ومحمد بن سحنون او ابن المواز هم
فيمن تنبا وادعى النبوة **يستتاب** تطلب توبته **اسر ذلك** اي اخفاه **او اعلنه** اي
اظهره **وهو كالمرتد** في احكامه **وقاله سحنون وغيره وقاله اصبغ في حق رجل**
يهودي تنبا وادعى انه رسول من الله ارسله **الينا ان كان معلنا بذلك** اي مظهرا
لما قاله **استتيب فان تاب والا قتل** لانه اظهر امرا غير ما كفر به **وقال ابو محمد بن ابي**
زيد صاحب الرسالة المشهورة **من لعن بارئه** بهمزة تبدل ياء من برا الخلق اذا او جدهم
بغير مثال **وادعى ان لسانه زل** اي اخطا ولم يرد ان يقول ذلك **وانما اراد ان يقول**
لعن الشيطان فلا يصدق بل **يقتل بكفره ولا يقبل عذره** بقوله ان لساني زل خطأ
لما علم من كذب اليهود وحيلهم **وهذا على القول الاخر** من احد القولين في مذهب مالك
من انه لا تقبل توبته وفيما ذكره عن ابن ابي زيد من ان الخطا وسبق اللسان لا يقبل
نظر لما في مسلم ان رجلا اراد ان يقول اللهم انت ربي وانا عبدك فقال انت عبدي
وانا ربك لدهشته وسبق لسانه اليه ولم يواخذ به ولا شك ان مثله معفو فلعله
لم تقم قرينة على مدعاه ولظهوره لم يصرح به فلا يرد عليه اعتراض كما توهم فانه
اجل من ان يخفى عليه مثله وقد تقدمت هذه المسالة في كلامه ولذا خص القايل
بانه يهودي اذ المسلم لا يواخذ بمثله **وقال ابو الحسن القابسي** الذي تقدمت ترجمته
في سكران قال في حال سكره **انا الله انا الله** تكراره يدل على تهوره فيما قاله **ان**
تاب عن مقاله وادعى عدم قصده **ادب** ببنائه المجهول بضرب به وزجره ونحوه مما
يراه ولسكره وغيبة عقله ومبادرته لم يقتل فلا وجه لما قيل انه مخالف لما قيل في
الحلاج واضرابه كما لا يخفى **فان عاد الى مثل قوله** انا الله مكررا **طولب مطالبة الز** نديق

لانا لا نامن باطنه وخبث طويته لان هذا كفر لعوده وتكراره كفر ككفر المتلاعب
بالدين المستخف المتهاون به كما هو دأب الزنادقة الذين لا يبالون بالدين اصلا
وهذا بناء على ما تقدم من انه يعامل معاملة الصاحي كما تقدم وهذا مذهب مالك
وعند غيره فيه خلاف مبسوط في كتب الفقه ه

فصل واما من تكلم

بشيء من سقط القول السقط بفتحتين الخطأ والامر الذي لا يعتد به حتى يستحق
ان يسقط ويطرح ويعني الفضيحة والوهم في الكلام وسخف اللفظ السخف
بضم فسكون بسين مهملة وخاء معجمة وفاء قلة العقل والمراد به ما ينشأ منه من
الالفاظ السخيفة الركيكة ممن لم يضبط كلامه واهمل لسانه اي اطلقه في الكلام
فيتكلم من غير تدبر وفكر فشبهه بدابة تهمل ولا تربط والاصل في الضبط انه بمعنى
الامساك باليد والمراد به انه لم يصن ولم يحفظ لسانه فهو من الكناية بما يقتضي
الاستخفاف اي الاهانة والتحقير من غير مبالاة واصله عد الشيء خفيفا فعبر به
عما ذكر وهو متعلق بتكلم او باهمل بمعنى اطلق بعظمة ربه والشيء العظيم لا يكون سخفا
فهو هنا في موقع حسن اي ما قدروا الله حق قدره حيث استخف بمن هو اعظم من كل
عظيم فهو سخف وحماقة وجلالة مولاه اي سيده والعبد الذليل اذا استخف
بسيده الجليل حقيق بكل تنكيل او تمثل مضارع مثل المشدد ببعض مفعوله وفي
نسخة تمثل بمثناة ماض الاشيا اي الامور غير ذات الله وصفاته ببعض ما عظم
الله من ملكوته الملكوت مبالغة في الملك ويراد به عالم الامر وهو ما كان مغيبا عنا
من الملائكة والسموات والعرش ونحو اي جعله مثله كان يشبه ... وحاله بجبريل
او عدواته بملك الموت ونحو مما يدل على سخافة عقله ودينه او يقول قصر الملك كقصر
يطوف به او نزع بنون وزاي معجمة مفتوحة وعين مهملة اي اخذ وذهب في وصفه
من الكلام المخلوق بما لا يليق اي لا يحق ولا ينبغي الا في حق خالقه كان يقول يا ذا الجلال
والاكرام ونحو كعز وجل غير قاصد بما قاله للكفر والاستخفاف اي الاهانة ولا
عامد اي متعمد للالحاد اي الميل عن الحق والشرك بالله فانه احد معانيه كما في القاموس
واصل معناه الميل فانما صدر عنه لجهالة وسخافة عقله فان تكرر هذا القول منه
وعرف به اي اشتهر بين الناس قوله لمثله دل تكرر صدوره منه على تلاعبه بدينه
اي عدم مبالاته به كاللعب واللهو فان من تقيد بدينه لا يقدم على مثله واستخفافه
بحرمة ربه اي ما يلزمه احترامه وصيانته ودل ايضا على جهله بعظيم عزته وكبريائه
وهو بالمد بمعنى غاية العظمة في شانه سبحانه وتعالى اي تنزه وعلا جنابه بعزته
عن مخلوقاته وهذا المذكور كفر لا مرية فيه اي لا شك في كونه كفرا وتقدم ان ميمه
مكسورة وتضم وكذلك يكفر ان كان ما اورده لما صدر عنه يوجب وفي نسخة يقتضي
الاستخفاف والاهانة وتجريه اي جسارته على عظيم عزته والتنقيص لربه اي
التنقيص لكماله باهانته وقد افتى عبد الملك بن حبيب وقد تقدمت ترجمته واصبغ
ابن خليل ابو القاسم من فقهاء قرطبة ذكره الذهبي في الميزان وقال انه كان يتهم
بالكذب توفي سنة ثلاث وسبعين وقيل سنة ست وخمسين ومائتين بقتل الرجل

المعروف

المعروف بابن اخي ويروى اخت عجب بفتحتين علم زوجة عبد الرحمن الاموي
امير قرطبة ممنوع من الصرف للعلمية والتانيث المعنوي وهي عمة الرجل المذكور كما يأتي
وكان هذا الرجل خرج يوما من منزله فاخذه المطر اي وقع عليه بشدة حتى كانه اخذه
وعاقه عن مقصده فقال بدا بهمزة آخره اي شرع وابتدأ الخراز بفتح الخاء المعجمة
وتشديد الراء المهملة والف وزاي معجمة من الخرز وهو ثقب الجلود للخياطة كالخفاف
والقرب وهي تبل ويرش عليها الماء عند خرزها لتلين يرش جلوده جمع جلد وهو معروف
ويرش مضارع غائب من رشه يرشه اذا بله بالماء ويروى برش بباء الجر فشبه اديم السما
على زواه يخاط حتى يمسك الماء فكان المطر نزل عليه من قربة بالية ترقع وفيه سخافة
لا تخفى فاراد بالخراز قيوم السموات او ملائكته وعلى كل حال فهو تلاعب وكان بعض
الفقهاء بها اي بقرطبة في ذلك الزمن ابو زيد صاحب الثمانية بوزن العلانية المعروف
وقيل انه ضبط بوزن المثلثة وميم والف ونون مكسورة بعدها ياء مشددة ولم يفسروه
وعبد الاعلى بن وهب وابان بن عيسى قد توقفوا اي لم يحكموا او احجموا عن سفك دمه
اي قتله لعدم ما يقتضيه لانه لم يصرح باسم الله وانما شبه السحاب بشيء بال ومثله لا
يعد كفرا واشاروا اي قالوا برأيهم فيه الى انه اي ما قاله عبث من القول اي كلام
لا معنى له يعتد به كهزل من اعتاد الهزل والعبث ما لا يفيد يكفي فيه الادب اي التاديب
والتعزير بما دون القتل وافتى بمثله اي انه عبث يؤدب قائله القاضي حينئذ اي حين
وقعت هذه القصة وهو موسى بن زياد قاضي قرطبة فقال ابن حبيب دمه في عنقي
اي انا احكم بقتله واراقة دمه فان كان فيه وزر فعلي وزره وجزاؤه في الدنيا والاخرة
والعنق عضو معروف ويقال الاثم كذا في عنقه اذا لزمه قال تعالى الزمناه طائره في عنقه فهو
كناية او استعارة ايشتم ببناء المجهول رب نائب فاعله وجعله شتاما على انه اراد بالخراز
الله عز وجل عبدناه كناية عن عظمته وانه اهل العبادة والخضوع فكيف يشتم ثم لا ننتصر
له اي نغار لما يخالف حقه وما يجب له انا اذن اذا لم ننتصره لعبيد سوء اذ لم يقوموا
بحق سيدهم وربهم وما نحن له بعابدين له حق عبادته لرضانا بما قيل فيه وبكى لغيرته
وخوفه من الله ورفع المجلس اي ذكروا علمه بهذه الواقعة اي خبرهم وما وقع فيه فاطلق عليه
كقوله ه‍ واستب بعدك يا كليب المجلس • الى الامير بها بالاندلس وحاكمها
عبد الرحمن بن الحكم الاموي بضم الهمزة وفتحها نسبة لامية وهو عبد الرحمن بن الحكم بن
هشام صاحب الاندلس وكان عادلا متقنا مجاهدا توفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين
وعمره ستون وعبد الملك مفتي الاندلس وعالمها صاحب الواضحة في مذهب مالك
توفي في تلك السنة ايضا وكان اخذ عن اصحاب مالك وكانت عجب اي المرأة المذكورة
عمة هذا الرجل المطلوب بما قاله وقيل خالته من حظاياه اي من زوجات عبد الرحمن
امير الاندلس جمع حظية كعطية وهي المرأة التي تحظى عند زوجها اي تقرب وتكرم لشدة
محبته لها وذكره اشارة الى شدة دين الامير وزوجته اذ لم يسامح الاقرباء والتابع لها
مع شدة محبته لها وقرب الرجل منها واعلم الامير وهو مبني للمجهول باختلاف الفقهاء
في قتله فخرج الاذن لشرطيه ونوابه بالاخذ بقول ابن حبيب في قتله وصاحبه
اصبغ بن خليل فقتل وصلب بحضرة الفقيهين ابن حبيب واصبغ بن خليل وعزل القاضي

موسى بن زياد الذي قال يؤدب لتهمته بالمداهنة في هذه القضية المذكورة اي المسامحة في حدود الله لقرب الرجل من مخطبة الامير مع انه قول وتقدم انه يستتاب في قول آخر رجحه بعض الشراح هنا ومن الفرق بين المداهنة والمداراة فان الاولى مذمومة والثانية محمودة وحد ان المداهنة استحسان ما لا يجوز لغرض فاسد والمداراة معاملة بعض الناس بلين ورفق حتى يدفع به الضرر او يحصل به نفع ديني باعتبار وان كان الظاهر يخالفه ووبخ بقية الفقهاء وسبهم لعدم حكمهم بقتله وهذا حكم من عرف بذلك وتكرر وقوعه منه وامامن صدرت عنه من ذلك القول الدال على الاستخفاف اي وجدت ووقعت منه الهنة الواحدة اي قباحة وقعت منه نادرا يقال فيه هنة وهناه وهنوات خصال سوء قال لبيد رحمه الله ● اكرمت عرضي ان ينال بنجوة ● ان البري من الهنات سعيد ● كذا في الاساس وفيه كلام في كتب النحو وقد تقدم الكلام على شيء منه في اول الباب الاول من القسم الرابع والفلتة هي الامر الذي يقع بغتة من غير تدبر وفاؤه تضم وتفتح والثاني اعلى واصح الشاردة من شردت البهيمة اذا ندت من صاحبها فاستعارها للزلة الصادرة بغتة او النادرة المنفردة لا تستقر فكانها شاردة وليس معناها السائرة من قولهم قافية شاردة اي سايرة في البلاد لانها اذا سارت اشتهرت وانتشرت مما لم تكن تنقصا او ازراء اي اهانة وتنقيصا فيما فعليه ويؤدب بزجر وتعزير دون قتل بقدر مقتضاها اي بحسب ما تقتضيه وشنعة اي قباحة معناها وصورة حال قايلها بحسب ما يليق بحالها وشرح سببها فان بمعرفة سببها الباعث عليها يعلم مراد من صدرت عنه ومقادرها من احوال قايلها المؤذنة بانه يستحق مقدارا من توبيخ او ضرب وحبس او جلد مثلا لانه تعزير يتفاوت مراتبه بحسب صاحبه بخلاف الحدود كما بينه الفقهاء وقد سئل ابن القاسم رحمه الله عن رجل نادى رجلا باسمه نحو يا زيد ويا عمرو فاجابه بقوله لبيك اللهم لبيك فقوله اللهم بمعنى يا الله في جواب من ناداه باسمه ومعنى لبيك المثنى اجابة بعد اجابة من لب والب بمعنى اقام بمكان وتفصيله مشهور غني عن ذكره هنا فقال ابن القاسم ان كان جاهلا بمعناه او قاله على وجه سفه اي خفة وطيش من غير تامل وفكر فلا شيء عليه قال القاضي ابو الفضل عياض في تفسيره وشرح قوله لا شيء عليه معناه انه لا قتل يترتب عليه فيما صدر منه من بين ما يستحقه اذا لم يقتل فقال والجاهل يزجر حتى ينتهي عما قاله ويعلم ما جهله والسفيه الذي لا يضبط لسانه لخفته يؤدب بضرب وحبس ونحوه واعلم ان المراد بالسفيه هنا من في عقله خفة ونقص لا الذي عرفه الفقهاء بالمبذر ولو قالها اي قال لبيك اللهم لبيك لمن ناداه باسمه على اعتقاد انزاله اي مناديه منزلة ربه تعالى بجعله الها لكفر بهذا او وجهه ظاهر الذي فصله مقتضى قوله اي قول ابن القاسم في هذه المسئلة وهذا هو الحكم فيما ذكر عند المالكية وغيرهم خالفهم وقال لا يعذر لا قرب عهد باسلام او جنون كذا قيل وقد يتنزل عليه كلام المصنف فتدبر وقد اسرف كثير اي تجاوز الحد في قباحته وترك ادبه وهو مستعار هنا من اسراف المال لا اسراف المقال من سخفاء الشعراء اي من سخف عقله وقل دينه كالمعري في ديوانه الكبير كما يعرفه من رآه ومتهمهم جمع متهم وهو من اتهم بالزندقة والالحاد كابن عون في هذا الباب اي ذكر رب العزة بما لا يليق به

واستخفوا

واستخفوا اعظم هذه الحرمة اي احترام الله واجلاله اي عدوه خفيفا هينا لا يبالي به فاتوا في اشعارهم من ذلك النوع بما ننزه اي نصون كتابنا هذا منه فانه دناءة لا تسفه له ولساننا واقلامنا عن ذكره وكتابته فضلا عن ذكره فلا يسود به وجه قرطاس ثم اجاب عن ذكر لبعض الالفاظ التي فيها سب لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم كما تقدم فقال ولولا انا قصدنا نص مسائل حكيناها عن الايمة في كتبهم ونص بالنون وفي نسخة قص بالقاف والاولى احسن لما ذكرنا شيئا مما يثقل بالمثلثة ذكره علينا اي يعظم لشدة قباحته لما فيه من الازدراء بمقام الربوبية والنبوة مما حكيناه في هذه الفصول التي تقدمت واما ما ورد في مثل هذا الامر الثقيل من اهل الجهالة اي جهلة الاعراب واهل البادية الذين لا يعرفون الله ورسوله حق معرفته ولا يعرفون امر الدين والشريعة لعدم مخالطة اهل الاسلام لجفائهم وغلظ طباعهم واغاليط اللسان اي الذين اعتادت السنتهم الغلط في وصفهم لله ورسوله وهو جمع اغلوطة كاعجوبة وهو الغلط الفاحش الذي ينفر عنه الطباع السليمة كقول بعض الاعراب جمع اعرابي وهو من يسكن البادية من العرب وكان قاله في سنة مجدبة

رب العباد ما لنا وما لكا ● قد كنت تسقينا فما بدا لكا ● انزل علينا الغيث لا ابا لكا ●

في اشباه لهذا من كلام الجهال رب العباد منادى مضاف منصوب اي يا رب العباد وحرف الندا محذوف وهو جائز كثير والعباد جمع عبد كالعبيد وقيل ان الاول في القرآن للمؤمنين والثاني للكفار بالاستقراء والعباد ادامهم لله والعبيد له ولغيره ولا يختص بغيره كما قيل ● وقوله ما لنا وما لكا استفهام والف لكا اطلاق يراد زيادة مطردة في الشعر اي اي شيء كان لك واي شان من شؤنك اقتضى منع ما عودتنا من احسانك وبين هذا بقوله قد كنت تسقينا الخ اي عودتنا بانعامك وانزال المطر فما سبب تغير الحال وتسقينا بفتح تاء المضارعة وضمها يقال سقاه واسقاه بمعنى وقوله فما بدا لك بمعنى ما ظهر لك منا حتى غضبت علينا ومنعت عوايد فضلك يقال هذا في السؤال ثم جعل عبارة عن تغير الرأي والرجوع عنه والندامة عليه كقوله ●

● ولو انني اضمرت في القلب توبة ● وابصرت هذا في المنام بدا لي ●

ومنه البدا الذي قاله اليهود وهو لا يجوز على الله فان كان قصد هذا وكان الاستفهام فيه وفيما قبله انكاري فهو جهل منه والسؤال من اصله منكر فانه تعالى لا يسال عما يفعل ومالي وما لك تستعمله الناس في التبري وبقوله القوي للضعيف وانزل امر والمراد به الدعاء والغيث المطر الا ان الاول يختص بالخير لانه يغاث به الناس ● وقوله لا ابا لكا جا في كلامهم كثيرا للمدح والذم واصله دعاء وهو على خلاف القياس لاعرابه بالحروف وشرط قياسه لا اباك وقد سمع فيه لا اباك ولا ابا لك ايضا وخرج الاول على ان اللام اقحمت بين المضاف والمضاف اليه فاذا مدح به فمعناه انت شريف بنفسك من غير حاجة لانتسابك وقد روي ان سليمان بن عبد الملك لما سمع هذا حمله على محمل حسن فقال اشهد ان الله لا اب له ولا صاحبة ولا والد ولا ولد وهذا الذي قاله الاعرابي على عادتهم في مخاطباتهم ولم يقصد ظاهره ان كان مسلما فانه لم يعرف حاله وقريب منه قول ابن رواحة رضي الله عنه

فاعفر فدا لك ما اقتفينا • فان الفدا لا يتصور في حق الله او الكلام تم عند
العبث وهذا خطاب لمن معه كما قيل في كلام ابن رواحة ويقال لا ابا لك للتعجب كما يقال
للمدح والذم وفيه كلام في كتب النحو وقيل انه مبني على الفتح والفه اشباع اجراء للوصل
مجرى الوقف وليس هذا محل تفصيله والحاصل انه خاطب الله بما لا يليق به مما هو بحسب
ظاهره كفر لكنه ناشئ من غلظ طبعه وجاهليته اذ كان مسلما فان كان كافرا فحاله
معلوم وجهال جمع جاهل ومن كلام من لم يقومه اي لم يجعله مستقيما ثقاف بكسر المثلثة
وقاف والف وفاء والثقاف في الاصل لتقويم الرماح والخشب المعوج بالنار ونحوها يقال
رمح مثقف ثم استعمل في غيره مجازا كقوله •

عمرت من الليالي صعدة لم • يقوم ذوابها غصن الثقاف •

فاستعير لما يؤثر هنا ولما يقيم الانسان من تاديب الشريعة والعلم اي تاديبه
بتعليمه وارشاده لما يجب عليه ومنه قول عايشة في ابيها رضي الله عنهما • اقام
اوده بثقافه • اي اصلح امور المسلمين بتدبيره في هذا الباب اي باب السخافة
والهذيان او الامور المتعلقة بالله والاولى انسب بقوله فقل ما يصدر هذا الكلام
السخيف الا من جاهل بمقام الربوبية وقلما ما فيها كافة ولذا دخلت على الفعل وهي على
اصلها او بمعنى النفي وفيه كلام مشهور فيعذر بجهله لقرب عهده بالاسلام وكونه
من اهل البوادي الذين لم يخالطوا المسلمين فيجب تعليمه ما يجب عليه وزجره والاغلاظ
له بتوبيخه ونحوه عن العود لمثله اي لينتهي عنه فان لم ينته بعد التعليم
قتل قال ابو سليمان الخطابي وهذا الكلام الصادر عن السخفا تهور من القول التهور
مجاورة الحد بالوقوع من غير مبالاة في منكر عظيم من قولهم هار البنا اذا سقط وانهار قال
تعالى فانهار به في نار جهنم والله جل جلاله منزه عن هذه الامور السخيفة التي تقدم ذكرها
وقد روينا عن عون بن عبد الله بن عتبة الهذلي الكوفي الزاهد الفقيه المحدث
التابعي توفي في حدود العشرين ومائة انه قال ليعظم بلام الامر المكسورة احدكم ربه
فينزهه عن ان يذكر اسمه في كل شيء يذكره مقترنا به حتى يقول اخزى الله الكلب
وفعل به اي بالكلب كذا من قتل ونحوه فان اقتران اسمه بهذه المحقرات لا يليق وان كان
ذلك بحسب المعنى صحيحا وكذا اسم النبي صلى الله عليه وسلم كقول العامة ذلك في بيع امور
حقيرة كما نبه عليه بعض الفقها قال وكان عادة بعض من ادركنا من مشايخنا المالكية
بالمغرب قلما يذكر اسم الله تعالى في شيء من الاشيا التي لم يذكرها الا فيما يتصل بطاعته
من امور الدين والشريعة والعبادة ولذا لم يضيفوا له الشر والقبائح وخلق المحقرات
تادبا وان كان خالقها وفاعلها لكل امر فلا يقال خالق الكلاب والقاذورات كما صرحوا به
وكان الشبلي اذا سئل عن هذا ينشد •

• ويفتح من سؤالك الفعل عندي • وتفعله فيحسن منك ذاكا • وكان لبعض
مشايخه يقول للانسان اذا دعا له جزيت بينا للمجهول خيرا دون جزاك الله خيرا
صونا لاسم الله عن الابتذال كما بين ذلك بقوله وقلما يقول جزاك الله خيرا مصرحا
باسم الله تعالى اعظاما لاسمه تعالى عن ذكره في غير طاعة كالصلاة والاوراد والذكر اذ يمتهن
امتهان من المهانة وهي الابتذال والحقارة وعن كثرة ذكره حقارة في غير قربة اي

في غير امر يتقرب به الى الله من عبادته كما تقدم والدعا للمسلمين وان كان عبادة لكنه
ليس من الطاعات التي فيها تعظيم لله وتعظيم لذكره ونية اسمه المفرد في الدعاء تكفي
في وجوده وكونه عبادة فلا يرد عليه ما قيل ان الدعا للمؤمن على خير فعله طاعة مندوبة
لقوله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان والقربة اخص من الطاعة فذكر الله في الدعا
وان كان فيه تعظيم له ايضا الا ان ذكره في الصلاة ونحوها اكثر تعظيما الا انه لا يخلو من
شيء ولذا قيل انه مخالف للسنة المأثورة من التصريح باسمه تعالى في الدعا وفي الايمان
وقوله في الشروع في الافعال وعقب الطعام والشرب الحمد لله فكيف يستدل بفعل
بعض مشايخه على ما يخالف السنة فتدبر وحدثنا الثقة اي الموثوق به وهذا توثيق
لمجهول فلا فايدة فيه وقيل ان تعريفه للعهد وانظر للامام ابي بكر بن العربي وسيبويه
في كتابه يقول قال لي الثقة يعني ابا زيد وما ذكر ليس حديثا نبويا يقدح فيه جهل راويه
ان الامام ابا بكر الشاشي هو وحيد دهره الامام ابو بكر محمد بن علي بن اسماعيل
القفال الشاشي نسبة لشاش مدينة فيما وراء النهر وهو امام عظيم له تاليفات عظيمة
جليلة وهو عمدة في مذهبه واختلف في وفاته فقيل سنة ست وستين وثلاثمائة
وقيل سنة ست وثلاثين وقيل انه كان في اول امره معتزليا ثم رجع عن الاعتزال كان
يعيب على اهل الكلام وهو علم اصول الدين كثرة خوضهم فيه تعالى اي في البحث
عن ذات الله تعالى اي يعده عيبا اي ينهى عنه ومر ان اصل معنى الخوض الشروع في دخول
الماء ثم استعير للشروع في الامور ويقال تخاوضوا في الحديث اذا تفاوضوا فيه
واكثر ما ورد في القران فيما يذم شرعا وفي ذكر صفاته اي ذكر حقيقة صفات الله
تعالى والبحث عنها اجلالا لاسمه تعالى ويقول هؤلاء يتمندلون بالله عز وجل تفعل
من المنديل وهو خرقة يمسح بها الايدي وجمعه مناديل ومنه اشتق فعل فيقال تمندلت
وتمندلت وانكر بعضهم الثانية وقال انها مولدة غير فصيحة وهو هنا استعارة للابتذال
والامتهان وقد يقال ان مراده ذكر ما لا حاجة اليه من المباحث الكلامية والا فكيف
ينكر علم الكلام وقد قال صلى الله عليه وسلم ستفترق امتي ثلاثا وسبعين فرقة
فهذه الفرق الضالة لها اعتقادات باطلة فلا بد من اظهارها وبيان كونها ضالة فقتالهم
وابطال ادلتهم واجب فكيف يمنع منه مطلقا وكلام المصنف ليس على اطلاقه وقد يقال
في قوله يتمندلون التفتيش له فافهمه وينزل الكلام في هذا الباب الذي وقع فيه
مثل ما تقدم في حق الله عز وجل تنزيله في باب ساب النبي صلى الله عليه وسلم
فيجعل احكام هذا كاحكامه على الوجوه السابقة في المسايل التي فصلناها في هذا الباب
كما تقدم والله الموفق للصواب •

فصل وحكم من سب سائر انبياء الله تعالى عز وجل وملائكته او استخف بهم •

اي ذكر ما فيه تحقير او اهانة لهم او كذبهم اي نسبهم الى الكذب فيما اتوا به عن الله
من وحيه او انكرهم اي اعتقد عدم وجودهم او انكر وجود النبوة والرسالة او جحدهم
اي انكر وجودهم عنادا مع علمه به كبعض اليهود والنصارى حكم من سب نبينا صلى
الله عليه وسلم وقد تقدم تفصيله وحكم الاول مبتدا وهذا خبره على سياق اي على

الحكم الذي سقناه على تفصيل ما قدمناه عن أئمة الدين في هذا الكتاب كما سمعته
ثم استدل على أن حكم سائر الأنبياء كحكم نبينا فقال قال الله تعالى عز وجل في كتابه
الكريم إن الذين يكفرون بالله ورسله من رسل البشر ورسل الملائكة ويريدون أن
يفرقوا بين الله ورسله إيمانا وكفرا لقوله ويقولون نؤمن ببعض منهم ونكفر ببعض
كاليهود كفروا بعيسى ومحمد والإنجيل والقرآن والنصارى كفروا بمحمد والقرآن الآية
أي اذكر الآية واقرأها إلى آخرها يعني ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك
هم الكافرون حقا فهذه الآية وما بعدها تدل على أن الإيمان لا يكون إيمانا مخلصا من
الخلود في النار إلا إذا آمنوا بالله عز وجل وبجميع رسله وكتبه وما جاءهم من الوحي من
عند الله فمن آمن ببعض وكفر ببعض كمن لم يؤمن بشيء أصلا وقال تعالى عز وجل قولوا آمنا
بالله وما أنزل إلينا من القرآن وغيره من الأحكام وما أنزل إلى إبراهيم من الصحف
وغيرها الآية من قوله وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى
وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم وقال كل آمن بالله وملائكته
وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله فهذه الآية صريحة فيما قاله قال مالك
في كتاب عبد الملك بن حبيب ومحمد بن سحنون وقال ابن القاسم وابن الماجشون
وابن عبد الحكم وأصبغ وسحنون تقدمت تراجم هؤلاء فيمن شتم الأنبياء أو أحدا
منهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أو تنقصه أي نسب أحدا منهم لشيء من النقص
بما لا يليق به قتل ولم يستتب فإن تاب لم تنفعه توبته لأن حد القتل ومن سبهم
أي الأنبياء أو أحدا منهم من أهل الذمة كاليهود والنصارى قتل إلا أن يسلم ولا يقبل
لأن الإسلام يجب ما قبله وفيه تألف لغيره وروى سحنون عن ابن القاسم من سب
الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي
به كفر كقوله المسيح ابن الله والعزير ابن الله ضربت عنقه ولا يستتاب لأنه لم
يعاهد عليه إلا أن يسلم طوعا منه كما قيد به في المبسوطة وقد تقدم الخلاف
بين أئمة الدين في هذا الأصل أي من سب الله بغير الوجه الذي به كفر هل يستتاب
أم لا وقال القاضي بقرطبة سعيد بن سليمان في بعض أجوبته عن هذه المسألة
من سب الله تعالى عز وجل قتل لجرأته على الله وملائكته وقال سحنون من شتم ملكا
من الملائكة فعليه القتل لأنهم عباد مكرمون بررة مبرؤون من النقائص وفي كتاب
النوادر لابن أبي زيد رحمه الله عن مالك بن أنس فيمن قال إن جبريل عليه الصلاة
والسلام أخطأ بالوحي الذي أتى به لمحمد صلى الله عليه وسلم فوضعه في غير محله
وقال إنما النبي الذي أمر جبريل عليه الصلاة والسلام بإنزال الوحي عليه علي بن
أبي طالب كرم الله وجهه لا محمد صلى الله عليه وسلم استتيب أي عرضت عليه
التوبة كما قاله فإن تاب لم يقتل وإلا أي إن لم يتب قتل لكن به على جبريل ونسبته
للخطأ وهو لا يفعل إلا ما يؤمر به ونحوه عن سحنون أي مثل ما في النوادر روي عن سحنون
وهذا أي نسبة الخطأ لجبريل قول الغرابية هم طائفة من الرافضة قالوا علي أشبه
بمحمد من الغراب بالغراب كما بينه بقوله من الروافض سموا بذلك أي بالغرابية لقولهم
كان النبي صلى الله عليه وسلم أشبه بعلي أي أشد شبها من الغراب بالغراب والذباب

بالذباب فلذا غلط جبريل عليه السلام في تبليغ رسالة علي إلى محمد صلى الله
عليه وسلم ويسمون جبريل ذا الريش قيل وهذا معتقد بعض اليهود فإنهم صرحوا
بعداوة جبريل كما رواه الترمذي عنه صلى الله عليه وسلم أن اليهود قالوا له لكل
نبي من الأنبياء ملك يأتيه برسالة ربه فمن صاحبك حتى نتبعك قال جبريل فقالوا
هو ينزل بالحروب والقتال وهو عدونا فلو قلت ميكائيل الذي يأتي بالقطر والرحمة
اتبعناك فأنزل الله قل من كان عدوا لجبريل الآية وقال أبو حنيفة وأصحابه ممن هو
على مذهبه كمحمد وغيره بناء على أصلهم أي قاعدة مذهبهم من كذب بأحد من الأنبياء
أي قال بأنه كذب لا أصل له وجحده أو تنقص أحدا منهم أي نسب له ما فيه نقص له أو برئ
منه أي من محبته والإيمان به أو شك في شيء من ذلك فقال لا أحققه فهو مرتد
فحكمه حكم المرتد في مذهبه وقد تقدم وقال أبو الحسن القابسي الذي قدمنا ترجمته
في الرجل الذي قال لآخر ممن يكرهه كأنه أي كان وجهه وجه مالك خازن النار
الغضبان الذي يظهر الغضب والعبوس وإنما تشبيهه به في لزوم الغضب
وهذا تخيل فاسد وإلا فهو منشرح للقيام بما أمره الله به وقيل إنه أطلق اسم البعض
على الكل مبالغة لو عرف من حال القائل أنه قصد ذم الملك قتل فإن لم يعلم ذلك
لم يقتل لتصوره أن غضبه امتثال لأمر ربه في معاملة أهل جهنم بذلك كالسجان
المشدد على من في سجنه بأمر الملك وهذا مذهب مالك وأبي ح وأما عند الشافعية
ففيه خلاف في كتبهم قال القاضي أبو الفضل مصنف هذا الكتاب رضي الله عنه
وهذا كله أي ما ذكر في هذه المسائل فيمن تكلم فيهم أي في الأنبياء والملائكة
بما قلناه مما تقدم ذكره على جملة الملائكة والنبيين أي مجموعهم لا جميعهم أو
تكلم بما قلناه على واحد معين منهم ممن حققنا أي بينا وأثبتنا فيما تقدم كونه
من الملائكة والنبيين ممن نص الله عليه في كتابه بذكره باسمه صريحا في القرآن
أو حققنا علمه بأنه منهم بالخبر المتواتر الذي لا يحتمل الكذب والإجماع القاطع
بوجوده والخبر المشهور المتفق عليه ممن يعتد به من رواة الحديث وعلماء الدين وفي نسخة
المشتهر وهو ما رواه جمع كثير لم يبلغوا حد التواتر كجبريل وميكائيل هما من رسل الملائكة
وإيل اسم من أسماء الله بالعبرانية ومعنى جبريل عبد الله فجبريل موكل بالوحي وتبليغ
أسرار الملكوت وميكائيل موكل بالأمطار والأرزاق كما مر وأحوال الملائكة فصلها
السيوطي في كتاب مستقل سماه الحبائك وهو كتاب جليل ومالك اسم الملك الموكل
بالنار وهو ثابت بالتواتر وخزنة الجنة كحافظ وحفظة وزنا ومعنى وهم الملائكة
الموكلون بحفظ الجنة وأهلها وخزنة جهنم والزبانية وحملة العرش وهذا مما علم
بنص القرآن والتواتر أما جبريل وميكائيل فلكان عظيمان مشهوران وفي حديث
رواه الحاكم وزيراي من أهل السماء جبريل وميكائيل ومن أهل الأرض أبي بكر وعمر ومالك
خازن النار ذكره الله في قوله ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك وخزنة الجنة وردت
ذكرهم في أحاديث كثيرة وخزنة جهنم ذكرهم الله تعالى في قوله تعالى عليها ملائكة غلاظ شداد
وهم تسعة عشر قال تعالى عليها تسعة عشر وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا
عدتهم إلا فتنة للذين كفروا وقال القرطبي التسعة عشر رؤساؤهم وعدد الخزنة لا يعلم

الا الله وجهنم علم لدار العذاب ممنوع من الصرف للعلمية والتانيث والزبانية ملايكة العذاب ورد في الحديث راس احدهم في السما ورجله في الارض وهم اعظم الناس خلقا واشدهم من زبنه اذا دفعه لانهم يدفعون الكفار بارجلهم وواحدهم زبينة كعفرية او زبني كجني وقال قتادة هم الشرط في كلام العرب وحملة العرش جمع حامل كخزنه وهم ثمانية قال تع ويحمل عرش ربك فوقهم يوميذ ثمانية وورد في صفتهم وتسبيحهم احاديث كثيرة ولم يسم منهم غير اسرافيل **المذكورين** باسمايهم **في القران من الملايكة** الذين تقدم ذكرهم وذكر الايات التي فيها اسماء الملايكة وفيه ملايكة كثيرة ذكروا بصفاتهم دون اعلامهم **ومن سمي فيه** اي في القران **من الانبيا** كادم وابراهيم وغيرهم **وكعزرايل** وهو ملك الموت ولم يذكر في القران باسمه وذكر فيه ملك الموت **واسرافيل** لم يصرح باسمه في القران وذكر بصفته **ورضوان** بكسر الرا وضمها وبهما قري ومنه نقل علم خازن الجنة سمي به لانه خازن محل الرضوان وروي ابن عساكر وغيره في اسباب النزول ان المشركين لما عيروا النبي صلى الله عليه وسلم بالفاقة وقالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام الاية حزن لذلك فنزل عليه جبريل وقال ربك يقريك السلام ويقول لك وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق فبينما هو معه راه ذاب من خوفه فقال فتح باب من ابواب السما لم يفتح قبل ثم عاد لحاله وقال له ابشر هذا رضوان خازن الجنان فسلم رضوان عليه ومعه سفط من نور يتلالا فقال يا محمد ربك يقريك السلام ويقول لك هذه مفاتيح خزاين الدنيا ان شيت خذها ولا ينقص لك مما عندي مقدار جناح بعوضة فنظر لجبريل كالمستشير له فقال له تواضع لله فقال يا رضوان لا حاجة لي بها فقال له اصبت اصاب الله بك ويروى ان رضوان نزل بهذه الاية تبارك الذي ان شا جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا وفيه ان من الايات ما نزل به غير جبريل من الملايكة وهي فايدة **والحفظة** بزنة كتبة جمع حافظ وهم الكرام الكاتبون قال تع وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وايات اخر وهما ملكان احدهما يكتب الحسنات والاخر يكتب السيات وروي انه وكل بالانسان خمسة ملكان بالليل وملكان بالنهار واخر لا يفارقه ويجتمعون في صلاة الفجر والعصر فيسالهم الله فيقول كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم يصلون واخرج الطبري من طريق كنانة العدوي ان عثمان رضي الله عنه سال النبي صلى الله عليه وسلم عن عدد الملايكة الموكلين بالادمي فقال لكل ادمي عشرة بالليل وعشرة بالنهار واحد عن يمينه واخر عن شماله واثنان بين يديه ومن خلفه واثنان على جبينه واخر قابض على ناصيته فان تواضع رفعه وان تكبر وضعه واثنان على شفتيه ليس يحفظان عليه الا الصلاة على محمد والعاشر يحرسه من الحية ان تدخل فيه يعني اذا نام والاحاديث في ذلك كثيرة استوفاها الجلال السيوطي في كتبه فجزاه الله خيرا **ومنكر** بضم الميم وفتح الكاف وكسرها خطا **ونكير** بفتح النون وكسر الكاف وهما ملكا السوال اللذان ياتيان الميت ليسالاه في قبره كما ورد في الصحيحين وقال السيوطي ان حديث ملكي السوال متواتر وذكر من رواه وطرقه وذكر بعضهم ان اللذين ياتيان المومن يسميان مبشرا وبشيرا وذكر القرطبي انه روي ان السايل ملك وان السوال قبل انصراف الناس وهو معارض لما روي انهما ملكان وسوالها بعد انصراف

الناس وجمع بينهما بانهما باعتبار الاشخاص فمنهم من ياتيه اثنان ومنهم من ياتيه واحد ومنهم من يسال والناس عند قبره حتى لا يستوحش ومنهم من هو بخلافه او هما اثنان والسايل احدهما قال السيوطي وهو الصواب فان ذكر الملكين هو الوارد في غالب الاحاديث وله في هذين الملكين تاليف مستقل فيه فوايد جمة **من الملايكة المتفق** بين المحدثين **على قبول الخبر بهما** مما ورد في كتب السنة المعتمد عليها **واما من لم تثبت الاخبار بتعيينه** باسمه معينا **ولا وقع الاجماع** من الامة **على كونه من الملايكة او** لم يقع الاجماع على كونه من **الانبيا** والمرسلين **كهاروت وماروت في الملايكة** وهما علمان اعجميان وقيل انهما مشتقان من الهرت والمرت وهو المغارة والاول اصح لمنع الصرف واختلف هل هما ملكان بفتح اللام او بكسرها سميا ملكين لحسن صورتهما وسيرتهما فلا ثنا في بين القراتين والجمع بغيره اقرب وفي الحديث اشرفت الملايكة على الارض فراوا بني ادم يعصون فقالوا ما اجهل هولاء بعظمتك يا رب فقال الله لهم لو كنتم مثلهم عصيتم فقالوا كيف هذا ونحن لا نفتر عن عبادتك فقال اختاروا ملكين فاختاروا هاروت وماروت فركب فيهما شهوة بني ادم واهبطهما الى الارض ومثلت لهما الزهرة امراة حسنا فعشقاها ولم يزالا حتى واقعاها فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الاخرة فاختارا عذاب الدنيا لانقطاعه وهما المذكوران وانكر بعضهم هذا الحديث لعصمة الملايكة وقال الحافظ ابن حجر والسيوطي كما تقدم انه روي من طرق اكثر من عشرين فبلغ الحديث مرتبة الحسن وقد افردوه بالتاليف فلا وجه لانكاره وتبعهما ابن حجر الهيتمي فقال في الاعلام بعد سياق كلام المصنف برمته وهو ظاهر جلي وبه يعلم خطا من قال ان ما يحكيه المفسرون كابن جرير الطبري والامام البغوي وغيرهما ومن ثم انتصر لهم بعض المتاخرين من المحدثين وخرج هذه القصة باسانيد صحيحة ورد على من خالف في ذلك فجزاه الله عن ذلك خيرا انتهى واما عصمة الملايكة فذهب بعض اهل الاصول الى ان المعصوم انما هو رسلهم لا غيرهم كرسل البشر وعليه حمل قوله تع لا يعصون الله ما امرهم ولك ان تقول انه لا يرد ولو قلنا بعصمة الجميع لانه بتركيب الشهوة فيهم انسلخوا من الملكية الى البشرية فصار حكمهم حكمهم في التكليف وغلبة الشهوة البشرية ولا مانع في قدرة الله تع ان يسير نوعا النوع آخر **و** في الانبيا **كالخضر** تقدم الكلام عليه تفصيلا **ولقمان** الحكيم لا لقمان بن عاد وهو من اهل ايلة ولد بعد عشر خلت من ملك داود وفي اسم ابيه خلاف فقيل باعور وقيل عنقا وكان اسود اللون نوبيا له عرق من ابيه ولم يكن عبدا وقيل كان عبدا حبشيا او نوبيا لرجل فصار من بني اسرايل اشتراه وقيل كان نجارا واختلفوا هل كان نبيا او رجلا صالحا غير نبي وقال سعيد بن المسيب كان نبيا خياطا والاكثر على خلافه وقال حذيفة بن اليمان من الله عليه بالحكمة ونزع عنه النبوة وله كلمات كثيرة في الحكمة ذكرها في مراة الزمان **وذو القرنين** كان في زمن الخليل عليه الصلاة والسلام من ولد يافث بن نوح وقيل من ولد سلم بن سام ولقي الخليل صلى الله عليه وسلم فاوصاه بوصايا واختلفوا في اسمه على اقوال فقيل عبد الله وقيل اسكندر وقيل مرزبا وقيل الصعب واختلف فيه هل كان نبيا اولا والاكثر انه رجل صالح على دين ابراهيم وفي تسميته بذي القرنين عشرة اقوال فقيل لانه ضربه قومه على جانبي راسه وهما يسميان قرنين فهلك وقيل لانه سار لقرني الارض وهما المغرب والمشرق وقيل لان جانبي

رأسه كالنحاس وقيل لانه رأى في منامه انه اخذ بقرني الشمس فقصه على قومه فسموه به وقيل لانه كانت له ضفيرتا شعر في رأسه والضفيرة تسمى قرنا وقيل غير ذلك وقصته مفصلة في مرآة الزمان وقيل انه ملك بفتح اللام والاصح انه رجل صالح فاعلم **ومريم** ابنة عمران التي قص الله قصتها في القرآن واختلف في نبوتها والمشهور ان النبي لا يكون الا رجلا ذكرا ورجح بعض علماء المغاربة انها كانت نبية وان الذكورة انما تشترط في الرسول دون النبي لانه قد لا يؤمر بالتبليغ ورجحه القرطبي وابن السيد البطليوسي وليس ببعيد والذي ذهب لنبوتها استدل بكلام الملائكة لها وهو غير مسلم ومريم علم عبراني وقيل انه عربي واختلف في وزنه هل هو فعيل او فعلل **وآسية** بالمد قبل سين مهملة وشناة تحتية وهي امرأة فرعون وكانت امرأة مؤمنة صالحة ولم تكن نبية على الصحيح **وخالد بن سنان المذكور** في التواريخ وبعض التفاسير **انه نبي اهل الرس** كان هو وقومه يسكنون عدن فخرجت بها نار عظيمة اهلكت الضرع والزرع فالتجا اليه قومه في دفعها فاخذ عصاه وطردها حتى ادخلها مغارة واطفاها وامر قومه ان يدعوه ثلاثة ايام بالمغارة فانهم ان نادوه قبلها ليخرج اليهم ويموت وان تركوه خرج اليهم وكشف لهم احوال البرزخ وكان اوحي اليه انه سيطلعه عليها ان مكث بالمغارة ثلاثة ايام فاستفزهم الشيطان حتى نادوه قبلها وصاحوا فخرج اليهم ورأسه متالمة من صياحهم وقال لهم اضعتموني اذ لم تعملوا بوصيتي واخبرهم بموته وامرهم ان يتركوه اربعين يوما حتى يروا قطيع غنم يقدمها حمار ابتر الذنب اي مقطوعه فاذا رأوا ذلك نبشوا قبره ليخرج اليهم ويخبرهم باحوال البرزخ فلما تم ميقاته رأوا القطيع فارادوا نبش قبره ليخبرهم بالبرزخ فابى اولاده نبش قبره مخافة ان يعيرهم العرب بذلك وتسميهم اولاد المنبوش فضيعوا وصيته لغيرة جاهلية منهم فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءته ابنته واخبرته بانها ابنته فقال لها مرحبا بابنة نبي ضيعه قومه وهو من بني عبس وقد اختلف في قصته هذه فذكرها الراغب وابن عربي في فصوصه وغير واحد من المحدثين وقيل انه لا اصل لها واستدل بما رواه البخاري في صحيحه انه صلى الله عليه وسلم قال انا اولى الناس بعيسى بن مريم والانبياء اولاد علات وليس بيني وبينه نبي فهذا الحديث الصحيح ينافيه وهو ارجح منه الا ان ابن حجر قال ان حديث خالد رواه الحاكم في مستدركه وله طرق اخر تقتضي انه غير موضوع كما قيل وجمع بينهما بان قوله لا نبي بيني وبينه المراد به نبي صاحب شريعة واقرب منه ان يقال انه كان وعد بالنبوة لو تم امره الذي وصى به قومه ولم يتم فلم يكن نبيا كما اشار اليه قوله في الحديث ضيعه قومه فان قلت فما فائدة هذا الوعد حينئذ قلت فائدته اعلامهم بحقية امر البرزخ والارهاص ببعثة نبينا الذي كشف بعض احواله والرس براء مفتوحة وسين مشددة مهملتين وهي بئر لم تطو اي لم تبن بالحجارة وعن كعب الاحبار ان نبي اهل الرس هو المذكور في سورة يس القائل يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وان قومه قتلوه وطرحوه في بئر يقال لها الرس بانطاكية وهو حبيب النجار على القول بنبوته وعن علي كرم الله وجهه انهم قوم كانوا يعبدون شجرة صنوبر فدعا عليهم نبيهم وكان من اولاد يهودا فيبست الشجرة فقتلوه ورسوه في بئر فاظلتهم سحابة سوداء احرقتهم وقيل انه كان باذربيجان وفي اصحاب الرس اقوال اخر في التفاسير ومثل الكلام

في خالد بن سنان الكلام في حنظلة بن صفوان **وزرادشت الذي تدعي المجوس ويذكر المؤرخون نبوته** قال البرهان زرادشت بزاي معجمة مفتوحة وراء مهملة والف ودال مهملة مفتوحة وشين معجمة ساكنة وتاء مثناة فوقية هو صاحب كتاب المجوس هذا هو المحفوظ وقيل الزاي المعجمة في اوله مضمومة انتهى وقيل داله مضمومة وقيل انها معجمة وقيل انه كان نبيا حرفوا شريعته والمجوس تزعم انه نبي وهم قوم من الكفار الذين قالوا بالنور والظلمة ومنهم المانوية ولهم اصول فاسدة وكان زرادشت حكيما ظهر في زمن بشتاسف بن مهراسف واختلف في المجوس هل لهم شريعة وكتاب ام لا والكلام فيهم وفي اخذ الجزية منهم مفصل في كتب الفقه **تنبيه** قال نجم الدين الطوفي الحنبلي في تفسيره بعد ما ذكر كلام المصنف زرادشت متفق على عدم نبوته وهو من طبقة ماني ومزدك فلا شيء في سبه ولعنه فضلا عما وهم من القاضي اوراي غريب جدا انتهى اقول قال الشهرستاني في الملل والنحل زرادشت حكيم مجوسي ظهر في زمن موسى عليه الصلاة والسلام من اذربيجان وهو كان من الصابئة نبي مرسل دينه عبادة الله والكفر بالشيطان والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والخبائث وقال النور والظلمة اصلان متضادان يزدان واهرمن وهما مبدأ موجودات العالم حدثت التراكيب من امتزاجهما والباري خلق النور والظلمة وانما حدثت الشرور والخبائث من امتزاجهما وهو اي مزجهما الحكمة وهو واحد لا شريك له وله كتاب سماه زند وستا صنفه وقيل انه انزل عليه انه نبي ومنه تعلم انه من قوم من الصابئة لكنه اقرب الى الحق من بقيتهم وترك سبه اولى لانه موحد ولعل المجوس حرفوا ما نقلوه عنه وفي كلام المصنف ايماء لهذا ثم رأيت ما ذكره القاضي في كتب ساداتنا الشافعية وانه كان انزل عليه كتاب ثم رفع ومنه يعلم صحة ما في الشفا وان ما قاله الطوفي غير مسلم • وما كل داء يعالجه الطبيب • فاعرفه **فليس الحكم في سابهم** اي من سب هؤلاء المختلف في نبوتهم وملكيتهم **والكافر بهم** اي من انكرهم او انكر نبوتهم وملكيتهم **كالحكم فيمن قدمناه** ممن اتفق على انه نبي او ملك **اذ لم يثبت لهم** اي لهؤلاء المختلف فيهم **تلك الحرمة** اي الاحترام لرفعة مقامهم ووجوب تعظيمهم وتوقيرهم **ولكن يزجر** اي يمنع بزجر وتغليظ المقال له **من تنقصهم** اي من ذكر ما فيه ذم ونقص **وآذاهم** اي ذكر ما فيه اذية لهم **ويؤدب** اي يعزر بما يليق به من ضرب وحبس ونحوه من انواع الاهانة **بقدر حال المقول فيهم** على قدر مراتبهم في الشرف يكون مقدار الزجر والتاديب مفوضا لرأي الحاكم **لا سيما** اي احق بذلك واولى بذلك **من تكلم في حق من عرفت صديقيته** والكلام على سيما تقدم وشهرته تغني عن اعادته والصديقية بكسر الصاد وتشديد الدال المهملتين وياء تحتية ساكنة وقاف تليها ياء نسبة وهي صيغة مبالغة من الصدق ضد الكذب وهو معروف قال الراغب الصديق من كثر منه الصدق وقيل هو من صدق بقوله واعتقاده وحقق صدقه بفعله قال تعالى في حق ابراهيم عليه الصلاة والسلام انه كان صديقا نبيا وقال تعالى اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين فهم قوم دون الانبياء في الفضيلة انتهى اي من عرف بعظم تصديقه بالله وآياته ورسله **ومن عرف فضله منهم** اي ممن ذكر آنفا **وان لم تثبت نبوته** اي كونه

نبيا بنص معلوم لكنه علم فضله وصديقيته فانها كافية في لزوم توقيره كريم وآسية
واما انكار نبوته اي نبوة من لم يتفقوا على انه نبي او انكار كونه الاخر من الملايكة المتفق
على ملكيتهم كجبريل مثلا وفي هذا تفصيل فان كان المتكلم في ذلك المقول في حقهم ما تقدم
من تنقيص او انكار من اهل العلم العالمين بما قاله علما السلف الثقات فلا حرج اي لا اثم
عليه ولا تضييق عليه لعلمه بما يقول نقلا عنهم لاختلاف العلما المجتهدين والمولفين المعول
عليهم في ذلك المذكور من كونهم انبيا او ملايكة اولا وان كان الذي ذكرهم بما تقدم من
انكار ونحوه من عوام الناس الذين لم يعلموا ذلك ولم يتلقوه عن اهله زجر وردع بمنعه
عن الخوض في مثل هذا اي التكلم والمجادلة به واصله المشي في الما عن الغيض فاستعير
للتلبس بالامر والتصرف فيه اي نهي ومنع عنه وعن المجادلة فيه والتكلم فيما لا يعنيه
وهو الامر الذي فيه خلاف من غير علم به لانه ليس اهلا له فقد يقع في ورطة يحرم لما يصعب
عليه الخلاص منه ولذا استعار له الخوض الذي هو المشي في الما على سبيل الكناية
والتخييل فان الخايض في الما لا يرى ما يمشي عليه من الارض فربما صادف ما عميقا فيغرق
ولذا خصت هذه الاستعارة بما لا يجمل من الكلام كما مر فان عاد للتكلم ولم ينته بالزجر
ادب بضرب ونحوه لان اصراره على التكلم في مثله دليل على انه متهاون بما لا يليق به
الا تعظيمه ويكون تاديبه بحسب المقول فيه كما مر اذ ليس لهم اي للعوام الكلام في مثل
هذا لعدم اهليتهم واحتياج الناس لكلامهم وقد كره السلف اي من تقدم من ايمة
الدين الاعلام الكلام في مثل هذا الامر الذي اختلف فيه مما ليس تحته اي في ضمنه
وما يدل عليه نكانه من عجب سترة عمل من اعمال العبادة والطاعة فتركه لا يفوت به
شي وذكره لا يترتب عليه امر من الطاعة لاهل العلم متعلق بقوله كره فكيف بالعامة
الذين لا علم عندهم فهم احق بالكراهة والمنع من الخوض في مثله والتكلم فيه لمن
حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه ولذا قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ من قال
لا اله الا الله محمد رسول الله صادقا حرمه الله على النار فقال معاذ افلا ابشر الناس
بهذا فقال لا اذن يتكلموا اي يتركوا العمل والعبادة لامنهم من العذاب فليس للعوام
والعلما الاكثار من الترغيبات في العفو ومنه الحكمة المسكوت عنها التي ذكرها المشايخ
والله الموفق

فصل اعلم ان من استخف بالقران

اي تهاون بتعظيمه وتوقيره او المصحف بضم الميم وكسرها ونقل فيه التثليث وهو
مجمع الصحف من اصحف اذا جمع وهو مخصوص بالقران او استخف بشي منه كبعض
اجزايه قال ابن حجر ومن الاستخفاف به القاوه في القاذورات لغير عذر ولا قرينة
تدل على عدم الاستهزا وان ضعفت والمراد بها النجاسات مطلقا بل والقذر الطاهر
ايضا كما صرح به بعضهم وكالقا المصحف ونحوه بالقذر تلطيخ الكعبة وغيرها من
المساجد بنجس ولو قيل ان تلطيخ الكعبة بالقذر الطاهر كذلك لم يبعد الا ان كلامهم
ربما ياباه والقاه المصحف في المكان القذر كالقايه في القاذورات انتهى ملخصا او
سبهما اي سب القرآن او شيا منه والمراد به الفاظه والمراد بالصحف صور الالفاظ
الموضوعة وما كتبت فيه او كذب به اي كذب القرآن العظيم بتكذيب ما فيه او جحده

اي انكره بغيا وعنادا والفرق بين التكذيب والجحد ان الاول مطلق الانكار والثاني
الانكار لما يعلم حقيقته عنادا او حرفا منه اي كذب او جحد جزا من القران كانكار سورة
منه او آية اي انكر آية منه ومن انه لا تزاد الزيادة او النقص الواقع في القرآن فانه وقع
زيادة بعض حروف وكلمات فيها بل آيات كالبسملة في الفاتحة فانه ليس زيادة ونقصا من
القاري لتواتره فان ما بين دفتي المصحف متواتر او كذب به اي بحرف منه ملفوظا او
مكتوب او كذب بشي منه اي ما تضمنه من الاحكام وغيرها او كذب بشي مما صرح به
كبعض الرسل المصرح بهم فيه من حكم من احكامه الشرعية كالصلاة والزكاة والحج والعمرة
او خبر مما اخبر به كاباء ابليس السجود لادم عليه الصلاة والسلام وغيره او اثبت ما
نفاه القرآن او نفى ما اثبته كنفي بعض الخوارج سورة يوسف وقولهم انها ليست قرانا
على علم منه بذلك المذكور من النفي والاثبات بخلاف ما اثبته او نفاه على غير علم
او شك في شي من ذلك المذكور كله فهو كافر بسبب ما صدر منه عند اهل العلم باجماع
من اهل العلم المعتد بهم ثم استدل على ما ذكر فقال قال الله تعالى وانه اي القران
المذكور في قوله ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم لكتاب عزيز اي منيع محمي بحماية
الله كما قال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون لا ياتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد هو مثل ضربه الله لنفي تعلق الابطال به وانه
لا يتوصل اليه فلا يجد طعن طاعن اليه سبيلا لانه في غاية الاحكام والرصانة
فلا يتطرق الباطل له من جهة من الجهات فقوله من بين يديه ومن خلفه كناية عن ساير
الجهات كما في الكشاف وتحقيقه في شروحه والباطل فسر هنا بالشيطان والسحر ثنا
اختصار لحدثنا وقد يكتفى برمزنا كما بين في مصطلح الحديث وهو اشهر من ان يذكر الفقيه
ابو الوليد هشام بن احمد تقدم بيانه قال حدثنا ابو علي الحافظ الغساني الثقة
وقد تقدم قال حدثنا ابن عبد البر النمري الحافظ امام اهل المغرب بل الدنيا كما تقدم
قال حدثنا ابن عبد المومن هو عبد الله بن محمد بن عبد المومن القرطبي وله ترجمة مفصلة
في الميزان قال حدثنا ابن داسة بمهملتين مفتوحتين الامام ابو بكر راوي سنن ابي
داود عنه كما تقدم تفصيله قال حدثنا ابو داود سليمان بن الاشعث السجستاني
صاحب السنن وقد قدمنا ترجمته قال حدثنا احمد بن حنبل امام اهل السنة كما تقدم
قال حدثنا يزيد بن هارون ابو خالد الواسطي احد الاعلام كما تقدم قال حدثنا
محمد بن عمرو بن علقمة بن ابي وقاص الليثي اخرج له الشيخان وغيرهما توفي سنة ماية
واربعة واربعين عن ابي سلمة احد الفقها السبعة عند بعضهم وفيه وفي اسمه
اختلاف تقدم في ترجمته عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
في حديث صحيح رواه ابو داود واحمد في مسنده قال صلى الله عليه وسلم المرا بكسر
الميم وراء مهملة قبل مد مصدر ماراه يماريه مراء من المرية قال الراغب هي التردد
في الامر وهي اخص من الشك قال ثم فلا تكن في مرية من لقايه والامترا والمماراة
المحاجة فيما فيه مرية قال ثم ما كانوا فيه يمترون وقال ثم فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا
واصله من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها للحلب انتهى في القران كفر وفي رواية
ابي داود لا تماروا في القرآن فان مراء فيه كفر ثنا او ك بضم المثناة الفوقية والهمزة

وبواو مشددة ولام مجهول تاوله اي فسره بعضهم **بمعنى الشك و** فسره **اخرون بمعنى الجدال** الشك معلوم والجدال من الجدل وهو النزاع والمغالبة من جدلت الحبل اذا احكمت فتله كان كل واحد يفتل صاحبه عن رايه اي يصرفه وقيل اصله الصراع لاسقاط كل انسان صاحبه على الجدالة وهي الارض الصلبة قال تعالى قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا ونحوه قاله الراغب وفي نهاية ابن الاثير تبعا للهروي المرا الجدال والتماري والمماراة المجادلة على مذهب الشك والريبة ويقال للمناظرة مماراة لان كل واحد يستخرج ما عند صاحبه ويمتريه كما يمتري الحالب اللبن من الضرع وقال ابو عبيد ليس وجه الحديث عندنا على الاختلاف في التاويل بل على الاختلاف في اللفظ وهو ان يقرا الرجل على حرف فيقول الاخر ليس هو هكذا لكنه على خلافه وكلاهما منزل مقروء به فاذا جحد كل واحد قراءة صاحبه لم يؤمن ان يكون ذلك اخرجه الى الكفر لانه نفى حرفا انزله الله على نبيه وتنكير لفظ مرا في رواية ابي داود ايذانا بان شيا ما منه كفر فضلا عما زاد عليه وقيل انما جاء هذا في الجدال والمرا في الايات التي فيها ذكر القدر ونحوه مما هو على مذهب اهل الكلام والاهواء والاراء دون ما تضمن الاحكام من الحلال والحرام فانه ما جرى بين الصحابة والعلما من بعدهم والغرض الباعث عليه ظهور الحق ليتبع دون الغلبة والتعجيز انتهى وقيل الاظهر ان المراد بالمرا الاختلاف في القراءات المتواترة كما في البخاري ولا يخفى انه القول الاول بعينه فلا وجه لعده وجها اخر **وعن ابن عباس** رضي الله عنهما في حديث رواه ابن ماجة **عن النبي صلى الله عليه وسلم** انه **قال من جحد** اي انكر **اية من كتاب الله من المسلمين** الذين لم يتوب عهد اسلامهم **فقد حل ضرب عنقه** اي قتله لتكذيبه الله ورسوله **وكذلك** اي مثل من جحد اية من القران فاوجب ذلك قتله **ان جحد التوراة والانجيل وسائر كتب الله المنزلة** بجملتها اجمالا **او كفر بها** بانكار نزول الوحي على الرسل **او لعنها او سبها** بجعل ما ينقصها **او استخف بها** اي اهانها وحقرها **فهو كافر** لانها كلها كلام الله سواء قلنا بالكلام النفسي او بقدم الالفاظ على مذهب السلف والشهرستاني صاحب الملل والنحل على ما نقله عنه في المواقف وارتضاه المحققون **وقد اجمع المسلمون على ان القران المتلو** اي المقروء بالسنتنا **في جميع اقطار الارض** اي نواحيها وجهاتها المعمورة جمع قطر بضم فسكون بمعنى ناحية وجانب **المكتوب في المصحف** وفي نسخة في المصاحف **بايدي المسلمين مما جمعه الدفتان** مثنى دفة بفتح الدال المهملة وضمها وهو جانب الشي الذي يغشيه من جلد وخشب ونحوه ومنه دفة السفينة لشكلها وروي فيه الدفات بالجمع مكان التثنية **من اول الحمد لله رب العالمين الى اخر قل اعوذ برب الناس** اي من اول هذه السورة فانه علم لها بالغلبة يقال قرات الحمد لله اي هذه السورة فهو شامل لمن قال ان البسملة اية منها ولمن قال بخلافه على الخلاف المشهور فيها كما قيل في حديث كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين انه اسم من اسماء سورة الفاتحة اي كانوا يفتتحون السورة المسماة بالحمد لله الخ فلا حجة فيه على ان البسملة ليست اية منها ومثله عبارة المصنف فلا وجه لما قيل من انه بناء على مذهب مالك من ان البسملة ليست اية منها فان العبارة جارية على المذهبين ويجوز في قوله الحمد لله رب العالمين الجر والرفع على

الحكاية وكذا النصب على حكاية قراءة شاذة فيه قيل ويجوز كون كسر الدال اتباعا للام **انه كلام الله تعالى ووحيه المنزل** به جبريل عليه الصلاة والسلام **على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان جميع ما فيه حق** اي ثابت لا ريب فيه لفظا ومعنى من امر ونهي وخبر ومواعظ **وان من نقص منه قاصدا لذلك** فان لم يقصده لنسيان ونحوه فلا حرج فيه **او بدله بحرف اخر مكانه** هو كناية عن انه اسقط ذلك واثبت هذا **او زاد فيه حرفا** لم يقرا به **مما لم يشتمل عليه المصحف العثماني** المسمى بالامام **الذي وقع الاجماع** من الصحابة **عليه واجمع** بيناء المجهول وقيل اجمع مبني للفاعل بمعنى فصل وعزم **على انه ليس من القران** اي ما زاده فيه ولو حرفا **عامدا** بالقصد **لكل هذا انه كافر** فان قلت ما بين الدفتين يشمل البسملة في اول كل سورة بانها ثابتة في المصحف العثماني وبها قرا بعض القراء السبعة فصلا ووصلا فيلزم تكفير ما قال انها ليست قرانا في اوايل السور قلت المراد بما بين الدفتين ما اثبت فيه متفقا على قرانيته وهذا ليس كذلك فهو كاسماء السور وهذا معلوم من قوله الذي وقع الاجماع عليه فخرج ما ذكر والمراد بتبديل القران بغيره تبديله مع اعتقاد انه قران فلا يدخل فيه من يترجم القران بالفارسية ويصلي به لعجزه عن التكلم بالعربية كما في رواية عن ابي حنيفة فان المترجم لا يقول ان كلامه قران وكلام الله وهذا مع ظهوره خفي على بعض الشراح حتى اجاب بان ابا حنيفة رجع عن هذا القول وهو مما يقضى فيه العجب ولو كان كذلك كان حكما بكفر قائله قبل الرجوع فتدبر **ولهذا** اي لاجل ان جميع ما في المصحف حق وان من زاد فيه او نقص كافر **راى الامام مالك ان من سب عائشة** ام المومنين رضي الله عنها **بالفرية** بكسر الفا مصدر اي الافترا والكذب عليها بما قاله المنافقون في قصة الافك المشهورة وتعريف الفرية للعهد **لانه خالف القران** الذي اثبت فيه براءتها من تلك الفرية **ومن خالف القران عمدا قتل اي لانه كذب بما فيه** فكذب الله ورسوله مع اثبات ما ينقص مقام النبوة كما لا يخفى وقد اعترض على المنقول عن مالك في حق عائشة بانه لا يتم مدعى ودليلا بانه ان اراد بتكذيب القران فيه انه كذبه حيث قذف عائشة فلا نص فيه على ذلك لان خصوص السبب غير معتبر في تخصيص الحكم وان اراد ان مخالفة القران بارتكاب ما صرح به فيه من النهي فيلزم تكفير كل من ارتكب كبيرة وردت في القران النهي عنها وليس كذلك الا ان يستحل ما ارتكبه بعد العلم به مع انه قد صرح في الاية بانه يخلد على انه لو سلم انه كفر يكون حكمه حكم المرتد فان اسلم لا يقتل وجوابه ان هذا مخصوص بعائشة عند مالك قال القرطبي من سب عائشة رضي الله عنها مطلقا كفر لقوله عز وجل يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مومنين لان فيه اذية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بهتك عرض زوجاته فهو كفر قال هشام بن عمار سمعت هذا من مالك وقال ابو بكر بن عربي قال اصحاب الشافعي من سب عائشة ادب كسائر المومنات وقوله ان كنتم مومنين لا يقتضي كونه كفرا حقيقة لحديث لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن ولئن ان اهل الافك رموا عائشة المطهرة بفاحشة براها الله منها ومن سب من براه الله بما براه منه فقد كذبه ومن كذب الله فهو كافر وهذا طريق قول مالك وقيل عليه ان ما نقله ابن عربي عن الشافعي ليس كذلك فانه صرح في شرح الروض بخلافه وان مذهبهم كمذهب مالك في خصوص

نسخة

عايشة وقال في الكافي ايضا ولو قذف عايشة بالزنا صار كافرا بخلاف غيرها من
الزوجات لان القرآن العظيم نزل ببراءتها وسياتي ايضا حكم قذف غيرها في كلام المصنف نقلا
عن ابن شعبان وقال ابن القاسم من ايمة المالكية من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما
يقتل لانه كذب الله في قوله وكلم الله موسى تكليما واتى بالمصدر المؤكد تلميحا للاية وايماء
الى انه نص فيه ما يمنع عن تاويله وحمله على المتجوز فيه وهذه المسئلة تقدمت في نفي
صفات الله ثم فلا تكرار في كلامه وقاله اي ما ذكر من نفي تكليم الله لموسى عبد الرحمن بن
مهدي بن حسان ابو سعيد البصري اللؤلؤي الحافظ احد الاعلام في الحديث قال ابن
المديني كان اعلم الناس بالحديث ولد في سنة ثلاث وستين وتوفي في سنة ثمان وتسعين
ومائة واخرج له الستة وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان بكسر الواو المشددة
وهما سورة قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس سميتا باولهما ليستا اي السورتان
من كتاب الله اي القران يضرب عنقه اي يقتل الا ان يتوب فيرجع عما قاله وهذا
اشارة الى ما اشتهر عن ابن مسعود من ان المعوذتان ليستا من القرآن وانهما دعاآن كان
يتعوذ بهما صلى الله عليه وسلم كقوله اعوذ بكلمات الله التامة من كل هامة ولامة وقد قال
ابن حزم انه افتراء عليه وكيف يتوهم في مثله من اهل اللسان من عدم الفرق بين الكلام
المعجز وغيره وسبب الغلط انه لم يكتبهما في مصحفه اكتفاء بحفظه او انه كتب مصحفه قبل
نزولهما وكان لكل احد من كبار الصحابة مصحف يخصه فلما كتب المصحف العثماني بمعرفة
الصحابة ترك تلك المصاحف كلها وفي الانوار من كتب الشافعية وانه لو قال ليست
المعوذتان من القرآن اختلف في كفره وقال بعضهم ان كان عاميا كفر او عالما فلا قال
ابن حجر في الاعلام والوجه كفر منكر المعوذتين اذا كان مخالطا للمسلمين لان ذلك لا يخفى
على احد منهم وقال في فتاويه وكذا يكفر من انكر آية او حرفا من القرآن مجمع عليه كالمعوذتين
بخلاف البسملة فان قلت قد انكر ابن مسعود كون المعوذتين قرانا قلت قال النووي
يشبه انه كذب عليه فان قلت هل من جواب على تقدير الصحة التي انتصر لها شيخ الاسلام
ابن حجر وهي انه جا من طرق صحيحة قلت الجواب عنه انه لم يستقر الاجماع عند انكاره
على كونهما قرانا اما الآن فقرانيتهما معلومة من الدين بالضرورة يكفر منكرها على ان
ما روي من انكاره انما هو انكار رسمهما في مصحفه لا لكونهما قرآنا كما قاله الباقلاني ۝
وغيره لانه لم يثبت في المصحف الذي عنده الا ما امر النبي صلى الله عليه وسلم باثباته
وهو لم يجده مكتوبا عنده ولا سمع امره به انتهى وكذلك كل من كذب بحرف منه اي يضرب
عنقه الا ان يتوب قال سحنون وكذلك اي يقتل ان لم يتب ان شهد شاهد عدل على من
قال ان الله تعالى لم يكلم موسى تكليما كما مر وشهد آخر عليه اي على من قال ذلك
القول انه قال ايضا ان الله تعالى ما اتخذ ابراهيم خليلا يقتل لانه ينفي ما اثبته
الله فهو مكذب لله ولرسوله لانهما بما شهدا به عليه اجتمعا على انه كذب النبي صلى
الله عليه وسلم فيما جاء به من الوحي من ورود تكليمه واتخاذه خليلا في القرآن مصرحا
به وفي هذا اشارة الى مسئلة ذكرها الفقهاء وهي تلفيق الشهادة بان يشهد كل منهما على شي
غير ما شهد عليه الآخر بحسب العبارة لكن المعنى المقصود منهما واحد فهل ينظر الى الاول
فلا تقبل الشهادة او للثاني فتقبل كان شهد شاهد على انه وكله في امور وشهد آخر

على انه جعله وصيا له في حياته او وكله في بيع هذه الجارية وآخر انه وكله في بيعها
وبيع عبد آخر معها ويسمى تلفيقا وتواردا عند الفقهاء وله نظاير كثيرة وللفقهاء فيه
خلاف مفصل في كتب الفقه وقال ابو عثمان بن الحداد القاضي المصري الشافعي الكنان
صاحب التاليف البديعة والاثار العجيبة توفي في سنة اربع واربعين وثلثماية وترجمته
في التواريخ غنية عن الاعادة كذا في بعض الشروح ولست على ثقة منه جميع من ينتحل
التوحيد اي ادعاه وانتسب اليه ويستعمل كثيرا بمعنى الزعم والنحلة والعطية والهبة ايضا
وهو بحاء مهملة كناية هنا عن اهل الاسلام الموحدين وما قيل من انه عبر به هنا لانه
تصديق وكيفية نفسانية يعلمها الله عز وجل من غير دخل للعبد فيها وانما هو مدعيه لنفسه
ويثبته له تكلف وركيك متفقون على ان الجحد بحرف من التنزيل اي القران المنزل
على رسوله صلى الله عليه وسلم كفر وعداه بالباء وهو متعد بنفسه لواحد ولاثنين او
وباللام كما وقع في بعض النسخ المتقوية لتضمنه للكفر لقوله بعد كفر وكان ابو العالية
تقدم في ترجمته ان ابا العالية اثنان ولا ندري المراد به هنا منهما اذا قرا عنده رجل
بقراءة غير التي قراها لم يقل له اي لمن قرا عنده انه ليس كما قرات لئلا ينكر شيا من القران
ويقول للقاري اما انا فاقرا كذا تفاديا عن الانكار صريحا فبلغ ذلك اي قول
ابي العالية ابراهيم الظاهر انه النخعي لشهرته كما تقدم في ترجمته ويحتمل انه التيمي فقال
ابراهيم اراه بضم الهمزة اي اظنه ويجوز فتحها سمع انه من بدل من الضمير اي ان من كفر
بحرف منه فقد كفر بكله اي القران وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فيما رواه
عبد الرزاق عنه من كفر باية من القران فقد كفر به كله لانه تكذيب لقايلها عز وجل
وقال اصبغ بن الفرج بالجيم المصري بالتشديد من كذب ببعض القران فقد كذب
به كله ومن كذب به كله فقد كفر به ومن كفر به فقد كفر بالله سبحانه وقد سيل
ابو الحسن القابسي الحافظ وقد قدمنا ترجمته عمن خاصم يهوديا فحلف اليهودي له
بالتوراة فقال الآخر الذي خاصمه لعن الله التوراة فشهد عليه شاهد واحد بذلك
الذي قاله ثم شهد آخر انه ساله عن القضية التي جرت بينهما فقال اللاعن انما لعنت
توراة اليهود المحرفة التي بعثوها بينهم فقال ابو الحسن القابسي المسئول منه
الشاهد الواحد لا يوجب القتل لعدم تمام نصاب الشهادة عليه والشاهد الثاني علق
الامر الذي شهد به بصفة هي توراة اليهود التي يتدارسونها بينهم وتلك الصفة التي
تحتمل التاويل في كلام اللاعن لان توراة اليهود تحتمل التي نزلت على نبيهم وتحتمل
التي حرفوها وانها توراتهم لا توراة نبيهم وكلام الله اذ لعله اي القايل لعن الله التوراة
لا يرى اي لا يعتقد ان اليهود متمسكين بشي من عند الله مما اوحي به لموسى صلى الله
عليه وسلم لتبديلهم وتحريفهم التوراة التي اتى بها موسى عليه الصلاة والسلام ۝
بتبديل بعض الفاظها وتاويل بعض بما لم يرده الله ولو اتفق الشاهدان في شهادتهما على
لعن التوراة لعنا مجردا عما قاله ثانيا من تعليقه بامر وتقييده بصفة تحتمل اضافتها
لليهود لضاق التاويل عن صرفه عن ظاهره لامر آخر ونقل ابن حزم ان بعضهم انكر تحريف
التوراة وقال انها وصلت اليهم تواترا وانما اخطاوا في تفسيرها وهذا لا ينبغي لمسلم
ان يعتقده بعد قوله تعالى يحرفون الكلم من بعد مواضعه والقران والاحاديث شاهدة بخلافه

فلا حاجة لنا بالاشتغال بمثله وعمل التاويل فتعريف التوراة في كلامه للعهد اي
نسختها المحرفة المبدلة **وقد اتفق فقهاء بغداد** المدينة المعروفة وهي فارسية معربة
وفيها لغات فدالها تهمل وتعجم وتبدل الاخيرة نونا **على استتابة ابن شنبوذ** اي على
انه طلب منه التوبة عما صدر منه مما نسب اليه **المقري** اسم فاعل من اقرأ مكرم مهموز الآخر
وهو العالم بعلم القراآت ووجوهها من كيفية الادا المعروفة وابن شنبوذ هو ابو الحسن محمد
بن احمد بن ايوب بن الصلت بن شنبوذ بفتح الشين المعجمة وسكون النون وضم الباء الموحدة
وواو ساكنة ودال معجمة علم اعجمي ممنوع من الصرف وقول التلمساني انه يجري ولا يجرى
اي ينصرف ويمنع من الصرف لا وجه له وهو **احد ايمة المقريين المتصدرين** للاقراء **بها**
اي ببغداد **مع ابن مجاهد** احمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي الاستاذ ابو بكر
البغدادي رئيس القرا وهو اول من جمع القراآت ولد سنة خمس واربعين ومايتين فابن
شنبوذ من مشاهير علما القراآت من اقران ابن مجاهد وكان بينهما منافسة ومخاصمة
وكان من الاعيان العلما الرؤسا مع غفلة فيه ولما تصدر للاقرا في القراآت انكروها
عليه فعقد له مجلس واثبت عليه ذلك فاغلظ عليه القول وضرب بالسياط وخشي
من علو الناس عليه فاخرج للمداين او للبصرة ثم عاد لبغداد وكتب عليه محضر بعد استتابته
ان لا يقرئ بما كان يقرأ به في الصلاة وغيرها من الشواذ كما قال المصنف **لقراءته واقرائه
بشواذ** جمع شاذ وهو ما لم يتواتر **من الحروف** جمع حرف بمعنى الوجه واللغة وهو احد الوجوه
في حديث انزل القرآن على سبعة احرف كلها كاف شاف والمصدر ان تنازعا فوله
بشواذ **مما ليس في المصحف** تعريفه للعهد والمراد به مصحف عثمان بن عفان المسمى
بالامام والذي ذكره ابن الانباري في طبقات النحاة انه كان يرى القراءة بالراي فيما
وافق العربية واليه يميل كلام الزمخشري والرضي والذي شدد عليه النكير الوزير ابن
مقلة الاتي ذكره فدعا عليه ابن شنبوذ ان يقطع الله يده ويشتت شمله فاستجاب الله
تعالى دعاه فيه وتوفي سنة ثمان وعشرين وثلثماية يوم الاثنين لثلاث خلون من صفر
وكان مجاب الدعوة وفي القاموس انه احمد بن احمد بن شنبوذ وهو مخالف لما في التواريخ
وعقدوا عليه العقد اصل معناه الربط مقابل الحل والمراد به ما يعين من غير تردد فيه
والعهد ايضا **بالرجوع عنه** اي عما كان يذهب اليه من الاقرا بما ليس في المصحف العثماني
مما تقدم **والتوبة منه** باعترافه بخطايه وندمه ثم العزم على عدم الرجوع اليه **سجلا**
بكسر السين والجيم وتشديد اللام وهو في الاصل اسم لما يكتب فيه فاك ثم كطي السجل
اي كطيه لما كتب فيه حفظا له ثم اختص في العرف بما يكتب فيه حجة شرعية ووثيقة
وهو المراد هنا **اشهد فيه** بينا الفاعل اي رضي بشهادة من حضر **بذلك** اي برجوعه
وتوبته **على نفسه في مجلس الوزير ابي علي بن مقلة سنة ثلاث وعشرين وثلثماية**
من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام والوزير الكاتب المشهور استوزره
الخليفة المقتدر بالله سنة عشر وثلثماية ثم قبض عليه سنة ثمان عشرة وصادره
ونفاه لفارس ثم استوزره القاهر بالله واتهمه بامر فاستعفاه من الوزارة فلما تولى
الراضي بالله سنة اثنين وعشرين استوزره ثم غضب عليه وقطع يده وسجنه فقال
وهو مسجون ●

خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها ● فلسنا من الاحيا فيها ولا الموتى ●

● اذا جانا السجان يوما لحاجة ● فرحنا وقلنا جا هذا من الدنيا ●
● ونفرح بالرؤيا فجل حديثنا ● اذا نحن اصبحنا الحديث عن الرؤيا ●

ومن الحكمة السجن قبر الاحيا والوزير وكيل السلطان في تصرفاته واختلف في اشتقاقه
هل من الوزر بالسكون او التحريك او من الازر بالهمزة لكونه يشد ازره او يتحمل ثقله
واوزاره واليه اشار الغزي بقوله ●

● هو الوزير ولا ازر يشد به ● مثل العروض له بحر بلا ماء ●

وكان فيمن افتى عليه بذلك اي بما لزمه **ابو بكر الابهري** المالكي احد فقهاء بغداد
المشهورين بها وابهر بفتح الهمزة والباء الموحدة وسكون الهاء قبل راء مهملة مدينة مشهورة
وقيل بواو ساكنة وهاء مفتوحة **وكذا غيره** من العلما **وافتى ابو محمد بن ابي زيد** القيرواني
وقد قدمنا ترجمته **بالادب** اي بالتاديب والتعزير بما يليق به **فيمن قال لصبي**
يتعلم القرآن **لعن الله معلمك** اي الذي علمك القرآن واقراكه **وما علمك** اي ولعن
ما علمك وهذا هو الذي يخشى عليه منه لان الذي علمه معلوم لا يجوز الاستخفاف به
فضلا عن لعنه فهو بحسب الظاهر منكر جدا **قال** اوله **وقال** الاعن **اردت** بما المذكورة
الصادقة على المعروف وصفته التي وقع عليها وهو **سوء الادب** في حال قراءته وعدم
تعظيم ما قراه ووقوعه على حال غير مستحسنة فان للقاري آدابا ذكروها من خالفها
تاديبه **ولم ارد** بما في كلامي **القرآن** الذي تعلمه **قال ابو محمد** بن ابي زيد **واما من
لعن المصحف** وفي نسخة من لعن القرآن **فانه يقتل** لجراته على الله تعالى وعلى كلامه
ولعنه عاين عليه والمراد انه يكفر فيستحق القتل والله الموفق ●

فصل وسب آل بيته وازواجه امهات المؤمنين واصحابه

صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين السب الشتم كما مر وآل النبي صلى الله عليه وسلم
للفقها فيهم اختلاف مذكور في كتب الفروع فذهب الشافعي الى انهم علي وفاطمة وولداهما
والعباس وجعفر وعقيل والهم وهم من لا تحل لهم الزكاة من بني عبد المطلب لحديث نحن وبنو
المطلب شي واحد لم نفترق في جاهلية ولا اسلام وشبك بين اصابعه وبقية الكلام عليه
مفصل في محله وازواجه جمع زوج او زوجة وهي المنكوحة والاصحاب جمع صاحب وهو من لقيه
صلى الله عليه وسلم مسلما **وتنقصهم حرام** شرعا لكرامتهم عنده وثناء الله عليهم في
كتابه العزيز في آيات عديدة **ملعون** مطرود مبعد من رحمة الله **فاعله** ومن يصدر منه
فصله ثم اوضحه بحديث صحيح رواه الترمذي فقال **حدثنا القاضي الشهيد ابو علي**
هو الحسين بن محمد بن فيره الصدفي المعروف بابن سكرة كما تقدم **قال حدثنا ابو الحسين
الصيرفي** تقدم ايضا **وابو الفضل العدل** هو احمد بن الحسين بن خيرون الحافظ كما تقدم
قالوا حدثنا ابو يعلى احمد بن عبد الواحد المعروف بزوج الحرة كما تقدم **قال حدثنا ابو
علي السنجي** احمد بن محمد المروزي كما تقدم **قال حدثنا ابن محبوب قال حدثنا الترمذي**
صاحب السنن وقد تقدمت ترجمته **قال حدثنا محمد بن يحيى** بن عبد الله بن خالد بن فارس
ابو عبد الله الذهلي توفي في سنة خمس وخمسين ومايتين **قال حدثنا يعقوب بن ابراهيم**
ابن سعد الزهري توفي في سنة مايتين وثمان واخرج له الستة كما تقدم **قال حدثنا عبيدة**

قه
نبي
مذي
ر
هيم

ابن ابي رابطة بفتح العين المهملة تليها موحدة مكسورة عند الحفاظ كما قاله ابن ماكولا والذهبي وضم عينه كما في بعض النسخ خطأ من الناسخ كما قاله السبكي وتبعه البرهان الحلبي وهو ثقة اخرج له اصحاب السنن عن عبد الرحمن بن زياد اخو عبيد الله ابن زياد وهو غير معروف عن عبد الله بن مغفل بزنة اسم المفعول مفتوح الغين المعجمة مشدد الفا قال ابن مغفل رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله بنصبهما تحذيرا وكرر ووضع الظاهر موضع الضمير مبالغة في التحذير وتاكيدا في تفخيم شانهم وتوقيرهم اي اتقوا الله في حق اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي اي بعد موتي فانهم في حياته صلى الله عليه وسلم لم يصبهم ما يخصهم من ضرر وفيه اخبار بالغيب فانهم بعد موته صلى الله عليه وسلم حل بهم امور عظيمة كقصة الدار وصفين وقتل الفاروق وتقدم ان الغرض هو الهدف الذي ينصب لرمي السهام فشبه به من يذم ويطعن فيه ويلزمه تشبيه كلامه بالسهام التي ترمى كقوله

• سهم اصاب وراميه بذي سلم • من بالعراق لقد ابعدت مرماك •

وعليه قول العارف ابن الفارض نفعنا الله تعالى به هـ عرضت نفسك للبلا فاستهدف وهو هنا استعارة وقيل انه تشبيه بليغ وليس هذا محل تفصيله والعامل هنا مقدر يجوز اظهاره وقيل انه لا يجوز اظهاره اذا تكرر لان الثاني قايم مقام العامل وقيل اظهاره ايضا جاير مع فتحه كما تقدم عن الجزولي والكلام عليه مفصل في كتب النحو قال ابن حجر في الزواجر اكد التحذير من ذلك بقوله الله الله اي احذروا الله على حد قوله ويحذركم الله نفسه كما تقول لمن تراه مشرفا على وقوعه في نار عظيمة النار النار فمن احبهم فبحبي اي بسبب حبي لهم على مراتبهم عندي احبهم لا لغرض آخر من امور الدنيا ومن ابغضهم فببغضي اي بسبب عداوتي كعداوة المشركين ابغضهم لا لشي آخر قال ابن حجر بعد ما تقدم فتامل عظيم فضايلهم ومناقبهم التي نوه بها حيث جعل محبتهم محبة له وبغضهم بغضا له وناهيك بذلك جلالا وشرفا فحبهم وبغضهم عنوان محبته وبغضه ومن ثمه كان حب الانصار من الايمان وبغضهم من النفاق لبذلهم الاموال والانفس في محبته ونصرته ومن آذاهم فقد آذاني لان المحب المخلص يسوءه ما يسوء حبيبه ويسره ما يسره وتاخيره الاذية عن البغض في محله لترتبها عليها ومن آذاني حقيقة بفعل ما يسوءه حقيقة في نفسه واتباعه فقد آذى الله الاذية ايصال الضرر فهي هنا مجاز عن مخالفة امره ونهيه اذ لا يتصور الاذية في حقه عز وجل ومن آذى الله اي عصاه يوشك بزنة يكرم اي يقرب من ان ياخذه اي يهلكه يقال وشك واوشك ان يخرج اي قرب اسراعه للخروج قال هـ

وصار على الاذنين كلا واوشكت • صلاة ذوي القربى له ان تنكرا •

والاخذ كما قال الراغب حوز الشي وتحصيله وذلك تارة يكون بالتناول نحو معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده وتارة بالقهر كقوله تعالى لا تاخذه سنة ولا نوم هـ والمؤاخذة المجازاة انتهى فياخذه هنا اما بمعنى يقهره او يجازيه على اذيته وفي هذا الحديث اشارة الى شدة قربهم منه صلى الله عليه وسلم وتنزيلهم منزلة نفسه حتى كان اذاهم اذية له واقعة عليه ثم اظهر ذلك على وجه اكمل بقوله فقد آذى الله اذ لا يتصور الله شي نهاية لشدة قربه صلى الله عليه وسلم من الله فهو مجاز بهذا الاعتبار المجازي ايضا

وقال

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فمن سبهم فعليه لعنة الله والملايكة والناس اجمعين تاكيد للعموم لا يقبل الله منه صرفا اي توبة اوطاعة تصرف وجهه لجانب الله ولا عدلا اي فدية او فريضة وقد تقدم الكلام على هذا الحديث فتذكره وقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فانه يجي قوم اي ناس من المسلمين وضمير انه ضمير شان في آخر الزمان يسبونهم اي يسبون الاصحاب فلا تصلوا عليهم بعد موتهم ولا تصلوا معهم اي لا تقتدوا بهم والنهي كما قيل تنزيهي لجواز الاقتدا بالمبتدع والصلاة خلف كل بر وفاجر جاير ولا تناكحوهم اي لا تتزوجوهم ولا تزوجوا منهم ولا تجالسوهم اي لا تعاشروهم ولا تخالطوهم وان مرضوا وانقطعوا في بيوتهم لمرض اصابهم فلا تعودوهم اي لا تذهبوا لعيادتهم وهو مبالغة في اهانتهم وتركهم بالكلية جزاء لهم باظهار عداوتهم وهذا كله مما خرج مخرج التغليظ عليهم وقيل انه يحتمل انه كشف له صلى الله عليه وسلم عن سرايرهم وانهم كفرة باطنا ولا يخفى انه غير صحيح فانه في قوم غير معينين والحكم بالامر الباطني لا يجوز لامته كما تقدم فكيف يامر به غيره وظاهر هذا الحديث ان سب الصحابة كفر مطلقا وليس كذلك فان فيه تفصيلا ياتي فاما ان يحمل على المبالغة والتغليظ في الزجر او يقال انه من معجزاته صلى الله عليه وسلم بان يكون من الاخبار عن المغيبات فاخبر عن بعض من وقع منه ما هو كفر كبعض الرافضة كما ورد التصريح به في بعض الاحاديث كالحديث الذي رواه البيهقي في دلايل النبوة بسند حسن عنه صلى الله عليه وسلم انه قال يخرج قبل قيام الساعة قوم يقال لهم الرافضة يرفضون الاسلام فاقتلوهم فانهم مشركون • ولذلك اشار الصرصري في قصيدته النبوية في قوله هـ

• وكذاك اخبر ان سب صحابة • ما لمصر عليه من غفران •
• علما بقوم يجهرون بسبهم • من كل غمر فاحش لعان •

وقد قيل من ابغض الصحابة من حيث هم صحابته فقد ابغضه صلى الله عليه وسلم وآذاه وايضا منهم قوم صرحوا بما هو كفر وهم كفرة ليشتهروا بالرفض وحب اهل البيت فما في الحديث صريح في كفرهم من ترك الصلاة عليهم ومناكحتهم ومجالستهم وهم يرون ترك الجمعة والجماعة وغير ذلك مما هو كفر وعنه صلى الله عليه وسلم في حديث آخر من سب اصحابي فاضربوه تعزيرا له واهانة لمن تبع هواه وامثاله وفي الحديث ايضا من سب اصحابي فاجلدوه كما ياتي وقد اعلم النبي صلى الله عليه وسلم ان سبهم واذاهم من عطف العام على الخاص يؤذيه وايذاء النبي صلى الله عليه وسلم حرام بالاتفاق وايذا مصدر آذاه وقوله في القاموس لا تقل ايذاء غلط فانه مصدر قياسي وقد سمع ايضا وفي نسخة واذى فقال لا تؤذوني في اصحابي ومن آذاهم فقد آذاني وقد تقدم ما فيه وفي الانوار لو استحل ايذاء احد من الصحابة كفر وفي الاعلام واستحلال ايذاء غير الصحابة مكفر ايضا كما هو ظاهر ومحل تكفير المستحل ايذاء صحابي ما لم يكن عن تاويل ولو خطا لانه ظني فله شبهة ما تمنع الكفر تنبيه الحديث تقدم ورواه الترمذي وقال انه صحيح حسن لا تسبوا اصحابي فو الذي نفسي بيده لو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما ادرك مد احدهم ولا نصيفه فيه سوال مشهور وهو ان المخاطب به الصحابة والحديث هنا يقتضي خلافه واجيب بان مراده باصحابي من اسلم قبل

الفتح من السابقين الاولين والمخاطب من اسلم بعده ويشير اليه قوله مثل احد لقوله تعـ لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح الاية فالمراد بالخطاب غيرهم وان شملت الصحبة الجميع قاله السبكي وقال سمعت ابن عطا الله يقول في وعظه للنبي صلى الله عليه وسلم تجليات يري فيها من بعده ويخاطبه ومنه خطابه هذا وهو منزع صوفي فالحديث شامل لجميع الصحابة وعلى غيره مخصوص بالمتقدمين ويلحق من بعدهم في حكمهم وعليهما الحرمة ثابتة للجميع والكلام في سب بعضهم معينا او غير معين اما سب الجميع فقيل انه كفر بلا شك كسب الصحابي من حيث انه صحابي فانه تعريض بسب النبي صلى الله عليه وسلم وعليه حمل قول الطحاوي بغضهم كفر فان سب صحابيا لا من حيث كونه صحابيا وكان ممن تحققت فضيلته ممن اسلم قبل الفتح كالروافض الذين يسبون الشيخين وهما السمع والبصر منه صلى الله عليه وسلم كما ورد في الحديث ففيه وجهان فانه قد يكون لامر آخر دنيوي غير الصحبة وليس بكفر لانه لتقديم علي واعتقادهم لجهلهم انهما ظلماه وهما بريئان من ذلك وفي كتب الحنفية ان سبهما وانكار امامتهما كفر وفي صحة الصلاة خلفهم خلاف مبني على هذا • هذا زبدة ما قاله السبكي في فتاويه ونقلته من خط البقاعي وقد سئل عن هذا الحديث فاجاب بانه جا في الحديث انه قال يأتي على الناس زمان للعامل فيه اجر خمسين فقالت الصحابة رضي الله عنهم اخمسين منهم فقال بل منكم فيحمل الاول على الانفاق خاصة والثاني على كلمة الحق الآن لا لانه على كمال الايمان لتوقع الضرر بقتل ونحوه لغلبة اهل الفساد والطغيان وعدم الانصار والاعوان • وههنا دقيقة وهي ان قوله تعـ لا يستوي منكم من انفق الاية نص في ان ابا بكر رضي الله تعـ عنه افضل من جميع الصحابة فالخلافة حقه بلا شبهة وفي الانوار ان من انكر خلافة الصديق مبتدع لا كافر ومن سب الصحابة او عايشة من غير استحلال فاسق • واختلفوا فيمن سب ابا بكر وعمر قال غيره في كفر من سب الختنان وجهان قال صلى الله عليه وسلم في حديث آخر لا تؤذوني في عايشة الظاهر انه مخصوص بها رضي الله عنها ويحتمل انه شامل لجميع امهات المومنين رضي الله عنهن ويدل للظاهر الاول ما روي عن ابن عباس انها قالت اعطيت عشر خصال لم يعطهن ذات خمار قبلي • صورت لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان اصور في رحم امي • ولم يتزوج بكرا غيري • وكان ينزل عليه الوحي وهو بين سحري ونحري • وتوفي بين سحري ونحري • ونزلت برآتي من السما في سبع ايات • وكنت احب النساء اليه • وابي احب الرجال اليه وخيرهم • وخير رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بين حاقنتي وذاقنتي • وتوفي في يومي • ودفن في بيتي • قال ابن المنير ومن خصايص عايشة انها ولدت مسلمة بالاسلام ابيها قبل ولادتها قال وهذا لا ادم لاهل السير والتواريخ فيما ينقلونه ولم ار احدا انتزعه قبل ذلك ونصائلها لا تحصى وقال في حق فاطمة الزهرا رضي الله عنها هي بضعة مني قال في مختصر النهاية البضعة بالفتح القطعة من اللحم وقد تكسر وفاطمة بضعة مني اي جزء مني كما ان البضعة قطعة من اللحم انتهى والكسر فيه اشهر على الالسنة لانها متكونة من مائه صلى الله عليه وسلم الذي هو جزء منه وفيه فضيلة لا يساويها غيرها وبهذا الاعتبار يجوز تفضيلها على من سواها لان التفضيل قد يكون من وجه فلا تعارض في مثله لمن له بصيرة يوذيني ما اذاها فيه من احكام البلاغة مرتبة علية فان الجسد كله يتالم بما يتالم به بعضه فمن ضربت يده تالم بالم البدن كله فكونها بضعة علة لما بعده فتدبر

وحديث فاطمة في الصحيحين وقد اختلف العلما في هذا اي فيما يستحقه من صدر عنه سبه فمشهور مذهب مالك في ذلك النكال الذي يستحقه الاجتهاد للحاكم يفوض لرايه وما يقتضيه والادب الموجع بضرب ونحوه قال مالك رحمه الله من شتم النبي صلى الله عليه وسلم قتل حدا او كفرا كما تقدم ومن شتم اصحابه ادب بما يستحقه من تعزير وقذف كغيره وقال ايضا مالك رحمه الله من شتم احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر او عمر او عليا او معاوية او عمرو بن العاص بن وايل السهمي فان قال كانوا على ضلال او كفر قتل ولم يأوله بان قال اردت قبل اسلامهم فان فيه تكذيبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولجميع الامة وهذا مذهب مالك ولم يذكر استثنا به هنا وان شتمهم اي شتم الصحابة بغير هذا المذكور من الضلال بل شتمهم بما هو من جنس مشاتمة الناس بعضهم لبعض فيما يجري بينهم نكل اي عوقب نكالا شديدا بما يوجعه من ضرب مولم ونحوه وقال ابن حبيب المالكي من غلا اي بالغ في غلوه من الشيعة المفرطين في محبة علي واعتقاد افضليته وان الخلافة حقه وهم فرق مشهورة ولهم مذاهب وانتهى في غلوه الى عثمان بالوقوع في حقه والبرآة منه وانه لم يكن خليفة بحق وعلي حق ادب ادبا شديدا حتى ينزجر هو وامثاله بضرب ونحوه ومن زاد في ذلك اي في غلوه في حق الصحابة رضي الله عنهم الى بغض ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فالعقوبة عليه اشد لزيادة جرمه ويكرر ضربه ويطال سجنه بفتح السين ويجوز كسرها حتى يموت في السجن ليتعظ به غيره ولا يبلغ فيه في عقوبته القتل الا في سب النبي صلى الله عليه وسلم وقال سحنون من كفر احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عليا او عثمان او غيرهما من الصحابة رضي الله عنهم يوجع ضربا وهذا المذكور عن مذهب مالك مخالف لما تقدم عن مالك من ان من قال انهم كانوا على ضلال وكفر قتل ولذا عقبه بقوله وحكى ابو محمد بن ابي زيد عن سحنون فيمن قال في ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم انهم كانوا على ضلال وكفر قتل كما تقدم عن مالك وذكره لما فيه من رد قوله ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل هذا بنسبتهم للضلال والكفر نكل اي عوقب النكال الشديد بلا قتل للفرق بين كبار الصحابة وغيرهم وروي عن مالك في قول آخر له من سب ابا بكر جلد تعزيرا له ونكالا ومن سب عايشة رضي الله عنها قتل قيل له اي سئل مالك عن وجه الفرق فيما قاله فقيل له لم قلت هذا قال من رماها اي سبها وافترى عليها بما برأها الله منه والرمي يستعار لما ذكر تشبيها له بالرجم قال

• رماني بامر كنت منه ووالدي • بريئا ومن اجل الطوي رماني •

فقد خالف القرآن لان الله براها فيه من كل عيب في قصة الافك وقال ابن شعبان تقدمت ترجمته عنه اي عن مالك في رواية عنه لان الله يقول في القايلين في حق عايشة رضي الله عنها يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مومنين فمن عاد لمثله فقد كفر لقوله ان كنتم مومنين فمن عاد ليس بمومن كما يدل على ذلك المفهوم لتذكيرهم بما يخلو به من الايمان المانع لهم من العود عما صدر عنهم من القبايح لتهيجهم بصفات الحاملة لهم على الانتقاظ وقد قيل على ذلك ان فيه بحثا لان السب اعم من الرمي ومطلق مخالفة القران لا تقتضي الكفر كما تقدم الا انه ضم الى المخالفة مفهوم الشرط في قوله ان كنتم

وعليه

ض

ير

والكفر

مومنين الخ كما بينه ابن شعبان وخطاب المشافهة في الاية مختص باصحاب الافك وحكم غيرهم استفيد مما تقدم وقوله ان تعودوا لمثله يعني في عايشة بعينها او هي ومن في مرتبتها من امهات المومنين لما فيه من اذية النبي صلى الله عليه وسلم في عرضه واهله وقوله روي بينا المجهول راويه هشام بن عمار فانه نقل عنه انه قال سمعت مالكا الخ وساق ما ذكر برمته انتهى وليس بشي اما قوله السب عام فمسلم ولكنه مخصوص هنا بقرينة المقام وقوله مخالفة القران لا تقتضي الكفر هو كذلك لو بقي على اطلاقه اما اذا انضم اليه انه تكذيب لله ورسوله فهو كفر كما بينه ابن شعبان وتقدم عن ابن العربي المالكي قريبا انه قال ان اصحاب الشافعي قالوا ان من سب عايشة ادب كما في سائر المومنين وقوله ان كنتم مومنين لا يقتضي انه كفر لانه تغليظ في الزجر كقوله لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن ● وانه اجاب بان مالكا سيل عن رمي عايشة رضي الله عنها بالافك فقال ليس هو كرمي غيرها لان الله برأها مما قالوه فراميها مكذب لله فيما اخبر به من براءتها وهو ملحظ اخر لا تعلق له بمفهوم الشرط وتقدم ما فيه ويويده قول ابن عباس من اذنب ثم تاب قبلت توبته الا من خاض في الافك وفي كون النبي صلى الله عليه وسلم حد اصحاب الافك ام لا روايتان ذكرهما الماوردي والكلام عليه مذكور في التفاسير والسير والكلام السابق في سب ابي بكر رضي الله عنه مقيد بغير انكار صحبته فانه كفر عند الشافعية وبعض الفقهاء فانه ثابت بالنص ومجمع عليه كما مر بسطه **وحكى ابو الحسن الصقلي** نسبة الى صقلية بفتح الصاد المهملة وفتح القاف وكسر اللام المشددة وهي جزيرة من جزائر المغرب معروفة هذا هو المشهور على الالسنة قال بعض شعرائها ۞

ذكرت صقلية والاسى ● فهيجت دمعي باذكارها ●

وذكر البرهان الحلبي ان صادها مكسورة وقيل صادها وقافها وكذا رايته في نسخة المعجم للصغاني الا انه ضبط قلم لا يعول عليه **ان القاضي ابا بكر بن الطيب** هو الامام الباقلاني كما تقدم في ترجمته **قال ان الله تعالى اذا ذكر في القران ما نسبه اليه المشركون سبح** اي نزه وبرأ **نفسه** اي ذاته المقدسة **بنفسه** اي قاله ابتداء من غير اسناده لغيره **كقوله تعالى وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه** بل عباد مكرمون نزلت في خزاعة اذ قالوا الملائكة عليهم الصلاة والسلام بنات الله **في اي** بالمد جمع اية او اسم جنس جمعي كثمر وتمرة اي هذا مذكور في القران في ايات اخر **كثيرة** كقوله وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه **وذكر تعالى في القران ما نسب المنافقون الى عايشة** رضي الله عنها في قصة الافك **فقال ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا** اي لا يجوز ولا يصح لانه ما كان ولا ينبغي ورد في القران لمعان منها هذا اذ لولا بمعنى هلا وقدم الظرف لانه هو الاهم بالانكار على سماع مثله **ان نتكلم بهذا** اي نتلفظ به فضلا عن اشاعته واعتقاده **سبحانك** منصوب على المصدرية والاصل فيه التعجب من صنعه ثم شاع في مطلق التعجب وهو مصدر كالغفران وتقدم الكلام عليه مفصلا **هذا بهتان عظيم** اي افتراء عظيم لا يليق بها قل التكلم به لانه كيف يكون زوجته صلى الله عليه وسلم منسوبة لمثله والبهتان في الاصل كذب يبهت صاحبه تحيرا من افترائه مثله فكانه قال تعجبوا ايها السامعون منه ويجوز ان يكون على اصله بان نزه الله بان يوجد مثل هذا السوء ويعير عليه اكرم خلقه عليه الصلاة والسلام

واليه اشار بقوله **سبح نفسه** اي برأها ونزهها مبالغة **في تنزيهها** اي تنزيه عايشة وفي نسخة تبريتها من السوء اي الامر السيي القبيح **كما سبح نفسه في تنزيهه** اي تنزيه الله لذاته وفي نسخة لتبريته **من السوء** اي تنزيه الله لذاته ووضع الظاهر موضع الضمير تفخيما لشانه وتلويحا لوجوب التنزيه منه وفيه تنويه بقدرها ورفعة لمقامها حيث جعل ما لا يليق بها لا يليق بالله رضي الله عنها وهو في غاية الظهور **وهذا الذي** ذكره الباقلاني من تنزيهها عما نزه الله عنه ذاته **يشهد** اي يدل دلالة ظاهرة كانها مشاهدة **لقول مالك** المذكور انفا في قتل **من سب عايشة** رضي الله عنها لتهويله وجعله كسب الله بطريق التلويح واشارة النص المعلومة من عرف الاستعمالات القرانية فلا وجه لما اورده عليه من انها وردت لمطلق التعجب كما وقع في الحديث سبحان الله ان المومن لا ينجس وبه اشار في الكشاف وانما نشا هذا من عدم التنبه لما اراده ولذا اوضحه بقوله **ومعنى هذا الذي** قاله الباقلاني وقيل الاشارة لقول مالك انه يقتل من سبها **ان الله تعالى لما عظم سبها** اي جعله عظيما في نفسه **كما عظم سبه** باشتماله فيه ما استعمله في حق نفسه من التنزيه تنويها بقدرها كما تقدم **وكان سبها** بما نسب لها **سبا لنبيه صلى الله عليه وسلم** لان نسبة اهله لمثل ذلك يشين عرضه ويوذيه كما لا يخفى **و** الله عز وجل **قرن سب نبيه** صلى الله عليه وسلم **واذاه باذاه** تعالى اي اذى الله في نفسه كقوله تعالى ان الذين يوذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة **وكان حكم موذيه تعالى شرعا القتل كان حكم موذي نبيه صلى الله عليه وسلم كذلك** اي القتل للتسوية بينهما وجعلهما في قرن واحد **كما قدمنا** في هذا الكتاب مرارا في حكم سب الله واورد عليه انه ما قاله ليس فيه لسب عايشة رضي الله عنها بل للازمه من سبه النبي صلى الله عليه وسلم وايضا لو سلم هذا لزم قتل اصحاب الافك ولم يقع وايضا قد تقدم الفرق بين سب الله وسب رسوله صلى الله عليه وسلم على اقوال تقدمت وايضا يلزمه ذلك في سب الصحابة مطلقا لانه يوذيه صلى الله عليه وسلم وليس بشي لما علمته من ان المراد به اذية عظيمة لما فيه من الشين الذي لا يرضاه احد في نسبة اهله للزنا والرضا به واما عدم قتل اهل الافك المنافقين في حياته صلى الله عليه وسلم فلحكمة اقتضته من اثارة الفتن وصد من ضعف اسلامه عنه باشاعة انه يقتل اصحابه كما تقدم **وشهر رجل عايشة كرمها الله بالكوفة** هذا الرجل غير معروف وقوله كرمها الله اي جعلها مكرمة منزهة عن النقايص فقد صادف محزه والكوفة احد المصرين المشهورين وقيل بانها مختط رحال الفضلاء ويقال لها كوفة الجند اي مجتمعهم سميت بذلك لان سعدا رضي الله عنه لما اراد ان يبنيها قال تكوفوا بهذا المكان اي اجتمعوا فيه فسميت كوفة لذلك ولزمته اللام والاضافة لانه علم بالغلبة وقيل كان اسمها قديما كوفان **فقدم الى موسى بن عيسى العباسي** منسوب الى العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم والذي في التواريخ انه عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس واول من ولي الخلافة من بني العباس السفاح وجعل ولي العهد بعده اخاه المنصور وبعده عيسى بن موسى حين خلع نفسه كرها وقيل عوضه عشرة الاف درهم وجعل ابنه المهدي بعده وبعده عيسى بن موسى فمات قبل المهدي سنة ثمان وستين ومائة ومات المهدي بعده بسنة **فقال** عيسى بن موسى لما ادعي عليه بما

صدر منه من حضر هذا الرجل لما قال ذلك او من سمع هذا الكلام منه فقال ابن ابي ليلى
انا كنت حاضرا سامعا لمقالته وابن ابي ليلى هو محمد بن عبد الرحمن الانصاري الفقيه
المشهور كان صاحب قرآن وعنه اخذ حمزة احد القراء السبعة وكان افقه اهل عصره واعلمهم
بالسنة حتى وصل لمرتبة الاجتهاد والشتم المراد به هنا القذف فكانه يذكر قصة الافك
بدليل قوله فجلد ثمانين لانه حد القذف ولعله شهد معه شهود اخر واقتصر على ذكر
ابن ابي ليلى لجلالة قدره ولو كان الرجل اقر لم يحتج للسؤال عمن سمع منه ذلك وحلق راسه
لان هذا كان تعزيرا في العصر الاول لان العرب كانت لا تحلق الرؤس الا في نسك
وكان الاسير اذا حلق راسه عد عارا عليه وورد في الحديث ان الخوارج شعارهم حلق
رؤسهم وجمع له بين الحد والتعزير لانه يجوز الجمع بينهما عند الشافعي في مسائل ذكروها
وللامام او نائبه استيفاء حد القذف عن ميت لا وارث له معروف وعائشة رضي الله عنها
لم يكن لها وارث حاضرا في هذه القضية ويحتمل ان لها وارثا ثمة والمصنف اقتصر من
القضية على محل الشاهد منها فلا اشكال في كلام المصنف كما قيل واسلمه للحجامين
تسليمه لهم اما ليحبس عندهم وليخرجوا منه دما يضعفه او ليكون معهم في خطتهم
فهو تنكيل له او هوان واهانة له لتسقط قبول شهادته برد الله صحبته وهذا الظهر وروى
ابو ذر الغفاري المشهور رضي الله عنه وهذا مما نقله الخطيب وابن عساكر في التاريخ
عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه نذر قطع لسان عبيد الله بضم العين بن
عمر اذ شتم المقداد بن الاسود الصحابي المشهور رضي الله عنه والمراد بالنذر
هنا الزامه لنفسه جزما بفعله لا النذر الشرعي او هو نذر لانه علق على شيء بقصد المنع
وتسميه الفقهاء نذر اللجاج والغضب وهو مخير فيه بين الفعل وكفارة اليمين
والنذر على اقسام ذكرها الفقهاء فكلم بالبناء للمجهول في ذلك اي كلمه الناس بالشفاعة
فيه والعفو عنه فقال عمر رضي الله عنه لمن كلمه في شانه دعوني اقطع لسانه
اي اتركوني افعل ذلك ولا تمنعوني منه حتى لا يشتم احد من الناس بعد مبني على
الضم اي بعد هذا اصحاب النبي محمد صلى الله عليه وسلم وعبيد الله بن عمر بن الخطاب
بالتصغير كما علمت وله اخ من ابويه اسمه زيد الاصغر وامهما مليكة بنت جرول
وتكنى ام كلثوم وهي بنت لعلي بن ابي طالب من فاطمة رضي الله عنها مات هو وامه في وقت
واحد فلم يورث احدهما من الاخر وقيل رمي بحجر في حرب بين حيين فمات والمقداد ربا بي
بيتما الاسود وهو عبد حبشي وتبناه فنسب له وابوه عمرو بفتح العين بن ثعلبة النهراني
او الحضرمي قال بعضهم ان ابن هنا تكتب بالالف لانه ليس واقعا بين علمين ورد
بان القاعدة انه اذا وصف العلم بابن متصل كفى في حذف الالف من ابن خطا سواء كان
العلم الذي اضيف اليه ابن علما لابي الاول حقيقة ام لا كما اقتضاه اطلاقهم وكون الابن
حقيقة لم يتعرضوا لاشتراطه الا انه قد يقال لابد حقيقة في اب الولادة فيحمل كلامهم
عليه لانه الاصل والتبني لا يدفع صورة الواقع من كون الابن وقع بين علمين وشهد المقداد
بدرا والمشاهد كلها وما بعدها ومات بقرية بمحل بالمدينة ودفن بها وصلى عليه عثمان
سنة ثلاث وثلاثين وهو ابن سبعين وقطع اللسان من المذكور تعزير له لا حد فانه
لا تجوز الشفاعة فيه بخلاف التعزير وللامام ان يغلظ في الحد بما اراد فلا يقال ان قطع

اللسان لم يرد في الشرع ثم ان التعزير فيه حق لله للامام ان يستوفيه بغير طلب
والمقداد كان من كبار الصحابة رضي الله عنهم فلذا اغضب ذلك عمر رضي الله عنه
وروى ابو ذر الهروي هو عبد الله بن احمد بن عبد الله الهروي الحافظ كما تقدم ان عمر بن
الخطاب اتي باعرابي يهجو الانصار فقال لولا ان له صحبة اي لو لم يكن من اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم لكفيتكموه الخطاب لمن عنده من الانصار او لمن حضره اي لقتلته
وكفيتكم شره وهجوه ولكن لشرف صحبته عفا عنه وهذا لم يكن بلغ مرتبة حد القذف وهذا بناء على ان
الامام له ان يبلغ باجتهاده في التعزير القتل وهو الذي يسميه الفقهاء سياسة وهذا رواه
ابن قدامة عن ابي سعيد الخدري بسند رجاله ثقات وقال مالك وفي نسخة وقال مالك في
رواية عنه من انتقص احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اي ذكرهم بما فيه نقص لهم
فليس له في هذا الفيء حق وسهم منه اي لا نصيب له في مال يوخذ فيئا من الكفار واستدل
عليه بقوله قد قسم الله الفيء في ثلاثة اصناف من المسلمين فقال في قسم منه للفقراء
من المسلمين والمهاجرين الاية اي الذين خرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا
وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون اي الذين هاجروا من ديارهم للمدينة لنصرة
نبيه صلى الله عليه وسلم وابتغاء فضل الله ورضوانه ثم قال في القسم الثاني والذين
تبوءوا الدار والايمان الاية من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة
مما اوتوا ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وهؤلاء هم الانصار الذين اووا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصروه ثم قال في الصنف الثالث والذين جاءوا للاسلام
من غير المهاجرين والانصار من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا
بالايمان الاية ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا ربنا انك رؤف رحيم فهؤلاء يدعون لهم
ويستغفرون لهم ويعظمونهم بسبقهم للسعادة في الدارين فمن تنقصهم فلا حق له في
في المسلمين لخروجه عن الاصناف الثلاثة وهذا بناء على ان قوله للفقراء الخ بدل من قوله
لذي القربى وما بعده والمبدل منه في حكم الطرح لا متعلقا بمحذوف اي اعجبوا لهم في تركهم
اموالهم واهليهم وديارهم لوجه فضل الله ونصرة دينه ومدح الله لهم بالصدق في ذلك
وللذين تبوءوا الدار وايثارهم على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وللذين جاءوا من بعدهم
داعين للسابقين وهو على مذهبه من ان الفيء لا يخمس كالغنيمة وعند بعضهم يخمس والكلام
فيه مفصل في كتب الفقه والتفسير والفيء ما اخذ من الكفار من غير قتال فيدخل فيه الخراج
والعشر والغنيمة وفيه خلاف هل يخمس ام لا والخمس الذي كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يصرفه في مصالحه اختلف فيه بعد موته على ما فصله الفقهاء وفي كتاب ابن شعبان
من قال في واحد منهم اي الصحابة رضي الله عنهم انه ابن زانية وامه مسلمة حد عند بعض
اصحابنا حد القذف حدين حدا له وحدا لامه قيل فيه تغليب والمراد انه يحد لامه لان الحد
حق لها وعزر له وفيه نظر لان قوله ولا اجعله كقاذف الجماعة في كلمة يأباه لفضل
هذا على غيره اي لزيادة جرمه فالفضل بمعناه اللغوي وفي قذف جماعة بكلمة واحدة حد
واحدا عند الاكثر وللشافعي فيه خلاف ولقوله صلى الله عليه وسلم من سب اصحابي فاجلدوه
قال ابن شعبان ومن قذف ام واحد منهم وهي كافرة حد حد الفرية اي الكذب لا القذف
بناء على انه يشترط في وجوبه الاسلام لانه سب له فان كان احد من ولد هذا الصحابي

الذي سبه حيا وقد مات ابوه قام مقام ابيه بما يجب له اي يطلب حقه الواجب بسببه لانه وارثه في ماله وحقوقه فليس لغيره حق في هذه الدعوي وان اي وان لم يكن له حي من قام به اي بطلب حقه ودعواه من المسلمين لان لهم طلب مثله كان واجبا على الامام اونايبه قبول قيامه باستماع دعواه والحكم بمقتضاه معاونة ونصرة له قال ابن شعبان والبشر هذا اي استحقاق غير الولد من المسلمين للدعوي بالحد والتعزير كحقوق غير الصحابة فانه لا يستحقها غير الوارث لحرمة هولاء اي الصحابة بنبيهم صلى الله عليه وسلم ففيه حق من حقوق الله يستحقه كل احد من هذه الامة ولو سمعه اي سمع قوله الامام اونايبه واشهد عليه كان الامام اونايبه ولي القيام به اي كان يتولي الحد واستيفاه قال ومن سب غير عايشة من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ففيها قولان احدهما يقتل كما يقتل من سب عايشة لانه سب زوجة ام المومنين سب النبي صلى الله عليه وسلم لتعدي عارهن له لسب حليلته اي زوجته وهي من الحلال لحلها له او من الحلول لانها تحل حيث حل والقول الاخر في غير عايشة انه اي سب غيرها كساير الصحابة فيلزمه ان يجلد حد المفتري بناء على ان سبهم فيه ذلك وقيل ساب عايشة لتكذيبه لله ورسوله وللمرأة كامر قال ابن شعبان وبالقول الاول وهو القتل اقول لاختياره له وقوة دليله عنده وروي ابو مصعب احمد بن ابي بكر القاسم بن الحارث ابن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن الزهري المدني القاضي قاضي المدينة كما تقدم عن مالك في حق من انتسب الي آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم بقرابة او ولاء قيل او صحبة يضرب ضربا وجيعا نكالا له وردعا لامثاله ويشهر ضلاله لئلا يقتدي به غيره ويحبس حبسا طويلا مدته حتى تظهر توبته فاذا ظهرت اطلق لانه اي ما فعله استخفاف بحق الرسول صلى الله عليه وسلم فيجب عقوبته لذلك وحاصل قوله من انتسب الي هنا اذ من ادعي انه من اهل البيت وهو ليس منهم وانتسب له انتسابا باطلا يستحق النكال والتشهير وقد ورد في الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال ايما رجل دعي الي غير ابيه فقد كفر وهذا يدل على عظم هذا وانه يشدد فيه وقد كثر هذا في زماننا هذا وتساهل فيه ودخلوا في هذا النسب الطاهر وادعاه كثير من الاشرار وتسارع القضاة بذلك الي اثبات الانساب وجعلوا لهم علامة كما قيل

جعلوا لابناء الرسول علامة	ان العلامة شان من لم يشرف
نور النبوة في كريم وجوههم	يغني الشريف عن الطراز الاخضر

وافتى ابو المطرف بضم الميم وفتح الطا وكسر الرا المشددة المهملتين وفا الشعبي بفتح الشين المعجمة وسكون العين المهملة وباء موحدة وياء نسبة مشددة فقيه مالقة بزنة فاعلة اسم فاعل بلدة مشهورة بالمغرب بيد النصارى الان اعادها الله للاسلام في رجل انكر على بعض القضاة تحليف امراة مخدرة ادعي عليها بحق شرعي فامرها ان تحلف عنده بالليل سترا لها وقال من انكر تحليفها ليلا لو كانت المراة بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنه ما حلفت الا بالنهار حتى يسوي بينها وبين غيرها وصوب ماض مشدد الواو اي عد قوله هذا صوابا وهو انكاره تحليف النسا المخدرات ليلا بعض المتسمين اي المتصفين بمعرفة الفقه فقال ابو المطرف فقيه مالقة ذكر هذا المنكر تحليف النساء ليلا لابنة ابي بكر الصديق رضي الله عنهما في مثل هذا الامر الذي يسوي بها غيرها من النسا يوجب عليه شرعا التعزير البليغ والضرب الشديد والسجن الطويل لجراته على بنت خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وام المومنين

فان المتبادر

فان المتبادر منها عند الاطلاق عايشة رضي الله عنها وان كان له غيرها والفقيه الذي صوب قوله في الانكار المذكور هو احق واولي باسم الفسق الذي وصفه بانه فاسق وجعل فهمه الذي ادعاه فسقا احق بالقبول من اطلاق اسم الفقيه عليه فيتقدم اليه اي ينذر لمخالفته وتفسيقه بما قاله في ذلك المقال الذي قاله ويزجر ويوبخ على ما قاله ولا تقبل فتواه التي افتى بها ولا شهادته بتصويبه لمقالته جرحة فعلة بالضم من الجرح القابل للتعديل اي قوله هذا جارح له مسقط له من العدالة فلا يقبل ما قاله ثابتة فيه مسجلة عليه الجرح وعدم العدالة ويبغض مضارع بزنة يكرم المجهول يهان وضاد معجمتين معطوف على قوله يتقدم اي يظهر بغضه وعداوته في الله تعالى عز وجل اهانة له وتركا لمقاله وهذا اخر كلام ابي المطرف كما نقله عنه السبكي في فتاويه وقال الغرض من هذا كله انه فاسق مرتكب لكبيرة عظيمة لا مخلص له منها بسبيل الي العدالة ومن كان بهذه الصفة لا تقبل شهادته قطعا ومن تخيل ان لقبول ساب الصحابة وجها وتاويلا فليعلم ان هذا وان كان فاسدا فالسبكي خارجان عن ذلك اذ تاويلهم انما هو فيمن خاض الفتن ولابس قتل عثمان وقاتل عليا والشيخان بريان من ذلك قطعا ولهذا جري الخلاف في تكفير سابهما وساب عثمان وعلي دون غيرهم من الصحابة انتهي واذا عرفت ان ما ذكره المصنف عبارة ابي المطرف فالمقصود منه ان السلف كانوا يحافظون على مقام الصحابة ويمنعون الجراة عليهم ولذا نقله السبكي ولم يتعقبه فما قيل عليه من انه غير مسلم لان انكاره التحليف ليلا له وجه لان اليمين قد يقصد تغليظها ومن تغليظها اظهارها بين الناس حتى قيل قد تحلف بعد عصر الجمعة فالاخفا لم يعهد شرعا وايضا قوله لو كانت بنت ابي بكر ليس فيه ذكر لعايشة فله بنت اخري وهي اسما ولو سلم تبادرها فليس فيه تحقير لها بل هو تعظيم لها لادعائه انها في اعظم مراتب الشرف حتى لو كانت هذه بمرتبتها لم تحلف والعرف قاض بهذا وبه افتي بعض الفقها كالسبكي وابن ابي شريف فقال السبكي وغيره لو قال لو جاءني بهذا الامر جبريل او رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعلته انه تغليظ فيه تعظيم للمشبه به وان له مرتبة لا يصل اليها احد ولو وصل لها هذا حكم عليه ايضا لان الاحكام لا تختلف بشريف ولا وضيع ومثله ما ورد في الحديث لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعتها فقد علمت الجواب عنه وكون مثله للتعظيم يعلم من السياق واذا كان كذلك فقد يوخذ من السياق غيره ولذا قال المصنف وقال ابو عمران في رجل قال لو شهد علي ابو بكر حذف الجواب لظهوره وعدم القصد له هنا انه اي الشان او القول المذكور ان كان مراده انه شهادته في مثل هذا لا تجوز ولا تكفي وحدها بصفة الشاهد الواحد لان شهادة رجل واحد لا تقبل مطلقا وما في قصة خزيمة مأول كما تقدم فلا شيء عليه من تعزير وغيره لانه يشعر باهانة وتنقيص وان اراد غير هذا مما يقتضي الاهانة بقرينة سوق الكلام فيضرب ضربا يبلغ به الموت اي يوصله ذلك الضرب الي مرتبة الموت لذكره من هو افضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقام لا يليق به فهذا يشعر بان مثل هذه العبارة قد يكون فيها نوع من الاهانة والحقارة وذكروها رواية وكون الشاهد الواحد لا يقبل ليس على اطلاقه فقد ذكر الفقها مسايل تقبل فيها شهادة واحد ليس محل تفصيلها هنا كما وقع في بعض الشروح فانه تكثير للسواد ليس في محله تنبيه في الخصايص الكبيرة للسيوطي اخرج الطبراني عن ابي امامة انه صلى الله عليه وسلم قال اربعة يوتون اجرهم مرتين ازواجه امهات المومنين فقيل في الاخرة وقيل احدهما في الدنيا والاخري في الاخرة

بتصويب ما قاله ذلك الفاسق الذي ظنوا فسقه بها وهي اي فتواه صح

حكام

ية

يص

هم

واختلف في مضاعفة عذابهن فقيل عقاب في الدنيا وعقاب في الاخرة وغيرهن اذا
عوقب في الدنيا لا يعاقب في الاخرة لان الحدود كفارات وقال مقاتل هذان في الدنيا
وقال ابن جبير وكذا عذاب من قذفهن يضاعف في الدنيا فيجلد مائة وستين وفي الشفا انه
خاص بغير عائشة لانه يقتل وقيل يقتل من قذف واحدة من سائرهن وقال في التلخيص
قال تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك وعمل غيرك انما يحبط بالموت على الكفر انتهى وقد تقدم
الكلام عليه وعلى ما في كلام ابي عمران ثم ختم المصنف رحمه الله كتابه بقوله **قال ابو الفضل**
مصنف هذا الكتاب رضي الله عنه **هنا انتهى** اي تم وبلغ نهايته **القول بنا** اي القول
المتعلق بنا فيما قصدناه من هذا التاليف **فيما حررناه** اي كتبناه محررا مهذبا من الباب
على هذا التاليف **وانجزنا** اي اتممنا من انجاز الوعد الذي وعدنا بتمامه في اول الكتاب
وفي نسخة انتجز افتعال من النجاز وهو التمام **الغرض** بمعجمتين اي المطلوب **الذي انتحيناه**
اي قصدناه في تاليفنا هذا في ذكر حقوق المصطفى كما تقدم في التراجم واتي بصيغة
التفعل لزيادة قصده والغرض اصله كما تقدم الذي يرمى له السهام ثم عبر به عن كل
مقصود وبينه وبين الفائدة عموم وخصوص مطلق وصوب بعضهم انه وجهي فتنفرد
الفائدة في ثمرات افعال الله بنا على انها لا تسمى غرضا وينفرد الغرض فيما لو قصد بامر
ما لا يترتب عليه خطا واجتماعهما ظاهر غني عن البيان **واستوفي** اي كمل واتى به وافيا
الشرط الذي شرطناه فيما بيناه اول الكتاب واستوفي مبنيا للفاعل وجوز كونه
للمفعول والضمير لما **مما ارجو** اي اامل من الرجا بمعنى الامل ويكون في غير هذا المحل بمعنى
الخوف ايضا مع النفي كقوله لا ترجون لله وقارا **ان يكون كل قسم منه** اي مما حررته
لمريد الطالب لهذه المقاصد **مقنع** مفعل بالفتح من القناعة اي كفاية وهو اسم مكان
او مصدر ميمي والمراد بالمريد من يطلب الوقوف على معرفة مقدار النبوة وحقوقها
وعبر بالمقنع اشارة الى انه لا يمكن الوصول الى حقيقتها المخفية والا فالطالب يقنع بمقدار
منها فلله دره **وفي كل باب** من ابوابه اي كل جملة ونوع من انواعه وهو في العرف
جملة من المسائل يرتبط بعضها ببعض بحيث تعد امرا واحدا **منهج** كالمنهاج الطريق الواضح
الى بغيته بكسر الباء وضمها وغين معجمة وهي المطلوب **ومنزع** بفتح الميم والزاي
المعجمة بينهما نون ساكنة محل النزع او النزاع فهو اما بمعنى مخرج يخرج اليه او محل اجابته
الذي يشتاق اليه من نزع اهله ووطنه اذا اشتاقه او من نزع السهم اذا جذبه ليرميه
فالمقصود انه يجد ما يهمه طلبه فيه **وقد سفرت فيه** اي كشفت وبينت في هذا
الكتاب مما حررته وجمعته فيه وازلت الحجاب **عن نكت** جمع نكتة وهي الامر الدقيق المستخرج
بالفكر **تستغرب** اي تعد غريبة نادرة **وتستبدع** اي تعد بديعة غير مسبوقة
بالمثل في جنسها ولو اقتصر على قوله تستغرب ربما يتوهم ان غرابتها لعدم الف الطباع
لها اذ ليس كل مستغرب مستبدع فلله دره **وكرعت** اي احتوت بدخولها ووصولها
في مشارب اي مطالب ومقاصد **من التحقيق** اي بيان الحق المتقن الثابت **لم يورد**
مبنيا للمجهول اي يذكر **لها قبل** اي قبل هذا الكتاب **في اكثر التصانيف** التي صنفت
في هذا الباب **مشرع** اي محل يستفاد منه مثلها هذا هو المراد وتحقيقه ان الكرع
في الاصل شرب الدواب بفيها من الماء لانها تدخل اكارعها فيه والورود الذهاب للشرب

ضد الصدر

ضد الصدر والمشرع محل الماء المورود كالمنهل والمورد والشريعة النهر ونحوه فالكل
هنا اما استعارة تمثيلية بتشبيه المسائل المطلوبة بما ينتفع به العطاش وتشبيههم
ثانيا بسبيل من حاجة له وتشبيه الصحف بموارد انهار يحط عندها الرحال وهذا ابلغ من
جعلها استعارات تصريحية او مكنية مخيلة مرشحة ولكل وجهة فلله دره **واودعته**
اي جعلته فيه كانه وديعة **غير ما فصل** اي فصولا كثيرة وما مزيدة لتاكيد الكثرة **وددت**
اي تمنيت من الود وهو المحبة والصداقة ثم استعير للتمني وهو المراد كقوله تعالى ربما يود
الذين كفروا لو كانوا مسلمين **لو وجدت من بسط** اي بين وشرح من غير اختصار فيه
قبلي الكلام فيه اي في بيانه مستوفي **او وجدت مقتديا** اي احدا من ائمة العلماء المتقدمين
وفي نسخة مقتدي بالقاف من الفائدة **يفيدنيه** اي استفيده منه اما **عن كتابه** الذي
صنفه في هذا الغرض **او فيه** اي اسمعه من تقرير لي بفيه **لاكتفي بما ارويه عما**
اروّيه ان وفيه الاول مضارع بفتح الهمزة وسكون الراء المهملة وكسر الواو المخففة
ثم ياء مثناة تحتية وفاعله ضمير مستتر للمتكلم والثاني بضم الهمزة وكسر الواو المشددة
بعد راء مهملة مفتوحة اي اروي ما سمعته من فيه او اخذ من كتابه ومعنى الثاني اعمل
فكري على روايته عنه اي اكتفي بالاول عن الثاني وفيه تجنيس بديع وقوله يفيدنيه
باتصال الضمير من جوازا وظاهر كلام سيبويه ان الاتصال في مثله لازم واختار ابن
مالك الاول كما بين في كتب النحو يعني ان بيان حق المصطفى صلى الله عليه وسلم وما يجب
له امر واجب لم ار من وفاه حقه فوجب علي بيانه ولله دره رحمه الله فانه قام بامر عظيم
لم يقم به غيره وفسر بعضهم اروّيه المشدد بافكر فيه واعمل رويتي فيه من رويت
في كذا وتروّيت اذا اعملت النظر والفكر فيه وما ذكرناه هو المروي وجوز بعضهم
في اروّيه الثاني ضم الهمزة وسكون الراء المهملة من ارواه المزيد وهو بمعنى حمله على
الرواية ايضا **والى الله تعالى** وحده لا الى غيره كما يفيده تقديم الجار على متعلقه
جزيل الضراعة الضراعة بمعنى التذلل والخضوع والجزيل الكثير القوي وهو صفة
معنى اي الضراعة الجزيلة وهو دعا **في المنة** اي الانعام والاحسان **بقبول ما حصل**
منه بفضله وكرمه **لوجهه الكريم** اي ما فعله خالصا لله لا رياء للناس كما اشار اليه بقوله
والعفو معطوف على المنة اي وفي العفو **عما تخلله** اي وقع في خلال كلامه وبين اجزائه
في اثناء فصوله التي ذكرها في كتابه هذا **من تزين** اي اظهار ما فيه زينة وحلية
وتصنع اي تكلف صنعة في كلامه كالسجع والالفاظ التي قصد تحسينها مما يخشى
ان يكون ذلك رياء منه بقصد التبجح بقدرته على الكلام البليغ **لغيره** اي لغير الله
بل لاجل ان يمدحه من الناس وهو دعاء طلب به من الله ان يرزقه الاخلاص في تاليف
هذا الكتاب وان يصونه عن الرياء فيما حسنه من كلامه وزينه من عباراته **وان يهب**
لنا ذلك اي ما وقع فيه التزين والتصنع مما فيه شائبة رياء وهبته مجاز عن التجاوز
عن المؤاخذة به لئلا يحبط ما صنعه **بجميل كرمه وعفوه** عنه ان وقع رياء لغيره **لما**
اودعناه اي عفوه عما ذكر لاجل ما اورده في كتابه هذا **من شرف مصطفاه** اي رسوله
الذي اختاره لرسالته وتبليغ امانته **وامين وحيه** الذي ائتمنه على تبليغه لخلقه
فان الحسنات يذهبن السيئات وحاصله انه خشي من ان يخالط عمله رياء يحبطه فرجا

من الله أن يعفو عنه ان كان والريا اذا خالط العمل هل يحبطه ام لا فيه خلاف
وصحح بعضهم انه ينظر فيه للباعث عليه والأغلب فيه فان غلب اخلاصه وكان هو
الباعث له لم يحبط شي من عمله والاحبط وهذا هو الذي عليه المحققون وله تفصيل في
كتب القرافي والعز بن عبد السلام هذا محصله وان يغفر لنا لاجل ذلك ما تاسيناه في
تحصيله وتاليفه واسهرنا به اي تركنا النوم والراحة فلم نغمض جفوننا جمع جفن
وهو غطا العين اضاف له السهر لتوقفه عليه لنتتبع فضايله التتبع هو التبعية
اريد به التفتيش والبحث عن فضايل المصطفى صلى الله عليه وسلم من كتب القوم واعمال
الفكر فيها واعملنا اي اشغلنا واتعبنا فيه خواطرنا جمع خاطر وهو كما في الاساس
ما يتحرك في القلب من راي او معنى يقال خطر على بالي وببالي من ابراز اي اظهار خصايصه
اي ما خصه الله به دون غيره ما يجب او يباح او يحرم ووسايله اي ما يتوسل به الى الله
ما قربه اليه او ما اكرمه به يوم القيمة كالشفاعة العظمى والحوض ولواء الحمد وغيره مما
تقدم تفصيله والكلام عليه ويحمي اي يصون اعراضنا جمع عرض بكسر فسكون وضاد
معجمة والمراد به ابداننا فان العرض يطلق على هذا وعلى ما يصونه ويحميه من صفاته
وادعى بعض اهل اللغة انه حقيقة في الاول دون الثاني وفيه كلام في كتب اللغة
عن ناره الموقدة التي يعاقب بها من عصاه بحمايتنا اي صيانتنا كريم عرضه
اي عرضه الكريم اي المكرم المحترم عند كل مسلم والعرض هنا بمعنى المعروف ويجعلنا
ممن لا يذاد بضم المثناة التحتية وذال معجمة والف بعدها دال مهملة اي يطرد اذا ذيد
مبني للمجهول بذال معجمة مكسورة ودال مهملة بينهما تحتية ساكنة اي طرد وصد
المبدل اي الذي بدل دينه بردة ونحوها عن حوضه المورود يوم القيمة يوم الحسرة
والندامة وهو تلميح واشارة لما ورد في الحديث من انه صلى الله عليه وسلم ينادي بعض
العطاش في القيمة من القيمة فيمنعون عنه فيقول ما بالهم طردوا فيقال له انك
لا تدري ما فعلوا بعدك انهم بدلوا دينهم وبه استدل بعض الرافضة على تكفيرهم لبعض
الصحابة فطلب من الله ان يحميه عما يبدل دينه حتى لا يكون من المطرودين عن الحوض
وهذا الحديث في صحيح مسلم وغيره ولفظ الذي في مسلم انه صلى الله عليه وسلم اغفى
اغفاة ثم رفع راسه متبسما فقال انزل علي انفا سورة وقرأ انا اعطيناك الكوثر الخ
وقال هل تدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال نهر اعطانيه ربي عليه خير كثير
ترده امتي يوم القيمة فيختلج العبد منهم اي يجذبه الملايكة وتدفعه فاقول يا رب انه من
امتي فيقال انك لا تدري ما احدث بعدك وفي رواية ما زالوا بعدك مرتدين على اعقابهم
قال القرطبي رحمه الله قالوا كل من ارتد او احدث ما لا يرضاه الله فهو من المطرودين عن
الحوض واشدهم طردا من خالف جماعة المسلمين كالخوارج والظلمة واهل الجور فهذا
صريح في ان طردهم عن الحوض على ظاهره وقول ابن حجر رحمه الله تع انهم طردوا الى رشد
كل احد الحوض نبيه يا باه ما صرح به في الروايات الاخرى وهذا غير مناف لما ورد من
انه صلى الله عليه وسلم تعرض عليه اعمال امته في البرزخ لانه قد ينسى او يراد اظهار
ما علموا على رؤوس الاشهاد ونحو ذلك ويجعله لنا يعني لنفسه ومن اخذ عنه ولمن تمم
اي اعتنى وتعبد باكتابه اي كتابته واكتسابه اي تحصيله باي طريق كان سببا اي و

موصلة

موصلة يصلنا باسبابه اي طريقا موصلا للامور الموصلة لقرب الله تع ورضاه
وذخيرة اي امرا ندخره وعدة نجدها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا اي تجد
اعمالها حاضرة عندها وهي تجوز عن حضور صحفها او ظهورها بشهادة الاعضا ونحوها
لان الاعمال اعراض لا تعاد وتحضر وذهب بعضهم الى ان الاعمال تجسم حتى تشاهد
واليه ذهب بعض العلما وللجلال فيه رسالة اقام فيها ادلة على ذلك والله على كل
شي قدير وعبر باسم المفعول لان الفاعل معلوم اذ لا يحضرها الا الله نحوز بها اي
نحصل بالاعمال الصالحة اذا احضرت رضاه وجزيل ثوابه كما وعد به من لا يخلف
الميعاد ويخصنا اي يميزنا بما عملناه من العمل الصالح بخصيصى زمرة نبينا صلى
الله عليه وسلم وجماعته اي اتباعه من امته وخص يتعدى بالبا وتدخل على المأخوذ
كما هنا وعلى المتروك والكلام فيه مشهور والزمرة والجماعة متقاربان وخصيصى
بكسر الخا المعجمة وكسر الصاد المهملة المشددة ثم مثناة تحتية وصاد مهملة والف
مقصورة وتمد كما في القاموس وغيره وهو مصدر بمعنى الاختصاص وهو الذي جزم به
السيوطي وقيل انه مثنى خصيص بوزن صديق واليه ذهب السخاوي وغيره وفسره
بابي بكر وعمر رضي الله عنهما ولما قراه بالتثنية الشيخ برهان الدين البقاعي في الدرس
بين يدي المحيوي الكافيجي بالشيخونية والجلال حاضر رده وقال انه خطا فلم يقبله
وقال انه هو الصواب فكتب اليه بعد ذلك ما صورته بعد البسملة الحمد لله الذي
محن العلما والاشراف بمنابذة الجهال والاطراف • والصلاة والسلام على سيدنا
محمد واله وصحبه اولي الفضل والانصاف • وبعد فقد قرا بعض العوام في اخر كتاب
الشفا قوله ويخصنا بخصيصى الخ بسكون اليا بصيغة التثنية المحذوفة النون
فقلنا له انما هي خصيصى بالف التانيث المقصورة واقتاله العذر في ذلك بكونه
رآها مرسومة باليا فظن انها يا وادعى انها رواية وكذب في ذلك وادعى ان ذلك
هو الصواب وان المراد بالخصيصين ابو بكر وعمر رضي الله عنهما واقول ما ادعاه
باطل رواية ولغة ومعنى • اما الرواية فان الذي تلقيناه من المعتبرين وضبطه
من يرجع اليه في النقل انه بالالف لا غير كما نبه عليه الحافظ البرهان الحلبي في شرح
للشفا وشيخنا الامام تقي الدين الشمني في حاشيته عليه وكذلك قراناه عليه
وسمعناه من غيره • واما اللغة فقال الجوهري في الصحاح والقاموس والمجمل خصه
بالشي خصا وخصوصا وخصوصية بالفتح وخصيصى ويمد فصولا ايمة اللغة قالوا
خصيصى بالالف المقصورة مصدر خصه ولم يقل احد منهم ان خصيصى مصدرا
ولا صفة واصرح منه ما في ديوان الادب للفارابي في باب فعيل انه سمع منه
خمسة الفاظ شرير صاحب شر جدا وفسيق ورجل ضليل ضال جدا وتنين ضرب من
الحيات ورجل عنين ثم ذكر خصيصى واخواته ولم يذكر خصيص وبابه سماعي لا يقاس عليه
كما هو مقرر عند اهل العربية واما بطلانه معنى فلان المقصود من الكلام المصدر لا الو
والمراد يخصنا بهذه الخصوصية وهو ان نكون من جملة الجماعة المنسوبين الى النبي صلى
الله عليه وسلم والزمرة الداخلين تحت لوائه وليس المراد الاختصاص بالذوات
وهذا مما لا يخفى الا على جاهل بالعربية وايضا لو كان خصيص مثنى مضاف وجب ان يضاف الى

متغايرين وليس بعد الزمرة وهي جماعة بمعنى واحد وما فسر به كلامه غلط صراح يضحك منه السامع ويفرح منه العدو ويغتم الصديق واي معنى لقوله ويخصنا بابي بكر وعمر والاختصاص انما يكون بالمعنى لا بالذات فليتامل المنصف هذا الكلام فانه لا يساوي مثقال ذرة والله اعلم انتهى ما قاله السيوطي ملخصا وارسله لعلما عصره واستفتاهم وطلب منهم بيان الصواب فقال السخاوي في فتاويه في الحديث انه ممن استفتاه العلامة الامين الاقصرائي فكتب بتصويب ما قاله البرهان وقال انكاره بغير موجب ومعناه صحيح فلا وجه لانكاره وكتب الشمس البامي ان الذي سمعناه من مشايخنا قديما وحديثا وقري عليهم ان هذه اللفظة مثناة والمعنى عليه فلا يحل لاحد انكارها لمن انكرها وصوب غيرها في الحقيقة مسي على القاضي عياض فيؤدب على اسائته على العلما وكتب الغزي عثمان الديمي مثله وكذا الشيخ قاسم الحنفي وقال ان التثنية لا تمتنع رواية ودراية اما الرواية فلانها الثابتة في الاصل المعتمد المقابل على الحافظ الذي صححه عبد المجيد اليمني في حاشيته وقري ذلك على ابن حجر وناهيك به فمن نسب قايله الى الكذب فهو كذاب يستحق التاديب كذا قال السخاوي في فتاويه ثم قال انه سيل عنه مرة اخرى فاجاب بان التثنية ثبتت دون غيرها كما قاله التاج اليمني وشهد له تاج الدين السبكي بانه الذي يروى فيروى كل ظمآن ويبدي فوايد بحرة الايمان وهو الثابت في الاصول المعتمد عليها ومما يتعجب منه انه استدل بما في ديوان الادب لاقتصاره في فعيل على خمسة الفاظ مع وجود الفاظ غيرها واذا تقرر هذا فالتثنية في كلام القاضي بالنظر لشيئين وهما الزمرة الشاملة لجميع من اتبع النبي صلى الله عليه وسلم من الصحابة وغيرهم الى يوم القيامة والجماعة الذين هم الصحابة خصهم بعد دخولهم في العموم لشرفهم فكانه سال الله ان يخصه باقتفايه طريق الخواص من اصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم ومن ساير امته وهو كقول القايل هب لنا ما وهبته لاوليايك واحبابك ويجوز ان يكون سال ان يخص بخصيصي هذه الامة وهما ابو بكر وعمر رضي الله عنهما حسبما ورد في حديث ضعيف رواه الطبراني في الكبير عن ابن مسعود رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال ان لكل نبي خاصة من اصحابه وان خاصتي ابو بكر وعمر رضي الله عنهما اخرجه البيهقي في الفضايل ولا يكون من خواصهما الا بسلوك طريقتهما واقتفاء سنتهما وعلى تقدير التنزل في كون الزمرة والجماعة واحدا فليس يمتنع الايتان بلفظ التثنية مع اضافة لفظ الواحد بل يقال زيد وعمرو عالما البلد انتهى باختصار لما اطال به مكررا لحذفنا ما لا حاجة لنا به **وانا اقول** ان السخاوي رحمه الله اطال لسانه على السيوطي رحمه الله وادعى ان علماء عصره وافقوه وكتبوا خطوطهم بنصرته ولم ار ما قاله في كتاب غير فتاويه والحق احق بالقبول فان الذي يقبله الطبع ما قاله السيوطي وهو ان خصيصة مصدر فان النقل والعقل شاهدان له اما الاول فان الموجود في كتب اللغة كلها ذكر خصيصى وقول السخاوي انه لا حصر في كلامهم مسلم لكنه لا يفيد اثبات كلمة لم يذكرها اهل اللغة ولم تسمع في كلام احد من العرب **واما الثاني** فان معناه في غاية الظهور وكونه مثنى مرادا به الشيخين لم يدل عليه سياق ولا سباق الا ان قول الجلال انه لا يضاف الا الى اثنين لا وجه له كما قاله السخاوي **ويحشرنا** اي يجمعنا

في الحشر **في الرعيل الاول** الرعيل والرعلة القطعة من الخيل وجماعة منها والرعيل الاول السابقون من الفرسان ثم كني به عن كل سابق للخير والفعل الحسن يتمدح به كما قال حسان رضي الله تعالى عنه شم الانوف من الرعيل الاول

فالمراد به هنا من يبادر لفعل الخير ممن يكرمه الله بدخول الجنة قبل غيره وهم بعد الانبيا عليهم الصلاة والسلام العلما العاملون **واهل الباب الايمن** اي اصحاب اليمين ممن يوتى كتابه بيمينه **من اهل شفاعته** وتقدم الكلام على ذلك **ونحمده** سبحانه و**تعالى على ما هدى اليه من جمعه** اي جمع ما فيه مما يتعلق بغرضه **والهم** الالهام القاء الخير في القلب **وفتح البصيرة** اي قوة النفس المدركة في الباطن بمنزلة البصر في الظاهر والجملة كالتذييل تمثيلا قال **لدرك** بفتح فسكون اي ادراك **حقايق ما اودعناه وفهم ونستعيذه** اي نلتجا اليه **جل اسمه** وعز ذاته **من دعاء لا يسمع** اي لا يجاب ولا يقبل لقوله سمع الله لمن حمده **وعلم لا ينفع** لعدم العمل به والاخلاص فيه **وعمل لا يرفع** اي لا يقبل ولا يعتد به قال تعالى والعمل الصالح يرفعه وقال ان كتاب الابرار لفي عليين **فهو الجواد** بتخفيف الواو بمعنى الكريم الكثير الجود اي الاعطا وهو من اسماء الله تعالى كما ذكره ابن حجر وقد ثبت في حديث صحيح ذكره النووي والترمذي في جامعه والبيهقي في الاسما والصفات واعتضد بمسند وبالاجماع خلافا لمن انكره **الذي لا يخيب من امله** يخيب بوزن يزيد اي لا يحرم من قصده ويجوز تشديده فان الكريم لا يخيب من قصده **ولا ينتصر من خذله** الخذلان ضد النصرة ومن خذله الله لا يقدر احد ان ينصره ولا هادي لمن اضله **ولا يرد دعوة القاصدين** بسواله الراغبين لما عنده وفي الحديث ان الله يستحي ان يرد عبده صفرا اذا رفعها **ولا يصلح عمل المفسدين** فيمحقه ويبطله **وحسبنا الله ونعم الوكيل** وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى اله وصحبه اجمعين وسلم تسليما كثيرا **والحمد** بفضل الله وتوفيقه هذا الشرح المبارك **قلت** مورخا له راجيا قبوله وعود بركته علي وعلى احبابي وجميع المسلمين

بجاه النبي الكريم الاجل • ومن قد كسى المجد اسنى الحلل
توسلت لله ربي الذي • به لا يخيب من قد سال
فان الشفاء وما فيه من • مناقبه للاماني كفل
وقدم شرح به ارتجي • بان يشرح الله صدر العمل
ببرء السقام ومحو الذي • جناه القضا من عظيم الزلل
فيا سيد الرسل يا من ثري • مواطيه اثمد للمقل
تقبل هدية الفا • هدية عبد لمولى اجل
فامال قالي قد ارخته • **تم الشفا وصح الامل**
فصلى وسلم ربي على • مقام به نوره ما افل
فلا زال مطلع شمس الهدى • وروضته قبلة للقبل

قال مؤلفه وتم يوم الجمعة ثامن عشري ربيع الثاني سنة ثمان وخمسين بعد الالف على يد اضعف العباد احمد شهاب الدين الخفاجي المصري **وكان الفراغ** من تمام هذا الجزء الثاني وما قبله في صبيحة يوم الثلاثا المبارك ثالث عشر ذي القعدة الحرام لسنة ثلاث وسبعين والف على يد كاتبهما بيده الفانية احمد شهاب الدين المصري المنفصل عن قضا المنزلاوية بالديار المصرية عفي عنه امين

جماع